

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت: ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة



قيم من الهجرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وبعد.

فلما اشتد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيد قريش وأذاها بعد وفاة عمه وزوجه، توجه إلى الطائف عسى أن يجد في أهلها من يناصره في أمر ربه، ولكنهم ردوه ردا غير جميل، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فقذفوه بالحجارة، وشدخوا رأسه، وجرحوا وجهه، وسال الدم على ثوبه، وأدموا قدميه الطاهرتين، وأغمي عليه، فاستند إلى جوار البستان، وأخذ يمسح وجهه من الدم، وهو يقول: «ما بال أقوام خضبوا وجه نبيهم بالدماء»، ورفع رأسه إلى السماء داعيا بهذا الدعاء الخاشع: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني[1]، أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن ←

(١) أي: ينظر إلى بوجه كريه، وهو كناية عن العداوة والبغضاء.

المحرم ١٤١٩ هـ - مايو ١٩٩٨ م - الجزء الأول - السنة الواحدة والسبعون

عافيتك[٢] هي أوسع لي[٣] ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولاحول ولاقوة إلا بك »[٤] .

وإذا بملك من السماء يأتي إليه ويقول له : يامحمد إن رب العزة قد أمرني أن أطبق عليهم الأخشبين[٥] ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إني لم أرسل معذبا ولا لعانا ، وإنما أرسلت رحمة للعالمين ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، إني لأرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده » .

وهنا يتبين لنا أن توجهه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الطائف دليل على التصميم الجازم ، في نفس الرسول على استمرارية دعوته إلى الله ، وعدم يأسه من استجابة الناس لها ، وبحث عن ميدان جديد للدعوة .

ثم إن في إغراء ثقيف صبيانها وسفهاءها بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لدليل على أن طبيعة الشر واحدة أينما توجد ، من حيث اعتمادها على السفهاء في إيذاء دعاة الخير .

وفي سيل الدماء من قدميه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأكبر مثل لما يلاقيه الداعية في سبيل الله ، من أذى واضطهاد .

أما دعاؤه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك الدعاء الخاشع الخالد ، ففيه تأكيد لصدق الرسول في دعوته ، وتصميم على الاستمرار فيها مهما قامت في وجهه الصعاب ، ولا يهمه إلا رضا الله وحده ، كما أن فيه استمداداً لقوة من الله ، باللجوء إليه ، والاستعانة به عندما يشتد الأذى بالداعية ، وأن خوف الداعية كل الخوف إنما هو من سخط الله عليه وغضبه .

وبعد هذا عرض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه على القبائل في موسم الحج ، وفي هذا دليل على أن الداعية لا ينبغي له أن يقتصر في دعوة الناس إلى الخير ضمن مجالسه أو بيته فحسب ، بل ينبغي له أن يذهب إلى كل مكان يجتمع فيه الناس ، وأنه لا يأس من إعراضهم عنه مرة بعد أخرى ، فقد يهيء الله له أنصارا ، يؤمنون بدعوته الخيرة من حيث لا يفكر ولا يحتسب ، وقد يكون لهذه القلة التي تهتدي به في بعض المناسبات شأن كبير في انتشار دعوة الحق والخير ، وفي انتصارها النصر النهائي على الشر وأعوانه ، وكان لإيمان السبعة الأوائل من الأنصار ، الذين التقوا بالرسول أول مرة مما أدى إلى تغلغل الإسلام في المدينة ، وكان لهذا التغلغل أثر في انتشار الإسلام وسيطرته عليها ، مما مهد للمؤمنين المضطهدين في مكة أن يجدوا في المدينة مهاجرا ، يتمركزون فيه ،

---

(٢) وهي السلامة من البلايا والأسقام .

(٣) فيه : أن الدعاء بالعافية مطلوب محبوب ونحوه : لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية . وهكذا عادة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إنما يسألون بعد البلاء عنهم .

(٤) رواه الطبراني في كتاب الدعاء ، وابن إسحاق في السيرة

(٥) جبلين بمكة .

ولرسول الله موئلا أمينا يقيم فيه دولته ، ويبث منه دعوته ، وينطلق منه أصحابه إلى مقاومة الشرك والمشركين بالحروب والمعارك ، التى كانت نهايتها انتصارا خالدا للإيمان ، وهزيمة أبدية للشرك .

ثم أذن الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالهجرة إلى المدينة ، فخرج هو وأبو بكر ، وإن فى موقف أسماء وعائشة ـ رضى الله عنهما ـ فى الهجرة ما يؤكد حاجة الدعوات الإسلامية إلى النساء ، لأنهن أطيب قلبا .

وفى أيامنا هذه نجد أن حركة الإصلاح الإسلامى قليلة الأثر إلا إذا اشتركت المرأة التى تربت على الإيمان والخلق والعفة والطهارة ، لأنهن أقدر على نشر القيم فى المجتمع .

إذن علينا أن نشجع بناتنا وأخواتنا على تعلم الشريعة الغراء ، وعلى سيرة السلف الصالح ، ثم إن فى إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع محاربتهم له ، وتصميمهم على قتله لدليل على أن أعداء الإسلام يوقنون بأمانة الرسول واستقامته ونزاهته ، ولكنه العناد والجمود على العقائد الضالة .

كما أن فى موقف عبد الله بن أبى بكر ما يدل على مكانة الشباب فى نشر الدعوات ، إذ هم عماد كل دعوة إصلاحية حيث يضحون ويفتدون الأوطان بكل غال ونفيس .

ولما وصل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قباء بنى فيها أول مسجد ، ليجتمع فيه المؤمنون ، ثم لما وصل إلى المدينة أقام مسجده ، وفى هذا برهان على مكانة المسجد فى الإسلام ، لأنه مظهر قوى من مظاهر اجتماع المسلمين ، وتعاونهم على البر ، وتوحيد صفوفهم ، وتهذيب نفوسهم ، ومن المسجد انطلقت جحافل الجيوش الإسلامية ، وانبعثت منه أشعة النور والهداية للمسلمين وغيرهم ، ومنه ترعرعت بذور الحضارة الإسلامية ، وتنبعث منه أسبوعيا كلمة الحق مدوية فى إنكار المنكر ، أو أمر بمعروف ، أو دعوة إلى الخير .

ويوم يعود المسجد لأداء رسالته على الوجه الأكمل فى تربية الرجال ، وإصلاح الفساد ، ومحاربة المنكر ، وبناء المجتمع على تقوى الله لسعدت البشرية .

ثم إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخى بين المهاجرين والأنصار ، حتى كان الأنصارى يقتسم كل شىء فى بيته مع أخيه المهاجرى ، وقد سجل القول الكريم هذا الموقف فى قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر / ٩)

ثم كتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وهذا الكتاب احتوى على المبادىء العامة التى قامت عليها أول دولة فى الإسلام ، من العدالة الاجتماعية ، والتسامح الدينى ، ووحدة الأمة الإسلامية ، وتساوى بين أبنائها فى الحقوق والكرامة ، وتكاتفها ضد الظلم والعدوان ، واشتراكها فى تقرير العلاقات مع أعدائها ،

وتأسيس المجتمع على أحسن النظم ، ومكافحة الخارجين على نظام الدولة العام ، وعدم نصرتهم ، وحماية من أراد العيش مع المسلمين : مسالما ، متعاونا ، ورفض الامتناع عن ظلمهم ، والبغى عليهم ، ثم إنه لغير المسلمين دينهم وأموالهم ، فلا يكرهون على الإسلام ، ولا تؤخذ منهم أموالهم ، وعلى غير المسلمين أن يسهموا فى نفقات الدولة كالمسلمين ، وأن على غير المسلمين أن يتعاونوا مع المسلمين فى رد العدوان على الدولة ، وأن يشتركوا فى نفقات القتال مادامت الدولة فى حالة حرب ، وعليها أن تنصر من يظلم منهم ، كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه ، ثم إن المسلمين وغيرهم عليهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ، ومن يناصرهم ، وإذا كانت مصلحة الأمة فى الصلح وجب على أبنائها من مسلمين وغيرهم ، أن يقبلوا بالصلح ، ولا يؤاخذ إنسان بذنب غيره ، ولا يجنى جان إلا على نفسه وأهله ، وحرية الانتقال فى داخل الدولة وإلى خارجها ، مصونة بحماية الدولة ، ولا حماية لظالم ، ولا لآثم ، وأن هذا المجتمع يقوم على أساس التعاون ، على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

وهذه المبادىء يحميها إيمان الشعب بالله ، ورعاية الله لمن برَّ ووفى ، ثم رئاسة الدولة يمثلها سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وكانت فرحة الأنصار والمهاجرين فى المدينة بمقدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصوله إليهم سالما فرحة ما بعدها فرحة ، لأنه أنقذهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد .

أما اليهود فكانوا ظاهرا فرحين ، أما باطنا فكانوا متألمين من منافسة الزعامة الجديدة ، ولا غرابة فى هذا ؛ لأنهم عرفوا بالنفاق والملق للمجتمع ، وبالحقد الأسود ممن يسلبهم الزعامة ، ومازال اليهود يحقدون على كل من يخلِّص الشعوب من سيطرتهم ، وينتهون من الحقد إلى المؤامرات ثم إلى الاغتيال إن استطاعوا ، ذلك ديدنهم ، وتلك طبيعتهم ، وهكذا اليهود دائما قوم يشعلون نار الحروب دائما وأبدا : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ (المائدة/٦٤) .

وأخيرا فإن العالم الإسلامى والعربى يمر اليوم بمرحلة من أدق مراحل التاريخ ، وما أشبه الليلة بالبارحة .

وإن هذه الأمة العربية الإسلامية لهى فى حاجة إلى أن تتخذ من الهجرة الدرس العملى إن أرادت لنفسها ولأوطانها قوة ومجدا ورفعة شأن وخلدا .

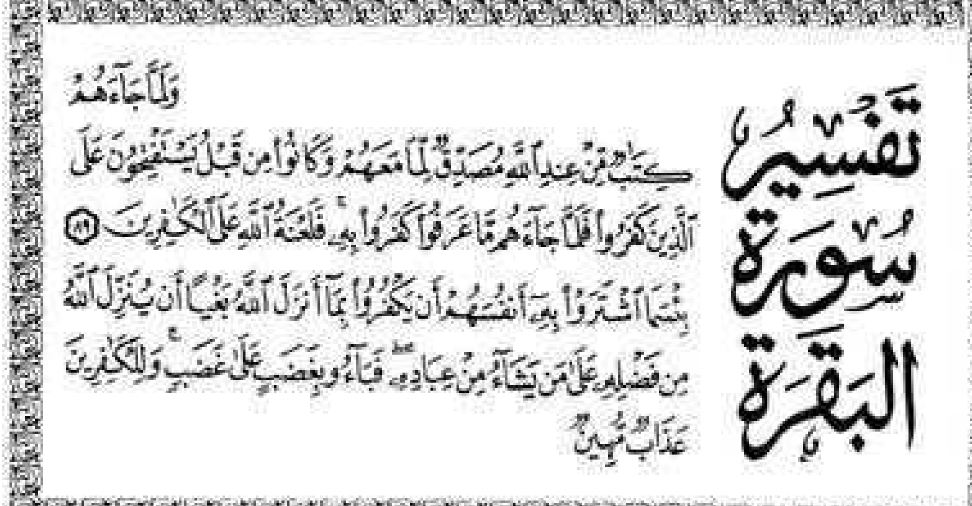
وإن الهجرة لا تزال تهتف فى أذن الكون كلما جاء ميقات ذكرها توقظ النائمين ، وتهيب بالمسلمين أن يتابعوا الخطى على الطريق المستقيم ، طريق الأولين السابقين ، عليهم أن يسترجعوا مجدهم وعزهم حتى يعود لهم مكانهم السياسى ، وتعود لهم قوتهم وعزتهم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد/٧) .

رب ثبت على الطريق خطانا

من تثبت خطاه لا يتعثر

عبد المعز عبد الحميد الجزار



لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

ثم نبه القرآن المؤمنين إلى نوع آخر من رذائل اليهود ، ويتجلى هذا النوع فى جحودهم الحق عن معرفة وعناد ، وكراهتهم الخير لغيرهم بدافع الأنانية والحسد ، وتحولهم إلى أناس يتميزون من الغيظ إذا ماراوا نعمة تساق لغير أبناء ملتهم .

روى المفسرون فى سبب نزول الآية الأولى من هاتين الآيتين آثارا متعددة ، من ذلك ما جاء عن عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصارى عن رجال من قومه قالوا : مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه ، أنا كنا نسمع من رجال يهود حين كنا أهل شرك وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فكنا إذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : قد تقارب زمان نبى يبعث الآن ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله محمداً ﷺ رسولا من عند الله أجبنا حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل قوله - تعالى - ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ... الخ الآية (١) .

ومعنى الآيتين الكريمتين : ولما جاء إلى اليهود محمد ﷺ ومعه القرآن الكريم وهو الكتاب الذى أوحاه الله إليه ، مصدقا لما معهم من التوراة فيما يختص ببعثة النبى ﷺ ونعته ، وكانوا قبل ذلك يستنصرون به على أعدائهم ، لما جاءهم النبى المرتقب ومعه القرآن الكريم جحدوا نبوته ،

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٣ .

وكذبوا كتابه ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . بئس الشيء الذى باعوا به أنفسهم . الكفر بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ ، وكفرهم هذا كان من أجل البغى الذى استولى على نفوسهم ، والحسد الذى خالط قلوبهم ، وكراهية لأن ينزل الله وحيه على محمد العربى ﷺ فباءوا بسبب هذا الخلق اللئيم ، بغضب مترادف متكاثر من الله[٢] ـ تعالى ـ ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ جزاء كفرهم وحسدهم .

والمراد بالكتاب فى قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ القرآن الكريم ، وفى تنكيره زيادة تعظيم وتشريف له ، وفى الإخبار عنه بأنه من عند الله ، إشارة إلى أن ما يوحى به ـ سبحانه ـ جدير بأن يتلقى بالقبول وحسن الطاعة لأنه صادر من الحكيم الخبير ، والذى مع اليهود هو التوراة ، ومعنى كون القرآن مصدقاً لها ، أنه يؤيدها ويوافقها فى أصول الدين ، وفيما يختص ببعثة النبى ﷺ وصفته .

وفى وصف القرآن الكريم بأنه مصدق لما معهم ، زيادة تسجيل عليهم بالمذمة ، لأنهم لم يكفروا بشىء يخالف أصول كتابهم وإنما كفروا بالكتاب الذى يصدق كتابهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

بيان لحالتهم قبل البعثة المحمدية ، فإن اليهود كانوا عندما يحصل بينهم وبين أعدائهم نزاع ، يستنصرون عليهم بالنبى ﷺ قبل بعثته فيقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبى الذى نجد نعته فى التوراة .

والاستفتاح معناه : طلب الفتح وهو الفصل فى الشيء والحكم فيه ، كما فى قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ . ويستعمل بمعنى النصر ؛ لأن فيه فصلا بين الناس ، قال تعالى :

﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ أى : إن تستنصروا فقد جاءكم النصر ، فالمراد به فى الآية الاستنصار .

ثم بين ـ سبحانه ـ حقيقة حالهم بعد أن جاءهم الكتاب والرسول فقال تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ أى : فلما جاءهم ما كانوا يستفتحون به على أعدائهم ويرتقبونه جحدوه وكفروا به .

وقال ـ سبحانه ـ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ﴾ ولم يقل فلما جاءهم الكتاب أو الرسول ، ليكون اللفظ أشمل ، فيتناول الكتاب والرسول الذى جاء به لأنه لا يجىء الكتاب إلا عن طريق رسول .

ومعرفتهم بصدق الرسول ﷺ وما أنزل عليه حاصلة بانطباق العلامات والصفات الواردة فى التوراة عن النبى ﷺ فكان من الواجب عليهم أن يؤيدوا هذه المعرفة بالإيمان به ، ولكن خوفهم على زوال رياستهم وأموالهم ، وفوات ما كانوا يحرصون عليه من أن يكون النبى المبعوث منهم لا من العرب ، ملأ قلوبهم غيظا وحسداً ، وأخذ هذا الغيظ والحسد يغالب تلك المعرفة حتى غلبها ، وحال بينها وبين أن يكون لها أثر نافع لهم لعدم اقترانها بالقبول والتصديق .

ولقد حاول رئيسهم (عبد الله بن سلام) ـ

---

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص ٢٨٢ للإمام ابن تيمية وقد ساق ـ رحمه الله ـ أكثر من عشرة آثار فى هذا المعنى عند حديثه عن هذه الآية .



رضى الله عنه ـ أن يصرفهم عن العناد وأقسم لهم بأن ما جاء به النبى ﷺ هو الحق المصدق لما معهم أن يتبعوه ولكنهم عموا وصموا وتنقصوه ، ولذا لعنهم الله تعالى ، وأبعدهم عن رحمته كما قال تعالى : ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

وقال ـ سبحانه ـ ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ولم يقل عليهم ، للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم كان بسبب كفرهم .

ثم ذكر ـ سبحانه ـ أنهم بكفرهم قد باعوا أنفسهم بثمن بخس . فقال تعالى : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أى : بئس الشيء الذى باع به اليهود أنفسهم كفرهم بما أنزل الله بغيا وحسداً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده .

وجمهور المفسرين على أن ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ ﴾ هنا بمعنى باعوا ؛ لأن أولئك اليهود ، لما كانوا متمكنين من الإيمان الذى يفضى بهم إلى السعادة الأبدية بعد أن جاءهم ما عرفوا من الحق فتركوه ، واستمروا على كفرهم بغيا وحسداً وحبا فى الرياسة وتعصبا لجنسيتهم لما كانوا كذلك ، صار اختيارهم للكفر على الإيمان ، بمنزلة اختيار صاحب السلعة ثمنها على سلعته ، فكأنهم بذلوا أنفسهم التى كان باستطاعتهم الانتفاع بإيمانها ، وقبضوا الكفر عوضا عنها ، فأنفسهم بمنزلة السلعة المبيعة وكفرهم بمنزلة ثمنها المقبوض ، فبئس هذا الثمن الذى أوردهم العذاب الأليم .

وعبر ـ سبحانه ـ عن كفرهم بصيغة المضارع ﴿ أَن يَكْفُرُوا۟ ﴾ وعن بيعهم لأنفسهم بالماضى ، ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ ﴾ للدلالة على أنهم صرحوا بكفرهم بالقرآن الكريم من قبل نزول الآية ، وأن بيعهم أنفسهم بالكفر طبيعة فيهم مستقرة منذ وقت بعيد ، وأنهم مازالوا مستمرين على تلك الطبيعة المنحرفة .

وقوله تعالى : ﴿ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ، تعليل لكفرهم وبيان للباعث عليه ، أى : كفروا بما أنزل الله على عبده ورسوله محمد ﷺ بدافع من البغى والحقد ، وكراهة أن ينزل الله الوحى من فضله على من يشاء من عباده ، فالبغى هنا مصدر بغى يبغى إذا ظلم والمراد به ظلم . خاص هو الحسد ، وإنما عد الحسد ظلما ، لأن الظلم معناه المعاملة التى تبعد عن الحق وتجافيه ، والحسد معناه تمنى زوال النعمة عن الغير ، والظالم والحاسد قد جانب كل منهما الحق فيما صنع ، والحاسد لن يناله نفع من زوال نعمة المحسود ، كما أنه لن يناله ضر من بقائها ، وما دام الأمر كذلك فالحاسد ظالم للمحسود بتمنى زوال النعمة وصدق الشاعر فى قوله :

وأظلم خلق الله من بات حاسداً
لمن بات فى نعمائه يتقلب

فاليهود قد كفروا بما أنزل الله ، من أجل حسدهم للنبى ﷺ على النبوة ، ولأنه لم يكن منهم وكان من العرب ، وكراهية لأن ينزل الله الوحى على من يصطفيه للرسالة من غيرهم ، فعدم إيمانهم بما عرفوه وارتقبوه سببه أنانيتهم البغيضة ، وأثرتهم الذميمة التى حملتهم على أن يحسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وأن يتوهموا أن النبوة مقصورة عليهم ، فليس لله ـ تعالى ـ فى زعمهم ـ أن ينزعها من ذرية إسحاق ليجعلها فى ذرية إسماعيل ـ عليهما السلام .

ولم يصرح ـ سبحانه ـ بأن المحسود هو النبى ﷺ لعلم ذلك من سياق الآيات الكريمة وللتنبيه

على أن الحسد فى ذاته مذموم كيفما كان حال المحسود .

ثم بين ـ سبحانه ـ بعد ذلك ما آل إليه أمرهم من خسران مبين فقال تعالى : ﴿ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ : باء بإثمه يبوء أى : رجع ، أى : فرجعوا من أجل كفرهم وحسدهم للنبى ﷺ بغضب مضموم إلى غضب آخر ، كانوا قد استحقوه بسبب كفرهم بعيسى ـ عليه السلام ـ وبسبب تحريفهم للكلم عن مواضعه ، وتضييعهم لأحكام التوراة . فهم بسبب كفرهم المستمر الذى تعددت أسبابه ، يصيبهم غضب كثير متعاقب من الله ـ تعالى .

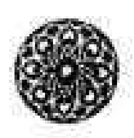
ويصح أن يكون معنى قوله : ﴿ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ أنهم رجعوا بغضب شديد مؤكد ، لصدوره من الله ـ تعالى .

والمراد بالكافرين ، اليهود الذين تحدث عنهم فيما سبق ، فهم الذين عرفوا صدق محمد ﷺ فى نبوته بما نطقت به التوراة ، ومع ذلك كفروا به فاستحبوا العمى على الهدى .

وعبر عنهم بهذا العنوان للتنبيه على أن ما أصابهم من عذاب مذل لهم كان بسبب كفرهم ، ويصح أن يراد بالكافرين : كل كافر ، وهم يدخلون فيه دخولا أوليا ، وإنما كان لهم العذاب المهين لأن كفرهم لما كان سببه البغى والحسد والتكبر والأنانية ، قوبلوا بالإهانة والصغار .

وبذلك تكون الآيتان الكريمتان قد كشفتا عن لون من صفات اليهود الذميمة وهو إعراضهم عن الإيمان بمحمد ﷺ الذى كانوا يستنصرون به على أعدائهم قبل بعثه ، وبيعهم الإيمان الذى كان فى مكنتهم الظفر به بالكفر بما أنزل الله من دين قويم ، وكتاب كريم إرضاء لغريزة الحقد الذى استحوذ على قلوبهم ، وتمشيا مع أثرتهم التى أبت عليهم أن يؤمنوا بنبى ليس من نسل إسرائيل ولو جاءهم بالحق المبين ، فحق عليهم قول الله ـ تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(يتبع)



قبس من أنوار النبوة

أحب الأعمال إلى الله

للشيخ
علي حامد عبد الرحيم

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس ، فقال له ابن عباس : يا فلان أراك مكتئبا حزيناً . قال : نعم يابن عم رسول الله ، لفلان علي حق ولاء ، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه .

قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت . قال فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ماكنت فيه ؟ قال : لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب ـ ودمعت عيناه ـ يقول : « من مشى في حاجة أخيه ، وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله ـ تعالى ـ جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين » . . رواه البيهقي .

البيان

إن الإسلام الذي ارتضاه الله دينا لعباده يحتفل بالحياة وبالأحياء ويحرص على أن يوفر للناس أسباب السعادة ، وأن يتيح لهم الاستمتاع بنعم الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، وأن يدخل على أنفسهم البهجة والسرور في غير مأثم ولا خروج على حدود القصد والاعتدال .

إن الفرائض التي شرعها الله ـ تبارك وتعالى ـ أحب الأعمال إلى الله ، وهي تستهدف تحقيق معنى

وجود الإنسان فى هذه الحياة ، كما تستهدف توثيق صلة الإنسان بربه ، وتصحيح اتجاهه إلى الله ، وتُقوم علاقته بالله وبالناس على أسس قوية ، ودعائم راسخة من الإخلاص والتعاون على البر والتقوى ، وبذلك تتحقق سعادة الفرد والمجتمع .

وما من فريضة يتعبد بها الإنسان لله ـ سبحانه ـ إلا عادت على الإنسان ثمرتها ، وكان هو المقصود بالإفادة منها ؛ فإن الله ـ تعالى ـ غنى عن العالمين لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه .

قال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾

« الجاثية ١٥ » .

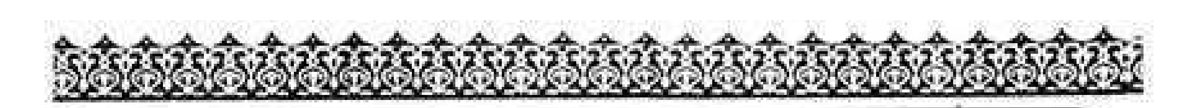
ولهذا كان أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله ، وأرفعها منزلة عنده ، ثم تأتى بعد ذلك أعمال لها المنزلة الكبرى والثواب العظيم ، ومنها إدخال السرور على المسلم .

وإن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، فعن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

يا رسول الله أى الناس أحب إلى الله ؟ قال : أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله ـ عز وجل ـ « سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربه ، أو تقضى عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ، ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحبُّ إلىّ من أن أعتكف فى هذا المسجد ـ مسجد المدينة ـ شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يُثْبِتَها له ثبت الله ـ تعالى ـ « قدمه يوم تزل الأقدام » رواه الطبرانى ، وابن أبى الدنيا .. ولما كانت الحياة متعددة الجوانب ، فيها ما يبعث على البهجة والسرور ، وفيها ما يثير الحزن والقلق ، والإنسان معرض لهذا وذاك ، ومن ذلك أن المسلم قد يخطىء فتزل قدمه ، وينحرف عن سواء السبيل ، وعندما يستيقظ ضميره يستشعر فداحة الذنب ، فتسود الدنيا فى عينيه ، ويستولى اليأس على قلبه ، وقد يحمله ذلك على الانغماس فى الخطايا والذنوب مادام لا يجد أمامه طريقا للنجاة .

فما هو واجب المسلم نحو أخيه وهو يعانى هذه المحنة ، ويتعرض لهذا البلاء ؟ هل يفتح عليه أبواب جهنم ، ويصب فى أذنيه وقلبه آيات العذاب والوعيد ، وبذلك يزيده عذابا على عذابه ، ويلقيه فى غيابات اليأس والقنوط ، أم يفتح أمامه أبواب الأمل والرجاء ، ويسكب فى روحه آيات الرحمة والمغفرة ، وبذلك يدخل السرور على نفسه ، وينقذه من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ومن لجة الخطيئة إلى شاطىء التوبة ، ومن ظلام اليأس إلى نور الأمل .

وقد أوجب الإسلام على أتباعه أن يزيلوا أسباب التصدع والخلاف ، ويتخذوا من التعاون على البر والتقوى مايحقق تضامنا مثمراً فى سبيل تقوية الروابط بين أفراد المجتمع المسلم ، حتى يسلم من شرور الفرقة والأثرة ، وإذا كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فيما رواه أبو هريرة : « لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى



شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » .

فما بالنا بالمنزلة الرفيعة التى ينالها من يرفع الظلم عن المظلومين ، ويقيم موازين الحق والعدل ، ويسعى فى سبيل مجد الأمة وعزتها ، ويعمل جهد طاقته لأمنها وسد حاجتها .

وإن خدمة المجتمع الإسلامى سمة أهل المعروف الذين يحبهم الله ، عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يا على إن الله خلق المعروف وخلق له أهلاً فحببه إليهم ، وحبب لهم فعاله ، ووجه إليهم طلابه ، كما وجه الماء فى الأرض المجدبة لتحيا به ، ويحيا به أهلها ، إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة » .

وفى حديث الباب توجيه نبوى كريم بأن أهل المعروف هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة .

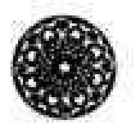
فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الطبرانى : « إن لله عبادا اختصهم بحوائج الناس ليفزع الناس إليهم فى حوائجهم ، أولئك الآمنون من عذاب الله » .

إن هذا الحديث يصور إعزاز الإسلام لعلاقات الإخوة ، وتقديره العالى لأنواع الخدمات العامة التى يحتاج إليها المجتمع لإرساء أركانه وصيانة بنيانه .

لقد آثر ابن عباس أن يترك اعتكافه ـ والاعتكاف عبادة محضة رفيعة الدرجة عند الله ـ لأنها استغراق فى الصلاة والصيام والذكر ، ثم هو فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يضاعف الأجر فيه ألف مرة فوق المساجد الأخرى .

ومع ذلك فإن فقه ابن عباس فى الإسلام جعله يدع ذلك ليقدم خدمة إلى مسلم يطلب العون ، هكذا تعلم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يقول : « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام » .. والذى يقول : « إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ماكانوا فى حوائج المسلمين ، مالم يملوهم فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم » .. وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

□



بالتخطيط المحكم والتنظيم السليم

قامت الهجرة

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن أبي موسى الأشعري ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هى المدينة « يثرب »[1] . .

إننا إذا ذكرنا الهجرة ، فلنتذكر الإيمان القوى والجهاد المرير ، والكفاح الشاق ، والصبر الطويل ، أمام أعداء ألداء ، وفجرة كفرة أشداء ، يريدون أن يبقى عهد الشرك ، وأن يطول ليل الباطل ، والمسلمون يومئذ قلة فى ضعف ومسكنة وذلة ، يتخطفهم الناس من حولهم ، وقد مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ، فقد مكث رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة زهاء ثلاثة عشر عاما يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويناله الأذى فى سبيل دعوته ، وينزل العذاب بالمستضعفين من أصحابه حتى رأى رسول الله ـ ﷺ ـ أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة ، لينعموا فى جوها الطلق ، بالحريات الكاملة ، حرية العقيدة ، وحرية الرأى ، وحرية الاستعلان بشعائر الدين ، قائلا لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه » ، فهاجر جماعة من المسلمين إليها ، وكان من بينهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ـ ﷺ ـ ، وتتابع المسلمون حتى كان جملة من هاجر إليها منهم غير صغارهم ثلاثة وثمانون ، فأمنهم النجاشى ، وأكرم وفادتهم .

ثم كانت الهجرة إلى يثرب ، حيث استقبلت النبى ـ ﷺ ـ استقبالا عظيما لم تشهد له مثيلا من قبل ، وسجل أهلها من المروءة والتضحية ، وإنكار الذات آيات رائعة ، ومفاخر خالدة ، وضربوا أروع الأمثال فى الدفاع عن العقيدة والوطن ، بل إن ذكراهم لمدد روحى لاينضب

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه .

لكل مجاهد : في سبيل فكرة سامية ، أو عقيدة حقة ، أو مفاهيم صحيحة ، أو مبادىء سليمة ، واطمأن الإسلام في وطنه الجديد ، ونما وترعرع ، حتى صار شجرة باسقة ، أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

وتقع يثرب في سهل خصيب شمالي مكة ، قرب سلسلة الجبال التي تفصل قطاع نجد عن تهامة ، وهي أرض تكثر فيها الحدائق والبساتين والحقول المزروعة ، وتتناثر فيها أشجار النخيل ، وكانت السيادة في هذه الواحة الناضرة لقبيلتي الأوس والخزرج اللتين شرفهما النبي - ﷺ - فيما بعد بلقب الأنصار ، وزاد في تكريمهم فقال : كما روى عن عبد الله بن زيد ، وأبي هريرة - رضي الله عنهما : « لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار »[1] .. وكانت القبيلتان في صراع داخلي أفضى إلى انقسام يثرب إلى معسكرين متناحرين ، كانت الحرب بينهما سجالا حتى لقد أصبح الرجل منهما لايستطيع أن يخرج في حاجة له بمفرده ، دون أن يعرض نفسه للخطر ، ولاشك أن كلا الفريقين قد ضاق ذرعا بهذه الحال التي لايمكن أن تطاق طويلا ، ولم يكن هناك أحد من أفرادها يملك من النفوذ الأدبي قدرا كافيا لجمع الصفوف ، وتقريب وجهات النظر ، فكان لابد لهذه الحال من رجل عظيم ، بكل ما تحتمله هذه الكلمة ، من معنى ، يأتي من خارج يثرب ، فكان ذلكم الرجل العظيم هو محمد - ﷺ - .. وكانت الهجرة النبوية ، فقد فطن رسول الله - ﷺ - أن دعوته خليقة أن تلقى في يثرب ، من حسن الإصغاء ، وطيب القول مالا تظفر بمثله في مكان آخر ، وبجانب هذا كانت يثرب مركزا هاما يقع على الطريق التجاري بين مكة وبلاد الشام .

وإذا كانت هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة فرارا بدينهم ؛ فإن هجرة النبي - ﷺ - التي غيرت مجرى التاريخ لم تكن فرارا ولاخوفا ، ولكن تنفيذا لخطة مرسومة وضعت وأخذت عليها البيعة والميثاق ، فلم يهاجر رسول الله - ﷺ - خوفا من بطش قريش وجبروتها ، بل تنفيذا لوعد أبرم من قبل مع بعض الوافدين ، من يثرب إلى مكة في موسم الحج .. لم يهاجر رسول الله - ﷺ - في سبيل مال أو جاه ، أو تطلعاً لمجد يتطاول به على خلق الله ، لم يهاجر حقدا على ظالميه من أهل مكة ، أو حنينا إلى منصفيه من أهل المدينة ، بل كان دعاؤه « اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون » كانت هجرته - ﷺ - حبا للبشرية كلها ، وإيمانا بالحرية وتأميناً لها ، وحفاظا عليها ؛ لذلك نجد القرآن الكريم سجل الهجرة على أنها نصر من الله تعالى لنبيه ، فقال جل شأنه :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة : ٤٠)

لقد كانت الهجرة حدثا تاريخيا من أعظم الأحداث التي شهدتها الإنسانية ، فهي نموذج حي متجدد على مر العصور ، قادر على الإلهام بأعظم الأعمال ، مقدم أروع القيم والمثل ، وأحكم التدابير : التي تكفل نجاح من يلتزمها ، فهي عمل بطولي فذ .. لم يكن نبينا محمد - ﷺ - من الذين تخرجوا من الجامعات (التي تقتصر على التربية المحدودة ، والتعليم المحدود ، وإنما كانت تربيته في الجامعة الإلهية بعالم الغيب التي لاحدود لتربيتها ، ولا نهاية لتعليمها ، ولم يكن تعليمه على أيدي أساتذة من البشر ، وإنما كان من عند ربه الذي أوحى إليه فيما أوحى :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١١٣)

.. لقد علمه ربه فأحسن تعليمه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، مما أعده لتحمل أعباء الرسالة العالمية ، والتبليغ العالمى ، لنشر دين عالمى أبدى يشمل العالم كله على اختلاف الأجناس والألسنة والألوان ، ويتمشى مع الفطرة السليمة ، دين يبقى ببقاء الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ لهذا كانت العناية الإلهية تربية لمستقبل العالم الإنسانى كله ، قال الله تعالى :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾

﴿ الفرقان ١ ﴾

.. فكان رسول الله - ﷺ - ربانيا فى كل حركة يتحركها ، رحيما بخلق الله ، حسيبا قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ الأنبياء : ١٠٧ ﴾

.. لقد حدد النبى - ﷺ - هدفه من الهجرة ، وكان الأسلوب الذى اتبعه فى رحلته : كفيلا بتحقيق هذا الهدف ، فقد أعد من الوسائل البشرية والمادية ما يلائم الظروف القائمة ، ويتفق مع الظروف المحتملة ، ونظم هذه الوسائل تنظيما محكما ، ثم نفذها بأسلوب واقعى سديد ، فنجحت خطته ، وأدرك غايته ، وكان أهم هذه العوامل إسناد الدور المناسب إلى الشخص المناسب بمعنى وضع كل فرد من أفراد الجماعة التى وقع الاختيار عليها فى الموضع الذى يتفق مع موهبته وقدرته .. فأبوبكر الصديق لمرافقة الطريق والتمويل ، وعلى بن أبى طالب : لرد الودائع ، وللنوم على فراش رسول الله - ﷺ - حتى يعمى على الكفار ، ويظنون أن النبى - ﷺ - نائم وعبد الله بن أبى بكر للأخبار (قلم مخابرات) وأسماء : للتموين تساعدها أختها عائشة ، وعامر ابن فهيرة للإعفاء على آثار الأقدام بغنمه ، وليطعمهما اللبن واللحم ، وعبدالله بن أريقط ، لإخفاء النوق عنده ، ثقة بأخلاقه ، وإن كان مشركا ، وما سبق ذلك من حلف مع الأنصار فى بيعة العقبة ، ثم إرساله مصعب بن عمير إلى المدينة بين يديه واعظا ، حتى دخل الإسلام كل بيت ، ثم اختياره الطريق إلى المدينة ، فسلك من الغار إليها طريقا غير مسلوك لم يلق به إلا القليل ومنهم « سراقة بن مالك بن جعشم » الذى قال لأبى جهل عندما لامه أن ترك النبى - ﷺ -

أبا حكم والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإننى
أرى أمره يوما ستبدو معالمه

لقد كانت الهجرة بخيرها وآثارها بردأ وسلاما على الإنسانية ، أخرجتها من ظلمتها وهدتها من حيرتها ، وأنقذتها من وهدتها ، ودفعت بها إلى طريق الخير والإصلاح ، أسست بها دولة قوية على مبادىء الأخوة فى الله ، والتضامن الإنسانى العام ، ثم تتابعت التشريعات الإلهية بما يسعد الفرد والجماعة ، فى علاقتهم بربهم ، وعلاقة بعضهم ببعض ، وأخذت على كاهلها تطهير الأرض من عبادة غير الله ، ومحاربة الظلم والظالمين ، والفساد والمفسدين ، أينما حلوا ، وكيف كانوا ، ثم امتدت إلى أرض فارس والروم ، وأصبح سلطان الأرض فى قبضة المؤمنين [1] .

البقية ص ٧٧

(١) إشراقات نورانية من السنة النبوية : الجزء الثانى : تأليف عبد المنصف محمود .

معالم دينية على طريق

الهجرة النبوية

للدكتور: مبروك عطية أحمد أبو زيد

مثلما يخضر الربيع فى موات الشجر ، فيستحيل الكون فى أعين الناظرين جنة وارفة الظلال ، وتتلاقى الأفنان فى آفاق الثمر ، فينسج الأيك آيات الجمال ، كانت هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، حيث تمت كلمة الإسلام ، وانتشر دين الله فى شتى البقاع ، وكانت الهجرة المباركة مقدمة من مقدمات الفتح المبين لأم القرى ؛ تكريماً لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى تعلق قلبه بها ، فهى المولد والنشأة ، والصبا الصبوح ، والشباب الطاهر ، والزواج الموفق ، ومبعثه إلى العالمين هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

أجَلْ ، لقد كانت الهجرة النبوية المطهرة ربيعاً ، مثلما كانت حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلها ربيعاً ، لمن ألفت نفسه حب الحق والجمال ، وتطلعت روحه إلى الخير الذى ينفع الناس جميعاً ، وأبت بمبادئه ذاته قبول الضَّيم والذل والهوان ، ولم تكن هجرة دنيوية ، هدفها تحصيل ملك وتجميع مال ، لذلك كتب الله لها النجاح ، وباركها ، وبارك فيها ، وفى كل مَنْ سلك طريقها ؛ لأن النية فيها أنها خالصة لله ، ومن أجل دين الله وصدق الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، وَمَنْ كانت

الكاتب : أستاذ اللغويات المساعد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ـ جامعة الأزهر .



هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[1] .

لم تكن الهجرة فرارا من أذى :

ولم تكن الهجرة النبوية فراراً من أذى - كما يشيع على ألسنة بعض الناس - وإنما هى أمر من الله - سبحانه وتعالى - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلك لعلمه - عز وعلا - بما يمكر به الكافرون :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

[الأنفال : (٣٠)]

وأن دين الله الحنيف - أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرضه على أهل مكة - كما يعرض الذهب على المتوحشين ، يرونه بريقاً وشعاعاً ثم لا قيمة له ، وما بهم حاجة إليه ، وهو - كما يقول الرافعى[2] - حاجة بنى آدم إلا المتوحشين ، وكانوا فى المحادة والمخالفة الحمقاء ، والبلوغ بدعوته مبلغ الأوهام والأساطير ، كما يكون المريض بذات صدره مع الذى يدعوه فى ليلة قارة إلى مداواة جسمه بأشعة الكواكب ، وكانت مكة هذه صخراً جغرافياً ، يتحطم ولا يلين ، وتأمل لفظ « أمر » بالبناء للمفعول فى قول ابن خلدون فى حديثه عن المدينة : « . . . . ثم أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إليها ، لما سبق من عناية الله بها ، فهاجر إليها ومعه أبوبكر ، وتبعه أصحابه »[3] .

وهذا لا يعنى أنه - صلى الله عليه وسلم - قد سلم من أذى كفار مكة هو ومن آمن به ، فحصول الأذى ثابت بلا ريب ، لكنه ليس سبباً فى هجرته من مكة إلى المدينة ، لأنّ الله - عز وعلا - قادر على أن يدفع عنه - صلى الله عليه وسلم - ومن تبعه كل أذى ، فهو - صلى الله عليه وسلم - نبيه ورسوله ، ومصطفاه وحبيبه ، وإنما كانت أمراً من الله عز وعلا - لحكمة بالغة ، تتفرع عنها عظات ودروس ، وتتفجر عنها ثبات ومواقف ، وينبنى عليها أحكام للعباد ، ومن ذلك ما رأيته بتوفيق الله وهديه :

١ - إنها لم تكن فى بداية الدعوة ، وظهور الكفر والأذى ، وقد ظل - صلى الله عليه وسلم - ثلاث عشرة سنة يدعو فى مكة إلى دين الله ، فتحققت بذلك العزيمة ، وتوطن الثبوت على الحق برغم العناد واللجاجة ، والأذى والفتن ، وصدق الله العظيم :

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

[العنكبوت] (٢ ، ٣)

وقد صدق إيمان بلال وعمار وعياش بن أبى ربيعة ، وسلمة بن هشام وغيرهم - رضى الله تعالى عنهم - وكانت هذه الآية تسلية لهؤلاء ، وتعليماً لمن يأتى بعدهم على تحمّل المشاق فى سبيل العقيدة الصحيحة ، والمبادىء التى تأسست على الحق .

٢ - معية الله :

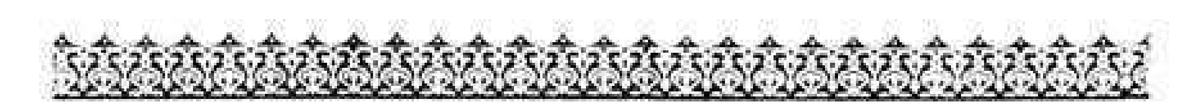
وكشفت لنا الهجرة النبوية عن حقيقة من أهم الحقائق الكامنة فى العقيدة ، وهى معية الله عز

---

(١) البخارى كتاب بدء الوحى / باب : كيف بدأ الوحى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكتاب الإيمان / باب : « ما جاء إن الأعمال بالنية » .

(٢) انظر وحى القلم (وحى الهجرة) ص ١٩ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٥٦ ط دار القلم / بيروت سنة ١٩٨٤ الخامسة .



وعلا ، وحقيقة أن يكون الله معنا تتجلى أشد من تجلى الشمس فى ضحاها ، إذا أخلص المسلم دينه لله ، وتوفرت فى صدره معانى الثقة بالله ـ عز وجل ـ وإذا تجلت تلك الحقيقة فلا خوف ، ولا حزن ، ولا فزع ، ولا شىء يقهرنا ، ولا غالب لنا ؛ لأنّ معنا الله القادر على كل شىء ، يقول عز من قائل :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[التوبة] : (٤٠)

قال الإمام فخر الدين الرازى : « والمراد من قوله : ﴿ أخرجه الذين كفروا ﴾ هو أنهم جعلوه كالمضطر إلى الخروج ؛ لأنه خرج بإذن ربه »[١] ، وهذا يؤكد ما أثبته من أنها لم تكن فراراً من أذى والمتأمل فى قوله عز وعلا : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ يقف على معطيات تلك الحقيقة الإيمانية ، ومنها : أن من كان الله معه فلا يحزن ، ولن يحزن مادام حريصاً على أن يعيش فى نور تلك المعية الربانية ، فلمّا دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر الغار أرسل الله زوجاً من حمام حتى باضا فى أسفل الثقب ، والعنكبوت ؛ حتى تنسج بيتاً ، فلما جاء سراقة بن مالك فى طلبهما ، فرأى البيض ، وبيت العنكبوت قال : لو دخله أحد لانكسر البيض ، وتفسخ بيت العنكبوت فانصرف ، وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللهم اعم أبصارهم ؛ فعميت أبصارهم عن دخوله ، وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار ، والملائكة فى الغار يضربون الوجوه عنهم[٢] .

وقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحبه أبا بكر عن الحزن ، لأنّ الطمأنينة كانت تغشاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث خرج بإذن الله[٣] .

والقرآن الكريم يوضح لنا حقيقة تلك المعية فى قصة موسى ـ عليه السلام ـ وقد خرج بمن آمن معه ، وأدركهم فرعون ، والبحر أمامهم وتلك صورة مادّية ، توحى بأن الهلاك حاصل لا محالة ، فهذا الطريق قد انتهى إلى ماء بلا ساحل أو شاطىء ، وهذا العدو مجتهد فى الطلب والإدراك ، فإما اللقاء ، ووراءه الأهوال ، وإمّا الغرق وبعده نهاية المآل ، ومن ثم قال أصحاب موسى : ﴿ إنا لمدركون ﴾ ، بصيغة اسم المفعول ، أى سيدركنا عدونا لا محالة .

لكن رسول الله ـ موسى ـ عليه وعلى نبينا السلام يقول بما أوحى إليه من ربه : ﴿ كلاّ ﴾ ويأتى التعليل بعدها ﴿ إن معى ربى سيهدين ﴾ فكانت النجاة ، وكان الفوز ، وكان خرق العادة واجتياز المستحيل ، أرأيت قوله سبحانه :

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۝ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

الشعراء : ٦١ ـ ٦٨ .

---

(١) التفسير الكبير ٦٣/١٦ ط دار الكتب العلمية طهران .
(٢) مجمع البيان فى تفسير القرآن ٣١/٥ ، ٣٢ . ط دار إحياء التراث العربى / بيروت .
(٣) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ٢٨٤/٢ ط عيسى الحلبى .

إنّ معيّة الله عز وعلا من معانيها امتداد العطاء بعد نفاد الأسباب ، كما ترى فى آيات الشعراء ، ومن معانيها نفخ الله من روحه وعطائه فى السبب الضعيف ، حتى يكون بفضل الله وإرادته أقوى الحصون ، كما ترى فى الغار ، والبيض والعنكبوت ، فلولا معية الله لدخل بعض الكفار الغار ولو عبثاً ، أو اطمئناناً لقلوبهم اللاهثة خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو دخله بعضهم لأعمى الله أبصارهم كما أعمى بصائرهم لما استحبوا الكفر على الإيمان ، وما أشد حاجتنا إلى نور المعّية الذى يبعث الأمل فى النفوس .

٣ - اختيار الصاحب :

ومن معالم الخير والجمال ، ودروس الهجرة النبوية اختيار الصاحب كيف كان ؟ ومن هو ؟ وما مهامه ؟ وأى منزلة يحتلها فى النفس ؟ وما أثره فى التاريخ ؟

وخلاصة الأمر أننا وقفنا من جديد على عتبة الصديق تفيأ من ظلال إيمانه ونفحاته ، فأبو بكر ، رضى الله عنه - صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومَن صدّقه فى خبر السماء ، وصدقه فى حادثة الإسراء والمعراج ، وقد أحسن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اختياره فى رحلته وصحبته ، ولعل الله أطلعه على ثبات أبى بكر على الدين ظاهراً وباطناً ، كما يقول الرازى[1] ، ولو لم يطلع على باطنه لخاف أن يدل عليه أعداءه ، نرى الصديق فى الغار يدخله قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليختبره ، ونسمعه يقول له - صلى الله عليه وسلم - :

« إذا مت أنا فأنا رجل ، وإذا مت أنت هلكت الأمة والدين »[2] يارسول الله ، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، ولم تهدأ نفسه إلا فى ظلال قوله - صلى الله عليه وسلم له - : ما ظنك باثنين الله ثالثهما[3] .

ونحن فى حاجة إلى التروى فى اختيار الصاحب والصديق ، وإذاعة أسرارنا على كل مَنْ ظننا به الوفاء بعد مقاسمة لقيمات وشربة ماء !

٤ - الأخوة فى الدين :

ومؤاخاة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه إثر الهجرة المشرقة من تلك المعالم ، وفى تلك المؤاخاة أمسك - صلى الله عليه وسلم - بيد سيدنا على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وقال : هذا أخى ، ومن ثم كان سادتنا : حمزة أسد الله وعم رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - أخا لزيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب أخا لمعاذ بن جبل ، والصديق أبو بكر أخاً لخارجة ابن زهير ، والفاروق عمر أخاً لعتبان بن مالك ، وأبو عبيدة بن الجراح أخاً لسعد بن معاذ ، . . . وهكذا .

وكانت هذه المؤاخاة ليذهب عنهم - صلى الله عليه وسلم - وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عزّ الإسلام ، واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة ، أنزل الله - سبحانه -

﴿ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (الأنفال : ٧٥) .
أى فى الميراث[4]

البقية ص ٥٩

(١) انظر التفسير الكبير ٦٣/١٣ .
(٢) حاشية الجمل ٢٨٤/٢ .
(٣) انظر تفسير الطبرى ٩٦/١٠ ط الأميرية سنة ١٣٢٧ هـ وابن كثير ٣٥٨/٢ ط دار الكتب .
(٤) وانظر سيرة ابن هشام مع الروض الأنف للسهيلى ١٨/٢ ط القاهرة (الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ) .





أسرار وأنوار

لفضيلة الشيخ :

معوض عوض إبراهيم

١ ـ الهجرة .. وبدء الوحى :

طبع الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مكارم الأخلاق بعد أن اصطفاه من أطهر الأعراق ، وكان مر الأيام يكشف للأقوام من صدقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمانته ورحمته ورقة حاشيته وترفعه عن الآثام وفضله على الأقران والجدود والأعمام ، ما يفسر قول الله تعالى فى مصطفاه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم) ، وكانت حياته فى بيت خديجة ، وصلاته مع المجتمع الذى يعج بالوثنية ، ويضج بالشر ، وتقوم أكثر قواعده على الأحساب الموضوعة والأنساب المصنوعة بعيدا عن ميزان التفاضل الحق فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات / ١٣)

مصداق ثناء الله على نبيه الذى لا يعرفه على الحقيقة إلا مولاه :

وحين أنصف النضر بن الحارث فى لحظة من لحظات صحو الضمير وصدق الشعور فقال : « لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم قولا وأصدقكم حديثا حتى إذا بدا فى صدغيه عارض الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم إنه كاذب ، والله ماهو بكاذب والله ماهو بكاذب » .

ثم لم يلبث أن انتكست فطرته وغلبت عليه شقوته ، فمارى النبى ، وجارى قومه فى ريبهم فى الدعوة ، وإنكارهم للرسالة ، وقال عن القرآن الكريم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » ، وحكى الله مقالته ، وأكذب ضلالته ، ودحض سفاهته وألبسه خزى هواه « ولعذاب الآخرة أخزى » ، فقال تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(الأنفال/ ٣١ - ٣٢) .

وأية ضلالة تلك التى أخذت بمخانقه فلم يقل : « إن كان هذا هو الحق من عندك فألزمنا إياه وثبتنا عليه » ، ولقد عرفت خديجة - رضى الله عنها - محمدا - صلى الله عليه وسلم - فآثرته على الذين أرادوا الزواج منها من علية قومها ، وهى السيدة التى عرفت الزواج ومقتضيات نقائه وبقائه مودة ورحمة وسكنا وسكينة أنفس من ضجيج الحياة وفوضى المجتمعات .

واصطفى الله محمدا وأرسله رحمة للعالمين ، وعاد النبى يوما من غار حراء إلى خديجة يرجف فؤاده واستقبلته شريكة الحياة بكل إيناسها وسارعت تزملة كما أمر ، حتى قام من نومه فأخبرها بخبر الغار أحداثا وأحاديث ، وقال : « لقد خشيت على نفسى » ، فقالت : كلا .. والله ما يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » ، وهى خلائق كل واحدة منها تورث حمدا وتصنع مجدا .

ومضت خديجة مع أبر زوج وأوفى عشير حتى أتيا ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ودعته بعمومة بينهما ، أن يسمع من ابن أخيه ، وتحدث محمد والرجل يرهف السمع وينعم إلى محمد النظر ، ويكشف إشراق وجهه عن المعانى الكبرى التى غلفها حديث محمد ويادر يقول فيما أورد الإمام البخارى بسنده فى الحديث الثالث من كتابه بدء الوحى جـ ١ من صحيحه : « هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ياليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيا ، إذ يخرجك قومك ، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - أوَمُخرجِيَّ هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قومه بمثل ماجئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى » .

منذ ذلك اليوم وصوت ورقة يتردد فى سمع النبى بأنه مصطفى الله إلى قومه وليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، بإذن ربه ، وأنهم مخرجوه ، وإن استبعد أن يخرجوه » ، قال الإمام ابن حجر فى شرحه للحديث « واستبعد النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يخرجوه لأنه لم يكن فيه سبب يقتضى الإخراج لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق التى تقدم من خديجة وصفها » . شرح فتح البارى جـ ١ للحديث الذى روته أم المؤمنين عائشة .

٢- على طريق المرسلين :

هذا ورقة يسارع فيلطف من دهشة الرسول من خبر إخراج قومه له فيقول : « لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى » والإمام ابن حجر يقرر من كلام ورقة ما قد يكون قاعدة فى مداخلة الناس ، وهو يقول : « وفيه دليل على أن المجيب يقيم الدليل على ما يجيب به إن اقتضاه المقام » .



إنهم يعادون محمدا ويؤذونه ويكذبونه ويحاصرونه والذين آمنوا معه ويعض قومه الذين كانوا على دين قريش ويضطرون النبي إلى أن يأذن لمن يريدون ترك خير دار وأبر جوار ليسلم لهم دينهم في جوار ملك لا يظلم أحد عنده .. فكانت الهجرة إلى الحبشة حين أذن الله للمسلمين بالهجرة إلى المدينة كما توعد الأقوام رسلهم بالإخراج من ديارهم ، فهاجر إبراهيم ، وهاجر لوط عليهما السلام :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾

(الأعراف ٨٨)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾

(إبراهيم/١٣)

والحافظ ابن كثير يستوعب هذه الآيات وغيرها في هذا السياق ، فيقول في جـ٢ ص ٥٢٥ طبعة الحلبي : « يخبر الله تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الإخراج من أرضهم والنفي من بين أظهرهم ، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ۝ ﴾

وكما قال آل لوط :

﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾

(النمل/ ٥٦) .

وقال تعالى إخبارا عن مشركي قريش :

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾

(الإسراء/ ٧٦) .

وقال : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

(الأنفال/ ٣٠) .

وقال رحمه الله : « وكان من صنعه تعالى أن أظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارا وأعوانا وجندا يقاتلون في سبيل الله تعالى ، ولم يزل يرقيه تعالى من شيء إلى شيء حتى فتح له مكة التي أخرجته ومكن له فيها ، وأرغم أنوف أعدائه من سائر أهل الأرض ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان في مشارق الأرض ومغاربها في أيسر زمن ، ولهذا قال الله تعالى في أعقاب الآية ١٣ من سورة إبراهيم :

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾

(إبراهيم/ ١٤) .

كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(الصافات/ ١٧١ - ١٧٣) .

وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾

الآية ٢١/ المجادلة

إلى آخر ما أورد من ايات لو تدبرها المسلمون وأخذوا بها أنفسهم وارتفعوا إلى مستواها من الإيمان بالله ، والإذعان لأمره واجتناب نواهيه ، لربط الله بها على قلوبهم فكانوا على قلب رجل واحد ، لا تقوى القوة العالمية على أن تجد فى صفهم ثغرة أو يكون لها عليهم سلطان أو إمرة .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(المائدة ٥٦)

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

(المدثر/٣١) .

ومن أصدق من الله قيلا :

﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۞ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ ﴾

(إبراهيم/ ١٣ - ١٥) .

وإنه لوعد من الله - كما قال الإمام الطبرى - لأنبيائه بالنصر على عدوهم ، قال : « لما تمادت أمم الرسل فى الكفر وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم - على حال الإخراج الذى تكرر فى آيات إلا أن تعود الأمم إلى دين أقوامهم الذى لم يعتقده المرسلون ولم يكن ذكرهم إلا على معنى التغليب ، لقد أوحى الله إلى الرسل أن يقتلوا من كفر بهم من أممهم ووعدهم النصر ، وكل ذلك كان وعيدا وتهديدا لمشركى قوم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - على كفرهم به ، وجرأتهم على نبيه وتثبيتا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمر له بالصبر على ما لقى من المكروه فيه من مشركى قومه كما صبر من كان قبله من أولى العزم من الرسل ، ومعرفة أن عاقبة أمر من كفر الهلاك ، وعاقبته النصر عليهم ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل . .

وتلتقى آيات القرآن فى توكيد وعيد المشركين لأقوامهم عصرا بعد عصر بالإخراج من الديار ، وأن الوعيد كان واقعا ظالما من أقوام ، وأنه كان محاولة من مشركى مكة حيث يقول تعالى :

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ ﴾

(الإسراء) .

إن الذى أخرج النبى ، والذين آمنوا معه من مكة إلى المدينة هو الله تعالى لحكم جليلة وأسرار علية من أبرها وأظهرها أن يجد المسلمون بلدا يستطيعون أن يعبدوا الله فيه آمنين ، قادرين على الحركة بالدعوة حتى تبلغ ما شاء الله فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتتم نعمة الله بإرسال محمد كما قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

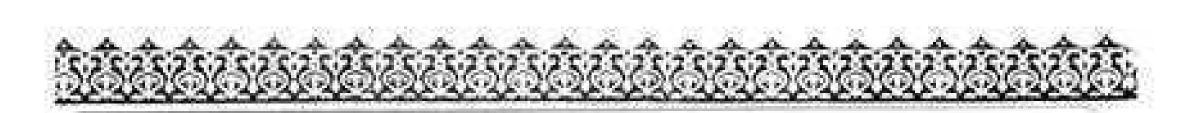
(الأنبياء/١٠٧) .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ ﴾

(سبأ/٢٨) .

٣ - القرية التى أخرجته :

مكة أم القرى واجه فيها النبى - صلى الله عليه وسلم - صناديد قريش ودعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فخاشنوه وصدوا عن سبيله إيثارا



لأصنامهم التى لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع على عبادة الله مخلصين له الدين .. وآذوا نبيهم والذين آمنوا معه وجاوزوا فى ذلك المدى ، وطاش فى ذلك صوابهم فقتلوا من الآباء والأبناء من قتلوا ، وهاجر من شاء إلى الحبشة وغيرها من المواقع ، وجرت أحداث ، واتصل حوار كان يديره المشركون بالهوى وصوالحهم المادية ، ومحاولة التمكين لشركهم ، والتوطين لأصنامهم ، وما كان الرسول بالذى يقبل أيسر مساومة فى توحيد الله ، وإخلاص الوجه لعبادته ، وطالما دعاهم إلى أن يقولوا « لا إله إلا الله » ليسودوا بها من سواهم ، ويدين لهم بها العرب والعجم على سواه ، ولكنه ـ صلوات الله عليه ـ كان منهم كمن يضرب فى حديد بارد .

لقد أصم الشرك عن توحيد الله آذان المشركين فى أم القرى وما حولها ، وقالوا :

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾

(فصلت/٥) .

ولم يعد فى قوس صبر المسلمين منزع ، وبدت تباشير الفرج القريب تتهلل بها وجوه الوافدين من يثرب فى مواسم الحج ، وأيام عكاظ وذى المجنة وذى المجاز ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخامره قول ورقة بن نوفل منذ بدء الوحى ويحرص على لقاء الوفود ، حتى رأى دار هجرته فى نومه : « وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح » فى حديث الإمام البخارى الذى مر بين يديك ، وأذن الله بالهجرة إلى يثرب ، وأخذ المسلمون إليها الطريق مستخفين إلا من كان على مثل شجاعة أبى حفص عمر ، ووجد المهاجرون فى المدينة :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر/٩) .

واستأنى الرسول صاحبه أبا بكر (وأمن الناس عليه) ، فقد استأذن مرات فى أن يهاجر ، فكان النبى يقول له : « عسى الله أن يجعل لك صاحبا » ، فكانا كما قال الله تعالى :

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

(التوبة/٤٠) .

وكان ذلك بعد أن أداروا بينهم الرأى فى « دار الندوة » يوم يتخلصون إلى الأبد من محمد :

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

(الأنفال/ ٣٠) .

٤ـ فى الطريق إلى يثرب :

لقد قدر النبى وفكر فى الهجرة وما تستوجب من حيطة وحذر ، واستعان بالكتمان وهو يعلم أن وراء تدبيره تدبير ربه وحفظ مولاه ، الذى يمهل ولا يهمل ، ويملى للطغاة إلى حين ويروى غراس اليقين فى ذلك بين أعطاف المؤمنين :

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(الزمر/٦١) .

إن إسرار الرسول إلى أبي بكر بخبر الهجرة واللهفة التي اعتلجت كلمات في قول أبي بكر : « الصحبة يارسول الله » ، وقول الصادق الأمين : « الصحبة ياأبا بكر » ، ودموع السرور التي تضاعف بها سناه وجه الصدِّيق رضى الله عنه ، موقف من مواقف تكشف عن وفاء النبي وعرفانه لقدر أول الرجال إسلاما ، وأعظمهم إيمانا ، وأحقهم بأن يكون في المشهد العظيم : « ثاني اثنين » لتصل هذه الحلقات أمثالها في بلاء أبي بكر في الدعوة واقتدائه للنبي الأعظم ووفائه وعطائه للمسلمين والمستضعفين بخاصة ، ويكون هذا الموقف نورا نرى فيه أبا بكر يرصد ماله ورجاله لإنجاح هذه المخاطرة التي جن لها جنون المشركين بقدر ما واجهها وخاض غمراتها المسلمون بارتياح ويقين .

وكان القرآن الكريم يغادى النبي ويراوحه بمثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(القصص / ٨٥) .

إن الإمام القرطبي في جـ١٣ من الجامع لأحكام القرآن ص ٣٢١ يقول في كلام نفيس : ختم الله السورة ببشارة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - برده إلى مكة قاهراً لأعدائه ، وأورد في « معاد » معاني لا توضع في كفة ميزان أمام مراد « مكة » فهو يقول : « والأول أكثر » وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم ، وأورد أن معاد الرجل بلده الذي ينصرف منه ثم يعود إليه .

قال مقاتل « خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الغار ليلا مهاجرا إلى المدينة ، مخافة الطلب ، أقول وتلك مشاعر بشرية مَحْضَة ، وإن كان صلوات الله عليه يغمره اليقين بأن الله كالئه وهاديه وحاميه ، وحاشا أن تكون هجرته هربا ، لكنها أمر الله ووحيه لمصطفاه في رؤياه ، وإن تسبب المشركون في دواعيها ودوافعها جاهلين أن الله خيرٌ حافظا لنبيه وأوليائه .

قال مقاتل : « فلما رجع الرسول إلى الطريق ونزل الجُحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها ، فقال له جبريل أن الله يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾

إلى مكة ظاهرا عليها .

واستظهره الفخر الرازي ، وقال : « لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وعاد إليه ، وذكر كلام العلماء أن هذا من أعلام النبوة لأنه أخبر بغيب كان بعد ذلك كما أخبر حين جاء نصر الله والفتح » جـ ٢٥ من تفسيره ، وأورد ابن كثير أحد أقوال ابن عباس أن المراد عودته إلى مكة في الفتح وهو عنده أمارة على قرب انتهاء أجل النبي كما فسر ابن عباس سورة النصر . . وليس بعد الفتح والنصر إلا الموت ، فالفردوس الأعلى والدرجات العلا التي كتبها الله لخيرته من خلقه وصفوته من رسله وأكرم من فدى رسالته بهجرته وجهاده حتى أكمل الله به الدين وأتم النعمة على المسلمين ، وترك فيهم كتاب ربه الذي حفظه ولم يستحفظه سبحانه أحدا وحفظ معه السنة بأخذها لا محالة من أراد أن يعرف مراد الله من كتابه وكلماته .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾

(محمد ١٣) .

إن أمثال هذه الآية كثير في كتاب الله ، وتؤكد

البقية ص ٣٩



الهجرة إلى مكة

للشيخ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

المعروف أن المدينة هى دار الهجرة ، كان اسمها « يثرب » ، ثم سماها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد هجرته إليها « المدينة » ، وجعلها حرما ، وقال فى ذلك : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإنى دعوت فى صاعها ومدها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة » . رواه مسلم فى كتاب ﴿ الحج ـ الحديث رقم ٤٢٥ ﴾ عن عبدالله بن زيد بن عاصم .

وأصبحت الهجرة إلى المدينة شرطا من شروط الإيمان ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ (الأنفال : ٧٢) .

ولذلك أصبح من المألوف أن يهاجر الناس إلى المدينة بعد أن هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها ، وجعلها مركز الدعوة الإسلامية ، ولم تلبث أن أصبحت بعد ذلك عاصمة الدولة الإسلامية فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظلت كذلك حتى سنة أربعين من الهجرة .

والهدف من الهجرة إلى المدينة القرب من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والانضواء تحت لوائه باعتباره القائد الأعلى للأمة الإسلامية ، وهو فى حاجة إلى كل المسلمين ليكونوا جنودا فى الدفاع عن الإسلام والجهاد فى سبيل الدعوة ، والتضحية بالنفس والنفيس فى ذلك ، وإلا فلا معنى للإسلام بدون ذلك ، وقد أبطل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الهجرة بعد الفتح وقال : « لا هجرة بعد فتح مكة » أخرجه البخارى عن مجاشع بن مسعود .



وكثير منا يغفل أن هناك هجرة كانت إلى مكة قبل المدينة .

كانت هناك هجرة إلى مكة فى أثناء مقام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها قبل الهجرة إلى المدينة ، أيام أن كان يدعو إلى الله فى بدء الدعوة ويعارضه القرشيون ويسدون عليه المسالك ويضيقون عليه الخناق ، ويحولون بينه وبين إبلاغ كلمة الله .

كانت دعوته تتحدى العقبات ، وتصل إلى مسامع العرب فى كل مكان ، وكان هناك من يصيخ السمع إلى ما يصل إليه من آيات بينات ، فيعجب لهذا الكلام الرائع ، ويتخلل فؤاده ، ويحاول التعرف على صاحبه والاقتراب منه .

ولكن قريشا كانت توصد أمام هؤلاء الأبواب ، وتحذر كل وافد إلى مكة من الاقتراب من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتصده عن الوصول إليه والاستماع إلى ما يقول .

أول مهاجر إلى مكة :

ولعل أول مهاجر إلى مكة للقاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أبوذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ واسمه جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو من قبيلة غفار .

سمع أبوذر بدعوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأحب أن يلقاه ويستمع إليه ، فأرسل أخاه أنيسا إلى مكة قال له : اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ، يأتيه الخبر من السماء ، وأسمع من قوله وائتنى .

فانطلق أنيس حتى قدم مكة ، وتمكن من لقاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أخيه أبى ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت منه كلاما ما هو بالشعر .

فقال له أبوذر : ما شفيتنى مما أردت .

وتزود أبوذر ، فانطلق بنفسه إلى مكة ، فأتى المسجد ، والتمس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو لا يعرفه ، ولم يستطع السؤال عنه تخوفا من أهل مكة ، وظل كذلك أياما حتى لقيه على بن أبى طالب ، وعرف أنه غريب جاء يطلب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاصطحبه خفية حتى أوصله إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

والتقى أبوذر بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان أول من حيا بالسلام تحية الإسلام . وعرض عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإسلام فأسلم . . كان إسلامه قديما ، قيل إنه لم يسبقه إلى الإسلام سوى أربعة كان هو خامسهم . .

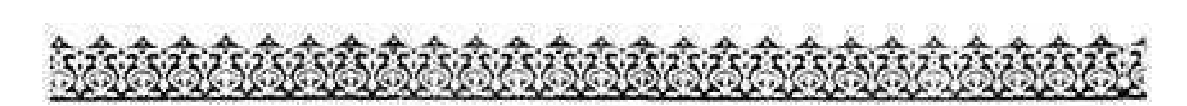
وأراد البقاء بمكة مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمره بالرجوع إلى قومه ليبث فيهم الدعوة ، وطلب منه أن يلحقه بدار الهجرة (المدينة) حين يعرف أنه هاجر إليها .

وبقى أبوذر فى قبيلة غفار يدعو إلى الإسلام ، حتى عرف أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هاجر إلى المدينة ، فاصطحب قومه وهاجر إليه .

فهذه هجرة إلى مكة .

لم يكن أبوذر له هدف فى مكة سوى لقاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والإيمان به ، وود لو أنه بقى معه فى مكة لولا أنه أمره بالتوجه إلى قومه ليكون سببا فى هدايتهم .

وقد تأدب أبوذر بأدب الإسلام وانصاع لأوامره ونواهيه ، حتى كأنه أصبح أمة وحده ، وقد أثنى عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثناء مستطابا ، وقال فى حقه : « أبوذر فى أمتى على



زهد عيسى ابن مريم » أسد الغابة لابن الأثير حـ ١ صـ ٣٥٧ .

وقال : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر » الطبقات الكبرى لابن سعد حـ ٤ صـ ٢٧٥ .

وتوفى أبو ذر بالربذة فى عهد عثمان بن عفان ـ رضى الله عنهما ـ.

المهاجرون من الأنصار:

وقد يعجب القارىء حين يرى هذا العنوان ، فالمعروف أن المهاجرين كلهم من مكة وما حولها ممن أسلم من غير أهل المدينة ، ثم هاجر حين صدر الأمر بالهجرة إلى المدينة عقب بيعة العقبة ، ولكن هناك بعض الأنصار هاجروا من المدينة إلى مكة ، وأقاموا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مكة حتى هاجروا معه إلى المدينة ، وهؤلاء يلقبون بلقبين : الأنصار والمهاجرين .. وهذه ميزة خاصة بهؤلاء .

كان أولئك المهاجرون من الأنصار ممن بايعوا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العقبة ، واشتد حبهم للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يصبروا على الابتعاد عنه ، فأصروا على الرجوع إليه فى مكة والبقاء معه على ما فى مكة من مجافاة للمسلمين وإيذاء لهم .. ومن هؤلاء المهاجرين الأنصار :

١. ذكوان بن عبد قيس:

وهو ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الأنصارى الخزرجى ثم الزرقى يكنى أبا السبع .

شهد العقبة الأولى والثانية ، ثم خرج من المدينة مهاجرا إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بمكة ، وأقام معه بمكة حتى هاجر إلى المدينة حين هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها . فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

وشهد ذكوان بدرا ، واستشهد فى موقعة أحد ، قتله أبو الحكم بن الأخنس ، فاقتص له على بن أبى طالب منه فقتله .

ويذكر الواقدى أن ذكوان بن عبد قيس هو أول من أسلم من الأنصار ، ذلك أنه خرج هو وأسعد ابن زرارة إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة ، كان ذلك قبل العقبة الأولى بزمن . وفى مكة سمعا بدعوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الإسلام فذهبا إليه ، فدعاهما إلى الإسلام ، وقرأ عليهما القرآن ، فأسلما ، وتركا المنافرة التى جاءا من أجلها ولم يقربا عتبة ، ورجعا إلى المدينة مسلمين ، فكانا أول من قدم بالإسلام إلى المدينة .

ـ أسد الغابة حـ ٢ صـ ١٦٨ ـ الاستيعاب فى الأصحاب ٤٦٦ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد حـ ٣ صـ ٦٠٤ .

٢. رفاعة بن عمرو:

رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الأنصارى الخزرجى السالمى ويكنى أبا الوليد .

شهد بيعة العقبة الثانية مع السبعين ، وعاد إلى المدينة مع قومه بعد المبايعة ولكنه لم يصبر على فراق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعاد إلى مكة مهاجرا إليه ، وأقام بمكة حتى هاجر إلى المدينة مع هجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظفر بلقب المهاجرى الأنصارى .

وشهد رفاعة موقعة بدر ، كما شهد موقعة أحد وظفر بالشهادة فيها قال ابن سعد فى الطبقات : وليس لرفاعة عقب ، كان له أولاد فانقرضوا .

- أسد الغابة حـ ٢ صـ ٢٣٢ - الطبقات الكبرى حـ ٣ صـ ٥٤٦ .

٣. زياد بن لبيد:

هو زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى الأنصارى الخزرجى البياضى يكنى أبا عبد الله .

شهد العقبة الثانية مع السبعين .

ثم خرج إلى مكة مهاجرا للنبى - صلى الله عليه وسلم - وملازماً له ، وأقام معه بمكة حتى هاجر النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة فهاجر إليها فكان يقال له : أنصارى مهاجرى .

وشهد زياد موقعة بدر ، وشهد أحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

واستعمله النبى - صلى الله عليه وسلم - على حضر موت ، فظل بها حتى لحق النبى - صلى الله عليه وسلم - بربه . وأقره أبو بكر على عمله الذى ولاه النبى - صلى الله عليه وسلم - إياه .

وحين ارتد العرب قاتل زياد أهل الردة باليمن ممن ارتدوا مع الأشعث بن قيس ، وظفر بهم فقتل منهم من قتل ، وأسر من أسر ، واستطاع أن يسوق الأشعث بن قيس مقيدا بالأغلال إلى الخليفة أبى بكر فى المدينة .

ولزياد بن لبيد رواية عن النبى - صلى الله عليه وسلم - منها ما رواه الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن زياد قال : « ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا فقال : ذاك عند ذهاب العلم قالوا : يارسول الله ، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم ، قال : ثكلتك أمك ابن أم لبيد ، أو ليس اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون منها بشىء » !

توفى زياد بالمدينة أيام معاوية .

أسد الغابة حـ ٢ صـ ٢٧٣ - الطبقات الكبرى حـ ٣ صـ ٦١٠ - الإصابة لابن حجر حـ ٢ صـ ٥٨٦ .

٤. عباس بن عبادة:

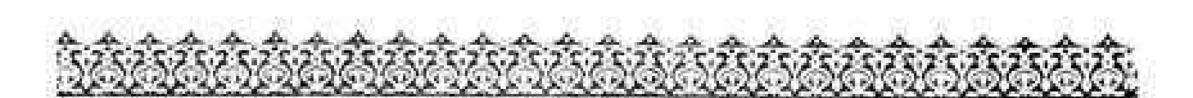
وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان الأنصارى الخزرجى ، شهد بيعة العقبة الثانية ، وقيل : بل شهد البيعتين الأولى والثانية ، وقيل أيضاً .. كان فى النفر الستة الذين لقوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول من لقى من الأنصار ، وكان ذلك فى السنة السابقة على بيعة العقبة الأولى ، وقد أسلم هؤلاء الستة ، وعادوا إلى المدينة فأظهروا فيها الإسلام .

وعباس بن عبادة هو الذى شد عقد البيعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى البيعة الثانية ، فقد قال لقومه : يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم ترون أنكم غير وافين له بذلك فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : فما لنا إن وفينا يارسول الله ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبايعوه .

ثم إن عباس بن عبادة خرج إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - مهاجرا إليه بمكة ، فأقام معه حتى هاجر النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة فهاجر معه . فكان بذلك أنصاريا مهاجريا .

وبعد الهجرة آخى النبى - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين عثمان بن مظعون . ولم يشهد عباس بدرا ولكنه شهد أحدا واستشهد فيها - سيرة ابن هشام - أسد الغابة حـ ٣ صـ ١٦٣ .



٥. عبدالله بن أنيس:

كان حليف بنى سلمة من الأنصار وهو أصلا من جهينة ، اسمه عبد الله بن أنيس الجهنى ، شهد العقبة الثانية ، وعاد إلى المدينة ، ثم توجه مهاجرا إلى مكة ليصاحب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها ، وأقام معه حتى هاجر إلى المدينة حين هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها فكان مهاجريا أنصارياً .

ثم شهد بدرا وأحدا وما بعدهما من المشاهد مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وتوفى عبد الله بن أنيس سنة أربع وسبعين من الهجرة ـ أسد الغابة حـ ٣ صـ ١٧٨ .

٦. عقبة بن وهب:

وهو عقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال بن الحارث حليف بن سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج .

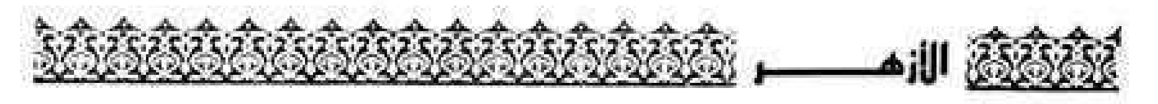
شهد بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الثانية . وقيل : إنه أول من أسلم من الأنصار فى بعض الروايات . ثم لحق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة ، فلم يزل هناك حتى هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ، فهاجر هو إلى المدينة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى شهد من المشاهد بدرا ، ثم أحدا ، وقيل : إنه هو الذى نزع الحلقتين من وجنتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد ، وقيل : إن الذى نزعهما هو أبو عبيدة بن الجراح ، قال الواقدى : إنهما جميعا عالجاهما فأخرجاهما من وجنتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

سيرة ابن هشام حـ ٢ صـ ٤٦٥ ـ أسد الغابة حـ ٤ صـ ٦٢ ـ الطبقات الكبرى حـ ٣ صـ ٥٤٧ .

ملاحظتان

ويلاحظ أن هؤلاء الأنصار الذين هاجروا من المدينة إلى مكة ثم منها إلى المدينة ، كانوا من الخزرج أو من حلفائهم ، ذلك لأن الخزرج هم أول من استجاب لدعوة الإسلام ، وكان منهم النفر الستة الذين التقى بهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل العقبة الأولى بعام فأسلموا حين عرض عليهم الإسلام ، ووعدوه العودة فى العام القادم فعادوا فى وفد مكون من اثنى عشر رجلا منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . . كما يلاحظ قلة عدد المهاجرين إلى مكة ، ولذلك سبب واضح ، أن مكة لم تكن بالمكان الآمن المستقر لاستقبال الدعوة الإسلامية ، بل كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن معه من المسلمين يتعرضون للأذى الشديد والمعارضة القاسية من أهل مكة ، مما دعا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى التفكير الجدى فى الهجرة منها ـ على الرغم من حبه الشديد لوطنه ـ وعرض نفسه على القبائل ليؤووه وينصروه حتى يبلغ دعوة ربه . فلم يجد استجابة إلا من أهل المدينة .

فكانت هجرة من هاجر من الأنصار إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى مكة بدافع الحب الشديد للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والرغبة فى مصاحبته ومجاورته ، مضحين فى سبيل ذلك بما يلقونه من تجهم وضيق فى جو مكة المستفز ، فصحبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يهون فى سبيلها كل صعب ، ويعذب فى طريقها كل مشقة . صلى الله وسلم على هذا النبى الأمين ، ورضى الله عن صحابته من الأنصار والمهاجرين .



الهجرة

عظة وعبرة

للدكتور : أحمد عبد الله الطيار •

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله داعية للعالمين : إنسهم وجنهم ، وهاديا وبشيرا ونذيرا ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٣٠)

لما رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - تسلط الغطرسة ، وحمية الجاهلية على قريش ، وأراد الله إعزاز دينه على يد غيرهم - أخذ يخرج إلى المواسم العربية (وهى أسواق كانت العرب تعقدها للتجارة والمفاخرة) ، ويعرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه على القبائل ؛ ليحموه حتى يؤدى رسالة ربه ، فكان بعضهم يرد ردا مليحاً ، وبعضهم يرد رداً قبيحاً .

وفى أحد المواسم تعرض لنفر من عرب يثرب (المدينة) يبلغون الستة ، فدعاهم الرسول إلى الإسلام ، فأسلموا ووعدوه المقابلة فى الموسم المقبل ، وفيه قدم اثنا عشر رجلا فأسلموا ، وبايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ألا يشركوا بالله شيئاً ، وعلى السمع والطاعة لله ولرسوله ، وأرسل معهم من يقرئهم القرآن ، ويفقههم فى الدين تلك هى البيعة الأولى ، وكانت كما نرى على التمسك بالآداب التى جاء بها الإسلام ، ودعا إليها القرآن ، فهى مجموعة من الأوامر والنواهى ، وهى جانب رفيع من الأخلاق أراد الإسلام أن ينشىء عليها المجتمع المسلم ، ليطهره من أرجاس الجاهلية ، ويبتعد به عن الأخلاق الدنية وليكون هذا المجتمع الذى ستقوم

• الكاتب : مدرس بكلية أصول الدين - المنوفية .



على كواهله دولة الإسلام مجتمعا نموذجياً فريدا ، يرى فيه الناس آمالهم التى يتطلعون إليها حية متحركة ، ويلمسون من خلاله المثل التى كانوا يتلهفون عليها . وأقبل موسم السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية ، وقدم مصعب بن عمير إلى مكة ، وقدم وفد من المسلمين حجاجا مع قومهم من المشركين وكانوا قد عزموا على ألا يدعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى مكة تهدده قريش وتتوعده ، واتفقوا على أن يلتقوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلا سراً ، حتى لا تشعر قريش ، فيسعوا فى نقض ما أبرم ، واتفقوا على أن يلتقوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند العقبة ، وأن يكون خروجهم من خيامهم مستخفين بعد أن يمضى هزيع من الليل يطمئنون فيه إلى نوم من معهم من المشركين حتى لا يروهم ، وأن يكون ذلك فى أوسط أيام التشريق[1] .

وجاء اليوم الموعود ، وجن الليل ، وأخذ المسلمون يتحينون الفرصة ويرقبون من معهم من المشركين ودخل كل منهم فى فراشه متظاهرا بغلبة النوم ، حتى إذا غط المشركون فى نوم عميق إنساب المسلمون متسللين[2] ، لم يحرصوا على شىء قط حرصهم على اللقاء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى تلك الليلة .

اجتمع المسلمون فى الشعب عند العقبة ، وأخذوا يترقبون قدوم الرسول بفارغ الصبر ، وأقبل الرسول ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، ولم يكن أسلم ، ولكنه أراد أن يستوثق لأمر ابن أخيه ويحضر البيعة التى سيعقدها مع أهل المدينة .

جلس الرسول ، وجلس القوم من حوله ، وكان أول المتكلمين العباس بن عبد المطلب ، قال يا معشر الخزرج أن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل ما رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ، ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك .

وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده .

قالوا قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك وربك ما أحببت . وهنا تكلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتلا القرآن ، ورغب فى الإسلام ودعا إلى الله ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .

وتمت البيعة بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين المسلمين من أهل يثرب ، وعندئذ قال لهم الرسول : أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا له اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس[3] . فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين عيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى ، قالوا : نعم[4]

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٦١
(٢) نفس المصدر ص ٦٣
(٣) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٦٤
(٤) ابن هشام جـ ٢ ص ٦٦

وقد ظن المسلمون أن أمرهم لا يزال فى الخفاء ، ولم يطلع عليه أحد ، وبخاصة وقد أخذوا حذرهم ودبروا أمرهم ، فقد تواعدوا عند العقبة فى مكان بعيد عن الناس . وكان ذلك فى جوف الليل بعد أن نام أهل الموسم ، كما كان فى أضيق فرصة من أيام الحج حتى إذا علمت قريش لم يكن لديها الفرصة لتعوق القوم وتعترض طريقهم .

ومع كل هذه الاحتياطات ، ورغم كل هذا الحذر فقد انكشف الأمر ، وخرج صارخ بأعلى صوت : يا أهل الجباجب ـ وهى المنازل ـ هل لكم فى مذمم والصبأة معه ، قد أجمعوا على حربكم[1] .

يقول كتاب السير والمؤرخون : إن الصارخ هو الشيطان ، وأن الرسول قال لما سمع الصارخ : هذا أزب العقبة ، أى عدو الله ، أما والله لأفرغن لك[2] . وعندئذ قال الرسول لمن بايعوه : ارجعوا إلى رحالكم .

هذا وقد أثرت مبايعة الأنصار للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قريش تأثيرا بعيد المدى ، أليم الواقع ، ورأوا أن إيذاءهم لرسول الله وأصحابه على شدته وإغراقهم فيه لم يحل دون المضى فى بث الدعوة وانتشارها ، فاجتمعوا فى دار الندوة للنظر فى ذلك الأمر الذى روعهم ، وأقض مضجعهم ، (أقلقهم جدا) ، وبعد تبادل الآراء اتفقوا على أن يختاروا من كل قبيلة شابا شجاعا ويرصده (يرقبه) هؤلاء الشبان حتى ينام فيثبون عليه ، أو يخرج من داره فيهجمون عليه ويضربونه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه على القبائل ، فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يثأروا له ، فيقبلون الدية ، فأقروا هذا الرأى .

هذا مكرهم ولكن إرادة الله فوق كل إرادة

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝ ﴾
[الأنفال : ٣٠]

فأخبر الله تعالى نبيه بذلك ، وبالليلة التى عزموا على إنفاذ فعلتهم فيها ، وأمره بالهجرة إلى يثرب فى تلك الليلة ، فأمر الرسول على بن أبى طالب بالنوم فى فراشه ، وغطاه ببردته ، إيهاما للقوم بأنه مازال فى فراشه ، وقبل الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ هذه التفدية بغبطة وشجاعة ، وبقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنزل حتى أرخى الليل سدوله وران الكرى على أجفان الراصدين ، فخرج ونثر على رءوسهم التراب وهو يتلو :

﴿ يسٓ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ ﴾ [يس من ١ : ٩]

وحصبهم بالتراب فلم يبق فيهم رجل جليد نسيب وسيط فى قوم أبى جهل وأتباعه إلا وضع على رأسه ترابا وناموا أو داخلوا أو شلوا أو مسخوا . لقد سحبت قوتهم وعميت عيونهم حتى جاءهم آت ممن لم يكن معهم فقال لهم :

---

(١) ابن الجوزى جـ ١/١ ص٣٦٦
(٢) نفس المصدر السابق

ما تنتظرون ؟ قالوا : محمدا ، قال : خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته[1] .

هذه هي نتيجة القرار البرلماني الأرضي الذي يستمد نظامه من الطين ، جاءت حصى نثرها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على رءوس الجيش الفتى الذي جاء لينفذ قرار التنظيم الأرضي . . ويسلم (على) من المؤامرة ويبقى في مكة ليصفي بقيات العلاقات ويؤدي الأمانات التي كان يحفظها الجاهليون عند محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليقينهم أنه وحده الأمين الصادق[2] وينطلق الركب النبوي ومعه الصديق الوفي إلى غار ثور أو جبل ثور ، وتبقى سرية المخابرات الإسلامية في مكة : عبد الله بن أبي بكر ؛ ليستمع ما يقول الناس فيها نهارا ليبلغ الأخبار إليهما ليلا وعامر بن فهيرة يرعى الغنم نهارا ثم يريحها عليهما في الغار عند المساء ، وأسماء بنت أبي بكر تجهز الزاد وتذهب به في ثياب الليل الأسمر .

ولما علم المشركون بخيبة تدبيرهم ، وفساد مكرهم ، ثارت ثائرتهم ، وهاجت عاطفتهم فطلبوه بمكة : أعلاها وأسفلها ، وبعثوا القافة جمع قائف : وهو من يعرف الآثار ، وقاف أثره : تبعه ـ في إثره في كل وجه ، وجعلوا مائة ناقة لمن يرده ، فوجد الذين ذهبوا قبل ثور أثره هناك ، فلم يزالوا يقتفونه حتى انقطع عنده ، فاستبعدوا أن يكون داخل الغار ، لوجود نسج العنكبوت وبيض الحمام على بابه فقالوا : لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه[3] وكان فتيان قريش من كل بطن يحيطون الغار بعصيهم وهراواتهم وسيوفهم وحماسهم وكراهيتهم ومرارة هزيمتهم البارحة ، وقال لهم حكماؤهم وفلاسفتهم ووجهاء القوم عندهم « إلى باب الغار انتهى وقع الأقدام » فلماذا لم يدخلوا الغار ؟ لقد اقترح بعضهم أن يقتحم الغار ويفتشه ولكن الذكي الألمعي الرائد الفيلسوف العظيم أمية بن خلف قال لهم : وما أربكم إلى الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد[4]!

لماذا لم يفترض الفيلسوف الماهر أن تلك الراءة والشجرة والحمامتين الوحشيتين سحر من سحر محمد ، فيسمح للجيش الجرار المتحمس لتنفيذ قرار برلمان زق الخمر بتفتيش الغار فياربما وجدوا إربتهم ، لقد كانوا من الحمق بحيث لا يعقلون ما يريدون ، ولا يفهمون ما يودون ألم يقل لهم في مكة « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » فلماذا لم يقدروا على إزالتها وتفتيش ما بداخل الغار ؟ لقد أضلهم الله على علم وختم على سمعهم وأبصارهم فمن يهدهم من بعد الله ؟ وعادت قريش : عاد أعضاء البرلمان الجاهل الأرضي العبقري ، وعادت حثالة الشباب الجليد النسيب الفتى ، وعادت فلاسفة القيافة والأثر بخيبة أمل لا مثيل لها في التاريخ . وروى أن سيدنا أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على

---

(1) تاريخ الطبري حـ ٢ ص ٣٧٣ ـ وسيرة بن هشام حـ ١ ص ٤٨٣

(2) تاريخ الطبري حـ ٢ ص ٣٨٢ الكامل في التاريخ حـ ٢ ص ١٠٣

(3) السيرة لابن كثير حـ ١ ص ٣٢

(4) الحلبية حـ ٢ ص ٤٠

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : « إن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا تحزن إن الله معنا » .

وفى صبح اليوم الثالث جاءتها الراحلتان فركبا إلى المدينة من طريق الساحل ، وهو طريق غير مألوف ، ونجاهما الله من القوم الظالمين ، وقابلهما أهل المدينة بأعظم ترحيب .

العبرة من الهجرة :

١ ـ أراد الله تعالى ألا ينتشر الإسلام بمكة أولاً ، حتى لا يتخذ ذلك وسيلة إلى الطعن عليه بأن قريشا طمحت الملك ، فأوعزت إلى واحد منها أن يدعى هذه الدعوى ، ليدركوا بذلك أمنيتهم ، بل أراد الله أن يكونوا قوما لدا ، لم يعرفوا فى إيذاء النبى وأصحابه هوادة ولا حدا .

٢ ـ ظهر جليا فى هذه الهجرة أن الدعوة الإسلامية كانت تساير الأحوال العادية للناس ، وتجرى على حسب الأحداث الطبيعية للبشر التى ترتبط فيها الأسباب الظاهرة بمسبباتها ، ويظهر فيها التفكير والاجتهاد ، ولم يكن اعتمادها على الآيات الكونية الخارقة للعادة ، والتى تفوق مقدور البشر ، ولا يتناولها إدراكهم ، فإن النتيجة الطبيعية لمقاومة الدعوة ، مع الغلو فى إيقاع أشد أنواع الأذى بالداعى ـ إنما هى هجر البلاد إلى أخرى تفتح صدرها للدعوة وتكرم صاحبها ، وتمنعه مما تمنع منه أهلها .

٣ ـ تجلى فيها رباطة جأش النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثبات جنانه ، وحسن تدبيره وقت ترقب الشبان إياه حول داره ، وقد دل على ذلك سعة حيلته ، وعظم فكرته ، فى انتداب على لينام مكانه ، ليلقى فى عقل القوم ، أنه لا يزال فى فراش النوم ، ثم تلطفه فى الخروج ، حتى لا يشعر به الراصدون ، مع خطر مهمتهم ، وعظيم اهتمامهم ، وكذلك سلوكه طريقا غير مطروق كثيرا ، واختباؤه فى الغار ثلاث ليال ، وهى المدة التى تغلب على الظن أنهم يطلبونه فيها ، ثم يتسرب اليأس إلى نفوسهم .

٤ ـ كانت الهجرة مبدأ عهد جديد لظهور الإسلام وقوته ، وانتشاره بسرعة عظيمة دهش لها التاريخ ، بعد أن مضت عليه ثلاث عشرة سنة يعانى أقصى ضنك من المشركين ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممنوع من الجهر بالعبادة ، والمسلمون يتجرعون غصص العذاب الشديد ، حتى اضطر بعضهم قبل ذلك إلى الهجرة إلى الحبشة وسبق معظمهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ، وقد آخى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين المهاجرين والأنصار أخوة فاقت أخوة النسب ، فبدلهم الله بوطنهم وطنا ، وبأهلهم أهلا ، وبضعفهم قوة ، وبذلهم عزا ، وبغضهم محبة .

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾

[الحشر : ٩] .

الأنصار
دروس فى الحب والإيثار

للأستاذ / عاطف شحاتة زهران

الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظ الدنيا رغبة فى الحظوظ الدينية ، وينشأ ذلك عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة .

والإيثار ليس عن غنى وإلا كان سخاء ، وإنما جاء عن فقر ولا يكون إلا فى الخير ويعين عليه ثلاثة أشياء :

١ ـ تعظيم الحقوق ، فإن عظمت الحقوق عنده قام بواجبها ورعاها حق رعايتها واستعظم إضاعتها وعلم أنه إن لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤدها كما ينبغى فيجعل إيثاره تحوطا لأدائها .

٢ ـ مقت الشح . فإنه إذا مقته وأبغضه التزم الإيثار ، فإنه يرى أنه لاخلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار .

٣ ـ الرغبة فى مكارم الأخلاق ، وبحسب رغبته فيها يكون إيثاره لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق[1] .

فإذا سكن نور الإسلام فى القلب وتمكن اليقين من النفس ووقر الإيمان فى القلب كان رضا الله واتباع أوامره هو المطلوب دون رضا الناس واتباع الهوى . .

قال سبحانه :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾
(الحشر : آية ٩) .

وقد جاءت الآية فى صدد ذكر الأنصار فى المدينة لما استقبلوا المهاجرين وأفسحوا لهم من دورهم وقسموا لهم من أموالهم فى غير تبرم .

روى أن رجلا من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ بات عنده ضيف ولم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته : نومى الصبية وأطفئ السراج وقربى للضيف ما عندك ، فنزلت الآية[2] .

◆

١ ـ مدارج السالكين لابن القيم ، جـ ١ ، ص ٣١١ .

٢ ـ رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الأشربة ، رقم ٢٠٥٤ .

وهذه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - سألها مسكين وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف واحد . فقالت لمولاة لها : أعطيه إياه . فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه ! فقالت : أعطيه إياه . ففعلت ، فلما أمسينا أهدى لنا إنسان ما كان يهدى لنا شاة وكفنها . فدعتني عائشة فقالت : كل من هذا ، فهذا خير من قرصك[٣] .

فهي لم تعلم به ولم تعول عليه فتثق به ، إذ لم يكن هذا يهدى إليهم في العادة ولكن الله عوضها من حيث لا تحتسب . وكان بعض وجوه العرب يأتون إلى الشاة إذا سلخوها غطوها بعجين البر وكفنوها به ثم علقوها في التنور فلا يخرج من ودكه شيء إلا في ذلك الكفن وذلك من طيب الطعام عندهم .

قال علماؤنا : وهذا من المال الرابح والفعل الزاكي عند الله - تعالى - يعجل منه مايشاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عنده[٤] .

المهاجرون سبقوا بالإيثار:

أثنى الله - سبحانه - على المهاجرين أطيب الثناء وأخبر أنهم فقراء ، وأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم مرغمين ، وأن الغاية من وراء ذلك كله غاية جليلة

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(الحشر : آية ٨)

فهم لم يؤثروا الراحة ولم يخلدوا إلى القعود بل آثروا طريق الهجرة والجهاد تاركين من ورائهم كل شيء . . . حملوا راية الإسلام وكفى ، فهان عليهم ما وراء ذلك .

فهذا أبو سلمة أول مهاجر من مكة يترك امرأته وولده عند أهلها مرغما ليلحق بيثرب ، وهذه زوجته يؤخذ طفلها منها عنوة ويفرق بينها وبينه ولا يعلم إلا الله وحده متى يلتئم شملهم جميعا ، وهي تصبر قرابة السنة على تلك الحال لا تسلية لها إلا يقينها بالله وأملها في مرضاته وربما قضت إرادة الله باجتماعهم ولو بعد حين .

وهذا صهيب الرومي يخير بين ماله وهجرته ، فلا يتردد لحظة واحدة ويتنازل راضيا عن كل ما يمتلك وحسبه أنه سيلحق بالنبي وصحبه الكرام . فما قيمة كل أموال الدنيا مقابل سعادة الدارين ؟ ويكفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له بخير لما علم خبره فقال : « ربح صهيب . . . ربح صهيب » .

وقد شاعت هذه الأخبار وغيرها وتناقلها الناس فيما بينهم وعلمها الأنصار فعظم المهاجرون في قلوبهم واجتهدوا في تقديم أي شيء لهم عساهم يلحقوا بهم .

إيثار مبعثه الحب:

وسنقف مع آية سجلت مآثر الأنصار وخلدت حبهم للمهاجرين وإيثارهم إياهم ليقرأها الناس على مدى القرون ما كان في الناس قرآن يتلى وقلوب تعي وأناس تهفو نفوسهم لتلك المثل .

قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر : آية ٩)

٣ - الموطأ للإمام مالك كتاب الصدقة ، ص ٦١٦ .

٤ - تفسير القرطبي ، جـ ١٨ ، ص ٢٦ .

إنهم أولئك الأفذاذ الذين أعلى القرآن ذكرهم وأجزل الثناء عليهم ووصفهم بصفات ثلاث :

أولا : الحب ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾

ثانيا : طهارة القلب من الحسد : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾

ثالثا : الإيثار على كل حال :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

وعقب على ذلك بحكم إلهى مهم

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

كان المهاجرون فى دور الأنصار بعد أن آخى رسول الله بينهم جميعا ، فلما غنم عليه السلام أموال بنى النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا ثم قال : « إن أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم » ، « فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يارسول الله . فدعا لهم وقال : « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار » وأعطى المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئا إلا ثلاثة نفر محتاجين هم : أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة لحاجتهم(*) .

إنه الحب الصادق الذى خلا مما يفسده والناشىء من ناحيتين :

١ - التربية التى رباهم عليها النبى ﷺ .

٢ - يقينهم أنهم مهما بذلوا لإخوانهم المهاجرين فلن يوفوهم عن بذلهم وعن تضحيتهم فى سبيل الدعوة .

ومع هذا البذل لم يحسدوا المهاجرين على ما خصوا به من مال الفىء وغيره ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ فكل ما يجد الإنسان فى صدره مما يحتاج إلى إزالته فهو حاجة » .

قال الحسن : أى حسداً وحرارة وغيظا مما أوتى المهاجرون من دونهم ، وأطلق اسم الحاجة على الحسد والغيظ والحرارة لأن هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة(٦) .

الشح : الداء المهلك:

إنه الداء الوبيل الذى هلك به أناس كثيرون . . . وهو حرى بأن يقضى على أية أمة استحكم فيها ، ومن هنا جاءت حرب الإسلام عليه والتحذير من خطره حتى تبقى الأمة الإسلامية بأخلاقها وعطائها وتضحياتها مهيبة الجانب متماسكة الأخلاق .

قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر : آية ٩)

قيل : الشح هو البخل مع الحرص وقيل : البخل هو الامتناع عن إخراج ما حصل عندك ، والشح هو الحرص على تحصيل ما ليس عندك .

قال كسرى لأصحابه : أى شىء أضر بابن آدم ؟ قالوا : الفقر . قال : الشح أضر من

---

* - نفسه ، ص ٢٣ .

٦ - تفسير الفخر الرازى ، جـ ١٥ ، ص ١٧٨ .

الفقر ، لأن الفقير إذا وجد شبع والشحيح إذا وجد لم يشبع أبدا . وقد حذر منه النبى ﷺ فقال : « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم[7] » وإنما كان الشح سبب هلاكهم لأن فى بذل المال والمواساة تحابيا وتواصلا ، وفى إمساكه تهاجرا وتقاطعا وذلك إنما يجر إلى التشاجر والتغادر . من سفك الدماء واستباحة المحارم .

قال القاضى : يحتمل أن يكون الهلاك هو الهلاك الذى أخبر عنهم به فى الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم ، ويحتمل أنه هلاك الآخرة ، وهذا الثانى أظهر ، ويحتمل أنه أهلكهم فى الدنيا والآخرة[8] .

رأى أحدهم فى الطواف رجلا يقول : اللهم قنى شح نفسى . . لا يزيد على ذلك . فقيل له فى ذلك فقال : إنى إذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم أزن ولم أقتل . وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .

عرف القوم خطورة الشح فاجتهدوا فى حربه ، وبين لهم النبى ﷺ الطرق التى تضمن السلامة منه فقال : « برىء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة » رواه الطبرانى .

درس من غلام :

نزل عبد الله بن جعفر إلى ضيعة فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه ، إذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثانى والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه . فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ فقال : ما رأيت . قال : فلم آثرت به هذا الكلب ؟ قال : ما هى بأرض كلاب ، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع . قال : فما أنت صانع اليوم ؟ قال : أطوى يومى هذا . فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء إن هذا الغلام لأسخى منى ، فاشترى الحائط والغلام ومافيه فأعتق الغلام ووهبه منه[9] .

إنه الارتفاع فوق حاجات النفس وأطماعها ، وإيثار تتسع دائرته حتى تصل إلى الحيوان . . .

من الإيثار إلى الأثرة :

أخبر النبى بتحول يطرأ على الأخلاق وبأدواء تعتريها ، إذا ابتعد أقوام عن المنهل الصافى وآثروا أنفسهم ، فحدثنا على أناس سيصابون بالأثرة وأمرنا آنذاك بالصبر عليهم .

فقال : « ستروون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض » (رواه أحمد) . أى سيجىء أناس هم أحدهم تضخيم ثروته وثروة ذويه ، يؤثرون أنفسهم ويختصون بحظوظ دنيوية ، يفضلون عليكم من ليس له فضل ، ويؤثرون أهواءهم على الحق الواضح والصراط المستقيم وعلينا أن ننصح ونكشف عن الحق ونقدم هدى الإسلام .

لقد خوف القرآن الكريم من أتباع الهوى وحذر النبى ﷺ من الشح وخطره . فأفلح أقوام أطاعوا ، وقدموا لنا مثلا رفيعة وتاريخا مجيدا تتذكره فنرفع رؤوسنا فخراً بأسلافنا ، ولا ينقصنا إلا أن نسير على الدرب واثقين بما عند الله طامعين فى مرضاته ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ .

---

٧ ـ صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، رقم ٢٥٧٨ .

٨ ـ فيض القدير فى شرح أحاديث الجامع الصغير للمناوى . جـ ١ ، ص ١٣٥ .

٩ ـ إحياء علوم الدين ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ .

الهجرة الكبرى .. أسرار وأنوار ـ بقية ـ

أن القرى التى عتت عن أمر ربها عاجلها الله وربما أمهلها قليلا ، ثم كان أخذه صاعقا وبيلا والإخراج فى هذه الآية يحدده وأمثاله ما صرح به الله فى بعض الآيات :

﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ (التوبة/١٣)

فهم قد جاوزوا الحدود فى دواعى الإخراج ودوافع التحول عن مكة التى كان يضن بها .

وقد روى ابن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه ، التفت إلى مكة وقال : « أنت أحب البلاد إلى الله ، وأنت أحب البلاد إلىّ ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت » ، فأنزل الله على نبيه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ (١٣/ محمد) تفسير ابن كثير جـ ٤ .

والآيات تلقى التراب فى وجوه الطغاة الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق ، ويربط بها الله على قلب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه لتظل خيول الإسلام مسرجة حول العقيدة الحقة ومن دون البلاد والعباد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله . ومن خلال إيغال المشركين فى أذى النبى وصحبه ، علم الله ورسوله فى مكة أن يدعو فى صلاته وفى غيرها ويفزع إلى مولاه أن يتولاه . روى الترمذى وقال حسن صحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة ثم أمرنا بالهجرة ، فنزلت :

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ (٨٠/الإسراء) .

والذين كتبوا فى شمائله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكروا أنه كان يعجبه الاسم الحسن والكنية الحسنة وكان يستبشر ويتفاءل ، وماكان التشاؤم من سماته حاشاه ، وذكروا أنه فى أحرج المواقف ، وأعتى ظروف التحدى كان على أرفع مستوى بشرى من تفاؤله واستبشاره وأمله فى الله ومن خلال ما كان يتحرك فيه من الرصد والطلب فى الهجرة يروون أنه كان ينظر إلى الأمام دائما ، وكان أبو بكر يتقدمه تارة ويتأخر عنه تارة اقتداء له ـ صلوات الله عليه ـ روى عبد الله بن بريدة الأسلمى عن أبيه بريدة أنه ركب فى سبعين رجلا من أهله بنى سهم فتلقى النبى فى طريق هجرته فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أنت ؟ قال : أنا بريدة ، فالتفت النبى فقال يا أبا بكر ، برد أمرنا وصلح! ثم قال لى : ممن أنت ؟ قلت من أسلم ، فقال لأبى بكر سلمنا! ثم قال لى : من بنى من ؟ قلت من بنى سهم ، فقال : خرج سهمك يا أبا بكر !!

إنه النبى الذى أدخله ربه مدخل صدق إلى المدينة بعد أن كان مع الله على الصدق والوفاء ، وصبر النفس مع أولى العزم فى التأسى والاقتداء ، وهو يقول : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما ، ويقول : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » البخارى بسنده فى الجهاد ومناقب الأنصار وغيرها .

والعاقبة عند ربك للمتقين .

العطاءات الفقهية والتاريخية



للأستاذ/
محمد عبد الحكيم القاضي

نحمد الله الولى الحميد ، الغفور الودود ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ النبى الأمى الكريم ، الرؤوف الرحيم ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، وجميع الأنبياء والمرسلين .

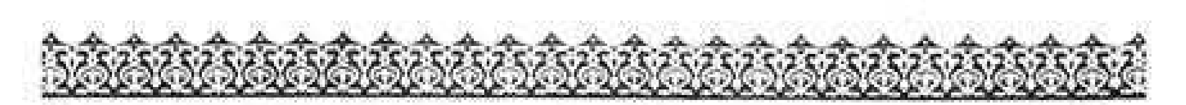
ثم نشرع ـ بحمد الله ـ فى هذه المقالة التى تشير ـ بإيجاز ـ إلى ما يفيضه يوم عاشوراء من عطاء فقهى وتاريخى .. عسى الله تعالى أن ينفع بها المسلمين المتقين ويدعو بها الطيبين من أتباع كل ملة ودين .

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعاشوراء :

دخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، فوجد اليهود يعظمون يوم عاشوراء ، ويصومونه ، فسأل عن ذلك ، فقالت يهود : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجَّى الله بنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« نحن أولى بموسى منهم » ـ « منكم » فصامه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر بصيامه[1] .

(١) رواه الشيخان وغيرهما .



وبيدو أن تعظيم هذا اليوم الجليل لم يكن مقصورا على بنى إسرائيل ، ولا كانت بركاته محددة فيهم ؛ فالعرب كانت تصومه فى جاهليتها ، وشارك النبى فى ذلك ، وهذا يدل على أن تعظيمه وبركاته أوسع من بنى إسرائيل ، « ولعلهم تلقوه من الشرع السالف » ، فتكون من بقايا شرائع الأنبياء الكرام ، التى احتفظت بها العرب كالحج .

وقد روى جماعة من أصحاب الحديث أن يوم عاشوراء كان ـ أيضا ـ اليوم الذى استوت فيه سفينة « نوح » على الجودى ، ونجاه هو ومن معه من الطوفان ، وقضى الأمر من الله ـ تعالى ـ بإهلاك الظالمين ، روى ذلك عن قتادة وغيره ، أنه قال(٢) : « ركبوا فى عاشر رجب ، فساروا مائة وخمسين يوما ، واستقرت بهم على الجودى شهرا ، وكان خروجهم من السفينة فى يوم عاشوراء » .

وقد ورد مثل هذا أو نحوه فى حديث مرفوع رواه ابن جرير ـ رحمه الله ـ وأنهم صاموا يومهم هذا(٣) .

قلت : وروى الإمام أحمد مثله أو نحوه ، وهذا يدل على أن للحديث أصلا(٤) ، كما ورد : أن قريشا أذنبت فى الجاهلية فأمروا أن يصوموا هذا اليوم كفارة لهم ، وأيًّا كان الأمر فلا يبعد مثل هذه الكرامة على مثل يوم عاشوراء ؛ ألا ترى أن العرب كانت تجعله لكسوة الكعبة وغير ذلك من الأمور العظيمة(٥) ، ومن ثمة قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ(٦) : « وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله » .

كما عبر ـ صلوات الله عليه ـ مرة أخرى ـ عن عظمته فقال :

« هذا يوم من أيام الله تعالى »(٧) .

حتى الاشتقاق اللغوى لهذا الاسم يوحى بتعظيم عربى لغوى ، فقد نقل بعض اللغويين أن العرب تقول : خابوراء ، وهو مبالغة من (خابر) يراد بها التعظيم ، فهذه الصياغة (فاعولاء) موضوعة للتعظيم ، ولذلك قال القرطبى ـ رحمه الله(٨) :

« عاشوراء معدول عن (عاشرة) للمبالغة والتعظيم » .

وهذا الوزن نادر ، بل ربما لم يوجد عند العرب مسموعا إلا هاتان اللفظتان ، حتى ظن كثير من العلماء أن (عاشوراء) غير عربى .

فريضة منسوخة ، وفضيلة باقية :

لقد صامه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل المبعث ، فلما جاء المدينة فرض صيامه على المسلمين ، فى السنة الأولى ؛ حيث « أمر رجلا من أسلم أن أذن فى الناس أن من كان أكل فليصم بقية يومه ، ومن لم يكن أكل فليصم ؛ فإن اليوم يوم عاشوراء(٩) »



(٢) تفسير ابن كثير ط/الشعب : ٢٥٧/٤ .
(٣) المصدر السابق .
وراجع تفسير الطبرى ط/ دار المعارف : ٣٣٥/١٥
(٤) المسند = ٣٥٩/٢/٣٦٠ .
وقد وهم شيخنا الجليل د. الحسينى هاشم فعزا هذا . اللفظ للبخارى ومسلم (المسند ـ دار المعارف : ٢٩٢/١٦ ح ٨٧٠٢) .
(٥) فتح البارى ٤٩٧/٦ .
(٦) رواه مسلم وغيره .
(٧) راجع فى أحاديث تفضيل هذا اليوم : مجمع الزوائد للهيثمى ١٨٢/٣ : ١٨٦ .
(٨) المفهم شرح صحيح مسلم . ط/ دار الكتاب المصرى ـ اللبنانى : ١٨٨٢/٤ .
(٩) فتح البارى : مصدر سابق . والحديث رواه أحمد والطبرانى . قال الهيثمى : رواه أحمد ثقات .

وقالت عائشة رضى الله عنها : « . . . فلما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه ، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة ، وترك عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه(١٠) » .

وهذا ظاهر جدا فى أن صوم يوم عاشوراء كان واجبا ، وأن تركه هو ترك الوجوب ، وهو قولها :

« فلما فرض رمضان كان هو الفريضة ، وترك عاشوراء » ، وتفسيرها لهذا الترك بقولها : « فمن شاء صامه ، ومن شاء تركه » .

فدل ذلك على أن رمضان قد حل محل عاشوراء فى الفريضة ، وأن ترك عاشوراء هو ترك للفريضة لا للفضيلة . وهذا هو مذهب جماعة من السلف ، وبه قال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل ـ رحمهما الله تعالى ـ وذهب أصحاب الشافعى إلى أنه لم يكن واجبا ، وإنما كان تطوعا ، واحتجوا بأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر المفطرين بالصوم ، يعنى بإنشاء الصوم فى أثناء النهار ، قالوا : « وهذا لا يجوز إلا فى صوم التطوع ، وأما الواجب فلا يجوز إلا بنية قبل الفجر » ، وهكذا احتجوا بأنه لم يأمر المفطرين بالقضاء .

وظواهر الأحاديث ـ على قدر علمنا ـ أقوى من هذه المفاهيم ، ولتحرير هذه الخلاف موضوع غير هذا الموضع الذى لم يُقصد فيه إلى التحرير ، ويمكن مراجعته فى المطولات ، أو فى « زاد المعاد من خير هدى العباد » للعلامة ابن القيم رحمه الله ، حيث العبارة الطليّة ، والإشارة الذكية ، والمناقشة المرضيّة ، وننقل منه هذه الأسطر التى يقول فيها معلّلاً صحة القول بأن صوم يوم عاشوراء كان واجبا(١١) :

« لأنه قد ثبت الأمر به ، وتأكيد الأمر بالنداء العام ، وزيادة تأكيده بالأمر لمن كان أكل بالإمساك ، وكل هذا ظاهر قوى فى الوجوب » .

قلت : ثم نُسخ هذا الوجوب برمضان ، نقل الإجماع على ذلك الإمام ابن عبد البر ، قال ابن حجر(١٢) :

« ونقل ابن عبد البر الإجماع : على أنه الآن ليس بفرض ، والإجماع على أنه مستحب » ، ولعله احترز بقوله (الآن) لأن القاضى عياضا نقل أن بعض السلف ـ يرحمهم الله تعالى ـ كان يرى بقاء فريضة عاشوراء ، قال الحافظ : « لكن انقرض القائلون بذلك » .

وإذا كانت الفرضية قد نسخت بالاستحباب ، فإنه بقى مع الاستحباب مزية ، بل مزايا ؛ من أولها ما يكون لصائم هذا اليوم من خير عند الغفور الرحيم سبحانه ، فقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله تعالى أن يكفر السنة التى قبله » .

وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول :

« ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتحرى صيام يوم فضّله على غيره إلا هذا اليوم ـ يوم عاشوراء ـ وهذا الشهر ـ يعنى شهر رمضان » .

فيا هنيئا لمن صام هذا اليوم إيمانا واحتسابا ، ياهنيئا له هذه الغنيمة الباردة : أن يكفر له حول كامل من الذنوب والسيئات .

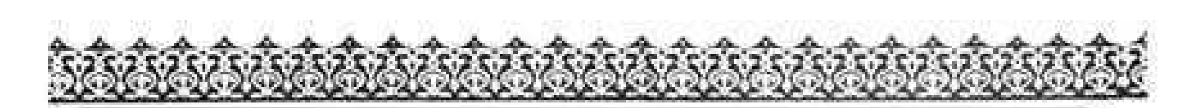
ومن ذا الذى يتقاعس عن نيل هذه الفضيلة العالية بهذا العمل القليل ؟

---

(١٠) رواه مسلم .

(١١) زاد المعاد لابن القيم ط/ الرسالة ٢/ ٧٥ .

(١٢) فتح البارى : ٦/ ٢٤٦ .



نحن أولى بموسى منهم:

بيد أن المزية السابقة ليست هي المزية الوحيدة التي بقيت من معطيات هذا اليوم الكريم ، فمن الملاحظ أن نبي الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لما أخبرته اليهود أن يوم عاشوراء هو اليوم الذي نجى الله فيه موسى من آل فرعون ، وأنه صامه ، الملاحظ أنه علق على ذلك بقوله : « نحن أولى بموسى منهم » .

فصامه ، وأمر بصيامه هذا الأمر الحاث الجازم ، حتى أنه دفع الذي أفطر أول يومه أن يمسك .

هذا التعليق القولي ، واللازم العملي ، يعطي دلالة قوية على موقف أمتنا من الأنبياء السابقين ، وتوصيفا حيا لعلاقتها بهم :

« نحن أولى بموسى منهم » بل نحن أولى بكل نبي من قومه - حسب ما تقضيه شريعتنا الغراء ، وحسب ما نرى في الأسطر القادمة شواهد له إن شاء الله تعالى .

هذه الأمة الخيرة الكريمة الوسط هي التي رفع الإسلام شأنها ، فكانت أمة آخر الزمان هي أمة الزمان كله ، ألسنا نقرأ في الكتاب قول الله تبارك اسمه :

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى[13] :

« إن أحق الناس بإبراهيم ونصرته وولايته ﴿ للذين اتبعوه ﴾ يعني : الذين سلكوا طريقه ومنهاجه فوحدوا الله له مخلصين له الدين ، وسنوا سنته ، وشرعوا شرائعه ، وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به ، (وهذا النبي) يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم - ﴿ والذين آمنوا ﴾ يعني : والذين صدقوا محمد - صلى الله عليه وسلم وآله وسلم - ، وبما جاء به من عند الله تعالى :

ومثل ذلك قالت طائفة من السلف ، منهم قتادة والربيع وابن عباس ، قال قتادة : (كان محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذين معه من المؤمنين أولى الناس بإبراهيم) .

والذي يتأمل سياق الآيات الكريمات يتبين أن الحق سبحانه قد تجاوز عن اعتبار اليهود والنصارى - صراحة وتلميحا - في ولاية إبراهيم - حيث قال :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران : ٦٧ ، ٦٨) .

قال العلامة المفسر الفقيه أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي في تفسيره[14] : (أخبر الله سبحانه في هذه الآية عن حقيقة أمر إبراهيم ، فنفى عنه اليهودية والنصرانية والإشراك ، الذي هو عبادة الأوثان ، ودخل في ذلك الإشراك الذي تتضمنه اليهودية والنصرانية .

أمة الزمان كله :

إلى أن قال : « ثم أخبر تعالى - إخبارا مؤكدا أن أولى الناس بإبراهيم الخليل - عليه السلام - هم القوم الذين اتبعوه على ملة الحنيفية ، وهنا يدخل من اتبع الحنيفية في الفترات ، وهذا النبي ◆

(١٣) تفسير الطبري ط/ دار المعارف : ٦/ ٤٩١ .

(١٤) تفسير ابن عطية : ٢/ ١٥٨ .

محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه بعث بالحنيفية السمحة ».

ثم ألسنا نقرأ في كتاب الله تعالى ما يدل على أننا أولى بموسى من بني إسرائيل واقعا وعدلا ؟

ولو اعتبرنا الصيغة الماضية سؤالا استفهاميا ، فإنما تتحدد الإجابة عن هذا التساؤل : من أولى الناس بالرجل ، هل هم الذين اتهموه وسبوه ؟ أم الذين برّأوه وأيدوه ؟

إذا جاءك هذا فاعلم أن بني إسرائيل قد اتهمت موسى وآذته ، وأن براءته ظلت في كتابنا (القرآن) كتاب - أمة محمد - أمة آخر الزمان - بل أمة الزمان كله ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب/٦٩) .

وروى البخاري وغيره في تفسير هذه الآية عن أبي هريرة :

إن موسى كان رجلا حييا ستيرا ، لا يرى من جلده شيء استحياء ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل ، فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص ، وإما أدرة ، وإما آفة .

وإن الله - تعالى - أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإذا الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون .

فذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب/٦٩) .

وروى الحديث من حديث أنس بن مالك في المسند - وفي بعض رواياته :

« .. فقالت بنو إسرائيل : قاتل الله الأفاكين ، وكانت براءته » .

هذا الخبر الموثق في كتبنا - نحن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - يدل على أمر خطير ، مؤداه أن اتهام موسى - عليه السلام - كان عندهم ، وأن براءته سجلت عندنا ، ويبحث الباحث عن أثر هذه البراءة في كتبهم فلا يجد له أثراً ! مع أن هذه الكتب سجلت من حياة موسى بعد البعثة ما هو أقل شأنا من ذلك ، أما قبل البعثة فالعهد القديم لا يذكر إلا قصة ولادته ، وتبني القصر الفرعوني له ، ثم خبر قتله لأحد المصريين ، ويقول مؤلفو (قاموس الكتاب المقدس)[١٥] : « ولا نعلم شيئا عن تفاصيل حياته في هذه المدة » .

ومع ذلك فإن ما قصته السنة النبوية المطهرة من أخلاق موسى ، ومنزلته عند الله تعالى ، لا تجده في كتب بني إسرائيل التي أغرقت في الحكايات القليلة الجدوى .

فمن أحق بموسى ؟ أمة محمد - التي تذكر أنه يقوم النبي - صلى الله عليه وسلم - حين ينفخ في الصور فيجد موسى عليه السلام باطشا بالعرش ، وأنه مثل أعلى للصبر ، وأنه حَيِيٌّ ستير ، وأنه يدافع عن التوحيد ويغضب لله ؟

أم قوم موسى - الذين اتهموه ثم نسبوا إليه في كتابهم من الكذب ما نسبوا إليه ، فهو الذي يقول - ويزعمهم[١٦] : « في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض ، وفي اليوم السابع استراح وتنفس » .

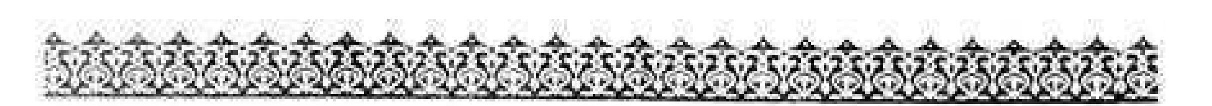
ويقول للرب - واعظاً إياه[١٧] : « لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من

---

(١٥) قاموس الكتاب المقدس ط/ مجلس الكنائس العالمي : ص ٩٣١ .

(١٦) سفر الخروج : ٣١/ ١٨ .

(١٧) سفر الخروج : ٣٢/ ١٣ .



مصر ؟ .. ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك » .

ويبدو أن هذه الموعظة قد أحدثت أثرها فى هذا الرب العجيب ، إذ يقول كاتب سفر الخروج[18] :

« فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه » !!

ولكن مع ذلك الرب (!) ينقلب على موسى وهرون ـ عليهما السلام ـ فى آخر الأمر لأنهما ليسا من المؤمنين به ـ فى نظره ! ـ حيث يقول[19] :

(من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين إسرائيل ، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها) .

وهكذا بقية الأنبياء :

أما عن هارون ـ أخى موسى ووزيره ، وعضده ونصيره ـ فحدث ولا حرج ، ويحسب المرء أن يقرأ فى كتب القوم ليعلم أن هارون ـ عليه السلام ـ هو الذى صنع لبنى إسرائيل العجل الصنم من الذهب ، ولبث معهم يعبده ، ويشرب الخمر ويرقص معهم حوله ، وبراءته من هذا الشرك القذر مسطورة فى كتابنا الكريم :

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۞ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

(طه ٩٠/٩١) .

إلا أن دور أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حفظ مكانة الأنبياء لا يقتصر على موسى وهرون ، وإنما يمتد لأنبياء ما قبل (إسرائيل) ، ولأنبياء ما بعد موسى عليهم جميعا فهؤلاء جميعا ذخرت لهم الشهادة الصالحة ، والذكرى واحدا واحدا ، لكن نجتزىء بما يغنى إن شاء الله .

هذا نوح عليه السلام : يؤتى به يوم القيامة مع قومه ، فيسأل : هل بلغكم ؟ فيقولون لا . ماجاءنا من نبى . فيقول الله لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول عليه السلام : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فنشهد أنه قد بلغ ـ وهو قوله جل ذكره :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

(البقرة/١٤٣)[20] .

ونوح ـ عليه السلام ـ عندنا ـ هو الداعية إلى التوحيد ، الذابّ عن الله سبحانه ، الذى أقام ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو إلى الحق ، ويظهر الهدى والخير ، فأين هذا كله فى أسفار القوم ؟؟ هذه أمته تنكرت له فى الدنيا والآخرة ، فماذا صنعت به بنو إسرائيل ؟

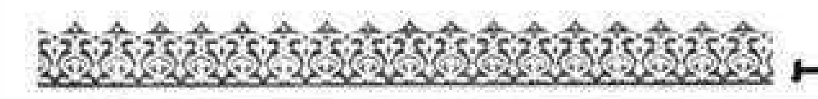
لم يذكر العهد القديم حرفا عن توحيد نوح أو دعوته للتوحيد ، وإنما ذكر فى الإصحاحات (السادس والسابع والثامن والتاسع) من سفر التكوين تطور حياة نوح وبعض أعماله ـ ممزوجة بأهواء الإسرائيليين ـ ولم ينس بنو إسرائيل أن يؤذوا نوحاً عليه السلام ، بقولهم فى الإصحاح التاسع[21] :

« ... وشرب (يعنى نوحاً) الخمر ، فسكر ، وتعرى داخل خبائه ، فأبصر (حام) أبو كنعان ـ عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجا .. » إلخ .

فمن أولى بنوح إذن : قومه الذين أنكروه ؟ أم بنو إسرائيل الذين لمزوه ؟ أم أمة محمد التى حفظت عندها قدره وأكرموه ؟

---

(١٨) سفر الخروج : ٣٢/ ١٥ .
(١٩) سفر العدد : ١٢/٢٠ .
(٢٠) رواه البخارى .
(٢١) سفر التكوين : ٢١/٩ : ٢٤ .

وهذا سليمان ـ عليه السلام :

وهو الملك العظيم من أنبياء بنى إسرائيل ، الذى تصفه كتبهم بأحسن الصفات ، ولكنها جميعا صفات لا تتعلق بالنبوة ، ولا بالعلاقة بالله تعالى ، ولا حتى بالخلق القويم ، ولا تعدل ـ مجتمعة ـ قطرة واحدة فى قوله تعالى عنه : من المصحف ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ ص .

لقد استكثر بنو إسرائيل على سليمان أن يكون له صفات رجولية فى حياته ، كشدة الذكاء ، والحكمة ، والمهارة فى البناء والإدارة ، فلم يتورعوا أن يتهموه بغلبة الغرائز الجنسية ، ويكفى قراءة واحدة لسفر نشيد الإنشاد ليعلم مصداق ذلك ، وقد كتبت فصلاً صغيراً فى كتاب (الزنا المقدس) سميته (نشيد الإنشاد .. أفجر قصيدة حب فى التاريخ) . أما نشيد الإنشاد فهم ينسبونه صراحة لسليمان ، فيقولون فى أوله : « هذا نشيد الإنشاد ، الذى للملك سليمان بن داود » .

بل لم يتورعوا أن يتهموه بأنه كفر فى آخر حياته ، وأشرك بالله عز وجل اتباعا لشهوته مع النساء ، واستهواء العشيقات ، فيقول كاتب سفر الملوك الأول ـ لعنه الله تعالى :

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة .. وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه .. ، فذهب سليمان وراء (عشتورات) إلهة الصيدونيين ، و (ملكوم) رجس العمونيين إلخ ما جاء فى الإصحاح الحادى عشر من هذا السفر الكذوب .

انظر إلى هذا الكذب على نبى الله سليمان ، ثم انظر إلى هذه المقاطع من آى كتاب الله الفرقان ، ثم قارن .. حيث يقول الله تعالى :

﴿ نعم العبد ﴾ .

﴿ إنه أواب ﴾ .

﴿ وإن عندنا لزلفى وحسن مئاب ﴾ .

وحيث يقول على لسانه :

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

إلخ هذا الثناء المبارك من كتابه الكريم .

ثم أجب بعد ذلك :

من أولى بسليمان عليه السلام : هم ؟ أم نحن ؟

ولو ذهبنا نتتبع ذلك فى الأنبياء جميعا ، وفى أنبياء بنى إسرائيل خاصة لاحتاج ذلك إلى مجلد ، وستصل إلى ما وصلنا إليه ، ويصبح صدقا وعدلا وقسطا وحقا قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(نحن أولى بموسى منهم) .

إن هذه الأمة هى أمة الشهادة ـ أمة الصدق والحق والعدل والميزان .

مخالفة المشركين !

ومن ثم فهى أولى بشرع موسى ، وشرع كل نبى سبق ، مالم يكن قد نسخه شرعنا بما هو أحسن منه ، فقد جمعت شريعة آخر الزمان محاسن الشرائع ، فما كان فيها حسنا أثبته ، وما كان محتاجا إلى تحسين جاءت به على أحسن ما يكون ، ولذلك يقول الله تعالى :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ .

قال الإمام العلامة ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى[٢٢] :

(فجعل القرآن مهيمنا ، والمهيمن : الشاهد

---

(٢٢) مقدمة التفسير لابن تيمية ط/ : ٣/ ٥٢ ، ٥٥ .

الحاكم المؤتمن ، فهو يحكم بما فيها مما لم ينسخه الله ، ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يبدّل) .

ثم قال :

(ولهذا كان مذهب جماهير السلف وأئمة : أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه) .

قلت : وقد بان شيء من جلالة شرعنا الكريم ، حتى فيما وافق فيه ما سبقه من الشرائع ، في صيام عاشوراء - وبعد هذا من عجائب الدلالة على محاسن الشريعة الكريمة ، وطرائف التفسير للآية السابقة ونحوها ، فلقد صامت بنو إسرائيل يوم عاشوراء - تعظيما له واحتفالا به - إلا أنهم لم يكونوا يحسبونه بالهلال ، وإنما حسبوه بالشهور الشمسية ، فكانوا - على رغم إرادتهم صومه - لايصيبونه ، وهذا من إضلال الله لهم مزية اليوم ليدخروها لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - كما فعل في يوم الجمعة ، وصحت بذلك السنة ، ولعل إضلال اليهود يوم عاشوراء ، فالمعروف أنه صلوات الله عليه إنما قدم المدينة في شهر ربيع الأول ، قال الحافظ في (الفتح)[٢٣] :

(... ويحتمل أن يكون أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية ، فصادف يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذى قدم فيه المدينة ، وهذا التأويل مما يترجح به أولوية المسلمين وأحقيتهم بموسى عليه السلام) .

قلت :

وقول الحافظ (يحتمل) فيه بغض النظر ، لأنّا لا نعرف لليهود حسابا بالقمر ، إنما اعتمادهم على الشمس ، ويؤيد ذلك قول زيد بن ثابت في هذا اليوم :

(.. وكان يدور في السنة .. وكانوا يأتون فلانا اليهودى - يعنى لحساب موقع هذا اليوم) .

ثم هناك ملمح آخر يبنى على الملامح السابقة في اتباع هدى من قبلنا ، وهو مخالفة المشركين في طريقة العمل بهذا الهدى ، وهذا واضح من قول النبى - صلى الله عليه وسلم - حين صام يوم عاشوراء .

وقد روى مثل هذا المعنى مرفوعا من حديث داود بن على عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس - يرفعه ، ولكنى أجد في نفسى شيئا من داود ، وقد تكلم فيه ، والله أعلم بحاله ، لكن يتوقى حديثه - خصوصا ما تفرد به أو خالف الرواة فيه عن جده - مثل هذا الحديث . إلا أن المعنى صحيح ، وقد صح موقوفا ، وعليه جماعة السلف والعلماء ، أنه يتبغى خلافهم في صوم عاشوراء .

وترك التشبه بالكفار في هديهم وسمتهم الخاص واجب ، والدلالة عليه ظاهرة ، ويكفى في الإشارة إليه قوله صلى الله عليه وسلم[٢٤] :

« من تشبه بقوم فهو منهم » .

وعلى الله قصد السبيل .

---

(٢٣) فتح البارى = ٢٤٧/٦ .

(٢٤) حديث صحيح رواه احمد وابو داود ، وذكره البخارى تعليقا . وصححه الالبانى في صحيح الجامع .

حاجة الإنسانية إلى الإسلام

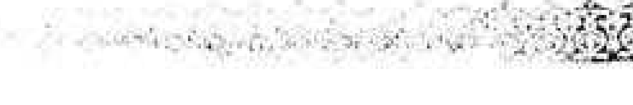
للأستاذ الدكتور
رشدى عزيز محمد

لا جدال فى أن المسلمين فى عصرنا الحاضر هم أحوج ما يكونون إلى من يأخذ بيدهم ، ليعودوا إلى طريق الإسلام ، وخاصة أن سحبا قاتمة من بريق الحضارة قد حالت بين الكثيرين منهم ، وبين تعاليم دينهم الحنيف ، وأحسب أنه قد آن الأوان كى نستجيب لرغبات مثقفى المسلمين ومفكريهم ، فى وجوب العودة إلى الإسلام ، كرسالة جامعة يلتقى حولها المسلمون فى كل أرجاء الدنيا .

فالأمة الإسلامية التى يشكل العرب فيها واسطة العقد ، وقاعدة الأساس ، تصحو اليوم على آمال جديدة ، وطموحات واسعة ، تستيقظ بعد سنوات طويلة من السبات العميق ، وتتلفت حولها فتجد نفسها راكدة منطوية على نفسها ، بينما تجد أمما أخرى كانت فى المؤخرة فأصبحت فى المقدمة ، ولذلك فهى الآن على مفترق الطرق ، تعمل جاهدة ، لتنفض عنها أوزار الكسل والركود ، ولتتعرف على الطريق الذى يهىء لها حاضراً عزيزاً ، ومستقبلاً أعز وأشرف .

وحين تكون أمة من الأمم كحالة أمتنا اليوم فى نقطة البدء ، تكثر فى سوقها بضاعة المبادىء والدعوات ، ويخرج الداعون للأفكار كل يزين بضاعته ويقدمها على صورة تأخذ بالأبصار ، والأمة الواعية هى التى تحسن انتقاء الأفضل من هذه المبادىء ، فإذا ما أساءت الاختيار ، وعجزت عن التقويم السليم للآراء المعروضة ، جلبت على

(*) الكاتب رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية .



نفسها مصائب لا تنتهى ، فالخطأ فى نقطة البدء صعب التقويم والإصلاح .

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن أبواب الفكر فى عصرنا مفتوحة على الثقافات جميعها ، فوسائل الإعلام المختلفة ، ودور النشر ، والترجمات ، كل هذا سهّل انتقال الآراء والأفكار ، فأصبح من المستحيل أن تغلق أمة على نفسها نوافذ المذاهب والأفكار الوافدة ، من شتى الأقطار والمجتمعات .

ومن هنا اشتدت الحاجة إلى وجوب العودة إلى الإسلام ، ومعرفة جوهره ، وتعاليمه ، فهذه المعرفة بالإضافة إلى كونها ضرورية ؛ للتعرف على ما لدينا من مقومات الوجود والتقدم ، فإنها ضرورية للتسلح بها تجاه الأفكار والعقائد الأخرى ، وحين يتعرف المسلم على حقيقة دينه وسعة جوانبه وضخامة ما يستطيع أن يقدمه للإنسانية جمعاء يزداد ثقة بنفسه لثقته بعقيدته ، ويقوى أمله فى حاضر مجيد ومستقبل أمجد .

ولعل من المفيد هنا أن نلقى نظرة سريعة على حال العرب قبل الإسلام وبعده ، لندرك بجلاء مدى أهمية الإسلام ، وماجاء به من عقيدة ونظام شامل للحياة ، وما حواه من معارف سامية .

فلقد جاء الإسلام وليس للعرب شخصية فكرية متميزة ، صحيح أنهم كانوا يملكون النظرة البسيطة ، وأن لديهم أصولاً طيبة لمكارم الأخلاق ، وبداهة رائعة فى الشعر والخطابة ، إلا أنه كان ينقصهم أهم ما يكوّن الأمم ويعطيها شخصيتها والشعور بذاتها ، والثقة بنفسها ، وهو الرسالة والعقيدة التى تلتقى حولها الطاقات وتتوحد الآراء فتسير منطلقة ، وقد حددت أهدافها ، وتبينت حقيقة وجودها .

جاء الإسلام ليعطى العرب حياتهم وسر وجودهم فأمكن لهذه الإمكانيات الفطرية أن تنطلق وتبدع ، لذلك نجد حياة العرب فى الجاهلية ضحلة سبخة ، بينما نرى حياتهم مع الإسلام غنية وارفة ، لقد وضع العرب بالإسلام أيديهم على سر وجودهم فاستطاعوا أن يحققوا الكثير ، وأن يغنوا الإنسانية بالمبدأ والحضارة والتاريخ المشرق ، وظهرت بظهور الإسلام ثقافات جديدة وعلوم مبدعة ، وفنون ومعارف فى جميع نواحى الحياة ، لذا فقد نشأت الحاجة لتجديد التعرف على القرآن الكريم ، وسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فظهرت علوم التفسير والحديث والسير وعلم الرجال ، ونشأت الحاجة إلى التقنين والتشريع ، فظهرت علوم الفقه والأصول ، وطمع المسلمون إلى مزيد من التعرف على أحوال الكون ، فظهرت العلوم التجريبية والمجردة كالرياضيات والفلك والحياة ، وأرادوا الاستفادة مما عند الأمم الأخرى ، فاستجدت دراسة علوم الفلسفة والأديان والعقائد .. وشعروا بأن لغة العرب رابطة متينة بينهم لأنها لغة القرآن فبرزت الحاجة إلى علوم اللغة العربية بشتى فروعها .

وهكذا لم يكتمل القرن الرابع الهجرى حتى كانت الأمة الإسلامية أغنى الأمم علماً وفكراً ، وأكثرها كفاية وكفاءة ، وأقواها عدة وشخصية .

وقد قدم المسلمون للإنسانية أضخم تراث علمى وأدبى ، وكان الأفراد الذين جمعهم درب

◆

الثقافة الإنسانية الوارف أكثر من أن تضمهم مؤلفات فبرزت كتب طبقات الرجال ، واختص كل نوع من الكتب بطبقات معينة من المفكرين ، فهذه معاجم رجال الحديث ، وهذه معالم رجال الأدب ، وهذه طبقات الأطباء والحكماء ، وهكذا وجد من لم يجتمع لأمة من الأمم لا فى ماضيها ولا فى حاضرها .

وقد خلف آلاف الآلاف من المفكرين والعلماء ، آلاف الآلاف من الذخائر والنفائس التى زخرت بها آلاف الآلاف من المكتبات التى كانت تغطى العالم الإسلامى من مشارق الصين إلى الأطلسى ، ومن تركستان وغرناطة إلى عدن ودلهى بشكل يبهر العقول ويحير الألباب . ولقد دامت هذه الثقافة الإسلامية مدة طويلة ، وكانت أساساً للثقافة والحضارة الغربية المستقاة من تراث مفكرى الإسلام حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى / الثانى عشر للهجرة ، وكانت بذلك بداية النهضة والتقدم فى أوروبا والعالم الغربى كله .

وهنا تبرز الحاجة إلى معرفة الإسلام وعلومه وثقافاته ، إنها حاجة متجددة مع تطور الفكر الإنسانى ، وتبدو ضرورتها والحاجة إليها فى نطاق العرب والمسلمين والإنسانية جمعاء .

أما حاجة العرب إليها : فلأن الإسلام هو الذى يميز الشخصية العربية ، بل إنه هو الذى يعطى العرب شخصيتهم وتميزهم ، وإلا فما معنى العربى والعروبة لولا الإسلام ؟

وإذا نظرنا إلى الموضوع من الزاوية القومية ، وجدنا أنفسنا ملزمين بالتمسك بالإسلام ، ونظمه ، وثقافاته ، فالقومية لا تنفصل عن مضمونها ، والقومية ليست مجرد لباس أو شكل ، أو شعار خارجى ، وإنما هى حقيقة ومضمون ، وإذا كان للعرب رسالة تميزهم عن غيرهم فليست هذه الرسالة إلا الإسلام ، والعروبة لا تتميز بمجرد الشعارات الفارغة والادعاء ، وأن أية محاولة لتجريد فكرة العروبة عن الإسلام ، هى محاولة لتجريد العروبة من روحها وحياتها ، والإبقاء على هيكل عار أجوف لا خير فيه ، ولا فائدة منه .

ولعل سبب حياة الحيرة والقلق التى يحياها العرب اليوم أن عددا من الشعوب العربية تبدو تائهة عن هذه الحقيقة ، فهى تتلمس كيانها وشخصيتها من خلال نظريات ومذاهب غريبة على العرب ، ناسية أن الشخصية تنبع من الذات لا من الغير ، لأنها حصيلة تاريخ ماض ، وحاضر واقع ، ومستقبل مأمول .

هذا بالإضافة إلى أن العرب بالإسلام يصبحون من الأمم ذات الرسالات والمبادىء ، وفرق كبير بين أمة ضائعة تائهة تأخذ من هنا وهناك لترقع ثوباً لا يبدو فيه الأصالة والطرافة ، وبين أمة رائدة قائدة تفاخر برسالة وتحمل مبدأ وعقيدة .

وأما حاجة المسلمين إلى الإسلام : فلأنه هو الذى يستطيع أن يوحد هذه الشعوب التى تضم أجناسا وألوانا متعددة ، وتتكلم لغات مختلفة ، ومع هذا فإنها تحن إلى معرفة الإسلام ، وتحس إحساسا عميقا بأن لا وسيلة لنصرتها وإنقاذها من الضياع وإبعاد الأيدى التى تنوشها من هنا وهناك إلا بالإسلام ، فالمسلمون دون الإسلام مفرقون

ضائعون فاقدون لكل مقومات الحياة والاحترام ، وهم بالإسلام أمة واحدة وكيان قوى واثق من نفسه شاعر بإنسانيته وإنسانية الرسالة التى يحملها وأفضليتها ، والإسلام هو الذى يجعل من المسلمين القوة الثالثة فى العالم ، القوة التى تستطيع أن توازن بين الكتل المتصارعة ، وقد يصبحون القوة الأولى فى العالم التى تهوى إليها النفوس والأفئدة إذا أدركوا قيمة رسالتهم الوسطى ، التى تجمع بين قوة المادة وضرورتها ، وبين أهمية الروح فى السيطرة على المادة المنطلقة كيلا تضل بها الطريق ، وتتجاذبها نوازع الشر ، وشهوات الأنفس .

وأما حاجة الإنسانية إلى الإسلام : فهى لا تقل عن حاجة العرب والمسلمين . فالمذاهب التى تسود العالم الآن لا تنظر إلا للجانب المادى من الحياة ، ومن هنا كانت المصلحة والأنانية والاستغلال هى الأخلاق السائدة فى تنظيم المجتمعات البشرية ، وحين تتخلى الإنسانية عن المثل والقيم الأخلاقية تصبح الحضارة والآلة والمخترعات وسائل إضرار وينقلب الإنسان إلى وحش كاسر .

إن الاستعمار وامتصاص دم الشعوب ، واستغلال خيراتها وطاقاتها ، والرفاهية على حسابها ، كل هذه الجرائم تصبح فضائل فى ظل حضارة زائفة تخلو من الروح والخلق ، والإسلام هو الذى يملك تسخير المادة والحضارة لخير الإنسانية ، وهو الذى يستطيع أن ينقذ الشعوب من المصير الذى تساق إليه بسبب انطلاق عقال المصلحة والأنانية والاستغلال ، والإسلام هو الذى يستطيع أن يكشف زيف الحضارة الغربية المادية ، وما تنطوى عليه من متناقضات ومفارقات .

إن الحضارة لاتعنى البريق الظاهر منها فحسب ؛ وأى فضيلة لحضارة تسمح لأفرادها أن يسرقوا الشعوب ويلتهموا خيراتها ؟ والكثيرون يتلمسون سبيل الخلاص ، فالعالم الذى لم يتحرر بعد يجب أن يجد له الإسلام طريقه للخلاص ، والعالم الذى يُستغل يجب أن يقدم له الإسلام سبيل الهداية والرشاد .

والمسلمون والعرب هم المهيئون للأخذ بيد العالم ، وقد أخذوا بيده يوماً ما فعرف الناس الاستقرار فى ظل الكرامة الوافرة والإنسانية الراشدة .

إننا نثق بأن رسالة الإسلام متجددة ودائمة ، وأن الإسلام هو الرسالة الأخيرة للإنسانية ، وأن مهمة الأمة الإسلامية لم تنته بعد ، وإلا فهل انتهى الاستغلال والاستعمار واسترقاق الشعوب لبعضها ؟ وهل تحرر الإنسان من الخوف على الحياة والرزق ؟ وهل قضى على الشرك بكل صنوفه الذى يخل بكرامة الإنسان ؟

إن مهمة الأمة الإسلامية متى أخلص رجالها مهمة قيادية توجيهية وصدق الله العظيم القائل :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران : ١١٠)

والقائل :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(سورة البقرة : ١٤٣) .

والإسلام ولا شك أهل لهذه القيادة والريادة ، والمهم أن يخلص أتباعه فى تحمل مسئولياتهم ، ومتى تم ذلك فسيظل الإسلام والمسلمون بخير .

إن الإسلام فى عصرنا هذا لم ينل حظه من العناية ، وذلك لأسباب كثيرة من أهمها : ماأصاب الأمة الإسلامية من تفتت ووهن هيأ للاستعمار والمذاهب الوافدة مجالاً ليفعل كل هذا فعله فى إضعاف المسلمين ، وقد استيقظت الشعوب الإسلامية مبهورة بحضارة أوروبا والغرب ، وقوته ، وكانت مواقف مفكرى المسلمين أحد ثلاثة :

١ ـ فمن المفكرين من استسلم للحضارة الغربية ، وظن ألا طريق لاستعادة قوتنا إلا بواسطتها ، فظهر من يدعو إلى تقليد الغرب بأفكاره ونظرياته وعلومه ، أو بعبارة أخرى : اقتباس الحضارة الغربية بجميع حسناتها ومساوئها ، وقد وجد هذا التيار فى كثير من البلاد العربية والإسلامية ، وقامت على أساسه نظريات ومذاهب سياسية واقتصادية واجتماعية .

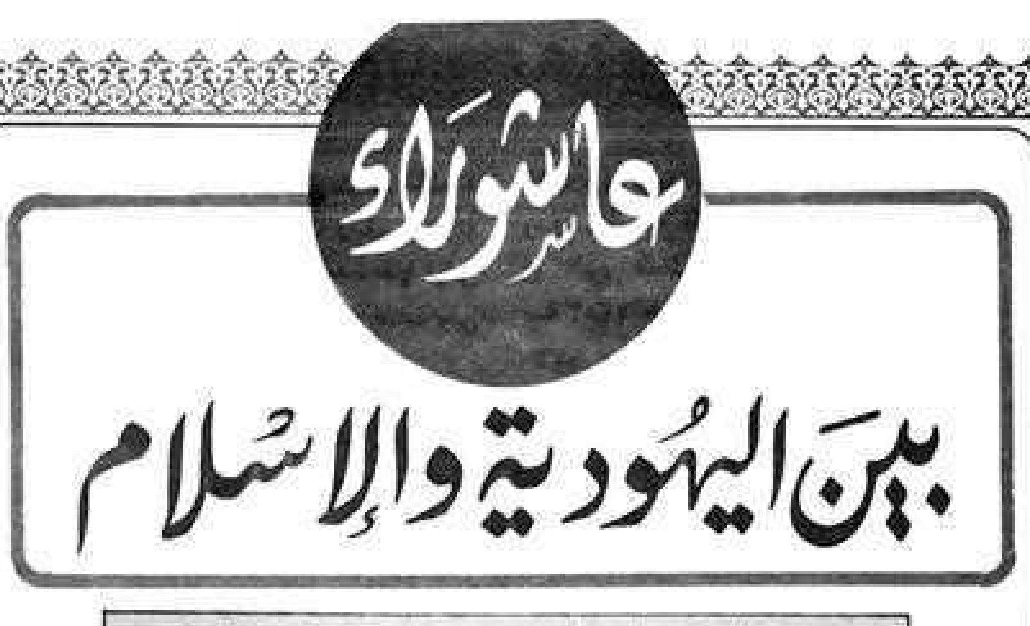
٢ ـ ومنهم من وجد أنه لا قبل له بهذه الحضارة الغربية القوية ، فظن أنه يحمى نفسه إذا أغلق الأبواب دونها ، وعاش على ما لديه دون أن يفتح باباً لتطور أو تجديد أو اقتباس ، إلا أن هؤلاء سيجدون عاجلاً أو آجلاً أن طبيعة الأشياء تأبى هذا الموقف ، وأنهم إما أن يقبلوا باقتباس المفيد وإجراء شىء من التطور والتجديد وإلا فإن تيار التاريخ سيخلفهم وسيلتفتون حولهم فى يوم فلايجدون نصيراً ولا قريباً .

٣ ـ ومن المفكرين من واجه الحضارة الغربية مواجهه الواثق من نفسه كمسلم ، المتمكن من شخصه كصاحب عقيدة خاتمة ، فميز بين الثقافة كمذهب ، ورأى وروح ، تتميز به الأمة عن غيرها ، وبين شئون الحضارة والعمران والمدنية ، وهذا هو الموقف السليم المتفق مع طبيعة الأحداث وحقائق التاريخ .

والحق : إن هذا التيار هو الطريق الأمثل أمام الشعوب الإسلامية ، فنحن بحاجة إلى شعوب تشعر بأنها المرجع للعالم كله ، لأنها تؤسس حضارة قوية قائمة على الإيمان ، والأخلاق ، والتقوى ، والرحمة ، والعدل فى جانب ، والقوة والإنتاج ، والرفاهية والابتكار فى جانب آخر ، ونحن بحاجة إلى شعوب تأخذ من الغرب ما تحتاجه البلاد ، وتفتقر إليه علمياً دون طابع شرقى أو غربى ، وليس هذا إلا العلوم التطبيقية التجريبية .

إن شعوبا من هذا النوع لن تنظر إلى الغرب كإمام أو زعيم ، وإلى نفسها كمقلد وتلميذ ، لأن هذه الشعوب تعلم أن الغرب إنما تفوق عليها بفضل ممارساته وتجاربه ، كما تفوقت عليه سابقاً ، ولئن أصبحنا الآن نتعلم من الغرب الكثير ، فهو يحتاج إلى أن يتعلم منا كما تعلم منا سابقاً ، وربما أكثر مما نتعلم منه .

إن الذى يدعو إليه هذا التيار هو محاولة الجمع بين حسنات الشرق والغرب ، وقوة الروح والمادة ، وإخراج منهج يجدر بالغرب أن يقلده ، لأنه يوازن بين حاجات النفس والجسد والروح والمادة ، بين العقل والفرد والمجتمع . . وهذا هو الإسلام .



لفضيلة الشيخ
زكريا أحمد نور •

عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم وقد وردت أحاديث كثيرة فى استحباب صوم هذا اليوم ، وأن الأحاديث التى ورد فيها استحباب صوم هذا اليوم وأصل مشروعيته ترجع إلى طائفتين ؛ أولاهما تربط بين صيام عاشوراء وصيام يوم (كيبور) عند اليهود فتقرر أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد صام عاشوراء وحبب إلى المسلمين صيامه بعد هجرته إلى المدينة حينما رأى اليهود يصومون يوم (كيبور) ومن هذه الطائفة ما أخرجه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قدم النبى عليه الصلاة والسلام المدينة فأى اليهودى يصومون يوم عاشوراء فقال : ما هذا ؟ فقالوا : يوم صالح ، هذا يوم نجى الله فيه بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى - عليه السلام - وأرسل مناديا ينادى من أكل فليمسك ومن لم يأكل فليصم وقد استدل أبو حنيفة بذلك على عدم ضرورة النية قبل صيام النفل . وثانيهما طائفة الأحاديث التى تقرر أن صيام اليوم العاشر من المحرم وهو يوم عاشوراء كان من شعائر قريش فى الجاهلية وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يصومه قبل بعثته وأنه لما قدم المدينة جرى على عادته وأمر الناس بصيامه . ومن هذه الطائفة ما أخرجه البخارى كذلك عن عائشة رضى الله عنها قالت : ←

• عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية

« كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه » .

والمشاهد من هذا العرض أنه من المتعذر التوفيق بين هاتين الطائفتين ، فإحداهما تفيد أن صيام يوم عاشوراء قد استحدث بعد الهجرة من مكة إلى المدينة وتربط بينه وبين صيام يوم كيبور عند اليهود والثانية تفيد أنه شعيرة قديمة عند قريش ، وأن الرسول كان يصومه قبل قدومه إلى المدينة وأنه بعد قدومه إليها جرى على عادته فصامه وحبب إلى الناس صيامه . ومن هنا يتضح أنه لا علاقة بين صيام عاشوراء فى الإسلام وصيام يوم كيبور عند اليهود ، وقد حاول بعض العلماء التوفيق بين هاتين الطائفتين فوقعوا فى تعسف ظاهر ، فلا مناص إذن من ترجيح إحدى هاتين الطائفتين من الأحاديث على الطائفة الأخرى ونحن نرجح الطائفة الأولى لأمرين :

الأمر الأول : إن أحاديث الطائفة الأولى تفيد أن العاشر من شهر المحرم قد وافق مجيئه يوم دخول الرسول - صلى الله عليه وسلم - المدينة وفى مدة إقامته بها ، وذلك فى يوم كيبور أى فى العاشر من شهر تشرى العبرى وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد صام العاشر من المحرم فى اليوم نفسه الذى صام اليهود فيه صيام كيبور ، أى اليوم العاشر من تشرى العبرى ، مع أنه بحسب ما سنوضحه فى هذا المقال لا يمكن أن يكون العاشر من شهر المحرم العربى قد وافق مجيئه فى العاشر من شهر تشرى العبرى فى أية سنة من السنين العشر التى قضاها الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد دخل المدينة بالتحقيق فى يوم كيبور أى فى اليوم العاشر من شهر تشرى العبرى سنة ٤٣٨٣ عبرية ، وأن ذلك كان يوافق يوم الاثنين من شهر ربيع الأول العربى ولاحظنا أن اليهود كانوا يزيدون كل ثلاث سنوات شهرا على السنة الثالثة فيجعلونها ثلاثة عشر شهرا .

وأن العرب كانوا يزيدون أحياناً بحسب ما تمليه عليهم أهواؤهم وظروفهم فى عدد شهور بعض السنين فيجعلونها ثلاثة عشر شهرا أو أربعة عشر شهرا : وأنه قد ترتب على تراكم هذه الفروق أن وقع كل شهر من شهور السنة التاسعة من الهجرة فى موقع الشهر السابق له أى أن الخلل فى الشهور العربية طوال مدة إقامة الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة لم يكن ليزيد على شهر واحد متقدم عن موعده ، إذا لاحظنا هذا كله يتبين لنا أن العاشر من شهر تشرى العبرى قد تردد مجيئه فى السنين العشر التى قضاها الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة بين شهور ربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ولا يمكن مطلقا أن يكون قد جاء فى المحرم .

والأمر الثانى : أن اليهود لا يصومون هذا اليوم تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله فيه سيدنا موسى وبنى إسرائيل من فرعون وكيده ويسر لهم الهجرة من مصر كما تذكر أحاديث الطائفة الأولى ، وإنما يصومونه للاستغفار وطلب التكفير عما اقترفوه من آثام فى أثناء العام ولإحياء ذكرى العفو من خطيئتهم الأولى وهى عبادتهم العجل الذهبى فى أثناء غياب نبى الله موسى عنهم لتلقى الكلمات من ربه ، فاليهود يعتقدون أنه فى هذا اليوم نفسه عاد موسى من طور سيناء وعفا الله عما

اقترفوه فى أثناء غيبته واسم هذا اليوم نفسه (كيبور) أى الكفارة يدل على ذلك .

أما اليوم الذى يحتفلون فيه بذكرى نجاة موسى وبنى إسرائيل من فرعون وكيده فهو عيد الفصح ويقع فى الرابع عشر من شهر نيسان كما وضح ذلك العلماء .

يوم عاشوراء فى الإسلام وعند اليهود :

لعل اللبس بين يوم عاشوراء فى الإسلام ويوم كيبور أو يوم عاشوراء عند اليهود كان منشؤه أن كليهما هو عاشر يوم من أول شهر فى السنة ، فعاشوراء المسلمين هو اليوم العاشر من شهر المحرم وهو أول شهر فى السنة العربية ، وعاشوراء اليهود هو اليوم العاشر من شهر تشرى وهو أول شهر فى السنة العبرية المدنية (وإن كان سابع شهر فى سنتهم الدينية) كما سنوضح ذلك بعد .

أو لعل منشأ هذا اللبس أنه فى السنة الحادية عشرة من الهجرة وهى السنة التى انتقل فيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الرفيق الأعلى . جاء العاشر من شهر المحرم (عاشوراء) فى العاشر من شهر نيسان العبرى سنة ٤٣٩٣ عبرية ونيسان هو أول شهر من شهور السنة الدينية عند اليهود أى أن العاشر من أول شهر فى السنة العربية جاء هذا العام متفقا مع العاشر من أول شهر فى السنة العبرية الدينية ، ولكن العاشر من شهر نيسان لا يسمى لدى اليهود عاشوراء ، ولم يرد لديهم فيما نعلم نص بصيامه ولعله كان من الأيام التى يعظمونها ، وبخاصة لأنه أول سنتهم الدينية أو أول الشهر الذى يقع فيه أكبر أعيادهم وهو عيد الفصح فى الرابع عشر منه ولعلهم كذلك كانوا يصومونه تطوعا .

طائفة ثالثة من الأحاديث الخاصة بعاشوراء :

وردت طائفة ثالثة من الأحاديث الخاصة بعاشوراء توضح أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما صام عاشوراء فى آخر سنة من حياته قيل له أنه يوم تعظمه اليهود ، فكره التشبه بهم وحرص على مخالفتهم وقال لئن سلمت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر ولكن لم يأت العام المقبل حتى توفى الرسول عليه الصلاة و السلام . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (لما صام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عاشوراء وأمر بصومه قالوا يارسول الله . . يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال : إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع) . قال (فلم يأت العام المقبل حتى توفى الرسول عليه الصلاة والسلام) رواه مسلم وأبو داود .

وعبارة (تعظمه اليهود والنصارى) الواردة فى النص تحتمل أنه كان يوما معظما لديهم فحسب ولم يكن من أيام صيامهم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود) وفى رواية أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ندب إلى صيام يوم قبله ويوم بعده إمعانا فى حرصه على مخالفة اليهود وقد استخلص الإمام ابن القيم من الأحاديث الواردة فى صيام عاشوراء أن أكمل الحالات : أن يصام

يوم قبله ويوم بعده ، ويليها أن يصام التاسع والعاشر ، ويلى ذلك صيام العاشر فقط .

التقويم الذى يسير عليه اليهود :

كانت السنة العبرية سنة قمرية عدتها اثنا عشر شهرا قمريا ، ولكنهم كانوا يزيدون عليها كل ثلاث سنين شهرا كاملا فكانت السنة الثالثة ثلاثة عشر شهرا ويبلغ عدد أيامها (٣٨٤) يوما وكانوا يفعلون ذلك حرصا منهم على أن يقع رأس سنتهم دائما بين شهرى سبتمبر وأكتوبر الشمسيين ، أى أن ذلك كان محاولة منهم للتوفيق بين سنيهم القمرية والسنين الشمسية حتى تجيء الفصول والأعياد المرتبطة بالفصول فى مواقيتها .

والشهور عند اليهود معروفة بأسمائها الآتية :

(تشرى ـ حشوان ـ كسلو ـ طيبت ـ آب ـ أيلول ـ شباط ـ آذار ـ نيسان ـ آيار ـ سيوان ـ تموز) أما الشهر الثالث عشر الذى كانوا يزيدونه على سنتهم الكبيسة وهى السنة الثالثة فكانوا يضعونه بين آذار وشهر نيسان ويسمونه آذار الثانى فهذه سنتهم المدنية ، أما السنة الدينية فكانت تبدأ من شهر نيسان .

فاليهود جعلوا سنتهم الدينية تبدأ من الشهر الذى يقع فيه أكبر عيد من أعيادهم وهو عيد الفصح فالسنة الدينية تكون على هذا الأمر :

(نيسان ـ آيار ـ سيوان ـ تموز ـ آب ـ أيلول ـ تشرى ـ حشوان ـ كسلو ـ طيبت ـ شباط ـ آذار (آذار الثانى فى السنة الكبيسة) . فأول شهر فى السنة الدينية عندهم (نيسان) وهو سابع شهر فى السنة الدنيوية .

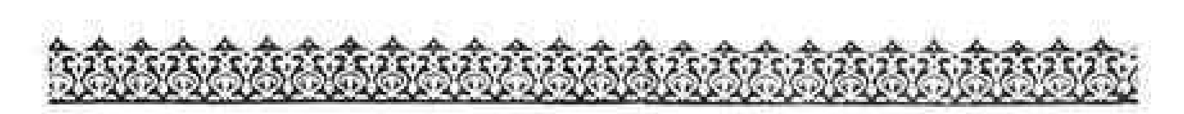
وأول شهر فى سنتهم الدنيوية أو المدنية (تشرى) هو سابع شهر فى سنتهم الدينية .

عيد الفصح هو يوم الاحتفال بنجاة موسى من فرعون :

ما أشيع أن اليهود يصومون يوم عاشوراء احتفالا بنجاة موسى وبنى إسرائيل من فرعون كلام خطأ والصواب أن اليهود يحتفلون بنجاة موسى وبنى إسرائيل من فرعون يوم عيد الفصح وهو أهم أعيادهم جميعا ويقال له يوم الفصح أو يوم الخروج أو يوم المرور أى اليوم الذى خرج فيه بنو إسرائيل من مصر ، ويقيم اليهود هذا الاحتفال فى مساء اليوم الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم الدينية وهو شهر نيسان أو الشهر السابع من سنتهم المدنية .

العاشر من تشرى غير العاشر من المحرم

لليهود عيد يسمى عيد (كيبور) أو عيد الكفارة ويقع فى اليوم العاشر من الشهر السابع من سنتهم الدينية وهو شهر تشرى الشهر الأول من سنتهم المدنية ، ويحتفل اليهود بهذا اليوم ويصومونه للتكفير والاستغفار وطلب العفو عما اقترفوه من خطيئتهم الأولى ، وهى عبادتهم العجل الذهبى فى أثناء غياب موسى عنهم لتلقى الكلمات من ربه ، وذلك أنهم يعتقدون أنه فى هذا اليوم عاد موسى من طور سيناء وعفا الله عما اقترفه اليهود من خطيئة العجل الذهبى واستقبله القوم صائمين ، فهم يسمون هذا اليوم يوم كيبور أو يوم الكفارة وصيامه صوم كيبور أى صوم الكفارة



ويسمونه كذلك يوم عاشوراء لأنه يقع فى اليوم العاشر من شهرهم السابع من سنتهم الدينية ، الشهر الأول من سنتهم المدنية ولم يفرض عليهم فيما يزعمون من أنواع الصيام إلا صيام هذا اليوم أما الأيام الأخرى التى يصومونها فصيامهم فيها نافلة بحسب اعتقادهم وهم يشترطون فى صيام كيبور أن يكون فى غير جمعة أو سبت أو أحد أو ثلاثاء فإذا وقع العاشر من تشرى واحدا من هذه الأيام استبدل باثنين أو أربعاء أو خميس .

التقويم عند العرب قبل بعثة الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

كان التقويم الذى يسير عليه العرب فى المرحلة الأخيرة من العصر الجاهلى قبل بعثة رسولنا صلوات الله وسلامه عليه تقويما قمريا تشتمل سنته على اثنى عشر شهرا قمريا ويطلق عليها الأسماء نفسها التى نطلقها عليها الآن وهى :

(المحرم - صفر - ربيع الأول - ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة - رجب - شعبان - رمضان - شوال - ذو القعدة - ذو الحجة) ، ويظهر أنه لم يكن لدى العرب حينئذ فكرة دقيقة هى مدة الشهر القمرى من الناحية الفلكية ، وهو الوقت الذى تستغرقه دورة القمر حول الأرض دورة كاملة أو الفترة الزمنية بين ميلادين متتاليين للهلال

والتى تبدأ من لحظة اجتماع الشمس والقمر على طول واحد ومقدار هذه الفترة فى المتوسط ٢٩ يوما ، ١٢ ساعة ، ٤٤ دقيقة ، ٢,٩ أو ٢,٨ ثانية .

لذلك كان العرب يسيرون فى الغالب فى تقدير هذه المدة على طريقة تقريبية فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالى تسعة وعشرين يوما إلا إذا ثبتت رؤيتهم لهلال الشهر الجديد فى ليلة غير الليلة المتفقة مع حسابهم التقريبى فيصححون بذلك حسابهم ، وفى هذا القول يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر : (أنا من أمة أمية لا تكتب ولا تحسب . الشهر هكذا وهكذا ، وأشار فى الأولى إلى مجموع أصابع يديه ثلاث مرات وأشار فى الثانية إلى مجموعها مرتين وخنس الإبهام فى الثالثة (يعنى الشهر مرة ثلاثون يوما ومرة تسعة وعشرون يوما) .

وللوقاية من حدوث خطأ فى الحساب بهذه الطريقة فقد أوجب الإسلام رؤية الهلال فى الشهور المرتبطة ببعض الشعائر الدينية مثل شهر رمضان الذى تؤدى فيه فريضة الصيام وشهر ذى الحجة الذى تؤدى فيه مناسك الحج فى أيام معينة منه وخاصة أهم ركن من أركانه وهو الوقوف بعرفة فإنه لا يصح أداؤه إلا فى مدة محددة من اليوم التاسع وليلة العاشر من ذى الحجة . وفى هذا يقول الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- فى شهر رمضان (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) .

طريقة العرب تختلف عن طريقة اليهود فى التوقيت القمرى :

لم تكن لدى العرب الطريقة التى كان يسير عليها اليهود من زيادة شهر فى كل ثلاث سنوات وجعل السنة الثالثة ثلاثة عشر شهرا للتوفيق بين السنة القمرية والسنة الشمسية ، كما ذكرنا ولكنهم كانوا يزيدون أحيانا حسبما تمليه عليهم أهواؤهم وظروفهم فى عدد شهور بعض السنين فيجعلونها ثلاثة عشر شهرا أو أربعة عشر شهرا ويرجع السبب فى ذلك إلى أنهم كانوا يحرمون على أنفسهم القتال فى الأشهر الحرم وهى أربعة أشهر (القعدة والحجة والمحرم ورجب) وأنهم كانوا يستكثرون فى بعض السنين أن يكفوا عن الحرب أربعة أشهر فى مدة اثنى عشر شهرا ، فكانوا يجعلون فى هذه السنين ثلاثة عشر شهرا أو أربعة عشر شهرا ليتسع لهم الوقت للقتال .

اضطراب مواقيت العرب قبل بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قد ترتب على طريقة التوقيت القمرى عند العرب وإضافتهم شهرا أو شهرين ليتسع لهم وقت القتال أن اضطربت مواقيتهم وترتب على هذا الاضطراب تراكم الفروق مما تسبب عنه وقوع كل شهر من شهور السنة التاسعة من الهجرة فى موقع الشهر السابق له ، فقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه لما حج بالناس فى السنة التاسعة من الهجرة لم تقع حجته بحسب التقويم الصحيح فى شهر ذى الحجة ، وإنما وقعت فى شهر ذى القعدة ، ولكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أشار إلى أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، فكانت حجة الوداع التى حجها عليه الصلاة والسلام فى السنة العاشرة من الهجرة فى مواقيتها فى شهر ذى الحجة بحسب التقويم الصحيح وهو ما أوضحه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خطبة الوداع التى ألقاها فى الحجيج فى هذه السنة فقال (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) .. أى أن الشهور قد رجعت إلى أوضاعها الفلكية الصحيحة .

وقال تعالى فى سورة التوبة الآية (٣٦) :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

ولما دخل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهاجرا المدينة إليها من مكة فى أحد أيام الاثنين وترددت أقوال العلماء بين الثانى والثامن والثانى عشر والسادس عشر من ربيع الأول فقد جاء فى رسالة (نتائج الإفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام) للباحث المحقق محمود باشا الفلكى والمقدمة للجمعية الآسيوية فى باريس (أن دخول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة كان فى الثامن من ربيع الأول وأنه لا يمكن أن يكون الثانى ولا الثانى عشر لأنهما ليسا يوم الاثنين ، وعلى أساس هذا التحقيق يمكن كذلك أن يكون دخول



الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة قد تم في الخامس عشر أو ليلة السادس عشر من ربيع الأول كما يقول بعض المؤرخين.

والحق أقول: أنه بحسب تحقيق العالم الفلكي محمود باشا وغيره من العلماء الباحثين يتضح لنا أن اليوم الذي دخل فيه الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة يوافق بالضبط اليوم العاشر من شهر تشرى سنة ٤٣٨٣ عبرية وهو يوم كيبور أو يوم الكفارة أو يوم عاشوراء عند اليهود، وكان ذلك يوافق يوم ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية.

وبهذا يكون يوم العاشر من المحرم غير يوم العاشر من شهر تشرى ويوم عاشوراء في الإسلام غير يوم عاشوراء عند اليهود، ويكون صيام هذا اليوم للكفارة وليس احتفالا لنجاة موسى وبني إسرائيل من فرعون وليس هناك مجال للقول نحن أحق بموسى منهم.

معالم دينية على طريق الهجرة النبوية - بقية -

وقد منح العطاء وأعطاه حقه وذكره، وصدق الله العظيم القائل:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

الحشر: (٩)

ولا شك أن المسلمين اليوم في كل مكان وإن لم يهاجر بعضهم إلى بعض أجساداً في حاجة إلى تلك الأخوة فقد هاجر بعضهم إلى بعض أرواحاً وأخباراً فهل لهم من إخوان يمدونهم بما هم في حاجة إليه ليعيشوا وينتصروا على عدوهم، ومن معالم الهجرة تنظيم الأعمال وتوزيعها على أهلها وأكفأ الناس للقيام بها، فهذا عبد الله بن أبي بكر يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأباه في الغار بخبر قريش، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى غنما لأبي بكر، فإذا أمسى أراح عليهما غنم الصديق فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله من عندهما إلى مكة أتبع عامر أثره بالغنم[1]، وغير ذلك من المعالم الناطقة على طريق الهجرة النبويّة، وأسأل الله - جلت قدرته - أن يوفقنا جميعاً إلى الخير بفقه ديننا، والوقوف على العبرة والعظة من سيرة نبينا - صلى الله عليه وسلم - وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد مادام الليل والنهار، وذكر الله - عز وجل - الأبرار، ونسى ذكره الفجار الكفار، إلى أن ينادى المنادى: لمن الملك اليوم ويكون الجواب: لله الواحد القهار.

(١) الروض الأنف ٢/٤.



لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

إن أشرف البقاع على ظهر الأرض هي المساجد ، لأنها بيوت الله - عز وجل - مصداقا لما رواه عبد الرزاق بسنده ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : « أدركت أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وهم يقولون : إن المساجد بيوت الله ، وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها » .

وأكد القرآن الكريم فضل المساجد بنسبتها إلى الله - عز وجل - وذلك في قول الله تعالى :

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾

(الجن : ١٨) .

ولهذا كانت العناية بالمساجد : عمارة ، وتشييداً ، وبناء ، وصلاة ، وذكراً لله - عز وجل - أمارة على الإيمان وسبيلا إلى الهداية .

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾

(التوبة : ١٨) .

وحين هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة ، وشرع في وضع الأسس الراسخة لإقامة الدولة الإسلامية العظيمة ، كان بناء المسجد في مقدمة تلك الأسس ، وبهذا أصبح المسجد محور حياة الدولة الإسلامية ، وسر قوتها ، فهو أول مدرسة في الإسلام ، تبني الأجيال ، وتصنع الأبطال ، يقول الله تعالى :

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

(التوبة : ١٠٨)

والمجتمع الإسلامي هو مجتمع النظافة، والصفاء، والطهر، والنقاء، ولا تكتسب هذه الصفات إلا من خلال التربية في المساجد، وهذه الآية الكريمة تشير إلى الطهارة الحسية، والمعنوية، لأن المسلم مطالب في صلاته بأن يكون طاهر الثوب، والبدن، والمكان، وأن يكون طاهراً من الحدثين الأكبر، والأصغر، وحين يصلي فإن الصلاة تطهره من الذنوب والآثام، بل تحفظه من ارتكابها، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى. ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

وفي بيوت الله يتطهر المسلم من الأثرة والأنانية، وحب النفس، ويصبح محبا للناس، يسعى في الخير لعباد الله جميعا. ولهذا أثنى الله - تبارك وتعالى - على رواد المساجد فقال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ﴾ (النور: ٣٦ - ٣٨).

وإذا كان المسلمون قد أنشأوا المدارس والجامعات، ووضعوا لها مناهج الدراسة، التي تشمل جميع العلوم والمعارف، كما أنشأوا العديد من المؤسسات كالمحاكم وغيرها، فإن روح المسجد ورسالته التربوية والأخلاقية والتوجيهية، ينبغي أن تسري في المدارس، والجامعات، والمؤسسات كلها، توجيها وتعليما ومناهج، وسلوكا، لأن الإسلام لا يعرف الفصل بين الدين والدنيا، أو بين العبادة والتعليم، أو بين العقيدة والسياسة أو بين مطالب الروح، ومطالب الجسد.

وقد ثبت أن الرجال الذين تمت صناعتهم في المسجد، كانوا دائماً على مستوى المسئولية، صدقا في الكلام، والفعل، ونظافة في اليد، وطهارة في القلب، ونقاء في السريرة، ووفاء بالعهد، وشجاعة في الحق، ولهذا منحهم الله نصره وتأييده، لأنهم جنوده. وهم الذين أشار إليهم قول الله تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ ﴾ (الأحزاب: ٢٣).

وقد كان المسجد على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - داراً للفتوى، وكثيراً ما كان يأتي الناس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد، يستفتونه في شئون دينهم ودنياهم، فيفتيهم كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلقى الوفود والسفراء في المسجد، ومن المسجد كانت تنطلق غزوات المجاهدين في سبيل الله، وإليه تعود بعد أداء مهمتها، ولهذا حالفها نصر الله وتأييده.

وقد كان المسجد داراً للقضاء، والفصل بين المتخاصمين، حيث يأمن فيه كل إنسان على نفسه، ويطمئن على أخذ حقه، يقول الله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ (ص: ٢١ - ٢٢).

قال الإمام القرطبي في تفسيره: «ليس في القرآن ما يدل على القضاء في المسجد إلا هذه الآيات. وبها استدل من قال: بجواز القضاء في

المسجد ، ولو كان ذلك لا يجوز كما قال البعض لما أقرهم داود ـ عليه السلام ـ على ذلك . ولقال لهم انصرفا إلى موضع القضاء .

وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء من بعده يقضون بين الناس فى المسجد .

وقد كان المسجد داراً لتوثيق عقود الزواج ، لما رواه الترمذى وغيره ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه فى المساجد ، واضربوا عليه بالدفوف » .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتكف فى المسجد بضعة أيام ؛ مشتغلا بالعبادة ، وبهذا يكون الاعتكاف سنة مأثورة ، وقد وردت الإشارة إلى الاعتكاف فى قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ ﴾

(الحج : من الآية ٢٥) .

وفى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ ﴾

(البقرة : من الآية ١٢٥) .

وقد ورد : أن سعد بن معاذ لما أصيب يوم الخندق ضرب عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب .

والمسجد كان ولا يزال أفضل مكان للتشاور بين المسلمين ، فى كل شأن ، من شئون دينهم ، ومعيشتهم ؛ لأن المسلم فى المسجد يكون بعيداً عن هوى النفس ونزغات الشيطان .

ولكى يعود للمسجد دوره الريادى فى نهضة الأمة وتقدمها ، واستعادة مجدها ، فإنه ينبغى أن يمكن للمسجد كى يؤدى رسالته الروحية ، والتعليمية ، والاجتماعية ، دون قيود ، لكى يعود كما كان محوراً للعديد من المجالات النافعة للأمة ، كأن يلحق به مستوصف طبى ، لمعالجة المرضى ، ورعاية الجرحى ، وأن يلحق به ناد للشباب يمارسون فيه رياضة بدنية خفيفة ، ويقومون بأنشطة ثقافية ، وترفيهية بريئة ، وأن يضم مكتبة للقراءة والمطالعة يتزود فيها رواد المسجد بالثقافة الرفيعة .

وكما كان المسجد على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ موئلا للفقراء والمساكين ، وأهل الصُّفَّة ، فينبغى أن يعود له هذا الدور فى رعاية الفقراء والمساكين ، وتقديم العون لهم .

والحرص على صلاة الجماعة ، وسيلة ممتازة للتعرف على ظروف هؤلاء وأحوالهم ، وهذا فى الواقع يعد هدفا من أهداف الإسلام حين رغب فى صلاة الجماعة ، وحث عليها .

عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان ، كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية . فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد[1] » .

وينبغى كذلك أن يقوم المسجد بدوره فى رعاية الطلاب ، وتقديم العون لهم ، كى يتفوقوا فى دراستهم ، تخفيفا عن كاهل أولياء أمورهم ،

---

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند

ولكي تتوثق علاقة الشباب بربه عن طريق ارتباطه بالمسجد .

ولأن المساجد بيوت الله ، التي يقصدها الصالحون من عباد الله ؛ لكي يتطهروا من الذنوب والآثام ، ولكي يتزودوا بكل نافع من الثقافة والعلم والمعرفة ، ولكي يزدادوا إيمانا على إيمانهم ، ولأن الأمة في حاجة ماسة إلى هذه النوعية الممتازة من الرجال الأطهار ، الذين تربوا في بيوت الله ، فإنه يجب أن يشجع أهل الخير على الإكثار من بناء المساجد ، والعناية بها ، وأن تقام المساجد في كل المؤسسات بشكل عام ، وفي المدارس والجامعات والمصانع بشكل خاص .

كما يجب أن يشجع أولاد المسلمين بكل الوسائل على ارتياد المساجد والتردد عليها بانتظام ، حتى يألفوها ، وتتعلق قلوبهم بها . ضمانا لحسن تنشئتهم وتربيتهم على طاعة الله ، والبعد عن معصيته ، وتوجيههم إلى أن يراقبوا الله في أقوالهم وأفعالهم ، ولكي يكونوا ضمن من عناهم رسول الله بقوله : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...... وشاب نشأ في طاعة الله تعالى . ورجل قلبه معلق بالمساجد ..... »[2] .

ولهذا فإنه ينبغي أن تفتح المساجد أبوابها ، في كل وقت ، لكي يتردد عليها زوار الله وضيوفه ، دون أن يحول بينهم وبين ذلك حائل مادي أو معنوي .

ولا يجوز بحال من الأحوال أن يتعرض ضيوف الرحمن لأية مضايقات أو إهانات ، أو إيذاء أو تشويه لصورتهم ، أوتشكيك في مقاصدهم ، ونواياهم .

وعجبا لقوم يسيئون إلى رواد بيوت الله بعد أن شهد لهم الله ورسوله .عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان »[3] .

قال الله عز وجل :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾

(التوبة : ١٨)

هذا قليل من كثير مما يمكن أن يقوم به المسجد ، لكي تنهض هذه الأمة من عثرتها ، وتسترد مكانتها بين الأمم ، قائدة ورائدة ، كما يريد الله لها ، وعلى نحو ما كان عليه حال السابقين ، ومن تبعهم بإحسان .

يقول الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(البقرة : ١٤٣) .

هذا سبيل المؤمنين الصادقين ، وهذا طريق الأولين ، الذين مكن الله لهم في الأرض ، وجعلهم الوارثين . والله هو الهادي إلى سواء السبيل .

---

(٢) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . وتمام الحديث : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) ، متفق عليه .

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن ورواه ابن حبان والحاكم .



الحضارة وأزمة الوعى الأخلاقى

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

شاركت فى ندوة ثقافية دعيت إليها مع نخبة من رجال العلم والثقافة ، وكان موضوعها موضوعا من مبتكرات التكنولوجيا المعاصرة جدا ، وهو كما حددته الندوة : « حبوب منع حمل الرجل » أو كما عدلته إلى : « حبوب قتل الذكورة فى الرجل » ، وهو موضوع ولا شك يثير الدهشة فى النفس ، اندهاشا يختلف أثره من إنسان لآخر ، فهناك من يدهش من غرابته ، ومن يدهش من التآمر التكنولوجى ، فزعا على مستقبله ، وهناك من تحولت دهشته إلى إعجاب شديد بذلك التقدم الهائل للطب البشرى ، ولا شك حين تتعاكس التجارب ويناقض بعضها بعضا فهذا تلقيح صناعى ، وذاك قتل للذكورة ... الخ ، وتكون الأبحاث العلمية قد خرجت بالقيمة الإنسانية عن مجال التقدير والإعظام إلى سوق السلع والأدوات التى تباع وتشترى مجزأة كقطع الغيار .

من اجل ذلك نظرت المسألة من زاوية أخرى ، غير التى تهم الطب وتجاربه ، وهى كما بدت لى : أن هذه التجارب وأمثالها قد أدت إلى مزيد من تشوش الوعى الأخلاقى للإنسان المعاصر ، وطرحت استفهامات أمام - الوعى الأخلاقى والدينى ، إن لم يتداركها الإنسان فإنها قد تهدد مستقبله ، أو تجرف الحضارة إلى الانهيار ، من الممكن أن يكون الطب قد انتهى منها تجربة ونتائج صالحة له ، لكن الموقف الإنسانى ، والأخلاقى والدينى لم يبته منها بعد ، بل مازال يلح فى تساؤله : ماهى القواعد الأخلاقية للتلقيح الصناعى ؟ وما معنى تأجير ، أو استعارة رحم أنثى ، لنمو طفل لأنثى غيرها ؟ وما هو المعنى الأخلاقى من وراء استخدام التكنولوجيا ، لتجميد البويضات الملقحة ، التى يمكن أن تؤخر ولادة الطفل لمدة أكثر من عام ؟ وماهى الكلمة النهائية فى ظاهرة نقل الأعضاء ؟

استفهامات عسيرة الإجابة عنها ، من الجانب الأخلاقى لم تكن لتظهر لولا التقدم التكنولوجى للمعرفة الطبية .. تلك الاستفهامات أحدثت جدلا واسعا ، حول مضمونها الأخلاقى ، فبعضهم يرى : أن التجارب إذا ارتبطت بالقواعد



الأخلاقية قد تعوق المعرفة الطبية ، والبعض الآخر يؤكد الرأى السابق وينتصر لتجارب الطب ، ويرى أنها تهدف إلى رفاهية البشر ، وتعزيزا للمعرفة .

أما الذين يرون أن مأساة الإنسان المعاصر الحقيقية ، تكمن فى انفكاك المعرفة عن قيم الأخلاق ، ويسوقون تجارب أطباء « هتلر » لزيادة رفاهية الجنس الآرى ، ومزيدا من تعذيب الجنس السامى ، فكان يجرى التجارب البشعة على أفراد الجنس السامى ، وكان يجمع العديد منهم ، ويحقنهم بمواد مختلفة (سامة ، مهيجة ، مهدئة ، ولا يخفى أن أطباء هتلر هم الذين اكتشفوا عقار « الهلوسة » ثم استخدمه « الجستابو » فى شئونه .

كذلك يقدمون شهادات أطباء التجارب أنفسهم دليلا على مأساة الإنسان ، فهذا الطبيب العالمى « جاك تستار » الذى يعتبر الأب الشرعى لأول طفل أنابيب فرنسى ، قرر فى عام ١٩٨٦ أن يمتنع عن الاشتراك فى المزيد من التجارب الطبية ، وظل من ذلك الوقت يدعو إلى إيقافها وتجريمها ، وحين سأله بعض المحاورين عن سبب تمرده على التجارب الطبية ، وعن دوافعه الحقيقية لهجر مهنة الطب ؟ رد « تستار » عليه بقوله : إن الناس يؤمنون دائما بنزاهة الأطباء الذين يقصرون أنفسهم فى المعامل ، لاكتشاف مصل جديد قد يشفى البشرية من داء عضال ، ولكن التجربة الواقعية التى مررت بها كطبيب ، قد أكدت انتفاء الدوافع الأخلاقية من أهداف معظم التجارب الطبية ، وأن الاعتبارات المادية ، والتجارية تحكم كل شىء ، وأنه لذلك قرر اعتزال مهنة الطب .

من هنا بدأ الإنسان يعى الثمن الفادح ، لما يطلق عليه اسم « التقدم التكنولوجى » ولا شك فى أن التقدم فى حد ذاته شىء طيب ، وإنما يجب أن ننظر للحضارة الإنسانية : هل تقدمت بالفعل كما تدعى ؟ وماهى مظاهر هذا التقدم ؟

يضرب مؤرخو الحضارة المعاصرة مثالا مقارنا بين تقدم وتقدم ، أنه فى بداية القرن السابع عشر كان ديكارت يثبت الوجود الإنسانى بمقولته الشهيرة : « أنا أفكر ، إذن أنا موجود » ، أما إنسان العصر الحالى ، فإنه يقول : « أنا أستهلك .. إذن أنا موجود » ، وشتان مابين المقولتين ، لقد أصبحت الحضارة الإنسانية سلعة إستهلاكية ، وهنا تكمن مشكلة الإنسان المعاصر ، حين بدأ يعانى تخلف حضارته فى الجانب الأخلاقى ومظاهره ، كانت تلك التجارب الطبية ، وهنا بدأ البحث عن علاج ، أو حل مناسب لتلك المشكلة ، ففى فرنسا تكونت لجنة لتحقيق هذه الغاية ، بقرار من رئيس الجمهورية فى عام ١٩٨٣ يرأسها البروفيسور « جان برنار » هى « اللجنة القومية الفرنسية للأخلاق الطبية » تضم بين أعضائها أطباء وعلماء فى علم الحياة ، كما تضم الكثير من علماء الدين ، ورجال القانون ، وأعضاء برلمان .

ولكنى أرى أن مثل هذا الإجراء ربما يحكم السلوك ، لأنه لا يربى المسئولية الفردية بوازعها الأخلاقى فى الفرد ، التى هى العامل الأساسى فى تكوين الوعى الأخلاقى ، لذلك ينبغى التركيز على المضمون الدينى فى الحضارة حتى يكون الإنسان أكثر قربا من الله ، وأكثر إدراكا للمثل : العدل ، والخير ، والجمال ، والحب ، وإذا فشل الإنسان فى تحقيق ذلك الهدف ، فما السبب فى ذلك الفشل ؟ فياترى هل يرجع إلى الإنسان ذاته ، فى عدم اكتشافه الجوهر الحقيقى للدين ؟ أم إلى فشل المؤسسات الدينية فى عدم تقديم الإجابات الشافية للمشكلات الأخلاقية للإنسان المعاصر ؟

آية قرآنية لها أثر في حياتي

للأستاذ / الربيـع الغـزالى

الحمد لله الذى جعلنا من أهل القرآن . . هذا الكتاب الإلهى الحكيم ، الذى أنزله الله تعالى ، على رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم .

إن القرآن الكريم ، كان له الأثر الأكبر ، على مسار الإنسانية كلها ، ولا يزال كذلك إلى الآن ، وإلى آخر الزمان ، يعم بنوره وعطائه ، من آمن به من الناس ، ومن لم يؤمن . . فلقد عدل هذا الكتاب الإلهى الحكيم ، موازين الحياة ، وصحح العقيدة ، وفرق بين الحق والباطل . . فاهتدى من اهتدى ، وضل من ضل ممن تثبت عليهم الأمور ، ورانت على قلوبهم وأفهامهم الضلالات والأوهام .

وكان من عمل القرآن ، فى حياة الإنسانية كلها ، مؤمنها وكافرها ، أنه فتح الأبواب واسعة ، للعلوم والمعارف ، التى لم تكن معروفة للناس ، يتغلغل فى أغوارها : هؤلاء وهؤلاء ، وينهل منها هؤلاء وهؤلاء ، كلّ بما شاء الله له ، ليكون من مضطربهم الواسع فى الحياة ، منافع للناس كافة ، ولتسارع خطى الحضارة الإنسانية ، على آمادها البعيدة ، إلى غاياتها المنشودة .

ولقد شاء الله لنا ـ وله سبحانه الحمد والمنة ـ أن يجعلنا من الفئة المؤمنة به ، وبكتابه الكريم ، وبنبيه العظيم . . وفى هذا أقول :

الحمد لله الذى قد خصنا
منه بنعمة دينه وهدانا
وأنار بالقرآن ليل حياتنا
لنرى الحياة ونورها : القرآنا

* الكاتب رئيس تحرير مجلة «صوت العروبة» سابقا .

ونسير في نهج النبي محمد
هو رحمة لله قد أولانا

●●●

القرآن الكريم لقد كان له أثره العظيم في حياتي كلها ، منذ النشأة الأولى ، وحتى الآن ، وإلى ما شاء الله .

وكم من آيات القرآن الكريم آيات كان لها عندي أثرها الخاص .. وكم من آيات تفيض عليّ من أنوارها ، ومن أبعاد معانيها ، معاني نورانية وروحانية ، لها آثارها البعيدة ، في نفسي ، وفي قلبي ، وفي حياتي .. فإذا أنا عدت إليها ، مرة بعد مرة ، رأيت لها من الفيض في نفسي ، فوق الذي كان .. وفي كل مرة ، يكون لها معي شأن أي شأن .. وتتعدد الشئون والخواطر ، والمعاني ، يمد بعضها بعضا ، ولا يتعارض منها شيء مع شيء .. وسبحان من جعل هذا من أسرار الإعجاز ، في القرآن الكريم .

ومن بين هذه الآيات ، آية لازمني أثرها منذ صباي الأول : (عام ١٩٢٠) ، فهي نصب عيني دائماً قائمة ساطعة .. وهي في قلبي لها استقرارها ، وفي نفسي لها أثرها .. لم يزايلني نورها وهداها ، على امتداد حياتي كلها .. هذه الآية هي قول الله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن : ٤٦) .

في السنة الأولى من دراستي الثانوية بالتعليم العام ـ وكانت على عهدنا ، تبدأ بعد المرحلة الابتدائية مباشرة ـ دار حديث بيني وبين ابن عم لي ، كان قد لحق بي في الإسكندرية ، ليلتحق بالمعهد الأزهري الابتدائي .. وفي شجون الحديث ، حدثته عن أمر ، حثت الله فيه ، وامتنعت عن إتيانه .. فإذا هو ينبري إليّ في حماسة شديدة ، ووجه متهلل ، وينطق بلهجة صادقة مؤثرة بقول الله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن : ٤٦) .

بهرني الموقف ، وأشرقت الآية بنورها في نفسي ، وأحسست أن الله تعالى ، يقدم إليّ بها شهادة ، أفوز فيها برضوانه ، مرتين .

وإذا كانت الجنتان جائزتين عظيمتين ، لمن يخاف مقام ربه ، فإن هذا الرضوان من الله ، وهو الأكرم ، وهو الأعظم .

وأحسست أن الله تعالى يرسم لي دستور حياتي ، بهذه الآية العظيمة ، ينطق بها في هذه الحماسة ، وبهذا الإشراق ، صبي من أهلي ، في مثل سني .

وصارت هذه الآية ، منذ ذلك الحين دستورا لي وقانونا ، لا يتخلف عني ، ولا أنفك منه ، طوال حياتي .. فما هممت بأمر ، أو ساورتني فكرة ، أو خطر لي خاطر ، إلا رأيت هذه الآية أمام عيني ، تتلألأ بأنوارها .. وفي أغوار قلبي ، يهتز بأسرارها ، وفي قرارة نفسي ، تتصرف على هداها ، فلا أتخذ قرارا ، فيما أكون بصدده ، من فعل أو قول ، أو فكرة تخطر ، إلا بهدي من هذه الآية الكريمة ، وفي ضوء من نورها :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن : ٤٦)

وفي هذه الغمرة من أنوار هذه الآية العظيمة ، يملؤني إحساس عميق ، بالقرآن كله ، تربطني به هذه الآية ، فيشيع في نفسي بأنوار آياته : نور الهدى ، إيمانا بالله ، ولزوما حبيبا لمنهجه الإلهي الحكيم .



ثم يملؤنى إحساس قوى غامر ، بأن هذه الآية تحملنى على أجنحة من نور ، فتضعنى فى رحاب قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾

(الزمر صدر الآية ٦٧) .

وناهيك بما يملأ القلب ويغمر النفس ، فى هذا المقام ، من إحساس بعظمة الله ، وهواننا نحن على أنفسنا ، أمام جلال الله وعظمته .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

(الزمر : ٦٧) .

أين المفر من قبضة الله ، وأين المهرب ؟

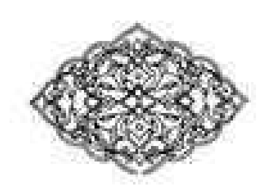
الا .. ما أشد الخوف من مقام ربنا .. وما أحوجنا إلى هذا المقام ، من الخوف منه جل علاه ، لنضع أنفسنا ، فى دنيانا وفى آخرتنا ، فى هذا المقام ، أمام الله ، راجين أن نكون أمام ربنا سبحانه فى مجال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾

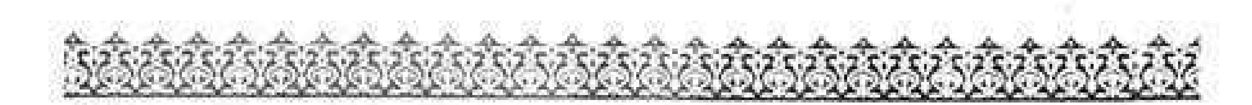
(الرحمن : ٤٦)

الا .. وإن الله تعالى يرانا ، ظاهرا وباطنا ، وفى كل حال من أحوالنا .. يرانا ونحن فى مضطرب الحياة : عاملين أو متحركين .. يرانا فى حركاتنا وسكناتنا .. يرانا أيقاظا أو نائمين .. يرى أفكارنا وخواطرنا وفضائل نفوسنا ويعلم خائنة أعيننا وما تخفى صدورنا .. يرى نوازعنا وما نفكر فيه ، أو نهم به ، أو نعمله من خير أو شر .

وإنى لأمضى فى مضطرب حياتى كلها ، وأنا أرى الله تعالى ينظر إلىّ ويرانى ، ويعلم من أمرى وأمر نفسى ، ما أعلمه ، وما لا أعلمه ، من أمر نفسى ، وتغمرنى الرهبة منه ، ويأخذنى الخوف من مقامه ، ويخفق قلبى ، ويردد لسانى ، فى خوف ورهبة ، قول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (الأنعام : ٩١) .. ثم يخفق قلبى ويردد لسانى وأنا طامع فى رحمته ورضاه :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾





حدث في شهر المحرم

عبر القرون

إعداد الأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

هذا الباب محاولة لرصد أحداث هامة فى تاريخ أمتنا الإسلامية وقعت فى أشهر العام الهجرى ، وهى محاولة لن تخلو من قصور لأسباب عدة أهمها : أن المصادر التاريخية فى بعض الأحيان تغفل تماماً تحديد الشهر ، وتكتفى بتحديد السنة التى وقع فيها الحادث وهو أمر ألجأ كثيراً من الباحثين إلى تجاهل تحديد اليوم والشهر الذى وقع فيه الحادث اكتفاء بتحديد سنة وقوعه فقط .

وإذا كانت المصادر القديمة أغفلت تحديد البعض ، فإن المصادر التى أرخت لوقائع وأحداث العالم الإسلامى اعتباراً من القرن العاشر الهجرى تكاد تتجاهل كلية تحديد شهر وقوع الحادث مكتفية بتحديد السنة ، اللهم إلا بعض الوقائع هنا وهناك .

لذا نستميح القارىء العذر وندعوه معنا إلى متابعة عملنا وتزويده بما يسد أوجه القصور فيه إن أمكن ، والله المستعان .

● فى آخر المحرم من السنة السابعة للهجرة ، خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خيبر[1] واستخلف على المدينة : (نميلة بن عبد الله الليثى) فلما انتهى إليها حاصرها حصناً حصناً ، يفتحه الله ـ عز وجل ـ عليه ويغنمه ، ◄

(١) ويرى مالك بن أنس ـ رحمهما الله تعالى ـ أن فتح خيبر كان فى السنة السادسة للهجرة ، انظر : ابن حزم الأندلسى ، جوامع السيرة ، تحقيق د / إحسان عباس ود / ناصر الدين الأسد ط دار المعارف بمصر ص ٢١١ .

حتى استكملها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخمسها ، وقسم نصفها بين المسلمين ، وكان جملتهم من حضر الحديبية فقط ، وأرصد النصف الآخر لمصالحه ولما ينوبه من أمر المسلمين .

واستعمل اليهود الذين كانوا فيها بعدما سألوا ذلك عوضا عما كان صالحهم عليه من الجلاء على أن يعملوها ، ولرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النصف مما يخرج منها من ثمر أو زرع ، وقد اصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غنائمها (صفية بنت حيى بن أخطب) لنفسه فأسلمت ، فأعتقها ، وتزوجها ، وبنى بها فى طريق المدينة[٢] .

وقد أهدت إليه امرأة من يهود خيبر شاة مصلية مسمومة ، فلما انتهش من ذراعها أخبره الذراع أنه مسموم ، فترك الأكل ، ودعا باليهودية ، فاستخبرها : « أسممت الشاة » ؟ فقالت : نعم . فقال : « ما أردت من ذلك » ؟ فقالت : أردت إن كنت نبيا لم يضرك ، وإن كنت غيره استرحنا منك ، فعفا عنها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل : إن (بشر بن البراء بن معرور) كان ممن أكل منها ، فمات ، فقتلها به[٣] .

● وفيه من عام ١٢ هـ انتصر المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ على جيوش الفرس بقيادة هرمز فى معركة (ذات السلاسل) وفى بدايتها خرج (هرمز) ودعا (خالدا) للمبارزة ، فأجابه ، وكان هرمز قد طلب من بعض رجاله أن يغدروا بخالد أثناء المبارزة ويقتلوه ، ولكن خالدا تمكن من قتل هرمز الذى فشل جنوده فى النيل من خالد أثناء المبارزة رغم إحاطتهم به من كل جانب ، وانقض (القعقاع ابن عمرو التميمى) الساعد الأيمن لخالد بن الوليد بالجيش على جموع الفرس الذين انهارت معنوياتهم بمقتل قائدهم ، وسميت هذه المعركة بـ (ذات السلاسل) لأن هرمز قيد جنوده بالسلاسل لكيلا يفروا[٤] .

● وفى ٢١ من المحرم عام ١٣ هـ كتب الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ إلى خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ رسالة جاء فيها : « .. أما بعد : فإذا جاءك كتابى هذا فدع العراق ، وخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم ، وهم فيه ، وامض متخففا فى أهل قوتك من أصحابك ، الذين قدموا العراق معك من اليمامة ، وصحبوك فى الطريق ، وقدموا عليك من الحجاز ، حتى تأتى الشام ، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين ، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك » وقدم عليه بالكتاب : (عبد الرحمن بن حنبل الجمحى)[٥] .

● وفيه من عام ١٤ هـ حشد أمير المؤمنين : عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ جموع المسلمين

---

(٢) ابن كثير ، الفصول فى اختصار سيرة الرسول ، تحقيق محمد العيد الخطراوى ، محيى الدين مستو ، ط ١٣٩٩/١٤٠٠ ، مؤسسة علوم القرآن / دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ص ١٦٧ : ١٦٩ .

(٣) رواه أبو داود فى كتاب الديات ـ مرسلا ـ عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، باب فيمن سقى رجلا سما ، وأطعمه فمات ، أيقاد منه ؟

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط الثانية ١٣٨٧ هـ دار الفكر العربى ، القاهرة ، جـ ٦ صـ ٣٨٥ : ٣٨٧ .

(٥) الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ، ط مؤسسة سجل العرب ١٩٧٠ القاهرة صـ ٦٨ .

المتطوعين لحرب الفرس بالقرب من المدينة عند ماء يدعى (صرار) وكان المسلمون قد تعرضوا لهزيمة مريرة فى معركة (الجسر) فى ٢٣ من شعبان عام ١٣ هـ وقتل فيها « أبو عبيد بن مسعود الثقفى) قائد جيش المسلمين ، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عندما بلغه الخبر : « والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب » وكان أول ما عمل أن كتب إلى عماله فى الكور والقبائل وذلك فى ذى الحجة عام ١٣ هـ مع مخرج الحجاج إلى الحج فجاءته أوائل القبائل التى طرقها على مكة والمدينة ، ومن كان على طريق العراق وهو إلى المدينة أقرب ، توافوا إليه بالمدينة مع رجوع الحج ، وأخبروه عمن وراءهم أنهم يجدون فى أثرهم ، واختار عمر لقيادة هذا الجيش سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ الذى قاد المسلمين إلى نصر حاسم أسقط به إمبراطورية الفرس فى معركة القادسية(٦) .

● وفيه من عام ١٦ هـ توفيت السيدة : (مارية) رضى الله عنها ـ زوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأم ولده إبراهيم ، وكان عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يحشر الناس لجنازتها بنفسه ، وصلى عليها ودفنها بالبقيع ـ رضى الله عنها(٧) .

● وفيه من عام ٢٤ هـ تولى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ الخلافة عقب مقتل الخليفة عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى ٢٣ من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ على يد فيروز المجوسى الملقب بأبى لؤلؤة(٨) .

● وفى آخر المحرم من عام ٣٧ هـ انتهت الموادعة المعقودة بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وبين معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنه ـ إبان الخلاف الذى كان قد شجر بينهما بشأن القصاص من قتلة الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وكان جيشاهما قد التقيا فى (صفين) فى شعبان من عام ٣٦ هـ ، ودارت المراسلات بين الطرفين بهدف توحيد الكلمة ، وطالت المراسلات حتى اتفقا فى النهاية على الموادعة إلى آخر المحرم من عام ٣٧ هـ ، ثم دارت رحى الحرب بينهما من جديد(٩) .

● وفيه من عام ٦٥ هـ انتصر الخليفة الأموى (مروان بن الحكم) على (الضحاك بن قيس الفهرى) زعيم عرب قيس المضرية فى موقعة (مرج راهط) ، كان الضحاك بن قيس قد رفض مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة ، وبايع عبد الله ابن الزبير وذلك عقب وفاة الخليفة الأموى (معاوية الثانى) سنة ٦٣ هـ حيث شهدت الشام انقساما حادا بسبب المنافسة بين أفراد البيت الأموى ، إذ أصبح كل منهم يطمح إلى الخلافة ويرى نفسه أحق بها من غيره ، وانتهى الأمر بمبايعة أنصار بنى أمية وعلى رأسهم (عرب اليمنية) لمروان بن الحكم ، فى حين مالت

---

(٦) ابن كثير . البداية والنهاية . جـ ٦ ط ٢ صـ ٣٩ : ٤١ . الطبرى . تاريخ الأمم والملوك . ط ١٩٢٩ جـ ٤ صـ ٨٧ .
(٧) ابن كثير . الفصول فى اختصار سيرة الرسول ﷺ صـ ٢٢٦ .
(٨) انظر قصة بيعة عثمان فى مقالنا بعدد شهر ذى الحجة ١٤١٨ هـ .
(٩) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ . ط ١٣٠٣ هـ القاهرة . جـ ٣ صـ ١١٤ .

(المضرية) بزعامة (قيس) إلى عبد الله بن الزبير الذى كان قد دعا لنفسه بالخلافة[١٠] .

● وفى المحرم من عام ١٢٧ هـ هُزم شيعة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الذى دعا لنفسه بالخلافة فى الكوفة بعد أن أغراه شيعته بأخذ البيعة لنفسه ، على أن كثيرا منهم فروا أثناء القتال ، ولم يثبت للحرب منهم غير بنى ربيعة ، والزيدية ، الذين ظلوا يقاتلون حتى أخذوا لأنفسهم ولعبد الله بن معاوية الأمان من الخليفة الأموى إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك على أن يرحلوا حيث شاءوا[١١] .

● وفيه من عام ١٨٧ هـ أمر الخليفة العباسى (هارون الرشيد) بقتل (جعفر بن يحيى البرمكى) وحبس أبيه يحيى وسائر أبنائه ، وأصدر أوامره إلى الأقاليم بمصادرة أموال البرامكة وأملاكهم . كان جعفر بن يحيى البرمكى قد أطلق سراح يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، الذى كان قد خرج على طاعة الرشيد وأخذ البيعة لنفسه فى بلاد الديلم ولكن الرشيد كان قد نجح فى الإيقاع به ، وأودعه السجن[١٢] .

● وفى المحرم من عام ٢٠٠ هـ نجح (هرثمة بن أعين) قائد جيش الخليفة العباسى (المأمون) فى إلحاق الهزيمة بجنود (محمد بن إبراهيم العلوى) الذى خرج على المأمون بالكوفة فى جمادى الآخرة عام ١٩٩ هـ ، وصار يدعو إلى : (الرضى من آل محمد) ونجح قائد جنده (أبو السرايا السرى بن منصور الشيبانى) فى الاستيلاء على الكوفة من يد واليها العباسى ، على أن (هرثمة) تمكن من دخـول الكـوفـة واسـتردادهـا ، واضـطر (أبو السرايا) إلى الخروج منها هو ومن معه من الطالبيين[١٣] .

● وفيه من عام ٢٠٢ هـ خلع زعماء البيت العباسى الخليفة (المأمون) من الخلافة ، وبايعوا عمه (إبراهيم بن المهدى) ولقبوه بـ(المبارك) بعد أن نقل المأمون الخلافة إلى العلويين بتوليته (على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق) والذى لقبه المأمون بـ(الرضى من آل محمد) العهد من بعده وأخذ البيعة له بذلك ، وزوجه ابنته ، وزوج (محمد الجواد بن على الرضى) ابنته الأخرى ، بل أمر الناس بخلع السواد شعار العباسيين واستبداله بالخضرة[١٤] .

---

(١٠) تاريخ اليعقوبى ، ط ١٣٥٨ هـ المكتبة المرتضوية بالنجف ، جـ ٣ صـ ٣ ، وانظر أيضاً : الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ صـ ٤١٥ .

(١١) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ صـ ٥٩٩ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٥ صـ ١٢٢ .

(١٢) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ صـ ٤٨ : ٤٩ ، ابن طباطبا ، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ط ٢ دار المعارف القاهرة ١٩٣٨ صـ ١٨٦ .

(١٣) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٦ صـ ١٠٤ ، ١٠٥ .

(١٤) المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ١٩٣٨ ، جـ ٣ صـ ٣٤٩ : ٣٥٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، صـ ١٩٢ ، ١٩٣ ، الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ١٩٣٨ صـ ٣١٢ .

● وفى ١٠ من المحرم عام ٦٥٦ هـ عبرت جيوش التتار بقيادة (باجو) أحد قادة (هولاكو) نهر دجلة واستولت على الجانب الغربى من بغداد بعد أن ألحقت الهزيمة بالجيش العباسى ، أما فى الجانب الشرقى من المدينة فقد استمر الجيش العباسى فى المقاومة حتى اليوم التاسع عشر من شهر المحرم عام ٦٥٦ هـ ، ثم لم يلبث التتار بقيادة (هولاكو) أن اجتاحوا هذا الجانب ، يقول ابن طباطبا : « فجرى من القتل الذريع والنهب العظيم ، والتمثيل البليغ ما يعظم سماعه جملة ، فما الظن بتفاصيله ؟ »[١٥] .

● وفى ٨ من المحرم عام ١٢١٣ هـ وصل إلى ميناء الإسكندرية عشر سفن حربية إنجليزية تلتها خمس عشرة سفينة أخرى بهدف البحث عن سفن الأسطول الفرنسى التى خرجت من ميناء طولون الفرنسى ، ولا يعلمون وجهتها بعد أن فقدوا أثرها فى البحر المتوسط وحاول الإنجليز التفاهم مع السيد محمد كريم حاكم الإسكندرية وعرضوا عليه أن ترسو السفن الإنجليزية فى عرض البحر للتصدى للأسطول الفرنسى فى حالة ظهوره أمام السواحل المصرية ، وطلبوا فقط إمدادهم بالماء والطعام بثمنه ، فرفض السيد محمد كريم حيث رأى أنها مكيدة إنجليزية تهدف لاحتلال مصر وأجابهم بقوله : « هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل فاذهبوا عنا » فغادر الإنجليز سواحل الإسكندرية[١٦] .

● وفى ١٨ من المحرم سنة ١٢١٣ هـ وصلت سفن الأسطول الفرنسى إلى سواحل الإسكندرية وضمت ما يقرب من ٥٠٢ سفينة حربية تحمل ستاً وثلاثين ألف مقاتل ، ومائة واثنين وعشرين عالما فى شتى المجالات العلمية ؛ واستولى قائد الحملة (نابليون بونابرت) على مدينة الإسكندرية ومنها سار إلى القاهرة من طريق الصحراء الممتدة غرب فرع رشيد ، فقابله (مراد بك) أمير أمراء المماليك بمصر عند مدينة شبراخيت بالبحيرة فى ٢٩ من المحرم فهزمه بونابرت وواصل مسيرته نحو القاهرة[١٧] .

● وفى نهاية المحرم سنة ١٢١٣ هـ وجه (نابليون بونابرت) قائد الحملة الفرنسية على مصر رسالة إلى شعب مصر باللغة العربية افتتحها بعبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله ، لا ولد له ولا شريك له فى ملكه » ومما جاء فيها : « . . . وأننى أكثر من المماليك أعبد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأحترم نبيه والقرآن العظيم . . إن جميع الناس متساوون عند الله . . إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون ، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى(*) وخربوا فيها كرسى البابا الذى يحث النصارى على محاربة الإسلام . . . » .

ومما جاء فيها أيضاً : « . . . كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار . . . » .

(١٥) ابن طباطبا . الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية صـ ٢٩٦ ، ٢٩٨ .
(١٦) الجبرتى . تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . دار الجليل ـ بيروت جـ ٢ صـ ١٧٩ ، ١٨٠ .
(١٧) الجبرتى . المصدر السابق جـ ٢ صـ ١٨٠ . محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية العثمانية . تحقيق د / إحسان حقى . ط ٢ ١٩٨٣ دار النفائس ـ بيروت صـ ٣٧٢ ، ٣٧٣ .
(*) يقصد روما .

وختم الرسالة بقوله : « . . . والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله ـ سبحانه وتعالى ـ لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالٍ : أدام الله إجلال السلطان العثمانى ، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى ، لعن الله المماليك ، وأصلح حال الأمة المصرية . . . »[١٨] .

● وفى ٢١ من المحرم عام ١٢١٥ هـ لقى الجنرال (كليبر) قائد الحملة الفرنسية فى مصر مصرعه على يد شاب سورى يدرس بالأزهر وهو (سليمان الحلبى) كان كليبر قد ارتكب مذابح بشعة فى إخماد ثورة الشعب المصرى ضد الاحتلال الفرنسى ، وتشكلت محكمة لمحاكمة (سليمان الحلبى) قررت حرق يده اليمنى أولاً ، ثم حرقه حتى الموت فوق الخازوق ، وقررت المحكمة كذلك إعدام أربعة آخرين من طلاب الأزهر هم : السيد عبد القادر الغزى ، ومحمد الغزى ، وعبد الله الغزى ، وأحمد الغزى لأنهم كانوا يعلمون بنية سليمان الحلبى وعزمه على قتل كليبر ، ولم يبلغوا السلطات الفرنسية[١٩] .

● وفى ١٠ من المحرم سنة ١٢٢٢ هـ احتل الإنجليز بقيادة الجنرال (فريزر) الذى قاد حملة عسكرية قوامها خمسة آلاف جندى مدينة الإسكندرية ، ثم سير فرقة عسكرية إلى مدينة رشيد لاحتلالها ، ولكنها انهزمت ولم تقو على احتلال رشيد[٢٠] .

● وفى ١٦ من المحرم عام ١٣٥٨ هـ احتج الأزهر الشريف على وضع قوة من الشرطة البريطانية فى المسجد الأقصى الشريف ، وطالب بضرورة إخراج تلك القوة من المسجد رعاية لشعور المسلمين وتهدئة لخواطرهم[٢١] .

● وفيه من عام ١٣٩١ هـ رفض المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أى حل لا يعيد جميع الأراضى المحتلة إلى العرب ، وفى مقدمتها مدينة القدس بكاملها ـ سيادة وإدارة ـ كما رفض المؤتمر فكرة تدويل القدس بأية صورة من الصور ، واستنكر المؤتمر استمرار إسرائيل فى تغيير معالم القدس ، والعدوان على آثارها الدينية والتاريخية والحضارية ، وطالب الأمم المتحدة بتنفيذ قراراتها المتعلقة بذلك وردع إسرائيل عن المضى فى جرائمها[٢٢] .

---

(١٨) الجبرتى ، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ٢ صـ ١٨٤ .

(١٩) المصدر السابق ، جـ ٢ صـ ٣٥٧ : ٣٨٧ .

(٢٠) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، صـ ٣٨٩ ، الجبرتى ، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ٣ صـ ١٧٧ : ١٨٧ .

(٢١) حلة ، محمد على (دكتور) ، جهود الأزهر الشريف فى دعم قضية فلسطين والقدس الشريف ، ملحق مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٨ صـ ١٦ ، نقلا عن : الأهرام ، ١٠ مارس ١٩٣٨ .

(٢٢) قرارات مجمع البحوث الإسلامية .



فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

يجيب عنها

لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ
السيد العراقى شمس الدين

السؤال من ع . ر . خ

أخذت من زوجتى مبلغا من المال وأكملت قيمة بناء منزل ليكون ذلك المنزل شركة بيننا ، الثلث لى والثلثان لزوجتى ويريد كل من الزوج والزوجة التنازل عن ذلك البيت للبنات بيعا وشراء مع العلم أنه لا يوجد لنا أبناء ذكور ، وأن لى إخوة ذكورا وإناثا ولزوجتى إخوة ذكوراً وإناثاً ونريد ألا نترك هذه المسألة للظروف ولكننا نريد أن نفعل ما يرضى الله - سبحانه وتعالى - .

إجابة على ما ورد فى الرسالة الموضحة عاليه ، نقول وبالله وحده التوفيق إن رغبة كل منكما - الزوج والزوجة - فى التنازل عن البيت المشترك بينك وبين زوجتك بطريق البيع والشراء إنما هو مقصود منه منع البقية من الميراث وهذا البيع الصورى ينقلب إلى وصية تنفذ فى ثلث التركة ، والباقى يوزع حسب الأنصبة الشرعية المقررة فإذا كانت بنتا واحدة فلها نصف الباقى بعد احتساب ثلث التركة وصية ، وإن كانت البنات أكثر من واحدة فلهن الثلثان والباقى بعد الثلث الذى يخرج من التركة بالوصية ، والباقى من التركة فى المنزل يكون للعصبة ، ومادمتما تريدان رضاء الله تعالى وتحرصان على ذلك فإن ترك الأمر على ما هو عليه بدون كتابة هو الأولى بالقبول عند الله تعالى .

الله يتولاكما ويصلح بالكما .

السؤال

من السيد/ صفوت عزيز المحامى :

هل اختلاف الدين مانع من موانع الإرث أو من الوصية ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وبعد :

فنفيد بأن اختلاف الدين مانع من موانع الإرث ، واختلاف الدين لا يمنع من الوصية ، والوصية تكون فى حدود ثلث التركة فإن زادت عن الثلث فيلزم إجازة الورثة لها والله أعلم ؟

السـؤال

من السيد/ م . ع

هل يجوز للمسلم أن يكفل يتيما مجهول الأبوين ؟

الجـواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد ؟

فنفيد بأنه لا مانع شرعا من كفالة اليتيم حتى ولو كان مجهول الأبوين لأن الإسلام الحنيف حين حرم التبنى لم يمنع من كفالة اليتيم ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة ـ وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى » هذا والله تعالى أعلم ؟

السؤال

من محمد منصور الشيخ :

أردت إقامة مشروع تسمين ماشية وإنتاج ألبان ، ولما لم يكن معى رأس المال الكافى فقد أشار علىّ بعض الإخوان بطلب قرض من صندوق التنمية الاجتماعى ، وهو هيئة مستقلة ، علما بأن هذا القرض يسدد بفائدة ٧٪ بعد فترة سماح لعدة سنوات فهل القرض بهذا الوضع حلال أم حرام؟

برجاء التكرم ببيان وجه الحل أو الحرمة مع وافر التحية وعظيم التقدير .

الـجـواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله . وبعد :

فنفيد بأنه إذا أمكن تمويل هذا المشروع بالقرض الحسن ، أو المشاركة ، أو المضاربة فلا داعى حينئذ للجوء إلى القرض بفائدة من صندوق التنمية الاجتماعى ، لأن هذا من القرض الذى جر نفعا ، وهو من باب الربا المحرم ، أما إذا تعذر تمويل هذا المشروع بواسطة القرض الحسن ، أو المشاركة أو المضاربة ، فإن كان هذا المشروع المزمع إنشاؤه تتوقف عليه ضروريات الحياة لمن سيقوم به فلا مانع عند بعض العلماء من اللجوء إلى الاقتراض المنوه عنه سابقا للضرورة ، وإن كان الأفضل اتقاء للشبه البعد عن هذا والتماس الرزق من باب لا شبهة فيه والله يغنى من يشاء من فضله ، وهو الغنى الحميد ، والله أعلم .

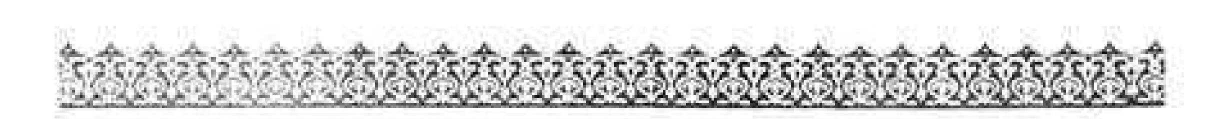
سـؤال

يوجد مسجد به قبر مدفون فيه شيخ وبأعلى القبر مقصورة فى الجزء الخلفى الأيسر من صحن المسجد . . وتقام بصحن المسجد ترميمات والمطلوب هل يمكن رفع تلك المقصورة ومساواة الأرض تحتها بالرخام مع إعادة وضع المقصورة مكانها وتقليص حجمها ؟

الـجـواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وبعد :

فإنه لا مانع شرعاً من ترميم المسجد ومنه فرش أرضه بالرخام ، ولكن لا يجوز الاعتداء على مكان



قبر الشيخ المدفون تحت المقصورة بطمس معالم القبر برخام متساو ، مع أرض المسجد ، ففى ذلك ضياع لمكان القبر وربما يأتى مستقبلا من يزيل هذه المقصورة ، وفى ذلك عدم وفاء لصاحب المكان الذى اتخذه قبرا وأوقفه على ذلك ولا يجوز الاعتداء على أوقاف الغير مهما كانت الأسباب هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

سؤال من

السيد/ عبد التواب حسن :

أرجو معرفة الحكم الشرعى فى قنوت الصبح ومعرفة حكم ختام الصلاة ، وهل يجوز الدعاء بغير المأثور ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

وبعد ؟

فنفيد بأن القنوت فى صلاة الصبح من سنن الصلاة وبعض المذاهب تقول بالجهر فيه والبعض الآخر يقنت بالدعاء سرا ولو أتى المصلى به أثيب عليه ولو تركه لا يعاقب عليه ، وإن كان الأفضل الإتيان به فى الركعة الثانية بعد الرفع من الركوع ، كما أنه لا مانع شرعا من الإتيان به عند الشدائد فى أية صلاة ، وللقنوت دعاء مأثور يفضل الدعاء به وإذا لم يعرف المصلى هذا الدعاء فلا مانع شرعا من القنوت بما يعرفه .

وختام الصلاة من كمالها كما ورد فى السنة المطهرة ، ولا مانع من الجهر به ، إلا إذا تسببت فى التشويش على المصلين فيسر به . ولا ينبغى أن تكون هذه الأمور محل خلاف عند جماعة المسلمين لأنها ليست من أركان الدين ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .

والله تعالى أعلم .

بالتخطيط المحكم والتنظيم السليم تمت الهجرة . بنبة

لقد كانت الهجرة : حدثا فذا من الأحداث الإسلامية الكبرى التى يجب أن تظل معانيها عالقة فى قلوب المسلمين ، تحمل إليهم سمات العظمة التى تحفزهم إلى بناء أمجادهم ، ودعم حياتهم ، ودفعهم إلى العيش الرخى الرغيد ، وهكذا كانت الهجرة نصرا للمؤمنين ، ونورا للمجاهدين ، فتمتعوا بالحرية ، وأخذوا ينشرون دين الله بين العالمين .

والآن : وإن كانت الهجرة قد مضت لأصحابها ، وفازوا بشرفها ، فإن لنا فى هذا العصر المادى نصيباً لو قمنا به لمكن الله لنا فى الأرض ، ولمتعنا متاعا حسنا ألا وهو العمل بكتاب الله ، والتمسك بسنة رسول الله ـ ﷺ ـ ، وهجر ما نهى الله عنه ، وأن نسلك حد الاعتدال فى العبادة ، دون إفراط أو تفريط ، فالإسلام بتعاليمه السمحة يميل إلى تحقيق اليسر والرحمة ، فقد صح أن النبى ـ ﷺ ـ قال لمعاذ بن جبل ولأبى موسى الأشعرى لما بعثهما إلى اليمن : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا »[1] .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

طرائف .. ومواقف

الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

"كل امرئ حسيب نفسه"

قال تعالى :

﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

(الإسراء : ١٤)

قال الزمخشرى . : لم ذكر حسيبا ؟ قلت : لأن الحسيب بمنزلة القاضى والشاهد والأمين .

وهذه الأمور يتولاها الرجال غالبا ، فكأنه قال : كفى بنفسك رجلا حسيبا .

وكان الحسن البصرى إذا قرأ هذه الآية ، قال : يابن آدم ، أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك .

"العقل أم اللسان"

لأن أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه أحب إلى من أن أرى للسانه فضلا على عقله .

"استغاثة أهل النار"

قيل لبعضهم من أحب إليك ، أخوك أم صديقك ؟ فقال : لا أحب أخى إذا لم يكن صديقى .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ : الصديق أوكد من القريب ألا ترى استغاثة الجهنميين حين قالوا :

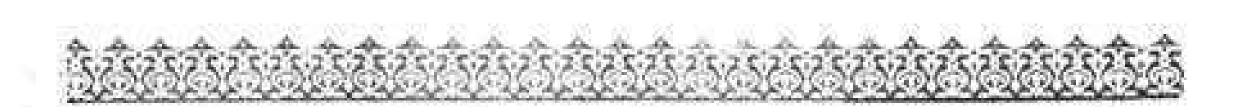
﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾

(الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١)

ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات .

لو كنت تاجرًا

كان سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول : لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر ، فإن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه .



مؤمنان.. وكافران

قال مجاهد : ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة : مؤمنان وكافران .

فالمؤمنان : «سليمان بن داود» ، و«ذو القرنين» ، والكافران : «النمرود» و«بختنصر» الذى خرب بيت المقدس .

الضيف الممل

أضاف رجل رجلا فأطال المقام حتى كرهه ، فقال الرجل لامرأته : كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه ، فقالت له : ألق بيننا شرا حتى نتحاكم إليه ، ففعل ، فقالت المرأة للضيف : بالذى يبارك لك فى غدوك غدا أينا أظلم ، فقال : والذى يبارك لى قيامى عندكم شهرا ما أعلم .

حقا

الشريف إذا تقوى تواضع ، والوضيع إذا تقوى تكبر .

"من صنع منكم معروفا فكافئوه"

قال بعض الشعراء :

ولو كان يستغنى عن الشكر ماجد
لرفعة قدر أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره
فقال : اشكرونى أيها الثقلان

أفضل النساء

سئل أعرابى فى النساء ، وكان ذا تجربة وعلم بهن ، فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ،التى إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئا جودت ، التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود .

دعاء

اللهم إنى أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك وتقنع بعطائك .

من أعلام الأزهر الشريف

الدكتور محمد حسين الذهبي

باحث موسوعي ملتزم

للأستاذ الدكتور: محمد رجب البيومي

ما تذكّرتُ خاتمة حياة الدكتور محمد حسين الذهبي إلا تذكرت قول الدكتور أحمد أمين في رثاء الإمام الأكبر مصطفى عبد الرازق !

« كان أستاذاً للفلسفة في كلية الآداب : فكان في مكانه الذي خلق له يحضر درسه في جد ، ويلقيه في أمانة ويوثق صلته بتلاميذه فهم أبناؤه البررة ، وهو والدهم المحبوب ، لا يكتفي معهم بعلاقته العلمية ، بل يتعرف أحوالهم العائلية ، فيحل مشاكلهم الداخلية ، ويفرج أزماتهم النفسية .

ثم رماه القدر بالسياسة ، فلم تكن له ، ولم يكن لها ، فالسياسة تحتاج إلى جلاد ونضال ومداورة ومناورة ، وليس هو في شيء من ذلك فالرحمة التامة لاتنفع في السياسة ، لذلك كان فيلسوفا في سياسته ، وهيهات أن ينجح هذا المنهج » .

أجل أتذكر قول أحمد أمين دائما كلما أتذكر استشهاد الدكتور الذهبي ، وإذا كان الذهبي لم يكن فيلسوفا يدرس الفلسفة كمصطفى عبد الرازق ، بل كان علامة يدرّس علوم القرآن والحديث فإن ما عدا ذلك يتلاقى به الرجلان في نسق واحد ، فالرحمة الحانية والبعد عن المداراة والمناورة مما تأصل في سلوك الرجلين لقد كان الذهبي صريحا إلى كل موقف يتعرض له ، صريحا مع نفسه ، ومع الناس خصوماً أو أصدقاء ، وكان من البراءة الفاضلة بحيث اعتقد أن الإخلاص في قول الحق ، وأن التمسك بالرأى الذى يعتقده سينزلان منزلا حسناً ، لدى مخالفيه لأنه كان يحنو عليهم في نقاشه ويدعوهم إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويطيل الاستماع إلى ما يقولون في صبر ، ثم يرى من حقه أن يجهر بما يعتقد دون لبس ، لأنه لايعرف أساليب السياسة الخادعة ، بل يلتزم بمنطق الإسلام في زمن

أصبح الإسلام فيه غريبا بين أهله، فختمت حياته بالاستشهاد وأخذ مكانه مع الصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ولا يظن القارىء أنه كان مع صراحته برماً ملولا، بل كان الرجل واسع الأفق حقا حين التمس العذر فى بعض كلماته لنفر من الشباب المتسرع، إذ أيقن أن الجو الإعلامى فى الجرائد الهابطة والتمثيليات الساقطة، والتبرج السافر دون احتشام كل ذلك يقدم الوقود لنار تضطرم، فأعلن أن المسجد وحده لايستطيع[1] أن يقوم برسالته فى هذا الطوفان الغامر من الاجتراء، وأن المسجد يحتاج إلى مؤازرة ذوى الرأى من المخلصين، فمهمة وزارة الأوقاف ليست فى تكرار الخطب التقليدية كل أسبوع، بل فى عودة المسجد إلى طبيعته التى نشأ عليها فى صدر الإسلام إذ لم يكن المسجد إذ ذاك دار عبادة فقط، بل كان كل شىء فى حياة المسلم، وقد تفقد مساجد الجمهورية، فعرف من بينها نمطاً يقوم برسالة المسجد على وجهها الصحيح، ورأى المثل المنشود كائنا فى مسجد سيدى بشر بالإسكندرية، فعقد به اجتماعا كبيرا للعلماء مع صفوة من أبناء الثغر، يعرض عليهم كيف صار المسجد عيادة طبية فى جانب من جوانبه، ومدرسة لدروس التقوية فى جانب آخر، ومكتبة حافلة للقارىء فى بعض ردهاته، ومكتباً لتحفيظ القرآن فى ساعات معلومة، ومسرحا للوعظ الدينى بين المغرب والعشاء، ومنتدى للقاء الساعين فى الخير العاملين على عون الفقراء من أبناء الحى كل ذلك تجسد رأى العين أمام المشاهدين، ومع أن الدكتور الذهبى رجل قلم لا



الدكتور محمد حسين الذهبى

خطيب منبر فقد تفجر البيان على لسانه خطيباً فى مسجد سيدى بشر إذ ألهمه الواقع المشهود ما تدفق به لسانه عن حماسة حارة ويقين مكين.

وحين رأس احتفال الأئمة بوزارة الأوقاف، لم يكن بالذى يدعو إلى تأييد اتجاه أو نصرة حاكم هو صاحب الأمر والنهى، بل ألقى كلمته داعيا إلى اتباع المنهج القرآنى، موضحا أن أخلاق القرآن وسيرة السلف الصالح هى مجال الوعظ والإرشاد، وأن الداعية المعاصر عليه أن يكون بصيراً بأحكام الشريعة وبشئون الناس معا، فلا يعالج قضيته إلا فى ضوء كتاب الله، ولايتسع فى الاستطراد الخطابى دون أن يغمر سامعه بفيض من آيات الذكر وأحاديث الرسول ـ ﷺ ـ على أن يكون ذلك فى موضوع واحد لايتعداه إذ ما رُزِئ الوعظ الدينى إلا بتعدد الموضوعات فى خطبة واحدة فيأمر الواعظ إجمالا بكل مأمور، وينهى عن المنكرات يسردها سردا، وهى معروفة للسامع سلفاً إنما يريد

(١) مجلة الثقافة ـ ٢٥ / ٢ / ١٩٤٧ م.

التدليل والتعليل ، وهو ما لايمكن مع تشعب الأغراض .

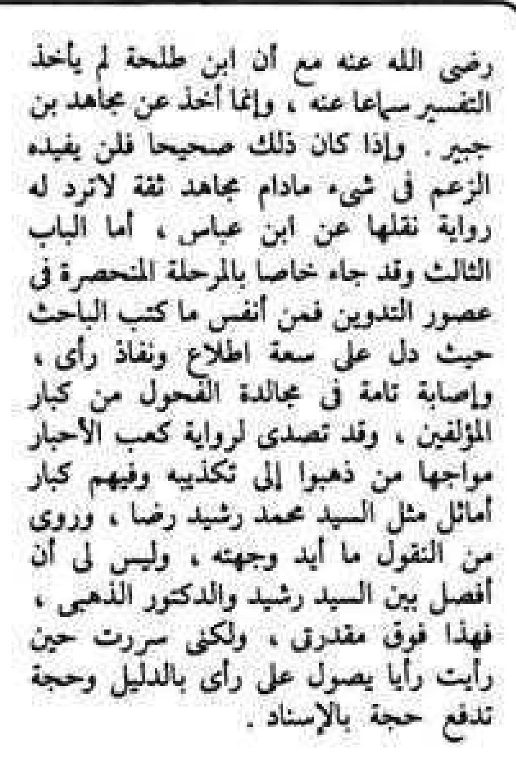
ولم يكن عجيبا لدى من يعرف الدكتور الذهبى أن يراه أمام وزارة الأوقاف يقف مع امرأة فقيرة جاءت تطلب العون من وزارة الأوقاف ، فيقرأ الطلب قبل أن يدخل ويسأل السيدة مستفهماً مستوضحا ثم يخف له من يتملقه قائلا : إن فضيلة الوزير له أن يستريح فى مكتبه ثم يستدعيها ! فيبتسم الشيخ ويقول : لم أتعب يا أخى فدعنى فإذا اتجه إلى مكتبه أصر على أن يقرأ كل ورقة يقوم بالتوقيع عليها ويصلى الظهر والعصر بالمكتب إذا لم يفرغ من عمله فإذا قيل له إن المسألة منتهية وتوقيع الوكيل ومن دونه يكفى قال فى ابتسام : ولماذا أوجب القانون أن أوقع ! وإذا كان فيما يعرض ما يرفض وله أنصار ذوو احتيال فقد أكثروا من اللغط حوله حتى اضطر أن يقول فى مجلس الشعب « لم أكسب من الوزارة شيئا ، وأفضل أن أرجع إلى الكلية أستاذا ، إذا لم أقم بالأمر على وجهه الصحيح » !

وقد رجع إلى الكلية كما أراد ، رجع فى هدوء صامت تظلله السكينة ، وطالع طلابه بوجه ضاحك ، وكأنه يستقبل فرجاً بعد ضيق ، ويسرا بعد عسر ، ولكن القدر قد كتب له الشهادة ، إذ كان من واجبه أن يرد على فتوى وجهت إليه بشأن من يدعون أن الإسلام يفرض الهجرة على أتباعه إلى معتزل ينأى عن المجتمع ، وقد فرض الإسلام النضال لا الاعتزال ، فالإسلام إيجابى لا سلبى ، يعرف ذلك كل من قرأ شذورا من كتاب الله ، وما جاء رسول الله ليدعو إلى اعتزال سلبى ، بل جاء يقاوم الشرك فى أمنع معاقله حتى كتب له النصر ، وأتم الله نوره على الكون بما هدى من نفوس ، وجمع من شمل ولم تكن المسألة بحيث يختلف فى شأنها مختلف ، ولكن الأغرار من الأيفاع يستجيبون لكل ناعق ، فزين لهم الشيطان أن يريقوا دما طاهرا كان حقه الصون ، ولكن سلسلة الشهداء البررة التى كان فى براعة استهلالها أمثال عمر وعثمان وعلى والحسين ظلت حلقاتها تتواصل عبر الأجيال حتى كان محمد حسين الذهبى إحدى هذه الحلقات ، فلقى الله شهيدا أمينا ، وترك لتلاميذه حسرة فى النفوس تحس ألمها اللاذع فتستجير بالصبر ، مغتبطين بمكانته عند ربه ، إذ لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

التحق الطالب محمد حسين بالأزهر فى أواخر العشرينيات فاتخذ لنفسه منهجا واضحا ، أساسه البعد عن الحركات السياسية التى شملت الأزهر فى عهدى الإمامين المراغى والظواهرى متفرغا للدراسة الهادئة ، جاعلا نصب عينيه العكوف على تحصيل المواد الدراسية فى شتى فروعها ، وكان اسمه بين المتقدمين فى امتحانات السنوات المتوالية ، ثم رغب فى الالتحاق بكلية الشريعة الإسلامية ليواصل التقدم فى امتحاناتها المتصلة ، وبهذا التقدم تهيأ للانتساب إلى تخصص المادة ، وهو تخصص « للدراسات العليا » وُضعت الشروط الدقيقة للالتحاق به إذ لايتهيأ له غير خيار النجباء من الطلاب ، وقد نال مرتبته النهائية بدرجة مشرفة ، إذ عكف على دراسة تاريخ التفسير القرآنى فى رسالة غير مسبوقة فى موضوعها ، إذ لم يسبق أن استقل تاريخ التفسير القرآنى برسالة علمية ذات مجلدات ثلاثة قبل أن يكتب الذهبى رسالته ، نعم إن تاريخ التفسير القرآنى كان يدرس باعتباره فصلا من الفصول المندرجة تحت ما يسمى بعلوم القرآن ، وهى علوم

تمتد إلى عشرة فروع منها القراءات ورسم المصحف وأسباب النزول وغيرها مما نجد صورة مقربة له فى كتاب « مناهل العرفان » للأستاذ محمد عبد العظيم الزرقانى ، وقد كان من رأى الدارس أن يقتصر على عصر من عصور التاريخ القرآنى ، كما أشار إلى ذلك فى كتابه حيث يقوم بتاريخ الحقبة الأولى للتفسير فى العصر الإسلامى الأول ، أو فى حقبة تليها كمرحلة الازدهار فى العصر العباسى ، أو يقتصر على تحليل المؤلفات المعاصرة لكبار المفسرين ممن ملأوا فراغا كبيرا فى مفتتح هذا القرن ، كان هذا رأى الباحث ، ولكن المشرفين على المادة رأوا فيه مقدرة على استيعاب هذا التاريخ الحافل المتشعب ، وهو تكليف بجهد غير مسبوق ، لأن المؤلفات القديمة اكتفت بما يسمى بطبقات المفسرين ، وهى تراجم تنقبض وتنبسط دون أن تحيط بالعوامل الداعية لتطور الأسلوب التفسيرى ، أما المحدثون فلم يلج الحلبة منهم غير المستشرق المجرى جولدزيهر ، وكان كتابه غير مترجم إلى العربية فى الوقت الذى كان فيه الذهبى يتهيأ لوضع رسالته ، وقد حدثنى - رحمه الله - أنه فى غمرة حيرته فى سلوك النهج الذى يتبعه فى تأليف الرسالة الجامعية ، عمل على شراء الطبعة الألمانية لكتاب المستشرق المجرى ، وحيث كان لا يقرأ الألمانية فقد توسل لبعض الأساتذة المصريين ممن يجيدون الألمانية أن يترجموا له فهرس الكتاب فقط ، وهو لا يتجاوز خمس صفحات ليرى من مضمونه ما يمده بنهج مقارب ، ولكن هؤلاء الأفاضل قد أشاحوا عنه متعللين بكثرة الأعباء العلمية ، وهو تبرير لايخلو من ملامة ، إذ كان من واجبهم العلمى أن يسعفوا طالب العلم بما يريد فى غير مشقة تلحقهم مهما انتحلوا شتى الأعذار ، وقد لا يعلم القارىء أن كتاب المستشرق المجرى قد طبع مترجما إلى العربية بعد أن فرغ الباحث من إعداد رسالته ، ونال عليها درجتها العلمية ، فعين مدرسا للتفسير والحديث بكلية الشريعة ، ولكنه آثر ألا يطبع الرسالة حتى يقرأ النص الألمانى ، وتم له ما أراد فلاحظ بعض الأخطاء فيما قرأ ، وتولى التعقيب عليها بما يراه ثم أضاف ذلك إلى الرسالة ، وعد كتاب المستشرق من مراجعه فى خاتمة الكتاب ، والدارس لكتاب الشيخ يرى جهدا حافلا فى البحث والاستيعاب والتحليل والنقد ، حيث امتدت الرقعة الفسيحة أمام الباحث ، فتكلم فى أجزاء الكتاب الثلاثة عن المرحلة الأولى للتفسير فى عهد النبى - ﷺ - وأصحابه الكرام فى الباب الأول ، وخص الباب الثانى بعصر التابعين ، ولو كان لى رأى لضم المؤلف البابين فى باب واحد لقرب المنهج فيها دون اختلاف كبير ، وقد بدت شخصيته الناقدة واضحة فيما كتبه عن اتهام الأستاذ جولد زيهر[1] والأستاذ أحمد أمين لابن عباس وغيره من الصحابة بالتوسع فى الأخذ عن أهل الكتاب ، حيث وضع الأمر فى نصابه بما لايقبل الدفع ، وكر على نقدات أخرى ساقها جولدزيهر فى كتابه (المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن) حين زعم أن ابن طلحة صاحب الصحيفة المشهورة فى التفسير ، قد نقل الكثير من آراء ابن عباس

(١) التفسير والمفسرون - ص ٧٢ وما بعدها - (جـ ١) الطبعة الرابعة .


رضى الله عنه مع أن ابن طلحة لم يأخذ التفسير سماعا عنه ، وإنما أخذ عن مجاهد بن جبير . وإذا كان ذلك صحيحا فلن يفيده الزعم فى شىء مادام مجاهد ثقة لاترد له رواية نقلها عن ابن عباس ، أما الباب الثالث وقد جاء خاصا بالمرحلة المنحصرة فى عصور التدوين فمن أنفس ما كتب الباحث حيث دل على سعة اطلاع ونفاذ رأى ، وإصابة تامة فى مجالدة الفحول من كبار المؤلفين ، وقد تصدى لرواية كعب الأحبار مواجها من ذهبوا إلى تكذيبه وفيهم كبار أماثل مثل السيد محمد رشيد رضا ، وروى من النقول ما أيد وجهته ، وليس لى أن أفصل بين السيد رشيد والدكتور الذهبى ، فهذا فوق مفدرق ، ولكنى سررت حين رأيت رأيا يصول على رأى بالدليل وحجة تدفع حجة بالإسناد .

ثم تتابعت الأبواب متدرجة فى صراطها التاريخى حتى انتهت إلى العصر الحديث فى رحلة شاقة لايقوم بها غير أولى العزم من الفاقهين ، إذ بدأ الدارس بما يقال عن التفسير الموضوعى والتفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأى فى عقود منتظمة تضم الكبار من أمثال الطبرى والسمرقندى والبغوى وابن عطية وابن كثير والثعالبى والسيوطى ثم عن أصحاب التفسير بالرأى مثل الفخر الرازى والبيضاوى وأبى حيان والنيسابورى وأبى السعود والألوسى ، ويطول بى المدى لو أشرت إلى اسم كل من تعرض له فضلا عن إيضاح رأى الباحث فى منحاه إلا أن ذلك لا يمنعنى من الإشادة بالجهد الحافل الذى خص به التفسير الشيعى وتفسير الاعتزال ، وقد جاء ذلك فيما يقرب من جزءين حافلين كتبهما سابقا غير مسبوق ، أما العصر الحديث فقد أشرق التجديد فيه بتفسير المنار للأستاذ الإمام محمد عبده وتلميذه من بعده ، ثم من حاولوا الانتهاء إلى مدرسة الإمام من أفاضل المعاصرين ، وهكذا يرى القارىء أن الرقعة قد امتدت إلى ميدان فسيح ، وقد أحسن المؤلف توضيح مرماه حين قال فى مقدمة الكتاب[1] :

(لقد رجوت من وراء هذا العمل أن أنبه المسلمين إلى هذا التراث التفسيرى الذى اكتظت به المكتبة الإسلامية على سعتها وطول عهدها ، وإلى دراسة هذه التفاسير على اختلاف مذاهبها وألوانها ، وألا يقصروا حياتهم على دراسة كتب طائفة واحدة أو طائفتين دون من عداهما ، من طوائف كان لها فى التفسير أثر يذكر فيشكر أو لا يشكر .

ورجوت أيضا أن يكون لعشاق التفسير من وراء هذا المجهود موسوعة تكشف لهم عن مناهج أشهر المفسرين ، وطرائقهم التى يسيرون عليها ، ليكون القارىء على بصيرة من الكتاب الذى يقرأه وعلى بينة من نهجه ولونه ، حتى لايغتر بباطل أو يتخدع بسراب) .

(١) التفسير والمفسرون - ص ٩ - ط ٤ .

المروءة
من أساس الشخصية المسلمة

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

إن بناء شخصية المسلم لا يتم إلا إذا ملك صاحبها نفسا قوية بالإيمان ، وعزيمة مضاءة بالإيقان ، وهمة عالية فى صدق العمل ، وأخلاقا سامية لا تغتر بالعلم وحده ، وتدرك أن العبق الطيب ينتشر أريجه فى سيرة حسنة فاضلة ، تبقى بعد رحيل صاحبها ، إلى عالم البقاء .

وشخصية المسلم فى سبيل المجد تبتعد عن سفاسف الأمور ، ومحقرات الأعمال ، ورذائل المسالك . فالحياة الفاضلة قرين الخلق الرفيع ، والأدب العالى ، والذوق الهادى

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أجل : فبصحيح الدين ، وكريم الخلق يكتسب صاحب هذه الشخصية الكثير من المصافين ، ويقل معادوه ، وتسهل عليه الصعاب ، وتلين له القلوب الغضاب .

قال تعالى :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤)

وقد جسّد ذلك وقرره نبينا الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن من أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » .



قالوا : يارسول الله ، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين . فما المتفيهقون ؟

قال : « المتكبرون »[1] .

وإن لمحاسن الأخلاق حدوداً إن تجاوزتها صارت ملقا ، وإن تراجع بها أصحابها عن الحق صارت نفاقا ، وهما أمران تنتج عنهما ثمرة مرة المذاق ، لحمتها وسداها والشقاق ، وسوء الأخلاق .

فمن أهم الركائز التى تبنى عليها الشخصية المسلمة إذاً المروءة ، تلك الفضيلة العظمى ، التى أشاد بها الدين ، ونوه وتغنى بها الأدباء فأطربوا .

إنها تنتظم من الأخلاق الحميدة أعلاها ، وتتسنم من الآداب الشريفة أسماها ، وأرقاها ، فهى جماع مكارم الأخلاق ، وخلاصة محاسن الآداب ، خصلة جامعة لأشتات المبرات ، وجالبة لأسباب المسرات ، دالة على كرم الأعراق ، حافزة للمرء أن يشرئب إلى معالى الأمور .

وهى حلية الأنفس وزينة الهمم ، بها تصان النفوس عن كل خلق ردىء ، إنها فى ميزان المنصفين تفوق العقل ، وتصافى الروح محبة ومودة ، حتى قال القائل عنها :

« العقل يأمر بالأنفع والمروءة تأمر بالأجمل والأرفع » .

ترى من أين تُستمد المروءة وفى أى تربة تستنبت زهورها ؟ إن لها منابع عذبة صافية متلألئة تنهل منها المروءة نهلا ، كتاب الله ، وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآثار السلف الصالح .

فإن جولة فى رياضهم الزاهرة ، وبساتينهم العامرة ، بالخلق الكريم ، لتسعد الروح بورودها ، وتنتشى النفس بأريجها ، فقد سُئل سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ : أين نجد المروءة فى كتاب الله ؟ فقال :

فى قوله تعالى :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف : ١٩٩)

ففيه المروءة ، وحسن الأدب ، ومكارم الأخلاق ، ويشرح ذلك بقوله ـ رضى الله عنه ـ :

إنه جمع فى قوله ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ صلة القاطعين ، والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وجميل أخلاق المطيعين ، ودخل فى قوله ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ صلة الأرحام ، وتقوى الله فى الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار .

ودخل فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الحض على التخلق بالحلم ، والإعراض عن أهل الظلم ، والتنزه عن منازعة السفهاء ، ومساواة الجهلة والأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة ، والأفعال السديدة والسلوكيات الموفقة الرشيدة ثم قال ـ رحمه الله ـ : وقال الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

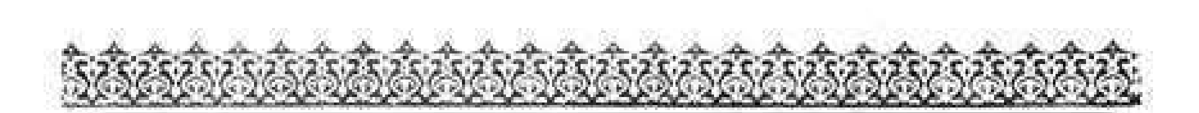
(القصص : ٧٧) .

قال سفيان : « ففيها عين المروءة وحقيقتها » .

ولئن دلت الحادثة التالية على الحلم ، فما هى

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد ، والترمذى من حديث جابر مرفوعا .



إلا غرس المروءة التى تسم صاحبها ذرى مكارم الأخلاق ، فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « قدم عيينة بن حصن ، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ـ رضى الله عنه ـ وكان القراء أصحاب مجلس عمر ـ رضى الله عنه ـ ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا ، فقال عيينة لابن أخيه : « ياابن أخى لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لى عليه » . فاستأذن له ، فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هيه ياابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم فينا بالعدل ، فغضب عمر ـ رضى الله عنه ـ حتى هم أن يوقع به فقال له الحر : « ياأمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وإن هذا لمن الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها ، وكان وقافا عند كتاب الله ـ تعالى » . (رواه البخارى) .

وفى بسط أشمل لمعنى ذلك الخلق الرفيع يقول أبو عثمان الصابونى ـ رحمه الله ـ مازجاً بين حسن المعتقد ، واستقامة السلوك ، واستكمال المروءة على طريقة السلف الصالح ومنهجهم ، يقول : « يتواصون بقيام الليل ، والناس نيام ، وبصلة الأرحام ، وإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والرحمة بالفقراء والمساكين ، والأيتام ، والاهتمام بأمور المسلمين ، والتعفف فى المآكل والمشارب ، والملابس ، والمكاسب ، والسعى فى الخيرات ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والبدار إلى فعل الصالحات أجمع ، واتقاء شر عاقبة الطمع ، ويتواصون بالحق ، ويتواصون بالصبر » .

والمروءة كما أوضحها العلماء : باب مفتوح ، وخير ممنوح ، وستر مرفوع ، وطعام موضوع ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف ، أنهارها موصولة ، وحسنات مبذولة ، وهفوات محمولة ، وأعذار مقبولة ، يقول على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ : « مروءة الرجل حيث يضع نفسه » وأول المروءة ـ كما أوضح ميمون بن ميمون ، فقال : ـ طلاقة الوجه ، وثانيها : التودد ، وثالثها : قضاء الحوائج » . وفى تحديد مشرق للمروءة التى ترتفع بملتزمها إلى مصاف الملائكة سموا ورفعة ، وتنزها ، وتأدبا ، قالوا : « إنه ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه ، أو أن يستخدم ضيفه ، ولقد طبق التجار المسلمون هذا الخلق تطبيقا لا يعرف له نظير فيما نعلم ، فقد كان الواحد منهم إذا أغدق الله عليه من الربح الوفير ، والمال الحلال ، وإلى جواره تاجر مثله ، وأخ له فى الله لم يربح ما يكفيه ، نظراً لعدم إقبال الناس عليه ، يدل زبائنه ـ وهم كثر ـ على دكان أخيه الذى لم يكتسب ما يكفيه ، معتذرا لمن يريد الشراء منه بأن البضاعة التى يطلبها ليست عنده ، مع أن دكانه يمتلىء ويكتظ مؤثراً أخاه بالكسب ، والربح الوفير ، حتى تهدأ النفوس ، وتسعد فيما أسمى أخلاق هؤلاء القوم .

ونسوق هنا مثلا بسيطا ليت المحدثين يتنبهون إليه ، ففيه دروس وعبر ترتقى بصاحبها إلى معالى الكمالات درجات ودرجات ، فقد روى أن سعيد ابن العاص كان بينه وبين قوم من أهل المدينة منازعة ، فلما ولاه معاوية المدينة المنورة ترك المنازعة ، وقال : (لا أنتصر لنفسى وأنا والٍ عليهم) .

قال ابن عقيل : هذه والله مكارم الأخلاق ، وهذه هى المروءة ، أترى كيف أحجم عن استخدام سلطانه مع خصومه مع أنه كان بإمكانه أن يُقدم ؟!

وأما فلسفة الأحنف بن قيس فى المروءة فحرى

بنا ألا نغفلها ، ففيها إعمال للعقل ، ونور للبصيرة ، إنه يقول : « ما نازعنى أحد إلا أخذ نفسى بأمور ، إن كان فوقى عرفت له حقه ، وإن كان دونى رفعت قدرى عنه ، وإن كان مثلى تفضلت عليه » .

وأنوار المروءة فى القرآن مصابيح تنير ، وقناديل تضىء ، يجذبنا منها وميضها اللألاء ، ونشرها الطيب ، وعرفها الزكى ، وها هو القرآن يقص علينا طرفا من أخلاق سيدنا موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - فيقول الله - تعالى - :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن
دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ
يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ
فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا
جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)
قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

(القصص : ٢٣ - ٢٦) .

فانظر إلى المروءة كيف كانت طريقا لنجدة الملهوف ، وإسداء المعروف ، والنجاة من الخوف ، والفوز فى الدنيا والآخرة ، فأين سلوكيات الشباب من هذه الأخلاق العظام ؟!

إن حجة الكثيرين فى النأى عن المروءة حجة واهية لا تجد لها سندا من عقل ، أو دين .

فالبعض يحتج بقلة المال ، وهل القيام لإجلاس حامل ، أو مرضع ، أو صاحب عقل ، أو ظرف خاص فى حافلة عامة ازدحمت بالبشر يحتاج إلى مال ؟

هل إذا طلب مكفوف - مثلاً - أن تقرأ له رقم حافلة ، أو تساعده على ركوبها ، يتطلب أن تكون من ذوى الأموال ؟ كلا : إن المثبط على ذلك هو انعدام المروءة ، وشدة الوهن فى الدين ، وهما أمران يدفعان بالشباب دفعا إلى الوقوع فى خوارم المروءات ، إذ تجردوا من مكارم الأخلاق ، وابتعدوا عن حميد الشيم ، إنهم لا يستحيون من الله حق الحياء ، وإذا لم تستح فاصنع ما بدا لك ، فى جرأة وقحة ، وانظر فى مسالكهم وتأمل أخلاقهم ترى كثيراً من ناشئة المسلمين لا يبالون أن يسيروا فى سوءات العصر المستوردة فى المأكل والملبس ، والحركات والهيئات ، فى ثياب مزركشة ، وسلاسل معلقة ، وتصرفات مخجلة مخزية ، وما العلاج إلا بالرجوع إلى دين الله ، وتوجيهاته ، والأخذ بالمروءة وكمالاتها ، ولقد قالت الحكماء : « لا مروءة لمن لا أدب له » . وقالوا أيضاً : « اثنان لا تجتمعان : الكذب والمروءة » .

وإن آفة المروءة إخوان السوء ، وقرناء الفساد .

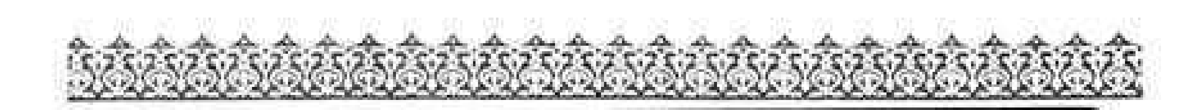
وبعد : فإن من يقرأ ما أوصى به لقمان ابنه من كريم الوصايا ليجد المروءة تتضح من وصاياه عذبة سلسلا رقراقا ، وماذلك إلا لأنها وصايا استندت إلى عقيدة راسخة بالله ، وحكمة يؤمن بها كل من رام صوغ شخصية أبنائه وبناته على المروءة الصادقة ، التى تكسب المتمسكين بأهدابها اتزاناً لا يخرج بهم عن الجادة ، ولا يردهم عن مواطن الفضل ، ومعالى الأمور فهم منبعثون إلى ذلك .

وفى قلوبهم وعقولهم قول البارى - عز وجل - :

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾

(الحديد : ٢٣) .

فالرزق والأجل بيد الله وحده فالمروءة المروءة يا شباب المسلمين .



دور الإعلام الوطنى

فى حفظ هوية المجتمع

أمام تيار العولمة

للدكتور: محمد عبد الحكيم محمد (*)

يلعب الإعلام والاتصال دوراً خطيراً، فى حياة الأمم والشعوب، فلم يعد ترفاً يمكن الاستغناء عنه، ولم يعد قاصراً على الإعلام والتعليم كما تقول بعض النظريات، إنما تخطى هذا الدور إلى آفاق إنسانية بعيدة، ترتبط بالقيم والعادات، والوجدان والمشاعر، وأنماط السلوك، وقد أوشك الإعلام بفضل ثورة الاتصالات الكبرى أن يُسقط الحواجز بين الأمم والشعوب، ومن ثم أمكن النظر إلى آثاره السلبية على أنها من أخطر التحديات، التى تواجه العرب والمسلمين فى الوقت الحاضر.

فقد أصبح «الاختراق الثقافى» لمجتمعاتنا العربية والإسلامية - عبر الإذاعات الموجهة والقنوات الفضائية والإنترنت وغير ذلك - أمراً مألوفاً، وواقعاً ملموساً، وهو اختراق لا يحمل كل الشر فى جنباته، إنما منه ما ينبغى أن نقبل عليه، ونتفاعل معه، ومنه ما يجب أن نغالبه وتواجهه، والتمييز بينهما إنما يكون عن حكمة وبصيرة، هى التى تدرك نوع التأثير سلباً كان أم إيجاباً؟

ومن ثم تبدو أمتنا العربية والإسلامية فى مسيس الحاجة إلى إعلاميين نجباء، ملمين

(*) الكاتب: مدرس الصحافة بكلية الآداب - جامعة المنصورة.

بمذاهب الغرب والشرق ، ويعرفون مشكلات العصر ، ويدركون قيمة الإسلام ومقدرته العظمى على حل المشكلات ، فيكشفون الزيف والبهتان ، والافتراءات والأباطيل ، ويطرحون حلوله لها ، ويؤكدون ذاتيته ، ويحافظون على هويته ، وهذا هو دور الإعلام فى كل وطن عربى أو إسلامى ، ومسئولية قادته ، لا سيما بعد أن تقلص دور الاتحاد السوفيتى ، وبدأ القطب الواحد « أحادى التفكير » فى رسم خطوط « العولمة » بأبعادها المختلفة ، على الواقع الاقتصادى ، والسياسى ، والثقافى .

تقسيم أهل الأرض :

وتمشياً مع سنة الوجود[1] ، فقد نجحت مجتمعات فى إحداث نهضة اقتصادية ، من خلال إنتاج المعرفة ، وإتقان تطبيقها ، فى المجالات الصناعية ، والزراعية ، والخدمية ، بينما فشلت مجتمعات أخرى فى تحقيق ذلك ، ومن هنا تحولت المجتمعات البشرية إلى مجتمعات غنية ، ذات اقتصاد قوى ، وتمتلك القدرة على التحكم فى مواردها ، ومجتمعات فقيرة ذات اقتصاد ضعيف ، تتحكم فيها عوامل خارجية ، وتفتقر للسيادة على مقدراتها .

ونظراً لأن غالبية المجتمعات الفقيرة تقع فى الجزء الجنوبى من الكرة الأرضية ، فقد عرفت بدول « أهل الجنوب » ، بينما عرف سكان الدول الغنية بـ « أهل الشمال » ، ويمثل سكان أهل الجنوب ثلاثة أرباع البشر فى العالم ، ويتوقع أنه بحلول عام ٢٠٠٠ سوف تزداد هذه النسبة إلى أربعة أخماس البشر ، وهم يحتلون مايزيد على ثلثى المساحة اليابسة ، وبينما هم يعانون من بعض المشكلات المزمنة كنقص الاحتياجات الأساسية كالغذاء والكساء والمسكن والعناية الصحية والتعليم ، والازدحام وانخفاض أسعار المواد الأولية مع زيادة أسعار السلع الصناعية التى يستوردونها ، يعانى سكان أهل الشمال من مشكلتين أساسيتين ، أولاهما : الذعر النووى ، وثانيتهما : البطالة .

لكن يوجد عدد قليل من القضايا المشتركة بين أهل الشمال (الدول المتقدمة) ، وأهل الجنوب (الدول النامية) ، تتمثل فى النظام البيئى حيث توجد رئات كوكب الأرض المتمثلة فى غابات الدول النامية . . ومنظمة الأمم المتحدة والتجارة على الرغم من أن حصة الدول النامية من التجارة العالمية لا تبلغ سوى ١٥ ـ ٢٠٪ .

وبعد الحرب العالمية الثانية وفى خلال فترة الحرب الباردة ، التى استمرت خمسا وأربعين سنة ، تم تقسيم العالم إلى أقسام ثلاثة :

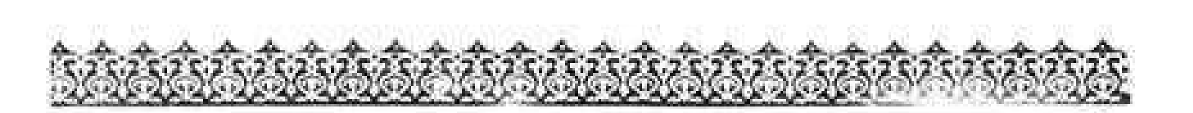
دول العالم الأول : وتضم أوروبا الغربية ، والولايات المتحدة الأمريكية .

دول العالم الثانى : وتضم الاتحاد السوفيتى ، ودول أوروبا الشرقية .

دول العالم الثالث : وتضم الدول النامية .

وخلال هذه الفترة قاد العالم القوتان العظميان

(١) د . على حبيش : العولمة والبحث العلمى .
ملحق الأهرام الاقتصادى ـ ديسمبر ١٩٩٧ ـ بتصرف .



المتمثلتان فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

ومع انتهاء صراع القوتين العظميين تقلص الدور السوفيتى ، تفردت الولايات المتحدة الأمريكية إلى حد كبير بالساحة الدولية سياسياً ، وعسكرياً ، وساعد ذلك على التأثير المباشر فى شكل وموضوع التوجهات الاقتصادية والثقافية .

مفهوم العولمة :

وفى ضوء ما تقدم نرى أن « العولمة » بمعنى : وحدة العالم الكونى تيار غالب ، وأن التوافق معها أصبح قضية مصيرية لأنها تمثل النتاج الفعلى للنظام العالمى الجديد الذى تتبناه وتحرص عليه القوى الدولية المتحكمة فى مقدرات دول العالم أجمع .

وقد نص السيد صفوت الشريف وزير الإعلام المصرى[1] على أن : العولمة السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، تفرض نفسها على أى مفكر ، يفكر فى وضع استراتيجية للإعلام الوطنى ، لاسيما أننا قادمون على عصر الفضاء ، وعلى ثورة اتصال ، وعلى عصر تسقط فيه الحواجز ، ويسترسل سيادته قائلاً :

وإن الإعلام الوطنى لابد أن يكون قادراً على أن يواجه تحديات نهاية القرن العشرين ، فقدرة الإعلام فى أن تكون له الرؤية المستقبلية ، فى أن يتعامل مع كثير من المعطيات والمتغيرات القادمة .

العولمة : سياسيا واقتصاديا وثقافيا :

والعولمة السياسية : تتسم بالديمقراطية والتعددية ، والحرية وحقوق الإنسان ، وتعظيم دور مؤسسات المجتمع المدنى ، ولا خلاف على هذا والكل يخطو على هذه الطريقة ، والحواجز تسقط ، وثورة الاتصال كان لها دورها الرئيسى فى الوصول إلى حدوث تلك المتغيرات وتقلص الأيديولوجيات وانكماش الدول العظمى وظهور القطب الواحد .

والعولمة الاقتصادية : تتسم بالتكامل الاقتصادى ، والتكتلات الاقتصادية ، للاستفادة من التطورات التكنولوجية الهائلة ، فالتكتلات الاقتصادية الدولية والإقليمية تعتبر خطوة نحو العالمية المطلوبة ، للتجارة الحرة بين دول العالم ، ولعل أشهر هذه التكتلات تكتل الاتحاد الأوروبى ، الذى اشتهر باسم السوق الأوروبية المشتركة ، ونحن نتجه إلى تحرير آليات السوق ، وإطلاق حرية المنافسة الاقتصادية فى برامج الإصلاح الاقتصادى وفقاً لتوجه الاقتصاد العالمى .

العولمة الثقافية : وهى قائمة بالفعل فى ظل ثورة الاتصالات ، وعصر الفضاء والسماء المفتوحة التى جعلت من العالم « عالماً كونياً واحداً » أو « قرية عالمية » ، نتيجة انكماش المسافات وزيادة الاحتكاك بين الشعوب وتطور وسائل الإعلام وتعاظم ثورة المعلومات وثورة الاتصالات وثورة التكنولوجيا وتأثيرها على طبيعة البشر وتطلعاته وسلوكه .

(١) الإعلام والألفية الثالثة - الأهرام الاقتصادى - العدد ١٥١٩ - ١٦ فبراير ١٩٩٨ ص ١١ .

خطر العولمة الثقافية :

على أن اختلاط الحضارات والثقافات إنما يتزايد ويتعاظم فى ظل العولمة الثقافية ، التى تتعايش معها المجتمعات المعاصرة ، مما يسبب إحداث تغييرات ثقافية فى مجالين :

الأول : مادى ، وهو ينفع ولا يضر ، بما يتضمنه من الإلمام بالابتكارات والاختراعات ، والتكنولوجيا الحديثة ، والتعامل معها والنظر فى إمكانية الإضافة إليها .

الثانى : معنوى ، وهو يضر أكثر مما ينفع ، لأن اختلاط الحضارات والثقافات قد ينعكس سلبياً على السلوك المعتدل والأخلاق العالية والقيم الفاضلة ، ومن ثم تشحب الهوية القومية .

دور الإعلام الوطنى فى إثبات الذات والهوية :

وتعنى العولمة الثقافية فى ظل ثورة الاتصالات والفضاء والسماء المفتوحة ، قدرة صانعى هذه الثورة التكنولوجية فى عالم البث والاتصال على التسلل والوصول إلى غير القادرين المتلقين لهذه الثورة التكنولوجية ـ عبر القنوات الفضائية والإنترنت وغيرهما ـ برسائل ثقافية متنوعة تؤثر حتماً على الثقافة الأصلية لهذه الأمم والشعوب ، فى محاولات دءوبة للهيمنة الثقافية .

وهنا تظهر أهمية دور الإعلام الوطنى لتحديد كيفية التعامل مع هذا التيار الاتصالى الثقافى ، الذى يستهدف فى جوانب منه التأثير على عادات المجتمع ، وقيمه الأخلاقية ، والدينية ، وإن شئت فقل : يستهدف تغريب الثقافة الوطنية وقطعها عن جذورها الدينية والأخلاقية .

مفهوم الإعلام الوطنى :

هو الإعلام المصرى بكل صوره ووسائله المتعددة من صحف ، وإذاعات وقنوات تليفزيون ، ومطبوعات إعلامية ونشرات دورية ، تخرج من أرض الوطن وتصل إلى أرجاء الوطن .

فلدينا ستمائة (٦٠٠)[1] صحيفة تصدر فى القاهرة وفى الأقاليم ، ما بين صحف قومية تصدر عن مؤسسات مملوكة للدولة ، وصحف حزبية تصدر عن الأحزاب المصرية ، وصحف مستقلة تصدر عن مساهمة تم تأسيسها فى عهد الرئيس مبارك وفقاً لقانون سلطة الصحافة الذى تم إنشاء المجلس الأعلى على أساسه .

ولدينا إحدى عشرة إذاعة محلية وإقليمية تملكها الدولة .

ولدينا عشر قنوات تليفزيونية تملكها الدولة ، منها ست قنوات إقليمية ، وقناة فضائية مصرية أولى ، وقناة فضائية مصرية ثانية ، وقناة النيل الدولية ، وقناة النيل للدراما .

ولدينا الهيئة العامة للاستعلامات ، ومالها من موقع كبير على شبكة الإنترنت ، فضلاً عما تصدره من مطبوعات إعلامية ونشرات دورية .

---

(١) وفقاً لآخر إحصاء صرح به السيد وزير الإعلام المصرى فى معرض الكتاب المصرى الذى أقيم فى فبراير ١٩٩٨ .



ضخامة المسئولية :

فكل هذا يعبر عن ضخامة حجم الإعلام الوطنى المصرى والذى يصل إلى كل ركن من أركان الأرض المصرية ، وإلى كل مواطن يعيش على تراب الوطن ، كما يعبر عن ضخامة مسئوليته فى تحمل التزامه القومى فى قضية بناء الإنسان المصرى وحفظ هويته وإسلامه وعروبته أمام تيار العولمة .

يستطيع الإعلام المصرى بكافة وسائله وأساليبه ، أن يجعل الإنسان المصرى يعيش عصره بكل معطياته ، وينفتح على كل الثقافات دون خوف أو وجل ، مادام أسهم فى تثبيت جذوره وتعميقها ، فمسئولية الإعلام الوطنى أن يحافظ على شخصية الأمة وهويتها من الذوبان فى غيرها .

ولا شك أن القيادة التى تخطط هذه الكتيبة الإعلامية لها رؤيتها الثقافية وفكرها الاستراتيجى لمواجهة الاختراق الثقافى القادم من الإعلام المفتوح والسماء المفتوحة ، وتحقيق التوازن بين التراث الوطنى وروحه وقيمه ، وبين الإعلام العالمى ، ولكن عليها أن تضاعف من حجم وجودة الإنتاج ، الذى يحفظ على أبناء الوطن دينهم وشخصيتهم ، وذلك لمنافسة غزارة الدراما والأغانى والأفلام والمسلسلات الوافدة ، التى تؤثر على عادات المجتمع وهويته .

الصيغ الجذابة :

ولعل من أهم أهداف استراتيجية الإعلام المصرى فى حفظ ذاتية الأمة وشخصيتها ، أن يخرج إنتاجه المعدُّ لهذا الغرض فى صيغ إعلامية جذابة وناجحة ، ومقنعة ، ومشوقة ، ومن هنا نفسر نجاح استخدام الإعلام المصرى فى الوصول إلى عقل كل مشاهد على أرضه عندما وظفه البعض توظيفاً استهلاكياً فى خدمة الإعلان .



من روائع الماضى بمجلة الأزهـــر

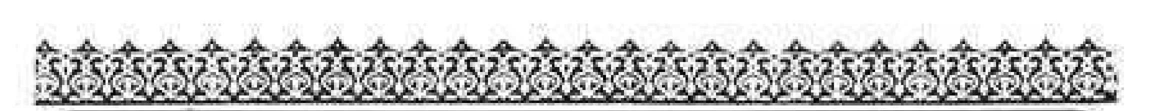
شهر الله المحرّم

للأستاذ الدكتور
علي عبد الواحد وافي
إعداد وتقديم
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

المحرم شهر الله ، وقد سمى بهذا الاسم لأن القتال كان لا يستحل فيه ، وأضيف إلى الله ـ تعالى ـ إعظاما له ، ومن الشهور أربعة حرم كانت العرب لا تستحل فيها القتال إلا حيان : خثعم ، وطيء ، فإنهما كانا يستحلان كل الشهور ، وكان الذين ينسئون الشهور أيام المواسم يقولون . حرمنا عليكم القتال فى هذه الشهور إلا دماء المحلين، فكانت العرب تستحل دماءهم ـ خاصة ـ فى هذه الشهور .

وجمع المحرم : محارم ومحاريم ومحرمات .

ولمنزلة شهر المحرم فى الإسلام لم يندب صيام شهر كامل على سبيل التطوع إلا هذا الشهر ، كما كانت له منزلته الخاصة فى نفوس العرب قبل الإسلام ، ولا أدل على ذلك من أنه قد خص من بين الشهور الأربعة الحرم بالاسم الذى يدل صراحة على حرمته ، وذلك قبل العبث فى مدة الشهور وأوضاعها وابتداع نظام النسيء الذى غيَّر وبدل ، وجعلهم يتناسون أن تشريع الله للناس إنما هو تشريع للكون كله ، والحيدة عنه مخالفة لأصل هذا التكوين وبنائه ، فالتحليل والتحريم حق خالص لله ـ تعالى ـ ومزاولته من البشر بعد ماأنزل الله ليس كفرا فقط بل زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا .



ولمزيد من التوضيح والإرشاد قال الكاتب ـ رحمه الله :

يطلق اسم المحرم على الشهر الأول من شهور السنة العربية القمرية ، وقد كان لهذه الشهور فى أقدم عهود الجاهلية أسماء أخرى غير الأسماء المعروفة الآن ، وإن اختلف الرواة فى تحديد تلك الأسماء ، وأشهر ما ورد فى صدد المحرم أنه كان يطلق عليه اسم « المؤتمر » ؛ لأن العرب كانوا يعقدون فيه المؤتمرات للفصل فى أقضيتهم ، فيستفتحون فى السنة الجديدة بتصفية خلافاتهم فى العام السابق ورسم ما ينبغى أن تسير عليه علاقاتهم فى العام الجديد ، وأما الأسماء التى تطلق الآن على الشهور العربية فالمشهور أنها وضعت فى عهد كلاب بن مرة أحد أجداد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان ذلك قبل الإسلام بنحو قرنين .

وقد اختلف فى تعليل تسميتها بهذه الأسماء وأشهر ما ورد فى صدد المحرم أن العرب سموه بهذا الاسم لحرمة القتال فيه .

وقد اشترك مع المحرم فى هذا الحكم ثلاثة أشهر أخرى ، وهى : رجب ، وذو القعدة وذو الحجة ؛ فكانت هذه الأشهر الأربعة عند العرب أشهر سلام وهدوء ، يتفرغون فيها لأمور معاشهم وتنمية مواردهم وشئونهم الأدبية والثقافية والدينية ، وتقرر هذا النظام لديهم من قبل الإسلام بأمد طويل ، وكان لها حظ عظيم فيما وصل إليه العرب من رقى وحضارة قبل الإسلام ، بل يرجع إليها أكبر قسط من الفضل فى بقاء الجنس العربى نفسه ، فقد كانت العلاقات بين قبائلهم وبطونهم علاقات متوترة تسودها الإحن والعداوات ، ولم تتوافر لدى أمة ما أسباب التناحر والتقاتل والتطاحن بمقدار ما توافرت لدى هذه الأمة فى جاهليتها ، وما كان أكثر دواعى الحرب ومقتضياتها عندهم ، وكان يكفى أن تنشب حرب بين قبيلتين أو بطنين لأتفه الأسباب حتى ينضم إلى كلتيهما حلفاء وأنصار من القبائل والبطون الأخرى ، وتظل الحرب مستمرة عدة سنين ، وتحصد آلافا من الفريقين المتنازعين ، فلولا نظام الأشهر الحرم لاستأثرت هذه الحروب بجميع مظاهر نشاطهم ، واستغرقت جميع أيامهم ، ولوقف نموهم الاجتماعى والحضارى ، بل لفنى الجنس العربى نفسه .

وظل العرب أمدا طويلا محافظين كل المحافظة على حرمة هذه الشهور فى مواقيتها ، حتى إن الرجل منهم كان يلقى قاتل أبيه فيها فلا يمسه بسوء ، بيد أنه قد شق على بعضهم الكف عن القتال ثلاثة أشهر متواليات وهى : القعدة والحجة والمحرم ، فأدخلوا على الأشهر الحرم تعديلا يتيح لهم تقصير هذه المدة ، والاعتداء على حرمة شهر المحرم بالذات ، وهو نظام النسىء (من نسأه إذا أخر أجله) وذلك بأن يراعوا حرمة شهرين متتابعين وهما ذو القعدة وذو الحجة ، بدلا من ثلاثة ويحلوا القتال فى شهر المحرم ، على أن ينسئوا حرمته (أى يؤخروها) وينقلوها إلى شهر آخر كصفر مثلا ، فإذا جاء صفر واحتاجوا فيه للقتال أحلوه وحرموا ربيعا الأول .. وهكذا .

فأصبح المعتبر فى التحريم عندهم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم ، وكانوا أحياناً يحلون شهراً آخر من الأشهر الحرم غير شهر المحرم ويؤخرون حرمته وينقلونها إلى شهر آخر من غير الأشهر الحرم .

وكانوا أحياناً يزيدون فى عدد شهور السنة فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ، ويجعلون أربعة منها حرما ، ليتسع لهم الوقت للقتال ، ومن

أجل ذلك اضطربت مواقيت حجهم ، فكان يجىء حجهم أحياناً فى غير ذى الحجة ، ويروى أن أبا بكر قد حج بالناس فى السنة التاسعة من الهجرة فى شهر ذى القعدة ، لأن اضطراب المواقيت عند أهل مكة قد تقدم بالحج فى هذا العام عن موعده .

وقد أقر الإسلام نظام الأشهر الحرم فى وضعه الأصيل ، وقضى على كل ما حدث فى هذا الوضع من تلاعب ، فقرر أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا لا يصح نقصها ولازيادتها ، وأنه لا يجوز أن يُستبدل بشهر المحرم شهر آخر ، فيجعل المحرم من الأشهر الحلال وتنتقل حرمته إلى هذا الشهر الآخر ، وأنه لا يجوز أن يفعل ذلك فى أى شهر آخر من الأشهر الحرم ، وأن النسىء ضلال وكفر وتغيير لكلمات الله . وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (التوبة : ٣٦)

ويقول : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ (التوبة : ٣٧)

أى ليجعلوا عدد الشهور التى يحرمونها متفقا مع عدد الشهور التى حرمها الله ، فيعتبرون فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم .

﴿ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة : ٣٧)

ويقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى خطبته فى حجة الوداع وهى الخطبة التى لخص فيها كثيرا من أحكام الشريعة الإسلامية وجعلها دستورا للمسلمين من بعده : « أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أى من الأمور التى تعدونها صغيرة) .

أيها الناس إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، (وذلك أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد أعاد حينئذ الشهور إلى أوضاعها الصحيحة ، فكانت حجة الوداع فى مواقيتها فى شهر ذى الحجة) وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان : ألا هل بلغت؟! اللهم فاشهد !»

غير أنه يظهر أنه لم يكن لدى العرب حينئذ فكرة دقيقة عن مدة الشهر القمرى من الناحية الفلكية (وهو الوقت الذى تستغرقه دورة القمر حول الأرض دورة كاملة ، ومقداره تسعة وعشرون يوما واثنتا عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة وثانيتان وتسع ثوالث) .

ولذلك كانوا يسيرون فى الغالب فى تقدير هذه المدة على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالى له تسعة وعشرين يوما ، إلا إذا ثبتت رؤيتهم لهلال الشهر الجديد فى ليلة غير الليلة المتفقة مع حسابهم التقريبى ، فيصححون بذلك حسابهم . وفى هذا يقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا) وأشار فى الأولى إلى مجموع أصابع يديه ثلاث مرات ،

البقية ص ١٠١

العُلوم الكونيَّة

ابن الشاطر
مكتشف نظام المجموعة الشمسية

مشاكل المراهقة
عند الفتيات

ابن الشاطر

مكتشف نظام المجموعة الشمسية

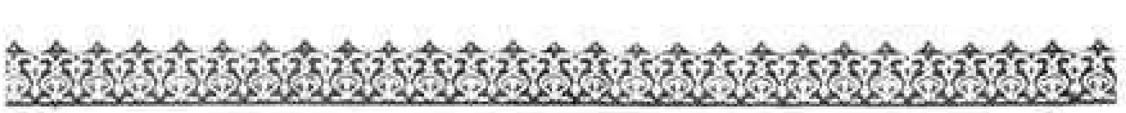
للأستاذ الدكتور: أحمد فؤاد باشا

كثيراً ما يردد المستشرقون وبعض مؤرخي العلم مقولة خاطئة مؤداها : أن العطاء العلمي للحضارة الإسلامية ، قد توقف تقريباً ، عند القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، وأن القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) كان مرحلة تخلف وتدهور علمي ، في ديار الإسلام[1] ، والحق أن المخطوطات العربية والإسلامية المدونة فيما يسمى بمرحلة التخلف عند المسلمين تشهد بأن الحركة العلمية في عصر النهضة الإسلامية ظلت مستمرة آنذاك في العديد من الدول الإسلامية ، ويعتبر ابن الشاطر واحداً من علماء هذه المرحلة الذين لم يوفهم المؤرخون حقهم من التنقيب عن آثارهم وأعمالهم ، ومن حقه علينا أن نعيد اكتشافه وتعرف الأجيال بمآثره العلمية والتقنية .

• نبذة عن حياة ابن الشاطر:

هو علاء الدين أبو الحسن : علي بن إبراهيم الدمشقي ، المعروف «بابن الشاطر» ، وكما يتضح من اسمه ، فهو من مواليد دمشق ، وفيها توفي . عاش بين سنتي ٧٠٤ و٧٧٧ هجرية ، الموافقتين ١٣٠٤ و١٣٧٥ ميلادية ، لا نعرف عن سيرة حياته إلا القليل ، وخاصة أنه لم يلفت انتباه الباحثين إلا منذ حوالي خمسة وعشرين عاماً فقط ،

(١) إمام إبراهيم أحمد ، تاريخ الفلك عند العرب ، سلسلة العلم والحياة ، عدد ٧٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م . (وقد صدر هذا الكتاب من قبل في المكتبة الثقافية عام ١٩٦٢) .



عند دراسة أحد مؤلفاته الفلكية ، ومن القليل الذى عرف عنه أن والده توفى وتركه فى السادسة من عمره ، فكفله جده وعلمه تطعيم العاج ، ولذا سمى بالمطعِّم الفلكى ، ثم سلمه جده إلى قريب له علمه الفلك والهندسة ، وأعطاه لقبه « ابن الشاطر » الذى عُرف به ، وتعلق ابن الشاطر بالعلم ، وأخذ يتنقل من أجله بين القاهرة والإسكندرية وحلب ، وعمل فى وظيفة التوقيت ورياسة المؤذنين فى الجامع الأموى بدمشق .

والتوقيت فى الجوامع مهنة شاعت فى العصر الإسلامى ، وبدأت تتلاشى منذ انتشرت الساعات الميكانيكية الدقاقة ، وكان القائم بها (ويسمى « الموقت ») يحدد مواعيد الصلاة اليومية والمناسبات الشهرية والموسمية ، وذلك عن طريق متابعة الأرصاد باستعمال الاسطرلاب ، ومراقبة المزولة (الساعة الشمسية) لتحديد ساعات الليل والنهار ، ووضع جداول بصورة مستمرة تبين نتائج الرصد والمراقبة وتسمى « الأزياج » ، ولهذا نجد ابن الشاطر قد اهتم بتأليف الكتب ، والجداول الفلكية ، إلى جانب عمله فى مهنة التوقيت .

● مآثره العلمية والتقنية :

تزيد مؤلفات ابن الشاطر على الثلاثين مؤلفاً فى علم الفلك وأجهزة الرصد والقياس الفلكية ، لا يزال الكثير منها مفقوداً ، ولم تقتصر بحوثه فى الفلك على الجوانب النظرية ، بل إنها امتدت لتشمل أيضاً الجوانب العملية والتطبيقية ، فنجده قد ابتكر كثيراً من الآلات ، التى وصفها وصفاً تفصيلياً دقيقاً ، وبقيت رسائله المتخصصة فى الأجهزة الفلكية تتداول لعدة قرون فى كل من الشام ومصر ، والدولة العثمانية ، وبقية الدول الإسلامية ، وكانت مرجعاً لضبط الوقت فى العالم الإسلامى ، فعلى سبيل المثال ، صنع آلة لضبط وقت الصلاة سماها « البسيط » ، ووضعها فى إحدى مآذن الجامع الأموى فى دمشق ، وبقيت حتى عام ١٢٩٠ هـ ، حيث وجد أن وضعها قد اختل بمرور الزمن ، وعوامل الرياح والأمطار ، فقام من حاول تصحيح وضعها ، ولكنه لم يفلح .

وفى كتاب لابن الشاطر بعنوان : « الربع التام لمواقيت الإسلام » ، يقول : « إنى أمعنت النظر فى الآلات الفلكية ، الموصلة إلى معرفة الأوقات الشرعية ، فوجدتها مع كثرتها ليس فيها ما يفى بجميع الأعمال الفلكية فى كل عرض ، ويداخلها الخلل فى غالب الأعمال ، إما لصعوبة تحقيق الوضع ، أو لتحرك الآلات بعضها على بعض . . وكنت أود لو يسر لى الله تعالى وضع آلة تخرج بها جميع الأعمال بسهولة مقصد وقرب مأخذ ووضوح برهان ، فوفقنى الله ـ تعالى ـ لاستنباط هذه الآلة التى سميتها « الربع التام لمواقيت الإسلام » ، فوافق منطوقها مفهومها ، ورأيتها جامعة مؤدية لمنصف أمعن فيها وفى غيرها النظر . . » .

● أهم اكتشافاته :

كانت نظرية بطليموس ترى خطأً أن الأرض هى مركز الكون ، وأن الأجرام السماوية تدور حول الأرض دورة كل ٢٤ ساعة ، ووضع بطليموس لهذه النظرية حساباً فلكياً قائماً على هذا الأساس ، وكان العالم كله فى عهد ابن الشاطر يعتقد بصحة هذه النظرية ، ولكن الأرصاد الفلكية التى قام بها العالم العربى المسلم ابن الشاطر برهنت على عدم صحة نظرية بطليموس ، وأثبتت بدلاً منها أن الأرض والكواكب تدور حول الشمس بانتظام ، والقمر يدور حول الأرض ،

وهذا هو الاكتشاف الذى نسب إلى « كوبرنيكوس » بعد ابن الشاطر بعدة قرون [٢] .

وفى مقال نشر حديثاً فى « قاموس الشخصيات العلمية » أوضح المستشرق الإنجليزى المعاصر « ديفيد كنج » *D.King* أن كثيراً من النظريات الفلكية المنسوبة لكوبرنيكوس عن نظام المجموعة الشمسية قد أخذها هذا الأخير عن العالم المسلم ابن الشاطر ، وذكرت بعض المصادر أنه فى سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) عثر على مخطوطات عربية فى بولندا ، مسقط رأس كوبرنيكوس ، اتضح منها أنه كان ينقل تلك المخطوطات العربية ، وينتحلها لنفسه ، وكان ابن الشاطر قد أكد فى كتبه أنه لم يساير من سبقوه من علماء العرب والمسلمين فى مجرد إبداء الشكوك فى نظريات بطليموس الفلكية عن مركزية الأرض وسكونها ، وأخذ عليهم أنهم لم يقدموا تعديلاً لها ، ويبدو أنه وصف نظريته الخاصة عن المجموعة الشمسية فى كتابه المفقود « تعليق الأرصاد » ، فهو يقول فى مقدمة كتابه « الزيج الجديد » : « ومن أراد الوقوف على طرق الأرصاد ، التى سلكتها والآلات التى ابتكرتها والأعمال التى حررتها ، فعليه بكتابى المسمى « بتعليق الأرصاد » وكتابى المسمى « بنهاية السول » ، فإنه يظهر له الحق عياناً ، ويعذرنى فى مخالفتى لمن تقدمنى فيما وقع فيه من الاختلاف ، وذلك لضرورات رصدية ودقائق برهانية [٣] .

من ناحية أخرى يقول « توبى هاف » : أن الإنجاز الفلكى فى الإسلام خلال العصور الوسطى كان عميقاً ومتقدماً إلى حد أبعد من نظيره فى أوروبا ، حيث كان الفلكيون العرب يعملون بجد لإصلاح النسق « البطلمى » القائم على مركزية الأرض ، وذلك من خلال عملية معقدة متضمنة نماذج رياضية واستدلالات فلكية قائمة على المفاضلة بين النظرية والملاحظة .

ويقرر « هاف » أن شخصيات فى مدرسة مراغة غربى إيران ، مثل الأزدى ، والطوسى ، وقطب الدين الشيرازى ، وابن الشاطر ، قد نجحوا فى الوصول إلى نماذج لهيئة الكون ، غير نموذج بطليموس ، تكررت بعد ذلك فى كتاب كوبرنيكوس .. وإن التماثل بين نماذج الأجرام فى مدرسة مراغة (كما عدلها ابن الشاطر) ، والنماذج لدى كوبرنيكوس كبير إلى حد يمكن القول معه أن كوبرنيكوس قد يمكن أن يُعدّ أحد أتباع مدرسة مراغة .

وينقل « هاف » عن مجلة « إيزيس » *Isis* ٦٦ رقم ٢٣٢ لعام ١٩٧٣ ، رسماً يوضح نموذج حركة الأجرام ، من الطبقة الأولى ، لكتاب كوبرنيكوس عن « مدارات الأجرام السماوية عام ١٥٤٣ م » ، ويشير إلى أن مناقشة كوبرنيكوس فى رأى مؤرخى العلم تدل على أنه لابد أن يكون قد اطلع على مخطوطة عربية متضمنة رسماً مماثلاً ، وقد لاحظ مؤرخ العلم « ويلى هارتينر » *W.Hartner* هذا التماثل فى كتاب للطوسى بعنوان « التذكرة » موجود فى مكتبة جامع السليمانية بأسطنبول ، وينقل « توبى هاف » نماذج مماثلة لابن الشاطر من كتابه « نهاية السول » عن نسخة موجودة فى مكتبة بودلين بأكسفورد [٤] .

ونحن من جانبنا ندعو إلى إعادة تقييم

(٢) د . على عبدالله الدفاع . أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك . مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٩٨٣ م .

(٣) راجع : د . أحمد فؤاد باشا . التراث العلمى للحضارة الإسلامية . ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة . القاهرة . ١٩٨٣م .

(٤) توبى ا . هاف . فجر العلم الحديث . الإسلام ـ الصين ـ الغرب . ترجمة د . أحمد صبحى . عالم المعرفة . الكويت . ١٩٩٦ م .

إنجازات عالم الفلك المسلم ابن الشاطر ، الدمشقى ، المتوفى بدمشق عام ١٣٧٥م ، كما تدعو إلى السعى الجاد فى البحث عن المفقود من مؤلفاته الفلكية والهندسية ، وإذا ثبت ما يتوسمه عنه بعض الباحثين المعاصرين من أنه السابق إلى تفنيد الأخطاء التى وقع فيها بطليموس عن حركة الكواكب ، وأنه الممهد بحساباته الفلكية لتصحيح النظرية الفلكية ، التى صاغها كوبرنيكوس عن هيئة الكون ، فسوف يعتبر من أعظم الفلكيين على مر العصور .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر - بقية

وأشار فى الثانية إلى مجموعها مرتين وخنس الإبهام فى الثالثة . (أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر) .

فقد افتتح الرسول - عليه الصلاة والسلام - حديثه بقوله : (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب) ، يقصد بذلك أنهم لا يعرفون قوانين علم الفلك ، وبالتالى لا يعرفون مدة الشهر القمرى فى صورة دقيقة ، وأنهم لذلك يسيرون فى عدة أيام الشهر على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالى له تسعة وعشرين يوما .

ولاتقاء ما عسى أن يكون فى الحساب التقريبى من خطأ أوجب الإسلام فى الشهور المرتبطة ببعض الشعائر الدينية (كشهر رمضان الذى تؤدى فيه فريضة الصوم وشهر ذى الحجة الذى تؤدى مناسك الحج فى أيام معينة منه ، وخاصة أهم ركن من أركانه وهو الوقوف بعرفة ، فإنه لا يصح أداؤه إلا فى مدة محددة من اليوم التاسع وليلة العاشر) أن يعتمد فيها على رؤية الهلال وفى هذا يقول - عليه الصلاة والسلام - فى شهر رمضان : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً) .

ولشهر المحرم فى الإسلام مكانة مقدسة خاصة . ولذلك سماه الرسول - عليه الصلاة والسلام - : « شهر الله » . ولم يندب - عليه الصلاة والسلام - إلى صيام شهر كامل على سبيل التطوع غير شهر المحرم ، وجعله أفضل صيام بعد رمضان .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أى الصيام أفضل بعد رمضان ، فقال : « شهر الله الذى تدعونه المحرم » . (رواه أحمد ومسلم وأبو داود) .

ويظهر أنه كان له كذلك مكانة خاصة فى نفوس العرب فى الجاهلية ، بدليل أنه اختص من بين الشهور الأربعة الحرم بالاسم الذى يدل صراحة على حرمته ، وذلك قبل أن يعبثوا فى مدة الشهور وأوضاعها ويبتدعوا نظام النسىء الذى كان يتيح لهم فى الغالب انتهاك حرمة هذا الشهر بالذات .

ويسمى اليوم العاشر من شهر المحرم عاشوراء ، وقد يسمى التاسع كذلك تاسوعاء . والراجح أن هذه وتلك تسميتان عربيتان قديمتان . وليستا منقولتين من لغة أخرى . ويظهر أنه كان ليوم عاشوراء مكانة دينية خاصة عند قريش فى الجاهلية .

فقد روى عن السيدة عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن : « يوم عاشوراء كان يوما تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصومه . فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه . فلما فرض رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه » .

مشاكل المراهقة عند الفتيات

للأستاذ الدكتور : أحمد رجائى عبد الحميد

إن المظاهر التى تعلن عن قرب حدوث الطمث الأول تبدأ قبل سنة تقريبا من حدوثه ، وتكون على صورة تبدلات واضحة فى الشكل العام للجسم ، والظواهر التى تسبق حدوث الطمث هى النمو المفاجىء وبخاصة فى منطقة الساقين ، ومن المهم أن تعرف أن نمو القدمين يسبق نمو الساق ، والفخذ بمدة أشهر فتبدو الأقدام طويلة بشكل غير متناسق ، ولكن سرعان ما يختفى هذا ، ومن المعلوم : أن نمو الجهاز العظمى فى الفتيات يبدأ مبكرا عنه فى البنين ، ولذلك تبدو البنات أطول من البنين فى مرحلة البلوغ ، والظواهر الأخرى هى ما يلى :

■ استدارة الوجه .

■ نمو الثديين .

المهم أن نلاحظ أنه لا توجد علاقة بين حجم الثدى والوزن ، ولكن تتدخل العوامل الوراثية فى ذلك ، وأحيانا يكون أحد الثديين أكبر من الثدى الآخر ، كما تتسع الهالتان حول الحلمتين اللتين تزدادان سمكا ، وتصبحان أكثر بروزا .

■ نمو عظام الحوض ، وزيادة عرضه حتى يكون عرض الحوض مثل عرض الكتف .

■ زيادة الطبقة الدهنية للجلد وتظهر على مستوى الجزء العلوى للفخذين والردفين ، والجزء العلوى للذراعين والبطن .

■ نمو شعر العانة الذى يتخذ شكل مثلث قاعدته على مستوى الطرف العلوى لمنطقة العانة ، ورأسه على مستوى الفرج ، وهذا بعكس ما يحدث فى الذكور ، حيث يكون رأس المثلث ناحية السرة ، وهذا الاختلاف فى النمو مهم من الناحية الطبية ، حيث يتم تشخيص وجود خلل فى هرمونات الذكورة والأنوثة ، وبخاصة فى حالات العقم .

■ نمو شعر الإبط ، ومن المهم أن نعرف أن هناك بعض الفتيات يكون نمو الشعر لديهم خفيفا والبعض الآخر يكون نموه كثيفا .

■ تطور فى الأعضاء التناسلية : ويشمل زيادة فى حجم الشفرين : الكبيرين ، والصغيرين ، وكبر حجم البظر الذى يصبح قابلا للانتصاب ، كما تبدأ إفرازات الغدد التناسلية « غدد بارثولين » ويكبر حجم الرحم والمبيضين ، وكذلك حجم قناتى فالوب والمهبل ، كما يزداد سمك الغشاء المبطن للمهبل .

■ تغيير فى درجة الصوت حيث يميل إلى الخفوت .

الطمث الأول

إن الطمث الأول فى عمر كل فتاة له أهمية قصوى ، وفى بحث أجريناه فى إحدى قرى ريف مصر « الوجه البحرى » تم سؤال بعض السيدات من المتعلمات ، وغير المتعلمات عن تجربة أول طمث ، والمثير للاهتمام أن معظم المشاركات فى البحث شرحن بإسهاب هذه التجربة ، والتى كانت قاسية على البعض منهن ، والغريب أنه ما من واحدة منهن قد علمت بما سوف يحدث لها إلا بعد حدوثه ، ومنهن من اعتقدن أنهن جرحن ، ومنهن من ارتعبن وخفن ، ومنهن من حدث لهن الطمث فى المدرسة ، ولم يعلمن كيفية التصرف .

والطمث الأول يسمى الطمث « اللابويضى » حيث لا يكون عادة مصحوبا بإفراز بييضة ، ولكن أحيانا تنزل بييضة بدون طمث - وإن كان قليلا جدا - وإنى أذكر حالة رأيتها فى العريش (شمال سيناء) حملت ٢١ مرة ، ولم تر الطمث فى حياتها (لم تر إلا دماء النفاس) ، حيث تزوجت قبل سن البلوغ ، وحملت ولم تر الطمث ، وعادة ما يكون الطمث غير منتظم فى الأشهر الأولى من البلوغ .

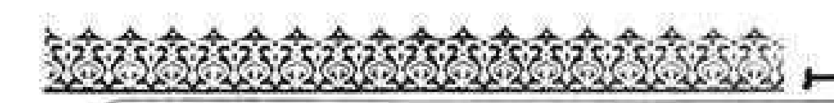
كيفية حدوث الطمث :

تحدث زيادة فى إفرازات الهرمونات المنشطة للمبيضين من الغدة النخامية فى سن من الثامنة إلى العاشرة تقريبا ، وهذا يؤدى إلى أن تبدأ الحويصلات بداخل المبيض فى النمو ، وهذه الحويصلات توجد بها البييضة محاطة بسائل به هرمون « الأستروجين » (الهرمون الأنثوى الذى يفرز بواسطة المبيض) وهو الهرمون المسئول عن ظهور علامات الأنوثة فى البنت ، منذ بداية البلوغ ، كظهور الثدى ، واستدارة الجسم والأرداف ، وهذا الهرمون هو المسئول عن تحول الطفلة إلى فتاة بالغة .

مظاهر الطمث :

تولد الطفلة وفى مبيضها كل البييضات ، التى ستفرز خلال حياتها ، وبعد البلوغ ، وفى كل شهر تبدأ إحدى البييضات غير الناضجة الموجودة بالمبيض منذ الولادة فى النمو ، حتى تندفع بقوة خارج المبيض ، وتسير فى قناة فالوب إلى الرحم ، وفى نفس الوقت ينمو الغشاء المبطن للرحم ، وبعد نزول البييضة يتحلل الغشاء المبطن للرحم ، وينزل على هيئة الدم الذى يطلق عليه دم الحيض ، ثم تبدأ دورة ثانية .





الأعراض المصاحبة للحيض فى سن المراهقة :

تظهر بعض الأعراض التى تؤرق المراهقة ، مصاحبة للحيض فى الشهور الأولى ومنها :

■ الصداع .

■ انتفاخ وآلام فى الثديين .

■ آلام فى أسفل البطن ، أو مغص ، وقد تكون شديدة تحتاج إلى علاج .

■ آلام أسفل الظهر .

■ تقلب المزاج وتوتر الأعصاب ، أو قلق .

■ رائحة غير مستحبة .

■ عدم انتظام فى عدد أيام الحيض .

■ عدم انتظام أشهر الحيض ، حيث قد تأتى مرة ، وتختفى عدة أشهر ، أو تأتى على فترات قصيرة .

نصائح من الممكن أن تقدمها الأم للفتاة المراهقة :

■ يجب التوعية التدريجية ، والتى تبدأ من سن السادسة ، والتى تتدرج إلى تحضير الفتاة لهذا الحدث الهام فى حياتها ، وبخاصة ـ كما ذكرنا سابقا ـ أنه من واجب الأسرة تعليم أبنائها وبناتها أحكام البلوغ ، وكيف تتعلمها الفتاة ؟

وهى لا تعلم ماهو البلوغ ، أو الحيض ، وفقه النساء به كثير من هذه الأمور الهامة التى يجب على الأم التركيز عليها :

التوعية الدينية :

وهى مفصلة فى كتب الفقه الإسلامى باستفاضة ، استنبطت من القرآن الكريم حيث يقول :

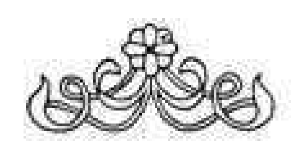
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف ٣١)

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (المدثر ٤)

ومن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يقول : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الماء الراكد ـ وتحت شجرة مثمرة ـ وفى الظل » .

● التوعية الصحية بالنظافة الشخصية .

● التوعية بأهمية الاستحمام يوميا فى أثناء الحيض ، وذلك يساعد على تنشيط الدورة الدموية ، وعلى التخلص من أى رائحة غير مستحبة ، وعلى نزول الدورة بدون آلام ، ومن الأخطاء الشائعة عدم الاستحمام فى هذه الفترة .



خميلة الشعر

إعداد الأستاذ / محمد عبد الوهاب

كل دنيا تبنى على غير دين
فبناء على شفير هارٍ

من أسمح الشعراء
حاتم الطائى

مناجاة



يسعد مجلة الأزهر . وخميلة الشعر بها أن تقدم لقرائها الأعزاء، درة شعرية نادرة من تراث إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .. مصورا من خلال أبياتها المعبرة ، الرحلة المباركة لهجرة نبى الرحمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من مكة المطهرة إلى المدينة المنورة .

والمجلة إذ توجه جزيل شكرها وخالص تقديرها لفضيلة الشيخ الشعراوى حين اختص مجلة الأزهر بهذه القصيدة الرائعة ، لا تنسى أن فضيلته علم من أعلام الأزهر ، أمد الله فى عمره ، داعيا لدين الله ، ومجاهدا فى سبيله .

جزاه الله عنا كل خير .

كل دنيا تبنى على غير دين فبناء على شفير هار

شعر فضيلة الشيخ
محمد متولى الشعراوى

أريحى السماح والإيثار | لك إرث يا طيبة الأنوار
وجمال الجلال فيك عريق | لا حرمنا ما فيه من أسرار
تجتلى عندك البصائر معنى | فوق طوق العيون والأبصار
ومن الحسن ما يضيق به الحس (م) | وعند فاقد الهوى متوارى
قد حضنت الهدى حنونا فألقى | فيك إشعاعه عصا التيار
واحتفا بقعة لجفوة أخرى | ما تعد الأقدار للأقدار
ليس ينسى الزمان نصرتك الحق (م) | بعزم محمدى النجار
هتف الحق حين هاجر حزما | أخن ياليل ، في ضميرك سارى
لم يهنه عن رساله البطش (م) | فباع الأوطان بالأوطار
وتخطى الرقاب ، والعين يقظى | وتحدى ترصد الأنظار
حضنت ركبه العناية فانسا | ب منيع الجناب كالإعصار
والذى حاطه الإله بعين | كان في غنية عن الأستار

★★★

قل لطلابه طلبتم عزيزا | يتهادى في قبضة الجبار
مكر الله إذ مكرتم فآبت | بلظى الخزى ندوة الفجار

◄

هـل رأيتم فتى الفـداء «عليًـا»　　كيـف يحتـل قبلة الأخـطار ؟
ويـرى المـوت قـد أطل عليـه　　كـاشر النـاب جـائـع الأظفـار
كيف يلهو عنه ويسخـر هـزءاً　　من مشيب قبل اسوداد العذار ؟
كيف يرتاع ، والنبوة غذته (م)　　حـديـد المـهـنـد الـبـتـار ؟

★ ★ ★

يا وفاء الصديق فى رحلة الحق (م)　　سـلامٌ عليـكَ يـا خـيرَ جارِ
كنت درعـا ، إقامة ومسيرا　　ونصيـراً يُرجى لـدى الإعسارِ
علم الله مـا انـطويت عليـه　　فـجـزاهُ إمـامـةَ الأبـرار
وكـفـاه عـلى الجزاء دليـلا　　ثـانى اثنين إذ هُمـا فى الغـارِ

★ ★ ★

نغُم الغار : مرحباً بالهدى المحض (م)　　بـلحـن الـتـكـبير والإكـبـار
مـرحباً بـالحياة أرسلها الله (م)　　لـدنيـا تـورطت فى الـعـثـار
مرحباً بالسلام والأمن والرُّحمة (م)　　والـعـدل والهُـدى والـوقـار
مـرحباً بـالبشير لـو عَقَلَ النـا　　س هُـداه أغـنى عـن الإنـذار
مرحباً بالُمجير من غضب الله (م)　　وإن جـاء فى إهـاب المجـار
كم حَـدَثْنا (حِراءُ) حين ترى الرو　　ح أمـيـنـاً يـغـذوك بـالأنـوار
(فحراءُ) و(ثور) صار سواء　　بهـا اشفـع لـدولـة الأحجـار
عـبـدونـا ونحن أعبـد لـله (م)　　مـن الـقـائـمـين فى الأسحـار
تخـذوا صمتنـا علينا دليـلاً　　فـغـدونـا هـم وقـود الـنـار
قد تجنوا جهلاً كما قد تجنوه (م)　　عـلى ابـن مـريـم والحـوارى
لـلمـغـالى جـزاؤه والمـغـالى　　فـيـه تُنجيـه رحمة الـغـفـار
نـغُم الـغـار بـالـنبى طـروبـا　　ومـن الـصـخـر رقـة الأوتَـار
انزلا منزلاً كـريماً على الله (م)　　مـنـيـعـاً عـلى أذى الـكـفـار
فعلى مُـدخـلى أقيمت خيـوط　　تـتـحـدى عـزائـم الجـرار
هى أوهَى البيـوت لكن سقتهـا　　عـزة الـصُـلب قـوةَ الـقـهـار
أنـا عـين ، وأنتـا النورُ فيهـا　　وهـو فيها كـالُمذ الأشتار
لا تـراعى (أسـاء) هيّـا إلينا　　وأعـينى عـلى سـاحـة قـارى

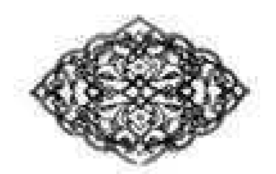


واخطرى كاليقين يهزأ بالشك (م)   حياة من الدُّجى فى خمار
خاتم الرسل لا أطيق وداعاً   وعن المجتلى يعز اصطبارى
غير أنى أرى المدينة ظمأى   فاروها طالعاً يَبُلُّ أوارى
أنا آثرتها علىّ كفاة   وجزاء الإيثار بالإيثار
أطرق الغار خاشعاً ، وسرى الـ   ـهادى حياة تدب بين القفار
فمشى الخير حيث يمشى وَوَلّى   كل عُدْمٍ وطاح كل افتقار
وأتى أم معبدٍ فتسامت   وهى من فكرة القِرى فى دوار
ويحها ويحها وويح كريم   حين تؤذيه صدمة الإعسار
تذمتْ شاتها بضرع بخيل   فإذا مَسّه فكالمدرار
وإذا اللهُ كان عونَ نبى   فازجر العقل عن حدود اقتدار
حرّقت قلبها المدينة شوقاً   عبقريا لطلعة المختار
أسرعى ناق فوق رَحْلك نورٌ   ترتجيه مواكب الأنصار
رحمة للحبيب يرجو حبيبا   فيرى الدهر فى أقل انتظار
حَشَدَتْ حشدَها فلما تجلّى   كبر الحشد من جلال الوقار
قد وَهَبْنا دماءنا فاتقدنا   فى سبيل الله جذوة نار
فاقض فينا لنا بما أنت قاض   ذاك حق الأصحاب فى كل دار
جَلْجَلَ الحقُّ قوةً وحِجَاجا   واضحاً نهجه وضوح النهار
قدْ دَهَى الشركَ مادهاهُ وخرت   جبهة الغى فى سحيق القرار
وَالأُلَى ضيق القضاء عليهم   هم ضحايا العناد والإصرار
اذكروهم وقد تسلل كلٌّ   بعدما انفض مجلس السمار
اختلاساً يسعى لحجرة طه   لسماع التنزيل فى الأسحار
عذرهم حسنه فلما تراءوا   عللوه ببارد الأعذار
غنى الدين عنهم برجال   صادقى العزم قُوَّمٍ أحرار
وكفى الدين عزة ومثالاً   عُمَرُ العادل الطهور الإزار
دعوة المصطفى تشق عن الدين (م)   حجاب الكتمان والإضمار
مثل الفطرة السليمة يأتى   وفقها الوحى آمرا بالمشار

(وبلال) و(الله أكبر) يشدو   فيدوى فى مسمع الأقطار
يا جمال الوفاء من خباب   فى جلال الفداء من عمار
ورعى الله لابن عفان نوريه (م)   فكم كان أريحى البار
باع دنيا الحياة أكرم بيع   كان فيه للدين أكيس شارى

★ ★ ★

ذكرينا يا دار هجرة طه   بالمجيد المسطور للأخبار
واملئى الناس عزة وطموحا   وأرينا روائع الآثار
إنما تلك عبرة وتأس   صبّروها ضرباً من الأخبار
أيقظى الشرق من سُبات عميق   واحمليه إلى مدار الدرار
فيه من محكم الكتاب ملاذٌ   فاقدحى يا رؤوس فالزّند وارى
علّميه الجهاد حزما وعزما   فجنى النّحل من أذى المشتار
علّميه أن الحياة صراعٌ   مَنْ سَهاَ فيه زلَّ فى المضمار
علّميه أن القوى ظلوم   كم يهادى كبارُهم بالصِّغار
فقوى على الضّلال مقيمٌ   وقطيعٌ من الضِّعاف يجارى
ارجعيه لله يرجعْ إليه   كل سلطانه رفيعُ المنار
اطمئنى يا دار هجرة طه   ما توفّ تحية الأشعار
فالتحايا إليك وثبة روح   تنفخ العزم فى حُماة الذّمار
ولنا من تراث ساكنها النور (م)   معين ثر بغير قرار
دولة العلم والسياسة والحرب   ودنيا الهوى والاستهتار
كل دُنيا تبنى على غير دين   فبناه على شفير هار





كان محباً للحياة ، مقدراً لها ، فجاء شعره معبراً عن معانيها ، وقيمها السامية ، التي تتمثل عنده في النهوض إلى ذرى المجد ؛ حفاظاً على معاني الحياة الكريمة ، وتحقيقاً لمثال البطولة ، فهو شاعر أخلاقي ، يتخذ من زوجه (ماوية) ذريعة ؛ ليعبر عن آرائه ومبادئه الراسخة في أعماقه ، التي تبرز تمرده على حب المال ، والشح به ، ولكنه يستخدمه للخير والمحبة ، فهو حين يوجه كلامه إلى زوجه ، إنما يعلن آراءه في الحياة ومعانيها كما يراها ، فجاءت أشعاره وقد غلبت عليها الصفات النفسية ، على الصفات الفنية ، فهو لا يهتم بجمال الفن الشعري ، قدر اهتمامه بالهموم الإنسانية ، فشعره أقرب للطبع من التطبع ، ومن البديهية إلى الصنعة .

وحاتم إلى ذلك ، يمتاز بصفة الفارس الشجاع ، فهو يفخر بتلك الفروسية ، والشجاعة ، شأن غيره من فرسان العرب ، إلا أنه مزج ذلك الفخر بمشاعره الإنسانية ، الفياضة بالخير والشهامة ، فلا ثارات ، ولا أحقاد ، فهو يختلف عن عنترة بن شداد : صاحب الفروسية العنيفة والدامية ، وعن امرىء القيس الرافض لنواميس الحياة ؛ لأن حاتماً كان بحق شاعر اليقين ، والأخلاق الكريمة ، ولا غرو ، فقد كانت أمه (عتبة بنت عفيف) رمزاً من رموز الجود والكرم ، وكانت ذات يسار ، فمنعها إخوتها مالها ، وحجروا عليها ، من شدة سخائها وسماحتها ، فنشأ ابنها على نفس نهجها في السخاء ، ويصدق قوله فعله ، فإذا سئل أعطى ، وإذا أسر أطلق ، وكان يُقسم بالله ، لا يقتل واحد أمه (أي وحيدها) ، ومما ذكر عن أمه ، أنها وهي حبلى ، قيل لها في منامها : أغلام سمح يقال له (حاتم) أحب إليك ، أم عشر غلمة كالناس ؟ فقالت : حاتم ، فلما شبَّ ، كان يُخرج طعامه ، فإن وجد من يشاركه فيه ، أكل ، وإن لم يجد طرحه .

وقد ذكر الرواة له نوادر كثيرة : في سماحته ، وكرمه وشجاعته ، حتى بدت كالأساطير ، فهو لا يغزو غزوة ، ولا يتخذ سبيلا إلا وله قصة للبذل ، وقد ينحر النوق للنفر القليل ، ثم لا يتركهم يرحلون ، إلا بعد أن يقتسموا إبله ، جزاء مدحهم لفضله ، والرواة لا يقصرون فضيلة الكرم عليه ، ولكنهم وصفوا بها بنيه ، حتى بعد موته ، قالوا : بأنه يخرج من قبره ، لينحر للقائمين عليه ويقريهم !

وتختار له قصيدته ، التى يخاطب فيها زوجه (ماوية) ، والقصيدة وإن خلت من التكثيف الفنى فى اختيار الألفاظ ، أو تجسيد الصور ، إلا أنها سهلة العبارة ، رائعة المعنى ، فيقول فيها :

أماوِىَّ ! قد طال التَّجنُّب والهجرُ ... وقد عذرتنى ، من طلابكم العذر
أماوِىَّ ! إنَّ المال غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوِىَّ ! إنّى لا أقول لسائلٍ ... إذا جاء يوماً ، حل فى مالنا نزر
أماوِىَّ ! إما مانعٌ فمُبَيّنٌ ، ... وإما عطاءٌ ، لا يُنهنهه الزجر[١]
أماوِىَّ ! ما يُغنى الثراءُ عن الفتى ... إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر
إذا أنا دلانى الذين أحبهم ، ... لملحودة ، زُلج جوانبها غُبر[٢]
وراحوا عجالا ينفضون أكفهم ، ... يقولون قد دمى أناملنا الحفر
أماوِىَّ ! إنْ يُصبح صداي بقفرة ... من الأرض ، لا ماءٌ هناك ولا خمر[٣]
تَرَىْ أنَّ ما أهلكت لم يَكُ ضرّنى ... وأنّ يدى مما بخلت به صفر
أماوِىَّ ! إنى ، رُبَّ واحدِ أُمّهِ ... أجرت ، فلا قتل عليه ولا أسر
وقد عَلِمَ الأقوامُ ، لو أنّ حاتماً ... أراد ثراء المال ، كان له وفر
وإنى لا آلو ، بمالٍ ، صنيعةً ... فأوله زاد ، وآخره ذخر
يُفكُّ به العانى ، ويؤكل طيباً ... وما إن تعريه القداح ولا الخمر[٤]
ولا أظلم ابن العم ، إن كان إخوتى ... شُهوداً ، وقد أودى ، بإخوته الدهر
غُنينا زماناً بالتصعلك والغنى ، ... كما الدهر ، فى أيامه العسر واليسر
كسينا صُروف الدهر ليناً وغلظةً ... وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زاد بأوًا على ذى قرابةٍ ... غنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقر[٥]
فقِدْمًا عصيت العاذلات ، وسُلّطت ... على مصطفى مالى ، أنامل العشر
وما ضر جاراً ، ياابنة القوم فاعلمى ... يُجاورنى ، ألا يكون له ستر
بعينى عن جارات قومى غفلة ... وفى السمع منى عن حديثهم وقر

---

(١) ينهنهه : يكفه ـ الزجر : المنع

(٢) دلانى : أحدرنى ـ الملحودة : القبر

(٣) صداى : جثتى

(٤) العانى : الأسير

(٥) البأو : التكبر ـ أزرى : عاب

مناجاة

شعر : محمد فتحي نصار

إلـه الكـون : زدنى فيـك حُبـا ... وهب لى ـ بعد تيه البعد ـ قربا
وخـذ بيدى إليـك ، ولا تـدعنى ... وزد الروح بالرضـوان عـذبـا
وطهـرنى ، فهـا أنـا جئت أسعى ... وعُـدت إليـك أشتاتـاً ، وقلبـا
ومـا أنـا بـالتقىِّ أريـد عـدلاً ... ولكن أستدر الفضـل سببـا
ولـسـت بـعـابـد لـك مطمئـن ... وكيف ، وقـد شربت البُعـد شربـا ؟
أعيش الخوف أحلامـاً ، وصحـواً ... وأحيا ـ فى خناق الكرب ـ كربـا
ولمـا أن عـرفـتـك ـ يـا إلهى ـ ... وقد أحدثت ـ بعد الذنب ـ ذنبا
ومـا قـدمـت خـيـراً أرتجيـه ... ومـا قـربـت من دنيـاى قـربى
أتيتـك بـالمعـاصى مُستجيـراً ... فلم أعرف سواك ـ العمر ـ ربـا
وعفـوك واسـع ، يـارب : عفـوا ... وفضلك سـابغ شرقـاً ، وغربـاً
وأنـت المالك الملكـوت ، ربى ... عطاؤك يغمر الأكوان رحبـا
فررت إليـك من أطواق نفسى ... حملت ـ مع المنى ـ قلبا محبا
فلا تتركـه للدنيـا شقيـا ... وكافئه حبه ـ يارب ـ حبـا



للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

شعر الحكمة بصفة خاصة هو الذى جعل (المتنبى) يقول بحق عارفا قدر نفسه وموهبته :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعرا .. أصبح الدهر منشدا

وقد صحت نبوءته بالفعل ، فمازلنا نقرأ شعره ، مشغوفين مأسورين ، بعد تعاقب القرون والأجيال ، التى شاركتنا فى الإعجاب به ، والإقرار له بالنبوغ والتفرد .. وليس بالكثير عليه أن يقول أيضا عن شعره :

إن هذا الشعر ، فى الشعـر ، مـلك سار .. فهو الشمس ـ والـدنيـا ـ فلك

ويكفى أن نردد معه فى شعر الحكمة ، قوله :

نحن بنـو الموتى ، فـمابالنا نعـاف مـا لابـد من شربـه
تبخـل أيـدينـا بـأرواحنـا على زمـان ، هن من كسبـه
فـهـذه الأرواح مـن جـوه وهـذه الأجـسـام مـن تـربـه

وقوله :

من أطاق التماس شىء غلابا واقـتـسـارا ، لم يلتمـسه سؤالا

ولعل أمير الشعراء (شوقى) ـ الحكيم الثانى بعد المتنبى ـ قد نظر إلى هذا البيت ، حينما قال بيته المشهور :

ومـا نيـل المطالب بالتمنى ولكن تؤخـذ الدنيـا غلابـا

وقوله أيضا ـ أى المتنبى ـ :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

حتى قال ابن جني : أشهد الله ، لو لم يقل (أي المتنبي) غير هذا البيت ، لتقدم به أكثر المحدثين (يعني من كانوا في زمانه) ، وإن كان ابن جني ، قد قال عن بيته في أحد الممدوحين :

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا

ولا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ، ولو قال : (أنشاك) ، أو نحو ذلك ، لكان أليق بالحال[1] ، ولسنا مع ابن جني في قوله هذا ، فحسب لفظة (سواك) أنها : لفظة قرآنية[2] جاءت في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

(سورة الانفطار الآيات ٦ و٧ و٨) .

هذه المقدمة لابد منها حتى نتهيأ لولوج عالم شاعرنا (صان الدين) الرجيب ، في ديوانه « الإنسان في الميزان » ، الذي ضم بين دفتيه أكثر من ألفي بيت[3] تدور كلها أو معظمها في نظراته ولفتاته ، في عالم الحياة ، والناس ، والحكمة ، وكان قد سبق له من قبل إصدار هذا الديوان ، كتاب آخر ، يحمل عنوان : « شوارد وسوانح » ، يبث فيه آراءه وحكمته ، في سطور نثرية ، وصدره الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، بمقدمة ضافية ، دالة ، يقول في مستهلها : « بين يدي هذا الكتاب الممتع ، والسفر البليغ : « شوارد وسوانح » يتراءى لنا في صورة الحكيم الحائر ، والفيلسوف الساخر ، والشاعر المالك لزمام الكلمة ، والمتذوق لسحرها وبلاغاتها وموسيقاها » .

وهكذا نجد أن شوارد وسوانح » المنثور ، كان بمثابة إرهاص لديوان : « الإنسان في الميزان » الذي يستوقفنا منه - بادىء ذي بدء - قوله تحت عنوان : « الإنسان محير » :

راصد الإنسان في عصر الهوى .. يمشي كئيبا
إذ يرى في كل يوم واقعا منه عجيبا

---

(١) وقد زعم الحاتمي - أحد الناقمين على المتنبي - أنه أخذ عن أرسطو قوله : « الزمان ينشئ ويتلاشى ، ففناء كل قوم ، سبب لقوم آخرين » فقال - أي المتنبي :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

فأين تشابه بين قول أرسطو ، الذي يرى أن الحياة دائبة في إبراز قوم إلى الوجود ، في إثر قوم ، بينما يرى المتنبي أنه يحدث أحيانا أن يستفيد الناس من مصائب بعضهم البعض ، بطريقة أو بأخرى .

(٢) وحسبنا قول ابن تيمية ، في هذا الموضوع : « ... وأما الإتيان بلفظ يبين المعنى ، كبيان لفظ القرآن ، فهذا غير ممكن أصلا ، ولهذا كان أئمة الدين ، يجمعون على أنه لا يجوز أن يقرأ (أي القرآن الكريم) بغير العربية ، لا مع القدرة عليها (أي بالترجمة مثلا) ، ولا مع العجز عنها ، لأن ذلك يخرجه عن أن يكون هو القرآن المنزل » .

(٣) وهذا يمثل الجزء الأول من خماسياته التي تبلغ أكثر من أربعة آلاف بيت ، يضم الجزء الثاني منها بقية الخماسيات وهو قيد الطبع .

بعد رصد الناس حينا ... يشتفى منهم حبيبا
فيه أمن واقتناس ... إذ به يلقاه ذيبا !
إن عيشا بين ذؤ ... بان .. محال أن يطيبا

وراصد الإنسان هنا ، هو الشاعر نفسه ، بعد أن قبع فى خلوته ، متأملا متفكرا ، ومجترا لذكرياته عبر عمره المديد ، ومستوحيا تجاربه فى الحياة ، التى تموج بالعبر ، والأحداث التى مر بها ، والمشاهد العجيبة ، للمتناقضات التى تزخر بها دنيا الناس ، والتى جمعله يقول فى ذات الموضوع ، متسائلا :

هل صحيح تعمر الدنـ ... ـيا بصيد واقتناص ؟..
واقتحام غير مشرو ... ع ، وأخذ بالنواصى ؟
لا وربى ذاك مايهـ ... ـذى به أهل المعاصى
بل بشرع صان حقا ... فيه عدل وتواصى
ثم تأديب برفق ... ثم زجر بالقصاص

إلى أن ينتقل إلى خماسية أخرى ، ناصحا ومحذرا ، بقوله :

ذاهل عن روضة من ... نام فى جنى النضار
أحمق من راح يبغى الظل ... فى جدب القفار
عابث من رام عز العيـ ... ـش فى حضن الصغار

ويستخلص الحكمة من هذا كله ببيتيه التاليين :

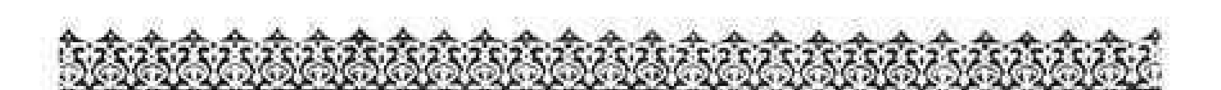
إنما الدنيا اجتهاد ... كل أطراف النهار
من توانى فى ارتقاء الصعب ... يقعد فى انكسار

وشعب (اليابان) يعطى المثل الأعلى ، لمضمون البيت الأول ، فى نشاطه وغزارة إنتاجه الذين نافس بهما شعوب العالم بأسره .

***

وفى قصيدة له بالديوان ، بعنوان : (نصح) يتلفت شاعرنا حوله ، فيجد أن الدنيا ظل زائل ، ولون حائل ، فلا يملك إلا أن يجأر قائلا :

يا إلهى كل ما را ... ءته عينى .. قد تحول
كم أشم راسخ الأر ... كان صلب .. قد تزلزل
كم رصين ظنه الإنـ ... ـسان لا يبلى .. تحلل
إنما أعلى المعا ... نى والذى للعيش أمثل
لم يعد فى الناس ميزا ... ن ، ولا للرى منهل



ثم يجيل الطرف فى خضم الحياة والناس ، وهو يرهف السمع ، إلى أن يقول فى خماسية أخرى بهذه القصيدة :

ليس أهلا لاستماع من مضى بالقول يهذى
ليس حرا فى انطلاق من مشى كالظل يؤذى
فالرياح الهوج تدعو من يلاقيها وتقذى

ثم ينتهى إلى بيق الحكمة ، فى نهاية الخماسية :

إن بعض الناس يهوى كل شر مستلذ
لا يكف الشر منه غير سلطان يأخذ

وننتقل ـ مضطرين ـ لوفرة ما نود الحديث عنه ـ إلى فصل آخر يحمل عنوان : (لوادع) ، يقدم فيه شاعرنا نادرة مستخرجة من الواقع العجيب ، الذى نعيش فيه ، فيقدم لنا قصة حوارية ، تشى بتمكنه من الفن الدرامى ـ ليته يخوض غماره ـ ويقدم لنا منه ثمرة من الشعر المسرحى ، الذى نتمنى أن يعالجه ، كما صنع (شوقى) فى أخرياته ، بنظم : (مصرع كليوباترا) ، و : (مجنون ليلى) و (عنترة) ، وغيرها من المسرحيات الرائعة .

والقصة الشعرية التى يقدمها لنا صابر الدين هى بعنوان : (شعوذة ودجل) ويستهلها بقوله :

قلت للعراف فى جو التدجيل ، والبخور
والتهاويل التى قد خدرت وعى الحضور
كيف تدرى ماتوارى طى غيب عن بصير
قال : إن الجن يأتيني بأنباء الدهور !
قلت إن الجن مثلى عمى عن كشف المصير

ثم يبرز على خشبة المسرح ، أحد الدجاجلة من معاونى (العراف) يصور شاعرنا حركته المصطنعة المتفق عليها بقوله :

فانبرى لى ذو فنون من مريديه يقول :
إن علم (الشيخ) سر ليس تدريه عقول
كم وكم .. من معضلات منه ، وافتها .. الحلول
عنده للغيب كشف إنه (شيخ) جليل
قلت : فض الله فاك أيها الغر الجهول !

ثم يستطرد الشاعر فى إزجاء نصحه ، بعد هذا الحوار الطريف ، فيقول :

مانبى أو رسول خاض فى علم بغيب
إن مايشوه وحى عنه نور الحق يخبى

أيها الإنسان حكم في القضايا شرع ربي
إنه الينبوع يروى من غير كل قلب
لا تكن في العيش غرا لعبة في كف خب[1]

ثم يتجاوز شاعرنا العراف وتابعه ، إلى مخاطبة النجم ذاته ، الذي يزعم العراف أنه يستقى (علمه) منه ، فيقول في خماسية أخرى :

ياعيون النجم هل تد رين ماتخفى الليالي ؟
هل قرأت اللوح عند العـ ـرش في نور الجلال ؟
هل أجبت السائل الحيـ ـران عن قصد السؤال ؟
أم لزمت الصمت والإعيـ ـاء عن شاق المقال
ضل عقل يحسب الأفـ ـلاك تنبئ عن مآل

وحكمة شاعرنا في ديوانه ، ليست الحكمة التى صيغت في قالب بيانى رصين فحسب ، بل إنها حكمة تمور بالحياة ، وتجيش بالفطنة .. حكمة عملية مستقاة من الواقع المعاش ، كقوله ساخرا ، تحت عنوان (ديكور) :

في بيوت مكتبات بثمين الكتب غصت
مذهبات ، حاليات كالعروس البكر زفت
في رفوف .. قابعات بيد التنسيق رصت
علمها في جوفها عن راغب في البحث أعفت
إنها للزهو (والديـ ـكور) في قصر ، أعدت

وكيف لا ؟ و :

إن قانيها وجيه يجلب السفر الثمينا
صانها بكرا بتولا فتنة للناظرينا
إن تسل عن محتواها زاغ فكرا .. وعيونا
قال : عندى ألف سفر فيه علم العالمينا
إنها برهان عرفا ن ، وحب السالفينا !!

ثم يقول ساخرا ، في مستهل خماسية أخرى :

أيها السارى وضوء الشـ ـمس .. يسعى في النهار
أمسك المصباح واحذر في الضحى شر العثار

---

(١) الخب : الخداع المزور .

ثم تأتي إلى فصل : (العرب والإسلام) ، وهو من أهم - إن لم يكن أهم - فصول الديوان ، فنجده يخاطب الأمة العربية جمعاء ، تحت عنوان : (ياعرب) بقوله :

يابني عدنان أو قحطان أين اليوم أنتم ؟
من زمان فيه فوق الـ أنجم الزهراء كنتم ؟
حينما أنحمتم الدنـ ـيا بعلم قد علمتم
يوم كان الأمن والإيمـ ـان ظلا حيث سرتم
يوم ساد العدل بين النـ ـاس ، في شعب حكمتم

ثم يسترسل في بيان مسببات هذا الماضي المجيد الرشيد فيقول :

كان هذا حين كان الديـ ـن غضا في القلوب
حين كان العلم نورا في البراري والدروب
يوم كان الحب بين النـ ـاس يمحو كل حوب[1]
حين سار العرب بالإسـ ـلام .. عشقا للشعوب
يوم كان البر بالإنسـ ـان حتى في الحروب

ثم يعمد إلى التذكير والتنبيه فيقول :

هل نسيتم أنكم بالد ين كنتم خير أمه
واحتضنتم دعوة الإسـ ـلام في عز وهمه
فصعدتم واستويتم في المعالي .. فوق قمه

ويختلج قصيده ، وهو يقول متهدجا :

أمة القرآن والإيمـ ـان ، والفصحى أفيقي
وادرئي في عزم حر هجمة الشر المحيق
واجمعي أشتات شمل حول ميثاق وثيق
وارجعي من غير إبطا ء .. إلى قصد الطريق

وليت هذا النداء القوي الصاعد ، الحار المتدفق ، يتحقق ، حتى يتحول واقعنا المعاش اليوم ، إلى أكرم وأسعد حال .

ونحسب أن الشعر قد استجاب لضراعة شاعرنا (صان الدين) ، حينما خاطبه مستعطفا ، بقوله :

ياقريضي كن لوجدا ني وفكري .. مستجيبا
واجعل الإيمان لحنا يطرب الكون الرحيبا

---

(١) حوب : عيب .

فجاء شعره سلسا ، عذبا ، رقيقا ، وجاءت قوافيه محكمة طيعة ، ولم لا ؟ وهو يقول له ، في مقطع آخر :

ياقريضى قد كحلت الـ	ـعين ـ طول العمر ـ سهدا
كى أحيل القول أنغا	ما وأنساما وشهدا

إلى أن يقول ـ آسيا ـ في مقطع ثالث :

ياقريضى فوق متن الـ	ـموت حتما ، سوف أرحل
إن بعيدا ، أو قريبا	حل هذا ، أو تأجل
حين ألقى وجه ربى	عنك إنى سوف أسأل
هل يراعى كان فيما	خط .. عفا ، أم تبدل
كل حرف فيك ياشعـ	ـرى ، لدى ربى ، مسجل(1)

ومن هذا المنطلق ، نراه يوجه حديثه للدعاة جميعا ، ناصحا وموجها بقوله الذى نجعله مسك الختام لحديثنا عنه ، وعن ديوانه :

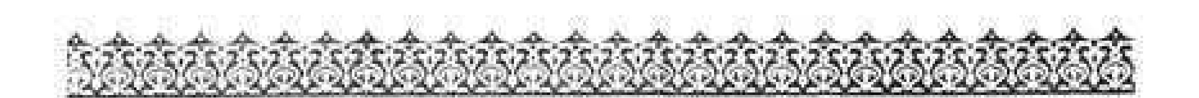
أيها الداعى لدين الله	كن عفا رقيقا
واجعل البرهان والحسـ	ـنى إلى العقل طريقا
لا تقدم من علوم	تاتها .. إلا .. رحيقا
كن بإكبار واصغا	ء لما تلقى .. خليقا

وقوله مبتهلا إلى الله عز وجل :

ياإلهى نح عنى	كل ما يطغى ويغرى
أو فثبتنى على الإيمـ	ـان ، في أنواء عصرى
إننى أمشى ، ولكن	فوق أشواك وجمر
لست أرخى من زمامى	مثلما أرخاه .. غيرى

---

(1) وهذا البيت يشعرنا بمدى إحساس الشاعر بمسئولية الكلمة . في ضوء الآية الشريفة :
﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (سورة ق ـ آية ١٨) .



رحلة مع التراث

مخطوطة

ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا (٢)

لشهاب الدين الخفاجي

عرض وتحليل : الأستاذ/حامد الجوجرى



القسم الثانى :

(فى محاسن العصريين من أهل المغرب وما والاها . .)

وعددهم عشرة .

ثم فصل آخر عن . . ذكر الدولة الحسنية ومن بها من بقية العليا والشعرا والأعيان وعددهم ثمانية عشر .

القسم الثالث :

(فى مصر وأحوالها والعود لرسومها وأطلالها)

يقول المصنف : « لما كانت مصر القاهرة ، ربوعها بالفضلاء عامرة وهى عشى اللذى منه درجت » .

وبعد حديث طويل عن حبه لمصر وارتحاله عنها والعودة يبدأ فى الحديث عن شعرائها وعددهم بالمخطوطة أربعة وخمسون .

منهجه فى ترجمة الشعراء والأدباء بالمخطوطة :

طريقة الخفاجي في هذه المخطوطة تختلف عن كل ما عرفنا في موسوعات التراجم، كمعجم الأدباء، والذخيرة، والأغاني، وغيرها.

١ ـ أنه لا يتعرض لأي عنصر زمني عن المترجم له.. فهو لا يذكر تاريخ مولده، ولا تاريخ وفاته ولا عصره.

٢ ـ أنه لا يحدد لنا بصورة واضحة ما تقلده، والمترجم له من وظائف، أو ما يقوم به من عمل ـ إلا بعض إشارات في صورة أدبية حتى يغلب عليها الغموض من مثل قوله عن / محمد الحنفي المفتي المعروف ـ فبحره لا تكدره الدلاء، ومورده العذب لا تزجه الركاء (الأواني) ـ وهبط رحلة في نادي الكرم، ومن يشابه أبه فما ظلم «فأفتى ودرس، ونزل في ساحة الفضل وغرس مشيرا إلى وظيفة (المفتي) التي تقلدها».

٣ ـ أنه يعرض لجوانب الشخصية في صورة تصويرية بلاغية لاتكاد تدرك من خلالها الفرق بين الحقيقة والمجاز.. فأحيانا يتناول جانب الصفات في المترجمة له.. كقوله عن شيخ الإسلام سراج الحانوتي.. «وقور حليم لا يعرف الطيش، وله ثروة عظيمة وعفة، وحسن اللباس، منقطعاً (خطأ نحوي) عن سائر الناس قائلاً لطارق الوسواس».

٤ ـ أنه يشير أحياناً إلى ما للترجمة له من إنتاج أو إلى بعضه في صورة غير محددة أو واضحة لما في طريقه العرض من وجوه البلاغة والمجاز ـ كقوله عن عبدالرحيم العباسي «ولم أر من آثاره غير معاهد التنصيص في شرح شواهد هذا التلخيص.. وسمعت له مسرحا على البخاري ورأيت له شعرا وإنشادا.

٥ ـ أنه يعمد إلى المبالغة في عرض الشخصية فيخلع عليها من الصفات والفضائل ما يفيض به قلم الأديب، لا ماينطق به الواقع والحقيقة في حشد كبير للصور والمعاني والأخيلة والمحسنات. كقوله في عز الدين بن عمر الفارسكوري: ـ

(فاضل عريق، وأديب في بحار آدابه حاسده غريق، له خلق خليق بالألطاف وفضل تقطع دونه النعوت والأوصاف.. ونهى غادرت ضمير القراطيس مصحناً لألسن الأقلام..

فحكى النسيم لطافة كما سرى، وحديث كتحدث الماء الزلال إذا صفا.. فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى، وللأمل فيه عداة (يقصد وعود) يُرجى وفاؤها.. وله على الدهر ديون بينة يحق له أداؤها.

● الاتجاهات النقدية في المخطوطة: ـ

يعتمد المصنف في نقده للمادة الأدبية بالكتاب على عدة اتجاهات.

١ ـ شرح الكلمات أو الأبيات ومضمونها.

٢ ـ النقد اللغوي المفصل باستخدام اللفظ ومدى صحته أو خطئه.

٣ ـ النقد البلاغي، والإشارة إلى ما يكون في بعض نصوصه من مجازات ومحسنات. وبيان.. وبديع..

٤ ـ الاستطراد بذكر النظائر والأشباه وما أخذ بعضهم عن الآخرين. والموازنة بين هذه النظائر.

٥ ـ المطارحات بين الشعراء، وما يرد به أحدهم على الآخر.

وسوف نتناول هذه الجوانب بإيجاز لا تقص به، والإلمام بالموضوع والتمثيل له والاكتفاء عن الكل بالبعض.

شرح الكلمات، أو المضمون الفكرى.

فى الصفحة الثانية (حاشية) يقول فيها :

« رجل ألفّ بَيِّنُ اللّفف أى عيى بطىء الكلام إذا نطق ملأ لسانه فمه . قال الكميت يهجو بعض الولاة : ـ

« ولاية سلفد ألف كأنه
من الرهق المخلوط بالنوك أثول

● يقول : « كأنه من حمقه ومايتناوله من الخمر تيس مجنون » .

والسلفد الأحمق .. والرهق قال الأصمعى .. رجل فيه رهق أى إقدام على المحارم .

وإنما أوردت نص عباراته حول بيت الكميت لأبين منهجه فى شرح الكلمات والمعانى الكلية للأبيات ، وما تميزت به من دقة ، واستيفاء للمعنى من كل جوانبه .

٢ ـ النقد اللغوى : يقول فى غضون حديثه عن (محمد الصالحى الهلالى) وفى البيت الأخير من تائيته :

(سلاح نجم على العلياء متقد
وما رعته الجياد الأعوجيات

سانحة : فى قوله رعته (استخدام) لعودته إلى النجم بمعنى الكوكب على ملاحظة معنى البيت .. وقد يتعدد ذلك كما فى قول ابن الوردى :

(وقالت لى وقد صرنا
إلى عين قصدناها
بذلت العين فاكحلها
بطلعتها ومجراها)

وقد يكون (الاستخدام) بالضمير من غير اشتراك أيضاً ـ كما فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾

ويكون بالضمير المستتر فى حال ونحوها كقولك بذلت العين مكحلة وطالعة ، وقد يكون بالتمييز من غير ضمير .. كقوله : « أخت الغزالة إشراقاً وملتفتا » ، وقد يكون باسم الإشارة كقولى : « رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره » وقد يكون بالاستثناء .. كقول ابن الفارض : أبداً حديثى ليس بالمنسوخ إلا فى الدفاتر ـ فذكر النسخ بمعنى الإبطال واستثنى منه بمعنى الكتابة .. ولعلك من خلال هذه الأمثلة قد أدركت ما يعنيه المصنف بكلمة (الاستخدام) وهو يعنى بها كما ترى ما فى الكلام من إيهام وتورية ـ فالنجم ، والعين والغزالة والعقيق ـ والمنسوخ كلمات لها معنيان .

ومن النقد اللغوى ما أورده فى قول الشاعر :

فإذا ماضحاها نوره الظل وقد أتت الضياء الضحاء
فكأن الغمامة استودعته ـ مذ أظلت من ظله الدفقاء

وملخص نقده .. أن الشارحين ظنوا (أضلت) مبنية للمعلوم (بالضاد) بمعنى أضاعت ـ والدفقاء بفاءين ـ أى المسرعين فى السير (من الدف فى السير) « أى السرعة فى السير » .

ويقول المصنف .. هذا خبط وخلط .. وإنما هو هكذا ..

فكأن الغمامة استودعته ـ مذ أظلت من ظله .

فاستودعته وأظلت مبنيان للمعلوم بصيغة المجهول ـ و (مذ) فى رأى المصنف بمعنى الأرض وترابها .. أى أن السحابة أخذت الصور وديعة

عندها حتى لا يمس تراب الأرض لأنه من نور الله (حسب معنى الأبيات السابقة على البيت) من المزيمة .

النقد البلاغى فى المخطوطة : النظرة البلاغية الواعية من المؤلف تسود المخطوطة (يقول .. إن المتأخرين من أصحاب البديعيات لما أكثروا من أنواع البديع ، وفيهم بعض من الأخيرة له بدقائق المعانى والعلوم رأوا فيها أنواعاً مدخولة) .. وهذه النظرات البلاغية واردة فى أكثر من موضع .. بل فى أغلب المواضع ومن ذلك ما أورده حول تشبيه الشيب بالتراب عند أكثر من شاعر .. كقول محمد ابن قاسم الحلبى ، بعد أن شبه العمر بكتاب الأيام [فإذا تم منه ما كتبته ـ تربته[1] من شيبه بتراب] يقول المصنف ـ هو معنى بديع ونحوه قولى أرى نسخة للعمر سودها الصبا .. وللأمير العاصمى :

قالت أهذا الذى أراه
غبار طاحونة بدالى
فقلت لا تعجبى لهذا
غبار طاحونة الليالى

قلت .. لولا مشاكلة الطاحونة السابقة ودوره معها (يقصد وروده معها) لقبحت هذه الاستعارة جداً .

النظائر والأشباه ـ يقوم أكثر شعر المخطوطة على هذه الظاهرة التى وردت فيها عن طريق الاقتباس أو توارد الخواطر ، أو نقل المعنى بين شاعر وآخر أو آخرين .. وقبل أن نمثل لهذه الظاهرة نقدم لها بذكر رأى المؤلف بها ومدى إقراره لها .. أورد من شعر السيد / حسين بن مطهر اليمنى :

الحج يقصد كل عام مرة
ولك العوالم كل حين تقصد

يقول : وهذا المعنى كثير مسبوق إليه كقول بعض العصريين :

كعبة أسست على الفضل لكن
كل حين لها يحج الوفود

وأصله قول سعيد بن سلام وقد قال له بعض ندمائه فى بستان : ما أحسن هذا البستان ، فقال : أنت أحسن منه . لأنه يؤتى أكله كل عام ، وأنت تؤتى أكلك كل حين .

(وفى البيتين كلمتا عام وحين)

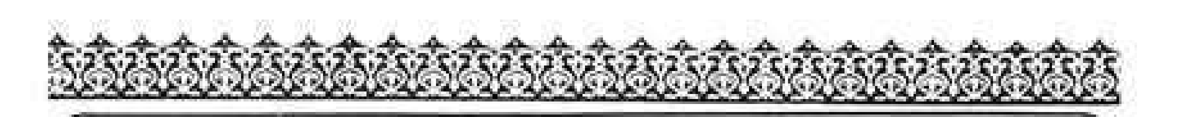
والمصنف يرى أن هذا اللون من التقليد هو من قبيل (حسن الأخذ) لا السرقة وأورد فى هذا رأى أبى هلال العسكرى فى الصناعتين أن صياغة المعنى فى ثوب جديد ليس سرقة ، وعلى هذا النمط ساق الشاعر أكثر من عشرين مثالا للتناظر وما يمكن أن تسميه « شعر الموضوع الواحد » فقد أورد لشعراء مختلفين شعراً حول [الشيب] [والأحدب] و[العذار]و [الرمد] و[خيال الظل] و[الكحل] و[القهوة] و[الشمعة] وسنقتصر على بعض ما أورده المصنف حول الشمعة .

فمن شعره فيها :ـ

لمال الشموع ستان نار
إذا ما لاح يهزم الظلام

---

(١) وضع التراب على الخط ليجف عادة قديمة .



وله أيضاً :

لما رأت أن الظلام يكيدها
ويكاد يؤذن شملها بشتات
أكلت من الغيظ المبرح نفسها
وتلمظت كتلمظ الحيات

وأورد في نفس المعنى :

خلقتم به كالنار في الشمع فهي لا
تفك يدا عنها ولو حز رأسها

وقال :

وترى الشمع إذا زاد السنا
ضاحكا مبتسما من نشره
كالفتى قد سره أوقاته
وهو نقص زائد من عمره

على أن المؤلف لا يفوته أن يعلق تعليقا سريعاً كنوع من الموازنة حين يقول : وأحسن منه قول فلان وأجود من هذا ما قلته في نفس المعنى .. إلى آخر هذه العبارات التي تعطي روح الموازنة والمقارنة والتفضيل .

المطارحات في المخطوطة :

مما أورد المصنف من المطارحات بين الشعراء وبينه وبين الشعراء كثير من القصائد ومنها ما كتبه المصنف للشاعر الطالوى يقول :

قبلت مصطبحا شفاه الأكؤس
والصبح مبتسم بثغر ألعس
حتى غدت منه الغزالة واختفى
مسك الدجى عند الجوار الكنس

فأجابه الطالوى :

خد تورد من لهيب تنفس
أم قد معسول المراشف ألعس

من ريم (وجرة) أو جآذر جاسم
لبس الشباب الروق أحسن ملبس

وهما قصيدتان طويلتان

ومن المطارحات ما اتخذ شكل الألغاز كالمثال الذي أورده بينه وبين أبي بكر بن إسماعيل .

نظرات نقدية متفرقة في المخطوطة : من الاتجاهات النقدية نرى من قول حسن البوريني :

يقولون في الصبح الدعاء مؤثر
فقلت نعم لو كان ليل له صبح

وفي البيت معنى حسن قال إنه ترجمه من الفارسية مع أنه مشهور في أشعار العرب كقول ابن شبيب :

يقولون لو غربت قلبك لارعوى
فقلت وهل للعاشقين قلوب

وقول اليازجي :

أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه
ترني فقلت لها وأين فؤادي

وأورد المصنف من قول أحمد أبو العباس المنصور :

فياشادنا يرعى الحشا أنت بالحشا
أنا لمحل أنت فيه زمام

وأحسن من هذا قول الأرجاني :

يرمى فؤادي وهو في سودائه
أتراه لا يخشى على حوبائه

يقول المصنف : وهنا نكتة أدبية وهي أن الأرجاني أخذ هذا المعنى من قول الحماسي ، إلا أن هذا لا يعد سرقة وإنما هو توليد ..

ومن اتجاهات المصنف في النقد .. تقرير أثر البيئة في تكوين الشاعر .

ومن آرائه النقدية مصطلح سماه (التعبير بغير المعتاد) وهو ما نطلق عليه الآن التشخيص أو التجسيد في التصوير البلاغي . ومثل لذلك بشعر منه قول ابن الرومي :

صلبت خلائقه فكأ
من الصلوبة يشرب

وقول ابن المعتز :

يكاد لولا اسم الإله يصحبه
تأكله عيوننا وتشربه

وأورد المصنف لمحة بلاغية تعليقا على قول ابن مطروح :

وأقول
يا أخت الغزال ملاحة
تقول لا عاش الغزال ولا بقى

فيقول إن من التشبيه البليغ أن ينفى التشبيه فيقول مثلا : ما هو ببحر فإنه عذب .

التضمين في المخطوطة :

أشار المؤلف إلى بعض الأبيات التي بها تضمين من الأقوال المأثورة أو من الشعر القديم من مثل :

وقائل هل عمل صالح
أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حُبي خدمة المصطفى
(فالمرء يوم الحشر مع من أحب)

ومن شعر المصنف :

للذئب تجل فعله
لاح على غير نمط
حاكا(١) أباه في العلا
(فهل رأيت الذئب قط)
وقد حل العذار بوجنتيه
(بمنزلة الربيع من الزمان)

الطرائف في المخطوطة :

اشتملت المخطوطة على بعض الطرائف وهذا مثال لها من شعر شهاب الدين الفيومي يمدح يهتز من تحت السلاح (كأنها)(١)

ريحانة لعبت بها ريح الصبا

فغضب الممدوح وكاد يفتك به لولا أنه قال بعد ذلك :

في كل منبت شعرة من جسمه
أسد يمد إلى الفريسة مخلبا

ملاحظات خطية وإملائية على المخطوطة :

١ ـ المخطوطة محبرة بخط أسود ، والعناوين والأسماء بخط أحمر .

٢ ـ لا تكتب الهمزة في الأسماء الممدودة ولكن تكتب رأس جيم مثل (بناً) : بدلا من (بناء) .

٣ ـ الاسم المقصور والفعل الناقص بالألف يكتب أحياناً ألفا ولو كانت الألف منقلبة عن ياء في الفعل أو رابعة في الاسم مثل : « تبوأ في المجد أعلا مقام » ، ومثل « ألفت الضنى من بعدكم » كتبت (الضنا) .

٤ ـ أن بعض التجاوزات الإملائية تسيء إلى وزن الأبيات ومن ذلك :

خلفت ألوفا لما رجعت إلى الصبا . والصواب (لو رجعت) ، وكذلك يشتاقكم « كل هيت يمانية » والصواب . . (كلما) . وقوله « أما قلبه فشجى » والصواب « فشج » لأنه نكرة مرفوعة .

٥ ـ إن المؤلف كان يقذع أحياناً في نقد بعض الشخصيات كقوله عن (الشيخ المهوى) « وسخ الثوب والعمامة ، والبرذون والقفا والغلام » .

٦ ـ أن المؤلف لم يضع خاتمة للكتاب فجاءت نهايته مبتورة في هذه النسخة التي بين أيدينا .

(١) هكذا وردت .

تعقيب على
رحلة مع التراث

من مؤلفات الشهاب الخفاجي كتابه : ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، وقد أعددت رسالة لنيل العالمية (الدكتوراه) من كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٤ بإشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرازق البسيونى رحمه الله ، ونلت عليها درجة مرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٨٤ .

وقلت عن الكتاب المذكور إنه مطبوع فى مصر عام ١٣١١هـ ، ومدحه ابن معصوم فى السلافة ص١٨ ، والأستاذ محمود مصطفى فى كتابه الأدب العربى جـ٣ ص ٢١٠ ، والكتاب تراجم أدبية وتاريخية واسعة لشعراء وأدباء عصره ، وعلماء القرن الحادى عشر فى مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب .

والريحانة مقسمة إلى عدة أقسام وهى :

الأول : فى محاسن أهل الشام .

الثانى : فى تراجم العصريين من أهل المغرب ومن والاها .

الثالث : فى تراجم مكة ومن بحماها من الأشراف والعلماء والشعراء والأعيان .

الرابع : فى تراجم أهل اليمن ، ومن بلغه خبره فى هذا الزمان من الفضلاء والشعراء .

الخامس : فى الترجمة لأدباء علماء مصر .

السادس : فى الترجمة لنفسه .

ثم ختمه بالحديث عن الفصول القصار ، والمقامة الرومية ، ومقامات أخرى ، والحديث عن « تعالى » وبنائها وآراء النحويين فيها ورأيه ، وختم الكتاب بقوله : هذا تمام ريحانة الألبا المشتملة على أحاسن الأدباء .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

فهل بعد هذا البيان يدعى أحد أنه مخطوط لم يعرف ، وأن صاحبه مجهول مع أنه كالشمس شهرة ، أرجو رد الحق إلى نصابه ، وبخاصة على صفحات مجلة الأزهر الشريف ، والله الموفق .

أ.د صلاح عبد العزيز على السيد

رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالمنصورة .

كم كنا نود من السيد الاستاذ حامد الجوجرى كاتب مقال : رحلة مع التراث ، أن يعمد دائما إلى اختيار المخطوطات التى لم تطبع بعد ، حتى نقدم للقراء مادة جديدة .. والله الموفق.

مجلة الأزهر

دوحة الكتب

إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

الموجز فى الطب

للمؤلف العلامة ابن النفيس

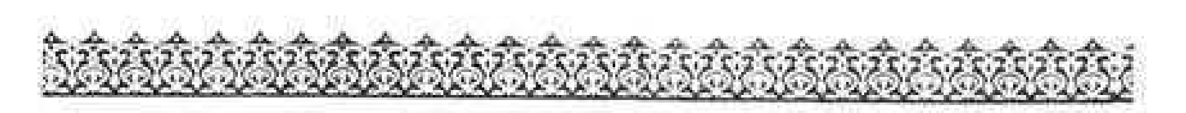
وزارة الأوقاف

الموجز فى الطب

تأليف

القاهرة

الإسلام يدعو إلى الفكر والتفكر ، وإلى العلم والتعلم ، والعمل لإسعاد الإنسان من خلال الغوص فى تلك المعرفة ، والمعرفة خاصية من خصائص الإنسان ، وهى : ضالته يبحث عنها أن يجدها ، يضيف إليها ، وينهل من نتاجها خيرا لحياته واتساعا فى رزقه وزيادة فى رفاهيته ، عزيزى القارىء : مرحلة من التاريخ اختلطت فيها



المعارف والرؤى ، وامتزجت الحضارات فى بوتقة ، جمعت فيها حضارات الصين ، والهند ، والفرس ، والفراعنة ، والرومان ، والإغريق ، مع مزيج من الأديان المختلفة ، تلك التى انتهت إلى الرسالة الخاتمة .

هذا الكتاب : « الموجز فى الطب لابن النفيس » من الكتب المحفوظة فى تراثنا العربى العلمى ، حيث وقف على تحقيقه والتعليم عليه العالم الجليل الأستاذ عبد الكريم الغرباوى ، عضو مجمع اللغة العربية ، كما قام بمراجعته وتحقيقه الأستاذان : عبد العزيز عبد الحق ، والدكتور إمام إبراهيم .

والكتاب يظهر جانبا من الجهود العلمية الفذة ، التى بذلها أحد علماء المسلمين فى خدمة الطب والارتقاء بطرق العلاج ومداواة المرضى .

وابن النفيس هو علاء الدين بن أبى الحزم القرشى ، الملقب : بابن النفيس (٦٠٧ ، ٦٨٧هـ ، ١٢٠٧ ، ١٢٨٨م) ، دمشقى المولد ، قاهرى الإقامة والنبوغ ، كان عالما شامخا من أعلام القرن السابع الهجرى ، ومن أكثرهم ذكاء وأوسعهم إلماما بكثير من العلوم والفنون .

كان شامخا فى الطب حتى أصبح أحد الأطباء ، الذين قدموا للحضارة الإنسانية أجل الخدمات ، فقد كان أول من وفق إلى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى ، ذلك أنه كان يعتمد فى دراسة الطب وتدريسه على تجاربه ، فى أثناء الممارسة ، وعلى تشريح جسم الإنسان ، ومعرفة خواص أعضاء هذا الجسم من واقع ما شاهده فى أثناء التجربة ، ولم يكن يتقبل كلام العلماء السابقين ، من اليونانيين والمسلمين إلا بعد بحث وتجربة ، ومن مؤلفات ابن النفيس فى الطب شرح فصول أبقراط ، تعليق على كتاب الأدوية لأبقراط .

شرح تشريح جالينوس ، شرح القانون ، كتاب موجز القانون ، كتاب الشامل فى الطب ، شرح تشريح القانون ، إلخ ، بالإضافة إلى المؤلفات الأخرى فى المنطق والفلسفة ، وعلم اللغة ، والنحو ، والفقه ، والعلوم الدينية ، وعلم أصول الحديث ، كانت مقدمة التحقيق عن انتشار العلوم فى البلاد الإسلامية ، حيث استقى العرب العلوم من أصلين : أحدهما من البلاد التى فتحوها مثل الإسكندرية ، وأنطاكية ، وحرّان . والثانى من الساطرة الهاربين من اضطهاد بيزنطة وغيرهم من العلماء بعد أن أغلقت مدرسة حران سنة ٤٨٩م ، ومدرسة أثينا سنة ٥٢٩م .

وكتاب الموجز فى الطب مقسم إلى أربعة فنون :

أولها : قواعد جزءى الطب ـ أعنى علميه وعمليه ، وينقسم إلى جزءين ، الجزء النظرى أجزاؤه أربعة .

العلم بالأمور الطبيعية ، والمزاج ، والأخلاط ، والأعضاء ، والأرواح ، والقوى ، والأفعال ، ثم أشار المؤلف إلى الجزء الثانى من الجزء النظرى فى أطوال بدن الإنسان ، ولها أطوال ثلاثة : الصحة ، والمرض ، وحالة لا صحة ولا مرض .

أما الجزء الثالث من أجزاء الجزء النظرى (فى الأسباب) والأسباب الضرورية عدها المؤلف ستة : الهواء ، وما يؤكل ويشرب ، الحركة

والسكون البدنيان ، الحركة والسكون النفسيان ، النوم واليقظة ، والاستفراغ والاحتباس .

أما الجزء الرابع من أجزاء الجزء النظرى (فى العلامات) وهى عشرة : اللمس ، اللحم ، الشعر ، اللون ، البنية ، كيفية الانفعال ، الأفعال الطبيعية ، النوم ، الفضول المندفعة ، الانفعالات النفسانية ، ثم وضح المؤلف الجزء العمل وقسمه إلى علم حفظ الصحة وإلى علم العلاج .

وحفظ الصحة : تدبير المأكول وتدبير المشروب ، ثم تدبير الحركة والسكون البدنيين ، تدبير النوم واليقظة ، تدبير الاستفراغ والاحتباس ، ثم تدبير الفصول ، وهى الفصول الأربعة ، أما الجزء الثانى من جزءى الجزء العمل (فى معالجة المرضى) .

والعلاج يتم بأشياء ثلاثة : التدبير ، والأدوية ، وأعمال اليد .

أما الفن الثانى فى الكتاب كما أشار إليه المؤلف ويشتمل على جملتين :

الأولى : فى أحكام الأدوية ، والأغذية المفردة ، وانقسم إلى بابين :

أحدهما ، كلام كلى فى الأدوية المفردة .

ثانيهما : فى أحكام الأدوية والأغذية المفردة ، وقد رتبها المحقق على حروف أبجد ، أما الجملة الثانية فى الأدوية المركبة فوضحها فى بابين : أحدهما فى قوانين تركيب الأدوية ، ثانيهما فى جملة من الأدوية المركبة .

ثم انتقل بنا إلى الفن الثالث فى الأمراض المختصة بعضو عضو ، وأسبابها ، وعلاماتها ، ومعالجاتها .

وذكر منها علامات أمزجة الدماغ والصداع والشقيقة والرِّسام ، والنسيان والرعونة والحمق ، وداء الكلب ، الماليخوليا والعشق والسهر ، والصرع والسكتة ، ثم انتقل بنا إلى أمراض العين وعلاماتها سبع .

وأمراض الأنف ، وأمراض اللثة ، والأسنان ، والشفتين ، وأمراض الوجه ، واللسان والأذن ، والحلق ، والصدر والرئة ، وأمراض القلب ، والثدى ، والمعدة ، والكبد ، والطحال ، والمرارة ، ثم أمراض الكلى والمثانة ، وأمراض أعضاء التناسل ، والرحم ، ثم أمراض الأعضاء الطرفية ، واختتم المؤلف كتابه بالفن الرابع (فى الأمراض التى لا تخص عضوا دون عضو ، وهى إما أن تعم البدن كالحميات ، أو تحدث فى أى عضو كان كالورم .

ويشتمل هذا الفن على أبواب ستة فى الحميات ، والبحران وأيامه ، والأورام والبثور ، والجذام والوباء والتحرزمنه ، ثم فى الكسر والوثى والخلع والسقطة والضربة والصدمة والشجاج والسحج ثم فى الزينة ثم فى السموم والاحتراز عنها .

عزيزى القارىء هذه الموسوعة العلمية يجب على كل إنسان أن يعلم كل شىء فيها ، للاهتمام بصحته وصحة الآخرين ، وتحوى شرحا وافيا لجانب من الجهود العلمية البناءة التى بذلها أحد علماء المسلمين فى خدمة الطب والارتقاء بطرق العلاج ، ومداواة المرضى .

والمكتبة الإسلامية فى حاجة ماسة إلى مثل هذا الكتاب القيم فى موضوعه .

دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ

تأليف/محمد رواس قلعجى

(من خلال سيرته الشريفة)

عزيزى القارىء الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريح القلب، ويسر النفس، ويزيح الهم، ويفرج الكرب.

لا نعلم رجلا فى التاريخ منذ أن خلق الله تعالى آدم ـ عليه السلام ـ إلى يومنا هذا قد نقلت لنا تفاصيل حياته، ودقائق تصرفاته، كما نقلت تفاصيل حياة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودقائق تصرفاته، هذا الكتاب يضم العديد والكثير من حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو دراسة تحليلية لشخصيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال سيرته الشريفة.

بدأ المؤلف كتابه عن البيئة التى نشأ فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه لابد لكل دارس لأية شخصية من البدء بإلقاء الضوء على البيئة التى نشأت فيها تلك الشخصية، وذلك لما للبيئة من أثر فى تكوين شخصية الإنسان.

وقد أشار المؤلف إلى الحالة الدينية فى زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى خليط من الأديان، منها عبادة الكواكب: فى اليمن وحرّان، وأهل العراق، وهم فئة قليلة يعرفون بالصابئة، ومنها المجوسية فى البحرين وفى العراق فئات من الناس يعتنقون الديانة الزرادشتية والمجوسية، التى تقدس النار، وتعتبرها عنصر خير، لأنها مصدر النور فى زعمهم.

ومنها النصرانية فى شمال الجزيرة العربية، فى قبائل تغلب، وقضاعة، وغسان.



ثم اليهودية: تجد فى اليمن، وفى وادى القرى، وفى خيبر، وفى تيماء، وفى يثرب حيث بنو قريظة، وبنو النضير، ومنها الوثنية: وكانت منتشرة فى جميع أنحاء الجزيرة العربية، حتى لتعتبر الديانة الأكثر اتباعا، والأكثر انتشارا، انتقل بنا المؤلف إلى الأصول الاقتصادية فى زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان يغلب على الجزيرة العربية: الصحارى الواسعة، وهذا ما يجعلها تخلو من الزراعة إلا من واحات محدودة، فاقتصادها ليس باقتصاد زراعى، والمراعى الخصبة فيها قليلة.

والصناعة كانت بسيطة جدا، إلا أن موقعها الاستراتيجى جعلها تحتل مركزا مرموقا فى عالم التجارة، أما الحالة الثقافية، فيوضح المؤلف بأن المؤرخين اتفقوا على أن العرب قبيل بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا يتصفون بالأمية، وسجل القرآن هذه الحقيقة فى سورة الجمعة.

رغم علم العرب بالنجوم والطب، ولكن علمهم كان لا يتعدى مقدار احتياجهم إليها.

أما اللغة ، فقد كانت مقسمة إلى لهجات ، منها لهجة الحجاز ، ولهجة نجد .

وأشار إلى الحالة الاجتماعية حيث الأسرة بأن العرب كانوا يعرفون أنواعا من النكاح ، وكانت العرب تحرم نكاح الأصول كالأمهات والفروع ، كالبنات ، وكانوا ـ أيضا ـ يمارسون الطلاق .

ثم القبيلة باعتبارها وحدة سياسية وإدارية مستقلة عن غيرها ، ثم عادات اجتماعية سيئة وحسنة ، أما الحالة السياسية : فكان هناك حلف الفضول ، وحلف المطيبين .

وكانت هناك الحروب : منها حرب البسوس ، وحرب داحس والغبراء ، وحروب الفجار .
وكانت هناك الحالة النفسية .

وأشار أن المصدر الوحيد للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كل ما يتعلق بالعقيدة والعبادة والأحكام وآداب السلوك ، وقصص الأولين ، وقوانين الطبيعة .
ثم بين المؤلف شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفاته النفسية والسلوكية وهى قل من كثر ، فقد كان خلقه القرآن .

بعد ذلك وضح المؤلف شخصيته النبوية وإعداده ـ صلى الله عليه وسلم ـ لها ، ثم بين تهيئة الناس لاستقبال نبوته ، كما تحدث عن بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومؤيدات البعثة النبوية حتى انتقل بنا إلى ماخص الله به محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ككونه أول من يبعث وشفاعته وإعطاؤه لواء الحمد وحشر الأنبياء تحت لوائه ، ثم شفاعته للخلائق كلهم ، أول من يجتاز الصراط ومعه أمته .

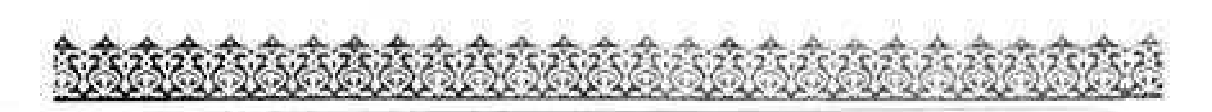
أما عن شخصيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الاجتماعية ، فأشار المؤلف إلى مظهره الخارجى الذى يظهر فيه الرسول من لباسه وزينته إلى غير ذلك .
ثم تحدث عن الأسباب العامة والخاصة لتعدد زوجات النبى ، وضح أيضا شخصيته السياسية فى بناء الدولة وقيامها على أساس الإيمان الصادق ، وعلى سياسته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الداخلية ، حيث أشار إلى سيادة الدولة على أراضيها من عدالة الأسعار وإعادة توزيع الثروة توزيعا عادلا ثم التوجيه نحو العمل بالنسبة لسياسته الاقتصادية .

أما السياسة الخارجية فقد وضح خصائصها ومزايا الشخصيات القيادية عند العدو ، وإقناع العدو بقوة الدولة الإسلامية ، احتواء العدو ، السلم والحرب والمعاهدات ، التبادل التجارى والدبلوماسى ، وكذا شخصيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ العسكرية .

وتناول الصفات الشخصية للرسول القائد ، وإعداد الجنود المحاربين ، التسليح ، ثم مقدمات القتال وأساليبه .

بعد ذلك اختتم المؤلف كتابه بشخصية الرسول التربوية ، معرفا التربية ، وصفات المربى ، ثم القواعد التربوية التى كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يغرسها فى صحابته الكرام وأتباعه .
وأخيرا يتضح لنا من دراسة هذا المؤلف ثلاثة أمور :

أحدها : أداء بعض ما وجب علينا تجاه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك بإبراز جوانب شخصيته العظيمة .
ثانيها : يتعلق بالإنسانية جمعاء ، وبالأمة الإسلامية بخاصة .
وثالثها : كثرة الحب لسيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

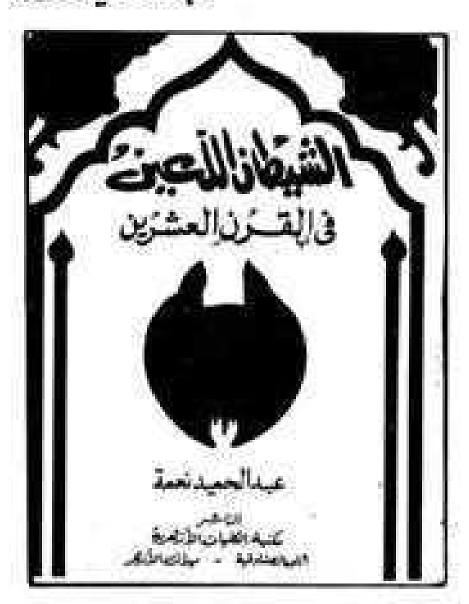


هذه الدراسة التى قام بها مؤلف الكتاب فى وضوح وبيان تجعلنا نغوص فى بحار المحبة والشوق للحبيب الغالى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وما أحرانا أن نتلمس الهدى والنور فى سيرته العطرة حتى نسعد فى دنيانا وأخرانا .

الشيطان اللعين
فى
القرن العشرين

عبدالحميد نعمة



إن النكسات التى تمر بها الأمة الإسلامية تحتاج إلى وقفة لتستيقظ من سباتها ، وتنظر بعين الاعتبار والتأمل إلى الحوادث التى مرت بها ، لتتمكن من القضاء على الانحرافات الخطيرة ، والرجوع إلى المبادىء العظيمة ، والسنن القويمة ، وروح الإسلام المجيد ، لذلك حرص المؤلف عبد الحميد نعمة على أن يجمع كل صغيرة وكبيرة لها اتصال مباشر وغير مباشر بالشيطان الرجيم ، وذلك من خلال تعريف الإنسان بالمراكز الضعيفة التى يدخل منها الشيطان ، فتقوى دفاعاته ، وتتم صيانة كيانه وحفظه كإنسان كرمه الله ، وخلقه فى أحسن تقويم ، وأجمل صورة من خلال العقل الثمين ، أشار فى مقدمة الكتاب إلى الطريق لمعرفة الداء بأن الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع : رحمانية وشيطانية ونفسانية ، فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ ، فمعه شيطانه ، ونفسه ، لا يفارقانه حتى الموت ، والشيطان يجرى منه مجرى الدم ، وقال ـ أيضا ـ إن المسلم إذا انتابته الخواطر والهواجس ، وجب عليه أن يرجع إلى ماجاء فى الكتاب والسنة ، فإذا كان صحيحا تأكد منه واستنار باليقين ، وإذا كان خلاف ذلك فمعناه أن هذا من النفس والشيطان .

انتقل بنا بعد ذلك إلى العقل كأداة الحكم على أعمالنا ، فوضح بأنه نور وقوة يميز بها الإنسان حقائق المعلومات ، وهو الميزان الذى يتمتع به كل عاقل ولبيب يميز بين السيىء والصالح ، والجميل والقبيح ، والخطأ والصواب ، ويميز بين كل ما هو نافع وضار ، وبه سيحاسب المرء على أفعاله يوم القيامة .

ثم تعرض إلى النية والقصد أصل المحاسبة ، ثم النسيان من الشيطان ، والوسوسة ، ومدى قوة الشيطان موضحا أن الشيطان قد يأتيك على صورة إنسان أو ساحر من البشر ، أو جان ، وغالبا يأتى كالنفس البشرية من خلال غرائزها وشهواتها ،

وهو الخبير بنقاط الضعف فيه ، أشار بعد ذلك قائلا أما رد كيد الشيطان فيكون علاجه :

- عدم مجاراة النفس فى هواها وأن تثق فى عقلك .
- المراقبة اليومية للنفس ومحاسبتها .
- إغلاق الأبواب والمنافذ التى تسهل دخول الشيطان إلى النفس .

أما عن التداوى بالقرآن والسنة ، فقد أشار بأنه لابد أن تسلك العلاج المتوافر لدى الأطباء مستعينين بالله -عز وجل- فى طلب الشفاء بالإكثار من التعوذات بصدق وإيمان وثقة بالله .

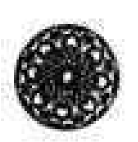
انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الطريق إلى العصيان ، حيث شرح عصيان إبليس منذ بداية الخليقة إلى وقتنا هذا ، وأنه أول العاصين الخارجين من النعيم ، فوضح كيفية إسلام دافيد بنجامين القسيس الرومى الكاثوليكى وكيفية حياته قبل وبعد الإسلام .

ثم انتقل إلى مجموعة من المسائل الهامة منها صلاة الجماعة وفضلها ، ثم تحدث عن أركان الإسلام ، وسرية العبادة ، وفائدة العلم الذى يحصنك من الشيطان حتى وصل إلى حديث إبليس عن الأرزاق ، وأن الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، وأشار إلى إفشاء السلام ، وترديد بعض كلمات ليس لها صلة بالإسلام غير السلام ، وكيف أن الشيطان بدلها وأغفل تحية الإسلام ، وهى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وعرض المؤلف مسائل تهم كل مسلم ومنها : غض البصر ، لصيانة النفس من الخطر والتكبر ، واحتقار الناس من الشيطان الخناس ، حيث أشار إلى مظاهر الكبرياء واستعظام النفس ، واحتقار الغير والازدراء ، فيعتقد المتكبر أنه متميز عن غيره بعلمه أو عمله أو نسبه ، أو ماله أو جاهه ، أو قوته أو كثرة أتباعه . وانتقل إلى جزئية هامة ، عن حياة الخلفاء الراشدين ، وإسلامهم وكيفية الاستفادة من سيرهم ، وأخيرا كان تعليق المؤلف على التبذير والسحر ، وإيذاء الناس ، وعلاقتهم بالشيطان الرجيم .

فى النهاية نقدم لك عزيزى القارىء كتابا مفيدا يصلح بمدارسته أمر الدنيا والآخرة ، تحصنك فى دنياك وأخراك ، وكيفية تجنب الشيطان .

وكيف يستطيع المسلم بالعقل والحكمة ألا يترك للشيطان أى ثغرة يستطيع من خلالها أن يخترق عقله وينقص من شأنه .



بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

هجرته
صلى الله عليه وسلم

عاش الرسول الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مكة يدعو إلى الله تعالى ـ طيلة ثلاث عشرة سنة ، لاقى فيها ـ من المشركين ـ من صنوف العذاب ما لاقى ، ولم يقابل شرهم إلا بالخير ، وإساءتهم إلا بالإحسان ، ولا عجب إذ هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرحمة المهداة المبعوث رحمة للعالمين ، بل دعا لهم : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

وكلنا يعلم سبب ذهابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الطائف أملاً فى أن يجد من يشرح الله صدره للإسلام ، وينصره فى أمر دعوته ، ولاقى ما لاقاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صدٍّ وكفر وتعصب ضده من أهل الطائف ، وزادوا على ذلك أن أغروا به سفهاءهم وصبيانهم وقذفوه بالأحجار حتى انتعل الدم ، وعلى الرغم من هذا الموقف العصيب ما كان منه وهو الرحمة المهداة إلا أن دعا لهم ، أملاً أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ، ولم يقف شرهم عند هذا الحد بل واصلوا تدبير المؤامرات ؛ للقضاء على الدين الجديد وأنّى لهم ذلك ! وعناية الله حافظة لدينه وترعى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال / ٣٠) .

وأوحى الله إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يهاجر ، فهاجر إلى أرض جديدة ، وإلى قوم نهضوا لاستقباله ، فتردد فى أرجاء المدينة أعذب نشيد ، ومازال رنينه يشنف أسماع المؤمنين ، ويثلج صدورهم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا ياخير داع

وهكذا استقر الدين الجديد فى هذه الأرض الطيبة المباركة ؛ لينطلق من هناك ـ بإذن الله ـ إلى كل أرجاء المعمورة .

وبهذه الهجرة كتب الله ـ تعالى ـ النصر لهذه الأمة والتثبيت لهذا الدين إلى يوم الدين .

أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم

فى هذه الذكرى العطرة : ذكرى هجرة النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقدم هذا الإسهام من القارىء ناجى السيد إبراهيم المحامى حيث يقول :

« إذا توغلت فى سرداب التاريخ ، وجدت فلسفات قديمة قامت ، ودعاوى مصلحين ازدهرت ، وحكماء انبهر بتعاليمهم أبناء عصرهم ، ولكن سرعان ما انطفأ نور هذا واندثر ذاك .

ذلك أنها لم تعد تصلح لمواكبة الأجيال الجديدة ، حيث كانت تتسم بالمحدودية والقصور ، ليس هذا فحسب ، بل كان يعمها فيضان من المآخذ والثغرات .



وهكذا فى كل زمان وعصر لا يكل البحث - من جانب الصفوة ، أهل الخير - عن الحلقة المفقودة ، فى سلسلة القيم والأخلاق ، حتى أشرق الفجر بعد طول ليل بهيم ، كان النور الذى أضاء الكون كله ، نور سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وإمام الأنبياء ، الذى سعدت بمولده كل المخلوقات ، وجاءت تعاليمه السمحة ، التى ما تزال جديدة وصالحة لكل العصور والجماعات .

إذ هى تعاليم دين خاتم ، جاء لكل العصور ولكل الجماعات فكان مولده - صلى الله عليه وسلم - نقطة تحول فى تاريخ البشرية كلها ، وكان النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - هو أكثر الأنبياء تعرضاً لأمواج الغضب الشديد من قومه ، بل من كل عتاة الكافرين ، فى كل زمان ، وبخاصة الغرب ، الذى أساء فهم تعاليمه - صلى الله عليه وسلم .

وعلى الرغم من ذلك لا يعدم الحق منصفاً ، حيث نجد هذا الكتاب القيم الرائع : (الخالدون مائة : أعظمهم محمد) وفيه أورد المؤلف أن سبب اختياره للنبى محمد - صلى الله عليه وسلم - ليكون أعظم الخالدين ، هو : أنه - صلى الله عليه وسلم - الوحيد فى التاريخ ، الذى أحرز نجاحاً منقطع النظير ، فى كل من الدين والدنيا ، فى آن واحد ، ولعل ذلك هو الذى جعله يؤمن أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - أعظم الشخصيات أثراً فى التاريخ الإنسانى على الإطلاق .

وفى مثل هذه الأيام كانت هجرة النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة ، طلباً للنصير فأيده الله - تعالى - بالأنصار ، الذين آووه ونصروه ، وكانت البداية الحقيقية لتاريخ الإنسانية الوضاء . ولو أنصف العالم لشاركنا احتفالاتنا بهجرته - صلى الله عليه وسلم » .

ومن رسالة للقارىء : ياسر عبده فريد عبد الظاهر - دشلوط / أسيوط .

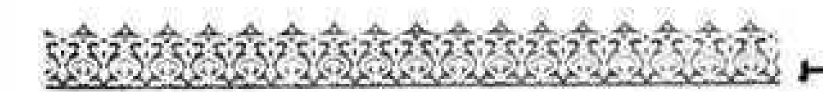
يقول : « كثيراً ما نقرأ أو نشاهد نشرة أخبار عن جريمة قتل ، وأن من قام بهذه الجريمة بعض الجماعات الإسلامية . وإنى أقول : أنه يجب أن يكون واضحاً أن الإسلام دين الرحمة ، وليس المسلم سفاكاً للدم ، فمن يرتكب أفعال القتل والتخريب ، لابد أن يكون بعيداً عن الإسلام ؛ لأن من بعد عن الرحمة فقد بعد عن الإسلام . وحسبنا قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء / ٩٣) .

إذن الإسلام دين رحمة وسلام للبشرية كلها ، وقد أوجب الإسلام على المسلمين - إذا ألجأتهم الضرورة للحرب - ألا يقتلوا شيخاً ولا طفلا ولا امرأة .

وضرب المسلمون المثل الرائع على حسن معاملة أهل الذمة .

وهذا عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لأهل بيت المقدس ، حيث أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم لا تسكن ولا تهدم . وهذا هو الإسلام الذى شرع لكل ذى حق حقه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وهل بعد هذا يحق لأى إنسان أن يقرن الإسلام بالإرهاب أو يدعى : أن هناك ما يسمى بجماعة إسلامية إرهابية » ؟!



تكريمُ الإنسان

أما القارىء / أيمن محمد أبو السعود ـ دسوق ـ فيؤكد فى رسالته على ضرورة أن يعترف الإنسان بفضل الله ـ تعالى ـ عليه فيقول :

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

(الإسراء : ٧)

أيها الإنسان لقد كرمك الله ـ تعالى ـ وفضلك على كثير من خلقه ، وسخر لك جميع الكائنات ورزقك من الطيبات ، وأسبغ عليك نعمه ظاهرةً وباطنة ، خلقك فأحسن خلقك ، صورك فأحسن صورتك : شق لك السمع والبصر ، وجعل لك يدين تكسب بهما الرزق ، وتدفع بهما الأذى ، ورجلين تسعى بهما فى الأرض ؛ لتحصيل الخير ، وجعل لك لسانا وشفتين ؛ لتبين للناس ما تكنه فى صدرك ، من المقاصد والرغبات ، ومنحك العقل ؛ ليكون لك نوراً تهتدى به ، فى هذه الحياة ، ولتتعرف به على ما أودع الله فى السماء والأرض من دلائل القدرة الإلهية ، فتقر له بالوحدانية .

ومن لطف الله ـ تعالى ـ ورحمته أنه لم يترك الإنسان سدى يغلب على عقله الوهم ، ويذهب به الهوى والجهل بعيداً فى أودية الضلال ، ولكنه ـ سبحانه ـ أرسل الرسل ؛ مبشرين ومنذرين ، وهادين ومرشدين ، أرأيت أيها الإنسان .. لو أنك نزلت غريباً فى بلد ، ليس لك فيه أهل ، ولا مال ، ولا صاحب ، فأنزلك سيد البلد فى داره ، ووهبك مالاً تستثمره ، ووكل بك من يرشدك إلى أعمال التجارة ، وتنمية المال ، وعهد إلى خدمه ، وحراس بلده ، أن يقدموا إليك ما تحتاج إليه من المساعدة ، ولم يطلب منك ، إلا أن تحسن التصرف فى المال ، الذى أعطاك إياه ، وأن تحافظ على حقوق جيرانك ، وتصون النظام ، ألا يكون من لؤم الطبع ، وكفران النعمة ، ونكران الجميل أن تقابل بالعصيان إحسان هذا السيد الذى آواك وهيأ لك أسباب الحياة ؟

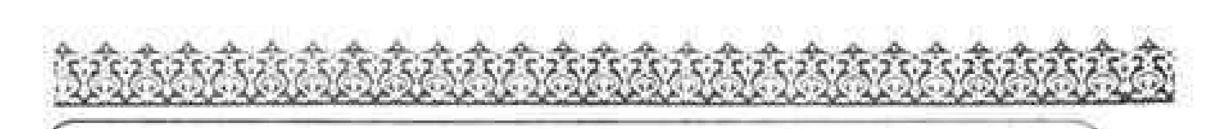
بل يجب عليك أيها الإنسان : أن تحافظ على أوامر الله ـ تعالى ـ على ما أفاء عليك من النعم .

قرأت لك

القارىء : توبة لطفى جاد/ العدلية/ بلبيس/ شرقية .

قرأت لك من كتاب : « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالى :

« من ادعى أربعاً من غير أربع فهو كذاب : من ادعى حب الجنة ، ولم يعمل بالطاعات فهو كذاب . ومن ادعى حب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يحب العلماء ، والفقراء فهو كذاب . ومن ادعى الخوف من النار ، ولم يترك المعاصى فهو كذاب . ومن ادعى حب الله ـ تعالى ـ وشكا من البلوى فهو كذاب » .



ردود سريعة

مع الحجيج فى رحلة الشوق والحنين

تشكر مجلة الأزهر للأستاذ محمد مصطفى الغمرى أبو المعطا مدير إدارة شبرا الخيمة التعليمية - سابقا - ما تفضل به سيادته من تقريظ لكتاب «مع الحجيج فى رحلة الشوق والحنين» لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار .

ونحن إذ نشكر سيادته ونقدر همته ومتابعته للمجلة نتمنى له دوام الصحة والعافية .

القارىء : سامى محمود حسين - دمياط - قرية الشعراء .

نرحب بك عضواً مشاركاً فى تحرير باب القراء ، ونرجو منكم مراعاة شروط النشر بالمجلة .

****

القارىء : أيمن محمد مرسى خلف الله

نشكر لكم اهتمامكم بالمجلة ، وما ينشر بها ، ومتابعتكم الطيبة ، ونأمل أن يتحقق طلبكم قريبا - بمشيئة الله .

****

القارىء : خالد عبد العليم عبدالمولى عليوة .
عزبة شاهين - كفر النعيم - ميت غمر .

نفيدكم أن البحوث التى تنشر تصدر عن شخصيات علمية مؤهلة ، على أن يرسل البحث قبل الطبع للإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة لفحصه ووضع تقرير عن مدى صلاحيته للنشر من عدمه .

القارىء : جمال المدنى بدير عبد الخالق - شربين دقهلية .

يمكنكم الاتصال بإدارة التوريدات بالأزهر الشريف - شارع الفردوس / امتداد شارع أحمد سعيد - أمام مرفق مياه القاهرة - بالعباسية لشراء ما تريده .

****

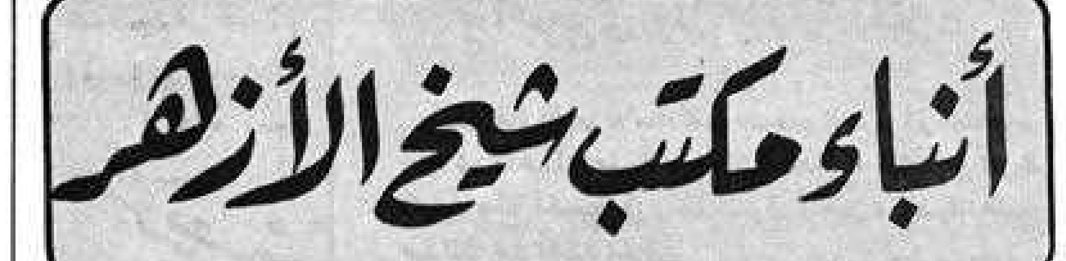
القارىء : نبيل طه مصطفى فرج - القاهرة المعادى

رسالتك بعنوان «فضل العلم» رسالة جيدة ، ولكن يعوزها ذكر المراجع التى اعتمدت عليها ، وبخاصة إذا ذكرت حديثاً شريفاً .

****

القارىء : نشأت محمد حسن
جبلة سنورس - الفيوم

مجلة «منبر الإسلام» يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعنوانه ٩ ش النباتات - جاردن سيتى - القاهرة .



أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأساتذة عمر البسطويسى
مصطفى عبد المجيد

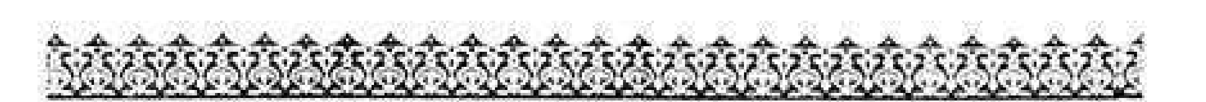
فضيلة الإمام الأكبر يستقبل محافظ كفر الشيـــخ :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ، بمكتبه صباح يوم ١٤١٨/١١/٢٩هـ ١٩٩٨/٣/٢٨م السيـــد المستشار محمود أبو الليل محافظ كفر الشيخ والوفد المرافق لسيادته .

دار الحديث خلال هذا اللقاء عن دور الأزهر الشريف وما يقدمه من ندوات ومحاضرات فى مختلف محافظات جمهورية مصر العربية لنشر الوعى والسلوك الدينى السليم ، حيث بلغ عدد المعاهد الأزهرية بالمحافظة ٣٤٠ معهدا أزهريا ، وتأتى محافظة كفر الشيخ فى الترتيب الثالث لمحافظات الجمهورية من حيث عدد المعاهد الأزهرية فى المراحل التعليمية المختلفة .

طلب السيد المحافظ من فضيلة الإمام الأكبر أن تقوم محافظة كفر الشيخ من خلال أجهزتها الفنية فى المساعدة فى ترميم وصيانة المعاهد الأزهرية وغيرها التى أضيرت بالزلزال ، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بمشاركة أجهزة المحافظة فى هذه الأعمال من منطلق التعاون بينها وبين الأزهر الشريف ، ولسرعة ومتابعة هذه الأعمال ولخدمة أبناء الوطن .

وقد أعلن السيد المحافظ بأنه سيتم تشكيل لجان لحصر المعاهد التى تحتاج إلى ترميمات وغيرها ، وسيتم عرض هذه الخطة خلال الفترة القادمة ، وأشار سيادته إلى أنه سيتم تكليف رؤساء المدن بتقديم كشف عن المعاهد التابعة لهم ، والتى تحتاج إلى إصلاح ، وأنه سيتم جدولتها طبقا لحالتها ، وتقديم الأولوية فى الإصلاح للمعاهد التى فى حاجة إلى إصلاحات بسيطة ، وهذا العمل سوف يتم تحت إشراف المحافظ مباشرة ، حضر اللقاء فضيلة مدير عام الإعلام والعلاقات العامة بالأزهر .



فضيلة الإمام يستقبل سفير دولة يوغوسلافيا بالقاهـــــرة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٤١٨/١٢/٣هـ ، ١٩٩٨/٣/٣١م السيد/ فلاديمير تيشنس سفير دولة يوغسلافيا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث الأوضاع الراهنة فى إقليم كوسوفا الذى يقطنه الألبان والصرب وغيرهم ، حيث أوضح السيد السفير موقف دولته من الأحداث الأخيرة فى هذا الإقليم ، مشيرا إلى أن الأوضاع كانت مستقرة بين الذين يعيشون فى هذه المنطقة منذ عهد الرئيس اليوغسلافى تيتو ، ثم بدأت بعد ذلك أحداث عنف تطالب بالاستقلال والانفصال عن دولة يوغوسلافيا ، مما أدى إلى وقوع أحداث العنف الأخيرة .

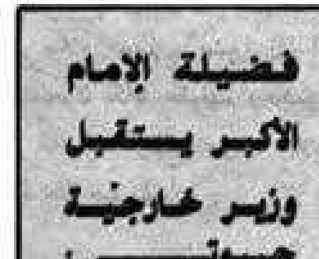
وأوضح السيد السفير موقف بلاده الرسمى من تلك القضية وحلها داخليا ، ومنع انفصال أى جزء من الدولة ، مشيرا إلى دعوة (الرئيس) اليوغسلافى لأطراف النزاع ، وإعداد صيغة للاتفاق ، ورفض الأطراف لهذه الدعوة وتلك الصيغة .

وأكد السيد السفير على احتفاظ دولة يوغوسلافيا بصداقتها لمصر حكومة وشعبا ، ولكافة الدول العربية والإسلامية ، مؤكدا على أن حكومته ليست ضد مسلمى يوغوسلافيا ، وأنها تريد العيش فى سلام معهم ، مشيرا إلى أن المسلمين هناك يتمتعون بكافة حقوقهم وحكمهم الذاتى موضحا أنه قد أوضح موقف بلاده للمسئولين بوزارة الخارجية المصرية .

وفى نهاية اللقاء شكر السيد السفير الأزهر الشريف على اهتمامه بالطلاب اليوغسلاف المسلمين الذين يدرسون فى الأزهر الشريف .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على توضيحه لموقف دولته بالنسبة لمشكلة كوسوفا ، موضحا أن لكل إنسان حقوقا ، وعليه واجبات ، وشعب كوسوفا لابد أن ينعم بحريته ، وإلا يقع عليه ظلم ، وأن يعيش المسلمون هناك فى أمان واستقرار ، وألا تعتدى الأكثرية على الأقلية ، وأن ما قرأناه وما يكتب فى الصحف يدل على أن هناك ظلما يقع على المسلمين فى كوسوفا ، كما أن دول العالم والأمم المتحدة تتدخل لإعطاء كل ذى حق حقه ، مشيرا إلى أن الأزهر الشريف يقف مع العدل والحق ويتمنى لأصحاب القضية التوفيق والسلام والأمان .

وفى نهاية اللقاء أهدى السيد السفير اليوغسلافى فضيلة الإمام الأكبر مرجعا تاريخيا عن دولة يوغوسلافيا .



استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ٢٧/١١/١٤١٨هـ ، ٢٦/٣/١٩٩٨م معالى الوزير/ محمد موسى سميح وزير خارجية جيبوتى ، يرافقه السيد/ محمود يوسف سفير جيبوتى بالقاهرة والوفد المرافق للضيف .

فى بداية اللقاء نقل معالى الوزير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر فخامة رئيس جمهورية جيبوتى ، وأشاد الضيف بدور الأزهر الشريف فى العالم أجمع ، وخاصة فى دولة جيبوتى لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية من خلال بعثاته وعلمائه والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء دولة جيبوتى للدراسة بالأزهر الشريف .

وقد تقدم السيد الوزير لفضيلة الإمام الأكبر بطلب للمساعدة فى إنشاء المعهد الدينى بدولة جيبوتى ، حيث وعد فضيلته بالمساعدة فى إنشاء هذا المعهد فى أسرع وقت ممكن .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفيرة استراليا بالقاهـــرة :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٢٥/١١/١٤١٨هـ ، ٢٤/٣/١٩٩٨م سعادة سفيرة استراليا بالقاهرة السيدة فيكتوريا أون ، بمناسبة تسلمها عملها كسفيرة لاستراليا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث أحوال الجالية الإسلامية باستراليا وحرية ممارسة الشعائر الدينية للمسلمين باستراليا ، وعلاقات التعاون بين مصر واستراليا ، والتسامح الدينى لكل الطوائف الدينية الموجودة باستراليا ، والتطرف الدينى الذى يسود دول العالم ، ودور رجال الدين فى محاربة التطرف بجميع أنواعه ، وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن الإرهاب فى مصر يلفظ أنفاسه الأخيرة ، مشيرا إلى أن الأزهر يعمل على توضيح المفاهيم من خلال علمائه وبعثاته ، وقد أعربت سعادة السفيرة عن استعدادها لتقديم أى مساعدة يوجهها الأزهر الشريف للجالية الإسلامية باستراليا .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة بوركينا فاسو بالقاهرة :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، السيد/ محمد ترانجو سفير دولة بوركينا فاسو بالقاهرة بمناسبة تعيينه سفيرا لبلاده ، وذلك بمكتب فضيلته قبل ظهر يوم ١٤١٨/١٢/٣هـ ، ١٩٩٨/٣/٣١م فى بداية اللقاء أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف فى العالم أجمع من خلال بعثاته ، ونشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، مشيرا إلى الدور البارز لبعثة الأزهر الشريف ببوركينا فاسو ، والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء بوركينا فاسو للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة .

فى نهاية اللقاء شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على الزيارة التى قام بها للأزهر الشريف ، داعيا المولى عز وجل أن يوفقه فى منصبه الجديد .

الإمام الأكبر يلتقى وفد معهد دراسات الشرق الأوسط :

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٤١٨/١٢/٤هـ ، ١٩٩٨/٤/١م ووفد معهد دراسات الشرق الأوسط ، حيث بلغ عددهم ستين فردا من الجامعات الأمريكية الذين حضروا إلى مصر لتعلم اللغة العربية والتاريخ الإسلامى ، وذلك بمعهد دراسات الشرق الأوسط .

وقد دار الحديث حول إلقاء الضوء على نشأة الأزهر الشريف ، والدور البارز الذى يقوم به لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع من خلال بعثاته وعلمائه والفتاوى التى يصدرها وبنوعية الدراسة التى يتميز بها الأزهر الشريف من الوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والتطرف ، والمنح الدراسية التى يقدمها لأبناء المسلمين فى العالم أجمع .

كذلك ألقى فضيلته الضوء على علاقة الإسلام بالديانات الأخرى ، وأنها تقوم على التعاون والاحترام ، كما أوضح أن كل دين يقوم بممارسة شعائره فى حرية تامة ، وفى مصر رباط وثيق بين المسلمين والمسيحيين فالكل يعيش على أرض واحدة ويشرب من نيل واحد ، ويستظل الجميع بسماء واحدة ، والجميع ضد الإرهاب ويحاربه ، وأن ما يقع من أحداث إنما هى حوادث فردية تحدث فى أى مكان فى العالم ، وظاهرة الإرهاب ظاهرة عالمية تقع فى جميع أنحاء العالم .

وقد أجاب فضيلته على تساؤلات الوفد واستفساراته حول حقوق المرأة فى الإسلام وتنظيم النسل وغيرها من التساؤلات .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفيز دولة البحرين بالقاهرة:

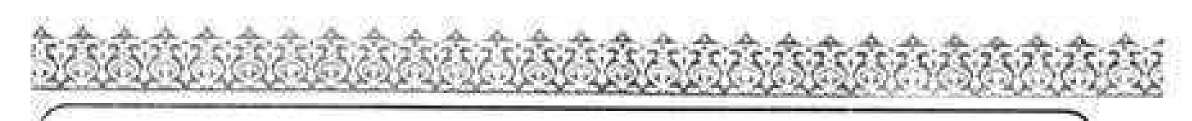
استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير إبراهيم على الماجد سفير دولة البحرين بالقاهرة ، وذلك فى مكتبه بالأزهر صباح يوم ١٤١٨/١٢/١٤هـ ، ١٩٩٨/٤/١١م ، حيث قدم الضيف التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بحلول عيد الأضحى المبارك راجيا من الله تعالى أن يحفظ مصر وأزهرها الشريف من كل مكروه وسوء .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر للضيف هذه الزيارة ، وتلك التهنئة وتمنى لدولة البحرين دوام التوفيق والرقى ، وقدم لفضيلته الدعوة لزيارة البحرين الموجهة من صاحب السمو الشيخ خليفة ابن سلمان آل خليفة رئيس وزراء البحرين .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة السويد بالقاهرة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم ١٤١٨/١١/٢٥هـ ، ١٩٩٨/٣/٢٤م ، سعادة السفير جوستاف كويستر سلفين سفير دولة السويد بالقاهرة الذى أعلن قيام بلاده حاليا بإنشاء المركز الثقافى للحوار بين الأديان بمدينة الإسكندرية من أجل تقريب المفاهيم بين الثقافة والدين ، ولتحسين فهم صورة الإسلام فى الغرب كله وتوضيح سماحته ويسره .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف ، وأبلغه شكره لحكومة السويد على إنشاء هذا المركز الذى سيعود بالكثير من الفوائد على كافة الشعوب من توضيح للمفاهيم الدينية لجميع الديانات إسلامية كانت أو مسيحية أو يهودية ، مشيرا إلى أن الأزهر الشريف يرحب بكل حوار يفيد الإنسانية لأن الإسلام ينبذ العنف والعنصرية والإرهاب ، ويدعو إلى السلام لأنه دين السلام .



فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير تركيا بالقاهرة :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٨ من ذى الحجة ١٤١٨هـ ، ٥ أبريل ١٩٩٨ سعادة السفير/ باشاريقش سفير تركيا فى القاهرة .

فى بداية اللقاء قدم الضيف التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك ، ثم أشاد سيادته بدور الأزهر الشريف ورسالته العالمية فى نشر الدعوة الإسلامية فى العالم أجمع ، معربا عن تمنياته الطيبة للأزهر الشريف حتى يظل منارة إشعاع فى العالم أجمع معربا عن تمنياته الطيبة للأزهر الشريف حتى يظل منارة إشعاع علمى لكل المسلمين فى أنحاء العالم .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن سعادته بهذه الزيارة مشيرا إلى أن الدراسة فى الأزهر تتميز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التطرف والمغالاة ، حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى مدير عام الإعلام والعلاقات العامة بالأزهر الشريف .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير بريطانيا بالقاهرة :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير ديفيد لازرويك سفير بريطانيا بالقاهرة حيث قدم الضيف لفضيلة الإمام التهنئة بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تلك الزيارة الكريمة وحمله رسالة شكر وتقدير لحكومة وشعب بريطانيا الكريم .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل وزير الداخلية الفرنسى :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم ١٦ من ذي الحجة ١٤١٨هـ ، ١٣ أبريل ١٩٩٨م ، السيد/ جون بير شوفان وزير الداخلية الفرنسى ، والمسئول عن شئون الأديان بفرنسا ، والوفد المرافق لسيادته الذى قام بزيارة لمصر فى تلك الفترة.رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى الوزير

ومرافقيه فى الأزهر الشريف ، حيث ألقى فضيلته الضوء على نشأة الأزهر الشريف وتطوره ونوعية الدراسة فى المراحل التعليمية المختلفة والمنح الدراسية التى يوفدها الأزهر لأبناء المسلمين فى مختلف دول العالم والبعثات التى يوفدها لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، وعلاقة الأزهر بمختلف دول العالم وعلاقته بالديانات الأخرى مثل المسيحية واليهودية مشيرا إلى الحوار بين الأديان .

وأشار فضيلته إلى أن الأزهر تمتاز الدراسة فيه بالاعتدال والوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والتطرف ، وتدريس المذاهب الدينية جميعها ، وذلك لأنها تابعة من تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

كذلك أشار فضيلته إلى الدور الثقافى الذى تقوم به دولة فرنسا وما تتمتع به من حرية فى الرأى والفكر موضحا فى هذا الصدد أن الدكتور الإمام الراحل الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق قد حصل على الدكتوراه من جامعة السربون بفرنسا ، وكثيرين من مشايخ وعلماء الأزهر وغيرهم تلقوا العلم بدولة فرنسا .

وأكد فضيلته على أن الأزهر يرحب بالحوار بين الأديان وبكل حوار بناء ، مشيرا إلى اللجنة المشكلة لهذا الغرض بالأزهر الشريف برئاسة فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر وقياداته والأستاذ الدكتور على السمان ، وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء المملكة المتحدة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٢١ من ذى الحجة ١٤١٨هـ ، ١٨ أبريل ١٩٩٨م ، السيد/ تونى بلير رئيس وزراء المملكة المتحدة ترافقه السيدة قرينته والوفد المرافق لسيادته ، رحب فضيلة الإمام الأكبر بضيف مصر والأزهر الشريف ، ملقيا الضوء على نشأة الأزهر الشريف وتاريخ نشأته منذ عام ٩٧١م ، وأن عمره الآن يزيد على الألف عام ، ويقوم بتعليم أبناء مصر والمسلمين فى العالم أجمع أصول وقواعد الدين الإسلامى الحنيف ، ونشر مبادئه السمحة والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والبعد عن التطرف والتعصب الأعمى ونصرة المظلوم والقيم والمبادىء المعتدلة ، وإعلاء شأن الإخاء الإنسانى وغرس مبادىء المحبة والفضائل بين المسلمين ، وبينهم وبين غير المسلمين فى العالم أجمع لأن الأديان السماوية إنما جاءت لسعادة البشر وليس لشقائهم .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال اللقاء أن الأزهر منذ إنشائه وحتى الآن يقف ضد



الظلم واغتصاب أراضى الغير وضد إقامة المستوطنات غير الشرعية فى الأراضى المحتلة ، لأن الإسلام يدعو إلى العدالة والحرص على إعطاء كل ذى حق حقه ، وفى الوقت نفسه يحارب الظلم والإرهاب والتطرف واغتصاب حقوق الآخرين ، ويقف فى وجه الظالم حتى يندحر ، وقال : إنه على كل هذه المعانى تقوم الدراسة بالأزهر الشريف ، ومناهجه راعت البعد عن التطرف والتعصب والعنصرية البغيضة وتمتاز الدراسة فى الأزهر الشريف بالتنوع والتخصص ، كما أن التعليم فى الأزهر يقوم على التنوع والرقى الفكرى ، وأخذ العلم النافع من أى مكان مادام يحث على مكارم الأخلاق ، فالعلم لا وطن له ، كما أن الأزهر يهتم بالحوار بين الأديان لأنه كلما تقاربت الأديان زاد الفهم المشترك ، كما أجاب فضيلة الإمام الأكبر على تساؤلات ضيف الأزهر الشريف فيما يتعلق بنوعية الدراسة بالأزهر ونوعية الطلاب والأسس الدينية التى تقوم عليها هذه الدراسة ، وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أن نوعية الدراسة الدينية بالأزهر الشريف تقوم على السماحة والموضوعية ، وأنه يستقبل كل أبناء المسلمين فى العالم أجمع لتعليمهم أمور دينهم ، كما أجاب على سؤال رئيس الوزراء فيما يتعلق بوجهة نظر الأزهر فى مسألة الحوار بين الأديان واهتمام رئيس الوزراء شخصيا بهذا الموضوع ومدى إمكانية تطوير هذا الحوار ، وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر بأن رئيس أساقفة كانتربرى صديق شخصى لى ، وقد التقيت به أكثر من مرة ووجهت له الدعوة لزيارة الأزهر ، ونحن فى انتظار إتمام هذه الزيارة فى القريب العاجل ، والأزهر مهتم جدا بالحوار البناء لخير الأديان ولخير البشرية جمعاء ، وأننا نؤمن إيمانا مطلقا بأنه عندما توجد العقيدة السليمة فى القلوب سيزداد الناس حبا وتقاربا وتعاونا ، مشيرا إلى أننا نرحب بكل تعاون يقرب أفكار الناس : والأزهر الشريف على استعداد للتعاون فى كل حوار جيد بناء ، لأن عدم فهم الأديان يؤدى إلى التباعد والأنانية والأحقاد .

وقد أعرب الضيف الكبير عن شكره وتقديره للأزهر وشيخه وعلمائه لإتاحة هذه الفرصة ، ولهذا اللقاء الهام وماتناوله من موضوعات .

حضر المقابلة الدكتور عاطف عبيد وزير الدولة لقطاع الأعمال ورئيس بعثة الشرف المرافقة والسيد سفير بريطانيا بالقاهرة ، والسيد سفير القاهرة

بيريطانيا وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة وكيل الأزهر الشريف ، والقيادات الإسلامية فى الأزهر الشريف .

كما قام الضيف ومرافقوه عقب المقابلة بزيارة تفقدية لمسجد الجامع الأزهر والمعالم الأثرية بالقاهرة الفاطمية .



يحررها الدكتور
حسن على محمد

من المحرر: منذ متى يهتم الأمريكان بحقوق الإنسان ؟ !!

فى واحدة من الألاعيب الساذجة ، تحاول أمريكا استخدام ورقة أقباط مصر للضغط على صانع القرار فى مرحلة حرجة تمر بها عمليات السلام .. فى المنطقة ..
والمتاجرة باضطهاد الأقباط فى مصر خاسرة ، والتلويح بموضوع الأقباط فى وجه صانع القرار ، كلما اتخذ قراراً قوميا .. أمر يجب ألا يفوت على عقلاء الأقباط ، ومن الإجرام أن يتخذ بعض أقباط المهجر الموقف الأمريكى وسيلة للضغط على وطنهم الأم وأن يشهروا ببلادهم .. !!
أقباط مصر .. لهم مالنا .. وعليهم ماعلينا .. ولسوف تبوء بالفشل تلك الحملة المكشوفة التى تظهر وتختفى دون مبرر من آن لآخر ولن تلتفت مصر الأزهر إلى ألاعيب الصبية .

● أخبار مصر

شيخ الأزهر ينفي تصريحه لوزير الداخلية الفرنسي بأن الحجاب غير واجب.

● خاص للأزهر:

نفى فضيلة الإمام الأكبر أ . د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر المزاعم التى نسبتها إليه الصحف الفرنسية الصادرة من أسبوعين ، حيث زعمت الصحف الفرنسية أن الإمام الأكبر صرح لوزير داخلية فرنسا بعدم وجوب الحجاب للمرأة المسلمة ، ويؤكد شيخ الأزهر أن هذا الخبر لا أساس له من الصحة وأنه أجاب عن سؤال لوزير الداخلية الفرنسى عما إذا كان الحجاب من الأصول أم من الفروع بقوله :

إن الحجاب من الأصول وأنه لا يجوز للمرأة المسلمة البالغة أن تكشف شيئا من جسدها سوى الوجه والكفين .

و« الأزهر » يؤكد حرص الإمام الأكبر على تكذيب الصحف الفرنسية التى تحاول تشويه صورة الإسلام فى الغرب ، وأن فضيلة الإمام الأكبر يقول كلمة الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم .

رئيس الوفد الأمريكي: لا وجود لصراع دينى فى مصر

التقى الرئيس حسنى مبارك « بوفد مجلس الكنائس الأمريكى » ، وصرح الدكتور برتس عقب المقابلة بأن الوفد ناقش مع الرئيس الادعاءات المثارة فى وسائل الإعلام الأمريكية حول وجود صراع بين المسلمين والمسيحيين فى مصر .

وقد زار الوفد كل من فضيلة الإمام الأكبر ، شيخ الأزهر والبابا شنودة بطريرك الأقباط .
وقال رئيس الوفد الكنسى إنهم اكتشفوا بسهولة زيف الادعاءات المنشورة والتى نشرها بعض أقباط المهجر المصريين ، وقال بأن الأقباط فى مصر يتمتعون بحرية كاملة فى ممارسة شعائرهم الدينية .

دكتوراه فخرية من جامعة الأزهر لرئيس وزراء ماليزيا

تحتفل جامعة الأزهر فى ٩ من مايو المقبل بمنح درجة الدكتوراه الفخرية للدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا ، وذلك فى حفل كبير بقاعة الاحتفالات الكبرى بمقر الجامعة بمدينة نصر .

يحضر الاحتفال رئيس الوزراء وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، صرح بهذا الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وقال : إن منح رئيس الوزراء الماليزى الدكتوراه الفخرية من الأزهر يأتى تقديراً لجهوده فى خدمة الإسلام .

التنمية فى شمال صعيد مصر شعار مؤتمر جامعة المنيا

أقامت جامعة المنيا المؤتمر العلمى السنوى لكلية الآداب تحت رعاية الدكتور جمال أبو المكارم رئيس

الجامعة وبرئاسة الدكتور عبد الهادى الجوهرى عميد الكلية حيث ناقش المؤتمر ٤٠ بحثا على مدار يومين تناولت قضايا التنمية والبطالة والإعلام الإقليمى فى شمال الصعيد وأرسل المؤتمرون برقية للرئيس مبارك تؤكد دعم الجامعة لسياساته الخارجية وجهوده فى تنمية مصر .

وفد مصرى يتسلم الممتلكات المصرية بالسودان

توجه وفد مصرى كبير ضم ١٦ خبيراً من ٥ وزارات إلى الخرطوم لتنفيذ قرار تسليم الممتلكات المصرية بالخرطوم إلى مصر .

وأكد مصدر دبلوماسى أن قرار الحكومة السودانية بإعادة هذه الممتلكات إلى مصر جاء ضمن خطوات وإجراءات اتخذتها البلدان ، استهدفت تصحيح مسار العلاقات وعودتها إلى مجاريها .

مسئول قطرى : مصر ملاذ العرب

الدوحة أ . ش . أ

أكد عبد الرحمن الحفيرى أمين عام مجلس الشورى أهمية زيارة الشيخ حمد بن خليفة آل ثان أمير قطر للقاهرة وقال : إن مصر ملاذ العرب جميعا وهى الدولة الكبرى للأمة العربية .

أخبار الأرض المحتلة « فلسطين » : ١٠٠٠ حاج فلسطينى أدوا فريضة الحج هذا العام :

أدى ١٠٠٠ حاج فريضة الحج بعد أن غادروا عبر ميناء رفح عائدين إلى بلادهم .

الجدير بالذكر أن إسرائيل رفضت تسيير خطوط جوية فلسطينية من الأرض المحتلة .

مؤرخ يهودى يسعى لإقناع العرب ببناء الهيكل فى الحرم القدسى .. !!

غزة ـ

أعرب الكاتب والمؤرخ اليهودى الأمريكى « إسرائيل هوكينز » عن اعتقاده إمكان الحصول على موافقة المسلمين على إقامة الهيكل فى منطقة الحرم القدسى الشريف ، وقال عقب اجتماعه مع كبير حاخامات إسرائيل : إنه يعتزم زيارة عدد من الدول العربية لإقناع رجال الدين الإسلامى بإقامة الهيكل فى الحرم القدسى .

٦ مستوطنات جديدة فى الضفة الغربية

غزة ـ أ . ش . أ .

وافقت لجنة حكومية إسرائيلية على إنشاء ٦ مستوطنات يهودية جديدة على امتداد حدود الضفة الغربية فى منطقة يقطنها أغلبية من عرب إسرائيل ، وذكر راديو لندن أن المشروع الجديد سوف يشتمل على ٤٠٠٠ (أربعةآلاف) مسكن . . !!

مجلة بريطانية : إسرائيل أرسلت قوات عسكرية إلى عمق العراق

ذكرت مجلة (فورين ريبورت) العسكرية البريطانية فى عددها الأخير أن هناك قوات

إسرائيلية سرية أرسلت إلى عمق العراق إلى جانب قوات أمريكية وبريطانية فى إطار استعدادات تجرى للقيام بعملية عسكرية ضد العراق .

وزير الثقافة المصرى : يؤكد رفضه التطبيع مع إسرائيل

أكد السيد فاروق حسنى وزير الثقافة المصرى أن موقف وزارة الثقافة واضح ومحدد فى مسألة التطبيع وقال إن أية محاولة للتطبيع ستبوء بالفشل .

الصرب يحرقون قرى المسلمين فى كوسوفو

لجأ المسلمون فى « كوسوفو » إلى التلال والغابات للاحتماء من الهجوم الوحشى للقوات الصربية ، وذكر راديو لندن أن الفارين من بلدة (بريكاس) معظمهم من النساء والأطفال قد أمضوا ثلاثة أيام فى العراء دون طعام أو ماء .

حيث قامت عناصر من الشرطة الصربية قوامها ١٠٠٠ جندى بإطلاق النيران عشوائيا على المدنيين العزل وأضرمت النيران فى المنازل . .

والسؤال :

أين أمريكا حامية حقوق الإنسان ؟

من أخبار أندونيسيا

الأندونيسيون يقتحمون السفارات الأجنبية طلبا لحق اللجوء السياسى :

كوالا لامبور . وكالات الأنباء

اقتحم العشرات من اللاجئين الأندونيسيين مقار البعثات الدبلوماسية فى العاصمة الماليزية فى محاولة للحصول على حق اللجوء السياسى .

وذكرت مصادر ماليزية أن ثمانية من اللاجئين اقتحموا أسوار السفارة الأمريكية ، فى حين لجأ حوالى ١٤ شخصا إلى السفارة السويسرية وثمانية إلى السفارة الفرنسية وسبعة إلى سفارة بروناى .

باكستان تصنع صاروخا مداه ٣٠٠٠ كم وتتلقى التهانى من المسلمين فى العالم

أدى رئيس باكستان مناسك الحج هذا العام والتقى خلاله بالعديد من زعماء العالم الإسلامى حيث قاموا بتهنئة باكستان على هذا الإنجاز .

وكانت باكستان قد احتفلت مؤخراً باختبار صاروخ أرض ـ أرض عابر للقارات .

وقد أنتجت باكستان هذا الصاروخ لأغراض الدفاع وهو النظام الصاروخى الوحيد لديها والذى صنعته بتكنولوجيا محلية .

تزايد المسلمين فى أمريكا يؤثر على سياسات واشنطن .

« نيوزويك » :

كشفت مجلة « نيوزويك » الأمريكية عن معلومات تفيد بأن عدد المسلمين فى أمريكا فى تزايد مطرد وقالت : إن المسلمين خلال أقل من عقد من الزمان سوف يتفوقون على اليهود الأمريكيين .

وقالت المجلة : بأن المسلمين قد زادوا بنسبة ٤٪ من سكان الولايات المتحدة إلى ٤،١٪ .

وقدرت المجلة عدد المسلمين فى أمريكا بأنهم أكثر من ٦ ملايين مسلم .

نقلا عن «جريدة المسلمون» أوروبا.. ومواسم قتل المسلمين

كتب عبد الله الرفاعى:

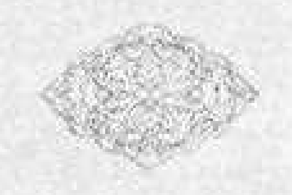
المشهد الثانى

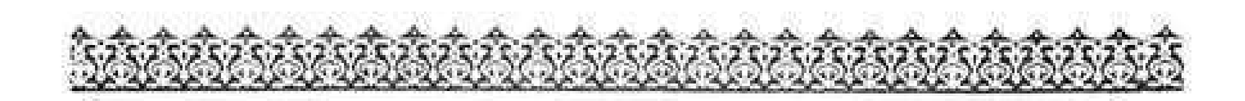
□ وأعيد رفع الستار مرة أخرى على مسرح ذبح مسلمى أوروبا .. تحفيز غربى لمسلمى كوسوفا وتأييد لا يتجاوز البيانات الشاجبة ... ويبدأ حثالة الصليبيين بإراقة الدماء المسلمة ، وتبدأ المشاهد فى تصاعد حركى .. مطاردة وتشريد ... والبيانات الشاجبة تتوالى ..

المتابع يدرك أن المسرح البشع هذا أعد منذ زمن ليس بالقصير .. ونحن هنا فى « المسلمون » نبهنا وحذرنا لما يعد لمسلمى كوسوفا .. ولكن صرخاتنا .. تتلاشى فى واد لا صدى له .. مسلمو كوسوفا وغيرهم من مسلمى أوروبا المؤهلين للمشاهد التالية لم يفهموا درس البوسنة جيدا .. فلا وعى ولا إدراك لمكائد الصليبية العلمانية الأوروبية و .. بل لم نر إلا وهنا واعتمادا على دعاوى الحرية والإنسانية والديمقراطية التى يتشدق بها الغرب .. فأوروبا نصرانية فلا مكان للمسلمين فيها .. هكذا صرح زعماء الديمقراطية وقارة « النور » ..

إن « سيناريو » البوسنة يتكرر اليوم فى كوسوفا .. لن يكون هناك تدخل حاسم من الغرب إلا بعد أن يؤدى حثالة الصليبية « الصرب » المطلوب منهم .. عندها سيجد المسلمون أنفسهم فى ظل كيان لا طعم ولا لون له .. فتكون القرابين التى قدموها بلا ثمن ..

هذا المشهد الثانى ومن المتوقع أن يكون له ثالث فى السنجق وفى غيرها من الجيوب الإسلامية المتبقية فى أوروبا .. أوروبا تعيد محاكم التفتيش مرة أخرى ... والصورة رغم نتائجها القاعلة تبدو أكثر إنسانية وأكثر لطفا .. وفى الحقيقة أنكى وأشد. التورط الغربى فى المجازر التى يتعرض لها مسلمو أوروبا فى كوسوفا اليوم ومن قبل فى البوسنة لا يلغى مسؤولية مسلمى المنطقة ولا مسؤولية باقى الأمة .



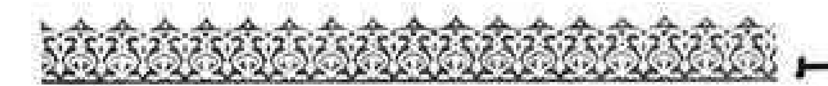


[«Le miséricordieux s'installa sur le tróone»]. ...ainsi que dans la parole divine : [«Le miséricordieux lui a enseigné le coran»] et : [«Dis, invoquez «Allah» ou invoquez le miséricordieux»].

Ces deux attributs sont dérivés de la racine «R.H.A» (Rahman). Or. La miséricorde parfaite c'est l'abondance des bienfaits qui enveloppe ceux qui sont dans le besoin. Tandis que la miséricorde générale c'est celle qui est accordée sussi bien méritants qu'aux non méritants ... .La compassion d'«Allah» est ainsi à la fois parfaite et générale. Sa perfection apparait dans le fait qu'Il accorde à celui qui est dans le besoin ce qu'Il demande. Sa généralité c'est qu'elle est accordée aussi bien au méritant qu'au non méritant. Elle existe en ce monde ici - bas et dans celui de l'au- delà - et elle recouvre les nécessités et les besoins ainsi que tous les avantages qui en découlent. Il est certes le Miséricordieux absolu.

La compassion chez l'être humain ne manque jamais d'un certain sentiment de peine qui pousse celui qui éprouve de la miséricorde à aider la presonne prise en compassion, comme s'il voulait se soulager de sa propre peine. Donc c'est comme en agissant ainsi it cherchait à se soulager lui- même. Or, la perfection réside dans le fait d'aider les autres pour eux même et non pour se soulager soi - même. Il arrive aussi que certains êtres compâtissants ne parviennent pas à soulager les gens en peine même s'ils le souhaitent ... Tandis que la perfection serait le pouvoir de subvenir efficacement au besoin du nécessiteux ... et le terme «miséricordieux» donne à la miséricorde une signification bien au - delà des capacités humaines : Il est celui qui est est plein d'affection pour ses serviteurs : Tout d'abord, Il les fait exister et les guide vers la foi et vers ce qui les méne au bonheur en cette vie et plus tard dans la vie future à la béatitude á la vue de son noble visage.

De tout cela on déduit que «Le miséricordieux est un terme, plus particulier que «plein de miséricorde» à suivre .



LES PLUD BEAUXATTRI-BUTS D' ALLAH

par Dr. zeinab abde aziz

«Al Rahmân», «Al Rahim»

Le Miséricordieux, Plein de Miséricorde.

Deux noms sublimes parmi ses plus parfaits attributs et qui prouvent qu'll est qualifié de la miséricorde. Or, c'est là une qualité qui lui est inhérente-qu'll soit loué et qui convient à sa majesté : Le miséricordieux c'est celui dont la compassion englobe et recouvre toute chose en ce monde. Car la dérivation du mot - selon la chose classe morphologique - sur le modéle «fa'lan» désigne ce qui est plein et qui posséde en abondance. Quant à «plein de miséricorde» il désigne celui dont les croyants bénéficieront de la miséricorde dans la vie future.

Le miséricordieux «Al rahmâne» désigne une qualité inhérente á son Essence même, quant à «Al Rahim», Celui qui est plein de miséricorde, il désigne ce qui est attribué à celui qui est l'objet de miséricorde. C'est pour cette raison que le terme de «miséricodieux» n'est jamais employé au sens transitif dans le Coran (c'est-à-dire comme une action qui passe du sujet à l'objet... il a dit - qu'il soit glorifié - «Il est plein de miséricorde pour les croyants» et non miséricordieux.

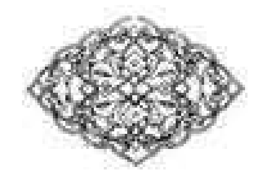
Le terme «Le miséricordieux» est à la fois un nom et un adjectif... .En tant qu'adjectif, il accompagne le nom d'Allah dans la formule sacramentelle «Au nom' Allah, Le miséricordieux, plein de miséricorde. «En tant que nom il apparaît dans le Coran sous sous la forme d'un nom propre :



réciter telle que:"***J'exprime l'intention de réaliser tel acte***", ni une simple idée passagère, mais bien un état d'esprit et un état du coeur, fondé sur un savoir et dont le fruit est une action. Ce savoir fait que la chose soit en accord avec le but qui est un bien-anticipé ou remis,et amène à faire naître le désir de le réaliser. La volonté c'est la ferme résolution du cœur, qui donne l'ordre aux membres et aux sens qui agissent à leur tour en vue d'accomplir ce qui est demandé, ainsi naît l'acte, car les actes ne sont que la concrétisation des intentions.

L'importance et la gravité de la sincérité de l'intention se révèle dans le Hadith qui décrit les trois qui ont mérité l'Enfer, malgré leur prétendue bonne intention: le premier est mort sur le champ de la bataille comme martyr, le deuxième était charitable et dépensait largement, tandis que le troisième était uléma qui récitait le Coran.

Leurs oeuvres pies ne furent pas accomplies uniquement dans l'intention de plaire à Allah, mais dans celle de jouir d'un certain crédit auprès des gens. Il fut dit au martyr: tu as combattu pour qu'on dise de toi "il est courageux" et ceci a été dit. Au deuxième: tu dépensais pour que les gens disent: "il est généreux"; et ceci a été dit. Quant au troisième: tu apprenais le Coran et tu le récitais pour que l'on dise de toi "c'est un uléma", et ceci a été dit. Ils n'ont donc trouvé aucune rétribution pour leurs actions, mais au contraire, ils ont mérité le juste châtiment pour leur attitude ostentatoire[3].



Le Prophète-b.s-a dit:*"Quand le serviteur accomplit de bonnes oeuvres, les anges satisfaits relèvent les feuillets des actions cachetés vers le Seigneur. Mais, exposés devant Les Mains d'Allah-Gloire à Lui- Il dit:'Jetez ces feuillets, car ces actions n'ont pas été accomplies dans le but de Me plaire."*

Hadith rapporté par Anas.

De même, Abdullah Ibn'Omar-A.s.l- a rapporté, d'après le Messager d'Allah-b.s-qu'il a dit : *"Celui qui fonde ses actions avec l'intention d'être rétribué dans la vie de l'au-delà, Allah placera sa richesse en son coeur, écartera de son chemin tous les soucis et la vie d'ici-bas viendra à lui malgré elle-même. Mais celui qui ne recherche que la vie d'ici-bas, Allah l'appauvrira, accumulera ses soucis et il n'obtiendra de cette vie que ce-qui lui est prédestiné."*

Hadith rapporté par Al-Termizie.

Aïcha-A.s.e-la mère des croyants, a rapporté ces paroles du Messager d'Allah-b.s-, qui mentionnent:*"Une armée marchera pour la conquête de la Ka'ba. Lorsque les soldats seront parvenus dans un certain désert, les premiers et les derniers de cette armée seront enfouis sous terre."Ô Messager d'Allah, demanda Aïcha-A.s.e-"comment les soldats de cette armée seront-ils enfouis du premier au dernier, alors qu'il y aura parmi eux des commerçants et d'autres qui ne sont pas venus dans les mêmes intentions qu'eux?". Le Prophète-b.s-répliqua:" Ils seront ressuscités et jugés conformément à leurs intentions."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le Prophète-b.s-a dit également:*"Quand deux musulmans se croisent leurs épées pour s'entre-tuer, l'assassin et l'assassiné, tous deux iront en Enfer":Ô Messager d'Allah, lui dit-on l'un est un assassin (il le mérite), mais pourquoi aussi celui qui est assassiné?." Parce qu'il cherchait à tuer son frère[2]," répondit le Prophète-b.s-.*

Hadith rapporté par Al-Bokhary .

L'intention est donc la source de toutes les actions et l'homme sera jugé selon son intention: ceci est signalé par le Prophète-b.s-qui dit:*"Tous les actes ne sont estimés que selon l'intention qui les inspire. Chacun n'a de son oeuvre que la valeur de son intention."* **Hadith rapporté par Al-Bokhary.**

La sincérité de l'intention procure la bénédiction à l'acte accompli ainsi que sa réussite et amène sa rétribution. On a parfois recours à d'autres mots pour désigner l'intention comme la volonté, l'objectif. Mais ces mots n'expriment qu'une seule idée: celle de l'intention; le musulman est convaincu que ce n'est pas une simple formule à



Il a dit également:**[Comptez-vous entrez au Paradis sans qu'Allah ne distingue parmi vous ceux qui luttent et ceux qui sont endurants?.]**

Surate 3 "Al-Imran" (La Famille D'Imran)V.142.

Allah-Gloire à Lui- décrit ceux dont la foi n'est pas sincère, Il dit: **[Il y a parmi les gens ceux qui adorent Allah en hésitant. S'il leur arrive un bien, ils s'en tranquillisent, et s'il leur arrive une épreuve, ils détournent leur visage, perdant ainsi le bien d'ici-bas et de l'au-delà.. Telle est la perte évidente!.]**

Surate 22 "Al-Hadj"(Le Pèlerinage)V.11.

Il a dit aussi: **[Parmi les gens il en est qui disent: "Nous croyons en Allah"; puis, si on leur fait du mal pour la cause d'Allah, ils considèrent l'épreuve de la part des hommes comme un châtiment d'Allah. Or, s'il vient un secours de Ton Seigneur, ils diront certes: "Nous étions avec vous!". Allah n'est-Il pas le meilleur à savoir ce qu'il y a dans les poitrines de tout le monde.?]**

Surate 29 "Al-Ankabut" (L'Araignée) V.10.

La sincérité de la foi se manifeste dans le coeur du fidèle, lorsqu'Allah et Son Prophète sont ce qu'il aime le plus au monde. le Prophète-b.s-l'a dit en ces termes:***"Trois choses, celui qui aura l'avantage de les avoir y trouvera la splendeur de la foi: Il aime Allah et Son Prophète plus que quiconque, il aime son semblable uniquement pour la cause d'Allah et il déteste retourner à l'incroyance autant qu'il déteste être jeté en Enfer".***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Allah-Gloire à Lui-décrit ainsi la sincérité de la foi: **[Les vrais croyants sont seulement ceux qui croient en Allah et en Son messager, puis, par la suite, ne doutent point et qui luttent avec leurs biens et leurs personnes dans la voie d'Allah; ceux-là sont les véridiques.]**

Surate 49 "Al-Hujurat" (Les Appartements) V.15.

2- La sincérité de l'intention:

Elle consiste à avoir la ferme résolution d'accomplir une oeuvre pie de façon que l'élan émane du coeur et qu'il soit désinteressé de tout profit personnel. Il importe également que la résolution soit prise sans hésitation, sans penchant ni faiblesse.

La Sincérité

Traduction de :
Hoda Hussein Chaâraoui.[1]

La sincérité est l'opposé du mensonge. La sincérité c'est la force qui pousse l'homme à poursuivre son chemin, et qui l'empêche d'hésiter ou de rétrograder. La sincérité est de différentes sortes: il y a la sincérité de la foi, la sincérité de l'intention, la sincérité dans les paroles et la sincérité dans les actes. Dans les pages suivantes, nous allons expliquer chacune séparément.

1) La sincérité de la foi:

Elle consiste à savoir qu'Allah existe, qu'Il est Unique et qu'Il n'a point d'associé, qu'Il est Omnipotent: rien ne survient dans Son Royaume si ce n'est par Sa décision et Son arrêt est irrévocable.

La croyance du Musulman doit être ferme, et ne doit être entâchée d'aucun doute, tout au long de sa vie et en toutes circonstances. S'il reçoit une faveur, il loue le Créateur et si, au contraire, il est frappé par un malheur, il endure avec patience. Il sait que tout bien qui l'atteint provient d'Allah; et, tout mal qui l'atteint vient de lui-même.

Allah-Gloire à Lui- n'est point injuste envers Ses Créatures, mais Il les éprouve par ce qu'Il veut, Il a dit: **[Est-ce que les gens pensent qu'on les laissera dire: "Nous croyons" sans les éprouver?. Nous avons certes éprouvé ceux qui ont vécu avant eux; ainsi Allah connaît ceux qui disent la vérité et connaît ceux qui mentent.]**

Surate 29 "Al-Ankabut" (L'Araignée) V.2et3.

[1] Par le Révérend Cheikh: Yassine Roushdy

REVUE
AL AZHAR

AL-MOHARRAM 1419 H. MAY 1998 vol. 71 Part1

Section Francaise

and succeading generations following the prophet's footsteps, in the call whose tenets Allah Almighty has laid down in word :



«Invite people (O Mohammad) graciously to the path of God, the path of rectitude, with wise, graceful and appropriate inducements which meet them on their own ground and propitiate them, each in his own capacity, to open the ears of their hearts and the eyes of their minds. And reason with them in a logical, peaceable and gracious manner». (Suro 16 : 125)

The result of this activity was a vast Islamic state with boundaries from china in the East, unitl it reached Europe in the west. Islam now has followers in almost all parts of the globe, approximately 1000,000,000 million muslims.





conquest of Mecca in the eighth year of Hijrah. By this Allah has made Islam and its followers victorious, and the people began to enter Islam in great leaps and bounds.

The prophet, (PBUH) had seized the opportunity of truce which was concluded by the Treaty of Al hudiyjah, in the sixth year of Hijrah, to send lettres to kings and leaders calling them to Islam in order to spread it universally.

The most distinguished citation in those letters, was epitomizing a verse (from the Qur'an) showing faith in the one Allah and portraying the dignity of man, for whom it was not proper to adopt a God from among members of his race, and for people to come to terms, on one word. If they did not respond to the call, at least they should accept the new situation and the Islamic society, formed in the Arabian peninsula to deliver the trust of the call to all people This verse is the word of Allah The most Gracious :



«Say to them : O you people of the book (Torah and Gospel),: let us come to terms to agree among ourselves that we venerate and worship no one but God and shall not incorporate with Him other deities nor shall any of us take another for a godhead or a tutelary guardian besides God». And if they turn a deaf ear and insist upon hugging their irreverent conviction to their hearts, then say to them : Do then bear witness that we conform our will to God's blessed will, and this reflects conformity to Islam» ./(sura 3 : 64)

And after exhausting the resistance on the part of the jews and others, the prophet (PBUH), began to secure the boundaries of the Arbian peninsula against the two great Powers of the time, the persians and the Romans. He proposed an army under the command ofOsamah Ibn Zaid. However at this time, the prophet (PBUH) passed away, at the age of sixty-three after an eventful life of glorious deeds and continuous struggle for the sake of delivering the message.

The responsibility of this message was tightly taken over by the prophet's four immediate successors i.e. The four rightly guided caliphs

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

«Read in the name of God, your creator who created and brought everything, spiritual, animate and inanimate into being. He created manfrom a clinging orgonism. Read : and realize that (God your creator is most generous. He taught by the pen the main instrument of learning and knowedge, the instrument, of auhorship. He taught man what he did not know
(Sura 96 : 1 - 5)

Returning from meeting in great fear, His wife consoled him, and he was also consoled by Waraqah bin Nawfal, who had knowledge about christianity.

Among the first who believed him was his wife, khadijah, and his servant Zaid lbin Harithah, and his cousin, «Ali lbin abu Talib,» who was under his guardianship, and Abu Bakr al sidiq, (peace be upon them all).

When he called Quraish to Islam, they didnot believe him, and opposed him fiercy. There after some of the Muslims were forced to migrate to A-byssinia.

The ill-treatment by Quraish became severe after the death of his wife khadijah, and his uncle Abu Talib in the same year, and this was ten years into his prophethood. This was a hostile many in which they turned out and thus. Allah graced him with the Night journey (tc Jerusalem) and Ascension (to Heaven), in which Allah ordained the five obligatory prayers.

Prophet mohammad (PBUH) presented Islam to the tribes during the pilgrimage and market seasons. In this way the call reached «Yathrib», where many disiples were made when Quraish was determined to get rid of mohammad by killing him, Allah ordained the migration to Madinah (Yathrib) to which most of the muslims had migrated. The people of Madinah, who came to be called «Al-Ansar», welcomed them in a hospitable way, and they all cooperated together in founding of the new Islmic society. They stood as one, hand in hand, united against antagonist trends from the jews of Madinah, and the polytheists of Mecca, and others like them.

Armed confrontation (ghazawat) took place, most important of which were the Battles of Badr,Ohod, Al'Ahzab and khaibar and ending by the



Under Standing Islam

Part IX

by Dr. Attiyah saqr

Translated by : Sheik Mouhammd M. Geme'a

A Brief Biography of the prophet (PBUH)

Prophet Mohammad, (PBUH) was born in Mecca in the year of the Elephant, 571 after Christ, of the Noble. Arab family. Banu Hashim, whose lineage is traced to Isma'il, son fo Ibrahim, (peace be upon both). Mohammad's father (Abdullah) died, wnen he was still a fetus in the womb of his mother, Amina. His mother looked after him until she died when he was only six years of age. Then his grandfather, Abdul muttlib, took over his guardianship; and died only two years later. Then his uncle Abu Talib became his guardian.

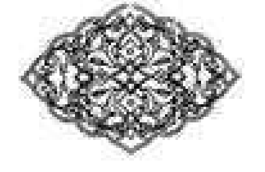
Prophet Mohammad (PBUH), began his adulthood as a shepherd in-keeping with the tradition of prophets,as was rightly said in Hadith.

He was also engaged in trade, where he used to accompany his uncle to syria. He was later engaged in a trade venture for lady khadijah, whom he shortly afterwards married at the age of twenty five. The prophet joined his people in important projects like, The Pact of the noble for relief of the oppressed, and also took part in rebuilding of the ka'abah.

After taking khadijah as a wife, he took to seclusion away from where he used to see those among his people who are worshipping idols and others. There fore, he would go for contemplation to the «Cave of Hira;» overlooking the ka'abah, for nights on end. During one of these seclusions, the Angel GABRIEL descended with the Message' or Revelation . This was when he was forty years of age. The Angel GABRIEL recited to him and he recited after him the words of Allah The most Gracious :

«Have They not travelled in the land so that they may have hearts to comprehend with. Or ears to hear with, surely it is not the eyes that become blind but the hearts that are in the chests that become blind». (22:46) the pilgrimmage.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾





In the Qur'an, the word or Allah revealed by the holy spirit. And the light, the light of Allah to muslims accepting Allah's power over humans, over us, over our universe and surrendering to him in total faith. It was also revealed to muslims for guidance and believing in all Allah's messengers and in all three books as ordained in the Qur'an . In the Qur'an the knowledge for humans is greatly expanded much beyond what was known or even limitation could have been imagined, (galilio is a Testimony to the limitations). Space knowledge is emphasised in reiterated reminders, new frontiers that could be in the future accessible directly to humans, by the help of Allah where humans could not go by themselves, were open wide for muslims to read and to ponder about. The muslims who surrendered to Allah and accepted all what He ordained, enjoy the mercy and blessings of Allah and the blessings and mercy of the Qur'an and what came before it. The torah and the gospel.

Three famous stories from the three books can best clarify the three phases of human gourney from darkness to light:

1 - The story of adam and the originl sin.
2 - The story of the Messiah, jesus son of mary.
3 - The night journey of prophet Mohammed visiting heaven.

True to its Title «to read» and to the first word of the first revelation «read». (96:1) the Qur'an urges humans to read, to really



read the Qur'an, and in the Qur'an to see tne light and the truth and to get out of the darkness of obscurity and ignorance; see the truth that need not be burdened with fetters and rituals. There is knowledge, the ultimate: the light and there are standards of morality and compassion that must be observed to benefit from that knowledge. To learn with our minds, our hearing, our sight and our hearts.

Islam AND The Great Qur'an

Part V

by Ambassador Maha Fahmy

The Three Phases of Human Journey From Darkness to Light

In the book of Adam, the father of human, is the story of how Allah created humans to be blessed, then the fall and with drawal of Allah's spiritual blessing and the expulsion of man from heavens to earth with the curse. During the first centuries of struggle, Allah took mercy on humans and blessed them with guidance so that humans .

Can be redeemed. The covenant of Allah then was giving the first humans the freedom of earth entrusting them to be just, to build civilizations, to imitate nature, planting.

Toiling and cooperating and helping each other. All of with Allah retaining all the controls on humans and on the earth. In the Qur'an Allah reiterates that the perfection of the universe could not tolerate opposing orders, only one Allah the harmonious oneness.

In the Gospel of the Messiah, the story of Jesus, Messiah son of virgin Mary, Allah wanted to forgive the people who believed in jesus, to guide them to the light of mercy and to elevate the son of man to be at the right hand of Allah. There was the passion and only few people then stood by the messiah. The people who believed in jesus, son of Mary, had the mercy of Allah and the blessings of both: The gospel and what was before it of the torah.





AL-AZHAR MAGAZINE

AL-MOHARRAM 1419 H

ENGLISH SECTION

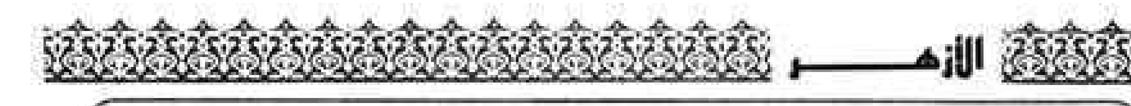
VOL.71 Part1

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

*" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."*

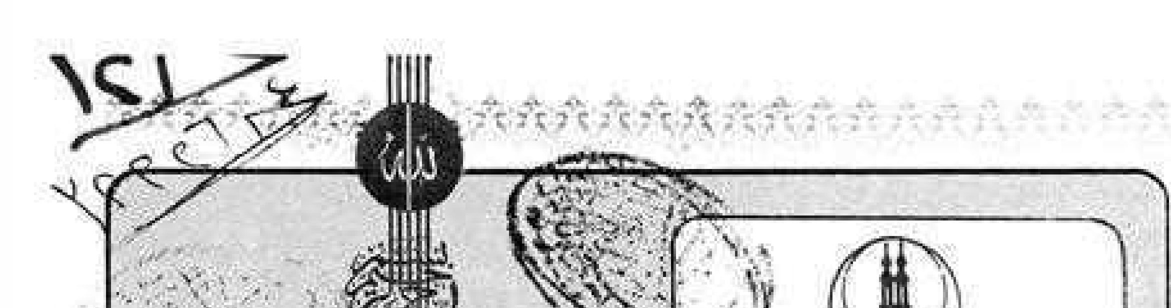
(AL A'raf 43)

الفهرس

القسم الفرنسي

القسم الانجليزي




الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٢١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت: ٥٩٠٥٤٧٢ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

التشقيقتان

مصر - البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أسعد خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام البررة وعلينا معهم برحمتك وكرمك ومنك يارب العالمين.

وبعد

فتلبية لدعوة كريمة موجهة من صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس مجلس وزراء البحرين إلى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر لزيارة البحرين. قام فضيلته بالزيارة على رأس وفد على مستوى رفيع من القيادات الدينية فى مصر، وضم الوفد فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى

الجمهورية ، وفضيلة الأستاذ الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر ووفدا إعلاميا على مستوى عال لتغطية هذه الزيارة إعلامياً .

ولمكانة هذا الوفد أعدت البحرين لسفره ذهابا وإيابا طائرة خاصة لنقله إلى المنامة عاصمة البحرين ، وما أن هبطت الطائرة فى أرض المطار حتى رأينا استقبالا تاريخيا حيث كان فى مقدمة كبار المستقبلين سمو الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس مجلس الوزراء ومعه كوكبة من الوزراء والوجهاء ورجال الأعمال والتجارة أكثر من ١٠٠ شخصية دينية يمثلون كافة الاتجاهات الإسلامية ، كما رأينا سماحة لم نشهدها من قبل ، ورأينا رجل دولة بالمعنى الكبير ، ورأينا محدثاً لبقا رائعا ومستمعا جيدا ، كما رأينا استقبالا حاشدا يعجز القلم عن وصفه .

وليس هذا بغريب على دولة البحرين هذه الدولة المسلمة ، ثانى بلد دخله الإسلام ، حيث قد أرسل سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم - كتابه إلى أمير البحرين ، وحمل الكتاب الصحابى الشهير العلاء بن الحضرمى ، وهكذا نقل دين التوحيد وكلمة لا إله إلا الله إلى البحرين ، وكانت النتيجة أن آمنوا جميعا وأصبحوا منذ هذا التاريخ سنداً للإسلام ورسلا للقرآن ، وهم مسلمون مؤمنون موحدون . ومن هذا المنطلق الطيب منطلق الإسلام الحنيف استقبل شيخ الأزهر والوفد المرافق .

كما استقبل حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آله خليفة أمير البلاد المفدى وصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء بقصر الشيخ حمد بالقضيبية فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق بمناسبة زيارته للبلاد حيث نقل إلى سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء أطيب تحيات الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، والدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء وتمنياتهما للبحرين مزيدا من الرفعة والرقى والازدهار . وخلال المقابلة رحب سموهما بفضيلة الإمام الأكبر ومرافقيه مشيدين سموهما بعمق العلاقات التاريخية المتميزة التى تربط بين البلدين والشعبين الشقيقين وما تكنه البحرين لجمهورية مصر العربية قيادة وحكومة وشعبا من محبة وتقدير ، كما نوه سموهما بالدور الرائد الذى يضطلع به فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى خدمة قضايا أمتنا الإسلامية ، ونشر تعاليم ديننا الإسلامى الحنيف .

كما أعرب سموهما عن اعتزازهما بما يقوم به الرئيس محمد حسنى مبارك من دور بارز فى توحيد الصف العربى ، وإعادة التضامن ، ولم شمل الأمة العربية ، مؤكدين حرص البحرين على المزيد من التعاون مع الأزهر الشريف فى المجالات الإسلامية ، التى منها : الاستفادة من الدراسات الفقهية والشرعية ، التى يعدها الأزهر ، وابتعاث الطلبة البحرينيين لتلقى العلوم الشرعية فى الأزهر الشريف ، منوهين بدور الأزهر فى تخريج أعداد كبيرة من البحرينيين فى مجال القضاء والشريعة والفقه الإسلامى ، متمنين سموهما لضيف البلاد دوام التوفيق والسداد لخدمة الإسلام والمسلمين .

وقال الشيخ عيسى : مصر الشقيقة الكبرى .. والأزهر قلعة الإسلام ، وإن الأزهر الشريف له فى نفوسنا كل التقدير ، لأنه حمى العقيدة الإسلامية ويافضيلة الإمام إن هذه مناسبة طيبة نستقبلكم فيها ، وإن البحرين تسعى للأزهر مشتاقة تواقة إلى علماء الأزهر ،

وإن البحرين وهى تستعرض جلائل الأمور وفضائل الدرجات ، وأسمى الغايات لا تسابق إلا فى الشرف العظيم ، وليس هناك فى العزائم والفضائل أعظم من مجد تحمله رسالة الأزهر ورد شيخ الأزهر قائلاً : ياسمو الأمير : نحن ننزل فى بلدنا الثانى البحرين .. والبحرين هى دولة عربية مسلمة ، وقد رأينا فيها ما سرَّ خواطرنا ؛ لأن البحرين هى الدرع الواقى للعقيدة الإسلامية السمحة فى عالم يموج بالأفكار المتطرفة ، والأزهر والبحرين توأمان لا ينفصلان ،

كما أن بلدكم هو بلد الأمن والاستقرار ، وندعو الله - تبارك وتعالى - أن يديم عليكم نعمة الرخاء والأمن والاستقرار ، وأن يجعلكم سندا للدين والفضيلة وجميع المبادىء التى جاء بها الإسلام الحنيف ، ونحن فى الأزهر الشريف يسرنا أن نقدم لدولة البحرين كل تعاون صادق وبناء ، فى مجالات العلم والعلماء . ونحن ياسمو الأمير نقدم إليكم كل الشكر على الحفاوة التى استقبلنا بها ، ونشكر أصدق الشكر سمو الأمير الشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس الوزراء ، الذى استقبلنا فى المطار بنفسه رغم مسئولياته الثقيلة ، وأعبائه الكثيرة .

ثم وجه الشيخ عيسى حديثه إلى الوفد المرافق قائلاً : إن البحرين حينما تحتفى بالأزهر ورجاله ، إنما تحتفى بالدين الحق ؛ لأن الأزهر هو حامل مشاعل الهدى والنور ، على مدى

ألف عام من تاريخه ، دفع عن الأمة كل موجات الإلحاد والضلال والشرور والآثام . وأنتم فى بلدكم الثانى بالبحرين .. وإنكم تشرفوننا فى البحرين ونحيى دور الأزهر فى نشر العلم والمعرفة الإسلامية الصحيحة .

وقال الشيخ خليفة : إننا نستقبل شيخ الأزهر فى بلادنا بقلوب مفعمة بالحب والود وكل معانى الإسلام الشريفة ، لأن الأزهر بماضيه العريق ، ومستقبله الفريد هو حامى حمى الإسلام والمسلمين ، ونحن لا ننكر دور الأزهر أبدا فى تخريج العلماء الأفاضل ، الذين حملوا مشاعل النور والهداية فى دولة البحرين . وإن زيارة وفد الأزهر من أسعد أيام البحرين .

ورد فضيلة الإمام الأكبر قائلا : إن البحرين هى صاحبة حضارة تليدة ، وصاحبة مجد دائم ، ونحن نذكر بالعرفان أن حضارة البحرين المتقدمة هى كسب للأمة العربية جمعاء ، كما أننا نذكر أن الإسلام عندما دخل البحرين كسب بالبحرين أرضاً جديدة ، وأصبحت البحرين هى النافذة أو الباب الذى انطلق منه الغزو الإسلامى أو الفتح الإسلامى إلى كافة أرجاء قارة آسيا .

ونحن نسأل الله أن يجزيكم عن الإسلام والمسلمين كل خير وبركة ، ونحمد لكم ذلك الاستقبال الودود الذى قوبلنا به من إخوة فى الدين والعروبة .
كما ندعو الله أن يديم عليكم نعمة الأمن والاستقرار ومزيدا من الرفاهية لشعب البحرين الشقيق ، ولابد أن نعيد للإسلام وجهه الحقيقى ، وأن نتعاون على البر والتقوى لخير أمتنا .

وعبر فضيلته عن عميق الشكر والتقدير لحضرة صاحب السمو أمير البلاد وصاحب السمو رئيس الوزراء على ما لقيه والوفد المرافق من لدن سموهما من كرم الضيافة والوفادة وحسن الاستقبال منذ وصوله أرض البحرين مشيدا بالتعاون القائم بين الأزهر الشريف ودولة البحرين فى كل ما يتعلق بأمور ديننا الحنيف ، وما تضطلع به البحرين من دور رائد فى خدمة قضايا أمتنا الإسلامية ، مؤكداً لسموهما تطلع الأزهر الشريف لمزيد من التعاون مع دولة البحرين فى كل ما يخدم الإسلام ، مشيدا بنتائج الزيارة التى قام بها صاحب السمو رئيس الوزراء لجمهورية مصر العربية مؤخراً ، وما أسفرت عنه من نتائج طيبة فى دعم وتعزيز علاقات الأخوة بين البلدين الشقيقين . داعيا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يمتع سمو أمير

البلاد بموفور الصحة والسعادة لمواصلة مسيرة الخير والتقدم ، وأن يديم على البحرين نعمة الأمن والاستقرار والرخاء . وأن يسود السلام والأمن ربوع العالم الإسلامى ، وأن يوحد الله كلمة المسلمين لكل ما فيه خدمة قضاياهم وإعلاء شأنهم .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن زيارته والوفد المرافق له للبحرين والتى جاءت بناء على دعوة كريمة من صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء قد حققت أهدافها المرجوة ، وهى أهداف نبيلة جددت معانى الإخاء والتعاون الصادق بين الأزهر الشريف وبين دولة البحرين الشقيقة .

وقال فضيلته : إننا عقدنا عدة اتفاقيات للتعاون بين وزارة العدل والشئون الإسلامية وبين الأزهر ، كما أن وزارة الأوقاف المصرية متمثلة فى فضيلة وزيرها الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق قد عقدت اتفاقيات دينية وثقافية بينها وبين وزارة العدل والشئون الإسلامية لتدريب الدعاة ولتبادل الكتب والبعثات . وبروتوكول التعاون بين دار الإفتاء المصرية ووزارة العدل والشئون الإسلامية بالبحرين ، وأن المسلمين مدعوون للاجتهاد بعلم دون التعصب لرأى معين دون بينة ، وذلك فى الأمور الفرعية التى تحتمل أنواعا من الفهم إلا أنه ليس هناك اجتهاد فيما ثبت من الدين بالضرورة ، كما أنه ليس من الضرورى للمسلمين أن يجمعوا الرأى على قضايا فرعية ماداموا قد أجمعوا على الأصول .

وأخيراً أسأل الله العلى القدير أن يديم علينا نعمة الأمن والإيمان والاستقرار ، وأن يلهم القادة والمسئولين كل خير ، وأن يوفقهم إلى ما يحبه ويرضاه .

وبالله التوفيق والهداية ؟

عبد المعز عبد الحميد الجزار



تفسير سورة البقرة

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) • وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

معنى الآيات الكريمة : أن اليهود المعاصرين للعهد النبوى كانوا إذا عرض عليهم الإيمان بما أنزل الله من القرآن على محمد - ﷺ - أجابوا بقولهم : نؤمن بما أنزل علينا وهو التوراة التى أنزلها الله - تعالى - على موسى ، ويجحدون غيرها وهو القرآن الكريم المصدق لها فى الأمر باتباع محمد - ﷺ - ثم أمر الله - تعالى - رسوله - ﷺ - أن يكذبهم فى دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم فقال :

﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بالتوراة فإنها تنهاكم عن قتلهم ثم كذبهم القرآن الكريم مرة أخرى فقال : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أى : بالآيات الواضحات الدالة على صدقه ، ولكنكم ﴿ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ ﴾ أى : من بعد ذهابه لميقات ربه ﴿ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ لعبادتكم غير الله تعالى .

ثم كذبهم القرآن الكريم - فى دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم - بصورة أخرى سوى ما سبقها فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ وقلنا لكم : ﴿ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم ﴾ - من التوراة - ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أى بجد وحزم ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ ما أمرتم به فيها سماع تدبر وطاعة . ولكن أسلافكم الذين أنتم على شاكلتهم قالوا لنبيهم : « سمعنا » قولك « وعصينا » أمرك . وخالط حب العجل قلوبهم كما يخالط الماء أعماق البدن ، وكل هذه الأفاعيل منكم لاتناسب دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم ، وإذا فبئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون ، فالواقع أن التوراة بريئة من أعمالكم ، وأنتم بعيدون عن الإيمان بها .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ تصوير لنوع آخر من قبائح اليهود ، وإخبار عن إعراضهم عن الحق بدعوى أنهم مكلفون بعدم الإيمان إلا بما أنزله الله على موسى وهو التوراة .

والمقصود ﴿ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ القرآن الكريم . ولم يذكر المنزل عليه وهو محمد ـ ﷺ ـ للعلم به أو للتنبيه على أن وجوب الإيمان بالكتاب ، يكفى فيه العلم بأنه منزل من عند الله ـ تعالى ـ ومتى استقر فى النفس أن القرآن الكريم من عند الله ، استتبع ذلك استحضار أنه أنزل على محمد ـ ﷺ .

وقولهم : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ معناه : نؤمن بالتوراة التى أنزلها الله على نبينا موسى دون غيرها مما أنزله الله عليك ـ يامحمد ـ ، وجوابهم هذا يدل على غبائهم وعنادهم . لأن الداعى لهم إلى الإيمان ، يطلب منهم أن يؤمنوا بكل ما أنزل الله من الكتب السماوية ، ولكنهم قيدوا أنفسهم بالإيمان ببعض ما أنزل الله وهو ما أنزل عليهم ، فلم يكن إيمانهم مطابقا لما أمر الله به وهو التصديق بجميع الكتب السماوية ، ولاشك أن من آمن ببعض الكتب السماوية وكفر ببعضها يكون كافراً بجميعها .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ قصد به بيان التصريح بكفرهم بالقرآن الكريم بعد أن لمحوا بذلك فى قولهم : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ والضمير فى ﴿ وَرَآءَهُۥ ﴾ يعود على ﴿ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ المكنى به عن التوراة ، أى : قالوا نؤمن بما أنزل علينا والحال أنهم يكفرون بما سوى التوراة أو بما بعدها وهو القرآن الكريم .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : « وتأويل وراءه فى هذا الموضع : سوى ، كما يقال للرجل المتكلم بالحسن ، ما وراء هذا الكلام الحسن شىء . يراد به : ليس من عند المتكلم به شىء سوى ذلك الكلام ، فكذلك معنى قوله تعالى : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أى بما سوى التوراة ، وبما بعده من كتب الله التى أنزلها على رسله »[1] .

والضمير « هو » فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ يعود إلى القرآن الكريم المكنى عنه بقوله « بِمَا وَرَآءَهُۥ » . والحق : الحكم المطابق للواقع . ووصف به القرآن الكريم لاشتماله على الأحكام المطابقة للواقع .

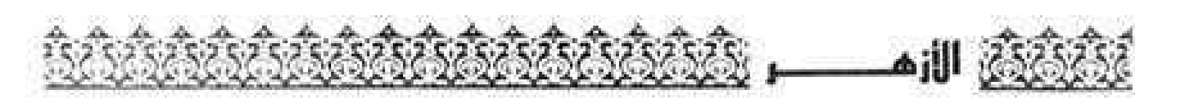
ومعنى كون القرآن مصدقا لما مع اليهود وهو التوراة ، أنه يدل على نبوة النبى ـ ﷺ ـ وبهذا كان مؤيداً للتوراة التى بشرت بالنبى ـ ﷺ ـ وذكرت له نعوتاً لاتنطبق إلا عليه ، وبذلك يكون اليهود الذين يدعون الإيمان بما أنزل عليهم كاذبين فى دعواهم ، لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ـ ﷺ ـ الذى بشرت به توراتهم وأمرتهم بالإيمان به وأيدها القرآن الكريم فى ذلك .

قال صاحب الكشاف : وفى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ رد لمقالتهم ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ؛ لأنهم إذ كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها »[2] .

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤١٨ .

(٢) تفسير الكشاف بتصرف جـ ١ ص ٢٢٤ .



ثم أمر الله - تعالى - رسوله - ﷺ - أن يوبخهم ويبطل دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم بدليل إلزامى فقال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

والمعنى : قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين إذا دعوتهم إلى الإيمان بك قالوا : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ قل لهم : إن كنتم حقا مؤمنين بما أنزل عليكم وهو التوراة ، فلأى شىء تقتلون أنبياء الله مع أن التوراة تحرم عليكم قتلهم ، بل هى تأمركم باتباعهم وتصديقهم وطاعتهم لأنه أرسلهم لهدايتكم وسعادتكم .

إن قتلكم لهم أكبر دليل على أنكم لم تؤمنوا لا بما أنزل عليكم ولا بغيره ، وأنكم كاذبون فى مدعاكم لأن جميع ما أنزل الله من وحى يحرم قتل الأنبياء ، ويأمر الناس باتباعهم وطاعتهم .

ويرجع معنى الآية إلى نفى فعل الشرط وهو كونهم مؤمنين ، إذ لا وجه لقتلهم الأنبياء إلا عدم إيمانهم بالتوراة ، وهذا كما تريد أن تنفى عن رجل العقل لفعله ما ليس من شأنه أن يصدر من عاقل ، فتقول له : إن كنت عاقلا فلم فعلت كذا ، أى : أنت لست بعاقل .

والفاء فى قوله تعالى : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ ﴾ واقعة فى جواب محذوف دل عليه ما بعده ، والتقدير إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم فلم تقتلون أنبياء الله - تعالى -

والإتيان بالمضارع فى قوله - تعالى : ﴿ تَقْتُلُونَ ﴾ مع أن القتل للأنبياء وقع من أسلافهم بقرينة قوله تعالى : ﴿ من قبل ﴾ لقصد استحضار تلك الجناية الشنيعة ، وللتنبيه على أن ارتكابهم لتلك الجريمة البشعة يتجدد ويقع منهم المرة تلو الأخرى ، وللإشعار بأن الخلف يمشون على عماية السلف ، فى التعدى والعصيان ، فلقد حاول اليهود المعاصرون للعهد النبوى قتل الرسول - ﷺ - ولكن الله - تعالى - عصمه منهم ، ونجاه من مكرهم .

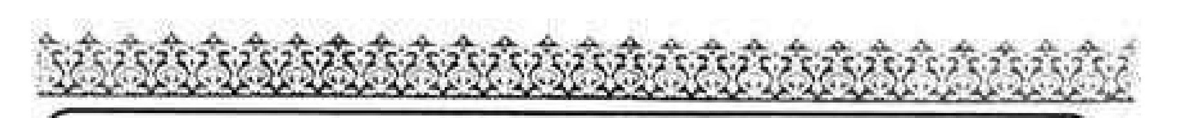
وأضاف سبحانه - الأنبياء إليه فقال : ﴿ أَنبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ للتنبيه على شرفهم العظيم ، وللدلالة على فظاعة عصيان اليهود واجتراحهم المنكر ، إذ قابلوا بالقتل من يجب عليهم أن يقابلوهم بالتصديق والتوقير والطاعة .

ثم ذكر القرآن الكريم لهم جنايات أخرى تدل على أنهم لم يؤمنوا بما أنزل عليهم كما يدعون . ومن تلك الجنايات عبادتهم العجل ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

البينات : جمع بينة وهى الآيات والمعجزات الدالة على صدقه وحقيقة نبوته ، كانقلاب العصا ثعباناً ، وفلق البحر ، وانفجار العيون من الحجر ... الخ .

وإنما سماها الله بينات ، لأنها لما كانت لايقدر على أن يأتى بها بشر إلا بتسخير الله ذلك له دلت على صدق موسى - عليه السلام - فى نبوته ورسالته .

والمعنى : ولقد جاءكم - يا بنى إسرائيل - نبينا موسى بالآيات الواضحات الدالة على صدقه ، وحقيقة نبوته ، وكان من الواجب عليكم أن تتبعوه وتطيعوه ولكنكم لم تفعلوا فقد اتخذتم العجل إلها من بعد مفارقة نبيكم موسى لكم لمناجاة ربه ، ومن بعد مشاهدتكم لتلك المعجزات ، التى استبان بها صدقه فيما يبلغكم عن ربه فأنتم ظالمون بذلك ، لأنكم تركتم عبادة من يستحق العبادة وهو الله - تعالى - وعبدتم العجل الذى لايملك ضراً ولا نفعاً .



فالآية الكريمة فيها إبطال لدعواهم الإيمان بما أنزل عليهم ، لأنهم لو كانوا مؤمنين حقاً بنبيهم الذى جاءهم بالبينات ، لما تركوا ما أمرهم به وهو عبادة الله ، وفعلوا ما نهاهم عنه وهو عبادة العجل .

ثم ذكر القرآن الكريم جناية أخرى تكذبهم فى دعواهم : إنهم يؤمنون بما أنزل عليهم - وهى إباؤهم التوراة عناداً واستكباراً فقال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

ومعنى الآية الكريمة : واذكروا - يا بنى إسرائيل - وقت أن أخذنا الميثاق عليكم بأن تعملوا بما فى التوراة ، وتتلقوا أحكامها بالتقبل والطاعة ورفعنا فوقكم الطور لنريكم آية من آياتنا العظمى التى تقوى قلوبكم ، وتجعلكم تقبلون على تعاليم التوراة برغبة واستجابة ، وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بجد وحزم ، واسمعوا ما أمرناكم به سماع تدبر وطاعة ، ولكنكم - يابنى إسرائيل - يا من تدعون الإيمان بما أنزل عليكم - أعرضتم عما أمرتم به من قبول التوراة وقلتم لنبيكم سمعنا قولك وعصينا أمرك ، وخالط حب عبادة العجل قلوبكم كما يخالط الماء أعماق البدن ولم تأبهوا بما جاءكم فى التوراة من الهدى والنور وبما صحب عرضها عليكم من الآية البينة وهى رفع الجبل فوقكم حتى ظننتم أنه واقع بكم فكفرتم بذلك كله ولازالت نفوسكم تحن إلى عبادة العجل ، ولقد سرتم على منهج أسلافكم فى العناد والجحود والإعراض عما ينزله الله من الحق ، وإذا كان هذا شأنكم فكيف تدعون الإيمان بما أنزل عليكم ؟

ثم أمر الله نبيه - ﷺ - أن يوبخهم على تخرصاتهم فقال تعالى : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ معناه : إننا حركناه ونقلناه معلقا فوقكم فى الهواء ، لتروا بأعينكم آية كونية من شأنها أنها تحملكم على الإيمان والطاعة إن كانت لكم عقول تعقل .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ﴾ : قلنا لكم خذوا ما أمرناكم به فى التوراة بجد واجتهاد فى تأديته ، واسمعوا ما تؤمرون به سماع طاعة وتفهم . فقوله تعالى ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ ليس المراد به مجرد السماع للقول فقط ، بل المقصود منه السماع الذى يصحبه التدبر والاستجابة للأمر : فهو مؤكد ومقرر لقوله تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ .

ثم حكى - سبحانه - جوابهم الذى يدل على عنادهم فقال : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : كيف طابق قوله جوابهم ؟ قلت طابقه من حيث إنه قال لهم اسمعوا : وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة ، فقالوا سمعنا ولكن لاسماع طاعة[1] .

وقد اختلف المفسرون هل صدر منهم هذا اللفظ حقيقة باللسان نطقاً ، أو أنهم فعلوا فعلا مقام القول فيكون مجازاً ؟

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٥ .

قال الفخر الرازى : الأكثرون من المفسرين على أنهم قالوا هذا القول حقيقة . وقال أبو مسلم : وجائز أن يكون المعنى سمعوه فتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول ولم يقولوه ، كقوله تعالى ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ قال : والأول أولى لأن صرف الكلام عن ظاهره بغير دليل لا يجوز [(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ عطف على قولهم سمعنا وعصينا والإشراب : السقى وجعل الشيء شارباً ، واستعمل على وجه التجوز فى خلط لون بآخر كأن أحد اللونين سقى الآخر ، يقال : بياض مشرب بحمرة أى مختلط ، وفلان أشرب قلبه حب كذا بمعنى خالط حبه قلبه .

قال الإمام الرازى : قوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ فى وجه هذه الاستعارة وجهان : الأول : معناه تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب ، وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ، الثانى : كما أن الشرب مادة لحياة ما تخرجه الأرض ، فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال [(٢)] .

وفى الجملة الكريمة ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ مضاف محذوف وهو لفظ (حب) لدلالة المعنى عليه .

والمعنى : إن هؤلاء اليهود الذين مردوا على العصيان قد خالط حب العجل نفوسهم حتى استقر فى قلوبهم ، كما يخالط الماء أعماق الجسد . وحذف لفظ الحب من الجملة الكريمة ، يشعر بشدة تعلق قلوبهم بالعجل حتى لكأنهم أشربوا ذاته .

والتعبير بقوله : ﴿ وَأُشْرِبُوا ﴾ يشير إلى أنه بلغ حبهم العجل مبلغ الأمر الذى لا اختيار لهم فيه كأن غيرهم أشربوا إياه .

وقوله تعالى : ﴿ بِكُفْرِهِمْ ﴾ دليل على أن محبتهم للعجل ناشئة عن كفر سابق ، وجحود متأصل فكفرهم الذى ترتب على عبادتهم للعجل ، قد سبقه كفر آخر ، فهو كفر على كفر .

ـ ثم أمر الله ـ تعالى ـ نبيه فى ختام الآية الكريمة بتوبيخهم فقال تعالى :

﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أى : قل ـ يا محمد ـ لهؤلاء اليهود الذين يدعون الإيمان بما أنزل عليهم ـ قل لهم ـ بئس الشيء الذى يأمركم به إيمانكم قتل الأنبياء وعبادة العجل والعصيان إن كنتم مصدقين ـ كما زعمتم ـ بالتوراة ، والحق أن التوراة ما أمرتكم بشيء من ذلك فما أنتم بمؤمنين بها ولا بغيرها من كتب الله ، لأنها لا تأمر بالفحشاء .

فالجملة الكريمة خلاصة لإبطال قولهم ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ﴾ بعد أن أبطله الله ـ تعالى ـ فيما سبق بشواهد متعددة ، لأنهم لما زعموا ذلك ، وكانوا مع هذا يفعلون أفعالا قبيحة تناقض الإيمان بأى كتاب سماوى ، أمر الله ـ تعالى ـ رسوله ـ ﷺ ـ أن يلومهم على هذه الأفعال التى تناقض الإيمان بما أنزل عليهم لكى يعلم الناس جميعاً أن دعواهم لا أساس لها من الصحة .

---

(١) الفخر الرازى جـ ١ ص ٤٣٢ .
(٢) تفسير الرازى جـ ١ ص ٤٣٢ .

وأضاف - سبحانه - الإيمان إليهم فقال ﴿ إِيمَٰنُكُمْ ﴾ ولم يقل الإيمان ، لأنه ليس إيماناً صحيحاً وإنما هو إيمان مزعوم ، فإضافة الإيمان إليهم من باب التهكم بهم والاستهزاء بعقولهم .

وقوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تشكيك في إيمانهم بالتوراة ، وقدح في صحة دعواهم فإن الإيمان الحق إنما يأمر بعبادة الله وحده ، وينهى عن عبادة سواه وعن ارتكاب السوء والفحشاء .

فالجملة الكريمة في معنى النفي لادعائهم الإيمان بالتوراة لأنها ما أمرت بشيء يبغضه الله تعالى .

قال الإمام ابن جرير : وقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي إن كنتم مصدقين كما زعمتم بما أنزل الله عليكم . وإنما كذبهم الله بذلك لأن التوراة تنهى عن ذلك كله وتأمر بخلافه ، فأخبرهم أن تصديقهم بالتوراة إن كان يأمرهم بذلك ، فبئس الأمر تأمر به . وإنما ذلك نفي من الله - تعالى - عن التوراة أن تكون تأمر بشيء مما يكرهه الله من أفعالهم وأن يكون التصديق بها يدل على شيء من مخالفة أمر الله ، وإعلام منه - جل ثناؤه - أن الذي يأمرهم بذلك أهواؤهم ، والذي يحملهم عليه البغي والعدوان »[1] .

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد أقامت الأدلة المتعددة ، والبراهين القاطعة على كذب اليهود في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم ، ووبختهم على مزاعمهم الباطلة ، وأقوالهم الفاسدة .

هذا ، ولفضيلة أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز كلام رصين عند حديثه عن هذه الآيات ، فقد قال - رحمه الله - :

يقول الله تعالى في ذكر حجاج اليهود :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

هذا قطعة من فصل من قصة بني إسرائيل ، والعناصر الأصلية التي تبرزها لنا هذه الكلمات القليلة تتلخص فيما يلي :

١ - مقالة ينصح بها الناصح لليهود : إذ يدعوهم إلى الإيمان بالقرآن .

٢ - إجابتهم لهذا الناصح بمقالة تنطوي على مقصدين .

٣ - الرد على هذا الجواب بركنيه من عدة وجوه .

وأقسم لو أن محامياً بليغاً وكلت إليه الخصومة بلسان القرآن في هذه القضية ، ثم هدي إلى استنباط هذه المعاني التي تختلج في نفس الداعي والمدعو لما وسعه في أدائها أضعاف أضعاف هذه الكلمات ، ولعله بعد ذلك لايفي بما حولها من إشارات واحتراسات وآداب وأخلاق .

قال الناصح لليهود : آمنوا بالقرآن كما آمنتم بالتوراة ، ألستم قد آمنتم بالتوراة التي جاء بها موسى لأنها أنزلها الله ؟ فالقرآن الذي جاء به محمد - ﷺ - أنزله الله ، فآمنوا به كما آمنتم بها .

---

(1) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٢٤ .

فانظر كيف جمع القرآن هذا المعنى الكثير فى هذا اللفظ الوجيز ﴿ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ . وسر ذلك أنه عدل بالكلام عن صريح اسم القرآن إلى كنايته . فجعل دعاءهم إلى الإيمان به دعاء إلى الشىء بحجته ، وبذلك أخرج الدليل والدعوى فى لفظ واحد .

ثم انظر كيف طوى ذكر المنزل عليه فلم يقل : آمنوا بما أنزل الله (على محمد) ، مع أن هذا جزء متمم لوصف القرآن المقصود بالدعوة .

أتدرى لم ذلك ؟ لأنه لو ذكر لكان فى نظر الحكمة البيانية زائداً ، وفى نظر الحكمة الإرشادية مفسداً .

أما الأول فلأن هذه الخصوصية لا مدخل لها فى الإلزام ، فأدير الأمر على القدر المشترك وعلى الحد الأوسط الذى هو عمود الدليل .

وأما الثانى فلأن إلقاء هذا الاسم على مسامع الأعداء من شأنه أن يخرج أضغانهم ويثير أحقادهم فيؤدى إلى عكس ما قصده الداعى من التأليف والإصلاح .

كان جواب اليهود أن قالوا : إن الذى دعانا للإيمان بالتوراة ليس هو كونها أنزلها الله فحسب ، بل إننا آمنا بها لأن الله أنزلها علينا . والقرآن لم ينزله علينا ، فلكم قرآنكم ولنا توراتنا ، ولكل أمة شرعة ومنهاج .

هذا هو المعنى الذى أوجزه القرآن فى قوله : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ وهذا هو المقصد الأول ، وقد زاد إيجاز هذه العبارة أن حذف منها فاعل الإنزال وهو لفظ الجلالة ، لأنه تقدم ذكره فى نظيرتها .

ومن البين أن اقتصارهم على الإيمان بما أنزل عليهم يومىء إلى كفرانهم بما أنزل على غيرهم ، وهذا هو المقصد الثانى ، ولكنهم تحاشوا التصريح به لما فيه من شناعة التسجيل على أنفسهم بالكفر ، فأراد القرآن أن يبرزه ، انظر كيف أبرزه ؟ إنه لم يجعل لازم مذهبهم مذهباً له ، ولم يدخل مضمون قولهم فى جملة مانقله من كلامهم ، بل أخرجه فى معرض الشرح والتعليق على مقالتهم فقال :

﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أليس ذلك هو غاية الأمانة فى النقل ؟ . ثم جاء دور الرد والمناقشة فيما أعلنوه وما أسروه .

فتراه لايبدأ بمحاورتهم فى دعوى إيمانهم بكتابهم ، بل يتركها مؤقتاً كأنها مسلمة ليس عليهم وجوب الإيمان بغيره من الكتب فيقول : كيف يكون الإيمان بكتابهم باعثاً على الكفر بما هو حق مثله ؟ لا بل هو الحق كله ، وهل يعارض الحق الحق حتى يكون الإيمان بأحدهما موجبا للكفر بالآخر ؟

ثم يترقى فيقول : وليس الأمر بين هذا الكتاب الجديد وبين الكتب السالفة عليه كالأمر بين كل حق وحق ، فقد يكون الشىء حقا وغيره حقاً فلا يتكاذبان ، ولكنهما فى شأنين مختلفين ، فلا يشهد بعضها لبعض ، أما هذا الكتاب فإنه جاء شاهداً ومصدقاً لما بين يديه من الكتب ، فكيف يكذب به من يؤمن بها .

فانظر إلى الإحكام فى صنعة البيان : إنما هى كلمة رفعت وأخرى وضعت فى مكانها عند الحاجة إليها ، فكانت هذه الكلمة حسما لكل عذر ، وسداً لكل باب من أبواب الهرب ، بل كانت هذه الكلمة وحدها بمثابة حركة تطويق للخصم تمت خطوة واحدة ، وفى غير ما جلبة ولا طنطنة .

ولما قضى وطر النفس من هذا الجانب المطوى الذى ساقه مساق الاعتراض والاستطراد ، استوى إلى الرد على المقصد الأصلى الذى تبجحوا بإعلانه والافتخار به ، وهو دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم ، فأوسعهم إكذاباً وتفنيداً . وبين أن داء الجحود فيهم داء قديم ، قد أشربوه فى قلوبهم ومضت عليه القرون حتى أصبح مرضا مزمناً ، وأن الذى أتوه اليوم من الكفر بما أنزل على محمد ما هو إلا حلقة متصلة بسلسلة كفرهم بما أنزل عليهم ، وساق على ذلك الشواهد التاريخية المفظعة التى لاسبيل لإنكارها فى جهلهم بالله ، وانتهاكهم لحرمة أنبيائه ، وتمردهم على أوامره ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

تأمل كيف أن هذا الانتقال كانت النفس قد استعدت له فى آخر المرحلة السابقة ، إذ يفهم السامع من تكذيبهم لما يصدق كتابهم أنهم صاروا مكذبين لكتابهم نفسه ، وهل الذى يكذب من يصدقك يبقى مصدقاً لك ؟؟

ثم انظر بعد أن سجل القرآن على بنى إسرائيل أفحش الفحش وهو وضعهم البقر الذى هو مثل فى البلادة موضع المعبود الأقدس ، وبعد أن وصف قسوة قلوبهم فى تأبيهم على أوامر الله مع حملهم عليها بالآيات الرهيبة . بعد كل ذلك تراه لايزيد على أن يقول فى أول الأمر : إن هذا « ظلم » ، وفى الثانية (بئسما) صنعتم ، أذلك كل ما تقابل به هذه الشناعات ؟ نعم إنها كلمتان وافيتان بمقدار الجريمة لو فهمتا على وجههما ، ولكن أين حدة الألم وحرارة الاندفاع فى الانتقام ؟ بل أين الإقذاع والتشنيع ؟ وأين الإسراف والفجور الذى تراه فى كلام الناس ، إذا أحفظوا بالنيل من مقامهم ؟

تالله ما أعف هذه الخصومة وما أعز هذا الجناب ، وأغناه عن شكر الشاكرين وكفر الكافرين ، وتالله إن هذا الكلام لايصدر عن نفس بشر »[1] .

(يتبع)

« تصحيح »

نوجه نظر السادة القراء بان المقال الذى نشر فى عدد شهر ذى الحجة سنة ١٤١٨ هـ بعنوان : « الحجاب وحدود الزينة للمراة المسلمة » باسم الدكتور أحمد عبد الله الطيار هو للأستاذ الدكتور مبارك حسن حسين .

لذا لزم التنويه ..

---

(١) عن كتاب (النبأ العظيم) من ص ١١٤ : ص ١٢٢ لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله دراز .

كلمة الأستاذ الدكتور



أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر

بمناسبة منح درجة الدكتوراه الفخرية

لرئيس وزراء ماليزيا

تقديرا للجهود العلمية والعملية، وللدور الريادى فى خدمة الدعوة والحفاظ على الهوية الإسلامية بالعلم والتطبيق خارج ماليزيا وداخلها قرر مجلس جامعة الأزهر.. «منح درجة الدكتوراه الفخرية لخدمة الإسلام» للسيد محضير بن محمد - رئيس وزراء ماليزيا.

حضرها السيد الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى - رئيس الوزراء - وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - والأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف وكوكبة من السادة السفراء والعلماء ورجال الفكر والأدب.

ويسعد «مجلة الأزهر» أن تقدم لقرائها كلمة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر بهذه المناسبة والتى قال فيها:

أيها السادة:

تحتفل جامعة الأزهر اليوم[1] بمناسبة منح واحد من كبار الشخصيات الإسلامية درجة الدكتوراه الفخرية. إنه معالى الدكتور / محضير محمد - رئيس وزراء ماليزيا وهو شخصية جمعت بين العلم والعمل وبين السياسة والدين والاقتصاد فقد عمل عضوا فى البرلمان ورئيسا للمجلس الأعلى للتعليم وعضو مجلس الشيوخ.

---

(١) الأحد الموافق ١٤ من شهر المحرم سنة ١٤١٩ هـ - ١٠ من مايو سنة ١٩٩٨ م.

وأشرف سيادته على العديد من البعثات خارج البلاد ، لتنشيط الاستثمار حيث عمل وزيرا للتجارة والصناعة ، ونائبا لرئيس الوزراء ، ورئيسا للوزراء ابتداء من السادس عشر من يوليو سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وألف ، ولسيادته عدة مؤلفات ومحاضرات عن الإسلام والدعوة إليه ، وله جهوده الموفقة فى دعم العلاقات مع مصر فى المجالات الاستثمارية والاقتصادية والعلمية ، وتم فى عهده توقيع عدة اتفاقيات علمية وثقافية بين الجامعات والمؤسسات التعليمية فى ماليزيا وبين جامعة الأزهر .

وفى الجامعات الماليزية عدد من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر ، كما أن جامعة الأزهر تحتضن عدة آلاف من الطلاب الماليزيين عرفوا بالخلق الفاضل وحب العلم والإقبال عليه .

وللعلاقات المصرية الماليزية خصائص متميزة عبر العصور ، وقد كان لماليزيا تعبير دقيق وعميق حين كانت جائزة « تون عبد الرازق » رئيس وزراء ماليزيا الأسبق تمنح لخدمة الإسلام لمؤسسة من خارج ماليزيا كانت جامعة الأزهر هى الجامعة الأولى التى رشحت من قبل ماليزيا وسعدت حين حضرت هذا اللقاء التاريخى العظيم الذى يعبر أبلغ تعبير عن تقدير للدور الريادى لجامعة الأزهر فى نهضتها ونشرها لأشرف تراث فى الوجود .

ولسيادته دور هام أداه فى خدمة الإسلام والدفاع عن كبرى قضاياه فى الداخل والخارج ومؤلفات عميقة وجهود اقتصادية واستثمارية وعلمية واتفاقيات مبرمة مع مصر بصفة عامة ومع جامعة الأزهر بصفة خاصة ، وكلها إسهامات لخدمة العلم والاقتصاد ودعم مسيرة الإصلاح العام ولتأليفه عشرة كتب فى الاقتصاد والحكم وإقامة العدل الاجتماعى بين الفئات العرقية والدينية ، والأجناس المختلفة فى ماليزيا استلهاما لروح الإسلام .

كما نهض سيادته بالدفاع عن الإسلام أمام غير المسلمين فى ماليزيا وفى خارجها وقام بإبراز أسس الإسلام وسماحته ، وعدله ووسطيته وإمكان إقامة الدولة الحديثة القائمة على قواعد العلم والإيمان والعمل والعدل والمساواة وإن العلم الحديث لا يتعارض مع الدين .

لهذا كله رأى مجلس جامعة الأزهر منح سيادته درجة الدكتوراه الفخرية لخدمة الإسلام ، تقديرا لجهوده العلمية والعملية ولدوره الريادى فى خدمة الدعوة والحفاظ على الهوية الإسلامية ، بالعلم والتطبيق وبالمحاضرات المتعددة التى ألقاها داخل ماليزيا وخارجها وفى جامعة أكسفورد وغيرها مدافعا عن الإسلام ، ردا للشبه التى أثيرت حوله والتى تحاول الإساءة إليه فكان عنوان إحدى محاضراته فى جامعة أكسفورد (الإسلام الدين الذى أسىء فهمه) .

وواضح أن بعض من فى الغرب فهم الإسلام خطأ وزعم أنه دين متشدد بسبب ممارسات بعض الذين ينتمون إليه ولا يمثلون حقيقته ، كما أن البعض نظر إليه على أنه العدو لهم بعد سقوط الشيوعية ، وكلها دعاوى زائفة فهو دين الرحمة والحق والعدل ، بل ولا خوف على أتباع الأديان فى كل الأرض حين تكون الدولة والحكم للإسلام .

لقد تركزت دعوته العالمية فى الرحمة بالعالمين حيث قال الله تعالى :



﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء : ١٠٧)

إن جامعة الأزهر الشريف إذ تقدر فى ضيف مصر الكريم هذه المعانى والإنجازات والجهود والإسهامات ، إنما تعرب بذلك عن حفاوتها البالغة ، وتقديرها الكبير للذين يجاهدون من أجل خدمة الإسلام ، ونشر تعاليمه السمحة ، ورد الشبهات التى لا أساس لها من الصحة ، كما تعرب عن تعميق رسالتها العالمية بمد جسور التواصل العلمى ونشر رسالة الإسلام وثقافته الأصيلة العالمية المستمدة من عالمية الإسلام .

فالأزهر الشريف جامعا وجامعة ـ بمسيرته الحضارية الكبرى زهاء أكثر من ألف عام كان ولا يزال الحارس الأمين للإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا وحضارة إنسانية كبرى ، واجه كل غزوات الاستعمار بجهاد وجلاد وحافظ على العقيدة واللغة فلم تستطع قوى الاستعمار بكل ما أوتيت أن تؤثر فى أرض الكنانة ولا فى دينها ولا فى لغتها كما حدث فى بعض الدول الأخرى بل استطاع الأزهر أن يصون الهوية الإسلامية والعربية لهذا الأمة ، كما صان تراثها من قبل منذ الحملة التترية الشرسة ولولاه لضاع أشرف تراث فى الوجود لهذه الأمة .

إن الأزهر الشريف ـ جامعا وجامعة ـ يمثل إرادة إلهية ، وكما أن الكعبة فى أم القرى قبلة الصلاة فالأزهر فى قلب الكنانة قبلة العلوم الإسلامية ومرجعيتها ناشراً دعوة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، مبلغا رسالة السماء مصونة من تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

لقد وصل الأزهر القرون الأولى التى هى خير القرون ، كما أخبر رسول الله ـ ﷺ ـ خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم « فأشرق الأزهر إثر عهد أتباع التابعين ليصل مسيرة الوحى الإلهى حيث تلقفتها القلوب الأمينة منذ عهد النبوة إلى أن نهض الأزهر يحمل الأمانة الإلهية فبلغها لكل من فى الأرض ، وقامت حوله أروقة كبرى لدول العالم يقيم أبناء المسلمين فيها ليتعلموا ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، حتى أصبحت الآن مدينة كبرى ، هى « مدينة البعوث الإسلامية » التى تضم جميع أبناء العالم الإسلامى . . إنه يمثل كبرى الحضارة العالمية الإسلامية على أرض مصر وكما قال أحد كبار المؤرخين : « من لم يذهب إلى مصر لم ير عز الإسلام ولا مجده ، لأن بها الأزهر » .

والأزهر الشريف اليوم ـ جامعا وجامعة ـ يعيش أسعد وأرغد مراحل عمره المديد بما أولاه إياه قائد المسيرة ، وداعية السلام السيد الرئيس القائد / محمد حسنى مبارك رعاه الله وأمده بعون من لدنه .

لقد أصبحت المعاهد الأزهرية فى عهده أكثر من خمسة آلاف معهد بها أكثر من مليون وربع مليون طالب ، وأصبحت الكليات فى جامعة الأزهر أكثر من خمس وخمسين كلية بها أكثر من مائة وخمسين ألف طالب إلى جانب مراكز البحث العلمى والاتفاقيات العلمية ، والمؤتمرات الدولية والندوات العلمية ، إلى جانب جهود علماء الأزهر ـ جامعا وجامعة ـ فى سائر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة إلى جانب الإنجازات التى لم تتوقف فى المعاهد والكليات والمدن الجامعية وترميم وإصلاح الأزهر وبناء القلعة الإسلامية الجديدة لمشيخة الأزهر الشريف والتى تشرق على

أرض الكنانة من حديقة الخالدين إنها سياسة القائد الحكيم التى يقوم بتنفيذ برنامجها الإصلاحى الرجل المخلص والغيور الذى خفف بحنكته ودقته المعاناة السيد الأستاذ الدكتور / كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهر .

أيها السادة : إن رسالة الأزهر تشمل اليوم نهوضا وتقدما لا يبارى فيه إنسان ومعه عقله ، فلقد أصبح الأزهر الآن فى عهد السيد الرئيس مبارك درة بين الجامعات ومنارة كبرى من أعظم المنارات ، وحسبنا تدفق طلبات معظم الجامعات فى الوطن العربى ، والمجتمع الدولى لعقد اتفاقيات علمية للتعاون مع جامعة الأزهر ولمعادلة الشهادات التى تمنح لديهم بشهادات جامعة الأزهر .

ولقد نفذ الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء مشروعات التجديد وبصدد استكمال الباقى من الكليات الجديدة .. كما أن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر « عاكف على تقدم الأزهر ونهوضه علميا وحضاريا بإخلاص أكيد وعزم قوى ، والآن يعيش الأزهر جامعا وجامعة العصر الذهبى بفضل الجهود الموفقة التى تذكر فتشكر .

وتواصلا لرسالة جامعة الأزهر العالمية فى مد جسور التعاون العلمى ، وتقديراً لجهود معالى الدكتور / محضير محمد فى خدمة العلم والدفاع عن دعوة الإسلام كان هذا الاحتفال التى يتوج بمنح سيادته درجة الدكتوراه الفخرية ، داعين الله تعالى لسيادته بالتوفيق الدائم لخدمة الإسلام والمسلمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تدعو مجلة « الأزهر » السادة العلماء إلى تزويدها بأبحاثهم القيمة ، وبالمقالات الإسلامية الجادة ، التى تتناول قضايا العصر ، على أن يرفق بالمقالات بيان يوضح الإنتاج الأدبى لهم ، وكذلك رقم الحساب الخاص بهم (إن وجد) ورقم الهاتف والعنوان .. مع مراعاة :

- **تخريج الآيات القرآنية .**
- **تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من أحد كتب الصحاح الستة .**
- **ذكر المراجع التى اعتمد عليها الكاتب .**
- **أن يقدم مكتوبا على الآلة الكاتبة أو بخط واضح .**



كلمة السيد رئيس وزراء ماليزيا

الدكتور محضير بن محمد

ألقاها بجامعة الأزهر بالقاهرة

الأحد ١٤ من المحرم ١٤١٩هـ الموافق ١٠ مايو ١٩٩٨ م

التسامح والوسطية في الإسلام

إنى لجد واع بهذا الشرف العظيم الذى خلعت علىّ جامعة الأزهر عن طريق هذه الدعوة الكريمة لأتحدث إليكم فى هذا اليوم وفى تلك القلعة المهيبة والعريقة للعلوم الإسلامية . وإننى لمدرك حقا كذلك أنه بالرغم من محاولاتى الذاتية فى سبيل الإلمام بتعاليم الإسلام ، القولية والعملية ، فإننى أجد نفسى بحضرة علماء مبرزين فى هذه العلوم .

لقد قبلت هذه الدعوة لاعتزازى بدينى وتمسكى به ، وإننى لأعرب عن أسفى العميق لإشاعة تلك المفاهيم الخاطئة التى ألحقت بالإسلام سواء من جانب غير المسلمين أو بعض المسلمين .

إن كل هذه المفاهيم والتصورات والانتقادات الخاطئة والتى أدت بالبعض إلى الانتقاص من الإسلام إنما ترجع إلى التفسيرات غير الصحيحة التى حملها بعض المسلمين وغير المسلمين - من ذوى الأهواء والمصالح الشخصية - على الإسلام ، وذلك لتبرير الأخطاء التى ارتكبوها أو التى ينوون ارتكابها . إن ديننا كامل ولكننا نحن لسنا كاملين . إن تقاعسنا وعدم تمسكنا بالتعاليم الصحيحة للإسلام هو الذى قادنا إلى الظروف السيئة التى يعيشها المسلمون فى جميع أنحاء العالم .

● إننى أود أن أشكر جامعة الأزهر على دعوتها لى لأتحدث فى موضوع « التسامح والوسطية فى الإسلام » وهذا الموضوع وثيق الصلة جدا بمجريات الأمور فى وقتنا الراهن آخذين بعين الاعتبار تلك الحقيقة ، وهى أن الإسلام كدين ، والمسلمين كأمة يصورون على أنهم متعصبون ومتطرفون ، ليس فقط من جانب غير المسلمين بل أيضا من جانب بعض المسلمين من ذوى النزعات التحررية .

● إن الإسلام كما دعا إليه رسول الله - ﷺ -

ونشره ، هو دين التسامح والوسطية . وهذا مؤكد بالأدلة الكثيرة من سنة النبى ، ومن خلال موقفه من الذين لم يعتنقوا الإسلام وكذلك من خلال موقفه ومعاملته لأهل مكة الذين كانوا أعداءه بالأمس ، والذين أعلنوا ـ آنذاك ـ الدخول فى طاعته واعتناق الدين الذى جاء به ، لقد أمر النبى ـ ﷺ ـ بمنع تعذيب الأسرى أو المساجين .

● لم تتجلَّ سماحة النبى ـ ﷺ ـ ورفقه بالناس فى أى وقت من الأوقات أكثر من الوقت الذى أبرم فيه معاهدة الحديبية . نحن نعلم كيف كان عرب الجاهلية فى مكة يضطهدونه هو وأتباعه ـ ﷺ ـ كيف أنهم منعوا المسلمين عن المسجد الحرام ومنعوهم حتى أداء شعيرة الحج . ونعلم كذلك كيف كان الكفار متعنتين ومتغطرسين مع رسول الله ـ ﷺ ـ عند توقيع هذه المعاهدة ، إذ قد رفضوا حتى إدخال عبارة التوحيد للذات الإلهية والإقرار بنبوة محمد ـ ﷺ ـ فى نص المعاهدة مما جعل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعلنون سخطهم على سلوك كفار مكة الجاهليين ، إلى درجة أنهم كانوا يرغبون فى وقف المفاوضات مع قريش ، وفى إلغاء بنود المعاهدة ولكن النبى ـ ﷺ ـ قد تسامى على هذا كله وسيطر على الموقف بإعلانه قبول نص معاهدة الحديبية واعتماده بالشكل الذى انتهت إليه المفاوضات واتفق عليه الطرفان .

لم يكن الرسول ـ ﷺ ـ مجرد دبلوماسى وحكيم عندما كان يتصرف بهذه الروح ، ولكنه كان يحقق أعظم مستوى من السماحة أو التسامح والعدل حتى عندما كان يتعامل مع خصومه ومناوئيه الألداء الذين كانوا ينتقصون من قدره ويحولون بينه وبين الناس . ونحن نعلم كذلك ما حدث فى السنة التالية لمعاهدة الحديبية ، فلقد دخل النبى ـ ﷺ ـ وأصحابه مكة بدون أى مقاومة تذكر من قبل أهل مكة ودخلوا كلهم أخيرا فى الإسلام ، وكان الرسول نبيلا رحب الصدر معهم ولم تخطىء سماحته هند بنت عتبة التى أكلت كبد سيدنا حمزة فى غزوة أحد وبسلوكه هذا العظيم يوم دخول مكة دخل عرب الجزيرة جميعا فى الإسلام ، وكونوا من ثم أمة واحدة .

وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح انتشار الإسلام كدين وكروح محفزة على بناء امبراطورية أمرا لا يمكن مقاومته كما كان من قبل . وبمثل هذه المواقف اتضح المعنى العميق وظهرت المعجزة الكبرى التى صنعها التسامح والإنصاف للإسلام وللأمة جميعا .

● فى حالة ما إذا كنا لازلنا فى شك من أن الإسلام قد فرض علينا أن نكون منصفين وعدولا ومتسامحين أو كنا نشك فى أن الرسول ـ ﷺ ـ قد طبق تعاليم القرآن عمليا عندما وقف هذه المواقف الكريمة عندما كان سمحا ومنصفا فى معاملة أتباعه وأعدائه دعونا ننظر فى كتاب الله لنرى ماذا يقول سبحانه وتعالى عن العدل أو الاعتدال والتسامح فى الإسلام . جاء فى سورة الممتحنة فى الآية الثامنة منها . ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة ـ ٨) .

وسورة آل عمران الآية ١٥٩ ، منها يقول الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

● لقد شجعت معاهدة المدينة التعاون والتضامن بين المسلمين والنصارى واليهود وغيرهم ولقد ضمنت الوثيقة المكتوبة الحرية بما فى ذلك حرية العبادة والمساواة والعدالة للجميع . وهكذا فقد

أخبر الله ـ تعالى ـ الكافرين قائلا :

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون ٦ .

● ولقد كانت هذه التعاليم الإسلامية هى نفسها التى وحدت بين المهاجرين والأنصار كأمة واحدة من دون الناس . وقد أشار الرسول ـ ﷺ ـ أيضا فى هذه الوثيقة إلى العشائر اليهودية التى تحالفت معه كأمة فى موازاة الأمة الإسلامية وبالرغم من هذا فقد ظلت كل أمة تمارس معتقداتها وشعائرها الخاصة .

● وأن من أهم وأعمق التعاليم التى جاء بها رسول الله ـ ﷺ ـ للقبائل العربية التسامح والإخاء والقضاء على الصراعات والعداوات التى لا جدوى منها والتى ظلت تسيطر عليهم حتى مجىء الإسلام . ونحن نعرف أن هذه القبائل كان يحارب بعضها البعض باستمرار قبل الإسلام وذلك لأتفه الأسباب أو لنزاع ربما وقع بينهم فى الماضى البعيد . وقد تنسى هذه القبائل أسباب تقاتل أسلافهم لطول العهد بها ولكنهم مع ذلك يظلون أعداء ويتوارث أبناؤهم هذه العداوة جيلا بعد جيل ، بل ويهاجم بعضهم بعضا إذا تقابلوا فى أى مكان . لقد سيطر على العرب من كل جانب ولاؤهم للقبيلة وعداوتهم بعضهم لبعض واستنفد كل قواهم .

● إن التبنى الأعمى للعادات والتقاليد القبلية وللفكر القبلى عبر الأجيال ماكان له أن يثمر غير الحروب المدمرة والفرقة والضعف . إن الإسلام يدين العصبية القبلية التى تؤدى دائما إلى التطرف وتكون مصحوبة به كما تؤدى إلى قلة أو انعدام التسامح والاعتدال فى معاملة الآخرين . إن من أعظم ما حققه النبى ـ ﷺ ـ حقا هو تجميع هذه القبائل العربية فى وحدة واحدة وتأليف قلوبهم على المفهوم الجديد والجامع للولاء أو الانتماء مما ساعد على انتشار الإسلام بقوة فى جميع أنحاء العالم يقول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

(آل عمران ١٠٣)

لم يكن الولاء او الانتماء للإسلام تعصبا ولا عصبية . وذلك لأنه مبنى على العقل ، وعلى العلم بأن الوحدة التى حققها الإسلام بين أتباعه قد أمدتهم بالقوة التى مكنتهم من تحقيق النجاح المنشود . إنّ مثل هذا الولاء أو الانتماء للدين هو الذى استوعب جميع صنوف الاختلافات أو الاجتهادات حتى تلك الخاصة بممارسة شعائر الدين الإسلامى ، لم يكن الإسلام قط جامدا .

● فى داخل مجتمعنا الإسلامى ينبغى أن نعترف بأنه يوجد بيننا فى الأمة من انحرفوا عن الطريق السوى وانتهجوا طريق التعصب الدينى والتطرف ، هذا بالرغم من مصادمته لتعاليم الإسلام وكالمعتاد فإن أعداءنا وخصومنا قد طبعوا الإسلام والمسلمين بأعمال العنف والتطرف .

إن غير المسلمين يعتقدون بصفة عامة أن المسلمين والإرهابيين شىء واحد . ويفهمون الإسلام على أنه يعلم أتباعه التعصب الدينى واضطهاد الآخرين بغض النظر عن محاولاتنا المستمرة لتصحيح مفاهيمهم وتحسين صورة الإسلام والمسلمين فى أنظارهم. وهذا الفهم بالطبع ناشىء عن التفسير الخاطىء للنصوص الإسلامية . .

● ونتساءل هل نحن فى حاجة إلى الاهتمام بنظرة الغير . وبالذات خصومنا إلينا وإلى ديننا . إننى أعتقد أنه ينبغى علينا أن نفهم وأن نقلق لما يروجونه عنا . فإنه عندما تلقى النبى ـ ﷺ ـ الوحى من الله كان أول من اتبعه هؤلاء الذين رأوا فى الإسلام أسباب الخلاص . أما مجتمع الجاهلية فقد كان متعصبا ووحشيا . فقد كانوا يقتلون

الأطفال ويتزوجون النساء المجهولات النسب . بلا حد أو قيد ، ويعاملون العبيد معاملة قاسية ولا يتورعون أن يعذبوا الأسرى ، والمساجين ، وكان الأغنياء فيهم لا يرعون للفقراء حقا بل على العكس كانوا يضطهدونهم ، وكذلك كان القوى فيهم يحيف على الضعيف . وظل الأمر على هذا الحال حتى جاء الإسلام بالتعاليم التى أرست قواعد الخلاص ورفع المعاناة عن المضطهدين وسن الإسلام التشريعات العادلة فحرم وأد البنات وقتل الأطفال ، وقيد عدد الزوجات واشترط وجوب تحقيق العدل بينهن إن أراد أن يتزوج ، وغير ذلك من مجموعة التعاليم التى جاء بها الإسلام ، والتى ساعدت على خلق بيئة أفضل ، وحس أرقى فى الانتماء إلى هذا الدين وبهذا دخل المضطهدون فى الإسلام . وكان بلال الحبشى من أبرزهم .

● وسواء كنا نريد أن ننشر الإسلام أم لا فإنه ينبغى علينا أن نعرف بالإسلام ، سواء للمسلمين أو لغير المسلمين وأن يكون تعريفنا به بالطريقة الصحيحة بحيث نزيل عنه ماعلق به من مفاهيم خاطئة لصقت به وعرفت عنه فى جميع أنحاء العالم . وإن أحسن الطرق فى عرض الإسلام إنما يكون فى السلوك العملى للمسلمين وفى التمسك الواضح بالتعاليم الخاصة بالتسامح والوسطية .

● إن العدالة الإسلامية تقوم على التسوية بين حجم الجريمة والعقوبة المرصودة لها وهى ممثلة بوضوح فى هذه الحكمة الإلهية ، العين بالعين ، والشىء الذى لا يعرفه الكثير أن الإسلام يؤكد دائما وبشدة على مبادىء التسامح والعفو والتراحم عند تطبيق مبدأ العدل .

● إن الإسلام يوصينا دائما أن نكون حذرين فى مواقفنا تجاه الآخرين وأن نقدر مشاعرهم وأن نكون رحماء فيما بيننا . وأعطى الإسلام للمظلوم الحق فى المطالبة بحقوقه العين بالعين والنفس بالنفس ، وفى نفس الوقت يحض الإسلام على العفو أو قبول الدية . بل وفضل الإسلام الإحسان فى المعاملة والرحمة فى المذنب . إن مبدأ العين بالعين ليس وحده هو الواجب بل الرحمة والعفو أيضا ، وإن القصاص لم يشرع فى الإسلام إلا لمنع الجريمة أو الحد منها .

يقول تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة ٤٥) .

● إنه من الواجب إذن أن ننمى وندعم قوى التسامح والاعتدال التى أوجبتها علينا دياناتنا ، نحن نعرف أن القرآن الكريم يقرر أن النجاح والفشل والخطأ والصواب راجع إلينا ونابع منا . أما النجاح فيأتى من الله تعالى .

● ولكنه مع هذا يوجد من المسلمين من يؤمنون أنهم على الصراط المستقيم ، وذلك لأنهم يطبقون تعاليم الإسلام الصحيحة وهذا القول ناتج ربما عن تمسكهم بالمظاهر الدينية المصطنعة التى تشعرهم بأن ما هم عليه يتسق مع الصورة التى رسموها للإسلام فى أذهانهم . إننى بهذا لا أشك ولا أشكك فى متانة تدينهم أو قوة عقيدتهم ولكننى فقط أود أن أنبه على أن الإسلام ليس عبارة عن شعائر فحسب بل إنه نظام حياة كامل - أيضا - وهو بهذا لا يعنى مجرد حصول التقوى فى القلب فحسب ، بل إنه يعنى - أيضا - التمسك بقيم التسامح والاعتدال فى كل أعمالنا .

● كيف يؤدى أحدنا صلاته ثم يذهب وراء أخيه المسلم ليقتله فى ثأر ؟ إن بعض المسلمين قد يصلى أقل منا ، لكن هل يمكن أن نقول أنهم سوف

يحصلون ثوابا أقل من الثواب الذى نحصله نحن ؟

إن علم الثواب والعقاب وعلم السرائر لا يعلمه إلا الله وحده بالتأكيد . واتهامنا لبعض المسلمين بقلة الدين أو التقصير فيه ، إنما يعكس عدم تسامحنا وتشددنا فى الحكم على الآخرين وهذا بالطبع ضد تعاليم الإسلام . إن الإسلام دين عمل يتعامل مع الإنسان ومشكلاته الحقيقية . وقد أمر الإسلام المسلمين بالقيم الأخلاقية اللازمة لرقيهم فى الحياة الدنيا ونجاتهم فى الآخرة . إن الإسلام حرم على المسلم أن يقتل أخاه المسلم أو يروعه أو يسخر منه يقول الله تعالى فى سورة الحجرات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ (الآية ١١)

● إن الإسلام دين عمل جاء لمصلحة الناس وليس إكراها لهم . يقول الله تعالى فى سورة البقرة آية (٢٥٦) ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ ويقول تعالى فى سورة المائدة (آية ٦) : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾

● إن منا نحن المسلمين من يعيش فى مجتمع مسلم كله . ومن المسلمين من يعيشون كأقلية ولا يستطيعون أن يعملوا كل ما يعمله المسلم فى المجتمع الإسلامى ؛ لذا ينبغى علينا أن أى عمل نعمله فى بلادنا ربما أضر بمصالح هذه الأقليات الإسلامية وبخاصة فى هذا العالم الذى انكمشت فيه المسافات . إنه ينبغى علينا أن نعامل الأقليات فى بلادنا بما نحب أن نعامل به الأقليات الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية . ومن الملاحظ أننا نعامل الأقليات فى بلادنا أحسن معاملة ولكن المسلمين فى الغرب لا يزالون يعانون من بعض الاضطهاد .

يمثل المسلمون فى ماليزيا الأغلبية ، ويوجد فى بلادنا حوالى ٤٠ فى المائة من غير المسلمين نتعامل معهم على أساس التسامح الإسلامى ، وكان قد أسس أول رئيس وزراء لماليزيا تنكو عبد الرحمن ، حزبا سياسيا يضم جميع الجنسيات الموجودة فى ماليزيا . ولكن المتطرفين قد خرجوا على الصف وشكلوا حزبا مستقلا ، إلا أن الأغلبية قد دخلت إلى جانب تنكو عبد الرحمن ، مما ساعده على الفوز فى الانتخابات التى عقدت فى ظل الحكم الإنجليزى فى عام ١٩٦٩ وحدث شغب فى البلاد .

وقد اعتبرنا هذا الشغب مؤشرا إلى أن السياسة وحدها لا يمكن أن تجمع بين القوى الوطنية المختلفة . وفى مدى عام استطاع قادة العمل الإسلامى أن ينظموا جهودهم ويجندوا المسلمين للعمل على إصلاح اقتصاد البلاد .

ومنذ هذا التاريخ لم تحدث أى مشكلات سياسية من هذا النوع فى ماليزيا مع أن المتطرفين من المسلمين وغير المسلمين كانوا يحاولون خلق جو من التعصب والعنف ولكن الحكومة كانت تعالج مثل هذه المواقف بالحكمة وعن طريق القضاء أحيانا .

إن ماليزيا اليوم تعيش فى سلام وأمان وهى تستمد رصيدها من التسامح والاعتدال من كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ إن الماليزيين شعب طيب بطبعه وهو يتعامل بالحكمة مع الآخرين على أساس من التسامح والإخاء ، وهذا نابع من تمسكهم بتعاليم الإسلام .

وقبل أن أختم كلمتى أود أن أقول إن التسامح والاعتدال كليهما يعتبران جذراً رئيسيا من التعاليم الإسلامية .

الإيمان أساس البنيان

وقاعدة العمران

لفضيلة الشيخ

محمد حافظ سليمان

لقد كانت رسالات الله التى أرسل بها النبيون والمرسلون من ربهم تهدف أول ما تهدف إلى إصلاح النفوس وتزكيتها وتهذيبها وبذلك تستقيم الحياة وتطمئن القلوب ، لأن سلوك الإنسان صورة لما تنطوى عليه نيته وتحتويه سريرته . لأن الليل الذى يسوق الناس إلى النوم والراحة والهدوء ـ هو الليل الذى يذهب فى ظلامه ذئاب البشر لاقتناص فريستهم ، لأن مواقف الناس تختلف باختلاف ما فى قلوبهم من خير وشر وما فى وجدانهم وانفعالهم ونية أعمالهم ، فمن الناس من تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون الليل لله قانتين .

وذلك لأن الليل الذى يغرى القانتين بالتبتل والعبادة هو الذى يغرى المتسللين تحت ستاره وظلامه ليقضوا مضاجع الآمنين ، ويعيثوا فى الأرض فسادا وينسلخوا من إنسانيتهم إلى وحشية ضارية فاتكة ، وهذه النفوس المعتمة مقفرة من الإيمان بالله .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(الآية ٥٣ من سورة الأنفال)

لأن حياة الناس صور واضحة لما فى قلوبهم (إنما الأعمال بالنيات) وما نراه اليوم من أضرار

◆

وأخطار وبما يعده الإنسان لأخيه الإنسان من وسائل الإجرام والانتقام ، ومن طوفان الأحقاد التى تغلى فى صدور محمومة مليئة بالغل بسبب المطامع المتراكمة فى قلوب آثمة جاحدة لا تعرف للحق طريقاً ولا للعدل سبيلا : ولا علاج إلا أن تستنير النفوس بنور الإيمان لترتبط النفوس بربها الذى خلقها فسواها وألهمها فجورها وتقواها وقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

(الآيتان ٩ - ١٠ من سورة الشمس)

ولقد جاء الإسلام فصنع رجالا وكون أبطالاً شادوا ألوية المجد وبنوا أسس البر والهداية والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، لأن الإيمان إذا خالط النفوس وامتزج بالأرواح أيقظ الضمائر وطهر السرائر وأنار البصائر ، لأن الإيمان بالله فى تغييره للنفوس يتم بسرعة مدهشة ويحولها من حال إلى حال من حال الكفر إلى حال الإيمان ، من حال الخضوع للبغى والطغيان إلى حال التوحيد والارتباط بالرحمن : كما كان من سحرة فرعون الذين جمعهم لميقات يوم معلوم وحشدهم لمقاومة معجزة سيدنا موسى عليه السلام

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

(الشعراء ٤١ : ٤٢) .

ولنقرأ هذه القصة فى سورة الشعراء من القرآن الكريم : لنعلم كيف حول الإيمان شخصياتهم تحولا سريعا عجيبا لكنه الإيمان السليم الذى استقر فى القلوب فأزال ركام الضلالة وظلام الجهالة فأذعنت للحق وخضعت للمعجزة التى كانت تأييدا من الله لموسى وتصديقا لرسالته ، والله يقول : ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ۝ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾

(الشعراء : الآيات ٣٨ : ٥٢)

انتقال مفاجىء وسريع

لقد كان سحرة فرعون قبل هداية الرحمن يقولون : أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ، فلما خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم عرفوا الحق فانجذبوا إليه والتمسوا به وتلاشى سلطان حب المال والأجر ، وذهبت عزة فرعون التى كانوا يستمدون العون منها وهو هذا المخلوق الضعيف أمام الخالق الكبير المتعال وصاروا يتلمسون المغفرة من الله وحده حيث قالوا بقلوب خاشعة ضارعة :

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(٥١ : الشعراء)

بعد قولهم بالأمس قبل الإيمان :

﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤٤ : الشعراء)

وهذا هو منطق الحق القوى المتين الذى يزهق الباطل :



﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء ١٨) .

إنه الإيمان الذى لايرهب وعيدا ولا يقبل تهديدا لأنهم أقوياء بقوة الإيمان أعزاء أمام القوة الغاشمة الباغية فإذا بها أمام الإيمان هزيلة ضعيفة إذ قالوا لفرعون :

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (طه الآية ٧٢) .

لقد اتخذوا الله ملجأ لهم فلا ملجأ من الله إلا إليه ، فعاشوا بالإيمان أحرارا وبالحق أطهارا وباليقين أبرارا ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة : ٢٥٧)

ولقد قرأنا عن إبراهيم بن أدهم أنه قال و نحن فى لذة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف » . لأنه كان موصولا بربه عابدا زاهدا من المقربين .

إن خير ما يورثه الآباء لأبنائهم هو الإيمان السليم والخلق القويم والتقوى خير زاد . . والتقوى تنفع الذرية وتصلح شأن الراعى والرعية .

امرأة تدافع عن إيمانها بالقرآن

إذا آمن المرء بالله واتخذه وكيلا وملاذا يلوذ به عند الملمات والشدائد تولاه الله ورعاه وحفظه ووقاه . ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾

(الطلاق ٢ / ٣) .

والمؤمن يتلمس الأسباب المشروعة ولكنه لايذل لها ذل العابد للمعبود فلا تذل الرقاب إلا لله ولا تركع لأحد سواه ، يستمد منه العون والرشد والتوفيق والهداية ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (هود : ٨٨) ولا يقال لغير الله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة - الآية ٥)

ويحكى لنا المؤرخون فى سيرة الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه أراد أن يمنع الناس من المغالاة فى المهور إذ أمرهم ألا يزيدوا على أربعمائة درهم ومن زاد على ذلك شيئا وضع الزيادة فى بيت المال ، فعارضته فى ذلك امرأة عجوز وقالت أيعطينا الله ويمنعنا عمر ؟

فقال عمر : وأين أعطاكن الله ؟ فقالت : قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء : آية ٢٠)

فأذعن عمر - رضى الله عنه - للصواب وقال قولته المشهورة : أخطأ عمر وأصابت امرأة ثم رجع إلى المنبر فقال : « إن كنت نهيتكم عن أن تزيدوا فى صَدُقات النساء على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب » .

لأن الإيمان ينير الظلمات ويمحو الجهالات : ولأن العلم نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

وهذا أبو بكر - رضى الله عنه - حينما بايعه المسلمون على الخلافة فيرى من العرب من ارتد عن دين الله ومن منع الزكاة فلما هم بقتالهم أشفق الفاروق على المسلمين أن يتخطفهم العرب من حولهم . وأن تجتاحهم الفتن فتردد فى أمر القتال ، فقال له الصديق - رضى الله عنه - ثكلتك أمك يابن الخطاب أجبار فى الجاهلية وخوار فى الإسلام ، والله لو منعونى عقالا أو عناقا كانوا

البقية ص ٢٢٣



قبس من أنوار النبوة

الإسلام يصون الحرمات

للشيخ
علي حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « من اطلع في بيت قوم من غير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه » .

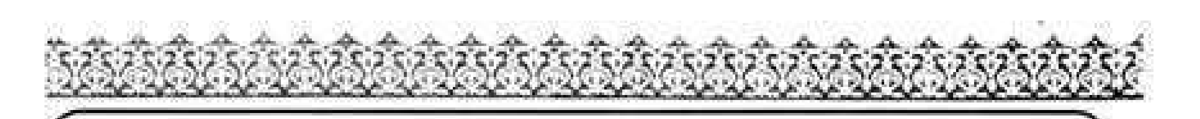
« رواه البخاري ومسلم »

إن ديننا الإسلام يحرص كل الحرص على سعادة المسلمين في دنياهم وأخراهم ، ويحوطهم بالعناية والرعاية من كل جوانبهم ، ولهذا أسدى إلينا شتى النصائح ، وأرشدنا إلى أكمل الآداب وأفضل الأخلاق التي بها تنتظم شئوننا ويصفو عيشنا ، وتتحسن أحوالنا إذا نحن تأدبنا بآدابها ، وتخلقنا بأخلاقها ، وتحلينا بالفضائل والبعد عن الرذائل .

ولهذا كانت تعاليم ديننا سياجا منيعا يقي الإنسان من مزالق الحياة صيانة لعرضه ، ومحافظة على شرفه ، وصونا لكرامته .

وعندما ينهى ديننا عن تتبع عورات الناس ، أو إيذائهم باللسان أو بإشاعة الفاحشة عنهم .
وعندما يحرم ذلك عليك فهو كذلك يحرمه على غيرك حتى لا تؤذي غيرك ولا يؤذيك الغير .

ولقد توعد الإسلام أولئك الذين يؤذون الناس بألسنتهم ، أو يتتبعون عوراتهم ، أو يشيعون قالة السوء عنهم - بصنوف العذاب ورد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صعد المنبر ونادى بصوت رفيع : « يامعشر من أسلم بلسانه ولم يُفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه



ولو فى جوف رحله » أخرجه الترمذى .

والله - تبارك وتعالى - يريد للمسلمين أن يكون خلقهم مستقيماً وسلوكهم قويما ، امتثالا لأمر ربهم ، وحفظا لكرامتهم .

وبمراعاة آداب الإسلام والتمسك بهداه فى الاستئذان تحفظ للبيوت حرياتها ، وتصان حرماتها ؛ لأن للناس فى بيوتهم شئونا بهم لا يشاركهم فيها أحد بغير حق :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(سورة النور ٢٧)

حيث إن شريعة القرآن جاءت بتعاليم سامية منها سيادة الناس على مساكنهم لكى تحفظ أمنهم ، وتحمى استقلالهم واستقرارهم . فلا تقتحم البيوت .

ورد أن سبب نزول هذه الآية وما بعدها . على رسول الله أن امرأة شكت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنها تكون فى بيتها على حالة لا تحب أن يراها عليها أحد ، لا ولد ولا والد . فيأتيها آتٍ فيدخل عليها فكيف تصنع فنزلت :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ (سورة النور ٢٧)

ورد ان رجلا جاء إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وقال : أأستأذن على أمى قال : نعم .. قال : ليس لها خادم غيرى أأستاذن عليها كلما دخلت ؟ قال النبى أتحب أن تراها عريانة ، قال .. لا ، قال : فاستأذن عليها .

أخرج الطبرانى عن أبى أمامة - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم ، قال : « من كان يشهد أنى رسول الله فلا يدخل على أهل بيت حتى يستأذن ويسلم ، فإذا نظر فى قعر البيت فقد دخل » .

ولقد أباحت الشريعة الإسلامية الغراء فقء عين من ينتهك حرمات البيوت بالتطلع إلى من فيها بغير إذن وجعلها هدرا فلا دية فيها ولا قصاص بل رفعت الحرج والإثم عن أصحاب تلك البيوت .

ففى الصحيح من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فلا دية له ولا قصاص » .

وفى هذا زجر شديد لذوى النفوس الوضيعة الذين يحاولون إشباع رغباتهم الدنيئة فيدفعهم التطفل إلى التطلع فى بيوت الناس على حين غفلة . وإنما حرم الإسلام النظر إلى العورات حتى لا يقع الإنسان فى الخطر وكيف لا . والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافة الله أعطاه الله إيماناً يشعر بحلاوته فى قلبه .

وكيف لا ، والنظر بريد الزنا ، ورائد الفجور والعصيان . بل هو المثير للشهوات ، والمحرك للمفاسد ، ولهذا أمرنا الشارع الحكيم بتلافى هذا الضرر فى أول أمره قبل أن يستفحل شره . ولله در القائل :

البقية ص ٢٠٧



عالمية الإسلام واستمراريته

بقلم الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

العقيدة بالدين حاجة روحية ، ضرورية لصلاح البشر فلا يختص بها فريق من الناس دون باقى البشر ، لذلك كانت الحاجة ماسة إلى دين عالمى ، يكون دعوة إلى جميع شعوب الأرض قاطبة ، أبيضها وأسودها وأحمرها عربيها وعجميها . هكذا لابد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للبشر ، العامة منهم والخاصة تشعر كلا منهم أن له عقيدة يطمئن إليها ، وأن هذه العقيدة رباطه بالدنيا والآخرة ، بالله والإنسان ، فالناس أمة واحدة فى هذا الدين ، هذا الدين هو دين البشر [1] .

ويكون عالمياً : بعدم اختصاصه بجنس من الأجناس البشرية ، وبعدم انحصار تطبيقه فى إقليم خاص ، أو بيئة معينة . ويكون عالمياً بامتداد هدايته أزماناً طويلة تتجاوز العصر الذى بدأت فيه . بمعنى أن يكون الدين صالحاً لكل جنس ، وكل جيل ولكل زمان ومكان ، وبمعنى آخر : يكون الدين عالمياً : إذا كان شريعة الإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن العوامل والفوارق العارضة ، التى لاتدخل فى ماهية الإنسان كإنسان ، وبدون ذلك لايتحقق معنى العالمية فى أى دين [2] .

ونود أن نتعرف على الخصائص التى يجب أن يشتمل عليها الدين ليكون عالمياً وصالحاً لكل زمان ومكان . ونجمل هذه الخصائص فى ثلاث :

١ ـ وفاؤه بحاجة الإنسان جميعاً ، فيما يصون وحدتها ، ويرعى إنسانيتها ، ويحمى أفرادها فى العاجل والآجل .

٢ ـ تشريعاته التى تضمن قيام الإنسانية كلها فى محيط واحد ، لاتنزع معه إلى عصبية دم ، أو

---

(١) محمد عزت الطهطاوى ، النصرانية والإسلام ، ص : ٣٠٨ ، ط : مكتبة النور بالقاهرة سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

(٢) عطية صقر ، الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١٠ .

اختلاف لون ، أو فرقة جنس .

٣ ـ اتساقه مع حقائق الكون ، وخصائص الوجود ، بحيث لايتعارض مع ماثبت من حقائق العلم ، أو يختلف مع منطق الفكر (٣) .

وكذلك لايكون عالمياً إلا إذا صحب الإنسان فى جميع أزمانه المتطورة ، وعصوره المتلاحقة ، أى : يكون خالداً ، لايعتريه نسخ أو زوال ولاعقم ولاجمود ، موفياً بجميع مطالب الإنسان المتنوعة المتجددة فى كل الميادين التى يزاول فيها الإنسان بعقله الواسع نشاطه الكامل ، ولايوجد دين من الأديان السماوية فيه هذه المواصفات التى تجعله عالمياً ، إلا دين الإسلام (٤) .

والعالمية من القيم التى تنبثق من عقيدة الإسلام ، لأن مجتمع الإسلام هو مجتمع الإنسانية كلها ، مجتمع ليس لجغرافيته حدود ، وليس للعنصرية فيه وجود (٥) .

فالرسالة الإسلامية قد توجهت للناس كافة ، من جميع الأجناس والألوان ، وفى كل العصور .. وبالعالمية التى اتصف بها الإسلام ، يتميز عما سبقه من رسالات سماوية كانت تتوجه إلى أقوام بعينهم ، فى عصر معين (٦) .

ولذلك نرى القرآن الكريم يتحدث عن أقوام بلغتهم رسالات سماوية ، وينسبهم القرآن إلى أنبيائهم ، كما فى الحديث عن قوم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، وغيرهم من الأنبياء والرسل .

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(الأعراف : آية ٥٩)

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف : آية ٦٥)

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الأعراف : آية ٧٣)

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾

(الأعراف : آية ٨٠)

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(الأعراف : آية ٨٥)

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(الأعراف : آية ١٠٣)

وقال تعالى فى شأن عيسى ـ عليه السلام :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران : آية ٤٩)

---

(٣) محمد الراوى ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص : ٤٦ ، ط : دار العربية ، بيروت .

(٤) عطية صقر ، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١٦ .

(٥) د . إبراهيم عوضين ، الإسلام والإنسان ، ص : ٢٨١ ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٤ م .

(٦) جمال الدين محمود ، أصول المجتمع الإسلامي ، ص : ١٠ ، ٥ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة : ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

فهذه النسبة هى التى تبين وتوضح أن الرسالة مخصوصة بهؤلاء القوم ، فقد أرسل الأنبياء بإصلاح أقوام ، أو مجتمعات بعينها ، وحققت هذه الرسالات أهدافها ، بتصحيح أصل العقيدة ، ومنهاج الحياة ، فيما يحتاج إلى إصلاح [٧] .

ونرى فى آيات القرآن الكريم أمثلة كثيرة للإصلاح فى العقيدة ، حينما يتوجه الأنبياء إلى من أرسلوا إليهم بالبعد عن الشرك ، وبعبادة الله وحده .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : آية ٢٥)

كما نرى أن بعض الأنبياء توجه بجانب الدعوة إلى عبادة الله وحده بتوجيهات تتعلق بالسلوك أو المعاملات بين الناس ، مثل عدم ارتكاب الفاحشة : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف : آية ٨٠)

أما الإسلام : فهو يهدف إلى رسم إطار المنهاج الإلهى لحياة البشر فى كل زمان ومكان ، ولذلك غطى منهجه العقيدة ، والأخلاق ، والتشريع ، بطريقة تجعله لايقف أمام الاختلافات العارضة والمؤقتة بين بنى الإنسان ، والتى لا صلة لها بفطرة الإنسان ، كما خلقه الله جسداً وروحاً ، وباستعداده الفطرى للاتجاه إلى الملأ الأعلى .

فلا يخفى أن الإنسان بحسب فطرته ينزع إلى البحث فيما وراء ذاته ، أو الموجودات التى تدركها حواسه ، وهى فطرة الإنسان التى يتساوى فيها الإنسان العالم فى المدينة ، مع الإنسان البدائى فى قلب الغابة . . واستجابة لهذا النزوع الذى لايختص به إنسان دون آخر ، ولاجنس دون غيره ، فإن الإسلام يقدم له العقيدة التى تستجيب لكافة تطلعاته ، حين يرتقى الإنسان ، ويستشرف آفاقاً عالية فى علاقاته مع غيره [٨] .

وإن الإنسان وهو يتابع عالمية الإسلام يلحظ بوضوح : أن العالمية فى الإسلام ، قد قامت على عناصر متكاملة :

أولاً : وحدانية الإله ، وإنكار تعدد الآلهة ، ومن هنا كان أساس الإيمان فى شريعة محمد ـ ﷺ ـ أن يكون بالله وحده لاشريك له ، وتنزيهه عن كل صفة يتصف بها خلقه . . واقتضى هذا العنصر :

١ ـ وحدانية الربوبية ، فلا خالق ، ولا متصرف سواه .

٢ ـ ووحدانية الألوهية ، فلا معبود ، ولا مسئول ، ولا مستعان سواه ، وبالوحدانية بشقيها دعا الإسلام [٩] .

فالإيمان بالله معناه : إفراده ـ سبحانه وتعالى ـ بالألوهية والربوبية ، فلا شريك له فى الخلق ، ولاشريك له فى تصريف الأمور ، ولايتدخل فى تصريفه للكون والحياة أحد ، ولايرزق الناس معه أحد ، ولاينفع أو يضر غيره أحد ، ولايتم شىء فى هذا الوجود صغيراً أو كبيراً إلا بإذنه ورضاه [١٠] .

إذن هذا الإيمان الذى جاء به الإسلام : هو الإيمان الشامل الذى يليق بهذه الأمة الوارثة لدين الله ، القائمة على دعوته فى الأرض إلى يوم القيامة الضاربة الجذور فى أعماق الزمان ، السائر فى

---

(٧) جمال الدين محمود ، أصول المجتمع الإسلامى ، ص : ١٠ .

(٨) جمال الدين محمود ، أصول المجتمع الإسلامى ، ص : ١١ .

(٩) محمد الطهطاوى ، النصرانية والإسلام ، ص : ٣١١ ـ ٣١٢ بتصرف .

موكب الدعوة ، وموكب الرسول - ﷺ - وموكب الإيمان الممتد فى شعاب التاريخ البشرى ، الإيمان الذى يتمثل البشرية كلها منذ نشأتها إلى نهايتها (١١) .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة : الآيتان ٢١ - ٢٢)

ثانياً : الإيمان بكتب الله المنزلة على الأنبياء ، سواء منها ما أنزل على محمد - ﷺ - ، وما أنزل على إخوانه الأنبياء السابقين ، لأن هذا الإيمان عنصر من عناصر الإسلام ، لايتحقق إلا به (١٢) .

قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : آية ٢٨٥)

فالإيمان بالله يقتضى الاعتقاد بصحة كل ما جاء من عند الله - عز وجل (١٣) .

ثالثاً : الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده ، من لدن آدم - عليه السلام - إلى محمد - ﷺ - لأن الله اصطفاهم من عباده وحملهم رسالته عن طريق ملائكته .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل : آية ٤٣)

وقال تعالى :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى : آية ١٣)

فالإيمان بالله - سبحانه وتعالى - يقتضى صدق كل الرسل ، الذين يبعثهم الله ، ويقتضى الإيمان بوحدة الأصل ، الذى تقوم عليه رسالتهم وتتضمنه الكتب التى نزلت عليهم ، ومن ثم لاتقوم التفرقة بين الرسل فى ضمير المسلم ، فكلهم جاء من عند الله بالإسلام فى صورة من صوره المناسبة لحال القوم الذين أرسل إليهم ، حتى انتهى الأمر إلى خاتم النبيين محمد - ﷺ - فجاء بالصورة - الأخيرة للدين الواحد ، لدعوة البشرية كلها إلى يوم القيامة (١٤) .

فالإيمان بوحدانية الله ، والإيمان بكتبه ، ورسله ، عناصر رئيسية فى العالمية التى جاء بها الإسلام . . . ولكن ألا ترى معى : أن عالمية الإسلام قضية لابد لها من أدلة تدعمها ، وشواهد تثبتها ، ولهذا سأحاول أن أعرض هذه الأدلة لتكون علائم الكمال ، ومعالم الطريق فى عالمية الدين الإسلامى .

المجموعة الأولى : أدلة تعتمد على ماورد فى كتاب الله ، وسنة نبيه محمد - ﷺ - من قوله وفعله . إذن هذه الأدلة تقوم على الكتاب والسنة . . وأدلة الكتاب : جاءت منها آيات

---

(١٠) ، (١١) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، ج : ١ ، ص : ٣٤٠ ، ٣٤١ بتصرف .

(١٢) محمد الطهطاوى ، النصرانية والإسلام ، ص : ٢١٨ .

(١٣) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، ج : ١ ، ص : ٣٤٢ .

(١٤) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، ج : ١ ، ص : ٣٤٢ ، بتصرف .

مكية ، تدل على أن وصف العالمية لازم الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى ، ومنذ أشرقت على الناس ، كما جاءت منها آيات مدنية تنبىء عن العالمية واستمراريتها .

ومن الآيات المكية : قوله تعالى :

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (القلم : آية ٥٢)

وقوله تعالى :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (التكوير : آية ٢٧)

وقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (يوسف : آية ١٠٤)

و﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ۝ ﴾ (الأنعام : آية ٩٠)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(الأعراف : آية ١٥٨)

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (يس : الآيتان ٦٩ - ٧٠)

ومعنى من كان حياً : كل من ثبتت له الحياة (١٥) . وهذه الآية تبين وظيفة القرآن : بأنه نزل على الرسول ـ ﷺ ـ لينذر به من به حياة (١٦) .

وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان : آية ١)

وقوله تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام : آية ١٩)

وقوله : ﴿ ومن بلغ ﴾ : عطف على المخاطبين من أهل مكة ، أى : لأنذركم به ، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم ، وقيل : من الثقلين ، وقيل : من بلغه القرآن إلى يوم القيامة (١٧) .

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن بلغ ﴾ : قول آخر ، وهو أن يكون بمعنى : احتلم ، وبلغ حد التكليف (١٨) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ : آية ٢٨)

وقوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾

(الشورى : آية ٧)

وأم القرى : هى مكة ، وهى قلب الأرض ، بمنزلة الرأس من الجسد لسائر الدنيا (١٩) ، ومن حولها: أهل البدو والحضر (٢٠) . ويشمل كل

---

(١٥) عطية صقر ، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١٨ .

(١٦) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج : ٥ ، ص ٢٩٧٥ .

(١٧) الفخر الرازي ، التفسير الكبير جـ : ١ ، ص : ١٨٨ .

(١٨) المصدر السابق . ويقول سليمان بن عمر الشهير بالجمل في تفسيره في « ومن بلغ » ثلاثة أقوال :

أحدها : إنه فى محل نصب عطفاً على المنصوب فى « لأنذركم » ، وتكون « من » موصولة ، والعائد عليها من صلتها محذوف ، أى : ولأنذر الذى بلغه القرآن .

والثاني : إن فى « بلغ » ضميراً مرفوعاً يعود على « من » ، ويكون المفعول وهو منصوب المحل ـ أيضاً ـ نسقاً على مفعول « لأنذركم » . والتقدير ولأنذر الذى بلغ الحلم ، فالعائد هنا مستتر فى الفعل .

والثالث : إن « من » مرفوعة المحل ، عطفاً على الضمير المرفوع فى « لأنذركم » ، وجاز ذلك لأن الفصل بالمفعول والجار والمجرور أغنى عن تأكيده . والتقدير : لأنذركم به ، ولينذركم الذى بلغه . (الجمل الفتوحات الإلهية ج ١ ، ص ١٤) .

(١٩) عبد القادر أحمد عطا ، لماذا بعث الرسول في مكة ؟ ص : ١٣ .

(٢٠) الفخر الرازي ، التفسير الكبير جـ : ١٤ ، ص : ١٤٨ .

الناس غير المقيمين فيها فكل حي على وجه الأرض مقيم حول مكة ، فهي مركز الدائرة ، وقطرها ممتد بين كل نقطتين على المحيط العالمي (٢١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء : آية ١٠٧)

هذه معظم الآيات المكية التي جاء فيها التأكيد الواضح لعالمية الإسلام .

أما الآيات المدنية : فقوله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ (آل عمران : آية ٢٠)

وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(آل عمران : آية ٨٥)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾

(آل عمران : آية ٦٤)

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(التوبة : آية ٣٣)

وإذا انتقلنا بعد ماذكرنا من آيات القرآن الكريم ، إلى السنة النبوية وجدناها الصدى المتجاوب مع آيات الله .

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود » (٢٢) .

ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ « إني رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة » (٢٣) .

وفي كتاب النبي ـ ﷺ ـ إلى « جيفر » و « عياذ » ابني الجلندى ملكي عمان ، قوله : « فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » (٢٤) .

وفي حديث البراء بن عازب ـ عند حفر الخندق ـ في غزوة الأحزاب ، وقد اعترضت المسلمين صخرة ، وهم يحفرون ، جاء قولهم : فاشتكينا ذلك للنبي ـ ﷺ ـ فجاء وأخذ المعول فقال : « باسم الله ، ثم ضربه فنثر ثلثها » . وفي رواية : فخرج نور أضاء ما بين لابتي المدينة ، وقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأرى قصورها الحمر الساعة من مكاني هذا » . قال : ثم ضرب الثانية ، فقال : « باسم الله » ، فقطع ثلثاً آخر فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض » . ثم ضرب ثالثة ، وقال : « باسم الله » فقطع الحجر وقال : « الله أكبر



---

(٢١) عطية صقر ، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه ، ص : ١٩ .

(٢٢) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب المساجد ، جـ ٥ ، ص : ٣ .

(٢٣) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب الصلاة ، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا ، جـ ١ ، ص : ٥٣٣ .

(٢٤) القسطلاني ، المواهب اللدنية ، جـ ١ ، ص : ٢٢٥ ، ط . البابي الحلبي ، بمصر .

«أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر باب صنعاء» [٢٥] .

وعن عدى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال له : «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى» قلت : كنوز كسرى بن هرمز؟ قال : «كنوز كسرى بن هرمز» . وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز [٢٦] .

وقال : رسول الله ـ ﷺ ـ «إنكم ستفتحون مصر وهى : أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها ، فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً . . . أو قال : ذمة وصهراً» [٢٧] .

وعن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «أعطيت خمساً ، لم يعطهن أحد من الأنبياء من قبل : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة» .

هذه الأحاديث وغيرها ـ مما جرى مجراها فى التبشير بالفتح ـ ونشر دين الله ، تدل دلالة أكيدة ، لا لبس فيها ولاغموض ، على عالمية الدين الإسلامى ، وأنه سينشر فى هذه الأصقاع والأمصار التى أشارت إليها الأحاديث وغيرها .

المجموعة الثانية :

تقوم أدلتها على العوامل الأساسية ، إذ أن المقومات الأساسية ، الخالدة للإسلام : إنه قائم على العقل والبرهان ، وأن هناك ـ أصولا أولية يتألف منها دستور علمى ، يوجه إلى ينابيع الحكمة ، وهى تنحصر فى هذه الكليات التى تفيد : دوام النظر ، والتفكير فى الوجود إجمالاً ، وفى الكائنات التى فيه تفصيلاً ، ودرس أحوال الأمم ، والاعتبار بها ، وتنور نواميس الاجتماع من خلالها ، والاستهداء بالأعلام المنصوبة فى الوجود لهداية السالكين إلى الحقائق الخالصة من الشوائب ، والتجرد من جميع الصيغ الوضعية ، ومن الهوى فى الحكم على الأشياء ، والاجتهاد فى تحصيل العلم حيث كان ، واعتبار الفضائل وسائل لبلوغ الكمال ، الذى قدره الخالق للإنسان فى هذا العالم ، واعتبار وحدة الإنسانية ، وأن الناس ما قسموا إلى أمم وشعوب وقبائل ، ليتخالفوا ويتناكروا ، وإنما ليتعارفوا ويتحابوا [٢٨] .

ويضاف إلى ما سبق من عوامل أساسية كدليل على عالمية الإسلام : إن كلمة «الإسلام» لاتدل على اسم شخص بعينه ، أو أمة بعينها ، وإنما تدل على صفة مخصوصة يضمنها معنى الإسلام .

ويظهر من هذا الاسم : أنه ما عنى بإيجاد هذا الدين وتأسيسه رجل من الرجال ، وليس خاصاً بأمة معينة ، دون سائر الأمم ، وإنما غايته أن يحلى

البقية ص ٢٢٩

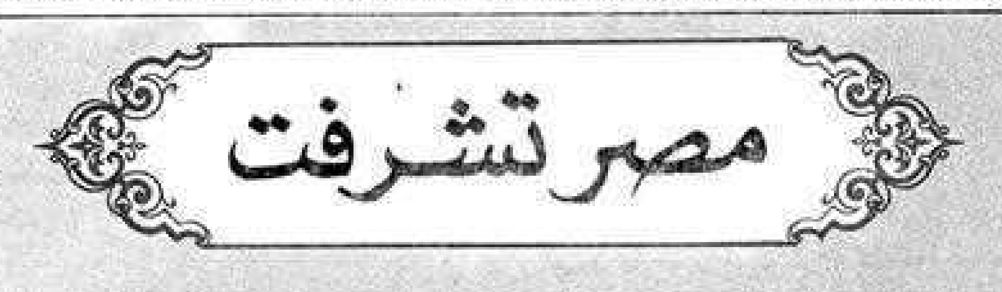
---

(٢٥) رواه أحمد فى مسنده ج ٤ ، ص : ٣٠٣ بنفس اللفظ ، ورواه النسائى فى سننه ، كتاب الجهاد ، غزوة الترك والحبشة ، جـ ٦ ، ص : ٤٣ ، مع اختلاف فى الألفاظ .

(٢٦) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة جـ ٦ ، ص : ٦١ .

(٢٧) رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبى ـ ﷺ ـ جـ ٤ ، ص : ١٩٧٠ ، رقم الحديث : ٢٢٧ ، ورواه أحمد فى مسنده جـ ٥ ، ص : ١٧٤ ، جـ ٥ ، ص : ٣٧٨ .

(٢٨) عطية صقر ، الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه ، ص : ٢٤ ـ ٢٥ .



بين يوسف وموسى

عليهما السلام

لفضيلة الشيخ : السيد عبد المقصود عسكر*

بعض الباحثين ينفى أن موسى عليه السلام قد ولد فى مصر ، ويؤكد أنه لم يعش بها بل ولم يذهب إليها على الإطلاق . كما أن يوسف لم يكن فى مصر عليه .

ونحن لا ندرى حقيقة الهدف الذى جعل هؤلاء يتبنون هذه المزاعم التى تتعارض مع ما جاء فى القرآن الكريم .

نقول ذلك بمناسبة ما كتبه السيد / عبد الصمد الخطيب من دمشق فى صحيفة الهدف الأسبوعية التى تصدر فى الكويت فى عددها رقم ١٤٩٨ بتاريخ ١٩٩٧/٣/١ م

وهو يستنكر ما سبق نشره فى الصحيفة بقلم السيد / أسامة السعداوى من أن موسى ـ عليه السلام ـ قد ولد بمصر وعاش فيها .

وزعم السيد / عبد الصمد الخطيب أن كل ما يدور حول ولادة موسى ـ عليه السلام ـ ونشأته فى مصر وكذلك ما قيل عن فترة زمنية قضاها يوسف ـ عليه السلام ـ فى مصر وما جرى فى تلك الفترة إنما يمثل إسقاطات توراتية وتزويرا للتاريخ .

---

* الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية

واعتمد السيد / عبد الصمد الخطيب فى هذا الادعاء على أقوال نسبها إلى الدكتور أحمد داود كما جاءت فى برنامج له على القناة الفضائية السورية .

وباطلاعنا على المقال المذكور نحب أن نقول ما يأتى :

١ - يقول الكاتب إن مصر سميت بهذا الاسم فى عهد عمرو بن العاص . ويبنى على هذا الزعم الذى لا يستند إلى دليل أن قول الله تعالى فى سورة يوسف على لسان يوسف - عليه السلام - وهو يخاطب أبويه وأهله

﴿ ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾

(يوسف : ٩٩)

لا يشير إلى البلد المعروف بهذا الاسم فى عصرنا وإنما هى عشيرة عربية تعيش فى شبه الجزيرة العربية .

وهذا كلام ساقط لا يرقى إلى مستوى المعقولية لأنه ليس من المعروف فى التعبير الشائع أن يقال للناس ادخلوا فى العشيرة ، إنما يقال للقادمين من سفر حين يتم الترحيب بهم فى البلد الذى وصلوا إليه : ادخلوا هذا البلد بأمن وسلام على الرحب والسعة . وهذا هو ما حدث مع إخوة يوسف وأبويه لأنهم قدموا من سفر ونزلوا على يوسف - عليه السلام - بعد أن مكن الله له فى أرض مصر وجعله عزيزا لها . وهو لقب يلقب به رئيس وزراء مصر فى ذلك الزمان . يقول الله تعالى :

﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴾

(يوسف : ٥٦)

وذلك حين اختاره ملك مصر ليكون وزيراً له يتولى أمور الاقتصاد وجعله على خزائن الأرض لأنه حفيظ عليم .

ثم إنه عندما حضر إخوته للقائه بأمر أبيهم للبحث عن مصير أخيهم قالوا له كما جاء فى كتاب الله

﴿ يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين ﴾

(يوسف : ٨٨)

ومن بداية القصة يظهر بوضوح أن قافلة التجار التى انتشلت يوسف من الجب الذى ألقاه فيه إخوته سافروا به إلى وجهتهم وباعوه لعزيز مصر فى ذلك الزمان يقول الله تعالى :

﴿ وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ۞ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ۞ وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

(يوسف : ١٩ - ٢١)

ثم إنه لو كانت المشار إليها فى الآيات المتعددة من سورة يوسف هى غير مصر التى نعرفها لكان من اللازم أن يبينها الله تبارك وتعالى أو يبينها رسوله - صلى الله عليه وسلم - حتى لا يختلط الأمر على السامعين لو كانت هناك مصر أخرى .

٢ - يقول الكاتب : إن قول إخوة يوسف لأبيهم « واسأل القرية التى كنا فيها » أكبر دليل على أنهم كانوا فى قرية مجاورة لأن سيدنا يعقوب كان قادرا على أن يسأل بسهولة . (أى أنها ليست فى مصر) .

وهذا كلام لا يمت إلى العلم بصلة لأننا إذا تأملنا الآيات القرآنية سنجد أنها تشير بوضوح إلى قرية من قرى مصر حدثت عندها حكاية ظهور صواع الملك فى رحل أخى يوسف ، وهو الأمر الذى اعتمد عليه يوسف فى استبقاء أخيه معه وانتزاعه من إخوته . يقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾

(يوسف : ٧٠)

والعطف بثم يدل على أنهم قطعوا مسافة ما فى طريق العودة إلى ديارهم حتى كانوا عند هذه القرية وهى من قرى مصر .

ولنتأمل أيضاً هذه الآية

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

(يوسف : ٨٢)

لنجد أن المعنى واسأل أهل القرية التى انكشف عندها ظهور حادث السرقة واسأل أيضاً رفقاءنا فى رحلة السفر من هناكَ إلى هنا .

ولو فرض أن يعقوب يتعذر عليه الذهاب إلى القرية فلن يتعذر عليه سؤال الرفقاء ثم إن قول الله تعالى :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(يوسف : ٣٠)

يشير بوضوح إلى العاصمة التى يسكنها عزيز مصر الذى نشأ يوسف فى بيته وابتلى بفتنة النساء التى نجاه الله منها .

٣ ـ يقول الكاتب : وقصة عبور موسى البحر فالبحر هو المقصود به البحيرة الكبيرة وحدث ذلك فى شبه الجزيرة العربية جنوبا من وادى الدواسر .

ونحن نسأل : لماذا لا يكون المراد بالبحر هو البحر ؟ ولماذا العدول عن ظاهر العبارة ؟ ولماذا ينفى الكاتب الحقيقة المتواترة التى تقول إن فرعون كان لقبا لملوك قدماء المصريين وما هو الهدف من ذلك ؟

إنَّ الله تبارك وتعالى أخبر فى كتابه العزيز أنه حينَ خرج موسى مع قومه مهاجرا بأمر الله اتجه بهم شرقا ، ولما تبعه فرعون وجنوده أمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه ولما فعل انفلق البحر وعبر موسى ومن معه ، فلما حاول فرعون اللحاق بهم ضمهم البحر وغرقوا وقد ذكر البحر مرات عديدة فى هذه القصة . ومن ذلك قول الله تعالى :

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۝ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾

(الشعراء : ٦٣ ـ ٦٦)

٤ ـ : يقول الكاتب : لا يوجد دليل تاريخى نهائيا على أن موسى دخل مصْر (بلاد النيل مجازا) ونحن لا يعنينا أن يوجد دليل تاريخى أو لا يوجد . فمعلوم أن عدم الوجادة لا يدل على عدم الوجود وأيضاً فإن التاريخ لم يسجل كل شىء . وليس من الضرورى أن يكون كل ما سجله التاريخ صادقا ، فقد أثبت التاريخ لبعض ذوى السلطان أعمالا نسبوها لأنفسهم زورا .

وكل الذى يعنينا فى هذا الشأن ما سجله القرآن الكريم لأنه الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولأنه نزل بالحق . يقول الله سبحانه :

﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ﴾

(الإسراء : ١٠٥)

وقد أكد القرآن الكريم أن موسى - عليه السلام - من بنى إسرائيل وأنه ولد فى مصر فى عهد أحد الفراعنة الذى كان يذبح أبناء بنى إسرائيل ويستحى نساءهم وأن أمه حين ولدته وضعته فى تابوت وألقت به فى اليم بإلهام من الله لها . وأن آل فرعون التقطوه ونشأ فى بيت فرعون ثم لما شب عن الطوق اضطر للهجرة من مصر وذهب إلى أرض مدين وتزوج هناك من ابنة رجل صالح . وفى طريق عودته اختاره الله رسولا وعاد إلى مصر ليواجه فرعون بأمر الله وفى حمايته .

ولقد تباهى فرعون بما هو فيه من ملك وجاه ونفوذ وسلطان وحكى القرآن الكريم مقالته عن ذلك فى الآية التالية :

﴿ ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ﴾ (الزخرف : ٥١)

وهذا ما ينطبق تماما على مصر التى نعرفها والتى حكمها ملوك لقبوا بالفراعنة وهى البلد التى تجرى فيها الأنهار . وذلك لا ينطبق على أى مكان فى شبه جزيرة العرب .

٥ - ثم إن رجلا من قوم فرعون آمن بموسى - عليه السلام - وكان يكتم إيمانه لكنه اضطر إلى إعلانه حين علم بوجود مؤامرة لقتل موسى - عليه السلام - وتصدى لهذه المؤامرة وراح يدعو فرعون وقومه إلى سبيل الرشاد . وكان مما قال لهم كما جاء فى كتاب الله : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ (غافر : ٣٤)

والقصة بتمامها مذكورة فى سورة غافر (المؤمن) ومنها يظهر أن موسى - عليه السلام - كان فى مصر ومن قبله كان يوسف أيضاً فى مصر .

فلماذا ينكر الكاتب هذه الحقائق وما هى فائدة هذا الإنكار ؟

٦ - ثم إن القرآن الكريم أخبرنا أن الله تبارك وتعالى كلم موسى واختاره رسولا ، وأن ذلك بالطور من سيناء بالوادى المقدس فى طريق عودته إلى مصر من أرض مدين فى بلاد الشام .

وسيناء والطور أرض مصرية من قديم الزمان . وقد عاد موسى إلى أهله فى مصر والتقى بأخيه هارون وذهبا سويا إلى فرعون ، حيث أمرهما الله بأن يقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى .

كل ذلك مسجل بوضوح فى القرآن الكريم فى سور طه والشعراء والقصص وغيرها . فلماذا تنكر هذه الحقائق وما هى فائدة هذا الإنكار ؟

يقول الله تعالى مخاطبا محمدا - صلى الله عليه وسلم - ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾ (القصص : ٤٦)

وهو الوادى المقدس المذكور فى سورة طه فى قول الله تعالى ﴿ فلما أتاها نودى يا موسى ۝ إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾

(طه : ١١ - ١٢)

هناك ناداه واجتباه واختاره رسولا وذلك فى طريق عودته ، كما يشير إلى ذلك قول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (القصص : ٢٩)

٧ ـ كل ما سبق يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن يوسف ـ عليه السلام ـ بيع فى مصر وتعرض للفتنة فى بيت عزيز مصر ، ودخل السجن مظلوما فى مصر وفسر الرؤيا التى رآها ملك مصر تفسيرا صحيحا وأنه بعد ذلك خرج من السجن بعد أن ثبتت براءته وطهارته ومكن الله له فى أرض مصر وجعله على خزائن الأرض . وأنه صار بعد ذلك كبير وزراء مصر واستقدم أهله إلى مصر وعاشوا بها وبقوا فيها إلى أن كانت ولادة موسى ونشأته فى مصر وكان بينه وبين فرعون مصر ما كان مما سجله القرآن الكريم ، ثم كانت هجرته مع قومه فى مصر ، حيث عبر بهم البحر الذى انفلق بأمر الله فكان كل فرق كالجبل الأشم .

كل هذه الواقعات والحوادث جرت على أرض مصر ، كما يؤكد ذلك القرآن الكريم ولا شأن لنا بما جاء فى التوراة فنحن لانقبلها كمصدر لقصص الأنبياء لأسباب كثيرة تجعلها غير موثوق بها ، كما أنه لا يعنينا إن كان التاريخ قد سجل ذلك أو لم يسجله ، فلدينا المصدر الموثوق به وهو القرآن الكريم ، ولن نحيد عما جاء به حتى لا نضل مع الضالين .

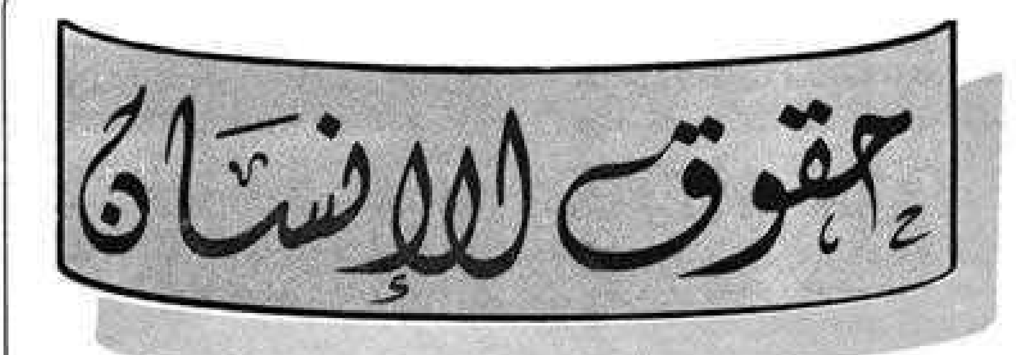
والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

قبس من أنوار النبوة ـ بقية

كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذاعين يقلبها
فى أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

إن الإسلام يغلق أبواب الفتنة ويوصد أبواب الشر ، وللشيطان الاعيب وأساليب تغرى بالإثم ، وتحض على الفتنة .

فهل يتعظ بهذه التعاليم أولئك الذين يرسلون نظراتهم الخبيثة فى وسائل المواصلات والشوارع والطرقات . وهل يغض المؤمنون والمؤمنات البصر عن محارم الله . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ثلاثة لا ترى أعينهم النار : عين حرست فى سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفت عن محارم الله » « رواه الطبرانى » .



في الإسلام

للأستاذ الدكتور
محمد شامة

حرية ومساواة :

احتلت حقوق الإنسان منذ الثورة الفرنسية مكان الصدارة ، فى كل منشور عقائدى ، وتحلى كل بيان مذهبى بالدعوة إلى المحافظة عليها ، ومحاربة كل من يعتدى عليها فى أى مكان ، وتحت أى نظام من النظم السائدة فى المجتمعات البشرية ، حتى صارت الآلة التى يضرب على وترها كل من يريد تأييدا جماهيريا ، وأغنية يرددها أنصار كل مذهب ، حتى ولو طفحت تصرفات أتباعه ، بما يتنافى مع أدنى المبادىء التى تحافظ على حقوق الإنسان ، وتؤمن له حريته وما ذاك إلا لأن أغنية حقوق الإنسان أصبحت من النغمات التى تجد قبولا لدى البائسين والمحرومين ، ويسعى المضطهدون فى كل مكان إلى مناشدة أصحاب الضمائر الحية ، ليذل كل ما فى وسعهم لتحويل كلماتها إلى حقائق ، وتجسيم نغماتها فى المجتمع البشرى ، كى تختفى صور الظلم والاضطهاد ، وتتمحى مظاهر ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

ورغم كل هذه الضجة الإعلامية التى تتخذ حقوق الإنسان مادة لها ، فلا زالت صور البؤس والشقاء الآدمى تغطى معظم مناطق الكرة الأرضية ، بل لازال من اشتهروا بالدعوة إليها يأتون من الأعمال ، مايناقضها فى أماكن عديدة ، ينقضون أبسط مبادئها فى أقطار شتى ، حتى ضاعت ثقة الإنسان بفاعلية المؤسسات التى كرست جهودها فى هذا الميدان ، ورصدت الأموال الطائلة تحت بند العمل على محاربة ظواهر ضياع الكرامة الإنسانية .

فلو أدرك المهتمون بهذا الجانب ماقرره الإسلام فى هذا المجال ، منذ أربعة عشر قرنا ، فاهتموا بإبرازه على الساحة الدولية ، والأقاليم العرقية ، لظهرت آثاره بشكل أكثر وضوحا ، مما يمارسه الداعون إلى هذه الحقوق اليوم على أساس مذهبى ، أو عرقى ، أو إقليمى ، ولعمقت جذوره فى ضمير المجتمع ، بحيث لا يقدر على محوها الطغاة والمتكبرون ، مهما كثر أنصارهم ، وقوى عتادهم ، لأن كل مايرتكز على طبيعة الإنسان ، ويستند إلى مصدر إلهى ، تكون فرصته فى سرعة الانتشار أكبر من غيره ، وطبيعته فى الدوام والاستقرار أكثر صلابة مما يقوم على رأى بشرى ، أو يصدر من اتجاه إنسانى .

فقد بين الإسلام أن الله خلق الإنسان ، ومنحه الحرية فى سلوكه وتصرفاته ، فحرى بهذا المخلوق بناء على هذا العطاء الإلهى :

ـ أن يكون حرا فى التعبير عن أفكاره ، وفى اعتناق مايراه صالحا لنفسه ومجتمعه ، وفى الإيمان بما يميل إليه عقله ويقتنع به ، فلا يجوز لأحد أن يصادر حريته فى هذا المجال ، وإلا أعطى لنفسه حقا لم يشأ الله أن يستعمله مع خلقه ، وتصدى لطبيعة خلقها الله فى الإنسان ، وكبت غريزة لا تستقيم حياة الإنسان بها ، ولا تصلح النظم الاجتماعية إلا بظهورها ، ولا تسير حياة الأمم فى مجراها الطبيعى إلا إذا تمتع أفرادها بهذه الحرية .

وحق طبيعى لهذا الإنسان :

ـ أن يحصل على حقه مما سخره الله له ، فلا يجوز لأحد أن يحرمه من هذا الحق ، فليس لأمة أن تستأثر بالموارد الطبيعية دون غيرها ، ولا لشعب الاستحواذ على مايرفع مستوى معيشته ، بينما يحتاج غيره من الشعوب إلى ما تسد به رمقها .

ولا لجنس أن يملأ بطون أفراده بأطايب الأطعمة ولذائذ الأشربة ، بينما شعوب أخرى يقتلها الجوع بعد أن تمر بطريق طويل تذوق فيها ألوانا من الحرمان ، وصنوفا من آلام تتعرض لها أبدانها العارية وبطونها الخاوية ، وأجسادها التى أصبحت مستعمرة للأمراض ، وموطنا لكل أنواع العلل والأسقام .

أكد الإسلام على هذين الأمرين : الحرية والمساواة فى حقوق الانتفاع بما سخره الله للإنسان ، لأنهما أساس العدل فى المجتمع الإنسانى ، ومصدر تقرير عزة الإنسان وكرامته ، وسياج المحافظة على إنسانية الإنسان ، فلا تهدر ، ولا تهان ، ولا يلحقها مايشينها ، أو يحط من مكانتها التى بوأها الله إياها ، فإذا تقرر هذا لدى ضمير المجتمعات الإنسانية وحافظت عليه الحكومات ، واعترف به دعاة المذاهب والاتجاهات الفكرية ، وآمن به كل فرد إيمانا راسخا ، بحيث يكون مستعدا للدفاع عنه بكل ما أوتى من وسائل ، وما تيسر له من سبل ، لاختفت ظواهر الظلم ، ومعالم الاستغلال من المجتمعات البشرية ، فلا ينال أحد أكثر مما يستحق ،

ولا يحرم إنسان من حق الحياة على نحو يحفظ عليه إنسانيته وكرامته ، ويومئذ يشعر المرء بالأمن والأمان ، والاطمئنان والاستقرار ، وذلك ما تهدف التعاليم الإسلامية إلى تحقيقه للإنسان فى الدنيا ، فضلا عن مجازاته فى الآخرة على حسن عمله فى دنياه .

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾

(آل عمران ١٤٨)

إصلاح وسعادة :

رفع الإسلام مكانة الإنسان ، فاعترف بجميع العناصر التى يتكون منها ، سواء كانت مادية أو روحية ، إذ لم يفرض عليه من العبادات مايرفع به نفسه وروحه ، ويهمل بدنه وجسمه كما فى بعض الأديان ، ولم يتركه مطلق العنان فى مجال إشباع الغرائز ، حتى لا يدمر نفسه ، ويصدع بنيان مجتمعه ، بل اعترف بروحه وجسده ، ففرض عليه من العبادات مايصفى هذه الروح من الشوائب ، وينقيها من الآثام ، ويطهرها من الرجس ، ويبعدها عن موطن الآثام ، ويحول بينها وبين الانحدار إلى ما يعكر صفوها ، ويطمس شفافيتها ، ويقضى على بهائها ونقائها ، وفى الوقت نفسه لم يفرض عليه أن يكبت غرائز بدنه ، ويميت متطلبات تكوينه الجسمى ، فلم يحرِّم عليه طيبا ، ولم يمنعه من إشباع غرائزه ، سواء كانت عن طريق الطعام والشراب ، أو بمباشرة الاتصال النوعى ، مادام ذلك فى الإطار العام الذى رسمه لحياة الأفراد والمجتمعات ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأعراف ٣٢) .

ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة ٨٧ ، ٨٨) .

ويقول : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم ٢١) .

تعتبر هذه النظرة إلى الإنسان سموا به ، ورفعا لشأنه ، وبيانا بأن الله الذى خلقه فى أحسن صورة ، فرض عليه من الأحكام مافيه صلاحه جسميا ونفسيا ، وما يعود عليه بالسعادة بدنيا وروحيا ، فلم يعذبه بحرمان جسدى ، ولم يثقل كاهله بواجبات دينية ، يقول تعالى :

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة ٦) .

ويقول رسول الله ﷺ :

« إن لبدنك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزورك ـ يعنى زوارك وضيوفك ـ عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه » . أخرجه البخارى فى كتاب الصوم وكتاب الأدب .

اعترف الإسلام بالكيان الإسلامى كله : جسمه وروحه ، عقله وقلبه ، إرادته ووجدانه ، ولهذا لم يغفل جانبا من هذه الجوانب فى خطابه له .

ففى الخطاب المادى :

أمره بالسعى فى الأرض ليأكل من طيباتها ويستمتع بما فيها ، وما يمكنه أن يستخرجه منها ، كما حثه على النظافة والتجميل ، بشرط الاعتدال

فى ذلك كله . كما نهاه عما يضره بدنيا ، فحرم عليه المسكرات بجميع أنواعها حتى لا يضر جسمه ، فيعجز عن القيام بما تفرضه عليه حياته .

وفى الجانب الروحى :

أمره بعبادة الله وحده ، ففرض عليه أنواعا من الطاعات كـ : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والعمرة ، وحثه على الالتزام بما يقربه إلى ربه ، مثل : الذكر ، والدعاء ، والتوكل ، والخوف ، والرجاء ، والبر ، والإحسان والجهاد فى سبيل الله ، وغير ذلك مما يقرب العبد إلى ربه ، ويبعده عن وساوس الشيطان وهواجس الأشرار .

وفى مجال العقل :

أمره بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وما بينهما من مخلوقات ، كما حثه على التفكير فى مصائر الأمم ، وسنن الله فى المجتمعات ، فلم يحرم عليه العلم ومعرفة الحكمة ، مهما كان مصدرها ، بل أنكر عليه الجمود والتقليد للآباء والكبراء ، وما ذاك إلا ليدفعه إلى ممارسة شئون الحياة على نحو يلبى كل رغبات عناصر تكوينه .

ولم يهمل جانب إحساسه بجمال ما حوله والتفاعل معه نفسيا وروحيا ، فوجهه إلى النظر والتأمل فى جمال الكون : أرضه وسمائه ، ونباته ، وحيوانه ، لاستكشاف مظاهر الحسن والبهجة فيه ، ليشبع حاسة الجمال عنده ، فيشعر بعظمة الله فى أعماق نفسه وفى ثنايا وجدانه ، يقول تعالى :

﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ (ق ٦) .

ويقول : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ۝ وإلى السماء كيف رفعت ۝ وإلى الجبال كيف نصبت ۝ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ (الغاشية ١٧: ٢٠) .

ويقول : ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (الأنعام ٩٩) .

إن خطاب الله للإنسان على هذا النحو يؤكد أن الإسلام ينظر إلى كيان الإنسان كله ، فلم يهمل جانبا لحساب آخر ، وفى ذلك اعتراف بكل عنصر فيه ، وتقدير لمهمته التى خلق من أجلها ، فسبحان من خلق فأحسن الخلق ، وصور فأبدع التصوير ، يقول تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ۝ الذي خلقك فسواك فعدلك ۝ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ (الانفطار ٦ : ٨) .

أخوة وتعاون

لم تكن الدعوة إلى تقرير حقوق الإنسان فى الإسلام قاصرة على نصوص تتلى ، أو إعلان يذاع على الناس ، بقصد الدعاية للاستحواذ على عقول الجماهير ، واكتساب تأييد دولى ـ كما هو الحال اليوم على الساحة الدولية ، حيث ترفع كل الأنظمة الدولية هذا الشعار ، وتنفخ أبواق دعاية كل الحكومات على وتره ، دون التزام أى منها بالتطبيق العمل فى ميدان المعاملات مع الشعوب ـ

بل كان مبدأ يجب الإيمان به ، وقانونا سماويا يجب الإذعان والخضوع له ، وشرعا ربانيا يتحتم على كل مسلم تنفيذه ، وإلا حقت عليه كلمة العذاب ، فباء بالخسران المبين ، والعقاب الأليم .

التزم المسلمون بما جاء فى القرآن الكريم فطبقوه فى حياتهم ، حيث اتخذوه نبراسا يهتدون به فى نظرتهم إلى الوجود ، وفهمهم لحركات الكون ، وتقييمهم للحياة الإنسانية ، فكان سلوكهم الاجتماعى قائما على أساس العقيدة التى غرست فيهم كل أنواع الفضيلة ، فتكون لديهم الشعور بالعطف على بعضهم البعض وتأصل فيهم احترام الجانب الآدمى فى الإنسان ، فلا يصدر من أحد ما يؤذى أخاه أو يذله ، ولا يباشر عملا يترتب عليه امتهان كرامة الآخرين أو التقليل من إنسانيتهم ، أو الحجر على حريتهم ، أوالحيلولة بينهم وبين ممارسة مافطرهم الله عليه فى حدود التشريع الإلهى ، وبذلك صاروا إخوة متحابين متعاطفين ، يشعر كل بما يشعر به الآخر ، سواء كان ألما أو انبساطا ، حزنا أو ابتهاجا ، كدرا أو سعادة ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات ١٠) .

ومن مقتضيات الأخوة :

العطف ، والرحمة ، ومد يد المساعدة والعون ، والمشاركة فى الأحزان والأفراح ، وعدم الاعتداء والظلم ، وإعطاء كل ذى حق حقه . فلا ظلم ، ولا سلب ، ولا نهب ، بل تعاون وتعاطف وتراحم ، يقول رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » البخارى فى كتاب الأدب .

ويقول :

« المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته يوم القيامة ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » . مسند الإمام أحمد .

ألزم الإسلام المسلم بأعمال تجاه أخيه ، من شأنها أن تقوى الروابط بين أفراد المجتمع ، وتعمق الشعور بحقوق الإنسان ، وتؤكد على آدميته ، فلا تدع سبيلا لظهور ما يتعارض مع كرامة الإنسان فى الحياة الاجتماعية ، يقول رسول الله ﷺ :

« حق المسلم على المسلم ست ، قيل : ما هن يارسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » . أخرجه مسلم فى صحيحه .

لأن هذه الوصايا من أهم الدعائم التى يقوم عليها مجتمع متماسك ، يحس فيه الأخ بأخيه ، ويحرص على أن يؤدى ما عليه إزاءه ، ولا يفرط أبدا فى قضاء حاجة أخيه ، أو تلبية دعوته ، إن أصابه مكروه أو ألم به ضرر .

سادت روح الأخوة فى المجتمع الإسلامى ، ورسخت فى أعماق ضمائر المسلمين ، وذلك بالالتزام بما أمرهم الله سبحانه وتعالى فى هذا المجال ، وتذكير بعضهم البعض بما وصاهم به الرسول ﷺ بألا يحقر مسلم أخاه ، ولا ينظر إليه نظرة استعلاء واستكبار ، اعتمادا على نسب ، أو جاه ، أو مال . وقد تناقل المسلمون مرويات تؤكد هذا المعنى ، رددوها فى مدارسهم ومجالسهم ، ولقنوها لأبنائهم حتى يظلوا دائما على ذكر بما يجب عليهم نحو إخوانهم ، ومن هذه المرويات ،

ماروه البخارى أن أبا ذر وبلالا الحبشى رضى الله عنهما ـ وكلاهما من السابقين الأولين ـ تغاضبا وتسابا ، وفى ثورة الغضب قال أبو ذر لبلال : ياابن السوداء . . . فشكا بلال إلى النبى ﷺ فقال النبى لأبى ذر :

« أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية » . أخرجه البخارى فى الإيمان .

وعن أبى ذر أن النبى ﷺ قال :
« انظر . . فإنك لست بخير من أحمر وأسود ، إلا أن تفضله بالتقوى » أورده أحمد فى مسنده .

كما جاء فى كتب التاريخ أن ابن عمرو بن العاص ضرب ابن أحد المصريين ، وافتخر عليه بأنه أفضل منه وأكرم ، لأنه ابن الوالى ، فذهب أبوه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى المدينة ، وشكا له فاستدعى عمرو بن العاص وابنه ، فلما مثلا بين يدى عمر ، قال لابن المصرى : « اضرب ابن الأكرمين » ، ثم التفت إلى عمرو ابن العاص وقال قولته المشهورة :

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا »

فهل يوجد فى التاريخ مشهد أوضح من هذا فى تقرير حقوق الإنسان ؟

ـ إنه مشهد عمل بعيد عن الدعايات المضللة ، والشعارات الكاذبة ، كتلك التى ترددها أبواق الإعلام صباح مساء على المسرح الدولى ، بينما الواقع يصرخ مستغيثا ، فلا يسمع له صوت من كثرة الضجيج الإعلامى الكاذب عن حقوق الإنسان وكرامته .

ـ ومبدأ إسلامى عبر عنه عمر بن الخطاب بقولته التى أصبحت وثيقة من الوثائق الإسلامية التى حافظ عليها المسلمون عبر مسيرة التاريخ إلى يومنا هذا ، ولا زالت منارة المسلمين فى تحديد علاقتهم وسلوكهم مع جميع الناس فى كل بقاع الأرض .

تطبيق لاشعارات :

اتخذت وسائل الإعلام فى كل القوى التى تحاول السيطرة على العالم قضية حقوق الإنسان مادة لها لكسب تأييد المجتمع الدولى ، ومحاربة الآخرين والتضييق عليهم ، فالدول الغربية (المتقدمة) تتهم الدول الشرقية بأنها أهدرت حقوق الإنسان فجعلته آلة فى عجلة الحياة ، لاحق له سوى الأكل والشرب بالقدر الذى يحفظ حياته ، فلا حرية له فى التعبير عن أفكاره وفى الإعراب عن طموحاته ، بل لا يستطيع أن يصرخ من الآلام التى يحملها بين طياته ، ولا يشكو من ظلمه فسلبه حريته ، وإلا أرسل إلى أقصى الأرض حيث يعيش فى صحراء قاحلة ، وتحت ظروف مناخية قاسية ، فيبقى فيها إلى أن يموت فيزيائيا ، بعد أن قتل نفسيا ، لضياع إنسانيته وإهدار كرامته .

وتقابل أجهزة الإعلام فى الدول التى أهدرت حقوق الإنسان هجوم الدول الغربية عليها باتهامات مماثلة ، حيث تبين أن النظام الغربى الرأسمالى يعتمد على الاستغلال والاحتكار ، فأصحاب رءوس الأموال يستغلون جهود وطاقات الناس فى سبيل الحصول على أكبر ربح ممكن ، فتتكدس الثروة فى أيدى عدد قليل من الناس يستمتعون بها ، ويستخدمونها سلاحا للسيطرة على مقاليد الحكم ، وإخضاع الدول الفقيرة لسياستهم ، كما تساعدهم على التحكم فى مصائر الشعوب فيخضعونها لرأيهم ، ويجبرونها على السير فى فلكهم ، وبذلك تصير أعنة السياسة

الدولية فى أيديهم يسيرونها إلى الاتجاه الذى يدر عليهم ربحا أكثر فيزداد ثراؤهم يوما بعد يوم ، بينما الشعوب الأخرى تئن من كثرة ما يلم بها من الأزمات الاقتصادية ، وتصرخ طالبة مد يد المساعدة ، فلا يجيبها أحد إلا بمقدار ما يعود عليه بنفع أكبر ، وعائد أوفر .

وحقيقة الأمر أن كلا منها قد أهدر حقوق الإنسان وأضاع كرامته والخلاف بينهما فى الوسائل ، فالدول الشرقية ذات نظام الحزب الواحد اتخذت السيطرة على وسائل الإنتاج فى الدولة أسلوبا لإخضاع الإنسان لرأى الحاكم ، وإجباره على الاستسلام لنظامه واتجاهاته بالإضافة إلى استعمال القوة المسلحة لإرهاب المعارضين ، وعقاب من يتجرأ فيرفع صوته بالشكوى ، أو يئن بصوت عال .

والدول الغربية ذات النظام الرأسمالى الحر ، فهو وإن أعطى الفرد شيئا من الحرية فى مجال التعبير عن الآراء والاتجاهات ، إلا أن معالمه تؤدى إلى عدم إمكانية ممارسة هذه الحرية فى الواقع العملى بطريقة مرضية ، إذ أن مصالح الإنسان ووسائل حصوله على لقمة العيش متداخلة مع النسيج الرأسمالى ، فلا يستطيع أن يتخلص منه ، ولا يقدر على التعبير عن رأيه بحرية كاملة . وإلا عصفت به مراكز القوى فى المؤسسات الاقتصادية التى تسيطر على مصادر رزقه ، فلا يستطيع الوصول إلى حقه إلا بعد أن تنهك قواه ، وقد تنهار عزيمته قبل الوصول إلى هذا الحق .

وعليه فإن حقوق الإنسان لدى كل منها غير مكفولة إلا لمن يملك القوة ، ويتمتع بالسلطان ، سواء كان وصوله إلى ذلك الوضع عن طريق السيطرة على مقاليد الحكم ، أو بواسطة نفوذ رأس المال وسيطرته على مصادر رزق الناس ومقدرات حياتهم ، ففى كل مجتمع طبقة مميزة على بقية الطبقات ، تتمتع بخيرات المجتمع ، ولا تسأل عما تقترفه فى سبيل ذلك من آثام فى حق الآخرين ، وبذلك ضاعت حقوق الإنسان ، فلا تسمع إلا فى وسائل الإعلام وأبواق الدعاية ، أما فى الواقع فلا تجد لها أثرا ، ولا ترى لها مثلا .

لم تهتد كل هذه الأنظمة إلى الأسلوب الصحيح فى تقرير حقوق الإنسان نظريا وعمليا ، لأنها من صنع البشر ، فليس لها من الجلال والقدسية على نفوس الناس مثل ما للأوامر الإلهية التى لها قدرة التأثير فى نفوس الناس مما يجعلهم ينفذون ماتدعو إليه دون أدنى معارضة ، ويخضعون لها دون تردد ، أو تمرد ، كذلك لم تنجح الأديان فى تحويل النصوص التى تتعلق بحماية حقوق الإنسان فى كتبها المقدسة إلى واقع عملى مثل ماحدث فى المجتمع الإسلامى ، فقد سوى الإسلام بين الناس كلهم فى الحقوق والواجبات ، ونفذ ذلك عمليا بين المسلمين ، يشهد بذلك :

ـ ما روى من أن أسامة بن زيد حين شفع فى المرأة المخزومية التى وجب عليها حد السرقة ، قال رسول الله ﷺ :

« أتشفع فى حد من حدود الله عز وجل ؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » . أخرجه البخارى .

ـ وقال أبوبكر فى أول خطبة له : « ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه » .

ـ وكتب عمر رضى الله عنه إلى عماله يقول : « اجعلوا الناس عندكم فى الحق سواء ، قريبهم لبعيدهم وبعيدهم لقريبهم ، إياكم والرشا ، والحكم بالهوى » .

بل إن غير المسلمين عاشوا فى المجتمع الإسلامى مكرمين ، لم يسلبهم أحد حقهم ، ولم يعتد على إنسانيتهم حاكم أو محكوم ، بل كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكان هذا أوضح مثل على تقرير حقوق الإنسان عمليا فى المجتمع الإسلامى ، فلم يكن امتلاك المال والجاه وسيلة لظلم الآخرين ، وسلبهم حقوقهم ، كما هو الحال فى النظام الرأسمالى ، ولم تكن القوة والسلطان طريقا للبطش بالآخرين وإذلالهم وانتقاص حريتهم وكرامتهم كما هو الحال فى النظم الديكتاتورية ، بل لكل حقه حتى ولو كان فى يد الخليفة ، وعلى كل واجب ينبغى عليه القيام به حتى ولو كان الأمير نفسه ، وبذلك شعرت النفوس باستقلالها وعزتها وسيادتها ، وعم العدل كل الطوائف فشعرت بالأمن والأمان والطمأنينة والاستقرار .

فلا تتحقق سعادة الشعوب برفع الشعارات ، وقوة صدى الدعايات ، ولا تنال طمأنينتها وأمنها بالوعود الكاذبة ، والأمانى الخادعة ، ولا تستقر حياتها على أساس تصورات وهمية ، أو تخيلات ذهنية ، وإنما تنال حقها فى الوجود ، وتشعر بذاتيتها وكينونتها فى الحياة ، وتحس ببقائها واستمرارها كلما زاد إحساس أفرادها بالعزة والكرامة ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا شعر الجميع بأواصر القربى بينهم ووشائج الصلة التى تربطهم ، فلا يظلمون أحدا لأنه جزء منهم ، ولا يقسون على أحد لأن إيذاءه يؤلمهم ، ولا يستغلون إنسانا مهما كان مركزه الاجتماعى وموطنه الجغرافى ، ولا يصمون آذانهم عن سماع آهات المعذبين وصرخات المحرومين ، بل يقدمون لهم المساعدة ، حتى لو اقتضى الأمر إعطاءهم شطر كسرة الخبز التى بأيديهم ، واقتسام الثوب الذى يقيهم برد الشتاء وحرارة الصيف .

ولن تشيع هذه الروح بين بنى الإنسان ، وتسود فى المجتمع البشرى إلا إذا اختفت الأنانية ، وقضى على التعصب القبلى والعرقى ، وطمرت نوازع تعالى الإنسان على أخيه ، وتوارت عصبية التكتلات ، ونزعة الاتجاهات المذهبية المدمرة ، فشعر الناس جميعا بوحدة الرباط الذى يحتم عليهم التعاون والتماسك أمام عواصف الدهر وتقلبات الأزمان .

ولا يوجد فى ساحة الفكر البشرى مايوقظ هذا الجانب ، أو يدعو إلى إزالة الفوارق بين المجتمعات ، ويعمل على إزالة الحواجز بين طبقات المجتمع الواحد ، بحيث يشعر الناس بأن وضعهم فى المجتمع لا يتحدد على أساس كثرة المال ، أو قوة العصبية ، أو اتساع النفوذ والسلطان :

– إذ تميل التكتلات الفكرية والمذهبية إلى احتقار من لا يؤمن بأفكارهم ويسير فى فلكهم ، ويسعى لنشر مبادئهم مما يدفعهم إلى الظلم والبطش بمن يعارضهم أو يناوئهم .

– ويشعر أصحاب المال باستعلائهم على من حرموا منه ، فينظرون إليهم من علٍ ، ويتعاملون معهم على أساس أنهم أقل درجة ، أو درجات ، وأحط شأنا فى المجتمع ، فلا ينبغى أن يتساووا معهم فى الحقوق ، وليس لهم الحق فى معاملة متكافئة فى السلوك الاجتماعى ، لأن درجتهم أقل ومركزهم الاجتماعى أدنى من درجات ومراكز من رفعتهم الثروة ، وانطلق بهم النفوذ المالى إلى أعلى .

– ويعتقد فريق آخر بالتمايز بين الناس على أساس اللون أو الدم ، فيتعالى الأبيض على الأسود ، ويفتخر من له عصبية قبلية تؤازره ، وتشد عضده على من لا عصبية له ، ولا سند له

من هذا النوع يسنده ، فيعيش بين القوم مهانا ذليلا ، ويمشى مطأطأ الرأس مكسور الجناح ، فلا ينال من الثمار إلا سواقطها ، ولا يحصل على شىء من الموائد إلا فتاتها ، ولا يتمتع بالاستمتاع بما سخره الله للإنسان إلا بما يجود به هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم مميزين على أساس اللون أو العصبية ، وليس له من الحرية إلا بما يسمح به أولئك الذين ملكوا السلطة والسلطان عن طريق الادعاء الكاذب بالفضل ، وتحريف سنة الله التى فطر الناس عليها ، ألا وهى أن الناس سواسية ، لافضل لأحد على آخر إلا بالعمل والإنتاج ، لا بالنسب والألوان ، ولا بالدم والأشكال .

وهكذا أصبحت المجتمعات البشرية مكبلة بأوهام المذاهب الفكرية ، وضلالات المادية العمياء ، وأسيرة التقاليد البالية ، والأعراف المجحفة ، والمسلمات الاجتماعية التى تسلب الإنسان حقه فى الحياة ، وتحرمه من أبسط الحقوق الإنسانية ، وتحرم عليه الاستمتاع بما سخره الله له .

ولا يعقل أن يتحول هذا الوضع بكلمات تلقى على مسامع الناس ، أو بمبادىء حزبية يتجمع المظلومون حولها ، ويجاهد الأحرار فى سبيل تحقيقها ، لأن تحول المجتمعات عن :

ـ التقاليد الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ .

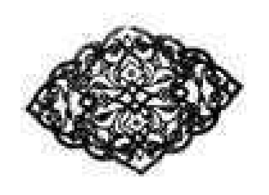
ـ والأعراف الثابتة فى الأذهان والعقول ثبوت الجبال الرواسى .

ـ والمسلمات المحصنة داخل الكثرة المؤمنة بها .

ليس بالأمر الهين .

فلا تستطيع مذاهب بشرية تغييرها ، ولا يمكن لسلطة مادية اقتلاعها مهما أوتيت من قوة وعزيمة ، بل لابد من عقيدة تسيطر على أرواح الناس ، وتهيمن على عواطفهم ، فتسيرهم إلى الطريق المستقيم ، حيث تختفى فيه هذه المظاهر اللاإنسانية ، وتتوارى إلى الأبد الممارسات التى تحط من كرامة الإنسان ، وتجعل تقييمه تابعا لموازين مادية ، ومقاييس اعتبارية خارجة عن ذاته ، وليست كل العقائد قادرة على هذا العمل ، فهناك من العقائد مااشتملت مبادئها على التمييز العنصرى ، ومنها ماتعصبت لمبادئها فاحتقرت من لا يؤمن بها ، بل طاردته وسلبته حق الحياة .

وعليه فليس فى تاريخ الفكر البشرى ، ولا فى ساحة العقائد الدينية مايصلح لمواجهة هذه الظواهر اللاإنسانية فى المجتمعات البشرية ، والقضاء عليها سوى الإسلام .



اختصاص البعض بالمال في الإسلام

ليس امتلاكا وإنما هو أمانة ومسئولية

للدكتور: محمد شوقي الفنجري

١. المالك الحقيقي للمال في الإسلام:

جاء الإسلام منذ أربعة عشر قرنا معلنا أن كل ما في يد البشر من مال هو ملك لله أصلاً : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ النجم - الآية ٣١ . وأن البشر مستخلفون فيه : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ الحديد - الآية ٧ . وأنه لا يجوز للبعض دون الآخر أن يستأثر بهذا المال ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ النور - الآية ٣٣ . كما لا يجوز أن يكون المال متداولا بين فئة قليلة من الناس ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر - الآية ٧ .

ولم يكن ذلك إلا تقريرا للواقع، فالله - تعالى - هو المالك الحقيقي للمال، فهو منشئه وخالقه، وهو واهبه ورازقه ، ولهذا نبه القرآن لهذه الحقيقة المنسية بتأكيد نسبة المال إلى مالكه الحقيقي ، وهو الله - تعالى - بقوله سبحانه : ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ النور - الآية ٣٣ . وقوله : ﴿ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ البقرة - الآية ٢٤٥ . وقوله : ﴿ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ آل عمران - الآية ١٨٠

وعلى الرغم من أن الله ـ تعالى ـ هو صاحب المال الحقيقى ، ومالكه الوحيد ، فقد أضاف المال إلى عباده بقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ النساء ـ الآية ٢٩ . وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾ المنافقون ـ الآية ٩ . وقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ التغابن ـ الآية ١٥ . وقوله : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ الهمزة ـ الآية ٣ . وقوله : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ المسد ـ الآية ٢ . وقوله : ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ الذاريات ـ الآية ١٩ .

فما ذلك إلا فضلا ، وتكريما لعباده ، وابتلاء وامتحانا لهم بما أنعم عليهم ، وليشعروا بمكانتهم عند الله ، وأنهم خلفاؤه فى أرضه ، ويحسوا بمسئوليتهم عما ملكهم إياه وائتمنهم عليه ، كالوالد يمنح ولده جزءا من ماله وملكه ليشعره بشخصيته ويدربه على الاستقلال بالتصرف ويختبره : هل كان عند حسن ظنه فأحسن التصرف ، أم انحرف وأساء السلوك ؟ ولله المثل الأعلى[1] .

بل إن الله ـ تعالى ـ ببالغ لطفه وكرمه ، ليستقرض من هذا المال الذى هو ماله وعطاؤه ويشتريه من عباده وهو صاحبه ، فضلا منه وبرا ، فيقول تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ البقرة ـ الآية ٢٥٤ . وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾

المزمل ـ الآية ٢٠

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ التوبة ـ الآية ١١١ .

أى اشترى منهم أنفسا هو الذى خلقها ، وأموالا هو الذى رزقها .

٢ ـ اختصاص البعض بالمال ليس امتلاكا ، وإنما أمانة ، ومسئولية :

وتوفيقا بين ملكية الله ـ تعالى ـ الحقيقية للمال ، وبين إضافة هذا المال إلى عباده ، واختصاص بعضهم دون غيره ، بالانتفاع به والتصرف فيه ، فقد صور وعبر القرآن الكريم عن ذلك بأدق تصوير وتعبير بأنه (استخلاف) بقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ الحديد ـ الآية ٧ .

فوضع المكتسب للمال هو وضع المستخلف ، أى : وضع الوكيل أو الأمين أو المستودع .

فالاستخلاف عام لكل البشر ، ولا يحصل الأفراد على حق الملكية الخاصة (الملكية الفردية) إلا مقابل عملهم ، ومن ثم يملكهم الشرع الإسلامى بالشروط التى يحددها . والمقصود بالملكية الفردية ، أو الخاصة ، هو ملكية الفرد ، بالنسبة للأفراد الآخرين ، أو قل ملكية الظاهر ، أو الملكية المجازية ، إذ المالك الحقيقى لكل شىء هو الله ـ تعالى ـ وهذه الملكية الفردية ليست ميزة ، وإنما هى أمانة يلتزم فيها بتعاليم الإسلام : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾

المؤمنون ـ الآية ٨ .

---

(١) انظر الدكتور يوسف القرضاوى ، فى كتابه (فقه الزكاة) ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧/١٩٧٧م لناشره مؤسسة الرسالة ببيروت ، صفحة ١٢٧ .

وهى مسئولية يحاسب عليها :
﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾
التكاثر - الآية ٨ .

ولقد أجمع الفقهاء القدامى على فكرة (الاستخلاف) ، وأن الملكية الخاصة أو الفردية هى فى الإسلام (أمانة) أو (وظيفة) . ومن ذلك ما يذكره الإمام الزمخشرى فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ الحديد - الآية ٧ .

فيقول (يعنى : أن الأموال التى فى أيديكم ، إنما هى أموال الله بخلقه وإنشائه ، وإنما مولكم إياها ، وخولكم الاستمتاع بها ، وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها ، فليست هى أموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب ، فأنفقوا منها فى سبيل الله . . وليهن عليكم الإنفاق منها ، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره)[٢] .

ويروى المؤرخ الخطيب فى مؤلفه تاريخ بغداد : « أن أبا حنيفة كان يجمع ربح التجارة عنده من سنة إلى سنة ، ثم يشترى بها حوائج الشيوخ والمحدثين من الكسوة والقوت وغيره ثم يدفع إليهم باقى الدنانير من الأرباح ويقول : أنفقوا فى حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله تعالى ، فإنى ما أعطيتكم من مالى شيئا ولكن من فضل الله على » .

٣ - الملكية فى الإسلام مجرد وظيفة شرعية :

وإذا كانت حيازة المال فى الإسلام ليست امتلاكا ، وإنما هى أمانة ، أو وديعة يحاسب عليها المرء . فهى والحال كذلك ، ليست إلا مجرد (وظيفة شرعية) أو هى بلغة اليوم (وظيفة اجتماعية) .

وليس أدل على ذلك من أن الملكية الفردية فى الإسلام ليست ملكية مطلقة ، بل هى ملكية مقيدة ، ليس فحسب من حيث اكتسابها ومجالاتها ، بل أساسا من حيث استعمالها ، مما لا نجد له مثلا فى أى من التشريعات الوضعية ، وبحيث يحيلها بحق إلى أمانة ومسئولية ، ومجرد وظيفة اجتماعية ، ومن قبيل ذلك : إن المسلم لا يستطيع أن يكنز ماله ، أو يحبسه عن التداول ، أو الإنتاج لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ التوبة - الآية ٣٤ .

وهو لا يستطيع أن يصرفه على غير مقتضى العقل وإلا حق الحجر عليه للسفه لقوله تعالى :
﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾
النساء الآية ٥ .

وهو لا يملك أن يعيش عيشة مترفة لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾
هود - الآية ١١٦ .

وهو مطالب دائما بأن ينفق كل مازاد على حاجته فى سبيل الله سواء فى صورة إنفاق مباشر على المحتاجين أو فى صورة استثمارات تعود بالنفع على المجتمع لقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة - الآية ١٩٥ .

البقية ص ٢٥٥

(٢) انظر الإمام الزمخشرى فى تفسيره الكشاف ، جزء ... ص ٤٣٤ .

المسئولية العربية والإسلامية

في ظل التعنت الإسرائيلي

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد *

الوحدة العربية والإسلامية أضحت ضرورة ملحة لمواجهة التحديات التي تواجه أمتنا الإسلامية، ففيها القوة والعزة والمنعة، لاسيما ونحن نعيش عصر التكتلات والأحلاف بين الدول غير المنسجمة في الشرق والغرب، وآخرها توحيد عملة «اليورو» بين دول الاتحاد الأوروبي بعد أن تكاملت اقتصادياً.

وليس من شك أن المسلمين وقد تجاوزوا المليار مسلم هم الأجدر - بإسلامهم - بهذه الوحدة والتكتل، ولكننا في وقت من الأوقات أبينا إلا الافتراق والاختلاف وعدم التجمع على كلمة سواء، فماذا جنينا؟

تقدم غيرنا، أما نحن فقد تأخرنا على الرغم مما أفاء الله به علينا من مقومات التقدم وأسباب العزة والمنعة، وهي جميعا بأرضنا، بل تحت أقدامنا.

وقد كانت هناك نواة في آخر مؤتمر إسلامي[1]، وآخر قمة عربية[2] يمكن أن تزيد روابط الأمة العربية والإسلامية حتى النهاية.

---

* مدرس الصحافة بكلية الآداب - جامعة المنصورة

(1) المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة في ربيع الأول ١٤١٧ هـ - يوليو ١٩٩٦ م.

(2) مؤتمر القمة العربية المنعقد بالقاهرة في صفر ١٤١٧ هـ - يونيو ١٩٩٦ م

وكم كان المؤتمران مهمين من أجل لم الشمل العربي وإزالة الخلافات ، وها هما قد خرجا بالفعل برسالة واضحة إلى العالم تقول : إن الأمة العربية والإسلامية قد شرعت في إنهاء مرحلة التمزق وعملت على تجميع كلمتها .

كذلك كان من أهم نتائج « القمة العربية » المؤخرة أنها أوقفتنا على حقيقة الوضع الراهن لأحوال العرب والمسلمين ، وفتحت عيوننا على حقيقة التحديات التي تواجه أمتنا بأبعادها المختلفة .

تلك التحديات التي لم تفارق أمتنا في الماضي متمثلة في : الحروب الصليبية والغزو المغولي وسقوط الأندلس .

وفي الحاضر متمثلة في الاستشراق ، والعلمانية ، والحركات الهدامة داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، وانسلاخ كثير من الشباب عن الصدور عن قوميته ، فإذا هو طامح إلى الغرب بكل مافيه من مسوخ الإنسانية .

ولعل ما يزيد من خطر المسئولية هو : إدراك حجم المخططات الساعية لمسخ شخصية الأمة ، وتشويه صورة إسلامها وتبديد طاقتها وثرواتها وتذويب ثقافتها .

حصاد المؤتمر الأخير :

وقد جاء مؤتمر القمة العربية الذي عقد مؤخراً بالقاهرة تلبية للدعوة الكريمة التي وجهتها مصر إلى ملوك ورؤساء الدول العربية ، استجابة لآمال وتطلعات الأمة العربية ، وإيماناً بالمصير الواحد ، واستناداً إلى روابط الأخوة العربية .

وفي ضوء دقة المرحلة التي تمر بها عملية السلام في الشرق الأوسط .

ومن ثم اجتمع القادة العرب لتدارس الأوضاع المستجدة في المنطقة ، وإحياء العمل العربي المشترك ، وتكثيف التشاور والتنسيق والتعاون العربي وتدعيم فعاليته ، سعيا لاستنهاض الأمة ، ولم شملها ، وبناء التضامن العربي باعتباره السبيل إلى توظيف طاقات الأمة العربية لحماية مصالحها ، واستعادة حقوقها المغتصبة ، وتعزيز الجهود الرامية إلى تحقيق سلام عادل وشامل في الشرق الأوسط .

وانطلاقا من المسئولية القومية أكد القادة العرب أن تحقيق السلام الشامل والعادل في الشرق الأوسط يستوجب :

انسحاب إسرائيل الكامل من كافة الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس العربية ، وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة بعاصمتها « القدس العربية » ، وذلك باعتبار القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع العربي الإسرائيلي .

كذلك الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الجولان السوري إلى خط الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، والانسحاب الإسرائيلي الكامل غير المشروط إلى الحدود المعترف بها دوليا ، وذلك تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ٤٢٥ ، ومبدأ الأرض مقابل السلام .

قرارات الشرعية الدولية :

وعلى هذه الأسس تبنت القمة العربية استئناف المفاوضات على كافة المسارات بدون إبطاء ، لتحقيق السلام العادل والشامل في ظل الشرعية الدولية ، وقد استوجب ذلك التزاما مقابلا تؤكده

إسرائيل بجدية ، وبدون مواربة ، والعمل من أجل استكمال مسيرة السلام ؛ بما يعيد الحقوق والأراضى المحتلة ، ويضمن الأمن المتوازن والمتكافئ لجميع دول المنطقة وفقا للمبادىء التى اتفق عليها فى مؤتمر مدريد .

وأكد القادة العرب أن أى إخلال من جانب إسرائيل بهذه المبادىء والأسس ، التى قامت عليها عملية السلام ، أو تراجع عن الالتزامات والتعهدات والاتفاقات التى تم التوصل إليها فى إطار هذه المسيرة ، أو المماطلة فى تنفيذها من شأنه أن يؤدى إلى انتكاسة عملية السلام بكل مايحمله ذلك من مخاطر وتداعيات تعود بالمنطقة إلى دوامة التوتر ، مما يضطر الدول العربية كافة إلى إعادة النظر فى الخطوات المتخذة تجاه إسرائيل فى إطار عملية السلام ، الأمر الذى تتحمل معه الحكومة الإسرائيلية وحدها المسئولية الكاملة عنه .

كذلك تمسك المؤتمر بقرارات الشرعية الدولية التى تقضى بعدم الاعتراف أو القبول بأية أوضاع تنجم عن النشاط الاستيطانى الإسرائيلى فى الأراضى العربية المحتلة باعتباره إجراء غير مشروع لا يرتب حقا ولا ينشىء التزاما ، واعتبار إقامة المستوطنات واستقدام مستوطنين إليها يشكل خرقا لاتفاقيات « جنيف ومدريد » وتعويقا لعملية السلام ، مما يتطلب وقف كافة الأنشطة الاستيطانية الإسرائيلية فى الجولان السورى المحتل ، والأراضى الفلسطينية المحتلة ، خاصة القدس وإزالة مابها من مستوطنات .

ومما أكده القادة العرب فى هذا المؤتمر رفضهم تغيير معالم القدس العربية ، ووضعها القانونى ، وتشديدهم على أن تحقيق السلام الشامل والعادل فى الشرق الأوسط لا يكون إلا بحل قضية القدس ، وتسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ؛ استناداً إلى حقهم فى العودة على أساس الشرعية الدولية ، وقرارات الأمم المتحدة ؛ تلك الشرعية وتلك القرارات التى لا يزال العرب والمسلمون يثقون فى جديتها ؛ رغبة فى تحقيق السلام والأمن المتوازن فى الشرق الأوسط .

الدور المصرى والعربى والإسلامى :

ولا تزال مصر بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك تضطلع برسالتها وتواصل المشاورات المكثفة والاجتماعات مع الدول العربية والإسلامية لمتابعة تنفيذ ما اتخذ من قرارات ، وللتعامل مع المستجدات التى تواجه الأمة العربية والإسلامية فى محاولات جادة ودءوبة من أجل الوصول إلى تسوية سلمية عادلة على أساس الشرعية الدولية .

وفى الجانب الآخر وبعد خمسين عاما من الصراع العربى الإسرائيلى ، فإن من ينظر إلى مسيرة السلام وموقفها المتعثر لابد أن يرد السبب إلى التعنت الإسرائيلى المتمد ، ثم أتى بعد ذلك آخر رئيس لوزراء إسرائيل وهو يصر على نقض المواثيق وعدم الأخذ بقرارات الأمم المتحدة ، متشبثا بموقفه الرافض مهما توسط البعض لتخفيف هذا الموقف ، وأصبحت عملية السلام أشبه بدعوة لقبول الأمر الواقع الذى يفرضه الإسرائيليون . والواقع أنه منذ تولى حكومة « نتانياهو » للسلطة فى إسرائيل منذ عامين أوقفت مسيرة السلام على جميع المسارات الفلسطينية والسورية واللبنانية ، وسارعت بإغراق أراضى الضفة الغربية وغزة بالمستعمرات وعملت على تهويد القدس العربية ، وفصلها عن الضفة الغربية ، ولم تبال بمظاهرات الغضب التى اندلعت

فى الأراضى الفلسطينية ، واستمرت فى بناء مستعمرة جبل أبو غنيم جنوب القدس لفصلها عن بيت لحم والخليل .

كما افتتحت يوم ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٩٦ نفق البراق الممتد أسفل الحرم القدسى الشريف مما يهدد المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وباقى المبانى الإسلامية هناك دون اكتراث بأى احتجاج عربى أو دولى .

إن الدول العربية والإسلامية ، وهى بصدد الإعداد لعقد قمة عربية ، مطالبة بالتعامل مع جميع القوى العالمية ، على أساس موقف هذه القوى من قضايانا ، وفى مقدمتها : قضية القدس ، وعلى إسرائيل أن تدرك أن « الغضب يولد الانفجار » .. وأن العرب والمسلمين وهم يشاهدون هذه المأساة تدور أمام أعينهم ، وفوق أراضيهم ، لن يقفوا مكتوفى الأيدى إلى الأبد .

ولينصرن الله من ينصره .

الإيمان أساس البنيان: بنية،

يؤذونه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه إلىّ !!

إن كل ما فى الإنسان من نبل وفضل ومروءة وسخاء وعفة وإباء وتضحية وفداء وصدق وأمانة : وفضائل وشمائل : كل ذلك مستمد من الإيمان بالله رب العالمين القائل فى كتابه الكريم :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ (الجمعة : الآية ٢) .

كانوا فى ضلال مبين يوم كانوا يئدون البنات ويعبدون الأصنام والأوثان ويتقاتلون لأتفه الأسباب ويتفاخرون بالأحساب والأنساب ، فلما جاء الإسلام هذبهم بهديه ورباهم وأدبهم ورقاهم فرفع شأنهم وأعلى قدرهم فكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم .

وهذا عمر بن الخطاب ذهب مغاضبا إلى أخته ليقتلها لأنها أسلمت فلما مست الآيات (من سورة طه) قلبه أشرق نور الإيمان فى قلبه فقال : دلونى على محمد فأسلم بين يديه ، فأعز الله به الإسلام وأعزه الله بالإسلام فكان الخليفة العادل القدوة للحاكمين .

عمر هذا يخرج يتفقد أحوال الرعية ليلا والناس نيام فيسمع امرأة تقول لبنتها قومى يابنية فاخلطى اللبن بالماء (لنبيعه) فتقول البنت لأمها أن عمر أمر مناديا ينادى ألا يخلط اللبن بالماء فتقول أمها ، إن عمر نائم لا يرانا ، فتقول البنت المؤمنة : إذا نامت عين عمر فإن عين الله لا تنام !! سمع عمر ذلك وفى الصباح بعث بمن يجىء إليه بها فقال لها : أنت التى كنت تقولين كذا وكذا لأمك ليلا ؟ قالت : نعم ؛ إن الله لا تأخذه سنة ولانوم ، قال لها عمر : ألك بعل . قالت : لا . قال : إنى أريد أن أزوجك بابنى عاصم أفتقبلين . قالت : نعم ، وزوجها بابنه عاصم فكانت جدة سيدنا عمر بن عبد العزيز الذى ملأ الأرض عدلا وأمنا وسلاما .

إن تقوى الله تنفع الذرية وتعمر الديار ، والله يتولى الصالحين .

الضوابط الشرعية

لقضاء الأجازة الصيفية

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

تقدمة : - يظل المسلم الحق ثابتاً على مبادئه ، وفياً لدينه وعقيدته ، معتزا بأصالته وشخصيته ، متمسكا بإسلامه مقيماً لشعائره ، فخوراً بشرائعه ، داعياً إلى سبيله . لايحده عن القيام برسالته زمان دون زمان . ولايحول بينه وبين تحقيق عبوديته لربه مكان دون آخر ، فمحياه كله لله ، وأعماله كلها لله ، تقوده نيته الطيبة ، وقصده الخيّر ، الهدى مطيته ، والرشد غايته ، والصراط المستقيم مسعاه ، قد تسلح بالقيم السليمة ، وادّرع بالمبادىء والفضائل والمثل ، فهو فى حصن منيع لاتؤثر فيه العواصف ، ولو كانت هوجا ، ويستند إلى دستور قويم ، وسلوك حكيم . يقول الله جل وعلا :

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الآيات من ١٦١ إلى ١٦٣ سورة الأنعام)

وسلمان الفارسى يلخص ويختزل ما اختزن من جوهر الإيمان فى قول يضىء على مدى الأيام ، فيقول : « إنى لأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى » .

فحيثما كان المسلم وحل ، وأينما وجد وارتحل ، فإنه يجعل التقوى شعاره ، وطاعة الله دثاره فى سره وعلانيته ، وعسره ويسره ، ومنشطه ومكرهه ، وحضره وسفره ، وفراغه

وشغله ، فى الشدة والرخاء ، والبأساء والضراء والأفراح والأتراح . تقول هذا تقدمة لتحليل ظاهرة خطيرة لايلقى لها الكثيرون بالاً ، ألا وهى كيفية قضاء العطلات خصوصاً الطويلة منها . فمن الظواهر الاجتماعية الخطيرة التى تستحق العرض والمساءلة ، والبحث والمناقشة بكل هدوء وموضوعية ، وعلى مستوى التأصيل والمنهجية ، ما يحدث فى هذه الأيام من كل عام حين تشتد حرارة الصيف ، ويلقى بسمومه اللافح على بعض أقطار المعمورة مما يحمل بعض الناس على الهروب إلى المصائف والمتنزهات والفرار إلى الشواطىء والمتجعات ، والعزم على السفر والسياحة وإيثار الرحلات ، يوافق ذلك فراغ من الشواغل ، وتمتع بإجازة صيفية يقضيها الأولاد بعد عناء عام دراسى كامل . وحيث إن كثيراً من الناس أعد برامج لشغل أجازاتهم ، وقضاء وقت فراغهم وحزم حقائب السفر ، وتوجه بحراً وبراً وجواً ، يحمل أمتعة الترحال إلى هنا وهناك ، يطيب لنا أن نضع هذه القضية على ميزان الشرع ونعرضها على كتاب الله ، وسنة رسوله ـ ﷺ ـ مع التركيز على واقع بعض الناس فى ذلك وبيان الآثار السلبية عند غياب الضوابط الشرعية ، وذلك فى النقاط التالية .

أولاً : مهمة الإنسان فى هذه الحياة هى عبادة الله ؛ مستغلاً فى سبيل تحقيقها كل ما أفاء الله عليه ، بعدم الغفلة عن الله طرفة عين . قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الآية ٥٦ سورة الذاريات) .

وهى عبادة تشمل الإخلاص فى الفعل والقول ، وقد بين ربنا تباركت أسماؤه الهدف منها بقوله :

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

(الآية ٢ الملك) .

ثانيا : إن الوقت هو الحياة ، ومن هنا قال الشاعر :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

فالواجب استغلاله فى مرضاة الله ، وشغله بطاعته ، سبحانه واستثماره فى النافع من الأمور قدر المستطاع ، إذ لايستوى من يملؤه بالطاعة مع من يدنسه بالمعصية قال تعالى :

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾

(القلم ٣٥) .

ويقول أيضاً

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾

(الآية ٢٨ سورة ص) .

لاشك أن البون شاسع بين قوم أحيوا الله فأحيوا أوقاتهم بالعبادة والعمل المثمر ، وآخرين ذهلوا عن الحقيقة فقتلوا أوقاتهم باللهو والملاذ التافهة .

ثالثاً : ـ الفراغ نعمة جُلّى من نعم الله ، لاينبغى التوانى عن شغله بكل وسيلة شرعية ؛ من تعلم العلم النافع والعبادة فى مفهومها الواسع أو على الأقل بممارسة الأمور المباحة شرعا وعدم مزاولة ماحرم من الأنشطة ، ففى

الحلال غنية عن الحرام . عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » . رواه البخارى . وقال ـ ﷺ ـ « اغتنم خمساً قبل خمس » . وعد منها : « وفراغك قبل شغلك » . وكم كان الفراغ سبباً فى الانحراف والفساد عند عدم استغلاله ، فهو نعمة لاريب فى ذلك ، لكن إذا انكب صاحبه على المعصية ، وانهمك فى الفسوق كان نقمة وبلاء ، ولذلك يقول الشاعر :

إن الفراغ والشباب والجده
مفسدة للمرء أى مفسده

«ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل » .

رابعاً : إن الإسلام لايحظر على اتباعه أن يروحوا عن أنفسهم ، أو يدخلوا السرور على أهليهم وأولادهم ، وأن يتمتعوا بالوسائل المباحة فى ذلك شرعاً . فالترفيه البرىء والترويح المباح لا غضاضة على الإنسان فيه ، بل قد يكون مطلوباً أحيانا لأغراض شرعية ، يحكم كل ذلك خصلتان : الإسراف المقيت والكبر والخيلاء . فعن أبى ربعى حنظلة بن الربيع الأسيدى الكاتب ، أحد كتاب رسول الله ـ ﷺ ـ قال : لقينى أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ـ ﷺ ـ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ـ ﷺ ـ عافسنا(*) الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً . قال أبوبكر ـ رضى الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت : نافق حنظلة يارسول الله ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ وما ذاك ؟ قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ « والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ماتكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فروشكم ، وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات » رواه مسلم .

وأما إن كان جنى الوقت إضعاف الإيمان وزعزعة العقيدة وخلخلة الثوابت وخدش الفضيلة والوقوع فى الرذيلة ودفن الأخلاق والقيم والمثل فالمسلم مطالب بالبعد عن ذلك كل البعد .

خامساً : إن السفر فى الإسلام لا بأس فيه . بينٌ ذلك الشاعر العربى فى بعض أبيات منها قوله :

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه
وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقوف الماء يفسده
إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة
لملها الناس من عجم ومن عرب

(*) عافسنا : ـ لاعبنا

لكن للسفر فى الإسلام حدوداً مرعية وضوابط شرعية ، أهمها أن يكون لبلاد تسودها القيم ، أما إن كان إلى بقاع موبوءة ومستنقعات محمومة ، وأماكن مشبوهة فهو مرفوض ، ما لم تكن هناك ضرورة تدعو إلى ذلك . ولم يستثن أهل العلم من ذلك إلا من خرج لعلم لايوجد فى بلاد الإسلام ، أو لضرورة كعلاج ونحوه أو الدعوة إلى الله على بصيرة مع القدرة على المحافظة على شعائر الإسلام والاستمساك بأهداب الشرع الشريف ، إذ هل يعقل أن يلقى الحمل الوديع فى غابات الوحوش الكاسرة والسباع الضارية والذئاب المفترسة ؟!

سادساً : إنه ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أعداء الإسلام والمسلمين يستهدفون بنى الإسلام من السائحين للإيقاع بهم وسلاحهم المضاء فى ذلك أن يبهروهم عن طريق الغزو الفكرى المتمثل فى الانحلال الخلقى السائد لدى بلاد الغرب ناهيك عن ابتزازهم اقتصادياً واستنزافهم خلقياً وجرهم رويداً رويدا إلى مواطن الخنا والفجور والمخدرات والخمور فيرجع بعضهم ، وقد تنكر لدينه مزدرياً لمجتمعه وبلاده وأمته ، ودليلنا على ذلك إحصاءات تفغر فاها صارخة مولولة عن أعداد كبيرة سقطت فرائس مرضى الهربز والإيدز ، وكانت صيداً سهلاً لعصابات تروج للمسكرات والمخدرات ، والكلمة التى نهمس بها فى أذن كل مسافر هى : قبل أن ترفع قدمك فكر أين تضعها ؟ فلا مانع أن تسافر بقصد الخير والفضيلة والدعوة والإصلاح ، وأن نكون ممثلين لبلادنا الإسلامية ، وسفراء خير يظهرون دينهم ، داعين إلى مبادئه السمحة فى عالم يتخبط بحثاً عن دين يكفل له الحرية والسلام والأمن والاطمئنان ، ولن يجد ذلك إلا فى ظلال الإسلام الوارفة . ولنا هنا أيضاً وقفة مع بعض الممارسات التى تعمد إليها بعض الشركات السياحية من الدعوة إلى السفر لبلاد موبوءة مستغلة فى ذلك « تزويق » إعلاناتها بدعاية مزركشة ، وإعلانات مزخرفة ظاهرها الرحمة ، وباطنها العذاب بقصد الإثراء السريع ، والربح العاجل ، وهو مسلك ملفوظ ، ولهؤلاء نتلو متدبرين قول الله ـ عز وجل : ـ

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(الآية ١٠٠ سورة المائدة) .

سابعاً : الشباب من الأبناء والبنات هم ثمرات الفؤاد ، وفلذات الأكباد ، فلابد من إحسان تربيتهم ، ويتحقق ذلك : بشغل أوقاتهم بأنشطة متوازنة . فهذه الأشهر التى يمرون بها فى خلو من المشاغل الدراسية النظامية ، يمكن لأولياء أمورهم استثمارها فى برامج حافلة تكسبهم المهارات وتنمى لديهم القدرات وترسخ إيمانهم ، وتصقل مواهبهم وأفكارهم ، وتثرى ثقافاتهم . والبرامج الهادفة كثيرة ـ ولله الفضل والمنة ـ وعلى رأسها حفظ كتاب الله ـ عز وجل ـ واستظهار شىء من سنة رسول الله ـ ﷺ ـ وتعلم العلم وكثرة القراءة فى كتب أعلام الإسلام الموثقين قديماً وحديثاً

والاطلاع على السير والتواريخ والآداب ونحوها وإدخال السرور على الأبناء والبنات بالذهاب بهم إلى بيت الله الحرام فى عمرة ، أو إلى مسجد رسول الله - ﷺ - فى زيارة ، أو إلى أحد المصائف التى يأمن فيها الإنسان على دينه وخلقه وعاداته وتقاليده الإسلامية . يضاف إلى ذلك جانب آخر يمكن أن يسد فراغاً كبيراً ألا وهو تعلم الحرف والمهن المفيدة لهم ، والتحاقهم بالدورات العلمية والتدريبية والمهنية التى يقوم عليها الأكفاء ، ونخص هنا تعلم اللغات المختلفة ، والحاسوب ، والآلة الكاتبة فى عصر انفجار المعلومات ، وثورة المعرفة ، ومما يسر المسلم أن تشغل العطلات والراحات بالزيجات للبنين والبنات ملتزمين فى أفراحنا وأتراحنا منهج الإسلام فى عدم الخروج عن تعاليمه إسرافاً وبذخاً فى الحفلات ، ومغالاة فى المهور ، والتكاليف الباهظة فى كل شىء . كما ينبغى الحظر من منكرات تقع من بعض قليل الديانة وضعفاء العقيدة هداهم الله .

ثامناً : - إن شغل الوقت بالرياضة أمر مفروغ منه لكن التركيز على جانب واحد هو المرفوض ، فكرة القدم مثلاً يمكن أن تكون ذات خطر شديد على مخ الإنسان وهذا هو الجرم الحقيقى لها ، والذى أثبته الباحثون مؤخراً فى جامعة هلسنكى عاصمة فنلندا ، والذين قاموا بأخذ صور الرنين المغناطيسى لخمسة عشر شخصاً من محترفى لعب كرة القدم ، وقد انهمك كل منهم فى تدريب زاد على خمس مرات فى الأسبوع وامتد لسنين عديدة . وقد اكتشف الباحثون أن أحد عشر لاعباً من المجموعة موضع البحث ، والذين كانوا يفضلون تعمد إصابة الكرة برؤوسهم ، هؤلاء قد نشأت لديهم بقع صغيرة فى المخ بدت أكثر لمعاناً فى صور الرنين المغناطيسى . وقال الباحثون إن هذه البقع تمثل تلوياً فى الأنسجة أو قرحاً وفراغات امتلأت بالسوائل وتتشكل عند انهيار أنسجة المخ الناشىء عن عدوى بالرأس . وأما الطاعنون فى السن ومن هم فى منتصف العمر فقد ارتبطت هذه البقع لديهم بميل قليل إلى ضعف القدرات المعرفية على أقل تقدير ، وينهى الباحثون الفنلنديون كشفهم الخطير بالقول إنهم لايعرفون بشكل محدد النتائج التى تنتظر اليافعين والأشبال من المهووسين بكرة القدم على المدى البعيد ، فهلا كان فى ذلك تحذير ولفت للوى الطاقات إلى كل أنواع الرياضات ، وألا يركزوا على لعبة بعينها مدّعين لها شعبية وانتشاراً ليس غير الأوهام موجدها وما سوى الخيال مرسخها فى أذهان من المفترض أن تكون ذخراً للأمة ورصيداً للبلاد .

تاسعاً : أن يعلم العبد أنه مراقب من قبل الله - عز وجل - فى كل ما يأتى ويذر قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : آية ١) .

وليعلم العبد أن شدة الحر فى هذه الدنيا يجب أن تذكر بالآخرة ، وشدة الحر من فيح جهنم ، فهل تذكرنا ونحن منهمكون فى أمور دنيانا هذه النار ، فعملنا على الأخذ بأسباب الوقاية منها .

وأخيراً وليس آخرا فإن المسلم المغتبط بإسلامه وإيمانه المرتبط بإخوانه المسلمين يندمج مع إخوانه فى العقيدة ويتذكر أحوالهم ومآسيهم ، لاسيما الذين يعيشون حياة القتل والتشريد والتنكيل والاضطهاد . وسؤال نوجهه إلى كل مسلم ذاق حلاوة الإيمان ، هو : هل من الإحساس بشعور إخوانك إهمال قضاياهم ؟ أين الأحاسيس المرهفة والمشاعر الفياضة ؟ أالناس يفكرون فى أحوال المشردين من المسلمين وتتقطع أكبادهم حسرة على

التفريط فى مقدسات المسلمين وما يمر به المسجد الأقصى المبارك وما تضج به فلسطين السليبة الجريحة - لاسيما فى هذه الأيام - وآخرون انحصرت أفكارهم فى كيفية قضاء إجازاتهم ؟ أبلاد تجرى فيها الدماء أنهاراً ، وبلاد لايتوقف فيها الغناء ليلاً ولا نهاراً ، ولقد هز مسامع الغيورين وأجف مآقى المسلمين ما أقدم عليه الصهاينة المجرمون من استفزاز صارخ وتحد سافر لمشاعر المسلمين ، وذلك عن طريق ما يضع من منشورات مغرضة ، ورسوم ساخرة تنال من الإسلام ونبى الإسلام - عليه الصلاة والسلام - بل ومن دستور المسلمين ، فأين المسلمون وأين قادتهم وزعماؤهم من اتخاذ المواقف الجريئة إزاء هذه الجريمة النكراء ؟ لقد تمادى القوم ولابد لنا معهم من وقفة عمرية ، وغضبة مضرية وزأرة صلاحية ، ونخوة معتصمية : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج / ٤٠)

وبعد فإن ما قدمنا من ضوابط هدفه وجوهره التحذير الشديد مما أصيبت به هذه الأمة فى هذا العصر من تفشى الاتجاه السلبى ، وغَلَبَة الفكر الهامشى ، الذى طغى على كثير من الجوانب مما أفرز أجيالاً تسىء فهم الإسلام على حقيقته ، وتجعل للوثات الفكر المنحرف رواجاً فى تكوين شخصيتها فى انهزامية ظاهرة وتبعية لبهرج التغريب والتفرنج المنتشر فى بعض صفوف المسلمين مع شديد الأسف لايتواءم أبداً مع عزة المسلم وكرامته .

والخلاصة :

حيثما تستمسك الأمة بالعروة الوثقى تصلح أمورها فى الدنيا وتسعد فى الدارين ، وتتلاشى عن مجتمعاتها الظواهر المخالفة لدينها .

وإن هى فرطت فى إسلامها وأرخت الزمام لأجيالها يخبطون خبط عشواء فى كل فكر دخيل ، ومنهج هزيل وانفتاح على العالم دون ضوابط لتفشت بينها الظواهر المؤذنة بانهيارها ، وهو أمر فى حاجة ماسة أن يتصدى له الغيورون عليها ، والمهتمون بشئونها وأوضاعها الراهنة .

ومن الله الهدى والهداية

عالمية الإسلام واستمراريته - بقية

الأرض جميعاً بصفة الإسلام ، فكل من اتصف بهذه الصفة من غابر الناس وحاضرهم هو مسلم ، ويكون مسلماً كل من سيتحلى بها فى المستقبل »[٢٩] .

فالكلمة إذن بمدلولها وغايتها عامة شاملة ، تتسع لماضى الناس وحاضرهم ومستقبلهم كما اتسعت نبوات الأنبياء جميعاً ، ولم تتخذ صفة الانتساب لأحدهم دون الآخر .

والإسلام بلغة القرآن : ليس اسما لدين خاص ، إنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء[٣٠] .

« يتبع »

(٢٩) أبو الأعلى المودودى ، مبادىء الإسلام ، ص : ٣ - ٤ ، ط. المكتب الإسلامى ببيروت ، محمد الراوى ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص : ٧٥ .

(٣٠) محمد الراوى ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص : ٧٥ .



عبر القرون

إعداد الأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

هذا الباب محاولة لرصد أحداث هامة فى تاريخ أمتنا الإسلامية وقعت فى أشهر العام الهجرى ، وهى محاولة لن تخلو من قصور لأسباب عدة أهمها : أن المصادر التاريخية فى بعض الأحيان تغفل تماماً تحديد الشهر ، وتكتفى بتحديد السنة التى وقع فيها الحادث وهو أمر ألجأ كثيراً من الباحثين إلى تجاهل تحديد اليوم والشهر الذى وقع فيه الحادث اكتفاء بتحديد سنة وقوعه فقط .

وإذا كانت المصادر القديمة أغفلت تحديد البعض ، فإن المصادر التى أرخت لوقائع وأحداث العالم الإسلامى اعتباراً من القرن العاشر الهجرى تكاد تتجاهل كلية تحديد شهر وقوع الحادث مكتفية بتحديد السنة ، اللهم إلا بعض الوقائع هنا وهناك .

لذا نستميح القارىء العذر وندعوه معنا إلى متابعة عملنا وتزويده بما يسد أوجه القصور فيه إن أمكن ، والله المستعان .

● فى صفر من العام الثانى للهجرة ، غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غزوة الأبواء ، وسار حتى بلغ (ودّان) بين مكة والمدينة ، فوادع بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة مع سيدهم (مخشى بن عمرو) ثم كر راجعا إلى المدينة ولم يلق حربا ، وكان استخلف عليها سعد ابن عبادة - رضى الله عنه -[1] .

● وفيه من العام الرابع للهجرة بعث رسول الله

(١) ابن كثير ، الفصول فى اختصار سيرة الرسول ، تحقيق : محمد العيد الخطراوى ، محيى الدين مستو ص ١٠٨ - ط مؤسسة علوم القرآن دار القلم ، دمشق - بيروت ١٤٠٠ هـ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى (عضل والقارة) يسؤالهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك حين قدموا عليه وذكروا أن فيهم إسلاما ، فبعث إليهم نفرا من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ، وأمَّر عليهم (مرثد بن أبي مرثد الغنوى) فلما كانوا بالرجيع ـ وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز بـ (الهدأة) ـ غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هذيلا ، فجاءوا فأحاطوا بهم ، فقتلوا عامتهم ، واستأسروا منهم خبيب بن عدى ، ورجلا آخر هو (زيد بن الدثِنَّة) فذهبوا بهما فباعوهما بمكة[1] .

● وفيه من العام الرابع للهجرة ، بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى سبعين رجلا من صحابته يعلمون أهل بئر معونة القرآن ، وذلك أن (أبا البراء عامر بن مالك) قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة فدعاه إلى الإسلام ، فلم يسلم ولم يبعد ، ولكنه أشار على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يرسل إلى أهل نجد من يدعوهم إلى الإسلام ، على أن يكون جارا لهم ، فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عددا من صحابته وأمر عليهم (المنذر بن عمرو) فنهضوا فنزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر ، وحرة بنى سليم ، ثم بعثوا منها (حرام بن ملحان) أخا أم سليم بكتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى عدو الله (عامر بن الطفيل) فلم ينظر فيه ، وأمر به فقتله رجل ضربه بحربة ، فى حين غدر بنو سليم ببقية الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فقتلوهم عن آخرهم إلا كعب بن زيد من بنى النجار .[2]

● وفيه من عام ١٢ هـ انتصر خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ على الفرس فى معركة (المذار) على الشاطىء الشرقى لنهر دجلة بالعراق ، وقتل من الفرس فى هذه المعركة ثلاثون ألفاً ، فى مقدمتهم (قارن بن قريانس) قائد جيش الفرس ، و (أنوشجان) قائد ميسرتهم ، و (قباذ) قائد الميمنة[3] .

● وفى ٢٢ من صفر عام ١٢ هـ أحرز خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ نصرا جديدا على الفرس فكان له دوى هائل ، وذلك فى معركة أليس ، واقتتل الفريقان قتالا شديدا ، حتى شق الأمر على المسلمين ، فنذر خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ « اللهم إن لك علىّ إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقى منهم أحدا قدرنا عليه ، حتى أجرى نهرهم بدمائهم ، فلما انهزم الفرس ، نادى خالد فى الناس : « الأسر الأسر . . لا تقتلوا إلا من امتنع » ، وأقبلت خيل المسلمين تسوق أفواجا من الأسرى ، فجمعهم خالد ، وقد حبس الماء عن النهر ، وضرب أعناق الأسرى فيه ، والنهر لا يجرى دما ، حتى أشار (القعقاع بن عمرو التميمى) على خالد أن يرسل الماء فى النهر على ماجف بأرضه من الدماء ، وحتى يبر بيمينه ، فلما فعل جرى ماء النهر أحمر قانيا ، وبلغ قتلى الفرس ومن حالفهم من العرب فى هذه المعركة سبعين ألفا[4] .

◆

---

(١) المصدر السابق صـ ١٣٦ .
(٢) المصدر السابق صـ ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٣) الطبرى تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ /٧ المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦/ ٣٨٨ ط دار الفكر العربى بالقاهرة .
(٤) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ٤/ ٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦/ ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

● وفيه من عام ١٢ هـ واصل خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ انتصاراته بالعراق حيث ألحق بجيوش الفرس هزيمة جديدة فى معركة (أمغيشيا) عقب انتصاره فى (أليس) وعندما بلغ أبو بكر الصديق خبر هذا النصر قال : « . . . يامعشر قريش . . أعجزت النساء أن ينشئوا مثل خالد »[1] .

● وفيه من عام ١٦ هـ سقطت مدينتا (بهرسير) و (المدائن) الفارسيتان فى أيدى جيوش المسلمين بقيادة سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ سقطت فى البداية (بهرسير) بعد قتال عنيف استمر عدة أشهر وذلك عقب الانتصار المدوى على الفرس فى القادسية ، وكانت (بهر آخر معاقل الفرس قبل (المدائن) ، التى أخلاها الفرس بالفعل بعد أن تأكدوا من حتمية سقوطها ، فتحولت المدائن إلى مدينة مفتوحة أمام جيوش المسلمين ، حيث سار فيها سعد بن أبى وقاص مع جيوشه يجوبون طرقاتها الخاوية لا يعترضهم أحد حتى وصلوا إلى إيوان كسرى درة الديار الفارسية ورمز عزها ومركز قوتها وسطوتها ، فأقبل سعد يقرأ قوله تبارك وتعالى :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ ﴾[2]

● وفيه من عام ٣٧ هـ اجتمع الحكمان : عمرو بن العاص مفوضا عن معاوية بن أبى سفيان ، وأبو موسى الأشعرى مفوضا عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وذلك سعيا وراء حل الخلاف الذى دب بين معاوية وعلى وقادهما إلى الحرب فى وقعة صفين ، وكتب الحكمان صحيفة تضمنت قبول الفريقين المتنازعين تحكيم كتاب الله ، وأن يحيى الحكمان ما أحيا القرآن ولا يتبعان الهوى ، ولا يداهنان ، وتحديد مكان اجتماعهما ، وتأمينهما على أنفسهما وأموالهما[3] .

● وفى أول صفر من عام ٧٦ هـ ، خرج الخوارج الصفرية ، وعلى رأسهم (صالح بن مسرح التميمى) من الموصل والجزيرة وانضم إليه (شبيب بن يزيد الشيبانى) مع نفر من أتباعه ، وكان هذا فى عهد الخليفة الأموى (عبد الله بن مروان) فلما بلغ أمير الجزيرة (محمد بن مروان) خروجهم بعث إليه ببعض جنده فهزمهم الخوارج ، ثم التقى الفريقان مرة أخرى فى (آمد) على الشاطىء الأيسر من نهر دجلة حيث دار بينهما قتال عنيف ، لم يستطع جند (صالح بن مسرح) احتماله ، فتركوا أرض الجزيرة وتقدموا إلى نواحى الكوفة ، وهناك علم (الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق) بأمرهم ، فأرسل إليهم جيشا تمكن من إحراز النصر على الخوارج ، وقتل أميرهم (صالح بن مسرح) الذى التف أصحابه حول (شبيب بن زيد الشيبانى) وبايعوه[4] .

● وفى أول صفر سنة ١٢٢ هـ خرج (زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على) على الخليفة الأموى (هشام بن عبد الملك) داعيا

(١) الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ـ ١١/٤ .
(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ١٦٩ ، ١٧٨ .
(٣) المسعودى مروج الذهب ومعادن الجوهر ١٩٣٨/١ ط القاهرة ٢٧٣/٢
(٤) الطبرى - تاريخ الأمم والملوك . ٢٢٢/٢١٧/٧ .

لنفسه بالخلافة ، بعد أن بلغ عدد من بايعه في الكوفة وحدها أربعين ألفا ، ودعا أصحابه للخروج معه ، فلم يستجب لدعوته سوى مائتين وثمانية عشر رجلا ، واشتبك (زيد) مع جند الشام في عدة معارك كان النصر حليفه في بعضها أول الأمر ، لكنه منى أخيراً بالهزيمة وقتل[1] .

● وفي منتصف صفر من عام ٢٠٤ هـ دخل الخليفة العباسي (المأمون بن هارون الرشيد) بغداد بعد أن بويع بالخلافة وهو بـ (الري) مدة ست سنوات تقريبا عقب مصرع شقيقه الأمين في ٢٥ من المحرم سنة ١٩٨ هـ .[2]

● وفيه من عام ٢١٠ هـ أرغمت جيوش الخليفة العباسي (المأمون) (نصر من شبث) الذي شق عصا الطاعة على الاستسلام ، وسيق إلى بغداد ، وكان متعصبا للأمين وينقم على المأمون ؛ لاتخاذه الخراسانيين دون العرب أنصارا له ، وتغلب نصر في البداية على ما جاوره من البلاد ، وشايعه كثير من العرب ، وفشل (طاهر بن الحسين) والى خراسان وقائد جيوش المأمون في التغلب عليه فعزله المأمون وولى بدلا منه : (عبد الله بن طاهر بن الحسين) الذي قبض في النهاية على نصر بن شبث .[3] .

● وفيه من عام ٣٣٨ هـ وصل إلى قرطبة رسل الامبراطور البيزنطي (قسطنطين السابع) في عهد الخليفة الأموي (عبد الرحمن الناصر) يحملون هدايا نفيسة بهدف تقوية العلاقات مع الدولة الأموية بالأندلس التي بلغت في عهد الناصر ذروة الازدهار السياسي والاقتصادي فهابه الملوك في أوروبا ، ومدوا إليه يد الطاعة وسعوا إلى مهادنته وكسب مرضاته[4] .

● وفي ٣ من صفر سنة ٤٨٤ هـ استولى الأمير (سيرى بن أبي بكر اللمتونى) على مدينة قرطبة من صاحبها : (المأمون بن المعتمد بن عباد) وكان (يوسف بن تاشفين) أمير المرابطين بالمغرب قد كلف (سيرى بن أبي بكر) بإخضاع الإمارات الإسلامية في الأندلس لحكم المرابطين[5] .

● وفيه من عام ٥٦٤ هـ دخل الصليبيون بقيادة (عمورى) ملك بيت المقدس مدينة (بلبيس) المصرية ، ولم يبقوا على أحد من أهلها شبانا وشيبا ، ذكورا وإناثا [6]

● وفي ٢٧ من صفر سنة ٥٨٩ هـ توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين بدمشق[7] .

● وفي ١٥ من صفر سنة ٦٠٩ هـ لقي المسلمون في الأندلس هزيمة مؤلمة ، حيث ألحق (الفونس) ملك أسبانيا هزيمة مروعة بجيوش المسلمين التي قادها (الناصر لدين الله الموحدي) عند حصن (العقاب) وانسحب الناصر ، تاركا وراءه مئات الآلاف من القتلى ، وتعتبر هذه الموقعة نذيرا بنهاية قوة المسلمين بالمغرب والأندلس على السواء ، بل وسقطت الدولة الموحدية نفسها بعد ذلك سنة ٦٦٧ هـ ولم تقم لها قائمة [8]

---

(١) المصدر السابق ٢٧١/٨ ، ٢٧٩ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٥٠/١٠ .
(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٦٣/١٠ ، ٢٦٤
(٤) المقرى ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ٣٤٣/١ القاهرة ١٩٤٩ .
(٥) ابن أبي زرع ، أبو الحسن على ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ٦٩/٢ ، ٧٧ ط ١٩٣٦
(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٣٦/١١ ـ ط القاهرة ، ١٢٩٠هـ
(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢/١٣ ، ٣ .
(٨) المراكشي ، عبد الواحد ، كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٣٢٢ القاهرة ١٩٤٩ .

● وفى ٢١ من صفر سنة ٦٤٧ هـ احتل (لويس التاسع) ملك فرنسا بجيوشه ثغر (دمياط) فى بداية حملته الصليبية على مصر ، بعد أن انسحب منها الجيش المصرى بقيادة الأمير (فخر الدين يوسف بن الشيخ مقدم العسكر) بلا مبرر ، إثر شائعة سرت تؤكد وفاة سلطان مصر نجم الدين أيوب .[١].

● وفى ١٦ من صفر عام ٩٦٠ هـ شهدت القسطنطينية حاضرة الدولة العثمانية توقيع معاهدة تحالف عسكرى بين السلطان العثمانى (سليمان القانونى) ، و (هنرى الثانى) ملك فرنسا ، ضد شارل الخامس امبراطور أسبانيا وألمانيا ، وكان (هنرى الثانى) قد سعى بقوة نحو توقيع هذه المعاهدة حتى يستفيد من قوة الأسطول العثمانى الضاربة فى مواجهة شارل الخامس ، كما رأى فيها السلطان سليمان القانونى فرصة لمواصلة فتوحاته فى أوروبا وبمعونة أوروبية - أيضاً - حيث نصت المعاهدة صراحة على أن أى مدينة أو قرية تتغلب عليها القوات العثمانية خلال الحرب تكون ملكا للدولة العثمانية[٢] .

● وفى ٢٠ من صفر سنة ٩٧٤ هـ توفى السلطان العثمانى (سليمان القانونى) وخلفه فى الحكم ابنه (سليم الثانى) .[٣]

● وفى ٢٥ من صفر سنة ١٠٤٥ هـ تمكن السلطان العثمانى مراد الرابع من فتح مدينة (أريوان - yere van) شمال غرب إيران[٤] .

● وفى ٢٥ من صفر سنة ١٠٧٤ هـ سقطت قلعة (نوهزل - Nevhäusel) النمساوية فى يد القوات العثمانية فى عهد السلطان العثمانى (محمد الرابع) بعد حصار دام ستة أسابيع فقط ، واضطربت أوروبا بأجمعها لهول هذا الخبر ، حيث ترتب على سقوط هذه القلعة انتشار القوات العثمانية فى عدد من المدن النمساوية فى مقدمتها (موراڤيا - Moravie شرق (بوهيميا) و(سيلزيا - Silésie) وسط أوروبا ، واضطر (ليوبولد) امبراطور النمسا لطلب معونة ملك فرنسا لمواجهة الانتصارات العثمانية[٥] .

● وفى ١٢ من صفر سنة ١١٠٧ هـ هاجم السلطان العثمانى (مصطفى الثانى) بلاد المجر ، واستولى على حصن (لبا) وألحق هزيمة هائلة بجيوش المجر فى معركة (لجوس) جنوبى غربى رومانيا ، وقتل فى هذه المعركة ستة آلاف جندى مجرى .[٦]

● وفى ٧ من صفر سنة ١٢١٣ هـ دخل (نابليون بونابرت) قائد الحملة الفرنسية على مصر مدينة القاهرة بعد أن ألحق بالمماليك هزيمة حاسمة فى معركة إمبابة ، وأبدى المماليك شجاعة فائقة فى القتال ، ولكنهم اضطروا فى النهاية إلى الفرار .[٧]

---

(١) المقريزى . السلوك لمعرفة دول الملوك تعليق الدكتور محمد مصطفى زيادة . جـ ١ القسم الثانى صـ ٣٣٥ ، دار الكتب المصرية ١٩٤٢ .
(٢) محمد فريد . تاريخ الدولة العلية العثمانية . ٢٤٢ ، ٢٤٥ تحقيق : د/إحسان حقى . ط ١٩٨٣ دار النفائس بيروت .
(٣) المصدر السابق صـ ٢٥١ .
(٤) المصدر السابق صـ ٢٨٤ .
(٥) المصدر السابق صـ ٢٩٤ : ٢٩٦ .
(٦) المصدر السابق صـ ٣٠٨ ، ٣٠٩
(٧) الجبرتى . تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . ١٨٤/٢ ، ١٩٢ ط دار الجيل - بيروت .

● وفيه من عام ١٢١٤ هـ نزلت القوات العثمانية بأبي قير وتمكنت من الاستيلاء على قلعتها ، فسار إليهم (بونابرت) على رأس جيوشه من القاهرة فألحق بهم هزيمة ساحقة وأسر قائد الجيش العثماني (مصطفى باشا)(١) .

● وفي ١٦ من صفر عام ١٢١٦ هـ تم توقيع اتفاق بين قوات الحملة الفرنسية بمصر ، وبين القوات العثمانية والإنجليزية ، تنسحب بمقتضاه القوات الفرنسية من مصر ، وقام (بليار) الحاكم الفرنسي على القاهرة بإجلاء قوات الحملة بكامل أسلحتها من القاهرة إلى رشيد تحت حراسة قوات إنجليزية وعثمانية .(٢) .

● وفي ٥ من صفر عام ١٢٢٦ هـ أباد (محمد علي باشا) والي مصر المماليك فيما يعرف في التاريخ الحديث باسم (مذبحة القلعة) وفيها أعد محمد علي حفلا بمناسبة خروج ابنه (طوسون) إلى الجزيرة العربية لمحاربة الوهابيين ، وما أن دخل قادة المماليك إلى القلعة حتى تم إغلاق أبوابها وأطلقت عليهم البنادق من خلف الأسوار ومن أعلاها ، وتتبع جنود محمد علي كل من تخلف عن الحضور بالقتل في سائر أنحاء البلاد(٣) .

● وفي ٢٨ من صفر عام ١٢٤٢ هـ اضطرت الدولة العثمانية إلى التصديق على معاهدة (آق كرمان) مع روسيا تحت ضغط الدول الأوروبية : انجلترا ، والنمسا ، وبروسيا ، وفرنسا ، وكان الهدف الرئيسي للمعاهدة إيقاف الحرب في بلاد اليونان والمعروفة باسم (حرب المورة) التي ثار فيها اليونانيون على الحكم العثماني ، ولم تتدخل الدول الأوروبية إلا عندما وجدت الدولة العثمانية على وشك إخضاع بلاد اليونان ، وكان غريبا ألا تتضمن المعاهدة شيئاً عن اليونان لإتاحة الفرصة لليونانيين مستقبلا ! لإعادة الثورة وإنما هدفت المعاهدة إلى تدعيم روسيا في مواجهة الدولة العثمانية حيث جعلت للسفن الروسية حق الملاحة في البحر الأسود دون أن يكون للدولة العثمانية أي اعتراض رغم مرور هذه السفن أمام سواحلها ، كذلك جعلت اختيار حكام ولايتي (الأفلاق) و(البغدان) الخاضعتين للحكم العثماني بموافقة الدولتين معا وعدم جواز عزلها إلا بموافقتهما معا ، كما انتزعت هذه المعاهدة إقليم (الصرب) من الدولة العثمانية ومنحته حق الاستقلال .(٤)

● في ٢٦ من صفر سنة ١٢٤٤ هـ بدأت القوات المصرية بقيادة (إبراهيم باشا) ابن (محمد علي) والي مصر انسحابها من بلاد اليونان بعد أن كادت تنجح في القضاء على ثورتها تماما وإخضاعها للحكم العثماني إلا أن تدخل الدول الأوروبية الكبرى إلى جانب ثوار اليونان حال دون ذلك ، بل وتعرض الأسطول المصري للتدمير في معركة نوارين البحرية ٢٨ من ربيع الأول ١٢٤٣ هـ فأصدر محمد علي باشا أوامره بانسحاب القوات المصرية من اليونان .(٥)

---

(١) المصدر السابق صـ ٢/ ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٢) المصدر السابق صـ ٢/ ٤٦٦ ; ٤٧٨ ، محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، صـ ٣٧٨ .
(٣) المرجع السابق صـ ٤٠٧ .
(٤) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، صـ ٤١٦ ، ٤١٧ .
(٥) المصدر السابق صـ ٤٢٦ ، ٤٢٨ .

● وفى ١٠ من صفر سنة ١٢٤٨ هـ انتصرت القوات المصرية بقيادة (إبراهيم باشا) على قوات السلطان العثمانى (محمود الثانى) فى الشام واستولى على (حلب) بعد أن كان قد استولى على (عكا) فى ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٢٤٧ هـ وذلك خلال الصراع الذى نشب بين محمد على باشا والى مصر ، وبين الدولة العثمانية حيث سعى محمد على إلى التوسع على حساب أملاك الدولة العثمانية فى الشام ، الأمر الذى دفع السلطان العثمانى إلى إعلان عصيان محمد على الذى كاد ينجح فى إسقاط الدولة العثمانية نفسها لولا تكتل الدول الأوروبية ضد طموحاته حتى لا تظهر فى العالم الإسلامى دولة قوية تحل محل الدولة العثمانية الضعيفة بل والمنهارة تماما .(١)

● وفى ٢٨ من صفر سنة ١٢٧٠ هـ انقض الأسطول الحربى الروسى على الأسطول الحربى العثمانى فى البحر الأسود ودمره تماما فى معركة (سينوب) على الرغم من سابق التعهد الروسى بعدم الإتيان بأى عمل عدائى فى البحر الأسود .(٢)

● وفى ٨ من صفر سنة ١٣٣٣ هـ كتب (السير آرثر هنرى مكماهون) نائب ملك بريطانيا فى مصر إلى (الشريف حسين) شريف مكة ، فى إطار المراسلات المشهورة فى التاريخ الحديث باسم (مراسلات الحسين / مكماهون) تلك المراسلات التى هدفت بالدرجة الأولى إلى ضمان تأييد العرب لبريطانيا وحلفائها خلال الحرب العالمية الأولى ضد تركيا وألمانيا ، وبوجه عام حملت المراسلات وعودا بريطانية براقة للعرب بشأن استقلالهم فى دولة كبرى يحكمها الشريف حسين ، وجاء فى افتتاح هذه الرسالة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى صاحب الأصالة والرفعة ، وشرف المحتد ، سلالة بيت النبوة ، والحسب الطاهر ، والنسب الفاخر ، دولة الشريف المعظم السيد حسين بن على أمير مكة المكرمة قبلة الإسلام والمسلمين أدامه الله فى رفعة وعلاء . . . » وجاء فيها أيضاً : « . . تلقيت . . تأكيداتكم أن العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وغيره من السادة الخلفاء الأولين ، تلك التعاليم التى تضمن حقوق كل الأديان وامتيازاتها على السواء . . . » ولم ينس مكماهون فى نهاية رسالته المصاغة بلغة عربية رصينة أن يذيل الرسالة بتاريخ تحريرها الهجرى : « تحريرا فى ٨ صفر ١٣٣٣ هـ »(٣) .

● وفى ٢٥ من صفر سنة ١٣٣٤ هـ كتب (الشريف حسين) شريف مكة رسالة إلى (السير : آرثر هنرى مكماهون) نائب ملك بريطانيا فى مصر يعترض فيها على الوجود الفرنسى فى بيروت وسواحلها ، بشكل قد يؤدى إلى فصلها عن سوريا ، وقال : « . . . إن جوارهم لنا سيكون جرثومة للمشاكل والمناقشات التى لا يمكن معها استقرار الحالة ، عدا أن البيروتيين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال . . وعليه يستحيل إمكان أى تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبرا من أراضى تلك الجهات . . . »(٤) .

---

(١) المصدر السابق صـ ٤٤٨ : ٤٥٠ .
(٢) المصدر السابق صـ ٤٩٨ .
(٣) دائرة الثقافة / منظمة التحرير الفلسطينية ، وثائق فلسطين ، صـ ٥٩ ، ٦٠ ط ١٩٨٧ .
(٤) المصدر السابق صـ ٦١ ، ٦٢ .

● وفيه من عام ١٣٣٦ هـ كتب وزير خارجية بريطانيا (آرثر جيمس بلفور) إلى (اللورد روتشيلد) أحد أقطاب الصهيونية العالمية رسالة هذا نصها :

« وزارة الخارجية

في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧

عزيزي اللورد روتشيلد :

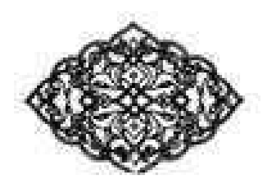
يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية ، وقد عُرض على الوزارة وأقرته :

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جليا أنه لن يُؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى .

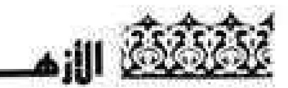
وسأكون ممتنا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علما بهذا التصريح .

المخلص : آرثر بلفور »[1]

وهكذا جعل بلفور من السكان العرب الأصليين مجرد طوائف لها حقوق مدنية ودينية ، وفصلهم تماما عن اليهود الذين صاروا بفضل هذا التصريح ، أو الوعد أصحاب حق في أرض اغتصبها الإنجليز من العرب ، فكان وعدا ممن لا يملك لمن لا يستحق .



(١) وثائق فلسطين صـ ٨٤ ، ٨٥ ، أما التاريخ الهجري فهو نقلا عن : حلة ، محمد علي ، دكتور ، جهود الأزهر الشريف في دعم القضية لفلسطين والقدس الشريف ، ملحق مجلة الأزهر صـ ٢ ربيع الآخر ١٤١٨ هـ .



﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء



لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد / محمد أحمد أبو المجد يقول فيه :

ما الحكم فى رجل رمى الجمرات كلها مرة واحدة وهو لا يدرى وكان مفتى عليه ، وإذا كان عليه هدى هل يذبح بمصر أو بالسعودية ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فنفيد بأن رمى الجمار واجب من واجبات الحج ينجبر بالدم وهو رمى الجمرة الكبرى يوم العيد بسبع حصيات والجمرات الثلاث ثانى يوم وثالث يوم الأضحى وهى أيام التشريق الثلاثة .

﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة : ٢٠٣) .

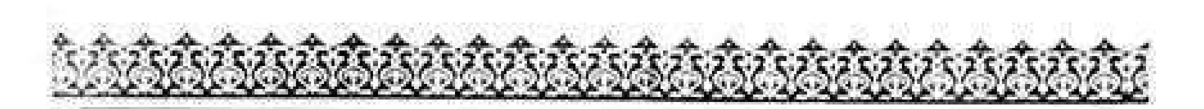
فمن فاته هذا الواجب عليه هدى ومكان ذبح الهدى فى مكة أو منى ، ولا يصح أن يكون فى مصر فيجب على هذا السائل أن يوكل من يذبح له فى العام المقبل ، وإذا لم يجد أحدا فليذهب إلى البنك الأهلى أو بنك مصر ويضع ثمن الهدى فى حساب بنك الراجحى للأضحية ، وهم ينيبون عنه من يقوم بهذه العملية والله ولى التوفيق

سؤال مقدم من السيد / عبد الشكور إسلام من الاتحاد السوفيتى يقول فيه :

ما مدى مشروعية هدم وتفريغ وإعادة تجهيز مقابر المسلمين لتتسع لموتى آخرين ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فنفيد بأنه يجوز



هدم وإعادة مقابر المسلمين للضرورة أو لمنفعة المقابر نفسها أو المسلمين كأن تكون آيلة للسقوط أو عمتها المياه ، فيجوز هدمها بشرط أن تجمع العظام التي بها وتوضع في أكياس وتنقل إلى المقبرة الجديدة ، وفي هذه الحالة يجوز هدم وإعادة تجهيز مقابر المسلمين لتتسع لدفن عدد أكبر من الموتى حيث إن الأرض المخصصة للمقابر ضيقة ، مع ملاحظة احترام جثث وعظام الموتى السابقين ووضعها في أكياس مخصوصة وتدفن مرة أخرى هذا والله أعلم .

السؤال من السيد / أ . ح

سيدة تبلغ من العمر ثمانين عاما وترغب في بيع ما تملك لأبناء شقيقتها البنات وذلك بغرض حرمان أبناء العم العصب فهل هذا جائز شرعا . وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد بأنه إذا كان الغرض من بيع ممتلكاتها هو حرمان أبناء العم فهذا يعد حراما شرعا . أما إذا كانت تريد بيع ممتلكاتها لحاجتها فلا مانع ويجب على هذه السيدة أن تترك ما لها للتقسيم الإلهي وهذا هو أفضل والله تعالى أعلم.

سؤال مقدم من السيد / محمد غسان محمود أقبيق توفى مسلم عن : زوجة غير مسلمة ، وإخوة وأخوات أشقاء مسلمين فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد فنفيد بأن الزوجة غير المسلمة لا ميراث لها في زوجها المسلم وتؤول تركة المسلم لإخوانه وأخواته الأشقاء تعصيبا لأنهم مسلمون فتقسم عليهم التركة للذكر ضعف الأنثى هذا إذا كان الحال كما ذكر في السؤال والله أعلم .

سؤال مقدم من السيد / محروس أبوالعينين السيد يقول فيه :

ما الحكم لو قال لزوجته : إذا الموضوع تم تحرمى على مثل أمى وأختى وهو لا يعلم معنى الظهار ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد :

فنفيد بأنه إن تم المحلوف عليه فيقع عليه الظهار ويلزمه الكفارة وهى إطعام ستين مسكينا ، هذا إذا كان الحال كما ذكر في السؤال والله أعلم .

السؤال من السيد / الحاج عبد العظيم محمد عمر يقول فيه :

رجل يقول في أثناء الصلاة :ـ حسبنا الله ونعم الوكيل فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأنه يجب على المسلم ألا يتحدث أثناء الصلاة وإذا تحدث أثناء الصلاة بطلت صلاته . أما إذا كان يتحدث قبل دخوله في الصلاة فلا يصح حتى لا يشوش على المصلين والله تعالى أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

"جواب مسكت"

قال أبو العيناء قلت لأحمد بن أبي داود : إن قوما تضافروا علىّ ، فقال :

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ سورة الفتح آية (١٠)

قلت : إنهم عدد وأنا واحد ، فقال :

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾

سورة البقرة آية (٢٤٩)

قلت : إن للقوم مكرا ، فقال :

﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾

سورة فاطر آية (٤٣)

"ولا يغتب بعضكم بعضاً"

أضاف إبراهيم بن أدهم أناسا فلما جلسوا للطعام أخذوا في الغيبة فقال لهم إبراهيم : إن من قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم أكلتم اللحم قبل الخبز .

"الدين .. والدنيا"

من نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره .

"محدث مرح"

كان أحد المحدثين على دعابة :

خرج إلى طلبته يوما فقال لهم : لولا أن أخرجني من البيت من هو أبغض إلىّ منكم ما خرجت .

"لحن الأمير فلحنت"

قال الحجاج للشعبي ، وقد دخل عليه : كم عطاءك يا شعبي ؟

فقال الشعبي : ألفين يا أمير المؤمنين .
قال الحجاج : ويحك كم عطاؤك ؟
فقال الشعبي : ألفان يا أمير المؤمنين .
قال الحجاج : فلم لحنت لأول مرة فيما لا يلحن فيه مثلك ؟ فقلت : ألفين ؟
فقال الشعبي : لحن الأمير فلحنت ، وأعرب فأعربت ، ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه ، فأكون كالمقرع له بلحنه ، والمستطيل عليه بفضل القول قبله .

"الاستدلال بالضمير على الضمير"

كتب حكيم إلى حكيم إذا أردت معرفة ما لك عندي فضع يدك على صدرك فكما تجدني كذلك أجدك ، وقالوا : إياكم ومن تبغضه قلوبكم فإن القلوب تجازي القلوب وقال ذو الإصبع :

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم
ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

وقال محمود الوراق :

لا تسألن المرء عما عنده
واستملِ ما في قلبه من قلبكا
إن كان بغضا كان عندك مثله
أو كان حبا فاز منك بحبكا

"فكن أنت"

شهد حسن البصري جنازة ، فقال لصاحبه وهو يجاوره :
أترى لو رجع للدنيا لعمل صالحا ؟
فقال صاحبه : نعم ، نعم !!
فقال حسن البصري .
فإن لم يكن هو فكن أنت .

"والموعد القيامة"

حبس الحجاج بن يوسف رجلا ووضعه في السجن ظلما ، فكتب الرجل إليه رقعة فيها ؛ قد مضى من بأسنا أيام ، ومن نعيمك أيام ؛ والموعد القيامة والسجن جهنم ، والحاكم لا يحتاج إلى بينة . وكتب في آخرها :

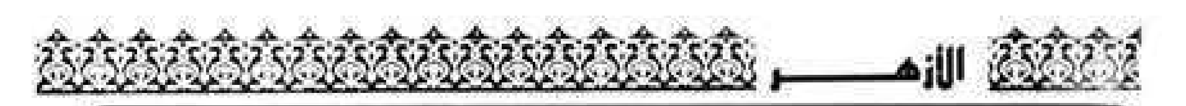
ستعلم ياغشوم إذا التقينا
غدا عند الإله من الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم

"ما بال فمك معوجًا"

وقف أعرابي مشوه الفم على أحد الولاة وأنشده قصيدة في الثناء عليه التماسا للمكافأة ، ولكن الوالي لم يأمر بأي مكافأة ، ولم يكفه هذا فسأله ما بال فمك معوجاً ؟
فقال الأعرابي : لعله عقاب من الله .
فعاد الوالي يسأله : ولأي شيء عاقبك ؟
فقال : لكثرة ما كذبت عليه بالثناء بالباطل على بعض الناس .

"دعاء"

نسأل الله بما يقضي الرضى
حسبي الله بما شاء قضى
قد أردنا فأبى الله لنا
وأراد الله شيئا فمضى



من أعلام الأزهــر الشــريف

الدكتور محمد حسين الذهبى

باحث موسوعى ملتزم ٢

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

من آفة التأليف المعاصر أن بعض الدارسين يضيق ذرعا بفضل سابقه ، فهو يشرب من نبعه ، ويرد مورده صريحاً لامرية فى استقائه ، ثم ينكر أى ذكر له ، وكأنه لم يسمع به ، وما درى أنه لو صح أنه لم يسمع به لعد ذلك قصورا فى بحثه العلمى الذى يستوجب أن يعود الباحث إلى ما قيل من قبل ، وما ضره لو اعترف بما قرأ ونهل ، ورجع بالفضل إلى صاحبه ! هذا ما وجدته لدى بعض من كتب فى تاريخ التفسير وتجاهل كتابا يعد أوفى مرجع فى بابه ! وكأنه لم يعلم عنه شيئاً ! وأشد من هذا نكرا من يقرأ الكتاب ثم يهتدى بأفكاره ويستضىء بمراجعه ، ويذكره فى مصادره المعتمدة ، ولكنه يختلق الاعتراضات اختلاقاً حوله كى يهون من شأنه أمام القارىء ، ويصبح هو صاحب المصدر المعتمد ! فمرة يزعم أن كتابا يشمل تاريخ التفسير من بدء نشأته إلى يومنا هذا لا يمكن أن يكون ذا بحث دقيق ، وقد نسى أن أكثر مؤرخى الأدب من المستشرقين ، وكذلك من سار على منوالهم من كتاب التاريخ السياسى ، يتحدثون عن جميع العصور فتترجم بحوثهم وتصبح أحد المصادر على اتساعها الممتد ، إذ ليس الشأن شأن امتداد الساحة ، ولكنه شأن اليقظة إلى التيارات الهامة فى سير العلم المبحوث ، ولعل أغرب ما وجه لموسوعة الشيخ الذهبى أنها فى حديثها عن التفسير المعاصر لم تذكر الألوان الفنية التى اتجه إليها التفسير الأدبى ، وقد نسى الناقد أن الكتاب رسالة علمية قدمها صاحبها إلى كلية الشريعة ، ولم يتقدم بها إلى كلية اللغة أو كلية الآداب أو دار العلوم ! ثم إن المؤلف انتهى من كتابه سنة ١٩٤٥ ، وهو زمن لم يشتهر به ما يعنيه الكاتب من وجوب رصد التيارات الفنيّة ، فهل كان على المؤلف أن ينتظر حتى تتمخض الأيام عن آراء فنيّة لها من الخطأ أكثر مما لها من الصواب ، ثم يرسل البرق الصاخب مباركاً كل اتجاه فنى طريف على أن مما يهون الأمر فى ذلك كله أن موسوعة الشيخ الذهبى قد أصبحت لدى الأصلاء من الدارسين المصدر



الأول فى موضوعها وأن تجاهلها يفضح المتجاهل ولاينقص مثقال ذرة من فضل صاحبها الجليل ، ولو كان المجال ذا سعة لأفضت فى تعداد ما اهتدى إليه الذهبى من صائب الآراء فى ميدانه الجديد ، ولكن الكتاب ذائع الصيت منتشر الفضل ، وذيوعه المستفيض دليل الحاجة إليه ، وما بعده من دليل .

فإذا تركنا ما قال الشيخ فى موسوعة (التفسير والمفسرون) فإننا ننتقل إلى حديث قريب من موضوعها أبدع فيه الباحث أحسن إبداع حين تحدث فى بحث مستفيض عن الإسرائيليات فى تفسير القرآن والحديث ، وقد قلت إن هذا الحديث قريب من موضوع الموسوعة القرآنية ، لأنه يصدر عن مشكاتها موضحا ما أبهم مفصلا ما أجمل ، وهو مؤلف دعت إليه الضرورة العلمية إذ جاهر قوم باصطفاء الدخيل المشبوه مما جمعه بعض المفسرين . وعرف لدى الدارسين باسم الإسرائيليات ، ومن أصحاب الفن الروائى من عمد إلى بعض هذه المفتريات فجعل منها قصة أدبية بطلها النبى المرسل ! وكأن ما افتراه أصحاب هذه الأساطير حق لا شك فيه . فوجب أن يسلط الضوء على هذه المفتريات ، ومَنْ أدل بتوهين عناصرها ، ونسف تهاويلها من باحث درس كتب التفسير ، وكتب فى تحليلها عن ثقة واقتدار . .

لقد دعا المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الدكتور الذهبى لكتابة بحث عن (الإسرائيليات فى الحديث والتفسير) ، فكان عند الظن به حين قدم بحثا شاملا فى أكثر من مائتى صفحة مستوفاة ، وقد طبعه المجمع فى كتاب مستقل ، حيث كشف جديدا من فنون البحث ، وقدم صائبا من الاقتراحات الناجعة .



الدكتور محمد حسين الذهبى

وإذا كانت جلسات الاستماع فى المؤتمر لا تتحمل البحوث الإضافية فقد جرت العادة أن يقوم كل باحث بإلقاء خلاصة شافية لدقائق بحثه ، وهو ما فعله الدكتور الذهبى حين لخص حديثه فى نقاط هامة ، فأبان لنا أن بحثه ينحصر فى مقدمة وخاتمة بينها ثلاثة فصول ، فالمقدمة توضح علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية والخاتمة بين ما يجب أن يلتزم به المفسر بالنسبة للروايات الإسرائيلية ، أما الفصل الأول فخاص ببيان معنى الإسرائيليات وكيف تسربت إلى التفسير والحديث ومدى خطورتها على عقائد المسلمين ، وأما الفصل الثانى فيفصل أقسام الإسرائيليات وحكم روايتها ، وأشهر رواتها ، وفى الفصل الثالث أمثلة لما تضمنه بعض كتب الحديث والتفسير من هذه الإسرائيليات ، ومن المهم أن نشير إلى بعض الحديث فى هذا البحث فنص على رفضه الحاسم لاعتذار بعض العلماء حين يبررون ما يسرقونه من هذه الأراجيف ، فيقول قائل إن المفسر رجل أمين

يطلع القارىء على كل ما قيل ، وإذا كان من كذب فوزره على المخترع الأول ، وهو قول واضح التهافت ، وقريب منه قول من يزعم أن مثل المفسر فيما يجمع من الإسرائيليات كمثل رجل النيابة حين يسجل أقوال الشهود جميعها ، وهو يعلم أن بينها ما يتسم بالزور الصريح ، ولكنه يترك الحكم للقاضي ، والقاضي هنا القارىء ، وقد نسى صاحب هذا الرأى أن كل قارىء لا يملك أداة الحكم كما يملكها قاض مثقف بصير فإذا احترز القاضي بعلمه ، فماذا يصنع القارىء إذا لم يكن من أولى الاختصاص ، ومن قائل إن سرد هذه الأراجيف يعطى دلالة واضحة لعقلية العصر الذى نشأت به ، فيفيد فى رصد المجال الفكرى للتطور العلمى ، ومعروف أن رصد هذا التطور ليس ميدانه كتب التفسير ، ولكنه يحتاج إلى أفق آخر يطير فيه الباحث بما يملك من أجنحة علمية تهيىء له ارتياد الآفاق !

وقد أوضح الأستاذ أن كتب الحديث وشروحها أهون خطبا من كتب التفسير فى هذا المجال . لأن أحاديث الرسول قد خضعت لميزان دقيق حين تجرد أئمة الحديث لتطبيق ما عرفوه فى علم مصطلح الحديث على ما يروى منسوباً إلى الرسول ، فعملوا على تنقية الحديث وتجريده من الدخيل والعليل فى وقت مبكر ، فكان من أثر ذلك أن عرف الناس الصحيح من العليل ، وإذا كانت بعض الأحاديث الموضوعة تجد لها مجالاً لدى بعض العامة فإن ظهور عوارها يكشف عن باطلها بأدنى البصر الثاقب ، وكتب الصحاح بمنجى عن هذه الأراجيف .

ثم قدم الشيخ اقتراحات سديدة وجدت التنفيذ من القائمين على مجمع البحوث ، إذ وضعوا التفسير الموجز والتفسير الوسيط ، فى هَدْى ما قيل عن خطورة الإسرائيليات . وأصبحت لدينا فى مجال التفسير كتب معتمدة ، بعيدة عن حول الأساطير .. ومراجع للبحث متعددة مستوفاة ، وقد شملت كتبا أخرى تتصل بالموضوع فى غير مجالى التفسير والحديث ، وتلك طبيعة البحث الأصيل .. وقد يرى الدارس أن الدكتور الذهبى كان مرتفع النبرة فى تشدده بإزاء المفسرين الذين تساهلوا فى نقل الإسرائيليات ، لأنه فى كتاب (التفسير والمفسرون) كان أكثر هدوءا ، ولعله لمس من رواج هذه الأساطير بين الناس ما دعاه إلى أن يكون أكثر إزعاجا ، وأعنف لوما ، وهى مسألة لا يكتفى فيها بالقول الهامس فلابد من ارتفاع الصوت ليبلغ المدى البعيد .

وقد يظن بعض الناس أن تخصص الدكتور الدقيق فى علوم التفسير والحديث سنين عدة قد شغله عن البحوث التشريعية ، وقد درسها دراسة مستوفاة فى كليتها المتخصصة طالبا ، ودرّسها بالعراق لطلبته أستاذا ، ولكن هذا الظن يتبدد حين تطالع ما كتبه الشيخ من بحوث ضافية فى مجال التشريع ، ومن أظهرها بحثه الدقيق الذى قدمه لمؤتمر الفقه الإسلامى بالرياض سنة ١٩٧٦ م تحت عنوان (أثر إقامة الحدود فى استقرار المجتمع) والبحث فى إطاره هذا ، يتطلب دراية واعية بالمجتمع الإسلامى فى شتى ربوعه قبل الدراية المسلم بها بقوانين الحدود التشريعية فى الإسلام ، وقد أعجبت بامتداد النظرة الفسيحة لهذا الموضوع ، حين طالعت ما كتب الشيخ ، لأنه لم يهمل القواعد النفسية والاجتماعية حين عالج الموضوع ، بل جعل هذه القواعد ركيزته القوية فى بناء بحثه الدقيق ، وقد ابتدأه بحديث عن العقيدة وأثرها فى السلوك ، لأن أكثر من يعالجون موضوع الحدود يهملون أثر

العقيدة في كظم الشهوات وكبح العواطف ، وهو إهمال يهمل قوانين الحدود ذات لجاج صاحب عند من يفقدون روح الإيمان ، وفقد الإيمان كارثة الكوارث ، إذ بفقده تصبح قوانين الحدود مظنة للاحتيال ، حين يحسن المجرم إخفاء جريمته لينجو من القانون الجنائي ، وهو بهذا التستر يظن المسألة قد دخلت منطقة الأمان ، وقد يحلو له أن يكرر الجريمة مادام قد أحسن التدبير وأجاد الاختفاء ، أما صاحب العقيدة فإذا نجا من القانون لم ينج من وعيد الله فهو في خوف هائل يدفعه إلى الندم ، ومن أبرز ما وفق فيه الدكتور إصراره على أن يحيا المجتمع حياة راضية في ظل تكافل اجتماعي قبل أن تنفذ الحدود ، والذين يستبشعون قوة الحد حينئذ مخطئون ، لأن المجرم ليس جائعا ، أو ليس عاجزا حتى تلتمس له الأعذار ، فالمجتمع الإسلامي قد حفظ كرامته ، ووقاه شر الامتهان ! وهنا تكون الجريمة مستبشعة في حد ذاتها إذ ليس لها مبرر معقول .

يقول الأستاذ الدكتور الذهبي :

« وتكافل الجماعة في النظام الإسلامي يفرض مبدئياً أن يتم تبادل كامل في الحقوق والواجبات بين أفراد المجتمع وفئاته ، وأن يفي كل بما عليه ليصبح من حقه أن يطالب بما له ، فالغنى مثلا يفي للمجتمع بما عليه من حقوق المال زكاة وضريبة وصدقة ، وهنا يصبح من حقه حماية ماله وصيانته بإقامة حق آخر من حقوق المال . هو حد السرقة يقام على من يعتدى على حرمة هذا المال الذى أصبح بأداء هذه الحقوق حقيقا بالقدسية التى أضفيت عليه ، وفي غيبة التكافل الاجتماعي ، وحين تشيع أثرة باغية ، ويصبح المال دولة بين الأغنياء ، وحين يغلق بيت مال المسلمين بابه أمام العاجز والفقير والمضطر ، أو حين يصاب المجتمع كله بمجاعة عامة يكون ثمة ما يمكن أن نسميه ظروفا طارئة من شأنها إعادة النظر في الموقف في ضوء الوضع القائم ، فقد أوقف عمر حد السرقة عام الرمادة ، ومتى قام المجتمع بما عليه تجاه الفرد من تربية صحيحة ، وتمكين له من سد حاجته الإنسانية المشروعة مأكلا ومشربا وملبسا ومسكنا فقد أصبح لزاما عليه أن تقام حدود الله دون تهاون »[1] .

وعلى هذا المنوال يتحدث الأستاذ في الحدود الأخرى مبينا عدالة الإسلام في تنفيذ قوانينه وإحاطتها بالضوابط المانعة للظلم أو الاعتساف .

ومن أجمل ما تعرض له الأستاذ في بحثه الدقيق هو إجابته عن سؤال خاص بتطور التشريع في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا تساءل لماذا لم تطبق الحدود في مكة في مبدأ ظهور الإسلام ، ولماذا تم الانتظار حتى تكونت الدولة الإسلامية بالمدينة ؟!

ثم أجاب بما تشير إليه ملخصا حين تقول إن تربية الفرد يجب أن تستكمل قبل أن يواجه بمطالب مجتمعه ، فعليه أن يعرف وضعه من نفسه ومن الناس ، ويمكن أن يتسلح بفضائل الخلق الكريم حتى يدين بها في تحمس وارتياح ، فإذا تم له ذلك جاءت الحدود لتمنعه من الشر إذا وسوس له الشيطان به ، إذ أن استقرار روح العدالة في المجتمع الإسلامي تجعل العقاب جزاء طبيعيا لمن يحاول هدم هذا المجتمع وقد قام على العدل والحرية وحماية الحقوق !

ثم نظر الشيخ نظرة واسعة إلى ما يجرى الآن في الدول جميعها ؟ إنها ترصد ميزانيات ضخمة لمقاومة الجريمة بحيث أنّ وزارة الأمن تستولى على أكثر مما تناله وزارة التربية والتعليم ، أو وزارة

البقية ص ٢٧٥





حياته العلمية وآراؤه التربوية

للأستاذ: نبيل محمد رشاد*

عالم جليل، راسخ القدم في علوم الإسلام الحنيف من التفسير والحديث والفقه. والأصول والملل والنحل، والتاريخ الإسلامي وتراجم أعيان رجاله، وأعلام علمائه. كما كان راسخ القدم - أيضاً - في علوم العربية من النحو والصرف، والنقد والبلاغة، والأدب العربي شعره ونثره فكان - بحق - أنموذجاً لما كان عليه العالم الأزهري من سعة الأفق، وغزارة العلم، وموسوعية الثقافة.

إنه فضيلة الدكتور أحمد الشربيني جمعة الشرباصي الذي ولد في السابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٩١٨م في قرية البجلات مركز دكرنس محافظة الدقهلية.

الشرباصي في مرحلة الطلب:

ولقد شب الدكتور أحمد الشرباصي في قريته، وتعلم فيها القرآن الكريم ومبادىء الحساب، ثم التحق بالتعليم الأزهري - كسائر أترابه - وظل يرتقي من مرحلة إلى مرحلة حتى تخرج في كلية اللغة العربية عام ١٩٤٣م وكان أول دفعته ثم

* الكاتب مدرس مساعد بقسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة عين شمس

حصل على إجازة التدريس عام ١٩٤٥ م ، ومارس العمل العلمى والدينى مدرسا بمعهد القاهرة ، وكاتبا بالصحف والمجلات الدينية والأدبية ، ومؤلفا للكتب فى شتى علوم العربية والإسلام ، ومحاضرا فى محافل العلم المختلفة ، ثم دفعه طموحه إلى الحصول على درجة الماجستير فى الدراسات الأدبية فحصل عليها عام ١٩٦٣ م برسالته الجليلة عن أمير البيان شكيب أرسلان ، ثم حصل على درجة الدكتوراة عام ١٩٦٧ م برسالته عن السيد رشيد رضا صاحب المنار .

نبوغه المبكر، وأثره فى بناء شخصيته :

ظهر نبوغ الدكتور الشرباصى مبكرا منذ أن كان طالبا بمعهد الزقازيق الدينى الثانوى حيث أخرج فى تلك الفترة من حياته ـ ولما يتجاوز العشرين من عمره ـ كتبه « حركة الكشف » ، و « بين صديقين » ، و « محاولة » .

وأكسبه هذا النبوغ المبكر اعتدادا بنفسه ، واعتزازا بشخصيته ، وترفعا عما لا يليق بأصحاب الفضيلة العلماء ، ومما يدل على هذا أنه رفض ـ وهو فى ميعة الصبا ـ أن يتملق أحداً من الكتاب الكبار فى عصره ليضع مقدمة لكتابه « محاولة » حيث آثر أن يقدم الكتاب نفسه بنفسه إلى جمهرة القراء والمهتمين بالأدب ، وفى هذا يقول « والكتاب يقدم نفسه بنفسه ، لا يعتمد على عرض عارض ، ولا يتكل على تقديم مقدم ، وإنما يعتمد قبل كل شىء وبعد كل شىء على صاحبه ومادته ، لأن من الآراء التى اختمرت فى ذهنى أنه لا يجمل بالأديب المحاول أن يعمد إلى مروجى الكتب فيحصل منهم بأثمان ـ أقلها حلال مرضى ، وأكثرها وضيع حرام ـ على كلمة تروج لكتابه وتدعو إليه ، ففى ذلك تضليل لجمهور القراء ، وقتل لمواهب الأديب ، وتغيير للحق والواقع ، إذ أنه ما دام الأديب الكبير « فلان » سيقدم كتابه ـ لعلة أو لسبب أو بثمن ما ـ فلا عليه بعد إن كان كتابه جديرا بالقراءة ، أو جديرا بالأتون .

لا . . لا . . تلك طريقة الضعيف العاجز ، والواجب علينا معشر أدباء الشباب أن نتقدم إلى الميدان الأدبى بأسلحتنا لا بأسلحة غيرنا ، وبدروعنا لا بدروع سوانا ، ولا نزال نجاهد فنصدر مؤلفا وراء مؤلف ، ونكتب رسالة بعد رسالة حتى يعرف لنا الجمهور قدرنا ، ونثبت فى سجل الأدب أسماءنا[1] .

كتب الدكتور الشرباصى هذا الكلام وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، وظل على هذه السبيل من الاعتداد بنفسه حتى رأيناه وهو فى سن السابعة والعشرين يرفض تقبيل يد الملك فاروق ، وفى هذا يقول : « وفى سنة ١٩٤٥ م تخرجت فى الأزهر ، وكنت الأول بين الحاصلين على شهادة العالمية والتخصص فى تلك السنة ، ودعيت إلى الحفل الذى كان يقيمه الملك السابق فاروق لأوائل الخريجين ، وكان الحفل فى قصر رأس التين بالإسكندرية ، وكان المدعوون من الأزهر خمسة أوائل كنت طليعتهم ، وكان الذى سيتولى تقديمنا للملك هو الشيخ الجيالى لأنه حينئذ عميد كلية اللغة العربية التى تخرجت فيها ، ولما كان الأزهر

(١) أحمد الشرباصى : محاولة ص ٧ ، ص ٨ .

أقدم الجامعات كان أوائله الخمسة فى طليعة الأوائل ، ومعنى هذا أننى أول من يصافح الملك .

ووقفنا نحن الأوائل فى طابور طويل ، ووقف بجانبى الشيخ الجبالى ليتولى التقديم .

وسألنى : هل تعرف طريقة السلام على الملك ؟

وأجبت بدهشة : طريقة السلام ؟ .. وهل هناك طريقة خاصة ؟ .. سأسلم عليه طبعا بيدى .

وذهل الشيخ وهتف فى صوت مغيظ مكبوت :

- ياخبر أسود .. يجب أن تقبل يده ..

وكرر العبارة .

فقلت له : لكننى صرت أحد العلماء أصحاب الفضيلة فكيف أقبل يد إنسان ؟

وقال الشيخ فى غيظ يغالبه : لا داعى للفلسفة .

وقدرت أن النقاش قد يحتد ويمتد فقلت له . لا تخف ياسيدى الشيخ ، وأظهرت موافقته .

وهدأ قليلا ولكنه عاد يقول : لا تنس تقبيل يد مولانا .

وعدت أقول : اطمئن يافضيلة الشيخ .

وكان الواقف خلفى فى طابور الأوائل هو الزميل الأستاذ «محمد السيد بكر» ، وانتهز الزميل غفلة من الشيخ وهمس لى من خلفى : ماذا ستصنع ؟

فهمست إليه : لن أقبل يد أحد وعليك أن تتابعنى فيما أصنع .

وعاد الشيخ يقول لى : لا تنس تقبيل يد مولانا .

وجاءت الإشارة بالتقدم إلى مصافحة الملك الذى كان يقف على مرتفع خشبى وإلى جانبه الشيخ المراغى ، وتقدم الشيخ الجبالى بشيابه الفضفاضة ونطق باسمى ودرجتى العلمية ، وببساطة تقدمت مرفوع الرأس وسلمت على الملك يدا بيد ، وقد غرق الشيخ فى ذهوله .

وفى ختام الحفل لقيت الشيخ المراغى فلم يفته أن ينوه بطريقة المصافحة الكريمة ، فقال لى : أرجو أن تكون عالما عزيزا كما كنت طالبا موفقا»[٢] .

أساتذته :

ولقد تلقى الشيخ الشرباصى علومه ومعارفه على عدد من نوابغ الأزهر الشريف فى ذلك الزمان ، منهم الشيخ أحمد على ، والشيخ محمود خليفة ، والشيخ محمود المحمدى ، والشيخ أحمد نصر ، والأستاذ عبد العزيز عبد الحق ، والشيخ أحمد شفيع السيد ، والشيخ أحمد عمارة ، والشيخ كامل حسن ، والشيخ حامد مصطفى ، والأستاذ أحمد يوسف نجاتى .

كما تأثر بأصحاب الدعوات الإصلاحية فى العصر الحديث من أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا ، والإمام محمد مصطفى المراغى ، وأمير البيان شكيب أرسلان .

وفى عام ١٩٧٦ م طلبت مجلة الهلال المصرية من الشيخ أن يكتب مقالا عن أساتذته الذين لهم الفضل فى تكوينه العلمى والأدبى فكتب المقال المطلوب ، ونشر بعدد شهر أغسطس من السنة

---

(٢) أحمد الشرباصى : أساتذتى أولهم القرآن ، مقال بمجلة الهلال عدد أغسطس ١٩٧٦ م - ص ١٠٠ . وجميع الإحالات بعد ذلك على هذا المقال .

نفسها ، وتحدث فيه عن أساتذته الذين أشرنا إليهم فيما سبق كما تحدث عن أساتذة آخرين كالقرآن الكريم ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والإمام على بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ وكتابه نهج البلاغة ، والحياة ، وأعدائه ، ومنبر الجمعة .

وبهذا الحديث يكون الدكتور الشرباصى قد وسع دائرة الأستاذية لتشمل ـ إلى جانب الأساتذة الذين تلقى عليهم العلم فى مقاعد الدراسة ـ كل مؤثر عام أو تجربة خاصة يعيشها المفكر أو الداعية أو الأديب فى حياته .

فالقرآن الكريم ـ وهو كتاب العربية الأعلى ـ قد أكسب الشيخ القدرة على نطق « الحرف الصحيح من مخرجه مضبوطا ، والكلمة الفصيحة محكمة ، والبيان العربى فى أبهى حلته »[٣] .

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة بأحاديثه الشريفة ، وسيرته الطاهرة كان للشيخ قائدا وهاديا وأستاذا حيث كان الشرباصى يغترف من لآلىء أحاديثه ، وعاطر سيرته فى كتاباته وخطبه .

والإمام على بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وكتابه نهج البلاغة قد أمداه بمدد وفير من الآداب والحكم والمواعظ التى استخدمها فى كتاباته ومحاضراته وخطبه ، فهما أستاذان من الأساتذة الذين أسهموا فى تكوينه العلمى .

وأعداؤه الذين حسدوه ، وكادوا له ، ووضعوا العقبات والعراقيل فى طريقه كانوا أساتذته لأنهم مكنوه من التفوق والنبوغ حيث نبهوه ـ دون قصد منهم ـ إلى عيوبه ، وأرشدوه إلى مواطن الضعف عنده فكان يجلدها قدر استطاعته .

ومنبر الجمعة كان له دوره فى تكوين الشيخ العلمى حيث كان معوانا له على توسيع معلوماته الدينية ، وثقافته اللغوية ، وصلاته الجماهيرية .

والحياة بما فيها من خير وشر قد أفادت الشيخ كثيرا ، وعلمته الصبر والحكمة ، والجلد والثبات على المبدأ فكانت من أساتذته .

من آرائه التربوية :

والدكتور الشرباصى ـ وقد عانى أشد المعاناة فى مرحلة الطلب ، ثم مارس التدريس بمعهد القاهرة بعد تخرجه حقبة من الزمن ، وبكلية اللغة العربية بعد ذلك ـ له عدد من الآراء التربوية الهامة التى يجب على المعلمين أن يقفوا عندها طويلا ليستفيدوا منها .

وأول درس تربوى يقدمه لنا الدكتور أحمد الشرباصى هو أنه يجب على المعلم أن ينظر إلى الطالب نظرته إلى ولده فيحنو عليه ، ويترفق به ، ولا يقسو عليه ، لأن للقسوة على التلاميذ ـ ولاسيما الصغار منهم ـ آثارها السيئة فقد تدفع الطالب إلى الهرب ، وقد تجعله يكره التعليم وينفر منه ويزهد فيه ، لذا ترى الشيخ : ـ

١ ـ يرفض ضرب التلاميذ ضربا مبرحا لا غاية من ورائه سوى التشفى والانتقام ، ويرى أن معلم المرحلة الابتدائية ينبغى عليه أن يكون رفيقا بطلابه ، وكذا محفظو القرآن الكريم ينبغى عليهم أن لا يعتمدوا فى تحفيظ الناشئة على التخويف والضرب ، لأن هذا الأسلوب لا يأتى

(٣) السابق نفسه ص ٩٤ .

إلا بنتائج عكسية ، ويحكى الشيخ من تجاربه فى صغره ما يؤكد ذلك ، حيث دعى ذات مرة ليقرأ على شيخه ما حفظ يقول : « وكانت العادة أن يسألنا عن أوائل الأرباع ، وكانت الآية من كل ربع واضحة فى أذهاننا ، نتأكد منها دائما ، وكان هناك ربع فى سورة آل عمران يبدأ حسب التقسيم الاصطلاحى هكذا : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ ، ولكن الشيخ قال لى فى غلظة : اقرأ (مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . .) وأفتش فى ذهنى عن ربع يبدأ بعبارة : (مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . .) فلا أجد لأنى حفظت الربع مبتدئا بعبارة (لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . .) ، ومضت لحظة خلتها دهرا ، والشيخ يحملق فى قسوة ، والعرق يتصبب منى بغزارة ، ولم أشعر إلا بهراوة الشيخ الغليظة على ذراعى وهو يقول : اقرأ ياجاهل ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . . ﴾ وبمجرد أن أعطانى مفتاح الربع انطلقت أتلو الآيات فى سرعة ، وخوف ، وألم .»[٤] .

وبعد أن ذكر الشيخ هذه الواقعة صاح فى مقرئى القرآن الكريم قائلاً : « فيا مقرئى القرآن احذروا هذه الطريقة ، ولا تنفروا الناشئة من روضة القرآن الكريم »[٥] .

٢ - ويرفض الشيخ إرهاق الطلاب بالواجبات الكثيرة التى لا يستطيعون أداءها ، أو إجبارهم على حفظ نصوص معقدة لا طائل من وراء حفظها ، ويحكى من تجاربه - كذلك - ما يدل على فشل هذا الأسلوب فى اجتذاب التلاميذ وتحبيبهم فى العلم ، فيروى أن أحد شيوخه بمعهد دمياط الابتدائى كان يمل عليهم ملخصا لكتاب « مراقى الفلاح » فى الفقه الحنفى من صنعه ، وكان يفرض عليهم أن يسمعوا منه يوميا عند الصباح كراستين . يقول الشرباصى : « وكنت أضيق بهذا ، وأعجز عن تحقيقه ، فقد كانت تشغلنى قراءة الكتب والمجلات ، وكان نصيبى على عدم الحفظ لكمات يصبها الشيخ على عجزى بعد أن يلوى ذراعى بقسوة ، وهأنذا أقرر مع عميق الأسى أن طريقة الشيخ هذه حملتنى أكثر من مرة على الهروب من الدراسة »[٦] .

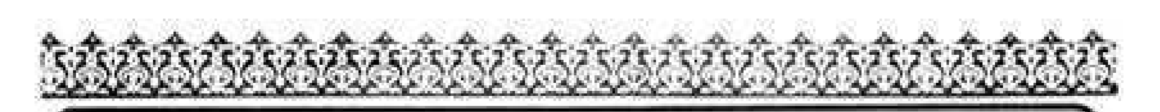
٣ - ويرفض إهانة الطلاب وسبهم ولعنهم لأن هذا مما يؤذى نفوسهم ، وحتى لا يتعودوا على التفوه بالألفاظ النابية فيما بينهم وبين بعضهم .

وهناك درس تربوى آخر يقدمه لنا الدكتور الشرباصى وهو أنه يحمل بالمعلم أن يقوم بتحضير درسه تحضيرا جيدا بحيث يقوم بترتيب عناصره ترتيبا منطقيا ، وتنظيم أفكاره تنظيما حتى يستطيع الطلاب أن يتابعوه فيما يلقى عليهم ، ويذكر لنا فى هذا المجال أن أحد شيوخه كان غزير العلم ، دفاق المعلومات ، ولكن عيبه أنه يسوق ما عنده إلى طلابه سبهللا بلا ترتيب وبلا نظام فكانت الفائدة التى أرتجيها تنفر منى ، وألقت بى طريقته فى الطوفان »[٧] .

هكذا تحدث الدكتور الشرباصى - رحمه الله تعالى - فأجاد وأفاد ، ولعلى أعود - فى قابل الأيام إن شاء الله تعالى - إلى تراثه مرات ومرات لأكتب عن الشرباصى مؤرخا ، ومفسرا ، وفقيها ، وشاعرا ، وكاتبا ، وناقدا ، وداعية من طراز رفيع .

---

(٤) السابق نفسه ص ٩٨ .
(٥) السابق نفسه ص ٩٨ .
(٦) السابق نفسه ص ٩٨ .
(٧) السابق نفسه ص ٩٨ .



من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الإسلام.. والسلام

لفضيلة الشيخ: محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

إعداد وتقديم:
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

إن فكرة السلام فى الإسلام تحتل المكانة العليا بين تعاليمه، وتبرز واضحة جلية بين أهدافه ومقاصده.

وقد وردت كلمة السلام فى القرآن الكريم فى أكثر من أربعين آية، والآيات التى تحمل هذه الكلمة النبيلة تشير إلى توثيق أواصر القربى بين الناس، وتدعوهم إلى أن يعيشوا على هذه الأرض إخوة متعاونين لا متعادين، ومتراحمين لا متزاحمين.

والإسلام مأخوذ من كلمة السلام ومشتق منها، وأول خطاب من الله لأول رسول هبط على الأرض بعد أن انحسر الطوفان عنها، كانت دعوة إلى السلام، وحثا على نشره فى آفاق الدنيا الجديدة:

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ (هود: ٤٨).

كما أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى، ولم يبعث الله نبيا، ولم يرسل

رسولا إلا ومنحه السلام ، وأفاضه عليه ، ليكون شعاره فى حياته ، وأساسا لتعامله مع الناس

ولمنزلته عند الله ، جعل الليلة التى أنزل فيها القرآن الكريم ليلة مباركة يكتنفها السلام ، من أولها إلى آخرها :

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (القدر : ٥) .

والسلام خلق أصيل من أخلاق الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وقد أمره المولى ـ جل علاه ـ أن يكون شعاره حتى مع أعدائه :

﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾ (الزخرف : ٨٩) .

والسلام تحية المسلمين عند لقائهم وتزاورهم ، فهذه التحية الجليلة من شأنها تأليف القلوب ، وتوثيق الصلات .

وكل هذا يؤكد حب الإسلام للسلام ، وحرصه عليه ، ورغبته فى أن يبسط جناحيه على الكون كله ، ويرتفع لواؤه فى أرجاء الأرض ، والسلام الذى يحرص عليه الإسلام هو السلام العزيز النبيل ، الذى يهدف إلى حقن الدماء ، وإشاعة الأمن والطمأنينة بين الناس ، وليس معناه الضعف والاستسلام ، والتفريط فى الحقوق المغتصبة ، بل هو سلام قوى يقوم على أخذ الأهبة ، وإعداد العدة ، لإرهاب من تسول له نفسه العدوان والبغى .

يقول الكاتب ـ رحمه الله ـ :

إن من الأديان ما يدعو أتباعه إلى المحبة العامة للبشر ، بين تعاون أتباعه وأتباع الديانات الأخرى ، سواء أكانوا يسكنون معهم فى وطن واحد أم كانوا يسكنون أوطانا أخرى من هذا العالم .

وإن منها ما ليس كذلك ، فلا يدعو إلى محبة ولا تعاون ، بل ربما وقف فى سبيل التعاون البشرى والإخاء الإنسانى ، وهذا يكون إما من تحريفه أو بطلانه . وإن مثل هذا الدين يكون شرا تنوء به الحياة لأن الاختلاف بين البشر فى العقائد والأديان واقع ماله من دافع ، وليست هناك قوة يمكنها رفعه ، فإذا جهل الدين هذه الحقيقة ، وأراد محو الأديان الأخرى ماعداه ، فلم يكن فيه عنصر التعاون مع أتباعها ، كان محاولا ما لا يكون ، إنما الذى يكون هو الشقاق والتنابذ والحرب المتأججة التى لا تخمد ، والحكم الحق على هذا الدين أنه لا يصح أن يكون أتباعه مع أتباع دين آخر وطنا واحدا ، ولا يصلحون أن يتعاونوا وسكان هذا العالم ، وهل أسوأ من وطن يتعادى أبناؤه ولا يقدرون على التعاون على جلب مصلحة له أو دفع مفسدة عنه ؟

وهل أسوأ من أمة تكون نشازا فى هذه الدنيا ؟ تعادى الأمم الأخرى وتذكى نار الحرب ، وتكدر السلم وتقف فى طرق الغاية العظمى للإنسانية ،

وهى السلام الدائم على هذه الأرض .

أما الدين الأول فهو نعمة وبركة على معتنقيه وعلى من لا يعتنقونه ، فهو لا يدعو معتنقيه إلى التورط فى حروب تلو حروب ، ولا يكدرّ سلام العالم بشن الغارات وحمل السلاح .

والدين الإسلامى أين مكانه ؟ أفيه عنصر تعاون أتباعه مع من يخالفونهم ؟ أم هو من الشق الثانى ؟ فهو حرب على الأديان الأخرى يشن عليها الحروب ويغير عليها كلما واتته فرصة ؟

إن الباحث المحقق يجد الدين الإسلامى من الأديان التى تدعو إلى السلم ، والذى يمكن أن يتعاون أتباعه مع المخالفين فى دولته أو فى دول أخرى ، وذلك يتضح من أمور :

١ - إنه بين فى غير ما آية ، أن الاختلاف فى العقائد والأديان من ضرورات البشر ، والله حكم بذلك ، فهو واقع لابد منه ، ومحاولة تغيير سنن الكون عناء فى عناء ، لا تجدى إلا الكد والنصب فيما لا يكون :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود : ١١٨ ، ١١٩) .

وإذا علم المسلم أن طبيعة البشر تقتضى ذلك وأن هذه مشيئته ، لم يكن ثمة داع للحقد ولا للبغض .

٢ - إنه وضع هذه القاعدة الفاصلة التى لا هوادة فيها :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة ٢٥٦) .

فكل امرىء يختار عقيدته ، لا سلطان لكائن ما عليه ، فله أن يتخير عقيدته كما يتخير ثوبه ، وهذه توجب على المسلمين ألا يحاولوا إكراه أحد على الإسلام ، وألا يقاتلوا أمة ليخرجوها من دينها .

٣ - قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد : ٤) .

أجاز فى الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بدون عوض ، أو يأخذوا منهم عوضا فيطلقوهم بفداء ، وفى هذا تعليم عمل للمسلمين أن يعطوا مخالفيهم حق الوجود ، وأن يمنحوهم إياه حتى بعد اعتدائهم وحربهم والقدرة عليهم .

٤ - إنه أجاز أن يعقد المسلمون مع من يخالفونهم فى الدين ذمة ، وأن يسكنوا فى وطن واحد .

٥ - إن الرسول بين حقوق أهل الذمة والعهد ، فإذا هى مثل حقوق المسلمين ، لهم مالنا وعليهم ما علينا ، أى لهم مالنا من حقوق ، وعليهم ما علينا من واجبات .

٦ - صرح تصريحا قاطعا لا يقبل الشك ولا التأويل ، إن الاختلاف فى الدين لا يؤدى إلى عدم البر بالمخالفين وتوليهم والعدل فيهم ، إنما الذى يؤدى إلى ذلك هو عدوانهم :

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة : ٨ ، ٩) .

٧ - إن القرآن دعا إلى الرفق والصبر والدعوة إلى الحق بالتى هى أحسن ، وحصر مهمة الرسول فى البلاغ :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

(النحل : ١٢٥) .

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية : ٢١ ، ٢٢) .

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ (المؤمنون : ٩٦) .

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف : ١٩٩) .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ (النحل : ٨٢) .

هذه القواطع والأصول التى ينبغى أن تكون محكمة فتجعل أم الكتاب وكل ما خالفها من المتشابه يرد إليها .

ولعل قائلا يقول : إن ما ذكرته من دعوة الإسلام إلى السلم يعارضه ماورد فيه من الدعوة إلى الحرب وقتال المشركين كافة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾

(الأنفال : ٦٥) .

﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

(الأنفال : ١٢) .

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾

(محمد : ٥) .

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾

(النساء : ٧٤) .

أليست هذه الآيات تدل على أن الإسلام دين حرب ، وأنه يدعو إلى القتال ، ويطلب أن نقاتل الكافرين لكفرهم والمشركين لشركهم ، ويرى أن الكفر والشرك جريمة عقابها الحرب ، حتى يقلعوا عنها كما ورد ؟

قلنا : إن من المخالفين من ناصبوا المسلمين العداء وحاربوهم ووقفوا فى سبيل الدعوة ، وهؤلاء هم الذين أباح الإسلام قتالهم ، بل حض عليه ، وما كان يطلب أحد من الإسلام أن يخفى عمن ناصبوه العداء ، وأن يطلب من معتنقيه أن يقفوا مكتوفى الأيدى ، وأن يمدوا أعناقهم للذبح ، لا يكلف أحد الإسلام بذلك ، لأنه يخالف طبيعة الوجود والمبدأ القائل : لكل أحد حق الدفاع عن نفسه ، ويكفى الإسلام حبا للسلام أنه يحبه ويطلبه ، مع من لم يعتدوا عليه ، ولا يقدح فى حبه للسلام ودعوته إليه أنه يأمر أهله بقتال من يعتدون عليهم ، وهذا هو مجمل الآيات والأحاديث التى تدعو إلى الجهاد والقتال ، وهى تارة تأتى مقيدة بالعدوان ، وتارة تأتى مطلقة عن التقييد لعلمه من الحال ، كأن يكون الكلام فى قوم مقاتلين بالفعل ، أو لعلمه من النصوص التى تحرم قتال من لم يعتد ، وماكان الله ليترك هذه المسألة وهى تتعلق بمستقبل البشرية وسلام العالم دون نص قاطع وبيان واضح ، وقد جاء هذا البيان فى قوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٠)

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

(الأنفال : ٦١) .

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾

(الممتحنة : ٨) .



اعلم أن من أعداء الإسلام من يتهمون الإسلام بهذه التهم ويلصقونها به ، وهم قوم يكرهونه ، ويكيدون له ، ويريدون محوه من الوجود ، ويرون أن السبيل المعبدة لذلك ، هى تأليب دول العالم عليه ، وإفهامهم أنه حرب للسلام ، وللتعاون البشرى والإخاء الإنسانى ، ليقفوا منه موقف العداء ، ويحاربوه بكل سلاح .

إنهم يجهدون فى أن يفهموا الدول القوية أنه غير صالح للبقاء ، وأنه لا يجارى روح العصر فى الغاية العظمى من نشر السلام ، وأنه شر على أتباعه ، وعلى الإنسانية ، لأنه لو ترك وشأنه ، لورطها فى حرب تلو حرب ، وفى نزاع دائم وخلاف مستمر ، لذلك يجب أن تقلم أظفاره ويحارب كما تحارب الجراثيم الضارة ، والأوبئة المهلكة ، وهذا هو الذى يجعل هذا البحث أعظم جدوى وأجل فائدة ، وأيمن على المسلمين وعلى أهل الأرض من كل بحث سواه ، إنه يدفع هذه التهم الباطلة عن الإسلام ، ويرد هذا السلاح الخطر الذى يكيد به أعداء الإسلام للإسلام ، إنه يعلم المسلمين موقف الإسلام من السلام فيعملوا عليه فلا يضيعوا جهودهم فى جهاد فى غير عدو ، ويعلم أهل الأرض ذلك فلا ينظروا إلى أهل الإسلام نظرهم إلى العدو المتربص الذى يريد أن ينقض ، ونتيجة ذلك التعاون والسلام .

المجلد الرابع والعشرون

اختصاص البعض بالمال فى الإسلام - بقية -

وقوله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران - الآية ٩٢ .

وبذلك يتميز الإسلام فى نظرته وموقفه ، بالنسبة للملكية الفردية ، عن سائر المذاهب ، والأنظمة الوضعية . فهو لا ينكرها شأن المذاهب الجماعية والنظم الاشتراكية . وهو فى نفس الوقت لا يطلقها شأن المذاهب الفردية والنظم الرأسمالية . وإنما هو يعترف بها نتيجة عمل وجهد لقوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ النساء - الآية ٣٢ .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾

البقرة - الآية ١٨٨ .

ثم هو على النحو السالف الإشارة إليه ، يقيدها بقيود عديدة لاسيما من حيث استعمالها ، مما لا نجد له مثيلا فى أى من التشريعات الوضعية ، وبحيث يحيلها بحق إلى أمانة ، ومسئولية ، ومجرد وظيفة اجتماعية .

نسأله تعالى التوفيق والسداد .

العُلومُ الكَونيّة

نسبية الزمان والمكان

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

إن الحقائق التى يتوصل إليها العلم البشرى ليست سوى احتمالات راجحة ، حتى وإن بدت لنا شبه مؤكدة . أما الحقائق القطعية المطلقة الصدق واليقين فهى كل ما أخبر الوحى به فى مصدرى الإسلام ، القرآن ، والحديث ، وكل ما أودعه الله فى الكون من سنن لا يملكها إلا هو سبحانه بحكم ألوهيته المهيمنة على الكون كله ، وبحكم علمه المحيط غير المقيد بالزمان والمكان ، وبحكم أنه سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهى الصفات اللازمة لعلم الحقيقة القطعية المطلقة .. وهى الحقيقة التى يقص الله منها فى كتابه مايشاء ، ومن ثم لا تحتاج إلى برهان خارج عنها ، أو يطلع عباده على أجزاء منها بقدر مايناسب مقدرتهم على تسخيرها اللازم لأداء أمانة الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ، وبما يؤكد فى إدراك المؤمن حقيقة الألوهية وآيات الله فى الآفاق والأنفس ، فتقر فى ضميره الطمأنينة لتلك الحقيقة ، كما تقر فى عقله الراحة والقناعة والاستنامة ، فالله-سبحانه وتعالى-يدع للإدراك البشرى أن يبحث وأن ينقب عن سنن الكون وقوانينه ، وأن يعرف منها ما قدره الله له لينتفع به فى تنمية حياته ، ويستدل من خلاله على حقيقة مكانه فى الوجود[1] .

(١) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامى ، دار الشروق ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

معنى النسبية :

شاع استخدام مصطلح النسبية فى الفكر المعاصر على إثر اكتشاف العالم الشهير أينشتين « لنظرية النسبية » فى أوائل القرن الحالى ، وهى تتميز عن غيرها من نظريات العلم الحديث بأنها غيرت كثيرا من تصور الإنسان للكون الذى يعيش فيه ، بل إنها ألزمت العلماء بضرورة إعادة النظر فى القوانين الكونية التى سبق اكتشافها ، وهى القوانين التى بنى عليها بعض الفلاسفة مقولة اقتدار الإنسان عن طريق العلم وحده على تحصيل المعرفة اليقينية ، والتنبؤ الدقيق بالأحداث المقبلة ، وخضوع الكون لحتمية القانون العلمى دون تدخل أى قوى خارجية .

ولما كانت طبيعة المعرفة العلمية تتطلب إجراء البحث والدراسات المكثفة على أجزاء محدودة جدا من الكون وظواهره ، وبمعزل عن بعضها البعض ، دون إلمام بكافة الجوانب المتصلة بموضوع البحث والمؤثرة عليه ، فإن إدراك الحقيقة الكاملة المطلقة يظل دائما هدفا أسمى يسعى إليه العلماء من خلال عملية تصحيح مستمرة لمسيرة العلم ، تتم بتكافل جهودهم وتنافسهم فى السبق إلى كشوف علمية جديدة ، وإلقاء الضوء على حقائق جزئية فى الواقع الكونى الثابت .

والعلم الذى نحصله ليس مستقلا عن ذاتية الإنسان ، كما أنه ليس نهائيا فى أية مرحلة يبلغها من مراحل تطوره ، فالكون يزداد أمام العلماء بمرور الزمن عمقا واتساعا ، والحقيقة التى يتوصلون إليها بالبحث العلمى هى حقيقة نسبية لا مطلقة ، وجزئية لا كاملة ، حتى وإن بدت لنا شبه مؤكدة ، فهى مجرد احتمالات راجحة غير مطلقة الصدق واليقين .

وأول مايجب التسليم به على طريق فهمنا لمصطلح « النسبية » هو أن « الحقيقة » ليست دائما من الوضوح بحيث تقول لنا هأنذا ، ولكنها ـ فيما يقول عبقرى الحضارة الإسلامية الحسن بن الهيثم ـ : دائما منغمسة فى الشبهات ، وهى كثيرا ما تلتوى علينا وتتعقد بشكل فيه تحد وفيه تضليل ، خاصة إذا كان الحكم عليها عن طريق الحواس فقط ، ذلك لأن حواس الإنسان لا يكون حكمها وحدها هو الصواب دائما . فالشىء يبدو لنا صغيرا إذا بعد عنا ، ويكبر كلما اقترب ، مع أنه هو هو لم يتغير ، والأرض التى نعيش عليها نعتقد أنها ساكنة لا تتحرك ، مع أننا نعلم علم اليقين ـ بوسائل العلم الحديث ـ أنها تدور حول نفسها وحول الشمس ، وأننا متحركون معها . وكذلك الحال مع أى شخص آخر يمكن أن يوجد فى أى كوكب آخر غير الأرض ، فإنه يظن خطأ أنه وكوكبه ساكنان ، وأن الأرض والشمس والكواكب الأخرى هى المتحركة .

والإنسان فى بحثه عن الحقائق الكونية يتدرج فى سلم الترقى المعرفى ، فالحقائق العلمية لا تكشف عن نفسها ولا يكتشفها العقل دفعة واحدة ، بل تأتى على سبيل التدرج عندما يأذن الله بكشفها على أيدى من يشاء من عباده ، وإنها لمجلية حتما فى يوم معلوم مصداقا للوعد الإلهى فى قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(سورة فصلت ٥٣) .

مستويات المعرفة العلمية :

ولقد عبر أينشتين عن مستويات المعرفة العلمية التى يكتشفها الإنسان بقوله : إن نظريات علم

الطبيعة هى ابتكارات حرة للعقل البشرى ، وليست - كما قد يظهر - وحيدة ومحدودة تماما بالعالم الخارجى ، ونحن فى محاولتنا فهم الحقيقة نشبه رجلا يحاول فهم تركيب ساعة مغلقة ، وهو يرى من الخارج عقاربها المتحركة ، ويسمع أيضا دقاتها ، ولكنه لا يستطيع فتح صندوقها ، وإذا كان الرجل عبقريا فإنه قد يستطيع أن يكون صورة ما للتركيب تساعد على تفسير مايشاهده ، ولكنه لن يكون بحال من الأحوال متأكدا من أن هذا هو التركيب الوحيد الذى يسبب مشاهداته ، ويستحيل عليه أيضا أن يقارن الصورة التى كونها لنفسه بالتركيب الحقيقى الذى لم يره أصلا ، بل إنه ليتعذر عليه أن يتخيل إمكان أو معنى هذه المقارنة ، ولكن من المؤكد أنه يثق فى أنه كلما زاد من معلوماته أصبحت الصورة التى يكونها عن الواقع بسيطة ، وفسرت هذه الصورة عددا أكبر من مشاهداته[٢] .

ولقد قدمت لنا الرؤية الإسلامية هذا المفهوم العلمى « للنسبية » من خلال الآيات القرآنية التى تشير إلى محدودية العلم البشرى ونسبيته ، مثل قوله تعالى :

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(سورة الإسراء ٨٥)

وقوله سبحانه :

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

(سورة يوسف : ٧٦) .

أما الخالق الواحد جل وعلا فهو الحق المطلق ، وهو مصدر كل الحقائق الجزئية التى نعرفها وننتفع بها فى تنمية حياتنا ، فسبحان الذى علم الإنسان مالم يعلم .

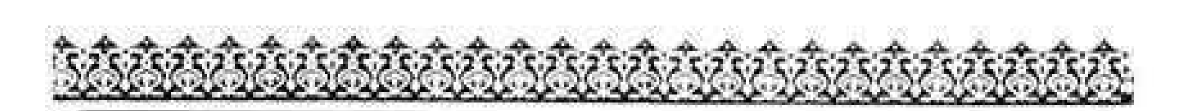
وحدة الزمان والمكان :

الزمن شىء ليس له معنى إلا فى وجود أحداث تميزه ، تماما كالألوان التى لا تستطيع أن ندركها ونميزها إلا فى وجود العين المبصرة ، وإن مجرد تصور ماضى وحاضر ومستقبل هو الذى يوحى إلينا بمرور الزمن وكأنه سلسلة من الأحداث المتتابعة . ولولا الذاكرة التى حباها الله للإنسان لكى تعيش فيها الأحداث التى نواجهها لما أحسسنا بمرور الزمن .

ولقد شجعت الظواهر الكونية المتكررة بصورة منتظمة على اكتشاف معنى « الزمن » واستخدامه ، فاليوم الأرضى هو الفترة الزمنية التى تكمل فيها الأرض دورة كاملة حول نفسها ، وهو ينقسم إلى ٢٤ ساعة ، والسنة الأرضية هى الفترة الزمنية التى تكمل فيها الأرض دورة كاملة حول الشمس ، وهى تساوى ٣٦٥ يوما . أما الشهر العربى فهو الفترة التى يتم فيها القمر دورة كاملة حول الأرض . وقد اتخذت شعوب كثيرة من وحدات اليوم والشهر والسنة أساسا لوضع تقاويم خاصة تختلف فى خصائصها الدقيقة عن بعضها البعض ، لكنها تقسم بصورة عامة إلى نوعين رئيسيين : أحدهما قمرى أساسه دوران القمر حول الأرض ، والآخر شمسى أساسه دوران الأرض حول الشمس . ويعتبر التقويمان الهجرى والميلادى خير مثالين لهذين النوعين من التقاويم . ويوضح القرآن الكريم حقيقة أن ٣٠٠ سنة شمسية تعادل ٣٠٩ سنوات قمرية بالنسبة لسكان الأرض ، وذلك فى قوله تعالى عن أصحاب الكهف :﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾

(سورة الكهف : ٢٥)

(٢) دكتور أحمد فؤاد باشا : « دراسات إسلامية فى الفكر العلمى » دار الهداية ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .



كما جعل الله الشمس والقمر وغيرهما من الأجرام السماوية يتحرك بحساب دقيق يفيد الناس منه في معرفة الوقت وقياس الزمن ، فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾
(سورة الإسراء : ١٢)

وجعل أهلة القمر واختلاف أوجه نتيجة دورانه حول الأرض على مدار الشهر العربي بيانا لمواقيت الناس في العبادة والأمور الدنيوية ، فقال سبحانه : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾
(سورة البقرة : ١٨٩)

ولقد اكتشف العلماء أن الزمن نسبي لأنه يتوقف على المكان الذي يقاس فيه ، فلكل كوكب يومه وعامه الخاصان به طبقا لسرعة دورانه حول نفسه وحول الشمس ، وبهذا يكون الزمن مرتبطا بالحركة والمكان ـ ولا وجود لأحدهما بدون الآخر . فاليوم على كوكب الزهرة مثلا يعادل ٢٤٢ يوما على الأرض ، والسنة على الزهرة تعادل ٢٢٥ يوما على الأرض ، أي أن الفصول الأربعة على الزهرة تتعاقب جميعا خلال يوم واحد ، لأن يومه يعادل سنته تقريبا .

أما اليوم على كوكب المشتري فيعادل عشر ساعات على الأرض ، والسنة على المشتري تعادل ١٢ سنة أرضية . ولتبسيط ذلك ، تقارن بين عمر طفلين مولودين في لحظة واحدة ، أحدهما على الأرض والآخر ـ فرضا ـ على المشتري ، فإن الأول يصل إلى سن الستين على الأرض ، بينما يكون عمر الثاني خمس سنوات من سنوات المشتري .

وقد أوضح العلم الحديث أيضا أن المسافات الشاسعة بيننا وبين النجوم تقاس بوحدات « السنة الضوئية » ، وهي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة فأشعة الشمس مثلا تستغرق ثماني دقائق تقريبا لكي تصل إلى الأرض ، وهناك نجوم في مجرات تبعد عنا بلايين السنين الضوئية ، وهذا يعني أن ما يصلنا من ضوء هذه النجوم في الحاضر والمستقبل بمثابة رسول يحكي لنا على الأرض ما حدث لها هناك في الماضي البعيد ، وهي حالة تقرب لنا معنى نسبية الزمان والمكان عندما يختلط مفهوم الماضي والحاضر والمستقبل .

وفي القرآن الكريم آيات تشير إلى نسبية الزمان والمكان ، فعند الحديث عن الزمان الأرضي الذي يقيم الإنسان عليه حساباته وتتحدد به الأعمار والآجال وأوقات العبادات ، يقول الله تعالى :
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (سورة الإسراء : ٧٨)

وعند الحديث عما قبل الزمان الأرضي وما بعده ، حيث يمثل « اليوم » فترة زمنية تختلف عما نتعامل به في حياتنا ، ولا يعلم حقيقتها إلا الله ، يقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (سورة ق : ٣٨)
ويقول جل شأنه : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾
(سورة السجدة : ٥) .
ويقول عز من قائل : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (سورة الحج : ٤٧)

فتبارك الله المنزه عن أن يحيط به أبدا الزمان والمكان لأنه سبحانه متعال فوق الزمان والمكان ، وخسيء الموسومون بالدهرية ، نسبة إلى الدهر أو الزمان المطلق الذي يهلك ولا يهلك ، وهم الذين عناهم القرآن الكريم بقوله :
﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾
(سورة الجاثية : ٢٤)

البصمة

معجزة إلهية أبهرت العقل البشري

للأستاذ : عبد العليم عبد السميع غزي

تعريف البصمة : إن البصمة هي الخطوط البارزة التي تحيط بها خطوط منخفضة تأخذ أشكالا مختلفة على جلد أطراف الأصابع والكفين من الداخل ، وهذه الخطوط تترك أثرها على كل جسم تلمسه ، وعلى الأسطح الملساء بشكل خاص .

شكلها العام : يقول بعض العلماء : إن البصمة تتكون لدى الجنين فيما بين الأسبوع الثالث والأسبوع السادس أو الأسبوع الثالث عشر ، وتبقى إلى أن يموت الإنسان ، وإذا حفظت الجثة بالتحنيط أو في الأماكن الثلجية تبقى البصمة كما هي لآلاف السنين دون تغيير في شكلها .. وحتى إذا ما أزيلت جلدة الأصابع لسبب ما ، فإن الصفات نفسها تظهر في الجلد الجديد ، كما أن البصمة للرجل تختلف عنها في بصمة المرأة ، ففي الرجل يكون قطر الخطوط أكبر منه عند المرأة ، بينما تتميز بصمة المرأة بالرقة وعدم وجود تشوهات تقاطعية .

الإعجاز الإلهي : قبل التحدث عن البصمات لابد من الإشارة إلى حقيقة ومعجزة أخرى من معجزات الخالق البارىء المصور في خلقه ، وهي التشابه في الخلق والاختلاف في البصمات ، فلقد خلق الله الناس جميعا مشتركين في وحدة الخلق ، ووحدة البنية والتركيب ، ووحدة وظائف كيمياء الخلايا ، فالناس جميعا من دم ولحم وعظم وروح .. أصلهم جميعا من تراب ، ومع هذا التشابه في الخلق العام لا يتطابق إنسان مع غيره تطابقا تاما في كل التفاصيل الجزئية كالطباع

والصوت وشكل العظم والرائحة ، كما انفرد كل منا فى تفاعله الكيماوى مع نفسه لينفرد ببصماته التى يحملها وحده دون سائر البشر والصفات الخاصة ، منها ما هو ظاهر على سطح جسمه ، ومنها ما قد يفرزه الجسم .

للبصمات أنواع : لقد توصل العلماء إلى تقسيم البصمات رغم اختلافها فى التفاصيل فجعلوها أربعة أشكال رئيسة ، وفق مابها من خطوط متمازجة على باقة ، ووفق مابها من أنشوطة مفتوحة ، وأخرى مغلقة ، وهى :

★ على شكل قوس أو دوامات ممتدة المركز .

★ من الخبراء من جعل الأشكال الأصلية ثمانية وقسموها إلى عدة أصناف .. والأقسام الثمانية هى :

١ ـ البصمة ذات الأنشوطة الزندية .
٢ ـ ذات الأنشوطة (الكعبرة) .
٣ ـ ذات الأنشوطة والدوامة البسيطة .
٤ ـ ذات الأنشوطة القوس .
٥ ـ ذات الأنشوطة العريضة .
٦ ـ ذات الأنشوطة الجيبية المركزية .
٧ ـ ذات الأنشوطة المزدوجة .
٨ ـ ذات الأنشوطة القوس التى لها رأس خيمة .

ويشير بعض العلماء إلى أن البصمات كانت تستخدم قديمة فى التمييز بين الأفراد ، وأن قدماء اليونان قد استخدموا البصمة كعلامة مميزة للإنسان فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وورد وصفها لدى بعض علماء التاريخ مثل العالم الإيطالى (مارسيل مابليجى) حيث وصف أشكال الأصابع وما تحمله من بصمات ، ثم وصف العالم (كريستيان هتال) خطوط البصمات دون تعمق ودقة .

ومن الذين اهتموا بدراسة البصمات الباحث الألمانى (ج . س . آماير) الذى أعلن بعد ذلك فى عام ١٨٥٦ م أن الخطوط البارزة فى بنان الإنسان تبقى ثابتة لا تتغير ولا تتبدل منذ ولادته وحتى وفاته ، ودلل على قوله هذا بتجربة علمية إذ أخذ طبعة بنانه الأيمن ، ثم عاد بعد مضى أربعين عاماً وأخذ طبعة نفس البنان ثانية ، فوجد أنه لا يزال كما هو لم يطرأ عليه شىء من التعديل أو التغيير .

البصمات والقرآن : إن الإنسان كله بصمات ، فبصماته توجد فى اليد والقدم والشفتين والأذنين والدم واللعاب والصوت والشعر والعيون وغيرها ، وقد وردت الإشارة فى القرآن الكريم فى سورة القيامة :

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾

(القيامة : الآية : ٣ ـ ٤)

والبنان هو أطراف الأصابع ، لقد أنكر الكفار الجاهلون هذه الآية وقالوا : كيف يجمع الله العظام البالية لإعادة بعث الإنسان ، فأجابهم الخالق بقوله :

﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾

(القيامة : الآية : ٤)

أى : بل نجمعها ونحن قادرون على أن نعيد أطراف أصابعه التى هى أصغر أعضائه وأدقها أجزاء ، فكيف بكبار العظام ؟

ويقول المفسرون : لقد اختار الله الأطراف للأصابع لما فيها من غرابة الصنع ودقته ، وذلك لأن الخطوط والتجاويف الدقيقة فى أطراف الأصابع لا يماثلها خطوط أخرى فى أصابع شخص آخر على وجه الأرض ، ولقد بقيت هذه الآية معجزة فى غيب المولى إلى أن أظهرها للناس فى القرن الماضى .

مكتشفو البصمات : إن أول من ابتدع طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع هو الطبيب الإنجليزى (هنرى فولدز) عام ١٨٧٧م ، وفى عام ١٨٨٠م شرح طريقة أخذ البصمات ، وفى عام ١٨٨٦م قام العالم السير (فرانسيس جالتون) بتقسيم البصمات إلى أربعة أنواع ، وقال إن هناك أربع مميزات رئيسة للبصمة وهى :

- تفرع خط أو خطين .
- انتهاء خط بالاتجاهين .
- وجود جزيرة أو نقطة .
- وجود حلقة .

وتسمى هذه تفصيلات جالتون .

وقد كان الاستخدام العلمى للبصمات عام ١٨٥٢م بمقاطعة البنجاب الهندية بواسطة الحاكم الإنجليزى (وليم هرتشل) عندما أمر بأن يطبع السكان أكفهم فى نهاية العقود والعهود حتى يضمن عدم إنكار أطراف التصادق حين المقاضاة .

استعمالها فى الجريمة : وقبل أن تستعمل الشرطة البصمات لإثبات مرتكبى الجريمة وقعت حوادث مفجعة من القتل والاغتصاب والسرقة ، وكانت الوسيلة لإثبات الجريمة على الجانى هم الشهود ، أو الاعتراف من الجانى نفسه ، وقد يؤخذ الجانى قهرا لاستجوابه تحت وسائل التعذيب المختلفة ، وهنا يمس كرامة الإنسان كإنسان أولا لا كمجرم ، مما جعل البعض ممن لهم ضمائر حية يستنكر هذه الوسائل ، ويندد بها ، ومن هؤلاء (موريس غارسون) الذى يقول فى هذا الصدد : (إن قيود هذه الطريقة تسىء إلى شرف العدالة فى البلاد المتمدنة) .

ولذلك منع وزير الداخلية البريطانى استعمال العقاقير المخدرة فى الاستنطاق عام ١٩٤٨م ، ومنعها أيضا وزير العدل الألمانى عام ١٩٤٩م .

وقبل استعمال البصمات بصفة رسمية كانت شرطة باريس وإيطاليا تأخذ بمقاييس دقيقة للجسم حتى إذا ما عاد المجرم أمكن التعرف عليه ، ولكن هذا النظام أخذت الانتقادات تتجه إليه ، مما جعل المجتمع ينبذه ، أما أول دولة فى العالم أخذت بنظام علم البصمات كشاهد يقينى على كشف الإنسان والدلالة على هويته المتميزة فهى الأرجنتين عام ١٨٩١م ، وقد اختلف فى عدد العلامات اللازمة التى يجب توافرها للمقارنة بين البصمة المطبوعة والحقيقة من بلد إلى آخر إلى أن جاء مؤتمر ١٩٦٧م الدولى فى باريس فى نوفمبر ، حيث تم الاتفاق على توحيد عدد العلامات فى مختلف دول العالم باثنتى عشرة علامة مميزة حتى لا يتاح للهاربين الإفلات لسبب الاختلاف العددى لأخذ البصمات من دولة أخرى .

وقد اهتم العلماء الباحثون بمسألة البصمة فطبقوا نظرية حساب الاحتمالات ليعرفوا النسبة الاحتمالية التى يمكن أن تكون إذا ما بحثنا عن وجود نسختين من بصمتين متشابهتين أو متطابقتين بين البشر جميعهم ، وبعد الحساب المضنى وجدوا ما يلى : أنه إذا بلغ عدد سكان المعمورة ٨٠ مليارا

من البشر فيحتمل أن توجد نسختان متطابقتان لبصمتى شخصين مختلفين ، أى بنسبة ١ : ٨٠ مليارا ، وهذه النسبة ضعيف حدوثها .

بصمة العرق .. نموذج غريب : ونظرا لزيادة الإجرام والمجرمين وتطور طرق القتل والسرقة والاغتصاب فى عصرنا الحاضر ، نجد عددا من العلماء يتابعون البحث عن وسائل أخرى تساعد القضاء الجنائى فى إثبات الجريمة على مقترفيها دون أن يمكنه التهرب من قبضة العدالة مهما حاول تضليلها ، وبخاصة أن مكافحة الإجرام أصبحت علما له رواده ومفكروه ، ووسائله المتطورة جدا ، كما أن القتل يعد مشكلة علمية ، وقد أدى البحث لبعض العلماء إلى اكتشاف عدة بصمات سواء للإنسان أو الحيوان ، فكانت بصمة العرق التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله :

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾

(يوسف الآية : ٩٣)

وقوله ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ (يوسف : ٩٤)

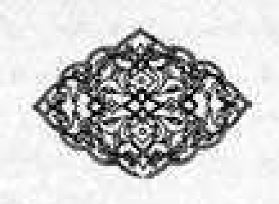
فقد عرف الأب ابنه من رائحة عرقه على القميص ، طبعا بإلهام من الله ، لأن حاسة الشم عند الإنسان ضعيفة إذا ما قورنت ببعض الحيوانات ، واليوم يستخدم جهاز قياس الرائحة وتسجيل مميزاتها بأشكال متباينة ومخططات علمية لكل شخص ، وهى تعتمد على أن لكل شخص رائحته الخاصة التى لا تتفق مع غيره ، والتى تبقى مكانه حتى بعد مغادرته لهذا المكان ، وعليها قامت فكرة (الكلاب البوليسية) المدربة ، فالكلب المدرب يستطيع أن يميز بين رائحة توأمين متطابقين تماما ، ويقول البروفيسور (وولتر نيوهاوس) من جامعة (إيرلانجن) بألمانيا : إن كل خطوة قدم عارية لإنسان بالغ تترك على الأرض كمية من العرق تقدر بحوالى أربعة أجزاء من بليون جزء من الجرام ، ورغم ضآلتها وعجز أية وسيلة متاحة لاكتشافها إلا أنها كافية لأنف الكلب المدرب ليتتبع مسارها !

.. وأخيرا .. نقول صدق الله العظيم حينما قال : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ، فكلما زاد الإنسان فهما لآياته ازداد إيمانا به وبقدرته عز وجل فى تنظيم هذا الكون ، لقد كانت البصمة ولاتزال سرا من أسرار عظمة الله - عز وجل - فى خلقه ليثبت قوله :

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾

(النمل : ٨٨)

فما أعظمها من آية تؤكد قدرة الخالق !!





اللغة العربية لغة الإسلام

بقلم الفريق
يحيى بن عبد الله المعلمى *

اللغة : أى لغة هى لسان كل الشعب المعبر عن أفكاره وآرائه ومشاعره وأحاسيسه وآماله وآلامه وتطلعه وطموحه .

كما أن اللغة وما دون من آثارها من شعر ونثر وفكر وأدب هو تاريخ الأمة وتراثها الذى تعتز به وتباهى .

ولذلك فكل أمة تفخر بلغتها . وتعتز بها ، وتحرص على انتشارها ومنع اختلاطها بغيرها من اللغات لتظل نقية صافية .

وأمة العرب تتميز عن جميع الأمم بأن لغتها ليست لغة شعب أو وطن أو إقليم . وإنما هى لغة أمة عظيمة العدد ، متعددة الأوطان ، منتشرة على مساحة كبيرة من رقعة العالم ، فهى لغة الإسلام : الدين الحنيف الذى يدين به مئات الملايين من البشر فى مختلف بقاع المعمورة ، وبها تقام شعائر الإسلام فى كل بلد . فالأذان يرتفع خمس مرات من المآذن فى كل مدينة أو قرية ، فى كل وطن به عدد من المسلمين ، والقرآن الكريم يرتل كل يوم على أفواه المقرئين ، وتنقله الإذاعة المرئية والمسموعة إلى المسلمين فى كل بلد .

* الكاتب : عضو مجمع اللغة العربية ، والرابطة العالمية للأدب الإسلامى .

والقرآن الكريم يتلى أيضاً فى كل بيت فيه مسلم . ومن لايجيد قراءة القرآن باللغة العربية فهو يحفظ على الأقل سورة الفاتحة ، أم الكتاب وسوراً أخرى من قصار السور فى القرآن الكريم يقيم بها صلاته ويؤدى بها مافرض عليه من مشاعر ومناسك .

ولذلك فإن تعلمها وإجادة النطق بها ، وإحسان ترتيل القرآن بها أمر يحتمه الدين قبل أن يكون واجباً وطنياً أو قومياً .

ونحن نرى الأمم من حولنا تعمل الكثير من أجل نشر ثقافتها عن طريق الإذاعات أو الأشرطة المسجلة . أو إنشاء المعاهد فى الدول التى لا تتكلم لغاتها إضافة إلى إنشاء المعاهد العالية والكليات المتخصصة لتعليم اللغة ، وآدابها ، وتاريخها ، ونحوها ، وصرفها ، وما تحويه من معان وأوجه الإبداع فيها .

والدول العربية تبذل فى هذا الاتجاه جهوداً مشكورة ، فالمدارس والمعاهد التى تنشر اللغة العربية وتعلمها لغير الناطقين بها وتجعل الناطقين بها أكثر إجادة لقواعدها وتطبيقاتها ، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم منتشرة فى المساجد والزوايا والأحياء ، والمسابقات تنظم للتشجيع على حفظ القرآن الكريم ، والجوائز المغرية تقدم للناجحين فى ذلك على مستوى كل وطن عربى ، وعلى المستوى الدولى الإسلامى ، ولايغيب عنا مسابقات حفظ القرآن الكريم وتجويده التى تقام فى ماليزيا وأندونيسيا وغيرهما من الدول الإسلامية ، وترصد لها الجوائز المالية للفائزين ، ويقوم على التحكيم فيها قراء من مختلف الدول العربية ، وبخاصة من الأزهر الشريف الذى يعد حصناً للغة العربية ، ومعقلاً من معاقلها الحصينة التى لها فضل الكفاح والدفاع عن اللغة العربية فى مواجهة الدعوات الاستعمارية ، التى كانت تحاول طمس اللغة العربية وكتابتها بالحروف اللاتينية وتشجيع الكتابة باللغات العامية لتبديد شمل الأمة العربية وتشتيت لغاتها ، وإضاعة تراثها العريق المجيد .

ولكن الله الذى وعد بحفظ القرآن الكريم حمى اللغة العربية ، وسيظل يحميها من كيد الكائدين وعنت المستعمرين الطاغين .

ولكن المشكلة الكبرى التى تواجه اللغة العربية هى عقوق أبنائها وسعيهم فى سبيل حصارها وتحطيمها بالقول والفعل .

ومن أفاعيلهم إهمال اللغة الفصيحة ، واستبدال لهجات محلية بها ، لايقتصر استعمالها على الحديث الشفهى ، وإنما أدخلوها إلى الصحف والمجلات ، وأقاموا المهرجانات الدولية للأزجال العامية ، ورصد بعض الأثرياء العوام جوائز مالية ضخمة ، فتسابق الناس إلى ارتضاخ العامية ، والخوض فى مستنقعاتها ، لم تمنعهم غيرة على عروبتهم ، ولا حمية لديهم .

ففى بلد عربى كريم تصدر الصحف اليومية ، وفيها صفحات تبلغ نصف عدد صفحات الجريدة كلها ، وهى كلها باللغة العامية من الأزجال ، التى أطلقوا عليها اسما جذابا ، وقالوا : بأنها شعر شعبى ، فخلعوا عليها لقب الشعر ، وهى تخلو من أهم صفة من صفات الشعر ، وهى سلامة اللغة ، ونسبوها إلى الشعب العربى كله ، والشعب ليس طغمة من العوام بل منه العلماء والأدباء والكتاب والصحفيون والطلاب

والموظفون والقضاة والمحامون ورجال الأعمال وكلهم متعلمون يجيدون القراءة والكتابة باللغة العربية الفصيحة ولاتخفى عليهم معانيها .

وزعموا أن اللغة العامية أقرب إلى أفهام الناس ، ونحن نرى الناس كلهم يذهبون إلى صلاة الجمعة كل أسبوع ويستمعون إلى خطبة الجمعة ، ولم يقل أحد منهم : أنه لم يفهم الخطبة ، ونراهم يقرأون القرآن الكريم ولم يقل أحد : إنه عسير الفهم ، وإذا أشكل عليه فهم شيء منه أسرع إلى من يعرف القرآن واللغة فاستوضح منه .

ولم يدع أحد أبداً إلى الخطبة بالعامية لكي يفهم الناس الموعظة .

ولم يدع أحد إلى قراءة القرآن وطبعه باللغة العامية ليكون سهلاً على الجهلاء .

وزعموا أن اللغة العامية أقرب إلى الوجدان فى الغناء وهم يستمعون إلى أغانى أم كلثوم باللغة العربية مثل : ولد الهدى ، ونهج البردة ، وقصة الأمس ، وذكريات ، وحديث الروح ، وإلى عرفات الله ، وإلى أغانى محمد عبد الوهاب مثل : الكرنك ، والجندول ، وكليوباترا ، والنهر الخالد ، وفلسطين ، وغيرها ، فيطربون لها أيما طرب ويستمتعون بألحانها ويتذوقون كلماتها ومعانيها .

وهذه الأغانى هى التى سوف تخلد فن أم كلثوم وعبد الوهاب ، وليست الطقاطيق العامية التى انتشرت ثم اندثرت ، ولما يمض عليها ربع قرن من الزمان .

وزعموا أن اللغة العامية هى التى يتحدث بها الناس ، وأن علينا أن ننزل إلى مستوى العوام وأنا أقول لهم : إن من العار أن يتحدث مثقف باللغة العامية فى منزله أو فى السوق وتتضح شناعته إذا كان المتحدث مدرساً فى فصل أو خطيباً فى محفل أو متحدثاً فى مجلس رفيع يتناول موضوعات الساعة من سياسة واقتصاد ومشكلات دينية أو دنيوية .

ونحن نقول : إن من واجبنا أن نرفع الناس إلى مستوى اللغة العربية الفصحى لا أن ننزل إلى مستواهم ، وكذلك عندما نرى المتحذلقين يخاطبون أتباعهم من الخدم والسائقين الذين استقدمناهم من دول لايتكلم أهلها العربية ، فإننا بدلاً من أن نحملهم على فهم لغتنا والحديث بها نلوى ألسنتنا فنذكر المؤنث ، ونؤنث المذكر ، ونخاطب الفرد والجمع بضمير الغائب المفرد ونظن أننا بذلك نيسر اللغة ، ونحن نعقدها ونجعلها صعبة عسيرة على السامع .

والأدهى أن ينشأ أطفالنا فيألفون لغة الأتباع وينشأ جيل جديد ضيع اللغة العربية ، ولم يتقن لغة أجنبية فكان كالغراب الذى خطر له أن يقلد خطو الحمامة فأصيب بالعرج وسمى أبا مرقال .

وبعد أيها الإخوة الكرام فأنتم ترون أنه إذا تحدث أحدكم مع الآخر بلغته العامية لاتفقه من حديثه شيئاً أما إذا تكلم بالعربية الفصحى فإننا نفهمها جميعاً .

ولذلك فاللغة العربية تربط الشعوب العربية ، وتوحد لغتها وتربط قلوب أفرادها بعضهم إلى بعض ، وقد لقيت من الدفاع عن اللغة العربية ، ومهاجمة العامية عنتاً ولكنى أقول :

أحيى حى الفصحى وأفخر أنها
لغتى بها جاء الكتاب المنزل
وبها أحاديث النبى المصطفى
ويغيرها القرآن ليس يرتل
وسلمت اللغة العربية ورفع الله شأنها .

خميلة الشعر

إعداد الأستاذ / محمد عبد الوهاب

شاعر قال عنه النبى ﷺ
(يأتى يوم القيامة أمة وحده)

المعجزة الخالدة

إحمنى منى

من شعراء الاسلام



شاعر قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم يأتى يوم القيامة أمة وحده *

للأستاذ: محمد عبد الوهاب

كان مثلا رائعا للفطرة السليمة ، إذا التقت بعقل واع ، وقلب سليم ، فقد رفض الخرافة ، التى أحاطت به من كل جانب ، وواجه مجتمعه بهذا الرفض ، ولم يكتف بالرفض وحده ، وهو موقف وإن بدا سلبيا ، إلا أنه موقف عظيم ، يدل على الشجاعة ، وعلى وجوب احترام العقلاء فى مواجهته لكل ما يتعارض مع الفطرة السليمة للإنسانية الحقة ، ولم يقف عند موقفه الرافض فقط ، ولكنه ارتحل ؛ طالبا للعلم والمعرفة ، وحتى تستقر بداخله المعايير الإيجابية للفطرة ، التى خلقها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الإنسان .

حين وصل إلى بلاد الشام التقى هناك بعلماء المعتقدات المختلفة ، فحاوروه وحاورهم ، وهو يجاهد ويكد فى سبيل الوصول إلى الدين الحق ، والملة الأجدر بالاقتداء حتى استقر على ملة الحنيفية السمحاء ملة سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولما عاد إلى الوطن ـ مكة ـ استغرب قومه هجرته للأصنام وعبادتها واستهزاءه بها ، فنفوه عن أهله ودياره ، فهجر الأوطان وارتضى النفى ، فى سبيل المبدأ والدين الذى ارتضته فطرته ، وعندما سمع برسالة الإسلام التى نزلت على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ شد من فوره الرحال متوجها إلى نبع النور الصافى ؛ ليرتوى من الهدى والحق ، لولا أن عاجلته منيته قتيلا على يد أهل ميفعة[1] وهو فى الطريق إلى مكة .

إنه الشاعر زيد بن عمرو بن نفيل بن

---

* انظر من ص ١٢٣ إلى ص ١٢٨ جـ ٣ من كتاب الأغانى

(١) هى قرية من أرض البلقاء من الشام



عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن لؤى بن غالب ، وأمه جيداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فَهْم . وكانت جيداء عند نُفَيْل بن عبد العُزَّى . فولدت له الخطاب أباعُمَر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وعبد نُهْم ، ثم مات عنها ، فتزوجها ابنه عمرو ـ فولدت له زيدا ، وكان معروفا عند أهل الجاهلية .

كان زيد بن عمرو لا يأكل من ذبائح أهل الشرك ، ولا يأكل إلا مما ذكر اسم الله عليه ، وكان يقول :

« يامعشر قريش ، أيرسل الله قطر السماء ، وينبت بَقْل الأرض ، وَيَخْلُقُ السائمة ، فترعى فيه ، وتذبحوها لغيره ! والله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيرى » .

وكان إذا جاء البيت الحرام قال : « لبيك حقًّا حقًّا ، تعبُّداً ورِقًّا ، البر أرجو لا الخال[1] وهل مُهَجِّرٌ[2] كمن قال . ثم يقول :

عذت بما عاذ به إبراهيم ... مستقبل الكعبة ، وهو قائم
يقول : أنفى لك عانٍ راغم ... مهما تجشمنى فإنى جاشم

ثم يسجد ، وكان يقول أيضا :

عزلت الجن والجنان عنى ... كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلاً أدين ، وكان ربا ... لنا فى الدهر إذ حلمى صغير
أربا واحداً ، أم ألف رب ... أدين ، إذا تقسمت الأمور
ألم تعلم بأن الله أفنى ... رجالاً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم ... فيربو منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوما ... كما يتروح الغصن النضير

فقال له ورقة بن نوفل :[3]

رشدت وأنعمت ابن عمرو، وإنما ... تجنبت تنوراً من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله ... وتركك جنان الجبال كما هيا
أقول إذا هازرت أرضاً مخوفة ... حنانيك لاتظهر علىَّ الأعاديا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم ... وأنت إلهى ربنا ورجائيا
أدين لرب يستجيب ولا أرى ... أدين لمن لايسمع الدهر داعيا
أقول إذا صليت فى كل بيعة ... تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

يقول : خلقت خلقا كثيرا يدعون باسمك .

ومن شعر زيد بن عمرو :

أسلمت وجهى لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما استوت شدها ... سواء وأرسى عليها الجبالا

قال الزبير : وحدثنى مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد ابن زيد بن عمرو قال :

سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله ـ ﷺ ـ عن زيد فقال : « يأتى يوم القيامة أمة وحده » .

---

(١) أى الخيلاء
(٢) أى مبكر
(٣) هو قرشى جليل القدر ، نافذ البصيرة ، كان قريبا للسيدة خديجة زوج النبى ـ ﷺ ـ ترك الوثنية إلى النصرانية ، وكان يقول للنبى ـ ﷺ ـ « ستكون نبيا ، وإن أدركنى يومك ، نصرتك نصرا عظيما ، ولكنه توفى قبل أن يظهر للناس إسلامه .



المعجزة الخالدة

للأستاذ: إبراهيم صالح

إلهى وقفنا هنا خاشعين
بين يدينا الكتابُ المبين
نرتل آياته كل حين
لنحظى بنور الهدى واليقين

• • •

تباركْتَ يارب أنزلتَ نورا
على خيرِ خلقِك سِفْرًا طَهورا
ومعجزةً تتحدى الدهورا
وشمسا وبدرا وصبحا منيرا

• • •

بآياته كم سبقنا الزمانا
وكم راح فى التيه يَهدى خطانا
وكان السياج لنا والأمانا
ودرعا على الدهر يَحمى حمانا

• • •

كِتابٌ حملناه للعالمين
فكان سنا الحق للحائرين
وأنشودةَ الصحو للغافلين
وترنيمةَ النصر للزاحفين

• • •

رفعناه سيفاً بوجه العدا
فكان النداء وكنا الصدى
بلغنا به الشُّهبَ والفرقدا
وصار لأحكامنا سيدا

• • •

أقمنا الممالك شرقا وغربا
وكان من المُلك روحا وقلبا
وسرنا مع النور دربا فدربا
وخضنا المسالكَ سهلا وصعبا

• • •

على هَدْى آياتِه البينات
وفى ظل ما فيه من معجزات
وما فيه من حِكم بالغات
ملكنا ذُرا العز والمكرمات

• • •

ولما نسيناه ضلت خطانا
وغامت سمانا وتاهت رؤانا
ورحنا مع التيه نُسقَى الهوانا
وصرنا دُمَى بين أيدى عدانا

• • •

وفى كل درب تئنُّ الرياح
وعزفُ الأعاصير لحنٌ مباح
يسيل مع الليل دَمْع الصباح
ويملأ أيامَنا بالجراح

• • •

وركبُ الهدى فى سبات عميق
وتأبى رياحُ الكَرى أن يفيق
وحاديه ضلت خطاه الطريق
وغنّى مع الغرب لحنَ الشروق

• • •

ولن يَرجِعَ النورُ حتى نعود
ونقرأ آى الهُدَى من جديد
ونسعى على كل درب رشيد
هنا وحدنا منشود الوجود

احمني حتى

شعر : إبراهيم عيسى

فى قاعِ بئرِ الخوفِ يصرخ كلُّ ذنبٍ كان لى
والذنبُ عندي جحفلٌ يمشى بجانبِ جحفلِ
والحزنُ فى نفسى حزينٌ صارخٌ بتململِ
ويقول لى ذنبي :انطلقْ . أو ما بَدَا لكَ فافعَلِ
فعَدَوْتُ فى غاباتِ أيامى كليْلٍ ألْيَلِ
فأحِسُّ أنفاسَ الظلامِ بعالمى لاتَنْجلى
مُشْتَدِقاتٍ بالخطايا فى حنايا مقْتَلى
لكنْ سمعتُ هدايةً تشدو كصوتِ البلبلِ
ورأيتُ فوق جوانح الظُّلمات فَجْراً مِنْ عَلِ
مُتَألِّقاً أنوارُ ظلمائى ليَشْفِى منْهلى
مَنْ أنتَ يا ألقاً محَا ظُلَمِى فصفّقَ جدولى ؟
فتَبَسَّم الألَقُ الطهورُ .. ولاحَ فجْرُ تبتُّلى
وتَساقطَ الدمعُ المكبَّرُ فوق خدِّ تذَلُّلى
وسَرتْ بِىَ الأشواقُ حتى المنتهَى فى مَعْزِلِ
وعلى المَدَى آنسْتُ ناراً جِئتُها كى أصْطَلِى
فتفجَّرَ الإيمانُ نوراً ثم أضْحَى موئِلِى
وعلى جبالِ البَوْحِ قلتُ .. وقلتُ .. كلّ توسُّلى
يا نفسُ هذا الذنبُ قيْدٌ .. حَطِّميهِ وزَلْزِلِى
لأَفِرَّ بِى منّى .. وأحلَّ فى الليالى مشعلى
وأعودَ طفلاً أبيضَ الصفحاتِ عند ترحُّلى
طُوبَى لمن عرَفَ الصِّراطَ فعاد دون تمهُّلِ
يا ربَّنا .. الخوفُ يجلدنى فعلتُ أو لم أفعلِ
كُلِّى جراحٌ .. فاحْمِنِى منّى .. وخُذْ بتوكُّلى
أطلِقْ حنانَكَ فوق خوفى .. ربَّنا وتقبَّلِ

من شعراء الإسلام

الربيع الغزالي

بقلم الأستاذ:
أحمد مصطفى حافظ



محمد حسن علي غزالة
(الربيع الغزالي)

درج النقاد والباحثون على إطلاق لقب الشاعر الإسلامي[1] عليه ، لتدينه الشديد ، وإيمانه العميق ، بقوله تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (سورة ق الآية ٨٥) ، وصدوره ، في كل ما كتب ونظم ، عن مشاعر الأمة الإسلامية، في سمو غايتها ، وتوجهاتها السامقة .

ترجمة حياته :

ولد بقرية قبور الأمراء مركز الدلنجات ، بمحافظة البحيرة ، وكان ميلاده في مستهل الربيع ، ومن ثم أصبح اسما على مسمى ، في فجر يوم الأحد في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٠ هجرية ـ العاشر من شهر مارس سنة ١٩١٢ م ، وسماه والداه محمداً ، وكان له شقيق أكبر ، يحمل اسم (محمد) أيضاً ، فاتفقا

(١) ويطلق لقب (شاعر الإسلام) على العلامة محمد إقبال ، شاعر الباكستان الكبير.

على مناداته ـ أى شاعرنا ـ باسم شهر المولد النبوى الشريف ، الذى وُلد فيه : (ربيع) ، ولما علم بذلك جده الشيخ على غزال ـ وهو من كبار رجال الأزهر الشريف ـ قال : إذن ، فهو الربيع الغزالى ، ليكون اسمه بين مَنْ يحملون اسم : الربيع ، من العلماء ، من أمثال : الربيع الجيزى ، والربيع بن سليمان ، وأضرابهما ، وإن تضمنت شهادة ميلاده اسم : محمد حسن على غزالة .. وقد نشأ ، فى بيت علم ، وأدب ، ودين ، فقد كان أجداده وأسلافه ، لأبيه وأمه ، من علماء الأزهر البارزين ، وكانت تقام فى دورهم ، بين الحين والحين ، ندوات جامعة ، يدور فيها الحديث سجالاً ، فى الدين والأدب والشعر ، ومن ثم تأثر شاعرنا منذ نعومة أظافره ، بهذه البيئة الطيبة ، التى شب فيها ، ونهل من ينابيعها ، حتى كَظَّ .. وبخاصة أنه نشأ منطوياً على نفسه ، لا يميل إلى اللهو واللعب ، كغيره من الأطفال ..

وكانت عزلته تلك ، فى محيطه الذى ألمحنا الإشارة إليه ، وبُعْده عن الحياة والناس ، سبباً فى أن لسانه استقام على العربية الفصحى ، التى التقطها من أفواه العلماء الأعلام من حوله ، فلا يتحدث إلا بها ، لأنه كان .. لا يعرف العامية قط ، إلى أن اضطرته حركة الحياة ، إلى مخالطة الناس ، فأخذ يروض لسانه على التحدث بالعامية ، على كبر ، حتى مرن عليها ، وهو فى سن الأربعين ! .. وقبل أن يبدأ مرحلة الدراسة الجامعية ، دعاه المرحوم (أحمد حافظ عوض) ـ صاحب جريدة (كوكب الشرق) ـ للعمل فى جريدته ، وكان قد قرأ له ديوانى شعر ، أصدرهما وهو طالب بالمرحلة الثانوية بالإسكندرية .. فبدأ عمله بجريدة : (كوكب الشرق) يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٣٣ ، وكانت هذه هى بداية عمله بكثير من الصحف والمجلات ، انتهت إلى عمله ، أخيراً ، بجريدة (الأهرام) ، حتى أحيل إلى المعاش فى العاشر من مارس سنة ١٩٧٢ م .

وتفرغ لإصدار دواوينه الشعرية ، ومؤلفاته الدينية ، وأصدر مجلة تحمل عنوان : (صوت العروبة) سنة ١٩٥٤ ، وتولى رياسة تحريرها حتى عام ١٩٦٥ .

وفى (صوت العروبة) دبَّج الكثير من الموضوعات الأدبية والاجتماعية القيمة ، وكان له باب ثابت بها ، بعنوان : « من شجون الحديث » ، يقوم فيه بجولات نقدية ، بمنهج متميز ، وتحليلات دقيقة ، كما نشر فيها طائفة من قصائده .

نقابة الصحفيين :

كان شاعرنا أول من دعا إلى إنشاء نقابة للصحفيين سنة ١٩٣٦ ، بالكتابة عن ذلك فى الصحف ، والخطابة فى المؤتمرات والاجتماعات الأدبية ، إلى أن تم إنشاء النقابة فى سنة ١٩٤٢ م ، وأصبح من أبرز أعضائها : نشاطاً وإنتاجاً .

ندوات الشعر :

وفى سنة ١٩٥٧ دعى للاشتراك فى الندوات الشعرية ، ومنها ندوات : شعراء العروبة ، ودار الأدباء ، ولواء الإسلام ، وهيئة خريجى الجامعات والرابطة الإسلامية ، ورابطة الأدب الحديث ، فأسهم فيها بقصائده العديدة ، وصار من أبرز

أعضائها ، فكان أمينا عاماً لرابطة الأدب الحديث ، حتى سنة ١٩٦٨ ، حينما اضطر لظروف صحية ، إلى الإخلاد إلى الراحة بمنزله ، والتقاط الأنفاس ، بعد طول الشوط ، ليتفرغ لتفسير آيات الله البينات ، بجريدة النور ، تحت عنوان : (اقرأ فى جامع التفاسير) ، كما قام بكتابة بحوث لغوية ، بذات الجريدة ، بعنوان : « أخطاء لغوية شائعة » .

وقام بإلقاء عدة أحاديث فى الإذاعة والتليفزيون ، فى برنامج (فن وأدب) ، وقد كتب عنه وعن شعره ونثره ، فى الصحف الأدبية والدينية ، العديد من الباحثين والنقاد ، نذكر منهم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى والدكتور عبد العزيز شرف ، وكاتب هذه السطور ، كما كتب الشاعر الراحل محمود جبر ، بعض القصائد عنه ، التى تم نشرها بكتاب : (الندوة البدرانية) ، وكذلك نظم الشاعر الراحل وديد الزند قصيدة ينوه فيها بنبوغه ، ونشرت بديوانه .

دواوينه التى صدرت :

١ ـ أزاهير الربيع
٢ ـ فوح المسك
٣ ـ رجع الصدى
٤ ـ روح الأثير
٥ ـ فيض السنا

ومازالت لديه مجموعات كبيرة من شعره ومؤلفاته ، تنتظر أن تظفر بالنشر ، بعد أن تقدم فى السن (٨٦ عاماً) ، وأصبح لا يقدر على القيام بنفسه ، بطبع ونشر هذه الأعمال ، التى تربض فى أضابيرها ، قلقة مشوقة ، لمن يظهرها إلى عالم النور ، من غياهب الديجور .

نماذج من شعره :

تتسم لغته الشعرية بالرهافة والشفافية ، بما لا نكاد نجدهما عند غيره ، من شعرائنا المعاصرين إلا فى أقل القليل ، فهو يحلق فى سموات الفيوضات الربانية ، التى تملك عليه مشاعره فتجعله يقول ، متضرعا لله ـ عز وجل ـ بقصيدة : (الجسم والروح) ، وهى من قصائد دواوينه التى لم تنشر من قبل :

يارب إنى هنا .. والروح ناظرة
إلى رضاك .. فهل يارب .. ألقاه
أنا المحب وحبى ليس يبلغه
إلا الألى نهلوا من عذب سقياه
قلبى هو الكون .. فيه الحب مؤتلق
هو الحياة ، على نهج سلكناه
لقد رقيت به ، حتى تجرد بى
عن كل وهم ، من الأوهام ، أأباه
بالحب قد كانت الأكوان أجمعها
للكاف والنون . سر فى طواياه
.. آيات ربك فى الأكوان ناطقة
وفى النفوس . تعالى الخالق الله

ومن قصائده الوصفية ، قوله تحت عنوان (بهجة الربيع) :

قالوا الربيع .. وأنت فى الشعراء
أنت الربيع فقل مع الشعراء
فنظرت أستوحى الربيع بيانه
لأقول فيه الشعر رجع صداه
ونظرت أستجلى الطبيعة حسنها
ما بين أرض قد زهت وسماء
والشمس تشرق بالضياء ، كأنها
روح الشباب ، بنوره الوضاء

إلى أن يقول :

والماء يجرى فى الغدير كأنه
ذوب اللجين .. كفضة بيضاء

ويستمر ، متدفقا ، بهذا النسق الرائع ، يعطينا الصور البيانية ، التى تكاد تجسم الربيع ، وتجعلنا نعيش معه بكليتنا ، نستوعب بهجته فى الأكوان ، بشغف وافتتان ..

• • •

وفى قصيدته الطويلة ، بعنوان : (مصر والتاريخ) وهى تمثل قمة شعره الوطنى ، يقول :

هنا وقف التاريخ .. يعنو ويخشع
ويكتب ما يملى عليه .. ويسمع
هنا فى رُبَى مصر ، على شط نيلها
على حقلها الفياح .. والنبت ممرع
هنا فى صحاراها ، وفوق مروجها
سواء خصيب من ثراها وبلقع
على جانب الوادى ، وفوق هضابه
وما ناخت فيه قفار وأربع

إلى أن يقول عن مصر الحبيبة :

تتلمذت الدنيا عليها ، ولم تزل
تتلمذ ، حتى آخر الدهر ، تبدع

وبعد ، فنرجو أن نكون قد وفينا شاعرنا بعض حقه ، من الدراسة والتنويه ، بعد شوطه الطويل ، وعطائه الجم ، فى شتى ضروب العلم والمعرفة والأدب ، أطال الله بقاءه ، وأجزل ثوابه . وبالله التوفيق .

من أعلام الأزهر الشريف ، بقية :

الصحة ، والعلة فى ذلك قصر القوانين الرادعة ، واحتيال المحامين فى المحاكم على تبرئة المتهم ، ولو استند المجتمع إلى إيمانه الأصيل لزالت أكثر هذه الشرور ! إن بعض الآثمين فى عصر النبوة كانوا يعترفون بجرائم سترها الله عليهم ، وهم فى مأمن من إذاعتها ، بل إن الرسول ﷺ كان يحاول أن يرجع بالمتهم عن اعترافه ما دام الله قد ستر أمره ، ولكن ضمير المذنب ـ وهو فى صميمه مؤمن صادق ـ قد دفعه إلى المطالبة بحدّ يصل إلى الإعدام بالرجم ! ولو استشعر المجتمع الإسلامى الآن ما استشعره رجال الصدر الأول ، لم يكن مجال للجرائم المنتشرة ، والاعتداء المتصل ، بل كان ذلك استثناء قليلا من قاعدة الاستقامة والالتزام .

هذه بضعة سطور ، تُعطى موجزا مقتضبا عن اتجاه الدكتور العلمى ، وقد خففت عن نفسى بعض الشيء بالحديث عنه ، لأن استشهاده المفاجىء قد أثار لواعجى ، وجعلنى ساعتئذ أتقلب على أحرّ من الجمر ، وأنا أردد قول الأستاذ محمد عبد المطلب شاعر البادية فى موقف مماثل :

ألا تبت يد بالغدر راحت
تمد إلى أبى حسن حساما !
جبين زاده بالموت نورا
لقاء الله فائتلق ابتساما !

دوحة الكتب

إعــداد: محمــود الفشـــنى

هل الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

الهجرة النبوية

للإمام الداعية / محمد متولى الشعراوى







ستظل الهجرة حدثا تاريخيا من أعظم الأحداث التى شهدتها الإنسانية ، فهى نموذج حى متجدد على مر العصور ، قادر على الإلهام بأعظم الأعمال ، مقدم أروع القيم والمثل .

وقد كانت الهجرة المباركة مقدمة من مقدمات الفتح المبين لأم القرى تكريما لسيدنا محمد ـ ﷺ ـ الذى تعلق قلبه بها ، فهى المولد والنشأة ، ومبعثه إلى العالمين هاديا ومبشرا ونذيراً .

والهدف . من الهجرة إلى المدينة القرب من النبى - ﷺ - والانضواء تحت لوائه باعتباره القائد الأعلى للأمة الإسلامية ، وهو فى حاجة إلى كل المسلمين ليكونوا جنودا فى الدفاع عن الإسلام والجهاد فى سبيل الدعوة والتضحية بالنفس والنفيس فى ذلك ، وإلا فلا معنى للإسلام بدون ذلك والهجرة هجرتان : هجرة بالجسد من بلد إلى بلد ، وهذه أحكامها معلومة .

والهجرة الثانية : الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله ، وهذه الهجرة هى الهجرة الحقيقية وهى الأصل وهجرة الجسد تابعة لها .

● عزيزى القارىء حول هذه الهجرة المباركة يتحدث كتاب فضيلة الإمام الشعراوى الذى كانت افتتاحيته بقصيدة (موكب النور) قائلا فيها :

ذكّرينا يا هجرة الحق ما قال
وكيف استهل خطو السفار
واملئى الناس عزة وطموحا
وأرينا روائع الآثار
إنما أنت عبرة وتأس
صيّروها ضربا من الأخبار
أيقظى الشرق من سبات عميق
واحمليه إلى مدار الدرار

● حيث تعرض لكلمة (هاجروا) مأخوذة من الفعل الرباعى « هاجر » والاسم « هجرة » والفعل « هاجر » وهجر غير هاجر . فقد يترك الإنسان مكانا يقيم فيه فيكون هذا معناه « هجر » أى ترك وهو عن قلة وضيق تدفع إلى الهرب ، إنما هاجر لابد أن يكون هناك تفاعل بين اثنين الجاء إلى أن يهاجر .

● ثم انتقل فضيلته إلى فضل الهجرة والترغيب فيها شارحا معنى التوفى ومعناه القبض فيقال « توفيت دينى » أى قبضته مستوفيا .

أيضا أشار إلى الصراع بين النفس الإيمانية والنفس الشهوانية ذاكراً الصراع بين ابنى آدم قابيل وهابيل وفرق شارحا « مستضعف دعوى » ، ومستضعف حقيقى » فهناك مستضعف قد قبل استضعاف غيره له ، وجعل من نفسه ضعيفا.هذا هو « مستضعف دعوى » أما « المستضعف الحقيقى » فهو من هؤلاء الذين يذكرهم الحق سبحانه فى قوله تعالى :

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾

(النساء ٩٨) .

● تعرض أيضا إلى فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار قائلا : « السابق » هو الذى حصل منه الفعل - بصدد ما هو فيه - قبل غيره فتعرض لوجهة الاختلاف حول السابقين فهل كان سبقهم سبق زمان أم سبق اتباع ؟

● تناول أيضا جزاء السابقين الأولين ثم عرض النبى - ﷺ - نفسه على القبائل وبيعتا العقبة الأولى والثانية .

حتى وصل إلى أسباب الهجرة والمؤامرة على الرسول (ﷺ) .

وذكر أن من أوائل المهاجرين ، يتفق موسى بن عقبة وابن إسحاق على أن أبا سلمة بن

عبد الأسد هو اول من هاجر من مكة إلى المدينة وكذلك فإن مصعب بن عمير وابن أم مكتوم كانا من أوائل المهاجرين ، وقد تتابع المهاجرون فقدم المدينة بلال بن رباح وسعد بن أبي وقاص وعمار ابن ياسر ثم عمر بن الخطاب فى عشرين من الصحابة .

ثم أشار إلى بدء الهجرة النبوية المباركة وشرح صحبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه لرسول الله - ﷺ - فى غار ثور وهما فى طريقهما إلى الهجرة وكيف استعان الرسول - ﷺ - فى رحلته بدليل ذى خبرة حتى يتجنب الواحد منهم المفازات والمتاهات .

بعد ذلك انتقل فضيلته إلى قصة أم معبد ووصول موكب الرسول - ﷺ - إلى المدينة وبناء المسجد النبوى الشريف ثم معاهدته - ﷺ - مع اليهود فى المدينة والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار حيث ألف الله بين قلوب المسلمين ، فأصبح الإسلام أقوى رابطة تربط بينهم فأصبحت أخوة الدين أقوى من أخوة النسب ، وحين تتآلف القلوب فهذا أقوى رباط .

ثم أفاض فضيلته بشرح واف لتغيير القبلة وتحويلها إلى المسجد الحرام حتى انتهى إلى باب لا هجرة بعد الفتح ، علينا نحن فى هذا الزمان أن نعلم أنه لا هجرة بعد الفتح ، إلا إن كانت هجرة يقصد بها صاحبها المعونة على طاعة الله .

واختتم فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى هذه الفيوضات بقصيدته الروحانية « موكب النور » .

وبهذا أقدم لك عزيزى القارىء قصة الهجرة النبوية بشرح وتفسير واضح جل لتحظى مكتبتك بأعظم هجرة فى الوجود : هى هجرة المصطفى - ﷺ -

التخلف

« فى العالم الإسلامى » بين الداء والدواء

تأليف : الدكتور محمد شامة*

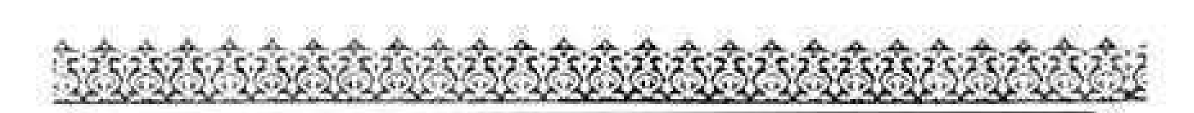
أستاذ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر



التخلف ظاهرة تصيب النمو فى بعض المجتمعات ، وتعنى بطء الحركة فى تحقيق النمو الذاتى لها وليس اللحاق بغيرها .

وهى تنبع أصلا من تأثيرات تفاعلية خارجية ، تتجسد فى سوء استغلال الطاقات المادية الكامنة ، وضعف التركيب الاجتماعى والإطار

(*) المؤلف : أستاذ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.



الثقافى القائمين . وأطلق على بعض المجتمعات بأنها دول متأخرة ويقصد بها الدول التى لم تصل إلى مستوى مرتفع من التقدم الفنى والاقتصادى وهذا لا يعنينا فى عرض كتابنا هذا الآن .

● الكتاب يتحدث عن مظاهر التخلف فى العالم الإسلامى ، وكيفية التعامل معها فى مجال الدعوة وفهم الإسلام الصحيح والعقيدة الراسخة .

● عزيزى القارىء : قسم المؤلف عبد الغنى شامة كتابه هذا إلى سبعة فصول . بدأ الفصل الأول بأسباب التخلف قائلا : ظهرت الكتب والمقالات حول هذا الموضوع ، بعضها يحلل هذه الظاهرة فى المجتمعات الإسلامية ، باحثا عن أسبابها وملابساتها ، متلمسا منافذ التخلص منها برسم مناهج خاصة ، وتوضيح أساليب معينة ينبغى على الفرد ممارستها .

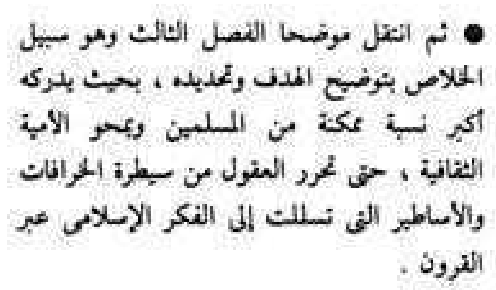
واهتم البعض الآخر بالجانب الوجدانى اهتماما زائداً ، فأرجع أسباب التخلف إلى الجانب الروحى فى المجتمع ، حيث فرط الفرد فى واجباته الدينية ، وتهاون فى الالتزامات التى فرضها الدين عليه إزاء نفسه وأسرته ومجتمعه .

وفريق ثالث تناول هذه الظاهرة بالشرح والتحليل ، فهم أولئك الذين رفعوا راية التمرد على الدين ، إذ يرجعون أسباب تخلف العالم الإسلامى إلى التمسك بالدين ، فهم يرون أن السلفية تشيع فى المجتمع المتخلف ، فأفراده يرضخون للتقاليد والأعراف ، ويحتمون بالماضى وأمجاده وبعضهم يخفف من لهجته فيرى أن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بالتراث ، وليس المحافظة على الدين ورفضهم أساليب الحضارة الحديثة - إذ يرفض المتشددون التعامل مع كل مظهر حضارى .

أما الفريق الرابع فقد أشار المؤلف بأنه فريق آتاه الله بصيرة نافذة ، وفكراً سليما ، وفهما واضحا للمتغيرات الدولية ، كما فقه تعاليم الدين ، ففرق بين الثابت منها والمتغير ، ووضح الخطوط التى تفصل بين الواجب برسمه ونصه ، وبين ماتتطلبه الظروف وتحتمه الأعراف والتقاليد الاجتماعية وشرح المؤلف أصحاب الاتجاهات الثلاثة مشيراً إلى الاتجاه الثالث المنادى باسم الإسلام والدفاع عنه وقاموا بالادعاء بأن الإسلام يحرم الديمقراطية .

وتحريم تعدد الأحزاب فى المجال السياسى ، ورفض التعامل مع معطيات العصر الحضارية ثم محاربة الانفتاح على الثقافات الأخرى بحجة الخوف من الغزو الثقافى :

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الفصل الثانى المواقف والأراء المريضة التى تسىء إليه فهو كمن يستعمل سلاحا يرتد إلى نحره دون أن يدرى ، فيساعد عدوه بذلك على النيل منه . ويهتم هذا الفريق بأمور فرعية واجتهادات فردية ، والصراع والتقاتل بين أفراده والتمسك بمظاهر وسلوكيات لا تعبر عن روح الإسلام . وإعلان الحرب على مؤسسات السلطة التنفيذية .



● ثم انتقل موضحا الفصل الثالث وهو سبيل الخلاص بتوضيح الهدف وتحديده ، بحيث يدركه أكبر نسبة ممكنة من المسلمين ويمحو الأمية الثقافية ، حتى تحرر العقول من سيطرة الخرافات والأساطير التى تسللت إلى الفكر الإسلامى عبر القرون .

ولا يتحقق ذلك إلا بوضع قواعد حق التعبير وعدم تقديس فكر السابقين ، وعدم تغييب العقل ثم عرض المؤلف شعارات المتشددين كالحاكمية لله ، ولا ديمقراطية غربية بل شورى إسلامية ، وحدة لا تفرقها الأحزاب .

● وضح أيضا القتال والجزية فى المجتمع المعاصر حيث قال : وصى الإسلام المسلمين بأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى - خيراً فجعل لهم الحق فى إقامة شعائرهم المقدسة والحفاظ على هويتهم الدينية وسمح لهم برعاية تراثهم والتمسك بتقاليدهم وعاداتهم ما دام ذلك فى حدود معتقداتهم .

● وتعرض للجزية قائلا أنها ضريبة محددة كانت تدفع فى مقابل عدم اشتراكهم فى الدفاع عن الوطن لأن شئون الدفاع فى العصر الأول كانت خاضعة لمبادىء العقيدة ، إذ كانت النصوص المقدسة هى التى توجه القتال وترسم استراتيجيته . مادام غير المسلم لا يخضع لهذه النصوص بحكم اختلاف عقيدته ، لكن لما كان القتال فى الإسلام للدفاع عن الوطن ، وليس لإجبار الآخرين على الدخول فيه ممن فيهم من مسلمين وغير مسلمين وجب على غير المسلم الإسهام فيه بما يستطيع .

● وضح المؤلف الحوار خير من الصدام قائلا :

لقد اختلط الحابل بالنابل فى ساحة العمل الإسلامى ، فتجد جماعات ترفع شعار السنة ، وتتمسك به ، وتدخل فى معارك تصل فى بعض الأحيان إلى حد الاقتتال فى سبيل الالتزام والدعوة إلى إحياء السنة .

● ثم تصدى المؤلف لبعض الجماعات فى مصطلحات يستخدمونها تجلب على المسلمين اليوم - إن استخدموها فى تكييف علاقاتهم مع الآخرين - مصاعب جمة ، ومشاكل لا يقدرون على مواجهتها فى ظل الظروف الدولية المعاصرة كمصطلح : (دار الكفر . ودار الحرب) أما فى الفصل الرابع فتحدث عن حرية الفكر فى الإسلام : وأن الدين أساس التربية وتحديد المفاهيم ولا يتحقق ذلك إلا إذا صارت حرية التعبير من المقدسات التى لا ينبغى لأحد أن يمسها .

ثم أشار إلى حدود حرية الفكر فى المجتمع الإسلامى وتعرض لقضية « أويجن دريفرمان » أحد القــس الكاثوليك فى ألمانيا ومعارضته لبعض أفكار الكنيسة الكاثوليكية !

وهل يشترك الإسلام مع الأديان الأخرى فى مثل هذه الظاهرة ؟

وتعرض المؤلف لقضايا أخرى منها لا قداسة فى الإسلام لرأى أو جماعة ، وحتمية الحرية الفكرية فى الإسلام ، ومن يحق له أن يتحدث باسم الإسلام .

وبهذا عزيزى القارىء إذا أردت أن تحسم القضايا الهامة التى يختلف فيها الكثيرون والتيارات المتعددة والمتشددون فى الدين ، فعليك بهذا الكتاب كإضافة جديدة لمكتبتك الإسلامية .

« تحرير المقال »
« لابن حجر الهيتمي »

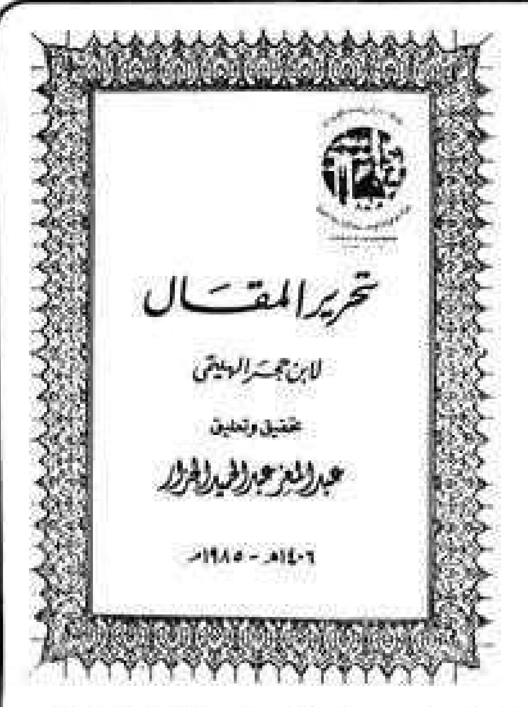
تحقيق وتعليق فضيلة الشيخ/
عبد المعز عبد الحميد الجزار*

● لقد اختلف الباحثون وتعددت الأسباب عن البحث والتنقيب في التربية ونظرياتها قديما وحديثا لتكون كاملة في بحث ، غير أنهم وجدوا نظريات تربوية متناثرة لعلماء إسلاميين كالغزالي وابن خلدون وابن مسكويه وغيرهم . إلا أن شيخ الإسلام العلامة : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي أخرج لنا كتابا كاملا في موضوع التربية والأخلاق والاجتماع .

● قام على تحقيقه ودراسته وتقديمه للقراء الأعزاء فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار وهو من علماء الأزهر الأجلاء في كتاب شيق ثري بالمخطوطات والاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار والتراجم والإعلام .

● عزيزي القارىء : هذا الكتاب وضعه الهيتمي إجابة عن أسئلة وجهت إليه من بعض معلمي القرآن ، حول أدب الولد ، وكيفية تأديبه ، والأخلاق والآداب التي ينبغي للمعلم والوالد أن يتحلى بها ، مستمدا كل هذا من أدب النبوة ، وآثار السلف الصالح ، وأقوال الأئمة الأعلام .

● وحول تربية الأولاد : ذكر المحقق بعض المأثورات منها « لقد دخل على أمير المؤمنين عمر



ابن الخطاب - رضي الله عنه - أحد عماله وولاته فوجده مستلقيا على ظهره ، وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر عليه سكونه على لعب الأطفال حوله ، فسأله عمر : « كيف أنت مع أهلك » فأجاب : « إذا دخلت سكت الناطق » .

قال له عمر : « اعتزل عملنا ، فإنك لا ترفق بأهلك وولدك ، فكيف ترفق بأمة محمد - ﷺ - وأيضا عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده :

علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رغة - قلة الورع - وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة ، وأحف شعورهم - بالغ في قصه - تغلظ رقابهم وأطعمهم اللحم يقووا ، وعلمهم الشعر . . يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا ، لا يعبوه عبا ، وإذا احتجت

---

* المؤلف رئيس تحرير مجلة الأزهر .

إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك فى ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليه ».

● وقد قام فضيلته بوصف المخطوطة حيث بين أن هذه المخطوطة تقع فى ثلاث وثلاثين ورقة من القطع المتوسط، مليئة صفحاتها بالكتابة، وكل صفحة تضم واحدا وعشرين سطرا، وكل سطر يحتوى على عشر كلمات.

● وهذه النسخة مكتوبة بخط حفيد المؤلف، وخطها واضح، وتوجد بالمكتبة الأزهرية. انتقل المحقق بعد ذلك إلى حياة المؤلف وأنه ولد فى أواخر سنة تسع وتسعمائة من الهجرة وهو شيخ الإسلام أبو العباس شهاب الدين والدنيا أحمد بن محمد بدر الدين بن محمد شمس الدين بن على نور الدين بن حجر الهيتمى المكى السعدى الأنصارى العالم العلامة الرحالة الأزهرى، الجنيدى طريقة، الشافعى مذهبا، المحدث، الفقيه، الصوفى، الباحث، المحقق المصرى الشهير ولد فى محلة أبى الهيتم - بالمثناة الفوقية - قرية بالغربية بالقرب من المحلة الكبرى تسمى الأن (الهياتم).

وسمى بابن حجر نسبة على ماقيل: إن جده كان ملازما للصمت فى جميع أحواله لا ينطق إلا لضرورة ومن هنا شبه بالحجر.

● ثم تطرق المحقق إلى مؤلفات ابن حجر ذاكراً أكثر من ستين مؤلفا، أما عن وفاة ابن حجر فقد توفى فى شهر رجب عام ثلاث وسبعين وتسعمائة من الهجرة.

● عرض المحقق بعد ذلك بعض المخطوطات ووضعها فى كتابه كما هى.

● ثم انتقل إلى تقسيم أبواب الكتاب: حيث قسمه إلى سبعة مقاصد وخاتمة. ففى المقصد الأول عن الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن، وذكر فيه عشرة أحاديث.

أما المقصد الثانى فى بعض الأحاديث الواردة فى فضائل معلمى القرآن وتعليمه فقد أشار المحقق إلى عشرة أحاديث أيضا فى هذه الفضائل.

أما المقصد الثالث فقد ذكر أيضا عشرة أحاديث فى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية به ونحوها.

أما فى الفصل الرابع فقد أشار إلى الأحاديث الدالة «على امتناع أخذ الأجرة على تعلم القرآن».

وهكذا فى المقصد الخامس واختلاف العلماء فى الأخذ بالأحاديث السابقة.

● وفى الفصل السادس وضح المحقق تحذير المعلم من نظر المرد الذين يعلمهم وفى بيان حل نظر المعلم إلى الأمرد المتعلم لحاجة التعليم من غير شهوة ولا خوف فتنة.

● حتى وصل إلى الأجوبة المختلف فيها ككيفية إحضار الغائب عن التعليم واستخدام المعلم لليتيم وأيضا الإخطار عن الغائب وتأديب الغائب.

● وأما الجواب عن المسألة الخامسة: هل يجبر المجتهد على تعليم غيره؟ ثم حكم التصرف فى معلوم الغائب وحكم مايأخذه الفقيه عند ختم السورة وأيضا حكم أجر الفقيه حتى اختتم فضيلة الشيخ عبد المعز الجزار تحقيقه بخاتمة ذكر فيها عشرة أحاديث حاثة ومؤكدة للفقهاء والمعلمين، على الرحمة بالمتعلمين والمبالغة فى إسداء الإحسان إليهم والقيام بمصالحهم ما أمكن.

عزيزى القارىء لقد جعل المحقق هذه الأسئلة المعجمة واضحة جلية، وتأليفا لطيفا ونموذجا شريفا ورتبها ترتيبا مفيدا أزاح عنها كل ما هو مبهم ويستطيع كل قارىء أن يفهم ويعى كل هذه المسائل ويدركها جيدا، والمكتبة الإسلامية فى حاجة ماسة إلى موضوع هذا الكتاب القيم.

بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

التوكل على الله

فى كتاب الله العزيز الكثير من الآيات ، التى تحث على التوكل على الله ، وتأمرنا به ، لما فى ذلك من حصول الراحة النفسية للعباد . فمهما استنفد الإنسان وسعه ، فى التفكير ، والتخطيط ، والتدبير، تبقى ثغرات منشؤها « النقص البشرى » ، فالله وحده هو الذى وسع كل شىء علما ، وهو الذى ييسر لعبده سبل الهدى ، ويمده بعونه ، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ (الأعراف ٨٩)

إنه نور اليقين ، الذى يملأ قلوب المؤمنين ، الذين أيقنوا بالنقص البشرى ، فلجأوا إلى الكمال الربانى ، وإلى الخالق الذى وسع كل شىء علما . ولذا ينبغى علينا أن نتأمل قول الله تعالى :

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ (إبراهيم ١٢) .

والتوكل على الله لا يناقض البحث ، والتفكير ، والتدبير ، إنما هو طلب للهداية ، وملتمس لدرء العثرات .

وحول هذا المعنى وردت رسالة القارىء محمد على البلجيهى أويش الحجر، المنصورة، يقول فيها :

التوكل بمعناه الحقيقى هو : صدق اعتماد القلب على الله - عز وجل - فى استجلاب المصالح، ودفع المضار، من أمور الدنيا والآخرة كلها .

فالعبد المتوكل على الله، يؤدى واجبه فى الحياة على أكمل وجه، ويسعى لتحصيل قوته ورزقه، وعلى هذا فالتوكل على الله لا ينافى السعى .

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً[1]، وتروح بطاناً » رواه الإمام أحمد، والترمذى، والنسائى .

وهذا هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنا فيه الأسوة الحسنة، كان يتاجر ويعمل، ويمشى فى الأسواق، ويعد العدة، ويخطط للهجرة، وما فعله - صلى الله عليه وسلم - إعداداً للهجرة خير دليل على أن التوكل على الله لا ينافى السعى .

والتوكل لابد أن يكون مع سكون القلب ،

الصداقة و الصديق

ويرسل الصديق الدائم للمجلة الأستاذ/ إبراهيم عبدالوهاب شرف .. المحامى بالنقض، ومدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة .. هذه الكلمة عن الصداقة جاء فيها :

« .... إنه يؤرقنى كثيراً - هذه الأيام التى نعيشها - عدم وجود الصديق الحق، وكذلك الصداقة الحقة .. إذ مظاهر الدنيا وماديانها غلبت على الروحانيات، ودفعت الناس للجرى وراء المصالح الشخصية، حتى أصبح الصديق الوفى من الندرة بمكان، إن ولع الناس بالمادة وعشقهم لها دفعهم إلى الخيانة، وشهادة الزور، وليس هناك دليل أكبر مما تغص به صفحات الجرائد يومياً من جرائم، تقشعر لها الأبدان، ولابد من التأكيد على قيم الصداقة، وكيفية تنميتها لدى الأجيال، فالصديق هو الملاذ الذى تلجأ إليه فى وقت الشدة والضيق، والصداقة الحقة هى التى تحمى الشباب من الزلل، من خلال النصائح، التى تبادلها الأصدقاء .

والصداقة - أيضاً - تعين الشيخ حيث يهتم به أصدقاؤه، عندما تتقدم به السن ويضعف البدن، ومن هذا المنطلق زخرت كتب الأقدمين : من الفلاسفة ورواد علم الاجتماع بالحديث عن الأصدقاء، وعن الصديق يقول الشاعر :

صاف الكرام إذا أردت إخاءهم
واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا

(١) أى : تغدو بكرة وهى جياع وتروح عشاء وهى ممتلئة الأجواف . والخمصان والخمصان : الجائع الضامر البطن.

المطمئن بالإيمان ، ذلك أن الراضى يقوم بأداء عمله كما ينبغى ، ثم يسلم أمره لله ، وليعلم أن النتائج بيده تعالى ، ويقول ابن عطاء الله السكندرى : « لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجباً ليأسك ، فقد ضمن لك الإجابة ، فيما يختاره لنفسك ، وفى الوقت الذى يريد ، لا فى الوقت الذى تريده » .

فلو حققنا التوكل على الله بقلوبنا ، لساق إلينا أرزاقنا ، مع أدنى سبب ، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح .

وعن جابر ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب ، خذوا ما حلّ ، ودعوا ما حرُم » . . رواه ابن ماجه .

فيا أخى المسلم . .

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل
الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا
لكنه خُلِقَ الإنسان من عجلِ

وقال بعض السلف : « توكل تسق إليك الأرزاق بلا تكلف » .

وهذا يذكرنا بالقول المأثور : « رب أخ لك لم تلده أمك » . . والصداقة الحقة تثمر أخوة أكثر من أخوة الدم ، وبخاصة إذا كانت فى إطار من الخوف من الله ، وطمعاً فى رضاه ، وعن الأصدقاء والصداقة الحقة ، يقول الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ :

وليس كثيراً ألف خلٍ وصاحب
وإن عدواً واحداً لكثير

وفى مصاحبة الصديق يجب الإغضاء عن الهفوات والزلات ، وإلا صارت الأمور إلى العتاب والمقاطعة ، وفى هذا من الجفاء ما فيه ، وعن هذا المعنى يقول بشار بن برد :

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحداً ، أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

وعن انتقاء الصديق يقول عدى بن زيد :

إذا كنت فى قومٍ فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الرَّدى
عن المرء لا تسل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

وحينما سئل ابن المقفع : « هل الصديق أحب إليك أم القريب ؟ » أجاب : « القريب ـ أيضاً ـ يجب أن يكون صديقاً » .

اللهم أكثر من أصدقاء الخير ، المحبين فى الله ، والمبغضين فى الله ، وجنبنا يا ربنا غدر الأصدقاء ، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

الأمن فى القرآن

كما وردت من القارىء/ خيرى محمد إبراهيم - كفر الشيخ . . كلمة عن الأمن فى القرآن ، منها قوله :

الأمن يعنى : التحرر من الخوف أياً كان مصدر هذا الخوف .

والشعور بالأمن شرط ضرورى من شروط الصحة النفسية ، والأمة المكافحة ، التى تضرب فى الأرض تبتغى خيراتها وتأكل من طيبات ما رزقها الله ، هى أمة أفرادها آمنون .

ولقد حدثنا المولى - عز وجل - عن نعمة الأمن فى القرآن وهى من أجل النعم التى ينعم الله - تعالى - بها على عباده ، قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الأنعام ٨٢) .

ويشعر الإنسان بالأمن إذا كان مطمئناً على صحته ، وعلى عمله ، وعلى مستقبله ، وعلى أولاده ، وعلى ماله ، وحقوقه ، ومركزه الاجتماعى .

ويؤيد ذلك ما جاء فى الحديث النبوى الشريف : « من أصبح آمناً فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذى ، وابن ماجه ، فى كتاب « الزهد » ، وتبدو هذه النعمة - أيضاً - على أهل الجنة ، حيث يظفرون بالأمن الدائم ، الذى لا يعقبه ، ولا يشوبه خوف .

فقد روى الإمام مسلم فى « صحيحه » عن أبى سعيد الخدرى أن النبى - صلى الله عليه



وسلم - قال : « إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير فى يديك ، فيقول : « هل رضيتم ؟ » فيقولون : « ومالنا لا نرضى يارب ، وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك . فيقول : الا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون : يارب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً » .

اللهم ارزقنا نعمة الأمن ، وأحل علينا رضوانك .

نهاية إقدام العقول كهال
يزول به فى العالمين ضلال
وكم قد أفادت من بحوث وحكمة
روائع قد جاءت بقيل وقالوا
وما القول إلا فتح علم وفكرة
وأصل اكتشاف للعلوم سؤال
وما العقل إلا مستقر لآية
فكيف ادعوا أن العقول عقال ؟
وما خلقت إلا لتعرف دينها
وتعرف منه الله وهو جمال
وأعظم ما فى الكون وحى منزل
تلاه رسول فى الحياة جلال

محمود الطاهر الصافى
عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية
عضو اتحاد الكتاب المصرى
فيكتوريا المنتزه . الإسكندرية

ردود سريعة

القارى : سعيد عبده الرشيدى
مقترحاتك قيد البحث

القارىء : حمادة منصور قابيل منصور .
قنا - دشنا - أبو دياب .
وصلتنا رسالتك ، ونأمل أن تصلنا منك رسائل أخرى . مع العلم أننا لا نلتفت إلى المقالات ، أو الإسهامات ، التى ترد غير كاملة .

القارئة : عبير محمد نصار - البحيرة .
نرحب بإسهاماتك دائماً ، ولم يمنع نشر كلمتك عن « ذم الدنيا » إلا عدم الإشارة إلى مرجع الحديث النبوى ، من كتب الصحاح الموثوق بها رجاء ملاحظة ذلك مستقبلاً .

القارىء : أحمد محمود عبدالله حسين .
المنيا - دير مواس - نانونى :
الاشتراك فى مجلة « الأزهر » قيمته اثنا عشر جنيهاً مصرياً ، لمدة عام ، تشمل هذه القيمة الرسوم البريدية . . ويتم الاشتراك عن طريق قسم الاشتراكات بجريدة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - مع ضرورة توضيح عنوان المشترك تفصيلياً .

القراء : محمد عبدالفتاح صالح - سيد محمد محمود - محمد على ماهر .
يمكنكم توجيه شكواكم إلى مكتب خدمة المواطنين بإدارة الأزهر الشريف بالحسين بالقاهرة للاختصاص فى مثل هذه الأمور ، ونتمنى لكم التوفيق .



أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف

إعداد الأساتذين
عمر البسطويسى
مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر فى كلية الشريعة بدمنهور

تحت رعاية وبحضور فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف أقامت كلية الشريعة والقانون بدمنهور مؤتمرا تحت عنوان « الإسلام والتحديات الشبابية المعاصرة » .

حضره الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية . والدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر ود / مصطفى عرجاوى عميد الكلية وعدد من محافظى الوجه البحرى وعمداء الكليات الأزهرية وطلابها والقيادات السياسية والشعبية.

وأجمع الحاضرون على أن التحديات التى تواجه مجتمعاتنا يجب أن نقابلها بتحديات أكبر لأن هذه هى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ومنذ خلق الإنسان والصراع دائم ويجب ألا نيأس حتى نحقق لأمتنا ماتبغيه من الخير وما أراده الله لها مصداقا لقوله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

وذلك فى ظل شريعة الإسلام التى جاءت لتنظم الحياة على هدى من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى كلمته على أن الصراع موجود منذ خلق الله الخلق

فالحياة صراع بين الحق والباطل وبين أصحاب النفوس السوية وأصحاب النفوس المريضة ويفرض علينا الإسلام التسلح بالفضائل المتعددة لمجابهة هذه التحديات .

كما أوضح فضيلته أن حاجة الشباب وكل الناس إلى العقيدة السليمة أشد من الطعام والشراب ، لذلك أمرتنا شريعة الإسلام بغرس العقيدة فى نفوس أبنائنا منذ الصغر فى قوله صلى الله عليه وسلم « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها لعشر » رواه أبو داود .

وأضاف فضيلته أن شريعة الإسلام اهتمت بالتربية العلمية للشباب كما اهتمت بالتربية البدنية فالعقل السليم فى الجسم السليم .

كما تحدث فضيلته عن أن ظاهرة التطرف لدى بعض الشباب سببها الرئيسى هو الغرور والفتوى بغير علم ، وأكد على أن التحدى فى هذا العصر هو التحدى الاقتصادى ، فلابد أن نعمل بقوة وإخلاص حتى يكون قرارنا من رأسنا ، ولن نكون كذلك إلا إذا كان غذاؤنا من فأسنا كما قال فضيلة الشيخ الشعراوى ، كما أكد على أن كل من يحمل الجنسية المصرية فهو مصرى دون تفرقة بين مسلم ومسيحى فالمسلم إذا أحسن يكافأ على إحسانه وإذا أخطأ يحاسب على خطئه ، وكذلك المسيحى فلا محاباة ولا ظلم فى الوقت نفسه وهذا هو الإسلام وتلك شريعته يريد لأتباعه البعد عن العنصرية البغيضة والتفرقة العمياء .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٥ من المحرم ١٤١٩ هـ ١١ من مايو ١٩٩٨ م السيد / محضير محمد رئيس وزراء ماليزيا والوفد المرافق لسيادته .

فى بداية اللقاء رحب فضيلته بالضيف الكبير ومرافقيه فى رحاب مشيخة الأزهر الشريف معربا عن تقديره لدولة ماليزيا حكومة وشعبا ، وعمق الروابط بين جمهورية مصر العربية والأزهر الشريف مشيرا إلى علاقات التعاون والصداقة والأخوة التى تربط بين الأزهر وماليزيا والتى تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ قديما وحديثا حيث إن الأزهر الشريف كان وسيظل كعبة العلم والعلماء لأبناء الدول الإسلامية بصفة عامة ولأبناء دولة ماليزيا على وجه الخصوص . وأشار فضيلته إلى الدور الكبير الذى يقوم به معالى الدكتور محضير محمد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية ومساندته لكل دعم ولكل عمل نافع لصالح المسلمين .

وأشار الضيف إلى الدور البارز الذى تقوم به البعثة الأزهرية فى ماليزيا حيث تسهم فى إنجاح ماليزيا وحمايتها من الضغوط الخارجية .

وفى ختام اللقاء وجه الضيف دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ماليزيا مؤكداً على أن الأزهر له تقدير خاص فى نفوس الشعب الماليزى وأن الشعب هناك يتطلع باهتمام لتلك الزيارة .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على زيارته للأزهر مؤكدا على أن الأزهر الشريف بكافة هيئاته ومؤسساته العلمية فى خدمة دولة ماليزيا الشقيقة ، وقد أهدى فضيلة الإمام الأكبر الضيف الكبير هدية عبارة عن كتب عن الأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير سويسرا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ٢ من المحرم ١٤١٩ هـ ٢٨/٤/١٩٩٨ م السيد السفير / بليزجودت سفير سويسرا فى القاهرة بمناسبة توليه لعمله كسفير جديد لبلاده بالقاهرة . حيث أعرب عن سعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى رحب به وتمنى له التوفيق فى مهمته الجديدة التى كلف بها ، تناول اللقاء شرح بعض القضايا الإسلامية وعلاقات المسلمين والأزهر بمختلف الديانات الاخرى ، حيث أكد فضيلة الإمام الأكبر على سماحة الدين الإسلامى وحسن معاملته لمختلف الديانات الأخرى ، مشيرا إلى أن الإسلام دين السماحة والبعد عن التعصب والتطرف الأعمى .

حضر اللقاء فضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة رومانيا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير دورى كوستا سفير دولة رومانيا بالقاهرة الذى هنأ فضيلة الإمام الأكبر بحلول العام الهجرى الجديد .

وقد سلم الضيف لفضيلة الإمام الأكبر رسالة خطية من فخامة الرئيس الرومانى تتعلق بدعوة فضيلة الإمام الأكبر لزيارة رومانيا لحضور المؤتمر العالمى لرجال الثقافة والسياسة وممثل الأديان جميعها ، هو عبارة عن سلسلة من المؤتمرات تستضيفه دول مختلفة ، حيث ستتم إقامته فى بوخارست عاصمة رومانيا هذا العام . يبحث المؤتمر عن العلاقة بين الأديان وتوضيح مفاهيم الأديان وسماحتها وروحانيتها كى ينتشر السلام والحب بين بنى البشر .

وأضاف السيد السفير أن هذا المؤتمر يعد من المؤتمرات الهامة لخير بنى البشر خاصة فى الظروف التى يعيشها العالم الآن .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الدعوة والرد عليها فى أقرب فرصة ، حضر اللقاء فضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صباح يوم ١٩/١٢/١٤١٨ هـ ٢٦/٤/١٩٩٨م بقاعة الاجتماعات الكبرى بإدارة الأزهر الشريف اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية ، حيث تمت مناقشة الميزانية الخاصة بالمجلس للعام الدراسى ١٩٩٩/٩٨ ، وقرر المجلس زيادة المكافأة المالية لمسابقة حفظ القرآن الكريم ورفعها بنسبة ٣٠٪ زيادة عن المقرر في العام الماضى ، كذا زيادة مكافأة حفظ القرآن للطلاب المتفوقين . كذلك وافق المجلس على تقرير اللجنة التى تم تشكيلها لمعاينة مبنى بيت الشباب بالعريش والنتائج التى توصلت إليها هذه اللجنة ومعاينتها على الطبيعة لهذا المشروع الضخم ، وسرعة اتخاذ اللازم لإنجاز هذا المشروع الكبير وزيادة الأنشطة التى يمارسها الطلاب والطالبات من حيث تنوعها .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أننا في سبيل زيادة المخصصات التى تعود على الأنشطة بزيادة اعتماداتها المالية بما يعود على الطلاب بالفائدة المرجوة ، لرفع مستوى هذه المسابقات وإيجاد الحافز المثمر ، حتى يتم تكوين عناصر متميزة من الطلاب ، والحرص على تحسين مستوى مدرسى المعاهد الأزهرية باختيار أفضل العناصر منهم للتدريس حتى يتمكن الطالب الأزهرى من استيعاب دروسه ، وتكوين حصيلة علمية مثمرة ، لأننا نحرص على المظهر والمخبر اللائقين فيما يتعلق بالمعلم والطالب والمبنى والوسائل التعليمية والمنهج المناسب حفاظا على أن يستمر لخريجى الأزهر الشريف التفوق والتميز .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى مدير عام الإعلام والعلاقات العامة بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عقد المجلس الأعلى للأزهر جلسته الشهرية بعد ظهر يوم ٢٢ من ذى الحجة ١٤١٨ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٩٨ م حيث تمت الموافقة على الآتى :

● منح معالى الدكتور محضير محمد رئيس وزراء ماليزيا درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة الأزهر .

● الموافقة على الملتمس المقدم من بعض الطلاب الوافدين من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق من الحاصلين على مؤهلات دراسية تعادل درجتى البكالوريوس والليسانس والتى تمنحها الجامعات المصرية للالتحاق بالفرقة الأولى بالكليات الدينية للعام الجامعى الحالى .

● الموافقة على إنشاء شعبة للصحافة والإعلام بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ويسرى عليها مايسرى على قسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية .

● الموافقة على إنشاء وحدة ذات طابع خاص باسم : « مركز الأبحاث وعلاج أمراض الدم والمناعة فى الأطفال مرحلة ما قبل الولادة » .



● الموافقة على إنشاء وحدة ذات طابع خاص باسم « وحدة خدمة المجتمع والتعليم بكلية اللغات والترجمة » .

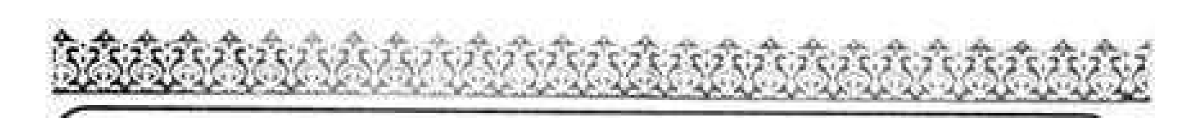
● الموافقة على إضافة شرطين إلى شروط التعيين فى وظيفة مدرس مساعد بقسم التخدير بالعناية المركزة بكلية طب بنات جامعة الأزهر وهما : أن يكون قد أمضى فترة طبيب مقيم بمستشفى الزهراء الجامعى ، وأن يكون حاصلا على درجة الماجستير فى التخدير بتقدير جيد جدا على الأقل .

حضر الجلسة فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل وفد طلبة وطالبات جامعة «داغستان» قسم اللغة العربية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٧ من المحرم ١٤١٩ هـ الموافق ١٣ مايو ١٩٩٨ م وفد طلبة وطالبات جامعة داغستان قسم اللغة العربية والتاريخ والحضارة برياسة الدكتور كريم الله جاوجى فتش حيث أمضوا ثلاثة أشهر فى جامعة جنوب الوادى لدراسة اللغة العربية والتاريخ والحضارة الإسلامية بدعوة من جامعة جنوب الوادى وقد رافق الوفد الأستاذ الدكتور فتح الله الشيخ الأستاذ بجامعة جنوب الوادى بسوهاج والأستاذ الدكتور صلاح أبوالهوا من جامعة أسيوط والأستاذ الدكتور عبد الدايم محمد عبد الرحمن عميد كلية العلوم بجامعة الأزهر ، فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بطلاب وطالبات داغستان فى الأزهر الشريف معربا عن روح المودة والإخاء التى تربط المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها وبخاصة الدول الإسلامية فى منطقة البلقان .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر للوفد بعض النصائح والإرشادات حيث طالبهم بأن يتمسكوا بتعاليم الدين الإسلامى الحنيف ، وبحفظ القرآن الكريم ، وأعرب عن استعداد الأزهر الشريف لمساعدتهم وإمدادهم بالكتب الدينية والثقافية والمراجع العلمية ولتلقى طلباتهم الخاصة بالالتحاق به ، وقد أكد الطلبة أنهم متمسكون بدينهم الإسلامى الحنيف ، ويتطلعون إلى الأزهر الشريف منارة العلم فى العالم أجمع وفى نهاية اللقاء وجه رئيس الوفد الشكر لفضيلة الإمام الأكبر وللمسئولين عن التعليم بالأزهر الشريف ، تم اللقاء بحضور فضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .



فضيلة الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة قطر بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى يوم ١٧ من المحرم سنة ١٤١٩ السيد / مانع عبد الهادى الهاجرى سفير قطر بالقاهرة ، حيث قدم الضيف لفضيلته التهنئة بحلول العام الهجرى الجديد ، وسلم فضيلته رسالة خطية من معالى الشيخ أحمد عبد الله المرى وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر تتعلق بالتعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الشئون الإسلامية والأوقاف فى قطر .

فضيلة الإمام الأكبر يحضر حفل ختام الدورة الأربعين للسادة الأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يوم ٢ من المحرم ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٤/٢٨ م حفل ختام الدورة الأربعين للسادة الأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى وعددهم ٣٧ دارسا من الدول الإسلامية ، وقد مثلوا دول السنغال / أريتريا - بنجلاديش - بورما - غينيا كونكرى - غينيا بيساو - الهند - الصومال - تنزانيا - أفغانستان - سيراليون .

وقد ألقى فضيلته كلمة حث فيها الحضور من الدارسين على التمسك بأمور دينهم وأن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم ، وأن يعلموا أبناء بلادهم ما تعلموه من الأزهر الشريف ، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

(النحل ١٢٥)

وأن تكون دعوتهم إلى الله أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

وفى ختام الحفل قام فضيلته بتوزيع شهادات التقدير والجوائز وأهدى كل عالم مكتبة تضم عددا من أمهات الكتب الإسلامية التى تعينهم على أداء رسالتهم والرد على فتاوى المسلمين واستفساراتهم فى بلادهم .

شهد الحفل لفيف من قيادات الأزهر وأساتذة جامعة الأزهر الذين يقومون بالتدريس لهم وفضيلة مدير عام الإدارة العامة للإعلام والعلاقات العامة بالأزهر .

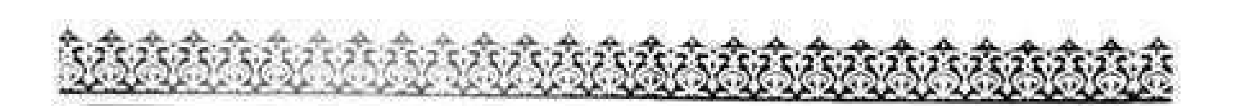
فضيلة الإمام الأكبر يستقبل السيد نائب رئيس جمهورية الهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بعد ظهر يوم ١٧ من المحرم ١٤١٩هـ الموافق ١٣/٥/١٩٩٨م ـ السيد كارشان كانت نائب رئيس جمهورية الهند وقد تناول اللقاء العلاقات المتميزة بين دولتى الهند ومصر .

وقد أشاد الضيف بالجوانب الروحية . والأخلاقية التى يتولى الأزهر رعايتها بالتعليم من خلال معاهده وجامعته ، كما أوضح أن النهضة العلمية الحديثة التى وصل إليها الغرب ينقصها الجوانب الروحية والأخلاقية التى تتمتع بها شعوب الشرق ، وتمنى الضيف الكبير ازدهار العلاقات فى مختلف الجوانب بين مصر والهند ، كما كانت فى سابق عهدها ، وفى شتى المناحى العلمية والثقافية والتكنولوجية ، وأن تبرز إلى السطح مرة أخرى لأن حضارة القرن الحادى والعشرين فى أمس الحاجة إلى هذه الدوافع القوية ، الروحية والأخلاقية والتى لم تستطع أن تصنعها آليات التكنولوجيا .

هذا وقد أكد فضيلة الإمام الاكبر عمق أواصر الصلة والمودة والعلاقات المتميزة مع دولة الهند الشقيقة ، والتى تتمثل فى تبادل العلماء والزيارات العلمية وعقد الاتفاقيات الثقافية والتعليمية بين جامعة الأزهر الشريف ، والجامعات الهندية .

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر الشريف ـ وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة مدير عام العلاقات العامة والإعلام بالأزهر .



فضيلة الإمام الأكبر يستقبل السيد ألبرت آل جور نائب الرئيس الأمريكى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه مساء يوم ٧ من المحرم ١٤١٩ هـ الموافق ٣ مايو ١٩٩٨ م السيد ألبرت آل جور نائب الرئيس الأمريكى والوفد المرافق لسيادته وترافقه بعثة الشرف الرسمية برياسة السيد الوزير يوسف بطرس غالى وزير التعاون الدولى .

رحب شيخ الأزهر بضيف مصر ومرافقيه بالأزهر الشريف ـ وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر نظام الدراسة بالأزهر الشريف ـ مشيراً إلى أن المراحل التعليمية بالأزهر الشريف ـ والدراسة بها تمتاز بالاعتدال والوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة ، وأن الدراسة بالأزهر تتناول العلوم الدينية إلى جانب العلوم الحديثة ، وأن جامعة الأزهر الشريف بها أكثر من سبعين كلية يدرس بها أكثر من ربع مليون طالب وطالبة بالكليات الدينية والعملية وأكثر من مليون وربع المليون طالب وطالبة بمرحلة ماقبل الجامعة .

كما أن الأزهر الشريف يستقبل أبناء المسلمين من قارة أفريقيا من ٥٦ دولة ومن آسيا ٢٣ دولة على منح دراسية يقدمها لهم ولعدد ثلاثة آلاف طالب ، كما أن بعض الطلاب من هذه الدول ليسوا على منح دراسية ويقوم الأزهر بمساعدتهم ماليا وعددهم ١٢ ألف طالب ، وأوضح فضيلة الإمام الأكبر للضيف أن الأزهر فى خدمة الدين والعلم وأن أبناءه ينتشرون فى العالم كله ينشرون العلم النافع بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهم ضد الإرهاب والتطرف ومع الفكر المستنير ، وأن الأزهر يؤدى رسالته منذ أكثر من ألف عام شرحا وتوضيحا ونشرا لمفاهيم الإسلام الصحيحة وأكد فضيلته أن الأزهر الشريف والعرب جميعا يتطلعون إلى موقف أمريكى يؤيد الفلسطينيين ويرفع عنهم الضرر الذى لحق بوطنهم وأراضيهم ، وأننا ضد بناء المستوطنات على الأراضى المحتلة وضد طرد الفلسطينيين من أراضيهم ، وأن الأديان السماوية كلها ضد الظلم وتقف مع المظلوم حتى ينتصر وضد الظالم حتى يعود إلى رشده ، وأن الأزهر مع كل حوار بناء يؤدى إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل والأزهر الشريف على استعداد للتعاون فيما يطلب منه وإن الأزهر مع كل حوار هادف بناء .

وقد شكر الضيف شيخ الأزهر على هذه المعلومات ويتطلع إلى أن يظل الأزهر منارا للعلم والدراسة المعتدلة ، وأضاف بأن الإسلام قد خدم البشرية بعلومه وثقافاته فى الفلك والطب والهندسة والفلسفة .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والدكتور على السمان ـ والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

وقد قدم الضيف لفضيلة الإمام الأكبر هدية عبارة عن كتاب : (الأرض فى الميزان) من تأليفه وقدم فضيلة شيخ الأزهر للضيف هدية بمجموعة من الكتب عن (الأزهر فى عيده الألفى) .



يحررها الدكتور
حسن على محمد

من المحرر :

خمسون عاماً على النكبة

احتفل الصهاينة بمرور خمسين عاما على قيام دولة إسرائيل .. فى الأيام الماضية ، هذه السنوات الخمسون .. تذكرنا بأيام الله .. وقانون الله .. وسنن الله .. إن الله سبحانه وتعالى : قال .. ﴿ وقل اعملوا .. ﴾ (١٠٥ - التوبة) واكتفينا بالأناشيد والخطب النارية .. بينما اجتهد الصهاينة وعملوا وخططوا ونفذوا .. والله سبحانه وتعالى جعل ميراث الأرض لمن يصلح فيها . ونحن تقاعسنا عن تلبية نداء السماء بالمشاركة فى عمران الأرض واكتفينا باستهلاك ما تنتجه العقول غير الإسلامية .!!

• إن الخمسين عاما الماضية منذ قيام إسرائيل وحتى اليوم .. تذكرنا بأوجاع شعب وهزيمة أمة لم تأخذ بالأسباب .. ورضيت بالهوان .. وأعطت الدنية .. والآن .. نحن فى انتظار أن يتفضل (نتانياهو) بمنح الشعب الفلسطينى (١٣٪) أم (١١٪) أم (٩٪) ولا نملك سوى الشجب أو الاستنكار .. يا أمة الإسلام .. لم تقبلون الدنية ؟ وهل هانت القدس زهرة المدائن .. ؟ ومسرى النبى - ﷺ ! ياسادتى إن الحقوق تنتزع ولا تمنح .. وتؤخذ الدنيا غلابا وليست للغلابة !!

القاهرة :

قمة مجموعة الـ ١٥ فى القاهرة لحل مشكلات الدول النامية

افتتح الرئيس محمد حسنى مبارك أعمال القمة الثامنة لمجموعة الدول الخمس عشرة النامية ، حيث تم بحث سبل حل المشكلات المالية والاقتصادية التى تواجهها دول المجموعة ، وكيف تتفادى الهزات المالية العالمية ، والجدير بالذكرى أن هذه القمة تستضيفها القاهرة لأول مرة . وقد قام الرئيس مبارك بإلقاء كلمة الافتتاح ، حيث استغرقت الجلسة الافتتاحية حوالى الساعة ، وقد حدد الرئيس مبارك فى خطابه ـ بوصفه رئيس القمة الثامنة ـ أسس تحقيق التعاون بين دول المجموعة وبين بعضها ثم بين المجموعة وحوار الشمال والجنوب ، وقال الرئيس مبارك : إن الأزمة الأسيوية ليست سوى مرحلة عابرة فى نمو اقتصاد الدول النامية ، وأوضح أن الأزمة كشفت عن ضعف النظام العالمى وخطر التكلفة الاجتماعية التى قد ينطوى عليها الاندماج فى الاقتصاد العالمى .

وفى كلمته نيابة عن المجموعة الأسيوية تكلم الرئيس الأندونيسى محمد سوهارتو عن الظروف المصاحبة لعقد القمة بأنها تأتى فى ظل أوضاع قاسية تمر بها آسيا وتؤثر على التقدم فى المجال الاقتصادى ، وأشار إلى أن الاقتصاد الأندونيسى كان قد وصل معدل نموه إلى ٧٪ فى العقدين الماضيين ، وأنه من المتوقع أن يتراجع جداً خلال العام الحالى كما تحدث رئيس (بيرو) باسم دول أمريكا اللاتينية مؤكداً على التحديات التى تواجه الدول النامية داعيا إلى البحث عن حل عقلانى وعمل للتغلب على الصعوبات الاقتصادية .

وتحدث الرئيس الجزائرى (زروال) باسم الدول الأفريقية وأكد على أهمية الدروس المستفادة من الأزمة الأسيوية الأخيرة وعلى التعامل بحذر مع المشكلات الاقتصادية ، وفى نهاية المؤتمر تم طرح (جامايكا) كمكان لعقد القمة التاسعة لدول المجموعة عام ٢٠٠٠ .

قمم مجموعة الـ ١٥

١ ـ القمة الأولى فى كوالالمبور فى يونيو ١٩٩٠
٢ ـ القمة الثانية فى كاركاس نوفمبر ١٩٩١
٣ ـ القمة الثالثة فى داكار نوفمبر ١٩٩٢
٤ ـ القمة الرابعة فى نيودلهى مارس ١٩٩٤
٥ ـ القمة الخامسة فى بيونس إيريس نوفمبر سنة ١٩٩٥
٦ ـ القمة السادسة فى هرارى ـ نوفمبر سنة ١٩٩٦
٧ ـ القمة السابعة فى كوالالمبور ـ نوفمبر سنة ١٩٩٧
٨ ـ القمة الثامنة فى القاهرة مايو سنة ١٩٩٨

ومن المنتظر أن تكون التاسعة فى جامايكا عام ٢٠٠٠ ، وكينيا انضمت فى القاهرة إلى دول المجموعة .

القاهرة : شيخ الأزهر :

التعاون سبيل المسلمين الوحيد؛ ليتجاوزوا المحن .

دعا فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى المسلمين إلى التعاون والتكافل والتراحم ونبذ الشقاق والاختلاف ، وقال : إن ذلك هو السبيل الوحيد أمام الأمة الإسلامية والعربية لكى تنهض وتستعيد مكانتها .

جاء ذلك أثناء زيارة الإمام الأكبر لدولة البحرين ، وقد وصف الإمام الأكبر زيارته للبحرين بأنها نموذج للتعاون الصادق بين البلدين لصالح الإسلام والمسلمين .

... ويستنكر العدوان الصربي على كوسوفو

استنكر الإمام الأكبر العدوان الصربي على إقليم كوسوفو ، ودعا المجتمع الدولي إلى مساندة مسلمي كوسوفو ضد العدوان الصربي ، وأن الأزهر الشريف يقدم العون والمساندة لهؤلاء المسلمين .

وقال الإمام الأكبر : إن الأزهر أصدر بيانا استنكر فيه مايحدث في كوسوفو ووصف مايحدث من الصرب بأنه جريمة بشعة في حق الإنسانية . جاء ذلك في المؤتمر الذي عقدته كلية الشريعة والقانون بدمنهور .

قبول استقالة النائب العام الفلسطيني

غزة أ . ش . أ

قبل ياسر عرفات استقالة فايز أبورحمة النائب العام في السلطة الوطنية الفلسطينية من منصبه .

ونفى مصدر رسمي في السلطة الفلسطينية أن تكون استقالة أبورحمة بسبب خلافات مع الأجهزة الأمنية .

إعلان دولة فلسطين العام القادم

أكد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات أنه سوف يعلن قيام دولة فلسطين المستقلة في قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة العام القادم طبقا لاتفاقية السلام الموقعة مع إسرائيل قبل أربعة أعوام مضت .

الشيخ ياسين يدعو إلى الكفاح المسلح

الكويت : وكالات الأنباء

دعا الشيخ أحمد ياسين زعيم حماس إلى الكفاح المسلح وقال : إنه لم يعد أمام الفلسطينيين سوى العودة إلى حمل السلاح بعد أن اتضحت نوايا إسرائيل التي ترفض الانسحاب وترفض قيام دولة فلسطينية وتعرقل عمليات السلام .

بعد تمديد العقوبات على العراق

الصحف العراقية : صبرنا قد نفد

بغداد ـ أ . ش . أ

انتقدت الصحف العراقية استمرار العقوبات الدولية ضد العراق واعتبرت صحيفة الثورة أن مجلس الأمن الدولي مازال بعيداً عن المواقف العادلة قانونا وأخلاقا .

وأشارت الصحف إلى حالة التذمر ونفاد صبر العراقيين من العقوبات وطالبت بإقصاء بتلر المكلف بنزع أسلحة العراق المسماة بأسلحة الدمار الشامل .

العراق يتبادل الأسرى مع إيران

بغداد أ . ف . ب

ذكرت صحيفة المصور العربي العراقية أن العراق وإيران اتفقا على البدء في عملية جديدة لتبادل الأسرى بهدف إغلاق هذا الملف .

القوات الإسرائيلية تشن حملة اعتقالات واسعة فى الخليل

غزة . أ . ش . أ

ذكرت مصادر فلسطينية أن قوة من الجيش الإسرائيلى قامت بحملة اعتقالات فى بلدة ياطا بالخليل بالضفة الغربية .

وذكر راديو إسرائيل أن هذه الاعتقالات جرت بعد مقتل إسرائيلى من مستوطنة ماعون .

وقد تم اعتقال ٣٨ شخصا على ذمة التحقيق ، وبعد فترة تم الإفراج عن ٢٨ شخصا وبقى رهن التحقيق عشرة أشخاص .

اليمن ينفى ارتباط مشكلة تسوية الحدود مع السعودية بعودة العمالة

الرياض . أ . ش . أ

أكد العقيد حسين عرب وزير الداخلية اليمنى أن السعودية واليمن قطعتا شوطاً كبيراً فى مفاوضات ما تبقى من موضوع الحدود وهناك بعض النقاط لازالت محل البحث .

وأكد الوزير اليمنى أن النوايا الصادقة من الطرفين سوف تعمل على إنهاء هذا الموضوع فى أقرب وقت ، وقال إننا مقتنعون بأن إنهاء موضوع الحدود سيعمل على حل بقية المشكلات بين البلدين .

وزير الداخلية السعودى يطلب من العالم الابتعاد عن وصف المسلمين بالإرهاب

أكد الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودى أهمية التوقيع على الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ، وقال إن قضية الإرهاب ليست قضية حكام وحكومات ، ولكنها قضية أمة وشعب وعقيدة ، وأضاف بأننا نرفض أن يلصق بنا كمسلمين الإرهاب ونحن براء منه .

جاء ذلك بعد توقيع الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب .

ليبيا توافق على محاكمة المتهمين فى لوكيربى بهولندا :

أعلن ممثل عائلات الضحايا فى تفجير الطائرة الأمريكية أن ليبيا وافقت على السماح بمحاكمة المتهمين فى هولندا طبقا لقانون اسكتلندا .

الصراع العربى الإسرائيلى .. خمسون عاما من الدماء

القدس ـ ر : تحتفل إسرائيل يوم الخميس المقبل بالذكرى الخمسين لقيامها وفقا للتقويم اليهودى ، وقد شهد الصراع العربى الإسرائيلى خلال الخمسين عاما الأخيرة منذ نكبة فلسطين عديدا من الأحداث المخضبة بالدماء فيما يلى أهمها :

■ أبريل عام ١٩٤٨ مقتل عشرات من الرجال والنساء والأطفال الفلسطينيين خلال هجوم شنته حركتا « أرجون وشترن » اليهوديتان السريتان على قرية دير ياسين الفلسطينية الواقعة عند المشارف الغربية للقدس .

■ مايو عام ١٩٤٨ نزوح عشرات الآلاف من الفلسطينيين طردتهم الجماعات اليهودية من ديارهم في فلسطين الخاضعة للانتداب البريطاني أو شجعهم حرب على النزوح وأقيمت دولة إسرائيل على أجزاء من فلسطين .

■ عام ١٩٤٩ أنشئت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين « أنروا » لتقديم العون للاجئين الفلسطينيين .

■ عام ١٩٥١ اغتيال الملك عبد الله جد الملك حسين عاهل الأردن بيدى فلسطيني أمام المسجد الأقصى في القدس .

■ ١٩٥٦ إسرائيل تحتل قطاع غزة خلال حرب السويس التي شنتها مع بريطانيا وفرنسا على مصر ، وتنسحب في مارس عام ٥٧ .

■ عام ١٩٥٨ ياسر عرفات وتسعة زعماء آخرين يؤسسون في الكويت حركة فتح كبرى حركات المقاومة الفلسطينية ويعلنون الكفاح المسلح لتحرير الأراضي الفلسطينية .

■ عام ١٩٦٤ إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية .

■ عام ١٩٦٥ تنفذ حركة فتح أولى عملياتها المسلحة .

■ يونيو عام ١٩٦٧ إسرائيل تحتل الضفة الغربية بما في ذلك القدس الشرقية العربية إلى جانب قطاع غزة وسيناء وهضبة الجولان .

■ عام ١٩٦٨ القوات الفلسطينية تخوض أول معركة كبيرة لها ضد القوات الإسرائيلية في الكرامة وهي قاعدة متقدمة لمنظمة التحرير الفلسطينية في الأردن ، وتتمكن المقاومة الفلسطينية والقوات الأردنية من صد الهجوم الإسرائيلي .

■ عام ١٩٦٩ انتخاب عرفات رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية .

■ عام ١٩٧٠ « أيلول الأسود » الجيش الأردني يهاجم المقاومة الفلسطينية في الأردن بعد أن خطفت قوات المقاومة أربع طائرات ركاب وأجبرتها على الهبوط في صحراء المملكة ، القتال يستمر عشرة أيام ويسقط خلاله نحو ألفي شخص معظمهم من الفلسطينيين طرد قوات ومسئولي منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن وإقامة مقر قيادة جديد في لبنان .

■ عام ١٩٧٤ منظمة التحرير الفلسطينية تفوز باعتراف الدول العربية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

■ في مارس ١٩٧٨ غزت القوات الإسرائيلية جنوب لبنان لمطاردة قوات المقاومة الفلسطينية ، وتنسحب إسرائيل بعد صدور القرار ٤٢٥ من مجلس الأمن الداعي لانسحاب إسرائيل وتشكيل قوة حفظ سلام مؤقتة تابعة للأمم المتحدة .

■ في سبتمبر ١٩٧٨ وقع السادات وبيجين اتفاقات كامب ديفيد بوساطة جيمي كارتر الرئيس الأمريكي الأسبق .

■ في ٢٦ مارس ١٩٧٩ وقع السادات وبيجين في

البيت الأبيض أول معاهدة للسلام بين دولة عربية وإسرائيل .

■ فى ٧ يونيو ١٩٨١ دمر السلاح الجوى الإسرائيلى مفاعلا نوويا عراقيا .

■ فى ٢٥ أبريل ١٩٨٢ أكملت إسرائيل انسحابها من سيناء .

■ فى يونيو ١٩٨٢ غزت إسرائيل لبنان بهدف معلن هو إبعاد المقاومة الفلسطينية عن حدودها . وسحبت منظمة التحرير الفلسطينية قواتها من لبنان فى أغسطس عام ١٩٨٢ ، وسحبت إسرائيل معظم قواتها فى يونيو ١٩٨٥ ، لكنها أبقت شريطا حدوديا فى جنوب لبنان تحت الاحتلال مطلقة عليه « المنطقة الأمنية » .

■ فى ديسمبر ١٩٨٧ اندلعت الانتفاضة الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة ، وتقول جماعات لحقوق الإنسان أن إسرائيل قتلت على مدى ستة أعوام من الانتفاضة نحو ١٥٠٠ فلسطينى ، وأن الفلسطينيين قتلوا نحو ٤٠٠ إسرائيلى .

■ فى يناير ١٩٩١ أطلق العراق ٣٩ صاروخ سكود على إسرائيل خلال حرب الخليج .

■ فى عام ١٩٩١ بدأت موجة هجرة جماعية ليهود الاتحاد السوفيتى . ووصل إسرائيل نحو ٧٠٠ ألف يهودى مع انهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩٢ .

■ فى أكتوبر ١٩٩١ انعقد فى مدريد مؤتمر سلام الشرق الأوسط تحت رعاية مشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

■ فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ جرت فى حديقة البيت الأبيض الأمريكى مصافحة تاريخية بين الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وإسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل الراحل ووقع إعلان مبادىء لقيام حكم ذاتى فلسطينى محدود فى الضفة وغزة .

■ فى ٢٦ اكتوبر ١٩٩٤ وقع الأردن معاهدة سلام مع إسرائيل .

■ فى ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ وقع رابين وعرفات فى واشنطن اتفاقا فلسطينيا إسرائيليا مؤقتا يمهد الطريق لانتخاب المجلس التشريعى الفلسطينى وانسحاب إسرائيل من مراكز التجمعات السكانية الرئيسية .

■ فى ٤ نوفمبر ١٩٩٥ اغتيل رابين بيدى ييجال عامير المتطرف .

■ فى ٢٩ مايو ١٩٩٦ هزم بنيامين نتانياهو زعيم حزب ليكود اليمينى بيريز فى الانتخابات العامة .

■ فى يناير ١٩٩٧ وقعت حكومة نتانياهو اتفاقا مع منظمة التحرير الفلسطينية تتعهد فيه إسرائيل بالانسحاب من معظم مدينة الخليل فى الضفة وتنفيذ إعادة انتشار للقوات الإسرائيلية بمقتضى اتفاقات السلام الموقعة السابقة وحتى الآن لم تنفذ الحكومة الإسرائيلية المرحلتين الثانية والثالثة من إعادة الانتشار . الأهرام : فى ١٩٩٨/٤/٢٧




La sincérité est une preuve de l'affranchissement du serviteur de toute autre servitude, exceptée celle qui est due à Allah. En effet, le mensonge dans les propos n'a autre motif que la peur; il peut être dicté par la crainte d'une personne, ou par la convoitise de ce que possède cette personne. Or, le vrai serviteur est celui qui ne craint que Son Seigneur et ne convoite que Ses grâces.

La sincérité est une preuve de la foi parfaite. Celui qui reconnaît Son Seigneur est sincère dans sa croyance, dans son intention, dans ses propos et ses actes.Il ne craint qu'Allah, et n'a d'espoir qu'en Lui; il se désintéresse de ceux qui lui sont hostiles, car la satisfaction de Son Seigneur est son but, et l'amour d'Allah est son objectif et il n'a pour tout espoir que la joie de regarder Sa Face Sublime.

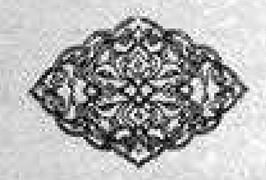
Voici un autre exemple de sincérité:

L'Imam Al-Bokhary-A.s.l.-partit en voyage pour recueillir un hadith de la bouche d'un homme. Or, une jument appartenant à cet homme s'était échappée; pour la ramener, l'homme lui montra un sac afin de lui faire croire qu'il contenait de l'orge. La bête revint et l'homme s'en saisit.

- Y avait-il de l'orge dans le sac? lui demanda l'Imam.

- Mais non, répondit l'homme, c'était une simple feinte!.

L'Imam Al-Bokhary se leva et dit à l'homme:" Je ne peux pas me fier au hadith de quelqu'un qui ment aux bêtes", et il partit. Ce fut là, un exemple des plus probants pour montrer la valeur de la sincérité.



parmi les croyants des hommes qui ont été sincères au pacte qu'ils avaient conclu avec Allah; certains d'entre eux ont atteint le terme de leur vie, tandis que les autres attendent, mais leur attitude n'a pas changé.]

Surate 33 "Al-Ahzab"(Les Coalisés) V.23.

En revanche, le Coran nous décrit celui qui n'a pas été sincère dans son acte, Il a dit:**[Certains d'entre eux ont fait un pacte avec Allah: "S'il nous accorde une faveur, nous ferons sûrement l'aumône et nous serons au nombre des justes."Mais lorsqu'Allah leur accorde une faveur, ils en deviennent avares et tournent le dos, indifférents. Allah a donc suscité l'hypocrisie, dans leurs coeurs, jusqu'au Jour où ils Le rencontreront, parce qu'ils n'ont pas accompli ce qu'ils avaient promis à Allah et parce qu'ils mentaient.]**

Surate 9 "Al-Tawbah" (L'immunité)V.75, 76 et77.

Voici un exemple probant de sincérité dans l'acte en accord avec l'intention .

Le Prophète-b.s- envoya "Assem Ibn Thabet"-A.s.l.- à la tête d'un escadron composé de neuf personnes. L'escadron tomba dans un piège tendu par des mécréants; ces derniers les enserrèrent, leur ordonnèrent de rendre les armes et leur promirent la sécurité. Quelques-uns se rendirent, mais "Assem"-A.s.l- refusa de se placer sous la protection d'un incroyant. IL a dit à ses amis:"Lorsque je me suis converti à l'Islam, j'ai conclu un pacte avec Allah, de ne jamais toucher un polythéiste ni qu'un polythéiste me touche." Il insista sur sa position et combattit jusqu'à sa mort.

Puis, lorsque les incroyants voulurent porter son cadavre jusqu'à la Mecque[4], un groupe de guêpes ombragea le cadavre, de sorte qu'ils ne purent l'approcher, ils partirent et décidèrent de retourner le lendemain. Lorsqu'ils retournèrent, ils furent surpris de ne pas le trouver: un déluge survint la veille dans la vallée, et emporta au loin le cadavre si bien qu'on ne le retrouva pas. Les ulémas ont dit à son sujet:"Il a été sincère au pacte qu'il a conclu avec Allah et qui Le lui rendit: il ne fut touché par aucun polythéiste ni durant sa vie, ni après sa mort."

Allah -Gloire à Lui- a recommandé à ses serviteurs la sincérité. Il a dit:**[Ô vous qui croyez! Craignez Allah et soyez parmi ceux qui sont sincères.]**

Surate 9 "Al-Tawbah" (L'immunité) V.119.

Allah -Gloire à Lui- fait ainsi l'éloge des Prophètes et des saints qui sont sincères: **[Mentionne Ismaël dans le Livre; il était sincère en sa promesse; ce fut un Messager et un Prophète.]** **Surate 19 "Maryam" V.54.**

Il a dit également:**[Celui qui est venu avec le message sincère et ceux qui y ont cru, ceux-là en vérité, sont les pieux par excellence!. Ils obtiendront auprès de leur Seigneur, tout ce qu'ils voudront: telle est la récompense de ceux qui font le bien. Allah efface ce qu'ils oeuvraient de pire et Il leur paie leur salaire de ce qu'ils oeuvraient de plus beau.]**

Surate 39 "Az-Zomar" (Les Groupes)V.33, 34 et 35.

jalousie et tyrannie; A ce propos, Allah-Gloire à Lui- a dit: **[Ce n'est pas toi qu'ils accusent de mensonge, mais, ce sont les mécréants qui nient les Signes d'Allah.]** **Surate 6 "Al-An'am" (Les Bestiaux)V.33.**

On raconte que, lorsque Hercule s'enquérant au sujet du Prophète-b.s-, demanda à Abu-Sufyan: "L'avez-vous connu comme étant menteur avant cela?". "Non", répondit Abu-Sufyan. "Alors, répondit Hercule, il n'aurait pas évité le mensonge au sujet des hommes et aurait osé mentir sur Allah."

Il est étonnant d'apprendre qu'Ibrahim -paix sur lui- s'interdira d'intercéder en faveur des gens le Jour du Jugement Dernier, en disant:"J'ai menti en trois occasions". Gloire à Toi Ô Allah! seulement trois mensonges, tout au long de sa vie?. C'étaient pourtant des paroles équivoques et c'était dans un but noble et sublime: celui de convaincre son peuple que leurs croyances étaient vaines.

A l'époque ou vécut Ibrahim -paix sur lui- les gens célébraient solennellement -hors de leur ville- une certaine fête. Il était de coutume, que tous les habitants de la ville assistent à cette fête. Ils sortirent donc et invitèrent Ibrahim -paix sur lui- à les accompagner. Lui, ayant décidé de briser leurs idoles, leur dit, comme nous l'apprend le Coran:**[Je suis malade.]**

Surate 37 "As-Safat" (Ceux qui sont placés en rang).V.89.

Ce fut là son premier mensonge. Le deuxième, lorsqu'il brisa toutes les idoles et épargna la plus grande pour réfuter leurs arguments. On lui demanda si c'était lui qui avait brisé les idoles, il leur répondit : **[Non! C'est le plus grand d'entre eux, interrogez-les donc s'ils peuvent parler.]**

Surate 21 "Al-Anbiya" (Les Prophètes) V.63.

Le troisième, lorsqu'il émigra avec sa femme en Egypte. A cette époque, l'Egypte était gouverné par un roi tyrannique et ravisseur de femmes, dont il disposait à sa guise, après avoir tué le mari. Sur ce fait, Ibrahim -paix sur lui- dit à sa femme:"Si on te questionne sur l'identité de ma personne, tu diras que je suis ton frère. En effet, il n'y a pas d'autres croyants sur cette terre que nous deux".(faisant ainsi allusion aux frères de la foi.)

Lorsque le Prophète-b.s-fut questionné sur la sincérité du croyant il dit:***"Le croyant ne ment jamais".*** *Hadith rapporté par Abu-Al-Dardâ.*

Puis il cita ces mots du Coran:**[Ceux qui ne croient pas aux Signes d'Allah sont les seuls à inventer le mensonge.]** **Surate 16 "Al-Nahl" (Les Abeilles) V.105.**

<u>4-La sincérité dans l'acte:</u>

Les actes sont sincères lorsque leurs apparences sont conformes à leurs intentions, de sorte que le fidèle fasse publiquement ce qu'il veut en son for intérieur. Allah-Gloire à Lui-couvre d'éloges ceux qui sont ainsi, Il a dit:**[Il y a,**

---

[4]"Assem"-A.s.l.-lors de l'expédition de "Badr"avait tué 2 fils d'une riche femme incroyante. Cette dernière, jura de boire le vin dans le crâne de "Assem"pour venger ses fils. C'est pour cette raison, que les incroyants voulaient transporter le cadavre à la Mecque pour le vendre à cette femme.

La Sincérité

Traduction de :
Hoda Hussein Chaâraoui.[1]

3. La sincérité dans la parole:

Le musulman ne dit que la vérité aussi bien dans les nouvelles qu'il rapporte que dans le contenu de ces nouvelles. Il dit ce qui est effectivement réel, soit du passé ou du futur et il ne manque jamais à ses promesses. Celui qui préserve sa langue du mensonge est qualifié de sincère. Le Prophète-b.s-a recommandé la sincérité en ces termes: "*Soyez sincères! La sincérité guide vers la bienfaisance qui à son tour mène au Paradis. L'homme qui est toujours sincère finit par être inscrit chez Allah au nombre des véridiques.*

Méfiez-vous du mensonge ! Le mensonge mène à la débauche et la débauche mène au feu. L'homme qui ne cesse de mentir, sera inscrit chez Allah au nombre des menteurs!". **Hadith rapporté par Al-Bokhary.**

La sincérité est une des nobles qualités des croyants, et c'est aussi l'un des attributs d'Allah -Gloire à Lui-, Il a dit:[**Et qui est plus véridique qu'Allah en propos.]** **Surate 4"Al-Nissa" (LesFemmes) V.122.**

Il a dit également:**[Et qui serait plus véridique qu'Allah quand Il parle.]** **Surate " Al-Nissa"(Les Femmes)V.87.**

La sincérité est une des qualités des Prophètes et des Messagers, Il n'y a aucun prophète envoyé par Allah qui n'ait été réputé pour sa sincérité parmi son peuple.

Les prophètes ne furent jamais démenti par ce qu'on doutait de leur conduite ou que leurs paroles renfermaient une incertitude, mais ils furent démentis par

---

[2]Donc, la seule mauvaise intention a rendu égaux l'assassin qui a mérité l'Enfer par son acte et l'assassiné qui aurait pu être au Paradis, s'il n'avait pas eu la mauvaise intention de tuer son frère.
[3]L'ostentation est le désir de faire voir aux gens l'adoration qu'on destine à Allah, pour acquérir leur faveur.

Il existe un Hadith célèbre où Abiy répondit à 'Omar - qu'Allah soit satisfait de lui - qui s'informait au sujet de la piété, par cette question:

"As-tu marché dans un sentier épineux?

- Oui, répondit 'Omar.

- Et qu'as-tu fait alors?

- J'ai retroussé mes vêtements et j'ai pris garde.

- Eh bien! C'est cela la piété", expliqua Abiy.

C'est le fait de prendre ses précautions de crainte que quelque péché ne s'attache à nos actions et ne nous cause du tort vis-à-vis d'Allah.

Que la piété et la crainte révérentielle d'Allah soient donc le sujet de conversation des pélerins avec leurs visiteurs.

Le Pélerinage, dans tous ses rites, exige une soumission absolue à Allah; nous y apprenons qu'en ce qui concerne les ordres et les prescriptions d'Allah, nous ne devons ni discuter ni essayer d'en comprendre les raisons mais les exécuter uniquement, parce qu'ils viennent d'Allah.

L'accomplissement des rites est une soumission aux ordres d'Allah en suivant l'exemple de notre Prophète - à lui bénédiction et salut-. Telle a été également l'attituae du Prophète Ibrahim - qu'Allah le bénisse et le salue - lorsqu'il reçut l'ordre d'abandonner son épouse Hadjir et son fils Ismaïl (encore nourrisson) dans une vallée aride et déserte et qu'il exécuta cet ordre sans hésiter. C'est alors qu'Allah y fit surgir une source (Zam-Zam) autour de laquelle vinrent camper des bédouins et qui est devenue par la suite l'emplacement de l'enceinte sacrée de la Ka'ba à le Mecque vers laquelle se dirigent des milliers de musulmans, non seulement pendant le pélerinage, mais tout au long de l'année, pour accomplir la visite pieuse ou Omra.



Le retour des pélerins et la vraie piété

par Dr. Rokeya Gabr

Ceux qui viennent d'accomplir la Pélerinage à la Mecque et qui sont rentrés dans leur pays ne devraient pas s'imaginer que ceci est la fin de leurs responsabilités en ce qui concerne ce culte sacré prescrit par l'Islam..

Ce culte, tout comme il exige de la part du pélerin des peines, des fatigues et des sacrifies, implique également des responsabilités. Que ces pélerins ne pensent surtout pas qu'ils sont rentrés du Pélerinage lavés de tout péché, comme au jour de leur naissance, pour commettre de nouveaux péchés; car s'ils font cela, ils ont perdu tout le bien visé par ce culte. En effet, les croyants se purifient pour affermir leur foi en étant encore plus pieux et non pour retomber dans les péchés.

Parmi les responsabilités qu'implique le Pélerinage, il y a le fait de s;en tenir à la piété, car Allah-qu'Il soit glorifié - a demandé aux gens de s'approvisionner pour ce voyage afin de n'avoir pas besoin de demander à autrui et pour qu'ils n'aient d'autre souci que la soumission aux ordres de leur Seigneur. Mais Allah - le Très-Haut- a mentionné que la meilleure des provisions pour le pélerin c'est la piété et la crainte révérentielle d'Allah - aussi bien durant le Hadj qu'à tout autre moment de sa vie - comme le dit la Parole divine dans la Sourate "Al A'raf" (v 26):

[***Approvisionnez - vous, car la meilleure des provisions c'est la piété; et craignez-Moi, Ô vous qui êtes doués de raison***].

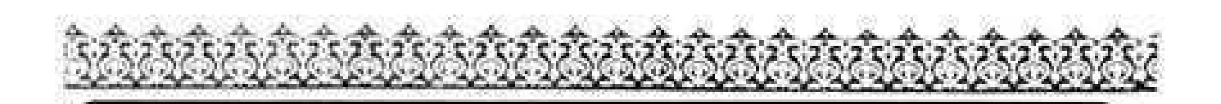
Cette piété ou cette crainte révérentielle d'Allah a été mentionnée à maintes reprises dans les Hadiths: on y trouve un portrait de l'homme pieux, une recommandation aux musulmans d'être pieux, ainsi que la promesse d'une merveilleuse rétribution pour ceux qui sont pieux.

En quoi consiste cette piété (Al Taqwa)? Elle consiste à éviter de commettre les péchés et, par là même, à se préserver du châtiment d'Allah en Lui obéissant; de plus, la soumission à Allah exige qu'on prenne garde à ne point faire le mal.

REVUE
AL AZHAR

SAFFAR 1419 H. JUNE 1998 Vol. 71 Part II

Section Francaise



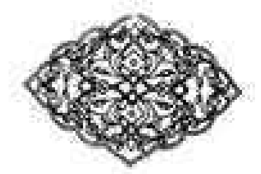
It is not permissbie for her to marry another man except after the idda, that is after three monthly (menstrual) periods, or after childbirth; or after three months in the case of those who do not menstruate.

6 - Children who have not reached the age of majority; and, likewise the child in its mothers' womb, follow the religion of other parent, who has entered Islam there is no inheritonce between Muslim and non-Muslim.

7 - He who enters Islam voluntarily, is forbidden to denounce it. If he denounces Islam, it is demanded of him to repent and return to Islam, and if he resists he is to be killed.

8 - Finally, the best way to increase your knowledge of Islam is to read widely and deeply in the various sources of Islamic readings.

«Allah be praised»



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

«O you who believe with hearts impressed with religions and spiritual virtues: if you intend to direct your minds and thoughts to striving in the cause of God and to make His purpose the heart of your purpose; he will help you defend your final cause and help you take a ftrm position and set your feet firm.» (sura 47:7)

Proceduers of Embracing Islam

1 - It is sufficient for a person to be considered a believer in the sight of Allah so as not to abide in hell fire for ever, to believe in Allah's Oneness and in all the other messages of faith mentioned in the earlier parts of these orticles. Then, after his belief he can practice all the rites.

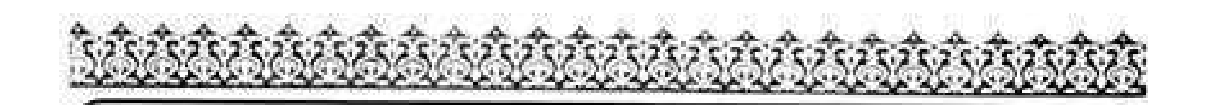
2 - For him to be treated, in this world, as a Muslim in regard to marriage, inheritance, burial rites and so. on. he must declare his faith by pronouncing out loud the dual testimony, before people, so that they treat him as a Muslim.

3 - It is for him, in order to preserve his rights and the righto of his family, to register this testimony before responsible authority.

4 - If the male convert to Islam is married to either a jew or female christian, his wife remains in wedlock. Islam should not be forced upon her, because Islam makes it lawful for a male Muslim to marry one of the people of the Book.

But if his wife is not one of the people of the book, then Islam should be introduced to her, without compulsion on her. If she becomes a Muslim, she remains in the wedlock with her husband, if however, she refuses Islam, the marriage bonds are declared null and void.

5 - If a woman enters Islam, and she is married to a non Muslim, Islam stipulates that they must separate. Islam is then introduced to the husband, and if the accepts Islam, within the monthly menstruaion period fo the wife, he returns into wedlock. If he refuses Islam, the marriage bonds be come null and void.



﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾

«God has promised those who have conformed to His system of faith and worship and imprinted their deeds with wisdom and piety araward. I shall depute them on earth, and delegate them to keep the scale and commission them with power to maintain the right, and I shall set them in the appropriate social scale just as I deputed those before them in whose hearts reigned piety. And I will confirm for them their religion which I have chosen for them as the appropr?ate system of faith and worship. I will also exchange the fear and the dread which fell upon them for peace of mind and soul provided that they adore Me with appropriate acts and rites and do not incorporate with me other deities.» (sura 24:55)

And by so doing, they are on the side of Truth, as Allah Sanctified has said:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

«You Muslims have been the best people that evolved from mankind for mankind: you enjoin equity and you recourse to general principles of justice, and you forbid all that is wrongful and obscene and you conform your will to God's blessed will.» (sura 3:110).

Muslims today, are in dire need of tightening their bond with Islam, by a basic understanding of its basic principles, and fully applying them. For their guidance. Indeed Islam must not be judged by the condition of the muslims today, for the fault is not with the principles but, rather, in misconceptions and misapplications.

Allah Almighty said:



The prophet (PBUH) lived with all of his wives to the noblest example of honorable life, and they attained from him the most refined married life. Allah graced them, and made them Mothers of the Believers, forbidding their marriage after the prophet, (on whom be peace and blessing of Allah).

Allah Almighty said:

«The prophet is more closely attached to those who conformed to Islam than they are to themselves and his wives are their god-mothers». (sura 33:6)

Allah Almighty also said:

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾

«Nor is it proper to cause annoyance of inconvenience to the Apostle of God nor is it appropriate ever to marry his widows following his death. this is an enormity in the sight of God and a deviation from moral rectitude.» (sura 33:53).

HIS CHILDREN

The prophet (PBUH) did not have children from any of his wives, except khadijah, who bore him two sons, Al-Qasim, and Abdullah who was named «The Good, the pure». She also bore him four daughters, Zainab, Ruqayyah, Ummukulthum and Fātimah.» Allah also blessed him with Abraham: born to him by Mariah the Coptic. All of these children died during his life-time, except for Fatimah, who died six months after his death.

THE CONCLUSION

This is a short account of Islam, in terms of its faith and laws. The details are to be found in the Qur'an, and sunnah, and in what has been based on them through various kinds of studies in line with that our predecessors carried on in full and with sincerity, based on deep insight, there by fulfilling Allah's promise which saye:



Understanding Islam

Part X

By Dr. Attiyah saqr

The Wives Of The Prophet

The peophet (PBUH) married, after the death of Khadijah, several wives, only one of whom died during his life time. She was Zaynab, daughter of Khozimah. He was survived by nine wives : Sawdah, daughter of Zam'ah, Aishah, daughter of Abu Bakr Al-Siddiq, Hafsah, daughter of Umar Ibnul Khathab, Ommuhabibah, daughter of Abi Suffian, Ommu Salamah, daughter of Abi umayyah, zainab, daughter of jahshi, Maymounah, daughter of Al-Harith Al-Hilaliyah, Jowyriyah, daughter of Al-Harith Al-Mustalqiyah, and safiyah, daughter of Hoyy Bin Ahkhtab.

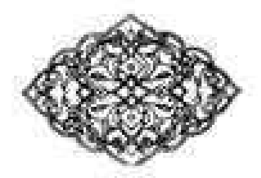
The prophet's marriages were never because of passion overpowering Him. Had it been so, ho would have married the virgins, and he would not have refused those who offered themselves to Him (in marriage).

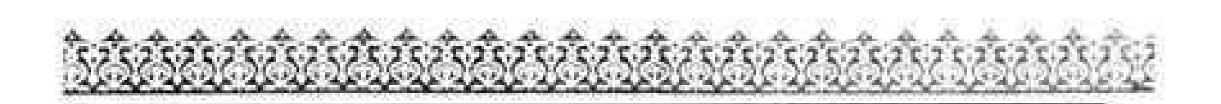
Indeed, the marriage had noble humaritarian values or meaning, for by this he honored or graced faithful female believers in the holy struggle, whose familly supporter either died or separated from them. He sometimes contracted such marriages as a link with his dearest friends, or compromised with it the hearts of his enemies, or nullifed with it the pre-Islamic (ignorant) custom of adoption of children, as well as many other aspects of sublime values.

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾

concluding from the Oneness of harmony that it is one God. A virgin whose son ruled for A long time was documented in their history. then the tyranny forgetting the justice and the mercy and becoming an example of how Allah punishes the tyrants. from this era, the Torah was sent to Moses, (The first of the three books comprising the word of Allah) containng the story of Adam and the tribulations of the first generations. A mercy of Allah and guidance for those who be lifted from darkness to light. A messiah promised to help, and to guide humans to the light, so that?may be saved to be allowed at the right hand of Allah. In the Qur'an there is A great linkage between Adam and jesus in how Allah created both of them. « Truly, the likeness of Jesus with god is as that of Adam, He created him of dust then He said to him, Be, and he was.» (3:59). Family of Imran.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾





absolute trust and faith are surrendered to Allah without Questions or suspicions but only with faith, absolute, that the guidance of Allah is the best.

Cursed and ousted from Paradise, humans, who were created for a great potential and for whom the angels were asked to prostrate themselves which they did in faith to Allah, or Adam father of humans and Eve were demoted down and out from heavens to earth to live out their sins and their divisions as earthly mortals. It is understood that being banished from heavens is being banished from an immortal status and acquiring a mortal and earthly body to live on earth as ordained by Allah.

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾

« From earth we created you». (20:25) Taha. «And we made from water

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

every living thing». (21:30) The prophets.

«Omen venerate your Lord Who has created you from a single soul, and from it created its mate, and from the pair of them has spread abroad many men and women.» (4:1) Women.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

Then Allah took mercy on Adam and his progeny and guided them, «But if there comes to you guidance form me, then whoever shall follow my guidance shall not go perverse nor shall he be miserable.» (20:123) Taha.

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾

The guidance was offered to humans through Messengers from amongst humans. The purpose, being to communicate not to intimidate. That was a long and arduous road, then humans achieved A great civlization and greater knowledge and seeking-like later prophets and humans seeking Allah and searching for him in the skies among the stars, the moon and the sun,

Islam And The Great Qur'an

Part VI

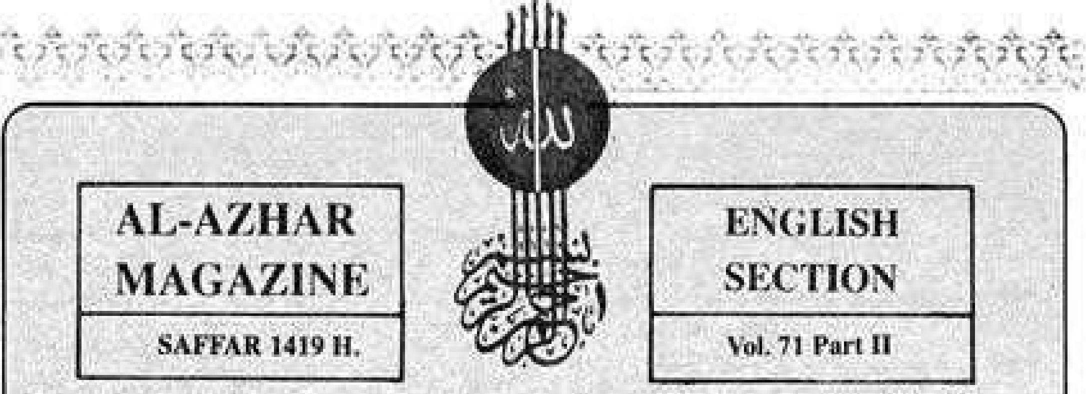
By Ambassador Maha Fahmy

The Story Of Adam, Father of Human, And The Original Sin :

There are 114 suras in the Qur'an, 113 of them start with « In the name of Allah, the beneficient, the merciful.»

Allah has prescribed and has written mercy for himself and for his messengers, and all through the Qur'an the message of mercy is very important. yet the curse inflicted on both Adam and Eve is so great that one could not help but ask was that huge curse proportionate to the sin of eating A fruit, given the many sins that humans are forgiven for by Allah, the most merciful whose mercy encompasses everything, glory be to him. The forbidden tree then has A much greater meaning : A breach of faith, a deviation from the harmonious Oneness that cannot be tolerated in the realm of the holy spirit of Allah Almighty in Paradise and the great resposibitities of running the universe.

A sin that can perhaps be forgiven for an earthly mortal could not be tolerated among the harmonious Oneness. There, in that perfect universe of the Oneness of Allah where everything is run with perfect precision and harmony there is not a place for sin or divisions or lack of faith, where total and



AL-AZHAR MAGAZINE

SAFFAR 1419 H.

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part II

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

*" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."*

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Depf. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس

بطاقة استبيان

عزيزى قارىء مجلة الأزهر :

رغبة فى توثيق الصلة بين المجلة وقرائها ، وأن تتضمن المجلة ما يود القراء معالجته على صفحاتها .

ومن أجل تبليغ تعاليم الإسلام الوضاءة إلى الناس وما يتفق ومختلف ثقافاتهم ولتحقيق دور أكثر فاعلية ، وللحفاظ على الدور النبيل والمكانة السامقة التى أرادها الله تعالى لهذه المجلة .

تدعوك أيها القارىء للمشاركة الفعالة والمثمرة باستيفاء هذه البطاقة ثم إرسالها على العنوان المدون بعد .

والله ـ تعالى ـ من وراء القصد .

رئيس التحرير
عبد المعز الجزار

الاسم : ....

الوظيفة : ....

السن : ....

العنوان : ....

■ أى أبواب المجلة أقرب إلى طبيعة عملكم وتنال اهتمامكم ؟
١ - الإسلاميات .
٢ - استفتاءات القراء .
٣ - اللغة والأدب والنقد .
٤ - طرائف ومواقف .
٥ - طبقات المحققين والمصححين .
٦ - من أعلام الأزهر .
٧ - من روائع الماضى بمجلة الأزهر .
٨ - خميلة الشعر .
٩ - العلوم الكونية .
١٠ - رحلة مع التراث .
١١ - دوحة الكتب .
١٢ - بين المجلة والقارىء .
١٣ - أنباء العالم الإسلامى .
١٤ - أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر .
١٥ - القسم الإنجليزى .
١٦ - القسم الفرنسى .
١٧ - ملحق المجلة .

■ ما الأبواب التى ترون إضافتها ؟
المقترحات :

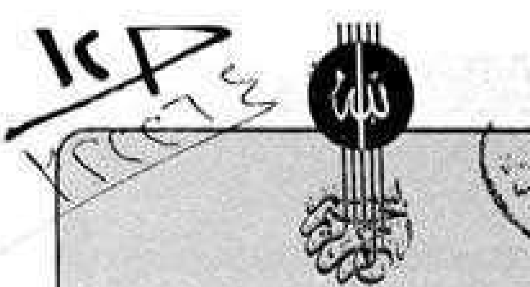
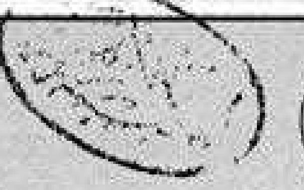
....

....

....

....

ترسل البطاقات إلى السيد صاحب الفضيلة رئيس التحرير .
القاهرة - مدينة نصر - بريد رابعة العدوية - مجمع البحوث الإسلامية - مجلة الأزهر .
ويكتب على المظروف من الجهة اليسرى كلمة « استبيان » .


الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

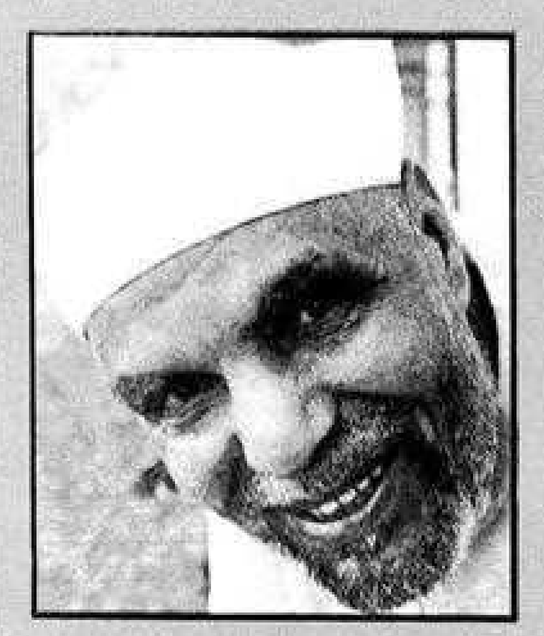
المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة



فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى فى رحاب الله

ربيع الأول ١٤١٩ هـ يولية ١٩٩٨ م - الجزء الثالث - السنة الحادية والسبعون



ولد فى ١٥ أبريل ١٩١١ م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية ، ودخل الأزهر بعد أن حفظ القرآن فى كُتّاب القرية حتى حصل على الشهادة العالمية فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤١ م ، ثم شهادة العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣ .

عمل مدرسا فى معهد طنطا الديني ثم نقل إلى معهد الإسكندرية ، ثم معهد الزقازيق . . وأعير للسعودية عام ١٩٥٠ حيث عمل مدرسا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

ثم عاد إلى مصر حيث عين وكيلا بمعهد طنطا عام ١٩٦٠ . . ثم مديرا للدعوة بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١ . . ثم مفتشا للعلوم العربية بالأزهر ١٩٦٢ . . ثم مديرا لمكتب شيخ الأزهر عام ١٩٦٤ ثم أستاذا زائرا بجامعة الملك عبد العزيز بمكة .

ثم مديرا عاما لشئون الأزهر عام ١٩٧٥ م

وعين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٧٦ ومكث بالوزارة عامين ثم عين عضوا بمجمع البحوث الإسلامية . . وعضوا بمجلس الشورى ١٩٨٠ .

واختير عضوا بمجمع اللغة العربية ١٩٨٧ ، واختارته رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة بالسعودية عضوا بالهيئة التأسيسية لها .

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

ودعت مصر بالحب والحزن ابنها وابن الأمة العربية والإسلامية ، البار العالم الجليل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ورحيل فضيلة الإمام الداعية يعد خسارة فادحة لمصر والعالم الإسلامى ، فهو مجدد لقرن اجتمع على مائدة تفسيره العامة والخاصة ؛ وبجانب ذلك فقد كان نموذجاً يحتذى به العلماء بإخلاصه فى دعوته ، وللأثرياء بإقباله على العمل الخيرى فى الخفاء ؛ مما جعله رمزاً فريداً للدعاة المستنيرين الذين تلتف حولهم قلوب كل الجماهير .

ولعلنا نتخذ منه القدوة حتى نحاول ملء الفراغ الذى تركه على الساحة الإسلامية ؛ فالتحديات التى تواجه أمتنا الآن تجعلها أحوج ما تكون إلى علماء فاقهين مخلصين من أمثال فقيدنا الراحل ـ رحمه الله ـ .

ومما يعزى نفوسنا أن شيخنا ـ رحمه الله وطيب ثراه ـ قد أدى رسالته : أداها بالشعور بالمسئولية أمام الله ـ تعالى ـ وبكل ما تحمله هذه الكلمة من معان سامية ، ومن مقاصد كريمة ، أداها بنظافة لسان ، وبعقل راجح وبعزيمة صادقة ، وهمة عالية ، لا يخشى فى الحق لومة لائم ، أداها بثبات على مبدئه .

والحمد لله مبادىء عالم ثبت ، مبادىء رشيدة ، مبادىء سامية ، مستمدة من كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومن سنة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القائل : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

وقد اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فى شيخنا - رحمه الله وطيب ثراه - فلقد كان سخياً بماله ينفقه على المحتاجين فى السر أكثر مما ينفقه فى العلن ، فالصدقة الجارية تحققت فى سخاء يده - والحمد لله - .

كذلك العلم الذى ينتفع به ، لقد ترك علما نافعاً فى أحاديثه وكتبه ، وفى ندواته ، وفى دروسه ، وفيما كتبه فى المجلات ، وفيما كان يلقيه من أحاديث فى الإذاعات المرئية والمسموعة ، ووسائل الإعلام المختلفة ، وفى كل ملتقى يتواجد فيه ، فالعلم الذى ينتفع به قد تحقق فى شيخنا - والحمد لله - .

أما الذرية الصالحة ، فقد ترك من الذرية ما شهد الجميع له بالخير والصلاح .

وحسبنا فى هذا ما لمسناه عن قرب من فضيلة الشيخ سامى الشعراوى - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية - ففى هذا خير شاهد ودليل على صدق ما نقول ، فالذرية الصالحة قد تحققت فى فضيلته - والحمد لله - .

إننا نضرع إلى الله - سبحانه وتعالى - أن يتغمد فقيدنا ، بل فقيد الأمة الإسلامية جمعاء .

أن يتغمده بواسع رحمته وأن يدخله فسيح جناته ، وأن يجعله فى معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

و﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

« أسرة تحرير
مجلة الأزهر »



ذكـــرى ميـــلاد

نبي الرحمة محمد

صلى الله عليه وسلم

في صبيحة اليوم الآخر ، الثاني عشر من ربيع الأول ، الذي وافق العشرين من شباط عام واحد وسبعين وخمسمائة ، في عام الفيل زمن كسرى أنوشروان ملك الفرس ، استقبل الزمان محيا طفل وسيم ، يسر مرآه القلوب ، ويؤنس وجهه الأرواح ، ويقر سناه العيون ، ذلك الوليد الذي عنيناه هو محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

جاء عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ قال : سئل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن صوم يوم الاثنين والخميس ، قال : فيه ولدت وفيه أنزل عليّ القرآن .[1]

وجاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : « ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين ، واستنبيء يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » .[2]

أيها القارىء العزيز : إن الحديث في هذه الأيام ، من أيام شهر ربيع عن ميلاد الحبيب الغالي هو حديث شائق وجميل ، والحديث ذو شجون ، إذ جوانب العظمة فيه متعددة ، وصفات كماله أكثر من أن تحصى ، لأنه بعث رحمة للعالمين ، وصدق الله إذ يقول واصفا له :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ (القلم : ٤) .

وقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ ﴾ (الأحزاب : ٤٦) .

---

(١) البداية والنهاية جـ ٢ صـ ٢٦٠ ـ باب مولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفرد به أحمد ورواه عمرو بن لهيعة .
(٢) مسلم وأبو داود .

وإذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد جمع كل صفات الكمال والجلال والعظمة فلا يمكن أن نستقصى بعضها فى هذه العجالة ، ولكنى سأقف أمام صفة واحدة ، أوضحها ، حتى نتبين بعض جوانب عظمة من بعثه الله رحمة للوجود (كله) ، لنأخذ منها العظة والعبرة والدرس المفيد حتى نسعد فى دنيانا وأخرانا وهذه الصفة هى أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان رحمة للعالمين قبل أن يولد ، ورحمة للعالمين بعد مولده .

وهاهى قصة أصحاب الفيل التى كانت من أعظم آيات نبوته شأنا ، وأظهرها برهانا ، وأوضحها دليلا ، وأشهرها عيانا وبيانا ، قد برهنت على أن الله رحم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوجود قبل ولادته ، وقد وقعت هذه القصة قبل مولده بخمس وخمسين ليلة ، وهى أن النجاشى قد أنفذ أبرهة فى جمهور جيشه إلى مكة لهدم الكعبة وقتل رجالها وسبى نسائها ، وذراريها ، ثم توجه الجيش إلى مكة من جهة منى ، والفيل معهم ، ولكنه كان يحجم عندما يبعث نحو الحرم ، وإذا عدل عنه أقدم ثم وقعوا بالمغمس ، وقال بعضهم :

إن آيات ربنا ساطعات ... مايمارى بها إلا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ... مر يعوى كأنه معقور

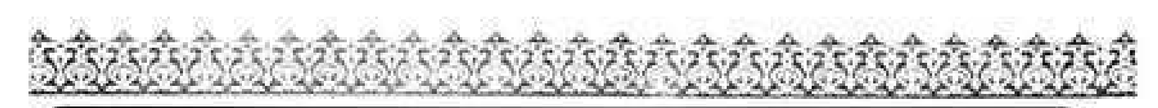
وفى هذه الأثناء أبصر أهل مكة الطير قد أقبلت من ناحية البحر ، وفى مناقيرها وأرجلها حجارة ، ولما أظلت على القوم ألقتها عليهم حتى هلكوا .

وكانت آية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذه القصة ، أنه كان حملا فى بطن أمه ، حيث أشرق نوره على الوجود بعد حادث الفيل بخمس وخمسين ليلة ، وكانت آيته فى ذلك من وجهين :

أولهما : أن أبرهة وجيشه لو تم لهم ما أرادوا وظفروا ، لسبوا واسترقوا أهل مكة ، ولكن الله لم يمكنهم من تحقيق غرضهم ، صيانة لرسوله أن يجرى عليه السبى حملا ووليدا ، ولتعطلت نبوته التى سيختاره الله لها ويصطفيه لها حتى تعم رحمته الوجود .

وثانيهما : أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم ، ثم إنهم ليسوا أهل كتاب ، حيث كانوا بين عابد لصنم ، أو متدين وثن ، أو قائل بالزندقة ، أو مانع من الرجعة ، ولكن لما أراده الله تعالى من ظهور الإسلام ، تأسيسا للنبوة ، وتعظيما للكعبة ، وأن يجعلها قبلة للصلاة ، ومنسكا للحج .

وليكن معلوما أنه على الباغى فى كل عصر وزمان ستدور عليه الدوائر ، وأن منع أصحاب الفيل من تنفيذ خطتهم إنما هو آية لتأسيس النبوة ومجىء الرسالة ، ثم يتجلى لنا صدق رسول الله ـ صلى الله عليه



وسلم ـ فيما أخبر به من الغيبيات ، حيث أخبر بهدم الكعبة ، وقد حدث فى زمن الحجاج ، فكان هذا معجزة .

وبعد هذه الواقعة تأكد للناس تعظيم حرم مكة ، وزادت حرمته فى النفوس ثم دان العرب لقريش بالطاعة ، وزادوهم تشريفا وتعظيما ؛ لأنهم أهل الله ، حيث قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم ، ثم إنه قد قامت قريش للعرب بالرفادة ، وهو مال كانت تخرجه قريش كل عام ليصنع به طعام يقدم للناس فى أيام منى ، ثم بالسدانة ، والسقاية ، وبعدها صارت قريش أئمة ديانين وقادة متبوعين ، وصار أصحاب الفيل مثلا فى الغابرين ، وكان شأن الفيل رادعا لكل باغٍ ودافعاً لكل طاغ ، وهكذا نرى من سرد قصة أصحاب الفيل وهلاكهم خير برهان على أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان رحمة للعالمين قبل أن يولد ، إذ لو انتصر أبرهة ـ والعياذ بالله ـ لسبيت أمه ، ولبيع كما يباع العبيد ، ولتعطلت الرسالة ولساد الوجود ظلام فوق ظلام .

وإذا تأملنا فى مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الليل قرب الفجر ، فلسوف نجد حكمة عالية ، إذ هذه الساعة يستجاب فيها الدعاء فى كل ليلة ، وهى أوسع وأشرف من الساعة التى فى يوم الجمعة ، وإذا كان يوم الجمعة الذى خلق فيه آدم عليه السلام ، وخص بساعة لا يصادفها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه الله تعالى سؤله ، فما بالك بالساعة التى ولد فيها سيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، وسيد الأولين والآخرين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم إن منزلة هذه الليلة التى ولد فيها الحبيب ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفوق فضلها فضل ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر من عدة وجوه .

أولا : لأن ليلة المولد ـ ليلة ظهوره ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليلة القدر معطاة له ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما شرفت بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرفت بسبب ما أعطيه ، ولا نزاع فى ذلك .

ثانيا : أن ليلة القدر قد شرفت بنزول الملائكة فيها ، وليلة المولد قد شرفت بظهوره ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت به ليلة القدر على الصحيح المرتضى .

ثالثا : إن ليلة القدر وقع فيها تفضل على أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليلة المولد وقع فيها التفضل على جميع الموجودات ، إذ هو الذى بعثه الله ـ تعالى ـ رحمة للعالمين ، فعمت النعمة به جميع الخلائق فليلة المولد أعم نفعا .

ومن جهة أخرى كان مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى فصل الربيع ؛ لأنه أعدل فصول السنة : ليله ونهاره معتدلان ، بين الحر والبرد ، ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة ، وشمسه معتدلة فى العلو والهبوط ، وقمره معتدل فى أول درجة من الليالى البيض .



وخص مولده - صلى الله عليه وسلم - بشهر ربيع الأول ، ولم يكن فى شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن ، وفيه ليلة القدر ، ولم يكن ميلاده فى الأشهر الحرم ، رجب ، شوال ، ذى القعدة ، وذى الحجة ، التى جعل الله لها الحرمة يوم خلق السموات والأرض ، ولم يكن فى ليلة النصف من شعبان ، ولا فى يوم الجمعة ، ولا فى ليلتها ، حيث ورد فى الحديث : « إن الله تعالى خلق الشجر يوم الاثنين » رواه أحمد فى مسنده ، وفيه تنبيه عظيم : هو أن الله خلق فيه الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التى يمتد بها بنو آدم ويحيون ويتداوون ، وتنشرح صدورهم لرؤيتها ، وتطيب بها نفوسهم ، وتسكن خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم لتحصيل مايبقى حياتهم على ما جرت به حكمة الحكيم سبحانه ، فوجوده فى هذا الشهر ، شهر ربيع الأول فى هذا اليوم يوم الاثنين قرة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لهذه الأمة المحمدية .

كما أن فيه إشارة ظاهرة لمن تفطن لها بالنسبة إلى الاشتقاق لفظة ربيع ، إذ أن فيه تفاؤلا حسنا ، وبشارة لأمته - صلى الله عليه وسلم - ثم ما فى شريعته - صلى الله عليه وسلم - من شبه الحال من رفع الإصر والأغلال التى كانت على من قبلنا ، ثم شاء الحكيم سبحانه أنه - صلى الله عليه وسلم - تتشرف به الأزمنة والأمكنة ، لا هو يتشرف بها ، بل يحصل للزمان والمكان الذى يباشره عليه الصلاة والسلام الفضيلة العظمى ،والمزية على ما سواه من جنسه ، فلو ولد فى الأوقات التى تقدم ذكرها لكان يتوهم أنه يتشرف بها فجعل الحكيم جل جلاله مولده - صلى الله عليه وسلم - فى غيرها ؛ ليظهر عظيم عنايته سبحانه وكرامته عليه .

ومن هنا يجب على أولياء أمور الناس أن يعلموا صبيانهم أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - ولد بمكة ، ودفن بالمدينة ، وأن يعلموهم نسبه الطاهر ، وأن اسم محمد هو أشرف أسمائه - صلى الله عليه وسلم - وأشهرها بين العالمين ، وألذها سماعا عند جميع المسلمين ، وأشوقها إلى الصلاة والتسليم على سيد الأنام ، وكذلك خصت به كلمة التوحيد .

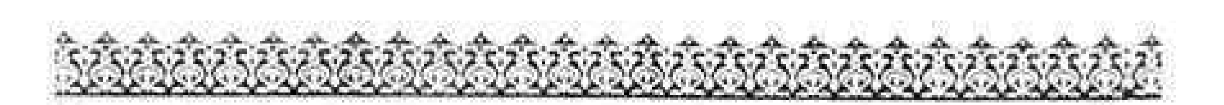
ويستحب التسمية بهذا الاسم ، محبة فيه - صلى الله عليه وسلم - ولا يصح إسلام الكافر حتى يتلفظ به ، كما أمرنا أن نكرم من اسمه محمدا ؛ حباً فيه .

وبعد : فاللهم اجعل محمدا أول الشافعين ، وأنجح السائلين ، وأكرم الأولين والآخرين .

اللهم كما آمنا به ولم نره ، وصدقناه ولم نلقه ، فأدخلنا مدخله ، واحشرنا فى زمرته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيئا ، لا نظمأ بعده أبدا ، غير خزايا ولا ناكثين ، ولا مارقين ، ولا جاحدين ، ولا مرتابين ، ولا مغضوبا عليهم ولا ضالين ، واجعلنا من أهل شفاعته .

وعلينا أن نتمثل قول القائل :

الله عظم قدر جاه محمد ... وأناله فضلا عليه عظيما
فى محكم التنزيل قال لخلقه ... صلوا عليه وسلموا تسليما



﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب/٥٦)

لبيك اللهم ربي وسعديك ، صلوات الله البر الرحيم ، والملائكة المقربين ، والنبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وما سبح له من شيء ياربّ العالمين ، على محمد بن عبد الله ، خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، البشير النذير والسراج المنير وعلى آله وصحبه .

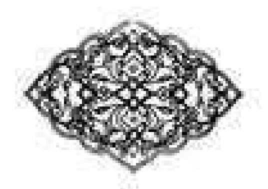
اللهم صلِّ عليه صلاة تكون بإذنك واقية من البلاء ، وبحولك شافية من الأدواء ، وبفضلك محققة للأمل والرجاء .

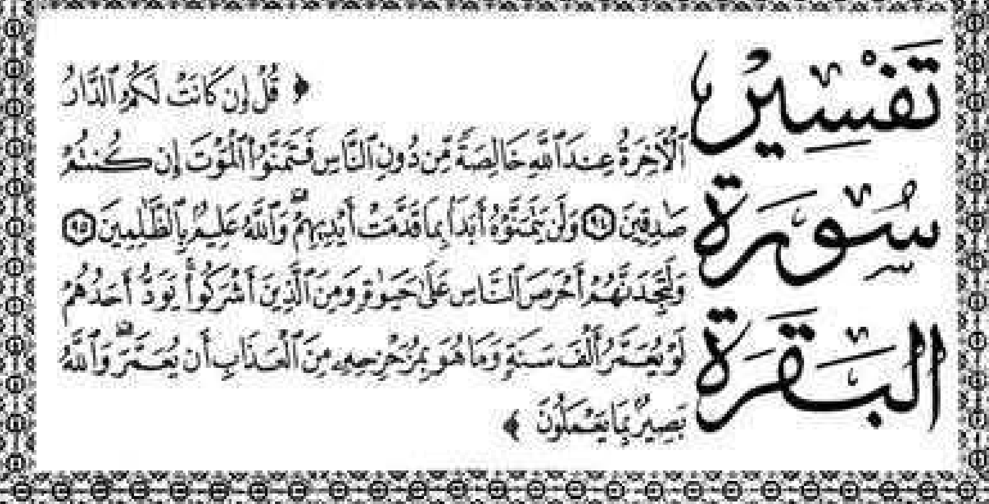
اللهم صلِّ على نبينا الحبيب صلاة تذكرنا بخلقه الكريم كلما تلوناها ، وتشوقنا إلى جنابه الرحيم ، كلما رددناها ، وتهدينا طريقه المستقيم كلما كررناها .

اللهم صلِّ عليه صلاة يكون من بركاتها صلاح الحال ، ومن نفحاتها حسن المآل ، وأن نرقى بها في معارج التقى والكمال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

عبد المعز عبد الحميد الجزار





لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهـــر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

ومعنى الآيات الكريمة إجمالاً :

قل - يا محمد - لأولئك اليهود الذين ادعوا أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودا : إن كانت الجنة مختصة بكم ، وسالمة لكم دون غيركم ، وليس لأحد سواكم فيها حق . فتمنوا الموت إن كنتم صادقين فى دعواكم ، لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وأحب الوصول إليها .

ثم أخبر الله أن هذا التمنى لن يحصل منهم فقال : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ أى الموت ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى بسبب ما ارتكبوه من كفر ومعصية ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ الذين وضعوا الأمور فى غير موضعها ، فادعوا ما ليس لهم ، ونفوه عمن هو لهم .

ثم أخبر القرآن بأن حرصهم على الحياة لا نظير له ولا مثيل فقال : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ متطاولة ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ أى : وأحرص عليها - أيضاً - من الذين أشركوا الذين لا يعرفون إلا الحياة الدنيا ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ أى : يتمنى الواحد من هؤلاء اليهود أن يعيش السنين الكثيرة ولو تجاوزت الحدود المعقولة لعمر الإنسان ، والحال أنه ما أحد منهم بمزحزحه ومنجيه تعميره من العذاب ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ أى : لا يخفى عليه أعمالهم ، فهو محاسبهم عليها ، ومجازيهم بما يستحقونه من عقاب .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

رد على زعمهم الباطل أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً ، والمراد بالدار الآخرة : الجنة ونعيمها ، ومعنى «خالصة» سالمة لكم مختصة بكم ، لا يشارككم فيها أحد من الناس .

قال الإمام ابن جرير : «يقال : خلص لى فلان بمعنى صار لى وحدى وصفا لى ، ويقال : منه خلص هذا الشىء ، فهو يخلص خلوصاً وخالصة ، والخالصة مصدر مثل العافية ..»[1] .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ ﴾ التمنى هو ارتياح النفس ورغبتها القوية فى الشىء . بحيث توده وتحب المصير إليه ، وهو يستعمل فى المعنى القائم بالقلب كما بينا ، ويستعمل فى اللفظ الدال على هذا المعنى ، كأن يقول الإنسان بلسانه ، ليتنى أحصل على كذا .

والاستعمال الثانى هو المراد بقوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ ﴾ أى اذكروا بألسنتكم لفظاً يدل على أنكم تحبون الموت وترغبون فيه . وإنما قلنا إن ذلك هو المراد من الآية لأن المعنى الكائن بالقلب لا يعرفه أحد سوى الله ـ تعالى ـ والتحدى لا يقع بتحصيل المعانى القائمة بالضمائر والقلوب .

ومعنى الآية الكريمة : قل يا محمد لليهود : إن كانت الجنة خاصة بكم ، ولا منازع لكم فيها ولا مزاحم كما تزعمون ، فتمنوا الموت بألسنتكم لكى تظفروا بنعيمها الدائم ، إن كنتم صادقين فى دعواكم أنها خالصة لكم ، وإلا فإنكم لا تكونون صادقين فى دعواكم ، إذ لا يعقل أن يرغب الإنسان عن السعادة المحضة الدائمة المضمونة له فى الآخرة ، إلى سعادة ممزوجة بالشقاء فى الدنيا .

قال الإمام الرازى : «وبيان هذه الملازمة أن نعم الدنيا قليلة حقيرة بالقياس إلى نعم الآخرة . ثم إن نعم الدنيا على قلتها كانت منغصة عليهم بسبب ظهور محمد ـ ﷺ ـ ومنازعته معهم ، بالجدال والقتال ، ومن كان فى النعم القليلة المنغصة . ثم تيقن أنه بعد الموت لابد أن ينتقل إلى تلك النعم العظيمة ، فإنه لابد أن يكون راغباً فى الموت ، لأن تلك النعم العظيمة مطلوبة ولا سبيل إليها إلا بالموت ، وحيث كان الموت يتوقف عليه المطلوب وجب أن يكون هذا الإنسان راضياً بالموت متمنياً له ، فثبت أن الدار الآخرة لو كانت خالصة لهم ، لوجب أن يتمنوا الموت . ثم إن الله ـ تعالى ـ أخبر أنهم ما تمنوا الموت ، بل لن يتمنوه أبداً ، وحينئذ يلزم قطعاً بطلان ادعائها فى قولهم : «إن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس»[2] .

وتحديهم بتمنى الموت يكون بأن يقولوا بألسنتهم ليتنا نموت ، أو يقولوا ما فى معنى هذه الكلمة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، وهذا رأى جمهور المفسرين .

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن ذلك يكون عن طريق المباهلة ، بأن يحضروا مع المؤمنين فى صعيد واحد ، ثم يدعو الفريقان بالموت على الكاذب منهما .

ويبدو لنا أن الرأى الأول أرجح لأنه أقرب إلى موافقة اللفظ الذى نطقت به الآية وأقرب أيضاً إلى معناها . إذ ليس فى الآية إشارة ما إلى طلب المباهلة ، والقرآن حينما دعا إليها نصارى نجران ، جاء اللفظ بها صريحاً فى قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل عمران ـ ٦١)

---

(١) تفسير ابن جرير جـ١ ص٤٢٦ . (٢) تفسير الرازى جـ١ ص٤٣٣ .

ثم أخبر ـ سبحانه ـ بأن هؤلاء اليهود لن يتمنوا الموت أبداً بسبب ما فعلوا من شرور فقال تعالى :

﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

أى : لا يتمنى اليهود الموت أبداً بسبب ما قدمت أيديهم من آثام ، والله ـ عز وجل ـ لا تخفى عليه خافية من سيئاتهم واعتداءاتهم بل هو سيسجلها عليهم ، ويجازيهم عليها الجزاء الذى يستحقونه ، والآية الكريمة خبر من الله ـ تعالى ـ عن اليهود بأنهم يكرهون الموت ، ويمتنعون عن الإجابة إلى ما دعوا إليه من تمنيه ، لعلمهم بأنهم إن فعلوا فالموت نازل بهم ، وذلك لأن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يخبرهم خبراً إلا كان حقاً كما أخبر فهم يحذرون أن يتمنوا الموت ، خوفاً من أن يحل بهم عقاب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب .

وقد صح من عدة طرق عن ابن عباس أنه قال : « لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه » .

وقال ابن جرير فى تفسيره : « وبلغنا أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ؛ ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ـ ﷺ ـ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً » قال حدثنا بذلك أبو كريب ، حدثنا زكريا بن عدى ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبدالكريم عن ابن عباس عن رسول الله ـ ﷺ ـ »(3) .

وقال الإمام ابن كثير: ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن يزيد الرقى حدثنا فرات عن عبدالكريم به »(4) .

وقال صاحب الكشاف : قوله : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به ، كقوله تعالى : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ فإن قلت : ما أدراك أنهم لم يتمنوا الموت : قلت : لو تمنوا لنقل ذلك عنهم كما نقلت سائر الحوادث ، ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن فى الإسلام أكثر من الذر وليس أحد منهم نقل عنه ذلك »(5) .

ويكفى فى تحقيق هذه المعجزة ، ألا يصدر تمنى الموت عن اليهود الذين تحداهم النبى ـ ﷺ ـ بذلك ، وهم الذين كانوا يضعون العراقيل فى طريق دعوته ، ويصرون على جحود نبوته ؛ فلا يقدح فى هذه المعجزة أن ينطق يهودى بعد العهد النبوى بتمنى الموت وهو حريص على الحياة ، لأن المعنيين بالتحدى هم اليهود المعاصرون للعهد النبوى .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وارد مورد التهديد والوعيد لهم ، وكان اليهود ظالمين بسبب ما قدمت أيديهم وبسبب كونهم قد كذبوا على الله فى دعواهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان منهم .

ثم بين ـ سبحانه ـ بعد ذلك أن هؤلاء اليهود الذين يزعمون أن الجنة خالصة لهم فى غاية الحرص

---

(3) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٢٧ .

(4) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٢٧ .

(5) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٥ .

على الحياة فقال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

ومعنى الآية الكريمة : ولتجدن ـ يا محمد ـ أولئك اليهود ـ الذين يزعمون أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ـ لتجدنهم أحب الناس للحياة ، وأحرصهم عليها ، وأشدهم كراهية للموت وليس ذلك عندما يكونون متمتعين بالطمأنينة والعافية فقط ، بل هم كذلك حتى ولوزالت عنها كل معانى الراحة والطمأنينة ، فهم أحرص عليها حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث ، والذين يعتبرون نعيمهم الأكبر هو ما يتمتعون به من اللذائذ فى هذه الدنيا ، وهم فى حرصهم على الحياة يتمنون أن تطول أعمارهم دهوراً طويلة ، لا يصل إليها خيال أحد ممن يحرصون عليها كما قال تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . وبذلك تكون الآية الكريمة قد كذبتهم فى دعواهم أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ، لأن الأمر لو كان كما يزعمون لرحبوا بالانتقال إليها ، ولكنهم لا يحبون الموت ولا يكاد يخطر ببالهم ، ويحرصون كل الحرص على البقاء حتى مع سوء الحالة ورذالة العيش ، كما يشعر بذلك التنكير فى قوله تعالى ﴿ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ .

والمراد بالناس جميعهم ، وأفعل التفضيل فى « أحرص » على بابه ، لأن الحرص على الحياة غريزة فى البشر إلا أنهم متفاوتون فيه قوة وكيفية وأسباباً ، كما قال الشاعر :

أرى كلنا يهوى الحياة بسعيه
حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورده التقى
وحب الشجاع النفس أورده الحربا

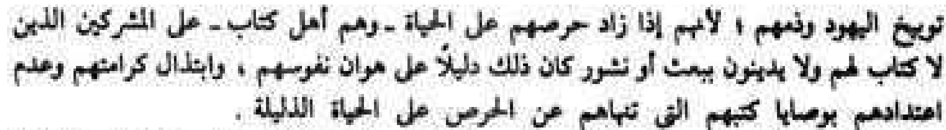
فالناس جميعاً وإن كانوا يشتركون مع اليهود فى الحرص على الحياة ، إلا أن اليهود يزيدون على سائر الناس أنهم لحرصهم ، وأنهم من أجل حرصهم عليها يضحون بدينهم وبكرامتهم وبكل شىء .

ونكر ـ سبحانه ـ الحياة التى يحرصون عليها ، زيادة فى تحقيرهم ، فكأنه ـ سبحانه ـ يقول : إنهم شديدو الحرص على الحياة ، ولو كانت حياة بؤس وشقاء ، وللإشعار بأن مايهمهم هو مطلق حياة كيفما كانت ، بصرف النظر عن العزة والكرامة ، فمن أمثال اليهود المشهورة : « الحياة وكفى » .

ولا شك أن شدة التهالك على الحياة ، تؤدى إلى الجبن ، واحتمال الضيم ، وتجعل الأمة التى تنتشر فيها هذه الرذيلة لا تفرق بين الحياة الكريمة والحياة الذليلة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ عطف على الناس ، لأنه لما كان قوله تعالى : ﴿ أَحْرَصَ النَّاسِ ﴾ فى معنى : أحرص من جميع الناس صح أن يراعى المعنى ، فيكون قوله : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ معطوف عليه ، فيكون المعنى : أحرص من جميع الناس ، وأحرص من الذين أشركوا على الحياة .

والذين أشركوا ، هم الذين جعلوا لله شركاء وإنما أفردوا بالذكر مع أنهم من الناس ، مبالغة فى



توبيخ اليهود وذمهم ؛ لأنهم إذا زاد حرصهم على الحياة ـ وهم أهل كتاب ـ على المشركين الذين لا كتاب لهم ولا يدينون ببعث أو نشور كان ذلك دليلاً على هوان نفوسهم ، وابتذال كرامتهم وعدم اعتدادهم بوصايا كتبهم التى تنهاهم عن الحرص على الحياة الذليلة .

قال صاحب الكشاف : « وفيه توبيخ عظيم ؛ لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا ، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم ، فإذا زاد عليها فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء ، كان حقيقاً بأعظم التوبيخ ، فإن قلت : لم زاد حرصهم على حرص المشركين ؟ قلت : لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك »(٦) .

ثم بين ـ سبحانه ـ مظهراً من مظاهر حرصهم على الحياة فقال تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ أى يتمنى الواحد منهم أن يعيش دهوراً كثيرة ، ليس من عادة الناس أن يحبوا بلوغها ؛ لأنها تؤدى بهم إلى أرذل العمر ، وعدم طيب العيش .

فالجملة الكريمة مستأنفة لإظهار مغالاتهم فى التهالك على الدنيا ولتحقيق عموم النوعية فى الحياة المنكرة ، ولدفع ما يظنه بعض الناس من أن حرصهم على الحياة مهما اشتد فلن يصل بهم إلى تمنى أن يعيش الواحد منهم ألف عام ، أو أكثر ، فجىء بهذه الجملة الكريمة . لتحقيق أن تعلقهم بالدنيا يشمل حتى هذه السن المتطاولة ، التى لا هناء فيها ولا راحة ، والتى استعاذ من بلوغها المؤمنون .

ثم بين ـ سبحانه ـ أن تعميرهم الطويل لن ينجيهم من العقوبة ؛ لأن الموت لا يتركهم مهما طال عمرهم ، فقال تعالى :

﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾

أى : وماأحد منهم بمبعده تعميره عن العذاب المعد له ، ولا بمنجيه منه .

والجملة الكريمة فيها بيان مصيرهم المحتوم ، وقطع لحبال مطامعهم ؛ لأن الموت سيلحقهم مهما بلغ عمرهم ، وسيلقون جزاءهم على سوء صنيعهم .

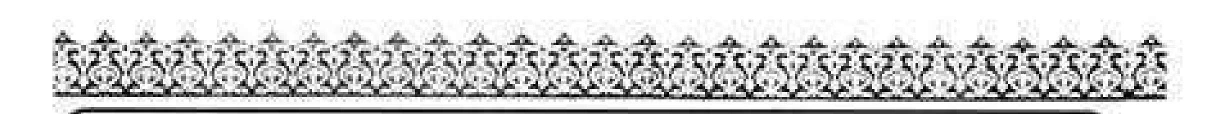
وفى التعبير ﴿ بِمُزَحْزِحِهِ ﴾ إشارة إلى أن طول عمرهم ، ليس له أى أثر فى تخفيف العذاب عنهم ، وقوله : ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ تهديد ووعيد لهم لأنه ـ سبحانه ـ عليم بأعمالهم ، محيط بما يخفون وما يعلنون ، وسيجازيهم على كل ذلك بما يستحقون .

ومن هذا العرض للآيات الكريمة نرى أنها قد ردت على اليهود فى دعواهم أن الجنة خالصة لهم ، رداً يبطل حجتهم ، ويفضح مزاعمهم ، ويكبت نفوسهم ، ويخرس ألسنتهم ، ويعلن أن الجنة إنما هى لمن أسلم وجهه لله وهو محسن ، وهم ليسوا من هذا النوع من الناس ؛ ولذا حرصوا على الحياة وفزعوا من الموت ، لأنهم يعلمون أن من ورائهم النار وبئس القرار بسبب ما ارتكبوا من سيئات ، واقترفوا من أكاذيب .

« يتبع »

---

(٦) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٣٥ .



قبس من أنوار النبوة

بعث الرسول بالهدى والعلم

للشيخ
على حامد عبد الرحيم

عن أبي موسى الأشعرى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ ، والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله - تعالى - بها الناس ، فشربوا ، وسقوا وزرعوا .

وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

رواه البخارى ومسلم والنسائى

مفردات : مثل : هنا الصفة العجيبة - الهدى : الدلالة الموصلة إلى المطلوب من الخير الغيث : المطر فى حال الحاجة إليه . . نقية : خصبة طيبة - أجادب : الأرض التى لا نبات فيها - قيعان : الأرض الملساء - من لم يرفع بذلك رأسا : تكبر .

يشير حديث الرسول الكريم إلى حاجة البشرية جمعاء إلى هداية الإسلام ، التى بعث بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - : فقد كان فى كل صقع من أصقاع الأرض من يتشوق إلى الهداية ، بعد أن ضلت العقائد ، وغير أتباع الرسل مانزل إليهم من عند ربهم ، وطفح الكيل بالرق ، وعبادة البشر . ضلت الأخلاق طريق الإنسانية الحميدة ، وصارت القلة من البشرية هى صاحبة الحرية فى كل ما تصنع وما تذر ، وصار الأكثرية والعرض والناس سلعة يملكها شرذمة ممن سموا أنفسهم بالنبلاء . وجور وهوى نفس تلعب به الأهواء ، تسلط وتحكم فى رقاب الناس .

بينما كان فى الحياة الإنسانية من يتشوف إلى الحرية والأمن والكرامة فكانت بعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - :

- لتصحيح العقائد التى زاغ عنها أهلها - ولتضع كرامة الإنسان فى رحاب الإيمان بالله ، الذى يضمن لها موازين العدل ، والكرامة ، ولتقيم العلاقات الإنسانية على الرحمة والمودة ، والتعاون ، والبر والمعروف ، ولترفع مكانة العلم والمعرفة ، ولترفع لواء

﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ (١٠ الحجرات)

- هذه الهداية التى جاء بها النبى - صلى الله عليه وسلم - لتأخذ بيد البشرية ينتفع بها من شرح الله صدره للإسلام ، فيفقه دين الله على أنه انضباط لشئون الحياة فى شتى مجالاتها ، فينتفع بها فى نفسه فقط ، أو ينفع بها نفسه وغيره فيعلم الناس كما تعلم . ويفيد مجتمعه .

ومن هنا كان تشبيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصناف البشر فى قبولهم للهداية والعلم ، ورفضهم إياها بأصناف الأرض ، وقرر أن نزول الهدى والعلم وحيا من عند الله .

لقد شبه الدين بالغيث العام يأتى الأرض وهى فى أمس الحاجة إليه ، كما يشبه من بعثه الله إليهم بالأرض ، مختلف طبيعتها ، ويتنوع استعدادها فى قبول هذا الغيث .

فمنها أرض نقية طيبة تقبل الماء ، وتنتفع بالمطر ، فتحيا بعد موت ، وتخصب بعد جدب ، وتهتز مخضرة بالنبات والثمر ينتفع بها الأحياء فى كل مكان .

ومنها أرض ينزل عليها الماء ، فلا تنتفع به ، ولا تتغير طبيعتها معه ، ولكنها تحفظه للناس ينتفعون به ، وتمسكه لهم يفيدون منه ، بينما هى للماء مجرد وعاء ومنها أرض ملساء صماء سبخة ، يأتيها الماء فلا تنتفع به ، ولا تمسكه للناس يستفيدون منه ، لا خير فيها نفسها ، ولا نفع منها للناس .

كذلك أحوال الناس مع ما بعث به النبى - صلى الله عليه وسلم - من دين الله - تعالى - بما يشتمل عليه من الهدى والعلم . فمن الناس من هداه الله بالإسلام فانتفع ونفع غيره ، فهو عضو عامل فى المجتمع ، الذى يعيش فيه يأخذ

ويعطى ، يفيد ويستفيد احيا الله بالإسلام قلبه ، وشرح به صدره فألزم نفسه بآدابه ، وأخذها بتعاليمه وعاش بين الناس صورة حية للخير والفضيلة ومثالا يحتذى فى الخلق الكريم مثله فى ذلك كمثل الأرض الطيبة الخصبة ، ينزل عليها الماء فتحيا به ثم ينتفع الناس بما تنبته من الكلأ والعشب الكثير .

وهذا النوع من الناس فى خير دائم فهو كما قال - صلى الله عليه وسلم - : « أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علما ثم يعلمه أخاه المسلم » رواه ابن ماجه .

ومن الناس صنف جاءه العلم فلم ينتفع به ، ولكنه جمع نصوصه ، وحفظ أحكامه ، وكان فيه نفع لغيره فهو يدعو إلى الخير ولا يفعله .. ويأمر بالمعروف ولا يفعله ، فهو مثل الأرض الصلبة المجدبة ينزل عليها المطر فلا تلين ولكنها تمسك الماء للناس ينتفعون به ، وهو كما قال - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الطبراني - « إن أناسا من أهل الجنة يتطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون : بم دخلهم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل .

أما الصنف الثالث : فهو نوع من الناس جاءه الإسلام ، فأعرض عنه ، ودعاه النبى فلم يقبل على دعوته ، ختم الله على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فلم ينتفع بالدين فى نفسه ولا لغيره . كمثل الأرض التى نزل عليها فلم يتغير حالها معه ، وتظل على موتها كما كانت قبل نزوله . فهى قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ .

وهذا الصنف المعرض عن هداية الله . توعده الله بالتعاسة فى الدنيا ، والعذاب الشديد فى الآخرة قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾

(سورة طه / ١٢٤ /١٢٦)

هذه عاقبة من علم الدين ، ولم يعمل به ، ومن أعرض عن قبوله وصد عنه جمع بينهما خسران الدنيا ، وبوار الآخرة . فإن كلا منهما لم يرفع بالدين رأساً ، ولم يقبل هدى الله ، الذى أرسل به الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

أما الصنف الأول : فهو الذى استجاب لله ، ولرسوله . إنه انتفع ونفع قولا وعملا ، يظهر أثره على الجوارح ، إيثارا لما عند الله على ماعند الناس ، اعتصم بالحق فعصمه الله من الضلال .

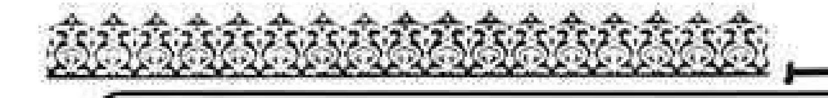
﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(آل عمران / ١٠١)

وأعد الله له أرفع المنازل ، وأعلى الدرجات .

جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

■



سر عظمة الرسول

صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ
محمد صابر البرديسى

قال (صلى الله عليه وسلم) :

أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

(رواه الامام أحمد عن البراء « رضى الله تعالى عنه ») .

تمهيد

لو أردنا أن نتحدث عن شخصية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوجدناه قد تفرد بشخصية امتازت بصفات لم تجتمع فى أحد فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم شخصية عرفها التاريخ وأكمل رجل عرفته الإنسانية على الإطلاق .

العالم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم

كان العالم قبل بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ظلمات من الزيغ عن الحق والانغماس فى الضلال والجهل ، يستوى فى ذلك الأمة العربية وغير العربية .

أما العرب فكانوا فى ظلمات من العقائد

الزائفة ، كانوا على ملل حائدة عن الصواب ، فمنهم الدهرية الذين لا يؤمنون بإله يدير العالم ، وينكرون البعث والحساب ، ومنهم الثنوية الذين يقولون بإلهية النور والظلمة ، ومنهم عبدة الأصنام . وكانوا في ظلمات من المزاعم الساقطة . . كالاستقسام بالأزلام ، والتطير ، والتشاؤم بكثير من الأشياء . وكانوا في ظلمات العادات المستهجنة والأعمال المنكرة ، كطوافهم بالبيت عراة ودسهم البنات في التراب وهن أحياء ، وارتكاب الفاحشة ، وشن القتال لأتفه الأسباب .

وليس معنى ذلك أن أخلاق العرب كلها كانت مفاسد ، بل كان لهم مع هذه المساوىء مزايا ومفاخر كالكرم ، والشجاعة ، وإباء الضيم ، والوفاء بالوعد ، والطموح إلى المعالى ، بالإضافة إلى بلاغة القول ، وفصاحة اللسان ، وحسن البيان .

هذا شأن الأمة العربية ، أما الأمم غير العربية ، فمنها من كان على المجوسية كالفرس والبربر ، ومنهم من كان على البوذية كالهنود وأهل الصين ، ومنهم من كانوا على النصرانية ، ولكنهم بعدوا بها عن وجهها الصحيح كالروم ، وفى البيئة العربية البعيدة عن العلم ، والمتوغلة فى الضلال والجهل ولد سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

نشأته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وُلد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أشرف بيوت العرب نسباً ، وأرفعها حسباً ، وهو بيت هاشم ابن عبد مناف .

نشأ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتيماً لم يشعر بعطف الأبوة ، فيرى الحنان الذى يفيض به الآباء على الأبناء ، وزاد يتمه بعد أن ماتت أمه بالأبواء [1] .

وقد تعهدت محمداً حياطة الله منذ أول لحظة حظى الوجود فيها بإشراق طلعته ، فكانت حياته منذ ولد إلى أن توفى حياة مشرقة مضيئة مملوءة بالمفاخر ، محفوفة بالمكارم .

نشأ نشأة جمع الله له فيها خصائص الفطرة الإنسانية فى أعلى مراتبها ، وأسمى درجاتها .

أبرز صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

سبق فى مشيئة الله تعالى أن يكون محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله إلى الناس كافة ، فخصه بصفات تميز بها ، وكان قمة فيها ، وكانت أمثلة حية تحتذى .

(أ) ففى الكرم : كان أجود الناس ، وكان أجود من الريح المرسلة .

(ب) شجاعته : وكان فى شجاعته نموذجاً حياً لا يبارى ، أودع الله فى قلبه أعظم نصيب من الشجاعة فى مواطن الخطوب ، كان إذا اشتد الكرب ، وحمى الوطيس [2] ، واستولى الرعب والضيق على الناس كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثابة الأمان للمسلمين ، وبطلاً يفوق كل الأبطال .



(١) قرية على بعد نحو ثلاثة عشر ميلاً من يثرب : المدينة المنورة » .

(٢) الوطيس : حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد أن يطأها . وفى حديث (حنين) (الآن حمى الوطيس) . ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو من فصيح الكلام يعبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق

وأن مواقفه الخالدة فى الحروب ، وشجاعته النادرة فى المعارك ، وتصرفاته الحكيمة ، فى أحلك المواقف ، لما يرسم للقادة طريقهم ، ويضع لهم أسس القيادة المثلى .

قال على ـ كرم الله وجهه ـ : (وإنا كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه) .

(جـ) صدقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصدق الناس حديثاً ، عرف بذلك بين أهله وعشيرته ، وكل من خالطه وبهذا اكتسب ثقة الناس به .

وحين أمره الله بالجهر بالدعوة نادى قومه ولما اجتمعوا له قال لهم : « يا معشر قريش : لو قلت لكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا يا ابن عبدالله ، فقال لهم : إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة . فقال أبو لهب : تبا لك يا محمد ألهذا جمعتنا ، فنزل قوله تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

إن من يدعى الرسالة ، فقد ادعى ما لا يمكن للبشرية إدراكه ، ولو أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ادعى الرسالة بغير صدق لظهر أمره واستبان لمن اتبعه من ذوى العقول الكبيرة شىء مما يُبطل وينقض هذه الدعوى ، وقد استمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دعوته نحواً من ثلاث وعشرين سنة ماضياً فى رسالته ، ولم يستطع أحد أن يقف على أثر يدله على أن محمداً غير صادق .

وخير دليل على صدقه أن الذين سارعوا إلى تصديقه ، وسبقوا إلى الإيمان بدعوته ، هم من لا يكادون يفارقونه كأبى بكر وغيره .

(د) رجاحة عقله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : رجاحة عقل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكمال ذكائه ، وحكمة رأيه ، ليعده بذلك إلى أشرف مقام ، وهو مقام الرسالة ، وليفهم به الرسول مقاصد الوحى ، فيقوم ببيانها ، ويعرف أمور الجماعة فيحسن سياستها ، وقد كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الأعلى فى ذلك ، رجحان عقل ، وثقوب فكر ، وقوة بديهة ، فضلاً عما أفاضه من العلم ، وقرره من الشرع مع أميته ، ودون علم سابق .

يقول الربيع بن خثيم : (كان يتحاكم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الجاهلية ، ثم اختص بذلك فى الإسلام) .

(هـ) تواضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وتراه ـ صلى الله عليه وسلم ـ متواضعاً فى غير تصنع ، يخدم نفسه ، يخيط ثوبه ، وحاله مع المستضعفين يوم بدأ دعوته هو حاله بعد هجرته ، وبعد فتح مكة ، وانتصاره على أعدائه ، وخضوع أهل الشرك له ، ودخول الناس فى دين الله أفواجاً ، كان يجلس حيث ينتهى به المجلس ، ويعطى كل واحد من جلسائه نصيباً حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، ولا يقطع عن أحد حديثه حتى يتجوزه ويختفه ، فيقطعه بانتهاء أو قيام ، وإذا استقبله الرجل فصافحه ، لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ، هو الذى يصرف وجهه . قال أنس بن مالك : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خلقاً ، وإن كان ليخالطنا حتى يقول لأخ صغير لى : « يا أبا عمير ما فعل النغير »[3] .

(و) زهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وكان

(٣) تصغير نغر، اسم لنوع من الطير .

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ زاهداً فى متاع هذه الحياة ، غير حافل بزينتها وملاذها ، وحين أقبلت عليه الدنيا بعد فتح مكة لم يتحول عن سيرته فى المأكل والمشرب والملبس وأثاث المنزل .

تقول عائشة ـ رضى الله عنها ـ : ما شبع آل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ قدم المدينة من طعام بُر ثلاث ليال حتى قبض [٤] .

وقالت : « كان فراش النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أدم حشوه من ليف » [٥] .

(ز) توحيده لله : لقد حبب إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخلاء ، فكان يخلو « بغار حراء » فيتعبد فيه الليالى ، تاركاً مكة تنغمس فى الضلال ، حتى قالت العرب : (إن محمداً قد عشق ربه) ، وكان يجد فى نفسه ألماً لما عليه أهل مكة من ضلال ، وزيغ وعبادة أوثان كان مسلماً وجهه إلى الله ، مملوء القلب بالخشية ، وبعد أن نزل عليه الوحى كان موصول الهمة بالعبادة لله ، يقوم بالدعوة ، ويتقرب إلى الله بالذكر والصلاة والصيام وتلاوة القرآن .

روى الإمام البخارى عن المغيرة بن شعبة أنه قال : (إن كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليقوم ليصلى حتى ترم قدماه) [٦] فيقال له ، فيقول : « أفلا أكون عبدا شكورا » ؟

(ح) مشاركته فى شئون المجتمع : وقد شارك ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شئون المجتمع الذى عاش فيه ، وتتطلب مشاركته له ، فقد حضر حرب الفجار ، ورمى فيها بأسهم ، وحضر حلف الفضول ، وقد قال عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حُمْرَ النَّعَمْ ، ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت وهو حلف الفضول » .

(ط) مرحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ومن صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ « المرح » ، فقد كان مرحاً تحس فى روحه الدعابة الحلوة الحانية .

كان زيد بن ثابت يحمل مع الصحابة فى غزوة الخندق ، ورأى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ همته ونشاطه فقال : « أما أنه نعم الغلام » وحدث أن زيداً غلبته عيناه فنام فى الخندق ، فأخذ عمارة بن حزم سلاحه منه وهو لا يشعر ، ولما استيقظ زيد ولم يجد سلاحه فزع ، وعلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بفزعه فقال له : (يا أبا رقاد ، نمت حتى ذهب سلاحك) . قال له : (يا أبا رقاد) تلك الدعابة الحلوة تخرج من فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى أحرج الظروف .

هذا هو بعض خلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأدبه الإلهى الذى أدب الله به رسوله ، قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ وهو يحدث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

لقد طفت العرب وسمعت فصحاءهم ، فما رأيت ، ولا سمعت مثلك أحدا ، فمن أدبك ؟

---

(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه البخارى .
(٦) ترم = تنتفخ .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

الإصلاح الذي حققه لأمته صلى الله عليه وسلم

ولقد تم على يديه - صلى الله عليه وسلم - إصلاحات عظيمة ، وحوادث ضخمة تؤكد عظمته ، ومن هذه الإصلاحات :

١ - توحيده الأمة العربية ، بعد أن كانت قبائل لا تؤلف بين عناصرها وحدة .

٢ - قضاؤه على الوثنية ، وإحلاله محلها (الدين الإسلامي) الذي يرفع الإنسان إلى مراتب السمو والكمال .

٣ - إحداثه إصلاحاً حول العرب من الفساد والانغماس في الشهوات وضياع الحقوق المستضعفين ، إلى الأخلاق الفاضلة ، وعبادة الله وحده ، وتحقيق للعدالة الاجتماعية ، غير مفرق بين الضعفاء والأقوياء ، وجعل أساس التفاضل هو التقوى . . ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

فجدير بنا أن ندرس أخلاق محمد - صلى الله عليه وسلم - ونتأسى بها ، وندعو إليها ، ونسير على هداها ، والله الهادي ومنه التوفيق .





محمد أشرف الخلق

لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

إن من يتتبع مسار حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - ويتأمل فى مجرياتها ، من بدايتها إلى نهايتها ، يكتشف أن الله - تبارك وتعالى - حفظه ورعاه فى كل مراحل حياته ، قبل مولده ، وبعد مولده ، وفى شبابه ، وكهولته ، وفى تأديته لرسالة ربه على الوجه الذى كلفه به .

لقد حفظه الله ورعاه جنيناً ، وطفلاً رضيعاً ، ويتيماً فقيراً ، وذكره الله بنعمه عليه ، بعد أن بعثه رسولاً ، ورحمة إلى العالمين ، فقال سبحانه :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾

(الضحى - ٦ : ١١)

وأى منصف عاقل مجرد عن الهوى يتأمل حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - يظهر له بوضوح أنه أشرف الخلق ، وأطهرهم ، وأنقاهم ، وأعظمهم ، وأتقاهم .

أما رعاية الله له قبل مولده : فإن الله قد اختار له خير الأصلاب ، وخير الأرحام ، وقد أجمع المؤرخون على أن نسبه الشريف ينتهى إلى سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم - خليل الله عليهما السلام .

وقد روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : « خير العرب مضر . وخير مضر عبد مناف . وخير عبدمناف بنو هاشم ، وخير بنى هاشم عبدالمطلب والله ما افترقت فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما » .

ويشهد لهذا قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى



هاشماً من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم[1] » .

كما يشهد له قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بعثت من خير قرون آدم قرناً فقرنا ، حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه[2] » .

وكذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر[3] » .

وكما نجى الله ـ تبارك وتعالى ـ إسماعيل ـ عليه السلام ـ من الذبح ، وهو الجد الأكبر لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفداه الله بذبح عظيم ، نجى الله عبد الله بن عبد المطلب ـ والد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الذبح ؛ وفاء بنذر أبيه ، وفداه الله بمائة ناقة ، ذبحها عبدالمطلب ، وذلك لكى يؤدى مهمته ، التى خلق من أجلها ، وهى إنجاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد توجه عبدالمطلب بابنه عبدالله إلى دار وهب بن عبد مناف ، وهو سيد بنى زهرة شرفاً ونسباً ، وزوجه من آمنة بنت وهب ، وكانت أفضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً وطهراً وكمالاً ، وما إن دخل بها حتى حملت ، ثم سافر فى قافلة التجارة ، ولم يعد حيث وافته المنية بعد أن وضع البذرة المباركة .

يروى ابن الجوزى ، وابن كثير قصة حمله وولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يلى :

« لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول : ما شعرت أنى حملت به ، ولا وجدت له ثقلاً ، كما تجد النساء . إلا أنى أنكرت رفع حيضتى . فأتانى آت ، وأنا بين النائم واليقظان ، فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فكأنى أقول ما أدرى . فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها . وتقول : ثم أمهلنى حتى إذا دنت ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال : قولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد » [4] .

وعند وضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول ابن الجوزى : « قالت آمنة : لقد رأيت ليلة وضع رسول الله نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها » [5] .

وفى رحلته الأولى إلى الشام وهو غلام مرافق لعمه أبى طالب ، فى قافلة تجارة أهل مكة ، مرت القافلة فى طريقها قريباً من صومعة راهب نصرانى يقال له : بحيرا ، وشاهد الراهب بعض الأمارات التى يعرفها ، وحينئذ صنع للقافلة طعاماً ، ودعاهم عنده . فلما حضروا إلى صومعته سألهم : هل تخلف منكم أحد ؟ قالوا : غلام . قال لهم : ادعوه فليحضر هذا الطعام . فلما حضر جعل بحيرا يتأمله ويناقشه ، ويدقق النظر فيه ؛ بحثاً عن علامات يعرفها ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه الشريفتين . فسأل عمه : ما هذا الغلام ؟ قال : ابنى . قال الراهب : ما ينبغى أن يكون لهذا الغلام والدٌ حىٌّ . قال : فإنه ابن أخى . قال بحيرا : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى فيه . قال بحيرا : صدقت . فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوه ليبلغنه شراً . فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم[6] .

---

(1) رواه مسلم .

(2) رواه البخارى فى باب صفة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(3) متفق عليه .

(4) الوفا بأحوال المصطفى جـ ١ ـ ص ٨٨ ، ٨٩ . والسيرة النبوية لابن كثير جـ ١ ص ٢٠٧ .

(5) الوفا جـ ١ ص ٩٤ .

(6) الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٣٧ ، وسيرة ابن هشام .

ويروى : أن محمداً حضر سوق بصرى فباع سلعته ، التى خرج بها واشترى فكان بينه وبين رجل اختلاف فى سلعة . فقال له الرجل : أتحلف باللات والعزى ؟

فقال محمد ما حلفت بها قط . وإنى لأمر بها فأعرض عنها . فقال الرجل : القول قولك ، ثم قال لميسرة ـ حين خلا به ـ : يا ميسرة هذا نبى ، والذى نفسى بيده إنه لهو هو . ويجده أحبارنا منعوتا فى كتبهم [٧] .

وروى عن على ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ما هممت بشىء مما كان فى الجاهلية يعملون به غير مرتين . كل ذلك يحول الله ـ تعالى ـ بينى وبين ما أريد . فإنى قلت مرة لغلام من قريش كان يرعى معى بأعلى مكة : لو أبصرت إلى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها ما يسمر الشباب ؟ فقال : ادخل . فخرجت أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير . فقلت : ما هذا ؟ قالوا فلان ابن فلان تزوج فلانة ابنة فلان فجلست أنظر إليهم فضرب الله على أذنى فنمت ، ماأيقظنى إلا مس الشمس ، قال : فجئت صاحبى . فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما صنعت شيئا وأخبرته الخبر . قال : ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك . فقال : افعل . فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت ودخلت مكة تلك الليلة فجلست أنظر . فضرب الله على أذنى فنمت ما أيقظنى إلا مس الشمس . فرجعت إلى صاحبى فأخبرته الخبر ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمنى الله بالرسالة [٨] .

ويعلق الإمام الماوردى على هذه الرواية فيقول : فهذه أحوال عصمته قبل الرسالة ، وصده عن دنس الجهالة ، فاقتضى أن يكون بعد الرسالة أعظم .

وهذا أبو سفيان بن حرب ـ قبل أن يسلم ـ لم يمنعه كفره بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول فيه الحق حين سأله عنه هرقل . وكان رسول الله قد أرسل رسالة إلى هرقل يدعوه مع قومه للدخول فى الإسلام . وكان هرقل قد رأى من الشواهد والأمارات ما يدل على ظهور النبى الجديد ، وأراد أن يزداد تثبتاً ويقيناً ، فأمر رجاله أن يأتوه بأحد من قوم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصلت فى تلك الحالة قافلة تجارة لأهل مكة فيهم أبو سفيان بن حرب .

فلما مثلوا بين يدى هرقل وحوله عظماء الروم سألهم : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فأجاب أبو سفيان : أنا أقربهم نسباً . فأدناه هرقل منه وجعل أصحابه خلفه عند ظهره ، وطلب منهم عن طريق المترجم إذا كذب أبو سفيان فى إجابته عن أسئلة هرقل أن يكذبوه .

قال هرقل لأبى سفيان : كيف نسبه فيكم ؟
فأجاب أبو سفيان قائلاً : هو فينا ذو نسب .
قال : هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟
قال أبو سفيان : لا .
قال : هل كان من آبائه ملك ؟ قال أبو سفيان : لا .
قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟
قال أبو سفيان : بل ضعفاؤهم .

---

(٧) دلائل النبوة لأبى نعيم جـ ١ ص ٥٤ ، والوفا جـ ١ ص ١٤٣ .

(٨) أعلام النبوة للماوردى ص ١٣٥ ، والسيرة الحلبية جـ ١ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قال أبو سفيان : بل يزيدون .

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قال أبو سفيان : لا .

قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : لا .

قال : فهل يغدر ؟ وهنا يتلوى أبو سفيان في الإجابة ويقول : لا . ثم يضيف : ونحن في مدة - أي عهد صلح - لا ندري ما هو فاعل فيها .

قال : هل قاتلتموه ؟ قال أبو سفيان : نعم .

قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ فيقول أبو سفيان : الحرب سجال بيننا وبينه ينال منا وننال منه .

قال : بماذا يأمركم ؟ وبرغم أنف أبي سفيان يشرح مبادىء الإسلام ويقول : قال لنا اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

وبهذا ظهر الحق واضحاً لهرقل - وإن كان قد نكص على عقبه بعد أن شعر أن قومه سيتمردون ضده ، ولم يكن في شجاعة النجاشي ملك الحبشة ولا في مضاء عزيمته .

وبعدما سمع هرقل مقالة أبي سفيان قال له : سألتك عن نسبه . فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها .

وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا . فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله .

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا . قلت : فلو كان من آبائه من ملك . قلت رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا . فقد كنت أعرف أنه لا يترك الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه . وهم أتباع الرسل .

سألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون . وكذلك أمر الإيمان حتى يتم .

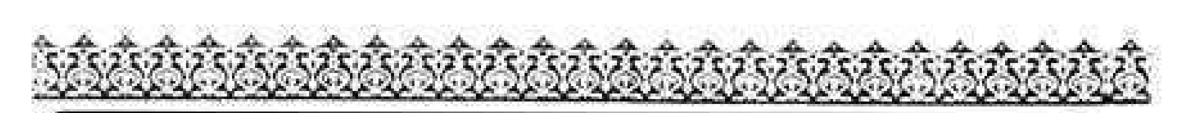
وسألتك : أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف . فإن كان ما يقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه [٩] .

وها هو رجل من علماء البوذية يقول عن محمد - صلى الله عليه وسلم - إني لأجد في رسول الإسلام خلالا وأخلاقاً جمة لم أرها مجتمعة في تاريخ العالم الإنساني لواحد في آن واحد . فقد كان ملكاً دانت له أوطانه كلها يصرف الأمر كله بيد ربه . وتراه في غنى عظيم تأتيه الإبل موقورة بالخزائن إلى عاصمته ، ويبقى هو مع ذلك محتاجاً لا يوقد في بيت من بيوته نار لطعام طوال أيام كثيرة ، وتراه قائداً عظيماً يقود الجند القليل العدة الضعيف العدد فيقاتل بهم ألوفاً من الجند المدجج

(٩) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ١ ص ٣٥ - ٤١ .



بالأسلحة الكاملة ثم يهزمهم شر هزيمة . وتجده محباً للسلام ، مؤثراً للصلح . ويوقع شروط المعاهدة على القرطاس ، بقلب مطمئن ، وجأش هادىء ، ومعه ألوف من أصحابه كل منهم شجاع باسل ، وصاحب حماسة وحمية تملأ جوانحه . وتشاهد بطلاً شجاعاً يصمد وحده لألوف من أعدائه غير مكترث بكثرتهم ، وهو فى ذلك رقيق القلب . رحيم رءوف متعفف عن سفك نقطة دم .

وتراه مشغولاً بجزيرة العرب كلها ، بينما هو لا يفوته أمر من أمور بيته وأزواجه وأولاده ، ولا أمر من أمور الفقراء والمساكين ، ويهتم بأمر العالم كله ، وهو مع هذا متبتل إلى الله منقطع عن الدنيا فهو فيها وليس فيها لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضى الله (١٠) .

هذا هو أشرف الخلق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما عرفته الدنيا . وهذه أقوال المنصفين فيه ، وأما المغرضون من أصحاب الهوى الذين أعماهم التعصب ولم يروا الحقيقة الناصعة فقد تفننوا فى اختراع الأكاذيب وتلفيق الأباطيل ، وروجوا لها وتناقلتها أجيالهم وتلقفتها أوكارهم . وظنوا أن ترجمتها ونشرها فى لغات متعددة يمكن أن يشوه وجه الحقيقة الناصعة أو يطمس معالمها المشرقة ، ونحن على ثقة من خذلانهم وكفران سعيهم لأن الله يقول ـ وقوله الحق :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(التوبة : ٣٢)

وهؤلاء المبطلون يستخفون ـ غالباً ـ خلف شعارات الاستشراق ، أو البحث العلمى أو حرية الفكر ، وما هم بعلماء ولا أحرار لأن العلم أمانة يأبى الكذب والخيانة ، ولأن الحرية المسئولة تدعو إلى الإنصاف وتهدى إلى الرشاد . ومن هؤلاء « درمنجم » و « جيبون » و « موير » و « جاستون » ، وقد سار هؤلاء على منهج أستاذهم فى الإفك والافتراء الأب « لامانس » وتباروا فيما بينهم فى نسبة الاتهامات الباطلة إلى أشرف الخلق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلى الدين الذى جاء به .

ومن هؤلاء أيضاً الكاتب الفرنسى « ماكسيم رودنسون » الذى ألف كتاباً تحت اسم « محمد » ملأه بالافتراء والكذب والعدوان على الحقيقة وتلقفت أوكار التآمر على الحق هذا الكتاب فترجموه إلى الإنجليزية ، حتى يزداد انتشارا ثم جاء من ينشره بالإكراه بين الطلبة المسلمين ، فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عاصمة مصر الإسلامية ، مستغلاً نفوذه وسطوته على الطلاب ، لأنه أستاذ فى الجامعة فى هذا الزمن الردىء .

ولما فزع الطلاب مما قرأوه فى هذا الكتاب من كذب وبهتان ، لجأوا إلى إدارة الجامعة ، ولكن الإدارة لم تعر الأمر أى اهتمام ، ولم تتخذ أى إجراء . وبدا كأن الأمر مبيت بليل ، وأن الإدارة شريكة فى الكيد ، ومتواطئة مع الأستاذ ، وأن شعب مصر وحكومته لا يقبلون أن يهان دينهم ونبيهم . وأمارة ذلك أن الأمور لما وصلت إلى هذا الحد من الهجوم على الإسلام ونبى الإسلام فى عقر داره تحرك الناس ، وكتبت الصحافة مطالبة

---

(١٠) الرسالة المحمدية ص ٨٧ وما بعدها ، نقلاً عن بشائر النبوة الخاتمة للدكتور رءوف شلبى ص ١٧ .

باتخاذ موقف مناسب . وسرعان ما تحرك وزير التعليم العالى بخبرته المعهودة وحسه بنبض الجماهير المسلمة ـ فأمر بسحب الكتاب ومنع تدريسه . ونعم ما فعل . إن الشباب هم أعظم ثروة تملكها الأمة وتبديد هذه الثروة أو تدميرها هلاك للأمة كلها .

ونجد من حقنا أن نسأل هذا الأستاذ وإدارة جامعته لماذا اختار هذا الكتاب بالذات ليفرضه على أولادنا بالإكراه معرضاً صفحاً عن أمانة المسئولية وحسن الاختيار ؟

قد يقول أننى أريد أن أعلمهم حرية الفكر والقدرة على البحث والاطلاع على أفكار الأجانب . وحينئذ سنقول له ـ بناء على هذا ـ لماذا لم تكلفهم بدراسة كتاب : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة . لموريس بوكاى ، أو كتاب جارودى ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ؟

أما ما ورد فى الكتاب المؤامرة من ترهات وأباطيل فإننا نجد أنفسنا مضطرين للرد عليها ـ وإن كانت تافهة ـ حتى لا نكون مقصرين فى حق ديننا وأمتنا ، وحتى تنتصف للحقيقة ، ونرد السهام إلى نحور المبطلين .

وقد يكون الرد على بعض ماجاء فى هذا الكتاب مما نشرته الصحف كافياً ، لبيان فساده ، وتهافت أفكاره ، وتفاهة كاتبه ، ومن تحمس له وفرضه على أولادنا فلذات أكبادنا ، وذلك ريثما تتاح لنا فرصة للرد على كل ما جاء فيه من أباطيل .

يقول الكاتب فى ص ٧٨ : (إن محمداً تزوج من السيدة خديجة كى يخرج من الفقر ، ويضمن مستقبلاً مزدهراً ، وأنه كان يعانى كبتاً ـ عقد نفسية ـ فى طفولته بسبب اليتم والفقر فتعلق بهذه الزوجة على الرغم من أنها لم تشبع نزواته الجنسية) .

إن من المعلوم لجميع المؤرخين والدارسين أن السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ هى التى رغبت فى الزواج من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رأت من خلقه وفضله وأمانته ، وقد تقدم لخطبتها كثيرون قبله ، وكانوا من الأغنياء ورفضتهم جميعاً ، وفضلته عليهم ، وسعت إليه إحدى صديقاتها لترغبه فى التقدم إلى خديجة ليخطبها ، وقد كان وتم هذا الزواج المبارك الذى لا مكان فيه لطمع ولا جشع . ومن المعلوم من مسلك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته ، أنه لم يكن مهتماً بجمع المال ، والحصول عليه ، ولا بطلب الدنيا وزخرفها .

وأما حكاية النزوات الجنسية فلا مكان لها عند محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدليل أنه أمضى فترة شبابه كلها مع السيدة خديجة وحدها وهى تكبره سناً ، بما يزيد على خمسة عشر عاماً ، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت ، وقد صار له من العمر أكثر من خمسين سنة ، فأين هذه النزوات الجنسية المفتراة ؟

وأما زواجه بعد ذلك بمن تزوج بهن من النساء ، فقد كان لكل زيجة حكمة تشريعية ، أو اجتماعية ، أو سياسية ، وكن فى غالبيتهن من الأرامل والعجائز .

وحكاية العقد النفسية المترسبة من فترة الطفولة بسبب الفقر واليتم ، حكاية لا أصل لها ، بدليل أن مسلكه فى حياته الخاصة والعامة ـ وكله مدون ـ يدل بوضوح على أنه كان مثلاً أعلى فى كل خلق كريم حتى استحق أن يمدحه الله ـ سبحانه ـ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤)

وكيف يكون معقداً نفسياً من أقام دينا هو دين الحق وأنشأ أمة شهد لها الله بأنها خير أمة أخرجت

للناس ، ووصفه الدارسون المحايدون بأنه أعظم العظماء ؟

هل العلم الذي يدعيه هؤلاء الأفاكون يقول إن كل من نشأ يتيماً وفقيراً لابد أن يكون معقداً نفسياً ؟ أم أن تلك التهمة أحدث خصيصاً في أوكار التآمر ، ونسبت إلى سيد الخلق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ إن هذا لبهتان عظيم .

ويحاول الكاتب في ص ١١٥ وما بعدها تأكيد أن القرآن الكريم من تأليف محمد واختراعه ، وأن آياته تتبع هوى محمد ، فجاءت الآيات تواسيه في زواجه من خديجة فقالت :

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ (الضحى : ٤) .

ويمضي الكاتب على هذا النسق فيقول في ص ١٦٢ : إنه في آخر الرسالة أصبحت لغة القرآن أقل عصبية وأكثر هدوءا ، ونمضي مع الكاتب على مضض فنجده يقول في ص ٢٥١ : إن السور التي نزلت في المدينة تغير مضمونها ، وأصبح القرآن شبه جريدة يومية تنشر فيها التعليمات الخاصة بالقوات والأحكام الخاصة بالنظام الداخلي للدولة .

وفي وصفه للقرآن يقول : إن هذا النثر الذي صيغ به القرآن مملوء بالتكرار والأخطاء اللغوية .

وينسى الكاتب ما قاله في هذه الفقرة ، ويقع في التناقض حين يقول في ص ٣٣٨ : لقد بقى القرآن بعد محمد ، هو نتاج عقله الباطن ، الذي ابتدع نوعاً غريباً من الشعر .

والزعم بأن القرآن من تأليف محمد زعم واضح البطلان . لأنه كتاب عربي مبين والعرب هم أرباب الفصاحة والبلاغة . وكانت لهم محافل يتبارون فيها في الشعر . ويقوم الحكام باختيار الفائزين ومنحهم الجوائز . ومن بين هذه الجوائز أن تعلق القصيدة الفائزة فوق أستار الكعبة . ولم يؤثر عن محمد قبل البعثة أنه غشى هذه المحافل واشترك فيها أو نظم قصيدة قط ، ولهذا قال الله عن محمد وعن القرآن المنزل عليه من عند الله

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۝ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (يس : ٦٩ ، ٧٠)

وإلى هذا المعنى يشير أيضاً قول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(يونس : ١٥ ، ١٦)

ولما تلا محمد عليهم القرآن ودعاهم إلى عبادة الله وحده كذبوه ورفضوا دعوته ، فتحداهم بالقرآن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة من مثله فعجزوا عن ذلك عجزاً تاماً .

وفي هذا يقول الله تعالى :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٣ ، ٢٤)

ومن أمارات عجزهم هذا القول الذي صدر من أحد زعمائهم « لقد سمعت من محمد كلاماً لا هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن . وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة . وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يُعلى عليه » .

فعجزهم المعترف به منهم دليل على أنه من كلام الله - عز وجل - وليس من كلام البشر. يقول الله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾
(الشعراء : ١٩٢ : ١٩٥)

روى أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال : أى عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً . قال : لم ؟ قال : يعطونكه فإنك أتيت محمداً تعرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أنى أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال وأنك كاره له ، قال : فماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار منى . ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا . والله إن لقوله الذى يقول لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته . وإنه ليعلو وما يعلى ، قال أبوجهل : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه . قال : فدعنى حتى أتفكر فيه . لما فكر . قال : إن هذا إلا سحر يؤثر عن غيره . وفيه نزل قول الله تعالى :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾

(المدثر : ١١ : ٣٠)

هذا هو موقف العرب من القرآن ، وموقف القرآن منهم كذبوه وتحداهم فعجزوا . ومع هذا لم يستطع واحد منهم أن يقول عنه إن فيه أخطاء لغوية ولو وجدوها لكانت فرصتهم التى لا تعوض لكى يشهروا به ، وينتقصوا قدره : فكيف يأتى الأعاجم الذين لا يفهمون لغة العرب ليرددوا هذا اللغو والبهتان . إنه التجنى الواضح ، والكذب الصراح .

ثم إن هذا الكاتب تناقض مع نفسه فهو يصف القرآن فى موضع بأنه نثر ملىء بالأخطاء ، وفى موضع آخر يصفه بأنه نوع غريب من الشعر .

ومن المعروف فى لغة العرب أن هناك فروقاً جوهرية بين النثر والشعر .

ولماذا يواسى القرآن محمداً فى زواجه من خديجة ؟ هل تزوجها مكرها ؟ أم كانت قبيحة الخلق أو الخُلق ؟ لم يكن هناك شىء من ذلك على الإطلاق ، وقد ظل رسول الله محبا لها ووفيا لها حتى بعد مماتها وبعد أن تزوج بغيرها ، ثم ما هى العلاقة بين زواجه من السيدة خديجة - رضى الله عنها - وبين الآية التى حشرها الكاتب فى الموضوع حشراً وهى قول الله تعالى :

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾
(الضحى : ٤) .

مع أن المقصود بهذه الآية كما يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره : « أى وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ، ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أزهد الناس فى الدنيا ، وأعظمهم لها إطراحاً كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ، ولما خير عليه السلام فى آخر عمره بين الخلد فى الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله

ـ عز وجل ـ اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية . ثم نقل عن الإمام أحمد أن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : اضطجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حصير فأثر فى جنبه . فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما لى وللدنيا . إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها »[11] .

ولو كان الكاتب معنياً بالبحث العلمى النزيه لعرف أن السور القرآنية التى نزلت بمكة كانت تتميز بمزايا غير المزايا التى تتميز بها السور التى نزلت بالمدينة المنورة لاختلاف المراحل والظروف التى تمر بها الأمة ، ففى مكة كانت السور تتنزل لتأسيس العقيدة الصحيحة وتثبيتها فى القلوب ، ولتكوين الصفوف المؤمنة الواثقة بوعد الله المتسامية فوق متاع الدنيا والمتطلعة إلى ما عند الله فى الآخرة كما كانت السور معنية ببيان بطلان عبادة الأصنام .

وأما فى المدينة حيث قامت الدولة الإسلامية بعد نجاح التربية فى المرحلة السابقة ، فقد عنيت السور القرآنية التى نزلت بالمدينة ببيان الأحكام المنظمة لشئون الدولة داخلياً وخارجياً . سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

ولم يكن هناك اختلاف أبداً بين سور القرآن كلها من حيث الفصاحة والبلاغة ، ولا من حيث وحدة الأهداف العامة والغايات التى نزل القرآن لتحقيقها . وفى القرآن الكريم بيان شاف لتلك الأهداف والغايات .

يقول الله تعالى :

﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ۝ الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد ﴾

(إبراهيم : ١ : ٢)

ويقول الله تعالى :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ۝ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (المائدة : ١٥ : ١٦)

ولم تكن سور القرآن الكريم أبداً كالجرائد اليومية أو الأسبوعية أو غيرها . لأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ثم إن هذا الكاتب يقول فى ص ١٥١ : إن قصص القرآن ما هى إلا ترديد لما تعلمه محمد وسرقه من الأديان السابقة ، ومن الكتب اليهودية .

ومن جانبنا فنحن نرضى بتحكيم العقلاء من الناس فى بحث هذه الفرية ولا نطالب بأكثر من عقد مقارنة يسيرة بين أى قصة من قصص الأنبياء كما جاءت فى القرآن الكريم وبين ذات القصة كما وردت فى التوراة . وسوف يرى الجميع الفرق واضحاً وجليا بين ما تزعمه التوراة المحرفة من نسبة فعل المعاصى الشنيعة وارتكاب المنكرات القبيحة إلى الأنبياء الكرام حتى يظن القارىء أنهم أحط خلق الله مع أنهم أعظم الخلائق شأناً عند

(١١) رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح .

الله . وبين ما جاء عنهم فى القرآن الكريم من الإجلال والتكريم والاحترام بحكم أنهم أئمة الهدى وقيادات الإصلاح حتى لقد وضعهم القرآن الكريم فى موضع القدوة لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه على دربهم يسير .

فقال الله سبحانه :

﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ (النحل : ١٢٣)

وبحكم هذا الاتباع والاقتداء بإبراهيم خليل الله جعل الله محمداً ومن آمن بدعوته أولى الناس بإبراهيم من كل الذين زعموا الانتماء إليه . فقال الله سبحانه :

﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ۝ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ۝ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ۝ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ﴾

(آل عمران : ٦٥ : ٦٨)

وعندما ذكر القرآن الكريم العديد من أنبياء الله ورسله فى آيات من سورة الأنعام ، وأحاطهم جميعاً بالتقديس والتعظيم عقب على هذا بقول الله تعالى :

﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ۝ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾

(الأنعام : ٨٩ ، ٩٠)

فأين هذا مما ذكرته التوراة عنهم من أنهم ـ معاذ الله ـ لصوص وزناة وسارقو أعراض المحارم وشاربو خمور وغير ذلك من الجرائم التى نبرأ إلى الله من نسبتها إليهم .

فكيف يأتى من يقول : إن محمداً نقل قصص الأنبياء وسرقها من التوراة وبين التوراة والقرآن هذا التناقض الواضح الصريح ؟

إن البضاعة التى فى التوراة فاسدة ، وما فى القرآن صالح مصلح فكيف يكون هذا مسروقاً من ذلك ؟ ألا يوجد شىء من العقل ؟

ثم إن ما فى القرآن من قصص الأنبياء هو اللائق بمكانتهم ووظيفتهم لأن الله اختارهم واصطفاهم لهداية الناس إلى صراط الله المستقيم وتجريحهم عدوان على الله تبارك وتعالى .

ومن المؤكد أن محمداً النبى الأمى لم يكن له علم بما فى كتب أهل الكتاب من حق أو باطل . وأن الله هو الذى علمه كما قال سبحانه :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾

(الشورى : ٥٢)

ومما يؤكد هذا المعنى بالإضافة إلى الواقع المعروف ما جاء فى تعقيب القرآن الكريم على بعض قصص الأنبياء حيث يقول الله تعالى :

﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ (هود : ٤٩)

وبما قد انكشف الغطاء وسقطت الأقنعة . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

رسول الإسلام

راعى الغنم الذى يفخر به العالم والإنسانية على امتداد عصور التاريخ

للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى

إنها عظمة التاريخ .

إنها عظمة الذات .

إنها عظمة الله يهب جانبا منها لمن اصطفاه من خلقه ـ وخصه برسالته ـ بل بأعظم رسالات السماء إلى الأرض ـ وإلى الدنيا كافة ـ وإلى الخلق أجمعين .

وهل أتاك حديث راعى الغنم الصغير اليتيم ـ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ؟ الذى رعى الغنم ـ ثم رعى الإنسانية كلها ، والدنيا بأسرها ، والشعوب كافة منذ بعثه الله برسالته إلى اليوم ، وإلى مابعد اليوم حتى تقوم الساعة .

إنه هذا الراعى المتألق الوجه ، المبتسم الثغر ، المضيء الأسارير ، الذى أورثه نسبه حسبا على حسب ، وشرفا على شرف ، وعزة فوق عزة ، والذى فقد حنان الأب ، ولكنه لم يفقد الشخصية حتى فى يتمه ، وحتى مع صغر سنه ، بل ازداد جلالا فوق جلال ، وعاش رجلا فى ثياب طفل يفخر به الأطفال والرجال جميعا .

هل أتاك حديث هذا الراعى الصغير ، يرعى قطيعا من الغنم فى صحارى مكة ووديانها ، والعصا على كتفيه ، والبشر فى وجهه ، والسماء قبلته ، والله -جل جلاله- فى قلبه وروحه ووجدانه وأعماق مشاعره ، هو نشيده وتسبيحه وابتهالاته ونجواه ؟

الدنيا كلها من حوله ترنو إليه ، والملأ الأعلى يحوطه بالرعاية ، والسماء تضىء شعاب قلبه وروحه .

بالعظمة الراعى ، وبالجلال الطفولة ، وبالروعة الإنسان ، وبالعبقرية الشخصية .

محمد بن عبد الله ، الذى عاش فى ديار بنى سعد نحو أربع سنوات فى بيت مرضعته حليمة السعدية ، ثم عاد إلى مكة ، وإلى والدته السيدة آمنة ، وإلى رعاية جده عبد المطلب تشمله عين الله ، والذكريات والأحساب والعراقة ، بالرعاية والمجد والجلال ، وتحوطه عناية الخالق القادر بالعزة من كل جانب .

وتموت أمه وهو فى السادسة من عمره بالأبواء بين مكة والمدينة ، ولما بلغ الثامنة من عمره توفى جده عبد المطلب نحو عام ٥٧٩م ، وتولى رعايته من بعده عمه أبو طالب ، وحين بلغ العاشرة من عمره كان قد تفتح شبابه ، واستقام عوده ، ولاحت عليه مخايل الرجولة المبكرة الخالدة ، فأخذ يسير فى طريق الجد والعمل ، وحين أراد أقرانه أن يسمروا ذات ليلة ، وأن يأخذوه معهم أخذه سبات طويل .

ويقول صلوات الله عليه : لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمنى لاكم ما أراه « لكمة شديدة » ، وقال لى : شد عليك إزارك .

إنها تربية السماء ، وعين الله ترعاه .

ويقول ابن الجوزى : كان رسول الله فى زمن الصبا يبغض الأصنام ، ولا يلتفت إليها ، وكان أهله يسألونه أن يخرج معهم إلى ناحيتها ، فلا يفعل ولا يقرب منها -ويعيبها- (الوفا ١/١٣٨) .

وعن ابن عباس[1] عن أم أيمن قالت : كان « بوانة » صنما يحضره قريش يوما فى السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد مع قومه -فيأبى- حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعلن يقلن يامحمد إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ، فلم يزالوا به حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع إلينا مرعوبا فزعا ، فقالت عماته : مادهاك ؟! قال : إنى أخشى أن يكون بى لمم ، فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان ، وفيك من خصال الخير ما فيك ، ما الذى رأيت ؟ قال : إنى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى : وراءك يامحمد لا تمسه ، قالت : فما عاد إلى عيد لهم .

ويقول الدكتور رءوف شلبى فى كتابه « بشائر النبوة » ص ٢٣٨ نقلا عن كتاب « محمد المثل الكامل » لمحمد جاد المولى ص ١٢ وهو ما ذكره صاحب كتاب « الوفا » « ج ١ ص ١٣٩ » :

« لم يكن محمد فى نشأته جاريا على المألوف فى الصبيان من تأثر عقولهم ونفوسهم بما يرون ،

(١) ٢٣٩ بشائر النبوة الخاتمة - د. رءوف شلبى - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

ويسمعون ويحسون فى بيئتهم ، ولكن عناية الله قد تكفلت بتربيته ، فنشأ على أكمل ما تتحلى به النفوس من جميل الصفات ».

كان صلوات الله عليه فى طفولته إنسانا كبير العقل ، رزين الشخصية ، عظيما فى سلوكه ، ينشد الحنيفية دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ ويمشى على نهجها ، كان معدا لرسالة عظمى يبلغها قومه والناس أجمعين .

●●●●●

فى هذه السن المبكرة بدأت رحلته مع رعى الأغنام ، ومع التأمل ، ومع جوب الصحراء ، ومع التفكير العميق .

رعى الغنم مهمة يسيرة عسيرة ، وعمل شاق سهل ، ومسئولية كبيرة وغير كبيرة .. ولكنه تربية ومدرسة من مدارس الحياة ، وتهذيب للنفس ، وتعويد لها على تحمل الأمانة ، والنهوض بالمسئولية ، والتفكير بعقل الإنسان المسئول عن حياته ، الذى يحمل على كاهله أعباء الراعى الأمين ، والإنسان المسئول ، ورجل المهمة الصعبة .

هل كان رعى الرسول الأكرم للغنم عن فقر ؟؟ لا أجد سندا لذلك ، ولكنه كان حبا فى استقلال الشخصية ، وتعود المسئولية ، والحياة مع الطبيعة والكون والوجود .. وكان كذلك نشدانا للسعادة الروحية .

يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مامن نبى من الأنبياء إلا رعى الغنم » فقال له أصحابه : وأنت يارسول الله ؟ قال : « نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة »[1] .

ورعى الغنم ليس عمل مهانة وخضوع وفقدان شخصية ، بل إنه يعكس ذلك تماما تربية للشخصية وإعزاز لها .

ويروى ابن الجوزى عن أبى هريرة عن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ :

« مابعث الله نبيا إلا رعى الغنم » ـ قال أصحابه : وأنت ؟ قال : نعم ـ كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ـ انفرد بإخراجه البخارى[2] ـ قال السهيلى فى « الروض الأنف » : وإنما جعل الله هذا فى الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ـ ولتكون أممهم رعاياهم[3] .

وقال ابن عقيل : لما كان الراعى يحتاج إلى سعة خلق وانشراح صدر ـ وكان الأنبياء معدين لإصلاح الأمم حسن هذا فى حقهم[4]

●●●●●

لقد كان مجتمع مكة آنذاك ـ أى فى الربع الأخير من القرن السادس الميلادى ـ مجتمع الصفوة من الأغنياء والمترفين ، والتجار ، الذين يعملون فى الرحلات التجارية بين مكة والشام واليمن ، ويبيعون ويشترون ، وتتدفق عليهم الأموال والأرباح من كل جانب .

وكانت الحياة فى هذا المجتمع تورث الإنسان السأم والملل ، من الترف ، الذى يعيشه الأبناء ـ ويعيشه معهم الآباء جميعا ؟ وكان الفرار منه إلى

(١) ويروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ مابعث الله نبيا إلا رعى الغنم ـ قال له أصحابه : وأنت يارسول الله ؟ قال : وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط . والقراريط : أجزاء من الدراهم أو الدنانير ـ وقيل هى لموضع (دلائل النبوة ٥٥ ج ١ ـ والسيرة الحلبية ١/ ١٥٠ ـ وفتح البارى ٣٤٧/٥) ـ والوفا ج ١ ص ١٤٢ .

(٢) راجع : البخارى باب رعى الغنم على قراريط ـ ابن كثير ١ ص ٢٦٥ ـ الوفا ١ : ١٤٢ .

(٣) الروض الأنف ١/ ١١٢ ـ وراجع الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٢٥ .

(٤) الوفا ١/ ١٤٢ .

الحياة الطلقة الهادئة البسيطة إنقاذا كبيرا للنفس الإنسانية حتى لا تلوثها المادة بكل رغباتها وتطلعاتها الجامحة ـ وكان كذلك طلبا للطمأنينة والسعادة والراحة النفسية العميقة .

وكما رعى رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ الغنم فى ديار بنى سعد طفلا صغيرا رعاها فى مكة طفلا كبيرا .

وكان الرسول الأكرم ـ أو قل : كان الطفل الشاب الرجل ـ محمد بن عبد الله يجد فى رعى الغنم متعة وأية متعة ، فهو يصله بالسماء وبالله ، وبالكون العظيم ، وهو يحرر فكره من الجمود ، ويحرر عقله من التقاليد ، ويحرر حياته من التبعية .

وانظروا إلى خبر صغير نشرته « أخبار اليوم » الصادرة فى ١٠ من مايو ١٩٩٧ ، يقول هذا الخبر بعنوان « السعادة فى رعى الغنم » ـ « يلجأ الكثير من الشباب الألمانى إلى عالم الأحلام ـ مديرين ظهورهم لعالم الواقع ـ على أمل العودة إلى الحياة البسيطة فى رعى الأغنام ـ إذا ما أخفق الواحد منهم فى قصة حب ، أو أصابه السأم من السباق المحموم على الدرجات العلمية فى الجامعة ـ وتقول ماريا ايبر سبرجر ، وهى زوجة لراعى غنم يدعى ايبرسبرجر : أنها تتلقى مكالمات هاتفية كثيرة من طلاب أصابتهم الحياة العصرية بالتوتر ـ برغبتهم فى الفرار منها إلى حياة رعاة الغنم البسيطة التى لا تحتاج إلا إلى كلب أمين ، وقطيع من الأغنام .

إن هذا الشعور من الشباب اليوم هو شعور الشباب بالأمس ، شباب مكة الملولين من حياة الترف والمادة التى يعيش فيها إشراف مكة من قريش وأبناؤهم وبيوتهم ـ والراغبون فى الحياة مع الطبيعة ـ ببساطتها وسهولتها ، وقلة حاجاتها واكتفائها بالضروريات من أمور العيش .

ووجد شباب الأنبياء والمرسلين فى رعى الغنم ؛ تجديدا لنفوسهم وأرواحهم ، ولصلتهم بالله الأعلى ، وبالسماء وروحيتها ، وبالكون المملوء بأسرار الله ومعجزاته وجلاله ، وآثار قدرته .

ووجد رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى رحلته مع قطعان الغنم يرعاها فى شعاب مكة صلة وثيقة له بالله وبالإيمان وبشريعة التوحيد ، شريعة جده الأعلى إبراهيم ، وجده الأدنى إسماعيل .

يالمجد هذه الشعاب الطاهرة التى مشى فيها سيد الأنبياء فى أوائل سن شبابه يرعى الغنم ، يذود عنها الذئاب والكلاب الضالة ، يقودها إلى نبات الكلأ والعشب ، ويحوطها بعنايته الحنون بالرعاية والتدبير .

الشعاب الجدباء تحولت إلى مراع ترعى فيها قطعان الغنم ، التى يرعاها ابن عبد الله بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى ، والأغنام العجاف صارت برعايته لها وحدبه عليها ، سمانا مكتنزة باللحم والشحم ، ونفس محمد تتألق فى جوانبها أضواء الإيمان والطهر والتوحيد ، والطمأنينة والسكينة والابتهال والمناجاة للخالق العظيم .

•••••

وحين شب محمد وبلغ من القوة مبلغه ورأيناه وهو فى نحو الثالثة عشرة من عمره يخرج مع عمه أبى طالب فى قوافل قريش التجارية إلى الشام ،

فاتسعت رحلته من شعاب مكة إلى أرض الشام ، ومدن « بصرى » وتبوك وغيرهما ، ثم وهو يعمل فى قوافل التجارة مستقلا يتاجر فى مال خديجة سيدة نساء قريش ، ومحمد فى ذلك ـ أيضا ـ يحمل المسئولية ـ ويتأمل الكون العظيم ـ ويفكر بعقله : هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه

﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (لقمان ـ ١١)

وكان ذلك كله وصلا له بفكر التوحيد ، وإخلاص النفس لله وحده ، لا شريك له ، ولا إله سواه .

لقد أسلم محمد فى كل أطوار حياته وجهه لله عز وجل ، وأيقن أن التوحيد ـ وهو رسالة جده الأعلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ يجب أن يعود إلى الأرض ، وإن الإيمان هو سر سعادة الإنسان ، وهو الدواء لكل أمراض الإنسانية ، وهو البلسم الشافى لكل أدواء المجتمعات البدوية ، والمتحضرة معا على السواء .

وفى البيان الأول الذى ألقاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قومه فى مكة برسالته إلى الناس كافة ، بعد أن أمره الله ـ عز وجل ـ بأن ينذر قومه ، ويبلغهم رسالة الله ، بقوله ـ عز وجل ـ

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (٢ / المدثر) ،

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٣ / ٢١٤ الشعراء) ،

فخرج ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى الصفا ونادى عشائر قريش بطنا بطنا ، فلما اجتمعوا بدأهم بالحديث عما يعرفون جميعا به ، وأنهم يصفونه أمس واليوم بالصادق الأمين ، فقال لهم : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم .. ما جربنا عليك كذبا ، فقال لهم : إنى نذير لكم بين يدى عذاب عظيم ، فرد عليه عمه عبد العزى

(أبو لهب) : تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ وانصرفوا عنه ، فنزلت فى إثر ذلك سورة الفاتحة .

أقول : فى هذا البيان الأول برسالة محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نداء لقريش بالإيمان بالله وتوحيده ، وبالكفر بآلهتهم من الأصنام والأوثان التى يعبدونها من دون الله ، والرجوع إلى الله ، والخوف من عذابه الشديد ، وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حريصا على إيمان الناس جميعا بالله ، وعلى إقرارهم بتوحيده ، وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد .

وفى حديثه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مع عمرو بن عتبة السلمى[1] ما يكشف لنا عن دعوته ورسالته ، وكان عمرو كما يقص علينا صاحب « السيرة الحلبية » قد رغب عن آلهة قومه فى الجاهلية ، فلقى رجلا من أهل تيماء من أهل الكتاب ، فقال له : إنى امرؤ مكروه ممن يعبدون الحجارة ـ فقال له : يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها فاتبعه فإنه يأتى بأفضل الدين .

يقول السلمى : فلم يكن لى همة منذ قال ذلك إلا مكة آتى فأسأل : هل حدث حدث ؟! فيقال



(١) ص ٩٥ بشائر النبوة الخاتمة ـ د/رءوف شلبى من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٨م .

لى : لا فارجع ، ثم قدمت مرة فسألت ، فقيل لى : حدث ، رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها .

فشددت له راحلتى ، ثم قدمت منزله الذى كنت أنزله بمكة ، فسألت عنه ، فوجدته مستخفيا ، ووجدت قريش عليه أشداء ، فتلطفت له حتى دخلت عليه ، فسألته :

ـ أى شىء أنت ؟

ـ قال : نبى .

قلت : من نبأك ؟

ـ قال : الله .

ـ قلت : وبم أرسلك ؟

ـ قال : بعبادة الله وحده لا شريك له ـ ويكسر الأوثان ـ وصلة الرحم ـ وأمان السبيل .

ـ فقلت : نعم ما أرسلت به ، قد آمنت بك وصدقتك ، أتأمرنى أن أمكث معك أو أنصرف ؟

ـ فقال : ألا ترى كراهة الناس ما جئت به ، فلا تستطيع أن تمكث ، كن فى أهلك ، فإذا سمعت بى قد خرجت مخرجا فاتبعنى .

فكنت فى أهلى حتى خرج رسول الله إلى المدينة فسرت إليه ، فقدمت المدينة ، فقلت : يانبى الله : أتعرفنى ؟

ـ قال : نعم .. أنت السلمى الذى أتيتنى بمكة(١) .

●●●●●

وجاهد رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى مكة ثلاث عشرة سنة ، ثم فى المدينة عشر سنوات ، حتى بلغ دين الله ورسالته إلى الناس كافة ، وإلى الأمم جميعا ، وبنى دولة الإسلام فى الجزيرة العربية ، التى امتدت حتى شملت أرجاء الدنيا بعد وفاة الرسول الأعظم بقليل ، وترك رسول الله من ورائه كتاب الله ، وسنة رسوله ، وفيهما كل قيم الإسلام ، وأصول دعوته ، وهذه الأصول تتركز فيما يلى :

١ ـ عبادة الله وحده لا شريك له .

٢ ـ والإقرار برسالة محمد ، وأنها خاتمة الرسالات .

٣ ـ والإيمان بما شرعه الله ـ عز وجل ـ من عبادات وطاعات وفضائل ، ومن معاملات وتشريعات للفرد وللأسرة ، وللمجتمع والأمة بل والإنسانية كافة .

٤ ـ وتقرير حقوق الإنسان كاملة .

٥ ـ تقرير الشورى والعدل والحرية والمساواة لكل بنى البشر .

٦ ـ تحرير المجتمعات الإنسانية من الخوف والاستعباد والظلم ومن كل ألوان الزيف والضلال .

٧ ـ إعلان الأخوة التامة بين الناس والشعوب والأمم والأجناس كافة .

٨ ـ الدعوة إلى العلم والمعرفة وإلى العمل وإلى الخير والبر والإحسان .

---

(١) ص٩٥ بشائر النبوة الخاتمة ـ رءوف شلبى نقلا عن السيرة الحلبية ٢١٧/١ ـ فى رواية مسلم ٥٦٩/١ وفى رواية السيرة لابن كثير ٤٤٢/١ : عمرو بن عبسة بدلا من عتبسة . ـ وراجع مسند أحمد ١١١/٤ ـ والشيخ دحلان فى سيرته : يروى : عمرو بن عبسة .

٩ ـ إحلال العقل منزلته الرفيعة كهادٍ للإنسان فى ظلال وحى السماء .

١٠ ـ كتاب الله هو الدستور الخالد الدائم الصالح لكل زمان ومكان ، ولكل الشعوب والمجتمعات .

١١ ـ تنظيم الأسرة تنظيما كاملا لتكون هى نواة المجتمع الإسلامى الكبير .

١٢ ـ الإيمان بالغيب ، وبالبعث والنشور والحساب والجزاء .

●●●●●

أيها الراعى الكبير .

راعى الغنم العظيم .

لقد جئت بالرسالة ، بالمعجزة ، بالخير العميم لكل بنى البشر .

وجئت بالنور والهداية والكرامة والشرف لكل بنى الإنسان .

وجئت بالذكر الحكيم الذى أنزله الله عليك كتابا منزلا يحوى خير الدنيا والآخرة ، وبنيت دولة لم تكن تغرب عنها الشمس .

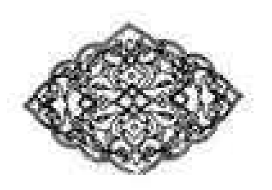
وأقمت أسس حضارة استظل بظلها العالم كافة قرونا وأجيالا .

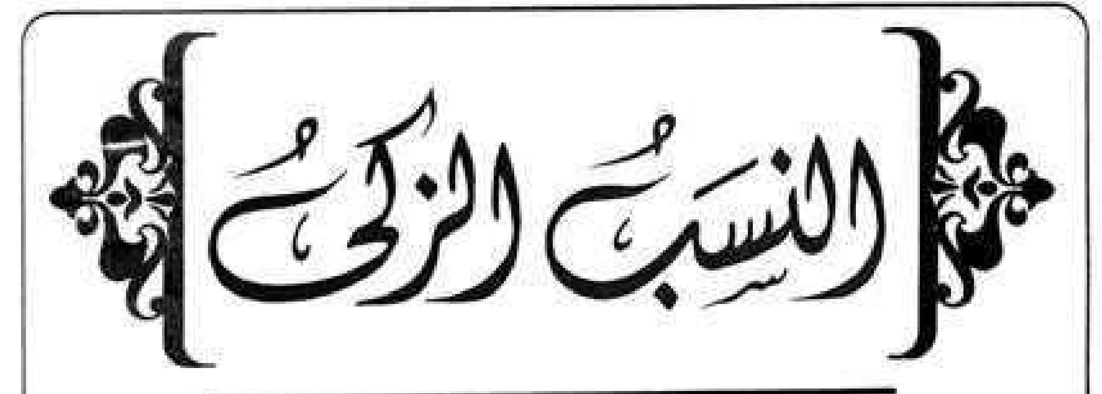
ونشرت السلام والإخاء فى الأرض كافة .

أيها الرسول الأمين .

ياراعى الغنم العظيم .

سلام عليك ، سلام عليك فى الأولين والآخرين ، وسلام عليك إلى يوم الدين .





لفضيلة الشيخ
أحمد بن محمد طاحون

روى الإمام أحمد : أن العباس ـ رضي الله عنه ـ قال : « بلغه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعض ما يقول الناس ، فصعد المنبر ، فقال : « من أنا ؟ » قالوا : أنت رسول الله ، قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه ، وجعلهم فرقتين ، فجعلنى فى خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا ، وخيركم نفسا » ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشرف ولد آدم حسبا ، وأفضلهم نسبا ، وأطهرهم بيتا ومنشأ ، وقد روى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « ما ولدتنى بغى قط منذ كنت فى صلب آدم ، فلم تزل تنازعنى الأمم كابرا عن كابر ، حتى خرجت فى أفضل حيين فى العرب : هاشم وزهرة » .

أى : أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كريم الأصل ، طاهر النسب ، نقى الأرومة من قبل أبيه وأمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد كان قادة قريش يعترفون بفضله ونسبه الشريف الزكى ، وطهارة مرباه ومنشئه ، وقد سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب قبل إسلامه : كيف نسب محمد فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب ، قال هرقل : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا .

وجاء فى حديث آخر أخرجه الحاكم ، والبيهقى : أن عائشة قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « قال لى جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم » .

إنه محمد رسول الله : أبو القاسم ، سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجمعين .

وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلم ـ بإجماع الناس ، أما ما بعد عدنان من آبائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى إسماعيل فقد اختلفوا فيهم من حيث العدد والأسماء ، فقيل : إن بين عدنان وإسماعيل سبعة آباء ، وقيل تسعة ، وقيل بينهما خمسة عشر أبا ، وروى عن ابن عباس قوله : « بين معد بن عدنان ، وبين إسماعيل ثلاثون أبا » .

ونسبوا إلى ابن مسعود أنه كان إذا انتهى إلى عدنان من النسب الزكى أمسك ، وقال : « كذب النسابون » أى : فى ضبط أسماء أجداده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما بين عدنان وهو الجد العشرون ، وبين إسماعيل ـ عليه السلام ـ .

وقد اتفق جميع أهل النسب على أن : مضر وربيعة هم صريح ولد إسماعيل ، وما سوى ذلك يقع الاختلاف فى أسماء من هم فوق ذلك .

روى الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

أما قريش فهو لقب لفهر بن مالك الجد العاشر للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن كان من ولده فهو قرشى ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى .

وإنما سميت قريش قريشا ، لاشتغالهم بالتجارة والاكتساب من التقرش ، وهو التجارة والاكتساب ، ويقال : إنما سميت قريش قريشا ، لتجمعها من بعد تفرقها ، ويقال للتجمع التقرش ، وقد كانوا متفرقين فى غير الحرم ، فجمعهم قصى بن كلاب الجد الرابع للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحرم حتى اتخذوه مسكنا ، قال الشاعر مشيرا إلى ذلك :

أبونا قصى كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فهر

وقالوا ـ أيضا ـ إن قريشا هو لقب النضر بن كنانة الجد الثانى عشر للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى ، دون بنى كنانة ، ومن فوقه ، وقد روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « أنا ولد النضر بن كنانة لانقفو أمنا ، ولا ننتفى من أبينا » .

أى لانترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات ، وفى الحديث الصحيح الذى خرجه البخارى ومسلم وغيرهما ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » ، فقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « واصطفى من بنى كنانة قريشا فيه إشارة إلى النضر بن كنانة ، وهو الذى يلقب بقريش على الراجح .

وكما انحدر ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أصلاب نقية طاهرة ، فقد جاء ـ أيضا ـ من أتراب زكية صافية ، وقد كانت أمه أفضل امرأة فى قريش نسبا ومكانة ، وتجتمع مع أبيه عبد الله فى الجد الخامس للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو كلاب ، فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن فهر



إلى الهدى والحق

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾

(الآية - ١٢٨ - من سورة التوبة)

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾

(الآية - ٢ - من سورة الجمعة)

﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾

(الآية - ١٥٨ - من سورة الأعراف)

في بيت المجد والكرامة والمروءة والشهامة والسقاية والسخاء ، والبذل والعطاء ، وعند بيت الله العتيق ولد صاحب الخلق العظيم المبعوث رحمة للعالمين خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، فهو الذى بدل الله به ظلام الحياة نورا ، وذل الأمين عزا ، وأسس أمة التوحيد التى قال لها :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ (آل عمران : آية ١١٠)

وهو الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالات إلى الهدى ، ومن التنافر إلى التآلف فلقد اعتصموا بحبل الله فلا يعبدون إلا إياه ، فضم الإسلام شملهم وأمن وحدتهم ، فيهم روح الجماعة التى صنعت من الضعف قوة دخل الناس فى دين الله أفراداً وأفواجاً ، ويومئذ انتشر دين الله بالقدوة كما انتشر بالدعوة ، وكان القرآن شرعة لهم ومنهاجاً يضىء قلوبهم بنور الهدى ، وقد هدى نفوسهم للتى هى أقوم فلا غل ولا حقد ،ولا عداء ولا بغضاء لأن المؤمنين إخوة رحماء بينهم والله يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ ﴾

(الآيتان ـ ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ من سورة النساء)

دعوة إبراهيم ـ عليه السلام

وكان خليل الرحمن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد طلب من ربه أن يبعث فى أحفاده من ذرية ابنه إسماعيل رسولا منهم فدعا ربه خاشعا ضارعا قائلا :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾

(الآية ١٢٩ من سورة البقرة) .

وظلت هذه الدعوة مدخرة فى جوف التاريخ وأحضان الزمن حتى شاءت إرادة الله العليا أن يتحقق الرجاء ، ويستجاب الدعاء حيث كانت الدنيا فى أشد الحاجة إلى رسالته الإسلامية الخالدة والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وقبيل البعثة المحمدية ظهرت الإرهاصات والمقدسات والتنبؤات بقرب زمانه .

يروى أن قس بن ساعدة الإيادى الذى كان خطيب العرب اشتهر بالمعرفة ، قام خطيبا بين الناس يرشدهم ، ويعظهم ويقول لهم : ـ

إن لله دينا أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه ، ونبيا قد حان حينه ، وأظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه .

وبشرى عيسى ـ عليه السلام

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

(من الآية ـ ٦ من سورة الصف)

وكان الله قد أخذ العهد على رسله وأنبيائه أن يؤمنوا به ويصدقوا برسالته فقال تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ ﴾

(الآية ٨١ من سورة آل عمران)

ولقد كان الرسول ﷺ هو الأمل المنتظر والرجاء المدخر فما أعظم خلقك يا رسول الله ، وما أجل شأنك فأنت منقذ البشرية ، وقدوة الأمة الإسلامية فى كل زمان ومكان ، ولقد تحمل أضخم رسالة وأعظم مهمة وأكبر أمانة وجعلك الله راعيا لها أمينا عليها .

الرسالة المحمدية والحقوق الإنسانية

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ ﴾

(الآية ١٣ من سورة الحجرات)

الناس كلهم جميعا من جهة النسب سواء أبوهم آدم والأم حواء ، ولكن الله جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتآلفوا لا ليتنازعوا ، ويتناحروا وأمرهم ربنا بالتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، وليس فى الإسلام إنسان أبيض أكرم من إنسان أسود ، ولا غربى أكرم من إنسان شرقى كما تزعم العنصرية التى تتغنى بالحرية اليوم وتدعى العدالة الاجتماعية كذبا وادعاء وزورا وافتراء وغرورا : ـ قالوا : إن امرأة زنجية جلست على مقعد للبيض فى إحدى سيارات الركاب العمومية هناك ، فطلب منها الانتقال من مقعدها فأبت . فساقها رجال الشرطة إلى المحاكمة فحكم عليها بالغرامة فقاطع الزنوج فى تلكم الولاية ركوب السيارات العامة احتجاجا على ذلك ، فاعتقل زعماؤهم وحوكموا فى مارس سنة ١٩٥٦ م !!

هذه قصة تبين لنا فضل الله على الناس بنعمة الإسلام الذى يقول : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ـ الآية ١٣) ليشعر أتباعه بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقد سوى الإسلام بين صهيب الرومى وسلمان الفارسى وبلال الحبشى ، سوى بينهم وبين سائر الصحابة المقربين إلى الله رب العالمين فلا تفاضل إلا بالتقوى وصالح العمل : (خيركم من طال عمره وحسن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله) والمؤمنون إخوة وإن اختلفت الألوان والأوطان وبالسلوك الرضى والخلق المتين والتمسك بالحق المبين والصراط المستقيم يستقر الأمر ويستتب الأمن .

قصة الإسلام يرويها جعفر
ابن عبد المطلب لملك الحبشة

لما هاجر جعفر بن أبى طالب مع نفر من المؤمنين بأمر الرسول ـ ﷺ ـ فرارا بدينهم من أذى قريش فى مكة إلى بلد النجاشى ملك الحبشة الذى لا يظلم عنده أحد ، قال جعفر عندما سأله النجاشى عن الدين الجديد الذى فروا به من قسوة الطغاة :

« أيها الملك . .

كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيء إلى الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباءنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصوم فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله وحده ، ولم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا وفتنونا عن ديننا ليردونا عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك » .

أرأيت كيف كانت المعارك بين الخير والشر والصراع بين الحق والباطل من قديم الزمن ولكن لابد للحق أن ينتصر ولابد للباطل أن ينهار ويندحر ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ . (الإسراء ٨١)

من أخلاق خاتم الرسل والأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم

للمستشار : محمد عزت الطهطاوى

نشأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين قومه فى أطهر بيت وفى أعرق الأصول ، فهو ينتمى إلى بنى هاشم أعلى فرع من أفرع الشجرة الشريفة القرشية ، والتى تنتمى إلى معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - وإلى هذا يقول - عليه الصلاة والسلام - : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم »[1] .

كيف كانت أخلاقه فى صباه وفى شبابه:

شب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على كريم الأخلاق ، وجميل الصفات ناضج العقل راشد الرجولة ، عظيم الخلق ، عالى الهمة ، بعيدا عن فاحش القول ، عزوفا عن الدنايا ، موصوفا بالصدق والأمانة ، ولأمانته وصدقه عرف بين أهله وقومه بالصادق الأمين ، فلقد كان أمينا على نفسه ، فلم يستسلم إلى شر أو رذيلة ، وأمينا على الناس ، فلم ينتهك عرضا ، ولم يظلم أحدا[2] .

وفيما ذكره المحققون كان مجبولا على ذلك فى أصل خلقته وأول فطرته ، فلم يحصل ذلك له باكتساب ولا رياضة ، بل كان بجود إلهى وخصوصية ربانية[3] .

لذلك لم يحدث أن اشترك فيما تعود عليه شباب

ف

---

(١) رواه الإمام مسلم .

(٢) كتاب سيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار .

(٣) كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » الجزء الثامن عشر لشهاب الدين النويرى صفحة ٢٥٠ .

قريش أن يقوموا به من عبث ومجون كما حفظه الله من عادات الجاهلية التي جاء الإسلام بتحريمها فما شرب الخمر قط رغم شيوع شربها في قومه، ولا سجد لصنم أبدا ولا حضر عيدا من أعياد الأوثان.

كما عرف في شبابه بالنخوة والمروءة ونقاء السيرة وصفاء السريرة والبعد عن سفاسف الأمور، وفي مخالطته كان أكرم الناس وخيرهم جوارا وأصدقهم حديثا وأكثرهم صبرا وشكرا وأعظمهم تواضعا وعفة وكرما وأقواهم قلبا[٤].

أخلاقه بعد تكليفه بالرسالة:

ذكرت كتب السيرة النبوية أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان نقي الثوب لين الكلام حسن الصوت قويه، لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا، يخاطب كل إنسان على قدر عقله، ضحكه التبسم ولا يقهقه، سهل الخلق لين الجانب دائم البشر، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب ولا مزاح، وعندما يمزح لا يقول إلا حقا يقابل السيئة بالحسنة[٥].

يعظم النعمة وإن دقت، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وإنما يغضب لله إذا تعرض للحق بشيء، ويحق الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه[٦].

لا يقطع على أحد حديثه حتى يكون هو المنصرف عنه، ولا يتكلم في غير حاجة، فإذا تكلم كان أفصح الناس وأعذبهم كلاما، يحفظه عنه كل من سمعه، يتفقد أصحابه، ويسأل عنهم، فمن كان غائبا دعا له، ومن كان شاهدا زاره، ومن كان مريضا عاده، ومن مات شهد جنازته، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها[٧].

وفي صحيح البخاري عن ابن المنكدر قال: «سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا فقال لا»[٨].

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويجلس معهم كواحد منهم، ومجلسه هذا مجلس علم وحياء، لا ترفع فيه الأصوات، حلمه يسبق غضبه، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، ولا يتنازعون عنده الحديث، ويشاور أصحابه في الأمر، وعنده الناس في الحق سواء، يقبل عذر المعتذر، ويعرض عمن تكلم بغير جميل[٩].

يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويدعوهم ويكنيهم بأحب أسمائهم إليهم وكان ينهاهم عن الوقوف له إذا أقبل عليهم[١٠].

أخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد نجاح دعوة الإسلام:

لما انتشرت دعوة الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا، وكبر سلطان رسول الله ـ صلى الله

---

(٤) كتاب نافذة على الإيمان للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير ـ صفحة ١٩٥.

(٥) كتاب خاتم المرسلين للدكتور يوسف عبد الهادي الشال من سلسلة البحوث الإسلامية صفحة ٢٧١.

(٦) جوامع السيرة النبوية لأبي محمد علي بن احمد بن حزم الاندلسي صفحة ٧٠ الجزء الاول ملحق مجلة الأزهر ربيع الاول سنة ١٤١٣هـ.

(٧) كتاب خاتم المرسلين المرجع السابق صفحة ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٨) كتاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، المرجع السابق صفحة ٢٥٤.

(٩) كتاب خاتم المرسلين المرجع السابق صفحة ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(١٠) موسوعة التاريخ الإسلامي ـ السيرة النبوية العطرة صفحة ٥٣٩ تأليف الدكتور احمد شلبي.



عليه وسلم ـ باعتباره الرئيس الديني والرئيس السياسي في دولة الإسلام لم تعرف مظاهر السلطان طريقها إليه ، فقد ظل كما هو أشد الناس خشية لله ، يصلي على الحصير وينام عليه ، وربما أثر في جسده الشريف كما كان كثير الاستغفار لله[11] .

وإذا دخل بيته كان في خدمة أهله أو خدمة نفسه ، فما كان يرى فارغا قط ، يشير إلى ذلك ماورواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « كان يكون في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى[12] .

كان يأكل مع الخادم ، ويطحن معه ، ويحمل بضاعته من السوق ، ما شبع ثلاثة أيام تباعا من خبز البر حتى فارق الدنيا ، وكان يبيت الليالي المتتالية طاويا لا يجمع في بطنه طعامين ، إن أكل لحما لم يزد عليه ، وإن أكل تمرا لم يزد عليه ، وكان غالب مايلبس من نسيج القطن ، وربما لبس ما نسج من الصوف والكتان .

وكان يجلس على الأرض والحصير والبساط يكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التي تحته ، ويعزم عليه إن أبى ، ويمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف في حوائجهم ، ولا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد إلى صلاته[13] .

أما عن سخائه وجوده فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسخى الناس ، لا يثبت عنده دينار ولا درهم ، فإن فضل ولم يجد من يعطيه ويجنه الليل لم يأو منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه .

ويذكرون عن جوده ما روى عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس بالخير ، وأجود ما كان في شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل ـ عليه السلام ـ أجود بالخير من الريح المرسلة » .

وأما عن شجاعته ونجدته ، فإنه منها بالمكان الذي لا يجهل ، فقد شهد المواقف الصعبة ثابتا لا يبرح ، مقبلا لايدبر ، وإلى هذا يشير ابن عمر فيما قاله عنه : « مارأيت أشجع ولا أنجد ولا أرضى من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

وقال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ : « إنا كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا » .

وقال عمران بن حصين : « مالقي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتيبة إلا كان أول من يضرب » ، ولقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبراه الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول (لن تراعوا)[14] .

وعري بضم المهملة وسكون الراء تعني ليس عليه من سرج ولا أداة .

---

(11) موسوعة التاريخ الإسلامي ـ السيرة النبوية العطرة ـ المرجع السابق صـ 539 .

(12) كتاب السيرة النبوية للإمام عبد الرحمن بن الجوزي صفحة 110 ـ 111 ملحق مجلة الأزهر ربيع الآخر سنة 1411هـ .

(13) كتاب خاتم المرسلين المرجع السابق صفحة 272 ـ 273 .

(14) كتاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، المرجع السابق صفحة 254 ـ 255 .

وعن عفوه وحلمه وصبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه على الرغم مما أوذى به فى سبيل الدعوة ولاقى من قومه من شدائد ينوء بحملها أشد الناس بأسا وقوة وأعظمهم صبرا وجلادة ، فإنه كان يحلم لهم ويصبر على أذاهم عملا بوصية القرآن الكريم له فى قوله جل وعلا :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾
(الأحقاف ـ ٣٥) .

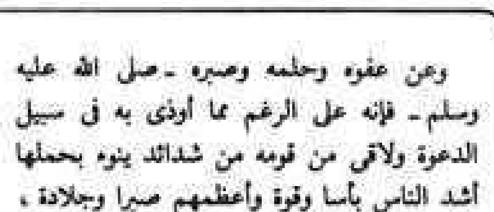
ومثال ذلك :

١ ـ فى غزوة أحد عندما انكشف المسلمون وتمكن العدو منهم وناله من أذى كفار قريش ما ناله شق ذلك على أصحابه ، فقالوا يارسول الله لو دعوت عليهم ، فقال : « إنى لم أبعث لعانا ، ولكنى بعثت داعيا ورحمة . اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

٢ ـ وكما حدث فى فتح مكة المكرمة وقد أمكنه الله من صناديد قريش ، وهم لا يشكون فى استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم لما تقدم من أذاهم له ، فمازاد على أن عفا وصفح ، وقال ما تقولون إنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : « أقول كما قال أخى يوسف :

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
(يوسف ـ ٩٢) .

وعن حيائه فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء ، وقد أخبر الله تعالى عن حيائه فى الذكر الحكيم ، فقال :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾
(الأحزاب ـ ٥٣) .

وقال أبو سعيد الخدرى : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه ولا يشافه أحدا بما يكره حياء وكرم نفس » ، وعن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها قالت ـ : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول (مابال أقوام يصنعون أو يقولون ـ كذا) ينهى عنه ولا يسمى فاعله[١٥] » .

وعن حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه ، فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكرم الناس عشرة وأكثرهم أدبا وأبسطهم خلقا مع أصناف الخلق ، يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ويكرم كريم قومه ويوليه عليهم ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء .

وفيما يرويه قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر قصة فى آخرها ، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ووطأ عليه بقطيفة ، فركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال سعد بن عبادة والد قيس : ياقيس اصحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال قيس : فقال لى رسول الله (اركب) فأبيت ، فقال : « إما أن تركب وإما أن تنصرف » فانصرفت .

(١٥) كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » المرجع السابق صفحة ٢٥٦ .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يدع أحدا يمشي معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال : « تقدمني إلى المكان الذي تريد[١٦] » .

وقد أثنى الله عليه في قرآنه العظيم فقال جل وعلا : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران ـ ١٥٩) .

وعن شفقته ورأفته ورحمته ، فظاهر ذلك في تخفيفه وتسهيله على أمته وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء » ، ونهيه عن الوصال في الصوم ، وأنه دعا ربه وعاهده فقال : « أي رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة » .

ومن ذلك ما روى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى رأفته ورحمته في قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة ـ ١٢٨) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا »[١٧] .

ويتخولنا بالموعظة يعني يتعهدنا بالموعظة .

وعن وفائه وحسن عهده وصلته للرحم فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد بلغ من ذلك الغاية التي لا يدرك شأوها ولا يبلغ مداها ، جاءت بذلك الأخبار الصريحة والأحاديث الصحيحة ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : « كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أتي بهدية قال : (اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة)[١٨] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « ماغرت على امرأة ماغرت على خديجة لما كنت أسمعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يذكرها ، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها ، واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : « إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، إن حسن العهد من الإيمان » .

إن حسن العهد : يعني به الحفاظ عليه ورعاية حرمته .

وعن أبي قتادة قال : وفدَ وفدٌ « للنجاشي » فقام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك ، فقال : (إنهم لأصحابنا مكرمين ، وإني أحب أن أكافئهم) .

ولما جيء بالشيماء أخته من الرضاعة في سبايا هوازن ، وتعرفت له بسط لها رداءه ، وأرجعها إلى قومها مع هدايا تنتفع بها ، وكان يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب التي أرضعته بصلة وكسوة ، فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها فقيل لا أحد .

(١٦) كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » المرجع السابق صفحة ٢٥٧

(١٧) كتاب « نهاية الأرب » المرجع السابق صفحة ٢٦٠ .

(١٨) خديجة هي السيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد أول زوجات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوفيت في حياته قبل هجرته إلى المدينة .

وفى حديث خديجة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت له ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ابتداء النبوة : « أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق »[١٩] .

وعن عدله وعفته فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أعدل الناس وأعف الناس ، فعن ابن خالويه قال : جزأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهاره ثلاثة أجزاء ، جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستعين بالخاصة على العامة ، ويقول : (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغى فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أمنه الله يوم الفزع الأكبر) .

وعن الحسن قال : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يأخذ أحدا بقرف أحد[٢٠] ولا يصدق أحدا على أحد ، ولم تمس يده امرأة قط لا يملك رقها أو نكاحها ، أو تكون ذات محرم[٢١] » .

وعن طيب ريحه وعرقه ونظافة جسمه ونزاهته من الأقذار ، فهذا مما خصه الله به ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : ما شممت عنبرا قط ولامسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحكى جابر بن سمرة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار[٢٢] .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها ، وذكر الإمام البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يمر فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه .

كما كان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويحض عليها ويقول : (حبب إلىّ من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة)[٢٣] .

كتب الأنبياء السابقة تشير إلى بعض أخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

أخرج الإمام أحمد بسنده عن عطاء بن يسار قال : (لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التوراة ، قال : والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

(الأحزاب ـ ٤٥) .

وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا » .

وروى ابن أبى حاتم بسنده عن وهب بن منبه الذى كان يهوديا وأسلم قال وهب بن منبه : (إن

---

(١٩) كتاب ، نهاية الأرب ، المرجع السابق صفحة ٢٦١ ـ ٢٦٢ .
(٢٠) بقرف أحد أى بسوء ظنه به .
(٢١) نهاية الأرب المرجع السابق صفحة ٢٦٥ .
(٢٢) كتاب نهاية الأرب المرجع السابق صفحة ٢٧٠ ـ ٢٧١ .
(٢٣) الحديث فى الجامع الصغير ورمز له بالحسن وقال الحافظ العراقى إسناده جيد وقال ابن حجر حسن وكل ذلك ورد فى الجامع الكبير للسيوطى العدد الثانى عشر من الجزء الثانى طبعة مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

الله أوحى إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل يقال له شعياء أن قم فى قومك بنى إسرائيل ، فإن منطق لسانك بوحى ، وأبعث أميا من الأميين أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب فى الأسواق ، لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشى على القصب لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشرا ونذيرا ، لا يقول الخنا[٢٤] ، أفتح به أعينا كمها[٢٥] وآذانا صما وقلوبا غلفا ، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكوت لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة . . وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . الخ[٢٦] .

وبعد . .

فهذه بعض من الأخلاق السامية الكريمة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حباه الله بها وجعلها له سجية وخلقا طبعه الله عليها وأدبه بها ولا يدرك شأوها أحد من الخلق .

وقد أثنى الله جل وعلا عليه فى قرآنه الكريم فقال :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم ـ ٤) .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفسه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »[٢٧] .

وفى إيجاز دقيق وأسلوب بلاغى رقيق من جوامع الكلم النبوى لخص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مضمون رسالته بقوله : « إنما بعثت لأتمم صالحى الأخلاق »[٢٨] .

---

(٢٤) الخنا يعنى الفحش ورد ذلك فى معجم مختار الصحاح للإمام محمد بن أبى بكر الرازى .

(٢٥) كمها : بضم فسكون جمع الأكمه وهو الأعمى والمراد أعينا عميا .

(٢٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ المجلد الثالث الحزب الثالث والأربعون الصادر من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ، سنة ١٩٨٧م .

(٢٧) الحديث ورد فى الجامع الكبير للسيوطى بالعدد الثالث من الجزء الأول فى السنن القولية وفى الصغير ورمز لصحته .

(٢٨) الأدب المفرد للإمام البخارى باب حسن الخلق .

حول الذكرى العطرة

التأسي بإمام الأنبياء وخاتم المرسلين

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

قال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب : ٢١)

إن من نظر فى حياة نبينا محمد - ﷺ - الذى ملأ الله به الكون رحمة وعدلا ، والدنيا هدى ونورا ، والقلوب راحة وأمنا ، لوجدها مليئة بعظيم المفاخر ، وجليل المآثر ، وأنه يجب على الناس كافة أن يتخذوا منها نبراسا ومشكاة يضىء لهم طريق العظمة والخلود ؛ ليصلوا إلى سعادتهم ، وفلاحهم ، فى معاشهم ، ومعادهم ..

وما أحوجنا وقد أصبحت حالتنا الخلقية من أشد أمراضنا الاجتماعية ، أن نرجع إلى سيرة العظماء من الرجال ؛ نتعرف أخلاقهم التى كونت عظمتهم وشمائلهم ، التى يرجع إليها الفضل الأكبر فى نجاحهم :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾

(الأنعام : ٩٠)

ورسولنا - ﷺ - جدير حقا بأن يتخذ مثلا أعلى فى كل ناحية من نواحيه ، فهو الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة بشهادة الله ، وسيرته من أعظم السير ، ودراستها من أجل العظات ، وهى مع ذلك كثيرة النواحى ، متشعبة المناحى ، وكذلك شأن الأبطال والعظماء تتيه فى بطولتهم وعظمتهم العقول والأفكار .. أستغفر الله . لم يشبه النبى

الأكرم ، والرسول الأعظم أحد فى بطولته وعظمته ، بل إنه فاق كل بطل ، وكل عظيم « وإنى لن أستطيع أن أوفى النبى الكريم حقه من إجلال ، وتعظيم ، وإكبار ، وتفخيم ، وهل يستطيع أحد فى هذا الوجود ، مهما أوتى من فصاحة وبيان ، أن يوفى هذا المقام الشريف قدره ، أو يعبر عن هذه العظمة الرائعة بكلمات وألفاظ ؟ وأنى لضعيف البصر أن يمعن نظره فى ضوء الشمس الباهر ، وشعاعها اللماع ؟ وأنى لقدرة محدودة ، وكلمات معدودة أن تصف نفسا كبيرة لايدرك مداها ، ولا تعرف غايتها ومنتهاها ؟ ولكننا نريد أن ننقُب عن الشرف ، لندرك طرفا منه ، ونعرض الكمال ؛ لتتحلى النفوس بحلية منه ، وننثر الدر النفيس بين أيدينا ، لتملأ العيون من جماله وسحره ، ونقلب الطيب ، لنظفر بنفحة من شذاه وعطره .

لقد كان رسول الله - ﷺ - المثل الأعلى : الذى يجب أن يقتدى به فى أقواله ، وأفعاله ، وأحواله ، لأنه لا ينطق ولا يفعل أى شىء عن هوى ، بل عن وحى وتنزيل ، وإلهام :

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

(النساء : ١١٣)

قال الإمام ابن كثير : أمر الله تعالى الناس بالتأسى بالنبى - ﷺ - فى صبره ، ومصابرته ، ومجاهدته ، ومرابطته ، كيف لا وهو القدوة المثلى لأمته فى حياته الخاصة والعامة ، وفى علاقته بربه ، وعلاقته بالناس . .

وقد اختلف فى هذه الأسوة : هل هى على الإيجاب ، أو على الاستحباب ؟ على قولين أحدهما : أنها على الإيجاب ، حتى يقوم دليل على الاستحباب . . الثانى : أنها على الاستحباب ، حتى يقوم دليل على الإيجاب ، ويحتمل أن تكون على الإيجاب فى أمور الدين ، وعلى الاستحباب فى أمور الدنيا ؛ ولأنه المرسل إلى الناس كافة ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبأ : ٢٨)

والمعد من ربه ، لتحمل أعباء الرسالة العالمية ، والدين العالمى ، كما قال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

(الفرقان : ١)

وليكون القدوة العملية ، والأسوة الحسنة الواقعية . . فقد صاغ الله تعالى عظمته من هذه القدوة التى توجب الاقتداء ، وذلك بما أودع فيه من روح العظمة . . فعظمة نبينا ﷺ : هى مجموع من القدوة التى خصه الله تعالى بها ، مع الاقتداء من أتباعه المؤمنين بدعوته ، الواثقين برسالته ، فكان مثل النبى - ﷺ - فى عظمته والاقتداء به مع أتباعه المقتفين أثره مثل الأسلاك الكهربية الحاملة للتيار الكهربى ، لكنها متباعدة ، ليس بينها اتصال واجتماع ، حتى وصلت فى أطرافها ، وجمعتها الدعوة المحمدية ، والقدوة العملية على مجمع واحد ، فى نقطة واحدة « بريزة » ثم كان المصطفى - ﷺ - وعمله ودعوته : أشبه بالمفتاح : « الكوبس » وحينما وضع يده على مجمعها ، وضغط على مفتاحها اشتعلت الجزيرة العربية نورا ، شع فى المشارق والمغارب ، إصلاحا وتعميرا ، وعدلا وسلاما ، تلك الموجة العمرانية الإصلاحية التى كهربت

قلب آسيا وأفريقية ، وزلزلت عروش كسرى وقيصر فى فترة وجيزة ، لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، ثم قلبت الأمة العربية قلبة حقيقية ، حتى أصبح كل فرد من أفراد الأمة فى حكمة الفيلسوف ، عقلا وفكرا ، وفى شجاعة القائد ودربته ، وفى بسالة الجندى وتضحيته ، وعاد كل فرد منها فى عزة الملوك ، وفى طهارة الملائكة ، حتى لو ظهر أحدهم فى حياتنا هذه لكفاها بلسما وشفاء .

وكان لمكارم أخلاقه - ﷺ - وعلو همته الأثر البالغ فى نجاح دعوته ، ونشر رسالته ، فقد استطاع بأخلاقه وحكمته ، وحزمه وكياسته أن يؤسس فى زمن قصير ، ومدة وجيزة دولة قوية ، وأمة فتية ، مرهوبة الجانب ، مسموعة الكلمة ، واسعة السلطان ، نافذة الحكم ، موفورة الكرامة ، فتوافد الناس عليه ، وانقادت إليه قلوبهم ، واطمأنت له نفوسهم ؛ لما رأوا من لين جانبه ، وكرم أخلاقه ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة : ١٢٨)

وإن من سرح طرفه فى تاريخ النبى - ﷺ - الحافل بالمكرمات ، الزاخر بالمعالى ليجد أن خفض الجناح ، ورقة الحاشية ، والرحمة الفياضة كانت من أبرز صفات الرسول ، ومن أطيب شمائله ، وكلها طيب وجميل .. ولقد اتسعت رحمته ، وامتدت رحاب نفسه ، وانبسط أفقها ، حتى وسعت الناس جميعا ، وتواضعت وهى النفس الشامخة العالية ، فخالطت الصبيان والأطفال ، تداعبهم ، وتدخل السرور عليهم ، روى أن الحسن بن على - رضى الله عنهما - دخل على جده - ﷺ - فركب ظهره الشريف - وهو ساجد بين يدى ربه - فأبت رحمته أن يشغل الصبى عن لعبته ، وأن يحول بينه وبين لهوه ، فأطال السجود ، حتى قضى الصبى أمره ، ونزل عن ظهره غير معجل ، فسأله بعض الصحابة : تراك قد أطلت سجودك يارسول الله ؟ فقال : « إن ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته[1] وليس فى سجل المودة الإنسانية ، ولا فى تاريخ البر والوفاء أجل ولا أكرم من حنان النبى - ﷺ - على مرضعته السيدة « حليمة السعدية » ومن حفاوته بها ، عندما قدمت عليه ، وقد جاوز الأربعين من عمره ، إنه تلقاها هاشا باشا ، هاتفا بها : أمى .. أمى ، وبسط لها رداءه ، وأجزل لها عطاءه ، وبذل لها كرمه ووفاءه ، فأية عاطفة تتفجر حنانا ، مثل هذه العاطفة ؟ وأى قلب يتبض بالخير مثل هذا القلب النبوى الطاهر ؟ وأية نفس تفيض رحمة مثل هذه النفس الكبيرة التى لم تقتصر رحمتها على معاملة البشر ، بل نراها تتفسح وتمتد ، حتى تبسط رواقها على الحيوانات العجماوات ، فتغمرها وتفيض عليها ؟ ألم يكن رسول الله - ﷺ - يميل الإناء للهرة لتشرب ، ويفتح لها بابه ، حين تطلب عنده مأوى ، ويبسط كفه للشاة ، لتأكل مافيها من الحب والنوى ، فلا يقبضها ، حتى تفرغ الشاة من أكلها ..

(١) رواه النسائى من حديث عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين

كان رسول الله - ﷺ - يصل من قطعه ، ويعطى من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسن إلى جاره ، ويأخذ بناصر الضعيف ، ويغيث الملهوف ، ويقرى الضيف ، ويكرم اليتيم ، ويرحم الفقير والمسكين ، ويجود حيث يبخل الناس ، ويعطى عطاء من لا يخشى الفقر . .

كان دائم البشر ، حسن الخلق ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا عياب ولا مداح ، يجيب دعوة من دعاه ولو كان فقيرا ، ويقبل الهدية ، ويكافىء عليها ، ويطعم منها من حضر ، ويدخر نصيب من غاب ، كان يعود المريض ماشيا ، ولو كان فى أقصى المدينة ، كان يؤثر الزائر بالوسادة التى تحته ، وربما بسط له ثوبه ، كان يطعم القوم ويسقيهم اللبن والماء ، ويأكل سؤرهم ، ويشرب آخرهم ويقول : « ساقى القوم آخرهم شربا »[2] .

هذا جانب من أخلاق رسول الله ، تلك الأخلاق الطيبة المنتقاة والتى صنعها الله بيده ، ومنحها لنبيه ، وأثنى عليه من أجلها ، وسجلها بأحرف من نور فى كتابه المبين ، بقوله جل شأنه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ (القلم : ٤) . .

هذه الأخلاق الكريمة التى نبعت من مشكاتها ، وامتدت فى طول الدنيا وعرضها ، وآمنت الشرائع بها ، وأيقنت العقول بسموها وخلودها ، فأصبحت حياة للأمم ، ومنارا للخلق ، وقبلة تتجه إليها الأنظار وإن من بدهيات الحكمة أن يجعل الله تعالى نبيه وحبيبه محمدا - ﷺ - فى هذه المرتبة العليا من العظمة الأخلاقية ؛ لأن مكارم الأخلاق الإنسانية هى الثمرة للإيمان بالله ، والإيمان بالبعث ، واليوم الآخر ، وهذا مايفسره قول النبى - ﷺ - « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[3] . .

لقد عرف نبينا - ﷺ - بالربانية المؤمنة ، فكان عابدا يقف بين يدى مولاه للصلاة ، حتى تتورم قدماه ، وقد سئل : لم تصنع هذا ؟ وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أكون عبدا شكورا »[4] ولم تكن عبادته عبادة الرهبان ، وإنما عبادة المؤمن القوى ، المتجهز للقاء العدو ، المراقب لحركاته وسكناته ، الباعث عيونه فى كل مكان لاستكناه أمره . .

كان اجتماعيا ؛ شارك الناس فى سرائهم وضرائهم ، وأحبهم وسهر عليهم ، إخوة وأتباعا ، أزواجا وأولادا ، عبيدا وخدما ، فى إيثار ووفاء . .

وعرف بالتواضع ؛ فكان يركب الحمار ، ويردف خلفه ، كان يجلس ، حيث ينتهى به المجلس ، ويأكل مع خادمه ويزوره ، ويتلطف معه فى القول . .

واتسم بالبساطة واليسر فى لقاء الأمور وتوجيهها ، إذا خير بين أمرين اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثما . .

كان يمزح ويتفكر ، ولا يقول إلا حقا « أتت النبى - ﷺ - عجوز ، فقال لها : لن تدخل الجنة عجوز ، فبكت فقال : إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ۝ ﴾

(الواقعة : ٣٥ : ٣٧)

»

---

(٢) مسند الإمام أحمد ٣٥٤/١ ، ٣٨٣ ، ٣٠٣/٥

(٣) رواه مالك فى الموطأ بلاغا عن النبى - ﷺ -

(٤) رواه البخارى . .

كان مثالا للنظافة والتزين والتجمل ، لا يرى إلا فى أكمل مظهر ، ولما سئل عن ذلك ؟ قال : « إن الله يحب من العبد أن يتزين إذا خرج لإخوانه »(*) وعرف بالزعامة فكان مصلحا ، جمع إلى ضبط النفس قوة التأثير ، وكان فعالا أكثر منه قوالا . .

واتسم بالسياسة فكان مثلا للكياسة دون تكبر أو طغيان ، فعقد المعاهدات ، وبعث البعوث والسرايا ، وعرف عنه الكتمان والتورية ، والحيطة فى الحرب ، كان إذا أراد جهة ورّى بأخرى . .

كان رسول الله ـ ﷺ ـ أشجع الناس تتسم مواقفه كلها بالشجاعة الفذة ، والبطولة النادرة ، وكان دائما فى المقدمة ، عن على رضى الله عنه قال : « كنا إذا اشتد البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ـ ﷺ ـ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » . .

وقد تجلت شجاعته ـ ﷺ ـ فى أوضح صورها فى حروبه وغزواته ، فكانت بحق مضرب الأمثال ، وهو الذى لم يتعلم الفنون الحربية ، ولا الهندسة العسكرية فى معهد أو كلية ، وإنما علمه ربه ، لقد كان يعلم من فنون الحرب بالإلهام ، ما لا يعلمه غيره بالدرس والمران ؛ فكان يختار الموقع الذى يمكنه من النصر ، كما عمل بمشورة الحباب بن المنذر فى غزوة بدر الكبرى ، حيث انتقل بجيشه إلى الموقع الاستراتيجى الذى يمكنه من هزيمة أعدائه ، ويتفنن فى وسائل الدفاع ، كما عمل بمشورة « سلمان الفارسى » وحفر خندقا ، حول القطاع المكشوف من المدينة ، وكان يبعث من يتجسس على الأعداء ، ليعرف قوتهم ، ويبعث السرية بالأوامر المغلقة المختومة . .

لقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ رئيس الدولة الإسلامية ، كما كان القائد الأعلى للجيش الإسلامى ، وهو كرئيس دولة كان يكره الحرب ، ويجنح للسلم ، ويؤثر حل مشاكله بالوسائل السياسية ، كما حدث فى صلح الحديبية ، حقنا للدماء ، وتفرغا لنشر الدعوة الإسلامية ، وتركيز قواعدها ، وحتى لا يكون لأعدائه سبيل إلى تشويه دعوته ، وتنفير الناس منها ، فإذا ما استنفد وسائله السياسية لجأ إلى الوسائل العسكرية ، ولم يسعه إلا أن يركب المركب الصعب ، وأن يسلك ذلك الطريق الشائك طريق الجهاد والقتال ، فسلك هذا الطريق مكرها ، وإن كان الخير فيه ، قال الله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة : ٢١٦)

كان رسول الله ـ ﷺ ـ فى معاركه كلها يمتاز بصفات القيادة العليا ، فضلا عما كان يمازجها من الرحمة التى لا تعرفها القيادات العسكرية الأخرى ، تلمس ذلك فى موقفه من الأسرى بعد المعركة ، وبخاصة أسرى بدر ، فلقد كان قلبه ينبض بالعفو والرحمة على من كانوا بالأمس يطاردونه ، وينكرون دعوته الإنسانية الكبرى !!

كان رسول الله ـ ﷺ ـ كقائد أعلى للجيش يرسم الخطط ، دون أن يستبد فيها برأيه ، بل

البقية ص ٤٤٠

(*) رواه ابن عدى فى الكامل .

حديث الفؤاد في مولد خير العباد

للأستاذ الدكتور
مبروك عطية أبو زيد

توغل الليل في الظلام ، ولاح في الأفق البعيد ضوء نجمة غريبة إلا عن المسافرين ، الذين يضربون الأرض بحثا عن المال ، يهتدون بالنجوم ، فتعرف أقدامهم إلى أين المسير ، ولم تهتد قلوبهم إلى الله الواحد ؛ حتى يعرفوا إلى أين المصير ، كل شيء ساكن كالموت إلا صرخة مظلوم ، يعوى ؛ فيقطع صراخه كبد كل حى إلا كبد هؤلاء الكافرين ، سكنت الشياطين البيوت واستراحت ، وأكلت وشربت ، وأمرت بكل شيء إلا بمعروف ، ونهت عن كل شيء إلا عن منكر ، فأى لون للأفق غير لون الغضب ، وأى لون للأرض غير لون الفساد !

وقد أذن الله للفجر أن يطلع ، وللنور أن يسطع ببعثة النبى الحبيب ـ ﷺ ـ.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ ﴾

(الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦)

وأول ما يأخذ بنفوسنا وأفئدتنا ووجداننا إلى تكريم الله ـ عز وعلا ـ لرسوله محمد ـ ﷺ ـ هذا النداء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ هنا في الأحزاب ، وفي أول الطلاق : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ :

وأول التحريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ، وفى سائر القرآن الكريم ، وفى المائدة : ٦٧
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾
فى حين تقرأ فى القرآن الكريم ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ هود : ٧٦ ، وقوله ـ سبحانه ـ :
﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾
وقوله ـ عز من قائل ـ :
﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾ مريم : ٧
و ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ مريم : ١٢ ،
وقول ربنا ـ تعالى : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ ص : ٢٦ . ومن قبل ذلك كله :
﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾
البقرة : ٣٥ . فقوله ـ عز وجل ـ لسيدنا محمد ـ ﷺ ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ بهذا التركيب ، الذى أصبح أسوة وشاهدا فى نداء ما فيه « ال » يتوصل إليه بـ « أى » ، أو اسم الإشارة ، و « أى » أبلغ وأعظم لما تراه هنا فى الذكر الحكيم ، هذا التركيب يفيد التكريم ، تكريم من أرسله الله رحمة للعالمين ـ ﷺ ـ وهو يرد ويدفع ويزجر ويستقبح مَنْ جرى على ألسنتهم اسمه ـ ﷺ ـ مجردا ، فيقولون « جاء محمد ، وبعث محمد ، وكان محمد . . . . » وهذا ـ وربى ـ لا يليق من أمة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ والذى يجعلك تقول باطمئنان إنه تكريم أنك ترى أن الحق ـ تبارك اسمه ـ قد كرم سيدنا محمدا ـ ﷺ ـ بالفعل ، حيث اصطفاه بخاتمة الرسالات ، وأحبه ، وما قلاه ، ورباه وآواه ، وإلى الحق هداه ، وهدى به وله ، واجتباه :

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ ﴾

الضحى : (١ ـ ٨)

وعندما بدا فى أفقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ جفاف أهل الأرض ، ونأيهم عن دعوة الحق ، وقبض من كان له من أهله نصيرا دعاه الحق ـ جل وعلا ـ إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ،

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾

(النجم : ١ ـ ٤)

إلى مالا يحصى من صنوف التكريم ، فإذا ثبت التكريم بالفعل ثبت التكريم باللفظ ، لأنك قد تقول للرجل : « يا أيها الرجل » فيحتمل التكريم والاستهجان ، والفعل يصدق أحدهما ، أو يكذبه ، ألا ترى إلى قول ربنا :

﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾

(الدخان : ٤٨ ، ٤٩)

فقد قال الكافر : ما بين جبليها أعز منى ولا أكرم ، فلما كان هذا مصيره ، أيظن أنه اعتراف بعزته وكرمه ! أم أن ذلك احتقار له ؟ فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

● ثم تأمل قوله ـ عز وعلا ـ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ وما تشتمل عليه هذه الجملة المضيئة من إيحاءات يظلها اللفظ العربى المبين ، حيث التأكيد الذى يزيل الشك ، ووسيلته « إن » ثم تقف مليا عند « نا » الفاعلين ، التى هى اسم إن على مايقول أهل الإعراب ، مع أن الذى أرسله هو الله وحده ، لا شريك له ، ومع أن ذلك يفيد تعظيم الذات الإلهية ـ والله أهل لذلك التعظيم ـ تفيد قوة هذه الرسالة ، وأن الله حاميها ، وناصرها ،



وقد استقرأت القرآن الكريم فلاحظت تكرار ذلك في مواضع كثيرة ، منها :

قوله - سبحانه - :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾

(النساء : ١٠٥)

وقوله - عز وعلا - :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾

(النساء : ١٦٣)

وقوله - عز وجل - :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة : ٤٨)

وقوله - تبارك اسمه - :

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ ﴾ (الحجر : ٩٥)

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى تشعرنا بحفظ هذا الدين من لدن قوة القوى .

وقوله - تعالى - : ﴿ أرسلناك ﴾ شهادة من الله - عز وجل - لرسوله - ﷺ - بالنبوة والرسالة ، وقد جاء ذلك صريحا فى قول الحق سبحانه - :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ ﴾ (الفتح : ٢٨)

وشهادة الله - تبارك اسمه - لسيدنا محمد - ﷺ - بالرسالة تؤكد أن مَنْ آمن وعمل صالحا فلنفسه ، ومن كفر وأساء فعليها ، فإذا يفيد قوله - سبحانه - : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ إلا أن الله غنى عن العالمين !

وقوله - تعالى - : ﴿ شَاهِدًا ﴾ فى ظلالها أمران أمام من يتأمل النص بفكر هذا الدين الحنيف :

الأول : ثبوت أن سيدنا محمدا - ﷺ - شاهد علينا ، بأنه دعانا إلى عبادة الله ، وأن رسالته خاتمة ، وأن هذه الرسالة ليس فيها تفريط ، أمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر .

والثانى : أنه - ﷺ - ليس شاهدا قاسيا ، يشهد علينا من أجل عذابنا ، وإنما هو شاهد رحيم ، بكت عيناه عندما قرىء عليه من سورة النساء قول ربنا :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝ ﴾

(النساء الآية : ٤١)

روى البخارى فى صحيحه كتاب تفسير القرآن ، سورة النساء من حديث عمرو بن مرة قال : قال لى النبى - ﷺ - : « اقرأ على » ، قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « فإنى أحب أن أسمعه من غيرى » ، فقرأت عليه سورة النساء ، حتى بلغت ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال : « أمسك » ، فإذا عيناه تذرفان وما ذرفت عيناه - فدا دمعه وعينيه نفسى - إلا من رحمته بأمته - ﷺ - وما أودع الرحمة فى قلبه إلا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما - سبحانه وتعالى الذى جعل الرحمة مائة جزء ، فأنزل من المائة جزءا واحداً فى الأرض ، كما جاء فى الصحيح ، ومن ثم كان قوله - تعالى - : ﴿ ومبشرا ﴾ مقدما على قوله - : ﴿ ونذيرا ﴾ فالشاهد - ﷺ - مبشر قبل أن يكون نذيراً ، وهذا ما يتفق مع المشهور من أن رحمة الله - تعالى - سبقت غضبه ، وإذا كان الحبيب المصطفى - ﷺ - يبشر المؤمنين ، وينذر الكافرين فهذا يفيد أن المؤمنين مقدمون على الكافرين بلا شك ، وينبغى أن يكون المؤمنون مقدمين على الكافرين فى الدنيا بالعلم والنهضة والخلق ؛ لأنهم

البقية ص ٤٢١



للأستاذ : ثروت السيد العراقى

كلما حل شهر ربيع الأول : شهر مولد المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمت الفرحة فى قلوب المسلمين ، وارتسمت البسمة على شفاههم ، كيف لا وميلاده كان إنقاذا للبشرية جمعاء من التيه والضياع والجهل والتخلف وإرشادا لها إلى طريق النور . ولا تسل عن النور فى حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى دعوته فهو بفضل الله غامر وافر أنى التمسته وجدته[1] .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥ ، ١٦)

بصيص من هذا النور لو أبصرناه ، وأبصرنا على شجاعة حقيقية هذا الدليل ، فوعيناها ثم لم نقف عند حدود الوعى والفهم ، وإنما عملنا ونفذنا ، لأضاءت دنيانا من حولنا ، ولتغير من واقعنا الكثير ، وما أسعدنا حينئذ بل ما أسعد الأرض وأهل الأرض بنا .

ويجول فى الخاطر سؤال : أى جانب من حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولى بالدراسة والاقتداء ، وأية مرحلة من مراحلها أحرى بالتأمل والاتباع ، ولا يحتاج الجواب إلى كبير جهد ، فلو استعرضنا حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرأينا على المدى صورا تتحرى كل صورة . أغنى من أختها عطاء ودفعا .

ومن غير تكلف نقف قليلا نتأمل المرحلة الأولى من حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد البعثة ، وهذا ما يقتضيه التسلسل التاريخى ، إذ لا حاجة

بنا أن نقفز قفزات بعيدة بحثا عن لقطة منتقاة، فذلك أمر قد يبدو ملحا في حق غيره - صلى الله عليه وسلم - فماذا نرى عندما نتأمل؟ نرى رجلا واحدا قد استقام على مهيع الحق في جانب والبشرية كلها توزعتها سبل الضلال، ومزقتها شيعا وأحزابا في جانب آخر. وإنه لشاق على النفس أن يكون المرء على أمر لا يعينه عليه أحد، فكيف إذا كان ينكره ولا يرضاه أحد. ومع ذلك سار عليه وآله الصلاة والسلام. على الطريق الذي اختاره الله - تعالى - له لا يضعف من ثقته، ولا يفلل من عزيمته أنه يسير وحده ليس له من الخلق مؤنس ولا نصير. هل اكتملت الصورة؟ لا. فلم يلبث - صلى الله عليه وسلم - قليلا حتى جاءه الخطاب الإلهي طالبا منه أن ينذر عشيرته الأقربين، وتثقل المهمة بسرعة، فلم تمض سوى مدة يسيرة حتى اتسعت دائرة التكليف اتساعا شمل البشرية بأكملها، وأصبحت مهمته - صلى الله عليه وسلم - أن يواجه القطيع الشارد كله، وأن يلمه من السبل الكثيرة، المتفرقة ليضعه على جادة الطريق.

فلا يكون ثم إلا سبيل واحد هو سبيل الله عز وجل.

ولو أسعف المرء خياله فاستحضر أمامه هذا المشهد، لأحس بما تنطوي عليه نفس الرسول الشريفة من علو همة، وشامخ ثقة وإيمان ويقين. رجل واحد على هذه الأرض يخالف أهل الأرض جميعا، في فكرهم وسلوكهم، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل عليه ألا يدعهم، وأن ينقلهم من الظلمات إلى النور. بعبارة موجزة عليه أن يغير واقع العالم تغييرا جذريا، وقد فعل. فكيف حدث ذلك؟ وكيف استطاع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يغير واقع العالم تغييرا جذريا؟ من السهل أن نرجع ذلك كله إلى تأييد الله - تعالى - متناسين عن كل اعتبار آخر مغمضين أعيننا عن خدمة الأسباب الكبيرة التي تجمعت سببا بعد سبب بمقادير وأزمان ما يخطىء سبب وقته ولا مقداره.

بيد أننا لو فعلنا ذلك فأغمضنا وتغاضينا نكون قد أسأنا إساءة بالغة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

أما الثانية فإننا نكون قد طمسنا حقيقة من أنصع الحقائق، وسنة إلهية لا أرى من يجهلها قادرا على نصر هذا الدين.

ولعلك تحسست ماذا أريد؟؟ إنها سنة الأخذ بالأسباب بسنة بذل الجهد، والعمل على بصيرة، والتي تضمن التأييد من الله في كل لحظة وآن.

أما التأييد بلا عمل فليس هو السنة الجارية، وهيهات أن يمد الله بمدده، وأن يرعى بتأييده، وأن يمنح نصره للمتواكلين والكسالى من عباده، وما ينبغي لدين الله أن يكون تكئة لعشاق الاسترخاء، وهواة الدعة والخمول، هذه سنة إلهية نافذة في أمر الدين، وفي أمر الدنيا على السواء، يسمعها القلب، ويبصرها الوجدان في حنايا هذه المقاطع من كتاب الله الخالد

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

(التوبة - ١٠٥)

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(الأنفال - ٦٠)

والآيات في هذا المعنى كثيرة يكاد بعضها يزحم بعضا في ذاكرة من يعرفها، أما الأحاديث الشريفة ذات الصلة بتلك السنة الإلهية فهي لا تقل عن

الآيات الكريمة عددا ، ومع وضوح القصد ، ونصاعة التعبير ، « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[1] .

« ياعباد الله تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء غير داء واحد الهرم »[2] .

لابد من الأسباب التى قضت حكمة الله ـ تعالى ـ بجعلها طريقا مؤدية ، إلى الأهداف ، بكل ما تحمله كلمة الأسباب من معنى ، وإن كانت الأسباب فى حقيقة الأمر عاجزة عن تقرير المصير ، أو المساهمة فى أى تأثير ، إذ التأثير لله سبحانه .

وحرى بمن استسلم لمنطق العجز والكسل أن يدسه اليأس فى كهوف غائرة لا يدرك لها قرارا ، فلا يفيد ولا يستفيد ، هؤلاء بالأموات أشبه منهم بالأحياء ، هذا الصنف من خلق الله الداخلين فى تعداد المسلمين غثاء لا ينتهض لمكرمة ولا يؤمل لنفع ، هذا إن لم يضر الإسلام بخوره وروح التخاذل التى يستحيها كما يضره أعداؤه ومحاربوه .

إن ازدياد الفساد لا يستدعى تقليل العمل ، ولا يواجه بالانزواء والانطواء ، وإنما يقابل بمضاعفة الجهد وتكثيف النشاط فالمعادلة طردية لا عكسية كلما أرغى الفساد وأزبد ، وارتفع عدد ضحاياه ، وجب على أهل الحق إعلان النفير ، وزيادة ساعات العمل ، ولو واصلوا الليل بالنهار تعبا ونصبا من غير كلل ولا ملل ، فلا تبقى لله عليهم تبعة بعد ذلك ، أفلحوا فى بغيتهم أو لم يفلحوا .

ولك أن تقدر ما يكون عليه حال الدنيا لو أن كثيرا من المسلمين الفاهمين لدينهم ، فهموا هذا النهج ، وساروا على هذا الطريق ، متأسين فى ذلك لصاحب هذه الذكرى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

إنه ليس من حق المسلمين أن يستغربوا شرود الناس عن الإسلام اليوم . فلا بالكلام أجدنا عرض هذا الدين ، ولا بالفعال فماذا نرجو؟ ولا وحى بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتنزل على الناس .

إن كل ما سيقال لتسويغ القعود مردود على قائليه ، فإن قيل مثلا : إن الدعوة تحتاج إلى المال ، قلنا : فى أموال المسلمين ما يكفى ويزيد ، وإن قيل إن خصومنا منظمون تربطهم روابط ، قلنا : نحن أولى بهذا منهم ، وما هو بالأمر المعجز لكننا من غير إكراه نحارب من يجمعنا .

أفلا يعلم المسلمون أنه لم ينته دور الإسلام فى الحياة ، وأن مده آت بعد جزره ، ومن عجيب أمر هذه الأمة أنها تنبعث فجأة انبعاثا يذهل الدنيا ، بعد أن يكون الناس جميعا قد حسبوا أنها ماتت من غير ما رجعة ، وذهبت فلن تعود !!

لقد بشرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بفتح الشام ، والعراق ، وفارس ، والقسطنطينية .. وقد فتحت،فبشارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق وثمة بلاد أخرى شملتها البشارة ، لكنها لم تفتح بعد ، فلابد أن يتحقق فيها موعود رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تعجب إذا علمت أن من هذه البلاد روما .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) أخرجه الترمذى ، كتاب الطب ، باب ما جاء فى الدواء والحث عليه رقم (٢٠٣٨) وقال حسن صحيح .

قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(الصف - ٩)

أخرج أحمد ، والطبراني ، عن تميم الداري - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز ، وبذل ذليل ، عز يعز به الإسلام وأهله ، وذل يذل الله به الكفر » .

اذكروا أيها الإخوة : أن الإسلام تناوشته محن سوداء ، فأحال سوادها ببياضها ، ودهمته شعوب بخطوب ماحقة ، لكنه محقها ، وخرج كالسيف قد سل من غمده .

ومازال أمامنا متسع بإذن الله ، والخير في هذه الأمة لا ينقطع . لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم[٣] ولنصغ إلى هذا الأداء الرائع من جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - « أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره »[٤] .

صدقت يارسول الله ، وكل ما كتبناه بعض ما علمتنا ، وبعض ما تلقيه الذكرى من عبر ، وما تفيض به من روح وثاب ، ونحن نرى أن الأرض مازالت قابلة للزرع لكننا لم نحمل المحراث ، ولم نلق البذور ، وأن الينابيع تكاد تنفجر ، ولا تحتاج إلا إلى ضربة معول ينبجس بعدها الماء النمير . وصدق من قال :

مازال قيس والغرام كعهده
وربوع ليلى في ربيع جمالها
وبلاد نجد في مراعيها المها
وظباؤها الخفرات ملء جبالها
والعشق فياض وأمة أحمد
يتحفز التاريخ لاستقبالها

أسانيد المقال :

١ - فقه السيرة .
٢ - حياة الصحابة .
٣ - مجلة منار الإسلام الإماراتية - العدد الثالث للسنة الثامنة .
٤ - المجلة العربية السعودية عدد ٨١١ .

---

(٣) رواه البخاري

(٤) ذكره أبو داود الطيالسي ، وأبو عيسى الترمذي .

الجمال

وصف لخَلق وخُلق الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ : محمد عبد العظيم الجوهري

سُئلت السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن أخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلقه القرآن ، وقال هو عن نفسه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ، وشهد له الله - تعالى - فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤ القلم) ثم لخص - صلوات الله وسلامه عليه - سبب بعثته فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

تعالوا بنا بعد ذلك .. نستعرض كيف كانت أخلاق الرسول القرآنية وكيف أدبه ربه فأحسن تأديبه حتى استحق بذلك شهادة الله له بالخلق العظيم .. فأتم بذلك مكارم الأخلاق ، وذلك من خلال كلمة « الجمال » فى القرآن الكريم . فكما أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يتصف بجمال الخلْق ، كان يتصف - أيضاً - بجمال الخُلُق .

١ - قال تعالى فى سورة المعارج :

﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ (المعارج : ٥) .

فالصبر الجميل هو الصبر المطمئن الذى لا يصاحبه السخط ولا القلق ولا الشك فى صدق الوعد ، صبر الواثق من العاقبة . الراضى بقدر الله ، الراضى بحكمته من وراء الابتلاء . وهذا اللون من الصبر هو الجدير بصاحب دعوة الحق .. فهى دعوة الله ، وهى دعوة إلى الله .

٢ - وقال تعالى فى سورة المزمل :

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾

(المزمل : ١٠) .

فالهجر الجميل الذى يسبقه الصبر ويلزمه .. لا عتاب معه ولا غضب ، أى : كن رفيقاً بهم ، متودداً إليهم ، ولا يحملنك ما يرمونك به عن سفاهة أو جهل على الدعاء عليهم ، بل ارفق بهم والتمس العذر لهم ، فهذا هو شأن العالم مع الجاهل والطبيب مع المريض . لذلك كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو لقومه ويقول : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .. وكان هجره لهم فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وفى شعب أبى طالب ، ثم إلى المدينة المنورة .. كان هجراً جميلاً اتباعاً لأمر الله - تعالى - له فى هذه الآية .

٣ - وقال - تعالى - فى سورة الحجر :

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾

(الآية : ٨٥)

فالصفح الجميل الذى لا ضغينة فيه ولا حقد ، ولا إضمار سوء للمصفوح عنه .

ولقد نزلت هذه السورة المكية فى عام الحزن الذى ماتت فيه السيدة خديجة - رضى الله عنها - وعمه أبو طالب ، وفقد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأنيس والنصير ، فاشتد إيذاء المشركين فسرى عنه الله - تعالى - برحلة الإسراء والمعراج ، وتزول بعض السور مثل سورة يوسف ، وهذه السورة التى تشتمل على قصص الأنبياء من قبله وما لا قوه من إيذاء من أقوامهم مع شىء من التفصيل لقصة لوط - عليه السلام - مع قومه ، فمهما فعلت قريش فلم تفعل معه مثلما فعل قوم لوط مع نبيهم فانتهكوا الحرمات وخالفوا الناموس ، وجاءوا لينتهكوا حرمة بيته وضيوفه :

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ۝ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾

(الحجر ٦٨ ، ٦٩)

وكان هؤلاء الضيوف من الملائكة فى هيئة الإنسان .. جاءوا بالبشرى للوط - عليه السلام - ومن آمن معه ، وبالهلاك لمن عاندوه وآذوه .

واتباعاً لهذا التوجيه الإلهى .. عندما جاء ملك الجبال للرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو لا يزال فى مكة وقال له : « لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين » .. أى جبلا مكة فما كان من الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا أن قال له : « لا .. لعل الله يُخرج من أصلابهم من يشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » .. وقد كان فعلاً ما تمناه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخرج من أصلابهم من جاهدوا فى سبيل الله لكى تكون كلمة الله هى العليا ، ففتحوا البلاد ونشروا نور التوحيد الذى بدد ظلمات الشرك والكفر فى أرجاء الأرض ، وكان قمة الصفح الجميل عندما فُتحت مكة فى العام الثامن من الهجرة وقال لأهلها : « ماذا تظنون أنى فاعل بكم »؟ قالوا : خيراً .. أخ كريم وابن أخ كريم .. فقالها مدوية وحفظها له التاريخ فى موقف لا نظير له : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

٤ - وقال تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾

(الآية ٢٨)

والسراح الجميل .. هو مفارقة الزوج لزوجته بالحسنى إذا استحالت المودة والرحمة بينهما . وهذا الأمر عرضه الرسول - صلى الله عليه وسلم - على



أزواجه عندما تغلب عليهن طبع النسوة وطالبنه بزيادة النفقة ورغد العيش ، فأنزل الله عليه هذه الآية .. والآية التي بعدها :

﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(الآية ٢٩)

وانتهى الأمر بأزواجه أمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهن ـ أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فكنَّ من المحسنات اللاتي أعد الله لهن أجراً عظيماً في الآخرة .. وهكذا ينبغي أن يكون اختيار الزوجة الصالحة .

ولا عجب أن يكون الجمال في كل خُلقٍ أدَّبَ اللهُ ـ تعالى ـ به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي كل أمر أمره به ، فإن كان المأمور .. جميل الخَلق والخُلق ، فإن الآمر « جميل يحب الجمال » كما جاء في الحديث المشهور الذي رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

والعبرة التي ينبغي أن يلتفت إليها كل مسلم يتأسى بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الجمال أمر مقصود في الخَلق والخُلق .. وهو من مطلوبات الدين .. وكل جميل هو من الدين ، وكل قبيح ليس من الدين .

وتعالوا بنا نقرأ آيات بينات من سورة النحل تلفت نظرنا إلى الجمال ، وتؤكد لنا أن الجمال قيمة من قيم الدين ، وليس ـ فقط ـ مبحثاً من مباحث الفلسفة .

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾

(النحل : ٥ ، ٦) .

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل : ٨) .

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾

(النحل : ١٣) .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل : ١٤) .

فالأنعام فيها جمال ، والخيل والبغال والحمير زينة .. والزينة جمال ، واختلاف ألوان ما يخرج من الأرض وما ينتشر فيها .. واختلاف الألوان جمال ، واستخراج الحلية من البحر ولبسها .. شكل من أشكال الجمال .

وبذلك تكتمل صور الجمال في الدين :

- فالله جميل يحب الجمال .
- والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميل الخَلق وجميل الخُلق .
- والجمال .. أمر مقصود من صنع الله ومن خلق الله .

والأمر الله به هو الجمال ، وما نهى إلا عن كل قبيح .

فتعالوا بنا ننشد الجمال ، وننبذ القبح .



للأستاذ الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

المجموعة الثالثة :

أدلة واقعية ، وهي كثيرة ، وكلها تشهد لعالمية الإسلام وأنه دين الإنسانية كلها . . وسنحاول أن نشير إلى الحقائق الواقعية التالية :

أولا : كان من السابقين إلى الإسلام أبو بكر العربي ، وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي .

وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ كان من رؤساء قريش في الجاهلية محبباً فيهم ، مألفاً لهم وكان إليه الأشناق[1] في الجاهلية ، كان إذا حمل شيئاً صدقته قريش وأمضوا حمالته ، وحمالة من قام معه ، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه .

فلما جاء الإسلام سبق إليه ، وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له ، وميلهم إليه[2] .

وأما بلال بن رباح : فقد اشتراه أبو بكر رضي الله عنه ـ وأعتقه لله ـ عز وجل ـ وكان عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول : أبوبكر سيدنا ، وأعتق سيدنا ، يعني بلالاً .

وقال مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وبلال ، وسمية أم عمار[3] .

وأما سلمان الفارسي : فأصله من فارس ، وكان ببلاد فارس مجوسياً ، سادن النار[4] ، فجاء إلى العرب في قصة طويلة وأسلم .

وأما صهيب الرومي : فكان أبوه وعمه عاملين

(١) الأشناق : هي الديات . ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ٣ ، ص : ٣١٠ .

(٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ٣ ، ص : ٣١٠ .

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ٥ ، ص : ٤٨١ .

(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ٢ ، ص : ٤١٧ .

لكسرى على الأبلة(*) ، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل .

ويقال : إن صهيباً لما كبر وعقل هرب وقدم مكة ، فحالف ابن جدعان وأقام معه ، ولما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسلم ، وكان من السابقين إلى الإسلام .

قال الواقدى : أسلم صهيب وعمار فى يوم واحد ، وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلاً(٦) .

فماذا يعنى دخول الرومى ، والأفريقى ، والفارسى ، والعربى فى الإسلام ؟ يعنى ويكل تأكيد : أن الإسلام جاء للإنسانية كلها .

ثانياً : ومن الحقائق الرائعة فى التعامل الإسلامى الدال على عالمية الإسلام : « أنه نادى كل الناس » فكانت العقيدة المذهبية التى وضعها للإسلام ، والمبدأ العام الذى يجب أن تسير عليه البشرية فى تطورها ، لتصل إلى غايته هو المعبر عنه فى قول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

الحجرات : آية ١٣ (٧)

والآية الكريمة - كما نرى - : خاطبت الناس ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أى : البشر جميعاً ، وتكرر استعمال هذه الكلمة الدالة على الجنس البشرى ، نحواً من أربعين ومائة مرة ، كثير منها ورد خطاباً للبشر عموماً كهذه الآية السابقة ، وكقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
(البقرة : آية ٢١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾
(البقرة : آية ١٦٨) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾
يونس : الآية ٢٣) .

وجاءت كلمة الناس فى معرض الحض على تقديم الخير للناس فى كثير من الآيات :

قال تعالى :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة : ٨٣)

﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١٣٤)

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ (الشعراء : ١٨٣)

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (النساء : ١١٤)

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾
(النساء : ٥٨)

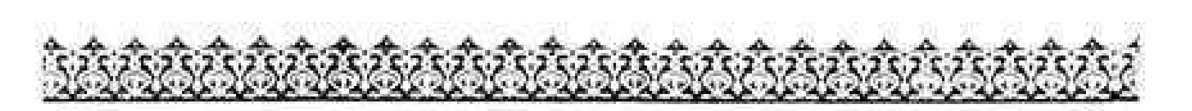
﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾
(البقرة : ١٦٤ ويونس : ١٩٠)

وكلمة الناس استعملت فى القرآن الكريم ،

(*) هى بلدة على شاطىء دجلة ، على بعد أربعة فراسخ من البصرة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة ، وهى أقدم من البصرة كان سكانها قوما من الفرس ، يعملون فى البحر ، فلما قرب منهم العرب تقلوا ما خف من متاعهم وعيالهم إلى مدينة سيدان ، وهى فى قول ابن سيرين : القرية التى مر بها موسى والخضر - عليهما السلام - فاستطعما أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما ، وقد نسب إلى الأبلة جماعة من أهل العلم ، منهم : سيبان بن فروخ الأبلى ، وحفص بن عمر بن إسماعيل الأبلى وغيرهما . ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٠ .
ياقوت الحموى ، معجم البلدان جـ ١ ، ص : ٧٦ - ٧٨
محمد بن عبدالمنعم الحميرى ، الروض المعطار ص : ٨ - ٩ .

(٦) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص : ٣٦ - ٣٩ .

(٧) وانظر : محمد المبارك ، الحج والتوعية الإسلامية ، ص ٩٦ ، ضمن كتاب (استراتيجية العالم الإسلامى) ط : وزارة الحج والأوقاف ، مكة المكرمة ، سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .



بمعنى : الجنس البشرى عموماً ، لا بمعنى المسلمين العرب ، أو العرب ، بدليل قوله تعالى في الآيات الآتية مما لا يمكن حمله إلا على الناس عموماً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾
(البقرة : ٢٤٣ وغافر : ٦١)

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾
(البقرة : ١٨٩)

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾
(آل عمران : ١٤٠)

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ (آل عمران : ١٤)

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾
(الأعراف : ١٥٨)

إن استعمال هذه الألفاظ : (الناس) و(الإنسان) يرسخ معنى الإنسانية العام ، ووحدة الجنس البشرى ، ذلك أن القرآن الكريم ، لا يخاطب قومية معينة ، ولا شعبا معيناً ، بل يخاطب الإنسان بوجه عام[٨] .

فالإسلام ـ كما يفهم من النصوص القرآنية ـ جاء ليقيم رابطة الإنسانية القائمة على ارتباط البشر جميعاً بالله الخالق ، فهم جميعاً عباد الله لا ليجعل شعباً معيناً شعبه المختار .

والرسول الذى أمر بتبليغ الإسلام ، خوطب فى القرآن الكريم على هذا الأساس :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾
(الأعراف : ١٥٨)

ولم يرسل ليكون هادياً إلى قومه وحدهم ، كما أرسل موسى هدى لبنى إسرائيل ، وكما أرسل عيسى ـ عليه السلام ـ إلى خراف بنى إسرائيل الضالة[٩] ، إنما أرسل ليكون للناس أجمعين .

ثالثاً : ومن الحقائق الدالة على عالمية الإسلام : الكتب والرسائل التى بعث بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ملوك الأمم ، يدعوهم فيها إلى الإسلام .

يقول ابن هشام : بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسلاً من أصحابه كتب معهم كتباً إلى الملوك ، يدعوهم فيها إلى الإسلام .

ـ فبعث دحية بن خليفة الكلبى ، إلى قيصر ملك الروم .

ـ وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك الفرس .

ـ وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة .

ـ وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية .

وأشار ابن هشام ، فى سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى كتبه ... الأخرى إلى ملوك عمان ، واليمامة ، والبحرين ، وتخوم الشام[١٠] .

ومن أمثلة هذه الكتب : ما أرسله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى النجاشى ، إذ قال له : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد ـ رسول الله ـ إلى النجاشى ملك الحبشة . . أسلم أنت ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، الملك القدوس ، السلام المؤمن ، المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم

---

(٨) محمد المبارك ، الحج والتوعية الإسلامية ، ص : ٩٧ ، ضمن كتاب : (استراتيجية العالم الإسلامى) .

(٩) المصدر السابق ، ص : ٩٩ .

(١٠) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص : ٢١٧ ، باختصار شديد .



البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، خلقه الله من روحه ونفسه ، كما خلق آدم بيده ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ، فإنى رسول الله ، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله ـ عز وجل ـ فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتى ، والسلام على من اتبع الهدى »(١١) .

وفى هذه الرسالة دعوة ملك الحبشة إلى الإيمان بالإسلام ، والدخول فيه ، وكذلك الرسائل الأخرى ، توجهت بالدعوة إلى دين الإسلام ، فى رسالة هرقل ـ عظيم الروم ـ قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فإنى أدعوك بدعوة الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين »(١٢) . وفى الرسالة المبعوثة إلى كسرى ـ ملك الفرس ـ « أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس »(١٣) ، وكذلك تضمنت الرسالة المرسلة إلى المقوقس عظيم مصر : « فإنى أدعوك للإسلام ، فأسلم تسلم ، وإن يسلم قومك يؤتك الله أجرك مرتين »(١٤) .

فكتب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تؤكد الدعوة الإسلامية ، التى جاءت للناس أجمعين .

والباحث فى عالمية الدين الإسلامى : يجد أن هذه العالمية نطقت بها آيات القرآن الكريم ، وجاءت بها السنة النبوية ، وأكدها واقع الدعوة الإسلامية من سرايا ، وغزوات ، وفتوح ، واستقبال للوفود ، وكتب للملوك فى العالم .

والأدلة على عالمية الإسلام أكثر من أن تذكر ، وتتجلى فى الإسلام وأحكامه وتشريعه وأخلاقه ، وفضائله ، وكل ومضة من ومضاته ، وإشراقة من إشراقاته .

كان من السمات البارزة للدين الإسلامى : أنه جاء لكل الناس ، وقد أكد ذلك الواقع الذى عاشته الدعوة الإسلامية فى بدايتها ومسيرتها فى الحياة ، فأثبتت الدعوة إلى الإسلام : أن الإسلام للناس أجمعين ، ومن ثم كانت العالمية سمة بارزة من سمات الإسلام .

ولا يخفى أن بيان عالمية الإسلام يقتضى : أن نتعرف على الاستمرارية ، لأنها عامل من العوامل الذاتية ، التى دفعت الناس إلى التعرف على هذا الدين ، والدخول فيه .

والاستمرارية تفيد خلود الإسلام ، واستمرار بقائه ، وامتداد رسالته ، مادامت البشرية تواصل حياتها على هذا الكوكب ، وقد شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون هذا الدين الذى يلازم البشرية فى مسيرتها ، ويستوعب مظاهر التجدد والنمو فى حياتها ، هو دين الإسلام ، لأنه الدين المؤهل لإنارة الطريق أمام الإنسان وقيادته نحو الخير والصلاح .

والآية الكريمة التى عدت الدين عند الله الإسلام :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران : ١٩)

فالإسلام مر بمراحل كبيرة ، عبر أنبياء الله ورسله ، إلى أن انتهى إلى المرحلة التكاملية فى

---

(١١) على الأحمدى ، مكاتيب الرسول ، ص ١٢١ ، الزيلعى ، نصب الراية لأحاديث الهداية ، جـ ٤ ، ص : ٤٢١ .

(١٢) رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الوحى ، جـ ١ ، ص : ٣٢ ، وفى كتاب الجهاد ، جـ ٦ ، ص : ١٠٩ .

(١٣) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الجهاد ، باب دعوة اليهود والنصارى ، وعلى ما يقاتلون عليه ، وما كتب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى كسرى والقيصر ، والدعوة قبل القتال ، جـ ٦ ، ص : ١٠٨ .

(١٤) رواه الزيلعى ، فى نصب الراية ، جـ ٤ ، ص : ٤٢١ .

رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى جاءت إلى الإنسانية كلها [١٥] .

فالإسلام يشتمل على امتداد زمانى فى المعتقد الدينى ، يعرض لقضية البشرية من نشأتها إلى غايتها .

ويشتمل على شمول موضوعى يغطى مجالات الحياة جميعاً ، ويشتمل ـ أيضاً ـ على شمول يضم الأديان كلها ، ويدعوها إلى تصحيح معتقداتها والانخراط فى سلك الذين أسلموا لله .

وهذا الطابع الشمولى هو الذى جعل من الإسلام الصيغة الوحيدة الباقية المستمرة أبد الدهر [١٦] .

ولقد كان الإسلام فى صورته التى بلغها محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الدين الذى ارتضاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ ديناً أبديا . وكما أن كل شىء مرده فى النهاية إلى إرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ واختياره ، فيجب أن نعلم أن اختيار الله لهذا الدين ، واصطفاءه لرسوله قد كان بالحق .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾

(الصف : ٩)

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (المائدة : ٤٨)

يظهر ذلك فى طابع هذه الرسالة وخصائصها التى تتعلق فى جملتها وتفصيلها بأنها خاتمة الرسالات ، وأنها لذلك أبدية ، لا تنسخها شريعة أخرى إلى قيام الساعة [١٧] .

ولذلك كانت تعاليم رسالة الإسلام ، لا تغيب عن الناس ، ولن تغيب وسوف تبقى ثابتة وكل الشواهد تدل على ذلك :

فهى أولاً : مجموعة من الحقائق فى العقيدة ، والشريعة والأخلاق والحقائق لا تتغير مهما تغير المكان ، أو تغير الزمان ، وما هو ثابت فى نفسه ، يستوى فى ضرورة العلم به أن يكون عند بدء الخلق وعند قيام الساعة .

وهى ثانياً : مسجلة فى القرآن الكريم ، الذى نقله جبريل ـ عليه السلام ـ عن الله بأمانة تامة ، ونقله كذلك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن جبريل ، ونقله الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من رسولهم ، ثم تتابعت الجماهير الغفيرة تنقله عبر القرون ، حتى بلغت به إلينا ، مثلما نزل قبل أربعة عشر قرناً وسنورثه نحن ـ بإذن الله تعالى ـ غيرنا ، وهكذا إلى يوم القيامة .

وهى ثالثاً : واقعية ، بمعنى أنها تعايش الإنسان ، وتقدم له الحلول العلمية لمعاشه ومعاده ، وتحيط به فى النواحى التى يتجه إليها ، وبذلك تحقق لدى الناس تذكراً دائماً [١٨] .

واستمرارية الإسلام تشهد لها آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾

(الأحزاب : ٤٠)

يقول ابن كثير : « فهذه الآية نص فى أنه

(١٥) د . أحمد السايح . أضواء على الحضارة الإسلامية . ص : ١٤٥ .

(١٦) المصدر السابق ، ص : ١٤٤ ، ١٤٦ .

(١٧) د . عبد الفتاح بركة . الرسول الكريم خاتم النبيين . ص : ٤٣ .

(١٨) د . أحمد غلوش . الدعوة الإسلامية . ص : ٢٠٨ .

لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده ، فلا رسول بطريق الأولى والأحرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس »[19] .

ثم إنه ـ سبحانه وتعالى ـ أكد ذلك بقوله (وخاتم النبيين) أي : هو آخر نبي بعثناه في العالم ، ولن يأتي بعده نبي ، فضلاً عن أن يأتي رسول .[20]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩)

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنياناً ، فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا هذه اللبنة ، وأنا خاتم النبيين »[21] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون »[22] .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدي ، ولا نبي ، قال : فشق ذلك على الناس . قال : قال : ولكن المبشرات » .

قالوا يا رسول الله : وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا الرجل المسلم ، وهي جزء من أجزاء النبوة »[23] .

والإمام ابن كثير ـ بعد أن أورد كثيراً من الأحاديث النبوية التي جاءت في ختم النبوة ـ يقول : « والأحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة الله بالعباد : إرسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم ، ثم من تشريفه له ، ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له ، وقد أخبر ـ تعالى ـ في كتابه ، ورسله في السنة المتواترة عنه : إنه لا نبي بعده »[24] .

ولقد نجد معنى هذا الختم يتغلغل في كل نواحي الرسالة الإسلامية ، حتى أنه لا يستقيم فهمها إلا في ضوء هذا المعنى . وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثرة كاثرة ، من التصريحات والتنبيهات والإشارات تؤكد أن الإسلام خاتم الأديان السماوية ، وأن محمداً رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين والمرسلين[25] .

ومن هنا كانت تعاليم الإسلام لن تقصر عن البشر ، مهما وصل مستواه ، لأن تعاليم الإسلام اتجهت لسائر الدعوات السابقة وصدقتها ، وكملت بما يناسب الرقي الإنساني .

---

(١٩) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٦ ، ص : ٤٢٣ .
(٢٠) أبو الأعلى المودودي ، ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة ، ص : ٦ ، ترجمة خليل أحمد الحامدي ، طبع ونشر : مكتبة الرشد ، بالرياض ، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ .
(٢١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين ، جـ ٤ ، ص : ١٧٩١ .
(٢٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، جـ ١ ، ص : ٣٧١ .
(٢٣) رواه أحمد في مسنده ، جـ ٣ ، ص : ٢٦٧ ، ورواه الترمذي في صحيحه باب ذهبت النبوة ، وبقيت المبشرات ، جـ ٩ ، ص : ١٢٦ .
(٢٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٦ ، ص : ٤٢٥ .
(٢٥) د . عبدالفتاح بركة ، الرسول الكريم ، ص : ٦ ـ ٧ ، بتصرف .

فقد راعت تعاليم الإسلام فى هيمنتها : الارتقاء العقلى للإنسانية ، فدعت إلى وحدانية مطلقة لله فى الذات والصفات والأفعال ، واجتثت الوثنية بأشكالها وألفاظها ، وتأثيراتها السيئة على الأفراد وعلى الجماعات ، بحيث لا يخضع الإنسان إلا لخالقه ، ولا يعبد إلا الله ـ سبحانه وتعالى .

وأيقظت هذه التعاليم العقل من نومه ، فعابت على المقلدين ، والأتباع الذين كان شعارهم :

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾
(الزخرف : ٢٣)[٢٦]

وأمرت بالنظر والتدبر ، ووجهت الإنسان إلى الآيات والبراهين : ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾
(البقرة : ١٦٤)[٢٧]
﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر : ٢١)[٢٨]

وأتى الإسلام فى كل مجال بتوجيه رائع ، وإصلاح سليم ، ولم يترك مشكلة إلا أزالها ولا عقدة إلا حلها ، ولا خطأ إلا أصلحه[٢٩] .

يقول محمد عبده : « لم يدع الإسلام أصلاً من أصول الفضائل إلا أتى به ، ولا أماً من أمهات الصالحات إلا أحياها ، ولا قاعدة من قواعد النظام إلا قررها ، فاستجمع للإنسان عند بلوغ رشده حرية الفكر ، واستقلال العقل ، وما به صلاح السجايا ، واستقامة الطبع ، وما فيه إنهاض العزائم إلى العمل ، وسوقها فى سبيل السعى ومن يتل القرآن حق تلاوته ، يجد فيه من ذلك كنزاً لا ينفد ، وذخيرة لا تفنى . . هل بعد الرشد وصاية وبعد اكتمال العقل ولاية ؟ . . كلا قد تبين الرشد من الغى ، ولم يبق إلا اتباع الهدى ، والانتفاع بما ساقته أيدى الرحمة ، لبلوغ الغاية من السعادتين ، لهذا اختتمت النبوات بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتهت الرسالات برسالته »[٣٠] .

وهناك أحاديث جاءت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعرض لاستمرارية الإسلام حتى تقوم الساعة . . روى المغيرة بن شعبة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين ، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون »[٣١] .

وروى معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ وهو يخطب ، قال : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم ، والله ـ عز وجل ـ يعطى ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً ، حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتى أمر الله »[٣٢] .

البقية ص ٤٣٨

(٢٦) وفى سورة الزخرف ، آية رقم : ٢٢ يقول فيها رب العزة : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾

(٢٧) ومادة (عقل) تكررت فى القرآن الكريم فى أكثر من أربعين موضعاً . محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٤٦٨ و٤٦٩ .

(٢٨) ومادة (فكر) تكررت فى القرآن الكريم فى أكثر من ثمانى عشرة مرة . محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٥٢٥ .

(٢٩) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص ٢٠٩ ، بتصرف .

(٣٠) محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٣١) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الصيام ، باب لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، جـ ١٣ ، ص : ٢٩٣ .

ورواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم .

(٣٢) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق وهم أهل العلم ، جـ ١٣ ، ص ٢٩٣ ، ورواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب النهى عن المسألة ، جـ ١٠ ، ص ٢٤٢ .



للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

يمر المجتمع الإسلامى اليوم ـ شأن بقية المجتمعات ـ بمرحلة انتقال خطيرة ، غير أن الذى يميز هذا المجتمع ، أن أعضاءه يواجهون الحياة العصرية ، بحيرتها ، وفرصها ، بوصفهم ورثة تراث دينى فريد كذلك ، وهذا المجتمع يتميز بخصائص تميزه عن بقية المجتمعات الإنسانية ، فضلا عن اشتراكه فى خصائصها ، هى : إسلام ، إيمان ، ماض عظيم .

فأولى ميزات هذا المجتمع هو أنه « مسلم » ، وهذه الخاصية كما يراها الاستشراق أو الغرب : هى أهم ما يميز عالم الجنوب ، وأنها لتعنى الكثير مما يتصل بالتاريخ الحديث من وحدة ، وإيمان وعقيدة ، وتوجه نحو الارتباط بالماضى ، الذى يشحذ النفوس بالتطلع إلى المستقبل المشرق ، وتلك هى السمات المشتركة ، مهما اختلف العالم الإسلامى فيما بينه وتباينت مراميه .

من هنا يرى الغرب : أن متابعة العالم الإسلامى من خلال التطورات ، التى تحدث فى التاريخ المعاصر ، وهى كثيرة وجوهرية ، لدرجة تجعلها تدق على الفهم ، لهو عظيم الأهمية ، وذلك لا يتم إلا بدراسة الأوضاع القائمة فى الأقطار الإسلامية ، واحدا بعد الآخر ، وهذا هو ما يجرى عليه الآن التوجه الغربى ، وإذا قامت دراسة العالم الإسلامى على هذا المنهج ، لتقطع بأن فهم الأحداث الجارية فيه يؤدى بالضرورة إلى فهم صفتها « الإسلامية » فيما يظنون .

لكننا نرى أنه إذا كان التاريخ من صنع الأفراد ، ومن صنع النشاط الإنسانى ، فهو

ـ أيضا ـ يتأثر بحركة القوة الروحية ، وهى ولا شك تصنع النشاط الإنسانى ، فعقيدة المسلم ، تصنع إيمانه وسلوكه ، وتؤثر فى تصور مجتمعه ، سياسيا ، واقتصاديا ، وذلك ما تعنيه هذه الخاصية المميزة ، وسط ضروب الاختلاف والتباين ، القائمة فى أنحاء العالم الإسلامى ، وهذا هو ما يبرر القول ، ويفزع الغرب ، بأن التاريخ الإسلامى مازال حثيث الخطى نحو ترابط ماضيه بمستقبله .

ذلك الذى يؤرق الغرب من الإسلام ، فى التاريخ الحديث ، ألا وهو : الصفة « الإسلامية » تلك التى تتميز بها الشعوب الإسلامية ، وهذه الصفة على الرغم من أن عمرها خمسة عشر قرنا ، فمازالت تقود حركة التاريخ ، وتقترن بفكرة التطور .

ويظهر لنا من خلال اهتمام الغرب الثقافى بالإسلام ، أنه يهدف إلى توجيه الانتباه إلى أن دور الإسلام فى تحول وبحث « عما كان إلى ما سيكون » غير أن الغرب يرى أنه من الصعب أن يتنبأ بما سيكون عليه الحال فى المستقبل ، ولكن فى الوقت نفسه يستطيع أن يرقب مرحلة التطور المعاصرة ، والتى يتكون فى أضوائها الغد المرتقب .

ومما يلفت النظر فى شأن « الغرب والإسلام » أن فكرة التطور تصدق على كل مراحل التاريخ ، فلماذا يعتبرها شيئا خاصا بالإسلام ، ويجعل تحوله مرحلة تحول خطير ، يسبب قلقا للغرب .

يعرف الغرب وهو بصدد الإجابة عن هذا السؤال ، أنه من المتفق عليه أن كل شىء فى العالم موضوع للتغير المستمر ، إلا أن الذى يميز هذا العصر سمتان :

● الأولى : إن التحول يتم بسرعة كيفا وكما .
● الثانية : إن هذا التحول ، أو التطور يتم على نطاق واسع ، وبشكل واع .

وعلى الإنسان أن يعيش حليف التحول ، سواء أكان إلى أحسن أم إلى أسوأ ، وكما يرى الغرب أن عليه أن يسيطر على ما يطرأ على حياته من تغيير ، على أنه بالإضافة إلى ماسبق أن الإسلام فى أسلوبه الحديث يشترك فى وضوح مع بقية عالم اليوم ، غير أنه يتميز باعتبارات خاصة تخصه وحده ، وهذه العوامل النوعية أو الخاصة يرى الغرب أنها لم تحظ بنصيب ملحوظ من الدراسة ، على حين أنه يجب عرضها بعناية ، وما توليه الأزمة الحالية من اعتبار .

من هنا اشتدت وطأة الغرب على الإسلام ، وانقيادا لازدواجية الغرب الفكرية ، يقدم الإسلام لأهله على أنه إرهاب وبداوة ، وتطرف وعرق وجنس ، وأنه عدو التطور ، وشىء جامد ، ويعوق عن التقدم بتلك الصفات السلبية ، يقدم الإسلام ، فى وقت تشتد وطأة التوجه الإسلامى نحو اليقظة على المسلم الحديث ، ومجتمعه ، كما تشتد دعوات المصلحين إلى تجديد الفكر الإسلامى ، لو كان الأمر كذلك ، كما يصف الغرب الإسلام لما كان بحاجة إلى تلك الدراسة الواسعة عنه .

إنما الغرب وهو يشيع ذلك عن الإسلام ، يرى أنه فى حاجة إلى فهم شامل ، وواضح لماهية الإسلام ، وماهية الحياة العصرية ، التى تعيشها المجتمعات الإسلامية ، فهو كما يرى أن الإسلام قوة ، وفى حركة منذ خمسة عشر قرنا ، وما من

شك أنه فريد فى هذه الناحية ، وتزداد حركة التاريخ الإسلامى فى العصر الحاضر ، حتى ليعتبر أن التطور التاريخى بوجه عام يعتبر خاصا بالنسبة للإسلام .

ووجهة نظر الدارسين للإسلام فى الغرب : أن فى الإسلام قدرات فائقة على التطور ، وهذا يمكن إدراكه فى الدور العملى للإسلام ، فى التاريخ الحديث ، وهى أن القول بأن الإسلام دين ، هذا القول يعنى الكثير ، وأكثر مما قد يستطيع أحد إدراكه ، معناه : أنه يمثل النقطة التى يلتقى عندها المؤمن ، خلال ركام التقاليد والأعراف ، بأبدية الله ، وهو الوسيلة المثلى ، التى بها آمن الإنسان بالله ، ومهما اختلف المسلمون عمقا أو سطحية ، اعوجاجا أو استقامة ، إثما أو غفرانا ، فالإسلام هو الحياة الدينية لكل فرد منهم .

لذلك لا يكفى لمعرفة الإسلام ، الإلمام بنظمه وأنماطه وتاريخه ، بل يجب التعمق والإحاطة بما يعنيه ، هذا كله لدى معتنقيه .

وواضح أن الإسلام ، وإن اشترك مع غيره من الأديان السماوية ، غير أنه تميز بالمرونة ، وملاءمته لظروف الحياة ، وقدرات الأفراد ، وأمانيهم المختلفة .

وهو عقيدة حية تتجدد كل صباح فى قلوب المسلمين ، والإسلام عند المسلم دين الله ، وهذا يعنى أشياء كثيرة ، من بينها : أنه لم يبدأ فى القرن السابع الميلادى ، بل بدأ مع الخليقة نفسها ، أو هو سابق عليها .

نزل الإسلام منذ بدأ دوره النهائى الكامل بين الناس ، فى كتاب ـ القرآن الكريم ـ وتكفل الله بحفظه فى لغة عربية ، فيها جمال وإعجاز ، وكان أول توجيه مثمر ونافع ، فى سبيل بناء الدولة الإسلامية ، وإقامة شأن الجماعة التى عرفت باسم : المسلمين ، وبظهور هذه الجماعة اندفعت فكرة الإسلام « دين الإسلام » فى العالم ، مترجمة إلى عمل منظم مستمر الحركة ، وهكذا ولد عصر جديد فى تاريخ البشرية ، بقيادة محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وامتدت فى موجات متدفقة إلى أقاليم العالم المختلفة ، وأخذت على عاتقها تنظيم حياتها ومجتمعها ، وفق تعاليم الله .

أخذ شكل المجتمع المسلم يتخذ شكل القوة السياسية ، منذ أن هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجماعته القليلة إلى المدينة ، حتى جعلوا من أنفسهم مجتمعا ذا حكم ذاتى ، ومنها بدأ تاريخ الإسلام .

فالقرآن عند المسلم مقدس ، وكذلك مجتمعه وتاريخه ، إذ أن المجتمع الإسلامى مجتمع يسير وفق هداية الله وتعاليمه ، وعلى من يريد أن يصبح مسلما أن ينضم إلى هذا المجتمع ، ويشارك بقية أفراده فى العمل على تحقيق رضوان الله فى هذه الأرض .

وفى هذا الاتجاه يصبح الإنسان قريبا من الله ، ويتم مصير البشرية ، بقدر ما يقرب العمل من الخير ، والخير هنا أسلوب الحياة الذى يتخذه من القرآن وحيه ، ومن المجتمع الإسلامى تعبيره .

إن التاريخ الإسلامى بالنسبة للمسلم يعتبر بمثابة القنطرة التى تصل الإنسان بماضيه ، ذلك النموذج الأمثل ، ويمثل لدى الإنسان فى السلوك الخلقى يلتقى الخالق بالمخلوق .

إن للمجتمع وظيفة ضخمة وعظيمة فى الإسلام ، غير أنها لم تنل أهمية فى دراستها . .

التاريخ الإسلامى هو المجتمع نفسه ، فحركة التاريخ هى حركة المجتمع ، وتلك الحركة تستحق التفكير ، وذلك ما يخوف الغرب ،

فالمجتمع الإسلامى فيه تضامن ملحوظ ، وتماسك أعضائه وولاؤهم شديد ، وليس المجتمع الإسلامى بالوحدة الاجتماعية فحسب ، ولكنه أيضا وحدة دينية تمتزج فيها الدولة بالدين ، ويقوم على العقيدة الفردية ، وهو - أى المجتمع - مظهر المثل الأعلى الدينى ، ومظهر عملى لعقيدة المسلم الشخصية ، فعضوية الفرد المسلم فى مجتمعه ليست بالشىء المضاف أو التابع ، إنما هى مظهر لإسلامه الشخصى .

ومما يميز الإسلام : أن المسلمين قد يختلفون فيما بينهم ، إلا أن هذا الخلاف لم يكن يتصل بأصول الدين ، وإنما فى الغالب كان حول طرق ممارسته ، والمسلم الصالح ، هو الذى يستطيع أن يعبر عن اعتقاده تعبيرا عمليا ، يتفق والقانون أو الشريعة .

وأن نواحى النزاع الأساسية فى الإسلام تنصب أساسا على الاتجاه ، الذى يأخذه التطور التاريخى الإسلامى .

والفكرة الأساسية التى تحكم المجتمع الإسلامى ، فى حركة التطور ، هى : أن الفرد يجب ألا يشذ عن المجموع ، بأن يرتد عن عقيدته .

وأن تكون القيادة فيه مسئولة عن معرفة المجموع ، للطريق القويمة ، واتباعهم إياه ، وفى سبيل هذه « المعرفة » يوجد « العالم » و « المفتى » و « قدوة » الأتباع ، وارتبطت الخلافة بالإمامة ، فالحقيقة الدينية التى هى وليدة الإيمان لدى المسلم متعادلة ، والحقيقة التاريخية .

وتاريخ الإسلام على الأرض يمتاز فى قرونه الأولى بالعظمة والإبداع ، سواء من الناحية الدنيوية ، أو الناحية الروحية ، امتلأ بالغزو والفتح ، وهوت أمامه إمبراطورية الفرس ، وإمبراطورية الرومان ، حتى فاقت فى اتساعها إمبراطورية الرومان .

ولم تكن المسألة مجرد جيوش منتصرة ومعارك وحسب ، وإنما كانت هذه الجيوش تحمل معها مدنية جديدة ، فكان ثمة تقدم فى العلوم ، والفنون أو اللغة والأدب والتشريع والإدارة والتجارة ، إلى غير ذلك من ضروب التقدم والرقى ، لقد كان فتحا وبناء تمخض عن مجتمع عظيم جديد ، اكتملت فيه عناصر القوة والمجد .

وكان من عوامل النجاح ذلك الحوار الثقافى الذى عقده المسلمون مع غيرهم من شعوب الأرض وثقافاتها كالأغريق ، والثقافات السامية المنحدرة من الشرق الأدنى والقديم ، وإيران والهند ، وعمل المسلمون على مزج هذه العناصر الثقافية مزجا متجانسا ، ثم ساروا بها فى تقدمهم ، وقد طبع الإسلام كل نواحى الحياة ، فى هذه العصور بطابعه ، وكان التشريع الدينى مركز القوة الموحدة ، التى تولت تنظيم كل شىء فى الحياة ، فأضفى التشريع بذلك وحدة على العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، فكانت مهمة الإسلام بناء نوع من النظام الاجتماعى ، يتفق وأوامر الله ، وبذلك يختلف الإسلام عن بقية الأديان السماوية : بأنه نظام دينى ، واجتماعى ، وسياسى ، وثقافى ، واقتصادى من أول ما نزل .

المسئولية الاجتماعية للمسجد

في المجتمع المصري المعاصر

للأستاذ الدكتور
محمد محمد البادي (*)

المسجد في حياة أمة لها تراثها الثقافي الأصيل ، يمثل رمزاً ورسالة . والمسجد كرمز ، ظل منذ قرون طويلة دليلاً على عمق الشعور الديني في نفسية المصري ، ووجدانه ، ولكنه كرسالة ، ارتفعت على أبوابه علامة استفهام كبيرة ، وسط ظروف سياسية ، واجتماعية ، عاشها المجتمع المصري ، ولا تزال آثارها باقية فيما تسميه : بمشكلة بناء الإنسان المصري المعاصر .

ولا أحد ينكر أن المسجد يمكن أن يلعب دوراً مباشراً في علاج هذه المشكلة ، ولقد ظل - بسبب سلبية بعض دعاته - في أغلب حقب التطور السياسي والاجتماعي للمجتمع المصري ، جامداً أمام ظروف ومشكلات ، أفقدت الفرد توازنه العقلي والنفسي ، كما أفقدته قدرته على التوافق مع نفسه ومجتمعه وعصره ، وليست الظواهر الاجتماعية غير السوية ، كالجماعات الدينية المتطرفة ، والخروج في مجالات كثيرة عن الأصول الإسلامية السليمة ، إلا أدلة واقعية على ذلك .

ولئن كانت رسالة المسجد ذات طابع ديني في مضمونها وأصولها ، تستهدف دعم الدين بنشره وتعميقه في النفوس ، والعقول والسلوك ، فإن الظروف التي يمر بها المجتمع ، وما يترتب عنها من مشكلات تهز قيم الفرد وتقاليده ومثله ، وأنماط سلوكه ، وتتركه في صراع داخلي مؤثر إلى حد التدمير أحياناً ، تفرض أن يؤدي المسجد رسالته داخل إطار اجتماعي ، وبمعنى آخر ، أن يؤدي رسالته الدينية داخل إطار من مسئوليته الاجتماعية ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه

(*) الكاتب : رئيس قسم الصحافة والإعلام - كلية الآداب - جامعة المنصورة .

مضمون دوره الجديد فى المجتمع المصرى المعاصر .

وليست صفة الجدة هنا منسوبة إلى دور المسجد بقدر ما هى منسوبة إلى تجدد الحاجة إليه وإلحاحها ، فإن هذه الزاوية من النظر إلى دور المسجد فى المجتمع المصرى ، كان من المفروض أن تجد تطبيقها منذ سنوات طويلة حتى لا يكون المسجد فى وادٍ ، والمجتمع بظروفه وتياراته وتغيراته ومشكلاته فى وادٍ آخر ، وبينهما فرد يتمزق ، وبتمزقه تتبدد آمال أمة بأسرها فى التطور الآمن والتقدم المتزن ، فالفرد هو الخلية الأولى فى بناء المجتمع ، وبصلاحه يصلح بناء المجتمع كله ، وهذه مسلمة لا جدال فيها .

ولعل ما يعطى هذا الدور الجديد أبعاده الحقيقية ، أن الدين الإسلامى لا ينظم الصلة بين الإنسان وخالقه فحسب ، ولكنه ينظم أيضاً صلة الإنسان بمجتمعه ، بكل جوانبها الاجتماعية والسياسية ، فهو ينظم علاقة الفرد بالحاكم ، كما ينظم علاقته بالجماعات ، التى ينتمى إليها داخل المجتمع وتربطه بها مصالح مشتركة ، بالإضافة إلى أنه ينظم علاقته بنفسه ، بل إنه أدخل كل هذه العلاقات داخل إطار دينى ، بحيث إذا صلحت ، كان الفرد أقرب إلى ربه ، وإذا فسدت ، كان الفرد بعيداً عن ربه ، لكن المسجد ، تحت ضغط ظروف معينة ، أسهم بطريقة مباشرة أحياناً ، وبطريقة غير مباشرة أحياناً أخرى ، فى غموض هذه الحقيقة ، وترك الفرد وحده يصارع الحياة بكل مغرياتها ومشكلاتها ومتاعبها ، فكانت النتيجة إسهاماً واضحاً فى بروز مشكلة بناء الإنسان المصرى المعاصر ، كما نسميها ، والأدلة على ذلك كثيرة ومتنوعة وتمتد لتغطى كل المجالات التى تشملها هذه الحقيقة .

من أوجه القصور :

فمثلاً ، هناك مسائل لم يبت فيها الدعاة فى المساجد برأى قاطع ، كالجن وقدراتهم ، ونوعية الصلة التى يمكن أن تنشأ بين الإنسان والجان ، وحدودها إن وجدت ، فكان هذا سبباً فى ظهور المشعوذين والدجالين ، والذين يقف الفرد على أبوابهم بين الشك واليقين ، والإحباط والرجاء .

ومسائل أخرى كثيرة ، وكلها تشير إلى دور المسجد فى إبعاد الفرد عن التفكير العلمى السليم ، الذى يعطيه قدرات خلاقة على تطوير نفسه ومجتمعه .

وعلاقة الفرد بالحاكم مثال آخر . فلقد سعى الحكام منذ عصور الأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والأتراك إلى الاعتماد على المسجد ، لكسب تأييد الجماهير لحكمهم ، وضمان ولائهم . وكان الأئمة والدعاة فى المساجد يدعون لهم ، مهما كانت نوعية هذا الحكم وسلامته ونزاهته ، حتى أن الناس أساءت فهم الآية الكريمة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

(سورة النساء - ٥٩)

لأن بعض الأئمة والدعاة أساءوا تفسيرها واستخدامها ، مع أن عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - أبان حدود الطاعة للحاكم عندما أعلن بحزم فى بداية ولايته : « أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، وقومونى إذا رأيتم فىَّ اعوجاجاً » . وكذلك فعل أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -

ومن ثم لعب المسجد دوراً رئيسياً طوال تاريخ مصر المعاصر حتى أصبحت هذه العلاقة نوعاً من الخضوع والتسليم والسلبية والعجز . وهى كلها صفات تعكس اهتزاز القدوة الصالحة ، ولا تتفق مع روح الإسلام الحنيف ومضمون تعاليمه .

وتكفى إشارة بسيطة إلى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذى يقول فيه : « المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. »[1] لكى تدرك إلى أى حد تبتعد هذه الصفات التى توارثها الإنسان المصرى عن روح الإسلام الحنيف ومضمون رسالته .

فمما لا شك أن القوة هنا فى حديث الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تعنى القوة الجسمية فحسب ، وإنما تعنى أيضاً قوة العقيدة والنفس والروح والرأى والسلوك والعقل والقلب معاً ، وهى كلها قدرات تصنع الفرد القوى الحر الأبى الشجاع الذى يرى الحق حقاً فيتبعه ، ويرى الباطل باطلاً فيتجنبه .

ومثال ثالث يتصل بعلاقة الفرد بالجماعات التى ينتمى إليها ، والتى تشكل مضمون علاقته بمجتمعه بصفة عامة ، وسوف نركز هنا على الفترة الأخيرة من تاريخ المجتمع المصرى ، والتى تبدأ مع بداية النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى ، فلقد بدأ المجتمع المصرى جهوداً للتنمية ، كانت تتطلب إعداد الفرد القوى القادر على مواجهة متطلباتها ، والقادر على استيعاب مضمونها ، والقادر على التوافق والتكيف مع نتائجها ، ولا ننكر أن الدين أحد العناصر الثقافية المؤثرة على عقلية الإنسان المصرى ونفسيته ، فإذا أدركنا كيف فسرت كثير من أصوله وأسسه بالدرجة التى شكلت شخصية الإنسان وسلوكه بطريقة تخالف التعاليم الأصيلة للدين الإسلامى الحنيف ، لأدركنا كيف كانت هذه التفسيرات الخاطئة أو المشوهة سبباً فى عدم قدرة الفرد على التوافق مع الظروف المتغيرة فى مجتمعه ، لدرجة أن بعض الباحثين الأمريكيين وصف الدين بأنه عقبة فى سبيل التنمية عندما ربط بين الدين وعجز أهله عن مسايرة التقدم العلمى ، وهو اتهام بالطبع ، مبنى على فهم خاطىء ، حتى ولو كانت المشاهدات الواقعية تؤيده .

وصحيح أن غياب الخطة المناسبة على مستوى المجتمع كله ، والتى تحدث تكاملاً بين الفكر والتطبيق والتى تهدف إلى إعداد الفرد إعداداً سليماً ومتوافقاً مع هذه الظروف المتغيرة ، كان سبباً فى غياب المناهج العملية الصحيحة لأدوار كثير من الوسائل التعليمية والتربوية والإعلامية ، إلا أن هذا لا يبرر تماماً عجز المسجد فى هذا المجال ، لأنه حتى فى غياب الخطة ومناهجها العملية ، فإن الدين الإسلامى يكفيه ولا يعفيه ، لأن بيان المفاهيم الصحيحة كان كافياً لدفع الاتهام ، وإن كان وجود الخطة يحقق لدور المسجد فعالية أكبر .

وأخيراً ، نأتى إلى مثال رابع يتصل بعلاقة الفرد بنفسه ، أى يتصل بالكيفية التى يرى بها الفرد عاداته وتقاليده ومُثله وعُرفه وأنماط سلوكه المقبولة ، ولا ننكر هنا أن موجات الاستعمار بشتى جنسياتها وموجات الاحتكاك بالحضارة الأوروبية إلى جانب تهافت وسائل الاتصال الجماهيرى ، كالصحف والمجلات والكتب والأفلام والتليفزيون

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه .

على تعميق الآثار المترتبة على هذه الموجات ، أغرقت الفرد بدوامات فكرية وسلوكية هزت كثيراً من عاداته وقيمه وتقاليده ومثله وأنماط سلوكه ، فأصبح يتغاضى عن كثير مما يخالف التعاليم الأصيلة لدينه . فأين كان المسجد منذ سنوات طويلة والفرد يصارع وحده تيارات جارفة ، ولا يقدر على مقاومتها ، فيطفو أحياناً ، ويغوص فى كثير من الأحايين .

إن هذه الأمثلة وغيرها كثير ، تشير بوضوح إلى أن الفرد عاش حالة من التمزق بين ظروف ومتغيرات يصارعها وتصرعه فى حياته اليومية ، وبين أقوال يسمعها تتردد عندما يزور المسجد أو يلجأ إليه ، فلا هو يجد فى المسجد السبيل إلى نجاته ، ولا هو قادر على تفسير أو استيعاب ما يجرى حوله ، ومن هنا كان تأثير المسجد مباشراً وغير مباشر على بروز مشكلة الإنسان المصرى المعاصر ، ذى الشخصية القلقة والمضطربة وغير المتزنة وغير القادرة على التوافق مع نفسها ومجتمعها وعصرها .

فعالية الأداء لدور المسجد:

وهنا نعود إلى التساؤل عن الكيفية التى يمكن بها أن يمارس المسجد دوره من زاوية جديدة ، لتعود إليه فعاليته وإيجابياته وقدرته على إعادة بناء الإنسان المصرى القوى الذى يستطيع أن يطور نفسه ومجتمعه ، وأن يساير زمانه وعصره بأمان ، وأن يسهم فى حضارة إنسانية أوسع باتزان !!

وبادىء ذى بدء ، لابد من القول أن المسجد إحدى المؤسسات الاجتماعية المهمة فى حياة المجتمع المصرى ، وأن رسالته جزء من رسالة عامة ينبغى أن تتحملها كل المؤسسات الاجتماعية الدينية والتربوية والثقافية والإعلامية ، وأن لكل منها نصيبها منها بحسب طبيعتها وقدراتها ، وأن الدور الجديد للمسجد يمثل نصيبه فى هذه الرسالة العامة داخل إطار من مسئوليته الاجتماعية ، وهذا ، فى تقديرنا ، ما يجسد المسجد كرسالة وسط الظروف والمشكلات والمتغيرات الاجتماعية التى تحيط بالفرد داخل هذا المجتمع .

وبناء على ذلك ، نستطيع أن نحدد المسئولية الاجتماعية للمسجد فى النقاط العامة التالية :

١ ـ ينطلق مفهوم المسئولية الاجتماعية للمسجد من مكانته فى المجتمع ، إنه ليس قارب نجاة يحمل الناس إلى شاطىء الآخرة وتنقطع صلتهم بشاطىء الدنيا ، ولكنه قنطرة ترتكز إحدى دعاماتها على شاطىء الدنيا والأخرى على شاطىء الآخرة ، وهو من هذا الموقع يجمع بين الدنيا والآخرة ويصل بينهما فى توازن وتناسق ، ومن يدخله يعطيه هذا الإحساس بالتوازن والتناسق فى نظرة واحدة وعميقة .

٢ ـ هذا الموقع يفرض على المسجد أن يتحول إلى بوتقة تنصهر داخلها متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة ، وتتفاعل معاً ليخرج منها مزيج جديد ذو سمات جديدة ، ولكن عناصرها أصيلة . إن هذه السمات الجديدة تحقق المصالحة داخل نفس الفرد وعقله وبينه وبين نفسه وخالقه وحاكمه ومجتمعه وعصره .

٣ ـ لا يمكن أن نتصور تحقيق النقطة السابقة إلا إذا تصورنا تحقيق تناسق بين فلسفة المجتمع

كله وبين هذه السمات الجديدة ، فمن الأخطاء التى نقع فيها كل يوم مثلاً : أن تستبيح وسائل الاتصال الجماهيرى ، كالصحف والمجلات والراديو والتليفزيون والأفلام ، أفكاراً وممارسات تصل إلى التعارض الشديد بينها وبين ما يراه رجال الدين من أصول الإسلام الحنيف ، وهذا فى حد ذاته دليل على وجود تباعد حقيقى بين ما يسير عليه المجتمع فى كثير من جوانبه التى تشكل فكره وسلوكه وبين ما يدعو إليه رجال الدين . وهذا الوضع من شأنه أن يؤدى إلى تمزق أوصال المجتمع وبروز الظواهر السلوكية غير السوية ونموها وتضخمها .

٤ ـ الدعاة فى المساجد قدوة لروادها ، ولا يمكن تصور أن تتحقق فيهم القدوة الصالحة طالما أنهم يعانون مما يعانى منه الإنسان المصرى المعاصر بصفة عامة ، فهم بشر ولهم مصالحهم الأساسية الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية ، ولابد أن يتحقق لهم التوازن النفسى والعقلى بتحقيق هذه المصالح الأساسية ، حتى تكون دعوتهم عن اقتناع بالقلب واللسان معاً ، وليست بكليات لا يدعمها الواقع .

٥ ـ المسجد من موقعه الاجتماعى وسيلة اتصال جماهيرية وتربوية . ويجب أن تجد فيه جماهير المنطقة المحيطة به راحتها النفسية والعقلية ، وهذه النقطة لها وجهان :

فهى تعنى أن يتحقق التفاعل بين المسجد وجماهير مجتمعه المحل المحيط به ، من ناحية .

وتعنى أيضاً أن ينظر المسجد إلى جماهيره على أنهم كائنات بشرية اجتماعية لا تستطيع أن تنفصل عن حياتها المشتركة بكل ما يجرى فيها من ظروف ومشكلات ومتغيرات ، وهذا من ناحية ثانية ، ومن هنا ، يتكامل الوجهان معاً فى نظرة مشتركة واحدة إلى الإنسان المتردد على المسجد .

وهذا كله يفرض نفسه على الدور الجديد للمسجد فى المجتمع المصرى .

٦ ـ تفترض المسئولية الاجتماعية هنا تنظيماً للمسجد يغير من المفاهيم السائدة ، ويعيد إليه انتماءه الطبيعى إلى مجتمعه ، كما يعيد إليه صلته العضوية بالمؤسسات الأخرى بكل مستوياتها ، وهذا التنظيم يوفر للمسجد كياناً ذاتياً متفاعلاً ، يأخذ ويعطى ، ويؤثر ويتأثر ، ويرى ويثرى تعاليمه وأساليبه ، وهى كلها عناصر ضرورية وحيوية وأساسية ولا غنى عنها .

إن هذه الأفكار التى تقوم عليها المسئولية الاجتماعية للمسجد ، تعطى تصوراً عاماً للكيفية التى يمكن بها أن يؤدى المسجد دوره من زاوية اجتماعية إنسانية ، ولا شك أن تطبيق هذه الأفكار يتطلب منهجاً عملياً منظماً يعطى للمسجد واقعاً سليماً يوفر له الجلال والاحترام والقدوة الصالحة . فهناك تجاوزات تمثل إخلالاً خطيراً بهذه الصفات الواجبة .

ولكن هذا الواقع السليم هو الأرض الصلبة التى عليها يقف المسجد وهو يؤدى دوره كاملاً فى المجتمع المصرى .

الإيمان وسيلة للسعادة

للدكتور : أحمد عبد الله الطيار

قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨)

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (الفتح : ٤)

إن أسس الدين الإسلامى التى لا يتحقق إلا بها ، وأصوله التى لا وجود له بسواها ـ نوعان : علمية وعملية .

والأسس العلمية ثلاثة : الإيمان بالله تعالى ، وبرسله ، وباليوم الآخر ، والإيمان بالرسل يستتبع الإيمان بالكتب المنزلة عليهم ، وبمن نزل بها من الملائكة .

وهذه هى الخمسة المذكورة فى قول الله عز وجل : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (البقرة : ١٧٧)

وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء : ١٣٦)

هذا وقد عرف الإيمان بأنه : إقرار باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان ، كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ « الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » البخارى ، وبهذا فإن الإيمان لا يكون بالتحلى ولا بالتمنى .

لكننا نجد أن بعض الناس قد بدلوا كلمة « الإيمان » فوضعوها فى غير موضعها ، التى وضعت له ، فأصبحنا نقرأ عن إيمان (بالشيوعية) ، وإيمان (بالوجودية) ، وإيمان (بالقومية) ، وإيمان (بالوطن) ، وإيمان (بالثورة) وإيمان بغير ذلك مما ابتدع البشر لأنفسهم ، مما لم يأذن به الله وليقل الناس ما شاءوا ، فلن يضيرنا ذلك إذا عرفنا نحن الإيمان الذى نريد .

إنه الإيمان الذى لا تدل هذه الكلمة على غيره عند إطلاقها ، الإيمان « الدينى » الذى صحب البشرية منذ طفولتها ، ولم يفارقها فى صباها وشبابها وكهولتها ، ولم يزل سلطانه مهيمنا على الكثير من تصرفاتها وأعمالها[1] ، وهى التى أجاب

◆

(١) الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوى ص ٢١

بها النبي - ﷺ - حينما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ، وسأله عن الإيمان فقال : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله والبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه البخاري ومسلم .

والإيمان بالله

هو التصديق والإقرار : بأنه لا إله إلا هو ، أي : لا معبود بحق إلا الله . وذلك يستدعى التصديق بأنه (موجود) لا أول لوجوده ولا انتهاء له ، فهو متصف (بالقدم والبقاء) : أي : لا يسبقه عدم ولا يلحقه فناء ، بل البقاء ملازم أبدا . فالله تعالى يمتنع ويستحيل لحوق العدم به .

وأنه تعالى (واحد) في ذاته وصفاته ، ووجوده وأفعاله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ (الحديد - ٣) ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾

فذاته - تعالى - ليست مركبة ، ولا تشبه ذوات المخلوقات ، ولا يساويه - سبحانه - في صفاته موجود من الموجودات ، وليس له شريك في وجوده ، ولا أفعاله ، فالله سبحانه وتعالى مخالف للحوادث في كل شيء ، وكل ما سواه من الموجودات : من إنس وجن ، وملك وشيطان ، وسماء وأرض ، وحيوان ونبات ، وجوهر وعرض ، ومدرك ومحسوس ، وسائل وجماد ، مخلوق له ، حادث بفعله : اخترعه بقدرته بعد العدم وأنشأه بعد أن لم يكن ، على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها . قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

(سورة الإخلاص)

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الشورى - ١١)

وأنه (حي قادر قاهر) لا يقع في ملكه إلا مايريد ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ذو الملك والعزة ، القوة والغلبة - والخلق والأمر ، الأرض والسموات في قدرته ، والخلائق جميعا في قبضته ، خلقهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم . قال تعالى :

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ (طه - ١١١)

وهو (حكيم) في أفعاله ، (عادل) في أحكامه ، لا يقاس عدله بعدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله عز وجل ، فإنه لا يصادف لغيره ملكا ، حتى يكون تصرفه فيه ظلما .

وأنه تعالى (عالم) : يحيط علمه بكل شيء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر .

قال تعالى :

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

(يونس - ٦١)

وأنه تعالى (مريد) للكائنات ، مدبر للحادثات ، فلا يجرى في الملك قليل أو كثير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، عرفان أو نكران ، طاعة أو عصيان ، زيادة أو نقصان ، صغير أو كبير ، فوز أو خسران ، إيمان أو كفر ، إلا بقضائه وقدرته ، وحكمته ومشيئته ، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا عن ذلك

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

(يس - ٨٢)

هذا والكون كله كتاب مفتوح تقرأ فيه دلائل الإرادة والقدرة ، وتشعر بعد التأمل فيه بالخشوع لله والرهبة من عظمته ، كما تشعر بالسعادة والفرحة كلما أدركت أنك عبد لخالق هذا الكون ومدبره وأن خضوعك لله وحده لا لأحد سواه[٢] .

وأنه تعالى (سميع بصير) :

لا يعزب - لا يبعد ولا يغيب ولا يخفى - عن سمعه مسموع وإن خفى ، ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق ، ولا يحجب سمعه بعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، تعالى الله عن صفات المخلوقين علوا كبيرا . قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام :

﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه - ٤٦)

وقال تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة - ١)

وأنه تعالى : [متكلم] : آمر ، ناه ، واعد ، متوعد : بكلام قديم لايشبه كلام الخلق ، فليس بصوت ولا حرف . وطريقة إيصال كلام الله - سبحانه وتعالى - للملك أو للبشر أو لغيرهما بطريقة لا نعلمها لعدم ورود نص صريح يدل عليها أو يشرحها ، والدليل على كلام الله تعالى قوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء : ١٦٤)

وقوله تعالى :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾

(البقرة : ٢٥٣)

والإيمان بالرسل واليوم الآخر :

يجب التصديق بأن الله - سبحانه وتعالى - فى أزمنة مضت ، وحقب تعاقبت - اصطفى رجالا من بنى آدم ، منحهم مواهب عالية ، وصفات سامية ، وأخلاقا راقية ، وأرسلهم إلى قومهم ؛ ليبصروهم بخالقهم العظيم ، وصفاته الجليلة ، حتى يفردوه بالعبادة ، وأنزل الله عليهم بوساطة الملائكة كتبا ، هذا الكتب المنزلة من عند الله - عز وجل - تتضمن الأوامر والنواهى التى يريد الله تبليغها إياهم ، لتقويم اعوجاجهم ، وإصلاح شأنهم ، والسير بهم فى طريق الخير ، وتنحيتهم عن طريق الشر ، وإفهامهم أن كل إنسان سيجزى بما كسبت يداه ، فى يوم يسمى اليوم الآخر ، وهو يوم يقوم الناس جميعا فيه من قبورهم ، لجزائهم على ما قدموا فى دنياهم من خير أو شر وهو يوم القيامة ويوم الحساب .

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة : ٧ - ٨)

فيجب الإيمان بما يكون فى يوم القيامة مما ورد ذكره فى القرآن المجيد ، أو أخبر به النبى - ﷺ - من البعث والصراط - والحساب ، والميزان ، والجنة والنار .

(٢) تبسيط العقائد حسن أيوب ص٩٠

وما لم يرد به نص صريح في كتاب الله - عز وجل - ولا سنة رسوله - ﷺ - نمسك عنه ، ونكل علمه إلى الله - عز وجل - لأن أمور الآخرة لا تعرف بالحس ولا بالعقل ، بل بالخبر الصادق عن الله .

خلاصة القول :

إن العقائد التي تحدثنا عنها من الإيمان بالله وصفاته ، والرسل وكتبهم ، والملائكة وسفارتهم ، واليوم الآخر وما يحدث فيه ، وغير ذلك مما جاءت به الحنيفية السمحة - طريق الاستقامة والمراد بها الديانة الإسلامية السهلة - أساسها كلها ، ومصداقها جميعها التصديق والشهادة بأن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فإن التصديق بهذه الشهادة يستلزم التصديق بشعبها وفروعها كلها ، وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة . ولا يكون العبد مصدقا بها حقيقة حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، ولا يكون مؤمنا بالله ، إله العالمين ، حتى يؤمن بصفات جلاله ، ونعوت كماله ، ولا يكون مؤمنا بأن الله - تعالى - « لا إله إلا هو » حتى يسلب خصائص الألوهية عن كل موجود سواه ، ولا يكون مصدقا بها من نفس الصفات العليا ، ولا من نفس كلامه وتكليمه ، وأنه أرسل الرسل لهداية البشر ، وأنه اجتبى محمدا - ﷺ - وفضله على جميع خلقه ، وأنزل عليه القرآن : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة - ٤٨) أي : شاهداً ، وأنه جعل رسالته عامة لجميع الأمم كلها وناسخة وخاتمة لجميع الرسالات السابقة عليها ، وأنه أسرى به - ﷺ - وأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه . إلى سائر ما وصف به نفسه ووصفه به حبيبه - ﷺ - .

ولا يكون الإنسان مؤمنا بهذه الكلمة ، مصدقا بها حقا إذا نفى عموم خلقه لكل شيء ، وقدرته على كل شيء ، وعلمه بكل شيء ، وبعث الأجساد من القبور ليوم النشور :

قال تعالى :

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ (النبأ - ٤٠)

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج - ٢)

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء - ٨٨ - ٨٩)

ولا يكون الإنسان مصدقا بهذه الكلمة إذا زعم أنه ترك خلقه سدى : أي مهملين لم يأمرهم ولم ينههم على ألسنة رسله .

فالتصديق بها يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها ، وهي شرائع الإسلام ، التي جاء بها سيد الأنام ، والتي هي تفصيل هذه الكلمة العظيمة ، وذلك بتصديق جميع أخباره ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

فالمصدق بالشهادة هو الذي يأتي بذلك كله ، ولا تنال سعادة الدارين إلا بالتصديق بها والقيام بحقها ، ولا يحق الشقاء في الدنيا والآخرة إلا على تركها أو ترك حقها ، والإيمان بالمعنى الذي سبقت الإشارة إليه سبب رقي الإنسان وسعادته ، ولولاه ما كان نظام العالم ، ولا عرف معنى الواجب ولا حدوده ، والواجب محور نظام بين الأفراد والجماعات .

وليس للشهوة ما يقهرها ويذللها ، ولا للأهواء ما يمنعها ويزجرها إلا الاعتقاد بأن لهذا العالم

خالقا عالما بمضمرات القلوب ، ومطويات النفوس ، سامى القدرة ، واسع الحول والقوة ، مع الاعتقاد أنه قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه فى حياة بعد هذه الحياة التى نعيشها .

وبغير هذين الاعتقادين لا تلبس المدنية سربال الحياة ، ولا يستقيم نظام المعاملات بين الأفراد ، ولا تصفو صلات البشر من شوائب الغل والغش وما إليها .

ومن أشرب فى قلبه هذين الاعتقادين انبعث بحكمهما ، وانساق بحاديها إلى إضاءة عقله بالعلوم النافعة ، والمعارف الصافية خشية أن يهبط به الجهل إلى نقص يغضب ربه ، ويستوجب فى الآخرة عقابه ، ثم ينصرف همه إلى إبراز ما أودع فيه من القوى السامية والمدارك العقلية ، والخواص الجليلة باستعمالها فيما خلقها الله ، فالإنسان ينفق ساعاته فى تهذيب نفسه ، ويطهرها من دنس الرذائل ، ولا يقصر فى تقويم أخلاقه ، وينزع إلى كسب المال من الوجوه المشروعة ، متنكبا طريق الخيانة ، ووسائل الكذب والحيلة ، معرضا عن أبواب الرشوة ، مترفعا عن الملق والخداع ، ثم ينفق ماكسب فى الوجه الذى يليق ، وعلى الطريقة التى تنبغى ، وبالقدر المطلوب : لا يأتى فيه باطلا ولا يغفل حقا .

فالإيمان يدعو المرء إلى الاتصاف بالصفات القويمة ، والخلال العظيمة، والأفعال الكريمة ، إذ يحث على ترقية النفس بالعلم ، والجد والسعى ، والمثابرة ، وقوة العزيمة ، والاعتدال ، والإخلاص فى العمل ، والصدق فى القول ، والاتحاد على الخير ، والتعاون على البر والتقوى ، واحترام النفس ، والثقة بها مع التوكل على الله ، والشجاعة ، والعمل للدنيا والآخرة معاً فى غير غلو ، وحسن المعاملة ، والأمانة والوفاء بالعهد ، والحلم ، والعدل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والتواصى بالحق ، والعفو عند المقدرة ، مع الرضا بقضاء الله وقدره : خيره وشره ، والمحبة ، والمواساة ، والصبر على المكاره ، والرحمة والرفق .

وأعظم باعث على تهذيب النفس : فرائض الإسلام : ففى الصلوات الخمس تذكرة جميلة ، وصلة قوية بين العبد وربه ، ومنهاة للعبد عن ارتكاب مايغضب ربه ، وفى صلاة الجماعة فرصة لعقد أواصر التعارف والتآلف ، ويحث على التواضع ، والمساواة ، والنظام ، وأداء الواجب فى حينه .

وفى الصوم تهذيب للنفس ، وغرس للعطف والشفقة فيها .

وفى الزكاة والصدقة صلة ودية بين الأغنياء والفقراء ، وحل لأعظم مشكلات الحياة الحاضرة ، وقطع لأسباب الفوضى ، وحفظ للأمن من شرور المتعطلين والمتطرفين .

والحج أعظم مؤتمر ، وأكبر فرصة للبحث فى كل مايعود على الأمة بالخير والإسعاد ، فى المعاش والمعاد ، وتوثيق للروابط بين الأمم الإسلامية ، وتطهير للنفس مما دنسها من علل ومرض ، وتذكير باليوم الآخر ، يوم لا أنساب ولا أحساب[3] وإن فى القرآن الكريم لدعوة صريحة إلى تأليف عصبة أمم إسلامية ، لإصلاح ذات بينها ، ونزع الأحقاد من قلوبها ، وعقد الصلات الودية ، والروابط الدينية ، وكف يد

البقية ص ٤٥٥

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة د . محمود شلتوت ٧٧ : ١٣٠

قادة الخلفاء

١- أبو بكر الصِّديق - "رضى الله عنه"

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

نشرت مجلة الأزهر على مدار عام ١٤٠٣هـ سلسلة مقالات بعنوان « قادة النبى - صلى الله عليه وسلم - للأستاذ إبراهيم عبد الرحمن أبو الخيط ، مقتصرة فقط على أعمالهم فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - واليوم ، وتتمة للفائدة نواصل العمل متناولين قادة الخلفاء وإنجازات وأعمال كل قائد فى عهد كل خليفة والله المستعان .

● ابن ذى السهم الخثعمى :

قدم من اليمن على رأس جماعة من خثعم دون الألف وفوق التسعمائة ، ملبيا نداء أبى بكر بجهاد الروم ، فسر به أبو بكر سرورا عظيما وقال له : « . . . سر فى حفظ الله وكنفه فإن بالشام أمراء وجهناهم إليها فأيهم أحببت أن تصحب فاصحب

فسار ابن ذى السهم بمن معه حتى لحق بيزيد بن أبى سفيان فانضم إلى جيشه(١) .

● أسامة بن زيد :

أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة عوف ، صحابى جليل ، ولد بمكة ، ونشأ على الإسلام ، كان أبوه (زيد بن حارثة) أول الناس إسلاما ،

(١) الأزدى ص ٢٥ .

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحبه حبا جما .

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أعد جيشا لغزو الشام ثأرا لشهداء مؤتة - رضى الله عنهم أجمعين - وجعل على رأس الجيش (أسامة بن زيد) ، ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره ، وكان من بين رجال الجيش عمر بن الخطاب ، وأبو بكر الصديق - رضى الله عنهما - فاستثنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم الصديق للصلاة .

ولما توفى - صلى الله عليه وسلم - وارتدت العرب قاطبة بحيث لم يبق للجمعة مقام فى بلد سوى مكة والمدينة ، فأشار كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - على الصديق بألا ينفذ جيش أسامة للحاجة إليه فيما هو أهم ألا وهو مواجهة ردة العرب ، وكان من بين من أشاروا بذلك عمر بن الخطاب ، فرفض الصديق وأصر على إنفاذ الجيش ، فقال بعض الأنصار لعمر : « قل له فليؤمر علينا غير أسامة » فذكر له ذلك ، فأخذ بلحيته وقال : « ثكلتك أمك يابن الخطاب ، أؤمر غير أمير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم نهض بنفسه واستعرض جيش أسامة ، وأمرهم بالمسير ، وسار معهم ماشيا وأسامة راكبا ، وعبد الرحمن بن عوف يقود راحلة الصديق ، فقال أسامة : « ياخليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل ؟ » فرفض الصديق واستأذنه فى أن يطلق له عمر بن الخطاب ، فأطلقه له .

وكان لخروج أسامة بالجيش وقع فى نفوس المرتدين ، فمنهم من آثر العودة إلى الإسلام ، وأداء الزكاة بعد أن وقع فى روعه أن هذا الجيش لا يخرج إلا إذا كانت هناك جيوش أخرى بالمدينة لمواجهة المرتدين ، والبعض آثر انتظار نتائج خروج هذا الجيش ، فلما عاد ظافرا ثاب كثير من المرتدين إلى رشدهم .

عاد الجيش إلى المدينة فى جمادى الآخرة من نفس عام خروجه ، فاستخلف الصديق أسامة على المدينة ، وأمره بأن يريح جنوده[٢] .

● أنس بن مالك :

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخارى الخزرجى الأنصارى ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخادمه .

حمله الصديق رسالة إلى أهل اليمن يستنفرهم فيها للجهاد والتجهز لحرب الروم ، ويروى أنس ابن مالك ماكان من أمر رسالة أبى بكر إلى شعب اليمن : « أتيت أهل اليمن جناحا جناحا ، وقبيلة قبيلة ، أقرأ عليهم كتاب أبى بكر[٣] .

● ثابت بن قيس :

ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى الخزرجى ، أبو محمد ، خطيب الأنصار ، ويقال له أيضا : (خطيب النبى - صلى الله عليه وسلم -) الذى بشره بالشهادة ، فلما استنفر أبو بكر المسلمين إلى حرب المرتدين ، خرج ثابت مع خالد بن الوليد إلى اليمامة حيث (مسيلمة الكذاب) فعقد له خالد لواء الأنصار ، فلما حمى القتال وانهزم المسلمون فى أوله قال ثابت : « ماهكذا كنا نقاتل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجعل لنفسه حفرة ودخل فيها إلى أنصاف ساقيه بعدما تحنط وتكفن ، فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك[٤] .

(٢) البداية والنهاية ٦/ أحداث سنة ١١هـ .
(٣) ابن عساكر ١/٤٤٥ ، الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ص ٩ .
طبقات ابن سعد ٧/١٠ .
(٤) البداية والنهاية ٦/٣٧٧ ، ٣٧٨ .

● حبيب بن مسلمة الفهرى :

حبيب بن مسلمة بن مالك الفهرى القرشى ، وفد على الخليفة أبى بكر الصديق ملبيا نداء الجهاد ضد الروم ، وقت مثول معن بن يزيد وقومه بين يدى الخليفة ، وقال للصديق : « عندى من مثل عددهم [يقصد رجال معن بن يزيد] رجال من أفناء القبائل ، ولهم رغبة فى الجهاد ، فاجمعنا وهؤلاء جميعا يا خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ابعثنا » . فقال له أبو بكر : « فاخرج بهم جميعا ، فأنت أمير القوم ، حتى تقدم على إخوانك » فعسكر بهم ثم خرج فساروا حتى قدم بهم على يزيد بن أبى سفيان وشهد اليرموك(*) .

● حذيفة بن محصن الحميرى :

بعثه الصديق إلى (عُمان) حيث كان « ذو التاج لقيط بن مالك » الأزدى المسمى فى الجاهلية بـ « الجلندى » قد ارتد وادعى النبوة ، وتابعه الجهلة من أهل عُمان حتى تغلب عليها ، فبعث له الصديق حذيفة ، وألحق به تحت إمرته (عرجفة البارقى) ، و (عكرمة بن أبى جهل) ، ثم سار حذيفة إلى (مهرة) تحت إمرة (عكرمة) حسب ما أمر به الخليفة ، وخضعت مهرة بعد قتال مرير(٦) .

● حمزة بن مالك :

حمزة بن مالك الهمدانى العذرى ، سيد همدان ، قدم على أبى بكر الصديق لما نادى بالجهاد ضد الروم فى جمع من همدان يزيد على ألفى رجل ، فلما رأى أبو بكر عددهم وجلدهم سر بهم ، وأمره الصديق بالخروج إلى الشام ، والانضواء تحت لواء أبى عبيدة بن الجراح(٧) .

● خالد بن سعيد :

خالد بن سعيد بن العاص ، صحابى جليل ، كان عاملا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على اليمن إلى أن ولى الصديق فاستدعاه ، ليعقد له أول لواء فى الجيوش التى أعدها لفتح الشام ، ثم أمره بعد ذلك بالانضواء تحت لواء أبى عبيدة عامر بن الجراح فامتثل ، وشهد فتح أجنادين ١٣هـ ، وموقعة (مرج الصفر) وفيها استشهد(٨) .

● خالد بن الوليد :

خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى ، سيف الله المسلول ، سُرَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإسلامه ، وولاه على الخيل ، ولما تولى الخلافة أبو بكر الصديق وجهه لقتال طليحة بن خويلد الأسدى وقومه بنى أسد ومن حالفهم من غطفان ، وعبس ، وذبيان ، وجديلة ، والغوث ، وطىء ، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة .

ونجح خالد فى إخضاع بنى أسد بعد أن ألحق الهزيمة بطليحة وحليفه : عيينة بن حصن الفزارى فى معركة (بزاخة) ثم سار إلى (مالك بن نويرة اليربوعى) بـ (البطاح) فأسره فى جمع من قومه ، وضربت عنقه .

(*) تهذيب ابن عساكر ٣٥/٤ .
(٦) الطبرى جـ ٤ - أحداث سنة ١١هـ .
(٧) الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ص ٤٠ ، ٤١ .

(٨) طبقات ابن سعد ٦٧/٤ ، الإصابة ٤٠٦/١ ، البداية والنهاية جـ ٧ أحداث ١٣هـ .

وأرسله الخليفة لحرب (مسيلمة الكذاب) وقومه بن حنيفة بأرض اليمامة ، فهزمهم فى معركة (الحديقة) التى شهدت مقتل (الكذاب) .

ولما فرغ خالد من اليمامة بعثه الصديق إلى العراق على رأس جيش لفتحها على أن يبدأ بـ « الأبلة » ويأتى العراق من أعاليها ، وأن يتألف الناس ، ويدعوهم إلى الله عز وجل ، وأحرز خالد انتصارات مدوية فى العراق على الفرس فى (المذار) ، و (أليس) ، و (أمغيشيا) ، و (الأنبار) ، و (الحيرة) وسيطر على معظم العراق ، فقال فيه أبو بكر بعد أن علم بتلك الانتصارات : « يامعشر قريش . . عجزت النساء أن ينشئوا مثل خالد » .

ورفض الصديق الاستجابة لإلحاح عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بعزل خالد عندما أدى فريضة الحج وترك الجيش فى العراق فى ٢٥ من ذى القعدة قائلا : « لاأشيم سيفا سله الله على الكفار » ، ولكنه أنبه على عمله .

ثم أمر الخليفة خالد بن الوليد بأن يتجه بجيشه إلى الشام لنجدة جيوش المسلمين بها فى مواجهة الروم ، وقال قولته المشهورة : « والله لأشغلن الروم عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » .

فخرج خالد من الحيرة إلى العراق فى صفر ١٣هـ ، متجها إلى الشام فى مناورة مذهلة مع تسعة آلاف وخمسمائة رجل ، وحرص على ألا يترك خلفه مواقع قائمة للروم وعملائهم من العرب ، فأغار على حصن (أرك) وفتح (تدمر) و (القريتين) و (حوارين) ، وأوقع الهزيمة بعرب غسان فى (مرج راهط) ، وكل هذا فى شهر صفر ١٣هـ ، ثم فتح بصرى ٢٥ من ربيع الأول ١٣هـ ، وتغلب على الروم فى (مرج الصفر) جنوبى دمشق فى جمادى الآخرة ١٣هـ ، واختتم انتصاره بانتصار مدو على الروم فى اليرموك[٩] .

● الزبير بن العوام :

الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى ، صحابى شجاع ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سل سيفه فى الإسلام ، وكان أحد أمراء الحرس الذين أقامهم الصديق - رضى الله عنه - لحراسة أنقاب المدينة لحمايتها من هجمات الأعراب المرتدين عن الإسلام ، وكان على بعض الكراديس فى معركة اليرموك[١٠] .

● زيد بن الخطاب :

ابن نفيل القرشى العدوى أبو محمد ، وهو أخو عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - لأبيه ، قتل يوم اليمامة ، وكانت راية المهاجرين يومئذ بيده ، فلم يزل يتقدم بها حتى سقط ، وقاتله هو (الرجال بن عنفوه) واسمه (نهار)[١١] .

● زيد بن ثابت :

زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى الخزرجى ، من كبار الصحابة ، وكان رأسا فى

(٩) تاريخ الأمم والملوك ٤/٧ ، ١١٠٩ البداية والنهاية ٦/٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٧/ ٥ ، ١٧ .
(١٠) صفة الصفوة ١/١٣٢ ، البداية والنهاية ٦/ ٣٥٠ ، جـ ٧ أحداث ١٣هـ .
(١١) البداية والنهاية ٦/٣٧٨ .

القضاء والفتوى والقراءة ، وكان أحد الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - كلفه الصديق بجمع القرآن فى مصحف ، كان الخليفة قد انزعج من مقتل الحفظة فى حروب الردة ، فأشار عليه عمر بضرورة جمع القرآن وتدوينه حتى لا يضيع إذا ما استمر القتل فى القراء بالمواقع ، فاختار أبو بكر زيدا ، لأنه كان يكتب الوحى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأحجم زيد فى البداية خوفا ، من أن يعمل عملا لم يفعله النبى - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله شرح صدره فى النهاية فكتب آيات القرآن فى صحف ظلت عند أبى بكر حتى وفاته[١٢] .

● سالم بن عبيد :

مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، كان من سادات المسلمين ، أسلم قديما ، وهاجر إلى المدينة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج مع جيوش المسلمين لحرب المرتدين فى اليمامة ، وحمل راية المهاجرين بعد استشهاد (زيد بن الخطاب) فلما قطعت يده اليمنى أخذ الراية بيسراه ، فقطعت فاحتضنها وهو يقول :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

(آل عمران - ١٤٤)

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾

(آل عمران - ١٤٦)

وظل حريصا على الراية حتى استشهد[١٣] .

● سعد بن أبى وقاص :

سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى الزهرى ، أحد العشرة الذين بشرهم - صلى الله عليه وسلم - بالجنة ، وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، كان واحدا من أمراء الحرس الذين أوكل إليهم أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - حماية الطرق الموصلة إلى المدينة من هجمات من ارتد من الأعراب[١٤] .

● سعيد بن زيد :

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى القرشى صحابى جليل وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان من ذوى الرأى والبسالة ، كلفه خالد بن الوليد بقيادة قلب الجيش يوم اليرموك[١٥] .

● سعيد بن عامر :

سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى ، علم أن أبا بكر يريد أن يبعثه مددا إلى جيوش المسلمين بالشام لحرب الروم ، فلما أبطأ عليه ومكث أياما لا يذكر له أبو بكر شيئا قال له : « ياأبا بكر قد بلغنى أنك أردت أن تبعثنى فى هذا الوجه ، ثم رأيتك قد سكت ، فما أدرى ما بدا لك .. » .

فقال له أبو بكر : « اخرج ياسعيد .. فتجهز فإن مسرح إلى المسلمين جندا مددا لهم ومؤمرك عليهم » .[١٦] .

(١٢) السيوطى . تاريخ الخلفاء ص ٧٢ .
(١٣) البداية والنهاية ٣٧٩/٦ .
(١٤) صفة الصفوة ١٣٨/١ . الإصابة ت ٣١٨٧ . البداية والنهاية ٣٥٠/٦ .
(١٥) تهذيب ابن عساكر ١٢٧/٦ . صفة الصفوة ١٤٦/١ . البداية والنهاية جـ٧ أحداث سنة ١٣هـ .
(١٦) تهذيب التهذيب ٥١/٤ . ابن عساكر ١٤٥/٦ .

ثم أمر أبو بكر فنادى فى الناس : « ألا انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر بن حزيم إلى الشام » فاجتمع له سبعمائة رجل فى أيام معدودة ، فخرج فى ٧ من ذى القعدة سنة ١٢هـ .

● شرحبيل ابن حسنة :

شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف الكندى ، يعرف بشرحبيل ابن حسنة ، وهى أمه ، صحابى ، بعثه الصديق زمن الردة مددا لعكرمة بن أبى جهل فى مواجهة مسيلمة الكذاب ، على أن يتوجه بعد ذلك لإخضاع المرتدين من بنى قضاعة ، لكنه انكسر فى مواجهة مسيلمة مثل عكرمة ، فمكثا ينتظران مدد الخليفة .

وعندما دعا الصديق المسلمين لجهاد الروم عقد لواء لشرحبيل ، وأوصاه بتقوى الله وطاعته ، وبالصلاة فى وقتها ، والصبر يوم البأس ، وعيادة المرضى ، وحضور الجنائز ، وذكر الله كثيرا ، وسار شرحبيل إلى الشام من طريق تبوك كتعليمات الخليفة ، ثم اتجه إلى الجابية ، امتثالا لأمر الصديق بالاجتماع[١٧] .

● أبو سفيان :

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف سيد قريش ، من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلفه خالد بن الوليد يوم اليرموك بوعظ الجند وحثهم على القتال ، وقيل عنه :

« فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول : يانصر الله اقترب فنظرت ، فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد»[١٨] .

● ضرار بن الأزور :

ضرار بن مالك الأزور بن أوس بن خزيمة الأسدى ، أحد الأبطال فى الجاهلية والإسلام ، وكان شاعرا مطبوعا ، قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد ، وقاتل يوم اليمامة أشد القتال ، وحضر وقعة اليرموك ، وكان فى الوفد الذى ذهب للقاء (تذارق) شقيق هرقل ، وقائد جيوش الروم الذى كان قد طلب التفاوض على الصلح ، ولكنه لم يتم[١٩] .

● أبو عبيدة بن الجراح :

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهرى ، القرشى ، الصحابى ، أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجنة ، عقد له الصديق لواء لحرب الروم ، وجعل له نيابة حمص فى أول ١٣هـ .

وسار أبو عبيدة من المدينة حتى مر (بوادى القرى) ثم طلع إلى (مدائن صالح) ثم إلى (ذات المنار) ، ثم إلى (زيزا) ، ومنها سار إلى (مآب) بعمان ، فتصدى له الروم ، الذين اضطروا للفرار ، فطلب أهلها الصلح فأجابهم

(١٧) تهذيب ابن عساكر ٢٩٩/٦ ، البداية والنهاية جـ٦ أحداث ١٢هـ ، جـ٧ أحداث ١٣هـ .

(١٨) الإصابة ت ٤٠٤١ ، البداية والنهاية ٩/٧ .

(١٩) تهذيب ابن عساكر ٣٠/٧ ، البداية والنهاية جـ٧ أحداث سنة ١٣هـ .

إليه أبو عبيدة ، فكانت أول مدن الشام المفتوحة صلحا ، ثم سار إلى الجابية وظل بها يناوش الروم ، حيث ألحق بهم هزيمتين ، الأولى عند (عربة) جنوبي البحر الميت ، حيث حاول الروم تطويق قوات أبي عبيدة في الجابية ، ولكنه تنبه للأمر ، وألحق بهم الهزيمة ، ثم هاجم تجمعاتهم في (الداثنة) قرب غزة فشتت شملهم .

ولما تولى خالد بن الوليد قيادة الجيوش الإسلامية بالشام جعله على مؤخرة الجيش كله ، حتى إذا رآه المنهزم استحى منه ، ورجع إلى القتال ، فكان يعظ المسلمين بقوله : « ياعباد الله انصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم ، يامعشر المسلمين اصبروا ، فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ومدحضة للعار .. »[٢٠] .

● عكرمة بن أبي جهل :

عكرمة بن أبي جهل : عمرو بن هشام المخزومي القرشي ، من أبطال العرب في الجاهلية والإسلام ، كان وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذين معه ، أسلم بعد فتح مكة ، وحسن إسلامه ، فشهد الوقائع ، كلفه الصديق بمحاربة مسيلمة الكذاب ، الذي كان قد ادعى النبوة ، لكن عكرمة تعجل ، وناهض مسيلمة قبل مجيء (شرحبيل ابن حسنة) مددا إليه من قبل الخليفة ، ليفوز بالظفر وحده ، فناله من مسيلمة قرح والذين معه ، فتقهقر حتى جاء خالد بن الوليد ، فقهر مسيلمة ، وكتب الصديق إلى عكرمة يلومه قائلا : « لا أرينك ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء » ، وأمره أن يلحق بحذيفة بن محصن الحميري ، وعرجفة البارقي مددا لهما في إخضاع أهل (عُمان) ، فلما تم النصر للمسلمين ، سارت جيوش المسلمين بقيادة عكرمة ـ حسب توجيهات الخليفة ـ لتفتحم (مهرة) حيث انتصر عكرمة على زعيمي الردة بها ، وهما : (المصبح) و (شخريت) .

ولما ندب أبو بكر المسلمين للجهاد ضد الروم في الشام ، وعقد الألوية لأبي عبيدة ، وشرحبيل ، ويزيد ، وعمرو بن العاص ، بعث في أثرهم عكرمة في ستة آلاف ، وأمره أن يقف بهم على أطراف الشام ، ليكونوا ردءا للمسلمين ، واستشهد يوم اليرموك ، وفي رواية أخرى يوم أجنادين[٢١] .

● العلاء بن الحضرمي :

العلاء بن عبد الله الحضرمي ، صحابي جليل من حضرموت ، ولد بمكة وولاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ البحرين ، وأقره أبو بكر ، ثم وجهه لحرب من ارتد من العرب في البحرين ، فأوقع بهم العلاء هزائم مريرة[٢٢] .

● علي بن أبي طالب :

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصهره وأحد الشجعان الأبطال ، شهد المواطن كلها مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اتخذه الصديق ضمن

(٢٠) صفة الصفوة ١٤٢/١ ، البداية والنهاية ٤/٧ : ١٧ .
(٢١) الإصابة ت ٥٦٤٠ تهذيب الأسماء ٣٣٨/١ ، البداية والنهاية جـ٦ أحداث ١٢هـ ، جـ٧ أحداث ١٣ هـ .
(٢٢) تهذيب الأسماء ٣٤١/١ ، الإصابة ت ٥٦٤٤ ، البداية والنهاية ٣٦٩/٦ : ٣٧١ .

الأمراء الذين وضعهم على أنقاب المدينة ، لحمايتها من هجمات الأعراب المرتدين ، ولما خرج الصديق إلى (ذى القصة) لعقد الألوية لأمراء الحرب الأحد عشر ، استوى على راحلته يريد الخروج للجهاد ، فحال عليٌّ بينه وبين ذلك قائلا : « إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد : لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فجعنا فيك لا يكون للإسلام نظام أبدا»[٢٣] .

● عمرو بن العاص:

عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى ، صحابى جليل ، صاحب رأى وحزم ومكيدة فى الحرب والسياسة ، عقد له الصديق - رضى الله عنه - لواء فى حروب الردة فوجهه إلى قضاعة ، وربيعة ، والحارث ، وعقد له لواء آخر على رأس أحد الجيوش الأربعة التى سيرها لفتح الشام ، وجعل وجهته فلسطين ، ثم انتقل إلى الجابية للاجتماع بسائر جيوش المسلمين حسب تعليمات الصديق ، وعندما انتهت القيادة لجيوش الشام إلى خالد بن الوليد جعله على ميمنة الجيش[٢٤] .

● أبو الدرداء:

عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصارى الخزرجى ، اشتهر فى الإسلام بالشجاعة والنسك ، شهد اليرموك ، وقلده خالد بن الوليد مهام القضاء فى الجيش[٢٥] .

● فيروز الديلمى:

أبو الضحاك ، أمير صحابى يمانى ، فارسى الأصل ، وكان يقال له : (الحميرى) لمحالفته حمير باليمن ، وفد على النبى - صلى الله عليه وسلم - وروى عنه ، قتل الأسود العنسى مدعى النبوة فى اليمن صبيحة يوم وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن أهل اليمن عاودوا ردتهم بزعامة قيس بن مكشوح ، فكتب الصديق إلى الأمراء والرؤساء من أهل اليمن أن يكونوا عونا لفيروز ومن معه على قيس بن مكشوح حتى تأتيهم جنوده ، وتمكن فيروز من الإيقاع بابن مكشوح وجنوده وأسره مع عمرو بن معد يكرب قبل وصول المهاجر بن أبى أمية على رأس جند الخليفة[٢٦] .

● القعقاع بن عمرو:

القعقاع بن عمرو التميمى من فرسان العرب وأبطالهم قبل الإسلام وبعده ، كان الساعد الأيمن لخالد بن الوليد فى فتوح العراق ، وانتقل معه إلى الشام حيث شارك فى اليرموك ، وكان الصديق يقول عنه : « صوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل »[٢٧] .

● قيس بن هبيرة:

قيس بن هبيرة الملقب بمكشوح بن هلال البجلى ، صحابى جليل ، بعثه الصديق مع أبى

(٢٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٠ ، ٣٥٥ .
(٢٤) الإصابة ت ٥٨٨٤ ، البداية والنهاية ، جـ٦ ص ٣٥٥ ، جـ٧ أحداث ١٣هـ .
(٢٥) الإصابة ت ٦١١٩ ، البداية والنهاية ٧/ ٩ .
(٢٦) الإصابة ت ٧٠١٢ ، البداية والنهاية جـ٦ أحداث ١٢هـ .
(٢٧) الكامل ، أحداث سنة ١٦هـ .

عبيده عامر بن الجراح قائد أحد الجيوش التي وجهها لفتح الشام، وأمر أبا عبيدة أن يسمع منه، وكانت لقيس صولات وجولات، وجعله خالد بن الوليد قائد الجيوش فيما بعد على رأس خيل الميسرة[٢٨].

● المثنى بن حارثة:

المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني صحابي أسلم سنة ٩هـ، وغزا بلاد فارس في عهد الصديق، حيث اقتحم حدودها مطاردا لفلول المرتدين الهاربة من بطش جيوش المسلمين، ولم يكن الصديق قد كلفه بشيء، بل لم يكن يعرف شيئا عنه، فقال: «من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟» فقال له قيس بن عاصم المنقري حكيم بن تميم خصوم بن شيبان قبل الإسلام: «هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد، هذا المثنى بن حارثة الشيباني».

وعقب انتهاء حروب الردة سار المثنى إلى المدينة وطلب من الصديق أن يؤمره على حرب العراق، فوافق الصديق فجمع المثنى قومه من بني شيبان وحلفائها وأخذ يغير على جنوب العراق، فلما استبان ضخامة الأمر وعدم استطاعته القيام به وحده، طلب المدد من الصديق فسير إليه خالد بن الوليد وكلفه بالبدء في فتوح العراق على أن ينضوي المثنى تحت لوائه، على أن الصديق مالبث أن سير خالدا لنجدة المسلمين بالشام، فسار خالد بكامل جيشه الذي فتح به معظم العراق وخلفه المثنى بن حارثة الذي أوقع بالفرس هزيمة كبرى في معركة (بابل) أواخر ربيع الأول ١٣هـ، حيث استغل الفرس فرصة خروج خالد بجيشه إلى الشام لمحاولة استرداد ما استولى عليه المسلمون منهم.

ثم اتجه المثنى إلى المدينة يطلب المدد من أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وكان في مرض الموت، فاستدعى عمر بن الخطاب وأوصاه بأن يندب الناس مع المثنى[٢٩].

● معاذ بن جبل:

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أعلم الأمة بالحلال والحرام وأحد الستة الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاد إلى المدينة عقب وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اليمن التي كان يلي قضاءها، وكان مع أبي عبيدة عامر بن الجراح في غزو الشام، وطلب الصديق من أبي عبيدة عند خروجه ألا يقطع أمرا دون مشورة معاذ، وعندما تجمعت قيادة جيوش الشام في يد خالد بن الوليد جعله قائدا لفرسان الميمنة[٣٠].

● معن بن يزيد:

معن بن يزيد بن الأخنس السلمي، سيد بني سليم، قدم على الصديق ـ رضي الله عنه ـ ملبيا نداء الجهاد ضد الروم، مع رجال من قومه بلغوا نحوا من المائة رجل، فقال أبو بكر: «لو كان

(٢٨) النووي ٢/٦٤.
(٢٩) الإصابة ت ٧٧٢٤، الاستيعاب ٣/٤٩٦، ٤٩٧، الطبري ٤/٤٢، ٤٣.
(٣٠) الإصابة ت ٨٠٣٩، أسد الغابة ٤/٣٧٦، البداية والنهاية ٧/٩.

هؤلاء أكثر مما هم فيه لأمضيناهم إلى إخوانهم » ، فقال له عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ « والله لو كانوا عشرة لرأيت لك أن تمد بهم إخوانهم . . »[٣١] .

● **ملحان بن زياد :**

ملحان بن زياد الطائي شقيق عدي بن حاتم لأمه ، قدم على أبي بكر في ألف من طيء بعد مسيرة الأمراء الذين وجههم أبو بكر بغزو الروم بالشام ، فقال له الصديق : « . . الحق بأبي عبيدة فقد رضيت لكم صحبته وحمدت لكم إليه . . »[٣٢] .

● **المهاجر بن أبي أمية :**

المهاجر بن أبي أمية سهيل بن المغيرة المخزومي القرشي ، صحابي جليل استعمله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كندة ، فتوفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يسير إليها ، فبعثه الصديق إلى اليمن لمعاونة (فيروز الديلمي) قاتل الأسود العنسي مدعي النبوة في إخضاع من ارتد منها عن الإسلام ، وولاه الصديق إمارة صنعاء سنة ١١هـ ، ثم كلفه بالمسير إلى حضرموت لقتال المرتدين بها سنة ١٢هـ[٣٣] .

● **هاشم بن عتبة :**

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فارس خطيب ، كان في جيوش المسلمين يوم اليرموك كلفه خالد ابن الوليد بقيادة المشاة[٣٤] .

● **يزيد بن أبي سفيان :**

يزيد بن صخر بن حرب الأموي صحابي جليل ، استعمله الصديق ـ رضي الله عنه ـ على جيش من جيوش غزو الشام ، وخرج في رجب ١٢ هـ ، يشيعه أبو بكر راجلا ، وكان يزيد يقول لأبي بكر : « ياخليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إما أن تركب ، وإما أن تأذن لي فأمشي معك ، فإني أكره أن أركب وأنت تمشي » ، فقال له أبو بكر : « ما أنا براكب ، وما أنت بنازل . . » وأوصاه بتقوى الله وطاعته .

وسار يزيد بجيشه من (ذي مرة) ، وهي من أعراض المدينة ، وسلك طريق تبوك ، كأمر أبي بكر ، ثم إلى البلقاء من علياء الشام ، ثم انحاز إلى أبي عبيدة بن الجراح بالجابية كأمر الخليفة ، فلما صارت القيادة العامة لخالد بن الوليد جعله خالد على الميسرة وذلك في معركة اليرموك[٣٥] .

□

---

(٣١) الإصابة ت ٨١٦٣ .
(٣٢) الأزدي . تاريخ فتوح الشام ص ٢٩ .
(٣٣) أسد الغابة ٤/٤٢٢ . البداية والنهاية ٦ أحداث ١١ ، ١٢هـ .
(٣٤) البداية والنهاية ٧/٩ .
(٣٥) البداية والنهاية ٧/ أحداث ١٣هـ .

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء



لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقي شمس الدين

السؤال من السيد/ عبد التواب حسن .

أرجو معرفة الحكم الشرعي فى قنوت الصبح ومعرفة حكم ختام الصلاة ؟ وهل يجوز الدعاء بغير المأثور ؟

الجواب

الحمد لله ، الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وبعد :

فنفيد بأن القنوت فى صلاة الصبح من سنن الصلاة ، وبعض المذاهب تقول بالجهر فيه ، والبعض الآخر يقنت بالدعاء سرا ، ولو أتى المصلى به أثيب عليه ، ولو تركه لا يعاقب عليه ، وإن كان الأفضل الإتيان به فى الركعة الثانية بعد الرفع من الركوع ، كما أنه لا مانع شرعا من الإتيان به عند الشدائد فى أية صلاة ، وللقنوت دعاء مأثور يفضل الدعاء به ، وإذا لم يعرف المصلى هذا الدعاء فلا مانع شرعا من القنوت بما يعرفه .

وختام الصلاة من كمالها كما ورد فى السنة المطهرة ، ولا مانع من الجهر به إلا إذا تسبب فى التشويش على المصلين فيسر به ، ولا ينبغى أن تكون هذه الأمور على خلاف عند جماعة المسلمين لأنها ليست من أركان الدين ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ محمد ياسر محى الدين الشاذلى يقول فيه : عندنا مصنع لعمل أنتيكات ومقابض أبواب وغيرها ، وغير مجسمة تجسيما كاملا فى الهيئة وهى مجسمة الرأس فقط ، وذلك كعمل استثمارى للرزق الحلال فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ـ وعلى آله وصحبه ـ أجمعين .

أما بعد فنفيد فإن التماثيل التى ليس فيها تجسيم كامل الهيئة ليست حراما ، لأنها لا تؤدى إلى وجود أى أثر للشريك ، وعبادة الأصنام والتجسيم الكامل فى الخلق يقول الله تعالى عنه : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (سورة التغابن ٣) وما تنتجه هذه المصانع لا ينطبق عليه قول الله تعالى : ﴿ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ ، (سورة الرعد ١٦) فهى رزق حلال ، واستثمار طيب للشاب المكافح ، الذى يأكل من عمل يده شريطة ألا تصنع بغرض العبادة أو التعظيم . والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ محمد محمد محمود يقول فيه :

هل الزواج من كتابية سواء أكانت مسيحية أو يهودية مباح ؟ وإذا كان مباحا فما أصل الإباحة فى الكتاب والسنة ؟ وهل هذا الزواج إذا تم يحقر من شأن الزوج المسلم بين أهله وعشيرته أم شأنه كالزواج من مسلمة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فنفيد بأن الزواج من الكتابية مباح لا شىء فيه ، لأن الزوج المسلم يؤمن بسيدنا موسى وعيسى وجميع الأنبياء فيحترم دينهم بخلاف العكس والدليل على ذلك قول الله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (سورة المائدة ٥)

والمراد بالمحصنات هنا : العفيفات فالكتابية مع مخالفتها للمسلم فى بعض أصول الدين قد أبيح التزوج بها ، والدليل من السنة زواج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من السيدة مارية القبطية والتى أسلمت بعد ذلك ، أما الزواج بالكتابية فلا يقلل من شأن الرجل ولا يحقره بين أهله وعشيرته .

هذا وبالله التوفيق .

السؤال من ع . ر . ح

نرجو إفادتنا عن حكم الشرع فى هذه الرسالة التى تنتشر بين الحين والحين ومفادها أن خادم الحجرة النبوية رأى فى المنام « سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » وأوصاه أن يخبر العباد بضرورة الاستغفار والعودة إلى الله تعالى .



ثم تختتم الرسالة بأنه يجب على كل من تصله هذه الرسالة أن ينسخها عشر مرات ثم يوزعها فإنه يناله خير عميم فإذا لم يوزعها يناله الشر والعقاب .

ما حكم الشرع فى ذلك حيث تنتشر هذه الرسالة بين أبناء قريتنا هذه الأيام ؟

الجواب

هذا العمل المشار إليه فى طلب الاستفتاء الموضح بعاليه من الأمور التى سادت فى المجتمعات الإسلامية ، وهى من البدع التى لا أساس لها فى الدين ، وعلى من تصله رسالة من هذا القبيل ألا يلتفت إليها إطلاقا ولا حرمة فى ذلك ولا إثم عليه ، والاستغفار والعودة إلى الله تعالى مطلوبان من المسلم فى كل وقت .

والله ولى التوفيق

السؤال من الأستاذ مهدى حسن الجميل ـ المحامى بمنيا القمح .

تم الإمساك على توقيت مكة وحضر إلى القاهرة قبل الإفطار . هل يتم الإفطار على إفطار مكة أم على توقيت القاهرة ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد : فإذا تم الإمساك على توقيت مكة وحضر إلى القاهرة قبل المغرب فعليه أن يتم الصيام ويفطر على توقيت القاهرة لأن القرآن الكريم يقول ﴿ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ (سورة البقرة ١٨٧) وذلك فى المكان الذى وصل إليه والله أعلم .

السؤال من السيد/ محمد إبراهيم خلف ـ دمنهور ـ بحيرة

أرجو التفضل بالإجابة عن السؤال الآتى :

« ما حكم الدين فى قيام بعض الموظفين بكتابة مأموريات مصلحية لا يقومون بها ، بل يتهربون بها للراحة والدعة والمؤسف أن بعضهم يصرف عنها بدل انتقال ، والآخر يكتفى براحة البال . نرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فيحرم على أى موظف أن يقوم بكتابة مأموريات مصلحية لا يقوم بها لأنه أخذ أموال المسلمين بغير حق وعطل مصالح المسلمين المتعلقة بوظيفته ، والهروب بها من أجل الراحة والدعة ، وبدل الانتقال عنها كل ذلك حرام لأنه بنى على غش للمسلمين وانتفى فيه الإخلاص وفقد إتقان العمل ، والله أعلم .

حديث الفؤاد فى مولد خير العباد
بقية

معتصمون بحبل الله المتين ، ولأنهم إن أخلصوا دينهم لله فلن يهزمهم هازم ، ولن يقصمهم قاصم .

وجاء قوله عز وعلا ـ : ﴿ وداعيا إلى الله بإذنه ﴾ بمثابة التفسير لما سبق ، ومبينا أنه ـ ﷺ ـ مادعا الناس إلى عبادة ، وما دعاهم إلى عقيدة ، وما دعاهم إلى معروف ، وما نهاهم عن منكر إلا بإذن الله ـ عز وجل ـ وإرادته وعلمه ، ثم أنظر فى قول ربنا : ﴿ وسراجا منيرا ﴾ لأجد أمامى نور رسول الله ـ ﷺ ـ الذى لا ينطفىء ، هذا النور الذى بزغ فى ظلمات الجاهلية ، فجراً فجر فى القلوب نبضات الحياة بعد أن عاشت دهراً طويلا أشد قسوة من صخور الجبال ، تلك الجبال التى كادت تزول بسبب مكر الناس لولا رحمة رب الناس .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

(إبراهيم : ٤٦)

هو ـ ﷺ ـ السراج المنير الذى يبصر به كل حى طريقه ، فمن آمن به ، واتبع هديه ، ورضى بسنته فقد هدى إلى صراط مستقيم ، ومن كفر وعمى وغوى فقد هدى إلى عذاب الجحيم .

لقد طلع السراج المنير على الليل البهيم ، ليرحم كل ضعيف مقهور ، ويرفع كل ذليل مذئور ، ويرقى بمعيار التفضيل بين الناس فوق الأحساب والأنساب والألوان ، إلى سمو التقوى ودرجات الإيمان ، جاء سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ليرحم كل قوى مغرور من فتن الدنيا ، وبريق الزهو ، وسوء اللهو ، لكى يرى حقيقة نفسه ، ويدرك أن الدنيا بما فيها قنطرة إلى الآخرة ، استجاب الله دعوة المظلوم ، فغدا منصوراً فى الدنيا والآخرة بفضل دعوته ـ ﷺ ـ واستحال صراخ الموءودة ابتسامة مشرقة فى ظل الحياة والأمومة ، وكل حق كريم حظيت به الأنثى ، وهى تُلقى بوجه سعيد ، وثوب جديد ، وأجر مزيد بعد أن كانت تلقى بالوجه الأسود ، والقلب المظلم ، والجفن الأرمد والساعد الأظلم الذى يسلمها للموت بلا رحمة .

وأصبح الليل يغشى الناس ، وهم يذكرون الله ويتلون كتابه ، ينامون على طهور ، ويستيقظون فى البكور ليشهدوا رزق ربهم ، وطردت الشياطين ، فما باتت وماسكنت ، وما أكلت وما شربت ، توسوس فى الصدور فيطردها الذكر ، تقترب من الطعام فيسمها ذكر الله ، وتدنو من الشراب ، فيفحمها ذكر الله ، وإن جاء منها طائف يعبث ذكر الله المؤمنون فأبصروا ، فأى لون للأفق غير لون الرضا ، وأى لون للأرض غير لون الصلاح .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمد ما أعرب المعربون ، ووزن الصرفيون وقطع العروضيون ، وذكر الله الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون إلى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

طرائف ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حـقا

ما أبدع قول البوصيرى عن بشرية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفضله على سائر البشر :

ومبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

الاعتراف بالخطأ

إذا ارتكبت خطأ ، ولم تشأ الاعتراف به ارتكبت خطأ ثانياً ، وإذا اعترفت مختارا بخطئك وضعت الخطأ فى الماضى ، ووضعت العقل فى الحاضر ، والحكمة فى المستقبل .

حقيقة

إنا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم مضى يدنى من الأجل

تكبرت .. فأذلنى

قال بعض الصالحين : رأيت فتى مترفا يطوف بالكعبة المشرفة ، وحوله خدم يمنعون الناس من الطواف حتى لا يزاحمه أحد !

ثم مرت سنون ، فرأيته بجسر الرصافة يسأل الناس !

فسألته : ماذا جرى عليك ؟

فقال : تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه ، فأذلنى فى موضع يتكبر الناس فيه !

من هذا يا أمير المؤمنين؟

دخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق، فأظهر إكرامه، وأكثر إعظامه، فقيل له: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا أول من فتق لسانى بذكر الله، وأدنانى من رحمة الله.

كراهية الوقوف على الأبواب

كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، إذا قرأ عليه الطالب بابا انتهى به الدرس، يقول: اقرأ سطرا من الباب الذى يليه؛ فإنى لا أحب الوقوف على الأبواب!!

إن كان شىء

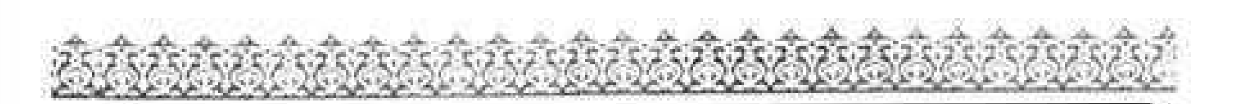
إن كان شىء فوق الحياة فالصحة، وإن كان شىء مثلها فالغنى، وإن كان شىء فوق الموت فالمرض، وإن كان شىء مثله فالفقر.

قالوا..

- اللبيب من الإيماء يكفيه، والإيحاء يغنيه، واللفظة تجزيه، واللمحة تؤثر فيه.
- الصبر على حقوق الثروة أشد من الصبر على ألم الحاجة.
- ثلاثة تدل على عقول أربابها: الهدية والكتاب، والرسول.
- يابنى لا تضحك من غير عجب، ولا تمش فى غير أرب، ولا تسأل عما لا يعنيك.

دعاء

اللهم إنى أستودعك نفسى ودينى ومالى وأهلى وكل نعمة أنعمت بها علىّ، فاجعلنى اللهم فى كنفك وأمنك وكفايتك وكلاءتك وحفظك ورعايتك ووديعتك، يامن لا تضيع ودائعه ولا يخيب سائله، ولا ينفد ما عنده.



من أعلام الأزهر



محمد محمد المدنى
الكاتب الفقيه المصلح

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

ظهرت أمارات النبوغ الفائق على الطالب محمد محمد المدنى وهو فى معهد الإسكندرية الثانوى بالسنة الأولى ، إذ أجاز القانون إذ ذاك لجميع الطلاب أن يتقدموا لامتحان الشهادة الثانوية ماداموا يحملون الشهادة الابتدائية فقط ، دون نظر لانقضاء عدد من السنوات ، وهنا دفعت الهمة طالب السنة الأولى أن يتقدم لامتحان الشهادة الثانوية ، وأن يفوز بأعلى الدرجات ثم يلتحق بالقسم العالى ، وكانت هذه نادرة عجيبة تلتها نادرة أخرى هى أن القانون أباح لحامل الثانوية أن يتقدم لامتحان العالمية دون نظر لانقضاء عدد من السنوات ، فتقدم طالب السنة الأولى ليظفر بالدرجة ، ووفقه الله ، فنال الشهادة فى سن العشرين ، وهى سن لم تتهيأ من قبل لعالم أزهرى ، ثم التحق بقسم التخصص فى فرع البلاغة والأدب فتخرج مبرزا وعين مدرسا بالمعهد السكندرى ، هذه دلائل واضحة على نبوغ الطالب منذ صغره ، والذى يعرف صعوبة الامتحان الشفوى للسنة النهائية بالقسم العالى ، ومكث الطالب أكثر من خمس ساعات فى نقاش علمى جاد يتناول علوم الشريعة والقانون واللسان ، كما قررت فى كتب مشهورة بالتدقيق ، إن لم يكن بالتعقيد ، والممتحنون من هيئة كبار العلماء ، ومن الذين دوى لهم صيت رنان فى شرح هذه الكتب والتعليق عليها ، الذى يعرف ذلك كله ، ويعلم معه أن سنة واحدة بالقسم العالى قد هيأته للنجاح فى هذا الامتحان نجاحا عالى الدرجة يدرك ما يتمتع به الطالب النابه منذ نشأته من حدة الذهن وسعة الثقافة وبعد الهمة ، إدراكا لا شبهة فيه ، لأن واقعه التعليمى يقدم الشهادة الصادقة على هذا النبوغ الممتاز .

تخرج الطالب وعين مدرسا بمعهد الإسكندرية الذى كان طالبا فيه ، ولو مضت الأمور السياسية رخاء فى هذا المعهد ، لاستقام له الأمر على وجه مريح ، ولكن أعاصير السياسة قد قذفت بالأزهر إلى متاهات مظلمة ، فوقعت الاضطرابات بين الأساتذة والطلاب ، إذ فصل شيخ الأزهر سبعين عالما ، منهم الأستاذ المدنى ، وحمل الأستاذ قلمه ، كما أطلق لسانه خطيبا فى التنديد بهذا الأمر الظالم ، وسافر إلى مقار المعاهد الأزهرية فى أسيوط وطنطا ودسوق ودمياط والقاهرة ، ليشجع على الإضراب العام ، وكانت غاشية مظلمة أوثر ألا أبسط الحديث عنها ، لأن وزارة صدقى باشا هى التى اضطرت فضيلة شيخ الأزهر حينئذ إلى هذا الموقف الصعب ، ثم انجلت الغاشية بذهاب عهد وإشراق عهد ، حيث رجع الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى إلى عرينه كما كان ، فأصدر أمره بإعادة المفصولين ، ولم يعد الأستاذ المدنى إلى معهد الإسكندرية ، فقد اختاره الأستاذ محمود شلتوت وكيل كلية الشريعة مدرسا بها ، والشيخ شلتوت - رحمه الله - رجل دقيق النظر ، خبير بأبناء الأزهر ، وقد عرف المدنى معرفة الملابسة والنقاش والبحث ، فعلم أن تخصصه الأدبى فى علمى البلاغة والأدب لم ينس الأستاذ تضلعه فى علوم الشريعة من فقه وأصول ، وقد أراد أن يبرز للطلاب صدق نظرته ، فأصدر أمره بإسناد مادة الأصول إلى الأستاذ المدنى ، وهى أعمق مواد الكلية غوصا ، وأدقها موضوعا ، وفى الشيوخ الكبار من أساتذة الكلية من يتنصل منها متجها دروس الفقه أو التفسير أو الحديث ، فكلها سهلة هينة بالقياس إلى مادة الأصول ، وكان الأزهرى الشاب عند ظن أستاذه الشيخ شلتوت ، فقد أبدى من التمكن والرسوخ ما تحدث به الطلاب مغتبطين .

كان الأستاذ المدنى فى دعوته الحارة لإعادة الإمام المراغى إلى مشيخة الأزهر متشبعا بآرائه التى أعلنها فى مذكرته الإصلاحية ، ويرى من أسباب الضيق بشيخ الأزهر الأستاذ الظواهرى نكوصه عن تنفيذ ماجاء بهذه المذكرة ، من حيث الجوهر العلمى النافع للطلاب ، إذ نفذت المظاهر العامة من إنشاء الكليات واختيار المدرسين ، ووضع بعض المناهج الجديدة فى الدراسة ، واختيار بعض الأساتذة من خارج الدائرة الأزهرية لقيامهم بتدريس مواد جديدة لم تدرس من قبل ، وعاد الشيخ سنة ١٩٣٥م ، ومضت خمس سنوات دون أن يقوم الإمام المراغى بتنفيذ ما جاء بالمذكرة من ناحية الإصلاح العلمى ، إذ دعت المذكرة المراغية إلى أن تهذب فصول العقائد والعبادات وينفى عنها كل ما لحق بها من البدع ، بحيث تتفق وقواعد الإسلام الصحيحة ، وأن يدرس الفقه الإسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب معين ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها ، مع النظر فى المسائل الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والأعراف ، كما تجب دراسة الأديان ليقابل مافيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود فى الدين الإسلامى فيظهر للناس يسره وقداسته وامتيازه عن غيره ، كما يجب أن تدرس أصول المذاهب فى العالم قديمها وحديثها ، وكل المسائل العلمية التى يتوقف عليها فهم كتاب الله ، ولابد من تأليف كتب جديدة قيمة بجانب كتب التراث على الطريقة العلمية الحديثة مع المحافظة على الأسلوب الجيد الذى امتاز به المؤلفون فيما قبل عصر المماليك ، ومع الالتزام كل

الالتزام بما يحافظ على جوهر الدين وكل ماهو قطعى من نصوصه .

هذا الباب ما جاء فى المذكرة ، وقد كانت موضع الاهتمام من شبيبة الأزهر المتطلعة إلى السبق الحضارى على منهج الإسلام ، والأستاذ المدنى فى طليعة هذه الشبيبة يؤازره نفر من شيوخه الأجلاء فى مقدمتهم المفتى الأكبر إذ ذاك فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم ، والأستاذ الكبير محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء ، ولكن ظروفا خاصة بالإمام المراغى دعته إلى التباطؤ فى تنفيذ ما دعا إليه من قبل ، فامتشق الأستاذ المدنى قلمه ليكتب المقالات الضافية بمجلة الرسالة ، وجريدة البلاغ مذكرا الأستاذ الأكبر بلباب دعوته ، ومؤكدا أن الأزهر ما ثار على الأستاذ الظواهرى هذه الثورة العارمة إلا أملا فى تنفيذ الإصلاح الأزهرى على وجه الصحيح ، وقد مضت خمسة أعوام دون أن يبدأ الإمام المراغى فى التنفيذ ، وكان مما قاله المدنى فى مقال تحت عنوان « عهد وعهد »[1] .

عاد الأستاذ الأكبر المراغى إلى منصبه بعد الثورة الأزهرية المعروفة ، وترقب الناس جميعا أن يتم من آيات الإصلاح مابدأ ، وأن تعود للأزهر الروح المراغية القوية التى كانوا يعهدونها من قبل ، ولكن هذه الحركة الفكرية فى الأزهر قد سكنت ريحها ، ومازال الأزهر عاكفا على كتبه يدور بها حول نفسه ويفنى فيها زهرة شبابه ، وينقطع بها عن الناس ، فليس له اشتراك ذو قيمة فى التشريع العمل للبلاد ، وليس له صلة بأوساط العلم والثقافة ، وليس له نشاط فى إخراج كتب علمية أو أدبية كما يخرج الناس ، وليس لمجلته أى أثر فى توجيه العقول والخرافات ، وإن كان لها أثر كبير فى تشجيع الخرافات والأوهام ، وهذه الحركة الدراسية فى الأزهر تشكو من تهاون الرؤساء ، وطغيان الطلاب ، وعدم إتمام المقررات ، وضعف المستوى العلمى ضعفا يشغل البال ، ويبلبل الأفكار ، ذكر الكاتب متألما ـ وكان فى غاية الصراحة أن الإمام المراغى رأى من سياسته فى العودة الثانية أن يرضى العناصر المختلفة فى الأزهر ، وفى هذه العناصر من ألف القديم ، ولم يرض به بديلا ، والمصلح لابد أن يكون جريئا فى تنفيذ خطته ، إذ أن الاستعانة بمن يصرفون عن كل إصلاح جيد تعويق وتثبيط ، وأكثر هؤلاء بحكم السن فقط يتبوءون المناصب الكبرى فى الأزهر ، وهم يكلون عن حمل الأعباء !

هذا مثل واحد لما كتبه الأستاذ المدنى فى الدعوة إلى الإصلاح الحقيقى فى ضوء المذكرة المراغية التى المحت إليها من قبل ، وقد امتد النقاش حول ما كتبه المدنى فى الصحف المختلفة ، وقام كثير من الكتاب بمناهضته كل المناهضة ، ووصفه بالغرور والخفة وحماسة الشباب ، كما قام بمناصرته فريق آخر حتى أصبحت مقالات الأستاذ محورا لتجاذب الآراء ، وطبيعى أن يصل الصدى إلى الأستاذ الأكبر ، ولكنه عرف إخلاص نيته ، وربما كان الإمام معذورا فى سيره المتئد لأن ظروفه الأولى فى مشيخته السابقة قد علمته أن يهادن من عارضوه من قبل ، واستجيب لهم عن طوع إذ ذاك .

والحقيقة أن الأستاذ المدنى كان مع ثورته هذه يتهز كل بادرة إصلاح تصدر من الإمام المراغى فيشيد بها كل الإشادة ، فقد رأس الإمام المراغى إحدى مناقشات الرسائل العلمية المقدمة لمنح

(١) مجلة الرسالة العدد ـ ٤١٥ ـ ١٦/٦/١٩٤١م .

درجة الأستاذية (الدكتوراه) فى الشريعة الإسلامية ، فنبه الطالب ـ والحضور أيضا وهم من جلة العلماء ـ إلى أن الدين فى كتاب اللغة غير الفقه ، وأن من الإسراف فى التعبير أن يقال عن الأحكام التى استنبطها الفقهاء واختلفوا فيها وتمسكوا بها حينا ورجعوا عنها حينا آخر إنها أحكام الدين ، لأن الدين هو الشريعة التى أوصى الله بها الأنبياء جميعا ، وتلك لا خلاف عليها ، أما القوانين المنظمة للتعامل والمحققة للعدل ، والدافعة للحرج ، فهى آراء الفقهاء مستمدة من أصولها الشرعية ، تختلف باختلاف العصور ، ولو جاز أن يكون الدين هو الفقه مع ما نرى من اختلاف الفقهاء بعضهم مع بعض لحقت علينا كلمة الله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾
(الأنعام : ١٥٩) .

وفى مجلة الرسالة[٢] خلاصة وافية لما أبداه الأستاذ الأكبر بهذا المجلس العلمى مدونة بقلم الأستاذ المدنى ، فى مقال جيد كثير التأييد والإطراء .

وفى جلسة أخرى للإمام المراغى تصدر فيها لمناقشة رسالة علمية تالية ، وجه الأستاذ الأكبر الأنظار إلى حقائق علمية جديدة بسطها الأستاذ المدنى فى مقال تال عبدة[٣] ومؤيدا ، إذ كانت الرسالة الفقهية تدور « حول النسخ فى القرآن » وقد انتقد الباحث أبا مسلم الأصفهانى انتقادا لم يسلم من التجريح فقال الإمام المراغى ـ فيما نقله الأستاذ ـ المدنى ـ « لقد كنت قاسيا على أبى مسلم الأصفهانى فى غير ذنب جناه ولا شطط صار إليه ، لأن الذين قالوا بالنسخ فى القرآن مثلوا له بآيات بلغت عشرين آية ، فجاء الفخر الرازى وناقشهم فى تسع منها ، وظهر أنها لا تعد من النسخ ، ونقض بقية العشرين بالدليل والبرهان ، فكيف تحرمون على أبى مسلم الأصفهانى ما تبيحون للفخر الرازى ، وكلاهما علم فى بابه ؟

كما أشاد الأستاذ المدنى بمنافسة الإمام المراغى فى اعتبار (البنكوت) من باب الحوالات فى الدين ، فسأل الطالب : هل تحققت فى هذه الأوراق شروط الحوالة بالدين من رضا المحال ، والمحال عليه حتى تكون حوالة صحيحة ؟ ثم أفاض فى شرح اقتصادى تاريخى لنظام التعامل بالورق قديما وحديثا جلى به المسألة للسامعين وضرب الأمثلة للدراسة الفقهية على وجهها السليم .

وكذلك أفاض الأستاذ الكبير فى تحقيق مسائل خاصة بالطلاق ووقوعه بالثلاث طلقة واحدة فى لفظ واحد ، وكل هذا أيده الأستاذ المدنى مثنيا مادحا ، فدل على أن غيرته الشديدة على التيقظ العلمى للأزهر كانت دافعة إلى استبطاء بدء الإصلاح فى عهد رجل الإصلاح ، وهذا ما شعر به كثير من تلاميذ المراغى ، ولكنهم لم يعلنوه ، كما أعلنه الكاتب الغيور . . وقد مر عامان على مقالات المدنى ولم يسر الإصلاح ، كما ابتغاه من يسمون بجماعة « الشيخ عبد المجيد سليم » فرأى الأستاذ الكبير محمود شلتوت أن يجدد الدعوة إلى الإصلاح وكان وكيلا لكلية الشريعة حينئذ ، فألقى محاضرة تحت عنوان (السياسة التوجيهية فى



(٢) الرسالة ـ ٣٩٦ ـ ١٩٤١/٢/٣ .

(٣) الرسالة ـ ٣٩٨ ـ ١٩٤١/٢/١٧ .

الأزهر) لم تخرج فى ثيابها عن الدعوة إلى تحقيق ما سطره الإمام المراغى فى مذكرته الإصلاحية ، وقد صادفت محاضرة الأستاذ شلتوت ارتياحا كبيرا من جمهرة السامعين ، وهم عدد كبير من الأزهريين ضاق بهم المكان فملأوا رحبة الكلية خارج المحاضرة ، ليصلهم صوت الميكروفون ، وبلغ من تأثر السامعين أن حملوا المحاضر على الأعناق حين هم بالخروج ، وقد بسط الأستاذ المدنى مقالا شافيا عن هذه المحاضرة باعتبارها تأييدا لما يكتب فى طريق الإصلاح ، ومن خلق الإمام المراغى النزيه أنه لم يضق بما قيل ، بل دعا المحاضر وجماعته إلى لقائه ، وقدم لهم ما عمل وما سيعمل ، وخرجوا مرتاحين .

ظل الأستاذ المدنى يجاهد فى سبيل إصلاح الأزهر سنين عددا حتى تهيأ للأزهر أن يرأسه صديقه وأستاذه الإمام محمود شلتوت ، فأتاح له أن يتولى عمادة كلية الشريعة ، وهى الكلية التى ترعى شئون التشريع الإسلامى ، والتى جاهد الأستاذ المدنى فى سبيل تطويرها ، وكانت له آمال فى إصلاح المناهج تحدث عنها كاتبا ومحاضرا ، وجمع من خلفه طائفة من نبهاء التلاميذ يرون رأيه ، ويذهبون مذهبه فى وجوب الإصلاح السريع ، ولما كانت خطة الإصلاح واضحة المعالم فى ذهنه ، فإنه لم يلبث أن وضع المناهج المقررة وفق هذه الخطة ، وأهمها أن تدرس المذاهب الإسلامية المقررة من مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية دراسة مقارنة يترك فيها التعصب المذهبى جانبا ، فالباحث الفقيه يقرر المسألة الفقهية غير متأثر بمذهب خاص ، وليس أمامه إلا قوة الدليل . . تميل به إلى اختيار الحكم الصائب فى رأيه ، هذه الدراسة المقارنة من المذاهب الأربعة كانت تدرس فى كلية الشريعة على نحو موجز إذ وضع فيها الأستاذان الكبيران محمود شلتوت ومحمد على السايس كتابا محدود الصفحات يتضمن شذورا من قضايا فقهية ، اختلفت فيها الأنظار ، ولكن الوضع الجديد الذى اختاره الأستاذ المدنى يحتم أن تكون جميع مسائل الفقه خاضعة لهذا الاتجاه المقارن ، فيختار الرأى الراجح من المذاهب متى صح دليله دون تقيد بإمام خاص ، وفى ذلك يقول الأستاذ المدنى[4] : « إن الفقيه المنصف الذى لا هدف له إلا البحث عن الحق ، لا يسعه أن يغض الطرف عن قول مجتهد ما فى المسألة التى يبحثها ، مادام لايصادم نصا قطعيا من كتاب أو سنة ، ولا يسعه أن يعرض عن دليله ، فقد يكون هذا الدليل سليما ، ولو أن فقيها باحثا ارتضى لنفسه أن يغض النظر عن قول غيره لكان ممن قال الله فيهم :

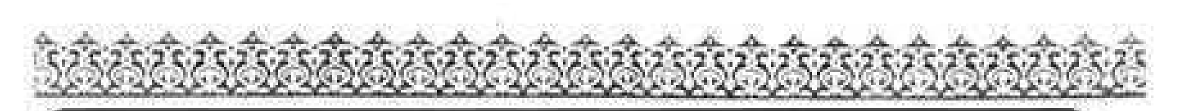
﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾

(هود : ٥)

ومنهجه حينئذ منهج فاسد غير معتد به من العلماء » .

هذا من ناحية الفقه المقارن ، أما الأمران الثانيان فهما دراسة مذهبى الزيدية وجعفر الصادق من أعلام الشيعة المعتدلين ، ودراسة القانون الوضعى المعاصر ، وقد قوبل هذا الاتجاه بعاصفة حادة ممن يكتفون بالنظرة العجلى لأنه امتداد إلى الفضاء الفسيح ، ودراسة المذهب الشيعى المختار تندرج فى درس (الفقه المقارن) ، فإذا عرضت

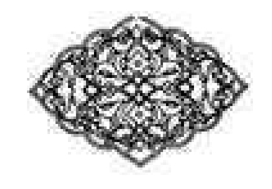
(٤) مجلة الأزهر : جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩هـ .



مسألة فقهية تشعبت فيها الآراء فى المذاهب السنية فمن الأجدر أن ننظر إلى هذه المسألة فيما جاء فى الفقه الزيدى أو الفقه الجعفرى لأن أئمة هذين الفقهين يرجعون إلى كتاب الله ، والثابت من سنة رسول الله كما نرجع ، فأى مانع من أن نعتبر أبا حنيفة ومالكا والشافعى وابن حنبل وزيد بن على وجعفر الصادق أئمة من طراز واحد ينهج نهج الإسلام دون حيف ، وقد نص الأستاذ المدنى على أن دراسة الفقه المقارن تقوم على أساس ضرورى ، هو أن يدخل الباحثون فى المسألة الفقهية إلى تكوين الحكم فيها غير متأثرين بحكم سابق ضد هذا المذهب أو ذاك ، ولذلك يجب أن يخلع الباحث ثوبه المذهبى قبل أن يدخل قاعة الدرس ، وإلا كان البحث المقارن غير صحيح ، وكان ادعاؤه حينئذ أشبه بالمظاهر التمثيلية ، وفى تقرير هذا المنحى نقل الكاتب نصوصا قوية لأئمة الإسلام تحارب الاتجاه المتعصب لمذهب معين ، ومنها قول شيخ الإسلام العز بن عبد السلام ـ رضى الله عنه ـ : « ومن العجيب العاجب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه . بحيث لا يجد لضعفه موقعا ، وهو مع ذلك يقلده فيه ، ويترك من يشهد الكتاب والسنة له ، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده » .

أما تدريس القانون الوضعى فأمر ضرورى لأن الدولة جارية عليه ، ونراه وحده أرقى قانون معاصر يتمشى مع دستور الاجتماع المعاصر ، فإذا أردنا أن نثبت كفاءة الفقه الإسلامى وسموه على القانون الوضعى ، فلابد أن ندرس هذا القانون لنبين مالدينا من الرأى المخالف محفوفا بأدلته المدعمة ، فإذا طالبنا بعد ذلك بتنفيذ الشريعة الإسلامية نكون قد أثبتنا رجحانها فى ساحة البحث العلمى بأدلة لا تدفع ، فتسكت ألسنة المعارضين ، كما أن الدراسات القانونية ستكون سلاحا لطلبة الأزهر فى ميدان الحياة ، حيث يستطيعون بها أن يتقدموا إلى مناصب القضاء ومراكز التوجيه القانونى فى الدولة ، وحينئذ لا يقال للأزهريين أنكم لستم أهلا لهذه المناصب المتطورة إذ لم تدرسوا قوانينها ، فدراسة القانون الوضعى إذن ذات نفع مزدوج تنفع لإظهار صلاحية التشريع الإسلامى مقارنا بها ، وتنفع لاتساع مجال العمل القانونى أمام طلبة كلية الشريعة ، وهم أولى بهذا العمل ، لأنهم هضموا القانون شرعيا ووضعيا .

« يتبع »



من روائع الماضي بمجلة الأزهر

موهبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية

إعداد فضيلة الشيخ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

لفضيلة الشيخ
محمد محمد أبو شهبة

على حين فترة من الرسل ، وبعد أن استحكمت الضلالة فى النفوس ، وتناهت الفتن ، وتفاقمت المحن ، وعم الكون فساد ، تقاعست عن إصلاحه اليهودية والمسيحية معا ؛ أشرقت شمس الهداية بطلعة سيد الوجود ، رسول الوحدة والتوحيد ، ونبى الحرية والديمقراطية ، وإمام السياسة والتشريع ، وداعية السلام والوئام والمحبة - محمد بن عبد الله - صلوات الله وتسليماته عليه - والكلام عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تتسع آفاقه ، وتبعد غاياته ، وتمتد نواحيه ، وتقف من دونه الألفاظ والمعانى حاسرة كليلة ؛ وهل فى وسع كاتب ، أو باحث أن يحيط بأكمل شخصية ظهرت على وجه الأرض ، ويكشف عن أصفى نفس ، وأكرم خلق ، ويُجلى للناس عظمة بشر ملأت روعته الأرض والسماء ؟

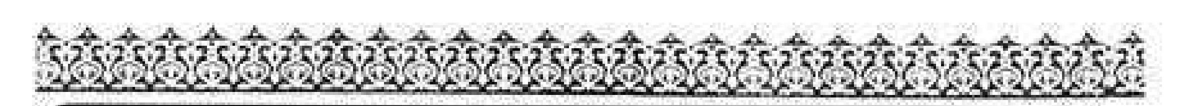
هيهات لذلك كله أن يحيط به قول قائل :

ولكن تأخذ الأفهام منه ... على قدر المدارك والعقول

والكاتب فى هذا المقال يحاول إيضاح جانب مما زخرت به السيرة المحمدية ، من ألوان السياسة العبقرية ، التى أخذ بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه ، وساس بها الناس جميعا ، سياسة كنور الله ، لا تعرف الحدود ، ولا الخصوص ، ولا الزمن .

سياسة مبعثها الرحمة ، وغايتها النصر البعيد ، وأساسها المعرفة الشاملة ؛ لتكون الشعاع الهادى ، لكل ضال والنداء الموقظ لكل غافل .

يقول الكاتب - رحمه الله - :



لايكاد التاريخ يعرف رجلا جمله الله بالكمالات البشرية مثل ما عرف ذلك لنبينا محمد - ﷺ - ولا رجلا تجمعت فى سيرته العبقرية من جميع نواحيها مثل ما عرف ذلك له . وجوانب العظمة فى السيرة المحمدية مشرقة خصبة ، تستولى على القلوب بإشراقها ، وعلى العقول بقوتها وخصوبتها . وما السيرة المحمدية إلا كبستان حافل بشتى الثمار الشهية ، والأزاهير الشذية ، لا يكاد الإنسان يهم بقطف ثمرة أو زهرة حتى تنازعه نفسه إلى الأخرى ، ولا يزال فى حيرة من أمره حتى يقطف أدناها إليه وأيسرها عليه .

هكذا كان شأنى حينما هممت أن أكتب فى ناحية من نواحى العظمة المحمدية ، فقد تسهل لى أن أكتب فى عبقرية من عبقرياته ، ألا وهى سياسته الرشيدة الحكيمة التى أخذ بها نفسه وساس بها الناس جميعا . هذه السياسة التى مبعثها الرحمة والرفق ، ومرماها النظر البعيد العميق ، وأساسها المعرفة الشاملة الدقيقة بطبائع الناس والنفوس البشرية وغرائزها وانفعالاتها ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران ١٥٩)

وإن إنساناً ، بكل ما فى الكلمة من معان الإنسانية ، اختاره الله من خيار البشر ، وتعهده بالرعاية والعناية من يوم ميلاده إلى وفاته ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وامتلأ قلبه بإشراقات الوحى وفيوضاته ، لجدير بهذه السياسة النبوية الرشيدة . وقد تجلت باكورة هذه السياسة الحكيمة يوم أن بنت قريش الكعبة المشرفة من حر مالها وأطهره ، حتى وصلوا إلى موضع الحجر الأسود ، واختلفت القبائل فيمن يكون الواضع له ، وتحركت العصبية ونعرة الجاهلية ، وكادت نيران الحرب تشتعل فتأكل الأخضر واليابس ، لولا أن تداركتهم رحمة الله ، فاتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب بنى شيبة . وشخصت الأبصار ، وتطاولت الأعناق ليروا من الداخل ! فإذا به أمينهم محمد بن عبد الله ، فارتضوه حكما . ورأى السيد الأمين الشرر يتطاير من العيون والأيدى تكاد تأخذ بالسيوف ، فتفتح عقله الكبير عن هذه السياسة الفائقة التى وأدت الفتنة وهى فى مهدها ، فبسط ثوبه ووضع عليه الحجر ، ثم دعا رؤساء القبائل وقال : « ليأخذ كل رئيس بطرفه ، حتى استووا به إلى حيث يوضع ، فأخذه ووضعه موضعه . وبذلك وقاهم شر فتنة لا يعلم مداها إلا الله .

ومن مظاهر هذه السياسة الحازمة ما حدث فى بيعة العقبة الثانية ، فقد دبرت تحت جنح الليل ، وأشار عليهم النبى بالتكتم الشديد ، حتى لا يفسد أعداؤهم عليهم الخطة ، وكان مما قاله فى هذه الليلة : « ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة ، فإن عليكم من المشركين عيناً » وكان لهذه البيعة آثارها البعيدة فى انتشار الإسلام فى المدينة ، وبالتالى فى تسهيل الهجرة إلى المدينة .

ولما هاجر النبى - صلوات الله وسلامه عليه - وأصحابه إلى المدينة فعل أمراً عجيباً ، ذلك أنه آخى بين المهاجرين والأنصار اثنين اثنين ، وكانت

هذه الأخوة الدينية بمنزلة الأخوة فى النسب : بها يتناصرون ويتوارثون ، حتى انتشر الإسلام ، وكثر المسلمون ، فجعل الله الإرث بالقرابة حيث قال :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾

(الأنفال : ٧٥)

وكان عمله هذا سياسة بارعة موفقة ، فى توثيق عرى الأخوة والمحبة ، بين المهاجرين والأنصار ، فيتعاونون ويتراحمون ، ويصيرون قوة لا يستهان بها أمام أعدائهم المجاورين لهم من اليهود .

وإن شئت أن تعرف أروع من ذلك فى باب السياسة المحمدية البصيرة ، فهاك ما حدث فى غزوة بنى المصطلق :

بينما الناس على ماء يسقون ، إذ اقتتل أجير للفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - مع رجل جهنى حليف للأنصار ، واستنصر الجهنى بالأنصار ، والأجير بالمهاجرين ، وكادت تقع فتنة أراد أن يشعلها « ابن أبى » المنافق ، فقال وعنده زيد بن أرقم « غلام يافع » : أو قد فعلوها ! قد كاثرونا ونافرونا فى بلادنا ، ما مثلنا معهم إلا كما قال الأول « سمن كلبك يأكلك » ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فنقل ابن أرقم مقالة ابن أبى إلى النبى - ﷺ - فقال عمر : « مر به يارسول الله من يقتله » ، فقال السيد الحكيم : « فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، ولكن آذن بالرحيل » .

فرحل رسول الله بالجيش فى وقت لم يكن يرحل فيه ، فسار بهم يومهم ذلك حتى أمسى وليلهم حتى أصبح . وصدر يومهم التالى حتى آذتهم الشمس ، فنزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً ، وكان غرض النبى - ﷺ - أن يشغلهم بالسير عن الحديث فيما وقع ، وبذلك وقى المسلمين من فتنة وخيمة العواقب ، ولما علم عبد الله ابنه[1] - وكان من خيار المسلمين - بما قال أبوه ، جاء إلى النبى وقال : إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرنى وأنا آتيك برأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . ترى ماذا يكون جواب النبى ؟ لقد كان جواب الحكيم الرءوف الرحيم بالمؤمنين ، الخبير بطبائع البشر ، فقال - ﷺ - : « بل نترفق به ونحسن صحبته ما دام معنا » . ولقد كان لهذه السياسة أثرها البعيد فصار ابن أبى المنافق كلما أحدث حدثاً أقبل عليه قومه وأهله يعاقبونه ويعنفونه ويأخذونه بما صنع . وقد أراد النبى - ﷺ - أن يبين لعمر - رضى الله عنه - عمق سياسته المتئدة فقال : « كيف ترى ياعمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت

---

(١) عبد الله بن أبى بن سلول ، كان رأس المنافقين ، وعبد الله بن عبد الله بن أبى كان من خيار المسلمين . فكن على بينة من ذلك حتى لا يلتبس الأمر .

لى ، لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » فقال عمر وهو الملهم المحدث : « والله لقد علمت ، لأمر رسول الله أعظم بركة من أمرى » .

ولما قسم النبى - ﷺ - غنائم هوازن ، التى أفاء الله بها عليهم من حنين ، أعطى المهاجرين والمؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار ، فوجدوا فى أنفسهم أن يعطى رسول الله المؤلفة ولا يعطيهم .

فلما بلغ ذلك رسول الله - ﷺ - جمعهم ووقف بينهم خطيباً فقال بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله - ﷺ - « ألا تجيبون يامعشر الأنصار » ، قالوا : وما نقول يارسول الله ، المن لله ولرسوله . قال : والله لو شئتم لقلتم وصدقتم جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، وخائفا فأمناك ، ومخذولا فنصرناك . فقالوا : المن لله ولرسوله ، فقال رسول الله - ﷺ - :

« أوجدتم فى أنفسكم - يامعشر الأنصار - فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ؟ أفلا ترتضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فو الذى نفسى بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ربا ، وبرسوله قسما . ثم انصرفوا بعد ما ثلجت صدورهم ورضيت نفوسهم . فهل سمعت فى باب الاسترضاء أروع من هذه الخطبة البليغة الجامعة بين الحق والصراحة والرقة والاستعطاف ، وهى مع ذلك لا التواء فيها ، ولا وعود كاذبة ولا إنكار للجميل ، وهل سمعت فى تهدئة النفوس الثائرة مثل هذه الكلمات الرقاق الصادقة ، التى تضرب على أوتار القلوب وتهز المشاعر ، وتستولى على الوجدان ؟ وأى سياسى - مهما سمت منزلته - يصل به التواضع إلى تقرير الحقيقة التى فيها هضم النفس ، والإقرار بالفضل لتابعيه ، بهذه الصراحة التى لا تملق فيها ولا مداهنة ؟

إلا إن هذه السياسة الحكيمة المؤيدة من الله ، لن تكون إلا من مثل سيدنا محمد ، الذى وهبه الله عقلا كبيراً ، وقلباً رحيما ، وخلقاً رحيماً ، وفطرة سليمة تسمو عن التنظير .

هذا قل من كثر ، مما زخرت به السيرة المحمدية من ألوان السياسة العبقرية . وقد كان خريج هذه السياسة المحمدية الرشيدة : السادة البهاليل : أبوبكر ، وعمر ، وعلى ، وخالد ، وأبوعبيدة والمقداد ، وأضرابهم من دهاة الحروب وأساطين السياسة ، الذين رفعوا شأن الإسلام ووسعوا رقعته ، وتركوا ذكراً عاطراً ، لاتزال الدنيا تردده بالإعجاب والإكبار .

□



تأثر البوصيرى وشوقى بابن الفارض فى بردتيهما

للأستاذ الدكتور
سعد ظلام

هذا ابن هانىء[1] نال ما قد نلتُ من … حسب تُدَلُّ به على الأحباب

قد كان يسعى للرشيد ببابه … فسعى الرشيد إليه وهو ببابى

*****

هذان البيتان مع أبيات أخرى ارتجلها شوقى أمام الخديو عباس ، وكان شوقى قد زين كرمة ابن هانىء بأبهج الزينات ليلة عودة الخديو عباس من الحج ، واتفق أن مر الخديو أمام الكرمة فى « المطرية » ، فألفى شاعره واقفا على باب كرمته ، فقال له : ياشوقى أعجبتنى قصيدتك كما أعجبتنى زينتك ، ونزل حيث الشاعر ، فارتجل شوقى هذه الأبيات التى كان منها هذان البيتان .

(١) الشوقيات المجهولة للدكتور محمد صبرى - جـ ٢ - ص ١١٦ - ١١٧

والقصيدة التى أعجب بها الخديو هى قصيدة « نهج البردة » وقد نُشرت فى « المؤيد » فى ٢٦ يناير سنة ١٩١٠ م .

وفى هذين البيتين تبرز شخصية شوقى وأدبه ، والبيت الأخير وحده قد كشف عن ناحية من نواحى هذه الشخصية الشوقية ، فقد أراد شوقى أن يقول : إن الشعراء قديما كانوا يقفون بأبواب الملوك ، وإن ابن هانىء (أبانواس) كان يسعى للرشيد ببابه ، ولكن الآية انقلبت ، فصار الملوك هم الذين يقفون بأبواب الشعراء ، إشارة إلى أن الخديو يسعى إلى شوقى ببابه ، فصاغ هذا المعنى الرقيق بلباقة وفصاحة .

وسبب هذا الجمال أنه لم يقل أن عباسا جاء إليه يسعى ، وإنما قال الرشيد سعى إلى ابن هانىء ، وهذا تعظيم لعباس « فسعى الرشيد إليه وهو ببابى » ، ولم يقل أنه سعى إلى باب شوقى ، وقد زاد شوقى بهذه الاستدارة البعيدة الرائعة حول شخصه من جلال الموقف دون أن يغض من جلال الساعى »[1] .

وقد أكد على هذا « أنطون الجميل » حين كتب فصلا فى مجلة « الزهور » فى عدد أول مارس سنة ١٩١٠ تكلم فى القسم الأول منه عن « شوقى » و « البوصيرى » ، ووازن بينهما فى « نهج البردة » ، ثم تحدث عن الأمراء والشعراء أمس واليوم ألمح فيه إلى ما ذكرنا .

هذه المقدمة تبين لنا قيمة شوقى وشخصيته التى وضحت من سعى الخديو إلى بابه وأدبه فى عظمة تلك الشخصية التى زعم البعض أن « شوقى » كان غيريا لا ذاتيا ، لا تظهر له صورة فى شعره ، وقد أردت إثباتها فقط لمجرد الرد ، ولتعتبر مدخلا إلى ما نحن بصدده من بحث وقول .

وبعد هذه المقدمة أقول : لابد للشاعر فى مراحله الشعرية الأولى من التأثر والاقتداء ، فإذا كبر استأنس بغيره فى شعره ، وأعنى هنا بالمراحل الأولى البدايات الشعرية ، وكذلك الشاعر المقتدر إذا دخل فى تجربة شعرية ، أو نظم فى غرض جديد لا عهد له به لابد له من الاستئناس بتجربة شاعر آخر سبقه إلى نفس الغرض .

وأقرب مثل على ذلك أمير الشعراء « أحمد شوقى » شاعر العربية الأول ، فقد كان شوقى شاعر الخديو ، ولقد سعى إليه الخديو فى كرمته - كما ذكرنا - ولقد أعجب الخديو بقصيدته « نهج البردة » ، ولكن شوقى عندما أراد أن ينظم المديح النبوى ، وهو غرض لم ينظم فيه من قبل ، استأنس بنموذجين شعريين سابقين .

النموذج الأول : قصيدة ابن الفارض .

النموذج الثانى : بردة البوصيرى .

ولقد كانت هناك أمام شوقى نماذج أخرى قريبة منه مثل بردة الشاعرة عائشة التيمورية ، وقصيدة « كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » للبارودى ، ولكن شوقى أراد أن يرجع إلى الأصل والنموذج الأول « البوصيرى » المنشىء الأول لهذا النموذج ، أما ابن الفارض فلم يكن ممن اشتهر بنبوياته ، وإنما كان واقفا على باب العشق الإلهى ، ولم يكن له سوى قصيدة واحدة فى المديح النبوى ، فطن إليها البوصيرى نفسه وهو ينظم بردته .

لقد وجد شوقى نفسه فى تجربة جديدة لم يألفها ولم يسبق له النظم فيها ، فوضع أمامه هذين

---

(١) المصدر السابق

النموذجين ، ولقد تأثر شوقى بابن الفارض ، وإن لم يقل ، كما تأثر به البوصيرى ، وإن لم يقل أيضا .

وقصيدة ابن الفارض التى تأثر بها كلا الشاعرين مطلعها :

هل نار ليلى بدت ليلا بذى سلم
أم بارق لاح فى الزوراء فالعلم

وعدد أبياتها ثمانية عشر بيتا .

وعلى الرغم من أن قصيدة ابن الفارض صغيرة بالنسبة إلى قصيدتى البوصيرى وشوقى ، إلا أنها جذبت الشاعرين إلى ساحتها .

ولشوقى عذره فى الاستئناس بهذا الغرض الشعرى ، الذى يعتبر جديدا عليه ، ولكن فى الوقت نفسه ليس للبوصيرى فى هذا عذر أى عذر ؟

المهم أن الشاعرين تأثرا بقصيدة ابن الفارض ، ووضح تأثر كل منهما بها ، بل لعلى لا أكون مغاليا إذا قلت أنهما نقلاها إلى ساحتيهما الشعرية نقلا .

وميميّة ابن الفارض التى تأثر بها الشاعران الكبيران أسبق من البردة ونهجها ، وهما على نفس الوزن والقافية لميميّة ابن الفارض .

وقد قصدت هنا أن أعرض كيف تأثر كل من الشاعرين بقصيدة ابن الفارض ، وكيف أخذ ؟ وما مقدار هذا الأخذ ؟ لأن هذا الجانب لم يلتفت إليه فيما أعتقد ، أما تأثر شوقى ومن قبله ومن بعده بالبوصيرى فى هذا الغرض فغير خفى ولا منكور ، ومن ذلك :

١ ـ قال ابن الفارض :

ناشدتك الله إن جزت العقيق ضحى
فاقْرِ السلام عليهم غير محتشم

وقل : تركت صريعا فى دياركم
حيا .. كميت يعير السقم للسقم

ويقول البوصيرى :

فكيف تنكر حبا بعدما شهدت
به عليك شهود الدمع والسقم

ويقول شوقى :

من الموائس بانًا بالربى وقنًا
اللاعبات بروحى السافحات دمى

السافرات كأمثال البدور ضحى
يغرن شمس الضحى بالحلى والعصم

القاتلات بأجفان بها سقم
وللمنية أسباب من السقم

فقد تلاقى الشعراء الثلاثة فى المعنى ، فضلا عن اتفاقهم فى التعبير عنه ، وفى الوزن والقافية ، فهم يقولون : إن الحب أحالهم إلى الضنى والتحول ، وشهد بحبهم السقم البادى عليهم الذى يذكرهم بالموت أو يذكر الموت بهم .

٢ ـ وقال ابن الفارض :

وهذه سنة العشاق .. ماعلقوا
بشادن فخلا عضو من الألم

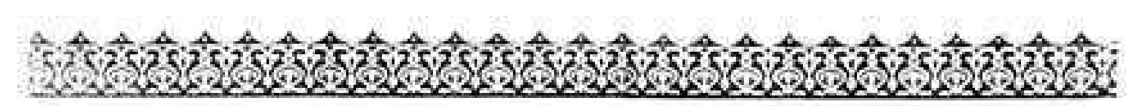
وقال البوصيرى :

نعم .. سرى طيف من أهوى فأرقنى
والحب يعترض اللذات بالألم

وقال شوقى :

جحدتها .. وكتمت السهم فى كبدى
جرح الأحبة عندى غير ذى ألم

فقد كتم شوقى حبه ، وآثر أن تبقى السهام فى كبده ، فجراح الأحبة عنده ليس لها ألم ، فزاد



عليها أنه تجاهل الألم على الرغم من إحساسه المتألم بالجراح ، لأن ذلك مما يزيده سعادة .

٣ ـ وقال ابن الفارض :

يالائما .. لامنى فى حبهم سفها
كف الملام . فلو أحببت لم تلم

وقال البوصيرى :

يالائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى إليك .. ولو أنصفت لم تلم

وقال شوقى :

يالائمى فى هواه والهوى قدر
لو شفك الوجد لم تعذل .. ولم تلم

فقد أخذ شوقى المعنى وزاد عليه ، إن الهوى قدر ، وليس بيد الإنسان ما أصابه أو يصيبه ، فهو مسلم مستسلم خاضع للقدر ، وهذا فيه ما فيه من ضعف المحب .

٤ ـ وقال ابن الفارض :

وحرمة الوصل والود العتيق
وبالعهد الوثيق ، وماقد كان فى القدم
ماحلت عنهم بسلوان ولابدل
ليس التبدل والسلوى من الشيم

وقال شوقى :

رزقت أسمح ما فى الناس من خلق
إذا رزقت الغدر فى الشيم

٥ ـ وقال ابن الفارض :

ردوا الرقاد لجفنى على طيفكم
بمضجعى زائر فى غفلة الحلم

وقال شوقى :

كم نائم لا يراها .. وهى ساهرة
لولا الأمانى والأحلام لم ينم

٦ ـ وقال ابن الفارض :

عَنِّى إليكم ظباء المنحنى كرما
عَيَّدت طرفى لم ينظر لغيرهم

وقال شوقى :

وضعت خدى وقسمت الفؤاد رُبًى
يرتعن فى كنس منه وفى أكم

والمعنيان متلاقيان ، وإن زادت براعة شوقى وتفننه ، وفضل ابن الفارض إنما هو لسبقه .

٧ ـ وقال ابن الفارض :

طوعا لقاض أتى فى حكمه عجبا
أفتى بسفك دمى فى الحل والحرم

وقال شوقى :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وقد تصرف شوقى فيما أخذ وصوره على هذه الصورة الجميلة ، أما ابن الفارض فلم يسعفه إلا القضاء والفتوى ، وإن كان شوقى قد أخذ منه أجمل تعبيره وأبرزه على الصورة الجميلة .

هذا بعض ما تلاقى فيه الشعراء الثلاثة ، ابن الفارض والبوصيرى وشوقى على مأدبة ابن الفارض الشعرية ، وقدم لهم قصيدته التى لم يقل سواها فى المديح النبوى ، وربما دلهم على الوزن والقافية ، فالبحر البسيط أقرب إلى ذوق العامة ووجداناتهم ، وله قرب من إحساسهم النغمى ، وفيه ينظمون أكثر فنونهم الزجلية .

والشاعران الكبيران لم يتأثرا به فى محاولتيهما الشعريتين : البردة ونهج البردة ، بل كان التلاقى أوسع من هذا وأرحب ، وقد خفى على الكثير من المتأدبين تأثر زعيمى هذا الغرض الشعرى بابن الفارض .

أضواء حول عالمية الإسلام واستمراريته «بقية»

وروى مسلم مثل ذلك عن جابر بن سمرة ، وعن جابر بن عبدالله ، كما روى عن عقبة بن عامر ، قوله : وأما أنا : فسمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : «لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»[٣٣] .

وروى أبو أمامة الباهلى من خطبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتحذيره من الدجال أنه قال : «وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم»[٣٤] .

فهذه الأحاديث النبوية : تعرب فى وضوح عن استمرارية الإسلام وصلاحيته إلى أن تقوم الساعة ، ومادامت أمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر الأمم ، فإنه لا يوجد بعده نبى آخر ، حتى لا تكون أمة بعد أمته .

وقد سبق لنا ، ونحن نعرض (عالمية الإسلام) : أن عرفنا أن من أقرب الدلائل على عالمية الإسلام ، نداء القرآن الكريم الإنسان : (ياأيها الناس) فى كثير من الآيات . وهذه الدلائل تفيد فى الوقت نفسه : استمرارية الإسلام الذى جاء لإصلاح حال الإنسان فى الأرض .

كما أن من الأدلة الضرورية على استمرارية الإسلام : أن ختم النبوة يقتضى بقاء الشريعة ، وعلى ذلك فالشريعة الإسلامية باقية ببقاء الإنسان ، لأنه لا ينتظر نبى آخر ، يمكن معه انتظار شريعة أخرى ، فلم يكن بد مادامت النبوة قد ختمت أن تكون شريعتها الخاتمة ، هى :

المنهاج الذى يصلح لكل زمان ومكان ، وألا يحتمل النسخ ، ولا التبديل ، ومهما تتجدد الحوادث ، وتظهر المسائل والمشاكل فلابد أن يجد الناس فى هذه الشريعة هدايتهم .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع وجعلها فى متناول الجميع إلى يوم القيامة ، وجعلها هداية كاملة مكتملة ، لا تقبل تغييراً ولا تبديلا ، لا فى مجموعها ، ولا فى باب من أبوابها .

---

(٣٣) رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، جـ ٣ ، ص : ١٥٢٥ .

(٣٤) رواه ابن ماجة فى سننه ، أبواب الفتن ، جـ ٢ ، ص : ٣٩٩ ، رقم الحديث : ٤١٢٨ .



خميلة الشعر

تقديم الأستاذ: محمد عبد الوهاب

تحفل خميلة الشعر فى هذا العدد بالعديد من قصائد الحب ، بمناسبة مولد خير البشر ، محمد ﷺ ، كما تحوى زهرة إعزاز لفضيلة إمام الدعاة ، الشيخ محمد متولى الشعراوى بالإضافة إلى ماتعودتموه منا ، من تقديم قصيدة لأحد شعراء الجاهلية ، وقصيدة اليوم هى معلقة زهير بن أبى سلمى ، والتى تؤكد مبدأ أن الشعر هو ديوان العرب ، فقد حوت هذه القصيدة جزءا من تاريخ العرب ومعاركهم ، وجزءا من حياتهم الاجتماعية ، ثم جزءا آخر من أخلاقهم فى أيام الجاهلية .

ونرجو بعد هذا أن نكون قد حققنا ما تتوقعونه منا ، والله ولى التوفيق .



أيها الحادى بآيات الكتاب

إلى العالم والداعية فضيلة الشيخ
محمد متولى الشعراوى

شعر: محمد فتحى نصار

هذه القصيدة تحية إعزاز، يتقدم بها الشاعر بين يدى إمام الدعاة إلى دين الله فضيلة مولانا الشيخ محمد متولى الشعراوى معبرا بأبياتها عن حبه العميق وتقديره العظيم للدور الكبير الذى يؤديه الإمام فى سبيل الله.

أيها الحادى بآيات الكتاب ... يانديم الفجر، علوى الشراب
يا رحيق الزمن البكر، ويا همس ... الوصايا، والتراتيل العذاب
يا أحاديث التقى، يا نفح روض ... من رياض الخلد ممتد الرحاب
يا رواء الروح.. يا أفياء ماض ... يتهادى بين آماد الشباب
يا نجى الوحى، يا ساقى سناه ... فى كئوس لم تخلّق من تراب
قل، وحلق فى سماوات المعانى ... بعقول، وقلوب لا تحابى
رتل الذكر، وأودعه صدورا ... هائمات النبض فى دنيا اضطراب
غرها العيش، وأردتها الأمانى ... ثم عادت ظامئات للصواب
صب فيها كأسك المترع صفوا ... والموق كل سؤل بجواب

صب فيها صوتك المشرق ضوءا	يذهب الليل ، ووسواس الضباب
لا تدعها ، إنها بالغيب تدعو	وادن منها بالرحيق المستطاب
ادن منها ، علها تلقى هداها	فى زمان زائغ الألوان كابى
اعزم الأيام فى صبر الرواسى	ثم عد شيخا له عزم الشباب

••••••

أيها الشيخ ، وهذا لفظ حب	ووقار ، وضياء غير خاب
لم نزل نرنو - كما العهد - ونصغى	لحديث ملهم الفيض ، مهاب
وأتينا للهدى ، والنفس ظمأى	لم تعد تقوى على جمع السراب

••••••

أيها الشيخ ، وياقدوة جيل	مطمع - فى كل آن - للذئاب
حظه ألقاه فى مهوى مخوف	كل ركن فيه يخفى ألف ناب
إن تغب عنه يُعَدُّ للغدر صيدا	أو تكن فيه يذب كيد الصعاب
ثم يأتى النور هديا ، ودليلا	نحو أفق دون باب ، أو حجاب
فاحمل المصحف ، وانهض فى سلام	بضياء الرسل ، أو طهر الصحاب
واقرأ الآيات ، فالدنيا استماع	وتدابير الأفاعى فى تباب
واحْدُ رَكب الحق يبلغ مبتغاه	فى سبيل الحق ، ذا فصل الخطاب

••••••

رسول الرحمة

للشاعر: عبد العاطي موسى

رسول الله جئت إلى حماك   لأنهل بالمحبة من سناك
يذيب القلب حب والتياع   وأطمع ياحبيبي لو أراك

••••••

رسول الله لايكفيك دمعي   وما تبديه أشواقي وسمعي
واسمك كم يردده لسانٌ   يفيض بذكره قلبي وشرعي

••••••

رسول الله قد ذبت اشتياقا   وجئت اليوم حبا وانطلاقا
رسول الله يامن قد سموت   تجوب إلى العلا سبعا طباقا

••••••

رسول الله قد مرت سنون   ونار الشوق تعلها الجفون
وحبك في الجوانح في الحنايا   بدونك ياحبيبي من أكون

••••••

هواك يضيء أيامي ودربي   وحبك منحة من نور ربي
وددت لو أنني أفنيت عمري   جوارك سيدي أحنا بقربي

••••••

رسول الله تثقلني ذنوبي   وزلات تموج بها دروبي
وقلبي بالسقام أتاك يهفو   فدثره بحبك ياحبيبي

••••••

هرعت لخالقي أخشى عذابه   وأدعوه وأطمع في الإجابه
بروضتك الشريفة ياحبيبي   سلام الله كم تحلو الإنابه

فى رحاب المولد النبوى الشريف

للشاعر: محمود حسن عونى

يارسول الله، ياخير البشر ... أنت من دنياى كنزى المدخر
ليتنى أحظى بقرب يرتجى ... - يوم حشر الناس - محمود الأثر
إذ أرى إشراق نور باهر ... حل نورا.. دونه نور القمر
ياحبيبا.. حبه فرض على ... مستهام.. فى البوادى والحضر
ليتنى قد كنت فى عصر به ... قمة الآلاء.. فى أزهى الصور
كنت أفديكم بروحى، جاهدا ... أن أرد الكيد إن عاد.. غدر
يارسولا - دون شك - دينه ... خير دين.. للبرايا.. قد ظهر
ياختام الرسل، يامن هم له ... خير أسلاف.. إلى أن حضر
كن شفيعا لى، فذنبى فادح ... يملأ العين بدمع كالمطر
ياشفيعا - يوم أخرانا - بدا ... ملء سمع الخلق طرا وللبشر
بلواء الحمد تغدو هاتنا ... لنعيم.. ماعلى قلب.. خطر
يوم ميلادك نبراس لنا ... ينبغى أن يذكر، أو تزجى العبر
يارفيع الجاه، فى يوم اللقا ... ليت شعرى.. هل سأحظى بالنظر؟
نور عينى واجتلائى.. إننى ... من تباريحى.. بوجد لا يذر
كل مافى الكون.. ظل زائل ... غير دين الله.. فهو المنتصر

** ** **



محمد صلى الله عليه وسلم

شعر: أسامة كامل الخربيى

جاء الربيع وأنت زهرك ذابل   وآن الضياء وأنت نجمك آفل!
فإلام تكتم هزة الشعر التى   غلبتك واستعصى عليك تحايل؟
هلا نظمت من الزهور قصائدا   تغرى بذكر جمالهن خمائل
وعقدت من غرر الرحيق قلائدا   أبدا تفوح وغيرهن ذوابل
وبعثت من حجب الظلام كواكبا   تجرى بها فوق الضياء جداول
هذا الربيع أتى.. ربيع محمد   وضياؤه المتجدد.. المتواصل
أوقد شموعك، واحتفل بقدومه   لا يشغلنك عن حبيبك شاغل
ذكرى حبيب الله.. ناصر دينه   إن الحبيب هو النبى الكامل
يمضى الزمان فتزدهى بضيائه   أمم تتيه على الورى وقبائل
ويمر عبر الدهر يحيى أنفسا   لصق الضلال بطبعها والباطل
أرأيت كيف طوى المتاعب صابرا   ومشى على جمر العناء يناضل
وتراه بين الناس يتلو آية   فيصد عنه مكذب.. ويجادل
أرأيت كيف أضير بين بناته   وهوت عليه جلامد[1] ومعاول
وتحمل الإيذاء من متكبر   ويغض عليه قريبه المتحامل
وتآمروا يوما عليه فكلهم   يبغى اقتناص حياته.. ويحاول
حتى أوى بين الجبال بربوة   كتب الخلود لها.. وعز النازل
حوت الحبيب مع الصديق وأسدلت   جفن العناية.. والخوف تنازل

---

(١) الجلامد: الصخور

كانت هي الميلاد للنور الذى
قالوا : هنا في الغار كيف دخوله ؟
وكأنما حطت عليه .. حمائم
الكبر منتفش الذرى
والبغي ثار .. والردى حم
كيف النجاة وقد تشابكت العرى
هذا رسول الله بين أكفهم
الله أكبر في الخفاء إذا سرت
الله أكبر قد أجاب محمدا
عادوا بخزى الدهر يعلو خطوهم
أرأيت كيف إذا السماء تدخلت
وإذا السماء مع الضعاف تظاهرت
وهناك في قلب (المدينة) أقبلت
وتلفتت بين التخوم ترومه
حتى حوته بقلبها .. وضلوعها
وتنافس الأنصار : من يظفر به ؟
من يحو خير الخلق بين جداره
شرف (أبو أيوب) كان إمامه
وأقام مسجده التقى معلما
بالحب رباهم وألف بينهم
واختط جيشا للعقيدة مخلصا
ورد الوقائع والرماح نواهل
دك المعاقل والمواقع قائدا
حتى أتم الدين وانقادت له
وأتته من كل البقاع وفودها
من عرش كسرى أو هرقل له بها
الله أكبر بالعراق إذا سرت
(والدين يسر والخلافة بيعة)
هذا النبي .. وذاك بعض جهاده

سدت عليه عشائر وقبائل
وكأنما غزلت عليه مغازل
وكأنما ماست عليه سنابل
والحقد أعمى .. والرماح تواصل
متآكل من ترى وتنازل
حتى كأن خيوطهن حبائل ؟
لكن رب الناس حد فاصل !
ذعرت نفوس للعدا ومفاصل
فانهار صرح قد بناه الباطل
عار الهزيمة والنكال الماحل
نبت السيوف وأخطأتك زلازل
لم تغن عن سحق الطغاة جنادل(٢)
نحو المهاجر أنفس ومشاعل
كالشمس من حجب الخفاء تزايل
سكن الجنان بها .. وقر النازل
حتى بدت فوق العيون دلائل
ويبر الملائك . والفيوض هواطل ؟
أكرم به . ومن حوته منازل
تهفو عليه ملائك وخمائل
حتى استقام بناؤه المتطاول
هابت خطاه كتائب وجحافل
وأتى المهالك والردى متشاغل
يعنو لمقدمه الكمي الباسل
دول تبشر بالهدى وقبائل
ترخى لديه أعنة وتناول
مدن تكبر بالهدى وسواحل
هزت بمصر منازل ومحافل
والناس في نهج التقى تتفاضل
تشق عليه .. أواخر وأوائل

* * *

(٢) الجُنْدل : الشديد العظيم وجمعها : جنادل .

شاعر الشعراء

زهير بن أبي سلمى

قال عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : شاعر الشعراء ، لأنه لا يعاظل في الكلام ، ويتجنب وحشي الشعر ، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه ، وقال عنه جرير : زهير أشعر أهل الجاهلية ، ذلك هو زهير بن أبي سلمى ، واسم أبي سلمى : ربيعة ، بن رياح بن قرة بني الحارث بن مازن بن ثعلبة بن هرمة بن الأصم بن عفان بن عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار .

اعتبره العرب أحد ثلاثة مقدمين على سائر الشعراء في الجاهلية ، هم امرو القيس ، وزهير ، والنابغة الذبياني . وسبب نظمه لمعلقته الشهيرة هو قصة الحرب التي دارت بين قبيلتي عبس وذبيان ، وسبب تلك الحرب ، أن ورد بن حابس العبسي قتل هرم بن ضمضم المري ، فأقسم أخو هرم ، وهو حصين بن ضمضم ، (بينه وبين نفسه) ، ألا يغسل رأسه حتى يقتل قاتل أخيه ، أو رجلا من بني عبس ، وحدث أن نزل رجل من بني عبس على حصين ، وهو لا يعلم بقسمه ، فقال له حصين : من أنت أيها الرجل ؟ قال : عبسي ، فقتله حصين ، فلما بلغ ذلك الحارث بن عوف وهرم بن سنان اشتد عليهما وبلغ بني عبس ، ركبوا يريدون الحارث بن عوف ، سيد العرب ، فبعث إليهم بمائة من الإبل ومعها ابنه ، وقال للرسول الذي أرسله إليهم : قل لهم : الإبل أحب إليكم أم أنفسكم ؟ فلما أبلغهم الرسول بذلك ، قال لهم الربيع بن زياد : ياقوم إن أخاكم قد أرسل إليكم : (الإبل أحب إليكم أم ابني تقتلونه مكان قتيلكم) فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا . فما هي قصة الحارث بن عوف ؟

قال ذات مرة لصاحبه خارجة بن سنان : أتراني أخطب إلى أحد فيردني ؟ فقال له صاحبه : نعم . قال ومن ذلك قال : أوس بن الحارثة بن لأم الطائي . فقال الحارث لغلامه : ارحل بنا ، ففعل ، فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده

فوجداه فى منزله . فلما رأى الحارث بن عوف قال : مرحبا بك ياحار . قال : وبك . قال : ما جاء بك ياحار . قال : جئتك خاطبا . قال : لست هناك . فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوس على امرأته مغضبا ، وكانت من عبس فقالت : من رجل وقف عليك ولم يطل وتكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب ، الحارث بن عوف بن حارثة المرى . قالت : فما بالك لم تستنزله ؟ قال : إنه استحمق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءنى خاطبا . قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال : نعم . قالت : فإذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فترده . قال كيف وقد فرط منى ما فرط إليه ؟ قالت تقول له إنك لقيتنى مغضبا بأمر لم تقدم فيه قولا ، فلم يكن عندى من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندى ما أحببت . فإنه سيفعل . فركب فى أثرهما .

قال خارجة بن سنان : فوالله إنى لأسير إذ حانت منى التفاتة فرأيته ، فأقبلت على الحارث وما يكلمنى غما ، فقلت له : هذا أوس بن الحارثة فى أثرنا . فقال وما نصنع به ! امض ! فلما رآنا لا نقف عليه صاح : ياحار اربع علىّ ساعة فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا .

لما رجع أوس إلى منزله ، قال لزوجه ادعى لى فلانه (أكبر بناته) فأتته ، فقال : يابنية ، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءنى طالبا خاطبا ، وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولم ؟ قالت : لأنى امرأة فى وجهى ردة ، وفى خلقى بعض العهدة ، ولست بابنة عمه فيرعى رحمى ، وليس بجارك فى البلد فيستحى منك ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون علىّ فى ذلك ما فيه ، قال : قومى بارك الله عليك .

ادعى فلانة (لابنته الوسطى) ، فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل جوابها وقالت : إنى خرقاء وليست بيدى صناعة ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى ، فيكون علىّ ما تعلم ، وليس بابن عمى فيرعى حقى ، ولا جارك فى بلدك فيستحييك . قال : قومى بارك الله عليك . ادعى لى بهيسة (يعنى الصغرى) ، فأتى بها فقال لها : كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إنى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه . فقالت : لكنى والله الجميلة وجها ، الصناعة يدا ، الرفيعة خلقا ، الحسيبة أبا ، فإن طلقنى فلا أخلف الله عليه بخير . فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلينا فقال : قد زوجتك ياحارث بهيسة بنت أوس . قال : قد قبلت . فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضرب له ، وأنزله إياه .

فلما هيئت بعث بها إليه ، فلما أدخلت إليه لبث هنيهة ثم خرج إلىّ فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لما مددت يدى إليها قالت : مه ! أعند أبى وإخوتى !! هذا والله لا يكون . قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسرنا ماشاء الله ، ثم قال لى : تقدم فتقدمت ، وعدل بها عن الطريق ، فما لبث أن لحق بى فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله . قلت : ولم ؟ قال : قالت لى : أكما يفعل بالأمة الجليبة أو السبية الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل لمثلى . قلت : والله إنى لأرى همة وعقلا ، وأرجو أن تكون المرأة منجبة إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأحضر

الإبل والغنم ، ثم دخل عليها وخرج إليّ فقلت : أفرغت ؟ قال : لا . قلت : ولم ؟ قال : دخلت عليها أريدها ، وقلت لها قد أحضرنا من المال ما قد ترين ، فقالت : أتفرغ لنكاح النساء ، والعرب تقتل بعضها بعضا ! (وذلك في أيام حرب عبس وذبيان) ، قلت : فيكون ماذا ؟ قالت : اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إني لأرى همة وعقلا ، ولقد قلت قولا ! قال : فاخرج بنا . فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ، فيؤخذ الفضل ممن هو عليه ، فحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجمل الذكر . فقال فيه زهير ابن أبي سلمى قصيدته الشهيرة التي يقول فيها :

أمن أم أوفى[1] دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج ، فالمتثلم[2]
ودار لها بالرقمتين كأنها ... مراجيع وشم في نواشر معصم[3]
بها العين والأرآم يمشين خلفة ... وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم[4]
وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأيا عرفت الدار بعد توهم

ثم يقول مادحا الحارث بن عوف وهرم بن سنان لتحملهما سويا ديات القتلى :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم[5]
يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا ... بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها عن عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما ... ومن يستبح كنزا من المجد يعظم[6]
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت ... ينجمها من ليس فيها بمجرم[7]
ينجمها قوم لقوم غرامة ... ولم يهريقوا بينهم ملء محجم[8]

---

(١) أم أوفى : زوج الشاعر ، التي طلبت أن تطلق منه بسبب غيرتها لزواجه من أخرى ، لعدم إنجابها ، فلما طلقها ، ندم ندما عظيما لفراقها .
(٢) حومانة الدراج والمتثلم : موضعان .
(٣) نواشر : عروق .
(٤) العين : بقر وحشي واسع العينين ـ الآرام : الظباء ـ الأطلاء : جمع الطلا وهو ابن الظبي .
(٥) جرهم : قبيلة قديمة تزوج فيها إسماعيل عليه السلام ، فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته عليه السلام ، ثم استولى عليها بعد جرهم خزاعة ، ثم عادت إلى قريش .
(٦) العليا : تأنيث الأعلى ، وجمعها العلى أو العليات ، مثل الكبرى والكبريات وقوله : هديتما ، دعاء لهما .
(٧) الكلوم والكلام : جمع كلم ، وهو الجرح ـ التعفية : التمحية ، من قولهم عفا الشيء يعفو ، إذا امّحى ودرس .
(٨) ينجمها : أي يعطيها نجوما .

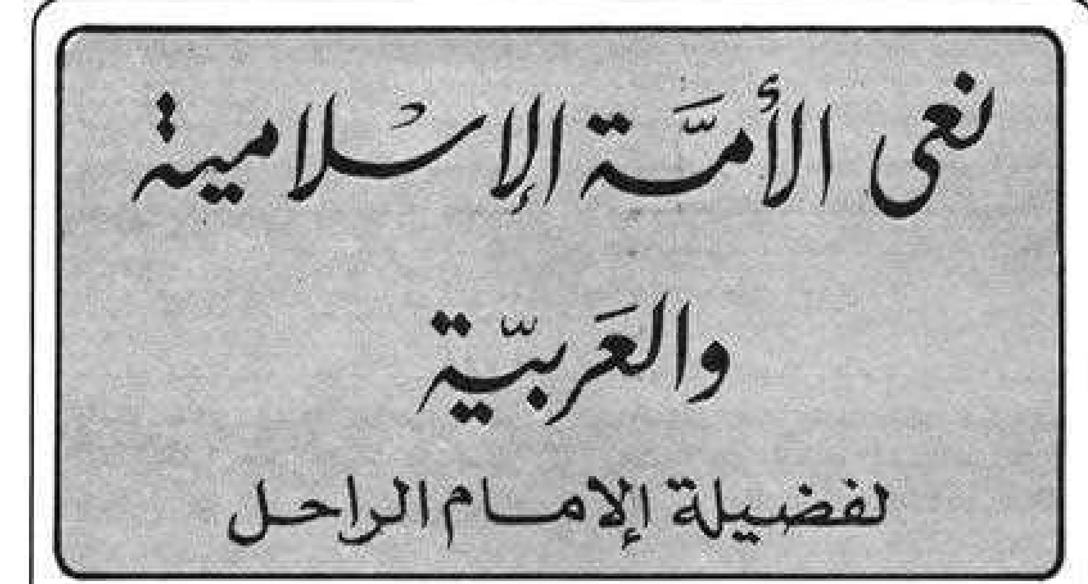
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم ... مغانم شتى من إفال مزنم(9)
ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة ... وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ... ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم(10)

ثم يظهر لنا الشاعر حكمته فى أمور الحياة ، بعد أن بلغ الثمانين فيقول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أبا لك يسأم
وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ... ولكننى عن علم ما فى غد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم(11)
ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم(12)
ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه ... إلى مطمئن البر لا يتجمجم(13)
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... وإن يرق أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف فى غير أهله ... يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالى ركبت كل لهذم(14)
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده ... وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ... ومن أكثر التسآل يوما سيحرم

●● ●●

(9) التلاد والتليد : المال القديم الموروث - الإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإبل - المزنم : المعلم بزنمة .
(10) المرجم : الذى يرجم فيه بالظنون .
(11) العشواء : تأنيث الأعشى ، خبط عشواء : أى ركب رأسه فى الضلالة ، كالناقة التى لا تبصر ليلا فتخبط بيديها على عمى ، فربما تردت فى مهواة .
(12) الضرس : العض على الشىء بالضرس ، والتضريس مبالغة والمنسم للبعير بمنزلة السنبك للخيل ، والجمع مناسم .
(13) يقول : من أوفى بعهده لم يلحقه ذم .
(14) الزجاج : جمع زج وهو الحديد المركب فى أسفل الرمح ، وإذا قيل زج الرمح ، عنى به ذلك الحديد والسنان ، واللهذم : السنان الطويل .



رياسة الجمهورية :

نعى الرئيس حسنى مبارك إلى العالم العربى والإسلامى الداعية الإسلامى الكبير والعالم الجليل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى بيان أصدرته رئاسة الجمهورية قال :

إن الفقيد ـ رحمه الله ـ قدم للإسلام والمسلمين عطاء زاخراً من علمه النافع طوال حياته التى وهبها لإعلاء كلمة الله وشرح مفاهيم الإسلام الصحيحة بأسلوبه المتفرد اجتذب به قلوب مئات الملايين بشتى بقاع الأرض ..

وأضاف البيان أن العالم الجليل الشيخ الشعراوى قد أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات التى كانت وستظل إضافة عظيمة لكل ما يتصل بديننا الحنيف .. كما كانت له مواقفه الوطنية الشجاعة فى إعلاء كلمة الحق والارتقاء بالفكر الإنسانى المستنير .. واختتمت رئاسة الجمهورية بيانها بالابتهال إلى العلى القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يعوض أمتنا فيه خيراً .

مجلس الشعب :

ونعى الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب فضيلة الإمام والداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى وافته المنية أمس . وأكد الدكتور سرور أن رحيل الشيخ الشعراوى يعد خسارة كبيرة للأمتين العربية والإسلامية كواحد من كبار الدعاة الذين أثروا الحياة الإسلامية بالعديد من المؤلفات ، وساهم بدور فعال فى نشر تعاليم الدين الإسلامى السمحة فى ربوع العالم كله وتصدى بالحكمة والموعظة الحسنة لمحاولات تشويه صورة الإسلام .

مجلس الوزراء :

وقد صدر عن مجلس الوزراء البيان التالى :

« ينعى مجلس الوزراء المصرى إلى الأمة العربية والإسلامية إمام الدعاة ، أكد فيه أن فضيلته قد أدى رسالته على مدى ما يزيد على نصف قرن فى مجال الدعوة الإسلامية ، وقدم إسهاماً جليلاً فى تفسير القرآن الكريم ، كما نعى الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وجميع قيادات الدعوة الإمام الفقيد ، ووصف بيان الوزارة الشيخ الشعراوى بأنه الداعية المجدد والمجاهد الفذ الذى أخلص لله فى علمه وعمله ، وقال السيد/ صفوت الشريف وزير الإعلام فى نعيه للفقيد الراحل أن فضيلته قد قدم للأمة خير ما يفيدها فى دينها ودنياها وأثرى رسالة الإعلام المصرى .

ونعى الأستاذ مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين وأعضاء مجلس النقابة العالم الجليل ، كما نعى الاتحاد العام لنقابات عمال مصر رحيل الشيخ الشعراوى .

عزاء مشيخة الأزهر :

وقد أصدر الأزهر الشريف بياناً إلى الأمة نعى فيه العالم الكبير الإمام الداعية فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .. جاء فيه :

ينعى الأزهر الشريف ـ شيخه وعلماءه وطلابه ـ إلى الأمة الإسلامية وإلى الإنسانية عامة علماً من أعلام الإسلام الأفذاذ ، وعالماً من علماء الأزهر الشريف ، قلما يجود الزمان بمثله ، ملأ علمه مشارق الأرض ومغاربها ، ألا وهو العالم الجليل ، والإمام الداعية فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، الذى قضى حياته مجاهداً فى سبيل إعلاء كلمة الله . وشارحاً الإسلام بمفاهيمه الصحيحة ، وتفسير القرآن الكريم بأسلوب فريد جذب قلوب الخاصة والعامة ، بما أنعم الله عليه من نور البصيرة والحكمة .. والأزهر الشريف إذ يحتسب عند الله ابناً من أعز أبنائه ، وعلماً من أجل علمائه يدعو الله تعالى .. أن يسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يلهم إخوانه وأبناءه ومريديه وأحبابه الصبر والسلوان .. وستقيم مشيخة الأزهر الشريف سرادق العزاء بميدان الأزهر الشريف .

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٦)

د . محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهـــر

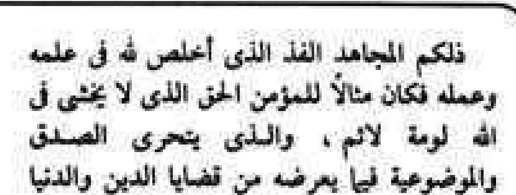
بيان وزارة الأوقاف :

كما أصدرت وزارة الأوقاف بيانا إلى الأمة الإسلامية نعت فيه فقيد الإسلام العالم الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .. جاء فيه :

« بقلوب خاشعة لله ، راضية بقضائه :

نحتسب عند الله عالمنا الأكبر ، وشيخنا الجليل ، وداعية الأمة المجدد رجل الخير والعطاء والبر والإحسان . فضيلة الشيخ الإمام / محمد متولى الشعراوى .





ذلكم المجاهد الفذ الذى أخلص لله فى علمه وعمله فكان مثالاً للمؤمن الحق الذى لا يخشى فى الله لومة لائم، والذى يتحرى الصدق والموضوعية فيما يعرضه من قضايا الدين والدنيا مستلهماً فى هذا حبه لله وانتماءه لوطنه وأمته العربية والإسلامية .

وإذا كانت الأمة قد خسرت بفقده علماً من أعلام الحق فى كل موقع فإن عزاءها فيه، ما خلفه من علم نافع وعمل صالح سيظل نبراساً تهتدى به الأجيال فى أمتنا والعالم أجمع .

وإذ ينعى وزير الأوقاف وجميع القيادات والدعاة والعاملين بالوزارة - إمام الدعاة إلى الله فضيلة الشيخ الإمام/ محمد متولى الشعراوى - إلى أنفسهم وإلى الأمة الإسلامية والعالم كله . فإنما يضرعون إلى الله أن يتقبل إمامنا الجليل بواسع رحمته وأن يجعله فى معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٦)

جامعة الأزهر :

كما صدر البيان التالى عن جامعة الأزهر ينعى الإمام العارف بالله - تعالى - فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .. جاء فيه :

د . أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وأعضاء هيئة التدريس بالجامعة يحتسبون عند الله الشيخ متولى الشعراوى، تحتسب جامعة الأزهر الشريف عند الله - تعالى - علماً من أكبر الأعلام، وإماماً من أئمة الإسلام أغنى الفكر الإسلامى بأحاديثه وتفسيره للقرآن الكريم، ونافح عن الدعوة وجلا حقائق الإسلام واستخرج كنوزه واستطاع بقلبه الموصول بالحق أن يلمس بحديثه شغاف القلوب بأسرها، وأن يعبر الأجواء والمحيطات فتفاعلت معه الأحاسيس الصادقة والعواطف المؤمنة الجياشة، كان قدوة للدعاة، وإماماً للهداة وخلف من ورائه تراثاً من التفسير والبيان والمعرفة واستجابت له القلوب فى مشارق الأرض ومغاربها .. إنه العالم الولى والإمام العارف بالله تعالى صاحب الفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

وأن جامعة الأزهر أساتذة وطلاباً وعاملين لتضرع إلى الله - عز وجل - أن يتقبل فى أكرم جوار أعز أبنائها وأعظم من خرجته بقدر ما اعتز بالإسلام كواحد من أعظم دعاته حيا الله الإسلام الذى أنجبه والأزهر الذى تخرج فيه وأنزله منازل الصديقين والشهداء والعالمين وحسن أولئك رفيقاً وسلام عليه فى الخالدين ..

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر : ٥٤ - ٥٥) .

بيان دار الإفتاء المصرية :

وفى عزاء دار الإفتاء المصرية قال فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية :

تنعى دار الإفتاء المصرية، فقيد الأمة العربية والإسلامية، الداعية الإسلامى - شيخ الإسلام فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى إلى العالم الإسلامى، وتحتسبه عند الله - تعالى - جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين من خير وعطاء، ومدد علمى، وزاد لكل طالب علم وفقه، لا ينقطع أبدا، لاستمرار تبليغ دعوة رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - ورسالة الإسلام إلى العالم رسالة الخير والأمن والسلام لكل إنسان مع اختلاف الأجناس والعقائد والألوان .

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا وألهمنا وآله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان على فراقه.

وآخر دعوانا لإمامنا العظيم قول مولاه وحبيبه رب العالمين:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝ ﴾

«صدق الله العظيم».. (الفجر: ٢٧ - ٣٠)

مجمع البحوث الإسلامية:

وقد نعى مجمع البحوث الإسلامية العالم الجليل الإمام الداعية فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى.. فى بيان أصدرته أمانة المجمع.. هذا نصه:

الأزهر الشريف.. الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية وإداراته تنعى إلى العالم الإسلامى علماً من أعلام المسلمين فضيلة الإمام الداعية الشيخ/ محمد متولى الشعراوى.. الذى أنار الحياة الإسلامية بعلمه وفكره المستنير وخلف تراثاً كبيراً من المعارف فقهاً وتفسيراً يروى ظمأ العلماء والمفكرين ويجيب على كل ما يحتاجه المسلم، والأمانة العامة وهى راضية بقضاء الله وقدره تتقدم لفضيلة الشيخ/ سامى الشعراوى.. الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ولأسرته وذويه بالعزاء القلبى ونسأل الله تعالى أن يعوضهم والأمة الإسلامية خيراً ويتغمد عالمنا بالرحمة.

وزارة الداخلية:

كما نعت وزارة الداخلية العالم الجليل فضيلة الإمام الداعية الشيخ محمد متولى الشعراوى بمايلى:

حبيب العادلى.. وزير الداخلية.. ومساعدو الوزير وسائر أعضاء هيئة الشرطة ينعون بمزيد من الحزن وبالغ الأسى الداعية الإسلامى الكبير المرحوم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.. الذى انتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد حياة حافلة بعطاء غير محدود، أثرى فيها وجدان ويقين الأمة الإسلامية على مدى سنوات طويلة وقدم الكثير والكثير من جهده وعلمه الغزير حتى لبى نداء ربه الكريم، تغمد الله الفقيد العزيز بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

نقابة عمال مصر:

ونعت نقابة عمال مصر الإمام الراحل الذى حمل لواء الدعوة فى بيانها الذى جاء فيه:

تنعى الحركة النقابية العمالية المصرية إلى الأمة العربية والإسلامية الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى حمل لواء الدعوة إلى الهدى والحق بكل إخلاص وأمانة، وعمل فضيلته على أن يقدم الصورة الحقيقية لجوهر الإسلام ورسالته السامية ومبادئه وقيمه النبيلة التى يحض عليها الدين الإسلامى الحنيف.

فقد عمل فضيلة الإمام الراحل بدأب وإخلاص على نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة، وتبيان وجهها الحقيقى بما تنطوى عليه من سماحة وحب وإخاء، وبما تتركه فى نفوس المؤمنين من تساميات فى الخلق وارتقاء فى السلوك والسعى المستديم لفعل الخير والبعد عن الشر، وقال السيد راشد رئيس اتحاد العمال: إن جماهير عمال مصر إذ يشعرون مع الأمة العربية والإسلامية

بفداحة المصاب .. فإنهم يذكرون للعالم الجليل الراحل جهوده المستنيرة في إبراز نظرة الإسلام الحقيقية التي تقدس قيمة العمل وتصون كرامة الإنسان .

وزارة الإعـلام :

وفي كلمة وزارة الإعلام نعى السيد/ صفوت الشريف وزير الإعلام فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .. قائلاً :

سوف يظل الإعلام المصرى يذكر أنه العالم الكبير والداعية الجليل الذى أثرى رسالة الإعلام المصرى فقدم للشعب والأمة الإسلامية خير ما يفيد الناس في دنياهم ودينهم متحاملاً على نفسه ليكمل رسالته بتفسير القرآن الكريم ، ويذكر الناس بأمور الدين الحنيف ويفتح أمامهم طريق الهداية من خلال دعوة مستنيرة ورؤية إيمانية .

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته .

نقابة الصحفيين :

وقد أصدرت نقابة الصحفيين بياناً نعت فيه إلى الأمة الإمام الجليل جاء فيه :

ينعى الأستاذ مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين وأعضاء مجلس النقابة إلى الشعب المصرى والأمة الإسلامية عالماً جليلاً وإماماً ورعا كرس حياته لخدمة الدعوة الإسلامية وأصول الدين الحنيف .. فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى .. تغمده الله بواسع رحمته إلى جوار الصديقين والشهداء والأبرار وألهم آله ومحبيه وتلامذته الصبر الجميل ، وليكن عزاؤنا فيه جميعاً الانتفاع بما أشاعه من نور العلم وجلائل الأعمال .

نادى القضاة :

كما نعى نادى القضاة برئاسة المستشار مقبل شاكر وجميع الهيئات القضائية الشيخ الجليل/ محمد متولى الشعراوى لما قدمه للأمة الإسلامية من خدمة الدعوة الإسلامية وعطائه الذى استمر حتى آخر أنفاسه .. تغمده الله بواسع رحمته وأنزله منازل الصديقين والشهداء .

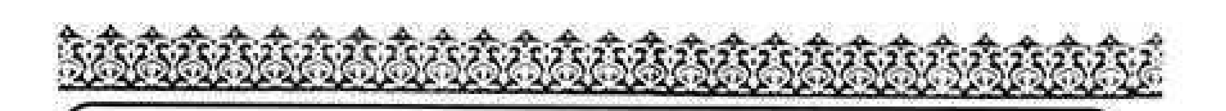
برقيات العـزاء :

عقب وفاة الإمام توافدت برقيات العزاء من مختلف الأقطار الإسلامية والعربية وكان في مقدمتها برقيات من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز والأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولى العهد ورئيس الحرس الوطنى النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء والأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران والنائب الثانى لرئيس الوزراء يعبرون فيها عن بالغ الأسى لوفاة الإمام الشعراوى .

كما بعث الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت برقية عزاء ومواساة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وأرسل برقية مماثلة إلى أسرة الفقيد الشعراوى .

وأعرب الدكتور عبدالله العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى عن أسى الشعوب الإسلامية وحزنها لوفاة العالم الكبير .

إلى غير ذلك من العديد من البرقيات الواردة من الأشخاص والهيئات ولم تتسع لها مساحة النشر .



حول الذكرى العطرة ـ بقية

كان يناقش أصحابه ويشاورهم ، ويبرم الأمور بعد اقتناعهم ، ليعلم كل مقاتل أنه يقاتل عن اقتناع ، ويدافع عن إيمان ، كما كان يقوم بشئون التعبئة ، وتدبير موارد الجيش وتموينه ، وبث الروح المعنوية في صفوف جنده ، واختيار الأوقات المناسبة ، والمواقع الملائمة ، كما كان يعلم المقاتلين آداب الحرب ، وأنها قتال المقاتلين ، دون المدنيين ، ودون إسراف أو تمثيل ، فلا يقتل شيخ ، ولا طفل ، ولا امرأة ، ولا عابد في صومعة ، ولا تقطع شجرة إلا لمصلحة . . وآداب الانتصار ، فكان يطلب إليهم ألا ينتهكوا الأعراض ، ولا ينتهبوا الأموال ، ولا يستبيحوا حرمات المعابد والمقدسات . .

إن نبينا ـ ﷺ ـ لم يترك ناحية من نواحي الإصلاح إلا أوضحها في صورة توقظ الضمير ، وتنير البصيرة الإنسانية ، وتحفز إلى صالح الأعمال ، وتبعث في النفوس اليقين والأمل ، وتنشر في المجتمع عوامل المحبة والإخاء ، وإننا لا نكاد نتجه إلى هدف من أهداف الخير إلا وجدنا الرسول الكريم ـ ﷺ ـ قد أمرنا فيه بالتوجيه الحكيم ، والإرشاد القويم ، كل ذلك في أسلوب عمل واقعي ، ينفذ إلى القلوب ، فيشيع الرضا والاطمئنان ، ويكفل للناس حياة راضية آمنة . .

فجدير بنا معشر المسلمين أن نتخذ من سيرته الحكيمة المثل العليا ، والطرق المثلى ، والمناهج الواضحة . حرى بنا أن نترسم خطاه ، ونتأسى به ، ونسير على هديه في سلمه وحربه ، ونتأدب بآدابه ، فنفوز باتباعه ، ونفلح بفلاحه :

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ ﴾

(آل عمران : ٥٣)

الإيمان وسيلة السعادة ـ بقية

الظلم والعدوان بالقوة والسلطان ، قال تعالى :

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الحجرات ـ ٩ ـ ١٠)

إلى غير ذلك من المزايا الكثيرة التي احتواها الإسلام ، وكل مزية منها عنصر من عناصر السعادة الحقيقية ، مما جعل هذا الدين أحكم مرشد ، وأهدى قائد إلى المدنية المؤسسة على المعارف الصحيحة والأخلاق الفاضلة .

وهذه المزايا الجليلة قد سعد بها المسلمون الأولون ، ورفعتهم إلى قمة الحضارة السامية ، وأنزلتهم معاقل المنعة ، وأحلتهم محل الكرامة ، وأجلستهم على كرسي السعادة ، فسادوا العالم ورفعوا لواء العرفان ، ونشروا نور القرآن في كل مكان .

والله ولي التوفيق

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور
أحمد فـؤاد باشـا

إن قضية « المصطلحات » بصورة عامة كثيراً ما تثير بعض الإشكاليات التى يطول النقاش والجدل حولها ، بالرغم من شيوع مقولة : « لا مشاحة فى المصطلح » ، أى : لا مجادلة فيما تعارف العلماء عليه لغة وشرعاً وعُرفاً واصطلاحاً ، بوضع اللفظ إزاء المعنى .

ويزيد هذه القضية تعقيداً أصحاب النزعة اللفظية الذين يميلون نحو الصيغ والألفاظ ، دون عناية بالحقيقة والموضوع ، فيسرفون فى تغليب اللفظ على حساب المعنى ، ويصبون اهتمامهم على الاستدلالات اللفظية ، ويوجد فى مقابل هؤلاء من يحملون الألفاظ أكثر من معانيها ، فيسرفون ـ من ناحية أخرى ـ فى تشويه الحقيقة ، بعيداً عن لُب الموضوع .

ولا شك أن كلا الاتجاهين يؤثر تأثيراً سلبياً على لغة الحوار وآلياته ، خاصة إذا ماانصرف الذهن إلى المصطلحات حسب دلالاتها فى الثقافة الغربية فقط ، أو اقتصر التفكير على معنى بعينه دون اعتبار باقى المعانى .

ويكفى دليلاً على بعض أوجه اللبس والغموض التى تسببها هذه القضية أن نشير إلى عدد من التساؤلات التى يثيرها فى الذهن استخدام ألفاظ ومصطلحات مثل : « الفقه » و« العلم » و« الحضارة » و« المادة » و« الذرة » وغيرها فى جانب كبير من الأدبيات الحديثة التى تعالج موضوعات الفكر الإسلامى بصورة خاصة .

الفقه لغة واصطلاحا :

إذا بدأنا بالحديث عن كلمة « فقه » نجدها تُطلق فى الأغلب ليراد بها علم الدين ، وهو أشرف العلوم وأفضلها ، ويُقصد بالفقه بمعناه الاصطلاحى الذى حدده الفقهاء : العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية

والاستدلال عليها بها ، كمعرفة وجوب الطهارة للصلاة ، وحرمة صيام الحائض والنفساء ، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة . وقد جاء فى الحديث الشريف : «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين»[1] .

لكن المعنى اللغوى لكلمة «فقه» ، أعم فى الدلالة من كلمات «علم» ، و«معرفة» ، و«فهم» ، لأن الفقه يتناول المعلومات من الذوات والصفات والمعانى على ما هى عليه فى الواقع ، فيدل عليها ويقف على أسرارها ويكشف عن أعماقها وأغراضها البعيدة ، ويدرك ما تهدف إليه ، قال تعالى عن المشركين بعد هزيمتهم فى غزوة بدر :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (الحشر - ١٣)

وعيب على المنافقين عدم إدراكهم للغرض من الكلام ، حيث قال تعالى فيهم :

﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾
(النساء - ٧٨)

فهم عرب يفهمون قطعاً مدلول الألفاظ وما تحمله من المعانى ، لكنهم لمرض نفوسهم ، وفساد قلوبهم ، لا يفهمون غرض المخاطب ، وهو الله - سبحانه وتعالى - أو رسوله - صلى الله عليه وسلم - من خطابه الذى يدعوهم فيه إلى ما يسعدهم فى دنياهم وآخرتهم[2] .

المهم أن كلمة «فقه» من الناحية اللغوية لها أبعاد غير ما استقر فى الأذهان محصوراً فى الحكم الشرعى ، فنجد أن هناك فقهاً للفلك ، وفقهاً للنفس ، وفقهاً للأخلاق ، وفقهاً للحضارة ، وهذا ما نلمحه من قوله تعالى :

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام - ٩٦ : ٩٨)

ما الفقه هنا إلا معرفة مستقر النفس الإنسانية قبل أن توجد وهى فى الرحم ، لأن القرآن الكريم يقرر :

﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾

(الحج - ٥)

ومعرفة المستودع ، الذى هو القبر ، وما يصل إليه البدن .. ثم معرفة ما بين المستقر والمستودع من حياة ، إنه فقه واسع المرادات ، وسع القرآن الكريم دائرته لمعنى أوسع بكثير من المعنى الاصطلاحى الفقهى .. إنه فقه العلم والحضارة الذى نستوحيه من تدبر آيات القرآن ، والإفادة من معطيات العلوم والتقنيات وآليات فهمها ، للقيام بمسئوليات الخلافة ، واستئناف مسيرة التقدم التى توقفت من عهد بعيد[3] .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه ، كما رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٢) الشيخ أبو بكر الجزائرى ، العلم والعلماء ، دار الكتب السلفية ، د . ت .

(٣) محمد الغزالى ، كيف نتعامل مع القرآن ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامى ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، دار الوفاء ، مصر ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

هذا هو معنى «الفقه» لغة، وهو عام فى فهم كل غرض وحكمة من كلام العقلاء والعلماء، و«الفقيه» من الصفات المشبهة التى تدل على اسم الفاعل وزيادة، ولا تكون على وزنه، إذ لا يقال «فاقه» كعالم، ولكن يقال «فقيه» كسعيد وكريم، والصفة المشبهة أدل على الفعل من اسم الفاعل، وأقوى فى الدلالة عليه.

العلم لغة واصطلاحا:

عندما تذكر كلمة «العلم» ينصرف الذهن أول ما ينصرف إلى دلالتها وإيحائها المعروفين فى الثقافة الغربية، حيث إنها ترجمة غير دقيقة للفظ الأجنبى Science وتعنى تلك المباحث المعرفية التى تعتمد على الملاحظة والتجربة والاستقراء، وصولاً إلى نظريات وقوانين عامة تفسر الظواهر التى يدرسها الباحثون فيما يسمى بالعلم الطبيعى Natural Science، وتشمل علوم الفيزياء والكيمياء والفلك والأحياء وغيرها، ومن ثم فإن الاقتصار على هذا المعنى لكلمة «علم» فى ثقافتنا العربية الإسلامية يؤدى إلى كثير من اللبس والغموض، وينبغى الوقوف على «فقه» هذا المصطلح فى إطار البيئة التى نشأ فيها، والثقافة التى رعته واحتضنته.(٤)

فالأصل فى معنى «العلم» عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء، وهو معنى مطلق يفيد الشمول والتعميم، ولا يقيد بتخصيص معين، ويقصد منه فى مفهومه العام أنه لفظ كل يطلق على كل نشاط إنسانى: عقلى أو عملى، حين يستخدم بشكل منظم (منهجى) إلى محاولة تفسير وفهم موضوع ما، فيقال: «علم التفسير» أو «علم اللغة» أو «علم الفلك»، أو غير ذلك من مباحث علمية، أما تصنيف المباحث المعرفية إلى نقلية وعقلية، أو إنسانية وطبيعية، أو نظرية وعملية، أو غير ذلك، فهو تصنيف يعتمد على موضوعات العلم، أو مصادره، أو الطرائق (المناهج) المتبعة فى تحصيله بحسب تناسبها وقرب بعضها من بعض.

و«العلم» فى لغة العرب نقيض «الجهل»، فإذا كان العلم غير مطابق للمعلوم فى الواقع فهو الجهل، وإذا كان العلم غير جازم المطابقة، فإنه إما أن يستوى طرفاه: وهو الشك، وإما أن يرجح أحدهما على الآخر، فالراجح هو الظن، والمرجوح هو الوهم، وعليه، فالمصطلحات فى هذا الشأن خمسة: أقواها العلم، فالظن، فالشك، فالوهم، فالجهل (٥).

و«العلم» الذى نقيضه «الجهل» غير «المعرفة» التى نقيضها «النكرة» فمن الناحية اللغوية يتعدى العلم إلى مفعولين، بينما تتعدى «المعرفة» إلى مفعول واحد، ولا يقال: هل عرفت كذا إلا إذا كان يجهله من قبل، بخلاف العلم، فليس شرطاً أن يسبقه جهل، ولذا يوصف الله ـ تعالى ـ بالعلم، ولم يوصف جل جلاله بالمعرفة لسبقها بالجهل، ويقال: علم الله، والله عالم وعليم، ولا يقال عرف الله، أو

(٤) د. أحمد فؤاد باشا. فى فقه العلم والحضارة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ١٩٩٧ م.

(٥) الشيخ أبو بكر الجزائرى. مرجع سابق.

لله عارف ، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ علم الأشياء قبل تكوينها ، إذ علمه سابق لكل معلوم ، والدليل على ذلك أن الأفعال المحكمة قد صحت منه ابتداء ، والأفعال المحكمة لا تصح إلا من عالم ، والدليل على أن الأفعال المحكمة قد صحت منه ابتداء أنه أوجد هذا العالم الذى نعيش فيه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والكمال والجمال ، مما يترتب عليه بالضرورة العقلية والمنطقية جعل وحدانية خالق الكون يقيناً إيمانياً خالصاً ، وقد أخبر الحق جل وعلا عن بالغ حكمته وعظيم قدرته وواسع علمه ، بقوله :

﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝ ﴾

(طه ـ ٩٨)

والعلم فى الإسلام يتناول كل موجود ، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يُعلم ، وخير عبادة لله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يهتدى الإنسان إلى سر الله فى خلقه ، وأن يعرف حقائق الوجود فى نفسه ، وفيمن حوله ، فالقرآن الكريم يبين لنا أن الكون كله كتاب للعلم بالله ، ويوضح لنا أن التفكر فى الظواهر الكونية ، والتعرف على نواميسها الإلهية ، يؤدى إلى تعميق الإيمان بالله وزيادة الخشية منه ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ ﴾ (فاطر ـ ٢٧ ـ ٢٨)

على أن « العلم » الذى يحث الإسلام على تحصيله لابد أن يكون علماً نافعاً لا يخلو من فائدة ، فقد ورد تحديد العلم الشامل النافع فى دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم إنى أعوذ بك من أربع : من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع »(٦) .

ومقياس النفع هنا ليس هو ذلك المعيار الفردى « الذرائعى » الذى تقول به الفلسفة « البراجماتية » السائدة لدى الغرب ، وإنما هو صالح مجموع الأمة وإقامة أمر الدين .

كذلك يقتضى فقه العلم فى الإسلام أن نقف على حقيقة ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ، فإذا كان علماء الدين يصنفون العلوم الكونية : النظرية والتجريبية ، ضمن الفروض الكفائية ، فليست الكفاية أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم ، بل فى وجود العدد الكافى لتلبية الاحتياجات اللازمة للأمة ، وتعطيل أداء هذه الفريضة على الوجه الأكمل يؤدى إلى الإخلال بالواجب الأعظم ، وهو عبادة الله حق عبادته وإعلاء كلمته فى الأرض .

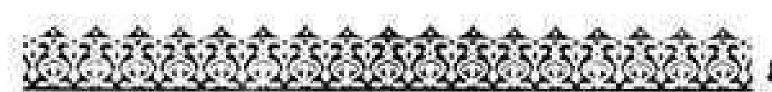
سبحانك ربنا .. لا علم لنا إلا ما علمتنا .. بعد أن منحتنا القدرة على معرفة حقائق الأشياء ، ووعدت بالكشف عن آياتك ليعرفها العالمون :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾

(النمل ـ ٩٣)

« صدق الله العظيم » .

(٦) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .





الصحة الإنجابية

بعض مشاكل المراهقة عند الفتيات

للدكتور : أحمد رجائى عبد الحميد

تأخر البلوغ :

إن معظم الفتيات فى مصر يبلغن مابين سن ١٢ و١٤ فى المتوسط ، وحين تتأخر سن البلوغ عن ١٥ ، فإن الوالدات ينتابهن قلق ، والبنت نفسها تجد أن معظم زميلاتها قد حدثت لهن تغييرات لم تحدث لها ، وفى هذه الحالة فإنه لابد لهن من العرض على أخصائى للتعرف على سبب تأخر سن البلوغ والذى قد يكون طبيعيا فى حالات كثيرة .

أسباب تأخر البلوغ :

- عوامل وراثية .
- الضغط العام والأنيميا .
- الأمراض المزمنة مثل أمراض القلب والسكر
- اضطرابات الغدد الصماء .

وعلامات اضطرابات الغدد الصماء قد تكون السبب الرئيسى فى حالة ما إذا كانت الفتاة قصيرة القامة قصرا ملحوظا أو مفرطة الطول أو ذات سمنة واضحة أو سمينة بشكل واضح .

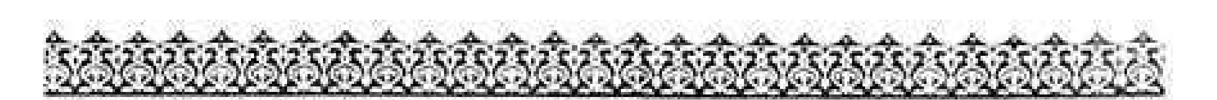
انسداد غشاء البكارة :

وهى حالة خلقية وفيها يكون غشاء البكارة سميكا بدون فتحات . (سوف نقوم بتفصيل أنواع وعيوب غشاء البكارة فى المقال القادم إن شاء الله - تعالى -) وفى هذه الحالة تمر الفتاة بدور البلوغ مرورا طبيعيا وتحيض ، ولكن هذا الحيض يتحبس وراء غشاء البكارة الذى يكون مسدودا .

وتعانى الفتاة من أعراض ومتاعب الدورة كل شهر ، وتزيد من احتباس الحيض خلف الغشاء ، ولذلك فإنها تعانى من آلام أسفل البطن ، وتعانى كذلك من احتباس البول وثقل عند التبرز ، وتتورم بطن الفتاة ويكبر هذا الورم شهرا بعد شهر .

وإذا استمرت الحالة مدة بدون تشخيص ، فإنه يحدث ضمور فى بطانة الرحم مما يؤثر على إمكانية حدوث الحمل فيما بعد .

ويلزم فى هذه الحالة عمل فتحة فى غشاء البكارة لتصريف دم الحيض ويتم إعطاء الفتاة



شهادة معتمدة من المستشفى بذلك ، وتسبب هذه الحالة فى آلام نفسية وآثار اجتماعية للفتاة وأسرتها .

الإفرازات المهبلية :

نظرا لزيادة الهرمونات الأنثوية للفتاة فى مرحلة البلوغ فإنه تحدث لديها إفرازات مهبلية ، وهذه حالة طبيعية ، ولكنه غريب بالنسبة للفتاة ، وكثيرا ما تجد الفتاة ملابسها الداخلية ملوثة ببقع هذه الإفرازات ، ويجب على الأم توعية الفتاة بهذه التغيرات وعن كيفية النظافة الشخصية .

حب (بثور) الشباب :

توجد فى الجلد قنوات توصيل إفرازات الغدد الدهنية إلى الجلد لترطيبه وزيادة تهويته ، ولكن فى مرحلة المراهقة والبلوغ فإن هذه القنوات قد لا تكون كافية لنقل الإفرازات الدهنية لسطح الجلد أو قد تنسد لسبب أو لآخر ، ويترتب على ذلك تراكم الإفرازات الدهنية مما يؤدى إلى تكوين بثور على سطح الجلد ، وعادة ما توجد هذه البثور على الوجه والصدر والظهر ، وتكثر فى فترات تكون فيها الفتاة عصبية مثل فترة الامتحانات أو وقت الحيض ، وتكثر كذلك عند تناول الأغذية التى تحتوى على كم كبير من المواد الدهنية ، وفى حالة عدم النظافة المستمرة ، وهذه البثور لا تترك أثرا إلا حين محاولة تفريغها باليد فتترك آثارا قد تشوه الوجه .

ومن العوامل التى تقلل من هذه المشكلة :

الغذاء الصحى والتعرض لأشعة الشمس فى أوقات الصباح الباكر ، وممارسة الرياضة والاستحمام بالماء الساخن والصابون ، والبعد عن المأكولات التى تحتوى على كم كبير من الدهون ، وعدم المبالغة فى استخدام مستحضرات التجميل ، وقد تحتاج بعض الحالات إلى علاج طبى مثل أخذ مستحضرات « التراسكين » لمدة ستة أشهر بجرعات صغيرة نسبيا .

الشعر الزائد بالجسم :

عند وبعد البلوغ يبدأ الشعر الذى يعتمد نموه على الهرمونات فى الظهور ، وهذا الشعر يظهر تحت الإبطين والعانة . وفى بعض الأحيان يظهر الشعر كثيفا فى بعض المناطق الأخرى مثل الفخذين أو الظهر أو الكتف .

عوامل ظهور الشعر الزائد :

ـ عوامل وراثية : وهذا يظهر فى بعض مناطق العالم دون أخرى مثل حوض البحر الأبيض المتوسط حيث تزيد نسبة الشعر فى هذه الأجناس .

ـ خلل هرمونى : وفى هذه الحالات فإن تأثير الهرمونات ومدى استجابة الشعر لها يختل ، وفى أغلب الحالات فإن السبب يكون فى زيادة نسبة هرمون الذكورة فى الدم ، وينتج هرمون الذكورة فى الأنثى عادة بنسبة قليلة من المبيض والغدة الجاركلوية (الغدة الكظرية) .

وحين يحدث خلل فى المبيض (مثل تكيس المبايض) أو حدوث تضخم أو ورم فى الغدة الكظرية .

أسباب أخرى :

مثل تعاطى بعض الأدوية التى تحتوى على هرمونات ذكرية ـ أو بعض العقاقير مثل الكورتيزون .

وتعالج هذه الحالات حسب السبب ، ويتراوح العلاج من مجرد إزالة الشعر بالطرق اليدوية أو الكيماوية إلى صنفرة الوجه . أو ببعض الأدوية المتخصصة مثل عقار (الدانازول أو أسيتات السيبروتيرون) أو بالجراحة فى حالات وجود أورام بالمبيض أو الغدة الجاركلوية .

الأرق وطرق علاجه
بين عبث الماديين وهدى الإسلام

بقلم الأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

يسعى الإسلام سعيا حثيثا لبث روح السكينة والطمأنينة بين الناس ، وأكسيره الساحر فى ذلك ذكر الله - تعالى - على كل حال قال سبحانه :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١)

وهو بذلك يقف وجها لوجه أمام عدو فاتك ، طالما سلب الكثيرين الراحة ، وأقض مضاجع المستكبرين على مدى الأيام . فـ (نابليون بونابرت) لم يستطع التخلص منه ، و (وينستون تشرشل) قاسى منه الأمرين . وأما (ديكنز) و (كافكا) الروائيان الشهيران فطالما أجبرا على تغيير كثير من عاداتهما لينالا شيئا منه ، ولكن هيهات . وقد لا يصدق البعض أن أحد رؤساء الوزارة فى انجلترا اضطر إلى التنحى عن هذا المنصب الكبير لأنه لم ينل قدرا كافيا منه ، مما اختل معه أداؤه الوظيفى ، وحتى (توماس أديسون) المخترع المعروف لم يستطع ذلك الشىء إلا لماما . ترى عم يبحث هؤلاء المشاهير وملايين البشر . إنهم هائمون على وجوههم تلمساً ؟ لأمر صعب إن لم يكن مستحيلا . إنه ببساطة السلوك الطبيعى الذى يتمتع به أصحاب الضمائر والتقى ، وإن كان قليلا ، إن الخلود إلى النوم ليلا ، والراحة . والحرمان من هذه النعمة يوقع الإنسان فريسة للأرق ، وهو نوع من الألم ، قديم قدم التاريخ غير مفهوم الأسباب حتى فى أيامنا هذه وبعد عقود من البحث الدءوب والعنت والمشقة فى طبيعة هذا المرض .

تعريف الأرق :

ويعرف معظم الباحثين الأرق : بأنه عدم القدرة على النوم ليلا ، مما يكون ذا تأثير ضار ينتج عنه قصور فى أداء الوظائف التى لا تؤدى إلا

(١) الرعد : ٢٨

نهارا ، وبمعنى أدق فإن العامل المؤثر هنا ليس المدة التى تقضيها فى الفراش طالت أو قصرت ، ومن ثم يمكن تصنيفك بعد حسابها بأنك من الذين يعانون الأرق ، فهذا لا أهمية له ، فقد وصف الله عباده المخلصين بقوله :

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١)

ومع هذا فقد كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار . ولكن المهم هو الكيفية ، والكفاءة ، ومدى اليقظة التى تؤدى بها عملك نهارا ، فبعض الناس لديهم من المثابرة ، وحسن الأداء مع أن ساعات نومهم لا تتجاوز ثلاث أو أربع ساعات كل ليلة ، ولربما اشتكى أحدهم حاجة ماسة إلى النوم ، ولا يعدو الأمر أن يكون متأثرا بما اعتدنا ترديده جميعا منذ الصغر من أنه لابد لنا من ساعات نوم لا تقل عن ثمان،وهذه قاعدة لا تنطبق على كل الناس ، فى كل الأحوال ، فالمخترع أديسون والذى نادرا ما كان يحصل على قسط وافر من النوم كل ليلة ، كان ذا أداء ممتاز ، يتخلله إغفاءات قليلة ، خصوصا بعد قيامه بحل بعض المعضلات . لكن الحق أحق أن يتبع ، فكلنا لا يستطيع أن يكون مثل (إديسون) كما أن الأرق المزمن يمكن أن يكون مدمرا ، ولذا يعى الشخص المصاب به تماما السبب الذى يجعل الحرمان من النوم آكد وسائل التعذيب أثرا ، كما يفسر لماذا كانت حبوب النوم بعد (الإسبرين) أكثر العقاقير شيوعا فى الاستعمال فى بلاد كالولايات المتحدة ، والتى يقدر ما يبتلعه سكانها كل ليلة بنحو (ثلاثين مليون شريط) مما كان له أثر عكسى إذ أصبحت هذه الحبوب أحد الأسباب الرئيسية للأرق إضافة إلى مجموعة من العادات السيئة ، من أخطرها تعاطى المخدرات ، والمسكرات .

وسائل العلاج :

ومن المريح أن نعلم أن أحدث الوسائل العلمية لجلب النوم والتخلص من الأرق لا تختلف كثيرا عما تمت تجربته منها ، وثبتت فاعليته . فتوصيات خبراء النوم المحدثين ، والخاصة بتحسين الظروف الصحية لدى التهيؤ للنوم ، فيها بعض المغزى ؛ نظرا لما أدخل عليها من العبث .

خرافة عد الخراف :

خذ مثلا هذا التقليد القديم الذى يعتمد فيه الأرق فى جلب النوم على أسلوب أسموه طريقة عد الخراف ، أو تخيل الغربان تطير فى الهواء وقد تحلق بعضها حول بعض لترى كيف يلعب المبثون الماديون برؤوس الناس . وحجتهم فى ذلك أن العلم الحديث أثبت أن المخ البشرى ينقسم إلى نصفى كرة ، تختلف وظيفة كل منهما عن الآخر . فالجانب الأيمن من المخ يتعلق أساساً بالصور المرئية ، بينما وظيفة الجانب الأيسر الكلام والعد والإحصاء ، وهذه حقيقة علمية لا غبار عليها ، فمن المسلم به أن العد والتخيل يجعلان جانبى المخ فى عمل مستمر ، ويوفران له موئلا يلجأ إليه ، هربا من الهموم والقلق ، والمنغصات الأخرى ، مما يسمح للنوم بالتسلل إلى أجفاننا ، وعقلنا الباطن ، ولكن كل هذا لا يتحقق عن طريق العبث والتخيلات الواهية ، التى امتلأت بها عيادات النوم الحديثة ، إذ من أساليبهم المشابهة لأسلوب (عد الخراف) هذا الحث على

(١) الذاريات : ١٧ ، ١٨

تصور كتابة الأرقام من واحد إلى مائة على سبورة . وخروجا من هذا الهراء الذى لا طائل من ورائه ، نورد بعض العلاجات النبوية ، والتى هدفها راحة الضمير والعقل معا ، ومن ثم النوم فى هدوء ، والاستعداد ليوم جديد مبارك .

فعن أبى عمارة البراء بن عازب ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يافلان إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ، ولا منجى منك ، إلا إليك ، آمنت بكتابك ، الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت ، فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة ، وإن أصبحت أصبت خيرا » متفق عليه .

وفى رواية فى الصحيحين عن البراء قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : وذكر نحوه ، ثم قال : « واجعلهن آخر ما تقول » والحديث يبين لنا أن أهم وأصح شروط التهيؤ للنوم الهادىء الطهر المعنوى والحسى ، والالتجاء بالكلية إلى خالق القوى والقُدر ، والتسليم له فى كل ما دق وجل .

وإذا كان لابد من عد شىء حتى نجلب به النوم فلا ينبغى أن يكون إحصاء لأوهام ، أو تكريسا لترهات ، بل لا بأس من ربطه بعمل صالح يعود على فاعله بالنفع فى الدنيا والآخرة . فالنوم كاليقظة ـ تماما بتمام ـ كلها سلوكيات نبتغى بها الأجر من الله ـ عز وجل ـ وها هى بعض الأذكار المرتبطة بالعد والتى يمكن ممارستها ليلا أو نهارا ، فعن أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من قال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، عشر مرات ، كان كمن أعتق أربعة أنفس ، من ولد إسماعيل » . متفق عليه . وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة ، حُطت عنه خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر » متفق عليه . وعن جويرية بنت الحارث ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته » أخرجه مسلم . وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الباقيات الصالحات : لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » أخرجه النسائى ، وصححه ابن حبان ، والحاكم . وعن سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » أخرجه مسلم .

ووصاياه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكثرة الصلاة عليه معروفة ، ومنها ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا » ووصيته لابنته فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ حين مجلت يداها من كثرة جر الرحا ، وتعبت من كثرة حمل قربة الماء ، فطلبت خادما ، فأوصاها بأن تسبح الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمده ثلاثا وثلاثين ، وتكبره

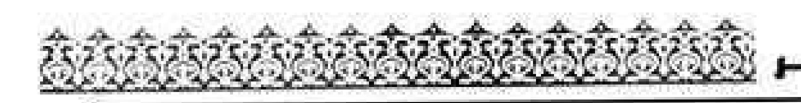


ثلاثا وثلاثين ، قبل أن تنام ، وتختم المائة بتوحيد الله ، وأنه خير لها من خادم ، هذه الوصية متواترة ، كما أنه من نافلة القول ذكرنا وصيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفقراء المهاجرين : بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير دبر كل صلاة . وارتباط هذا الذكر بالعدد ثلاثا وثلاثين ، أمر جوهرى ، حيث أثبت العلم أن عدد فقرات العمود الفقرى بظهر الإنسان تبلغ ثلاثا وثلاثين وكأن الداعى لهذا الذكر يقول : يارب إنك عماد ظهرى . وكل هذه أذكار وأدعية ربطت العدَّ ، والإحصاء بعمل مجد ، وثمرة نافعة فى الدارين ، وهو وحى رباني ، وإلهام إلهى يضرب العبث المادى فى مقتل ، ويرتفع بالإنسان حتى وهو يعمل عملا لا يقدره الناس حق قدره ، ويحلق به فى سموات من النور السنى المضىء . وأما أن يُترك الإنسان يعد ما شاء ؛ إهدارا للعمر ، وتضييعا للوقت ، فهذا وربك السفه المنبوذ .

المقاصد المتعاندة :

ومعناها أن يقصد الإنسان شيئا ويفعل شيئا غيره ، بهدف استجلاب النوم فإن أولئك الذين يعانون قلة النوم ، كما يقترح أنصار هذا العلاج عليهم البقاء يقظين فى أثناء الليل ، دون استعمال عقاقير أو كفايين ، فقد ثبت فى التجارب العملية حيث طلب من الأرقين أن يظلوا منتبهين مدة نصف ساعة ثبت أن غالبيتهم نام على الفور .

وعلى العكس من ذلك ، حين استدعى هؤلاء بالهاتف فى نهاية المدة المذكورة وأخبروا أنه بإمكانهم الذهاب للنوم الآن استيقظ الكثيرون منهم ولم يكن من السهل عليهم العودة للنوم مرة ثانية ، هذا وقد استطاع (ريتشارد بوت زن) أحد علماء النفس تطوير علاج أسماه التحكم فى النوم عن طريق الحافز ، وهو يعالج أولئك الذين ارتبط لديهم الأرق بكونهم موجودين فى الفراش ، والعلاج يطلب منهم ترك الفراش طالما لم يداعب النوم أجفانهم ، وهو ما يعنى الامتناع عن فعل أى شىء حين وجود أحدهم فى الفراش ، فلا يُشاهد تلفازا ولا يقرأ كتابا ، ولا يقوم بأى عمل لا يتعلق بالنوم ، واستثنى من ذلك طبعا بعض الأعمال المعروفة فإن استعصى النوم على الإنسان مدة عشر دقائق بعد دخوله فى الفراش فعليه النهوض من فراشه والذهاب إلى حجرة أخرى ، حتى يحس الرغبة فى النوم ، كما أن عليه تكرار ذلك إلى أن ينام ثم عليه بطريقة أو بأخرى الاستيقاظ فى الموعد الذى كان سيستيقظ فيه فى اليوم التالى لو نام مبكرا مع تحاشى إغفاءة الظهيرة ، ولا عبرة بالآثار الجانبية من سهاد وتعب واختلال أداء وظيفى . والإسلام يرى فى كل ذلك تضليلا ، وطمسا للحقائق ، وعقابا للنفس على أمور خارجة عن إرادتها ، فلماذا تكون المقاصد متعاندة ؟ وقد علمنا السلف أنهم كانوا يتعلمون النية للعمل كما نتعلم نحن العمل ، كما يوضح الإسلام أن فى أداء الصلوات المفروضة مع شىء من التهجد ليلا ، وأخذ قسط من الراحة أو القيلولة فى كل ذلك ، علاجا يتوائم مع فطرة الإنسان الذى جُبل على إشباع كل ملكاته ، فهو ليس حيوانا يأكل ويشرب ، ويعمل دون كلل ، ولا هو بالملاك الذى لا يفتر عن العبادة طرفة عين ، وإنما الإنسان مزيج من الجسم والروح ، والعقل والمواهب ، والملكات والمهارات ، وكل ما تعمر به الحياة ، وتذخر ، ودليلنا على عبث الفكر المادى إن صح وصفه بالفكر أن نتائج تجربة ترك الفراش عدة مرات كانت نتائج مروعة مزعجة ، فقد كان

المريض يترك الفراش أكثر من عشر مرات كل ليلة ، وبعد بضعة أسابيع ، أخذ الميل إلى ترك الفراش يضمحل ، كما زعم أنه بعد ستة أسابيع خلد للراحة والنوم من حرم هاتان النعمتان سنين عديدة .

حكاية الميلاتونين :

وهناك علاج آخر اكتسب شهرة وانتشارا وهو تناول كوب من الحليب الدافىء قبل النوم مباشرة فقد اكتشفت العلماء مؤخراً أن باللبن مادة تسمى الـ (تربتوفان) ترتبط كيماويا بمادة فى المخ تسمى (ميلاتونين) واتضح أن هذه المادة تزداد فى أمخاخ الحيوانات المستغرقة فى سبات عميق ، وبعد حقن أمخاخ الحيوانات اليقظة بهذه المادة ، راحت هى الأخرى فى سبات عميق ، بيد أن البعض يختلف مع هذا الرأى قائلاً إن كوبا واحدا من اللبن لا يعطى الكمية الكافية من المادة المذكورة ؛ ويضيف المتشككون أنه لابد من عب ستة أكواب على الأقل للحصول على الجرعة الكافية ، الأمر الذى قد يُحدث أثراً عكسيا يجعل صاحبه يستيقظ بعد الوقت المحدد بعدة ساعات لسبب غير واضح ، وفى اتباع هذا الأسلوب المادى فى معالجة الأمور من الخلل ما لا يخفى ، فكلنا نعلم أن المعدة بيت الداء ، وأن الحمية رأس الدواء ، فهل يعالج المرض بأعراض أشد فتكا وأكثر تهلكة ؟

العلاج بالأعشاب :

وإذا كان استخدام الأعشاب كمشروبات لجلب النوم ، وأهمها نبات البابونج وهو نبات ذو زهر أصفر قيل : إنه وغيره من الأعشاب يأتى بالنوم ويمنع الكوابيس فهل من العقل أو العلم فى شىء تصديق أو حتى قبول فكرة ربط الجذور الجافة لنبات يسمى (فاوونيا) حول العنق لطرد الكابوس الجثَّام الذى يسمونه شيطان الأحلام ؟! إنها طبعا لا تخرج عن كونها خزعبلة بلهاء من خزعبلات أحد علماء الأعشاب الإنجليز فى القرن السابع عشر ، ففى أيام الظلام تلك أمسكت بتلابيب العقول أوهام مؤداها أن سبب الكوابيس هو الجن أو العفاريت أو الغول أو ما شابه ، زعموا أنها مخلوقات شريرة كانت تجثم على صدر النائم مهددة إياه بالموت خنقا ، والأدهى من ذلك والأنكى أنهم كانوا يوصون النائم بشم جواربه بعد خلعها ، وقبل دخوله فى الفراش ، ولعمرى إن الإنسان ليفضل الموت خنقا على فعل هذه العادة الذميمة أين هذه التخاريف من حث الإسلام على النظافة ، وتوجيهه للمسلم أن يكون حسن المظهر طيب الرائحة ، ذكى العرف كالشامة بين الناس ؟ اقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يصفه خادمه أنس فيقول : « ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا شممت رائحة أطيب من رائحته عليه الصلاة والسلام » كيف لا والمسلمون فى الجنة رشحهم الطيب ، وعرقهم المسك ونباتهم (الألوة) عود المسك .

علاقة النوم بالطعام :

وطالما ارتبط الأكل قبل النوم بالأحلام السيئة والنوم المضطرب فإن أولئك الذين يتناولون العشاء فى وقت متأخر ، أو يفرطون فى الطعام قبل النوم تأتيهم الأحلام المزعجة والكوابيس ، وربما ماتوا . ولئن كان فى هذا الكلام بعض الحق ، فإن هذه أيضاً فكرة عبثية ، فالأجل قدره الله ، وما علينا إلا تحاشى ما يؤذينا ، أما أن نؤمن بأن أكلة ما قد تودى بالأجل فهذا لعب بالعقول ، وعلى أية

حال ، فإن الباحثين المحدثين أجمعوا على تفضيل تناول وجبة خفيفة قبل النوم على النوم جوعا ، فالجوع بئس الضجيع ، وقد ثبت أن فئران المعامل التي حرمت الطعام قل نومها كما أن النظام الغذائي الصارم للإنسان يتماشى جنبا إلى جنب مع قلة النوم . وإنك لتسمع من أعاجيبهم في استجلاب النوم والتغلب على الأرق زعمهم أن أكل البصل المطهى يساعد على النوم ، فأين هذا من الدعوة إلى استعمال السواك ، وأنه مطهرة للفم ، مرضاة للرب ؟ بل أين ذلك السفه من قوله - صلى الله عليه وسلم - : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا » كما تدعو الكثير من الآراء إلى اجتناب الكفايين ، وهو أحد المنبهات الموجودة في البن والشاي والشيكولاتة والمشروبات المثلجة وكثير من مزيلات الألم الشائعة . وقد أثبتت الدراسات أن تناول حبوب مسكنات الألم لها تأثير مزعج على أولئك الذين زعموا القدرة على عدم التأثر بها .

وما قيل عن الكفايين يُقال عن النيكوتين ، فينبغي البعد عن كل هذه المضار ، فالله - تعالى - يقـول :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (١)

والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لاضرر ولا ضرار » .

أفرى الفرى :

ثم نأتي إلى أفرى الفرى وأعظم الكذب ، وأم الخبائث ، ألا وهو شرب الخمر وتعاطي المسكرات ، لتدحض وتبطل زعم من زعم أنه يشرب لينسى أو ينام ، وشرب الخمر حرام قل أو كثر ، وأضراره لا تحصى ، فهو يلغي هامش الأحلام من نوم الإنسان ، فإن امتنع الإنسان عن الشرب عادت الأحلام كوابيس مروعة .

النوم ودرجة الحرارة :

وأما القول بازدياد الكوابيس كلما ازدادت درجة برودة حجرة النوم ، فيحتاج إلى دليل ، كما أن الحجرة شديدة الحرارة قد تكون الأخطر ، فالقطة بإمكانها النوم في غرفة حرارتها (٧٢° فهرنهيت) بينما يدور الإنسان حول نفسه من التعب ولا ينام نوما منعشا إن بلغت الدرجة (٧٥° فهرنهيت) .

الضجيج والضوضاء :

ولقد كرس العلماء الكثير من الدراسات لمعرفة آثار الضوضاء والصخب على إزعاج النائم ، ووجد بشكل عام أن المرأة والطاعنين في السن سريعو اليقظة . ورغم اختلاف التأثير من شخص لآخر إلا أنه من الشيق معرفة أن أثر الضجيج في إيقاظ النائم يقل إذا كونت هذه الأمور جزءا لا يتجزأ من أحلام الإنسان . ومن رحمة البارى - عز وجل - أن الأم التي لا يوقظها قصف الرعود ولا عصف البروق يمكن أن تستيقظ ملهوفة وجعة على صوت طفلها الرضيع ، وقد شرع في الصراخ حتى ولو كان بكاؤه خافتا ، فسبحان الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى . والختام معتقد ربما كان له أصل في الشرع وهو أن النوم يأتي سريعا إن اتجهت الرأس ناحية الشمال لتتوافق مع المجال المغناطيسي ، وكذلك اعتقاد اتجاه الرأس شرقا

(١) البقرة : ١٩٥

لتساير دوران الأرض ، وقد سبق أن بينا أن النائم ينبغى عليه التوجه جهة القبلة ، لكن العلم لم يثبت جدوى موقع الجسد أو انحناءات العمود الفقرى أو حتى الفراش ، وأن لأى من هذه الأشياء مغزى فى كمية أو نوعية النوم .

وبعد :

فهذه طرفة لا ندرى كيف استساغ العلماء أهميتها فى استجلاب النوم فقد حكوا : أن الكاتب الفرنسى (الكسندر دیماس) مؤلف الروايات المعروف أوصاه طبيبه الخاص بتناول تفاحة تحت قوس النصر بباريس كل صباح عند الساعة السابعة ، تماما ، وما دروا أن مشاكل (دیماس) الحقيقية مع الأرق هى من وخز الضمير أو قل من عقاب الله الذى يمهل ولا يهمل ، فقد كان لهذا الفاجر خمسمائة طفل غير شرعى ، فما أحلم الله عن بنى البشر .

وكذلك ينبغى عدم الإفراط فى التمرينات الرياضية البدنية إذ ليس لها تأثير يُذكر فى جلب النوم .

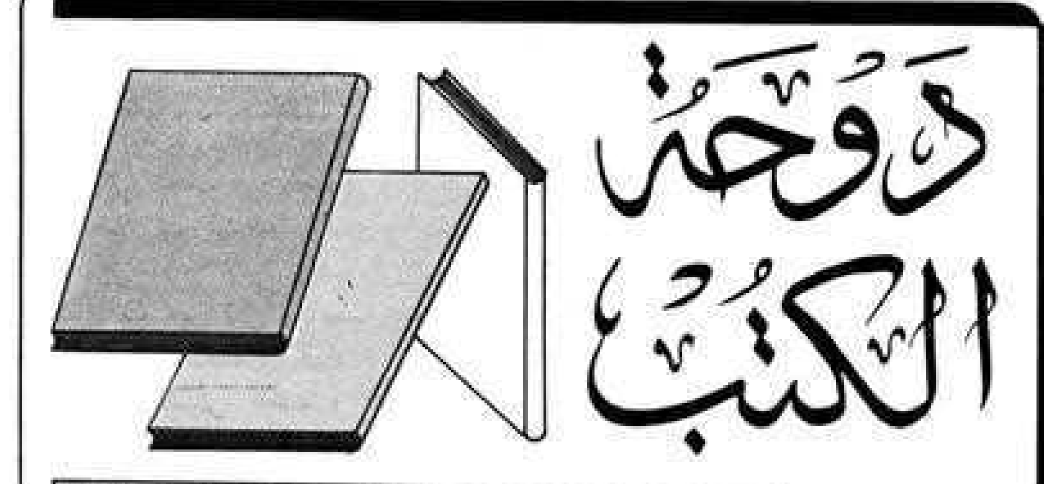
وتعليقا على قلة النوم قالت (فلورنس نايتنجيل) أم التمريض البريطانى : أن الأرق ناشىء عن الإثارة ، والفرح الشديد ، ولذلك ينبغى تجنب كل أنواع الإثارة العاطفية منها والوجدانية والذهنية والعقلية قبل النوم .

وإذا كانت القراءة مفضلة قبل النوم فلا ينبغى أن تقرأ ما يزيد النبض ويُكثر ضخ الدم ودر (الادرنالين) فلا تراجع - مثلا - حسابات ضرائب الدخل المستحقة عليك ، ولا تكثر التفكير فى المشاكل ، والهموم ، فإن أحسست السأم أو الملل أو الإحباط ، فادع ربك قائلاً : « اللهم رب الشياطين وما أضلت ، والأراضين وما أقلت ، والسموات وما أظلت ، كن لى جارا من شر خلقك » أما أن تنهمك فى أعمال لا تنتهى ، فهذا وربك هو البلاء العظيم ، ولن تستطيع الإفلات من أحلام مزعجة ، إن قلوت دينك وطريقك إلى الحياة السعيدة والنوم العميق المريح طريق واحد ، لا ثانى له ، ألا وهو تقوى الله ، وراحة الضمير ، ويقظته ، والتسليم له ، فى كل أمورك ، فقد قال الشاعر :

دع المقادير تجرى فى أعنتها
ولا تبيتن إلا خالى البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها
يبدل الله من حال إلى حال

وفى شعر يُنسب إلى السيدة نفيسة - رضى الله عنها - :

سهرت أعين ونامت عيون
فى أمور تكون أو لا تكون
فانفض الهم ما استطعت عن النفس
فحملانك الهموم جنون
إن ربا كفاك ما كان بالأمس
سيكفيك فى غد ما يكون



إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ، ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

مشتبهات القرآن

حققه وقدم له وعلق عليه دكتور / محمد محمد داود

سيظل القرآن الكريم شعاعا يستنير به جموع المسلمين ، فى شتى بقاع المعمورة ، حتى أن العلماء أصبح همهم الشاغل ، البحث ، والتنقيب ، والتحقيق فى معانى الألفاظ الغريبة ، والمتشابه اللفظى للقرآن الكريم .

والكتاب الذى بين أيدينا يمثل بداية مبكرة لنشأة التأليف فى المتشابه اللفظى ، فى القرن الثانى الهجرى .

ويتميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب المناظرة له فى نفس الموضوع ، ببساطة الأسلوب ، وسهولة البحث فيه ، حيث إنه مقسم إلى أبواب ، وكل باب له موضوع محدد ، وهو يجمع متشابه القرآن من الألفاظ .

عزيزى القارىء : كما عرضنا فى عدد سابق من أعداد المجلة الكثير ، والكثير من المتشابه فى القرآن الكريم .

إلا أن هذا الكتاب يحمل بين طياته أبواباً

متعددة ، منها : التعريف بالمؤلف ، وحياته العلمية ، وتلاميذه ومؤلفاته ، ثم التعريف بالمخطوطات ، ومنهج التأليف ومنهج التحقيق .

ومؤلف الكتاب هو : الكسائى ، واسمه على ابن حمزة بن عبد الله الأسدى ، الكوفى . والكسائى أصح الأقوال وأشهرها والسبب فى تسميتها أنه حين سئل عن سبب هذه التسمية فقال : لأنى أحرمت فى كساء .

وحياة الكسائى العلمية ، كانت بدايتها بالكوفة ، حيث حفظ القرآن الكريم مشافهة بالتلقى عن قراء الكوفة فى عصره ، وأشهرهم حمزة بن حبيب الزيات ، وشيوخه الذين أخذ عنهم هم ، جعفر الصادق ، والأعمش ، وزائدة ، وسليمان بن أرقم . أما عن تلاميذه فهم : الليث ، والدورى ، أحمد بن حسن ، وإسحاق البغوى وعلى بن حازم . أما مؤلفاته : فهى الآثار فى القراءات ، والعدد ، واختلافهم فيه ، والحروف ، والقراءات ، والمصادر والكثير من المؤلفات التى تجاوزت ستة عشر مؤلفا .

انتقل المحقق دكتور محمد داود إلى مشتبهات القرآن ، حيث قال : إنه يوجد ثلاث مخطوطات لهذا الكتاب ، الأولى : فى باريس بعنوان المشتبه فى القرآن . والثانية : فى الكتب خانة العمومية باستانبول ، بعنوان (مشتبهات القرآن) أما الثالثة ففى مكتبة قولة بدار الكتب المصرية بعنوان و ما تشابه من ألفاظ القرآن . وهذه النسخة كتبت بخط عربى جيد ، تسهل قراءته ، وعدد لوحاته تسع وعشرون لوحة ، وتشتمل اللوحة الواحدة على صفحتين ، كل صفحة ثلاثة عشر سطراً .

أما عن عنوان الكتاب ، ومنهج التأليف فقد أشار المحقق بأن نسخ المخطوط كلها اتفقت على المتشابه ، وإن ورد ذلك بألفاظ مختلفة .

سلسلة تحقيق التراث (٢)

مشتبهات القرآن

أبو الحسن على بن حمزة الكسائى

١١٩ - ١٨٩ هـ

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور محمد محمد داود

دار المنار

أما منهج التأليف فيذكر المحقق أن المؤلف بدأ كتابه بمقدمة . أشار فيها إلى الدوافع ، التى حملته على التأليف وهى المعونة على حفظ القرآن الكريم وتثبيته .

ثم بدأ المؤلف فى ذكر أبواب الكتاب ، فيذكر عنوان الباب ثم يتناول مواضع المتشابه فى القرآن بترتيب السور فى المصحف ، ولم يخرج المصنف عن هذا الترتيب إلا قليلا .

أما منهج التحقيق فبدأ بتقديم الكتاب ، وضبط النص وتحريره ، الإشارة إلى ما سقط سهواً عن المؤلف من مواضع المتشابهات ، التنبيه على ما وضع فى غير بابه ، توضيح بعض المصطلحات ، تحديد بداية صفحات المخطوط ، التعليق على الإشارات التى تبدو غامضة ، وضع أرقام الآيات التى وردت بجانبها ، وضع أسماء السور ، تصويب الآيات ، عمل فهرس بموضوعات الكتاب ثم أشار إلى بعض النماذج من المخطوطة .

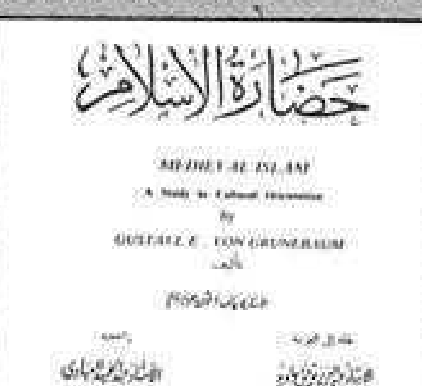


أيضا تعرض المحقق إلى المتشابه فى سور البقرة ، والنساء ، وآل عمران ، والأنعام ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، وكثير من سور القرآن الكريم ، وهو المتشابه فى حرف واحد . ثم باب ما فى القرآن من ثلاثة أحرف ، وأربعة أحرف وخمسة أحرف ، ثم ستة أحرف ، وسبعة أحرف ، حتى وصل بنا المحقق إلى باب : ما فى القرآن الكريم من عشرين حرفا .

الأول فى سورة البقرة ، والثانى فى آل عمران ، وآخر فى هود ، وآخر فى سورة الحجر ، وخمسة أحرف فى النحل ، وفى سورة العنكبوت ، وهى آية ﴿ إن فى ذلك لآية ﴾ ، ويعد الكتاب موسوعة فى موضوعه ، وعرضه المحقق بأسلوب جذاب مما يسر على القارىء سرعة الفهم . وهو دراسة فريدة لطلاب علوم القرآن ، والمهتمين بعلومه ، ولعامة المسلمين لفهم أمور دينهم ومعانى ألفاظ القرآن الكريم .

حضارة الإسلام

تأليف / جوستاف فون جرونيباوم
ترجمة / عبد العزيز جاويد



● عزيزى القارىء : لقد حمل العرب الأمانة عندما جاء دورهم فى التاريخ ، ولئن تناولوا المشعل وحملوه ، كما حمله سائر الأمم من قبل ، فإنهم أضافوا إليه أضعاف ما أخذوا منه ، وزادوا عليه من وهج العقول ، وضياء الفكر ما يشهد به هذا الكتاب ، بل يشهد به التاريخ نفسه .

وقدم العرب الحضارة والثقافة ، والعلم إلى أقصى ما وصلت إليه طموحاتهم هدية كريمة رفيعة الشأن ، وهبة سخية جليلة إلى من تلاهم من أمم وأجيال ، جعلت الحضارة هدفها ، والعرفان مدار حياتها ، أجل : لم يضن العرب بعلمهم على أحد .

● والمؤلف ـ عزيزى القارىء ـ وإن سمى كتابه الإسلام فى العصور الوسطى إلا أنه بدأ معه حيث نبت ، فهو يتتبع الإسلام وليدا ، ناشئا ، ويترسمه قرآنا وسنة ، ويدرس أصوله ومذاهبه وفرقه بأسلوب علمى دقيق ، فهو لا يكاد يورد فكرة إلا أورد لها نصا ، وأورد للنص مرجعا .

● المؤلف العلامة جوستاف : أحد أولئك المستشرقين الذين هفت نفوسهم إلى دراسة الإسلام ، فأخذوا يقلبون فيه الفكر ويمعنون فيه النظر ، وإذا انتهى إلى نتيجة ، أعتقد أنها خلاصة لكتابه هذا .

هى أن العرب أعطوا العالم الإسلامى وما يتزله من بلاد الشرق قرآنه ولغته وعقيدته . ثم تناولوا ما يتلك البلاد من ثقافات ، وحضارات قديمة ، فامتصوها وهضموها وأخرجوها للناس فى قالب عربى رائع أخاذ كادت تخفى فى معالمها الأصيلة وأصلها الغريب .

● بدأ الكتاب بمقدمه طويلة شرح فيها المترجم ثقافات المؤلف ، وأبحاثه فى الإسلام وتمجيده وحبه للعربية ، ثم أتبعه بتمهيد شرح فيه استبعاد المؤلف فى خطة الكتاب كل سرد للتاريخ السياسى ، بل الكشف عن مكانة الإسلام الحقة فى العالم الوسيط ، وتحديد أهميتها ، وتؤدى بنا إلى تفسير المجتمع الإسلامى كما صاغته روابط الواجبات الرئيسية التى يعتز بها كل مسلم .

● أشار المؤلف فى الفصل الأول : إلى الإسلام فى العالم الوسيط حيث شرح تاريخ العصور الوسطى ، للأقاليم الواقعة إلى الغرب من بلاد الهند ، حيث الروابط والتماسك بين الوحدات بعضها ببعض ؛ للدفاع عن أراضيها ، وتنظيم مجتمعاتها ؛ وحماية العقيدة انتقل بعدها المؤلف إلى المسيحية والإسلام ومدى العلاقة الوطيدة بينهما .

● وأوضح المؤلف الأساس الديني حيث الموقف السياسى فى الشرق الأوسط عند مولد الرسول ـ ﷺ ـ حيث الخصومة بين فارس والإمبراطورية البيزنطية والترقب والاستعداد لغزو الجزيرة العربية بما فيها من فوائد ومراكز تجارية عالية . وأشار إلى بعثة الرسول ـ ﷺ ـ فى تلك الفترة بالذات ثم يرد المؤلف على اتهام الغرب للإسلام ، وعدم تفهمهم له .

بعد ذلك انتقل المؤلف إلى الفصل الرابع ، وأشار إلى التقوى حيث يهدف الإسلام إلى تناول الحياة فى جملتها ، وهو يفترض أن هناك مثلا أعلى لحياة لا يجوز أن تقضى منها لحظة واحدة من المهد إلى اللحد إلا فى انسجام تام ، مع قواعد الدين وأصوله ، التى يجب أن تعد لكل لحظة منها عدتها .

وفى الفصل الخامس يوضح المؤلف الكيان السياسى : القانون والدولة قائلا : لقد تكفل سبحانه بتشريع الشرائع ، وربما اختلفت فرائضه مجالا ، ولكنها لا تختلف شدة ولا أهمية ، فكل أمر صادر عنه يحمل طابعا واحدا من الإلزام والإجبار . وليس من حق الإنسان أن يخرج أوامره ونواهيه درجات تتفاوت أهمية وقيمة .

ثم عرض المؤلف للمبدأ التشريعى الإسلامى ، ومبدء الاجتهاد ، والمذاهب الفقهية . انتقل بعدها إلى النظام الاجتماعى ، واهتمام الإسلام بالفرد والجماعة ، والمؤمنون سواء عند الله إلا فيما فضل الله به بعضهم على بعض من درجات التقوى .

وكيف أن الرسول ـ ﷺ ـ سمح للنساء بحرية التصرف فى أموالهن . كما أنه حسن مركزهن من ناحية الميراث .

بعدها أشار المؤلف إلى الإنسان الكامل وقضية الأدب والكاتب الذى وصفه المؤلف بأن يكون عارفا بكل نوع من أنواع الوثائق الأدبية العربى منها والفارسى قادرا على تحرير أى نوع من الرسائل

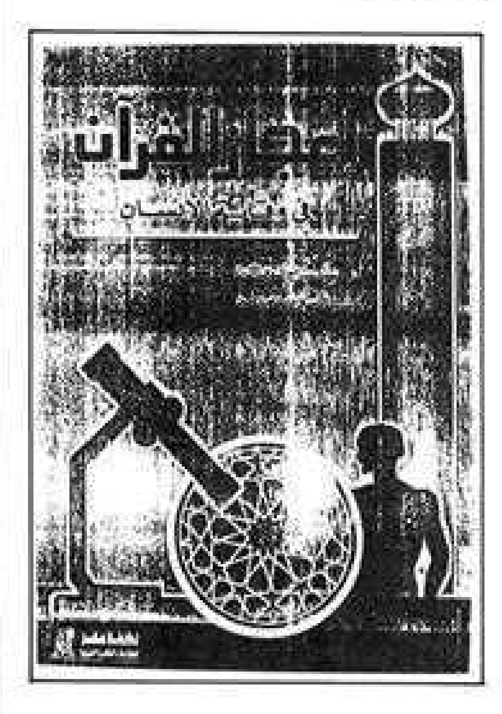
الرسمية على البديهة ، ولا تتهيأ له فرصة النجاح فى هذا الفن ما لم يكن على علم جيد بالنحو والصرف واللغة بل وبالفقه أيضا ولابد له من أن يكون قادراً على الاقتباس من القرآن ومن مخزون وافر من الأمثال والشعر .

ووضح المؤلف فى الفصل الثامن معنى التعبير عن الذات : الأدب والتاريخ فى أكثر من أربعين صفحة ، ثم انتقل إلى الفصل الأخير ، وهو النقل الخلاق عن تطور المجموعة الضخمة من الحكايات والخرافات ، المعروفة بألف ليلة وليلة فى أصقاع مختلفة من العالم الناطق بالعربية بين قرابة ٩٠٠م ١٥٠٠ م ثم عرض المؤلف مجموعة من القصص المشهورة كالسندباد والأمير سيف الملوك وغيرها من القصص الأثرية التى ورثها العرب حتى وقتنا هذا .

وأخيراً عزيزى القارىء لقد درس المؤلف الإسلام من جميع نواحيه فتناول علاقته بالآخرين وتناول العقيدة فى فصلين ، والشريعة والمجتمع فى فصلين ، وبحث الرجل الكامل ودرس الحضارة الإسلامية والأدب والثقافة العربية دراسة عميقة مستفيضة ، فبين أسبابها ، وأن مطالعة هذا الكتاب الذى يربو على خمسمائة صفحة ، كفيلة بأن تفتق القارىء شعابا فى الأدب العربى ، وأن تبرز له مناحى لم يكن منتبها إليها قبل تلاوته ، وفيه من الدعوة إلى العناية بالأدب المقارن وأسماء المراجع : عربية وأجنبية غير معروفة لبعض محبى الأدب وعندما تقرأ الكتاب ستفهم الأدب العربى فهما جديدا وستعود إلى الكتب الأدبية تقرؤها وقد تفتحت لك فيها نظرات وفجاج وتكونت لك فيها آراء ستجعلك تدهش من نفسك وأن تغير نظرتك إلى لغتك وأدبك .

إعجاز القرآن فى وقاية الإنسان

تأليف د / . محمد سراج الدين زكريا ـ إصلاح إسماعيل امين



● عزيزى القارىء .. القرآن الكريم .. المعجزة الخالدة .. لم يزل بكراً .. ولا تنقضى عجائبه إلى يوم الدين ومن إحدى هذه العجائب العظيمة فى مجال صحة الإنسان وسلامته كانت مشيئة الله تعالى بفتح آفاق العلم الحديث فى هذا المجال .

والصحة ـ عزيزى القارىء ـ أمانة فى عنق صاحبها لا ينبغى أن يفرط فيها ، فهى من الله ، فوجب علينا المحافظة على ما وهب الله لنا .

● وهذا الكتاب يجمع بين طياته البحث الدقيق سواء فى القرآن الكريم ، أو السنة الشريفة ، أو ماكتبه السابقون من علماء الدين والطب .

● بدأ المؤلف كتابه بعوامل سلامة الإنسان ، حيث أشار إلى أن الطب الوقائى هو كل ما يؤدى إلى سلامة الإنسان ، وذلك باتباع بعض العوامل ، التى توصل إلى ذلك وتجنب كل ما يؤذى الإنسان .

● ثم وضح المؤلف شرحا دقيقا للجسم للأجزاء الخارجية والداخلية وما توصل إليه العلم الحديث فى استخدام الأجهزة المختلفة لمعرفة الأجزاء الداخلية لهذا الجسم .

لذلك كانت الوقاية من الأمراض العقلية والنفسية ضرورة ملحة ؛ لأن الإنسان الحديث مهدد فى أعصابه وعقله أشد تهديد ، وقد زادت الحروب الحاضرة من خطر هذا التهديد .

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى سلامة النفس ذاكرا الأمراض النفسية وأسبابها ؛ منها بعض الأمراض التى تصيب النفس ، كالانطواء والتشنج العصبى والتبول اللا إرادى ، والخوف والقلق ، الجمود والتأخر والتقمص ، وأمراض الحضارة الحديثة .

● وأشار المؤلف إلى التقرير الذى نشرته اللجنة العلمية التى شكلها الكونجرس الأمريكى لتقصى أسباب العنف الشبابى وهى :

إن ظاهرة العنف بين شباب الجامعات تعود إلى وجود خواء أخلاقى فى حياتهم ، وإلى عدم وجود رسالة إنسانية ، مما يولد لديهم الشعور بضحة الحياة وتفاهتها ، ثم يقول التقرير « لقد أخفقت تربيتنا وجامعاتنا فى إعطائهم هدفا رفيعا يصلح لأن يكون رمزاً أو محورا ينظمون حوله خبراتهم ، ويبنون عليه طموحاتهم الاجتماعية والإنسانية .

● ويشير المؤلف بعد كل هذه البحوث العلمية والتجارب التى توصل إليها العلماء حيث يتبين لنا الإعجاز القرآنى فيما ورد فى كتاب الله ـ تعالى ـ للمحافظة على النفس بالتقوى والهداية ، وصيانة النفس ، ووقايتها ، والمحافظة عليها . ويبين كل هذا فى العقيدة الصالحة ، واتباع منهج الله ويتمثل الإحساس بالظلم ـ الإحساس بالذنب والأسى لفقد الأموال أو الإغراء ـ الخوف (الخوف من توقع الاصابة بمكروه ـ الخوف من الفقر) الضوضاء والغوغاء الملوثة للجو .

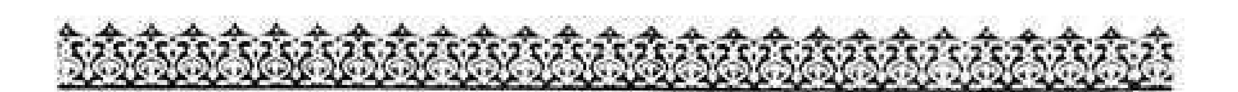
● ثم وضح المؤلف الإعجاز القرآنى فى وقاية الجسم ، وتعنى الوقاية : سلامة الجسم مما يصيبه من مؤثرات خارجية فى البيئة التى يعيش فيها أو مؤثرات نفسية قد تؤدى إلى علل فى الجسم وتعرض المؤلف لهذه الوقايات ، منها وقاية الجسم من الضعف والهزال ، وقاية الجسم من أمراض الإفراط فى الطعام ثم وقايته من الأمراض المعدية .

● ثم شرح المؤلف كيفية الوقاية من البلهارسيا والقضاء عليها فى بعض أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ .

● انتقل بنا بعد ذلك إلى وقاية الجسم من الدمار كموجات الانتحار المنتشرة فى بعض الدول المتحضرة رغم المخترعات ووسائل العلم الحديثة ووسائل الترفيه المتوافرة لهم .

● أما الباب الثالث : فقد عرض فيه المؤلف سلامة البيئة سواء فى تكوين الأسرة وبناء المجتمع شارحا كيفية المحافظة على الأسرة ، وتكوينها تكوينا صالحا وكيفية المحافظة على المجتمع ووقايته .

● بعد ذلك كانت خاتمة المؤلف التى وضح فيها



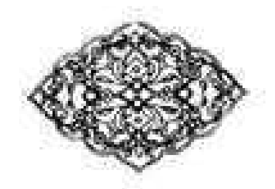
الإنسان من بداية تكوينه حتى نهاية حياته كما ذكرها القرآن الكريم .

وتحدث عن صحة الطفل وكيفية المحافظة على صحته .

وشرح أيضا المتغيرات التى تحدث للإنسان وأنه مادام متغيرا ويحيا فى عالم متغير ، فعليه أن يوطن نفسه على وجود الأحداث ، فلا يظل الإنسان أسير مافات من أحداث فيصبح الحدث السابق مثبطا لهمته ويجعل الضعف يتسلل إلى فكره وطاقته .

● وأخيرا ـ عزيزى القارىء ـ اخترت لك هذا الكتاب ؛ للمحافظة على نفسك من أمراض العصر ، والقلق النفسى ، والتوتر الذى يصيب بعض شبابنا فيفزعهم من الحياة ، ويجعل اليأس ملازما لهم ومسيطرا عليهم .

لذلك كان هذا الكتاب المعجز به من القرآن والسنة مايعجز عنه العلم والبحوث والتجارب ، لحماية صحة الإنسان رغم هذه البحوث الكثيرة إلا أنها لم تضف كثيرا لوقاية الجسم إلى ما جاء به القرآن الكريم ـ ليظل القرآن الكريم معجزة كل عصر ، ووقاية وحماية لكل إنسان ، للمحافظة على نفسه وأسرته ومجتمعه ، فإليك هذا الكتاب لكى تضيفه إلى مكتبتك فهو يجمع بين طياته العلم والدين والحياة .





بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة



ربيع الخير



مثلما يأتى الربيع فى موكب من الجمال والحسن ؛ معلناً للدنيا نهاية فترة الجدب ، والجفاف ، والقحط ، وبداية فترة أخرى ، يملؤها النماء والخير والزهر .

مثلما يأتى الربيع ؛ ليعلن بداية فترة من الأمل والرخاء ، جاء ربيع الخير فى عام ٥٧٠ من ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ ليعلن عن ميلاد خير البشر محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليعلن ـ أيضا ـ عن بداية ربيع دائم ، ذلك ربيع الإيمان الذى يمتد من ميلاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحتى يرث الله ـ تعالى ـ الأرض ومن عليها ، ذلك ربيع الخير الذى يكافح الشر ، وينافح من أجل الحق ؛ ليمحو ضلالات الشرك ، وليكسو وجه الأرض بنور الإيمان ، كما يكسو الربيع الأرض بالورود والأزهار .

فياليت أمتنا الإسلامية تراجع نفسها حين يجىء ربيع الأول من كل عام : ماذا حققت فى سبيل نشر الحق والعدل ؟

وهل أنجزت ـ ولو بقدر ضئيل ـ خلال عامها شيئاً ؟

نسأل الله العظيم أن يجىء ربيع الأول من كل عام ، وقد تحقق للأمة الإسلامية ما تصبو إليه فإلى بريد القراء :

الحكمة التربوية من نزول القرآن منجمًا

أرسل القارىء : أحمد ناصر أحمد ناصر - المراغة - سوهاج هذه الكلمة عن التدرج فى أوامر الدين ، وأنه الأنسب للنفس البشرية ، والأصلح لاتباعه فى أمور الدنيا - أيضاً - يقول :

« نجم الشىء » ، أى : قسطه أقساطاً .

ولقد نزل القرآن الكريم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منجماً فى ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة بمكة - على الرأى الأرجح - وعشر بالمدينة ويدلنا على نزوله منجماً . أى : مفرقاً بحسب الوقائع والأحداث قوله - تعالى - فى سورة (الإسراء : ١٠٦) .

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾

صدق الله العظيم .

أى : جعلنا نزوله مفرقاً كى تقرأه على الناس على مهل وتثبت ونزلناه تنزيلاً بحسب الوقائع والأحداث .

والذى استقرىء من الأحاديث الصحيحة أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات أو عشر أو أكثر أو أقل فقد صح نزول قوله - تعالى - ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ وحدها وهى جزء من آية ٩٥ سورة النساء . .

لكن ما هى الحكمة التربوية من نزوله هكذا منجماً ؟!

تعتمد العملية التعليمية على أمرين أساسين هما : مراعاة المستوى الذهنى للطلاب ، وتنمية قدراتهم العقلية ، والجسمية ، والنفسية ، وتوجيهها وجهةً سديدةً إلى الخير والرشاد . .

ونحن نلحظ فى نزول القرآن الكريم منجماً ما يفيدنا فى مراعاة هذين الأمرين ، فإن نزول القرآن تدرج فى تنمية الأمة الإسلامية تدرجاً فطرياً لإصلاح النفس البشرية واستقامة سلوكها وبناء شخصيتها حتى استوت على سوقها ، وآتت أكلها الطيب بإذن ربها . .

وكان تنجيم القرآن خير عونٍ لها على حفظه وفهمه ، ومدارسته وتدبر معانيه والعمل بمافيه .

فكما أننا نرى أن العملية التعليمية تبدأ أول ما تبدأ بتعليم القراءة فنجد أول آيات القرآن الكريم نزولاً حثت على ذلك .

قال تعالى فى سورة العلق .

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ .

كذلك فى أمر تحريم الخمر ، والربا ، وكذلك فى أمر العبادة لا يبدأ بها جملة ، بل يأمر بها على مراحل ، حتى تستريح إليها النفوس .

فبين بداية التشريع ونهايته مراحل تربوية كثيرة ، لها أساليبها ، التى تتلاءم مع مستوى المجتمع الإسلامى ، فى تدرجه من الضعف إلى القوة .

والمنهج الدراسى الذى لا يُراعى فيه المستوى الذهنى للطلاب فى كل مرحلة من مراحل التعليم ، وبناء جزئيات العلوم على كلياتها ، والانتقال من الإجمال إلى التفصيل ، أو لا يُراعى تنمية جوانب الشخصية العقلية والجسمية والنفسية منهج فاشل ، لا تجنى منه الأمة ثمرة علمية ، بل تجنى منه الجمود والتخلف .

والهدى الإلهى فى حكمة نزول القرآن الكريم منجماً ، هو الأسوة الحسنة فى صياغة مناهج التعليم والأخذ بأمثل الطرق فى الأساليب التربوية بقاعة الدرس ، وتأليف الكتاب المدرسى . ◆

سلوك المسلم بين القول والعمل

أما القارىء : سامى محمود حسين ـ قرية الشعراء ـ دمياط فيرسل هذه الرسالة التى ورد فيها :

« إن الإسلام يريد من المسلم ، أن يهتم بالفعل قبل القول ، فلا يقول إلا ما يفعل ، إعمالاً لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ○ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف الآيتان : ٢ ، ٣)

وهناك من يخادع الناس بالقول دون العمل ، ويحاول التباهى عليهم بالعلم ، فيلقى إلى غيره بالنصح والوعظ ، وينسى أن يعظ نفسه ، وقد يكون هو أولى من غيره بذلك النصح وهذا الإرشاد ، ومن كلام الإمام أبى حامد الغزالى : « فاقد النور لا ينير لغيره » . وأيضاً قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

ثراء مصر المحروسة

القارىء : محمد أحمد مكرم ـ الواسطى ـ أسيوط .

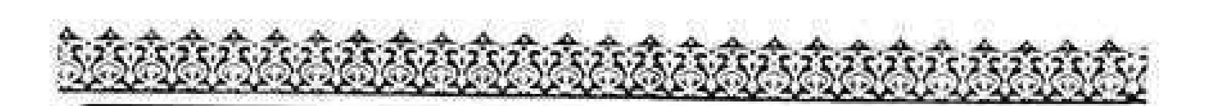
يرسل هذه الكلمة عن مصرنا المحروسة بعناية الله ـ تعالى ـ يقول فيها : جلس موسى بن عيسى ، والى مصر ، بميدان مصر ، فأطال النظر فى النيل ونواحيه ، فقيل له : ما يرى الأمير ؟ فقال : أرى ميدان رهان ، وجنان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، ودور خيل ، وجبانة أموات ، ونهراً عجاجا ، وأرض زرع ، ومرعى ماشية ومرتع خيل ، ومصايد بحر ، وقانص وحش ، وملاح سفينة ، وحادى إبل ، ومفازة رمل ، وسهلاً وجبلاً فى أقل من ميل فى ميل !!



أما القارىء : أحمد حمدان أمين ـ سوهاج ـ أخميم فيرسل هذه الطرفة ، يقول :

« تنبأ رجل من زمن المأمون ، فلما مثل بين يديه قال له : من أنت ؟ قال : أحمد النبى .

قال : لقد ادعيت زوراً ، فلما رأى ذلك المتنبى الشرطة أحاطت به ، قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحمد النبى ، فهل تذمه أنت ؟ فضحك المأمون وخلى سبيله » .



وكم من أقوال أرسلتها الأفواه ، ووعتها الأذان ، ومنع تنفيذها غياب القدوة .

يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ فى شأن هؤلاء وغيرهم :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ البقرة / ٤٤

ومن حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « رأيت ليلة أسرى بى أقواماً تقرض شفاههم بمقارض من حديد فقلت : « من هؤلاء ياأخى ياجبريل ؟ » قال : خطباء الفتنة » .

رواه ابن حبان فى صحيحه .

وهناك من ينسب لنفسه فضل عمل من الأعمال النافعة ، وهو لم ينجزه ، ولكنه يريد الظهور فى المجتمع بمظهر لائق ، وليثبت لنفسه مكانة لم يقدم لها غير كلام منمق .

وليس هناك ما يبرر للإنسان أن يقول ما لا يفعل ، وليس أمقت عن الله ـ تعالى ـ من عبد يدعى الصلاح ، ولا يحمل بين جنبيه غير الفساد والكفر ، والعياذ بالله . فذلك من صدق فيه قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ البقرة / ٢٠٤، ٢٠٥ .

فالله ـ تعالى ـ مطلع على قلوب العباد ، لا ينظر إلى أشكالهم وصورهم ، إنما ينظر إلى قلوبهم ، وما تكنه ضمائرهم .

الداء والدواء

ومن رسالة القارىء : عمر محمد عمر غزال ـ قبريط ـ كفر الشيخ ـ نقتطف ما يلى :

الحمد لله الذى جعل خلق الأضداد من سننه، فكما خلق الحياة خلق الموت ، وكما خلق الخير خلق الشر ، وكما خلق الجنة خلق النار ، وكما خلق الداء خلق الدواء . وذلك حتى ينفرد لنفسه سبحانه بالوحدانية فى كل شىء ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أعطى جوامع الكلم .

ثم أما بعد :

فإن حب الصحة والعافية غريزة إنسانية ، ومطلب يتمناه كل إنسان ، ولكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلمنا أن البلايا من الكفارات وكلنا يحب أن يغفر الله له، والمرض من طرق الغفران .

فقد روى عن عبد الله بن أنس أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم ؟ فقالوا : كلنا يارسول الله ، قال : « أتحبون أن تكونوا كالحمير الضوالة ، ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات ؟ والذى بعثنى بالحق نبيا إن الرجل لتكونن له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشىء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة

◆

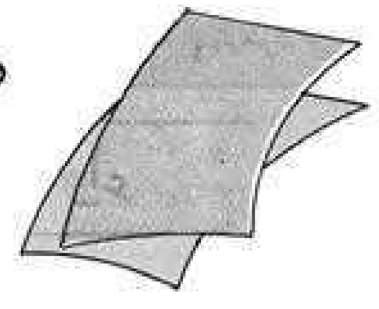
لا يبلغها بعمله » وقال - صلى الله عليه وسلم - : « ما من مسلم يمرض إلا حط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها » وكان يقول : « لاتزال الأوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة » .

وقد أمرنا الحبيب المصطفى بالدواء فقال : « تداووا فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء » . وقال - صلى الله عليه وسلم - : « ما أنزل الله داء إلا وله دواء عرفه من عرفه ، وجهله من جهله » . وسئل رسول الله عن الدواء والرقى هل يردان شيئاً من قضاء الله - تعالى - ؟ قال : « هما من قدر الله تعالى » .

وينبغى على المسلم أن يسلم بأن الشافى والطبيب هو الله سبحانه وتعالى ، فقد ورد أنه لما مرض الربيع بن خيثم قالوا له : ألا ندعو لك الطبيب ، فقال لهم : إن مرضى من الطبيب وأنه متى أراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وأنشد :

فأصبحت لا أدعو طبيبا لطبه
ولكننى أدعوك يامنزل القطر

ردود سريعة



● القارىء : أيمن محمد مرسى خلف الله - كفر الشيخ - دسوق / جاجون وصلتنا رسالتك عن « العول » ، وننتظر إسهامات أخرى .

● القارىء : عبد السلام بهجت عبد السلام كفر ربيع - تلا - منوفية .
سبق أن أوضحنا على صفحات المجلة فى باب المجلة والقارىء واستفتاءات القراء أن هذه الأمور يجب ألا يعتد بها .

● القارىء : عمر عبد العزيز جودة / معهد دسوق الابتدائى ، وصلتنا رسالتك عن أركان الحج .. ونشكر لك مجهودك .

● القارىء : مدحت سادات المغربى

كنا نود أن نلبى طلبك ، ولكن المجلة تنفد فور صدورها وعليكم مراجعة « إدارة التوريدات بالأزهر » وعنوانها العباسية شارع الفردوس امتداد شارع أحمد سعيد . بجوار نادى مرفق مياه القاهرة .

● القارىء : محمد عبد الفتاح على إبراهيم الحبش / المنافع / الإبراهيمية / شرقية .

أرسلنا رسالتكم إلى لجنة الفتوى ، ويمكنكم متابعة الأعداد القادمة . إن شاء الله - تعالى - .

تحية الإسلام

القارىء : محمود محمد عبد الرحمن - القاهرة .

من رسالة القارىء نقتطف هذه الكلمات :

« .... إلى كل من يحلو له أن يحيى إخوانه بقوله : « صباح الخير » أو « مساء الخير » أو ما شابه ذلك من التحية أقدم قول الشاعر :

ياذا الذى ترك السلام تعمداً
ليس السلام بضائر من سلما
إن السلام تحية مبرورة
ليست تحمل قائلاً أن يأثما

وصلتنا رسائلكم وشكراً لكم

القراء :

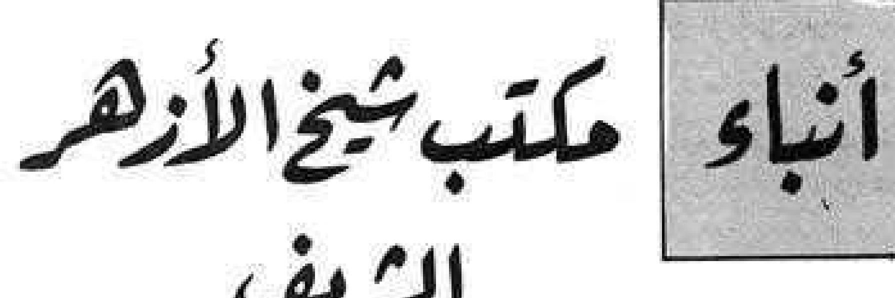
محمد عبداللطيف حسن دسوقى / بردين شرقية ، محمد أحمد جمعة السحرى - بلقينا - المحلة الكبرى ، أحمد ناصر أحمد ناصر - بهتا - سوهاج .

أحمد حامد إبراهيم بلتك ، أبو الحسن محمد رمضان - قنا ، عمر عبد العزيز جودة - معهد دسوق ، السيد فخر الدين حسنين كلية الشريعة .

تلقت المجلة العديد من إسهامات السادة الشعراء ، إسهاما منهم فى إحياء ذكرى مولد الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وتتوجه المجلة بالشكر للجميع ، ونأمل أن تتاح الفرصة فى مناسبات قادمة لنشر ما لم تتسع له مساحة النشر .





إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

فضيلة الإمام الأكبر يتفقد لجان امتحانات

الإعدادية والثانوية

قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بتفقد لجان امتحانات الشهادة الإعدادية والثانوية الأزهرية الدور الأول حيث بدأت الامتحانات يوم السبت الموافق ١١ صفر ١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/٦/٦ ،

حيث قام بالمرور على لجان امتحانات المعاهد النموذجية بمدينة نصر للشهادة الإعدادية للبنين والبنات ، ولجان معهد الدكتور طلعت بمدينة نصر للشهادة الثانوية للبنين ، ولجان معاهد فتيات المنطقة السادسة للشهادة الثانوية ، واطلع فضيلته على ورقة أسئلة امتحانات مادة النحو للشهادة الثانوية الأزهرية .

رافقه فى هذا اليوم فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية .

وفى يوم الأحد ١٢ من صفر ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٦/٦ قام فضيلته بتفقد لجان امتحانات الشهادة الإعدادية والثانوية الأزهرية بمعاهد الشيخ خالد للبنين والبنات بشبرا الخيمة ، واطلع فضيلته على أسئلة امتحان الشهادة الإعدادية فى مادة النحو والصرف ، واطلع على أسئلة امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية فى مادة الصرف ، وفى اليومين ناقش فضيلته الطلاب والطالبات فى الأسئلة وتأكد أنها من المنهج المقرر ، وفى متناول مستوى الطلاب ، كما أوصى فضيلته رؤساء اللجان والملاحظين والمراقبين بضرورة توفير المناخ الملائم والطيب داخل اللجان حتى يتوفر للطلاب الهدوء والراحة النفسية ليؤدوا امتحاناتهم فى جو هادىء مع توخى الدقة والانضباط حتى يأخذ كل طالب حقه كاملا .

رافق فضيلته رئيس الإدارة المركزية لمنطقة القاهرة الأزهرية الشيخ عبد الفتاح راجح ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

موافقة مجلس الشعب على قانون الثانوية الأزهرية

وافق مجلس الشعب على قانون الثانوية الأزهرية الجديد الذى يقضى بتخفيض سنوات الدراسة بالمرحلة الثانوية إلى ثلاث سنوات ، وأن يتولى الإمام الأكبر شيخ الأزهر إصدار القرارات المنفذة للقانون دون الرجوع إلى وزارة شئون الأزهر .

وعبر أعضاء مجلس الشعب عن ارتياحهم لحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جلسة المناقشة للقانون ، والذى تعهد بعدم المساس بالمواد الشرعية واللغوية ، وفند فضيلة الإمام الأكبر مزاعم المعارضين للقانون مؤكدا على عدم المساس بحفظ القرآن الكريم بجميع مراحل التعليم الأزهرى ، وأن الكتاتيب موجودة لم تغلق ، والأزهر يدعمها ويرصد لها ميزانية خاصة بها ، وأن القول بإلغائها نوع من الخيال ، وأكد أن الهدف من القانون هو التخفيف على طلاب الأزهر ومساواتهم بزملائهم فى التربية والتعليم ، بالإضافة إلى وقف الزيادة الكبيرة فى تحويل طلاب الابتدائى والإعدادى من الأزهر إلى التعليم العام ، وأوضح فضيلته أن العدل والرحمة تقتضى حذف السنة الرابعة من المرحلة الثانوية .

وأكد الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ، وعضو مجلس الشعب ورئيس اللجنة الدينية بالمجلس أنه يشهد الله ويشهد أعضاء مجلس الشعب أن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الداعية الكبير وافق أمامه وأمام الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، والأستاذ الدكتور إبراهيم بدران وزير الصحة الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية على تعديل القانون .

وحضر جلسة مجلس الشعب من علماء الأزهر الشريف فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة الشيخ على نور الدين الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الدينى ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، ولفيف من العلماء ، والدكتور غنيم الجارحى الأستاذ بكلية الزراعة ، ورئيس مجلس الآباء بالمنطقة الأزهرية .

وكيل الأزهر يتفقد لجان الامتحانات فى محافظات الجمهورية

قام فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف بتفقد لجان امتحانات الطلاب فى محافظة المنوفية ، وناقش الطلاب فى الأسئلة واطمأن على أنها من المنهج المقرر وفى متناول الطلاب ، وأوصى فضيلته بضرورة توفير الجو الملائم للطلاب مع ضرورة الانضباط فى الشهادة الإعدادية الأزهرية والشهادة الثانوية ، كما قام فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية بتفقد لجان معهدى المعادى الإعدادى الثانوى للبنين والبنات .

كما قام فضيلة الشيخ فؤاد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بتفقد لجان امتحانات


الشهادة الإعدادية الأزهرية والثانوية الأزهرية بمعهد حلمية الزيتون ومعهد مصر الجديدة العسكرى ، ومعاهد دبلوم المعلمين بمصر الجديدة ، كما قام الشيخ عبد الفتاح راجح رئيس منطقة القاهرة الأزهرية بتفقد لجان الامتحانات فى معهد عقبة بن نافع الإعدادى الثانوى بأغا خان بشبرا ، وأكد الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المنطقة الأزهرية أن امتحانات الدور الثانى للشهادات الأزهرية ستبدأ يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٩٨ بجميع المحافظات ، ويلاحظ أن عدد المتقدمين للشهادة الإعدادية الأزهرية ٩٣ ألف طالب وطالبة ، ٤٢ ألف طالب وطالبة تقدموا لامتحان الشهادة الثانوية بشعبها الثلاث أدبى وعلوم ورياضة ، وخمسة آلاف فى شهادات المقررات الثلاث ودبلوم المعلمين ، فيكون إجمالى المتقدمين للشهادات الأزهرية ١٤٠ ألف طالب وطالبة يمثلون ٢٧ منطقة أزهرية ، ويؤدون الامتحان أمام ١٢٠٠ لجنة .

قواعد حق التأليف أو الطبع أو النشر للكتب

اللازمة للأزهر

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى ٢١ من المحرم ١٤١٩هـ ، الموافق ١٧ من مايو سنة ١٩٩٨م ، بتشكيل لجنة برئاسة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وعضوية كل من :

١ ـ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

٢ ـ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

٣ ـ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية .

٤ ـ الأمين العام المساعد للشئون المالية .

٥ ـ رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية.

وللجنة أن تستعين بمن تراه من الأخصائيين وذوى الخبرة فى المادة التى يتناولها المؤلف لمعاونتها فى مهامها وتكون مهمة اللجنة :

١ ـ فحص الكتاب المطلوب شراء حق تأليفها أو طبعها أو نشرها أو ترجمتها بالنسبة للكتب اللازمة لقطاع المعاهد الأزهرية ، ومجمع البحوث الإسلامية وغيرها من الكتب التى يقوم الأزهر بطبعها ونشرها .. ومن بينها (كتب الصرف الميسر) لطلاب المرحلة الثانوية الأزهرية التى تم تأليفها .

٢ ـ بيان مدى حاجة الأزهر الشريف لهذه المؤلفات .

٣ ـ اقتراح مقابل حق التأليف أو الطبع أو النشر أو الترجمة للكتب المشار إليها بمراعاة أهمية المادة العلمية وقيمتها الفنية وعدد النسخ المطلوبة ، ومدة الانتفاع بهذا الحق وغيرها من عناصر التقدير الأخرى التى تتلاءم مع موضوع الكتاب مع مراعاة الحد الأقصى لهذا المقابل الوارد بالمادة الثانية من قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ٦٧٠ لسنة ١٩٨٨ فى شأن قواعد شراء حق التأليف أو الطبع أو النشر بالنسبة للكتب اللازمة للأزهر المشار إليه .

٤ ـ عرض توصيات ومقترحات اللجنة على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إعمالا لأحكام قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ٧٦٠ لسنة ١٩٨٨ المشار إليه .

إعداد مشروع اتفاق بين الأزهر

ووزارة الشئون الدينية الباكستانية

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بتشكيل لجنة من السادة :

فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر رئيسا .

فضيلة الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية عضوا .

فضيلة الشيخ فؤاد محمد محمد البرعى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر عضوا .

السيد/ جمال أبو الحق عبد الله رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية عضوا .

ويتولى سكرتارية اللجنة السيد/ محمد محمد إبراهيم السيد بمكتب فضيلة وكيل الأزهر .

وتكون مهمة هذه اللجنة إعداد مشروع اتفاقية بين الأزهر الشريف ووزارة الشئون الدينية الباكستانية ، تتناول أوضاع بعثة الأزهر فى باكستان والمعهد الأزهرى بإسلام أباد .

قرارات لفضيلة الإمام الأكبر

صدر قرار فضيلة شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوى بتعيين فضيلة الشيخ طوسون إبراهيم أحمد هواش فى وظيفة مدير عام مكتب فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وذلك فى ٣ صفر سنة ١٤١٩هـ ، ٢٩ مايو ١٩٩٨ ، كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر بندب الشيخ السيد وفا إبراهيم حسن أبو عجور مدير عام منطقة وعظ الغربية للقيام بعمل مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بمجمع البحوث الإسلامية .

وصدر قرار شيخ الأزهر بأن يسند إلى فضيلته القيام بعمل أمين عام اللجنة العليا لشئون الدعوة الإسلامية ، بالإضافة إلى عمله المنتدب إليه ، وذلك فى ١ من صفر ١٤١٩هـ ، ٢٧ من مايو ١٩٩٨ .

كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ، الذى يقضى بأن يسند إلى فضيلة الشيخ على محمود محمد أبو الحسن مدير منطقة وعظ أسيوط القيام بعمل مدير عام شئون مناطق الوعظ بمجمع البحوث الإسلامية ، وذلك فى أول صفر ١٤١٩هـ ، الموافق ٢٧ مايو سنة ١٩٩٨ .

ندوة تطوير المناهج بالمعاهد

الدينية بالكويت

اشترك فضيلة الشيخ/ محمد إبراهيم عبد الغنى خفاجى وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون التعليم (ندبا) فى ندوة تطوير المناهج بالمعاهد الدينية بالكويت فى الفترة من ٢٤ ، ٢٥ مايو سنة ١٩٨٨ ، وكان قد صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالموافقة على سفر فضيلته لدولة الكويت لمدة أربعة أيام ، وذلك بناء على كتاب السيد الدكتور المستشار الثقافى لسفارة دولة الكويت .

الأزهر ينظم الدورة الثانية

والأربعين لدعاة العالم الإسلامى

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على إقامة الدورة الثانية والأربعين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف، ولمدة ثلاثة أشهر اعتبارا من ١٩٩٨/٨/١، وعددهم ثمانية وعشرون إماما وواعظا من دول زنزبار، وبورما، ونيجيريا، ومالى، ورواندا، ويتلقى هؤلاء الدعاة محاضرات فى التفسير واللغة والفقه والاستشراق والتبشير والخطابة، ويقوم بالتدريس لهم صفوة مختارة من العلماء، وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، ويقيمون مدة الدراسة بمدينة البعوث الإسلامية، ويقوم الأزهر الشريف باستضافتهم وتتحمل موازنة الأزهر تذاكر السفر ذهابا وإيابا بالإضافة إلى نفقات الإقامة.

اتفاق الأزهر والفاتيكان خير رد على

المتشككين فى صلابة الوحدة الوطنية

أكد فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف ورئيس لجنة الحوار بين الأديان أن الاتفاقية التى تم توقيعها أخيرا بين الأزهر والفاتيكان للحوار بين الأديان هى خير رد على المتشككين فى صلابة الوحدة الوطنية فى مصر.

وقال أن الاتفاقية هدفها تحقيق التعاون بين الطرفين فى تجسيد المبادىء والقيم السماوية والفضائل التى تجمع هذه الأديان مثل العدل ومحاربة الظلم والنهى عن المنكر وحماية حقوق الإنسان، وأضاف أن الاتفاقية جاءت فى وقت مناسب لترد الهجمة الشرسة ضد الإسلام فى الداخل والخارج، ولتوضيح صورة ديننا الحنيف خاصة دعوته للمحبة والسلام بين جميع البشر، وقال: إن العلاقة الأخوية الوطيدة بين الأزهر والكنيسة المصرية لا تحتاج إلى حوار لأن الطرفين جسد واحد ونسيج واحد، ولهما هدف واحد هو الحفاظ على وحدة الوطن.

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل

سفيرة جمهورية التشيك بالقاهرة:

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٥ من صفر سنة ١٤١٩هـ، الموافق ١٩٩٨/٦/١٠ م، السيدة/ دانا هوفا نوفا سفيرة جمهورية التشيك فى القاهرة، وقد أبلغت فضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر رئيس جمهورية التشيك وسلمت فضيلته الدعوة الرسمية التى وجهها رئيس الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر وذلك لحضور مؤتمر رجال الدين والفكر فى شتى أنحاء العالم لإبداء وجهات نظرهم فيما يجب أن تكون عليه البشرية ومستقبل الإنسان فى القرن القادم، والذى سيعقد فى شهر أكتوبر القادم بدولة التشيك.

وقد شكرها فضيلة الإمام الأكبر على الدعوة ووعدها بدراستها تمهيدا لتلبيتها، وحملها إبلاغ تحياته وشكره لرئيس جمهورية التشيك.

أشادت السفيرة بدور الأزهر وتقديرهم لآراء فضيلة الإمام الأكبر المستنيرة وأهمية حضور الإمام الأكبر لهذا المؤتمر والفائدة الكبيرة التى ستعود على الإنسانية نتيجة هذا المؤتمر.

حضر اللقاء فضيلة المدير العام للإعلام والعلاقات العامة.

الضوابط والمعايير للترقية الأدبية لوظائف الدعوة بمجمع البحوث الإسلامية

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف القرار التالى فى شأن الضوابط والمعايير اللازمة للترقية الأدبية لوظائف الدعوة بمجمع البحوث الإسلامية :

أ ـ الترقية إلى وظيفة واعظ أول :

يرقى إلى وظيفة واعظ أول ـ الواعظ الذى أمضى فى الخدمة ثمانية أعوام على الأقل من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى وبشرط ألا تقل درجة تقاريره السنوية فى العامين الأخيرين عن ٨٠ درجة .

ب ـ الترقية إلى وظيفة مفتش وعظ :

يرقى إلى وظيفة مفتش وعظ ـ الواعظ الأول بشرط أن يكون قد أمضى ستة أعوام على الأقل واعظا أول كمدة بينية وستة عشر عاما كمدة كلية اعتبارا من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى ، وأن تكون تقاريره السنوية فى العامين الأخيرين بدرجة ممتاز .

جـ ـ الترقية إلى وظيفة مفتش أول وعظ :

يرقى إلى وظيفة مفتش أول وعظ ـ مفتش الوعظ بشرط أن يكون قد أمضى ثلاثة أعوام على الأقل مفتشا كمدة بينية ، وعشرين عاما كمدة كلية اعتبارا من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى وأن تكون تقاريره السنوية فى العامين الأخيرين بدرجة ممتاز .

د. الترقية إلى وظيفة مدير تفتيش :

يرقى إلى وظيفة مدير تفتيش ـ مفتش أول وعظ يشترط أن يكون قد أمضى عامين على الأقل مفتشا أول كمدة بينية وأربعة وعشرين عاما كمدة كلية اعتبارا من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى ، وأن تكون تقاريره السنوية فى العامين الأخيرين بدرجة ممتاز .

هـ ـ الترقية إلى وظيفة مدير الدعوة :

يرقى إلى وظيفة مدير الدعوة من يشغل وظيفة مدير التفتيش بشرط أن يكون قد أمضى سنة على الأقل بوظيفة مدير التفتيش كمدة بينية وانقضاء خمسة وعشرين عاما كمدة كلية اعتبارا من تاريخ مباشرته العمل بالمؤهل العالى وأن تكون تقاريره السنوية فى السنتين الأخيرتين بدرجة ممتاز .

وفى جميع الأحوال يشترط للترشيح لشغل وظائف الدعوة بمجمع البحوث الإسلامية المشار إليها استيفاء المرشح لشروط الترقية الأخرى الواردة بهذا القرار مع النجاح فى الاختبار وفق الضوابط المشار إليها بالمادة (٤) منه .

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل الأستاذ الدكتور وزير التعليم العالي :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صبيحة ١٨ من صفر ١٤١٩ هـ . الموافق ١٩٩٨/٦/٣٠ م الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى ، وقد دار الحديث بينهما حول أوجه التعاون بين الأزهر الشريف وجامعة الأزهر مع الجامعات المصرية فى مختلف النواحى التعليمية والثقافية والعلمية .

كما بحث فضيلته مع الأستاذ الدكتور الوزير اشتراك أساتذة وطلاب جامعة الأزهر مع أساتذة الجامعات المصرية وطلابها فى مختلف نواحى النشاط الثقافى والعلمى والتعليمى فى العطلة الصيفية ، وكذا المؤتمرات والندوات العلمية والدينية على مدى العام الجامعى .

وقد وعد السيد الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بإفساح المجال لأساتذة جامعة الأزهر وطلابها فى كل مجالات النشاط الثقافى والعلمى والتعليمى والرياضى داخل مصر وخارجها ، والاستعانة بعلماء الأزهر وجامعته فى عقد الندوات الدينية ، وذلك لتبصير الشباب وتوضيح صورة الإسلام الصحيحة .

فضيلة الإمام يستقبل وفد مسلمى جنوب الفلبين :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه فى ١٥ من صفر سنة ١٤١٩هـ ، الموافق ١٩٩٨/٦/١٠ م ، وفد مسلمى جنوب الفلبين برئاسة الدكتور/ طاهر سوليك وكيل وزارة الصحة بإقليم ماندناو الإسلامى يرافقهم الدكتور/ جمال أبو السرور مدير المركز الدولى الإسلامى للسكان بالأزهر .

رحب فضيلة الإمام بالوفد فى الأزهر الشريف وحملهم إبلاغ تحياته لإخوانه المسلمين بالفلبين ، أكد فضيلة الإمام الأكبر على استمرار التعاون مع مسلمى الفلبين وتقديم المنح الدراسية لأبنائهم للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة .

كما أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول السياسة السكانية وتنظيم الأسرة طبقا للشريعة الإسلامية حتى يمكن الاستفادة واتباع الشريعة الإسلامية بأن كل دولة تختلف عن غيرها وظروفها من دولة إلى أخرى ، وأن تنظيم الأسرة لا مانع منه شرعا مادامت هناك ضرورة تدعو إلى ذلك ، وللزوجين أن يتفقا على ذلك للحفاظ على صحة الأم والطفل ، ولها استخدام أى وسيلة يقرها الأطباء حسب الظروف الصحية للأم أو إطالة فترة الحمل بين كل طفل وآخر ، وهذا أمر لا مانع منه شرعا .

قدم رئيس الوفد شكره لفضيلة الإمام الأكبر وأشاد بدور الأزهر الشريف البارز فى العالم أجمع ، ونشر الثقافة الإسلامية من خلال بعثاته وعلمائه ، وخاصة لأبناء الفلبين المسلمين .

حضر اللقاء الدكتور/ جمال أبو السرور مدير المركز الإسلامى للسكان بالأزهر ، والدكتور/ محمد إبراهيم وكيل وزارة الصحة والسكان ، والمدير العام للإعلام والعلاقات العامة بالأزهر .

■



أخبار العالم الإسلامي

يحررها الدكتور
حسن علي محمد

من المحرر :

« الدرس الباكستاني »

رحم الله القائل :

أمتي .. هل لك بين الأمم
منبر للسيف أو للقلم ؟!

يا أمة الإسلام .. هذه باكستان ردت الصاع صاعين ، وأثلجت صدورنا .. وقالت - عملياً - : إنه بإمكان الفقراء والضعفاء أن يكون لهم موضع قدم .. وبأنه لا يفل الحديد إلا الحديد .. وبأن الاستسلام جبن .. وأن الجبن سوء ظن بالله .. وماذا بقي .. من سلام مزعوم مع إسرائيل ؟ ولماذا إسرائيل في عتو وغرور .. ؟ إن لديها ٢٠٠ قنبلة ذرية ، و٨٠ رأساً نووياً ؟ .. فلماذا تترك أرضاً اغتصبتها بقوة السلاح ؟ .. أمن أجل السلام ؟ .. وأي سلام ؟

يا إخوتي يا من تحسنون الظن بالعدو .. ليكن درس باكستان والهند درساً عملياً تحت أعين العقلاء .. إن الهند كانت تخاطب العالم في خيلاء بعد تفجيراتها ، وتخاطب باكستان في غرور يشبه الغرور الصهيوني ، حتى إذا فتح الله على باكستان وردت على الهند بستة تفجيرات .. سمعنا لغة أخرى من الهند ، ورأينا كيف ذابت نشوة النصر الهندي ؟ .. وبدأت التحيات والسلامات وبأنهم لا يريدون بالباكستان شراً .

يا أخي المسلم .. لا تنم .. فالعدو لا ينام .. وعدونا غدار .. وليس أمامنا سوى المضي في طريق باكستان .. فهل يتحقق الحلم ؟!

مجلس الشعب يوافق

على تعديل قانون الأزهر

القاهرة: خاص لـ «الأزهر»:

الدراسة فى الثانوية الأزهرية ٣ سنوات .. بعد التصفيق الحاد الذى قوبل به الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى عند دخوله القاعة الرئيسية لمجلس الشعب، عم الهدوء المكان، وتبارى الأعضاء فى الإدلاء بآرائهم، فى تعديل قانون الأزهر، الذى يجعل الدراسة بالثانوى ثلاث سنوات بدلاً من أربع.

وقد لاقى التعديل ترحيباً من الأغلبية، ونقداً واعتراضاً من البعض، وقال المؤيدون: إنه يحقق العدالة، وتكافؤ الفرص بين طلاب الأزهر والتعليم العام، ولن ينتقص من العلوم الشرعية، ويتركز التعديل على حذف الحشو من المناهج، كما يستهدف النهوض بالعملية التعليمية فى الأزهر.

أما المعارضون فقالوا: إن التعديل اجتهاد شخصى، وليس مقدساً، وأكد على صعوبة تدريس مناهج ٤ سنوات فى ثلاث سنوات، وقالوا: إن مبررات التعديل غير كافية.

ومجلس جامعة الأزهر بحضور الإمام الأكبر

يوافق على ثانوية الأزهر ٣ سنوات

بدلا من أربع

وقبل عرض المشروع على مجلس الشعب، كان مجلس جامعة الأزهر قد ناقش التعديلات، ووافق على المشروع بشرط ألا يكون هناك حذف فى العلوم الشرعية والعربية، وأن تخفض المواد الثقافية وتُزاد العلوم العربية والشرعية .. صرح بهذا الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر.

ورئيس مجلس الشعب يصرح:

مجلس الشعب

لايملك مساءلة شيخ الأزهر

أكد الدكتور فتحى سرور - رئيس مجلس الشعب - أن شيخ الأزهر فوق الحساب البرلمانى، رداً على ما أثاره العضو عبدالرحيم الغول بأن شيخ الأزهر ليس وزيراً فى الحكومة، وبالتالى لا يملك المجلس محاسبته.

وشيخ الأزهر يصرح أمام أعضاء المجلس:

أى أزهرى لا يحفظ القرآن

لايجوز أن ينتمى للأزهر

أكد فضيلة الإمام الأكبر: أن مشروع القانون لا يمس أبداً العلوم الشرعية، وأنه تم الاتفاق على أن يحفظ الطالب ١٨ جزءا فى المرحلة الابتدائية وليس القرآن كله.

وقال الإمام الأكبر: إن الادعاء بأننا أنقصنا الكتاتيب غير صحيح، بل نحن نشجعها وندعمها، وتم رصد ١٧ مليون جنيه لدعم الكُتّاب.

وقال الإمام الأكبر: نعاهدكم ونعاهد الله: ألا ننقص أى شىء بالمواد الشرعية.

شيخ الأزهر :

مصر تقف دائما مع الحق والعدل

أكد الإمام الأكبر أن موقف مصر يعتمد على الوضوح .. وأنها تقف مع الحق حتى ينتصر ، وضد الظلم حتى يندحر .

جاء ذلك فى خطبة الجمعة ، التى ألقاها الإمام الأكبر بمسجد المجمع الإسلامى المتكامل بقرية الضهرية بمركز شربين بالدقهلية .

ورسالة من الإمام الأكبر لبابا الفاتيكان

الفاتيكان : أ . ش . أ :

استقبل يوحنا بولس بابا الفاتيكان بالمقر البابوى الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ، ود . على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بين الأديان ، والسفير حسين الصدر سفير مصر فى الفاتيكان .

وقد تم عقب اللقاء توقيع اتفاقية للحوار بين الأديان .

تركيا والأردن تفتحان أجواءهما للتدريب العسكرى المشترك

● **أنقرة . أ . ش . أ :**

قررت تركيا فتح مجالها الجوى لتدريب الطائرات الأردنية ، كما قررت الأردن فتح مجالها الجوى لتدريب الطائرات التركية ، وذلك على غرار الاتفاق العسكرى التركى - الإسرائيلى ، الذى يسمح باستخدام المجال الجوى للبلد الآخر فى عمليات التدريب .

حدث الشهر :

● **باكستان ترد على الهند ، بستة تفجيرات نووية .**

● **ابتهاج فى شوارع إسلام أباد .**

● **ارتباك فى البرلمان الهندى .**

● **غضب فى أمريكا ، وأوروبا ، وإسرائيل .**

إسلام أباد ـ واشنطن ـ نيودلهى : وكالات الأنباء :

أعلن رئيس الوزراء الباكستانى/ نواز شريف أن بلاده أجرت خمسة تفجيرات نووية ، ثم أعقبتها بتفجير سادس رداً على الاستفزاز الهندى ؛ لتتعادل الكفتان .

وقد جاء إعلان رئيس وزراء باكستان بعد ساعات من ورود الأنباء الأولى عن تلك التفجيرات على لسان وزير خارجية باكستان ، وعلى الفور منذ إعلان الأنباء ، أعلن الرئيس الأمريكى فرض عقوبات أمريكية على باكستان فى رد فعل فورى لم يتم مع الجانب الهندى حين أعلنت عن تفجيراتها . . بل كان النقد واهناً .

وقال نواز شريف :

إن بلاده اضطرت لإجراء تلك التجارب بعدما فشل المجتمع الدولى فى فرض عقوبات على الهند لإجرائها تجاربها النووية الخمس بحيث لم يعد أمام باكستان من خيار سوى المضى فى ذات الطريق .

وفى موقف يدعو للفخر والإحساس بالكرامة . . قال نواز شريف فى خطابه للشعب الباكستانى :

إن باكستان مستعدة لتحمل العقوبات الدولية التى قد تفرض عليها ، وقال : نحن مستعدون للعقوبات ، ولسنا مستعدين للتفريط فى أمن شعبنا ، ولا للتفريط فى كرامتنا . وقال : نحن على استعداد لنأكل الحشائش والأعشاب ولا نفرط فى كرامتنا . . !!

والهند تبدى استعدادها للتفاوض مع باكستان

نيودلهى : أ . ش . أ :

أبدى رئيس وزراء الهند أتال بيهارى فاجباى استعداد الهند للتفاوض مع باكستان محذراً باكستان من أى مخططات عسكرية بشأن جامو وكشمير المتنازع عليهما .

وأكد رئيس الوزراء الهندى على أهمية إقامة علاقات طيبة مع جيرانها ، بما فى ذلك الصين ، وأبدى قلق بلاده من التعاون الدفاعى بين الصين وباكستان ، وأنه يتعين على الصين أن تحترم وحدة أراضى الهند وسيادتها .

اتصالات تليفونية بين نواز شريف وقادة دول مجلس التعاون

إسلام أباد : أ . ش . أ :

أجرى رئيس الوزراء الباكستانى نواز شريف اتصالات هاتفية أمس مع عدد من قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربى تم خلالها بحث الوضع الراهن فى شبه القارة الهندية فى ضوء التفجيرات النووية التى أجرتها باكستان .

و٤٦ دولة تطالب الهند وباكستان بالانضمام لمعاهدة حظر التجارب النووية

جنيف . وكالات الأنباء :

دعت ٤٦ دولة أعضاء بالمؤتمر الدولى لنزع السلاح فى جنيف أمس ، الهند وباكستان إلى التخلى عن برنامجيهما النوويين وطالبت الدولتين بالانضمام الفورى إلى معاهدة حظر التجارب النووية .

وفى الوقت نفسه أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن وزراء خارجية الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن سيبحثون استراتيجية موحدة لمواجهة التفجيرات الباكستانية .

وباكستان تحذر من اعتداء إسرائيل على منشآتها

حذرت باكستان الولايات المتحدة من قيام إسرائيل بشن هجوم على منشآتها النووية ، وأذاع التليفزيون الإسرائيلى أن مسئولين باكستانيين أجروا اتصالات مع الإدارة الأمريكية والأمين العام للأمم المتحدة ابلغوهم فيها أن طائرات مقاتلة من طراز (F 16) هبطت أخيراً فى الهند لهذا الغرض .

مجلس الأمن يستنكر تجارب باكستان النووية وبريطانيا تدعو إلى اجتماع عاجل للدول الصناعية الكبرى

نيويورك . د . ب . أ :

وفى تداعيات القرار الباكستانى بالرد على الهند بإجراء ستة تفجيرات نووية .. أعرب مجلس الأمن الدولى عن استنكاره للتجارب النووية التى قامت بها باكستان ، غير انه اشار إلى أن تلك التجارب اعقبت التجارب التى قامت بها الهند .

وقد حث المجلس كلا من الهند وباكستان على توقيع معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ومعاهدة الحظر الشامل على التجارب النووية .

ودعت بريطانيا إلى اجتماع طارىء لوزراء خارجية الدول الصناعية الثمانى الكبرى لبحث تطورات الموقف .

اندلاع معارك جديدة بين القوات الإريترية والأثيوبية

أفورقى : سندافع عن سيادتنا

أديس أبابا : الانسحاب أو الحرب الشاملة .

● **أديس أبابا . أسمرة : وكالات الأنباء :**

ذكرت مصادر رسمية اثيوبية أن معارك جديدة اندلعت بين الطرفين على طول الحدود المشتركة ، وقد تبادل الجانبان القصف المدفعى . وأكد الرئيس الإريترى بأنه سيدافع عن سيادة بلاده بأى ثمن ، كما حذر وزير خارجية اثيوبيا من حدوث مواجهة عسكرية شاملة ، ما لم تنسحب القوات الإريترية من المناطق التى احتلتها قبل ١٢ مايو الماضى .

قوات التمرد بالجنوب السودانى تهاجم مسجدا وتدمره

إعلان التعبئة فى ولاية كسلا السودانية عقب مهاجمة المسجد

● **الخرطوم . وكالات الأنباء :**

ذكرت وكالة الأنباء السودانية أن حاكم ولاية كسلا الواقعة شرقى السودان قد أعلن حالة التأهب للحرب ، وأمر بالتعبئة العامة فى الولاية لصد الهجمات التى تشنها القوات المتمردة على مواقع القوات الحكومية .

يذكر أن قوات التمرد تسعى إلى خلع رئيس السودان بالقوة المسلحة لإعادة الديمقراطية للبلاد ، ولمنع تطبيق الشريعة الاسلامية على سكان الجنوب . . !!

الحكومة الأندونيسية تفتح ملفات الفساد

● **جاكرتا . وكالات الأنباء :**

فى خطوتين تعكسان حرصاً على الوفاء بوعود الإصلاح ، قامت الحكومة الجديدة بفتح ملفات الفساد فى عهد الرئيس السابق سوهارتو ، مع عدم استبعاد التحقيق معه إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

وأعلن المدعى العام الاندونيسى أنه لم يمنع سوهارتو وأسرته من السفر ، وإن كان قد تلقى تاكيدات بأنهم لن يغادروا البلاد .

وقد أعلن مركز معلومات الأعمال التجارية الاندونيسى بأن ثروة سوهارتو وأقاربه تصل إلى ١٧,٥ مليار دولار . .!!

أفغانستان :

حركة طالبان ترفض وقف القتال

● **كابول . أ . ف . ب :**

صرح أمير خان وزير الإعلام الأفغانى أن حركة طالبان التى تسيطر على ثلاثة أرباع أفغانستان ترفض وقف القتال فى المناطق الواقعة شمال شرق البلاد ، والتى تعرضت لزلزال مدمر أسفر عن مصرع حوالى خمسة آلاف شخص .

يأتى هذا فى الوقت الذى واصلت فيه منظمات الإغاثة إرسال المساعدات الإنسانية لمنكوبى الزلازل .

كما قررت حكومة إسرائيل إرسال مجموعة خيام وأدوية لضحايا الزلزال إلى هناك رغم عدم وجود علاقات ديلوماسية بين البلدين .

divinité qu'Allah" et que cela vienne purement de son coeur ou de lui-même".
Hadith rapporté par Al-Bokhary.

On comprend le fruit de la foi grâce aux paroles d'Allah-Gloire à Lui-qui dit: **[Que la crainte saisisse ceux qui laisseraient après eux une descendance faible (des enfants en bas-âge), et qui seraient inquiets à leur sujet; qu'ils redoutent donc Allah et qu'ils prononcent des paroles justes.]** **Surate 4 "Al-Nissa- (Les Femmes) V.9.**

Le verset nous prouve, que la foi dans les paroles est une assurance pour l'avenir des enfants, en cas du décés de leur tuteur. De plus, la foi amène l'amélioration des conditions et l'absolution des péchés, comme Allah-Gloire à Lui- Le promet en ces termes:**[Ô vous qui croyez! craignez Allah et parlez avec droiture, afin qu'Il améliore vos actions et vous pardonne vos péchés.]** **Surate 33 "Al-Ahzab"(Les Coalisés V.70 et 71.**

Certains des ulémas et des saints hommes de la communauté, sont d'avis que la parfaite pureté réside dans la vigilance même à l'égard de son propre souffle, de sorte, qu'avec chaque expiration l'on sent l'Omniprésence de l'Immuable "Al-Kayyum"-Gloire à Lui- et que c'est par Sa volonté qu'on subsiste, sans avoir d'espoir en la vie d'ici-bas et dans l'attente de la mort à chaque geste et à chaque repos. Certains d'entre eux, lorsqu'ils se réveillent le matin n'espèrent pas vivre jusqu'au soir et quand vient la nuit, ils n'espèrent pas revoir le matin. D'autres, lorsqu'ils inspirent n'espèrent pas expirer le souffle. Ils considèrent que ceci est le summum de la foi. Car selon eux, le serviteur d'Allah doit être entièrement dévoué à Son maître et Seigneur, à chaque moment et à chaque instant de sa vie. Ils se réfèrent pour cela aux paroles d'Allah-Gloire à Lui- qui s'adressant au plus parfait dans la foi, le maître des dévoués (mokhliss) et le maître des délivrés (mokhlass) notre Prophète Mohammed-b.s-Il lui dit : **[Dis:"En vérité, mes prières, mes actes de dévotion, ma vie et ma mort sont déstinés à Allah, le Seigneur de l'Univers. A Lui nul associé! Voici ce qui m'a été ordonné, et je suis le premier à me soumettre.]**

Surate 6 "AL-An'am" (Les Bestiaux)V.162 et 163.



Isaac et Jacob qui étaient fermes dans leurs religion, leur vie et leur clairvoyance. Nous avons fait d'eux, l'objet d'une distinction particulière: le rappel de l'au-delà. Ils sont auprès de Nous, certes parmi les meilleurs élus.] Surate 38 "Sâd" V.45, 46 et 47.

Allah a dit également: **[Et mentionne dans le Livre Moïse. C'était vraiment un élu (Mokhlas) et c'était un Messager et un Prophète.]**

Surate 19"Mariam"V.51.

Tous ces élus "Mokhlassoun" Satan n'a absolument aucun pouvoir sur eux comme Allah-Gloire à Lui- l'a signalé en ces termes: **[(Satan) dit:"Par Ta puissance, je les séduirai tous assurément. Sauf Tes serviteurs élus (Mokhlassoun) parmi eux.]** Surate 38 "Sâd" V.82 et 83.

Il nous dit également:**[(Satan) dit:"Ô mon Seigneur, parce que Tu m'as induit en erreur, eh bien, je leur enjoliverai la vie sur terre et les égarerai tous, à l'exception de ceux, parmi eux, qui sont Tes serviteurs élus "Mokhlassoun".]** Surate 15 "Al-Hijr" V.39 et 40.

D'un autre côté, la sincérité et la foi sont étroitement liées car une des conditions de la vérité de la foi: est la sincérité et une des conditions de la vérité de la sincérité: est la foi. On peut comprendre cela dans les paroles du Prophète-b.s-qui a dit:*"Le conseiller doit être loyal et ne doit jamais dévoiler les secrets d'autrui."* *Hadith rapporté par El-Termizie.*

Donc, le conseiller doit être loyal lorsqu'il conseille celui qui le consulte, sincère dans ces paroles et ses exhortations, désintéressé de tout profit ou d'éloges si ce n'est de celui qui connait les choses cachées: Allah -Gloire à Lui-. Si ses conseils ont été éfficaces pour autrui, qu'il ne rappelle pas à ce dernier son bienfait, ni ne soit infatué de lui-même, mais qu'il attribue plutôt cette inspiration bienfaisante à Son Seigneur.

Ajoutons que la porte du repentir pour les non-purs est grande ouverte, comme Allah-Gloire à Lui- L'a signalé: **[Les hypocrites seront, certes, au fond de l'abîme du feu, et tu ne leur trouveras jamais de secoureur; sauf ceux qui se repentent, s'amendent, s'attachent fermement à Allah, et Lui vouent une foi exclusive. Ceux -là seront avec les croyants. Et Allah donnera aux croyants une énorme récompense.]**

Surate 4 "Al-Nissâ" (Les Femmes) V.145 et 146.

La pureté est indispensable dans la foi, dans l'intention, dans les paroles et les actes, tout comme la sincérité. De sorte, que nous pouvons dire :pas de sincérité sans foi et pas de foi sans sincérité.

Cela est évident dans les paroles du Prophète-b.s-qui dit lorsqu'il fut questionné sur l'heureux élu qui aura mérité son intercession le Jour du Jugement Dernier : *"Le bien heureux qui jouira de mon intercession le Jour du Jugement Dernier, c'est celui qui aura dit:"Il n'y a d'autres*

est purifié de toutes souillures. D'autres, disent que "Al-Ikhlas"c'est le fait de dénuer son intention de s'approcher d'Allah de tout ce qui est susceptible de l'altérer. Bref, "Al-Ikhlas"signifie: que l'acte soit accompli dans le but exclusif d'obtenir l'approbation d'Allah -Gloire à Lui -et cela sans aucune ostentation, ni recherche de renommée, ni salaire, ou de profit en ce monde, ni en vue d'être comblé d'éloges de la part des gens, comme Allah -Gloire à Lui -L'a indiqué en ces termes: **[C'est pour le visage d'Allah que nous vous nourrissons : nous ne voulons de vous ni récompense ni gratitude.]**

Surate 76 "Al-Insan" (L'homme) V . 9

La pureté de l'oeuvre est le fruit de la pureté de la foi . Parmi les modèles exemplaires de la fidélité de l'oeuvre , citons ce Hadith du Prophète -b.s- qui dit :

" Sept catégories d'hommes seront à l'ombre d'Allah , le jour ou il n'y aura d'autre ombre que la Sienne : 1- Un gouverneur juste . 2- Un jeune homme qui a passé sa vie dans l'adoration d' Allah . 3- Un homme dont le coeur est attaché aux mosquées . 4- Deux personnes, qui s'aiment pour l'amour d'Allah, se réunissent et se séparent pour Lui . 5- Un homme,qui dans la solitude, fond en larmes en invoquant Allah.6- Un homme qu'une femme noble , belle incite à l'adultère et à laquelle il répond : la crainte d'Allah m'empêche de commettre ce péché . 7- Un homme qui fait l'aumône en secret , si bien que sa main gauche ignore ce qu' a donné sa main droite ". **Hadith rapporté par Al- Bokhary .**

Toutes ces oeuvres pies, ont été accomplies uniquement dans un seul but..celui de plaire à Allah ; c'est pourquoi leurs auteurs ont mérité ce que seuls les priviligiés méritent .

Le jour de la Résurrection, le soleil se rapprochera tellement de la terre, que les gens seront noyés dans leur propre sueur qui leur arrivera jusqu'au niveau des talons; certains d'eux, seront noyés jusqu'au niveau des genoux , de la taille ou encore des épaules , des oreilles et ainsi de suite ....

Donc, celui qui aura le privilège d'être abrité sous l'ombre de Son Trône, sera gratifié d'une chance inouie.

La foi est de deux catégories et chacun a sa part selon la place qu'il occupe auprès d'Allah et selon le degré de sa valeur auprès de Lui . Il y a le fidèle "Mokhliss" et le fidèle ".Mokhlass". Le premier "Mokhliss" (ou le dévoué), c'est celui qui a été guidé, par Son Seigneur, vers la pureté et qui s'est appliqué avec assiduité à purifier tous ses actes de toute imperfection, en ne visant par là que l'approbation d'Allah.

Le second est le "Mokhlass" (le délivré), c'est celui qui n'a obtenu cet honneur qu'en vertu du choix de Son Seigneur, qui l'a élu. Ceci, est une faveur et un don qu'Allah octroie à certains de Ses serviteurs, comme nous l'apprend la Parole divine: **[Souviens-toi de Nos serviteurs Abraham,**

La Foi

Traduction de:
Hoda Hussein Chaâraoui[1]

Al-Ikhlas ou la foi .

Le mot "Ikhlas" ou foi dérive du mot "Khulus" qui veut dire pur... Tout ce qui est purifié et débarassé de toute altération est nommé "Khalis". C'est dans ce sens, que nous trouvons les paroles d'Allah-Gloire à Lui-:

[Il y a certes un enseignement pour vous dans les bestiaux: Nous vous abreuvons de ce qui est dans leur ventre: un produit extrait, entre le chyme et le sang: un lait pur, délicieux et facile à absorber.]

Surate 16 "An-Nahl"(Les Abeilles) V.66.

Ce lait est donc pur, il ne contient aucune trace de sang ni d'excréments, ni dans la couleur, ni dans l'odeur, ni par sa densité ou son aspect... Mais, il est d'une blancheur immaculée et il est doué de particularités nettement différentes de tout ce qui l'entoure.

Chaque oeuvre sincère, pure de toute altération est nommée "Ikhlass". Mais, les gens ont pris l'habitude d'appliquer le mot "Ikhlas" aux oeuvres qui sont dépouillées de toutes imperfections et visant l'approbation d'Allah qui dit:**[Ils n'ont été chargés de prescriptions que pour le culte qu'ils vouent à Allah soit exclusif, en toute fidélité.]**

Surate 98 "Al-Bayyina" (La Preuve évidente) V.5.

Il a dit aussi:**[C'est à Allah qu'appartient la religion pure.]**

Surate 39 "Az-Zumar" (Les Groupes) V.3.

Il a dit également:**[Dis: Il m'a été ordonné d'adorer Allah en Lui vouant exclusivement le culte.]** **Surate 39 "Az-Zumar (Les Groupes)V.11**

Il a dit également:**[Dis: C'est Allah que j'adore, à qui je voue exclusivement mon culte."]**

Surate 39 "Az-Zumar" (Les Groupes)V.14.

Les saints hommes de la communauté ont divergé sur la détermination du mot "Ikhlas". Certains d'entre eux disent, que "Al-Ikhlas": c'est la pureté de l'intention à l'égard d'Allah. D'autre disent, que"Al-Ikhlas": c'est le fait d'oublier de regarder les créatures en regardant continuellement le Créateur.

D'autres, disent que"Al-Ikhlas": c'est ce qui est caché aux créatures et qui

---

[1] **Révérend Cheikh:Yassine Rouchdy**

Ces premières réalisations sont encore dépourvues des futures caractéristiques typiques de la mosquée, la niche de prière (*mihrab*) ,le minaret et chaire à plusieurs marches (*mimbar*) . Pour le moment est seule obligatoire la direction de prière (*qibla*) vers Mekke .On ne connaisssait de même que le siège bas à deux degrés dont Mohammed(que la bénédiction et le salut de Dieu soient sur lui) se servait pour haranguer l'assistance , et à la place du minaret , d'où allait plus tard retentir l'appel à la prière , le premier muezzin , Bilal l'Abyssin , faisait retentir sa voix du haut d'un pilier , à l'intérieur de la mosquée,ou bien juché sur le toit .

D'autre particularités architecturales , correspondant aux exigences rituelles ou aux diverses fonctions assumées dès l'origine par ce monument à tout Etat musulman organisé y firent successivement leur apparition comme le mihrab , la maksoura, le minaret , le bassin pour ablutions mineures , les latrines et locaux pour ablution majeures , les annexes spécialisées pour les activités d'enseignement et pour le fonctiooement des institutions politiques et judiciaires .

L'exemple du masjid aménagé dans la demeure de Muhammad (que la bénédiction et le salut de Dieu soient sur lui) à Médine abriter tous les aspects de la vie politique et sociale à cette époque commanda l'organisation des premières interprétations architecturales de la grande - mosquée . Les traits propres à l'oratoire accueillant des fidèles pour la prière ne tinrent donc qu'une maigre place dans des programmes de construction qui étaient destinés surtout à mettre en valeur la personne ou l'autorité du souverain, originellement le calife ou ses délégués .



intérieure . Ce type de maison est déterminé par la cour à ciel ouvert entourée de mursde briques crues , sur laquelle donnent les diverses pièces , les appartements des femmes . A fin de pouvoir conduire ses entretienss avec ses ses compagnons à l'arbi du soleil , Mohammed (que la bénédiction et le salut de Dieu soient sur lui) y ajouta sur un côté un partique fait de troncs de palmier et couvert de palmes de terre .

Ainsi était crée le type spécifique de l'édifice sacré musulman , c'est - à - dire de la mosquée à cour . Avec la phase suivante le plan de cette mosquée à cour s'agrandit et se complique sensiblement le côté sud , celui de la direction de Mekke , présentant plusieurs rangées de supports avec toiture , donc une salle de prière nettement délimtée (haram) tandis que des portiques sont aménagés sur les trois autres côtés .

Les plus anciens exemples attestés , et non conservés de ce schéma agrandi de la mosquée à cour sont les mosquées de Basra (665) et de Koufa (670) en Irak , celle de Koufa offrant à la place des troncs de palmier primitifs cinq rangées de colonnes et en plus un système d'arcades doubles sur cour . L'ensemble biarticulé de plan barlong , composé de la cour (sahn) et de l'oratoire (haram) , qui n'obéit pas à une direction donné , mais accueille dans la cadence apparemment infin de ses rangées de supports , sa forêt de colonnes ou de piliers , un multitude de rangées d'orants , est la contribution spécifiquement arabe à la creation artistique du monde musulman .

La Mosquée de l'Islam

Dr . Abdel-Aziz Salem
Maitre conférence à la faculté
d'archéologie .Université du Caire

Mosquée forme francisée de l'Arabe " *masjid* " qui désigne le monument cultuel le plus caractéristiqque de l'islam et de sa civilisation , sous les divererse formes architecturales et fonctionnelle que cet édifice put y revêtir , depuis le simple oratoire jusqu'à la grande Mosquée .

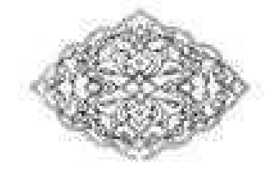
Le masjid est étymologiquement le lieu où l'on se prosterne c'est-à-dire le lieu où l'on accomplit la prière rituelle en se tournant vers la Ka'ba de Mekke , et toute mosquée était appellée masjid , cette désignation n'était cependant plus utilisée à partir du X e Siècle, que pour petites maisons de prière ordinaires , les mosquées principales, ou est prononcée l'oraison du vendredi (*Khoutba*) , recevant l'appellation de *masjid- l- djoum'a* (mosquée du vendredi)

Dans le sens littéral de djami ' se trouve déjà révéle le caratére de l'édifice sacré Islamique . A l'origine de la mosquée se situe la maison de Mohammed (que la bénédiction et le salut de Dieu soient sur lui) que celui - ci construisit après sa faite de Mekke à Médine , sur le plan traditionnel de la maison arabe à cour

miséricorde d'Allah transforme les péchés de Son serviteur repentant en actions louables. Ajoutons enfin que les bonnes actions effacent les péchés et que les aumônes que le musulman fait à ses proches et à ceux qui sont dans le besoin sont un moyen de se racheter des mauvaises actions commises.

Abu Saïd Al Khodry - qu' Allah soit satisfait de lui. - a rapporté ces paroles du Prophète - à lui bénédi tion et salut -: "*Celui qui dit : j'accepte Allah pour dieu, l'Islam pour religion* et *Mohammad* - à lui bénédiction et salut- *pour Messager, aura mérité le Paradis*".

Dr. Rokeya GABR



intermédiaire entre eux et leur Créateur. Il les invite à revenir à Lui afin qu'Il leur pardonne, les guide et leur fasse rémission. [*Allah veut vous éclairer, vous guider vers les coutumes de ceux qui vous ont précédés et vous absoudre. Allah est omniscient et infiniment sage*]. [*Allah veut soulager vos peines et Il a créé l'être humain faible*].

Vois comment Allah veut guider les hommes et accepter leur repentir tout en affirmant qu'ils sont des êtres faibles!

Bien souvent l'homme oublie qu'il est faible et s'enorgueillit; mais il ne se rend compte de sa vraie faiblesse qu'en cas de maladie, d'infirmité ou de grand désarroi.

C'est alors que l'homme se rend compte à quel point la Parole d'Allah est vraie [*Allah ne connaît-Il pas ce qu'Il a créé; alors qu'Il est le Tout-bon et l'Omniscient?*]

Quand l'être humain tombe dans le plus profond désespoir en ayant la certitude qu'il est à court de moyens, et qu'il se rend compte de son impuissance, alors la miséricorde d'Allah vient à son secours, le sauve et le porte sur ses ailes jusqu'aux rives de la sécurité et de la paix, en le ramenant à l'amour de la vie paisible. Le repentir l'a anobli, a purifié son âme et l'a apaisée. Il regagne sa confiance en lui-même et dans la vie.

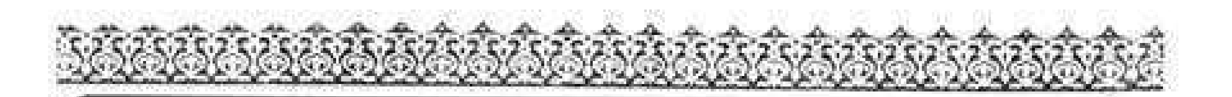
Allah ouvre Ses mains durant la nuit afin que les pécheurs de jour se repentent et Il ouvre Ses mains durant le jour afin que les pécheurs de la nuit se repentent.

Allah dit:[*Si mes serviteurs t'interrogent sur Moi, Je suis proche et Je réponds à l'appel de celui qui M'invoque quand il M'invoque. Qu'ils répondent donc à Mon appel et qu'ils croient en Moi; peut-être reviendront-ils à la raison*].

Allah invite donc Ses créatures à se tourner vers Lui en L'invoquant, en se confiant à Lui et en se repentant. Lui, en échange, leur accorde Son pardon et la rémission de leurs péchés. Il leur dit: [*N'aimez-vous pas qu'Allah vous pardonne?*].

Ce n'est point seulement cela; mais la générosité d'Allah va plus loin: puisque le repentir est sincère et qu'on a la ferme résolution de ne plus récidiver, alors la





Le Repentir et la Miséricorde d'Allah

par Dr. Rokeya Gabr

Il ne faudrait pas nous étonuner du fait que l'être humain commet des fautes car ceci est conforme et propre à sa nature même

L'être humain commet la faute afin de pouvoir se repentir à Allah en renconnaissant son péché et en l'avouant à son Créateur. C'est par là que se justifie l'un des plus parfaits attributs d'Allah, celui du Rédempteur.

Tout fils d'Adam est pécheur et les meilleurs pécheurs sont ceux qui ne cessent de se repentir.

Après que l'être humain a commis la faute, se laissant glisser sur la pente du péché si, à la suite de cela, il exprime son regret et son repentir, il trouve que la miséricorde d'Allah lui rend le respect de soi, car Allah dit: [*Ma miséricorde s'étend à toute chose*], et Il dit également: [*Allah agrée le repentir de Ses serviteurs et pardonne le péchés*].

Tout être humain est susceptible de se tromper, car seuls les Anges sont purs de tout péché, alors qu'il est tout naturel que l'homme fasse des fautes. L'être humain infaillible n'existe point sur cette terre et, si même il existait, il n'aurait point de place sur cette planète parmi les humains.

Nous voulons dire par là aux pécheurs que les péchés qu'ils ont commis ne les poussent pas au désespoir ni au manque de foi en la miséricorde d'Allah, car le désespoir est lui-même un crime: il mène à la ruine de l'individu et de ses rapports avec autrui, avec le monde et avec Alláh. [*Seuls les gens incroyants désespèrent du retour vers Allah*].

Les portes de la rédemption sont grandes ouvertes et n'ont point encore été fermées. Les humains sont les créations d'Allah et Ses créatures et il n'y a aucun

REVUE
AL AZHAR

Rabiy EL-Awal - 1419 H., July 1998 Vol. 71 Part III

Section Francaise

Comité de Rédaction :

think how to understand natural phenomena in a proper and scientific way. He should learn how to study, analyze and utilize these phenomena for the welfare of the human-being in the way used in non-Muslim countries. Allah Almighty has created all natural resources to serve the human being. In the verse of Holy Qur'an Allah stated that He has made seas, mountains, skies, animals and all on earth and all in skies are for the benefit of the human being. It is an application of such concept that led Abi Hamid Al Ghazali, the gerat Muslim scholar of medieval Islam to state that, «The best and noble job is to be either writer or physician or behind a plough». In other words it is the jobs of intellectual or scientists or farmers. Are n't these jobs and functions the pillars of activities at that time. I have no doubt that If Ghazali is alive today he would speak about science, technology, computer and the revolution in communication and information.

A good Muslim has to engage himself into society. He has to live, to act and to interact. He has to influence and to be influenced by the dynamics of life without any prejudice to the proper Islamic ideals or principles.

It is a shame to say that all inventions have been done by the non-Muslims, either in the east or in the west. While the Muslims mostly use the outcome of the new technologies. They are mostly in the receiving and not in the sending one. It is time that Muslims reconcider their position, open their minds and use their faculties to serve their cause.

It is a crime not only against Islam but also against humanity to close the Muslim mind. It is absolute nonsense to lock the Muslim mind in the way it used to be in the world so many centuries back. Thus upholding the Muslim ummah at ransom, due to inertia in their thinking, in their action and in their parochial approach to life and society, is the fastest way to self-destruction of the Muslim countries.

This is totally contrary to the concept of Islam. It is contrary to what is said in Qur'an or in Sunnah of the Prophet (peace be upon him) and also contrary to the message of Islam which is an eternal message. Such a message cannot be eternal if we close our mind and keep thinking and acting in the way our ancestors used to do, many centuries ago.

The Muslim mind had to be reactivated to build a civilization like it did in the past. It has to be reactivated to work in an investigative way like it used to be in the days of the great Prophet of Islam (peace be upon him). It has to be reactivated to implement the concepts contained in the Holy Qur'an, «In yourselves cann't you see wonders ! in the skies signs for those who believe». It is an eternal call for science and technology. It is an eternal call for research, study and development. It is an eternal call for continuous search for knowledge by every one in society man and women alike. It is time to ponder thoroughly on the true message of Islam. It is time to go deep into the roots of Islam not to live in the fringes of life and society. It is time to contribute in the human civilization not to live on the borrowed inventions by other nations. This is the real spirit of Islam. It is the way to rebuild Muslim society in the 21st century.

veloped. It is even worse that some Muslim thinkers feel that democracy and Islam cannot go together. The status of human rights in the Muslim world in general is far from being satisfactory while Islam from the first day of its advent is advocating the inviolability of the human being and the sanctity of his blood and the protection of his property.

On the occasion of hijjatul widaa, the great Prophet (peace be upon him) has highlighted in his sermon these principles which regrettably are not adhered to by the Muslims of today. Worse of all that some self styled Muslim scholars do not promote the concept of tolerance, harmony and moderation. On the contrary they advocate violence, non-tolerance, hatred, bigotry and prejudice towards other groups who do not share their thinking or who are not member of their school of thought.

Leaving the internal problems aside, if one casts a look at the international level. one finds that some Muslim countries are punished by the international organizations. The UN security council is imposing sanctions on certain Muslim countries. United Nations resolutions pertaining to the rights of the Muslims are not implemented while resolutions against Muslim countries are imposed even by force. The talk about double standard is a very serious one. It reflects «the real poliytque» at international level.

One can ask why this state of affairs ? The simple answer is that the Muslim countries are weak and disunited a matter which others normally take advantage it is a well known fact that International relations are based on three concepts : the national sovereignty, the national interest and the national power. The Muslim countries had to adopt proper approach towards their internal problems as well as towards the external situation. Such an approach is stipulated for in the Holy Book. One of the illuminating verses of Qur'an says that, Allah does not change the condition of people until they change what is in their hearts. (13 : 10) the thunder

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

In the words of some religious scholars of old good days which say charity starts at home. The Muslim countries had to start at home, searching in their soul, in their practices and in their thinking as well as in their tradition to reshape them to reflect the proper ideals and values based on the golden principles of Islam to face the new challenges at national, regional and international arena.

In the creation of the heavens and the earth; in the alternation of night and day in the ships which sail in the sea with what profits mankind. (2 : 164) the cow

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾

A Muslim has to think not in a Beduin way as in the early days of Islam where camel and horse were the main vehicles of transport and war. He has to think as an individual living in the 21st century adhering to Islam. He has to have an approach (Minhaj) to

OBSERVATIONS MADE BY H.E. DR. NOMAN GALAL AMBASSADOR OF THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT AT A SEMINAR ARRANGED BY M/R KHALIL UR REHMAN MEMORIAL SOCIETY ON PROBLEMS FACED BY MILLAT -E-ISLAMIA AND THEIR SOLUTION HELD AT ALHAMRA HALL, LAHORE ON MARCH 30, 1998

No doubt that the Muslim world today is not only facing great challenges but also passing through a very diffcult period unprecedented in its long history.

It is needless to say that nations grow and develop if certain pillars existed and played their role in such a process. Among these pillars : the cohesion of the sociery. The elaboration of a sound strategy based on sound ideology and the existing of tactics or ways and means to implement the strategy. In other words a vision is necessary to lay down goals and objectives as well as to elaborate means to achieve these objectives.

A scholar, such as Hamish Mc. Rae in his book, «The world in 2020» published in 1995 by Harper collins. Analyzed the world situation of today. I quote :

«The old motors of growth - land, capital and natural resources, no longer matter. Land matter little because the rise in agriculture yields has made it possible to produce for more food in industrial world than it needs. Capital no longer matter because it is at a price almost infinitely available from the international market for revenue generating projects. And natural resources in recent times have fueled economic growth in only a tiny handful countries mostly in the Middle East. These quantitative assets. Which have traditionally made countries rich, are being replaced by a series of qualitative features which boil down to the quality, organization motivation and self-discipline of the people who live there. The human skills became more important.

If we cast a look at the Islamic Ummah today, unfortunately we find the vision is lacking, the goals are blurred and the means are controversial. That situation led some thinkers to lament the state of the Muslim Ummah and even some go to the extreme to say it neither Ummah, nor Muslim. For a simple reason they are disunited, disintegrated, fighting among themselves and ignoring the principles of Islam which advocates peace, tolerance, non-violence and moderation.

It is a pity that the Muslim countries mostly are non-democratic and underde-

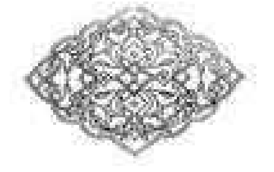
creatures in heavens, jinns, angels and a whole new knowledge not known previously before the Qur'an, as A book, Galileo is A testimony that human's were in the dark concerning space as well as earth.

No greater love than the muslim love of Allah :

In Mecca, where Prophet Muhammad (MPBUH) slept the night of his travel to the Aqsa Mosque and his ascent to the heavens, is also where he was born, it is also the house of Abraham (MPBUH) considered father of religion, which was purified from all symbols of darkness and idolatory by Abraham, and later declared free from idolatory by prophet Muhammad (HPBUH), the inviolable mosque of Mecca is where millions of muslims go for pilgrimmage on certain days of the year and also for visits all year round Millions go there in white cloth symbolizing the light of surrender to Allah, out from the darkness of evil. The white cloth also symbolizes their readiness to die for Allah and for Islam, for all that Allah has Ordained, it sympolizes seeing the light, accepting Allah's wisdom and guidance, accepting that glory to Him is their creator. He created, heavens, earth, humans, and what is in them, and to Him they return. The white cloth is in fact a symbol of the burial cloth with the call of the pilgrimmage which is : «The muslims believe in one Allah, in all the prophets and messengers without distinction and in all three Books comprising the word of Allah. The Muslims are Allah's most loved and blessed people. we the muslims are very thankfull to Allah for His forgiveness and mercy and for allowing us the ascent spiritually to the glory of His light in our prayers, praise To Allah in His Mercy.

what is of more importance is that up of the dead to life, «Because God is the truth, And surely he raises the dead forth to life». (22:6) Pilgrimmage.







five daily prayers were decreed, the prayers were then to mean that muslims can spiritually ascend to the presence of Allah five times A day.

This is the true meaning of the journey and ascent, human in Islam is finally forgiven and admitted in the presence of the light of Allah in heavens. Prophet Muhammad (MPBUH) speaking for muslims and on their behalf and Allah taking mercy on muslims means that muslim can be elevated to be heard by Allah Almighty. That knowledge now menas the universe with muslims no longer expelled, cursed or confined, but blessed and with the infinite possibilities infinite of Allah's mercy, and help.

In other words :

The journey of man from darkness to light is fulfilled in Islam where the original curse of expulsion from Allah's presence and form heavens down to earth is forgiven in Allah's greatest gesture, inviting Prophet Muhammad (MPBUH) to his presence, in the light of his presence, in the heavens.

That the journey and the ascent of prophet Muhammad (MPBUH) is also a demonstration that man can with the help of Allah travel very long distances incredibly fast. this travel can be on earth, from one place to another which is the first part of prophet Mohamed's journey (MPBUH) taking him first to the Aqsa Mosque. This travel could also have taken place in space : in the heavens which is the ascent. had it not been for prophet Muhammad's (MPBUH) describing in a detailed account not only the Aqsa Mosque which he has not seen before, but also his account of who were there at the mosque and the caravans on the road, All in details. These were later confirmed from the arrival of the caravans and from people travelling from there, had it not been for that, the credebility of the prophet could have been doubted. with the sure verification it became a miracle celebrated in Islam. Furthermore two suras confirm it : the night journey, sura 17, and the star sura 53.



The prevailing opinion is that spirits and minds can go where bodies cannot. A disengagement of some kind of the intellect or the mind and of the spirit that would have A physical sense in travel and at distances. the prophet did speak of A real and very clear experience which some of the muslim scholars say that Allah is capable of That and of everything else praise and glory to Allah.

The journey of prophet Muhammad (MPBUH) is forgiveness, for being readmitted to the heavens and to Allah's light, is a mercy in that Allah Almighty allowed Muhammad (MPBUH) what he asked for in reducing the number of prayers, and is coming out of darkness to the light, the ultimate light of Allah. This light is also the light of knowledge, no darkness there, the Qur'an as amatter of fact is full of information and very advanced knowledge of the universe with great emphasis on space, planets, orbits, galaxies, constellations, the distances and the different

Islam And The Great Qur'an

Part VIII

by Ambassador Maha Fahmy

The night journey of Prophet Muhammad (MPBUH) :

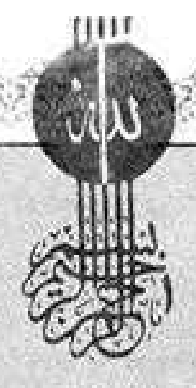
The Ascent to the Heavens and back, a universe.

When Allah smiled love and forgiveness upon muslims, our world turned to universe. This gesture from Allah to Prophet Muhammad (MPBUH); inviting Him to the ascent to Allah's presence is the greates in signifcance in human religious history. Prophet Muhammad (MPBUH) saw the light, was allowed to ask mercies for the muslims, to negotiate the number of prayers on the muslims behalf. The numer of prayers suggested from Almighty was much greater at first, yet aftar Prophet Muhammad (MPBUH) supplicated Allah, it was Granted from Allah The merciful, and the mumber of prayers became five daily. More was discussed, and Prophet Muhammad (MPBUH) learned Agreat deal more than he could have imagined. In his ascent, Prophet Muhammad (HPBUH) learned some of Allah's greatest signs, the fact that Allah is One, that all the religions are one despite the diffrences and that all the prophets were muslims to Allah.

Before the ascent to heavens, Prophet Muhammad (MPBUH) visited the aqsa mosque, where he led A muslim prayer with all of the prophets, talking with them and, also meeting them during his ascent. The entire night journey took place in the inviolahle mosque in mecca on the night of the 27, of the Arabic lunar month of rajab. A celebrated event and A great religious occasion for Islam and muslims around the world.

During prophet's Muhammad (MPBUH) presence in the light of Allah, when the





AL-AZHAR MAGAZINE

Rabiy EL-Awal - 1419 H.,

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part III

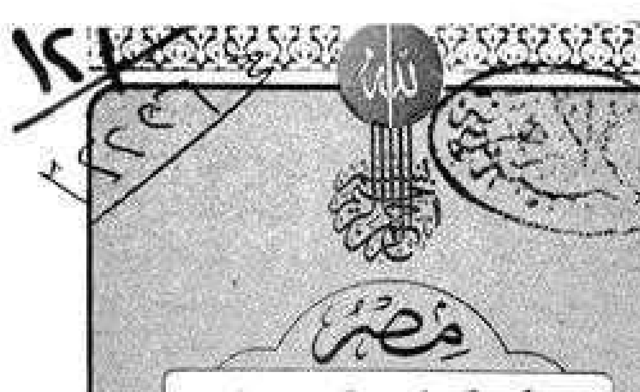
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

الفهرس





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

مصر

الأزهر الشريف

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

أما بعـد

ففي عام ١٩٨٩ حينما كنت رئيساً لبعثة الأزهر الشريف في أندونيسيا وجهت إلى من الحاج عبدالملك رئيس معاهد الأسعدية ورئيس إذاعة الأسعدية دعوة لزيارة منطقة سنكان واجو في جزيرة سولاويسى بأندونيسيا، وانشرح صدرى لتلبية هذه الدعوة.

وفعلاً ركبت الطائرة من جاكرتا إلى أوجونج بادانج بسولاويسى، وماأن وصلت الطائرة إلى المطار حتى فوجئت باستقبال رائع وحشد كبير من الناس كلهم جاءوا لاستقبال رئيس بعثة الأزهر، وركبنا السيارات في مظاهرات ضخمة تعبر عن مدى حبهم للأزهر ولعلمائه، وسارت السيارة ساعات حتى وصلنا إلى مدينة بارى بارى، ثم اتجهنا جنوباً إلى حيث المنطقة المقصودة.

وبعد مرور سبع ساعات بالسيارة رغبنا في الاستراحة بعض الوقت ، وفي هذه الأثناء جاء متحدث باللغة العربية الفصيحة وعانقني بحرارة وشوق وقال : أنا متخرج في الأزهر الشريف منذ سنوات ، ولا يمكن أن يمر الركب إلا وتنزلون في ضيافتي ، كي أرد لمصر وللأزهر بعض حقوقه علينا ، فشكرته ، واعتذرت لأنني أخبرت أن الطريق طويل ويحتاج إلى عشر ساعات ، واستمر سيرنا إلى أن وصلنا إلى منطقة سنكان واجو ، وما أن أشرفت على مداخل هذه المنطقة النائية إلا وجدت الأعلام واللافتات التي ترحب بالزيارة ، كل ذلك في مشهد دمعت فيه العيون ، وتعالت الهتافات محيية مرحبة بمقدمنا وكان على رأس المستقبلين حاكم المنطقة وكبار المسئولين فيها ، وهناك وجدت ما لا أستطيع وصفه من روعة الاستقبال كل ذلك لأن الأزهر له مكانة في قلوب هؤلاء ، وحب جارف لمصر .. الأزهر الشريف .. ثم استمرت الزيارة ثلاثة أيام ، وكانت إقامتي في فندق أطلقوا عليه اسم الأزهر وقمت بإلقاء عدة محاضرات في الإذاعة الأسعدية ، وزرت المسجد الكبير فيها فوجدت عالماً من أهل المدينة جالساً في درس فقهي على المذهب الشافعي ، ويتحدث باللغة العربية الفصحى ويشرح بعض العبارات باللغة الأندونيسية فحييته وسلمت عليه وعلمت أنه تخرج في الأزهر منذ سنين ويقوم بالتوعية الدينية ، ثم ألقيت في وقت لاحق محاضرة في هذا المسجد تحت عنوان اللغة العربية لغة القرآن .. ترجمت على الفور باللغة الأندونيسية بواسطة أحد أبناء الأزهر المرافقين لنا ، ثم قمت بزيارة المؤسسات التعليمية للأسعدية التي منها كلية الشريعة ومعاهد المعلمين والمعلمات ... إلخ .

وهنا أدركت مكانة الأزهر وأهمية رسالته في هذه الجزر البعيدة ، ومدى تعلق المسلمين بحب مصر الأزهر الشريف ، وأن كل متعلم يتمنى أن يحظى بالتعليم الأزهري في ربوعه ، لأن مصر تعيش في هذه المناطق بالأزهر ، ولا عجب فإن مصر تنفرد بالأزهر : قلعة الإسلام منذ ألف عام ، قبلة المسلمين العلمية ، محط الآمال ، ومطمح الأنظار ، حافظ القيم وراعيها ، وحفظ الله لنا به ديننا ولغتنا العربية : لغة القرآن الكريم ، لغة أخلد كتاب في الوجود ، لغة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لغة أهل الجنة أبقاه الله ورعاه وحماه من كل شر ، ولا غرو فالعلماء هم مصابيح الدجى في بحر الحياة المتلاطم ، وإن تاريخ الأزهر الشريف هو صفوة تاريخ مصر ، وتاريخ مصر هو صفوة تاريخ الأمة العربية ، والشعوب الإسلامية ، القائم على العقيدة الإسلامية ، التي أضاءت بنورها ظلمات الجهل والوثنية .

وحقيقة فإن الأزهر الشريف وإن كان مصرى المواطنة ، فإنه إسلامى الانتماء ، عربى اللسان ، وفوق هذا وذاك فهو معقل حضارة ، وإشعاع فكرى أثرى الإنسانية ، وأسهم في صرحها العلمى الشامخ عبر القرون والأجيال .

الأزهر : حامل رسالة الحق .

الأزهر : حامل لواء آخر دين نزل من السماء إلى الأرض ، كفل الله حفظه حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

الأزهر : معقل حضارة ، ومصدر الإشعاع الفكرى للإنسانية .

الأزهر : حياة مصر الإسلامية ، وقلبها النابض .

مصر العربية : هى الأم للعرب والمسلمين فى كل قطر من أقطارهم ، وفى كل ذرة تراب يقف فوقها عربى ومسلم ، منذ أن دخلها المجاهد عمرو بن العاص وإلى الغد بمشيئة الله .

مصر الأزهر : أرسلت البعوث ودرّست الشباب وغرست العقيدة فى أفريقية وآسيا وفى كل مكان .

مصر العمالقة : الشعراوى والعقاد ، والرافعى والمنفلوطى والزيات .

مصر التى رفعت رأس أمة العرب فى الحروب الصليبية وفى العاشر من رمضان .

الأزهر كما قال الأستاذ البنشق : صوت الحق ، نطق به الزمن فدوت له أرجاء الدنيا ، وسيظل بسمة أمل للشعوب الإسلامية تفتح العقول بالعلم والمعرفة ، وتنفذ إلى القلوب بالإيمان والحكمة ، وسيمضى فى صفحات الزمن يذكره كل إنسان عرف ربه واستقامت سريرته ، ونمت فى فؤاده معرفة الله - وترعرعت فى قلبه نسمات الحب والفضيلة تسير به فى حياته ، تعزه وتسعده وتعلو به فوق مشقات الزمن وعسر الأيام .

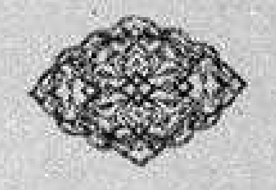
من مكة والمدينة بعثت الدعوة الإسلامية ، وحضارة هتف بها القرآن الكريم فى أنحاء الدنيا ، ثم كان الأزهر بعدهما مناراً لدعوة الإسلام ، تجاوبت فوق مآذنه أصوات الهداية إلى الدين ، ومن أبوابه إشعاعات الإصلاح للعالم الإسلامى فى كل مكان .

فى صحنه اجتمع أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض ، ليربطهم برباط الأخوة ، ويقوى بينهم أواصر المحبة والألفة ، ويملأ قلوبهم بالخير ، ويثقف عقولهم بالحكمة ، ويشعل بصائرهم بالعزم ، ويرشد نفوسهم إلى محبة الله ، ليكونوا خير هداة لأممهم ، وأصلح دعاة يتحقق بهم مجد الإسلام وقوته .

والأزهر منذ أنشىء فى ٢٤ من جمادى الأولى عام ٣٥٩ هـ (٩٧٠) ، وتمت إقامة أول جمعة به فى السابع من رمضان عام ٣٦١ هـ أصبح محط رحال طلاب العلم ، وأنشئت الأروقة التى ضمت الكثير من أبناء العالم الإسلامى الوافدين للدراسة فى الأزهر ، وقد وجد الأزهر من المسئولين كل رعاية وعناية ، واهتمام به وبرسالته ، ودليلنا على هذا مالاقاه الأزهر من ترميم وتجديد كامل له فى وقتنا الحاضر ، فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك ؛ حفظه الله ورعاه وأجرى الله على يديه الخير لمصر وللمصريين .

سائلا المولى - عز وجل - أن يوفقنا لخدمة ديننا ، وعزة أمتنا ، حتى نتبوأ المكانة اللائقة بنا إنه خير مسئول ، وأعظم مأمول وبالله التوفيق والهداية .

عبد المعز عبد الحميد الجزار



احتفال مصر بذكرى

المولد النبوى الشريف

كلمة السيد رئيس الجمهورية

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

١٢ من شهر ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ - ٦ من يوليو ١٩٩٨ م

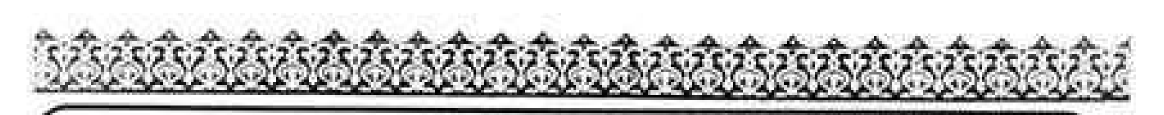
كلمة السيد رئيس الجمهورية في احتفال مصر بذكرى المولد النبوي الشريف

في هذه المناسبة الإسلامية المجيدة ، وفي ليلة الاحتفال بذكرى مولد خاتم الأنبياء الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، يسعدني أن أتوجه إليكم جميعاً باسمي وباسم شعب مصر المؤمن ، بالتهنئة والتحية ، آملاً أن يكون اجتماعنا في تلك الليلة المباركة مناسبة نستمد فيها القوة ، ونستلهم الهداية من سيرة النبي العظيم ، الذي توج الله ببعثته موكب الهداة المرسلين ، ودعانا إلى أن نترسم خطاه ونتبع منهجه ونستلهم الدرس والعبرة من سيرته الطاهرة ، حين قال سبحانه وتعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

« الأحزاب - ٢١ »

ولعلكم ، أيها الإخوة والأخوات تشاركونني الإيمان بأننا نحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى أن نستلهم من سيرة النبي الكريم جوهر الرسالة التي حملها للإنسانية كلها ، ونتعرف على منهجه القويم في بناء الفرد الصالح ، وتكوين المجتمع القوي المترابط وإقامة جسور الاتصال والتفاعل مع سائر الأمم والشعوب ، خاصة ونحن نستقبل مع العالم كله قرناً جديداً ، سوف يدق أبوابنا بعد أقل من عشرين شهراً ، حاملاً معه مخاطر جديدة ، وتحديات غير مسبوقة ، وفرصاً للتقدم والرخاء لا يجوز أبدا أن نتركها تفلت من بين أيدينا ، ولا شك أن السنوات الأخيرة من القرن العشرين قد أسقطت - بسلطان العلم وتطوراته المذهلة في شتى الميادين - أكثر الحواجز بين الأمم والشعوب ، بحيث لم تعد



العزلة والانكفاء على الذات خياراً ممكناً ولا نافعاً أو مأموناً ، وصار علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نتواصل مع شعوب الدنيا كلها ، نعطيها ونأخذ منها ، ونشارك بذلك فى بناء عالم جديد ، تزيد فيه فرص العدل والحرية والمساواة والسلام ، وهو ما يفرض علينا أن نكون فى طليعة القوى الإيجابية الفاعلة ، التى لا تتردد فى اتخاذ المبادرة ومواجهة التحديات بكل إقدام وثقة بالنفس ، معلنين للدنيا بأسرها أننا قادرون على أن نقدم للمسيرة الإنسانية الجديدة أساساً أخلاقياً راسخاً ، نستوحيه من قيم حضارتنا الإسلامية الإنسانية ، ونستلهمه من سيرة النبى العظيم الذى نحتفل الليلة بذكرى مولده وإشراقه على العالمين ، تعالوا إذن أيها الإخوة والأخوات نتعرف على بعض معالم النهج الذى رسمه الله ـ جل شأنه ـ وتركه سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمؤمنين وأولى الأمر من بعده ، حتى لا يضلوا عن الطريق ولا تتفرق بهم السبل ، خاصة إذا كانوا يسعون إلى تحقيق نهضة حضارية كبرى ، يستردون بها موقعهم فى الريادة والصدارة ، ويحققون بها ما تتطلع إليه الشعوب الإسلامية من أمن ورخاء واستقرار .

إن منهجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بناء الفرد لم يكن منهج إجبار أو إكراه ، ذلك أن المكره ـ فى شريعة الإسلام ـ لا رأى له ولا فضل فى طاعته ، والنبى العظيم قد بعثه الله ميسراً غير معسر ، مذكراً غير مسيطر ، ولذلك كان منهجه فى بناء الفرد منهج تربية وتعليم وإرشاد ، بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، وبالقدوة الصالحة التى قدمها النبى لأمته فى حياته ولأجيالها المقبلة من بعده ، ولقد كان الرسول الأمين فى هذا رءوفاً رحيماً لا يعرف العنف سبيلاً إلى قلبه ، ولا تعرف القسوة طريقاً إلى سلوكه ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ « آل عمران ـ ١٥٩ » .

ويستوقفنا فى نهج القرآن والسنة النبوية العطرة فى بناء الفرد ، أن الإسلام أقام بناء الفرد والمجتمع على أركان ثلاثة ، تحتاج أمتنا إليها اليوم أشد الحاجة هى : العلم ، والعمل والقوة .

أما عن العلم ، فلم يكن من قبيل المصادفة أن تحدثنا أولى آيات الوحى الإلهى عن القراءة والعلم والقلم ، لكى تبين لنا أن الإسلام هو دين علم وحضارة ، وقد أكد لنا الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ هذا المعنى فى كتابه الحكيم ، فاعتبر العلماء أكثر الناس خشية لله ، ذلك أنهم مدركون أسرار الخلق وعظمة الخالق ، كما أنه جعل الذين يعلمون أرفع شأناً ومكانة ممن لا يعلمون ، ولذا فقد كان طبيعياً أن يجعل النبى العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأن يحض المسلمين على طلب العلم ولو فى الصين ، وأن يقول أن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وأن مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء ، وأن يحرص منذ بداية الدعوة الإسلامية على القضاء على الأمية ، حتى يكون طلب العلم خياراً متاحاً لمن أراد من المؤمنين ، ومن هنا كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفرج بعد غزوة بدر عن كل أسير يقوم بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، وليس هناك ما هو أبلغ فى الدلالة من هذا على الأهمية التى يوليها الإسلام للعلم والمعرفة .

والعلم فى مفهوم الإسلام ليس مقصوراً على علوم الدين وحدها ، وإنما تدخل فيه كل أنواع



المعرفة التى يسعى فيها الإنسان إلى الوصول للحقيقة وارتياد المجهول ، فأما العلم الدينى فله رجاله المؤهلون الذين تفقهوا فى الدين ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾

« التوبة ـ ١٢٢ » .

وفيما عدا هذا ، فأبواب العلم مفتوحة أمام الجميع بلا حدود أو قيود ، لينظروا ويدرسوا ، ويكتشفوا القوانين التى تحكم الوجود ، بهدف تعمير الأرض ونشر الخير وبناء الحضارة :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

« الجاثية ـ ١٣ » .

ومن الواضح أن أبواب العلم لن تكون مفتوحة إلا لمن يستخدم قواه الفكرية فى البحث والدراسة والتدبر ، ولهذا كان التنبيه فى ختام الآية على أن الطريق ممهد لمن يتفكر ، وأما الذين لا يفكرون فليس لهم نصيب من العلم أو التقدم ، ولا يليق أن يلغى الإنسان ـ الذى استخلفه الله فى الأرض ـ عقله ، وينصرف عن البحث والدراسة ، لأن الله خص الإنسان برسالة إعمار الأرض والارتقاء بالحضارة فيها ، وصنع المجد والتقدم .

ولسنا بحاجة إلى أن نقرر أنه لا يليق بأمة ذات حضارة عريقة مثلنا أن تتخلف عن الركب الحضارى فى هذا العصر ، لأنه إذا كان التقدم بالنسبة لبعض الأمم الأخرى إضافة أو رفاهية ، فهو بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت ، ويتوقف عليه أن نكون أو لا نكون ، فليس هناك مكان فى عصر الثورة العلمية للجهلاء والضعفاء .

أما الكد والعمل على طريق الإصلاح والبناء والتعمير ، فهو شعار المسلمين جميعاً فى القرآن الكريم ، نقرأه فى قوله تعالى :

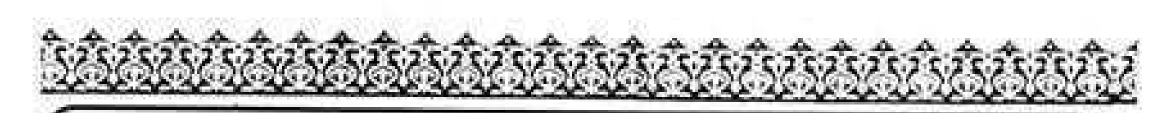
﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

« التوبة ـ ١٠٥ » .

وكأنما كان النبى يرى ما ينتظر أمته من تحديات فى عالم تتنافس فيه الشعوب بما تنتجه وتصنعه وما تجيد تشكيله ، فقال مخاطباً أمته : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » ، فلا قيمة إذن لعمل لا إتقان فيه ، ولا نفع اليوم فى صناعة لا تقدر على منافسة الآخرين .

وأما القوة ، فهى تختلف من عصر إلى آخر ، وقد أصبحت اليوم متعددة الجوانب والأبعاد ، تتداخل فيها العناصر والمكونات ، فلم تعد قوة الأمة تقاس بقدرتها العسكرية وحدها ، وإنما صارت تقاس كذلك بتماسك نسيجها الاجتماعى ، ومتانة نظامها الاقتصادى ، وسلامة توجهاتها السياسية ، وثراء تكوينها الثقافى والحضارى ، حتى أصبحت ثروة الأمم تقاس بقدر ما تعلم لا بحجم ما تملك ، وغدت الموارد البشرية أهم من الموارد الطبيعية ، وأصبحت تلك العناصر مجتمعة أساس الريادة والقيادة ، بها تصان الحقوق ، ويردع العدوان ، ويرد الأذى عن الأمة .

ولم يكن غريباً إذن أن يعلمنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ، وكان يستعيذ بالله من العجز والكسل ، ويطالب المؤمنين بالسعى لحيازة عوامل القوة ، بحيث لا يتعلل أحد



بضعفه ، أو يعتذر عن تخاذله وتقاعسه بأنه لا يستطيع رد القضاء والقدر .

على أن القوة التى أمرنا النبى الكريم أن تتسلح بها ليست قوة البغى والعدوان ، ولا هى قوة الجور على حقوق الآخرين ، وإنما هى القوة التى تحرس الحق ، وتحمى جهود البناء ، وتدافع عن العمل الوطنى كله فى مواجهة المعتدين ، وتنحاز إلى المظلومين والضعفاء والمقهورين .

أما بناء الجماعة ، فقد أسسه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أسس ثلاثة :

أولها : التكافل والإحساس بمسئولية الفرد عن مصير أمته .

وثانيها : تمكين الأفراد جميعاً من المشاركة بجدية فى إدارة شئون مجتمعهم .

وثالثها : تواصل الأمة الإسلامية مع غيرها من الأمم تواصلاً يتم به تبادل الخبرات ، والمنافع ، وتقوم به العلاقات الدولية على أساس السلام والتعاون على الخير .

وقد حرص الرسول الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن يعلم المسلمين أن كل ما يفعله الفرد ترتد آثاره ونتائجه على الجماعة كلها ، وأنه ليس لأحد أن يقول أنا ويعدى الطوفان ، وأن الفرد لا يكون مؤمناً فى نظر الإسلام إذا بات متخماً وجاره جائع ، وأن « خير الناس أنفعهم للناس » .

وأما المشاركة فى أمور الجماعة ، فقد عبر عنها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، وقد جاء توفير هذه المشاركة للأمة استجابة لوحى من الحق ـ سبحانه وتعالى ـ إلى نبيه الكريم بقوله تعالى :

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

« آل عمران ـ ١٥٩ » .

وتكرر هذا المعنى عندما وصف الخالق المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم ، وضرب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الأعلى فى ذلك ، حتى قالت عنه عائشة ـ رضى الله عنها ـ : ما كان أحد أكثر مشورة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وأما التواصل مع الغير ، فلا نجد شاهداً عليه أوضح ولا أبلغ من العهد الذى عقده النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين دخل يثرب مهاجراً ، إذ وضع لها دستوراً تحتكم إليه جميع القبائل التى كانت تقيم فى المدينة من الأوس ، والخزرج ، وقبائل اليهود التى كانت ـ هى الأخرى ـ تقيم فى يثرب ، وجميع القبائل التى هاجرت معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة ، ووصف ذلك الدستور كلا من تلك القبائل بأنها « أمة مع المؤمنين » .

ثم لم يلبث ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن بعث برسائله إلى الملوك والحكام فى مشارق الأرض ومغاربها ، يدعوهم فى سماحة وود إلى الإسلام ، وإلى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، ضارباً بذلك المثل الأعلى لما ينبغى أن تكون عليه العلاقات بين الأمم والشعوب .

أيها الإخوة والأخوات :

إن أمتنا المجيدة تقف اليوم على مفترق طرق تاريخى ، وليس أمامنا خيار إلا خيار النهوض والتقدم ، فالشعوب من حولنا تتسابق وتتنافس ، وتندفع بأقصى طاقتها للفوز بمكان الريادة والتفوق فى إطار النظام العالمى الجديد ، الذى لا تزال معالمه تتشكل وتتكون .

والنهضة ليست مجرد أمنية تتمناها الشعوب ، ولا هي شعار يتحقق بالصياح والكلام الكثير ، ولكنها طريق عمل شاق متصل وسبيل جهاد عقلانى هادف ، وهى قبل كل هذا اختبار لصلابة الأمم والشعوب .

ونحن أمة ذات تاريخ عريق ورسالة خالدة ، حملها الله أمانة الدعوة إلى الحق والعدل والسلام ، وحباها بمنظومة قيم إنسانية رفيعة ، قادرة على تحقيق هذه الأهداف الكبرى ، وعلى حراسة مسيرة البشرية من البغضاء والشحناء التى يولدها الجشع ، وتذكيها الأنانية وإغراء استخدام القوة لاستعباد الضعفاء وقهر الفقراء ، ونسيان حقوق المحرومين .

وليس أمامنا خيار سوى توحيد جهودنا ، وتنسيق أسباب قوتنا ، ومصادر مجدنا وعزتنا ، فنحن نعيش عصر التكتلات الدولية والإقليمية الكبرى ، الذى لا يتيح لدولة بمفردها أن تكون عنصراً فاعلاً قادراً على الصمود والدفاع عن حقوقه ومصالحه أمام هذه الكيانات ذات القدرة والإمكانات الهائلة وليس هناك ما يمكن أن يحول دون قيام نوع من التكامل الاقتصادى والتنسيق السياسى والثقافى بين شعوب الأمة العربية ، لا يكون موجهاً ضد أحد ، بل إن الهدف ـ على عكس هذا تماماً ـ هو أن تكون الأمة العربية أقدر على المشاركة بفعالية فى رخاء العالم وأمنه وسلامه ، فليس هناك مكان للانعزال فى عالم اليوم ، وما لم نستطع أن نساعد أنفسنا فلن يساعدنا أحد ، كما أنه لن تنزل علينا معجزات من السماء ، فقد أحال الله الأمر إلينا حين قال :

﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

« الرعد ـ ١١ » .

أيها الإخوة والأخوات :

إن علينا أن نذكر ذلك كله ونحن نحتفل بذكرى النبى الكريم ، الذى كانت حياته فى هذه الدنيا تعبيراً أميناً عن القيم السامية ، والمثل الرفيعة والمبادىء العليا التى جاء بها الوحى من عند الله ، ولذلك وصفته عائشة ـ رضى الله عنها ـ قائلة : « كان خلقه القرآن » وهى شهادة تنزل بها الوحى من الله بقوله سبحانه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

« القلم ـ ٤ » .

ولندرك فى كل خطانا أن الإسلام فى جوهره رسالة حضارية ، فلا يجوز أن نجعل منه ديناً جامداً أو فكراً متطرفاً أو عدوانياً ، لأن رسالة الإسلام هى رسالة سلام وتعايش مع كل الأديان والحضارات والثقافات ، لأن الناس جميعاً ـ فى نظر الإسلام ـ قد خلقوا من نفس واحدة ، وهم إخوة فى الإنسانية مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم وأعراقهم ، لا فضل لأحد منهم على غيره إلا بما يقدم من خير للناس ، فلنضرب المثل للآخرين ، ولنكن قدوة صالحة فى ترسيخ قواعد المحبة والمودة والتعاون بيننا كمسلمين أوفياء لعقيدتنا ورسولنا ، وبين المسلمين وغيرهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، فالهدف فى النهاية هو مصلحة الإنسان ، الذى جعله الله خليفته فى الأرض وفضله على مخلوقاته أجمعين ، ولنستمد من سيرة الرسول الطاهرة طاقة تتجدد بها عزمنا ، وتشحذ بها همتنا ، ونضىء بها طريقنا ، والله يرعانا ، ويسدد على طريق الحق خطانا ، إنه سميع مجيب .

احتفال مصر بذكرى

المولد النبوى الشريف

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وفقه الله وسدد خطاه .

الحفل الكريم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

للذكريات قيمتها السامية ، فى تزكية النفوس ، وفى صلاح القلوب ، وفى غرس العبر والعظات فى العقول والمشاعر ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . (الذاريات - ٥٥) .

وعلى رأس الذكريات الجليلة : ذكرى ميلاد سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى أرسله الله - تعالى - رحمة للعالمين ، ليخرج الناس بإذن ربه من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

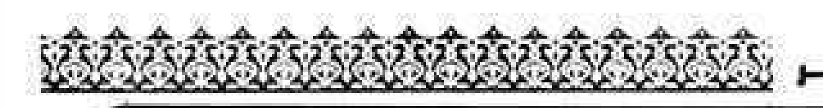
وجوانب العظمة والفضل فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكثر من أن تحصى ، ويكفى ان أشير إلى جانب واحد من جوانب عظمته - صلى الله عليه وسلم - ألا وهو جانب تربيته لأتباعه .

لقد ربى النبى - صلى الله عليه وسلم - أتباعه على الصدق .

الصدق مع الله - تعالى - بأن يراقبوه فى السر والعلن ، وبأن يخلصوا له العبادة والطاعة ، الصدق مع أنفسهم ، بأن يكون ما تنطق به ألسنتهم يوافق ما هو مستكن فى قلوبهم ، الصدق مع الغير ، بأن يكون كلامهم مع غيرهم مطابقا للحق والواقع .

رباهم على الصدق ، لأن الصدق من صفات الله - عز وجل - وقد أكد القرآن هذه الحقيقة فى





آيات كثيرة منها قوله - تعالى - ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ .... ﴾ (آل عمران - ٩٥) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء - ٨٧) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء - ١٢٢) .

ورباهم على الصدق لأنه صفة الرسل الكرام :
﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝ ﴾

(الأحزاب - ٢٢)

وقال سبحانه ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾

(يس - ٥١ : ٥٢) .

ورباهم على الصدق لأنه يهدى إلى كل بر وخير، ولذا قال - صلى الله عليه وسلم - « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا .

وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

ورباهم على تحمل المسئولية بشجاعة وبشرف وبهمة عالية، وبعزيمة لا تعرف العجز أو الكسل، فيقول - صلى الله عليه وسلم - :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الأمير راع ومسئول عن رعيته . والرجل راع على أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ومسئولة عن رعيتها . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

ورباهم على سلامة القلوب من الحقد والغل والحسد، وسوء الظن فكان عندما يخرج إلى أصحابه يقول لهم : « لا تبلغوني عن أصحابي شيئا أكرهه ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » .

ورباهم على حب السلام والأمان والرخاء والاطمئنان ، وعلى كراهية الظلم والبغى والعدوان وكان يقول لهم : « لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا » .

ورباهم على هذه الفضائل وكان هو سيد الفضلاء .

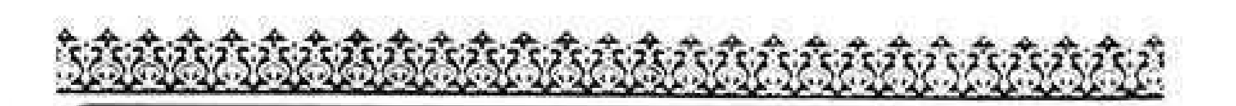
ورباهم على الصدق وكان هو سيد الصادقين .
ورباهم على أن يكون القدوة لهم بأفعاله قبل أقواله .

ورباهم على التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

فماذا كانت نتيجة هذه التربية الحكيمة ؟

كانت نتيجتها أن أحبوه حبا يفوق حبهم لأنفسهم .

وهذا واحد منهم وهو زيد بن الدثنة ، يقع أسيرا فى أيدى المشركين ، ويعرضونه على القتل ، فيأتيه زعيم من زعماء المشركين فيقول له يازيد : أنت ستقتل بعد قليل ، فهل ترضى أن تكون آمنا



فى بيتك ، ويقتل فى مكانك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول : والله ما أحب أن أكون فى مكانى آمنا ، ويصاب أنف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ برعاف ، فيقول ذلك الزعيم من المشركين : ما رأيت أحدا يحب أحدا كما يحب أصحاب محمد محمدا ؟

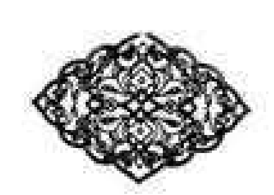
ويتلقف هذا المعنى شاعر حكيم فيقول :

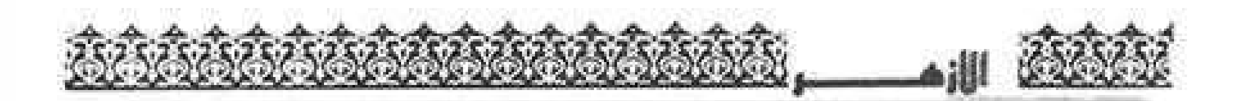
أسرت قريش مسلما فى غزوة
فمضى بلا وجل إلى السياف
سألوه هل يرضيك أنك سالم
ولك النبى فدى من الإتلاف
فأجاب كلا لا سلمت من الردى
ويصاب أنف محمد برعاف

الختام : السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية فى هذه الأيام المباركة يتقدم الأزهر الشريف إلى سيادتك وإلى الشعب المصرى الكريم ، بل إلى الشعوب الإسلامية والعربية والعالم أجمع بخالص التهنئة وندعو الله ـ تعالى ـ أن يعيد أمثال هذه الأيام على الجميع بالسلامة والإسلام والرخاء والأمان .

وكل عام وأنتم بخير .

■







يوم خالد في تاريخ الأزهر



الأزهر كلمة من الكلم النوابغ الجوامع ، فى لفظها استيعاب ووعى ، ولمعناها إشعاع ووحى فهى زمان ومكان ودين ودنيا .

يعنى الأزهر فيما يعنى المنار الذى ارتفع فى طريق الدعوة العظمى ، والحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان الشعوبية والعامية .

يعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل جنس ، ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لا يبغون من وراء ذلك مالا ولا جاها .

يحق الأزهر فيما يحق الصرح الوطنى الذى أجج الثورات على الفساد ، وخرج القيادات للجهاد . وتعبيرا عن الاهتمام بمكانة ودور هذا الصرح الإسلامى التليد رصدت الدولة عشرات الملايين من الجنيهات للترميم والإصلاح والتجديد ولقد أعطى قائد مصر ـ (الحضارة والإيمان) الرئيس محمد حسنى مبارك للأزهر عناية ـ خاصة ـ فأصدر قراره بإنقاذه ليزيح تراكمات الزمن من فوق كاهل كنز غال ظللنا نتباهى به وسنظل ـ إن شاء الله عبر العصور والأجيال .

وفى يوم الثلاثاء الموافق ١٣ من شهر ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ ٧ من يوليو سنة ١٩٩٨ م كان يوما مشهودا فى تاريخه حين افتتح الرئيس محمد حسنى مبارك الجامع الجامعة بعد عمليات الترميم والتجديد الشاملة التى لم يشهد لها مثيلا على مدى أكثر من ألف عام وقد قام السيد الرئيس بجولة داخل الأروقة استغرقت ساعة ونصف الساعة استمع خلالها إلى شرح حول عملية الترميم التى تكلفت ٣٨ مليون جنيه ، واستغرقت ٢٤ شهرا ، وقد قدم أبناء شعب مصر من خلال الأزهر وثيقة مبايعة ووفاء للرئيس حسنى مبارك جاء فيها : « من قلب كل من نطق بشهادة التوحيد فى مصر وخارجها من أبنائك الذين عاد إليهم الأزهر أزهر مما كان وأبهى على يديك وبفضلك .

من الذين عاشوا عمرهم يحلمون بصلاة فى محرابه ، وعلم فى رحابه ، ونور على بابه تحية عرفان منا إليك ، على ما قدمت يداك للمسلمين من خير .

وعهد إلى الله أن تظل جنود مصر الأوفياء تحت لوائك ، خدمة للوطن والدين وللمبادىء التى أرسيتها حافظين .

جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بهذه المناسبة كلمة هذا نصها :



كلمة فضيلة الإمام الأكبر

فى افتتاح الأزهر بعد تجديده

١٣ من ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ ٩٨/٧/٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف ، وقد حضرت اليوم بعد هذا التجديد الشامل الذى قام به أبناء مصر لأزهرهم الشريف .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف الذى أسس على تقوى من الله ورضوان منذ ألف وستين سنة هجرية ، ألف وثلاثين سنة ميلادية تقريبا .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف الذى هو الوعاء الأمثل لحفظ القرآن الكريم ، وللدراسات الأصيلة الحكيمة المعتدلة للعلوم الشرعية واللغوية والعلمية .

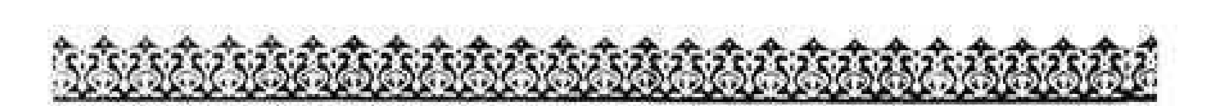
مرحبا بك فى الأزهر الشريف الذى يشع ضوؤه لا فى آفاق مصر وحدها ، وإنما شع ويشع ضوؤه فى جميع بقاع الأرض فى قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا واستراليا .

ففى رحابه يتلقى العلم آلاف من أبناء هذه القارات ، ومن رحابه يتخرج العلماء الذين ينشرون العلم النافع فى مشارق الأرض وفى مغاربها .

ومدينة البعوث الإسلامية التى يسكنها الآلاف من أبناء القارات الخمس ، خير شاهد على ما نقول .

مرحبا بك فى رحاب الأزهر الشريف الذى استطاع ـ بفضل الله وعونه ـ أن يحفظ لمصر ـ مع المعاهد العلمية الأخرى ـ سلامة لغتها العربية من التحريف والتغيير والتبديل ، رغم تباين الدول التى توالت على مصر فى أزمنة متطاولة .

مرحبا بك فى رحاب الأزهر الشريف الذى تمتاز الدراسة فيه بالاعتدال والتوسط



والموضوعية ، وتنبذ فيه العصبية العمياء ، والعنصرية البغيضة ، فعلى مقاعده يجلس المصرى إلى جانب غير المصرى ، والجميع يتلقون العلم النافع دون تفرقة بينهم .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف الذى يحرص العلماء فيه على إبراز ما فى شريعة الإسلام من سماحة ويسر ، ومن تعاون بين الناس على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

كما يحرصون على بيان أن الإرهاب والتطرف والإفساد فى الأرض ، جرائم تفسد العقول والأخلاق ، وتؤدى بالأمم إلى الضعف والزوال .

مرحبا بك فى الأزهر الشريف ، الذى تبلغ الآن معاهده الابتدائية والإعدادية والثانوية للذكور وللإناث أكثر من خمسة آلاف معهد .

علومها الأساسية : حفظ القرآن الكريم وتفسيره ، ودراسة السنة النبوية ، والمذاهب الفقهية ، واللغة العربية بفروعها المتنوعة .

وهذا كله إلى جانب المواد الثقافية الأخرى التى لا غنى عنها للطالب أو الطالبة .

أما جامعة الأزهر ففى عهد سيادتك تبلغ الكليات التى تتبعها أكثر من خمسين كلية ، منها كليات : أصول الدين ـ واللغة العربية ـ والشريعة والقانون ـ والدراسات الإسلامية والعربية .

إلى جانب الكليات الحديثة كالطب والهندسة والزراعة والتجارة والعلوم والصيدلة .

مرحبا بك ياسيادة الرئيس ، وأنت تفتتح الجامع الأزهر الشريف بعد تجديده تجديدا لم يظفر به منذ مئات السنين .

وسيستمر هذا التجديد الشامل المتين الجميل الأصيل مئات السنين متى حافظنا عليه واأذن لى ياسيادة الرئيس باسم الأزهر ، أن أقدم جزيل الشكر لأبناء مصر الذين استجابوا لتوجيهاتك ونفذوها بكل دقة من أجل خدمة الجامع الأزهر الشريف .

ففى عهدك ياسيادة الرئيس ـ والحمد لله ـ صارت المؤسسات والوزارات تتعاون ولا تتصارع .. ائذن لى ياسيادة الرئيس أن أقدم الشكر لوزارة الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية ولوزارة الثقافة وهيئة الآثار ، ولشركة المقاولون العرب التى نفذت هذا التجديد الشامل ولمحافظة القاهرة ، ولجميع الوزارات والمؤسسات التى قدمت خدماتها للجامع الأزهر الشريف ، الذى سيبقى ـ بإذن الله ـ خادما لدينه ، وخادما لمصر ، وخادما لأمته العربية والإسلامية ، ومتعاونا مع كل من يقف إلى جانب الحق والفضائل ، ونابذا للظلم والبغى والعدوان .

وشكرا ثم شكرا ياسيادة الرئيس .

وكل عام وأنتم بخير .



لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهــر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

هاتان الآيتان تكشفان عن رذيلة غريبة حقاً من رذائل اليهود وهى عداوتهم لملك من ملائكة الله ، لا يأكل مما يأكلون ، ولا يشرب مما يشربون وإنما هو من الملائكة المقربين ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وإذاً فليس هناك مقتض لعداوته ، فلماذا هذا التصريح منهم ببغضه وكراهيته ؟

لقد سمعوا أن جبريل - عليه السلام - ينزل بالوحى من عند الله على محمد ﷺ وهم يحسدونه على النبوة ، فلج بهم الحقد والغيظ إلى أن أعلنوا عن عدائهم لجبريل - أيضاً - وهذه حماقة وجهالة منهم ، لأن جبريل - عليه السلام - نزل بالخير لهم فى دينهم وفى دنياهم . ولكن الحقد والحسد إذا استوليا على النفوس جعلاها لا تفرق بين الخير والشر .

ومعنى الآيتين الكريمتين ، قل - يا محمد - لهؤلاء اليهود الذين أعلنوا عداءهم لجبريل أنه لا وجه لعداوته ، لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه وإنما نزل على قلبك بأمر الله ليكون مؤيداً لما نزل قبله من الكتب السماوية وليكون هداية إلى طريق السعادة وبشارة للمؤمنين بالجنة ، وقل لهم كذلك من كان معادياً لله أو لملك من ملائكته أو لرسول من رسله ، فقد كفر وباء بغضب من الله ، ومن غضب الله عليه ، فجزاؤه الخزى وسوء المصير .

قال الإمام ابن جرير : (أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً ، على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بنى إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ، وميكائيل ولى لهم)[1] .

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٣١ .

وروى البخارى فى صحيحه ـ عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبى ﷺ وهو فى أرض يخترف ـ أى يجنى ثمارها ـ فأتى النبى ﷺ فقال له : إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ، فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرنى بهن جبريل آنفاً قال : جبريل ؟ قال : نعم . قال ذلك عدو اليهود من الملائكة ـ فقرأ النبى ﷺ هذه الآية : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك . . ﴾

الآية ثم قال : أما أول أشراط الساعة ، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ! وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . يا رسول الله : إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى ، فجاءت اليهود فقال النبى ﷺ : أى رجل فيكم عبد الله ؟ قالوا : حبرنا وابن حبرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : « أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ فقالوا : أعاذه الله من ذلك ؟ فخرج عبد الله فقال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، فقالوا : شرنا وابن شرنا ، وانتقصوه ، قال : فهذا الذى كنت أخاف يارسول الله [1] .

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس : « أن اليهود بعد أن سألوا النبى ﷺ أسئلة أجابهم عنها ، قالوا صدقت فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك . قال : ولى جبريل ، لم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه ، قالوا : فعندها نفارقك ، ولو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك ، قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا ، فأنزل الله ـ تعالى ـ قوله :

﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾

وفى حديث للإمام أحمد والترمذى والنسائى:قال اليهود للنبى ﷺ بعد أن سألوه عن أشياء أجابهم عنها إنما بقيت واحدة وهى التى نتابعك إن أخبرتنا بها ، إنه ليس من نبى إلا وله ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك ؟ قال : جبريل ـ عليه السلام ـ قالوا : جبريل ذلك الذى ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان . فأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل ﴾ الآية [2] .

فيؤخذ من هذه الأحاديث وما فى معناها أن اليهود فى عهد النبى ﷺ كانوا يجاهرون بعداوتهم لجبريل ـ عليه السلام ـ وأن هذه المجاهرة بالعداوة ، قد تكررت منهم فى مواقف متعددة بينهم وبين النبى ﷺ وأن الذى حملهم على ذلك هو حسدهم له ، وغيظهم من جبريل ، لأنه ينزل بالوحى عليه .

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : « ومن عجيب تهافت اعتقادهم أنهم يثبتون أنه ملك مرسل من عند الله ، ومع ذلك يبغضونه ، وهذا أحط درجات الانحطاط فى العقل والعقيدة ،

(1) صحيح البخارى كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل ﴾ جـ ٦ ص ٢٣ .

(2) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٩ .

ولا شك أن اضطراب العقيدة من أكبر مظاهر انحطاط الأمة لأنه ينبىء عن تضافر آرائهم على الخطأ والأوهام »[1].

وفى أمر الرسول ﷺ بلفظ (قل) كى يرد على اليهود ، تثبيت له ، وتطمين لنفسه وتوبيخ لهم على معاداتهم لأمين الوحى ، وهو جبريل - عليه السلام - .

وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ ، شرط عام قصد الإتيان به ليعلموا أن الله - تعالى - لا يعبأ بهم ولا بغيرهم ممن يعادى جبريل ، إن وجد معاد آخر له سواهم .

وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ زيادة تقرير للتنزيل ، ببيان محل الوحى ، وإشارة إلى أن السبب فى تمكنه ﷺ من تلاوة القرآن الكريم ، وإبلاغه للناس ، ثباته فى قلبه .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ معناه : فلا موجب لعداوته ، لأنه نزل القرآن على قلبك يا محمد بإذن الله وأمره ، وإذاً فعداوته عداوة لله فى الحقيقة والواقع ، ومن هنا يتبين أن هذه الجملة تعليل لجواب الشرط وقائمة مقامه .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : كيف استقام قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ جزاء للشرط ؟ قلت : فيه وجهان :

أحدهما : إن عادى جبريل أحدٌ من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته ، حيث نزل كتابا مصدقاً للكتب التى بين يديه ، فلو أنصفوا لأحبوه ، وشكروا له صنيعه فى إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم .

والثانى : إن عاداه أحد فالسبب فى عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقاً لكتابهم ، وموافقاً له ، وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ، ولذلك يحرفونه ويجحدون موافقته له . كقولك : « إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه »[2] .

وقوله - تعالى - : ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى بأمره ، وهو توبيخ لهم على عداوتهم لجبريل ، الذى أنزل بالقرآن بإذن الله ، لا من تلقاء نفسه ، وهذه حجة أولى عليهم .

وقوله - تعالى - : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حال من الضمير العائد على القرآن الكريم ، فى قوله ﴿ نَزَّلَهُ ﴾ أى أنزله حالة كونه مؤيداً للكتب السماوية التى قبله ومن بينها التوراة ، وهذه حجة ثانية عليهم .

ثم عززها بثالثة ورابعة - فقال - تعالى - : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى هذا القرآن الذى نزل مصدقا لكتبكم ، هو هاد إلى طريق الفلاح والنجاح ، والعاقل لا يرفض الهداية التى تأتيه وتنقذه مما هو فيه من ضلالات ولو كان الواسطة فى مجيئها عدواً له ، وهو - أيضاً - مبشر للمؤمنين برضا الله تعالى - عنهم فى الدنيا والآخرة ، أما الضالون فقد أنذرهم بسوء العقبى فعليكم أن تتبعوا طريق الإيمان لتكونوا من المفلحين ، وبذلك يكون القرآن قد أقام حججاً متعددة على حالتهم وعنادهم وجحودهم للحق بعد ما تبين . وتكون الآية الكريمة قد مدحت القرآن بخمس صفات .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير جـ ١ ص ٢٢٦ .

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٦ .

أولها : أنه منزل من عند الله وبإذنه .

وثانيها : أنه منزل على قلب النبى ﷺ .

وثالثها : أنه مصدق لما نزل قبله من الكتب السماوية .

ورابعها : أنه هاد إلى الخير أبلغ هدى وأقواه .

وخامسها : أنه بشارة سارة للمؤمنين .

ثم بين - تعالى - حقيقة الأمر فيمن يعادى جبريل وأن عداوته عداوة لله - تعالى - فإنه أمين وحيه إلى رسله ليس له فى ذلك شىء إلا أن يبلغ ما أمر به فقال - تعالى - :

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ .

والمعنى : أن عداوة جبريل عداوة لله ، وأن عداوة محمد ﷺ عداوة لله - أيضاً - فالإيمان بالله وملائكته ورسله وحدة لا تتجزأ فمن كفر بواحد منهم فهو كافر بالجميع .

ومعنى عداوة العبد لله : كفره به ومخالفته لأوامره ونواهيه ومعنى عداوته لملائكته : إنكار فضلهم ووصفهم بما ينافى عصمتهم ورفعة منزلتهم . ومعنى عداوته لرسله : تكذيبه لهم وتعمده إلحاق الأذى بهم ومعنى عداوة الله لعبده : غضبه - سبحانه - عليه ، ومجازاته له على كفره ، وصدر - سبحانه - الكلام باسمه الجليل تفخيماً لشأن ملائكته ورسله وإشعاراً بأن عداوتهم إنما هى عداوة له - تعالى - .

وأفرد - سبحانه - جبريل وميكال بالذكر ، مع اندراجهما تحت عموم ملائكته ، لتصريح اليهود بعداوة جبريل وتعظيم ميكائيل ، فأفردهما بالذكر للتنبيه على أن المعاداة لأحدهما معاداة للجميع ، وأن الكفر بأحدهما كفر بالآخر .

قال ابن جرير : « فإن قال قائل : أو ليس جبريل وميكائيل من الملائكة ؟ قيل : بلى ، فإن قال : فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما فى الآية فى جملة أسماء الملائكة ؟ قيل : معنى إفراد ذكرهما بأسمائهما أن اليهود لما قالت جبريل عدونا وميكائيل ولينا ، وزعمت أنها كفرت بمحمد ﷺ من أجل أن جبريل صاحبه ، أعلمهم الله - تعالى - أن من كان لجبريل عدواً فإن الله عدو له وأنه من الكافرين ، فنص عليه باسمه وعلى ميكائيل باسمه ، لئلا يقول منهم قائل : إنما قال الله : من كان عدواً لله وملائكته ورسله ، ولسنا لله ولا لملائكته ولا لرسله أعداء ، لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصاً ، وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه ، وكذلك قوله ورسله فلست يا محمد داخلاً فيهم ، فنص الله - تعالى - على أسماء من زعموا أنهم أعداؤه بأعيانهم ليقطع بذلك تلبيسهم على أهل الضعف منهم ، ويحسم تمويههم أمورهم على ضعاف الإيمان »[1] .

وقال - سبحانه - فى ختام الآية الكريمة : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ ولم يقل فإن الله عدو له أو لهم ، ليدل على أن عداوة كل واحد ممن

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٤٩ .

اشتملت الآية الكريمة على ذكرهم كفر وجحود ، وليكون اندراجهم تحت هذا الحكم العام من باب إثبات الحكم بالدليل ، وللإشعار بأن عداوة الله - تعالى - لهم سببها كفرهم فإن الله لن يعادى قوماً لذواتهم ولا لأنسابهم ، وإنما يكره لهم الكفر ويعاقبهم عليه معاقبة العدو للعدو .

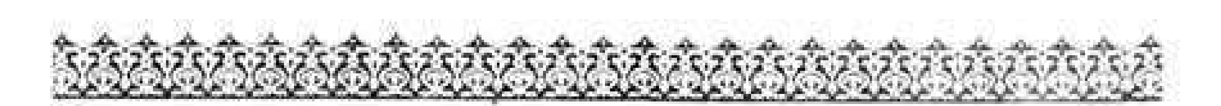
قال صاحب المنار : « فهذه الآية الكريمة وعيد لهم بعد بيان فساد العلة التى جاءوا بها ، فهم لم يدعوا عداوة هؤلاء كلهم ، لكنهم كذلك فى نفس الأمر ، فأراد أن يبين حقيقة حالهم فى الواقع ، وهى أنهم أعداء الحق ، وأعداء كل من يمثله ويدعو إليه ، فالتصريح بعداوة جبريل كالتصريح بعداوة ميكائيل الذى يزعمون أنهم يحبونه ، وأنهم كانوا يؤمنون بالنبى ﷺ لو كان هو الذى ينزل بالوحى عليه ، ومعاداة القرآن الكريم كمعاداة سائر الكتب الإلهية ، لأن المقصود من الجميع واحد ، فقولهم السابق وحالهم يدلان على معاداة كل من ذكر ، وهذا من ضروب إعجاز القرآن الكريم التى انفرد بها »[1] .

وبهذا تكون الآيتان الكريمتان قد دمغتا اليهود بالكفر والجهالة ، لمعاداتهم لجبريل وتكذيبهم لمحمد ﷺ وبينتا ما عليه أمرهم من خزى وهوان بسبب هذه العداوة التى لا باعث عليها إلا الحسد ، وكراهية أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده .

« يتبع »

---

(١) تفسير المنار جـ١ ص ٣٩٤ .



قبس من أنوار النبوة:

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

للشيخ: على حامد عبد الرحيم

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرنى عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم، قال أجل: والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن: «ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذاناً صما، وقلوبا غلفا» - رواه البخارى -.

البيان

لقد جعل الله سبحانه وتعالى - حياة رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم نموذجاً فريدا لدينه القويم، ونظاما شاملا لجوانب العظمة فى حياة البشر، وواقعا عمليا، وترجمة صادقة لكل ما جاء به القرآن من عقيدة وشريعة ومبادىء وأخلاق.

يقول ابن إسحاق - فى السيرة العطرة - فى وصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق، ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا، أسدده بكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، ثم اجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو

والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأسمى به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل منه خير أمة أخرجت للناس » .

وصف جعفر بن أبي طالب وهو يحدث نجاشي الحبشة - في مواجهة رسولي قريش إليه وقد جاءا إليه ليسلمها المهاجرين من المسلمين عنده ، يقول جعفر : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتى بالفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله وحده لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله - تعالى - ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة » .

لقد كان - صلى الله عليه وسلم - مثلاً أعلى في هديه ، ووجهه الله لخير البشرية وهداية الإنسانية .

وهاهو الإمام الحسين بن على - رضى الله عنهما - يقول : سألت أبي عن سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جلسائه فقال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ، يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يؤيس منه ، ولا يخيب فيه . فقد ترك نفسه من ثلاث : المراء والإكبار وما لا يعنيه . وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ، ولا يعيبه ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، ومن تكلم عنده أنصتوا إليه حتى يفرغ ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى كان أصحابه ليستجلبونهم .

وعن أبي الدرداء - رضى الله عنه - قال : سألت عائشة - رضى الله عنها - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

وأخرج البيهقى عن زيد بن بابنوس قال : قلنا لعائشة - رضى الله عنها يأم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكره - أى الحديث - وزاد النسائى - ثم قالت : أتقرأ سورة المؤمنون . اقرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى العشر ، قالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى الإمام أحمد عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله . ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما أيسرهما إلا أن يكون

إثما ، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله - عز وجل - يرشد إلى الخير ويوجه أمته إليه ، ويحذرها من الشر وينفرها فيه . فيقول - صلى الله عليه وسلم - فيما - رواه أبو دواد - عن أبي إمامة الباهلي - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا زعيم[1] ببيت في مربض الجنة[2] - لمن ترك المراء[3] - وإن كان محقا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحا . وببيت في أعلى الجنة لمن حسّن خلقه » .

فهل نأخذ منهج حياتنا من منهج رسول الله الذى أمرنا ربنا أن نأخذ منه القدوة الحسنة والأسوة الطيبة .

وهل نطبق سلوكه ووصاياه التى أوصانا بها حيث يقول عليه الصلاة والسلام - فيما رواه رزين - أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرا » .

وقال - عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الأصبهانى - إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل ؟ فيقوم أناس - وهم يسير - فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم : « إنا نراكم سراعا إلى الجنة فيقولون : نحن أهل الفضل - فيقولون لهم : ما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا إذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسيء إلينا غفرنا وإذا جهل علينا حلمنا . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين » .

أسأل الله - عز وجل - أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يجعلنا ممن تخلق بخلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنه على كل شيء قدير . وبالإجابة جدير .

---

(١) أى : ضامن

(٢) ملحول الجنة

(٣) الجدال .





لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

لقد وصف الله نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأوصاف كثيرة ، ميزه بها ، وشاع ذكر هذه الأوصاف فى الكتب المنزلة كلها .

وذلك لكى تقوم به حجة الله على الخلق جميعا ، وأنه الرحمة المهداة إلى العالمين . مصداقا لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

(الأنبياء ـ ١٠٧)

ومما جاء فى القرآن من أوصافه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول الله تعالى :

﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ۝ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ۝ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ۝ ﴾ (الأحزاب ـ ٤٥ : ٤٧) .

ومما جاء من أوصافه فى التوراة والإنجيل ما أكده القرآن الكريم فى قول الله تعالى :

﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ۝ ﴾

(الأعراف ـ ١٥٧) .

ويتضح من تلك الأوصاف أن شريعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحلت للناس كل ما كان طيبا ، وحرمت على الناس كل ما كان خبيثا .

ولايشك عاقل فى خبث الخمر وأضرارها الكثيرة ، التى تصيب الفرد والمجتمع ، ولهذا حرمها الإسلام تحريما قاطعا باتا ، وشمل هذا التحريم كل أشكالها وصورها ، وعلى أى نحو تم تعاطيها هى أو ما اشتق منها ، واستعمل القرآن الكريم أقوى العبارات الدالة على هذا ، فقال الله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾

(المائدة ـ ٩٠ ، ٩١) .

واستجاب المؤمنون الصادقون لهذا الأمر الإلهى بطريقة رائعة ، حيث قالوا : انتهينا يارب وأتبعوا القول بالعمل . وأصبح هذا الحكم مستقرا وشائعا حتى دخل دائرة ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

ولكنه بالرغم من هذا فإن بعض الناس فى زماننا مازالوا يطرحون بعض التساؤلات ويثيرون بعض المشكلات التى تفتح باب التشكيك الذى يؤدى إلى الجرأة على محارم الله .

وراح هؤلاء يتحدثون عن الأصناف التى تصنع منها الخمر . ويتساءلون عما إذا كانت كل أنواعها محرمة أم أن بعضها هو المحرم والبعض الآخر غير محرم ؟!

وذكروا أن أبا حنيفة ـ رضى الله عنه ـ يرى أن اسم الخمر يطلق فقط على المتخذ من عصير العنب أو البلح . وأن هذا الذى يحرم تناوله وما عداه لا يكون حراما إلا إذا أسكر . وقالوا : إنه لو شرب شخص ثلاثة أقداح من هذه الأنواع ولم يسكر فلا عقاب عليه ، وإذا شرب الرابع وسكر فهذا هو المحرم .

وعند النظر فى هذا الكلام يتبين أنه غير دقيق .

وبداية ينبغى أن نقرر أن العقل من أعظم النعم التى أنعم الله بها على عباده .

وأنه بالعقل يصير الإنسان مكلفا . ولهذا وجب الحفاظ على هذه النعمة ، وعدم تعاطى أى شىء يفسدها ، ولأجل هذا وغيره حرم الإسلام الخمر بكل أصنافها وأنواعها .

ولقد سمى العقل عقلا ، لأنه يعقل صاحبه ويمنعه من ارتكاب القبائح ، وفعل المنكرات .

وعندما يشرب الإنسان الخمر يزول ذلك العقل المانع ، ويفقد الإنسان أشرف مميزاته ويصبح كالحيوان لا يدرى ماذا يفعل وهل يضره ذلك أم ينفعه .

وقد سميت الخمر خمرا ، لأنها تخمر العقل أى تستره وتغطيه . ومنه خمار المرأة لأنه يغطى رأسها وجبينها ويسترهما .

وقيل : إن الخمر سميت خمراً ، لأنها تخامر العقل ، أى : تخالطه وتفسده ، كقولنا : خامر فلان الداء أى : خالط بدنه .

وقد نقل عن أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ أنه يحرم الخمر المتخذة من العنب ، قليلها وكثيرها إلا أن تطبخ على النار حتى ينقص ثلثاها ، كما نقل أنه يحرم عصير الرطب إن كان نيئا ، ولكنه يحل إذا مسته النار ولو لفترة وجيزة .

ولعل أبا حنيفة يرى أن النار تقضى على المادة المسكرة فى الخمر المتخذة من عصير العنب ، أو

الرطب بالشكل الذى وصفه وقدره ، ولا يعنى ذلك بحال أن أبا حنيفة يحل شرب الخمر .

كما يرى أبو حنيفة أن ما كان من غير العنب والتمر لا يسمى خمرا ، وليس بحرام إلا إذا أسكر بالفعل . ويكون القدر المسكر هو الحرام .

وقد استدل أبو حنيفة ، وأصحابه بقول الله تعالى :

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(النحل - ٦٧) .

كما استدلوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « حرم الله الخمر بعينها والسكر من غيرها » .

وقالوا فى معنى الآية : لقد امتن الله على عباده بما خلق من ذلك ، ولا يمتن الله على عباده إلا بما كان حلالا ، فدل ذلك على جواز شرب ما دون المسكر من النبيذ ، فإذا أسكر فقد حرم .

وهذا الذى نقل عن الأحناف مردود عليه بما يأتى .

أولا : لا مستند لهم فى الآية المذكورة لأنها نزلت قبل تحريم الخمر .

ثانيا : لا مستند لهم أيضا - فى الحديث المذكور ؛ لأنه حديث ضعيف كما ذكره الإمام القرطبى عند تفسيره للآية المشار إليها .

ولهذا فقد خالف جمهور العلماء ما ذهب إليه الحنفية ، واستدلوا بالأدلة القاطعة من كتاب الله ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

أما الكتاب . فذلك قول الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة - ٩٠ ، ٩١) .

وأما السنة فقد جاءت الأحاديث الصحيحة وفيها تعداد لبعض أصنافها ، التى كانت موجودة بالفعل عند نزول هذه الآية مما يدل على تحريم كل الأصناف ، ومن تلك الأحاديث ما يأتى :

١ - مارواه أبو داود « نزل تحريم الخمر يوم نزل ، وهى من خمسة . من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة » .

٢ - خطب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ألا إن الخمر قد حرمت وهى من خمسة . من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ، والخمر ما خامر العقل »[1] .

وحين يقول عمر : « والخمر ما خامر العقل » فإنه يعرفها ويفسرها على نحو ما يفهمه العرب من معنى هذه الكلمة .

وعدد الأصناف الخمسة أبو السبعة ، كما ورد فى الحديثين المذكورين لا مفهوم له ، فلا يدل على انحصار الخمر فى هذه الأصناف ، وأن هذه الأحاديث إنما تشير فقط إلى ما كان موجودا فى ذلك الزمان عند نزول آية التحريم مما يسميه العرب خمرا .

وعليه فإن كل ما خامر العقل فهو خمر ، حتى لو وجد بعد نزول آية التحريم .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

ومن ذلك يتضح أن الخمر ليست محصورة في هذه الأصناف فضلا عن أن تكون محصورة في المتخذة من عصير العنب أو التمر فقط ، كما يقول الحنفية .

٣ ـ ويؤكد ذلك حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام »[٢] .

٤ ـ وكذلك حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «كل مسكر خمر وكل خمر حرام »[٣] .

والمقصود كل مسكر في ذاته سواء أسكر بالفعل ، أم لم يسكر فهو خمر حرام ، ولا وجه للتفرقة بين القليل والكثير ، لأن القول بالتفرقة معارض بالحديث المروى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : «إن الله لم يحرم الخمر لاسمها وإنما حرمها لعاقبتها »[٤] .

فكل شراب تكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كحرمة الخمر .

كما أنه معارض بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ما أسكر كثيره فقليله حرام »[٥] .

ومعارض كذلك بحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «ما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام »[٦] .

وقد شدد الإسلام في محاربة الخمر وتحريمها ؛ لأنها تزيل العقل ، وبزواله يرتكب الإنسان كل الخبائث ولا يرى في ذلك حرجا . ويؤكد هذه الوجهة قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر »[٧] .

وتأكيداً لهذا التشدد في تحريمها ، واتساقا مع التعبير القرآني ، الذى استعمل لفظ «الاجتناب» وهو أشد من التحريم جاء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتاني جبريل عليه السلام فقال : «يامحمد إن الله لعن الخمر ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وبائعها ، ومبتاعها وساقيها ومسقاها »[٨] .

وقد روى أن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال : «اجتنبوا الخمر ، فإنها أم الخبائث » . وأنها لا تجتمع هي والإيمان أبدا ، إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه »[٩] .

وقد كان العقلاء والحكماء في الجاهلية يمتنعون عن شرب الخمر ؛ حفاظا على المروءة والكرامة . فيجب على المؤمنين أن يمتنعوا عن شربها ؛ مرضاة لله ، وحفاظا على مروءتهم وكرامتهم .

قيل للعباس بن مرداس : «لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد في حرارتك ؟ فقال : ما أنا بآخذ جهلي بيدي ، فأدخله في جوفي ولا أرضى أن أصبح سيد قومي ، وأمسى سفيههم » .

نسأل الله الهداية والتوفيق لعمل الصالحات ، والبعد عن المنكرات إنه على كل شيء قدير والهادي إلى سواء السبيل .

---

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .
(٣) رواه أبو داود .
(٤) رواه الدار قطني في سننه .
(٥) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائي .
(٦) رواه الإمام أحمد . والفرق بفتح الفاء والراء . كيل يسع ستة عشر رطلا .
(٧) رواه الطبراني والحاكم وصححاه .
(٨) رواه البيهقي بإسناد صحيح .
(٩) رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم .

حرف في كتاب الله

لفضيلة الأستاذ الدكتور
علي العماري

عنى أسلافنا - جزاهم الله خيرا - أتم العناية باللغة ، فحرصوا على النقل الصحيح ، ودأبوا على التمحيص والتدقيق ، ولا ريب أن خدمة كتاب الله كانت الحافز الأكبر لهم على بذل هذه الجهود المضنية .

وكانوا - رحمهم الله - يتهيبون القول في القرآن ، مالم يسندهم الشاهد من كلام العرب ، أو يسعفهم النقل الصحيح في معنى الآية عمن يثقون فيهم ممن تقدمهم ، بل كان منهم من يتوقى أن يفسر شيئا من القرآن كعبد الملك بن قريب المشهور بالأصمعي .

والاختلاف في معاني الكلمات أمر طبيعي مادامت اللغة ليست لغة قبيلة واحدة ، فلا جرم كان اختلاف العلماء في تأويل القرآن أمرا طبيعيا أيضا .

ولكن الذي يدعو إلى التساؤل أن يختلف معنى الكلمة نفيا وإثباتا ، ولا يرجع المدار في ذلك إلى النقل عن العرب ، وإنما يرجع إلى تحكيم الرأي ، ثم إسناده بعد ذلك إلى اللغة .

ويزداد التساؤل حين يترتب على هذا الفهم أو ذاك حكم شرعي يراه عالم من العلماء ، ويخالفه فيه الكثير .

كل هذا مر بخاطري عندما كنت أبحث عن تأويل هذه الآية في كتاب الله تعالى :

﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ (النور - ٤٠) .

ورأيت اختلافا غريبا ، فقائل بأنه لا يراها وذكر « يكد » للمبالغة في نفي الرؤية ، وثان يقول : أنه يراها بعد إبطاء وعسر لتكاثف الظلمة

وترادف الموانع من الرؤية ، وثالث يقول : معناه إذا أخرج يده لم يرد أن يراها لأن ما شاهده من تكاثف الظلمات أيسر من تأمل يده ، وقرر فى نفسه أنه لايدركها ببصره ، وحكى عن العرب : أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم ، أى أريد أن أنزل عليهم ، وقال الشاعر :

كادت وكدت وتلك خير إرادة
لو عاد من لهو الصبابة مامضى

إنما أرادت ، وأردت ، وقال الأفوه الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة
وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

أى : أرادوا ، وقال بعضهم فى معنى قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ (يوسف - ٧٦)

أى : أردنا ، ومنهم من يجعل « يكد » صلة ، وهذا مبنى على اختلافهم فى مؤدى الحرف : « كاد » .

رأى اللغويين :

قال ابن الأنبارى : (قال اللغويون : كدت أفعل معناه عند العرب قاربت ولم أفعل ، وماكدت أفعل معناه : فعلت بعد إبطاء ، وشاهده قوله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

(معناه فذبحوها بعد إبطاء لتعذر وجود البقرة عليهم)

ولا شك أن ابن الأنبارى اعتمد على ما نقله علماء اللغة ، والتعميم فى كلامه يدل على أنه رأى جميع اللغويين ، ويؤيده ماروى عن الفراء أنه قال : العرب تقول : ماكدت أبلغ إليك وأنت قد بلغت ، قال : وهذا هو وجه العربية ، وقال فى موضع آخر ، وهو يفسر الآية السالفة الذكر ، كلما أخرج يده لم يكد يراها من شدة الظلمة لأن أقل من هذه الظلمة لا ترى اليد فيه ، وأما لم يكد يقوم فقد قام هذا أكثر اللغة ، وعلى هذا فالفراء يؤول الآية على خلاف الأكثر .

ويؤيده أيضا ما نقل عن أبى بكر أنه قال : فى قولهم قد كاد فلان يهلك ، معناه قد قارب على الهلاك ، فإذا قلت : ما كاد فلان يقوم فمعناه قام بعد إبطاء ، وكذلك كاد يقوم معناه قارب ولم يقم ، قال : وهذا هو وجه الكلام .

وكتب اللغة أيدت هذه النقول ، وآمنت بها ، ففى لسان العرب : (كاد وضعت لمقاربة الشىء فعل أو لم يفعل ، فمجردة تنبىء عن نفى الفعل ، ومقرونه بالجحد تنبىء عن وقوع الفعل) ، ومثل هذه العبارة فى القاموس والمصباح والصحاح .

وقد ذاع هذا المعنى لكاد ، وأصبح أمرا لا جدال فيه حتى ألغز فيه الشاعر اللغوى أبو العلاء المعرى :

أنحوى هذا العصر ماهى لفظة
جرت فى لسانى جرهم وثمود
إذا استعملت فى جانب النفى أثبتت
وإن أثبتت قامت مقام جحود

وقالوا أنه يقصد الفعل كاد ، وبهذا أجابه الشهاب الحجازى بقوله :

لقد كاد هذا اللغز يصدىء فكرتى
وماكدت منه أشتفى بورود
فهذا جواب يرتضيه أولو النهى
ويمتنع عن فهم كل بليد

هذا رأى اللغويين ، وخلاصته أن كاد فى الإثبات تدل على مقاربة الفعل ، ولا تدل على وقوعه ، وفى النفى تدل على الوقوع ، أعم من أن يكون مع إبطاء أو عسر أولا يصحب واحدا منهما .

قالوا : وهكذا جميع الاستعمالات .

وقد جرى على ذلك الشيخ العراقى فى فرع من فروع الفقه ، فقال فى فتاواه : لو قال لامرأته : ماكدت أطلقك يكون إقراراً بالطلاق ، فيحكم عليه بالوقوع ، نقله ابن السبكى فى نظائره .

ورتب عليه أن كلام كتاب الصحف اليوم من مثل قولهم : ماكاد يرانى حتى هرع إلى ، وماكدت أجلس حتى ابتدرنى قائلا .. صحيح .

رأى النحاة

فإذا ذهبنا نستقى النحاة فى هذا الذى قاله اللغويون وجدنا منهم تنديدا به ، وتخطيئا له ، ووجدناهم يقيمون الشواهد على أن الأمر غير ما يقول أصحاب اللغة .

قال شارح الكافية : (من زعم هذا - يعنى قولهم أنها فى النفى للإثبات - فليس بمصيب ، بل حكم كاد حكم سائر الأفعال ، وأن معناها منفى إذا صاحبها حرف نفى ، وثابت إذا لم يصحبها ، فإذا قال قائل : كاد زيد يبكى ، فمعناه : قارب زيد البكاء ، فمقاربة البكاء ثابتة ، ونفس البكاء منتف ، وإذا قال : لم يكد يبكى ، فمعناه : لم يقارب البكاء ، فمقاربة البكاء منتفية ، ونفس البكاء منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة ، ولهذا كان قول ذى الرمة :

إذا غير النأى المحبين لم يكد
رسيس الهوى من حب مية يبرح

صحيحا بليغا ، لأن معناه : إذا تغير حب كل محب لم يقارب حبى التغير ، وإذا لم يقاربه فهو بعيد منه .

فهذا أبلغ من أن يقول : لم يبرح ، لأنه قد يكون غير بارح ، وهو قريب من البراح ، بخلاف المخبر عنه بنفى مقاربة البراح .

وقد ذكر الشيخ عبد القاهر فى دلائل الإعجاز قصة وقعت لذى الرمة ، وعلق عليها بقوله - مع شىء من الاختصار - : وقف ذو الرمة ينشد الناس بالكناسة فى الكوفة قصيدته الحائية التى منها :

هى البرء والأسقام والهم والمنى
وموت الهوى بالقلب منى المبرح
وكان الهوى بالنأى يمحى فيمحى
وحبك عندى يستجد ويربح
إذا غير النأى المحبين لم يكد
رسيس الهوى من حب مية يبرح

فناداه ابن شبرمة : ياغيلان . أراه قد برح .

ففكر ذو الرمة ثم قال :

إذا غير النأى المحبين لم أجد

....

قال عنبثة الفيل - وهو راوى القصة - فحدثت أبى فقال :

أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذى الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة ، إنما هذا كقول الله تعالى :

﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ (النور - ٤٠) .

وإنما هو لم يرها ، ولم يكد .

ثم ذكر الشيخ سبب الشبهة فى ذلك فقال إنه ما جرى به العرف من قولهم : ما كاد يفعل ، ولم يكد يفعل فى فعل قد فعل ، على معنى أنه لم يفعل إلا بعد الجهد ، وبعد أن كان بعيدا فى الظن أن يفعله كقوله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

فلما كان مجىء النفى فى كاد على هذا السبيل توهم ابن شبرمة أنه إذا قال لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح ، فقد زعم أن الهوى قد برح ، ووقع لذى الرمة مثل هذا الظن ، وليس الأمر

كالذى ظناه ، فإن الذى يقتضيه اللفظ إذا قيل لم يكد يفعل ، وماكاد يفعل أن يكون المراد أن الفعل لم يكن من أصله ، ولا قارب أن يكون ولا ظن أنه يكون .

وساق الشيخ أدلة على فهمه هذا :

أولا : أن كاد موضوع لأن يدل على شدة قرب الفعل من الوقوع ، وعلى أنه قد شارف الوجود ، فمحال أن يوجب نفيه وجود الفعل لأنه يؤدى إلى أن يوجب نفى مقاربة الفعل الموجود أن يوجد الفعل ، وأن يكون قولك : ما قارب أن يفعل مقتضيا على البت أنه قد فعل .

ثانيا : فرق بين قولهم : لم يرها : ولم يكد ، وبين قول الله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

فإنهم - فى الأول - بدأوا فنفوا الرؤية ثم عطفوا لم يكد عليه ، على معنى أن رؤيتها لا تقارب أن تكون فضلا عن أن تكون ، ولو كان (لم يكد) يوجب وجود الفعل لكان هذا الكلام منهم جاريا مجرى أن تقول : لم يرها ورآها .

ثالثا : أن (لم يكد) فى الآية والبيت واقع فى جواب (إذا) والماضى إذا وقع فى جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلا فى المعنى ، فإذا قلت : إذا خرجت لم أخرج ، كنت قد نفيت خروجا فيما يستقبل فيستحيل ان يكون المعنى فى الآية والبيت على أن الفعل قد كان لأنه يؤدى إلى أن يجىء بلم أفعل ماضيا صريحا فى جواب الشرط فتقول : إذا خرجت لم أخرج أمس ، وذلك محال .

وأجاب صاحب الكافية عن قوله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

بأنه كلام تضمن كلامين ، مضمون كل واحد منهما فى وقت غير الآخر ، والتقدير فذبحوها بعد أن كانوا بعداء من ذبحها غير مقاربين له .

ومن قبل قال الأخفش : لم يكد يراها ، حمل على المعنى وذلك أنه لا يراها ، وذلك أنك إذا قلت كاد يفعل إنما تعنى قارب الفعل ولم يفعل على صحة الكلام ، وهكذا معنى هذه الآية ، إلا أن اللغة قد أجازت لم يكد يفعل وقد فعل بعد شدة ، وليس هذا صحة الكلام .

ويفهم من قول المبرد ما يؤيد رأى النحاة ، فقد قال : لم يكد يراها ، أى لم يقرب من رؤيتها ، وإيضاحه لم يرها ولم يكد .

رأى المفسرين :

المفسرون مقتنعون برأى النحاة ، فقد جاء فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى على لسان فرعون :

﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾

(الزخرف - ٥٢) .

يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به ، وهو فى نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة ، وكانت الأنبياء كلهم أنبياء فصحاء .

وفى الجلالين :

﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾

(النساء - ٧٨) .

اى : لا يقاربون أن يفهموا حديثا يلقى إليهم ، ونفى مقاربة الفعل أشد من نفيه .

وفى أبى السعود : أو هو استئناف مبنى على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل : مابالهم ، وماذا يصنعون حتى يتعجب منهم وحتى يسأل عن سببه ؟

فقيل : لا يكادون يفقهون حديثا من

الأحاديث أصلا فيقولون كما يقولون ، إذ لو فهموا شيئا لفهموا هذا النص ، وما فى معناه وماهو أوضح منه من النصوص الناطقة بأن الكل من عند الله .

وفى البيضاوى عند قوله تعالى :

﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ (البقرة - ٧١) .

قريب من ذكر شارح الكافية .

وقد تعرض ابن قتيبة فى مشكل القرآن لكاد فقال : كاد بمعنى هم ولم يفعل .

ربع عفا من بعد ما قد انمحى

قد كاد من طول البلى أن يمحا

وأنشد الأصمعى :

كادت النفس أن تفيظ عليه

إذ ثوى حشو ريطة وبرود

وقال بعضهم : قد جاءت كاد بمعنى فعل ، وأنشد قول الأعشى :

ولو أن نعمان الحكيم تعرضت

لعينيه مى سافرا كاد يبرق

أى لو عرضت له لبرق أى دهش وتحير .

وقصارى القول أن الجميع متفقون على ان (كاد) فى الإثبات تفيد نفى خبرها ويساعدهم قول ابن عباس رضى الله عنهما : كل شىء فى القرآن كاد وأكاد ويكاد فإنه لا يكون أبدا ، وتساعدهم الشواهد الكثيرة ، ففى الحديث الشريف من تأنى أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد .

وفى القرآن شواهد تقدم بعضها ، ومنها قوله تعالى : ﴿ لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴾
(الإسراء - ٧٤)

مع أنه - صلى الله عليه وسلم - لن يركن إليهم قليلا وكثيرا .

ومن الشواهد الشعرية قول قيس بن الخطيم :

أتعرف رسما كالقراز المذهب

لعمرة وحشا غير موقف راكب

ديار التى كادت ونحن على منى

تحل بنا لولا نجاء الركائب

وقول نصيب :

وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت

هتوف الضحى محزونة بالترنم

أموت لمبكاها أسى ، إن لوعتى

ووجدى بسعدى شجوه غير منجم

معنى : المنجم : المقلع .

وأما قول حسان بن ثابت :

وتكاد تكسل أن تجىء فراشها

فى جسم خرعبة وحسن قوام

فقد قالوا أن المعنى هنا : وتكسل أن تجىء فراشها .

وهذا البيت إلى ما رواه ابن قتيبة عن بعضهم واحتجاجه بقول الشاعر (قد كان يسمو) وقول ذى الرمة (كاد يبرق) هى التى أباحت لبعضهم أن يقول بوقوع خبرها ، أما معنى كاد نفسها فهو ثابت .

ويرد قول الله تعالى :

﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ (طه - ١٥) .

فقال بعض : أريد أخفيها ، وكاد تأتى بمعنى أراد ، ومن شواهدها قول الأفوة الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة

وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

وقد سبق بعض الأدلة على أن كاد تأتى بمعنى أراد ، عند تفسير قوله تعالى :

﴿ إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ (النور - ٤٠) .

وقال الأخفش (كاد) صلة ، وقد علق بعض العلماء على هذا الرأى بقوله : كدت كاد صلة لا قائل به إلا ماورد عن ضعفه المفسرين .

والزمخشرى يقول : لا أقول إنها آتية :

وخرجها بعض آخر على أن أخفى تأتى بمعنى أظهر .

«رأى»

وبعد طول النظر فى هذا الحرف وشواهده التى ألممت بها عجبت لموقف اللغويين وكيف يتمسكون إلى هذا الحد بمعنى لم تسعفهم فيه الشواهد ، ولا ساندهم فيه نقل عن أصحاب اللغة ، بل إن الشيخ عبد القاهر ـ وهو من هو ـ يقول وأن الذين يظنون لكاد هذا المعنى خدعهم العرف ، أى أن التعبير بكاد يفعل فى فعل قد فعل ليس من صحيح اللغة ، وإنما هو من السنة العامة كما فسره ابن هشام[1] ، مالم ينص أولا على وقوع الفعل ، ولا أعرف للغويين نظيرا لهذا الرأى واحتجاجهم بقوله تعالى :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة ـ ٧١) .

بأنه يدل على أن كاد فى النفى للإثبات ليس سائغا ولا مقبولا بل إن دلالة الآية على العكس هى الصحيحة ، وذلك أن المعنى على قولهم يؤول إلى فذبحوها وقد ذبحوها ، فى حين أن المعنى فذبحوها بعد أن كانوا بعداء من ذبحها .

وقول صاحب الكافية أنه كلام تضمن كلامين فى وقتين مختلفين له وجه لولا وقوع جملة وما كادوا حالا ، والمعنى فذبحوها فى حال كونهم بعداء عن ذبحها ، غير مقاربين له ، وكذلك قول تأبط شرا :

فأبت إلى فهم وماكدت آيبا

وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

معناه ، أبت فى حال كونى غير مقارب للإياب ، أى أن اليأس استحكم ، واشتدت بى الحال ، وضاقت حلقاتها ، ثم أتى الفرج فجأة فخلصت منها ، وكم حالة مثلها نجوت منها :

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن كاد كلمة فيها معنى التخييل ، أو قل التشبيه ، وليست بمعنى القرب الخالص فلا تصلح (قرب) مكانها .

يقول العرب كاد البخيل يكون كلبا ، وكاد المتمهل يكون راكبا ، ففى البخيل شبه كبير من الكلب ، فكذلك فى المتمهل شبه كبير من الراكب فكأنه هو ، ولو قلت قرب البخيل يكون كلبا لم تؤد المعنى المقصود فى العبارة الأولى .

ويقول الشاعر :

وأسقيه حتى كاد مما أبثه

تكلمنى أحجاره وملاعبه

يريد أن أحجاره وملاعبه تمثلت له كأنها تريد أن تنطق وتهيأت له كذلك ولا يفيد هذا المعنى إلا كاد أو كلمة (يخيل إلى) أو أداة تشبيه ، وكذلك قول الآخر :

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا

يكلمه من حبه وهو أعجم

يصف كلبا فيقول ، إن هذا الكلب لشدة حفاوته بالضيف وأنسه به وفرحه بقدومه كأنه يريد أن يكلمه .

وكذلك قول أبى صخر الهذلى :

تكاد يدى تندى إذا ماالمستها

وينبت فى أطرافها الورق النضر

وقول ضابىء البرجمى :

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى

تركت على عثمان تبكى حلائله .

وقول عويف الحراقى فى الرثاء :

خبر أتانى عن عيينه موجع

كادت عليه تصدع الأكباد

ويمكن ـ والعلم عند الله ـ أن تخرج الآية

---

(١) فسر الحرف ابن هشام فى المغنى فقال : بعد فذبحوها وما كادوا يفعلون ولما كثر استعمال مثل هذا فيمن انتفت عنه مقاربة الفعل أولا ثم فعله بعد ذلك توهم من وهم أن هذا الفعل بعينه هو الدال على حصول ذلك الفعل بعينه وليس كذلك وإنما فهم حصول الفعل من دليل آخر كما فهم فى الآية من قوله تعالى فذبحوها . جـ ٢ ص ١٨٣ .

﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ (طه - ١٥) على هذا الفهم فيكون المراد أن حال الساعة بين الإخفاء والإظهار فهي لعدم تحديد زمنها خفية ، وهي لما ذكر من أشراطها وعلاماتها مظهرة ، والتعبير في غاية الدقة ، وفي أعلى درجات الحسن ، كأن الله تعالى يقول : إن ما عندكم من علاماتها يكاد ينبئكم بأنها ظاهرة واضحة جلية .

ولست مستريحا لشيء مما قاله المفسرون في هذه الآية ، فأريد أخفيها كلام لا يشعر بالقوة في هذا السياق ، وكذلك وضع هذه الكلمة المتشابهة على القول بأن الإخفاء بمعنى الإظهار في هذا الموضع يحتاج إلى الإظهار ، وليس من الإعجاز أن يعبر بكلمة على ضد المراد - في الظاهر - في مقام يراد فيه أن يقطع على المخاطبين الأمل في معرفة وقتها وإن استند أصحاب هذا الرأى على ماروى أهل العربية من أن أخفى تأتى بمعنى الإخفاء وبمعنى الإظهار ، وشواهدهم قول عبده بن الطبيب يصف ثورا :

يخفى التراب بأظلاف ثمانية
في أربع مسهن الأرض تحليل

أراد أن يظهر التراب ، ويستخرجه بأظلافه ، وقول امرىء القيس :

فإن تدفنوا الداء لا نخفه
وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

أى لانظهره ، وقول النابغة :

تخفى بأظلافها حتى إذا بلغت
يبس الكثيب تداعى _ الترب فانهدما

ويقولون أن قراءة الفتح في قوله تعالى ﴿ أَخْفِيهَا ﴾ (طه - ١٥) لا تحتمل غير معنى الإظهار ، أما القراءة بضم الهمزة فتحمل الإظهار والستر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزخرف -٥٢) معناه أنه للثقة ولكنه يشبه من لايبين وإن حاول ذلك وكان يبين بعض الإبانة ، ويقال مثل ذلك في شواهد كثيرة .

وأما الشواهد التي وردت فيها (كاد) لإثبات الخبر فتخريجها واضح على زيادة (كاد) ولا مانع من زيادة كلمة في الكلام ، فتكاد تكسل ، معناها تكسل ، وتكاد زائدة (وكاد يسمو) معناها يسمو وكاد زائدة ، وكذلك قول ذى الرمة (يكاد يبرح) وإن احتمل المعنى بقاء كاد ، ويكون أراد أنه قرب أن يدهش .

بقى قول كثير عزة :

اموت أسى يوم الرجام وأننى
يمينا لرهن بالذى أنا كائد

والإنسان يكون رهنا بما يباعده لا بما يقاربه ، والذى أرجحه أن الرواية كابد بالباء الموحدة .

وقد سبق ما نقلته عن ابن هشام من أن سبب الشبهة عند اللغويين - في النفى خاصة - أن الشواهد التي ذكرت جاء فيها نفى الفعل بعد إثباته :

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة - ٧١) .

(فأبت إلى فهم وما كنت آيبا)

كأنهم التزموا (فعلت وما كدت أفعل) ولست أحفظ شاهدا في نفى كاد لم يتقدمه إثبات لخبرها ، ومن هنا فرق بعض اللغويين بين نفى الماضى ونفى المضارع ، فجعلوا نفى الماضى إثباتا ونفى المضارع نفيا ، وقد تبين - بما ذكره ابن هشام ، وهى حق - أن الإثبات لم يجيء عن نفى كاد - وإنما جاء من صيغة الإثبات قبلها ، وإن كان هذا ملتزما .

أما بناء الأحكام الفقهية على مثل هذا فأظنه بعيدا عن التحقيق ، لأن الأيمان تبنى على العرف ، ويجب ألا تخضع لهذه الدقائق اللغوية التي تخفى على الجهابذة من علماء العربية وشعرائها أمثال ابن شبرمة ، وذى الرمة .

والله أعلم بالصواب .

الإنسان المكلف المستخلف

لفضيلة الشيخ

معوض عوض إبراهيم

إن الله تعالى خلق وحده الكون علوا وسفلا بكل مكوناته وشتى أقطاره ، على الاستقامة والصلاح واستخلفنا ـ سبحانه ـ فيه ، ليبلغ به مراد الله من عرفوا الحق فآثروه ، وتحاموا مشارع الفساد ، ونأوا بأنفسهم عن الخلاف عن أمر الله ، وهو تعالى يقول :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف ـ ٥٤ : ٥٦)

وقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعمل مع صحابته في بناء المسجد النبوي في أكثر من ميدان ، فهو يضع أصحابه كلا فيما يحسن عمله ، ويشرف عليهم ، ويحفز هممهم ، ويزكي نشاطهم بعمله ، وهو يقول : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة .

ويحمل اللبن على صدره الشريف من مكان ضربه إلى حيث العمارة والبناء ، ولقد وسد ضرب اللبن إلى أحد صحابته ظنا منه ـ صلوات الله عليه ـ أنه أعرف بذلك من غيره ، فلما مر في لحظة فلم يجد الرجل ووجد غيره يؤدي المهمة بإتقان وإحسان أكثر من سابقه لم يلمه ، ولم ينكر فيه أنه أتى عملا لم يسنده إليه ، وتهلل له وجهه ، فهو الذي أخرج أبو نعيم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قوله : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، ولله الفضل والمنة ، فقد جعل الأرض كما قال نوح لقومه :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾

(نوح ـ ١٩ ـ ٢٠)

بعد أن ذكرهم بوحدة النشأة والمصير ، فقال :

﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ۝ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾

(نوح - ١٧ : ١٨)

وترى ذلك فى الحوار الذى دار بين كليم الله موسى ، وبين فرعون ، قال تعالى :

﴿ قال فمن ربكما يا موسى ۝ قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾

(طه - ٤٩ : ٥٠)

حتى قال :

﴿ الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ﴾

(طه - ٥٣)

ويعرض القرآن ذلك وأكثر منه فى خطاب الله لنبيه الخاتم ، فيقول :

﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾

(الملك - ١٥)

ويقول :

﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ۝ الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ۝ والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ﴾

(الزخرف - ٩ : ١١)

واستوجب الله عبادة الناس له بما أفاء عليهم من أنعمه ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ۝ الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾

(البقرة - ٢١ : ٢٢)

لقد خلق الله الأرض فى يومين وجعل لها رواسى من فوقها ، وبارك فيها وقدر فيها أقواتا فى يومين ؛ إتمام أربعة أيام ، وخلق السموات سبعا ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزين السماء الدنيا بمصابيح ، كل ذلك فى يومين ، ولو شاء لقال لها كونى فكانت ، كما خاطب السموات والأرض جميعا قبل أن يخاطب الإنسان ، إذ كان الله وحده ولا شىء معه ، وكان عرشه على الماء ، فقال لها :

﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾

(فصلت - ١١)

وجل الله الذى يقول :

﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ۝ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ۝ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾

(إبراهيم - ٣٢ : ٣٤)

وأى شىء من المهانة وراء الظلم والكفر يستوجبه الذين تأخذهم هبات الله وعطاياه من شىء جهاتهم ، فلا يزيدهم ذلك إلا صدودا

وإعراضا عن الله وهداياته وموجبات طاعة فى كل ما تراه عين ، وتسمعه أذن فى الكون الرتيب الذى يتعاقب فينا ليله ونهاره ، وكواكبه وأقماره ، فتضىء الدياجى ، وترى الصبح معها وقد تنفس والليل وقد عسعس ، وصار سكنه بعد حركة النهار ، دون أن تتأخر عن شروقها شمس أو يبطىء قمر :

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(يس : ٣٧ : ٤٠)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر - ٤١)

وتبارك الله ، فما يرى أحد مما استحدثوا من مجاهر ومكبرات وأشعة شيئا من فطور فى السموات ، ما كان ولن يكون ، وكم تألق البشر وتأنقوا وأثاروا العجب العجاب ، مما بنوا من بروج وأقاموا من صروح ، ثم لم يمض إلا يسير زمن ، بدا بعده شقوق وتصدع وانهيار ، وأين صنع الإنسان من تقدير العزيز العليم ؟!

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

(الملك - ٣ : ٤)

هذا الكون كله ، خلقه الله لك أيها الإنسان على الصلاح والاستقامة ، وخلقك :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين - ٤)

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

(غافر - ٦٤)

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(آل عمران - ٦)

فكيف عدلت عن مقتضيات فطرة الله فيك إلى هدى نفسك الأمارة بالسوء ؟! وكيف لم ترتفع بها إلى مستوى النفس اللوامة أن عجزت عن الاستعانة بالله على أن تكون ذا النفس المطمئنة إلى جميل العقبى بعد حياة اطمأن فيها قلبك بذكر الله الذى يذكر من يذكره ، ويتولى الصالحين ؟!

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

(الانفطار - ٦ : ٨)

ولقد كرم الله الإنسان بعقله المدرك ، ونظره الفاحص لدى الأشياء على حقيقتها ، ويمضى فى الحياة على نور من ربه ، متأسيا على أبيه آدم فخلقه من طين ، بيده القادرة فجعله على صورته البشرية الباهرة ، مستقيم القامة مرتفع الهامة ،

وعلمه مالم يكن يعلم ، فأسجد له بالعلم ملائكته ، وكلفه واستخلفه ، وجعل ذريته خلفاء الأرض واستعمرهم فيها ، وفاوت بينهم بالإيمان والإحسان لا بما اصطنعوا من أحساب وأنساب ، وظواهر كذاب ، فكلهم لآدم وآدم من تراب ، وإلى التراب يعودون حتى يجمعهم سبحانه ليوم الجمع ، ويجزى كل نفس بما كسبت !

ويوم عرف الناس الحياة مبدأ ومصيرا وكانوا بين البدء والنهاية على الصلاح والاستقامة ، كانوا فى حياة طيبة علا فيها سلطان الحق ورفرفت ألوية العدل وسيطر فيها دين الله ، وسلمت من أيسر ما تموج به الحياة بعضها فى بعض فى ديار وأقطار .

وفى غيبة الدين تغلى مراجل المجتمعات وتخفى معالم الصواب على الأفراد والشعوب ، وتأخذ الأشياء غير أسمائها ، ويجعل الناس وراء ظهورهم واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهما بمكانهما الملتمع فى دين الله :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ـ ٧١)

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (التوبة ـ ٦٧)

وماربح الفاسقون :

﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة : ٢٧)

وطوبى للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحافظين لحدود الله عقيدة وسلوكا وبشر المؤمنين .

■



من تراث الشيخ الطير

من المرأة التي جادلت النبي في زوجها؟

أحكام الظّهار

لفضيلة الشيخ

مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

الآيات من أول سورة المجادلة .

هذه المرأة هى خولة بنت ثعلبة ، وزوجها هو أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ وهذان الزوجان هما اللذان نزل بسببهما صدر سورة المجادلة .

ويحكى لنا قصتهما ابن ماجة فى السنن بسنده عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « تبارك الذى وسع سمعه كل شىء ، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علىّ بعضه ، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى تقول : يارسول الله : أكل شبابى ، ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبر سنى وانقطع ولدى ، ظاهر منى ، اللهم إنى أشكو إليك ، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ .

وفي معناه مارواه البخاري في صحيحه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ .

وكما يقال لها : خولة بنت ثعلبة ، يقال لها : خولة بنت خويلد ، قال الماوردي : وليس هذا بمختلف ، لأن أحدهما أبوها والآخر جدها ، فنسبت إلى كل واحد منها ، وسبب جدالها وشكواها ، كما يرويه الثعلبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ (أنها كانت امرأة حسنة ، وكانت تصلي ، فلما فرغت من صلاتها طلبها زوجها أوس بن الصامت إلى فراشه ، فأبت ، فقال لها أنت عليّ كظهر أمي ، وكان رجلا عجولا ، وكان الظهار والإيلاء طلاقا في الجاهلية ، ولم ينزل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما ينسخ ماعليه الجاهلية ، فلما سألت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لها « حرمت عليه » فقالت : والله ما ذكر طلاقا ، ثم قالت : أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي ، وقد نفضت له بطني ، فقال : « حرمت عليه » فمازالت تراجعه ويراجعها حتى نزلت عليه الآيات) انتهى باختصار يسير .

وروى الحسن أنها قالت : « يارسول الله ، قد نسخ الله سنن الجاهلية ، وإن زوجي ظاهر مني ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ما أوحي إلي في هذا شيء » فقالت يارسول الله : أوحي إليك في كل شيء وطوي عنك هذا ، فقال : « هو ما قلت لك » فقالت : إلى الله أشكو لا إلى رسوله ، فأنزل الله :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾

الآيات .

وجاء في رواية الدارقطني بسنده عن أنس مالك : « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لأوس « أعتق رقبة » قال : مالي بذلك يدان ، قال « فصم شهرين متتابعين » قال : أما إني إذا أخطأ أن آكل في كل يوم ثلاث مرات يكل بصري » قال : « فأطعم ستين مسكينا » قال : ما أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة ، قال : فأعانه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخمسة عشر صاعا » الحديث .

وعظها لعمر واحترامه لها :

مر عمر بن الخطاب بخولة في خلافته وهو يركب حمارا والناس معه ، فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت : ياعمر قد كنت تدعى عميرا ، ثم قيل لك عمر ، ثم قيل لك أمير المؤمنين ، فاتق الله ياعمر ، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب ـ وهو واقف يسمع كلامها ـ فقيل له ياأمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ، فقال : والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره ، لازلت إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ هي خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر[1] .

---

(١) انظر القرطبي .

ما معنى السمع والبصر فى حق الله ؟ :

السمع والسماع مصدران لسمع يسمع كعلم يعلم ، ومعنى كليهما لغة إدراك المسموع بآلة السمع ويطلق على من يسمع سامع وسميع .

والبصر يطلق لغة على إدراك المبصرات بحاسة البصر ، كما يطلق على حاسة البصر نفسها ، وعلى هذا فالسامع ضد الأصم ، والبصير ضد الضرير ـ أى ضد الأعمى ، وقد وصف الله ـ سبحانه ـ نفسه فى الآية بأنه (سميع بصير) ومعنى السميع فى حقه ـ تعالى ـ كما قال الحاكم أبو عبد الله ـ المدرك للأصوات التى يدركها المخلوقات بآذانهم من غير أن يكون له أذن ، بخلاف المخلوقات فإنهم لا يسمعون بدونها ، وبدون الحاسة المركبة فى داخلها .

ومعنى البصير فى حقه ـ تعالى ـ المدرك للمبصرات من غير أن يكون له هذا التركيب البصرى الذى يدرك به المخلوقات ما يبصرون ، وصدق الله ـ تعالى ـ إذ يقول :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الشورى ـ ١١) .

وبالجملة فالسمع والبصر صفتان من صفات ذات الله ، كالعلم والقدرة والحياة .

الظهار وحكمه فى الإسلام :

الظهار هو قول الرجل لزوجته : أنت على كظهر أمى ، يريد أنه حرم على نفسه جماع زوجته كحرمة جماعه لأمه ، فى حين أنه يمسك لزوجته لم يطلقها ، فإذا حدث هذا الظهار من الزوج ، حرم عليه جماع زوجته حتى يكفّر ، مع بقاء زوجيتها له ، وتتحدث عن الكفارة بعد استيفاء الكلام عن الظهار ـ إن شاء الله تعالى ـ .

ومثل ذلك قول الزوج لزوجته أنت على كظهر ابنتى أو أختى أو غيرهما من المحارم كالعمة والخالة .

ويكون مظاهرا ـ أيضا ـ لو قال لها : أنت على كبطن أمى أو غيرها من المحارم .

ومن قال لزوجته أنت على كأمى أو مثل أمى ولم يذكر كلمة (الظهر أو البطن أو نحوهما) فإن أراد الظهار فله نيته ، وإن أراد الطلاق كان مطلقا البتة عند الإمام مالك ، وإن لم يكن له نية فى طلاق ولا ظهار ، كان مظاهرا » .

فإن قال : أردت أنها مثل أمى فى الاحترام مثلا ، لم يؤخذ بقوله قضاء أو إفتاء إن كانت العبارة أثناء جدال وخصام ، فإن لم يرفع الأمر إلى القاضى أو المفتى فله أن يرجع إلى نيته فيما بينه وبين الله تعالى ، فربما كان يقصد إزعاجها بالعبارة ، ولا يقصد الظهار ولا الطلاق ، وحسابه على الله ، وللزوجة حينئذ أن تصدقه فيما ادعى وأن تكذبه .

ولا ينصرف صريح الظهار بالنية إلى الطلاق ، بخلاف كنايته (أنت على مثل أمى) فإنه يصح صرفه إلى الطلاق ، لأنه لم يصرح فيه بلفظ الظهار ، أما الطلاق الصريح وكنايته فلا ينصرفان إلى الظهار مطلقا .

والعرب تكنى بظهر الأم وبطنها ونحوهما عن الفرج ، فمن قال لزوجته أنت علىّ كظهر أمى أو كبطنها ، فالمراد منه عندهم أن جماعها محرم على الزوج كحرمة جماع الأم ، وقد أقر الإسلام عبارتهم ، ولكنه لم يحملها على الطلاق كما كانوا يفعلون بل حملها على تحريم جماعها كحرمة جماع



أمه مع بقاء الزوجية ، وله أن يطلقها بعد الظهار كما تقدم .

الظهار قبل الدخول :

لو ظاهر من زوجته قبل الدخول بها كان له حكم الظهار بعد الدخول تماما .

ليس على النساء ظهار :

الظهار خاص بالرجال كالطلاق ، لقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم ﴾ (المجادلة ـ ٢) .

ولم يقل واللاتى يظاهرن منكن من أزواجهن ، وهذا هو رأى الجمهور ـ كما قال أبو عمر ـ وقال الحسن بن زياد : للمرأة أن تظاهر من زوجها ، والصواب الأول ، لأن الحل والعقد والتحليل والتحريم فى النكاح بيد الرجال ، وليس بيد النساء من ذلك شىء وقال الأوزاعى : إذا قالت المرأة لزوجها أنت على كظهر أمى فلانة ، فهو يمين تكفرها وليس ظهارا .

ظهار الغضبان والسكران :

يقع الطلاق والظهار من الغضبان والسكران فى حال سكره إن عقل قوله ، لقوله تعالى فى سورة النساء :﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء ـ ٤٣) .

ماذا يجب على المظاهر قبل الكفارة :

يجب على المظاهر أن لا يقرب زوجته ولا يباشرها ولا يتلذذ منها بشىء حتى يكفر ، لأن قوله : أنت علىَّ كظهر أمى يقتضى تحريم كل استمتاع بها حتى يكفر ، خلافا للشافعى الذى أجاز له الاستمتاع بها فيما عدا الوطء ، فإنه حرمه قبل الكفارة .

حكم الوطء قبل الكفارة :

إذا وطىء المظاهر زوجته قبل أن يكفر كان آثما ، وعليه أن يستغفر ربه ، وأن لا يعود إلى وطئها مرة أخرى حتى يكفر ، وتكفيه كفارة واحدة عن الظهار وعن الوطء ، روى جماعة من الأئمة منهم ابن ماجه والنسائى عن ابن عباس (أن رجلا ظاهر من امرأته فغشيها قبل أن يكفر ، فأتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر ذلك له فقال : « ما حملك على ذلك » ؟ فقال : رسول الله ، رأيت بياض خلخالها فى ضوء القمر ، فلم أملك نفسى أن وقعت عليها ، فضحك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمره ألا يقربها حتى يكفر » .

وروى ابن ماجه والدارقطنى عن سليمان بن يسار ، عن سلمة بن صخر (أنه ظاهر فى زمان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم وقع بامرأته قبل أن يكفر ، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر ذلك له ، فأمره أن يكفر تكفيرا واحدا » .

ومن العلماء من قال : عليه كفارتان ، وهو مروى عن عمرو بن العاص ، والراجح أن عليه كفارة واحدة لما تقدم .

الظهار من أربع زيجات :

إذا ظاهر الزوج من زوجاته الأربع فى كلمة واحدة ، كقوله : أنتن علىَّ كظهر أمى ، لم يجز له

وطء إحداهن حتى يكفر كفارة واحدة عن الجميع ، روى الدارقطنى عن ابن عباس قال : كان عمر بن الخطاب يقول : « إذا كان تحت الرجل أربع نسوة فظاهر منهن تجزئه كفارة واحدة ، فإن ظاهر من واحدة بعد أخرى ، لزمه فى كل واحدة منهن كفارة ، قال القرطبى : وهذا إجماع .

وإذا قال لامرأته أنت على كظهر أمى وأنت طالق البتة ، لزمه الطلاق البائن والظهار معا ، ولا يكفر حتى يتزوجها بعد زوج آخر طلقها وانتهت عدتها منه ، ولا يطؤها قبل أن يكفر كفارة ظهاره السابق .

فإذا قال : أنت طالق البتة وأنت على كظهر أمى ، لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار ، لأن المبتوتة لا يلحقها ظهار .

ولقد وصف الله ظهار الرجل لامرأته بقوله :

﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (المجادلة ـ ٢) .

حيث جعل الكفارة عليهم مخلصة من هذا القول المنكر .

العود فى الظهار وكفارته :

يجب على المظاهر من زوجته أن يكفر عن ظهاره إذا عاد عما قاله لزوجته من تحريمها كظهر أمه ، لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الآيتان ٣ ، ٤ من سورة المجادلة) .

واختلف فى تفسير العود على سبعة أقوال ، أقربها إلى معنى الآية أن يعود المظاهر عن تحريم زوجته ، ويعزم على الرجوع إلى وطئها والاستمتاع بها ، فإذا حدث منه ذلك لم يحل له وطؤها قبل أن يكفر عن هذا العود الذى عزم عليه ، وخالف به تحريمه لها ، فإن طلقها بعد ظهاره منها ، ولم يعزم على إمساكها ونية وطئها فلا كفارة عليه ، فإن تزوجها بعد طلاقها منه ، فلا يحل له أن يمسها قبل أن يكفر ، وبهذا قال الإمام مالك .

أنواع الكفارة :

وهذه الكفارة هى عتق رقبة مسلمة ـ كما قال مالك والشافعى ـ وقال أبو حنيفة وأصحابه : يجزئه عتق الرقبة الكافرة .

فمن لم يجد الرقبة أو وجدها ولم يجد ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين ، فإن أفطر يوما لغير عذر استأنف صيام الشهرين ، فإن كان فطره لعذر كسفر ومرض بنى على ما صامه عند زوال عذره على الأرجح .

فإن عجز عن صيام شهرين متتابعين أطعم ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام من غالب قوت البلد ، وهذا هو مذهب الشافعية ، أما المالكية فيوجبون مدين لكل مسكين ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(المجادلة ـ ٣ ، ٤) . والله تعالى أعلم .

المخدرات والسموم البيضاء

أضرارها العظيمة وأخطارها الجسيمة

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

قال الله تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ ﴾ (الأعراف - ١٥٧) .. أحل الله لنا الطيبات من مأكولات ومشروبات ، وحثنا على تناولها ، وتغذية الجسم بها ، وحرم علينا الخبائث المضرة التى تفتك بصحتنا ، وتضر بعقولنا ، وتودى بحياتنا .. فالطيب : كل ما نفع الجسم والعقل ، والخبيث : كل ما أضر بهما . فيدخل تحته : الحشيش والأفيون ، وما كان على شاكلتهما .

إن أعداء الإسلام يتربصون به الدوائر ، فى كل مكان !! وهم عندما يحاربون الإسلام إنما يحاربونه بكل وسيلة ، لا يألون فى ذلك جهداً !!

فعلى الأمة الإسلامية أن تجمع شتاتها ، وتتدبر أمرها ، وتأخذ بهدى نبيها ، وإلا فإن ما ينتظرها لا يخطر لها على بال !! فقد اتحدت قوى الظلام كلها ضدها !! ولعل آخر مخترعات أعداء الإسلام هو ما يصدرونه إلى الشعوب الإسلامية فى كل مكان من الكوكايين ، والكورايين ، والمبتولين ، والمورفين ، والهيروين ، والماكستون فورت والبانجو ، وكلها أدوات فعالة ، لتدمير شباب هذه الأمة ، وإغراقهم فى بحور النسيان ، لأنهم يعتقدون أن الشباب هم درع الأمة الواقى ، وحصنها الحصين ، ولهم ماض مجيد ، فهم الذين وقفوا وقفة شامخة ضد جحافل التتار ، والصليبيين ، ثم الصهيونية العالمية .. والنفاذ إلى الشباب من أجل إضعافهم لا يتأتى إلا من بابين خطيرين للغاية لابد من إغلاقهما بكل الوسائل الممكنة الأول : باب أفلام الجنس : عن طريق الفيديو الذى بدأ ينتشر ، حتى فى الحوارى والأزقة من القرى والبلدان ، وهذه ظاهرة خطيرة جداً !!

الثانى : باب المخدرات الجديدة البيضاء التى تسحق الشباب ، وتحوله إلى حطام لا يقوى على شىء !!

ولا ريب أن تناول المخدرات قتل تدريجي للنفس ، وإلقاء بها إلى مهاوي الخسران والهلاك . . وقد حذرنا الله تعالى من ذلك فقال :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

(النساء - ٢٩)

وقال جل شأنه :

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(البقرة - ١٩٥)

وعن ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه - في حديث عن النبي - ﷺ - : « ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة »[١] .

الحشيش : تيار من الخراب جارف ، وبلاء من الهوان ماحق ، وجنون لا شك لاحق . . فهذه السجون مملوءة بضحاياه ، والمستشفيات مكتظة بصرعاه !! . . والأفيون : سوس الأبدان ، بل منشارها الذي يهلكها إهلاكاً ؛ فإن القطعة إذا ابتلعها متعاطيه : تنزل على الكبد ، فتفعل به ما تفعل . . وقد أثبت علم التشريح أن أكباد المتعاطين لهذه المادة أشبه ما تكون بإسفنجة ، متخرقة من كل نواحيها !!

فالمخدرات على اختلاف أنواعها ما هي إلا سلاح لإذلال الشعوب وإضعافها . . وقد قامت إسرائيل بزراعة القنب الهندي وهو نبات الحشيش في الأرض المحتلة بفلسطين ، ثم تصديره إلى مصر والدول المجاورة لها خلسة ، ولكن شاء الله تعالى أن تبوء محاولات التصدير بالفشل ؛ لعدم ملاءمة المناخ ، فما كان منها إلا أن فتحت أبوابها للمهربين الخونة : الذين غامروا بأوطانهم على مائدة المطامع الصهيونية ، واتخذت إسرائيل من الأرض التي تحتلها جسراً ؛ لتهريب المخدرات بجميع أنواعها .

رأي مروجيها :

كثيراً ما يردد تجار المخدرات ، والمروجين لها الشائعات الكاذبة على سبيل الإغراء ، لأجل ترويجها ، وسرعة تفشيها بين أبناء الأمة منها :

(١) أنها تساعد على الشعور بإزالة التعب ، وتشيع في الجسم الراحة والهدوء .
(٢) أنها تضاعف من المتعة الجنسية .
(٣) تشيع في النفوس الشعور بالبهجة والسرور .
(٤) تساعد على إجادة النكتة .
(٥) تفتح الشهية للأكل .
ونضع بين أيديهم هذه الحقائق :

أما أنها تزيل التعب فهذا ادعاء كاذب فيه مغالطة ؛ لأنه يخالف أبسط القواعد الطبية ، فمن البدهي أن الشعور بالتعب يحتم على الإنسان أن ينال قسطاً من الراحة ؛ حتى لا يقع فريسة للأمراض ، أما المخدرات فهي لا شك تحطم قواه فجأة .

وأما أنها تضاعف المتعة الجنسية ، بإطالة فترة الجماع فهو زعم كاذب ، دفعهم إليه ما تصيبهم به المخدرات ؛ من بلادة الحس ، فيفقدون القدرة على التمييز ، وعلى النقيض من ذلك .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه .

فقد أثبتت التجارب العديدة ما آل إليه مصير مدمنى المخدرات من العجز الجنسى فى سن مبكرة، وفى مقتبل العمر، ومن المعروف: أن القدرة الجنسية لا تتطلب غير مراعاة القواعد الصحية، وعلى رأسها تجنب عوامل الإجهاد الجسمانى، وعدم الانهماك فى إشباع الشهوات، والانغماس فى الملذات.

وأما أنها تبعث البهجة والسرور فهو إدعاء كاذب، يرجع إلى أثر المخدرات فى كبت الوعى، وتضليل المشاعر، فيفقد المرء إحساسه بما يحيط به من مشاكل الحياة التى تتطلب المواجهة بكل صراحة وشجاعة وحزم.

وأما أنها تساعد على إجادة النكتة فالواقع أن النكات والفكاهات التى يرددها المدمنون من السخف والبلاهة، بحيث لا تثير إلا ضحكهم، فنوادر الحشاشين لا تدور حول بطولاتهم، وإنما تدور حول سخافاتهم وحماقتهم.

ثم إن هذه المخدرات، وإن عجزت عن تحقيق هذه الفوائد الوهمية، فإنها لم تعجز عن إلحاق أسوأ المضار بمتعاطيها!!

مضارها الصحية:

مما لا شك فيه أنها تسلم صاحبها إلى مصير، يدفع ثمنه غالياً من ماله وصحته وسمعته.. ومن أبرز الأعراض المرضية التى تنتاب متعاطى المخدرات، كما يقرره الأطباء:

(١) هبوط درجة الحرارة عن المعدل الطبيعى.
(٢) جفاف الحلق.
(٣) التهاب اللثة.
(٤) اضطراب الهضم، والميل إلى القىء.
(٥) اضطراب النبض.
(٦) اصفرار الوجه.
(٧) التعجيل بالشيخوخة، من فرط ما تصاب به أكبادهم من الضعف والإرهاق.
(٨) إضعاف مناعة الجسم، والإقلال من قدرته على مقاومة الأمراض، لا سيما الأمراض الصدرية.
(٩) معظم المصابين بالأمراض السرية، كالزهرى والسيلان من مدمنى المخدرات.
(١٠) تعاطيها بطريق ما يعرف بالجوزة، أو الشيشة، أو البورى يساعد على انتشار العدوى التى تنتقل جراثيمها وميكروباتها عن طريق الفم.

الأمراض العصبية:

كثيراً ما يسقط مدمنو المخدرات: فريسة للأمراض العصبية، يساورهم الشك فى أقرب الناس إليهم، فتؤثر المخدرات على المراكز العليا فى سطح المخ، وترسل المئات من مدمنيها إلى مستشفيات الأمراض العقلية.

عدم الغيرة على الأعراض:

تتلاشى من مدمنى المخدرات نزعة الغيرة على العرض، فلا يأبه بسلوك زوجته أو ابنته أو أخته!! وفى هذا يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لن يدخل الجنة ديوث، قالوا: وما الديوث يارسول الله؟ قال: الذى لا يغار على أهله»، وفى رواية أخرى: «الذى يقر الخبث فى أهله».

ارتكاب الجرائم:

يرتكب مدمنو المخدرات كثيراً من الجرائم الخلقية كالتزوير، والرشوة، والدعارة، وخيانة الأمة عن طريق التجسس، لصالح الأعداء.

حوادث المرور :

وكثيراً ما ترجع حوادث المرور إلى افتقاد السائقين والمارة من المدمنين وعيهم ، كما تنتشر جرائم الشذوذ الجنسى بين هؤلاء البائسين المستهترين بكافة القيم ، وإهمال المتعاطى لأسرته ، إلى تخليه عن مراقبة أفرادها ، وعدم اهتمامه بسلوكهم ، ولهذا فإن الفتيات اللاتى يعشن فى كنف رجل غارق فى تعاطى المخدرات يكن أكثر عرضة للانزلاق فى هاوية الرذيلة ، لفقد القدوة الصالحة فى عائلهن .

أثر المخدرات فى الاقتصاد القومى :

يلحق انتشار المخدرات أسوأ الأثر فى اقتصاد الأمة ؛ لأنه يقلل من القوة الإنتاجية للمتعاطين المحطمين صحياً ونفسياً ، وعصبياً وخلقياً .

البطالــة :

تنتشر البطالة بينهم فيقل الإنتاج ، ويروج التسول ، وتكثر حوادث السرقة .

ولا شك أن المجتمع يخسر كثيراً ، بفقد أعضائه الذين تشردوا ، ويزج بهم فى السجون ، ويتحمل كثيراً من الأعباء المالية التى تتطلب كثيراً من نفقات إيوائهم وتغذيتهم ، وعلاجهم ، ويتكبد الاقتصاد القومى ملايين الجنيهات سنوياً ، لعشرات الألوف من الكيلو جرامات من المخدرات التى تتسرب إلينا عبر الحدود الشرقية .

أضرارها المالية على الفرد :

المخدرات بالوعة أموال ، تحمل صاحبها على ذل التسول ، وعار السؤال ، كم فصلت موظفاً من وظيفته ، وطردت عاملاً من عمله ، وضيعته فشقى بعد عز ، وهان بعد كرامة ، وشقى به أهله ، وذل بسببه ولده !!

رأى الإســلام :

إن ديننا الحنيف الذى حرم لحم الخنزير ؛ لما فيه من ضرر ، وبخاصة أنه يذهب الغيرة من نفوس آكليه يحرم السموم البيضاء ؛ لما فيها من خطر !! والذى حرم المسكرات بجميع أنواعها ، لما فيها من أضرار عظيمة صحية واقتصادية واجتماعية .. الدين الذى نهى عن الحلال ، إذا زاد على الحاجة ، نهى عن كل ما يذهب بالصحة والشرف نهى عن الإسراف والتبذير ، وأباح الطيبات من مآكل ومطاعم ، ومشروبات ، ومشمومات ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة ـ ١٧٢)

هذا الدين الذى ينهى عن الإسراف ، وضياع الأموال فى الملذات والشهوات ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

(الأعراف ـ ٣١)

وقال ـ جل شأنه ـ :

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾

(الإسراء ـ ٢٦ : ٢٧)

وصرف الأموال فى هذه السموم تبذير .. الدين الذى حرم الإفساد فى الأرض يحرم المخدرات ؛ لأنها أس ، وأصل كل فساد خلقى واجتماعى .. الدين الذى حرم الإيذاء بقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾

(الأحزاب ـ ٥٨)

يحرم المخدرات ، لأنها تؤدى الأفراد والجماعات ، والأمم والشعوب ، بفقد هيبتها ، وذهاب سمعتها ، وإضعاف قوتها ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »(٢) المؤمن القوى خير وبركة ، وقوته المادية تستند إلى سلامة البدن والعقل والمجتمع ، وقوته النفسية : تستند إلى سلامة الروح الربانية التى تسلكه فى جند الله المخلصين .

وإذا مرضت الأبدان ضعفت العقول ، ووهن المجتمع ، وصار الناس غثاءً كغثاء السيل لايقدرون على شىء من رسالة الخير ، ونصرة الحق .

البقـاء للأصلـح :

ومن سنن الله ـ تعالى ـ أن البقاء فى الكون للأصحاء الأقوياء ، والشجعان الأشداء فهم الذين يستخلفهم الله فى الأرض فيعمرونها ، ويصلون إلى خباياها وأسرارها ، ويكشفون عن خيراتها وكنوزها .

وإنه ما توجت أمة بتاج الشرف ، ولا ارتقت ذروة المجد ، ولا قهرت أعداءها ، ولا حافظت على عقيدتها وحريتها إلا بقوة أبنائها ، وصحة أبدانهم ، وقوة أجسامهم ؛ لأن ذلك وسيلة إلى سلامة عقولهم ، ونضج تفكيرهم ، ومضاء عزائمهم ، وسداد أعمالهم ... ومن الحكم اليونانية الشهيرة : « العقل السليم فى الجسم السليم » وقد ثبت فى علم النفس : « أن هناك صلة كبيرة بين الجسم والعقل ، فما يؤثر فى الجسم يؤثر فى العقل ، وما يؤثر فى العقل يؤثر فى الجسم ، فلكى يستطيع الإنسان القيام بأعباء الحياة : يجب أن يكون قوياً فى جسمه سليماً فى عقله » .

وقد عنى الاسبرطيون قديماً بالناحية البدنية ، والقوة الجسمية كل العناية ، قال أحد الحكماء : « إن الحياة عدو لا يستطيع التغلب عليه إلا من كان قوياً فى جسمه ، شديداً فى بأسه » .

والمؤمن إذا أعطى عقلاً سليماً ، فى جسم سليم طابت حياته ، وعاش سعيداً هانئاً ، يقبل على عمله ، وهو مغتبط ، ويزيد فى إنتاجه ، وهو أتم مايكون تفاؤلاً وانشراحاً .

وقديماً أثنت ابنة شعيب على نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ فقالت لأبيها ، مبدية له إعجابها بقوته وفتوته ، وأمانته وعفته :

﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

(القصص ـ ٢٦)

وفى سورة النمل : يعتز جند الملكة بلقيس : بقوتهم وشدة بأسهم

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾

(النمل ـ ٣٣)

وفى سورة الفتح ثناء من الله ـ تعالى ـ على النبى وصحابته ، وتنويه ببطولتهم وشجاعتهم :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

(الفتح ـ ٢٩)

ومن كان قوياً : عاش عزيزاً ، يهابه العدو ، ويخشى بأسه الحاقد .

---

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه .

أما الضعاف المهازيل فإنهم يعيشون على هامش الحياة ، يطمع فيهم الطامعون ، وينال منهم الأعداء تلك سنة الحياة .

من هذا كله تتضح لنا الحكمة فى تحريم المخدرات . . هذا فضلاً عما روى فى الصحيح : عن أم سلمة زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنها قالت : « نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كل مسكر ومفتر » (٣)

والأمة الإسلامية كلها من خليجها إلى محيطها فى حاجة شديدة إلى المصانع . . إلى العمال . . إلى المال . . إلى السواعد القوية ، والأيدى العاملة المنتجة ، والنفوس الأبية ، والقلوب الفتية ، وذلك يكون بمحاربة المخدرات والمسكرات ، وعدم تسرب سمومها إلينا ، والضرب بيد من حديد على أيدى تجارها ، ومروجيها ، ومدمنيها المصرين على مداومة تعاطيها ، حتى نبنى جيلاً قوياً فتياً .

الوسائل العملية لمكافحة المخدرات :

يمكن تلخيص هذه الوسائل ، حسب علمى أو ما وصلت إليه من علم فى ست نقاط :

الأولى : تخصيص أسبوع من كل عام تجند فيه جميع وسائل الإعلام المختلفة على أن يقوم الوعاظ وأئمة المساجد ، والأطباء ، وعلماء الاجتماع بالتحذير من الوقوع فى براثن هذه السموم الفتاكة .

الثانية : إيجاد وحدة صحية فى كل محافظة ، لعلاج المدمنين ، على أن يتردد عليهم : أثناء فترة العلاج بعض الدعاة ، لبيان أضرار تعاطى المخدرات دينياً وصحياً واقتصادياً واجتماعياً ، حتى لا يفكروا فى العودة إليها بعد تمام شفائهم .

الثالثة : يقوم الوعاظ والأئمة بالتوعية الدينية ، بين وقت وآخر فى التجمعات الكبيرة الموالد ، والأندية ، ومراكز الشباب ، ومراحل التعليم المختلفة ، لتبصير المواطنين بمدى خطورة تعاطيها .

الرابعة : تطبع كتيبات بأسلوب سهل مبسط ، للتنفير منها فى ضوء تعاليم الإسلام ، وتوزع بأثمان رمزية على أوسع نطاق ، تعميماً للفائدة .

الخامسة : يقضى الحاكم بالتعزير على متعاطى المخدرات ، متى ثبت ذلك بشهادة الشهود ؛ بأن يحبس أو يجلد دون الحد .

السادسة : التعاون مع رجال الأمن فى محاربة هذه السموم ، التى تضر بالمجتمع ، ولا نلقى العبء على المسئولين من رجال الحكومة وحدهم ؛ فإن هذه الروح إذا سرت فى أمة صيرتها إلى الفناء ، وذابت شخصيتها سريعاً ، من بين الأمم الحية الناهضة . . فإن رجال الحكومة لا يعلمون الغيب ، ولا يعرفون ما يجرى من وراء حجاب ، والأمة يعلم بعضها بعضا أكثر من الحكام الذين تولوا من الناس ما يقع تحت حسهم (وإن كانت لهم أساليبهم ووسائلهم الناجحة فى هذا المجال) فإن لم نتعاون معهم كنا آثمين ، وعندئذ يعم الشقاء ، ويشيع الفساد ، والله تعالى يقول :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

(الأنفال ـ ٢٥)

---

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه .



وعبرة المال فى محكم القرآن

لفضيلة الشيخ
عبد الرحمن صان الدين

المال ـ بمختلف أعيانه وأنواعه ، فى كل زمان ومكان ـ له على الإنسان سلطان قاهر ، وحكم نافذ ، وللإنسان به سطوة وصولة فى كل دولة ؛ فهو يخطف الأبصار ، ويعصف بالألباب ، ويستحوذ على المشاعر ، بمظاهره الساحرة ، وفاعليته القادرة ، فيستسلم الإنسان لدواعيه ، ويصير أسيرا له بحركة فى الحياة كيف يشاء ، لايحس إلا به ، ولايفكر إلا له ، ولايرى إلا من خلاله ، وتلك هى آفة البشر فى كل عصر ، إلا من عصم الله ، وإنهم لقليل لايسمع لهم صوت ، ولايطاع لهم أمر ، وذلك هو الذى جعل لليهود ـ وهم شتات غير متجانس ـ صولة ودولة ، ونفوذا وإرادة ، فهم دهاقنة المال وشياطينه ، ودهاته وسدنته ، به يتكلمون وله يفكرون ويعملون فى دأب ، بلا يأس أو ملل لأنه سلاحهم الماضى ، وسلطانهم الطاغى ، وما الواقع الحاضر إلا صدى للغابر ، فما مكن اليهود من أرض فلسطين المباركة إلا سلاح المال .

ولكن هل المال وحده بكل جبروته وسحره ، يكفل للإنسان فى الحياة سكينة النفس واطمئنان القلب وسلامة المنقلب ؟ التاريخ والحاضر المشاهد يقولان : كلا .. فاليهودى على مر الزمان ، وتعاقب الأجيال ، ومختلف الأصقاع والأوطان عاش قلقا مشردا مُرَوَّعا ، يعانى من وحشة الاغتراب ، ويتوجس خيفة حتى فى مأمنه ، ويرتاب حتى فى نفسه ذلك على الرغم من دهائه ومكره ، وحيلة وخدعه التى لاتلبث حتى تنكشف فتكون القارعة عليه ، ومع ذلك لايرعوى ولايزدجر ، فيسير فى خط مستقيم سالما مواردها. متصالحا مع الإنسانية التى طالما ناصبها العداء ،

وتنص عيشها بالحقد الأسود الذى تجرّث به نفسه العليلة ، والذى ورثه من آبائه وأجداده الذين قتلوا الأنبياء ، ورموا بالإفك والبهتان الأبرياء الأطهار .

تلك حقائق أظهر وأثبت من أن يمارى فيها ممار أو مشاحن أوردتها حين ابتدرت خاطرى ، وأنا أدلف إلى قصة المال التى جاءت فى القرآن .

وقصة المال فى سطوته وجبروته ، وأبهته وهيلمانه ، يسوقها لنا القرآن الكريم فى قصة (قارون[1]) . بإعجاز معجز ، ونسج محكم مشتملة على ظلال وأصداء معبرة عن طباع الإنسان ، ومواطن الضعف فيه ، كما تقرر أن فى كل ملة ونحلة عقلاء مبصرين ، يرون الأشياء والوقائع فى حجمها الحقيقى ، ولونها الطبيعى ، ينصحون وإن لم يسمع لهم نصح ، ويجهرون بكلمة الحق وإن تجاهلها المبطل وشاح عنها المغرور ، حتى إذا بلغت الفتنة مداها جاءت النهاية الرهيبة المروعة التى لم تكن تخطر على بال ، ولايبلغها الخيال ويصحو الغافل ، وينيب المفتون ويعتبر المعتبر .

وإليك أيها القارىء لمحات من وقائع تلك القصة المعبرة فى صدق الزاجرة فى رفق ، والتى وقعت فى غابر بنى إسرائيل ، والتى يتكرر أبطالها وفصولها فى كل زمان ومكان ، وإن اختلفت المظاهر والصور ، إنها قصة الفتنة الشمواء ، والبَطَر والخُيَلاء ، والجحود والنكران ، وكل الخصال الكامنة فى جبلة الإنسان المجرد من الإيمان .

﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ ﴾ذلك أصله ونسبه ، وتلك عترته من قوم موسى ، وقوم موسى تاريخهم حافل بالمكر والكبر والبغى ، ومخالفة كل شرع ومنطق ، وكأنهم خلقوا من عنصر غير عنصر البشر ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ اعتدى على قومه ، وأفرط فى العدوان ، ولم تردعه وتكف عدوانه آصرة القربى ، ووحدة الدم ، ومن هذا البغى والعدوان جمع ثروته الطائلة التى آتاها الله له ، لحكمة بالغة ، والله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ، ولكنه لايعطى الآخرة إلا لمن يحب ، وقد بلغت تلك الثروة من الاتساع والضخامة إلى حد أن مفاتيح خزائنها يعجز عن حملها العصبة من الرجال الأشداء ، فما بالك بالثروة نفسها التى سماها القرآن كنوزا لدنسها وخبث مصادرها وأسبابها ، وهل ثم أقبح وأخبث من البغى ، وكل مال يجمع ويكدس من سحت أو يغفل حق الله فيه فهو كنز دنس ، وهو مال مهدر لابركة فيه ، مهما اغتر به صاحبه ، وافتتن به قصير النظر سقيم الوجدان .

ولما نفخ الغرور أوداج قارون ، وراح يشمخ بأنفه ، وقد استطار شره ـ وتلك هى لازمة المال الحرام عند أكثر الناس ـ تقدم له قومه بالنصح الخالص الصائب الذى يتضمن النهى عن الفرح ، والبطر لأن ذلك لايحبه الله خالقه ورازقه ، ويتضمن الأمر بتوظيف المال واستخدامه فى وجوه الخير والإحسان التى تؤدى إلى النجاة والسلامة فى الآخرة ، ومع هذا له أن يستمتع وينعم بطيبات الرزق من غير شطط أومباهاة ومراءاة ، وتلك هى عناصر الحياة السعيدة



(1) آية ٧٦ وما بعدها إلى آخر آية ٨٢ من سورة القصص

الرشيدة ، وذلك هو سلوك العقلاء ، وهذا هو الهدف من المال فى الحياة عند من وعى وأبصر ، ولكن قارون يجيب الناصحين قائلا : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ بعلمى أنا ، وخبرتى ومهارتى أنا وحدى ! إجابة تجسم الغرور والصلف اللذين يستحوذان على مشاعر وفكر أكثر أصحاب المال ، وكانزى الذهب .

والسؤال المطروح من قديم الزمان ، والذى يتبادر إلى الأذهان هو أى علم ذلك الذى مكن قارون من جمع وتكديس تلك الكنوز الهائلة ، أهو العلم الكيميائى الذى يحول المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة ـ كما قيل ـ وهذا أمر لاحقيقة له فى الواقع ، ولكنه حلم طالما داعب أحلام الباحثين والعلماء فى مختلف العصور ، أم أن علم قارون كان ينحصر فى مهارته وخبرته فى البغى والعدوان والاستغلال ، واستجلاب المال بكل وسيلة لاتعرف المعانى الإنسانية ، ولاتقيم للقيم العالية والنبل والشرف وزنا ـ كما هو شأن اليهود ـ وما أحسبه إلا كذلك ، والمال شغوف بالتباهى والتظاهر ، فلابد لصاحبه من إبراز وعرض إمكاناته وقدراته أمام الجماهير ، ليطرب هو وينتشى ، ولو كان فى ذلك الحسرة والأسى لغيره من الناس ولو كانوا أقرباءه وعشيرته ، وهاهو قارون يلبى داعى النفس الخبيثة العليلة ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ﴾ هكذا .. انظر إلى هذه الجملة التى لاتتألف إلا من ثلاث كلمات وحرفين ، ولكنها تنقل إلينا من الغابر مشهدا حافلا بالصور زاخرا بالمشاعر والأحاسيس ، فكل كلمة فيها ، وكل حرف يرسم جانبا من جوانب المشهد الهائل ، ويلقى فى حواس القارىء الظلال والألوان التى تجعله شاهدا يرى ويسمع ذلك الذى وقع فى غابر الأزمان ، وكأنه واقع الآن يشهده (فخرج) إنه خروج بتخطيط وتدبير وإعداد لهدف ، فهو ـ أى قارون ـ محجب خلف أسوار قصره فى متعه ولهوه ولذاته ، فلا تراه العيون إلا لماما ، وفى هيئة خاصة ، وهالة مبهرة ، وهاهو ذا يلوح للناظرين المتجمعين فى طريق موكبه فى صلفه وتكبره شامخا بأنفه ، وعلى مَنْ ؟! على قومه ، وهذا المعنى يوحى به الحرف (على) فى الآية ، فلو جاء بدله الحرف (إلى) لكان المعنى مستقيما أيضا ، ولكنه لايعطى الصورة المراد إبرازها فى المشهد ، صورة العجرفة والتعالى ، ثم تأمل الحرف (فى) قبل كلمة (زينته) إنه يجعلك ترى قارون غارقا فى الحلية والزينة ، وليست هى ككل زينة ، ولكنها زينة خاصة به لايشاركه فيها ، ولا يقدر على التزين بها غيره ، وهذا هو مفهوم إضافة الزينة إلى الضمير العائد إليه فى كلمة (زينته) بخلاف لو جاءت بدلها كلمة متزينا أو زينة بالتنكير ، ولكنه القرآن .... ولكنه القرآن .... كل حرف فيه ، وكل إسناد ، وكل تعريف أو تنكير تكمن فى طياته المعانى الباهرة المذخورة لحينها المقدر فى علم الله أزلا .

وإزاء هذا المشهد الباهر ، مشهد الأبهة والعظمة ، وبريق الحُلى من الذهب والدر والجواهر ، وبين الحاشية والحجاب والحراس ، إزاء هذا الموكب الساحر الأخاذ انقسم الناس إلى فريقين :

الفريق الأول ـ وهو الأعم الأغلب ، كما هو الشأن فى كل مجتمع ـ وقف مبهورا مأخوذا مفتونا بما شاهد لأنه لايرى إلا ظاهرا مُبَهْرَجًا ، ولايلمس إلا قشرا مُزَخْرَفًا ، فلا يعمق بفكره إلى جوهر الحياة ، وحقيقتها الخالدة ، ولايعنيه ولايستقطبه إلا متاع الحياة الدنيا المشاهد والمنظور ، فراح فى أسى وتحسر يتمنى مثل ما أوتى قارون ، ويغبطه

على ما هو فيه من نعيم ومتاع ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

والفريق الثانى ، وهو القليل المبصر الواعى العليم ببواطن الأمور ، وحقيقة الحياة وأبعادها ، راح ينعى ويستنكر ، ويحذر ، ويرشد ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ إذا ثواب الله ، والخير الدائم الخالص المقيم الذى لا شائبة فيه لاينال إلا صاحب المواصفات الخاصة ، التى هى الإيمان والعمل الصالح ، والصبر ، الصبر على الحرمان من متع الحياة ولذائذها المحرمة ، وكبح جماح النفس ، والقدرة على صرف النظر عن مباهج العيش البراقة الآثمة ، وهل الحياة الدنيا إلا ساعات وأيام سرعان ما تنقضى وتتلاشى بما يتراءى فيها من بروق وظواهر ، ولا يبقى إلا الحق ، والعمل يصحب صاحبه إلى حيث البقاء والخلود ، فالبهرج يصدأ ، وبريق الفجر الكاذب لايلبث حتى يختفى ، ويعقبه الظلام الدامس ، والله الحكيم الخبير أرحم بعباده من أن يدعهم لسطوة الغرائز والميول ، وفتنة الزخارف والزينة تستبد بعقولهم وعواطفهم ، فتهوى بهم فى مكان سحيق من الارتكاس فى وهدة المادية المحضة ، فما أن بلغ الزخرف مداه ، والغرور منتهاه ، والفتن من الفتن أو كاد ، وصبر من صبر ، حتى تداركت رحمة الله البسطاء الأغرار الذين كادوا أن يفتتنوا ، فجاء الحسم ، ونزل القضاء المبرم ، والجزاء العادل ، وعلى حين غرة ، ومن غير توقع ، تلفت الناس فى ذهول إلى قصر قارون الباذخ المنيف ، فلم يجدوا له ظلا أو أثرا لقد ابتلعته الأرض ، واختفى بمن وما فيه فى طرفة عين ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ وكلمة (خسفنا) فيها معنى الانتقام والتنكيل ، بكل باغ مغرور مهما بلغ من القوة والتمكن ، ومهما أمد الله له فى الإمهال ، ذلك فضلا عن معناها الأصل وهو الغور والذهاب فى باطن الأرض ، فهل نفع المال والجاه والحراس والحاشية قارون ؟

وهل حماه كل ذلك من بطش الله ونقمته ؟ كلا .. ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ ولكن الإنسان فى نشوة الثراء والسلطان والجاه يعمى فلا يبصر إلا المتاع الموقوت ، ويصُم فلا يسمع إلا نداء النفس الأمارة بالسوء .

وأمام ذلك المشهد الرهيب الصاعق ، استيقظ النائم ، وعلم الجاهل أن العبرة فى الحياة والمدار ليس بوفرة المال ، ولا برفاهة العيش وألوان النعيم ، وأن الإنسان مع صلفه وغروره وقوته لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ولايرد جائحة أو قارعة ، وأن الأمر كله ، أوله وآخره بيد الله وحده يعطى ما يشاء لمن يشاء ، ويمنع مايريد عمّن يريد فضلا منه وكرما أو إملاء ومكرا .

عاد إلى المفتونين صوابهم الشارد إزاء ذلك المشهد الرهيب فوقفوا يضربون كفا بكف فى ذهول وعجب بالغين ، وغيرت الفجاءة المأساوية المشاعر من الانبهار ، والإعجاب ، والتمنى إلى النقيض ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ إن الحقائق لابد وأن تسفر مهما توارت حينا خلف بريق الزيف أو ضباب الخداع والوهم مما يُلَبِّس على الإنسان الطريق المستقيم ، ويستهويه فى غفلة العقل وخَدَر الشعور .

البقية ص ٦٢٠



استفتاءات القراء



لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد/ سعيد كمال محمد

قلت لزوجتى على إثر مشادة : أنت طالق ، وراجعتها فى نفس اليوم ، ومرة ثانية قلت لها : لو رفعتِ الطرحة من على صدرك تكون طالقا ، وكان ذلك على سبيل التهديد فقط ، ولم أقصد به طلاق الزوجة

ومرة ثالثة على إثر مشادة كلامية قلت لها : أنت طالق ، وكان ذلك منذ خمسة عشر يوما ، وأريد مراجعتها ؟

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

فنفيد بأن الطلاق وقع ، ويحسب به طلقة أولى رجعية ، وقد راجع الزوج زوجته فى عدتها فتكون الرجعة صحيحة .

واليمين الثانية معلق على شرط لم يقصد به الحالف طلاق زوجته فلا يحسب يمين طلاق ، ويلزم الحالف كفارة يمين ، وهى إطعام عشرة مساكين ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام !

واليمين الثالثة يمين طلاق حسب به طلقة ثانية رجعية ، ومازالت الزوجة فى عدتها ، وقد راجعها الزوج اليوم أمام اللجنة ، وتبقى الزوجة فى عصمة زوجها على طلقة واحدة أخيرة ، والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال من السيد/ محمود على محمود يقول فيه :

عقد شاب على فتاة عقدا رسميا وكتب لها قائمة منقولات حسب المتفق عليه نظير مقدم

المهر ، وذكر لها مؤخر صداق فى وثيقة الزواج ، وسافر إلى السعودية ، ثم بعد فترة توفى إلى رحمة الله تاركا الزوجة المذكورة ، وأما ، وأبا ، وأخوة ، فمن يرث وما نصيبه علما بأنه لم يدخل على الزوجة ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد بأنه بموت الزوج قبل الدخول حل للزوجة المهر جميعه مقدمه ومؤخره مثلها مثل المدخول بها ، فإنها تستحق مؤخر الصداق ، وكذلك قائمة المنقولات أو قيمتها تخرج من تركته وترث فيه الربع فرضا إذا لم يكن له ولد ، ولأمه ثلث الباقى ، والباقى للأب تعصيبا ، ولا شىء للأخوة لحجبهم بالأب ، والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال من السيد/ جمال مهران :

يريد نجلى الزواج من نجلة شقيقى .. واتضح أن والدتى (جدة ابنى) أرضعت نجلى شهرين ؟ فهل يجوز الزواج .

وهل بهذا الرضاع تكون شقيقى شقيقة لنجلى من الرضاع فيحرم الزواج ؟

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فنفيد : صاحب السؤال والراضع من جدته صارت جدته أما له فهو أخ لأبيه وعمه وعمته ، فلا يجوز له أن يتزوج من ابنة عمته لأنها ابنة أخته من الرضاع ، وتحرم عليه حيث إنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .. والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال من/ سامى السيد على نصار ـ قرية روينة ـ محافظة كفر الشيخ .

أرجو إفادتى عن السؤال التالى ولكم خالص التحية .

يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾

(١١٣ ـ هود) .

(أ) مامعنى هذه الآية الكريمة ؟

(ب) وما معنى قول الرسول ـ ﷺ ـ « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبى ذر » الحديث .

(جـ)وما هى شروط تقبل الصلاة ؟

وهل يجوز أن يكون المأذون امرأة ؟

أرجو الإفادة ولكم خالص الشكر .

الجواب :

(أ) الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فالمعنى فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ .

(١١٣ ـ هود)

أى لا تستندوا إليهم وتطلبوا معونتهم على ظلم أحد ، ولاتتعاونوا معهم على الظلم تصديقا لقول النبى - صلى الله عليه وسلم - « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، ومن المعلوم أن من أعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه .

ويقول النبى - صلى الله عليه وسلم - « اتقوا دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » ، لأن الظلم يؤدى إلى الدمار فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

(ب) حديث : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة . . إلخ حديث صحيح ، ولا إله إلا الله له حق وحقها إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلا ، وتطبيق منهج الله تعالى .

(ج)وأما شروط تقبل الصلاة ففيها حديث قدسى : « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، وقطع نهاره فى ذكرى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، ورحم الأرملة والمسكين والمصاب » .

ولا يجوز أن يكون المأذون امرأة ، لأن المأذونية تشبه القضاء ، وفيها يجتمع الرجال لعقد القران ، وحضور بالمساجد وحتى لا تختلط المرأة بالرجال الأجانب .

●●●

أرجو من سيادتكم التفضل بالإجابة ولسيادتكم جزيل الشكر ووافر التحية مع رجاء التوضيح جزئية من السؤال :

١ - أعمل مدرسا بمدرسة حكومية وبعد انتهاء الدراسة وبدء الأجازات بالنسبة للطلبة تقوم بتقسيم الحضور للمدرسة بين العاملين بالمدرسة ، ونتناوب الإمضاء فى دفتر الحضور والانصراف بالمدرسة بالحضور والانصراف للغائبين عن العمل والحاضرين الكل حضور ، فما حكم الإسلام فى عملنا هذا ، وحكم الأموال التى نقبضها (المرتب) وإن كانت حراما كيف نستطيع التكفير عنها ؟

٢ - أعمل ضابطا بالقوات المسلحة ، وأصرف بدل تعيين مع المرتب ، ومع ذلك قمت بصرف تعيين لى من طعام الجنود أيام مضطرا وأيام أخرى غير مضطر ، فكيف يمكننى التكفير عنها ؟

٣ - هل مدير المدرسة يعتبر ولى أمر يجب طاعته على العاملين تحت قيادته ، وله أن يسيطر على حضور وغياب وانصراف العاملين يمضى لمن شاء ويصرف من يشاء قبل ميعاده بدون محاسبتهم إداريا وماليا عن ذلك طالما أن العمل لن يتأثر ونتائج المدرسة لن تتأثر بعدم الالتزام ، بالميعاد المقرر ومدة العمل وإنه المسئول والمحاسب الوحيد من قبل الوزارة .

٤ - قمت بصرف أموال من البحث الاجتماعى أثناء دراستى بالجامعة بدون وجه حق ، وكذلك قمت بتصوير كتب للأساتذة بالجامعة ؟ فكيف يمكننى التفكير عنها ؟

الإجابة :

ردا على رسالة السيد/ سعيد محمد - بلبيس شرقية - نقول :

جـ ١ : مادام الحضور للعاملين بالمدرسة من صلب العمل ولابد منه ، فلابد من الحضور بالفعل والتوقيع بالحضور والانصراف بالفعل والتوقيع للغائبين يعتبر كذبا وتزويرا وغشا فى العمل ينهى عنه الإسلام ، ولكن إذا أقرت وزارة التربية هذا العمل ورضيت به بدون أن يترتب على ذلك ضياع لحقوق الطلاب والعمل الدراسى ، باعتبارها أنها المسئولة عن هذا العمل فلا حرمة فى ذلك ، وفى هذه الحالة يكون المرتب حلالا إذا اعتبرت هذا الوقت من الأجازة الصيفية حقا للمدرسين والعاملين بالمدرسة ، وعلى من يقع فى هذا الخطأ أن يستغفر الله ويتوب ويتصدق ويصلى ويؤدى العمل كما هو مطلوب .

جـ ٢ : لا يجوز شرعا لمن يأخذ بدل تعيين مع المرتب أن يصرف شيئا من طعام الجنود ، لأنه ليس حقا له إلا برضا الجنود عن طيب خاطر بدون إكراه لهم ولا حياء منهم ، وإذا كنت مضطرا لهذا الطعام فلك أن تأكل وتدفع قيمته من مرتبك لأصحابه المستحقين له والمصروف باسمهم ، إلا إذا اعتبروك ضيفا عليهم برضاهم ، ففى هذه الحالة لا حرمة عليك .

جـ ٣ : مدير المدرسة مسئول عن المدرسة فى حدود اختصاصاته ، وكل مدرس وكل عامل مسئول عن عمله فى حدود عمله ، قال صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » من غير ظلم ولا مجاملة لأحد ، ولا بد من طاعته شرعا وقانونا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « عليكم بالأمر والطاعة ولو ولى عليكم عبد حبشى » الحديث ، إلا إذا أمر بمعصية فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فالطاعة واجبة مادامت لله ورسوله وصالح المؤمنين ، وصالح العمل المطلوب .

جـ ٤ : صرف أموال البحث الاجتماعى أثناء الدراسة خاصة لفقراء المسلمين وغير المستطيعين منهم على مصاريف الدراسة ، وأخذه بغير حق يعتبر أكلا لأموال الناس بالباطل ، قال صلى الله عليه وسلم : من أخذ أموال المسلمين يريد أداءها أدى الله تعالى عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله تعالى ، وعليك أن ترد ما أخذته إلى مصدر أموال البحث الاجتماعى أو إلى مجلس الأباء ليصرف بعد ذلك لمستحقيه ، وليس عليك شىء فى تصوير كتب الأساتذة بعد إذنهم لك بذلك ، أو لم تكن مستطيعا لشراء مثل هذه الكتب الغالية بالجامعة ، فلك أن تصور مالم يترتب على ذلك ضرر للغير .

●●●

أعمل فى محل رخام ، وأقوم بحفر الكتابة والرسومات وأحيانا يطلب منى حفر صليب ، وبجوارنا مسجد ، وأفتانا بعض شبابه بأن هذا العمل حرام ، ولا يجوز العمل به ، فهل فعلا رسم الصليب وحفره على الرخام حرام ؟

وهل إذا كان حراما فعلى من تقع الحرمة على صاحب المحل أم على العامل الذى يحفر أم على الكاتب الذى يكتب أم عليهم جميعا مثل الخمر ؟ علما بأن هذا عملنا الذى نعيش منه ؟

الإجابة :

ردا على سؤال السيد/ محمود محمد على ـ الإسكندرية :

الأعمال الفنية كالكتابة والحفر على الرخام فى حد ذاته ليست فيه حرمة مالم يؤد إلى شرك أو يدعو إليه أو يؤدى إلى شيء يتنافى مع تعاليم الإسلام إلا أن الصليب رمز اتخذه المسيحيون للدلالة على أن المسيح قد صلبه اليهود أو رمز على التثليث عند بعض طوائفهم ، والقرآن الكريم صريح فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾

(النساء - ١٥٧) .

فمثل هذا العمل يعتبر تأييدا أو تشجيعا على هذا الاعتقاد الذى يتنافى مع صريح القرآن أو على أقل تقدير فيه شبهة ، والأفضل البعد عن الشبهات .

وعليكم جميعا أن تبحثوا عن أعمال فنية من كتابة ورسومات كثيرة بعيدة عن كل ما يتعارض مع تعاليم الإسلام ، وعملكم هذا الذى تعيشون منه يجب أن يكون فى عمل حلال لاشبهة فيه ولا حرمة والغاية لا تبرر الوسيلة ، فالرزق غاية والعمل وسيلة ، والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : « اللهم ارزقنا رزقا حلالا » والله أعلم .

●●●

السؤال من السيد : س . أ . س :

ترجو معرفة حكم الدين فى المسائل الآتية :

١ - شخص مارس مع غلام صغير مقدمات اللواط ، ولكنه لم يطأه فى دبره ، فهل يعد هذا الشخص لائطا ، وهل أخت هذا الغلام الصغير أصبحت لا تحل لهذا الشخص إذا أراد الزواج منها ، وكيف يتوب هذا الشخص ؟

ملحوظة : ما فعله هذا الشخص بالتحديد هو الآن - وهذا بالطبع ياسيدى لن ينشر فى المجلة ، ولكنى آثرت أن أذكره حتى تكون الصورة واضحة أمام من سيقوم بالإفتاء ولن أستحى فى طلب العلم - بعض المداعبات باليد - تلاقى الأعضاء الذكرية مع بعضها البعض - قبلات - لامس ذكر الشخص دبر الغلام ولكن كان بينهما حائل يتكون من بعض الملابس ولم يحدث أى إيلاج .

٢ - المسألة الثانية : شخص نظر إلى امرأة واشتهاها فى نفسه ونظر إلى بعض محاسنها فهل يحل له أن يتزوج من ابنة هذه المرأة ؟

ملحوظة : هذه المحاسن هى : (أعلى الصدر - أعلى الفخذين - ولكنه لم ير فرجها) . وهذه الملحوظة بالطبع لن تنشر .

أرجو سرعة النشر ، وجزاكم الله خيرا .

الإجابة :

ردا على رسالة/ س . أ . س فى السؤال الأول .. نقول :

جـ١ : اللواط حرام بنص القرآن الكريم ، قال تعالى فى قوم لوط ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ الآيات .. ورجمهم الله من فوق سبع سموات ، وجعل عالى الأرض سافلها وأمطرهم بحجارة من سجيل ، وحرام بنص قوله

تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾

(المؤمنون ـ ٥)

إلى قوله تعالى :

﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

(المؤمنون ـ ٧)

المعتدون على حدود الله ، وعلى من وقع فى هذا الإثم أن يتوب إلى الله توبة نصوحا ، وأما عن أخت هذا الشخص الذى وقع معه اللواط فإنها لا تحرم عليه ، فيحل له أن يتزوج بها ، لأن الحرام لا يحرم الحلال .

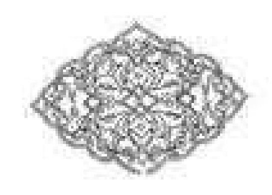
جـ ٢ : النظر إلى المرأة الأجنبية بشهوة حرام ، لقوله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾

(النور ـ ٣٠)

والنظر الحلال هو نظر الخاطب إلى مخطوبته عند الخطبة لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » ، ونظر الرجل إلى زوجته حلال ، وللإنسان بالنسبة للنظر إلى الأجنبية النظرة الأولى له والثانية عليه .

ويجوز للرجل الذى نظر إلى امرة نظرة محرمة أن يتزوج من ابنتها .





الجانب الآخر من الوعى الحضارى

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

تميزت الحضارة المعاصرة ، عما سبقها من حضارات أحصاها المؤرخ الإنجليزى توينبى فى كتابه الضخم « دراسات فى التاريخ » فى عشرين حضارة ، تميزت بتقدمها التكنولوجى ، الذى بات يسيطر على كل مظاهر الحياة المعاصرة ، وانشغل الإنسان بها ، وغاب عنه البعد الدينى والأخلاقى ، ولا شك أن كل كيان حضارى ، لا يمكن أن يحتفظ بحضارته إلا إذا كانت قيمه الخلقية ثابتة مستقرة ، وفى مأمن من التساؤل الفلسفى ، وبذلك يصبح التطور الحضارى فى ظل الصلة الوثيقة بين الدين والأخلاق ، فى مأمن من الانهيار كما تصبح القيم الأخلاقية مشتملة على عنصر الثبات والدوام ، الذى تتميز به الأخلاق الدينية .

ولما كان الوعى الأخلاقى المعاصر لا يرى فى الأخلاق إلا جانب المنفعة ، وسيطرة الرغبات المادية ، فكان على المرء أن يصنع أخلاقه بنفسه ، وفق متغيراته ، لا وفق مبادئه الأخلاقية ، وعليه أن يختار بين الفردية والعزلة ، مقابل التكافل والتضامن ، كما أصبح يهتم بالأشياء أكثر من اهتمامه بالدين .

من هنا عرض صاحب كتاب عصر المسئولية : حوارات حول الأخلاق . وهو مجموعة حوارات مع أعلام المفكرين الفرنسيين أعدها فردريك لونوار ، وفيه يتساءل عن سر الأزمة الأخلاقية للعالم المعاصر ، وكانت الإجابة تختلف باختلاف زوايا المشكلة الأخلاقية ، ونوع التخصص والثقافة فى تناولها ، وعرض المشكلة والإجابة عنها ، وكان أهم مالفت نظرى : اتفاقهم على أن ثمة مشكلة أخلاقية ، وتشكل أزمة فى مسيرة الحضارة المعاصرة ، وقد تؤدى إلى انهيارها ، وكان عرضهم للمشكلة يجذب الانتباه إلى قراءته

وتعمقه ، ويثرى التأمل ، كلما ازداد سبر أغواره ، فمنهم من يرى : أن أهم أسباب تشوش الوعى الأخلاقى المعاصر يكمن فى كون التكنولوجيا قد أصبحت تسيطر على كل مظاهر الحياة البشرية ، فقديما كانت الآية عكس ذلك .

فكانت المعتقدات تتحكم فى التكنولوجيا المستخدمة ، من ناحية كونها فنونا إنتاجية . أما العصر الحالى ، ففيه أصبحت التكنولوجيا هى التى تسيطر على المعتقدات ، والتشريعات ، وحتى على اللغات ، فكثير من اللغات تبدو هزيلة جدا ، أما التطورات المذهلة للتكنولوجيا ، وهكذا لا يستطيع الوعى البشرى أن يفهم فهما واعيا سطوة التكنولوجيا عليه ، فهى قد خرجت من نطاق فهمه ولغته .

إن هناك العديد من المزايا الإيجابية للتكنولوجيا ، لكن الجانب السلبى لها هو الذى يهدد بالسيطرة ، ففى الجانب السياسى والعلاقات بين الدول ، فغى التقدم التكنولوجى ، فى إنتاج السلاح ، على الحوار بين الدول ، وعلى لغة التفاوض ، وهدد قيم العلاقات القائمة على قيم الإخاء الإنسانى فمن الممكن تحت تأثير القوة أن يتسبب خلاف تافه بين دولتين ، فى مقتل مئات الآلاف من البشر ، فى أقل من يوم واحد . . . وهذا نتيجة تقدم تكنولوجيا السلاح . . مع أن القوة غير قادرة على أن تمنحه الحكمة ، ويأخذون المرأة مثالا على الانتصار لقضاياها أمام الرجل ، لكونها ضعيفة جسمانيا ، واقتصاديا عنه ، فإن المرأة على الرغم من ذلك ، قد تمكنت من أن تكتسب مكان المساواة ـ ليس عن طريق القوة ـ بل عن طريق المودة والرحمة . . فعلى الرجل أن يتعلم تلك القيم لفض منازعاته . بيد أن التعقيد التكنولوجى ، وما اخترعه من أجهزة « الكمبيوتر » جعل العقل البشرى يستسلم أمامه ، وكف وعيه الذى أصبح مشوشا عن تأمل فى الخالق ، وأصبح مشغولا بالأشياء الحضارية ، وهى كثيرة ومتنوعة ، ولم تعد لديه فكرة عن الله ، إلا فيما يرتبط بالعقاب أو الكوارث ، فبعد ما كان الإنسان يتدبر الله ، كمدبر لنظام الكون ، فإن الله لدى الإنسان المعاصر يرتبط بمظاهر اختلال الكون ، كحدوث زلازل وبراكين ، ومرض الإيدز ، والفارق بين إنسان يرى الله فى كل شىء ، وإنسان يرى الله من خلال المصائب والكوارث ، هو أن هذا الإنسان المعاصر يعيش فى بيئة صنعها الإنسان وشوهها ، فكل مايراه حوله : ناطحات سحاب ، وسائل مواصلات . . الخ بينما يختفى ماعدا ذلك من مخلوقات الله ، من أنهار ، وحيوانات . . وهذا يعنى : أن البيئة التى يعيش فيها الإنسان المعاصر لم تعد بيئة طبيعية ، بل تدخل فيها بالتغيير والتشكيل ، واختفت تلك البيئة ، التى تمتلىء بدلائل قدرة الله .

ولذلك يزداد الإنسان المعاصر بعداً عن الدين ، وعن الله ، ولهذا يمكننا القول : إن وعى الإنسان قد أصبح يتأمل أفعال نفسه ، فى كبرياء وغطرسة . وأصبح يبحث عما يبرر الأخلاق خارج الدين ، وعما يبرر الخير بعيدا عن الله ، وعما يبرر الفعل بعيدا عن النية . وذلك هو سر تشوش الوعى الأخلاقى لدى الإنسان المعاصر ، فلم تعد لديه قيم ثابتة تكون مرجعيته فى سلوكه وفعله ، بل عليه فى كل لحظة أن يتخذ قراراته الأخلاقية ، بينما لو أعاد إلى الدين مرجعيته لوجد فيه الإجابات على المشكلات الأخلاقية التى تواجهه ، باعتباره المصدر الوحيد لهذه الإجابات .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

أين المسلمون اليوم من الإسلام؟

للأستاذ/ أحمد حسن الزيات

إعداد وتقديم:
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الإسلام دين ودولة ، عقيدة وشريعة ، مبادىء ومثل ، فهو الصورة الكاملة لإقامة مجتمع صالح ، لا يشيع الطغيان فى أغنيائه ، ولا تسيطر المهانة على فقرائه ، فالقوى فيه قوى له ، والضعيف فيه قوى به .

دين أكمله الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضيه لخلقه ، ونسبه إلى نفسه ؛ والإسلام هو الإسلام لا يغيره زمن ، ولا يعاديه علم ، ولا تجافيه طبيعة ، ففى مبادئه وفى رجاله ما شهد به العدو قبل الصديق ، وما تحدث به الركبان فى كل زمان ومكان .

ولكن للأسف نرى الآن تدهوراً فى المسلمين ، وأصبحوا أذلاء ضعفاء ولعل السر فى ذلك



فقدان العقيدة السليمة ، التى سار عليها سلفهم حيث كانوا علماء للدين والدنيا ، وورثة الأولى والآخرة ، وبفقدها فقدوا النظام فى كل مرافق حياتهم ، كعقد انفرطت حباته فتتابع وتلاحق ؛ حيث ولوا وجوههم نحو مبادىء مستوردة ، حسبوها خيراً من دينهم وأقوم ، فاشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، والباطل بالحق ، طغى عليهم الجهل حتى خيل إليهم أنه العلم ، وقول الزور حتى اعتقدوه أنه الحق ، وفعل المنكر حتى ظنوه أنه المعروف ، ولو أن المسلمين رجعوا إلى دينهم ، واتبعوا سنة نبيهم بصدق وإخلاص ، لما أصبح هذا الحال ، الذى تنبأ به خير الأنام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ولمزيد من الإيضاح يقول الكاتب ـ رحمه الله ـ :

أصبح من المعلوم فى بداته العقل الحر أن الدين الإسلامى هو الصورة الكاملة لشرائع الله ، والقوة المهذبة لقوانين الطبيعة . وضع فيه شارعه الأعظم وهو فاطر الأرض ، وواهب الحياة ، ومنزل الوحى ، أسس القواعد التى تكفل للعالم نظامه وسلامه ، وللمجتمع وحدته وقوته ، وللفرد سعادته وكرامته ، مهما يتطاول الأمد وتتغير الحال . ومن غير الله جلت قدرته يفجر نور الهدى للأرض من غار مظلم موحش ، ويبجس نبع الحياة للناس من جبل مجدب وعر ؟ وهل كان لولا وحى الله فى غار حراء من جبل النور فى مقدور أمى نشأ ربيب اليُتم والعُدم فى قرية جاهلة من قرى الحجاز المقفر ، أن يعلن فى أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحرياته ، وهى الحقوق التى أعلنت بعضها فرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر بعد الثورة ، وأعلنت بعضها أمريكا فى أواسط هذا القرن بعد الحرب ؟

وما كان لبشر سليم الفطرة أن يستريب فى أن الدين الذى أكمله الله لنبيه ، ورضيه لخلقه ، ونسبه إلى نفسه ، هو وحده مصدر الخير المحض ، ومظهر الكمال المطلق ، وسبيل الغاية التى يجد عندها ابن آدم المكدود المجهود نفسا من كربه ، وراحة من تعبه ، وسكينة من اضطرابه ؛ تلك الغاية التى كان يراها ، منذ هبط العاصى من الجنة ، حداً لشقائه ونهاية لألمه ، فكان يتشوف إليها من وراء الغيوب ، ومن خلال القرون ، فلا يراها ، لا فى الحروب التى شن ، ولا فى النظم التى سن ، ولا فى الشرائع التى اعتقد ، حتى أراد الله للأغب الضال أن يهتدى ويسترفه ، فكان محمد هو المنار ، وكان الإسلام هو المرفأ !

إن من المبادىء التى ميزت الإسلام التوحيد وهو سبيل القوة ، والإخاء وهو سبيل التعاون ، والمساواة وهى سبيل العدل ، والحرية وهى سبيل الكرامة ، والبر وهو سبيل المحبة ، والسلام وهو سبيل الرخاء ، وكل هذه المبادىء معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف . وهى كما ترى تضمن أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجمل ما فى المدنية ، فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وأن تقيم ما اعوج من نظام الدنيا ، وقد كانت كذلك يوم كان لحماتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين ، فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا فى فدافد



الأرض ، لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى ، ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه .

أين المسلمون اليوم من إسلام عمر وخالد ، والرشيد والمأمون ، والناصر والحكم ، والعزيز والحاكم ؟ ألم يبلغ هؤلاء بفتوح الجيش وفتوح الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان والعمران ما لم تبلغه أمة من قبل ، فنزل على حكمهم الدهر ، ودخل فى ملكهم العالم ؟

إن الدين الذى رفع هؤلاء السادة والقادة إلى الذروة ، وضمن للخلافة فى عهودهم العزة والمنعة والقوة ، لا يزال هو الدين ، لا يغيره الزمن ، ولا تجافيه الطبيعة ، ولا يعاديه العلم ، ولا تنسخه المذاهب ؛ وإنما الأمر فيه كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « مثل ما بعثنى به الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، كان منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى ؛ إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ » .

والمسلمون اليوم هم هذه القيعان ، تحدرت إلى ماركد فيها من سلسل الوحى عكارات المذاهب الطارئة ، ورواسب العقائد الخاطئة ، فكان منها ذلك الخلط العجيب الذى يعوق عن السعى ويمنع من النظر ويصد عن الفكر ؛ ثم كان من أثره أن ترى اليوم مواطن العروبة والإسلام : مراكش والجزائر وتونس وليبيا ومصر وفلسطين وسورية والعراق وإيران وباكستان والصين وأندونيسيا وسائر جزر الهند الشرقية ، قد أصبحت نهبا مقسما بين دول الاستعمار يتنازعون فيه ، ويتقاتلون عليه ، وليس من أهلها من يقول فيسمع قوله ، أو من يفعل فيخشى فعله ، وإنما هم أشياء كثروة الأرض ، خسارة على المغلوب وربح للغالب .

لقد تغيرت عقائد الإسلام الحرة النقية فى نفوس الكثرة من المسلمين كما يتغير الشراب الخالص فى الإناء القذر ! انحلت الأخلاق فلا تماسك فى قول ولا فعل ، وتقاطعت القلوب فلا تواصل فى دين ولا وطن ، واستأثرت النفوس فلا تعفف فى صداقة ولا نسب ، واستبهمت المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس ، وأصبحت غاية الدين فى رأيهم مظاهر من العبادة لا تخدع ، وظواهر من البدع لا تنفع ، وأقاويل من الوعظ لا تدل .

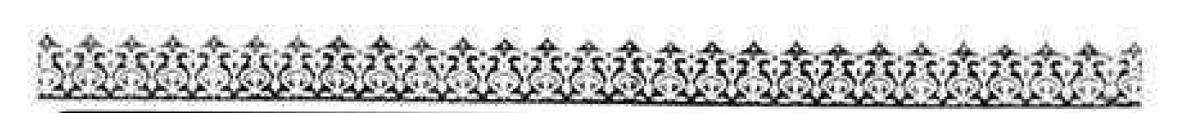
من يصدق أن المسلمين اليوم يفقهون القرآن حق الفقه ، وهو الكتاب المبين الذى يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وكل انتفاعهم منه أن يحملوه للحفظ كما تحمل التمائم ، وأن يقرءوه للبركة كما تقرأ الأوراد ، وأن ينشدوه للطرب كما تنشد الأغانى ؟

من يصدق أن المسلمين اليوم يقدرون الرسول حق القدر ، وهو الذى قال فيه أصدق القائلين :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ « سورة القلم ٤ »

﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ « سورة النساء ١١٣ »

وكل ما يمدحونه به أن يرفع المؤذن عقيرته فى الأذان بالصلاة على « مليح الوجه » ، وأن يتغنى منشد سيرته المطهرة بحمرة خديه وسواد عينيه ، كأن الصباحة والوسامة والرواء هى كل ما يمتاز به محمد نبى التوحيد والوحدة ، ورسول السلام والمحبة ، وداعى الحرية والكرامة ! لقد أنف عبد الملك بن مروان أن يمدحه ابن قيس الرقيات بقوله :



يأتلق التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

فقال له : وماذا من الفضل فى تألق التاج ونصاعة الجبين ؟ هلا مدحتنى بمثل ما مدحت به مصعب بن الزبير إذ تقول فيه :

إنما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء

ثم حرمه عطاءه العمر كله . والفرق بين فضل الرسول وفضل الخليفة كالفرق بين الجبل والذرة ، أو بين الشمس والشرارة !

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالإسلام وفيهم من يؤمن بالشيوعية وأهلها يزعمون أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه ، وأعدل منه فى تقسيم رزقه .

ثم يقولون بكل وسيلة من وسائل القول : كل شىء مشاع ، وكل أمر مباح ، وكل إرادة طليقة ! والمسلمون يسمعون هذه الأضاليل تبث فى الإذاعة ، وتنشر فى الكتب ، وتردد فى المجالس ، فيرهفون لها سمع الغبى ، وتدفعهم شهوة الإباحية إلى أن يشتروا الضلال بالهدى ، ويستبدلوا الخبيث بالطيب ، ويؤثروا أن يكونوا كالذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

والعلة فى كل أولئك هى الجهل التام والعلم الناقص ، فلو أن المسلمين اعتقدوا ربهم اعتقاد المؤمن ، وفقهوا دينهم فقه المقتنع ، واتبعوا رسولهم اتباع المصدق ، لما أصبحوا فى الحال التى تنبأ بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، فقال قائل : أومن قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال : لا إنكم حينئذ لكثير ؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل ! فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » .

• • •

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

« سورة الحديد ١٦ » .

بلى ، والحمد لله قد آن للمؤمنين أن يكشفوا عن العيون غشاوة الباطل ، ويجلوا عن القلوب صدأ الغفلة ، فيبصروا الطريق ويستبينوا الغاية .

وإن فى يقظة الوعى الإسلامى التى بدت فى تعاطف المسلمين على البعد ، وتناصفهم فى القرب ، وتحالفهم على الأحداث ، لأشعة من تباشير الصباح ، قبلها الليل المظلم ، وبعدها النهار المشرق ، ولعل الأزهر وحده هو الذى يملك أن يقوى هذا الوعى ويوجه هذا الشعور . إذا عمر الصدور بالإيمان الخالص عن طريق التعليم فى المدارس ، والوعظ فى المساجد ، والنشر فى الصحف ، والحديث فى الإذاعة ، والنظر قبل ذلك كله فيما يقرأ المسلمون من كتب ، وفيما يدرس المتعلمون من مناهج ، وفيما يقمش الموهون من بدع ؛ فإن تنقية الدين مما علق به ودس فيه تكشف للناس عن جوهره وتصلهم بروحه . والقتام يحجب الشمس ، والقذى يفسد الشراب . وإن الماء إذا راق ساغ ، وإذا ساغ روى . وعما قريب تبشر المسلمين والأزهريين بما رأى الشيخ الأكبر ـ آن ذاك ـ من إصلاح ، وبما عزم من عمل . جدد الله بسعيه حبل الإسلام ، وحقق فى عهده صلاح الأزهر .

كونوا كالشامة بين الناس

للدكتور: عزت عبد الرحمن عبد العال

الإسلام دين النظافة بأوسع معانيها، نظافة معنوية فى عقائده وأخلاقياته ونظافة الطريق والمسجد والبيت ونظافة المسلم الشخصية، نظافته التى ينبغى أن يتميز بها بين الناس.
وهذه كلمات يسيرة حول النظافة الشخصية للمسلم حتى يبدو كالشامة بين الناس.

كونوا كالشامة: عن خزيم الأسدى ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لنا: «إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم ولباسكم حتى تكونوا فى الناس كأنكم شامة فإن الله ـ عز وجل ـ لا يحب الفُحش ولا التفحش»[1]، وفى لفظ: «حتى تكونوا كالشامة فى الناس». دعوة من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلم أن يمتاز بسمته الحسن، وهيئته الحسنة لأنه ممثل للأمة.

نظافة الملابس: لا يعيب المرء أن تكون ثيابه قديمة أو مرقعة ولكن يعيبه أن يكون وسخ الثياب كريه الرائحة مما يُنفر الناس منه، وقد رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا عليه ثياب وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟»[2].

ولعلنا ندرك بعض الحكمة فى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم»[3] إذ أنها أيسر فى التنظيف، وأقل قذر يظهر فيها فيكون أدعى لإزالته. وقد قالت الحكماء: من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله.[4]

نظافة البدن: ثبت فى الحديث الشريف:

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٤/١٨٠) وأبو داود فى سننه فى كتاب اللباس ـ باب ما جاء فى إسبال الإزار بلفظ: «حتى تكونوا كالشامة فى الناس»، وفى لفظ له: «حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس».

(٢) سنن أبى داود ـ كتاب اللباس ـ باب فى غسل الثوب والخلقان. ورواه بنحو هذا اللفظ أحمد وابن حبان والحاكم من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ وصححه الشيخ الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة تحت رقم ٤٩٣.

(٣) رواه النسائى والحاكم وقال: حديث صحيح. ووافقه على تصحيحه النووى والألبانى.

(٤) صيد الخاطر ص ١٠١ طبعة دار الفكر.

« طهروا هذه الأجساد طهركم الله . . »[5] يقول الإمام ابن الجوزى ـ رحمه الله تعالى ـ : « أما فى البدن فليست الصورة داخلة تحت كسب الآدمى بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها فقبيح بالعاقل إهمال نفسه ، وقد نبه الشرع على الكل بالبعض ، فأمر بقص الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة ، ونهى عن أكل الثوم والبصل النيىء لأجل الرائحة ، وينبغى له أن يقيس على ذلك ويطلب غاية النظافة والنزاهة ، ولست آمراً بزيادة التقشف الذى يستعمله الموسوسون أو المترفون ولكن التوسط هو المحمود » أ . هـ .[6]

وقد جعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الغُسل فى كل أسبوع مرة حقاً على كل مسلم فقال : « حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده »[7].

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالى فيأتون فى الغبار يصيبهم الغبار والعرق ، فيخرج منهم العرق ، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنسان منهم وهو عندى ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا »[8].

وحث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الوضوء لكل صلاة فقال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك » (رواه النسائى وابن خزيمة . وعن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره »[9] .

إكرام الشعر : عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من كان له شعر فليكرمه »[10] قال الإمام الشوكانى : (وفيه دلالة على استحباب إكرام الشعر بالدهن والتسريح وإعفائه عن الحلق لأنه يخالف الإكرام إلا أن يطول . .)[11].

وقد رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال : « أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره ؟ »[12] وفى رواية : « ما يسكن به رأسه »[13] .

فعلى المسلم أن يكرم شعره اتباعاً للمعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يترك شعر رأسه أو لحيته ثائراً متفرقاً بل يرجله ويدهنه ويطيبه ، ولا يعنى هذا أن يفرط فى العناية بشعره حتى يصير عبداً للمرآة ، بل دين الله وسط بين الغالى والجافى .



---

(5) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير بسند حسن من حديث ابن عمر ، وهو فى صحيح الجامع الصغير برقم ٣٩٣٦ .
(6) صيد الخاطر ص ١٥٢ .
(7) متفق عليه .
(8) رواه البخارى فى صحيحه ـ كتاب الجمعة ـ باب من أين تؤتى الجمعة ......
(9) رواه مسلم .
(10) رواه أبو داود وحسنه الحافظ فى الفتح ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير برقم ٦٤٩٣ .
(11) نيل الأوطار (١/١٦٩) ط . الكليات الأزهرية .
(12) جزء من الحديث رقم (٢) فراجع تخريجه .
(13) انظر السلسلة الصحيحة رقم ٤٩٣ ، وصحيح الجامع الصغير رقم ١٣٣٣ .

نظافة الفم : وقد نال الفم عناية خاصة لأنه مكان شريف يخرج منه كلام الله تعالى وذكره ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فينبغى أن يطيب ويطهر ، فالمضمضة من سنن الوضوء (بل قال بعض العلماء بفرضيتها فى الوضوء لأن الفم من الوجه) ، والسواك من سنن الوضوء ، وهو أيضاً سنة مستقلة وعبادة فى حد ذاته .

فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « السواك مطهرة للفم ، مرضات للرب »[١٤] .

والسواك معروف (وهو فى اصطلاح العلماء : استعمال عود أو نحوه فى الأسنان ليذهب الصفرة وغيرها .... وبأى شىء استاك مما يزيل التغير حصل السواك)[١٥] .

فانظر إلى هؤلاء الذين يؤذون الناس بل والملائكة برائحة أفواههم ـ وخاصة المدخنين ـ فإذا دنا أحدهم منك ليكلمك لم تحتمل قربه منك إلا مع ضيق شديد ، وإيذاء الزوجة بريح الفم مما قد يسبب نفورها وإن لم تستحسن ذكر ذلك للرجل ، وكذلك الرجل قد ينفر من زوجته بسبب ريح فمها .

ـ وفى الحديث : « من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم »[١٦] قال عمر ـ رضى الله عنه ـ : « .... فمن أكلهما ـ يعنى البصل والثوم ـ فليمتهما طبخاً »[١٧] .

(فائدة طبية) رائحة الفم الكريهة قد تكون نتيجة عدم النظافة والعناية بالأسنان أو بسبب التدخين أو بعض الأطعمة ، لكنها أحياناً تكون ناتجة عن التهاب باللثة أو اللوزتين والحلق وربما كانت ناتجة عن مرض بالرئة أو الكلى أو الكبد ، فينبغى عدم إهمالها إذا لم يكن لها سبب معروف عند الشخص المصاب بها .

نظافة الأيدى : الأيدى بها يتناول الإنسان طعامه وشرابه ، وبها يمسك المصحف وكتب العلم ، وبها يصافح الناس فالعناية بها أمر لازم ، وقد وردت فى الشرع المطهر إشارات تكفى اللبيب ، فلم يكتف الشرع بغسل اليدين فى الوضوء ، بل حث على أمور أخر زيادة فى العناية باليدين .

فمن ذلك ما ورد فى الحديث : « إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم ، من بات وفى يده غمر فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه »[١٨] .

والغمر : رائحة الطعام ، ففى هذا الحديث حث على غسل اليدين وتنظيفهما من أثر الطعام . ومن نظافة الأيدى غسل البراجم ـ عقد الأصابع ومعاطفها ـ وقص الأظفار وهما من خصال الفطرة كما سيأتى الحديث .

(قال العلماء : ويلحق بالبراجم ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن وقعر الصماخ فيزيله بالمسح ونحوه) .

---

(١٤) رواه أحمد والنسائى وابن خزيمة وغيرهم وعلقه ـ رواه معلقاً ـ البخارى فى صحيحه ، وصححه الألبانى فى (إرواء الغليل) برقم ٦٦ .

(١٥) نيل الأوطار ١/١٤٤ .

(١٦) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

(١٧) رواه مسلم .

(١٨) رواه الترمذى وأبو داود وابن حبان .

من خصال الفطرة : إزالة القذر : عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « خمس من الفطرة الاستحداد والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار » .[20] وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء يعني الاستنجاء » ، قال زكريا[21] : قال مصعب[21] : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة[22] (قوله : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ، هذا شك منه ، قال القاضي عياض : ولعلها الختان المذكور مع الخمس الأولى ، قال النووي : وهو أولى) أ . هـ [23] .

ونتف الإبط إن لم يقدر عليه المرء فله حلقه ، قال الشوكاني : (نتف الإبط : هو سنة بالاتفاق أيضاً ، قال النووي : والأفضل فيه النتف إن قوى عليه ويحصل أيضاً بالحلق والنورة)[24] والاستحداد هو حلق شعر العانة .

فهذه مجموعة خصال الغاية منها النظافة والمظهر الحسن فينبغي على المسلم إزالة هذا الدرن عنه ولا يتركه أكثر من أربعين يوماً ، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : (وقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة)[25] .

قال النووي : معناه تركاً نتجاوز به أربعين لا أنه وقت لهم الترك أربعين ، قال : والمختار أن يضبط بالحاجة والطول ، فإذا طال حلق)[26] .

(فائدة) : من الروائح الكريهة التي يعاني منها كثير من الناس وتؤذي من حولهم رائحة الإبط ورائحة القدمين عند البعض .

أما رائحة الإبط فننصح باستعمال مزيلات رائحة العرق التي تحتوي على مواد قاتلة للبكتريا ، ومن أفضلها « كريم » يسمى (فيكس) لأنه فعال ويستخدم مرة واحدة كل أسبوع ، وأما رائحة القدمين الكريهة فهي تنتج عن إصابات فطرية بين الأصابع ، فننصح بتخليل الأصابع في الوضوء مع تجفيف القدمين جيداً واستعمال المواد القاتلة للفطريات وهي كثيرة في صورة مسحوق أو (مس) ـ محلول ـ أو مراهم وكريمات ومنها (كاندستان) و(كانستن) و(تينباكيور) ، وإذا لم تفلح هذه الأدوية فيمكن مراجعة طبيب الأمراض الجلدية .

هل ترك النظافة يعد زهداً مشروعاً ؟

ترك النظافة يعد عند غير المسلمين من الزهد ، حتى إن بعض الطوائف النصرانية تفخر بأن الراهب فلاناً لم يغتسل طوال حياته ، وانتقلت هذه الأفكار إلى بعض المسلمين ممن يدعون بالصوفية فعدوا كل مجنون قذر الثياب ولياً من أولياء الله تعالى ، ودين الله بريء من ذلك .

---

(20) رواه الجماعة .
(21) احد رواة الحديث .
(22) رواه احمد ومسلم والنسائي والترمذي .
(23) نيل الأوطار ١٥٢/١ .
(24) نيل الأوطار ١٥١/١ .
(25) رواه مسلم . ورواه احمد واصحاب السنن بلفظ : وقت لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
(26) نقله في نيل الأوطار ١٥٢/١ .

وعن هؤلاء يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ : « ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خبر وهذا من أبواب الرياء ، فإن كان صادقاً في إعراضه عن أغراضه ـ كما قيل لداود الطائي ألا تسرح لحيتك ؟

فقال : إني عنها لمشغول ـ فليعلم أنه سلك غير الجادة ، إذ ليست هذه طريقة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا أصحابه ، فإنه كان يسرح شعره وينظر في المرآة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة .

وكان أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ يخضبان بالحناء والكتم ، وهما أخوف الصحابة وأزهدهم ، فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه » أ هـ [٢٧] .

وليست النظافة والسمت الحسن من الكبر كما قد يتخيله البعض ، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ، قال : « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » رواه مسلم في صحيحه وبطر الحق : رده وغمط الناس : احتقارهم .

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ : والحديث أيضاً يدل على أن محبة لبس الثوب الحسن والنعل الحسن وتخير اللباس الجميل ليس من الكبر في شيء ، وهذا مما لا خلاف فيه فيما أعلم . أ . هـ [٢٨] .

فعلى المسلم أن يحافظ على هذه الآداب ، مع استعمال الطيب الذي جعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما حُبب إليه من دنيانا ، وتكتمل النظافة بالنظافة المعنوية نظافة القلب واللسان وسائر الحواس وبهذا نفهم معنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الطهور شطر الإيمان » [٢٩] .

وبهذا يبدو المسلم كالشامة بين الناس كما أراده الله ورسوله ، وبالله التوفيق .

---

(٢٧) تلبيس إبليس ط المدني ص ٢٢٣ .

(٢٨) نيل الأوطار ٢/١٧١ .

(٢٩) رواه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ .

الرسالة النبوية

إلى إمبراطور الروم هرقل

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى

هرقل [هيركيوليس - هيراكليس] ينتصر على كسرى فارس انتصارا ساحقا ، يسترد به البلاد التى أخذها منه فارس ؛ ويسير هرقل بعد الفتح فى طريقه إلى بيت المقدس عام ٧ هـ - ٦٢٩ م حتى يبلغ حمص ، وفى هذه الأيام الحافلة بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الدخول فى دين الله ، وكان دحية بن خليفة الكلبى هو الذى حمل رسالة النبى الكريم إلى امبراطور الروم هرقل ، وأسلم دحية الرسالة إلى عامل الامبراطور على الشام فى بصرى فى رواية فبعث بها العامل إلى هرقل فى حمص ؛ وفى رواية أخرى أن دحية قدم إليه الكتاب بنفسه ، وفى رواية ثالثة أن الرسالة قدمت إليه فى بيت المقدس نفسه .

وقرئت الرسالة على هرقل مترجمة ، ونصها : [بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم - سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ؛ أسلم تسلم ،

يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين - أى عامة طبقات الشعب - ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون] - الطبرى ٢ / ٢١٩ .

رسالة جليلة حمل فيها رسول الله هذا الإنسان الكبير مسئوليته ، تجاه نفسه وشعبه والإنسانية عامة ، ولم يسجل المؤرخون الرومان رد فعل الامبراطور على الرسالة الكريمة ، والمصادر العربية تذكر أنه رد عليها ردا حسنا .

وكانت تلك الرسالة أول لقاء سياسى بين الإسلام وامبراطورية الروم القوية الواسعة الأرجاء آنذاك .

- ٢ -

إن من هذه الرسالة النبوية ثلاث نسخ خطية :

الأولى : وثيقة محفوظة فى صندوق ذهبى فى متحف طوب كاى سراى باستانبول .

الثانية : وثيقة دخلت فى ملك وزير خارجية لبنان الأسبق الهاوى للآثار النادرة د . هنرى فرعون حيث اشتراها من هاو لبنانى بأكثر من مليون دولار .

ولم يؤكد الفحص العلمى صحة نسبة هاتين الوثيقتين إلى عصر الرسالة المحمدية .

الثالثة : محفوظة اليوم فى قصر رئيس دولة الإمارات العربية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، وهى الوثيقة الحقيقية التى أكد البحث العلمى صحتها ، وأنها هى التى تسلمها هرقل من مبعوث الرسول الأكرم دحية الكلبى ، حيث ظلت متوارثة فى أسرة هرقل ، وكان منهم حكام فى الأندلس ، وكان آخر العهد بها وبوجودها فى ملك أمير طليطلة [العاصمة الأندلسية القديمة] (الأذفونشى) . ثم انقطعت أخبارها بعد ذلك ، إلى أن ظهرت فى حوزة الأمير (الملك) عبد الله ملك الأردن ، وأوصى بها زوجته الملكة « نهجة » بعد وفاته ، ولما توفى الملك عبد الله حفظتها زوجته فى إحدى الخزائن فى بنوك سويسرا ، وحين احتاجت إلى المال سحبتها من الخزينة بنفسها وعرضتها للبيع فى لندن .

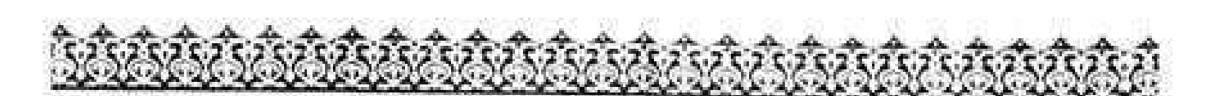
وأخذ الخبراء فى فحصها فحصا علميا ، دقيقا حتى لا تكون هناك شبهة من أى نوع فى أنها الوثيقة التاريخية الصحيحة ، التى لم يشبها تزوير بأى لون من الألوان واستغرقت عملية الفحص هذه عاما كاملا بمعرفة خبراء من العلماء الإسلاميين والأوروبيين ، منهم :

- العالم الهندى محمد حميد الله الأستاذ بالسوربون .

- والدكتور هنرى فرعون

- والمؤرخ د . عزالدين إبراهيم

- وخبراء متحف « طوب كاى سراى » .



وجرى الفحص الميكروسكوبى بالأشعة فوق البنفسجية وبواسطة الإمكانات المتاحة لدى المتحف البريطانى بلندن ، ومختبرات جامعة ليدز البريطانية .

وكانت النتيجة ترجيح صحة هذه الوثيقة ونسبتها إلى الرسول الأعظم باعتبارها الرسالة الحقيقية التى سلمت إلى هرقل من مبعوث الرسول الكريم ، وخلصت أعمال الفحص إلى النتائج التالية :

١ ـ الرسالة صحيحة أو هى على الأقل نسخة صحيحة من الأصل ، حيث كانت الرسائل النبوية يحتفظ بنسخ منها فى ديوان الخليفة عمر ابن الخطاب .

٢ ـ عمر الرسالة يزيد على ألف عام ، وهو أقصى مدى يمكن للمعامل الحديثة الوصول لمعرفته .

ـ ٣ ـ

وأخيراً وفى عام ١٩٧٥ م اشترى هذه الوثيقة ـ المكتوبة على جلد غزال ، والمؤلفة من ثمانية سطور ـ الشيخ زايد بن سلطان أمير دولة الإمارات وحاكم أبوظبى بمبلغ اثنين ونصف مليون دولار ، لتستقر فى المركز الثقافى الجديد ، الذى أقامه فى قصره .

وبحفظ الله العلى العظيم ، استقرت هذه الوثيقة الصحيحة فى خزينة أمير عربى مسلم ، بعد عمر طويل بلغ مداه ١٣٧٠ عاما ميلاديا أو ١٤١٢ عاما هجريا ، لتذكر المسلمين بعظمة دينهم ورسولهم الصادق الأمين ، صلى الله عليه وسلم ـ إلى يوم الدين .

ملاحظة :

وردت كلمة الأريسيين فى مؤلف تراثى قديم للراهب أثناسيوس عضو مجمع نيقية (٣٢٥ م) وعنوانه « الرد على الأريوسيين » ، وهذا المؤلف هو الركيزة لكل ما كتبه جميع اللاهوتيين .





قنواتنا الإقليمية والفضائية ودورها فى بناء الإنسان وحفظ الهوية

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد *

تتزايد الثقافات ، وتختلط الحضارات فى ظل التيار الاتصالى الثقافى القادم من الإعلام المفتوح ، والسماء المفتوحة ، وهو تيار ثقافى يستهدف فى جوانب منه التأثير على عادات المجتمع وقيمه الأخلاقية والدينية ، وإن شئت فقل : يستهدف تغريب الثقافة العربية والإسلامية وقطعها عن جذورها الدينية والأخلاقية ، فكان لابد من مواجهة هذا التيار الثقافى المتدفق ، وتحقيق التوازن بينه وبين تراثنا ـ العربى والإسلامى ـ وروحه وقيمه .

ونحن نتفق بادىء ذى بدء على أن قضية بناء الإنسان المصرى والعربى ، وحفظ هويته لا يمكن أن تترك على عاتق التلفاز المصرى ـ وحده ـ بقنواته الإقليمية والفضائية ، ولا حتى على عاتق وسائل الإعلام ـ وحدها ـ بكل صورها وأشكالها ، لأنها قضية قومية ينبغى أن تتحمل الأسرة والمؤسسات التربوية والاجتماعية فى الدولة نصيبها من هذا الالتزام القومى ، إلى جانب وسائل الإعلام ، فى تلاحم وتضافر يحفظ على أبنائنا دينهم وشخصيتهم .

إنما يهمنا فى هذه المقالة التوقف عند وسيلة « التلفاز » لقدرتها على أن تلعب دورا بارزا فى هذه القضية إيجابا أو سلبا ، إيجابا : فى جودة الإنتاج الذى يحفظ على أبنائنا دينهم وشخصيتهم ، ويقيهم شر الدراما والأغانى والأفلام والمسلسلات الوافدة التى تؤثر على عادات المجتمع وهويته ، وسلبا : فى قدرتها الفائقة على الإخلال بالتوازن الأخلاقى والاجتماعى فى المجتمع .

(*) الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة

ظاهرة الأطباق وأثر الصورة المرئية :

ويرجع خطر وسيلة التلفاز إلى اتساع دائرة بثها التى تتخطى بها حدود الدول الجغرافية ، ففى نهاية القرن العشرين أصبح نقل برامج « التلفاز » عن طريق الأقمار الصناعية حافزا لمحطات تليفزيونية عديدة لأن تبث إرسالها عالميا وفضائيا .

ويستطيع المشاهد العادى أن يلتقط هذه البرامج العديدة بإضافة « دش » أو « إيريال قصعى » ـ هوائى على شكل طبق ـ وصارت هذه الظاهرة حديث الناس والآباء والخبراء فى المجتمع ، لأن بعض المحطات الأجنبية تبث برامج مخلة بالآداب والذوق ، وتبث أفلاما ومسلسلات أخرى تقوم على سياسة وضع السم فى العسل .

فتسرد لنا جرائم القتل والاختلاس والاغتصاب والانحلال والعهر والتبذل بأسلوب لامع ومتألق وجذاب يسيل له لعاب المتلقى الساذج ، فيبتلع المضمون بما فيه من سموم ويتقمص فى حب وعشق تلك الشخصية الإجرامية ، فيظهر عليه ذلك فى أنماط سلوكه ، مما يعكس لنا المردود السيء لهذه الأفلام والمسلسلات .

والحقيقة : أنه وإن كان الذى يتعرض لهذا البث التليفزيونى الوافد جمهورا محدودا ، إلا أن ظاهرة « الأطباق » فى سبيلها للانتشار ، ومن المنتظر أن تقدم تكنولوجيا « البث » ابتكارات جديدة تجعل هذا الأمر سهلا ميسورا فى الأيام المقبلة ، حتى يكون فى متناول الجميع .

ولعل مصر هى أول دولة سمحت باستقبال القمر الصناعى فى الوطن العربى ، ومن ثم انتشرت آلاف الأطباق على أسطح المنازل ، مما أثار استياء البعض فى أول الأمر ، وأعتقد أنها أصابت فى ذلك القرار ، فلأن تسمح به جهرا ثم تتعامل بوعى مع نتاج السماوات المفتوحة ، خير من أن تمنعه وتتجاهله ، فيستخدمه المشاهد سرا دون أن تكون لديه المناعة الثقافية التى تحميه وتحمى ذويه من عوامل التغريب .

أهمية القنوات الإقليمية والفضائية :

ومن ثم كان لابد من تخطيط إعلامى فى هذا المجال يحقق التوازن بين العالمية والوطنية ، فالإعلام العالمى يحمل مضمونا ثقافيا يعمل على تغريب المواطن العربى المسلم على أرضه ، بينما ينبغى لهذا المواطن أن تقدم له يد العون فى الحفاظ على جذوره وهويته ، كهامش أساسى فى عصر السماوات المفتوحة ، وعصر الفضاء والإنترنت ، وما يمكن أن نسميه بظاهرة « العولمة » بشكل عام .

فكان التوسع فى القنوات الإقليمية المصرية ، حتى أصبح لدينا ثمانى قنوات إقليمية ، ثم الدخول بقناة فضائية مصرية أولى استأجرتها على القمر الصناعى العربى (عربسات) بموجب عقد وقع فى ١٩٩٠/٦/١٢ بين اتحاد الإذاعة والتليفزيون ، وبين المؤسسة العربية لاتصالات الفضاء ، فضلا عن الدخول بقناة النيل الدولية ، وقناة النيل للدراما وغيرها .

ثم توجت هذه الإنجازات بدخول مصر نادى الفضاء العالمى بإطلاق أول قمر صناعى مصرى « نايل سات » ، فتكون مصر بذلك دولة حضارية ، مثلها مثل الدول التى أطلقت أقمارا



صناعية ، وتستطيع من خلاله بالكوادر المدربة أن تكون مصدرة للثقافة الخاصة بها بعد أن كانت جالبة لثقافات أمريكية وأوروبية ، فى شكل دراما وأفلام ومسلسلات تؤثر بالقطع على الهوية والعادات المصرية والعربية والإسلامية ، تلك الثقافات التى كانت تفرض نفسها بغزارة الإنتاج وقلة التكلفة المادية .

نايل سات مصر أو قمر النيل :

ففى صباح الخميس الموافق (٢٦ من ذى الحجة ١٤١٨هـ ـ ٢٣ من أبريل ١٩٩٨م) تم تركيب القمر الصناعى المصرى « النايل سات ١٠١ » داخل الصاروخ « أريان ٤ » فى قاعدة « كورو » الفضائية بمنطقة جيانا الفرنسية استعدادا للحظة الانطلاق التى تمت يوم الثلاثاء الموافق يوم (٢٨ من أبريل ١٩٩٨) فى تمام الساعة السابعة والنصف مساء بتوقيت « كورو » ، والواحدة والنصف مساء بتوقيت القاهرة ، والذى تم ضبطه فى مداره بالسماء فى عيد الإعلاميين الذى وافق ٣١ من مايو ١٩٩٨ ، هذا اليوم الذى أعطى فيه الرئيس محمد حسنى مبارك إشارة البدء لعمل « النايل سات » ، وافتتح أول أكبر محطة فضائية فى مدينة الإنتاج الإعلامى بالسادس من أكتوبر ، لتوجيه القمر الصناعى المصرى وبأحدث التكنولوجيا .

فمن المقرر أن تتولى مراقبة « النايل سات » بعد أن يدخل مداره المحدد له ثلاث محطات للتحكم الأرضى :

- فى استراليا .
- فى مدينة السادس من أكتوبر .
- فى مدينة الحمام بمرسى مطروح والإسكندرية .

كيفية عمله واستقباله :

يعمل القمر الصناعى المصرى « نايل سات » بنظام الرقم المضغوط « الديجتيال » وهو من أحدث النظم التكنولوجية المتقدمة فى مجال علوم الاتصال ، ولابد من أجل استقبال قنواته أن يشترى المشاهد طبقا صغيرا يصل قطره إلى خمسين سنتيمترا ، ومعه جهاز استقبال رقمى « ديكودر » ، سوف يوفره القطاع الخاص حتى يتمكن كل من يعيش على أرض مصر أو خارجها من استقبال قنواته التى تغطى جمهورية مصر العربية ، وكل منطقة المغرب حتى الخليج العربى ، وجنوب القارة الأوروبية .

عدد قنوات النايل سات :

ومن المعروف أن عدد القنوات القمرية « للنايل سات » هى (١٢) قناة ، تحمل كل منها (٧) قنوات تليفزيونية مضغوطة ، أى : أن المجموع النهائى لقنواته يصل إلى (٨٤) قناة تليفزيونية ، علاوة على وجود قنوات صوتية يمكن للإذاعة أن تبث إرسالها من خلالها ، وبذلك تنتهى مشاكل ضعف الإرسال الإذاعى ، فى بعض المناطق داخل وخارج مصر .

والقنوات التليفزيونية التى يمكن مشاهدتها من خلال القمر الصناعى « نايل سات » تضم (٢٠) قناة تليفزيونية مصرية وعربية مفتوحة بدون أجر أو أية اشتراكات ، وهى القنوات المتخصصة الجديدة التى يعدها اتحاد الإذاعة والتليفزيون حاليا ، والمكونة من قنوات للأخبار ، والرياضة ، والتعليم ، والثقافة ، والمنوعات ، والأسرة ، والطفل ، إلى جانب مجموعة من القنوات العربية

من سورية والأردن والبحرين ولبنان واليمن وليبيا والعراق ، وقناة (A.N.N) الإخبارية العربية الخاصة ، إضافة إلى القنوات الفضائية والنيل الدولية .

كما يبث « النايل سات » (٢٣) قناة مشفرة بالأجر ، من بينها قنوات الأوائل (١٤) قناة لراديو وتليفزيون العرب ، وقنوات « الشوتايم » الأجنبية والتى تبث منوعات وأفلاما وبرامج علمية .

وقد طالب الرئيس مبارك فى اجتماعه الذى عقد من أجل مناقشة « الإرسال التليفزيونى للقمر الصناعى المصرى » مع وزراء الإعلام والثقافة والتعليم والتعليم العالى والصحة ـ حيث تقرر لهم بعض القنوات المتخصصة على هذا القمر ـ بضرورة الالتزام فى البث التليفزيونى على قنوات القمر الصناعى المصر ، بالمستوى العالى الذى يتناسب مع صورة وحضارة وقيم مصر ، مع الوضع فى الاعتبار أنها تخاطب المجتمعات العربية والإسلامية والأفريقية والأجنبية .

ومن ثم فإن الأمل معقود على هذه القنوات المصرية ـ الإقليمية والفضائية فى أن تسهم بدور خلاق فى تحقيق التوازن بين الإعلام العالمى المتدفق ، وبين الإعلام المصرى العربى والإسلامى ، فنحن نريد إنسانا يعيش عصره بكل معطياته ، متفتحا على كل ثقافاته لكن جذوره ثابتة .

إننا نأمل من هذه القنوات والقائمين بالاتصال عليها تقديم برامج متميزة فى الشكل والمضمون ، برامج قادرة على المنافسة وعلى حفظ الشخصية الذاتية والقيم والعادات والتقاليد العربية والإسلامية .

ففى ظل ثورة الاتصالات والفضاء والسماء المفتوحة تكون الهيمنة الثقافية لصانعى هذه الثورة التكنولوجية ، حيث إنهم ـ وحدهم ـ هم القادرون على التسلل والوصول إلى غير القادرين « المتلقين » لهذه الثورة التكنولوجية عبر القنوات الفضائية ، والآن فقد أصبحت مصر بقمرها الصناعى وقنواتها الفضائية قادرة على إثبات ذاتها وثقافتها وحفظ هويتها أمام تيار العولمة ، بل ومشاركة فى توجيهه لصالح الأمة المصرية والعربية والإسلامية .

الأزهر يتطلع إلى قناة فضائية !!

على أن ذلك يستوجب فى المقابل أن يكون المضمون الذى ستخرج به هذه القنوات المصرية الإقليمية والفضائية قويا وجذابا ومقنعا ومشوقا ، وليس بكثير على مصر الأزهر بدينها وحضارتها ومفكريها ومثقفيها أن تضطلع بأداء هذه الرسالة على الوجه اللائق بها .

والحق أنى لا أعرف كيف يفوت مصر بوزنها الحضارى الذى يضرب بجذوره فى التاريخ إلى سبعة آلاف سنة ، وبأزهرها الشامخ منذ ما يربو على الألف سنة ، شاهدا على كفاح الجامع الأزهر فى ميادين العلم والمعرفة والثقافة خدمة للإنسانية وللأمة الإسلامية .

كيف يفوت مصر أن تخصص قناة متخصصة باسم الأزهر ، مثلما خصصت القنوات المتخصصة لوزارات الإعلام والتعليم ، والتعليم العالى والثقافة والصحة فما أحوج الأزهر والعالم الإسلامى بأسره إلى قناة فضائية باسمه تكون لمصر والأمة الإسلامية نوراً هادياً ومرشدا أميناً ، ومنارة ثقافية تستمد منها علومها على تنوعها وكثرتها ، وهو بقادته وعلمائه ومفكريه كفيل بحمل هذه الأمانة ، فقد سبق أن حفظ الأزهر للعالم المعارف الإنسانية فى حقبة تاريخية طويلة ، وأسهم فى حضارته إسهاماً لم يغفله التاريخ فى جميع مجالات الحياة .



من قادة الخلفاء الراشدين



للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

كنا قد اعتمدنا فى العدد السابق عند حديثنا عن قادة الصديق ـ رضى الله عنه ـ الأسلوب المعجمى فى الحديث عن كل قائد ، على أن طول مدة حكم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من ١٣ هـ إلى ٢٣ هـ ، وما تضمنته من أحداث هامة ، جعلنا نرى مراعاة التسلسل التاريخى للأحداث بتناول القادة وأدوارهم وفق التسلسل التاريخى بادئين أولا بقادة فتوح فارس ثم الشام ثم مصر .

● **عبيد الله بن مسعود الثقفى :**

ما إن فرغ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من دفن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ، حتى دعا الناس إلى التطوع لحرب الفرس ، مع المثنى بن حارثة الشيبانى ، الذى كان قد بلغ المدينة ، وأبو بكر مريض مرض الموت ، وجلس المثنى إلى أبى بكر ، وأخبره بأنه لا يستطيع أن يحتفظ بما فتحه المسلمون من أرض العراق ، بتسعة آلاف رجل فقط ، واستأذنه فى الاستعانة بمن ظهرت توبته وندمه من أهل الردة ـ وقد كانوا ممنوعين من المشاركة فى الفتوح ـ فقال أبو بكر لمن حوله : « علىّ بعمر » فجاء ، فقال له الصديق : « . . . إن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى »[١] .

ونادى عمر فى آخر الليلة التى توفى فيها

(١) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ٣ / ٤٣ .

الصديق : « الصلاة جامعة » فاجتمع الناس ، فدعاهم إلى حرب الفرس ، ولكنهم لم يجيبوه ، ثم صلى عمر ، والمسلمون الفجر ، وبايع الناس عمر على الخلافة ، وعاد الفاروق يطلب الناس للتطوع ثلاثة أيام فلا يجيبه أحد ، فلما كان اليوم الرابع قام المثنى في المسجد قائلاً : « أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه . . فإنا قد تبحبحنا في ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها .

ثم قام عمر خطيباً في المسلمين قائلاً : « إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُجعة ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطراء المهاجرون عن موعود الله ؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولى أهله مواريث الأمم ، أين عباد الله الصالحون ؟ » .

فقام أبو عبيد بن مسعود الثقفى قائلاً : أنا لها ، وتبعه سعد بن عبيد الله الأنصارى ، ثم سليط بن قيس ، وتتابع الناس حتى بلغوا ألفا[1]

وكافأ عمر أبا عبيد بن مسعود بأن ولاه على حرب الفرس ، ورفض قول من قال : « أمر عليهم رجلا له صحبة من السابقين من المهاجرين والأنصار » ، ورد عليه قائلاً : « والله لا أفعل . . يأصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- . . لا أندبكم فتنكلون وينتدب غيركم فأؤمرك عليهم . . إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء ، فإذا فعل فعلهم قوم واثاقلوا ، كان الذين ينفرون خفافا وثقالا أولى بها منهم ، والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً » .

فأمّر أبا عبيد على الجيش وقال له : « اسمع من أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- وأشركهم في الأمر ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين »[2].

وأرسل عمر المثنى إلى العراق حتى لا يغيب عن رجاله بها ، وقال له : « النجاء حتى يقدم عليك أصحابك »[3]

وراح عمر يحشد الناس للحرب ، حتى اجتمع له خمسة آلاف رجل ، فسار بهم أبو عبيد نحو الحيرة ، وجعل لا يمر بحى من أحياء العرب إلا استنفرهم فتبعه منهم طوائف حتى انتهى إلى (قس الناطف) قرب الكوفة على شاطىء الفرات الشرقى فاستقبله المثنى بها فيمن معه .[4] .

وكان الفرس قد حشدوا جيوشهم بقيادة (جابان) في موقع بين الحيرة والقادسية يسمى (النمارق) فسار إليهم أبو عبيد ومعه المثنى في قلب الجيش ، وكان على الميمنة (والق بن جيدارة) ، وعلى الميسرة (عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمى) .

---

(١) المصدر السابق ٦١/٤ ، الاستيعاب ٣٨/٢ ، ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ت ٣١٧٦ ، ٣٤٢٥ ، ٧٢٢٨ ط المطبعة التجارية بالقاهرة .

(٢) الطبرى ، ٦١/٤ ، الدينورى ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبدالمنعم عامر ص ١١٣ ط ١٩٦٠ القاهرة .

(٣) الطبرى ، ٦٦/٤ .

(٤) الدينورى ، ص ١١٣ .

واقتتل الفريقان فى ٨ من شعبان سنة ١٣ هـ فى قتال مرير دارت فيه الدائرة على الفرس ، وسقط (جابان) فى الأسر ، أسره (مطر بن فضة) و(أبو برجل) دون أن يعلموا حقيقته ، وكان شيخاً كبيراً ، ووقع سلبه (لأبى برجل) ، وفداه (لمطر) الذى قال له (جابان) : « إنكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمننى ، وأعطيك غلامين خفيفين فى عملك » فقال له مطر : « نعم » فقال (جابان) : « فأدخلنى على ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه » . فأدخله على أبى عبيد ، فأجاز الأمر ، على أن قوماً من بنى ربيعة تعرفوا على (جابان) وقالوا لأبى عبيد : « هذا الملك جابان » ، وهو الذى لقينا بهذا الجمع » ، وأشاروا بقتله ، وقال أبو برجل : « أسرته أنا وهو على غير أمان » ، ولكن أبا عبيد قال : « أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا ؟ معاذ الله من ذلك ، إنى أخاف أن أقتله وقد أمنه رجل مسلم ، المسلمون فى التواد والتناصر كالجسد مالزم بعضهم فقد لزم كلهم » ، فقالوا : « إنه الملك » فرد عليهم : « وإن كان لا أغدر » [1].

وسار أبو عبيد مطارداً فلول الفرس المنهزمة ، والتى تجمعت فى (السقاطية) جنوب (كسكر) واقتتل الفريقان فى ١٧ من شعبان عام ١٣ هـ . وكان النصر فى النهاية حليفاً للمسلمين ، وبعث أبو عبيد بخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب مع رسالة قال فيها : « إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها وأحببنا أن تروها ولتذكروا أنعام الله وأفضاله » .

وأقام أبو عبيد (بكسكر) بعد المعركة وبعث السرايا تطارد الفلول الفارسية المنهزمة ، وتغير على المناطق التى كانت قد صالحت خالد بن الوليد ثم تمردت ، فأرسل المثنى إلى (باروسما) و (والق بن جيدارة) إلى (الزوابى) و(عاصم بن عمرو التميمى العمرى) إلى نهر (جوبر) وخرج اثنان من الدهاقين إلى المثنى يطلبان أداء الجزية ، والدخول فى ذمة المسلمين أحدهما عن أهل : (باروسما) ، والثانى عن أهل (نهر جوبر) ، فصالحاه عن كل رأس أربعة دراهم ، وأراد أهل البلدين التقرب إلى أبى عبيد ، فقدم مندوباهما ألوانا من الأطعمة الفارسية غالية الثمن إليه ، وقالوا : « هذه كرامة أكرمناك بها وقرى لك » فقال لهما : « أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله ؟ » فقالوا : « لم يتيسر . . » فرفض أبو عبيد الطعام قائلاً : « لا حاجة لنا فيها لا يسع الجند » ورفض أن يتناول طعاماً لا يتناوله سائر الجند [2] .

وخرج أبو عبيد من السقاطية نحو (باروسما) والتى تجمعت بها حشود الفرس بقيادة (جالنوس) ودارت بين الفريقين معركة حامية فى (باقسياثا) انتصر فيها المسلمون فى ١٧ من شعبان سنة ١٣ هـ ، واضطر (جالنوس) للفرار . [3]

ثم رحل أبو عبيد عائداً للحيرة ، وكان الفرس قد حشدوا الجيوش فى المدائن استعداداً للهجوم على المسلمين ، وخرج (بهمن جاذويه) على رأس جيش جرار قاصدا الحيرة ، وعلم أبو عبيد بذلك ، فخرج من الحيرة حتى بلغ نهر الفرات فى

---

(١) الطبرى ، ٤/٦٣ ، ٦٤ .

(٢) الطبرى ، ٤/٦٤ ، ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ٤/٦٥ ، ٦٦ .

حين وقفت جيوش الفرس على الجانب الآخر من النهر بـ (قس الناطف) وأرسل (بهمن جاذويه) أحد رجاله إلى أبي عبيد يقول له: «إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن تدعونا نعبر إليكم»، وألح (سليط بن قيس) و(المثنى بن حارثة) والعديد من قادة الجند على أبي عبيد بأن يدع الفرس يعبرون أولا، ولكن أباعبيد رفض رأيهم، بل ورمى سليطاً والمثنى بالجبن، فقال له سليط: «أنا والله أجرأ منك نفسا وقد أشرنا عليك بالرأى فستعلم».

ونسى أبو عبيد وصية عمر بن الخطاب له عندما نصحه بالشورى قبل أن يُقدم، وكان قد قال له عن سليط: «قد بعثت معك رجلا هو أفضل منك إسلاماً فاقبل مشورته» لكن أبا عبيد تمسك برأيه خاصة بعد أن استفزه (الخصى مردانشاه) رسول (بهمن جاذويه) عندما قال له: «إن أهل فارس قد عيروكم بالجبن».

وكان الجسر الذى سيعبر عليه المسلمون والذى أقامه الفرس قديماً متهالكاً ضيقا لا يسمح بحرية الحركة لجيش زاحف، فانقض الفرس على المسلمين يمطرونهم بوابل من السهام قبل أن يكتمل عبور جيشهم للجسر، وأثارت الفيلة، والخيل الفارسية المغطاة بالدروع فزع خيل المسلمين التى لم تكن قد ألفت هذه الأمور من قبل، فأجفلت وولت هاربة، فقرر أبو عبيد التخلى عن الخيل، ونزل عن جواده وترجل جميع المسلمين، ومشوا إلى الفرس فى شجاعة نادرة، ونادى أبو عبيد فى الجيش: «احتوشوا الفيلة وقطعوا بُطُنها واقلبوا عنها أهلها».

ووثب أبو عبيد فيل المقدمة الأبيض فتعلق بحزامه وقطعه، فسقط من كانوا على هودجه، وأراد أبو عبيد أن يقتل الفيل، ورأى أصحابه جرأته البالغة فقالوا له: «إنا نخاف عليك» فقال لهم: «إن ربى ينصرنى، ولكن أخبرونى هل لهذا الفيل من مقتل» فأجابه بعضهم: «إذا قطع خرطومه فهو يموت» فقال: «يا معشر الناس إنى حامل على هذا فانظروا إن قتلته وهزمت من حوله فأنا أميركم، وإن قُتلت فأخى الحكم أميركم، فإن قُتل فولدى وهب، فإن قُتل فولدى مالك، فإن قُتل فولدى جبر، فإن قُتل فأبو القاسم، فإن قُتل أبو القاسم فعليكم المثنى».

وسقط أبو عبيد شهيداً بعد أن وطئه الفيل، فحمل اللواء أخوه الحكم فقاتل الفيل حتى استخلص أخاه من تحت أقدامه جثة ممزقة، ثم حاول أن يقتل الفيل لكنه سقط تحت أقدامه، فحمل اللواء وهب بن أبى عبيد فقاتل حتى قُتل فانتقل اللواء إلى جبر بن أبى عبيد فقاتل بدوره حتى قُتل.[(1)]

● المثنى بن حارثة الشيبانى:

وانتهى اللواء إلى المثنى بن حارثة الشيبانى الذى بدأ فى الانسحاب بالجيش لحمايته من الإبادة إلا أن (عبدالله بن مرثد الثقفى) بادر إلى الجسر فقطعه وحال بين الناس وبين عبور الجسر قائلاً: «موتوا على مامات عليه أمراؤكم أو تظفروا» فتواثب جند المسلمين فى النهر، فأسرع المثنى بإصلاح الجسر

(1) الطبرى ٤/ ٦٧ - البلاذرى - فتوح البلدان ص ٦٢٥ - ٦٢٦ نشر د. صلاح الدين المنجد - الدينورى - الأخبار الطوال ص ١١٣.

ونادى فى الناس : « أيها الناس أنا دونكم فاعبروا على هيئتكم ولا تدهشوا فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ولا تغرقوا أنفسكم » ، ووقف المثنى مع (عاصم بن عمرو التميمى) و(مذعور ابن عدى العجلى) و(الكلج الضبى) و(عروة بن زيد الخيل الطائى) و(سليط بن قيس الأنصارى) ونفر من وجوه الصحابة يحمون انسحاب المسلمين ويقاتلون الفرس بضراوة وبسالة نادرة ، وكان (سليط بن قيس) آخر شهداء المسلمين فى حين كان المثنى قائد الجيش هو آخر من انسحب يظهره إلى الجسر يقاتل الفرس وجهاً لوجه وجرح جرحا بليغاً ، وانغرس حلق درعه فى لحم جسده بفعل ضربة رمح .

وبعث المثنى إلى المدينة (عبد الله بن زيد بن الحصين الخطمى الأنصارى) بالخبر ، فأصيب المسلمون بالحزن والغم باستشهاد أربعة آلاف ، وجزعوا من هول الكارثة ، وتأثر عمر أبلغ التأثر ، لكنه قام خطيباً فى الناس : « عبّاد الله لا تجزعوا اللهم إن كل مسلم فى حل منى ، أنا فئة كل مسلم ، من لقى العدو فقُظع بشيء من أمره فأنا له فئة ، يرحم الله أبا عبيد لو كان عبر فاعتصم بالخيف أو تحيز إلينا ولم يستقتل لكنا له فئة »[1] .

أما المثنى فسرعان ما تماسك فأوقع الهزيمة بالفرس فى (أليس) ٢٤ من شعبان سنة ١٣ هـ ، وقتل فيها (مردانشاه) و(جابان) وعدد غير قليل من الفرس .

وندب الخليفة المسلمين لنجدة المثنى بن حارثة ، فقدم على الفاروق جموع العرب من أنحاء جزيرة العرب ، فقدم عليه : جرير بن عبد الله البجلى ، وعصمة بن عبدالله الضبى ، وعرفجة بن هرثمة البارقى ، وغالب بن فلان الليثى ، وهلال بن عُلفة التيمى ، وابن المثنى الجُشمى ، وعبد الله بن ذى السهمين الخثعمى ، وربعى بن عامر ، وابن هوبر الضبى ، والمنذر ابن حسان الضبى ، وقرط بن جماح ؛ كل فى قومه ، ففرح بهم عمر ، ودعا لهم ووجههم فى كتائب متتابعة إلى المثنى ، ولم يترك عمر أحدا وفد عليه فى المدينة إلا وأرسله مددا للمثنى .[2] .

أما الفرس فقد فزعوا من توالى وصول الإمدادات إذ أنها تعنى أن المسلمين لن يستسلموا للهزيمة ، ويعدون لجولة جديدة ، فخرج (مهران ابن باذان الهمذانى) على رأس جيوش الفرس من المدائن قاصداً الحيرة معقل المثنى الذى أسرع بالخروج لملاقاته عند البويب حيث كان مهران قد بلغ الضفة المقابلة من الفرات فى موضع يُقال له : « بسوسيا » ووقف المثنى مكانه حتى كتب إليه (مهران) : « إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم ، فقال لى المثنى : « اعبروا » .

وجعل المثنى على ميمنة جيشه (بشير بن الخصاصية) وعلى ميسرته (بُسر بن أبى رُهم الجهنى) ، وعلى الخيل أخاه (المعنى بن حارثة الشيبانى) وعلى المشاة أخاه (مسعود بن حارثة الشيبانى) .

---

(١) الطبرى ٦٧/٤ ، فتوح البلدان ٦٢٥ ، ٦٢٦ .

(٢) الطبرى ، ٧٣/٤ .

وكان هذا اللقاء فى رمضان من عام ١٣ هـ ، فقام المثنى خطيباً فى المجاهدين فقال : « إنكم صُوام ، والصوم مُرقة ومضعفة ، وإنى أرى من الرأى أن تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم » .

وسار المثنى بين صفوف الجيش يستعرضها ، ووقف على الرايات راية راية يحضهم ويحرضهم على القتال يقول لكل منهم : « إنى لأرجو أن لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم ، والله ما يسرنى اليوم لنفسى شىء إلا وهو يسرنى لعامتكم » .

وعبر الفرس الجسر الذى أقاموه بأنفسهم تتقدمهم أفيالهم ، والتحم الجيشان فى معركة رهيبة اهتزت صفوف المسلمين فى بدايتها فصاح المثنى فى الجيش « أيها الناس إلىَّ إلىَّ أنا المثنى » فثاب المسلمون وانتظمت صفوفهم من جديد ، وانقض المثنى على قلب جيش الفرس ، وكان فيه مهران قائدهم ، وأصيب (مسعود بن حارثة الشيبانى) قائد مشاة المسلمين فتضعضع من ذلك جنده فصاح فيهم مسعود : « لا تدعوا ما أنتم فيه .. الزموا مصافكم .. يا معشر بكر بن وائل ارفعوا راياتكم رفعكم الله ، لا يهولنكم مصرعى » ، وظل يحرض جنوده على القتال حتى استشهد فلما علم المثنى أسرع نحو جنود أخيه الشهيد وصاح فيهم : « يا معشر المسلمين هكذا مصرع خياركم ، ارفعوا راياتكم » .. ووقف (عدى بن حاتم يحرض ميسرة الجيش على القتال بعد أن لمس منها تخاذلا ، وصاح (جرير بن عبدالله البجلى) فى قومه بجيلة : « يا معشر بجيلة لا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم فإن لكم فى هذه البلاد - إن فتحها الله عليكم - حظوة ليست لأحد من العرب فقاتلوهم التماس إحدى الحسنيين » .

وقتل (مهران) بسيف المثنى فلما عاين الفرس مقتل قائدهم أيقنوا من وقوع الهزيمة بهم فاستداروا يريدون الجسر التماساً للفرار فسابقهم المثنى فيمن معه من الجسر فقطعه ليمنعهم ، عندها استبسل الفرس فى القتال دفاعاً عن حياتهم فلما انهارت قواهم ألقوا بأنفسهم فى النهر فجازه بعضهم سباحة وعثر آخرون على مخاضة فعبروا منها ، وانتهت المعركة بانتصار كبير للمسلمين الذين عبروا الفرات - بعد أن أصلح المثنى الجسر - يطاردون فلول الفرس المنهزمة حتى (السيب) على نهر دجلة .

ووقف المثنى بعد النصر فخطب فى جنوده قائلاً : « ... قاتلت العرب والعجم فى الجاهلية والإسلام ، والله لمائة من العجم فى الجاهلية أشد علىَّ من ألف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشد علىَّ من ألف من العجم ، إن الله أذهب مصدوقتهم ووهن كيدهم ، فلا يروعنكم زهاء ترونه ولا سواد ولاقسى فُج ولا نبال طوال ، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت » .

ولم ينس المثنى أن يؤنب نفسه علنا أمام جنوده ، لقطعه خط الرجعة على الفرس ، فقال : « لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى إياهم إلى الجسر ، وقطعه حتى أحرجتهم ، فإنى غير عائد فلا تعودوا ولا تقتدوا بى أيها الناس فإنها كانت منى زلة ، لا ينبغى إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع »[1] .

(١) الطبرى ، ٧١/٤ - ٧٦ ، فتوح البلدان ص ٦١٠ .

ثم خرج المثنى فى بنى شيبان وبنى عجل ، يغير على الفرس ومن حالفهم من الأعراب فى سائر أنحاء العراق ، فهاجم (سوق الخنافس) و(سوق بغداد) وصفين وأوغل برجاله فى تخوم العراق يهاجم تجمعات الفرس أينما كانوا ، وكان يقول لجنوده عندما يحس فيهم خوفاً من كثرة إيغالهم وسط الفرس : « . . إن للغارات روعات تنتشر عليهم يوماً إلى الليل ، ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوا ، وأنتم على الجياد العراب ، وهم على المقاريف البطاء . . فاتقوا بالله وأحسنوا به الظن فقد نصركم الله فى مواطن كثيرة وهم أعد منكم . . »[1] .

أما الفرس فقد خلعوا ملكتهم (بوران) وولوا عليهم (يزد جرد الثالث) الذى أعاد تنظيم الجيش ، وحصن الثغور وسلحها استعدادا للانقضاض على المسلمين ، ولما أحس المثنى بهذه الأمور أرسل إلى الفاروق عمر يستمده ، ولكن أهل السواد فى العراق كانوا أسرع إذ نقضوا العهود والمواثيق ، وتنكروا للمسلمين ، فانتهز الفرس الفرصة للانقضاض على المثنى الذى لم يجد أمامه من حل سوى الانسحاب وتجنب الاشتباك مع الفرس حفظاً لجيشه من مواجهة غير متكافئة .

وجاء كتاب عمر موافقاً لما ذهب إليه المثنى حيث حذره من الاشتباك مع الفرس ، وجاء فيه : « اخرجوا من بين ظهرى الأعاجم ، وتنحوا إلى البر ، وتفرقوا فى المياه التى تلى الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، وادع من يليك ولا تدعوا فى ربيعة أحدا ، ولا مضر ولا حلفائهم أحدا من أهل النجدات ولا فارسا إلا اجتلبتموه . . . » .

فنزل المثنى بـ (ذى قار) ووزع المسلمين فى المياه من أول صحراء العراق إلى آخرها فى مسالح ينظر بعضها بعضا ويغيث بعضها بعضا إذا هوجموا .

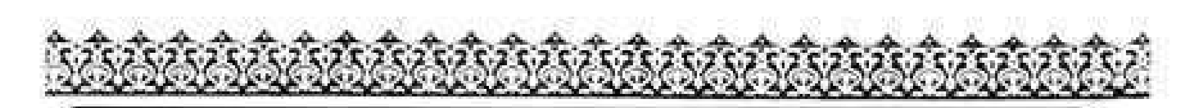
ودعا عمر المسلمين لنجدة المثنى ، فتوافد عليه الناس من أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فأنزلهم عمر على ماء قرب المدينة يسمى (صرار) وبلغ عدد من تطوع نحو أربعة آلاف رجل ، فجعل عمر عليهم سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ أحد العشرة الذين بشرهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجنة ، فخرج بالجيش فى ١٣ من شعبان سنة ١٤ هـ قاصداً (زرود) حيث أمره الفاروق بأن يعسكر بالجيش هناك إلى أن يأتيه أمره ، فوصلها فى نهاية شعبان ١٤ هـ ، وتجمعت له سبعة آلاف من عرب تميم والرباب وأسد ، وأمده عمر بأربعة آلاف أخرى[2] .

● سعد بن أبى وقاص :

وأثناء ذلك جاء الخبر بوفاة المثنى ، فأمر عمر سعدا بأن يتوجه إلى شراف حيث كان المثنى يعسكر بقواته فوصلها فى ذى الحجة عام ١٤ هـ ليجد وصية المثنى فى انتظاره فقد أبى الفارس الشجاع أن يموت إلا بعد أن يسدى النصح للقائد الجديد ونصحه بـ « ألا يقاتل عدوه وعدو المسلمين من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وملؤهم فى عقر دارهم ، وإنما يقاتلهم على حدود أرضهم على

---

(١) الطبرى ، ٧٨/٤ ، فتوح البلدان ص ٦٢١ ، ٦٢٢ .
(٢) الطبرى ، ٤٨٤/٣ .



أدنى حجر من أرض العرب ، وأدنى مدرة من أرض العجم »[1] .

فأخذ سعد يغير على تخوم الفرس وأطراف أراضيهم حتى وصله كتاب الفاروق ، وجاء فيه : « إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس وعرف عليهم وأمر على أجنادهم وعبهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقدرهم وهم شهود ، ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية واضمم إليك المغيرة بن شعبة فى قيلة واكتب إلىّ بالذى يستقر عليه أمرهم » .

فسار سعد بن أبي وقاص تجاه القادسية فاستولى على حصن (العذيب) وأنزل به نساء المسلمين ووضع خيلا لرعايتهن وحمايتهن ثم ارتحل حتى نزل القادسية فنزل حصن (قديس) ومضى سعد يبث السرايا ويغير على ما حوله من أراض ، وأقام زمناً ينتظر الفرس أن يوجهوا إليه جيوشهم وهم لا يفعلون .

فكتب إليه عمر بن الخطاب كتابا جاء فيه : « أما بعد ، فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة ، ومن غفل فليحدثهما ، والصبر الصبر فإن المعونة تأتى من الله على قدر النية والأجر على قدر الحسبة ، والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، واكتب إلىّ أين بلغك جمعهم ، ومن رأسهم الذى يلى مصادمتكم ، فإنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمى بما هجمتم عليه ، والذى استقر عليه أمر عدوكم ، فصف لنا منازل المسلمين ، والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأنى أنظر إليها ، واجعلنى من أمركم على الجلية ، وخف الله وارجه ، ولا تدل بشىء ، واعلم أن الله قد وعدكم وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فاحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم »[2] .

ثم كتب عمر لسعد كتاباً ثانياً يأمره بأن يوجه إلى الفرس من يدعوهم إلى الإسلام ، وأوصاه بأن يحسن اختياره . فأعد سعد أربعة عشر رجلا لذلك وهم : (النعمان بن مقرن) و(بسر بن أبي رهم) ، و(حملة بن جوية) و(حنظلة بن الربيع) ، و(فرات بن حيان) ، و(عدى بن سهيل) ، و(المغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب الأسيدى) ، و(عطارد بن حاجب) ، و(الأشعث بن قيس) ، و(الحارث بن حسان) ، و(عاصم بن عمرو) ، و(عمرو بن معدى كرب) ، و(المغيرة بن شعبة) ، و(المعنى ابن حارثة) ، وبعثهم سعد إلى كسرى يزد جرد الثالث فى المدائن[3] .

فلما وصل الوفد إلى المدائن استقبلهم يزد جرد استقبالاً سيئاً ورفض ما عرضه عليه الوفد من الإسلام أو الجزية واختار الحرب وأتى فعلاً تفاءل به المسلمون وسروا به سروراً عظيماً ، فقد أصر يزد جرد على أن يُحمل أشرف أفراد الوفد التراب ليعود به إلى سعد بن أبي وقاص فطلب عاصم بن عمرو أن يحمله ، ودخل به على سعد بن أبي وقاص يبشره بالظفر بعد أن منحهم يزد جرد تراب بلاده ، ولما علم أهل فارس بما فعل ملكهم اغتموا غماً شديداً وخاصة (رستم) قائد الجيش الذى

---

(١) الطبرى ٤٩٠/٣ .

(٢) الطبرى ، ٤٨٤/٣ ، ٤٩١ ، فتوح البلدان ص ٦٣٣ .

(٣) الطبرى ، ٤٩٦/٣ .

حاول اللحاق بالوفد ليستعيد التراب ولكنه فشل فقال رستم : « ذهب القوم بأرضكم . . » (١) .

وعلم سعد بن أبي وقاص بخروج رستم على رأس جيش كثيف فبعث سعد (طليحة بن خويلد الأسدى) ، و(عمرو بن معدى كرب الزبيدى) لاستطلاع خبر الفرس فعاد طليحة بأسير من معسكر الفرس عرف منه سعد كل ما يريد عن جيوش الفرس استعداداً للمعركة .

على أن رستم قائد جيوش الفرس طلب أن يحاور رجلاً من المسلمين فأرسل له سعد بن أبي وقاص بـ (ربعى بن عامر) ثم (حذيفة بن محصن الأزدى) ثم (المغيرة بن شعبة) ، فعرضوا على الفرس الإسلام أو الجزية أو الحرب وأمهلوهم ثلاثة أيام كان الفرس خلالها يتحرشون بالمسلمين والمسلمون يمسكون عنهم ولكن يصدونهم (٢) .

ولما انتهت المهلة لم يكن هناك مفر من القتال فوقع الصدام بين المسلمين والفرس فى اليوم الأول ، وكان سعد بن أبي وقاص قد أصابه مرض منعه من الركوب والجلوس فاعتلى حصن قديس يرقب المعركة من أعلى أسواره وأصيب المسلمون فى اليوم الأول بخسائر جسيمة بسبب الفيلة التى تقدمت جيوش الفرس ، فاغتم سعد حيث سقط من المسلمين فى هذا اليوم خمسمائة قتيل ، وسمى يوم أرماث ، ولكن اليوم الثانى حمل لسعد بشرى عظيمة إذ وصلت إمدادات من الشام والتى حملت للمسلمين بالقادسية الجيش الذى فتح العراق أول مرة مع خالد بن الوليد ، وكان على رأس المدد (القعقاع بن عمرو التميمى) الذى قتل القائد الفارسى (بهمن جاذويه) وألبس القعقاع إبل المسلمين البراقع ففزعت منها خيل الفرس فولت وهاربة بفرسانها وسمى هذا اليوم بيوم أغواث لأن المسلمين أغيثوا بالقعقاع ورفاقه ، وفى اليوم الثالث اشتدت وطأة الأفيال فأرسل سعد إلى (القعقاع) و(عاصم) ابنى عمرو ، و(حمال بن مالك) و(الربيل بن عمرو) وأوضح لهم مقاتل الأفيال وعين لهما فيلين هما الأبيض والأجرب فضرب القعقاع وعاصم الفيل الأبيض ونجح حمال والربيل فى إصابة الفيل الأجرب فدبت الفوضى فى صفوف الفرس وفزعت الأفيال فولت هاربة .

فلما كان اليوم الرابع بعث سعد إلى (جرير بن عبد الله البجلى) ، وكان معه لواء بجيلة وإلى الأشعث بن قيس ومعه لواء كندة ، وإلى رؤساء القبائل أن احملوا على القوم من ناحية الميمنة على القلب فحمل الناس عليهم من كل وجه وقتل رستم فهرب الفرس وولوا منهزمين ، وكتب سعد إلى عمر يعلمه بالنصر الذى تم فى ١٦ من شعبان سنة ١٥ هـ (٣) .

ومضى سعد يدخل الأقاليم الفارسية بلا مقاومة حقيقية بعد أن انهار الفرس تماماً فى القادسية فاستولى على (برس) و(بابل) و(بهرسير) وأخيراً دخل المدائن وسار فيها مع جيشه حتى انتهى إلى إيوان كسرى درة بلاد فارس فأقبل يقرأ قول الله ـ عز وجل ـ . . ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (الدخان ـ ٢٥ : ٢٨)

ووجد سعد فى المدائن بقية من الفرس فعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو الحرب فاختاروا الجزية (٤) .

(يتبع)

---

(١) الطبرى ٤٩٦/٣ : ٤٩٨ .
(٢) الطبرى ٥٠٢/٣ : ٥٢٨ .
(٣) فتوح البلدان ٦٣٥ : ٧٠٩ ، الطبرى ٥٢٩/٣ : ٥٨٤ .
(٤) الطبرى ٦١٩/٣ : ٦٢٢ ، ٥/٤ : ٢٣ .



من أعلام الأزهر

محمد محمد المدنى

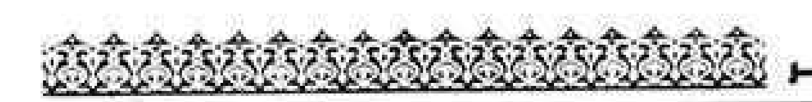
الكاتب الفقيه المصلح (٢)

للدكتور : محمد رجب البيومى

نعرف كثيراً من الدعاة إلى الإصلاح الدينى، والتجديد التشريعى يملأون الصحف فى الدعوة إلى الإصلاح، ويكتفون بهذه الصيحات التى تتردد فى المناسبات العامة، ثم يقفون عند هذا الهتاف المتصل بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، وتجديد تراثها المتشعب فى كُتب المتقدمين، ولكن الأستاذ المدنى لم يكن من هذا الطراز المتحمس الواقف عند الأقوال دون الأعمال. حيث شارك فى التأليف الفقهى مشاركة جادة مستنيرة فوضع كتباً خاصة بدعائم الاستقرار فى التشريع الإسلامى وبتعدد الزوجات فى الإسلام، وبالسلطة التشريعية فى الإسلام، وبمناهج التفكير فى الشريعة الإسلامية، وبالزواج والطلاق فى الإسلام وبفقه عمر بن الخطاب؛ وضع هذه الكتب لتؤلف شرائح متعددة، كل شريحة تستقل بموضوع خاص، فإذا انضم بعضها إلى بعض سدت مسدًا كبيراً فى مسائل الفقه الإسلامى، وهذا أهدى طريق



للتأليف الفقهى، لأن الذين يجمعون أبواب الفقه فى كتاب خاص يبتدىء بالعبادات، فالمعاملات فالحدود فيما يُعرف بالأحوال الشخصية،



لا يزيدون عن كونهم نقلة ، إذ يجمعون ما تعورف فى كتب الفقه ، فينقلون الأبواب بمحض الترتيب من الورق الأصفر إلى الورق الأبيض ويحسبون أنهم على شىء ! ولكن اختصاص كل باب بكتاب خاص يُتيح للكتاب أن يبسط الموضوع بسطا شافيا متبعاً عناصره فى كتب التراث ومضيفاً إليه ما جدت به الأحداث من أعراف وعادات ومسائل تتطلب الحل السريع ، وبحمد الله أصبحت هذه الطريقة هى المتبعة الآن فى التأليف الفقهى جامعياً ومستقلاً ، والفضل لمن اختطوا هذا النهج الحميد من كبار أساتذة الشريعة فى الأزهر وكليات الحقوق وفى مقدمتهم الأستاذ محمد محمد المدنى .

على أن المتتبع لصيحات المدنى الداعية إلى تنفيذ أحكام الشريعة يُجدها قد لزمت سنة التدرج الطبيعى فى المطالبة بهذا التنفيذ فهو يعلم أن الصلابة فى وجوه قوم أكثرهم ممن يعارض هذا الاتجاه لا تجدى غير تمسكهم بالشبه التى يعتلون بها ، لذلك نجده يحاضر فى جمعية الشبان المسلمين فى مسألة التطبيق فيقول للقوم ما ملخصه إن الرسالة المحمدية فى مبتدئها بمكة قد مكثت عشرين عاماً تحتفل بأمور العقيدة وحدها ، ولا تهتم إلا بالقليل الضئيل من مسائل التشريع ، لأن بناء العقيدة على أساس صحيح هو الهدف الأول من أهداف الرسالة . وإذا سلمت العقيدة فإن ما يتبع ذلك من فرائض الشرع الحنيف سريع التنفيذ ، فالمسلم متى اعتقد فى إسلامه بادر بإطاعة أوامره واجتناب نواهيه ، ثم لما هاجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة بدأ التشريع يتجه وجهة المجتمع فى معاملاته وحدوده ومواريثه ، وفى تنظيم الأسرة وتحديد وظيفة الحاكم فى الإسلام ، وآداب الجهاد ، حتى وضحت هذه الأمور وضوحاً تاماً فى مدى عشر سنوات عاشها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة .

يقول المدنى ما ملخصه : فإذا جاز لرسول الله أن يترك التشريع التجارى والجنائى والأسرى بمكة عشرين عاماً حتى سيطر على الموقف ، فاتجه إليه فإننا يجوز لنا أمام المعترضين اليوم على تنفيذ الحدود فى الشريعة الإسلامية . ويجعلونها العقبة الأولى فى سبيل نفاذ هذا التشريع الحكيم ، يجوز لنا أن نقول لهم لنترك مسألة الحدود حتى تتضح جدواها فى أذهانكم بعد حين ، ثم نعجل بتنفيذ أحكام الشريعة فى الأحوال التجارية والمدنية بحيث يكون القانون المدنى مأخوذا من كتاب الله على نهجه القويم ، وهنا نكون قد قطعنا نصف الطريق ، مقتدين برسول الله حين أرجأ هذه القوانين بمكة إلى ميعادها المدخر فى المدينة ، وقد قوبلت محاضرة الأستاذ بتعليقات تتقارب وتتباعد ، ولكنها فتحت طريقاً للبحث ، وقطعت الحجة على من يتمحلون بتطبيق مسائل الحدود ، وكأنها خطر فادح ، ولا يظن ظان أن المدنى كان يمانع فى تنفيذ هذه الحدود الصريحة العادلة ، القاطعة للجريمة ، كما جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، ولكنه يقطع الطريق على قوم يرجفون بما لا يعرفون ، بل ربما عرفوا الحق وأنكروه ، لأن تطبيق الحدود سيخلهم عن الشهوات الآثمة وهم آثمون .

﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ ﴾

« القيامة ٥ »

كذلك وقف الأستاذ المدنى وقفات حاسمة أمام من يدعون أن باب الاجتهاد قد أقفل ، فكتب

بحثاً [1] شافياً يسأل فيه من حرموا الاجتهاد الحق فى هذا الزمن المعاصر ؛ ووضعوا شروطاً للاجتهاد ومتعسرة التحقيق ، يسألهم : أكان المجتهدون فى العصر الذهبى من أمثال الأئمة الأربعة والأوزاعى وابن حزم والشاطبى من طراز خاص من البشر فى عقولهم بحيث يكون اجتهادهم وحده هو المتبع ، ثم لا يفتح الله لأحد من كبار المعاصرين بمثل ما فتح عليهم من التفكير؟ وهم علماء مثلهم ذوو غيرة على شرع الله وكتابه ، بحيث نقول لكل عالم يحاول أن يأتى بحكم معاصر فى مسألة معاصرة معتمداً على القياس الأصولى ، لست أهلاً للاجتهاد !! ثم ما هى شروط الاجتهاد التى قرروها ، إن القارىء يتلوها بادىء ذى بدء فيتعاظمه أمرها ، فإذا رجع إلى ما كتب حولها من الشروح والتقارير وجد الأمر أيسر مما يتوهم ، فقد قالوا[1] إن أول شروط الاجتهاد أن يكون المرء عالماً بكتاب الله وسنة رسوله ، ثم جعلوا يضخمون هذا المطلب . فقال بعضهم نحفظ من السنة مائة ألف حديث ، وزادها بعضهم إلى ثلاثمائة ألف ! هكذا يضخمون الأمر فإذا رجعت إلى ما كتبه الإمام أبو حامد الغزالى فى هذه المسألة وجدته يقول فى المستصفى[2] ، لا يشترط معرفة جميع ما فى الكتاب ، بل ما يتعلق بالأحكام ولا يشترط حفظها عن ظهر قلب ، بل أن يكون المجتهد عالماً بمواضعها بحيث يطلب منها الآية المرادة ، ولا يلزم حفظ السنة ، بل يكون عنده أصل مصحح لجميع الأحاديث المتعلقة بالأحكام !

وقد قالوا بادىء ذى بدء أيضاً ـ لابد أن يكون المجتهد قادراً على التمييز بين الصحاح والحسان والضعاف من الأحاديث بحيث يعرف رجال الإسناد معرفة يتمكن بها من الحكم على الحديث بأحد هذه الأوصاف » ، وجاء[3] الشوكانى فسهل الأمر قائلاً : « وليس من شرط ذلك أن يكون حافظاً لحال الرجال عن ظهر قلب ، بل المعتبر أن يتمكن بالبحث فى كتب الجرح والتعديل من معرفة أحوال الرجال » .

وقد قالوا : « لابد أن يكون عالماً بمسائل الإجماع ، وبالناسخ والمنسوخ » . . فقال[4] الغزالى تعقيباً على ذلك ، ليس يلزمه أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف ، بل يعلم ذلك فى كل مسألة يفتى فيها ، إذ ينبغى أن يعرف أن الفتوى ليست مخالفة للإجماع ، إما بأن يعلم أنه موافق مذهباً من مذاهب العلماء أيهم كان ، أو يعلم أن هذه واقعة متولدة فى العصر ، ولم يكن لأهل الإجماع فيها خوض .

أشرت إلى مؤلفات الأستاذ المدنى فى الحقل التشريعى ، لأنه الباب الأول من نتاجه الحفيل ، أما دراساته لبعض السور القرآنية التى جاءت فى كتبه مثل (سورة الأنعام والأهداف الأولى للقرآن) (والقصص الهادف للقرآن الكريم كما نراه فى سورة الكهف) (المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء) و (محاضرات فى التعريف بالقرآن) فهذه الدراسات تتصل بالحقل التشريعى ، وليست بمنأى عنه ، لأن دروس التفسير القرآنية فى منهجها الجديد الذى اختاره الأستاذ المدنى قد اتجهت إلى آيات التشريع لتجلو مراميها فى السور الكريمة ، مع استثناء كتاب

(1) الرسالة ـ العدد ٤٤٩ ـ ١٩٤٢/٢/٩
(2) المستصفى للغزالى ج (٢) ص ٣٥١ .
(3) إرشاد الفحول للشوكانى ص ٢٤٣ .
(4) المستصفى للغزالى ج (٢) ٣٥١ .

القصص الهادف كما نراه فى سورة الكهف) لأنه فى مضمونه الخلقى الكبير يعتبر رداً على شبه ظالمة أثارها حول القصص القرآنى من جروا وراء الخيالات الموهومة ، دون تعمق فى البحث ، ولهم شيعتهم التى تتبع كل ناعق ، وقد قرأت ما تيسرت لى قراءته من كتب الدراسات القرآنية فاهتديت إلى خير كثير ، إذ رأيت المؤلف البحاثة من الذين يذهبون إلى الحكم بالوحدة المتناسقة بين أجزاء السورة القرآنية ، وحديثه عن سورة النساء يكشف ما يعنى بالوحدة المتناسقة فقد قال المؤلف(٥) : « إن لكل سورة روحاً يسرى فى آياتها ويسيطر على مبادئها » ومضى يعرض عناصر السورة فى ضوء مارآه من هذه الوحدة ، وهى فى سورة النساء (تلتف) حول عناصر متقاربة مثل حقوق النساء واليتامى والسفهاء وأحكام المواريث ، وأحكام الزوجية وما يتصل بها .

والصلة بين هذه العناصر واضحة لامراء فيها ، ولكن العناصر الأخرى مثل أساس الحكومة الإسلامية ، والتضامن الأجتماعى فى ظل التوحيد ، والتحذير من أهل النفاق والكفر ، وإرسال الرسل ، وإقامة الحجة على من يزعمون التثليث ، وعموم الرسالة المحمدية ، هذه العناصر التى حددها الأستاذ المدنى كانت فى حاجة إلى إيضاح شاف للربط المتماسك الدال على هذه الوحدة ! وأحسن ما يقال فى هذا الاتجاه ، أن للقرآن روحاً أسلوبياً خاصاً به ، تلمحه فى كل ما نزل من كتاب الله ، وهذا الروح الإلهى بقوته التأثيرية ، وشفافيته الروحية وتماسكه التعبيرى هو عنوان الوحدة التى تشمل المعانى متقاربة ومتباعدة

ولعل البحاثة الأستاذ محمد فريد وجدى ـ رحمه الله ـ قد كتب فى دائرة المعارف التى أصدرها فى عشرة أجزاء كبار ما يؤكد هذا المعنى تماماً ، وقد فصلت هذه المسألة فى كتابى (البيان القرآنى(٦)) بما يوضحها تمام التوضيح .

وهناك جهد علمى بارز للأستاذ المدنى قد أغفل الحديث عنه ، ولم يشأ أن يجمعه فى كتاب خاص بعد أن نشره شافياً مستفيضاً فى المجلدين الحادى عشر والثانى عشر من مجلة الأزهر فى سنتى ١٣٥٩ ـ ١٣٦٠ هـ ، وهو ما كتبه فى قوة وإبداع تحت عنوان (الفقه الإسلامى فى مصر) ابتداء من العدد الثالث سنة ١٣٥٩ إلى العدد الثالث سنة ١٣٦٠ هـ وإذا كانت هذه البحوث النفيسة لم تنشر فى كتاب مستقل ، وقد بعد عهد القراء بها ، فإنى أذكر بعض ما جذبنى إليه منها ، حيث أعلن الأستاذ ـ صادقاً ـ أن نصيب مصر من المذاهب الفقهية ، ومدى تأثرها فى الصدر الأول بفقه الحجاز والعراق لم يتضح بعد فى الكتب التى ألفت فى تاريخ التشريع الإسلامى ، بل تناولت هذه الكتب شذوراً متفرقة عن الفقه فى مصر ، وعلمائها السابقين ، وكان من الممكن أن تشغل حيزاً كبيراً فى كتاب مستقل ، وهو بسبيل إيضاح هذه الفكرة فيما يتناول من الأبواب ، ثم جاء المقال التالى مع ما تبعه من البحوث لتتحدث عن : كيف دخل الفقه الإسلامى مصر ، ومَنْ من الصحابة قاموا بالفتيا والتشريع ، والأثر الكبير لعقبة بن عامر الجهنى ، ولعبد الله بن عمرو بن العاص ، والحق أن عبد الله بن عمرو جدير بكتاب خاص لأن أثره فى الفترة الأولى من السعة

(٥) المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء ص ٥ .

(٦) البيان القرآنى للدكتور محمد رجب البيومى ص ٢٤٨ وما بعدها .

والشمول بحيث لا يقاس به أثر صحابي آخر ، وقد وفق المؤلف حين أعلن أن الفقه في هذا العهد لم يكن منتشراً كعلم خاص له أبوابه ، ولكنه اندرج فيا يروى الصحابة من الحديث ، وأقول لم يكن هذا الشأن في مصر وحدها ، على هذا العهد ، بل كان في كل البلاد الإسلامية باستثناء المدينة لوجود مجتهدين كبار من أمثال عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ، وهما من هما في تعرف سبل الأحكام ، وإذا كان القضاء ملتزماً بأحكام الشريعة ، فإن القاضي فقيه ملتزم ، لذلك تحدث الأستاذ المدنى عن القضاء في هذه الحقبة وخصه بفصل خاص ، أعقبه بحديث قال عن فقهاء المدرسة التي تلت عبدالله بن عمرو ،

والتي كان من أساتذتها ، يزيد بن حبيب ، وابن لهيعة ، وابن وهب ، والليث بن سعد ! ومثل الليث بن سعد لا يندرج في فصل عام ، لأنه باجتهاده وروايته وتأثيره في البيئة الفقهية بمصر ـ وفي غير مصر ـ كان علماً من أعلام التشريع ، وقد دارت بينه وبين الإمام مالك فقيه المدينة وعالمها مناظرة علمية ، ومساجلة فقيه أحسن الأستاذ المدنى عرضها ، وحدد مناط الخلاف ـ كما يقول الأزهريون وتابع الحديث عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب وجميعهم من تلاميذ مالك ، حتى انتهى القول إلى وصول الشافعي ـ رضي الله عنه ـ إلى الفسطاط وانتشار البحث الفقهي المستوعب على يده ، وقد أجاد الأستاذ في حديثه عن الإمام الشافعي ، ولكنه أطال الجدال في مسألة تأثر الشافعي بالبيئة المصرية محاولاً أن ينفي هذا التأثر ، ومعارضاً ما اتجه إليه الأستاذ أحمد أمين في « ضحى الإسلام » إذ كشف عن هذا التأثر بما لم يستطع الأستاذ المدنى دحضه على وجه يفيد القارىء المحايد ، ولكنه فتح باباً للنقاش يستطيع

أحد الدارسين أن يلجه ، فيوازن بين الرأيين مقررا ما ينتهى إليه بدليل مبين ، لقد أطلت في عرض مسائل هذا البحث ، لأن مؤلفه لم يجمعه في كتاب خاص ، ولأنى لم أر أحداً أشار إليه ممن كتبوا في هذه الناحية ، إذ توالت كتب شتى تبحث عن الفقه الإسلامى في مصر في عهد الفتح وما بعده ولن تشر إلى بحوث الأستاذ الضافية ، وهى ذات صيد ثمين ، وقد سبقت هؤلاء .

وأخيراً . . ليس لى أن أغفل الحديث عن جهاد الأستاذ المدنى في جماعة التقريب الإسلامية حيث رأس تحرير مجلتها التى صدرت في أعداد علمية ممتازة جاوزت الخمسين ، وكلها بأقلام الصفوة الممتازة من الباحثين ، إن كل مسلم غيور على لم الشمل ورأب الصدع ، وقد أفلح المستعمرون في إذكاء نار البغضاء بين طائفتى الأمة الإسلامية من سنة وشيعة ، وإذا جاز أن يحدث هذا الخلاف في عصور سابقة لأسباب سياسية تتخذ من نصوص الشريعة ستاراً للتأييد والتفنيد فإن هذا العصر الذى تكالب فيه الأعداء الأقوياء على توهين شوكة الإسلام في جميع أقطاره ، في حاجة إلى أن يقف المسلمون جميعاً في صف واحد .

ولهذا الهدف السامى قامت جماعة التقريب برعاية إمام جليل لا يتطرق الشك في صلابة يقينه ، وصفاء سريرته ، ووضوح نظرته ، هو الإمام الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم ـ رحمه الله ـ ومن حوله شيعته وحواريوه من أمثال الإمام الأكبر الأستاذ محمود شلتوت ، وتلاميذهما الأزهريين وفى طليعتهم الأستاذ محمد المدنى ، ولما يعلم عن الأستاذ المدنى من قوة التعبير، وسعة الاطلاع

ونصوع الحجة ، فقد عهدت الجماعة إليه بالقيام على رئاسة تحرير المجلة ، هى مهمة ليست من السهولة بحيث يتصورها القارىء مجلة علمية تنشر بحوثاً بأقلام طائفة من العلماء ، لأن رئيس التحرير يواجه بسيل من الخطابات التى تعترض على وجوه شتى من وجوه التفكير ، وهو مضطر إلى نشر الاعتراضات ، لأنها بأقلام شيوخ كبار ، ثم إلى التعقيب على كل اعتراض بما يوضح وجه الحق فيه ، والحقيقة أن هذا الموقف يتطلب نضالاً تضيق به الصدور ، فقد كتب ـ مثلاً ـ شيخ فاضل يعلن أن التقريب[7] الإسلامى مستحيل بين المسلمين ، لأن طائفة تذهب إلى كون الله تعالى ليس جسماً ، وطائفة أخرى تقول بالتجسيم ، وطائفة مسلمة تعتقد أن صفات الله الكمالية عين ذاته ، وطائفة تفصل الصفات عن الذات ، وطائفة تقول بصدور الظلم عن الله ، وطائفة تنفى ذلك عليه ، ولعل القارىء قد ضاق صدره بهذه الاعتراضات المتقيدة من كتب كلامية تشتغل بالنظريات الجدلية أكثر مما تشتغل بنصوص القرآن ، ولكن الأستاذ المدنى قد بسط مجال الرد عليها فى عددين متواليين مؤيدين بالأدلة الناصعة التى لا تقبل اللجاج ، وقد قال فى مقدمة بحثه[8] ، هذه العبارات الرائعة :

« إن العالم قد تغير وقد أصبحت تسيطر عليه مبادىء أخرى غير مبادىء الخلاف الذى لا طائل تحته فى ألوان المعارف والنظريات الكلامية ، ولا ينبغى أن يظل المسلمون وحدهم فى معزل عن الناس ، يشتغلون بالآراء التى ليست لها فوائد عملية ، وليست تثمر إلا المتاعب وكد الأذهان ، وتوسيع شقة الخلاف ، وتعميق هوته وحسبهم أن يكونوا كأصحاب رسول الله فى عقيدتهم الدينية ، وأن يتجنبوا ماكانوا يتجنبون من الخوض فى الشئون الغيبية ، والمسائل الخلافية ، ذلك هو منهج التقريب وصراطه المستقيم » .

هذا بعض ماعاناه الرجل فى قيامه على رئاسة تحرير مجلة رسالة الإسلام ، وإذا كنت قد اهتممت بفكره العلمى أكثر من اهتمامى بتاريخ حياته كعادتى فى هذه الفصول ، فإنى أعلن أن الرجل قد ولد فى سنة ١٩٠٧ بمحافظة البحيرة وتنقل فى التعليم على النحو الذى أشرت إليه حتى صار عميداً لكلية الشريعة سنة ١٩٥٩ ، فبذل جهده فى تطويرها ثم انتقل إلى جامعة القاهرة أستاذاً للشريعة بدار العلوم ، وفى الفترة الأخيرة من حياته سافر إلى الكويت ليكون أحد بناة جامعتها الحديثة ، أستاذاً بكلية الحقوق ولكن القدر عاجله بعد ثلاثة أشهر من بعثته ، فلقى وجه ربه فى مايو سنة ١٩٦٨ ، ورجع جسدا محمولاً على الأعناق ، تاركاً صفحة جهاده ناصعة ، تقدم المثل الرائع للكاتب الفقيه المصلح ، وقد أجمع من قاموا برثائه فى حفلة تأبينية بجمعية الشبان المسلمين على أنه كان مثلاً يحتذى بين العلماء ، وأن بحوثه الباقية جديرة بالانتشار والذيوع .

---

(٧) رسالة الإسلام ـ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ ص ٣٢١ .

(٨) رسالة الإسلام ـ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ ص ٣١٩ .

نظرات حول التصوف

بقلم : بدوى طه بدوى *

الحمد لله حمداً كثيرا طيبا طاهرا مباركا يزيد على حمد الحامدين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين . . . أما بعد

فهذه دراسة مختصرة حول التصوف الإسلامى ونشأته وتطوره وأصوله ومعناه وأشهر علمائه وبيان الأزهر الشريف حول التصوف والطرق الصوفية .

(١) تعريف التصوف :

نذكر لمحة سريعة ونبذة عن تعريف التصوف فيقول العلامة ابن صدر الدين : التصوف هو علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعاداتهم والأمور العارضة لهم فى درجاتهم بقدر الطاقة البشرية ، وأما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه فغير ممكن لأن العبارات إنما وضعت للمعانى التى وصل إليها فهم أهل اللغات ، وأما المعانى التى لايصل إليها إلا غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه فليس بممكن أن توضع لها الألفاظ ، فضلا عن أن يعبر عنها بالألفاظ ، فكما أن المعقولات لاتدرك بالأوهام ، والموهومات لا تدرك بالخيالات والتخيلات لا تدرك بالحواس ، كذلك ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين .

فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد فى الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبيان ، فإنه طور وراء طور العقل .

علم التصوف علم ليس يعرفه
إلا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده
وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف (١)

* باحث إسلامى

(١) انظر كشف الظنون لحاجى خليفة ٤١٣/١ .

(٢) آراء حول أول من سمي بالصوفي وسبب ذلك :

يقول الإمام القشيري : اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله - ﷺ - لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول - ﷺ - إذ لا أفضلية فوقها فقيل لهم الصحابة ، ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمى من صحب الصحابة بالتابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدعة وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة ، وأول من سمى بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة خمس ومائة [١] .

(٣) تعريف العلماء القدامى للتصوف :

● يقول العلامة الجرجاني :

التصوف مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل ، وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولى على السرمدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة ، واتباع رسول الله - ﷺ - في الشريعة ، وقيل ترك الاختيار ، وقيل بذل المجهود والأنس بالمعبود وقيل حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك ، وقيل الإعراض عن الاعتراض ، وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى ، وأصله التفرغ عن الدنيا وقيل الصبر تحت الأمر والنهي ، وقيل خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التظرف ، وقيل الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس مما في أيدي الخلائق [٢] .

● ويقول الحافظ الإمام السيوطي :

التصوف تجريد القلب لله تعالى ، واحتقار ما سواه .

● يقول حاجي خليفة :

علم التصوف علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم ، والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية [٣] .

(٤) معنى الصوفية والصوفي :

قال بعض العلماء إن الصوفية مشتق من الصَّفا ، أو من الصِّفة ، أو من الصُّفَّة ، أو من الصوف لأنهم كانوا في مبدأ أمرهم يلبسون الصوف ، ويختصون به لمخالفة سائر الناس في لبس فاخر الثياب ، وإقبال المتصوفة إلى الزهد والانفراد عن الخلق ، والظاهر أن هذا الاشتقاق بعيد ؛ لذلك قال الإمام القشيري :

ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس .

---

(١) السابق ٤١٤/١ ، أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي إعداد عبد الجبار زكار ١٩٦/٢ .

(٢) التعريفات للجرجاني تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ص ٨٨ .

(٣) تعريف علم بالعلوم الشرعية للدكتور محمد الزحيلي ص ١٨٩ .

وعن لفظ الصوفى ، يقول الإمام أبو العباس المرسى :

صوفى مركبة من حروف أربعة : ص ، و ، ف ، ى .

الصاد : صبره وصدقه وصفاؤه .

الواو : وجده ووده ووفاؤه

الفاء : فقده وفقره وفناؤه

والياء : ياء النسبة .

فإذا تكمل فيه ذلك فقد أضيف إلى حضرة مولاه .

وأورد قول الشاعر :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا
قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفى حتى سمى الصوفى [1]

(٥) أصول التصوف :

حدد الإمام النووى ـ رحمه ـ الله ـ أصول التصوف فقال : أصول طريق التصوف خمسة :

١ ـ تقوى الله فى السر والعلانية .

٢ ـ اتباع السنة فى الأقوال والأفعال والأحوال .

٣ ـ الإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار .

٤ ـ الرضى من الله تعالى فى القليل والكثير .

٥ ـ الرجوع إلى الله تعالى فى السراء والضراء .

فتحقيق التقوى بالورع والاستقامة .

وتحقيق اتباع السنة بالتحفظ وحسن الخلق .

وتحقيق الإعراض عن الخلق بالصبر والتوكل .

وتحقيق الرضا عن الله بالقناعة والتفويض .

وتحقيق الرجوع إلى الله بالشكر له فى السراء والالتجاء إليه فى الضراء .. وأصول ذلك كله خمسة :

١ ـ علو الهمة .

٢ ـ حفظ الحرمة .

٣ ـ حسن الخدمة .

٤ ـ نفوذ العزيمة .

٥ ـ تعظيم النعمة .

فمن علت همته ارتفعت رتبته ، ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته ، ومن حسنت خدمته وجبت كرامته ، ومن نفذت عزيمته دامت هدايته ، ومن عظم النعمة شكرها ، ومن شكرها استوجب المزيد كما قال تعالى :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

(إبراهيم : ٧) .

وأصول المعاملات خمسة :

١ ـ طلب العلم للقيام بالأمر .

٢ ـ صحبة المشايخ للتبصر .

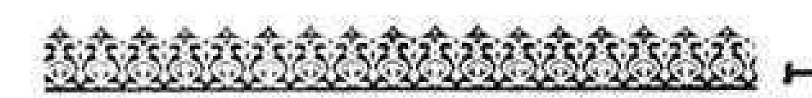
٣ ـ ترك الرخص والتأويلات للتحفظ .

٤ ـ ضبط الأوقات بالأوراد للحضور (الأوراد : الأذكار) .

٥ ـ اتهام النفس فى كل شىء للخروج من الهوى والسلامة من العطب .

فطلب العلم آفته صحبة الأحداث سناً وعقلا ودينا مما لايرجع إلى أصل ولا قاعدة ، وآفة الصحبة الاغترار والفضول بكثرة الكلام ، وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس ،

(١) المشايق ص ١٩٠ ، الإمام أبو العباس المرسى تأليف أحمد حسين التسيباوى ص ٢٨ .



وآفة اتهام النفس الأنس بحسن أحوالها واستقامتها ، وقد قال الله تعالى :

﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ ﴾

(الأنعام : ٧٠) .

وأصول ما تداوى به علل النفوس خمسة :

١ ـ تخفيف المعدة بقلة الطعام والشراب .

٢ ـ الالتجاء إلى الله تعالى مما يعرض عند عروضه .

٣ ـ الفرار من مواقف ما يخشى الوقوع فيها .

٤ ـ دوام الاستغفار مع الصلاة على النبى ـ ﷺ ـ آناء الليل وأطراف النهار باجتماع الخاطر .

٥ ـ صحبة من يدلك على الله [١] .

(٦) نشأة التصوف:

يقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ عن نشأة التصوف :

نشأ التصوف روحيا ، وإن كان عند بعض الناس أخذ مسلكاً شكلياً ، ولقد نشأ من ينبوعين صافيين :

أولهما : انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد فى الدنيا والانقطاع للعبادة ، وقد ابتدأ ذلك فى عصر النبى ـ ﷺ ـ فكان من الصحابة من اعتزم أن يقوم الليل متهجداً ولا ينام ، ومنهم من يصوم ولا يفطر ، ومنهم من انقطع عن النساء ، فلما بلغ أمرهم النبى ـ ﷺ ـ قال : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وبذلك بين النبى ـ ﷺ ـ معنى الزهد ، وهو طلب الحلال ، وألا يحرم ما أحل الله ، ولكن بعد أن انتقل النبى ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى ومضى عصر الصحابة والتابعين ، دخل فى الإسلام من كان فى نفوسهم أثر من المذاهب القديمة ، الذين كانوا يحبون تعذيب الجسم لتقوية الروح نوعاً من العبادة .

ولكن مع شيوع هذه الأفكار لفظتها المبادىء الإسلامية ، وبقى معنى الزهد الذى قدره الإمام أحمد : الاقتصار على الحلال .

وبالجمع بين هدى النبى ـ ﷺ ـ وما جاء من منازع تحارب الحلال كان التصوف الإسلامى الذى لايقطع عن الحياة ويربى الروح والقلب ، ويوجههما إلى الله تعالى ، وكان المزج الكامل بين متعة الحلال ، وقطع النفس عن الشهوات .. هذا الينبوع إسلامى خالص ، وما خالطه من منازع أخرى ، قد رفضها الإسلام ، وأبعده العلماء ، فكان فى دائرته المعقولة .

والينبوع الثانى للتصوف وهو ليس إسلامياً وإن تلاقى فى بعض نواحيه مع الأخلاق الإسلامية التى دل عليها القرآن والسنة ، وما كان عليه الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم وذلك الينبوع هو ماسرى إلى المسلمين من فكرتين : الأولى : فلسفية ، والثانية : من الأديان القديمة ممن انتحلوا نحلا باطلة .

ولذا نرى أن صوفية الإسلام يلتقى فيها أمران :

أحدهما: الإشراق ، والثانى: الشوق إلى الله تعالى ومحبته ، والمحبة قدر مشترك بين الصوفية المسلمين

---

(١) المقاصد فى بيان ما يجب معرفته من الدين من العقيدة والعبادة وأصول التصوف للإمام النووى ص ٨٤ ـ ٨٧ .

أجمعين ، كالإشراف وقد راض بعضهم نفسه على المحبة ، واتخذ منها سبيلا للاتصال بالله تعالى ، وذلك منزع ليس فيه حلول وليس فيه ما يسمى بوحدة الوجود ، بل هو إشراق النفس بنور الإيمان ، وامتلاؤها بمحبة الله ورياضة النفس على محبة الله حتى يكون كل شيء فى نفسه ، فلا يتحرك حركة عن حركة إلا فى سبيل رضاه ومحبته وحتى يحب الشيء لا يحبه إلا بحبه لله .

ثم يختتم الإمام محمد أبو زهرة كلامه عن الصوفية بعبارات بليغة قيمة موضوعية فيقول :

ومن العامة من لايعرف من التصوف إلا مظاهره ، ومن حقائقه إلا أشكالها ، ونحن إذا قلنا أن التصوف حمل الدعوة الإسلامية أو كان منهم من حملوها لا نقصد العامة ، ولا الذين اتخذوها شكلا ومظاهر ومواكب تخترق الطرقات ، إنما نقصد الصفوة المختارة منهم ، التى صفت نفوسها وربت مريديهم وتلاميذهم على الخير والعمل كالشيخ عبد القادر الجيلانى وأبى الحسن الشاذلى ، والمرسى أبى العباس ، وابن عطاء الله السكندرى والشيخ أحمد التيجانى ، وابن على السنوسى ، فأولئك كان لهم مقام فى الدعوة إلى الإسلام [1] .

● ومن نشأة التصوف وتطوره أيضا يقول الدكتور الزحيلى :

كان الزهد هو البذرة الأولى للتصوف ، وظهر الزهد منذ مطلع القرن الثانى الهجرى ، وصنف فيه كبار العلماء ، وعد المتصوفة هذه الكتب أصولا ومنطلقات لهم .

ويعتبر الحسن البصرى (١١٠ هـ) أهم رواد المتصوفة ، كما تعتبر كتبه من أوائل المصنفات التى تتضمن عبارات كثيرة وصيغا متعددة تحث على الزهد والتصوف ، وقد يطلق الزهد ويراد به التصوف والعكس بالعكس . كما كانت مبادىء التصوف ترد أيضاً تحت عنوان المواعظ والخطب والقصص والوصايا والمسائل . ثم جاءت كتب الزهد التى وصلت إلينا وأقدمها كتاب الزهد لثابت بن دينار الكوفى (١٥٠ هـ) ثم كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك (١٨١ هـ) وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ثم جمعت أكثر الأقوال فى الزهد فى كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى (٤٣٠ هـ) [2] .

(٧) أشهر علماء الصوفية الزهاد :

ظهر فى أوائل القرن الثانى للهجرة كبار الزهاد الأوائل من أقطاب الصوفية المخلصين والأئمة الورعين منهم :

محمد بن سيرين (١١٠ هـ) وأبو حازم سلمة ابن دينار المخزومى (١٤٠ هـ) والحسن البصرى (١١٠ هـ) وسابق بن عبد الله البربرى (حوالى ١٢٠ هـ) وعبد الله بن المبارك (١٨١ هـ) والمعافى بن عمران (١٨٥ هـ) والفضيل بن عياض (١٨٧ هـ) ومعروف الكرخى ◄

---

(١) الدعوة إلى الإسلام لفضيلة الشيخ الإمام محمد أبو زهرة ط مجمع البحوث الإسلامية ص١٠٣ ـ ١٠٨ .

(٢) تعريف عام بالعلوم الشرعية للدكتور محمد الزحيلى ص ١٩٤ .

(٢٠٠هـ)وبشر بن الحارث الحافى (٢٢٧ هـ) والحارث المحاسبى (٢٤٣ هـ) وهو من أشهر أعلام التصوف ، وأبواليزيد البسطامى (٢٦١ هـ) وأبوبكر الوراق (٢٨٠ هـ) وغيرهم كثير وكتب كثير منهم مصنفات وكتبا ورسائل فى الزهد ، ولهم عبارات مأثورة ، وكانوا يمارسون التربية الروحية ويوجهون الناس إلى الورع والتقوى ، وتصدر عنهم المواعظ والحكم التى تنبع من الإسلام وتتفق مع مقاصده وتوجيهاته [١] .

(٨) الصوفية فى مصر :

يقول العلامة ابن النفيس : إن الصوفية التى انتشرت فى مصر ابتعدت عن العناصر غير الإسلامية التى اختلطت بالتصوف فى البلاد الإسلامية الأخرى ، فلم تنتشر فيها نظرية وحدة الوجود ولا مبدأ الحلول والاتحاد ، فقد عنى التصوف المصرى بالجانب العمل الخلقى ، ولم يرض المصريون عن المتصوفين الذين غالوا فى تصوفهم وأسرفوا فى الدعوة لنظريات أثير حولها بعض الشبهات ؛ ولذلك أعرضوا عن محى الدين ابن عربى ، وعن عفيف الدين سليمان التلمسانى ، والذى دعا إلى طريقة شيخه جلال الدين قونوى المشهور باسم جلال الدين الرومى (٦٧٢ هـ) [٢] .

وبسبب انتشار التصوف فى مصر فى عصر السلاطين المماليك وفد على مصر فى القرن الثالث عشر الميلادى كثير من مشايخ الصوفية المشهورين مثل السيد أحمد البدوى ، وأبى الحسن الشاذلى وأبى العباس المرسى ، ووجد هؤلاء وغيرهم رغبة من أهل مصر فى التصوف والانقطاع للعبادة بسبب ما كانوا يعانونه من ضيق بسبب سطوة المماليك وعدم استقرار أحوال البلاد فضلا عن كثرة المجاعات والأزمات الاقتصادية ، وقد شيدت الخوانق والروابط والزوايا التى يقيم فيها شيوخ الصوفية مع المريدين والأتباع [٣] .

(٩) بيان للناس من الأزهر الشريف حول التصوف والطرق الصوفية :

لقد أصدر الأزهر الشريف بيانا منذ أكثر من عشر سنين متمثلا فى شيخ الأزهر فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق وعلماء من كبار الفقهاء بمجمع البحوث الإسلامية . جاء فيه :

إن التصوف والطرق الصوفية أمر قديم ، وقد كثر الكلام حوله تارة بالتأييد وتارة بالتجريح ، لكن المقياس الصحيح الذى يجب أن تقاس به الأفكار والسلوك وتوزن به هذه الطرق وكل التشكيلات المنسوبة إلى الدين هو :

قوله تعالى :

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٦٢﴾ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿٦٣﴾ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴿٦٤﴾ ﴾

(يونس : ٦٢ - ٦٤) .

---

(١) السابق ص ١٩٥ بتصرف .

(٢) الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية لابن النفيس تحقيق عبد المنعم محمد عمر طـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٣٨ .

(٣) صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى لعبد الوهاب حمودة ص ٢٠ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

وقول النبي - ﷺ - (من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) (رواه البخارى ومسلم) .

فإن كانت الطرق الصوفية ملتزمة للدين عقيدة وشريعة فهى محمودة ، وينبغى تشجيعها ، وإن انحرفت فهى مذمومة ويجب تقويمها ، والتقويم يكون على المنهج الذى رسمه الله لنبيه - ﷺ - بقوله تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) .

وذلك لنحول هذه الطاقات الهائلة إلى الإنتاج المثمر فى كل مجال .

إن الطرق الصوفية أشبه بالمدارس التربوية التى تضم إلى العلم والثقافة ممارسة عملية تطبيقية ، فهى تنطلق فى نشاطها على ضوء الفكر والوجدان ؛ لأن علاقة المريدين « التلاميذ والطلاب » بشيخهم علاقة حب واحترام لا نجدها فى كثير من المؤسسات التربوية الأخرى ، وبهذا الرباط الروحى يمكن توجيههم بيسر وسهولة ، وكانت لهم وقفات صامدة على مدى التاريخ فى مقاومة الاستعمار وفى إقامة المنشآت الدينية .

وبتوالى الأجيال واختلاف المؤثرات شاب نقاءها شوائب ، حاول بعض شيوخها تنقيتها ، ولم يحاول بعضهم الأخر ، ومن هنا كثرت التعليقات عليها ، ووجدت مؤلفات فيها أمور غريبة ، فى ظاهرها مخالفة للشريعة ، يلتمس بعض المتعصبين لها الأعذار ، إما بأنها مدسوسة ، وإما بأنها تعلو على أفهام العامة لا يعرفها إلا من عايشوها ، وهناك توجيهات من العقلاء بالحذر من شطحات الصوفية ، وبعض الألفاظ التى تجرى على ألسنتهم أو تنقل عنهم قد تكون محاولة للتعبير عن الأحاسيس التى يحسونها ، والألفاظ قاصرة عن الدقة فى التعبير عنها .

واختتم البيان رأى علماء الأزهر قائلا :

المهم أن نتريث فى الحكم على أى شىء ، وأن نوازن بين الإيجابيات والسلبيات فكرا وسلوكا ، وأن نحاول الإصلاح بالحكمة دون العمل على الهدم من أجل الهدم [١] .

وختاماً .. فإن من علماء الصوفية أئمة ومفكرين وعلماء عاملين حملوا مشاعل الفكر والنور ، وتصدوا للوعظ والإرشاد ، ودعوا إلى الله على بصيرة ، ونشروا الإسلام فى ربوع الأرض ، فهؤلاء متصوفة صادقون ملئت قلوبهم محبة لله وحبا للخير ، وكانوا نماذج مشرقة فى المعاملة الحسنة والأخلاق الحميدة .

إن كثيرا من أئمة التصوف كالإمام أبى الحسن الشاذلى والمرسى أبى العباس وابن عطاء الله السكندرى وغيرهم من الأئمة المجتهدين كانوا مثلا للأخلاق الإسلامية السامية فالتف الناس حولهم وجذبت القلوب إليهم .

ما أحوجنا إلى العودة إلى طريق الله واتباع منهاج حبيبه ومصطفاه - ﷺ - والاقتداء بالصحابة والتابعين والسلف الصالح والأئمة الزاهدين من علماء الصوفية المستنيرين فهذا هو التصوف الحقيقى الذى لا تشوبه شائبة .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل منا صالح أعمالنا ويؤمنا يوم الفزع الأكبر ويشفع فينا حبيبه - ﷺ - إنه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) بيان للناس من الأزهر الشريف ٢/٣٨ - ٤٠ .

شريعتنا الإسلامية

وزائرونا من الأجانب

بقلم: أحمد إبراهيم هلال

تزايدت أفواج الزائرين والقاصدين ديارنا الإسلامية ـ من الشعوب غير الإسلامية ـ تزايداً مضطرداً فى السنوات الأخيرة ، ووراء كل منهم قصد مختلف ، فنجد منهم الباحثين العلميين المهتمين بدراسة مشرقنا الإسلامى ، وجوانبه التاريخية ، والاجتماعية ، والجغرافية ، ومنهم رجال الأعمال الباحثين عن فرص الاستثمار الاقتصادى والتجارى ، واكتشاف آفاق التسويق والأسواق فى ديارنا ، ومنهم من جاء تلبية لدعوات من جهات حكومية ، أو غير حكومية ، فهم أشخاص رسميون يمثلون دولهم ، أو منظمات دولية ، أو إقليمية ، أو خاصة ، ومنهم من جاء ساعياً للاستمتاع بشواطئنا الجميلة ، ومياهنا الدفيئة ، وشمسنا الساطعة ، ومناخنا المعتدل ، ورؤية الآثار البديعة ، والرائعة لحضارتنا الحديثة والقديمة ، التى تزدهر فى ربوع ديارنا . وما أعظمها من فرصة ؛ لكى نقدم لذلك الحشد القاصد ديارنا الصورة الحقيقية والنقية الوضاءة لإسلامنا الحنيف ، وذلك عوضاً عن التشويه المتعمد ، الذى تقوم به أجهزة الإعلام الغربى والصهيونى ، التى تبث سمومها ، وحقدها على الإسلام فى خبث ودهاء ليل نهار .

• باحث إسلامى متفرغ حاصل على درجة الماجستير فى العلوم الإسلامية .

وإن لم نفعل تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، ونكون قد أهدرنا فرصة عظيمة ، للتجارة مع الله سنحت إلينا ، وكان من الواجب أن نسعى نحن إليها ، ولكن الله قد علم أن فينا ضعفاً ، فيسر لنا بعضاً من سبل الدعوة إليه .

وها هو نبى الإسلام - صلى الله عليه وسلم - قد قالها واضحة صريحة لا تحتمل اللبس : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (رواه البخارى) . وهو بذلك إنما يركز على الجانب الخفى من العبد ، والذى لا يطلع عليه إلا الله ، ويؤكد أهمية سلامة القصد ، وصدق التوجه ، ونقاء الطوية ، فذلك مناط المسألة الإلهية ، ورغم ذلك فإن الحياة اليومية للمسلم من خلق ، وأعمال ، ومعاملات ، ما هى إلا مرآة صادقة لما انطوت عليه سريرته ، وهى التطبيق العملى لما يؤمن به من مُثُل ، وهى المقياس الحقيقى لمدى تمسكه بتعاليم الإسلام القويمة ، وأخيرًا هى مناط ضبط الفرد المسلم واعتداله ، ومباشرة المجتمع لحق الولاية عليه ، وكل ذلك يوجزه القول الفصل للنبى الخاتم - صلى الله عليه وسلم - « الإيمان ما وقر فى القلب ، وصدقه العمل » (رواه البخارى) .

والصورة الإسلامية التى يجب علينا - أفراداً وجماعات ، حكومات وشعوباً - أن نظهرها ونجليها لزائرينا هى الجانب العملى لما وقر فى القلب وصدق العمل .

وأول جوانب تلك الصورة هى استمساكنا بهويتنا ، واحترامنا لها ، وعدم تخلينا عنها ، عند أول منعطف من التعامل معهم ، وعلينا أن نؤمن يقين أن أى تفريط فى متابعة شريعتنا لن يزيدنا احتراماً فى نظرهم ، ولن يزيدنا قرباً منهم ، ولن يجعل لنا الحظوة لديهم ، بل على العكس من ذلك تماماً ، فهم يعلمون - ونحن أيضاً - أن من يتهاون فى هويته ، ويهون من شريعته - وهى الأصل بالنسبة له - من السهل عليه تماماً أن يهون أو يتهاون فيما هو فرع ، وقد يبدو من ظاهرهم الترحاب بتخلى المسلم عن تراثه ، والتحلى بما هو وافد معهم ، فالحقيقة أنهم لا يحترمونه فى قرارة أنفسهم ، ولا يمنحونه ثقتهم الحقيقية ، وهذا أمر طبيعى ، فعزة المسلم تزداد اضطرادا مع الاستمساك بنهج الله ، وذله أيضاً - يزداد اضطراداً مع التهاون فى نهج الله .

وليس معنى ذلك أن نسيء معاملة زائرينا ، وأن نعرض عنهم ، وأين ذلك من كرم الضيافة ، وحسن الوفادة التى هى من صميم شيم المسلم الحقيقى .

فمن الواجب علينا أن نحسن معاملتهم ، ونمد لهم يد العون والمشورة ، وفى سبيل ذلك نسعى - كل حسب موقعه من التعامل معهم - فى تعلم لغتهم ، والعمل على إجادتها ، فهى المدخل الطبيعى لكى نوضح لهم - عند طلبهم ذلك - ما خفى عليهم من شريعتنا ، ونبل غايتنا ، ونقدم

منهجنا ، وتزيل عنهم وعن وجدانهم ما علق فى أذهانهم من سوء عن الإسلام والمسلمين .

ومن الأمور الهامة التى تفتح قلوب زائرينا وتزيل عنهم حجب الشك والريبة ، هو صدقنا معهم فى القول ، وعدم المبالغة والتكلف ، ووفاؤنا الكامل بوعودنا لهم ، ومواعيدنا معهم ، وعدم تصدينا لما لا نعرف ، أما أسلوب ما يسمى (بالفهلوة) فتلك سلبيات تضيف عراقيل فى قنوات اتصالنا بهم .

ومن الأمور التى تسىء إلينا وإليهم كثيراً هو : ما يلجأ إليه بعض ضعاف الدين عندما يغشهم أو يدلس عليهم ويظلمهم ، وأسوأ من ذلك أن نعتبر أموالهم وممتلكاتهم غنيمة ، ونهبة ، تسلب منها مانستطيع بغير حق وبغير عدل ، فنغالى فيما نطلبه منهم ، مقابل ما نقدمه لهم من خدمات ، وسلع ، ويبعهم بعضنا إلى بعض، ويسلمهم بعضنا إلى بعض كأنهم مناطق نفوذ ، وسبايا مما لا يرتضيه خلق ولا دين .

وعلينا : أن نتعلم منهم ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا ، من علم وتقنية وأسلوبهم العلمى المنظم ، وأخذهم بالأسباب والقوانين التى أودعها الله فى كونه ، ونأخذ عنهم احترامهم لقيمة الوقت ، والعمل ، والسعى الجاد ، وربطهم المقدمات بالنتائج ، واحترامهم للرأى الآخر ، ويأتى على قمة ما نتعلمه منهم احترامهم للإنسان ؛ لخلقه ، وعلمه ، وعمله ، لا لنسبه وقرابته وجاهه ، وذلك كله فى حقيقة الأمر من صميم خلق الإسلام القويم .

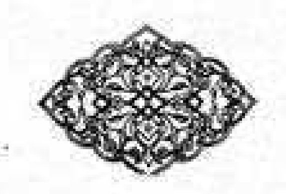
ولسنا فى حاجة لأن نقول : إن لهم سلوكيات وعادات لا تتماشى مع الإسلام فى شىء ولا مع موروثنا العقائدى والثقافى والاجتماعى ، فهذا أمر لا خلاف عليه . . ولكن ماذا علينا حيال ذلك ؟؟

بالطبع هم أحرار فى أوطانهم ، وديارهم ، فى ممارسة ما يرتضونه من سلوكيات وعادات ، ولكن الأمر جد مختلف عندما ينتقلون إلى ديار وأوطان لا ترتضى مثل تلك السلوكيات ، فمن واجب الإنسان المتحضر ـ عندما يحل ضيفاً على آخرين ـ أن يراعى أعرافهم ونمط حياتهم ، وأن يحترم فلسفاتهم ومعتقداتهم ـ حتى وإن اختلف معها ـ فهو أولاً وأخيراً ضيف ـ إن طالت فترة إقامته أو قصرت ـ سيترك تلك الديار عائداً إلى بيئته الأصلية .

ويأتى بعد ذلك دور الجهات الرسمية ومكاتبنا السياحية فى أرجاء العالم ، وأجهزتنا الدبلوماسية وغيرها ، وجميع قنوات الاتصال المختلفة ، والجهات المستضيفة لزائرينا ، يأتى دورهم جميعاً فى إعلام زائرينا وقاصدينا وضيوفنا ـ بالتوجيه المدروس وبما يلائم كل بيئة ـ بما يجب عليهم مراعاته فى سلوكهم ، وملبسهم ، ومأكلهم ، ومشربهم ، وأفعالهم خاصة فى الأماكن ، والمحال

العامة ، وهذا ليس من قبيل فرض القيود عليهم ، أو تضييق الخناق على حرياتهم ، ولكنه بالدرجة الأولى ، احتراماً لمشاعرنا ، وغلق أبواب من الشرور قد تصيب بعضاً من أبنائنا ، ومنعاً لردود أفعال غاضبة لبعض شبابنا المستمسك بهويته والتى قد تأخذه إلى الإساءة إلينا وإلى زائرينا ، وهذا كله يزيدنا احتراماً فى أعين وأفهام زائرينا ، وتلك الإجراءات قد يترتب عليها إعراض بعض زائرينا عنا ، وانصرافهم إلى أقطار أخرى تطلق لهم العنان فى ممارسة ما يرغبون ، ورغم ذلك فإن مكاسبنا أكثر من خسارتنا على المدى القريب والبعيد ، فالحساب والإحصاء لا يتوقف على حجم العملات الداخلة والخارجة فقط ، ولكن يتعداه إلى مكاسب المحافظة على شبابنا ، ومكاسب تآلف ، وانسجام أمتنا ، وعدم إهدار طاقة البعض فى الرفض والبعض الآخر فى رفض الرفض .

وحقاً على المضيف المسلم أن يكرم زائريه ، ويبسط لهم الوجه ، ويؤثرهم على نفسه ، ويدافع عنهم ما داموا فى جواره ودياره ، حتى وإن صدر منهم ما لا يرضاه ، فكثير منهم لا يعلمون ، وإن علموا فكثير منهم لا يستطيعون ، ولكن جميعاً مثلاً وقدوة إسلاماً عملياً ، يتحرك على قدمين ، ويتكلم بالأفعال ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .



طرائف ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

"للحواريين"

لسيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ فى كتبنا حكم كثيرة منها قوله للحواريين :

اتخذوا المساجد والبيوت منازل ، وكلوا بقل البرية ، واشربوا الماء القراح ، وانجوا من الدنيا سالمين .

وقال عليه السلام : لا تنظروا فى أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظروا فى أعمالكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية .



"حـــقا"

فلئن بكيناه يحق لنا
ولئن تركنا ذاك للصبر
فلمثله جرت العيون دما
ولمثله جمدت فلم تجر

"أصعب من ذلك"

قال رجل لحكيم : أعلم أن أصعب الأشياء أن ينال المرء مالا يشتهيه ، فأجابه الحكيم : واعلم أنت أن أصعب من ذلك أن يشتهى المرء مالا يناله .

"لا أجد لى صبرًا"

تقدم رجل إلى أرسطو وقال له : إنى لا أجد لى صبرا على تعب العلم ، فأجابه أرسطو : إذًا فاصبر على شقاء الجهل .

"أقرب إلىّ"

جاء رجل إلى موسى بن جعفر وهو قائم يصلى ، وقال له : إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بمرورهم بين يديك ، فقال له موسى : إن الذى أصلى له أقرب إلىّ من الذى يمشى بين يدىّ ، فسكت .

"عُدَّ لنا المجانين"

قيل لحكيم عُدَّ لَنا المجانين ، فقال : هذا يطول ، ولكنى أعد العقلاء ونظر إلى هذا المعنى بعض الشعراء فقال وأجاد :

وما بقيت من اللذات إلا / محادثة الرجال ذوى العقول

وقد كانوا إذا ذكروا قليلا / فقد صاروا أقل من القليل

"الحاجة"

دخل محمد بن واسع على بعض الأمراء فقال : « أتيتك فى حاجة ، فإن شئت قضيتها وكنا كريمين ، وإن شئت لم تقضها وكنا لئيمين . » أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها ، وكنت أنا كريما بسؤالك إياها ، لأنى وضعت الطلبة فى موضعها ، فإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك ، وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك » ، فأخذ أبو تمام هذا المعنى وقال :

عباس إنك للئيم وإننى / مذ صرت موضع مطلبى للئيم

قال : ماحاجتك أبا عبد الله ؟ قال : أن يكتب إلى أبى موسى بن عبد الملك فى تعجيل أرزاقه : فأجابه إلى طلبه . فأنشد سوار يقول :

فبابك أيمن أبوابهم / ودارك مأهولة عامره

وكفك حين ترى المجتديـ / ـن أندى من الليلة الماطره

"لا تغرق فى سبًّا"

سب رجل أعرابيا وقال له : ياأعرابى هاأنا أسبك وأشتمك .

فقال له الأعرابى : ياهذا لا تغرق فى سبٍّ ودع للصلح موضعا ، فإنى أبيت مشاتمة الرجال صغيرا ، فلن أجيئها كبيرا ، وإنى لا أكافىء من عصى الله فىَّ بأكثر من أن أطيع الله فيه فأسكته .

"الدهر تارات فكن على حذر"

قال الزهرى : ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك ، فقال : ياأمير المؤمنين : اسمع منى أربع كلمات فيهن صلاح دينك وآخرتك ودنياك ، قال : لا تعد أحدا عدة ، وأنت لا تريد إنجازها ، ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر صعبا ، واعلم أن الأعمال جزاء فاحذر العواقب ، والدهر تارات فكن على حذر .



اللهم ارحم غربتى فى الدنيا ، ومصرعى عند الموت ، ووحدتى فى القبر ، ومقامى بين يديك .

طغيان المال وعبرة المآل فى محكم القرآن - بقية

وانتهت فصول قصة الوقعة، وقد تفتحت العيون، وأفاقت العقول، وتهيأت النفوس لتلقى الإشارات الصادرة من رب الوجود ليلفت بها الأنظار والمدارك إلى النعيم الحق الخالد، الخالى من الشوائب والمنغصات، وإلى الدار الآمنة الباقية ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ المراد بالدار الآخرة هنا الجنة، وهى ليست لكل الناس، ولكنها لمن يقدم المهر، ويسلك الطريق المؤدى إليها، وتتوافر فيهم المواصفات ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ وهما آفة البشر، ومصدر شقاء الإنسانية. ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ العاقبة الجميلة السعيدة التى تهفو لها النفوس، وتطير الخواطر، وإن قصرت عن تصورها على حقيقتها التى هى عليها ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ذوى الإحساس المرهف، والإرادة القوية العاصمة، والهمم العالية، والنظر الكاشف، وما أقلهم! وأبيظ حلمهم فى صخب السفه، وعجيج الباطل، وهدير الأنواء!! وهكذا يبث القرآن الحكيم الموعظة فى العقول والمشاعر من قصص الأولين، ويوجه الإنسان فى حكمة وأناة ورفق إلى طريق السلامة والسعادة فى الدنيا، والنعيم الخالص المقيم فى الآخرة، إنه وحى الحكيم الخبير، ومنحة الرءوف الرحيم بعباده، ومن أصدق من الله حديثا؟

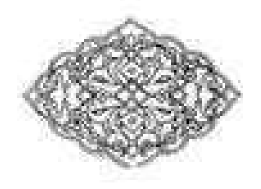




للأستاذ / محمد عبد الوهاب

تقدم الخميلة فى هذا العدد الجميل قصيدة وطنية نبيلة تبرز وحدة أهل مصر من مسلمين ومسيحيين ، وترد على دعاوى أهل الغرب ، وتقدم أيضا قصيدة جميلة يمدد فيها ناظمها مآثر الأزهر الشريف حفظه الله ، وبعد ذلك تقدم الخميلة نصا شعريا من العصر الجاهلى ، خدمة للأدب العربى وللغة القرآن الكريم ، وقد اخترنا اليوم معلقة النابغة الذبيانى ، ونسأل الله - سبحانه - أن يمن علينا بالسداد والتوفيق .

نتوجه إلى قيادة مصر وعلى رأسها الرئيس المحبوب محمد حسنى مبارك ، بكل آيات التحية والتقدير ، بمناسبة ماتم فى عهده المبارك من تجديدات عظيمة بالجامع الأزهر الشريف ، والشاعر هنا يشيد بالأزهر الشريف وتاريخه الحافل ، وأيضا بدوره العظيم والرائد فى خدمة الدين الإسلامى ولغته الشريفة .



تحية إلى الأزهر المعمور

شعر / محمد إبراهيم العشماوى

قم واحن رأسك إجلالا وإكبارا .. واستلهم الشعر حساناً وبشارا
وغص ببحر المعانى زاخراً ألقاً .. واستخرج الدر وانظم منه أشعارا
وما أراك توفى الحق صاحبه .. إن المدائح لا توفيه أقدارا

●●●

صرح الحنيفة قد باتت دعائمه .. تفنى القرون وتحصى الناس أعمارا
قد أمه الخلق من بدو وحاضرة .. وعشش الحق فيه وابتنى دارا

●●●

يجابه الشر فى عزم ، يصيح به .. إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا
تحفه بركات الله ، تشهده .. ملائك العرش عمارا وزوارا

●●●

يا موئل العلم ، يا مثوى معلمه .. وكعبة الجود إكراما وإيثارا
هذى أياديك فى الدنيا تباركها .. كم جاد قطرك أقطارا وأقطارا !!
يا باعث الرسل فى الآفاق هادية .. وحامل الوحى تبشيرا وإنذارا
إن أقبل الرسل ، أو إن أدبروا نفعوا .. لله درك إقبالا وإدبارا !!
هم الرجال .. فلا تعدل بهم أحداً .. فإن فى ساحة الرحمن أبرارا
مهاجروك لنيل العلم قد وفدوا .. ومن يهاجر يجد لله أنصارا

●●●

يا أيها الشامخ الراسى دعائمه .. تفنى الديار ، وتبقى للهدى دارا !!

● ●

على درب الوحدة الوطنية التى تضم أبناء الوطن الواحد ، نظم الشاعر هذه القصيدة ليعبر من خلالها عن شعور كل مسلم تجاه إخوانه فى الوطن ، مؤكدا سماحة الإسلام ، وبأنه دين المحبة والسلام والرحمة ، وكذلك فإن الشاعر يرد على أهل الغرب دعاواهم الباطلة ، بأن أهل مصر جميعا مسلمين ومسيحيين هم يد واحدة ، وكلنا مصر مصريون .

أرضُ الكنانة

أرض الكنانة مهبط كل سماحة   تهب القلوب نضارة وبريقا
رايات مصر فوق آفاق العلا   تزداد رغم الحاقدين خفوقا
الدين والتاريخ هم أبناؤها   والفضل ما اعتادت لهن عقوقا
والشمس لم تعرف طلوعا قبلها   فوق الأنام ومغربا وشروقا
نبتت أصول العلم فوق ترابها   والأرض كانت صفصفا وشقوقا
أيدى العناية ظللت أركانها   فمضى العدا عن نيلها محوقا
إن جاءها عاد بيبيت نية   للشر أصبح بالفناء خليقا

●●●●●

تمضى القوافل ما افتراه لسانهم   إلا نباحا بائسا ونعيقا
ما للمسيحى الذى يحيا بها   هم سواها فاحذروا التلفيقا
قد كان عهدا بيننا لما يزل   فى كل درب للكفاح وثيقا
كفوا عن التجريح هم إخواننا   من يستعين على أخيه صفيقا
ذاقوا من استعماركم وتحرروا   أيعود من فك القيود رقيقا
لم يطلبوا منكم ولاية أمرهم   أو يفتحوا - للمرجفين - طريقا
هم فوق هذا الافك أن تدعوا   حقا يضيع ومكسبا مسروقا
ويل لكم الجور فى أولادها   وتبارك التمييز والتفريقا؟
هذا بحق الله منطق حاسد   كى يستميل عن الصراط فريقا
نحيا عليها فى رباط دائم   ماكان فى عرف الورى مسبوقا
عشنا معا ودماؤنا من نيلها   وقلوبنا للخير صرن عروقا
لكننا أهل الهوى قد ألبسوا   ثوب الصفاء مثالبا وفتوقا
واشد ما يدمى فؤادك أن ترى   قربا بمن شرع الحقوق لصيقا
والظالم المغرور فى محرابه   يلقى الخطاب ويطلب التصفيقا
أين الهنود الحمر؟ أين حقوقهم؟   يامن طلبتم للعباد حقوقا
كان المهات عقاب كل مجازف   رغب الحياة محررا وطليقا
لا يلتقى عمدا بأيدى ظلمكم   إلا فناء مرعبا ونفوقا
لابد أن يبقى على أغلالكم   تحت الهوان لكى يعيش صديقا
إن كان هذا شرعكم فى داركم   فدعوا العتاب ودعوا التلفيقا

الأستاذ : عبد الحكيم عثمان

من أمراء الشعر

النابغة الذبياني

الشعر هو ذلك المزيج الرائع بين الوعي واللاوعي ، من حيث تمكنه من استخراج ماق العقل الباطن من أسرار شعورية وفكرية ، لتطفو على سطح الوعي ، فيشكلها ويصوغها ، لتخرج إلى عالم الإدراك كائنا بديعا حيا ، يعرضه الشاعر بأسلوبه الخاص به ، ليؤثر به علينا تأثيرا إيجابيا خلاقا ، فيسمو بنا إلى آفاق عالية ، من السمو الإنسانى ، والخلق الكريم ، والحس النبيل .

والشعر هو الدافع القوى نحو التجديد ، لما فيه من عوامل الانفعال والمغامرة ، والرحيل الدائم إلى عوالم مجهولة ، لذا فإنه ثورة حقيقية ضد كل ماهو عادى أو مبتذل ، ومغامرة جسورة لكشف كنه ماهو غريب أو مستحيل أو بعيد ، وهو الجوهر الكامن فى ضمير البشرية ، ليرتفع بها ومعها لتحقيق آمالها السامية ، وأحلامها اللا محدودة .

والشعر يحتوى على النظام فى مواجهة العشوائية ، وهو بإيقاعاته الواعية ، يمتلك القدرة على التوغل فى مجاهل الحياة وأسرارها ، والغوص فى أغوارها لاستخراج المكنون من جوهرها ، وهو وإن كان موسوما بالعفوية وبراءة القلب ، إلا أنه يمتلك البصيرة التامة ، المغلفة برهافة الشعور ، وكيف لا ، وغايته دائما هى : الحق والخير والجمال .

ولا يزال الشعر عند كل البشر ترنيمة حياة ، وهو عند العرب ـ بصفة خاصة ـ ديوان حياة ونبض وجود ، وشاعرنا العربى فى هذا العدد ، هو واحد من أمراء الشعر العربى ، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء ، إنه زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وقد لقب بالنابغة لقوله : فقد نبغت لهم منا شئون ، وأيضا لأنه نبغ فى الشعر بعدما احتنك .

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وببابه وفد غطفان ، فقال : أى شعرائكم الذى يقول :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى   على خوف تظن بى الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها   كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : النابغة . قال : فأى شعرائكم الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة . قال : فأى شعرائكم الذى يقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى   وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة . قال (رضى الله عنه) : هذا أشعر شعرائكم .

هذا ومما يؤثر عن النابغة أنه مكث زمانا لا يقول الشعر ، فأمر يوما بغسل ثيابه ، وعصب حاجبيه على عينيه ، فلما نظر إلى الناس قال :

المرء يأمل أن يعيش ، وطول عيش ما يضره
تفنى بشاشته ، ويبقى بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئا يسره
كم شامت بى إن هلكت ، وقائل : لله دره

ومما يتمثل به من شعر النابغة قوله :

فحملتنى ذنب امرئ وتركته كذى العرّ يكوى غيره وهو راتع[1]

وقد نشأ النابغة فى قومه ذبيان ، بين الحجاز وتيماء ، ولم يرو الشعر إلا بعد أن اكتهل ، فجاء شعره كريم اللفظ والمعنى . فتطايرت سمعته بين القبائل ، حتى أن العرب كانوا ينصبون له قبة من أدم فى سوق عكاظ ، فيحتكم إليها الشعراء ، فيقضى بينهم ، ثم يصل به الأمر أن ينال الحظوة عند النعمان ملك الحيرة ليصبح النابغة شاعره الخاص ، ونديمه المقرب ، فحسده لذاته من حاشية النعمان ، فدسوا له عند الملك ، حتى أثاروا عليه غضبه ، فهرب إلى قومه ، ثم انتقل إلى غسان بمشارف الشام ، وكان ذلك فى عهد الحارث بن عمرو الغسانى ، فطابت للنابغة عنده الحياة ، وتقلب فى أفياء النعمة ، ثم ناله ما ينال مصاحب السلطان ، فلم يكد يموت الحارث بن عمرو ، حتى تنكر له من خلفه ، مما دفع النابغة للعودة إلى قومه .

ثم تذكر النابغة مليكه النعمان ، وماكان له عنده من منزلة التكريم فحن إليه ، وأرسل إليه القصائد فى المدح والاعتذار ، وتنصل فيها مما أشاعه عنه خصومه وحساده ، وتشفع عنده ببعض أصحابه من فزارة ، فقبل النعمان شفاعتهم ، وأعاد النابغة إلى سابق منزلته عنده ، ومنحه ما تعود عليه من الهبات .

والقصيدة (المعلقة) التى نقدمها اليوم ، قالها النابغة ليمدح النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ويتبرأ فيها من وشايات بنى قريع فى أمر المتجردة زوج النعمان .

والنابغة يستهل قصيدته بالوقوف على رسوم الديار التى خلت بعد هجر أحبابه لها ، فتراه يصفها وصفا دقيقا ، مؤكدا ما للمكان من تأثير عظيم على النفوس والمشاعر ، وخاصة إذا كان مفعما بالذكريات العزيزة على نفس الشاعر ، فيذرف الدمع بعد أن خلت تلك الديار من الأحباب .

ثم نرى الشاعر يصف راحلته ويصف الحيوانات فى بيئته ، ثم يصل إلى هدف قصيدته وهو النعمان ، والقصيدة حاشدة بالصور والمعانى والبلاغة والأفكار ، وكذلك الأخبار من مثل ذكره لـ ليمان بن داود عليهما السلام وكيف أن الله سخر له الجن كى يبنوا له مدينة تدمر ببلاد الشام ، إلى غير ذلك مما جاء فى هذه القصيدة المعلقة العجيبة .

---

(١) العر ، بضم العين : قروح مثل القوباء تصيب الإبل فى مشافرها وقوائمها يسيل منها سائل أصفر ، فكانوا يكوون الإبل الصحيحة لئلا تعديها الإبل المريضة ؛ والعر ، بالفتح : هو الجرب ، والجرب لا يكوى منه .

المُعلّقة

يادار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد(١)

وقفت بها أصيلا كى أسائلها ... علت جوابا وما بالربع من أحد

إلا أوارى لأيا ما أبينها ... والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد(٢)

ردت عليه أقاصيه ولبده ... ضرب الوليدة بالمسحاة فى الثأد(٣)

خلت سبيل أتىٍّ كان يحبسه ... ورفعته إلى السجفين فالنضد(٤)

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذى أخنى على لبد(٥)

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له ... وانم القتود على عيرانة أجد(٦)

مقذوفة بدخيس النحض بازلها ... له صريف صريف القعو بالمسد(٧)

كأن رحلى وقد زال النهار بنا ... بذى الجليل على مستأنس وحد(٨)

من وحش وجرة موشى أكارعه ... طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد(٩)

سرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجى الشمال عليه جامد البرد(١٠)

فارتاع من صوت كلاب فبات له ... طوع الشوامت من خوف ومن صرد(١١)

---

(١) أقوت : خلت من أهلها .

(٢) اللأى : البطء ـ النؤى : حاجز من تراب يعمل حول البيت والخيمة .
المظلومة : الأرض التى قد حفر فيها فى غير موضع الحفر .
الجلد : الأرض الغليظة الصلبة بغير حجارة .

(٣) أقاصيه : ما شذ منه ـ لبده : سكنه ، اى سكنته حفرة الوليدة ـ والثأد : الموضع الندى التراب .

(٤) الأتى : النهر الصغير ـ السجفان : ستران رقيقان يكونان فى مقدمة البيت .

(٥) أخنى عليها : اى أفسد عليها ـ لبد : هو النسر السابع والأخير من نسور لقمان بن عاد ، وكان قد عمر أربعمائة عام ، ويضرب به المثل فى طول العمر ، فيقال : « أتى أبد على لبد » .

(٦) القتود : عيدان الرحل ـ العيرانة : ناقة قوية ونشيطة .
الأجد : الموثقة الخلق ـ وانم القتود : اى علها وارفعها على هذه الناقة لتسلو عما انت فيه .

(٧) مقذوفة : كأنها قد قذفت باللحم قذفا ـ النحض : اللحم ـ القعو : الذى فيه البكرة إذا كان من الخشب ، وإن كان الحديد فهو خطاف ـ بازلها : نابها حين شق اللحم وخرج ـ الصريف : صوته ـ المسد : الحبل .

(٨) الجليل : هو شجر الثمام ـ المستأنس : ثور يخاف الأنيس ـ زال النهار : اى انتصف .

(٩) وحش وجرة : اى وحش الفلاة ـ موشى أكارعه : بقوائمه نقط وخطوط سود ـ الفرد : المنقطع الشبيه ـ طاوى المصير : اى ضامر المعى .

(١٠) السارية : سحابة تسير ليلا وتمطر .

(١١) فارتاع : اى فزع ـ طوع الشوامت : اى بات الثور مبيت سوء من برد وجوع ـ الصرد : شدة البرد .

فبثهن عليه واستمر به ... صمع الكعوب بريئات من الحرد[12]
فهاب ضمران منه حيث يوزعه ... طعن المعارك عند المحجر النجد[13]
شك الفريصة بالمدرى فأنفذها ... شك المبيطر إذ يشفى من العضد[14]
كأنه خارجا من جنب صفحته ... سفود شرب نسوه عند مفتأد[15]
فظل يعجم أعلى الروق منقبضا ... فى حالك اللون صدق غير ذى أود[16]
لما رأى واشق إقعاص صاحبه ... ولا سبيل إلى عقل ولا قود[17]
قالت له النفس إنى لا أرى طمعا ... وإن مولاك لم يسلم ولم يصد
فتلك تبلغنى النعمان إن له ... فضلا على الناس فى الأدنى وفى البعد[18]
ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه ... وما أحاشى من الأقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الإله له ... قم فى البرية فاحددها عن الفند[19]
وخيس الجن إنى قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد[20]
فمن أطاع فأعقبه بطاعته ... كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة ... تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد[21]
إلا لمثلك أو من أنت سابقه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد
واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت ... إلى حمام سراع وارد الثمد[22]
قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا ونصفه فقد
يحفه جانبا نيق وتتبعه ... مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد[23]
فحسبوه فألفوه كما حسبت ... تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد[24]
فكملت مائة فيها حمامتها ... وأسرعت حسبة فى ذلك العدد



(12) صمع الكعوب : سمر الكعوب والصمع اللصوق والحدة واللطافة ـ الحرد : استرخاء عصب البعير من شدة العقال فاستعاره للثور ، والمعنى أى ليس لقوائمه عيب ، ولم يرد الحرد بعينه .
(13) ضمران : اسم كلب ـ يوزعه : يغريه بالثور ـ المحجر : الملجأ المدرك ـ النجد : الشجاع .
(14) شك الثور فريصة الكلب بالمدرى : أى طعنه بقرنه ، والفريصة هى بضعة فى مرجع الكتف ـ المبيطر : البيطار .
(15) المفتأد : المشتوى .
(16) يعجم : يمضغ ـ الروق : القرن ـ الصدق : الصلب ـ الأود : العوج .
(17) واشق : اسم كلب ـ العقل : غرم الدية ـ القود : قتل النفس بالنفس .
(18) فتلك : يعنى ناقته التى شبهها بالثور .
(19) (إلا سليمان) فى موضع النصب على البدل من موضع احد ، وإن شئت على الاستثناء ـ الحد : المنع ـ الفند : الخطأ .
(20) خيس : أى ذلل ـ الصفاح : جمع صفاحة وهى حجارة رقاق عراض .
(21) الضمد : الحقد .
(22) أى كن حكيما كفتاة الحى إذ قالت قولا فأصابت فيه ، أى كن فى أمرى حكيما ولا تقبل ممن وشى بى ـ الثمد : الماء القليل .
(23) النيق : أعلى الجبل ـ مثل الزجاجة : يعنى عينها لم تكحل من الرمد : أى لم ترق فتكحل .
(24) ألفوه : وجدوه ـ وكان الحمام الذى رأته ستة وستين ، ولها حمامة فى بيتها ، وقولها إلى حمامتيه ، أى مع حمامتيه فيكون سبعة وستين ، ونصف ما رأته ثلاثة وثلاثون ، فيكون مائة كما قالت .

أعطى لفارهة حلو توابعها ... من المواهب لاتعطى على نكد[٢٥]
الواهب المائة المعكاء زينها ... سعدان توضح فى أوبارها اللبد[٢٦]
والساحبات ذيول المرط فنقها ... برد الهواجر كالغزلان بالجرد
والخيل تمزع غربا فى أعنتها ... كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد
والأدم قد خيست فتلا مرافقها ... مشدودة برحال الحيرة الجدد[٢٧]
فلا لعمر الذى قد زرته حججا ... وما هريق على الأنصاب من جسد[٢٨]
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ... ركبان مكة بين الغيل والسند[٢٩]
ما إن أتيت بشىء أنت تكرهه ... إذا فلا رفعت سوطى إلىّ يدى
إذا فعاقبنى ربى معاقبة ... قرت بها عين من يأتيك بالحسد
هذا لأبرأ من قول قذفت به ... طارت نوافذه حرا على كبدى
مهلا فداء لك الأقوام كلهم ... وما أثمر من مال ومن ولد
لاتقذفنى بركن لاكفاء له ... ولو تأثفك الأعداء بالرفد[٣٠]
فما الفرات إذا جاشت غواربه ... ترمى أواذيُّه العبرين بالزبد[٣١]
يمده كل واد مترع لجب ... فيه حطام من الينبوت والخضد[٣٢]
تظل من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزرانة بعد الأين والنجد
يوما بأجود منه سيب نافلة ... ولا يحول عطاء اليوم دون غد
أنبئت أن أبا قابوس أوعدنى ... ولا قرار على زأر من الأسد[٣٣]
هذا الثناء فإن تسمع لقائله ... فما عرضت ـ أبيت اللعن ـ بالصفد[٣٤]
ها إن تا عذرة إلا تكن نفعت ... فإن صاحبها قد تاه فى البلد[٣٥]

---

(٢٥) الفارهة : الناقة الكريمة او العطية الحسنة ـ توابعها : ماتبعها من العطايا ـ حلو توابعها : اى متيسرة هينة ـ النكد : العسر والضيق .

(٢٦) المعكاء : الغلاظ السمان الشداد ، وهو اسم لا يثنى ولا يجمع ـ السعدان : نبت من انجع ماتشرعاه الإبل ـ توضح : موضع بالحمى ـ اللبدة : جمع لبدة ، يريد اوبارها ذات اللبد .

(٢٧) الادم من الإبل البيض ، ومن الشاء السمر ـ الفتل : التى بانت مرافقها عن اباطها .

(٢٨) هريق واريق واحد ـ الانصاب : حجارة كانت الجاهلية تنصبها وتذبح عندها ـ الجسد هنا : الدم ، والجسد والجساد : متنوع .

(٢٩) العائذات : ماعاذ بالبيت من الطير ـ الغيل والسعد : اجمتان كانتا بين مكة ومنى ، وانكر الاصمعى هذه الرواية وقال : إنما الغيل بكسر الغين الغيضة ، والغيل بفتح الغين : الماء .

(٣٠) الكفاء : المثل ـ تاثفك الاعداء : احتوشوك فصاروا منك موضع الاثافى من القدر ـ بالرفد : اى يتعاونون علىّ .

(٣١) جاشت : فارت ـ الغوارب : ماعلا منه : الواحد غارب ـ الاواذى : الامواج ـ العبران : الشطان .

(٣٢) اللجب : ذو الصوت ـ الركام : المتكاثف ـ الينبوت : نوع من النبت ـ الخضد : ماتثنى وتكسر من النبت .

(٣٣) ابو قابوس : هو النعمان بن المنذر .

(٣٤) الصفد : العطاء ـ ابيت اللعن : اى ابيت ان تاتى شيئا تلعن عليه .

(٣٥) يقول بان هذه القصيدة هى بمثابة الاعتذار إليه .

العلوم الكونية

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

إيثار أم أثرة في دنيا الطيور؟

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

موقف الإسلام من الرياضات البدنية

للدكتور/ عبد العزيز صلاح سالم

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

التقنية لغة واصطلاحا :

مصطلح « التقنية » لفظة محدثة فى اللغة العربية ، جاءت بصيغة المصدر الصناعى لإفادة المعنى الذى يستفاد من المقابل الأجنبى « تكنولوجيا » Technology ، وهما يلتقيان فى الدلالة على « العلم التطبيقى » ووسائله الفنية المستخدمة لتوفير كل ماهو ضرورى لمعيشة الناس ورفاهيتهم وتطوير ظروف حياتهم .

وربما يعتقد البعض خطأ أن « التقنية » هى المخترعات الحديثة الراقية التى غيرت معالم البشرية فى العصر الحديث ، وخاصة فى القرن العشرين . لكن واقع الأمر يقضى بأن شيوع اللفظ ذاته هو الحديث ، أما الظاهرة نفسها ، ظاهرة استحداث المخترعات المناسبة وتطويرها ، فهى قديمة منذ بدأ الإنسان يستعين بأدوات تساعده فى عمله اليومى ، وهى أدوات تستحق اسم « التقنية » فتهذيب قطعة من الحجر أو المعدن ، وربطها بقطعة خشبية من جذع شجرة ، واستخدامها فأساً لقطع الأشجار ، أو لتقليب الأرض ، هو نوع من التقنية . واختراع العجلة لتيسير عملية نقل البضائع أو انتقال الأشخاص ، كان فى حينه ثورة تقنية لا تقل أهمية عن اختراع الطائرات فى القرن العشرين . كل ما فى الأمر هو أن التقنية ظهرت فى حياة الإنسان ليستعين بها فى تكملة ما ينقصه من القوى والقدرات ، أو لتعزيز مالديه من إمكانات . ولما كان هذا التعزيز يتغير فى طبيعته ومداه تبعا لظروف كل عصر ، فإن « مستوى التقنية » هو الذى يتغير تبعا لحالة

المجتمع فى مرحلة معينة من مراحل تطوره ، وتبعا لتطور « مستوى المعرفة العلمية » التى قامت التقنية على أساسها .

ويمكن ملاحظة هذه المراحل التى تتعاقب فيها الأجيال المختلفة من الاكتشافات والاختراعات ، والتى يطلق عليها اسم « موجات التقنية » Waves of technology فى العديد من التقنيات السائدة حاليا ، مثل الراديو والتليفزيون والسيارة والطائرة والصاروخ والمجهر (الميكروسكوب) والمقراب (التلسكوب) والحاسب الآلى (الكومبيوتر) وغير ذلك . فمن المتعارف عليه حاليا أن كل إنجاز تقنى يمر فى دورة حياته ـ منذ ولادته واختبار صلاحيته على أيدى الباحثين والمخترعين ـ بعمليات تطوير متلاحقة يصبح بعدها صالحا للاستخدام على نطاق واسع ، حيث يأخذ فى الانتشار تدريجيا إلى أن يشكل ظاهرة عامة يتفاعل معها أفراد المجتمع بصورة مباشرة ثم يأخذ هذا الإنجاز التقنى بعد ذلك فى التراجع والانحسار حتى يتقادم ويندثر ، بعد أن تكون هناك تقنية جديدة أرقى وأفضل قد حلت محله .

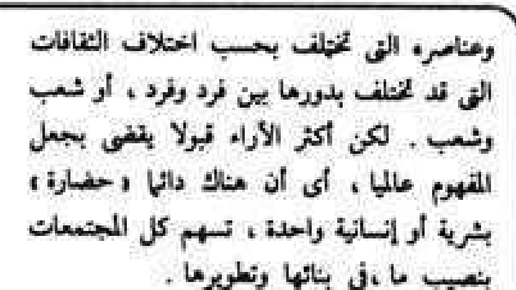
وإذا كانت أجيال التقنيات الحديثة والمعاصرة قد أحدثت أثراً قويا فى بنية المجتمع البشرى بأسره ، فإن أجيال التقنيات القديمة قد أحدثت هى الأخرى فى حينها ثورة هائلة وتغييرا جوهريا فى مظاهر الحياة البشرية المختلفة .

من ناحية أخرى ، إذا كانت الثقافة الغربية تروج لمقولة أن التقنية لا يمكن إلا أن تكون إبداعا غربيا ، فإن « فقه مصطلح التقنية » يقتضى التأصيل لها بإظهار إسهامات علماء الحضارة الإسلامية فى تطوير واستحداث تقنيات عديدة ، شملت الآلات والتجهيزات الميكانيكية التى تعتمد على حركة الهواء ، أو حركة السوائل واتزانها ، والصمامات الآلية ذات التشغيل المتباطىء ، والأنظمة التى تعمل عن بعد بطريقة التحكم الآلى ، والأجهزة والأدوات العلمية ، والجسور والقناطر المائية ، والهندسات والزخارف المعمارية ، وغيرها .

والحق ـ فيما نرى ـ أن العلوم التقنية عند المسلمين الأوائل لم تكن أقل تقدما من علوم الفلك والطب التى حظيت بالاهتمام الأكبر من جانب المؤرخين والمستشرقين ، ولكنها تحتاج إلى من يتناولها بالتحليل الدقيق ، والدراسة المتأنية للتعريف بها ، وكشف أصولها فى التراث الإسلامى على ضوء معطيات العلوم الحديثة والمعاصرة .

الحضارة لغة واصطلاحا :

كلمة « حضارة » من المصطلحات التى يتعذر الحصول على تعريف جامع مانع لها ، حيث نجد تداخلا كبيراً فى تناول مفهومها باللغات المختلفة ، مع ملاحظة أن لكل لغة عقلها وإطارها الفكرى الذى يعطى لمفاهيمها دلالات وظلالا لا يمكن أن تتطابق مع لغة أخرى . فهناك من جعل مفهوم « الحضارة » مرادفا لمفهوم « الثقافة » ، وهناك من جعله قاصراً على نواحى التقدم المادى من مخترعات وآلات وتقنيات ومؤسسات ، وغير ذلك ، وهناك من جعله شاملا لكل أبعاد التقدم ، دون الاتفاق على معايير هذا التقدم



وعناصره التى تختلف بحسب اختلاف الثقافات التى قد تختلف بدورها بين فرد وفرد ، أو شعب وشعب . لكن أكثر الأراء قبولا يقضى بجعل المفهوم عالميا ، أى أن هناك دائما « حضارة » بشرية أو إنسانية واحدة ، تسهم كل المجتمعات بنصيب ما ،فى بنائها وتطويرها .

والأصل العربى لكلمة « حضارة » تورده بعض المعاجم مشتقا من « حضر » ، وهى الإقامة فى الحضر بخلاف البادية ، ثم تنتقل إلى المعنى الحديث متمثلا فى مظاهر التقدم المادى والتقنى والعلمى والفنى .. إلى آخره . وتكون « الحضارة » بهذا المعنى مرادفة لكلمة « مدنية » التى تمثل المرحلة الراقية فى التطور الإنسانى ، والتى عبر رفاعة الطهطاوى عن مفهومها بقوله : « ... ويفهم مما قلناه أن للتمدن أصلين : معنوى ، وهو التمدن فى الأخلاق والعوائد والآداب ، ويعنى التمدن فى الدين والشريعة ، وبهذا القسم قوام الملة المتمدنة التى تسمى باسم دينها وجنسها للتميز عن غيرها . والقسم الثانى . تمدن مادى وهو التقدم فى المنافع العمومية » .

ويقتضى « فقه الحضارة » أن نقف على حقيقة المعادلة التى تبلورت من خلال الدراسات الموضوعية الجادة للتاريخ الإنسانى ، وهى المعادلة التى تحكم العلاقة بين الثقافات العالمية الكبرى على أساس التفاعل المتبادل بين الحضارات من جهة ، مع الاحتفاظ بالهوية والخصوصيات المميزة من جهة أخرى .

أما التفاعل المتبادل بين الأمم فيعنى أن الحضارة الإنسانية ذات موارد متعددة ، بين شرقية وغربية ، يغذى بعضها بعضا ، دون أن تقام بينها حواجز منيعة لا تسمح باتصال أو تبادل . وأن حضارات العصور القديمة والوسطى والحديثة قد أخذت وأعطت مثلما تأخذ نحن اليوم ونعطى ، لتبقى شجرة المعرفة خضراء يانعة ، وارفة الظل وغزيرة الثمار . وأما الطرف الآخر لمعادلة التفاعل الحضارى ، فيعنى احتفاظ كل ثقافة بخصوصياتها المميزة ، وإبقاء كل حضارة على طابعها ومقوماتها التى تتفرد بها ، بحيث لا تنطمس معالم هويتها وقسمات شخصيتها .

والعامل المساعد لحدوث التفاعل الحضارى الذى يلعب دوراً أساسيا فى تقدم الشعوب ، هى مجموعة المثل القيمية والمبادىء العقائدية والقوى الذاتية الخاصة بقدرات ودوافع كل أمة على إحداث التغيير ، وهى أبعد ما تكون عن تلك الصفات القائمة على التعصب للجنس أو الدين أو البيئة الجغرافية فالفكر والإبداع لم يكونا أبداً قاصرين على شعب دون شعب ، أو مكان دون مكان ، أو زمان دون زمان ، بحيث يقال عن جنس معين من البشر أنه أذكى بنى الإنسان ، أو تميز منطقة معينة من الأرض بأنها الأصلح دون سواها لاحتضان الفكر الإبداعى وتشييد البناء الحضارى . ومهما روجت الأقوام المنسوبة إلى الجنس الآرى لمقولة تفوقها على غيرها من الأجناس ، أو بالغ الأوروبيون فى سرد مزايا إقليمهم وموقعه الجغرافى بالقياس إلى القارات الأخرى ، فإنهم لو عاشوا منعزلين عن باقى شعوب العالم لظلوا على حالتهم البدائية حتى يومنا هذا .

ولقد فطن المسلمون الأوائل لمعنى الحضارة بشقيه الروحى والمادى ، فازدهرت حضارتهم فى جوانبها المادية نتيجة التقائها بثقافات الحضارات



المجاورة ، وتكونت لديهم خبرات واسعة فى شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والعمرانية والعلمية ، وصهروا هذه الخبرات والمعارف التى أخذوها واستفادوا منها فى بوتقة الإسلام ، فجاءت الحضارة الإسلامية فيها بعد مطبوعة بطابعه ، وممهورة بخاتمه ، وقدمت نموذجا إنسانيا فريدا يستبطن قيم التوحيد والربوبية ، ويحسن التعامل مع المسخرات الكونية ، ويدعو إلى تحقيق الخير للناس أجمعين .

على أننا نرغب أيضا فى نقل مفهوم جديد للحضارة ، ينطبق على خبرة الإسلام ، ويستند إلى أحد الاستخدامات التى ذكرها ابن منظور فى « لسان العرب » لمادة « حضر » بمعنى « شهد » ، أى الحضور كنقيض للمغيب والغيبة ، والحضارة بمعنى الشهادة ، ويقتضى هذا المفهوم الجديد أن تكون الحضارة هى الحضور والشهادة بجميع معانيها التى ينتج عنها نموذج إنسانى يستبطن قيم التوحيد والربوبية ، وينطلق منها كبعد غيبى يتعلق بوحدانية خالق الكون وواضع نواميسه وسننه والمتحكم فى تسييره ومصيره ، ومن ثم فإن دور الإنسان ورسالته هو تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون بتعمير الأرض وتحسينها وترقية الحياة عليها وترجية معاش الناس فيها ، وتحقيق تمام التمكين عليها والانتفاع بخيراتها وحسن التعامل مع المسخرات فى الكون وبناء علاقة سلام معها لأنها مخلوقات تسبح بحمد الله ، أو رزق لابد من حفظه وصيانته . كذلك إقامة علاقة مع بنى الإنسان فى كل مكان على ظهر الأرض ، أساسها الأخوة والألفة وحب الخير والدعوة إلى كل مايحقق سعادة الدنيا والآخرة[1] .



---

(١) عن : نصر محمد عارف ، الحضارة ، الثقافة ، المدنية : دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ، سلسلة المفاهيم والمصطلحات ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، هيرندن ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م .

إيثار أم أثرة في دنيا الطيور

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

حب الغير والأنانية صفتان متضادتان ، وخلقان متناقضان ، إن تحكم أحدهما فى مجتمع فعل به فعله ، ترى ما موقع هاتين الخلتين من عالم الطيور ؟ وكيف وظفتا فى خدمة أغراضها ، وتحقيق مصالحها ؟ وبداية نقول : إن الطيور دائما ماكانت رمزا للحرية ، وطالما ألهمت أغاريدها الشعراء ، ومع هذا فهل ينبىء مظهرها عن مخبرها ؟

والأسطر التالية توضح أن سلوك بعض الطيور على الأقل يكسو الوجوه وجوما إن رأته ، ولربما وصفت الألسنة تلك التصرفات باللاشرعية لو حدث مثلها بين الناس ، مما يجعل من الصعب علينا تصور أكثر علماء الاجتماع تحضرا يثنى على القيم الأسرية لدى الطيور ، والمشكلة معنا بنى البشر ، أننا دائما ما نضفى على الطيور ثوبا من المثالية والأخلاق ، وربما كانت غير جديرة بهذه السمعة الطيبة ، التى نالتها عبر العصور ، ومأأناشيدها التى ألفناها ، وأهازيجها التى عشقناها إلا إشارات عدوانية لإبعاد الخصم ، وشل المنافس ، أو ماهى إلا نداءات للتزاوج ،

ولو كانت الطيور حيوانات أكبر ، لكانت أغانيها شيئا يهدد الغير ، ويخيفه كزئير الأسد ، أو عواء الذئب ، أو قل هى نوع من التسبيح الوارد فى قوله تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

(الإسراء - ٤٤)

وقبل الدخول فى الموضوع نورد هذه القصة ، التى رواها واحد من المولعين بتربية الطيور ، والتى توضح بعضا من السلوكيات المشينة لبعض الطيور ، يقول : قمت هذا الشتاء بتحديد موقع أحد مآكل الطيور فى حديقتى ، حيث استطعت أن أشاهد عن كثب الطير دون تنفيرها ، وكان معظم من يرتاد مكان الطعام هذا نوع من الطيور فى حجم العصفور يحط على الشجر ، ليمكث فى نيويورك طيلة الشتاء ، وهذه الطيور مخلوقات جذابة ، تسربل نصفها العلوى بمعاطر من ريش رمادى ، أخفى تحته جسما مرح الألوان أضيف إليه ذيل ذو ريش طويل أبيض وحشى يومض عندما يشرع الطائر فى التحليق فى الهواء ، وبرغم

هذا المنظر البديع فقد كانت تصرفات هذه الطيور لا ترقى على الإطلاق ، فلديها نظام شديد الصرامة ، يعتمد على التدرجية الشديدة ، والسُلمية الحادة رغم أن عددها لم يزد على عشرة أطيار ، فأعلاها يستأثر بمكان الطعام ، وعلى مهل يزدرد عشرات من الحب في المرة الواحدة ، فإن اقترب طائر آخر فسرعان مايتم تعقبه بعيدا بأصوات عالية مزعجة ، فإن حاول طائر آخر الدنو من الوليمة وهو لا يدرى بوجود طائر أكبر منه ، فإنه ينقلب على عقبيه فزعا لمجرد مرآه ، والمسكين يحس أنه سيهاجمه إن لم يسرع بالطيران ، وحتى في حالة عدم وجود طير يلتقط حبا فإن الطيور المُروعة تخشى الاقتراب من المأكل ، فقد شاهدت طائرا وحيدا جثم على سور المأكل محملقا بلهفة إلى الطعام ، ثم أخذ يتلفت حوله بعصبية كل الوقت خائفا ، واستمر يتململ متضجرا ناقلا ثقليا في إثر مخلب ، منحنيا إلى الأمام مرارا ، مستعدا للسباحة في الهواء ، ليلتهم الحب اللذيذ ، لكنه لا يطير أبدا إلى الطعام .

وأحيانا كان الجوع يدفع بأحد الطيور الخائفة إلى مغادرة السور ، ليحط مرتجفا عند المأكل المذكور ، وقد أمسك حبة واحدة فقط ، وطار بها على الفور ، وساعتها يغمرك إحساس بالأسى لهذه الطيور المظلومة من ناحية ، وبالازدراء للطيور المعتدية ، وقد حطت بكل ثقة فوق الطعام ، وأخذت أجسامها تزداد سمنة ، في الوقت الذى تتضور أخواتها جوعا .

وينهى الصديق ملاحظته قائلا : إنه رغم أن الصراع بين هذه الطيور لا يدوم طويلا ، ولا يكون فتاكا ، فإن احتمال نجاة طائر خائف من قسوة الشتاء وقلة الزاد يتضاءل كثيرا ، لعدم قدرته على الأكل في اطمئنان وأمان ، ومع هذا فمن الخطأ تطبيق القيم الإنسانية على عالم الطيور أو العكس ، إلا قيمة واحدة استمسك بها ديننا الحنيف ، وحثنا عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه عنه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »)[1] .

قال فضيلة الشيخ الشعراوى - رحمه الله - وتوكلها لم يمنعها لها غدو ورواح تلمسا للرزق ، فعلينا أن نتأسى بها ، فقد وجدت على الأرض منذ ملايين السنين ، رغم أننا قد لا تروقنا بعض سلوكياتها فنستهجنها ، وعلينا كذلك أن نسلم بأن الله - عز وجل - أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، ومن الصعب علينا الإلمام التام بكل حكمته - سبحانه - مما يزيد العالم المحيط بنا فتنة ، وسحرا يملؤها بهاء وجمالا .

الأب يحض ابنه على ترك زوجته والعودة للعش:

في دنيا الناس عندما يقوم الحمى أو الحماة بزيارة للعريس أو العروس ، فلربما تسببت هذه الزيارة في إحداث بعض تكدير الصفو ، وقد لا يحدث شيء من ذلك على الإطلاق ، بل ربما ازداد القرينان ألفة ومودة أما مع الطائر ذى الصدر الأبيض المعروف بآكل النحل ، والموجود

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١/٣٠ ط بيروت .

فى كينيا فالأمر مختلف تماما ، الأسرية لهذه الطيور علاقات شديدة التوتر والتعقيد ، لدرجة أنه بمجرد انتقال أنثى حديثة الزواج إلى عش زوجها ، الذى أخذت تتهيأ فيه لوضع البيض وتكوين أسرة جديدة ، فإن أبا زوجها وأمه - أى حماها وحماتها - يبذلان قصارى جهدهما لبذر بذور الشقاق بين العروسين السعيدين ، وهما يفعلان ذلك الفعل الشنيع بفن ومهارة ومكر ودهاء وحرص وعناية ، تجعل ابنهما المسكين يهجر عروسه طائعا مختارا ، وذلك ليعود لملازمة أمه وأبيه ، مكرسا كل حياته لرعاية وإطعام أحدث الأفراخ التى وضعها أبواه الكبيران إذ كيف يسوغ له أن يهجر أخواته الصغار !

وبعد دراسة سبعين كبيرين من الطيور الأفريقية المعروفة بآكلات النحل ، فإن الأستاذين (إملين) و (ريج) بجامعة كورنيل الأمريكية اكتشفا أن الطيور الكبار فى هذه المستعمرات تحاول بدأب احتكار واستغلال ومصانعة ، بل حتى إلهاء أقاربها الصغار بالغناء الجميل ، والشدو العذب ، بغية تنازل تلك الطيور قليلة الخبرة عن استقلالها بشئون حياتها ، مفضلة البقاء فى خدمة آبائها وأمهاتها .

كما بينت نتائج الدراسة التى نشرتها مجلة (الطبيعة NATURE) تغيرا جديدا ، وانعطافا شديدا فى النسيج الدقيق للحياة الأسرية بين هذه المخلوقات الاجتماعية ، كما قدمت هذه النتائج وأمثالها رؤى جديدة فى تطور السلوكيات التعاونية فى هذه العوالم ، وهى إحدى القضايا المؤثرة التى يهتم بدراستها علماء الأحياء ، ففى حياة الطيور آكلات النحل نرى الأب يغرى ابنه البالغ بالعودة للعش الأبوى ، حيث ينتظر من الابن أن يتعاون فى جمع الحشرات اللازمة لتغذية أحدث إخوة له ، والغريب أن الأب فى سبيل تحقيق مآربه لا يسلك سبيل العنف والشدة مع ابنه أو زوجة ابنه ،

فالطيور آكلات النحل لا يزيد حجم الواحد منها على حجم طائر السمان ، ومن الصعب على أحدها أن يدفع الآخر ويصارعه ، كذلك لا ينخرط الأب فى استعراض القوة والهيمنة ، أو يلوح متفاخرا بذكورته البادية للعيان ، فهذه الطيور طيور مزدرودة ؛ ذات أكراش لبنية اللون ،

وظهور زمردية الشكل وذيول زرق ، ومساحات بالجسم ازدهت بألوان جميلة ، من حمراء وسوداء ، ولكن الذكور والإناث كبارا وصغارا كلها تخضع لنفس القانون ، ولذا يتحول الأب إلى آفة جمعت مع البشاشة شدة الإلحاح والإلحاف ، فهو يقوم بزيارة العروسين المتزوجين حديثا مرات عديدة فى اليوم الواحد ، ويعرقل مجهوداتها التى يبذلانها فى سبيل تدبير أمور بيتهما الجديد ، إنه يختفى متكورا خارج العش ويسد عليهما طريق الرجعة والدخول إلى العش ، وعندما يحاول الابن إطعام عروسه استعداداً لوضع البيض ، فإن الأب يكزه منبها ومستجديا ومدعيا المسكنة ، ومستثيرا للشفقة فى طلب الطعام لنفسه ، إنه يغلف تصرفاته تلك بأمارات الود ، وإيماءات الحب والألفة ، التى امتزجت بالصلابة أحيانا ، كرجفة ذيل ، وفتح منقار بشكل مريع ، أو حتى الصدح بغناء عذب ، وتغريد مستساغ ، وأما الابن فإنه بعد مرور حوالى ثلثى المدة المحددة من قبل الأب لانتهاء مهمته ،

فإنه يقوم بترك عشه مطلقا تنهيدة مختنقة توحى بقبوله للهزيمة فيعود لبيت والديه ليساعد فى تربية أخواته الصغار ، أما الأنثى المهجورة ، فإنها تترك متكاسلة فى عشها لا حول لها ولا قوة ، ولربما

تكون قد وضعت قليلا من البيض الذى سرعان ما يموت ما بداخله من الصغار ، لفقدان الأم مساعدة عشيرها فى رعاية الصغار .

ويقدم التقرير الجديد أكثر الأدلة إثارة فيما أسماه الدكتور (إملين) الجانب الأشد ظلمة فى هذه المجتمعات ، وهو ما تبذله بعض الحيوانات الاجتماعية ، عالية الرتبة من مجهودات لتفوز من أقاربها بدرجة من المساعدة والتضحية ، تتعدى الواجب ، هذا وقد وجد العلماء أنه فى كثير من أجناس الطيور ، وقليل من الثدييات الأليفة مثل : (نمس منجوس) ، و (الكلاب البرية) حيث الوالدان والأجداد والعمات والجميع يتربون ، ويتغذون معا فى مجتمعات مختلفة ، أقول : وجد العلماء فى بعض التصرفات ما يوحى مظهرها بالتعاون بين جميع الأقارب ، وماهى فى الحقيقة إلا أشكال خادعة من الاستغلال والابتزاز والأثرة والأنانية ، التى تصدرت هذا البحث ، لكن الأقارب الصغار ليست فاسدة على طول الخط ، ففى حالة الطيور آكلات النحل يحتفظ الابن بميراثه حيا بطريقة غير مباشرة من خلال المورثات الكثيرة التى يشارك فيها إخوته الصغار ، لكن الصائد الصغير كان سيكسب ماهو أجدى له من مستوى المورثات لو قدر له تربية أفراخه هو ولكان بإمكانه فعل الكثير لنفسه لولا إلحاح الكبار عليه .

ويعرف الباحثون الأحوال الاجتماعية والبيئية التى تيسر للكبار احتكار الصغار وتشجيع هذه المخلوقات المقهورة على التعاون ، تشجعها على التمرد وتدفع بها لرفض الأمر الواقع ، وقالوا : إن كثيرا من أنواع الطيور والثدييات تنهمك فيما يسمى : (التربية التعاونية) حيث يقوم زوج محظوظ من الطيور أو الحيوانات فى مجموعة ما بالتوالد والتناسل ، دون ضوابط ، بينما يقوم الآخرون فى نفس المجموعة بالتنازل عما منحوا من قدرة على الإنجاب مكرسين حياتهم كلها للعناية بصغار أقاربهم وإطعامهم ، ويلاحظ أن ذلك السلوك الذى ظاهره الإيثار يتحدى كل ترهات نظرية (النشوء والارتقاء) .

وبالدراسة اكتشف أن شهداء التضحية هؤلاء يكونون وثيقى صلة القرابة بمن اعتنوا بهم ، بمعنى أنهم لن يضحوا فى سبيل الأباعد أبدا ، ويبرر الدكتور (ولفندن) أحد علماء الأحياء بجنوب فلوريدا بأمريكا يبرر ذلك السلوك بقوله : « إن ذلك الطائر أو الحيوان المضحى ينمى قدرته على العمل » ، ووجد الباحثون أن التفاسير غير المباشرة لا تكفى وحدها ، وأضافوا إليها عوامل أخرى تدفع بالمضحى للتخلى عن الإنجاب ، كما بدأوا يرون أن لهذه الحيوانات خططا جانبية ، يتوقف عليها اختيارها مساعدة الغير ، ألا وهو أنها تمت لها بصلة قرابة .

وعادة ما تكون الطيور المساعدة صغيرة نسبيا كما ينظر بعضها إلى الموسم الذى تقضيه فى الخدمة فى بيت أحد أقاربها على اعتباره مدة تلمذة وفترة تدريب تتعلم فيها الطيور العناية بالصغار تحت أكثر الظروف أمنا وملاءمة ، وأن الحيوانات تفضل المساعدة عندما لا تجد مناطق لإقامة أعشاشها الخاصة بها إما لشدة الازدحام بالأفراد المنافسة من أجناس أخرى أو لأن معظم الأماكن الضرورية ليست فى مأمن من الحيوانات المفترسة فهى لعبة انتظار ليس إلا ، يقضيها الصغار فى مساعدة

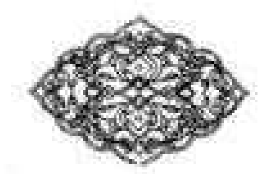
الكبار أملا فى موت عاجل يأخذ هؤلاء الأقارب تاركين لهم أماكنهم ليرثوها ، ولقد شاهد الأستاذ الدكتور (استرال) نوعا من الطيور يستخدم أسلوب التربية التعاونية ، وهو طائر غريب بطىء الحركة موطنه أمريكا اللاتينية يأكل الأوراق الخضراء ويهضمها هضما جيدا فى بطن تشبه بطن البقرة ، ويأخذ فى التسلق من نبات إلى آخر عن طريق مخالب مؤقتة فريدة من نوعها تبرز من أطراف أجنحته وتتوافر مأوى هذه الطيور فى جزر صغيرة توافرت لها سبل الحماية الجيدة فى الأماكن المعشوشبة والمستنقعات ، وقد أخذت هذه الطيور تتعارك وتتشاحن وتتخاصم .

كما تواجه الطيور قليلة الدربة من هذه النوعية أوقات عصيبة فى الاعتماد على نفسها ، يقول الدكتور (استراك) إن الأساس فى ذلك أن كل الطيور تضطر للانتظار عامين قبل أن تتحمل مسئولية التربية ، وأما إناث هذه الطيور ـ طبقا للنظام السائد ـ فتضطر لترك مسقط رأسها وتقضى أشهراً فى الطيران من مكان إلى آخر باحثة فى يأس عن فرجة فى فصيل أجنبى آخر .

أما فى أجناس أخرى فيقرر الصغار المساعدة فى العناية بالأقارب بغية أن يكون أولئك المواليد الجدد خدمهم وسندتهم واللصقاء بهم عندما يتهيأ هؤلاء للتناسل ، ولقد قرر « د. ولفندن » الذى قضى ٢٣ عاما فى مراقبة عصفور من الأنواع الدنا أن الطيور تبذل ما فى وسعها فى الخدمة خصوصا عندما تكون أماكن التعشيش الأولية المجاورة غير مناسبة ، فعندما تكبر العصافير فى السن تحاول استخدام من ساعدتهم من الأقارب كجنود لشن حرب على الطيور الأخرى والاستيلاء على أوطانها ، ويضيف : أن الفكرة هى أن تربى وتنشىء جيشا لتنتفع بميزة هذا الجيش ، لكن الحال مع نوعيات أخر مختلف ، فالأستاذ « وزر » أستاذ علم الأحياء بجامعة « بوردو » قام ببحث التربية التعاونية بين أنواع من « النمس القزم » ، وهو أحد الثدييات الأفريقية فى حجم الفأر ، ويعود فى أصوله البعيدة إلى « ابن عرس » ويعيش فى مكامن النمل الأبيض المهجورة فى مجموعات يتكون كل منها من عشرين أو أكثر من الأقارب ، حيث يقوم زوج من البالغين بمهام التربية ، بينما يقوم الباقون بالأعمال الأخرى : كحراسة الجحور ، وإطعام الصغار وحماية الجراء ، والجدير بالملاحظة أن هذه الأمهات البديلات يقمن بدور المربيات ، فأثداؤهن تدر اللبن ، لإطعام الرضع ويقول « د. وزر » : إنه استثمار عادى للموارد .

فما أعجب مخلوقات الله ، وما أغرب تصرفاتها التى يظنها البعض منا خلقا ذميا بينما هى فى الحقيقة فطرة فطرها الله عليها توائم ظروفها ، وتناسب معيشتها .

■



موقف الإسلام

من الرياضات البدنية

للدكتور : عبد العزيز صلاح سالم*

لقد كان للإسلام وتعاليمه التي وضحها النبي - ﷺ - أكبر الأثر في أن تتبوأ الألعاب الرياضية مكانة كبيرة عبر العصور الإسلامية ، فقد ثبت أنه - ﷺ - مارس أنواعا مختلفة من الألعاب الرياضية ، كما شجع ، وحث أصحابه على ممارسة شتى أنواع الرياضات بحيث صار - ﷺ - المثل الأول والأعظم في تاريخ الرياضة الإسلامية ، ويعتبر الرياضي الأول في الإسلام ، حيث ثبت أنه - ﷺ - مارس رياضات العدو ، والمصارعة ، وسباقات الخيل والإبل ، والرماية والسباحة ، والمبارزة بالسيف والرمح ، وغيرها من الرياضات ، حتى صارت ممارسة الرياضة من الأمور الهامة في كل مراحل عمر الإنسان ، لدرجة أنها احتلت مكانا رفيعا لدى معظم الناس في أوقات فراغهم وكانت مصدرا للصحة والنشاط والاستعداد للحروب .

١ - موقف الإسلام من رياضة السباق (العدو) :

لم تكن رياضة السباق (العدو) جديدة على الإسلام ، فقد ثبت أن النبي - ﷺ - سابق بنفسه على الأقدام ، ومارس أصحابه أنواعا من هذا السباق بين يديه ، وبتوجيه منه .

فقد روت السيدة عائشة أن النبي - ﷺ - كان يسابقها مباسطة لها ، وتطييبا لنفسها ، فقالت :

(سابقني رسول الله - ﷺ - فسبقته ، فلبثت إذ أرهقني اللحم - أي سمنت - سابقني فسبقني ، فقال : هذه بتلك)[1] .

---

* مدرس الآثار والفنون الإسلامية بكلية الآثار - جامعة القاهرة .

(١) القرضاوي (الشيخ يوسف) ، الحلال والحرام في الإسلام ، الطبعة الثالثة عشرة ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٨٤ .

وعن ممارسة الصحابة لتلك الرياضة فقد روى (سلمة بن الأكوع) قال : (أردفنى رسول الله ـ ﷺ ـ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة فبينما نحن نسير ، وكان معنا رجل من الأنصار لا يسبق فجعل يقول : ألا من مسابق إلى المدينة ؟ وأخذ يعيد ذلك فلما سمعت كلامه قلت : أما تكرم كريما ، ولا تهاب شريفا ، قال : لا إلا أن يكون رسول الله ـ ﷺ ـ قلت : يا رسول الله بأبى وأمى ذرنى أسابقه قال : إن شئت ، فذهبت إليه وسابقته وسبقته إلى المدينة)[٢] ، وكان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ يتسابقون على الأقدام والنبى ـ ﷺ ـ يقرهم عليه ويعدو معهم ، فقد روى أن النبى ـ ﷺ ـ يعجبه عدو أصحابه[٣] .

ومن أمثلة مسابقة الصحابة لبعضهم : يروى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سابق الزبير ابن العوام فسبقه الزبير ثم سابقه عمر مرة أخرى فسبقه عمر ، وقد حدث فى وقت الراحة فى موقعة اليرموك أن قال : القائد المسلم أبو عبيدة بن الجراح : من يسابقنى ؟ فقال له أحد الشباب المشتركين فى الموقعة : أنا إن لم تغضب ، وعندها فطن القائد المسلم لدور الرياضة فى رفع الروح المعنوية لدى جنوده[٤] .

ولقد بلغ من حب النبى ـ ﷺ ـ لرياضة العدو أن شجع وحث أصحابه على كل الوسائل التى تساعد على العدو فقد نصح ـ ﷺ ـ أصحابه بالمشى فى كثير من الحالات فيروى أنه قال : عندما شكا ناس إليه ـ ﷺ ـ فدعى لهم وقال : عليكم بالنسلان)[٥] .

ويمكن القول بأن رياضة العدو لم تكن حكرا على الرجال دون النساء ، بل أباحه النبى ـ ﷺ ـ للنساء شريطة فصل النساء عن الرجال كما تبين من الحديث الذى رواه الترمذى وأحمد وأبو داود[٦] .

أما عن رأى العلماء فى رياضة السباق (العدو) فقد اتفق العلماء على جواز المسابقة على الأقدام بأنه إذا كانت المسابقة بالخيل تدريبا على الفروسية ، والشجاعة فإن المسابقة على الأقدام فيها تمرين للبدن على الحركة والخفة والإسراع ، والنشاط وهو مطلوب فى الجهاد والحروب[٧] .

---

(٢) مسلم (ابى الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى) ، صحيح مسلم ، شرح محيى الدين ابى زكريا يحيى النووى ، القاهرة مطبعة حجازى ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ وابن حنبل (الإمام احمد) المسند ، شرح احمد محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م ، جـ ٤ ، ص ٥٣ ، ص ٥٤ .

(٣) الفاكهى (زين الدين عبد القادر بن احمد بن على) مناهج السرور والرشاد فى الرمى ، والسبق ، والصيد ، والجهاد ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٤ فروسية تيمور ، ورقة ٥١ .

(٤) امين انور ، مكانة التربية البدنية والرياضية فى الفكر التربوى الإسلامى ، كتاب غير دورى للدراسات والابحاث التربوية ، نوفمبر ١٩٨٥ م ، جـ ١ ، ص ١١ .

(٥) النسلان هو الإسراع فى المشى (راجع النهيشى نور الدين على ابن احمد بن ابى بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، القاهرة ، مكتبة القدسى ، بدون تاريخ ، جـ ٥ ص ٢٦٧) .

(٦) هو الحديث الذى روته أم المؤمنين السيدة عائشة حيث امر رسول الله اصحابه بالتقدم إلى الامام عندما تمت المسابقة بينها وبين النبى) (ابن حجر ، فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٨٥ ، ٨٦) .

(٧) ابن حجر (الإمام احمد بن على بن حجر العسقلانى) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، راجعه قطب محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، جـ ٦ ، ص ٨٥ .

ـــ مؤلف مجهول ، مخطوط رمى القوس والنشاب وسبب رميه

٢ ـ موقف الإسلام من المصارعة :

لقد ثبت أن النبي ـ ﷺ ـ مارس بنفسه رياضة المصارعة فمن بين الأشخاص الذين صارعهم وصرعهم كان (ركانة)[٨] وأبو الأشدين[٩] فقد كان ركانة أشد رجال قريش ، خلا يوما برسول الله ـ ﷺ ـ فى بعض شعاب مكة فقال رسول الله ـ ﷺ ـ ياركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إنى لو أعلم أن الذى تقوله حق لاتبعتك ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقوله حق ، قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك ، فقام إليه ركانة يصارعه فصرعه رسول الله ـ ﷺ ـ أكثر من مرة[١٠] .

ومن الأمثلة التى توضح ممارسة رياضة المصارعة بين يد رسول الله ـ ﷺ ـ ما روى عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن أم سمرة مات عنها زوجها ، وكانت امرأة جميلة فقدمت المدينة ، وعندما كانت تخطب كانت تقول : لا أتزوج إلا رجلا يتكفل لى بنفقة ابنى حتى يبلغ ، فتزوجها رجل من الأنصار وكان من عادة النبى ـ ﷺ ـ أن يعرض غلمان الأنصار فى كل عام فمن بلغ منهم بعثه ، وذات يوم عند عرض هؤلاء الغلمان عليه ـ ﷺ ـ مر عليه غلام فبعثه فى البعث ثم عرض عليه سمرة بعده فرده ، فقال له سمرة : يا رسول الله أجزت غلاما ورددتنى ! ولو صارعنى لصرعته ، قال ـ ﷺ ـ : فدونك فصرعته فأجازنى فى البعث[١١] ويمكن القول بأن رياضة المصارعة أصبحت دليلا على اختبار القوة زمن الرسول ـ ﷺ ـ .

وكذلك فمن الأمثلة التى توضح ممارسة صحابة الرسول ـ ﷺ ـ لرياضة المصارعة ما يروى عن فتى كان بالسوق ، وتميز هذا الفتى بالقوة ، وتحدث الناس عن قوته فى وجود عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فما كان من عمر إلا أن قال : (أبهذا الفتى تخوفونى ، ليس للخطاب ابن إن لم أصرعه لأول ما ألقاه) ، وعندما بدأت بينهم مباراة حامية التف حولها كل من فى السوق ، وترك عمر ذلك الفتى يحاوره ، ويحتال ليصرعه ، وهو لا يزال فى

= وسبب تعليمه وفيه من الكتاب والسنة . مخطوط غير مؤرخ بدار الكتب المصرية رقم ١ فنون حربية م . ورقة ٣٧ .
ـ اختلف الأئمة فى جواز السباق بعوض فى قولين ، أحدهما : لا يجوز وهو مذهب احمد ومالك ونص عليه الشافعى ، والثانى : يجوز وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى ، وإن كان للشافعية فيها وجهان فحجة من منعه هو حديث ابى هريرة (لا يسبق إلا فى خف او حافر او نصل) وهذا يتعين حمله على احد معنيين إما ان يريد نفى السباق اى لا يجوز السباق إلا فى هذه الثلاث فيكون نفيا فى معنى النهى عن السباق فى غيرها إلا فى نفس السباق ، وإما ان يريد انه لا تجوز المسابقة على غيره بعوض فيكون نهيا عن المسابقة بالعوض فى غير الثلاث (الدمشقى الفروسية المحمدية ـ مخطوط ـ ورقة ٨) .

(٨) ركانة بن عبد يزيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القريشى المطلبى (الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ٩ ، ١٠) .

(٩) ابو الاشدين كلدة بن اسيد بن خلف الجمحى (الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ١٠) .

(١٠) ابن هشام (ابى محمد بن عبد الملك بن هشام المعافرى) السيرة النبوية ، تحقيق د . محمد فهمى السرجانى ، دار التوفيق للطباعة بالأزهر ص ٢٥٩ ، وفى رواية اخرى تشير إلى ان ركانة اسلم وحسن إسلامه بعد هذه الواقعة (القرضاوى ، الحلال والحرام ، ص ٢٨٤) .

(١١) الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ١٠ .

موقف المدافع حتى أحس أن قوى الفتى قد خارت ، فانقض عليه وركب أكتافه وألقاه أرضا ، ولا تزال هذه الطريقة معمول بها إلى الآن ، - كما تعد من الطرق الناجحة التى تحقق لصاحبها التغلب على خصمه بعد استنزاف قواه ، وبذلك يعود فضل اختراع هذه الطريقة للمسلمين وليس للأوروبيين ، فقد كان عمر بن الخطاب مصارعا قويا ، ولكن لم تغن عنه قوته فى مصارعة سيف الله المسلول (خالد بن الوليد) حيث تغلب عليه فى منافسة شديدة أصيب فيها عمر بن الخطاب بكسر فى قدمه[12] .

٣ - موقف الإسلام من رياضة سباقات الخيل :

لقد كان للنبى - ﷺ - موقف واضح تجاه رياضة الخيل وهذا الموقف من جانب رسول الله - ﷺ - دفع بتلك الرياضة نحو الأمام ، فقد كان - ﷺ - يحب الخيل كثيرا ، ويسابق بها ويعطى السابق من الجوائز والهبات الكثير ، فيروى عن أنس بن مالك أنه قال : (لم يكن شيئا أحب إلى رسول الله - ﷺ - بعد النساء من الخيل)[13] ، ولقد ورد عن النبى - ﷺ - أنه قال : (الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة) وروى يحى بن سعيد قال : كان رسول الله - ﷺ - يمسح وجه فرسه بردائه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنى عوتبت فى الخيل[14] .

وعن مسابقة الرسول - ﷺ - بالخيل فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : (أجرى النبى - ﷺ - ما ضمر[15] من الخيل من الحفياء[16] إلى ثنية الوداع ، وأجرى ما لم يضمر من الثنية إلى مسجد بنى زريق ، وقال ابن عمر : وكنت فيمن أجرى[17] ويروى - أيضا - عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى - ﷺ - سابق بين الخيل وراهن[18] وأعطى السابق[19] ، ويروى عن يعقوب بن زيد بن طلحة عن أبيه أنه قال : سابق النبى - ﷺ - بين الخيل التى عشرة أوقية فسبق فرس أبى بكر - رضى الله عنه - فأخذ أربعمائة وثمانين درهما[20] ، وقد ورد عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : (قيل له هل كنتم تراهنون

(١٢) أمين الخولى ، مقالة التربية البدنية ، ص ١١ .
(١٣) ابن رسلان (سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى) قطر السيل فى أمر الخيل ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩ فروسية تيمور ، ورقة ٢٢ .
(١٤) جاء فى رواية أخرى أنها ، إن جبريل بات يعاتبنى الليلة فى أداب الخيل ، الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ١٥ ، ١٦ .
(١٥) ضمر : بسكون الضاد المعجمة ومعناها معالجة الخيل عن طريق تقليل علفها ثم تدريبها تدريبا شاقا حتى يجف عرقها ويخف لحمها وتقوى على الجرى (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ضمر) .
(١٦) الحفياء : بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء وما بعدها وهو مكان يقع خارج المدينة (ابن رسلان ، قطر السيل ، مخطوط ، ورقة ٢٣) .
(١٧) ابن حجر ، فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٨٤ .
(١٨) السيوطى ، سنن النسائى ، مكتبة النهضة ، بدون تاريخ ، جـ ٦ ، ص ٢٢٥ .
(١٩) ابن حنبل ، المسند ، جـ ٨ ، ص ٥٦٦ .
(٢٠) ابن هذيل (على بن عبد الرحمن) حلية الفرسان وشعار الشجعان مخطوط ، بدار الكتب المصرية رقم ٧٠ فروسية تيمور ، ورقة ٤٥ .

على عهد رسول الله - ﷺ - ؟ قال : نعم ، والله لقد راهن على فرس يقال له سبحة ، فسبق الناس فبش - ﷺ - بذلك وأعجبه) ويروى كذلك عنه أنه سابق بين الخيل وفضل القرح[٢١] فى الغاية [٢٢] وبذلك يمكن القول بأن النبى ﷺ سابق بين الخيل وجعل بينها سبقا وجعل للسابق على سبقه[٢٣] كما أنه سابق بين الخيل على حلل من اليمن فأعطى السابق ثلاث حلل والمصلى حلتين والثالث حلة والرابع ديناراً والخامس درهما والسادس قصبة وقال - ﷺ - : بارك الله فيك وفى كلكم وفى السابق والفسكل[٢٤] ، ومن الأدلة على أن رسول الله - ﷺ - سابق بنفسه وفاز فى السباق ما يروى عن سعادة وسرور أن النبى - ﷺ - عندما فاز فرسه فى السباق ، فعن مكحول أن رسول الله أجرى الخيل يوما فجاء فرس له (أدهم) سابقا ، وأشرف على الناس ، فقالوا : الأدهم ، وجثا رسول الله على ركبته ، ومر به ، وقد انتشر ذنبه ، وكان معقودا ، فقال رسول الله - ﷺ - (إنه لبحر)[٢٥] وفى رواية أخرى (إنه لسابق)[٢٦] .

أما عن طريقة ممارسة سباقات الخيل زمن رسول الله - ﷺ - فقد كانت تحدث كالآتى : كان يكلف الرسول علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه بتنظيم (السبقة) وهو سباق الخيل ، ويختار علىٌّ سراقة بن مالك ليكون مديرا لحلبة السباق والآذن بالبدء ، ثم يشرح له كيف يتيح لكل فارس أن يصلح لجامه ، وكيف يعد ثلاث تكبيرات لتكون إشارة للبدء ، ويكون على - كرم الله وجهه - فى نهاية السباق حيث يخط خطًّا لتحديد نهاية السباق ، كما يعين حكمين متقابلين زيادة فى الحيطة والحيدة ، بحيث يجعل الخط طرفه بين إبهاميهما ، فإذا مرت الخيل بالرجلين استطاعا تحديد الفائز[٢٧] بدقة فإذا تساوى فارسان قسمت الجائزة مناصفة بينهما ، كما نهى عن الصخب والجلبة[٢٨] والألفاظ الجارحة فى السباق[٢٩] وعن جواز المسابقة بين الخيل فهى جائزة بشرط وجود فرس محايد ضمن خيول السباق ، ويسمى هذا الفرس (محللا) فيروى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : (من أدخل فرسا بين فرسين - يعنى وهو لا يؤمن أن يسبق فليس بقمار ، ومن أدخل

(٢١) القرح : جمع قارح وهو ما دخل من السنة الخامسة من الخيل (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قرح) .
(٢٢) الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، مخطوط ، ورقة ٢٥ .
(٢٣)الفاكهى ، مناهج السرور والرشاد ، مخطوط ، ورقة ٥٣ .
(٢٤) الفسكل : الفسكل ، والفسكول ، والفسكول : هو الذى يجىء فى آخر الحلبة ويكون آخر الخيل وصولا إلى خط النهاية (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فسكل ، ابن رسلان ، قطر السيل مخطوط ، ورقة ٢٣) .
(٢٥) ابن هذيل ، حلية الفرسان ، مخطوط ، ورقة ٤٥ .
(٢٦) البجيرمى (الشيخ البجيرمى الشافعى الأزهرى) ، رسالة فى أوصاف الخيل ، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ١٥ فروسية تيمور .
(٢٧) كان يقال للفائز حاز قصب السبق ، وذلك لأنهم كانوا يضعون هذه الجائزة على طرف الغاية ، نهاية السباق ، التى يتسابقون إليها ، وكانت توضع على رأس قصبة من قصب الرماح (أمين الخولى ، مقالة التربية ، ص ٤ ، ٥) .
(٢٨) أمين الخولى ، مقالة التربية البدنية ، ص ١٣ .
(٢٩) والجدير بالذكر أن مثل هذه الأمور ما يزال معمول بها فى المسابقات الدولية الآن .

فرسا بين فرسين ، وقد أمن أن يسبق فهو قمار)[٣٠] .

٤ ـ السباق بين الإبل :

لقد ثبت أن النبى ﷺ كان يسابق بين الإبل ، فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : (كان للنبى ناقة تسمى العضباء لا تسبق أو لا تكاد تسبق ، فجاء أعرابى على قاعود فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، حتى عرفه النبى فقال : (حق على الله أن لا يرتفع شىء من الدنيا إلا وضعه) .

وبذلك يمكن القول أن المسابقة بين الإبل جائزة لأن فيها تمرين على الفروسية والشجاعة[٣١] .

---

(٣٠) أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى) سنن أبى داود ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، سنة ١٣٥٤ م ، ١٩٣٥ م ، جـ ٣ ـ ص ٣٠ .
ـ وقد انحصر رأى الفقهاء بين الجواز والمنع ، ففى حالة الجواز هو أن يسبق الوالى سبقا بجعله للسابق ولا يكون له فرس فى الحلبة فمن سبق فهو لهم وكذلك لو أخرج أسباقا أخذها للسابق والثانى للمصلى والثالث للتالى وهذا جائز ، أما حالة المنع فهو أن يخرج كل واحد من المتسابقين سبقا ومن سبق منهم أخذ سبقه وسبق صاحبه وأمسك الذى له وهذا قمار عند مالك والشافعى (راجع : ابن حجر ، فتح البارى ، الجزء السادس ، ص ٨٥ : السيوطى ، سنن النسائى ، جـ ٦ ، ص ٢٢٦ : الدمشقى ، الفروسية المحمدية ، ورقة ١١) .

(٣١) ابن حجر ، فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٨٦ ، ابن رسلان ، قطر السيل ، مخطوط ، ورقة ٢٥ ، ٢٦ .

اللغة والأدب والنقد

من طبقات المحققين

على عبد العظيم

لفضيلة الشيخ: السيد إبراهيم الجميلى

علماء من مصر

لفضيلة الشيخ
عبد الحفيظ فرغلى على

دوحة الكتب

للأستاذ: محمود الفشنى

طبقات المحققين والمصححين
الأستاذ البحاثة
على عبد العظيم
"رحمه الله - ١٩٠٩-١٩٨٤م"

أ.د السيد إبراهيم الجميلى

لا ريب أن التأليف والتصنيف والتحقيق من أشق وأعصى وأعنف الفنون الفكرية ، وأعقدها على الإطلاق .

لذلك فنحن مطمئنون تماما إلى أن الإنسان أو المرء بخير وعافية ، ما لم يؤلف كتابا ، أو يحرر مقالا .

قال ابن العماد الأصفهانى الحنبلى (صاحب شذرات الذهب) : « إنى رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا فى يومه إلا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر . . . وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » أهـ .

هذه الخواطر تحضرنا عندما تتراوحنا المشاق والمصاعب والجهد والعنت فى تأليف الكتب وتحقيق النصوص ، وتصحيح تجارب الطباعة . . . ومهما قيل وزيد فإن أحدا لا يمكن أن يتصور على الحقيقة الجهود المضنية المبذولة فى هذا الصدد .

من ثم كان التأليف والتحقيق أمرا شديد التوعر والتعذر ، ما لم يكن المؤلف ، أو المحقق مطويا على رغبة فطرية على ذلك ، فإن الحب يسرى عن المحب الولهان مما يجعل الشعور بالإرهاق والضنى مستطابا . . . كما أن العمل ذاته يكون بريئا من الاستكراه والاستدعاء والتعقيد الشائه المشين .

ooo

هذا رجل امتلكت عليه ، وانثالت على رحابه



كل مناقب الإنسانية فى أرقى وأمثل صورها . . . فقد كان مثلا حيا مضروبا للمثالية ، التى قعدت إزاءها كل صفات الحسن والمروءة .

إنه الشيخ البحاثة ، العالم ، المؤلف ، الأديب الشاعر ، المحقق ، المرحوم / على محمد عبد العظيم . . . ولد ـ رحمه الله ـ سنة تسع وتسعمائة وألف من الميلاد فى قرية تابعة لمدينة دسوق بكفر الشيخ بمصر العربية المحروسة .

حفظ على عبد العظيم القرآن الكريم فى صباه الباكر ، فى الريف الطيب ، ثم التحق بالأزهر الشريف الذى انطوى له على حب عارم ـ كما حكى لى رحمه الله فى بيته فى مناسبات عديدة متفرقة ـ إذ ذكر أن أباه وجده ـ رحمهما الله ـ كانا أزهريين ، وقد نهل كلا الرجلين من الينابيع السائغة للأزهر .

كان طبيعيا أن يرى على وهو صغير ألفية ابن مالك مع شرح الأشمونى على الألفية ، وكتب ابن هشام ومتفرقات عديدة شتى من كتب الفقه والأصول واللغة ، ودواوين الشعراء القدامى على مختلف هوياتهم ومشاربهم .

بعد أن فرغ من حفظ القرآن الكريم واستظهاره صبيا ، وبعد أن رأى السبيل ذلولا أمامه إذ أن نشأته فى بيت علم وفضل مع وجود مختلف الكتب والمراجع فى متناول يديه ـ نهل من الثقافة العامة بغير حدود ، مع استظهار القرآن وتجويده .

بيد أن عليا ـ رحمه الله ـ لما آنس من نفسه قدرة استيعابية فائقة ، فضلا عن ميل شديد للعلوم العصرية من رياضية وعلمية رأى أن ينتهج ويسلك طريقا علمية ولذلك السبب اجتذبته دار العلوم ، فإنه فضلا عن إشباع رغبته فى التزود من العلوم العصرية من رياضة وكيمياء وفيزياء وأحياء وغيرها لن يبعد عن الأزهر فى نفس الوقت إذ أن الأزهر والأزهريين إذا دخل قلب المخلص الوامق المحب فلا يمكن أن يخرج منه بحال . . . وكيف ذلك وأساتذة دار العلوم كانوا أزهريين من علماء الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى .

لذلك التحق على بالقسم الثانوى بمدرسة دار العلوم القديمة ، التى كانت فى أول شارع الميدان ، وفيها درس العلوم الدينية ، واللغوية ، والعلوم ، والرياضة الحديثة ، والاقتصاد السياسى ، ومبادىء اللغة الإنجليزية .

أما فى القسم العالى بدار العلوم ، فدرس فيه علوم التفسير ، والحديث ، وسائر العلوم الدينية ، فضلا عن علم النحو والصرف ، والأدب ، وفقه اللغة ، والنقد الأدبى ، والتاريخ الإسلامى ، ومبادىء اللغتين العبرية والسريانية .

وفى دار العلوم تبلورت شخصية على

عبد العظيم إذ ظل ينهل بشغف ولهفة من العلوم والآداب مشغوفا ومنهوما لا يشبع ، لا يقنع له غليل ، ولا تشبع له نهمة حتى تخرج فيها حاصلا على إجازتها العالية وعمل مديرا لإدارة الوثائق والمكتبات بوزارة الأوقاف ثم رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، ورئيسا لقسم المخطوطات بها .

ثم خبيراً فنيا ومستشاراً للأزهر بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

أحيل على عبد العظيم إلى المعاش فى الثلاثين من شهر مارس سنة تسع وستين وتسعمائة وألف للميلاد عن عمر يناهز ستين عاما .

بلغ معاشه الشهرى فى ذلك الوقت ١٤٦,٠٩٨ (مائة وستة وأربعين جنيها وثمانية وتسعين مليما لا غير) رقم ملف معاشه ١٣/٢٠٢٦٧ تقاعد .

تزوج رحمه الله تعالى مرتين ، ولم يعقب .

○ ○ ○

فى منزله الكائن بناحية مصر القديمة (رقم ٩٥٥ شارع كورنيش النيل) كان مستقر ومنتجع هذا العالم الجليل ، ومكتبته العامرة المأهولة . . .

كانت أهم سماته ، ومخايل شخصيته ، الهدوء والوقار ، وخلوص النية ، وسلامة الصدر ، وطهارة الطوية ، من أرجاس الهوى ولم تكن خلاله الطيبة تخفى على أحد من عارفيه ومريديه .

كان - رحمه الله - سرى الأخلاق ، أريحى الشمائل ، كريم المخبر والمسبر ، صدوق المعجم ، يجول فى غرته ماء الكرم ، ويفوح من أردانه وأعطافه عرف السخاء والجود والندى ، هكذا عرفته سنين طوالا مديدة .

كان مصوغا من معدن العتق والنفاسة ، بقية الكرام الأشاوس ، وتلية الأحرار ، وخلاصة الحسب سجيح الأخلاق ، خافض الجناح ، سبط اليدين ، سمح الكفين ، سبط الأنامل ، ندى الراحة ، رحيب الصدر ، فسيح البال ، طويل الباع ، بسيط الكف ، خصيب المنادح ، خضوضل المسارح ، غمر النقيبة ضافى النوال ، كثير التطول والإفضال ، جم المبرات كثير الصلات ، كريم المعتصر سمح المقادة . كان ساكن الريح والقطاة ، واقع الطائر ، لا يستخفه غضب ، ولا يروعه ويصدع صفاته وحلمه رائع .

هذا الطود الراسخ لا تقلقله العواصف ، والبحر لا تكدره الدلاء .

أنفقت معه ساعات طوالا فى مكتبته العامرة المأهولة كنا نبحث ونصول ونجول من مصدر إلى مصدر ، ومن مرجع إلى مرجع دون أدنى ملل أو كلل أو سآمة .

كنت أعتبره بقية السلف الصالح . . . إذ كان ورعه وتقواه وتواضعه وعلمه ليس محتاجا إلى دليل . . . وكان الجميع يعرف له فضله ومنزلته اعتبارا من رئيس الجمهورية والإمام الأكبر شيخ الأزهر وآحاد أبنائه من الباحثين والدارسين معلمين كانوا أم متعلمين .

كنت أصحبه فى زياراته لشيخ الأزهر السابق رحمه الله وأرى احترامه له وتقديره الفائق وذات مرة قال لى الشيخ جاد الحق فى مكتبه : إن الأستاذ على عبد العظيم ليس أستاذا لنا فحسب ، ولكنه بمثابة والد لنا جميعا .

لقد دفعت به الهمة إلى القمة ، وإلى مقام سنى رفيع بين جيله ومعاصريه .

حقق وألف كثيرا من الكتب ، بل إن رسالته للماجستير كانت فى تحقيق ديوان ابن زيدون ، كما صنف كتابا عن محبوبته ولادة بنت المستكفى

وقد وضع كتاب : « ابن زيدون ، عصره وحياته وأدبه » وقد أشار إليه الزركلي في الأعلام ، عند ترجمته لابن زيدون (أحمد بن عبد الله) انظر الأعلام ١٥٨/١ الطبعة السابعة مايو ١٩٨٦ .

ولكونه محبا للأزهر عاشقا له ، فقد صنف أجل وأهم كتاب وهو مشيخة الأزهر ، منذ إنشائها حتى الآن في جزءين ، ترجم فيه لمشايخ الأزهر تراجم وافية دقيقة وقد عانى رحمه الله في سبيل ذلك الجهد المشكور ماعاناه ، ولاقى ما لاقاه في جمع المادة العلمية .

○○○

كان علي عبد العظيم شديد الولوع والنهم بالقراءة ، وكان أديبا شاعراً ، فكان ينظم شعر السليقة بفطرية جميلة مليحة ، لا صناعة ولا استكراه فيها ، فإنك لتقرأ أشعاراً رصينة لا هي مستكرهة ، ولا مستدعاة ، ولا هي سطحية المعنى لكن ألفاظها منتقاة ، ومعانيها مبتكرة عميقة الأفكار قوية البناء متماسكة اللبنات شاعرية رقيقة مطبوعة . . .

وقد تفضل - رحمه الله - بكتابة ثلاث مقدمات لثلاثة كتب من تأليفي وتحقيقي ، أشاد في كل منها بأعمال وصنيع تلميذه ومحبه .

لم يكن يكاد يمر يوم أو يومان إلا وأشعر أنا وأولادي بالاستيحاش ، فقد مرت أربع وعشرون ساعة أو ثمان وأربعون ساعة لم نر فيها شيخنا الجليل وأهله ، فلقد كان بالنسبة لنا نبراسا لا يستغنى عنه .

أذكر أنه دهمتني بلية ، وكارثة فوق الاحتمال ، وكنت مشفقا عليه من سماع هذا الخبر المفجع لأنني أعرف عنه شيئين : الأول : رقة الشعور ورهافة الحس من ناحية ، والثاني : مدى تعلقه بي وارتباطه النفسي والوجداني بتلميذه . . .

أخذتني حيرة شديدة . . . إذ أنه لابد أن يعرف جلية الأمر . . . بل إن الأمر كان شديد الخطورة فلو أنني كتمته عنه ، فإنه سيعرفه من غيري ، أو من وسائل الإعلام في ذلك الوقت . . . فعمدت إلى التمهيد لذلك مقدما التبريرات والتسويغات التي تجعل أي إنسان مستهدفا من قسوة الأيام وغرضا وهدفا للسهام من أعدائه . . . ففي صباح يوم من تلك الأيام قرأت أمامه من شعر عبيد بن أيوب :

كأن بلاد الله وهي عريضة
على الخائف المذعور كفة حابل
يؤدى إليه أن كل ثنية
تيممها ترمى إليه بقاتل

فنظر متأملا ثم قال :

إن هناك رواية أخرى تقول : (الخائف المطلوب) ، فيكون البيت الأول لذلك :

كأن بلاد الله وهي عريضة
على الخائف المطلوب كفة حابل

وسألتني زوجتي : هل عرف الشيخ « علي » ماحدث ؟

فقلت : لا . ثم بعد برهة ذكرت له قول الشاعر :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلي الله بعض الناس بالنعم

فقال : الله . . . الله . . . وفي هدوء معهود أمسك بالقلم وسطر هذا البيت .

فأردت أن أبعث إليه برسالة ثالثة في مواجهته فقلت قول الشاعر :

وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى
فكيف بمن يرميك من حيث لا تدرى

ثم عقبت بقول الشاعر الآخر :

وحذرت من امر فمر بجانبي
لم ينكنى ولقيت ما لم أحذر

الآن قال لى متسائلا : ما الذى حدث ياسيد ؟ لم يكد يسأل عن الأمر حتى حكيت له كل شىء من غير مواربة . . . وإذا به ينظر ذاهلا مروعا مأخوذاً مكسوراً فى ذرعه ، مأتيا عليه من هول ما تساقط إلى سمعه . . .

وأردت أن أدفع عنه هذا الهول أو الاستهوال الشنيع حتى أكسر من حدة الروع الذى انتابه ، فقلت له على سبيل التأكيد على جلادتى وسعة صدرى ، واتساع صبرى واحتمالا لكل مرغوب ، ولأى متوقع ، فقلت له وأنا أبتسم ابتسامة شاحبة باهتة مصنوعة ، بقول الطرماح بن حكيم :

لقد زادنى حبا لنفسى أننى
بغيض إلى كل امرىء غير طائل .

فقال ـ رحمه الله ـ : لقد أضحكتنى ياسيد ، ولكن ثق تماما أن الله سبحانه وتعالى سيكشف عنك الضر ، وسأدعو لك فى كل صلاة . . .

○ ○ ○

الليلة الأخيرة ، كانت ليلة ليلاء ، إذ أنه كان قد عانى من تدهور مفاجىء فى صحته ، تلاحقت مع الأيام القلائل التى سبقت الرحيل ، فقد كان مريضا بالسكر ، ولم يكن مستطاعا دفع المقدور إذا حانت ساعة الرحيل . . . وقد شعرت بدنو أجله ، وكان شيخ الأزهر رحمه الله ـ قد أمر بنقله فورا إلى مستشفى الحسين الجامعى . . . وشعرت أن النهاية المحتومة صارت وشيكة ، ففى تلك الليلة ذهبت وأهلى لزيارته فى المستشفى ، وكانت صحوة ما قبل الموت . . . إذ تكلم معنا ، وأشار إلى ابنتى « دعاء » وكانت صغيرة آنذاك ، ومسح جبينها بيده وقال : « اللهم بارك فيها ، واحفظها واجعلها من الصالحين » .

سألته عما يريد ، فقال : الحمد لله ، ربنا يوفقك . . .

وانصرفنا فى تلك الليلة وهى ليلة الحادى والعشرين من نوفمبر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد .

بيد أننا أخبرنا فجأة فى اليوم التالى بوفاته ، ودفنه ، ويبدو أن الحالة دهمت الحضور وأهله ، فلم يتمكنوا من الاتصال بنا فلم تحضر الوفاة ، ولا الدفن .

وهرعت إلى بيته فوجدت كوكبة من علماء الأزهر على رأسهم المرحوم الدكتور الحسينى هاشم وكيل الأزهر الأسبق ، والمرحوم الشيخ مهدى عبد الحميد مدير الإعلام ، والشيخ عبد الهادى السيد العجيل والدكتور إبراهيم البطاوى وغيرهم وغيرهم . . . وصلينا عليه صلاة الغائب فى مسجد مصر القديمة بالقرب من بيته .

وما تنفع الآداب والعلم والحجى
وصاحبها عند الكمال يموت

كان على عبد العظيم يحتوى فى داخله قلب طفل برىء ، وعقل فهامة أريب ، وهذا هو طبعه ، وهذه هى سجيته المجبول عليها . رحم الله على عبد العظيم .

وليس بأوسعهم فى الغنى
ولكن معروفه أوسع
يروم الملوك مدى فضله
ولا يصنعون كما يصنع

○ ○ ○

فى ضوء القمر ، فى شرفة بيته المطلة على النيل ، جلست أستمع إليه يحكى لى عن ذكرياته البعيدة والقريبة ، وكان مما ذكره على خطورته

وشناعته يدل بلاريب على توفيق الله تعالى له وحفظه إياه .

ومن اللافت للنظر أنه كان يستمتع بذاكرة رهيبة إذ يذكر تفاصيل الوقائع من عشرات السنين بكل دقائقها ، وكأنها ماثلة بين عينيه .

من الكثير المثير الذى حدثنى عنه فى تلك الليلة أن هناك مؤامرة حيكت فى الظلام لنفر من الأبرياء للنكاية بهم ، والتنكيل بأشخاصهم ، فاتهموا بأنهم يخططون لمؤامرة القيام بانقلاب عسكرى للنظام القائم وقتذاك ، وكان من ضمن قائمة المتهمين نفر كبير من الشيوعيين .

ما إن عرض موضوع المؤامرة على الرئيس الراحل محمد أنور السادات ـ رحمه الله ـ حتى أمر فوراً بعرض جميع الوثائق والتحريات عليه شخصيا ، لينظر فيها بنفسه قبل كل شيء ، فإن شيئا كهذا لا تهاون ولا تقاعس فى النظر إليه بمنتهى الحزم والصرامة .

وكان بدهيا أن تكون أول المستندات والوثائق بادى الرأى قائمة أسماء المتهمين ، وبينما أخذ الرئيس يقرأها حتى وقع بصره على اسم المتهم « على عبد العظيم » وإذا به (أى : الرئيس) يستغرق فى الضحك بصوت مرتفع ، ثم يقول : عـلى عـبـد الـعـظـيـم ... عـلى عبد العظيم ... !!! ..

ثم جمع كل الأوراق وطوح بها وهو يقول : إن أكبر دليل على تزييف القضية وافتعالها ، وتلفيقها هو إدراج اسم على عبد العظيم متهما فيها ... ثم قال : إن على عبد العظيم ليس شيوعيا ، ولا يمكن أن يكون كذلك ، وأمر فورا بحفظ الأوراق وقرر أن الموضوع بذلك أصبح منتهيا ...

رحم الله على عبد العظيم رحمة واسعة وسقى قبره بشآبيب الرحمة والرضوان ، وأسكنه الفردوس الأعلى من جنات النعيم ، وسلام عليه فى الصالحين ، والحمد لله رب العالمين .

من مؤلفات وتحقيقات على عبد العظيم :

ـ « إن الدين عند الله الإسلام » .

ـ « مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن » مجلدان .

ـ « الأزهر تاريخه وتطوره » سنة ١٩٦٤ م الباب الخامس بالاشتراك مع الأستاذ سيد أبو المجد .

ـ « فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم » .

ـ « فى ملكوت السموات والأرض » .

ـ « الإيمان بالغيب » .

ـ « ابن زيدون ، عصره وحياته وأدبه » .

ـ « ديوان ابن زيدون » .

ـ مقالات وبحوث ، ودراسات بمجمع البحوث الإسلامية وتحقيقات لم نقف على كثير منها أو أصوله .

إليك أيها الشيخ الجليل فى حياتك البرزخية أعتذر لك عن تقصيرى ، فهذا جهد المقل ...

لقد كتبت عن مشايخ الأزهر بعلمك الواسع ، وقلمك المشحوذ ، عساى أن أكون بما كتبت عنك فى هذه الدراسة اليسيرة ـ قد أديت شيئا مما هو واجب على ، وحق لك !!

هذا مع اعترافى بالتقصير ، وقلة البضاعة ، والحيلة إذا ما قورنت بعملاق ترك بصماته ، وآثاره الجليلة الخالدة ، على مر الأيام ، نسأل الله أن يجعله مرضيا فى الآخرة كما كان مرضيا فى الدنيا ، وسلام على الصادقين وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .



لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى على القرنى (١)

منزلة مصر العلمية :

لا يجهل أحد منزلة مصر العلمية ، وقد قيضها الله - تعالى - لحمل رسالة الإسلام السامية منذ فتحت مصر فى عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سنة عشرين من الهجرة على يد الفاتح العربى عمرو بن العاص ، ومعه نخبة ممتازة من أجلاء الصحابة . . - رضوان الله عليهم - .

منذ ذلك الوقت نهضت مصر لرسالتها العظيمة ، وكان لمسجدها العتيق الذى أنشأه الفاتح العظيم فى الفسطاط دور كبير فى نشر العلم والثقافة الإسلامية ، وتخريج المئات من العلماء الأجلاء الذين أناروا الزمن ، وأضاءوا الآفاق عبر القرون التى تلت الفتح ، حتى تم إنشاء الأزهر المعمور الذى تلقف الراية ، وحمل المشعل ، واضطلع بالمهمة الجليلة التى اختاره الله لها ، ووفقه فيها ، وتخرج فى أروقته آلاف العلماء الذين ملأوا المشرق والمغرب نوراً وهداية ومعرفة ، وكانوا إلى جانب ذلك و أبطالاً فى الجهاد ، وأسودا فى الكفاح والنضال والجهر بكلمة الحق ودفع الظلم .

وقد أشار إلى ذلك أمير الشعراء أحمد شوقى فى قصيدته التى قالها بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف سنة ١٩٢٤م ، وجاء فيها :

واخشع مليا واقض حق أئمة
طلعوا به زُهرا وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانا ، وأفخم مظهرا
من كل بحر فى الشريعة زاخر
ويريكه الخلق العظيم غضنفرا

يا معهداً أفنى القرون جداره
وطوى الليالي ركنه والأعصرا
ومشى على يبس المشارق نوره
وأضاء أبيض لجها والأحمرا
وأتى الزمان عليه يحمى سنة
ويذود عن نسك ويمنع مشعرا
الصارخون إذا أسيء إلى الحمى
والزائرون إذا أغير على الشرى
لا العاجزون الجاهلون ولا الألى
يمشون في ذهب القيود تبخترا

علماء في كل فن:

ولو أردنا أن نحصى العلماء الذين نبغوا في مختلف الفنون، وتخرجوا في رحاب المسجد العتيق أو رحاب الجامع الأزهر لطال بنا المقام وأعيانا الحصر، ولكن حسبنا أن نشير إلى بعض هؤلاء الأعلام الأجلاء من أبناء مصر الإسلامية العربية العريقة، الذين سعد بهم الإسلام، ونهض بهم العلم، واتسع بهم أفق الحضارة الإسلامية والعربية المجيدة. ومنهم من ظل لامعاً في أفق التاريخ، ومنهم من أفاء عليهم الأمد ظله دون أن ينسى فضله أو يجحد جهده، وواجبنا تنقب عن هؤلاء لنعيد ذكراهم إلى الأذهان وليعلم عنهم الناس في عصرنا ما جهلوه ويشكروا لهم ما فعلوه.

رواد العلم في مصر:

ولا ينبغى أن ننسى أن رواد العلم في مصر كانوا صحابة فضلاء، ارتووا من معين النبوة الصافى، من أمثال: عبدالله بن عمرو بن العاص صاحب الصحيفة الصادقة، وهى أول صحيفة دُون فيها حديث النبى - صلى الله عليه وسلم - بموافقة منه، جاء في مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ١٦٢ عن عبدالله بن عمرو قال: قلت يا رسول الله: أكتب ما أسمع منك في الرضا والغضب؟ قال: «نعم فإنى لا أقول إلا حقاً»، وذكر ذلك ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة عبدالله بن عمرو بن العاص جـ ٣ ص ٣٤٩.

وقد ذكر الإمام السيوطى في كتابه: «در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة» مئات من هؤلاء الأجلاء، منهم من أقام بمصر إقامة دائمة حتى وافاه الأجل فيها، ومنهم من أقام بها ردحاً من الزمن ثم رحل عنها بعد أن روى عنه الناس ماكان يحفظه من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

ويعد السيوطى أول من وضع معجماً دقيقاً لهؤلاء الصحابة الذين وفدوا على مصر مرتباً على حروف المعجم، وإن كان غيره ممن ترجم للصحابة أشار إلى ذلك في معجمه إشارة عابرة، كما فعل ابن الأثير في أسد الغابة، وابن عبدالبر في الاستيعاب، والحافظ بن حجر في الإصابة.. وقد ترجم ابن سعد في طبقاته الكبرى في المجلد السابع لاثنين وثلاثين صحابياً كانوا في مصر.

وممن توفى من الصحابة في مصر عمرو بن العاص القائد الفاتح، والذى تولى إمرتها في عهد عمر بن الخطاب، ثم في عهد معاوية بن أبى سفيان، وقد توفى في مصر سنة ٤٣ هـ.

وبعده ابنه عبد الله بن عمرو الذى توفى في مصر سنة ٧٧ هـ كما يقول ابن سعد في طبقاته.

وعقبة بن عامر الجهنى الذى توفى سنة ٥٨ هـ وغيرهم كثير.

ومن جاء إلى مصر من الصحابة عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ، وعبدالرحمن بن العباس بن عبدالمطلب وأخوه عبدالله بن العباس حبر هذه الأمة ، والملقب بالبحر لسعة علمه ، وعبدالله بن أبي سرح الذى كتب الوحى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم تعرض لفتنة تاب منها وأناب ، ورضى عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم تولى إمرة مصر فى عهد عثمان ـ رضى الله عنه ـ وكثرت فتوحاته فى أفريقيا ، ثم وافاه الأجل فى أثناء الصلاة استجابة لدعوة دعاها ، فكان هذا من علامات حسن الختام .

ومن الذين وفدوا إليها أيضاً الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة ، والملقب بحوارى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن عمته صفية بنت عبدالمطلب ـ رضى الله عنها ـ .

وأبو ذر الغفارى ، ونبهة بن صواب ، وعخشمة ابن حمزة ، وأبوبصرة ، وهؤلاء الأربعة قاموا بمهمة الإشراف على بناء المسجد الجامع ومدينة الفسطاط عقب الفتح الإسلامى وغير هؤلاء كثير .

ولا شك أن هؤلاء الصحابة ورثوا عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ علماً غزيراً ورثوه لغيرهم من التابعين .

جيل التابعين :

وجاء بعد الصحابة جيل التابعين طبقة بعد طبقة من أبناء هؤلاء الصحابة وغيرهم .

ومن هؤلاء التابعين والعلماء المجتهدين فى مصر يزيد بن أبى حبيب فقيه مصر وشيخها ومفتيها ، لقى عبدالله بن الحارث الصحابى نزيل مصر ، وروى عن سالم ونافع وعكرمة وعطاء بن أبى رباح وغيرهم ، وروى عنه كثير من الرواة من أمثال الليث بن سعد فقيه مصر وإمامها ، وابن لهيعة وهو عبدالله بن عقبة الحضرمى المتوفى سنة ١٧٤ هـ ، قال عنه ابن سعد : كان يزيد بن أبى حبيب ثقة كثير الحديث ، وقال عنه ابن يونس : كان مفتى أهل مصر ، وهو أول من أظهر العلم بها ، وتكلم فى المسائل من الحلال والحرام ، وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الترغيب والترهيب والملاحم والفتن ، وهو أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبدالعزيز أمر الفتيا فى مصر ، وقال عنه الليث بن سعد : هو سيدنا وعالمنا . توفى يزيد بن أبى حبيب سنة ١٢٨ هـ .

وإذا كان يزيد قد نبغ فى الرواية والفتيا فهناك من نبغ فى غير ذلك .

من أئمة القراءة فى مصر :

من أئمة القراءات فى مصر عثمان بن سعيد بن عدى المعروف بورش ـ وهو مصرى صميم ، أصل أجداده من أقباط مصر من موالى آل الزبير ابن العوام ، ولد سنة ١١٥ هـ ، ورحل إلى المدينة فقرأ على نافع سنة ١٥٥ هـ وهو الذى لقبه بورش لشدة بياضه .

ويقص علينا الدميرى فى كتابه « حياة الحيوان » قصة هذه التسمية فيقول :

كان عثمان بن سعيد أبو سعد المقرىء المصرى المعروف بورش قصيراً سميناً أشقر ، أزرق العينين ، شديد البياض ، حسن الصوت بالقراءة ، ولذلك لقبه شيخه نافع بالورشان .

الورشان طائر يطلق عليه « ساق حر » وهو ذكر القمارى ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة
دعت ساق حر ترحة وترنما

وفيه يقول الكميت :

تغريد ساق على ساق يجاوبها
من الهواتف ذات الطوق والعطل

وسمى « ساق حر » لحكاية صوته ، فإنه يقول فى تغريده : ساق حر ـ ساق حر ، ولذلك لم يُعرب ولو أُعرب لصرف . قال ذلك ابن سيده فى المخصص ، وحكاه عنه الدميرى فى حياة الحيوان .

فكان نافع يقول لعثمان بن سعيد : اقرأ يا ورشان ، افعل ياورشان .

وكان عثمان لا يكره هذا اللقب ، بل يعجبه ، ويقول : سماني به أستاذى نافع ، فغلب عليه ، ثم حذف بعض الاسم فقيل له ورش بعد حذف الألف والنون .

قال ورش : خرجت من مصر لأقرأ على نافع ، فلما دخلت المدينة إذا به لا يطيق أحد القراءة عليه لكثرة الطلبة ، وكان لا يقرىء أحداً إلا ثلاثين آية .

قال : فتوسلت إليه ببعض أصحابه فجئت إليه معه ، فقال : هذا رجل جاء من مصر ليقرأ عليك خاصة ، لم يجىء تاجراً ولا حاجاً .

فقال له نافع : أنت ترى ماألقى من أبناء المهاجرين والأنصار .

فقال له : أريد أن تحتال له فى وقت .

قال ورش : فقال لى نافع : ياأخى أيمكنك أن تبيت فى المسجد ؟

قلت : نعم . .

فبت فى المسجد ، فلما كان الفجر جاء نافع فقال : ما فعل الغريب ؟

فقلت : نعم ، هاأنذا يرحمك الله .

فقال : اقرأ .

فقرأت وكنت حسن الصوت بالقراءة ، فاستفتحت أقرأ ، فملأ صوتى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما انتهيت إلى رأس الثلاثين آية ، أشار إلى أن أسكت ، فسكت .

فقام إليه شاب من الحلقة فقال : يا معلم الخير ، نحن معك بالمدينة ، وهذا هاجر إليك ليقرأ عليك ، وقد وهبته من نوبتى عشر آيات ، وأنا أقتصر على عشرين .

فقال : اقرأ فقرأتها .

ثم قام فتى آخر فقال كقول صاحبه ، فقرأت عشر آيات وقعدت .

حتى إذا لم يبق أحد ممن له قراءة قال لى : اقرأ ، فقرأت خمسين آية ، حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة .

قال السيوطى فى حسن المحاضرة : وتوفى ورش بمصر سنة ١٩٧ هـ بعد أن طبق علمه الآفاق ، وأصبح له تلاميذ لا يحصون ، وكانت له رئاسة الإقراء بمصر ، وصار صاحب مدرسة فى القراءة لم ينازعه فيها منازع ، وكان إلى جانب براعته فى القراءة بارعاً فى العربية وعارفاً بالتجويد ، لا يمل سامعه من الإصغاء إليه والاستطابة لصوته ، ذكر ذلك « الدكتور محمد صالح البنداق فى كتابه « فى صحبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ص ١٧٨ » .

من تلاميذ ورش :

ومن تلاميذ ورش الكثيرين أبو يعقوب الأزرق ، وهو يوسف بن عمرو بن يسار المدنى ثم المصرى ، لزم ورشا مدة طويلة وأتقن عنه الأداء ، وخلفه فى الإقراء بمصر ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ .

ومنهم عبد الصمد بن عبدالرحمن بن القاسم المصرى ويكنى أبا الأزهر ، وهو أحد الأعلام ، وكان والده كذلك ، أخذ عن أبيه وسمع من سفيان بن عيينة وابن وهب ، وقرأ القرآن على ورش ، واتسعت شهرته حتى وصلت إلى الأندلس واعتمد أهلها عليه فى قراءتهم ، وقد أخذوا عنه ، وكان له أخ فقيه اسمه موسى بن عبدالرحمن ، وتوفى عبدالصمد سنة ٢٣١ هـ .

ومنهم داود بن أبى طيبة بن هارون بن يزيد ، ويكنى أبا سليم المصرى ، وكان مولى آل عمر بن الخطاب ، قرأ على ورش ، وعليه قرأ ابنه عبدالرحمن بن داود ، وتوفى داود سنة ٢٢٠ هـ .

وغير هؤلاء كثير من التلاميذ الذين ورثوا علمهم لمن جاء بعدهم ، وقد أحصاهم السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » جيلاً بعد جيل ، حتى وصل بهم إلى القرن الذى ولد فيه وهو القرن التاسع الهجرى .

فى علم الحديث :

ولابد أن يظهر علماء أجلاء فى الحديث وروايته ، وبخاصة بعد أن علمنا أن هناك صحابة أجلاء عاشوا فى مصر وبثوا فيها حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ومما يشير إلى حرص الصحابة على بث حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يقصه علينا السيوطى فى حسن المحاضرة تحت عنوان : ذكر الحديث الذى رحل فيه جابر بن عبدالله إلى مصر .

قال : قال ابن عبدالحكم : حدثنا عبدالله بن يوسف ، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز التنوخى قال : قدم جابر بن عبدالله على مسلمة بن مخلد وهو أمير مصر فقال له : « أرسل إلى عقبة بن عامر الجهنى حتى أسأله عن حديث سمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأرسل إليه .

وذكر السيوطى رواية أخرى لهذا الحديث ، هى :

عن جابر قال : كان عند عبدالله بن أنيس الجهنى يحدث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثاً فى القصاص . . قال : فخرجت إليه على بعيرى ، فسرت شهراً ، فلما قدمت إلى مصر سألت عنه حتى وقفت على بابه ، فسلمت ، فخرج على غلام أسود فقال : من أنت ؟ قلت : جابر بن عبدالله فدخل عليه فذكر ذلك ، فقال : قل له : أصاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟

فخرج الغلام فقال ذلك . فقلت : نعم .

قال : فخرج إلىّ والتزمنى والتزمته ، فقال : ما جاء بك يا أخى ؟

قلت : حديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القصاص ، لم يبق أحد يحدث به غيرك ، أردت أن أسمعه منك ، قبل أن تموت أو أموت .



قال : نعم . وأفضى إليه بالحديث ، ومضمونه القصاص من الخلائق يوم القيامة .

والحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده جـ٣ ص٤٩٥ ، وهو فى كتاب « جامع الأحاديث القدسية » للضبابطى جـ٢ ص٣٣٢ برقم ٦٠٢ .

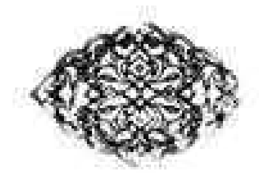
فهذا الخبر يشير إلى حرص الصحابة على حفظ حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونشره حتى لا يندرس ، وعن الصحابة فى مصر تلقى كثير من أهلها علوم الحديث ، ونبغ منهم أئمة رواة حفاظاً ثقات منهم عبدالرحمن بن داود الملقب بالأعرج ، صاحب أبى هريرة ، قال فى حقه البخارى : أصح أسانيد أبى هريرة أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، وقال عنه الذهبى فى طبقات القراء : كان الأعرج أول من وضع العربية بالمدينة أخذ عن أبى الأسود الدؤلى ، خرج إلى الإسكندرية فأقام بها ، ومات فيها سنة ١٢٧ هـ .

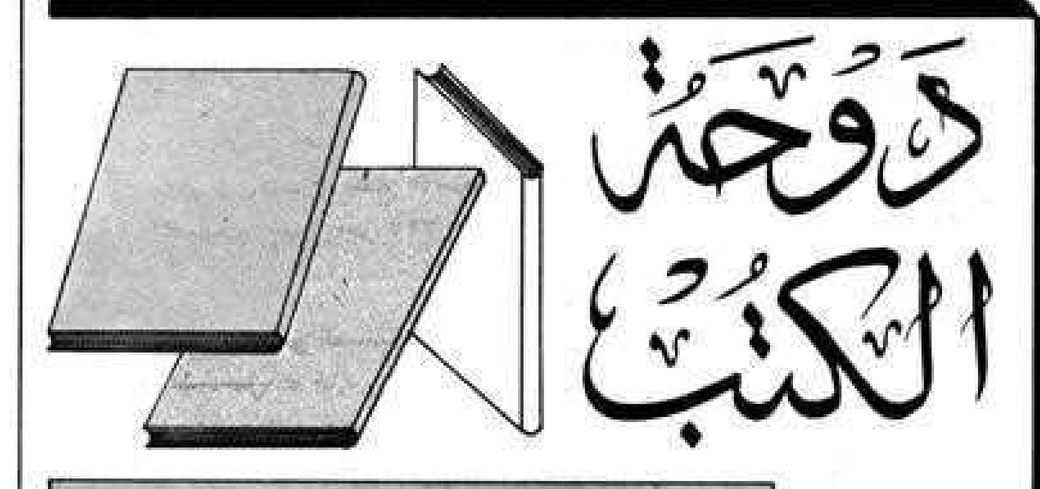
ابن وهب جامع الأحاديث :

وكان أول جامع للأحاديث بمصر عبدالله بن وهب المولود بمصر سنة ١٣٤ هـ والمتوفى بها سنة ١٩٧ هـ ، وألف كتابه الجامع فى الحديث ، قال الأستاذ مصطفى فى كتابه الأدب العربى فى مصر : وظل هذا الكتاب ـ أى كتاب الجامع فى الحديث ـ مفقوداً حتى عثر عليه أخيراً بمدينة « ادفو » مكتوباً على ورق البردى ، ويعد من أقدم المخطوطات العربية فى العالم ، وترجع كتابته إلى القرن الثالث الهجرى .

وهو أحد الذين عرض عليهم القضاء فرفضوا ، ومات شهيد ورعه وخوفه من الله ، قال ابن خلكان عنه فى « وفيات الأعيان » : كان سبب موته أنه قرىء عليه كتاب الأهوال من جامعه فأخذه شىء كالغشى فحمل إلى داره فلم يزل كذلك حتى قضى نحبه ـ رحمه الله تعالى ـ .

وهناك علماء آخرون فى فنون أخرى نرجو بتوفيق الله ـ تعالى ـ أن نعرض لهم فى أحاديث أخرى .





إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ، ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

مفاهيم قرآنية
حول حقيقة الإنسان

تأليف الدكتور فاروق الدسوقى .

عزيزى القارىء : يقوم هذا المؤلف بالبحث والتنقيب ، والتبحر فى العلوم ، وحقيقة الإنسان ونجاحه فى معرفة الأشياء المادية .

ورغم التقدم فى العلوم التجريبية ، إلا أن هناك تسليما بينهم ، وبين علماء المنطق ، ومناهج البحث بأن الإنسان عاجز عن معرفة حقيقة الشىء ، سواء كان ماديا أو غير مادى ، وأن الذى يجنيه الإنسان من المعرفة والعلم ، إنما هو إدراك خصائص الشىء ، وأحواله ، وليس حقيقته .



ويحاول المؤلف جاهداً معرفة خصائص الإنسانية وبالذات الخاصية الجوهرية ، التى يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى .

وبما أن هذه المفاهيم إسلامية فهو يرجع إلى مصدرى الإسلام : القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة . فى هذا الكتاب يوضح المؤلف علاقة الإنسان بالزمان ومعرفة طبيعة الإنسان الأولى ، وعلاقته بغيره من الكائنات الوجودية .

وقد قسم المؤلف كتابه هذا إلى خمس محاضرات ، أو خمسة أبواب .

ففى المحاضرة الأولى - أشار إلى بداية وجود الإنسان ، ونهاية هذا الوجود والفرق بين الأديان السماوية بعامة ، والدين الإسلامى بخاصة من جهة ، وبين العقائد والاتجاهات المادية من جهة أخرى ، واختلافهم حول الغيب ، والخلود ، واليوم الآخر . ثم تعرض المؤلف للوجود ، والعدم ، والحياة والموت ، حيث وضح أن الوجود هو نقيض العدم ، وليس الوجود نقيض الموت ، كما أن الموت نقيض الحياة ، ولا يعتبر العدم نقيضها .

ثم تناول أيضا أثر عقيدة الإيمان باليوم الآخر فى الحياة الإنسانية . وذلك لأن لعقيدة اليوم الآخر على حياة الفرد والجماعة والمجتمع آثاراً خطيرة ، أهمها الأثر الفكرى أو الأيديولوجى ، ثم الأثر النفسى ، والأثر الخلقى .

أما فى بابه الثانى أو محاضرته الثانية فقد طرح قضية الإنسان والمكان . واختلاف تصور العالم فى الإسلام عن تصور العالم عند الماديين اختلافا جذريا ومصير المشركين ، الذين لم تبلغهم رسالة الإسلام كانت قضية بل محاضرته الثالثة التى تناول فيها شرحا وافيا لمعنى الفطرة ، والتغيير الإرادى ، الذى يحدثه الإنسان فى فطرته .

ثم قضية الخلافة أو مكانة الإنسان الوجودية ، كانت له وقفة فى محاضرته الرابعة فأشار إلى أن الخلافة هى تحديد القرآن الكريم لمركز الإنسان الوجودى ، ووظيفته الكونية ، ودرجته بين المخلوقات جميعا . كما أنها التعبير القرآنى عن رسالة الإنسان فى حياته الدنيا .

ثم طرح الخلافة وبينها (لغة واصطلاحا) وبين عناصر عامة يجب أن تتوافر فيها هى الموكل ، والوكيل ، والموكل فيه أو عليه ، وشروط الوكالة ، ومدتها ، والحساب فى نهايتها ، وبالقياس كما يشير المؤلف فإن الأطراف والعلاقات القائمة بينها موجودة بكاملها فى حقيقة الخلافة .. فالمستخلِف (بكسر اللام) وهو الله عز وجل (والمستخلَف (بفتح اللام) هو الإنسان والمستخلَف فيه (بفتح اللام) وهو الأرض وما فيها وما عليها أما شروطها فهى التكليف أو الرسالة

السماوية . أو الشريعة أما مدة الخلافة ، الحياة الدنيا منذ آدم إلى يوم القيامة . الحساب هو يوم الدين .

ثم تناول كيف يحقق الإنسان الخلافة ؟ وطرح الإجابة عنها طرحاً وافيا .

ثم تناول الصراع الحضارى قائلا : إن أمة الإسلام تجتاز صراعا حضاريا ضاريا ضد الحضارة الغربية الصليبية المادية بدفع وتوجيه وقيادة من الصهيونية .

أما الموضوع الأخير فى هذا الكتاب فهو الأمانة ، أو جوهر الإنسانية وأشار أنه أبرز ماقيل فيها قديما أنها الصلاة ـ العبادة ـ الطاعة ـ التكليف الرسالة السماوية .

وفى العصر الحديث نجد اتجاها جديدا ينحو إلى تفسير الأمانة بالحرية والاختيار والمسئولية وكلها خصائص متلازمة ، فقد خلق الله الإنسان ، لابتلائه ومن ثم جعله حراً مختاراً ، وهذا يترتب عليه المسئولية والجزاء فى الآخرة .

ثم ذكر المؤلف الفرق بين الإنسانية والبشرية كمصطلحين قرآنيين ، فأشار فيها عن معنى الروح فى القرآن الكريم ، ولمن تنسب ، واستدل بآيات من القرآن الكريم .

عزيزى القارىء إذا أردت أن تعرف حقيقة نفسك وطبيعتك ، وعلاقتك بالمخلوقات الأخرى ، وأشياء كثيرة تفتقدها ، وحائر فى معانيها وكيفية الإجابة عنها فعليك بهذا الكتاب فإنه يحمل بين طياته معظم مايجول بخاطرك وتبحث عنه .

لعل المؤلف قد توغل داخل هذه النفس الإنسانية ، ليبين لنا كل ما هو غامض ومستتر . لك هذا الكتاب لعله يضيف إليك أشياء تنفعك فى دينك ودنياك .

أخبار جحا

دراسة وتحقيق عبدالستار أحمد فراج



عزيزى القارىء : إن نوادر جحا وسيرته من التراث الذى ينبغى أن نحافظ عليه ، ونستفيد منه ، ففيه من الحكم ، والمواعظ ، والمأثورات ، ماينفعنا فى هذا الزمان ، إذ هو من التراث العربى .

وقد اختلفت الآراء فى سيرته ، فالبعض يرى أنه كان فى القرن الثانى عشر ، والبعض الآخر يرى أنه فى القرن الثالث عشر ، ومنهم من يرى أنه عاش فى القرنين الرابع والخامس عشر ، وبعضهم : يذكر أنه رجل مثقف كان فى أيام هارون الرشيد ، وبعضهم يتساءل عن جحا : أكان شخصية معروفة حقا ، وموجودة على قيد

الحياة أم أنه شخص وهمى نسبت إليه النوادر والفكاهات . ولكن معظم الطبعات والكتب ، التى ألفت فى مصر ، والبلاد العربية كلها تنص على أنه هو « نصر الدين الرومى » الملقب : بجحا ، ويقال : إنه ولد فى قرية (خورتو) بناحية « سيورى حصار » من ولاية الأناضول سنة ٦٠٥ هـ سنة ١٢٠٨ م وتوفى سنة ٦٨٣ هـ سنة ١٢٨٤ ، سنة ١٢٨٥ م والمورد الرئيسى بوجه عام ، لأغلب نوادر نصرالدين ، هو الآداب العربية الغنية بالطرائف والفكاهات ، كسب جحا بطولتها ثم صار الخواجة نصر الدين الرومى هو الطراز الأخير ، ومن الممكن عزيزى القارىء أن تكون نوادر جحا قد نقلت إلى التركية من الأدب الفارسى ، لقد ترجمت نوادر جحا من التركية بما اعتراها من تحوير وتغيير إلى اللغة العربية ، إلا أن هناك الكثير ، والكثير من المخطوطات تتحدث عن مولد ووفاة جحا ، والعصر الذى عاش فيه واختلفت فيه الأقوال والكتابات ، وكل هذا وضعه المحقق فى هذا الكتاب ، ووضح كل رأى ، والعصر الذى قيل فيه .أيها القارىء كل زمان ومكان يشتهر أناس بالظرف والفكاهة ، يعجب بهم الناس ،ويتتبعون أخبارهم ويتشوقون إلى سماع ماقيل عنهم ، ثم ينسبون إليهم كل ما يسمعون من طرف ـ وقد يؤلف بعض الأدباء من عند أنفسهم أو تقع لهم ـ نوادر ، ويهمهم ذيوعها وانتشارها ، فيلصقونها بالمشهورين ، ويتقبلها الآخرون معجبين بها .

ومن نوادر جحا التى ذكرها المحقق : نزل جحا من القطار ووضع الحقيبة بالقرب منه ، وانتظر حضور الشيال ، فجاء لص وحملها ، ومشى فتتبعه جحا ، وهو فرحان ، فلما اقترب من منزله أخذ الحقيبة من اللص ، وقال له : أشكرك ياسيدى فقد حملت حقيبتى من غير أجر .

ومن نوادره أيضا :

كان جحا قاضيا فحضرت أمامه امرأة عجوز شاهدة فى قضية ، فأمرها جحا أن تقسم اليمين فأقسمت ، فسألها : كم سنة عمرك ؟ فقالت العجوز : إذا كنت ستسألنى عن عمرى فلم تأمر بأن أقسم بالله العظيم .

أما نوادر جحا وأصلها الأدب العربى : منها دخل جحا على المهدى يوما فقال له : كم عيالك ؟ قال ثمانية . فأمر له بثمانية آلاف درهم فأخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال : نسيت واحداً من عيالى . قال : من هو؟ فقال : أنا . فضحك المهدى ، وأمر له بمثل ذلك .

أما النوادر التى لم يصادفها المحقق فى مصادر عربية قديمة ذكر منها : انطفأ السراج فى إحدى الليالى فقالت له زوجته : هات الكبريت فى جانبك الأيمن فقال . لها جحا : ياامرأة هل أنت مجنونة ؟ كيف أعرف يمينى من شمالى فى ظلمة الليل ؟

بالإضافة إلى أكثر من مائة نادرة فى هذا القسم ذكرها المحقق حتى وصل بنا المحقق إلى نوادر نسبت للرمز التركى ، فى عهد تيمورلنك ، فى القرن الثامن الهجرى ـ والرابع عشر الميلادى .

كان الحديث يدور فى مجلس تيمورلنك عن عذاب يوم القيامة ، وما يلقى فيه الكفار من شقاء وأهوال ، وكان جحا حاضراً فناوه تيمورلنك ، وقال لجحا : أين يكون مقامنا فى الآخرة ياترى ؟ فقال جحا : ستكون مع الملوك والعظماء ، الذين خلدوا اسمهم فى التاريخ ، فسر تيمورلنك

وقال : مثل مَنْ مِنَ الملوك ياجحا ؟ فقال : مثل فرعون موسى ، والنمرود ، والإسكندر ، وجنكيز خان .

أما القسم الرابع والأخير فقد ذكر المحقق النوادر التى اعتمدت على المصطلحات التركية .

فكلمة (صوص) SUS فى التركية معناها : اصمت أواسكت ، تقارب كلمة هس Silent, quiet .

فكلمة أكثر وأكسر نطقها فى التركية واحد ekser ويراد بالأولى عندهم المعنى العربى المعروف : ضد أقل . ويراد بالثانية المسمار . وكلمة كل Kyul فى التركية معناها الرماد وكل فى العربية هى بمعنى المجموع أو الجميع .

طلبت امرأة جحا منه أن يأتيها بمسحوق الفحم لتصبغ به ، وأعطته كيسا ، فذهب ولما لم يجد مسحوق فحم ، وضع فى الكيس بعض المسامير ، وعاد إلى البيت ، فلما رأت زوجته المسامير تعجبت ، وقالت له : ما هذا ؟ فقال لها : تعلمين أيتها المرأة أن حكم الأكثر والكل سواء عند العلماء ! فالمسامير أكثر يقوم مقام الرماد (كل) .

عزيزى القارىء كانت النادرة ولا تزال ، وستبقى أداة للتسلية والتسرية عن الناس ، سواء زاحمتهم هموم الحياة ، وكربات العيش ، أو ضيقت عليهم حدود الأحكام وسدود القوانين ، ولم يمر زمان إلا وكانت النوادر فيه شيئا أساسيا ، لخروج الناس من مشقات الحياة وأحزانها ، ومازال المحققون والدارسون يبحثون وينقبون فى هذا المجال ، وهذا الكتاب يعد من تلك الكتب النادرة التى تتحدث فى هذا التخصص فاجعله من كتب التراث التى تقتنيها فى مكتبتك .

نحو توجيه إسلامى لمناهج علم الاجتماع

تأليف / دكتور نبيل السمالوطى

نحو توجيه إسلامى لمناهج علم الاجتماع

رؤية نقدية إجتهادية

دكتور نبيل السمالوطى

١٩٩٦

دار المعرفة الجامعية

عزيزى القارىء : يعانى علم الاجتماع من العديد من الإشكاليات المنهجية والنظرية يقوم المؤلف بتوضيحها ، وإبرازها لكى يدرك القارىء أهمية هذا العلم ، وطرق المعرفة لبيان هذا العلم .

ومن أهم خصائص التوجيه الإسلامى للمنهج .

أولاً : الانطلاق من الوحى الصادر من الله كمصدر حاكم للمعرفة مع توظيف المصادر الأخرى كالحس والعقل ، والحدس ، أو الملاحظة

والتجربة ، والمقارنة ، والاستنباط والتعميم ، والفهم .

ثانيا : التحرر من النزعات الذاتية والمصلحية والعرقية والطبقية والقومية والسياسية .

ثالثا : هذا الانطلاق من الوحى فى علم الاجتماع يقتضى الدراسة الموضوعية المجردة للواقع للكشف عن مكوناته والعوامل المشكلة له .

رابعاً : التوجيه الإسلامى لعلم الاجتماع لايحجر على حرية الفكر ، وحرية التفسير وحرية الدراسة الميدانية .

خامسا : لاتعارض بين الواقعية والمعيارية . فعلماء اجتماع الغرب يؤكدون دور علم الاجتماع فى الإصلاح الاجتماعى .

سادسا : يرتكز علم الاجتماع الموجه إسلاميا على إطار تصورى يطلق عليه (إلياس بايونس) وفريد أحد الجانب النظرى لعلم الاجتماع الإسلامى .

سابعا : المنهج الإسلامى فى دراسة الواقع الاجتماعى لايرفض الأفكار ، والأساليب والمداخل والنظريات والمفاهيم والتقنيات ، والأدوات الجديدة التى يطرحها علم الاجتماع العالمى .

ثامنا : إن التوجيه الإسلامى لمناهج علم الاجتماع لا ترفض كل الأساليب المنهجية المطروحة فى أدبيات علم الاجتماع .

تاسعا : يذهب (صبق) إلى : أن (جهود الأسلمة ، أو التأصيل لاينبغى أن تقتصر على نطاق الاستنباط من الأدلة النقلية دون ربط نتائج ذلك الاستنباط بالواقع ، لاختبار صلاحية الاستنباط .

عاشرا : إن العديد من دراسات علم الاجتماع تقع فى مجال القضايا الاجتهادية (الصناعة ـ الإدارة ـ التحضر ـ التنمية ـ التخطيط ـ التنظيم) .

حادى عشر : الحرص على دقة الاستشهاد بالقرآن والسنة استناداً إلى فهم التفسير ، وأسباب النزول وما تتضمنه من أحكام ودلالات .

ثانى عشر : ضرورة التمييز بين الثابت والمتغير ، والثوابت الشرعية (العقيدة والأخلاق والكليات وبعض المعاملات التفصيلية) لا مجال فيها للبحث فى علم الاجتماع .

ثالث عشر : أخذ مختلف جوانب الموضوع المطلوب تفسيره فى الاعتبار ودراسته فى إطار الكليات الشرعية ، وفى مقدمتها وحدة الخالق ، وعدم وجود عبثية فى الكون والمخلوقات .

بدأ المؤلف كتابه بإشكاليات علم الاجتماع المنهجية والنظرية والحاجة إلى الهوية الإسلامية وقال :

إن الانطلاق من الثوابت الإسلامية يحقق أمرين أساسيين :

أولهما : تحقيق الأهداف النهائية لعلم الاجتماع ، والمتمثلة فى بناء مجتمع قوى ماديا واجتماعيا ، (سياسيا ، واقتصاديا ، وتقنيا ، وتربويا) تقل فيه المشاكل والانحرافات إلى أدنى مستوى ممكن ، ويؤكد المؤلف فى هذا الصدد عدة حقائق .

أهمها ـ أن علوم المجتمع ليست إفراز الفكر والعقل الغربى كما يدعى بعض مؤرخى العلم غير المنصفين ، ولكنها إفراز الفكر المسلم وتحت تأثير وتوجيه القرآن الكريم والسنة ، وهذا ما يقر به بعض علماء الاجتماع المنصفين مثل (جورج جيرفتش) عالم الاجتماع الفرنسى بالإضافة إلى عدة حقائق أخرى ذكرها المؤلف فى هذا المجال .

البقية ص ٦٦٩

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة

إمام الدعاة فى رحاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ صدق الله العظيم . . لقد رحل إمام الدعاة ، بعد أن ترك تراثاً ثريا قوامه : تفسيرٌ للقرآن الكريم ، وقدر كبير من المؤلفات التى تناولت شتى الموضوعات التى تهم المسلم ، فهذه « الخواطر الإيمانية » التى جمعت المسلمين حوله فى المساجد ومازالت تجمعهم حول شاشات التلفاز ، لينهلوا من معينه الرقراق .

إن حبنا لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى سيبقى ينبض مع نبض قلوبنا نعم . . لقد رحل الرجل ، ولكنه أبداً لم يرحل ، وهو معنا دائما نستفيد من علمه ، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » وها هو - يرحمه الله - قد جمع - بفضل الله - كل هذه الخلال الثلاث - ورحم الله أمة جعلت من علم عالمها الفذ مناراً . وبفضل علم هذا الإمام الذى التفت حوله القلوب وأحبته ، اعتبر من أولياء الله المخلصين الذين قال الله فيهم :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

فطوبى لمن أمضى عمره فى الدعوة إلى الله .

وهنيئا له - أيضاً - تكريم الدولة الذى تمثل فى منح الرئيس مبارك لاسمه قلادة النيل ، نيل مصر ، التى طالما أحب الشيخ أن يردد اسمها عند تفسيره القيم للقرآن الكريم .

وبعد . .

فقد ورد إلى المجلة العديد من رسائل القراء ينعون فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

والمجلة تتوجه إليهم جميعاً بخالص الشكر والتقدير ،

ومما ورد فى هذا الشأن : بقلم القارىء/ ياسر فكرى السيد سالم تحت عنوان :

أين العلم والقلم

« من الناس من يعيش فى هذه الدنيا ، ثم يرحل فلا يشعر به أحد ، ولا يتأثر به إنسان ، ومن الناس من يكتب لنفسه البقاء فى هذه الدنيا حتى بعد وفاته ، بما خلف للناس من علم نافع مفيد ، يقول الشاعر :

« فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثان »

وعلى رأس هؤلاء يأتى فضيلة الشيخ الإمام/ محمد متولى الشعراوى ، هذا العالم الجليل الذى رحل عنا بجسده ، وبقى بعلمه الغزير ، وكتب عنه الكثير فى شتى مناحى الدين ، وأنا حينما أكتب هذه الكلمات أشعر بالحزن ، يعتصر قلبى ؛ لأننى مثل الملايين التى أحبت الشيخ من شتى طوائف الشعب هذا الرجل الذى كان يفسر القرآن بأسلوب بهر عقول الخاصة والعامة ، واستطاع أن يرد هجمات المستشرقين بحكمة ، وإقناع ، وسلاسة ، أدهشت الجميع ، وكان - رحمه الله - يقول الحق ، ولا يخشى لومة لائم .

وأنا فى هذه السطور القليلة إن كنت أنعى الإمام الراحل ، فحسبنا ما تركه لنا من العلم ، الذى سيظل نبراساً ، ومصباحاً ينير لنا الطريق .

ويكفى الإمام من الفضل ماأخبر به رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - « يوزن مداد العلماء ، بدماء الشهداء يوم القيامة ، فلا يفضل أحدهما على الآخر » .

وأقول فى نهاية كلمتى - رحم الله - الشيخ رحمة واسعة ، وأنار الله قبره قدر ما قدم للإسلام والمسلمين « اللهم لا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره » واغفر لنا وله .

ونسأل الله تعالى أن يجمعنا وإياه فى دار كرامته ومستقر رحمته إنه على كل شيء قدير .

رحم الله درة الزمان

ومما ورد فى هذا الشأن - أيضاً - من القارىء : ياسر محمد زايد الشبيقى - الباجور - منوفية . . قوله :

« . . رحم الله إمام العصر ، وأعظم مفكرى القرن ، الذى طالما أفادنا بتفسيره السلس للقرآن العظيم ، والذى تميز بمخاطبة الصفوة والعامة سواء بسواء فكان لديه من عذب الحديث ما يجذب العامة إليه ، وكان لديه من فيض العلم وقوة الحجة ما يلف الصفوة حوله . كان أسلوبه فى التفسير هو « السهل الممتنع » .

- رحم الله درة الزمان ، وشيخ شيوخ الإسلام ، الذى كان يتمتع - ومازال - بحب غير مسبوق فى قلوب شعوب الأمة الإسلامية جميعها .

ولقد رأينا هذا فى مشهد رائع غير مسبوق . . مشهد تشييع جسمانه الطاهر ، رأينا عدداً من التابعين للجنازة يقدر بنحو مليونين من الناس .

- رحم الله - الشيخ الجليل والعالم الكبير ، الذى ملأ الدنيا بنور علمه وضياء معرفته فكان التواضع صفته وعلو الشأن سمته .

وكأنه كان يقول عن نفسه :

تحتل عندك البصائر معنى
فوق طوق العيون والأبصار

ـ رحم الله أمير الدعاة إلى الله ونسأل المولى ـ جل شأنه ـ أن يسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

●●●

ومما ورد فى رسالة القارىء فتوح السيد الأنصارى / روينة / كفر الشيخ .
« .. ولله در القائل :

مات الذين نحبهم
فعليك يا دنيا السلام
إن رضيع أصوله
والطفل يؤلمه الفطام

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يمن علينا بمن يغلق هذه الفرجة التى فتحت بموت هذا العالم الجليل .
فوداعاً أيها الشيخ الذى قال فيك المحبون :

يا شيخنا هديك رد
على الذى منك ورد
يا صاحب العلم الرفيع
وصاحب الرأى الأسد
يا شارح الآى الكريم
تفسير ما مثله اتوجد

ولا نملك إلا أن نحتسبك عند مولانا ـ جل شأنه ـ ولا نقول إلا ما يرضى الله تعالى : « إن القلب ليخشع وإن العين لتدمع ، وإنا لفراقك يا شيخنا الشعراوى لمحزونون »

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

●●●

ونشكر القارىء : محسن عبد المعطى محمد عبد ربه ـ المحلة الكبرى ـ محلة زياد ـ الذى أرسل قصيدة فى رثاء فضيلة الشيخ الشعراوى جاء فيها :

إعجاز القرآن أبان
ما أحلى آى القرآن
قد كان الشيخ الإنسان
علماً بتواضعه ازدان

●●●

ثم أما بعد .. فإننا نعتذر للقراء عن عدم النشر لبقية الرسائل لكثرة ما ورد إلينا ونقدم شكرنا وتقديرنا لكل القراء الذين أسهموا فى هذه المناسبة الجليلة ومنهم :

ـ مصدق مطاوع عيسى / دمياط ـ الزرقا ـ كفر المياسرة
ـ محمود محمد عبدالسلام / البحيرة ـ أبو المطامير
ـ مصطفى عبد الغنى / أبو كبير ـ شرقية
ـ محمد الطاهر أبوزيد / القناطر الخيرية ـ قليوبية
ـ صلاح محمد ويش محمد / معهد الحرانية الأزهرى
ـ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس / كفر الجرايرة / بيلا

وإلى كل من لم تتسع المساحة لنشر أسمائهم لهم جميعاً خالص التقدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

احتفال مصر بالأزهر

وكأن بشيخنا الكريم الراحل يقول : إلى احتفال مصر بأزهرها .

وقد حمل إلينا البريد العديد من الرسائل التى تفيض بحب الأزهر الشريف منها ماأرسله القارىء : خالد على الطبلاوى / طملاى /منوف/ تحت عنوان :

أمجاد الأزهر

يا طالب الأمجاد فى أعلى الذرى
انهض فما الأمجاد تهوى للثرى
وانظر إلى الأفق البعيد فلن ترى
للمجد بابا إن تركت الأزهرا
فالعلم كالأنهار فى ساحاته
يهدى السراة الباحثين إذا جرى
ويجوب فى البلدان يمحو سوءها
ويضىء بالإسلام ألباب الورى
من جاهد المستشرقين ومكرهم
بالحق والبرهان حتى أظهرا
للعالمين سمومهم وجحودهم
وأبان للإنسان دربا أنورا
ابنوا له صرحاً عظيماً شامخاً
حقٌ لمن يدعى له أن يفخرا

●●●

ونختتم برسالة القارىء : راشد النوفل من سلطنة عمان التى نشكره عليها، لما حوت من رقة المشاعر ، ونبل الأحاسيس ، وسمو العاطفة ، ونعتذر عن عدم نشر قصيدته كاملة ، ونكتفى بما سمحت به المساحة ، ونبدأ بالرسالة التى صدرها بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم . . إذا كانت سعادتنا ونحن نلملم أوراقنا استعداداً للرحيل يصعب وصفها فإن حزننا العميق على فراق هذا البلد الطيب ليصعب وصفه أيضاً .

إننا لم نتعلم فى هذا البلد ماجئنا من أجله وهو علم القراءات فحسب ، بل تعلمنا إلى جانب ذلك مواد أخرى كثيرة ليست فى المعهد ذاته بل فى معهد الحياة هذا الصرح الكبير الذى تكاد توقن أن كل من فيه أساتذة فالكل يحاول أن يمليك سطراً كى تخرج فى النهاية بكتاب كبير هو كتاب الحياة أو شهادة عالية هى شهادة الدنيا من أم الدنيا هذا البلد العريق المتعدد الحضارات الممتزج الثقافات . فبالرغم من صعوبة الحياة وازدحام السكان وما ينتج عنه وكفاح الشعب المصرى من أجل توفير لقمة العيش الهنيئة لنفسه إلا أنك لا تكاد تجد المصرى إلا مبتسماً بشوش الوجه منشرح الصدر يلقاك بابتسامة ويودعك بابتسامة وبين ذلك وذلك ابتسامات وابتسامات .. إنه الشعب المصرى وإنها مصر وقد صدق من قال عنها أنها أم الدنيا ومهد الحضارات .

وبينما كنت أقلب صفحات الماضى لأنتقل منها إلى كتابة صفحات الحاضر هززت إلى بجذع قريحتى فتساقطت هذه الأبيات الآتى ذكرها فيما بعد ، وعلى الرغم من أنها غضة لم تنضج بعد إلا أننى آمل أن تستوى فى ذهن القارىء فيجد لها مذاقاً مستساغاً . وقد تعمدت أن آخذ لها بعض أبيات من الشاطبية ؛ لتكون بمثابة العقد الحسن لها تخفى ركاكتها خلفه .

ورغم أننى قد كتبت قصيدتين فى هذا الشأن إلا أننى أحببت أن أقفى على آثارها بهذه القصيدة علها تلتقط بمنقار حرصها بعض حبيبات ربما تكون قد تساقطت من رحل أختيها لتصب جميعاً فى معين الشكر والتقدير لمصر بصفة عامة وللأزهر الشريف بصفة خاصة .



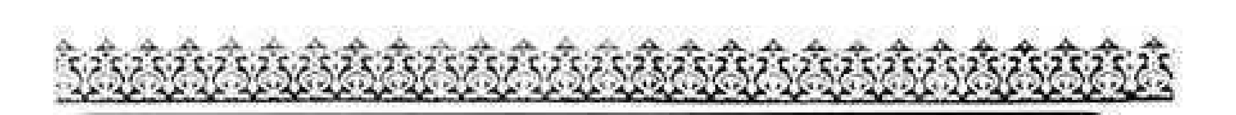
شكر وعرفان

(راشد النوفلي ـ سلطنة عمان)
طالب بدورة القراءات في الأزهر الشريف

بـدأت بـبسم الله والحمـد أولاً
تبارك رحمانا رحيما ومـوئـلا[1]
وبعـد فـإن الحب مـازال غـالبـاً
على كل ضرغام وإن شأنه علا
وبت سهير الليل أهذى كـأنني
مصاب بسهم في الحشا قد توغلا
يقول لي الصُحب الكرام أعاشق؟
أقول لهم كلا وحاشا وألف لا
تجلدت حتى انقـد حبل تجلدى
وجاهدت حتى اجهد جهدى وحوقلا
كتمت دموع الليل حتى تحـدرت
وأظهرت وجه العز حتى تسربلا
فلما رأى الصحب قالوا ألم نقل؟
وأظهرت عزا كاذبا ويك (نوفلا)
ألا فاعترف هيا وقل أنت عاشق
فأنكـت رأسي ثم قلت بلى بلى
رمتني بسهم شـك لبي وأدبرت
فجن جنون القلب والعقل حسبلا[2]
فيا مصر يا مصر السلام تفاخراً
إليك أثرت أذرع المجد بالـولا
ويـا أزهـر العلم الشريف تحية
إليك وشكراً لم يزل بك موئلا
حملت لـواء الـدين حتى رفعتـه
وأصبح نـبراسـا كـما كـان أولا
رشقت صروح الكفر حتى هدمت
وأرغمت أنف الشرك حتى تذللا
فإن ثم ألوية على الدين سلطت
بـترت ولم ترقب لهـا متحفـلا
فلله رحمـانـا تـولـوك واعتلوا
بك المجد والعليا رضوا لك منزلا
وكل هزبر منهمو روض رحمة
وغـيـث علـوم أينما حل أوبـلا
قضينا بمصر الخير أمتع رحلة
لعلم وتفـريـج غدت لنا منهلا
فلما أتى وقت الـرحيل تنـاثـرت
دموع الأسى من مقلة النيل هطلا
بكت مصـر أبناءً بها قد تعلموا
قـراءات قـرآن المهيمـن مجمـلاً
بكتهم وضمتهم إلى صـدر ودها
وقالت وصوت الحزن من قلبها علا
رأيت كثـيراً واستمعت لأكـثر
فيا خلت أهدى منكمو قط قد تلا
تعجبت من أخلاقكم ثم إنـنـي
تـذكرت قـولا قاله أفضل الملا
فلو أهل (ما جان) أتيت ... حديثه[3]
يريني خيراً فيكمو قد تسلسلا
فإن أنس مصر الخير لن أنسى نيلها
ولن أنسى أياماً بها الأنس قد حلا

---

(١) البيت من الشاطبية وهي الفية في القراءات للإمام ابي القاسم الشاطبي .
(٢) حسبلا : اي قال حسبي الله ونعم الوكيل .
(٣) ما جان اسم قديم لعمان .
والحديث (لو اهل عمان اتيت ما سبوك ولا ضربوك) وهو خطاب لاحد اصحابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قد ارسله إلى إحدى القبائل العربية فسبوه واساءوا إليه ، وفي حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقديم ، اى : لو اتيت اهل عمان (ماجان) ما سبوك ولا ضربوك .



دوحة الكتب ـ بقية

انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الإشكاليات المنهجية والحاجة للتوجيه الإسلامى ، وفيه يربط الباحثون بين المنهج العلمى وبين نوع محدد من المعرفة ، وهى المعرفة العلمية ، فهناك من يقسم المعرفة إلى ثلاثة أنواع ـ المعرفة الحسية التجريبية البسيطة والمعرفة العقلية ، والمعرفة العلمية .

أشار المؤلف بعد ذلك إلى المنهج العلمى ، وأهمية توجيهه إسلاميا ، طرح فيها عدة أمور هامة :

أولاً : يعالج علماء الغرب العلم فى إطار التصورات المادية .

ثانيا : يختلف الباحثون فى تحديد المقصود بالمنهج . فإذا كان المنهج لغة هو الطريق الواضح المستقيم ، فإن المعنى الاصطلاحى عند علماء المناهج ، غيره عند بعض الكتاب والفلاسفة والمفكرين .

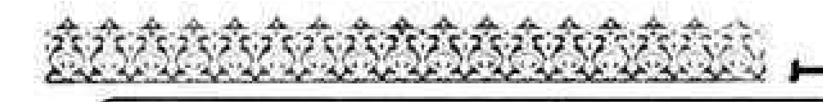
ثالثا : إذا كان أغلب كتاب وفلاسفة المناهج فى الغرب يقرنون المنهج بمنطق الكشف العلمي فإننا لانستبعد هذا التصور ولكننا نراه قاصراً على العلوم الكونية والواقعية فقط .

رابعا : تتنوع الأساليب والمناهج العلمية بتغير تصور المقصود بالعلم ، بالإضافة إلى أمور كثيرة ذكرها المؤلف وصلت إلى عشرة أمور هامة .

أما موقف الإسلام من المناهج أو طرق التفكير والبحث فقد أشار المؤلف إلى أن المنهج هو مجموعة العمليات العقلية (استقراء ـ استنباط أو مقارنة أو رجوع إلى نص) التى تستهدف من ورائها الوصول إلى حقائق أو أحكام ـ سواء فى أمور الدين أو أمور الدنيا ثم الإجابة عن كل التساؤلات .

عزيزى القارىء وفى نهاية الكتاب يعرض المؤلف إلى مسائل كثيرة تهم المسلمين ومناهج وطرق اهتم الإسلام ببيان فسادها وضرورة التخلى عنها منها ، الفهم السحرى والخرافى ، وتعطيل وسائل الفهم الصحيح والاستدلال ثم استخدام طرق بحث وتفكير أو مناهج باطلة .

ثم يوضح معالم المنهج الإسلامى القويم فى الوصول إلى الحقائق والمعارف إعلاء الإسلام من قيمة العلم ، وتنبيهه إلى كل مصادر المعرفة ثم التأكيد على انتظام حركة الكون وحركة المجتمعات وحركة التاريخ ، وأخيراً كان تحديد المنطلقات الإسلامية النظرية والمنهجية فى علم الاجتماع ، منها استخلاص الأسس العامة للإسلام ، ثم استخلاص موقف الإسلام من القضايا التى يدرسها علم الاجتماع ، تحليل دراسات العلماء المسلمين وغيرها من المسائل الهامة العلمية والاجتهادية التى تهم كل مسلم ، فالحرص على أن تحمل هذا الكتاب من سلسلة الكتب العلمية سيضيف إليك الكثير والكثير .



أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

صدر قرار السيد رئيس الوزراء بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : يعتمد عضواً بمجلس مجمع البحوث الإسلامية كل من :

الأستاذ الدكتور/ صوفى حسن حسين أبوطالب رئيس مجلس الشعب الأسبق ورئيس لجنة الفقه المقارن بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

الأستاذ الدكتور/ أحمد عبد المقصود هيكل وزير الثقافة الأسبق والأستاذ المتفرغ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الدهى الأستاذ المتفرغ بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر الشريف فى ٨ من ربيع الأول ١٤١٩ هـ الموافق ٢ من يوليو ١٩٩٨ م .

●●

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بأن يسند إلى السيد محمد جلال عبد ربه عبدالمقصود الأمين المساعد للشئون المالية بالأمانة العامة للمجلس الأعلى للأزهر ، القيام بعمل وظيفة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر اعتباراً من يوم ١٩٩٨/٦/٢٦ ، بالإضافة إلى عمله الأصلى نظراً لخلو وظيفة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بإحالة شاغلها فضيلة الشيخ فؤاد محمد محمد البرعى إلى المعاش اعتباراً من ١٩٩٨/٦/٢٥ م .

●●

كما صدر قرار شيخ الأزهر الشريف .. بأن يسند إلى الشيخ/ عبد المغنى عبدالقادر العجمى مستشار مادة « أ » بقطاع المعاهد الأزهرية بدرجة مدير عام القيام بوظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الغربية الأزهرية لحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة وصفها .. ١٠ من ربيع الأول ١٤١٩ هـ ٤ من يوليو ١٩٩٨ م .

●●

صدر قرار شيخ الأزهر الشريف بأن يسند إلى فضيلة الشيخ/ متولى معوض مليجى مهدى مدير

عام التعليم الإعدادى الأزهرى القيام بعمل وظيفة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون التعليم لحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة وصفها. ويسند إلى فضيلة الشيخ / عبدالعزيز أحمد إبراهيم ندا المدير العام للمكتبات والكتب الدراسية القيام بعمل وظيفة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية للخدمات لحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة وصفها .. ٥ من ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ٢٩ يونية ١٩٩٨ .

●●

صدر قرار شيخ الأزهر يسند إلى كل من السادة الآتية أسماؤهم بعد ، القيام بعمل الوظيفة المبينة قرين اسم كل منهم ، وذلك اعتباراً من ٩٨/٧/١ ، ولحين شغل هذه الوظائف بصفة أصلية ، ممن توافرت فيهم شروط شغلها حسب بطاقات وصفها .. وهم :

١ - الشيخ / محمد كمال أحمد محمد على وكيل منطقة أسيوط الأزهرية للعلوم العربية والدينية إلى رئيس إدارة مركزية لمنطقة أسيوط الأزهرية ندباً .

٢ - الشيخ / محمد أمين المنزلاوى مستشار علوم عربية (ب) إلى مدير عام التعليم الإعدادى ندباً .

٣ - الشيخ / أحمد على صالح حسوب مستشار علوم شرعية (ب) إلى مدير عام التعليم الابتدائى ندباً .

٤ - الشيخ / محمد عبدالسميع عويضة قائم بعمل مدير عام منطقة دمياط إلى وكيل منطقة المنصورة الأزهرية للعلوم الدينية والعربية ندباً .

٥ - الشيخ / أبو الحمد حسين أحمد ربيع مدير التعليم الثانوى بسوهاج إلى وكيل منطقة سوهاج الأزهرية للعلوم الدينية والعربية ندباً .

٦ - الشيخ / محمد على أحمد خليل قائم بعمل وكيل منطقة طنطا الأزهرية للعلوم الدينية والعربية إلى مدير عام منطقة كفر الشيخ الأزهرية ندباً .

٧ - الشيخ / قاسم عبد الصمد السيد الدسوقى وكيل منطقة دمياط الأزهرية إلى مدير عام منطقة دمياط الأزهرية ندباً .

٨ - الشيخ / إسماعيل السيد عيد مدير التعليم الثانوى بمنطقة المنوفية الأزهرية إلى وكيل منطقة المنوفية الأزهرية ندباً .

٩ - الشيخ / محمود إبراهيم جمعة قاسم مدير إدارة التنسيق بمنطقة المنصورة إلى مدير عام معهد المنصورة الأزهرى ندباً .

١٠ - السيد / أحمد محب منصور مستشار المواد الثقافية (ب) إلى مدير عام المكتبات والكتب ندباً .

١١ - الشيخ / السيد محمود سالم دراز مدير التعليم الثانوى بمنطقة الغربية الأزهرية إلى وكيل منطقة الغربية الأزهرية ندباً .

●●

صدر قرار شيخ الأزهر الشريف : تشكل لجنة برئاسة فضيلة وكيل الأزهر الشريف وعضوية كل من :

فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، فضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الأمين المساعد للدعوة ، والسيد رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية ، وتكون مهمة هذه اللجنة مايلى :

وضع تصور لمشروع لائحة خاصة بنظام اختيار الوعاظ الذين يندبون للقيام بأعمال التحكيم فى القضايا الشرعية أمام محاكم الأحوال الشخصية ، وضع مشروع لائحة داخلية بنظام العمل فى

الأمانة العامة المساعدة للدعوة والإعلام الدينى ، وللجنة أن تستعين بمن تراه لتنفيذ مهمتها .. ٢٢ صفر ١٤١٩ هـ - ١٧ يونية ١٩٩٨ .

●●

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر عضواً فى وفد جمهورية مصر العربية المسافر إلى الجماهيرية الليبية الشعبية فى مهمة رسمية للاحتفال بالمولد النبوى الشريف لمدة ثلاثة أيام فى المدة من ١٢ ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨/٧/٦ م .

●●

كما صدر قرار شيخ الأزهر الشريف تشكل لجنة برئاسة فضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وعضوية :

١ - فضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية .

٢ - فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر .

٣ - فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٤ - فضيلة الأستاذ الدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر .

٥ - فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرشيد سالم وكيل أول وزارة الأوقاف .

٦ - فضيلة الشيخ/ سامى محمد متولى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

٧ - فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبد النبى العدوى عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٨ - فضيلة الشيخ/ محمد محمد عبدالرحمن الراوى عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٩ - فضيلة الشيخ/ جمال الدين محمد قطب أمين لجنة الفتوى بمشيخة الأزهر مقرر اللجنة ، وتكون مهمة هذه اللجنة دراسة ومناقشة ومتابعة ما ينشر على شبكة الإنترنت من معلومات تسىء إلى الإسلام وتعاليمه وإعداد المادة العلمية الصحيحة رداً على ما ينشر ، وإعداد المادة العلمية الصالحة للبث على شبكة الإنترنت للتعريف الصحيح للإسلام ، وشرح تعاليمه السامية ، وتفسير القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة ، تعرض اللجنة تقريراً عما يتم إنجازه أولاً بأول كل خمسة عشر يوماً على شيخ الأزهر ويعاونه فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف .. ٨ ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ٢ يوليو ١٩٩٨ م .

●●

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الشهادة الإعدادية الأزهرية .

الدور الأول للعام الدراسى ٩٨/٩٧ بلغت نسبة النجاح ٣٦,٧٪ حيث تقدم للامتحان ٩١٨٦٩ نجح منهم ٣٣٦١٧ تلميذاً وتلميذة والعشرة الأوائل على مستوى الجمهورية هم :

الأول : أحمد عبد السميع عبدالسميع .. معهد دسوق كفر الشيخ ٩٥,٤٪

الثانى : أحمد محمد الصادق صديق أحمد .. معهد الأقصر بالأقصر ٩٥,٢٪

الثالث : محمود أحمد محمد مصطفى صالح .. معهد شابور البحيرة ٩٥٪

الثالث مكرر: لقية أحمد رزق سيد .. معهد صفط تراب الغربية ٩٥٪

الخامس : محمد حسن سعد الشافعى .. معهد الجهايلة كفر الشيخ ٩٤,٨٪

الخامس مكرر : ياسمين مسعد أبو الفتوح محمد .. سمنود الغربية ٩٤,٨٪
السابع : محمد عزت عبدالسلام أبومنديل .. محلة أبوعلى كفر الشيخ ٩٤,٦٪
الثامن : الشيماء محمد رفاعي محمد حسن .. طحانوب القليوبية ٩٤,١٪
الثامن مكرر : نهى سعد متولى عبدالمقصود .. العاشر من رمضان شرقية ٩٤,١٪
العاشر : عبدالله على حسن إسماعيل .. السيلاوين الدقهلية .

كما اعتمد فضيلته نتيجة امتحان شهادات معاهد القراءات التجويد - التخصص - العالية للدور الأول للعام الدراسي ٩٨/٩٧ .. وكانت كالتالي :

إجازة التجويد : بلغت النسبة المئوية ٤٢,٣٪ حيث تقدم للامتحان ١٣٧٧ نجح منهم ٥٠٧ ، والخمسة الأوائل من المبصرين :

١ - صلاح الدين عبدالعزيز على - معهد شبين الكوم .
٢ - إيهاب حسن على حسن - معهد بنها .
٣ - سامى شحاتة عبد الباقى - معهد بنى سويف .
٤ - قاسم عبد الغفار مصطفى - معهد إسكندرية .
٥ - محمد أحمد عبده الأقرع - معهد طنطا .

والخمسة الأوائل من المكفوفين :

١ - ناصر سلمى مصلح جرير - معهد العريش .
٢ - سعيد فوزى محمد أحمد - معهد شبرا .
٣ - فتحى رمضان امبارك - معهد طنطا .
٤ - نادى حودة نادى حيدة - معهد دمنهور
٥ - عماد حسين عبدالحكيم منصور معهد الزقازيق

٢ - التخصص : بلغت النسبة المئوية ٤٨,٢٪ حيث تقدم للامتحان ٢٧٠ نجح منهم ١٢٣ ، وترتيب الخمسة الأوائل من المبصرين :

١ - على محمد السيد على - معهد دمنهور .
٢ - محمد أحمد محمد إسماعيل - معهد دمنهور .
٣ - خالد محمد جمعة مصطفى - معهد المنصورة .
٤ - محمود مصطفى عبدالعليم - معهد ملوى
٥ - عبدالسلام إسماعيل محمد - معهد الأقصر .

وترتيب الأوائل من المكفوفين :

١ - سليمان محمد العزب - معهد شبرا .
٢ - صبحى سيد محمود أبو العلا - معهد بنى عدى .
٣ - أحمد محمد الديساوى - معهد شبراباخوم .

٣ - عالية القراءات : بلغت النسبة المئوية ٤٥٪ حيث تقدم للامتحان ٥٦٢ نجح منهم ٢٣١ .. وترتيب الخمسة الأوائل من المبصرين :

١ - عادل عبدالرحمن - الفيوم .
٢ - كمال محمد على - سوهاج .
٣ - حسن محمد عبدالقادر - المنصورة .
٤ - هانى إبراهيم طه البسيونى دمياط .
٥ - سعيد دردير أحمد إبراهيم - بنى عدى .

وأوائل الطلاب المكفوفين :

١ - محمد الأمير أحمد عبدالبديع - ملوى .
٢ - أحمد محمد حسين - بنها .
٣ محمد الأمير خليفة عمران - سوهاج .
٤ - وائل سعد رمضان جبريل - الإسكندرية .
٥ - إبراهيم شحاتة عبدالتواب - كفر الشيخ .

كما اعتمد فضيلته امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية للدور الأول للعام الدراسى ٩٨/٩٧ ، وبلغت نسبة النجاح ٥٦,٠٧٪ ، حيث تقدم

للامتحان ١١٨٦١٢ تلميذاً وتلميذة . . والطلاب العشرة الأوائل :

الأول : منى أحمد راشد محمد . . كوم حمادة بحيرة .

الثانى : مدحت حامد على صابون ـ صفط العنب بحيرة .

الثالث : أسماء دياب عبدالرحمن عبدالله نور الإسلام ـ أسيوط .

الرابع : أحمد محمد محمد عبدالكريم ـ العاشر من رمضان النموذجى الشرقية .

الرابع مكرر : إسراء إبراهيم عبده إبراهيم بلقان القليوبية .

السادس : مروة حسن سديرة محمد . . عمر ابن الخطاب أسيوط .

السابع : ريهام عبدالتواب محمد قنجرى . . نور الإسلام أسيوط

الثامن : راجيا حسنين إحسان محمد . . ١٥ مايو فتيات النموذجى القاهرة .

الثامن مكرر : شاهندا نصر أحمد محمد حجازى . . ١٥ مايو الفتيات النموذجى القاهرة .

العاشر : مى السيد عبد الغنى محمد ـ العاشر من رمضان النموذجى .

كما اعتمد فضيلته نتيجة الشهادة الإعدادية للبعوث الإسلامية الدور الأول للعام الدراسى ٩٨/٩٧ ، وبلغت نسبة النجاح ٢٥,٦٪ ، حيث تقدم للامتحان ٦٤٩ ، حضر الامتحان ٦٣٠ ، نجح منهم ١٦١ طالباً ، والعشرة الأوائل هم :

الأول : محمد المهدى أحمد ـ من تشاد معهد الإسكندرية .

الثانى : محمد إدريس . . الكاميرون معهد القاهرة .

الثالث : أوارى موسى سالم مدغشقر معهد الإسكندرية .

الرابع : فياروف عبدالبصير . . معهد القاهرة .

الخامس : حسين إسحاق . . بنين معهد القاهرة .

السادس : جيلا توف محمد داغستان معهد القاهرة .

السابع : مقويم ناصر ـ الكاميرون معهد القاهرة .

الثامن : على عبدالله نيالى ـ سيراليون معهد القاهرة .

التاسع : حسنوف إسماعيل ـ أذربيجان معهد القاهرة .

العاشر : جمال إدريس . . زائير معهد القاهرة .

●●

تحت عنوان (العلوم الاجتماعية ودورها فى مكافحة العنف فى المجتمعات الإسلامية) عقدت جامعة الأزهر مؤتمراً تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى الفترة من ٢٨ ـ ٣٠ يونيو ٩٨ بمركز الشيخ صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ، وناقش المؤتمر جذور العنف والتطرف وكيفية مواجهتها والجوانب الاقتصادية والسكانية للعنف والتطرف ودور الخدمة الاجتماعية وعلم النفس والجوانب الشرعية والدعوية لمواجهة العنف والتطرف ، والهدف من المؤتمر هو بيان كيفية توظيف العلوم الاجتماعية فى خدمة وتنمية المجتمعات العربية ، والإسلامية ، ومواجهة أزماتها ومحاولة الوصول إلى استراتيجية شاملة ومتكاملة لمواجهة الظواهر المرضية ، وقد وجه شيخ الأزهر فى كلمته إلى غرس الفضائل كالصدق والأمانة فى الأطفال منذ الصغر حتى ينشأ جيل

صالح سليم قوى ينفع نفسه ووطنه بعيداً عن التطرف والعنف ، كما وجه العلماء كل فى مجال تخصصه أن يكون قدوة صالحة طيبة ، ويشترك الجميع فى نشر الفضائل ومكارم الأخلاق ، وبذلك يقل العنف بل ويتلاشى من المجتمع ويشيع الحب والوئام .

وقد أوصى المؤتمر فى ختام جلساته بضرورة بناء سياسة بحثية تركز على الدراسة المنهجية لمشاكل المجتمع ومواجهة أزماتها وعلى رأسها ظاهرتا التطرف والعنف باعتبارهما ظاهرتين وافدتين على الأمة .

كما طالب المؤتمر بإحكام الرقابة على العشوائيات والمناطق المتخلفة داخل المدن العربية الإسلامية ضماناً لعدم ظهور منحرفين .

●●

استقبل فضيلة الإمام الأكبر طلاب المرحلة المتوسطة بالجالية الإسلامية بولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة الأمريكية فى إطار زيارتهم لجمهورية مصر العربية والتى ينظمها المركز الثقافى الإسلامى بالولاية برئاسة الدكتور/ كمال أحمد الجاريج نائب رئيس المركز .

وقد دار الحديث خلال اللقاء حول التعريف بالأزهر الشريف ودوره فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع ونوعية الدراسة التى تمتاز بالاعتدال والتوسط والبعد عن التطرف .

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن أسئلتهم واستفساراتهم .

وقد وجههم فضيلته إلى المحافظة على هويتهم الإسلامية ، وتعلم اللغة العربية إلى جانب لغتهم التى يجيدونها ، كما وجههم إلى المحافظة على الآداب الإسلامية والتكاليف الشرعية من صلاة وصيام وزكاة وحج لمن استطاع إليه سبيلاً ، كما حثهم على المحافظة على حفظ القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حُسن اللقاء ، وعلى إتاحة الفرصة لاستقبالهم وتعريفهم بأمور دينهم ، لأن الهدف من هذه الزيارة هو ربط هؤلاء الطلاب بجذورهم العربية والإسلامية وتعريفهم بدور العلماء فى نشر الإسلام فى العالم أجمع واتصالهم بهم حتى يشعروا بأنهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى والإسلامى ، كما قدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على نصائحه وتوجيهاته لهم ، والتى تركت أثراً كبيراً فى نفوسهم سيظلون يحتفظون به لحين عودتهم إلى بلادهم وسيعملون بما سمعوه وما استمعوا إليه من شيخ الأزهر .

كما قام الوفد بزيارة الجامع الأزهر الشريف بعد تجديده وافتتاحه واستمعوا إلى شرح لنشأته وبنائه وتطور مراحله وطريقة التعليم به ونوعية الدراسة به وتطورها منذ نشأته حتى الآن ، كما قاموا بزيارة المناطق الأثرية الأخرى بالقاهرة الفاطمية ، حضر اللقاء عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .. ١٧ ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨/٧/١١ م .

●●

كما استقبل فضيلته معالى وزير العدل والشئون الإسلامية محمد بن نخيرة الظاهرى بدولة الإمارات والوفد المرافق لسيادته ، حيث أبلغ معالى الوزير تحيات صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وتناول اللقاء الجهود المبذولة لجمع شمل العالم الإسلامى ودور مصر ودولة الإمارات العربية فى هذا المجال ،

وأشاد معالى الوزير بدور الأزهر البارز فى العالم أجمع من خلال علمائه وبعثاته فى نشر الإسلام والدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لأبناء المسلمين للدراسة بالأزهر وجامعته العريقة، حيث إن خريجى الأزهر يمثلون الآن فى دول العالم مراكز قيادية. وقال: إننا نفخر بسمعة الأزهر لتأثيره فى العالم أجمع. وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على زيارته وحمله إبلاغ تحياته لصاحب السمو الشيخ زايد آل نهيان أمير دولة الإمارات العربية المتحدة، وأكد شيخ الأزهر أن مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وسمو الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات العربية يتعاونان لصالح لم الشمل العربى والإسلامى على كلمة سواء، حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.. ١١ ربيع الأول ١٤١٢ هـ - ١٩٩٨/٧/٥ م.

●●

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر سعادة الدكتور/ عبدالله العبيد أمين عام رابطة العالم الإسلامى فى إطار مشاركته فى المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة، وقد هنأ سيادة فضيلة شيخ الأزهر بنجاح أعمال المؤتمر والجهد الذى بذل لإنجاح هذا المؤتمر والموضوعات التى طرحت والأبحاث التى قدمت.

وقد شكره شيخ الأزهر على حضوره المؤتمر وزيارته للأزهر الشريف مشيداً بالدور الهام الذى تقوم به الرابطة.

●●

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ عبدالحميد فوزى وزير النقل والمواصلات بدولة سيرلانكا. وقد أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لتعليم أبناء سيرلانكا للدراسة فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة حيث يوجد عدد كبير من طلاب سيرلانكا بمعاهد وكليات الأزهر، وقد طلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء سيرلانكا، وقد وعد فضيلته بتلبية طلبه، كما شكر الأزهر على نجاح المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

●●

كما استقبل فضيلة شيخ الأزهر معالى الوزير/ عبدالمنعم أحمد صالح وزير الأوقاف العراقى فى إطار مشاركته لأعمال المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأشاد الوزير بنجاح المؤتمر ودور الأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى شتى أنحاء العالم، وقد شكره شيخ الأزهر على هذه الزيارة.

وقد حضر اللقاء السفير/ نبيل نجم مندوب العراق بجامعة الدول العربية والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام.. ١١ من ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨/٧/٥ م.

●●

عقد بالقاهرة المؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان: (الإسلام والقرن الحادى والعشرون) فى المدة من ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ٢ - ٥ يوليو ١٩٩٨ م.. بفندق ماريوت تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية، ورئيس شرف المؤتمر فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ويدور المؤتمر حول أربعة محاور رئيسية.
الأول: الإسلام والتطور الحضارى.

الثانى : موقف الإسلام من العولمة فى المجال السياسى .

الثالث : موقف الإسلام من العولمة فى المجال الاقتصادى .

الرابع : موقف الإسلام من العولمة فى مجال التقدم العلمى .

وقد حضر المؤتمر أكثر من مائتى شخصية إسلامية عالمية من حوالى سبعين دولة عربية وإسلامية وأجنبية فى مقدمتهم وزراء الأوقاف والعدل والشئون الإسلامية ورؤساء الهيئات الإسلامية فى العالم وممثلون للجاليات والأقليات المسلمة بالدول الأجنبية ومن كبار المفكرين فى أوروبا وأمريكا .

وتحدث السيد الرئيس فى كلمة ألقاها نيابة عنه وزير الأوقاف المصرى الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق حيث قال : « إن الإسلام حضارة وعلينا مواجهة إساءة فهمه فى الداخل والخارج ، وإن بقاء الأمة مرتبط بالأخذ بالعلم ونبذ الخلافات ، وقال : إن على المسلمين إعادة النظر فى مواقفهم وبذل الجهود للوصول إلى المكان اللائق . وقال : إن التمزق والتفرقة يفتت طاقات الأمة ويشل حركتها ويسلب إرادتها . وقال : إن الدين ليس مسئولاً عما يرتكبه بعض الحمقى من أبنائه . وقال : إن القوة الحقيقية اليوم ليست فى القوة العسكرية والتسلح العسكرى ، ولكنها قوة العلم والتخطيط ومحاولة امتلاك أحدث وأقوى ما أنتجته عبقريات العلماء والباحثين المبدعين فى شتى أنحاء العالم » .

وقال شيخ الأزهر أمام المؤتمر : « نحن نرحب بكل تقدم علمى وتكنولوجى بشرط نفعه للبشرية ، وقال : إن قوة الدولة تعكسها أخلاقها وقيمها وليس ثروتها وتقدمها . وقال : إن شريعة الإسلام لم تأت بشىء يخالف العقل السليم أو يعرقل مسيرة الإنسان نحو التقدم فى الحياة لأن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان » .

وقال الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى كلمته : « إن النزاعات والانقسامات هى أهم التحديات ، والفهم المستنير للإسلام يكشف الوجه الحضارى لهذا الدين . وقال : إن هذا الدين تتماشى تعاليمه مع كل زمان ومكان ويؤكد قدرته على الصمود أمام كل التحديات » .

وفى ختام المؤتمر أوصى بدعم التعاون للقضاء على الإرهاب ، وإنشاء محكمة جنائية دولية لمعاقبة الإرهابيين ، وحث الدول الإسلامية لمساعدة الفلسطينيين لإقامة دولتهم ، ودعم المسلمين فى كوسوفا ، وأهمية القضاء على أسلحة الدمار الشامل ، الالتزام بأحكام الإسلام فى تنظيم حياة الأمة الإسلامية واحترام حقوق الإنسان السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية ، تكثيف الجهود المبذولة فى مجال الإعلام من جانب العالم الإسلامى حتى يكون للإسلام صوت مسموع فى كافة وسائل الإعلام الدولية ، الدفاع عن كيان الأمة الإسلامية ، ردع العدوان على الدول الشقيقة فى إطار الشرعية الدولية .

وفى ختام المؤتمر أرسل رؤساء وأعضاء الوفود المشاركة برقية شكر وتقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية على ما قدمه للمؤتمر من رعاية ، وما أولاه لعلماء المسلمين من موفور التقدير ، وأن المؤتمر يؤيد خطوات سيادته المباركة وسياسته الحكيمة التى يتبعها لإعلاء قيم الحق والعدل والخير ونصرة قضايا الإسلام والمسلمين وحل المشكلات التى تواجه شعوب أمتنا فى الحاضر والمستقبل .

شهد الرئيس محمد حسنى مبارك الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، وقد أكد فى كلمته على ضرورة أن يستلهم المسلمون منهج النبى الكريم - صلى الله عليه وسلم - فى بناء الفرد والمجتمع ، وفى إقامة جسور الاتصال بين شعوبهم ، وأعلن أن القرن القادم يدق أبوابنا بعد أقل من عشرين شهراً حاملاً معه مخاطر جديدة وتحديات غير مسبوقة وفرصاً للتقدم والرخاء لا يجب أبدا أن تفلت من أيدينا ، وأكد على أن ثروات الأمم أصبحت تقاس الآن بما تعلم ، وليس بما تملك بعد كل ما تحقق من تقدم فى العلوم والتكنولوجيا فى العصر الحديث وليس أمام المسلمين سوى النهوض والتقدم وتحقيق القفزة الحضارية الكبرى ، وقال : إن منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذخيرة هامة للشعوب الإسلامية وهى تسعى لتحقيق النهضة الحضارية واسترداد مواقع الصدارة ، وأوضح أن الإسلام أكد على ضرورة الحرص على العلم والعمل والقوة كأسس هامة لبناء الفرد والمجتمع ، وأشار إلى أن القوة فى الإسلام تستهدف حراسة الحق وحماية البناء وردع العدوان .

وقد كرم السيد الرئيس ثمانية من علماء الإسلام ومفكريه من بينهم عالمان من خارج مصر ، كما منح قلادة الجمهورية لاسم الإمام الراحل فضيلة الشيخ الشعراوى الداعية الإسلامى تقديراً لما أداه من خدمات للبلاد وقد تسلمها نجله فضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، كما سلم جوائز الحج والعمرة للفائزين فى مسابقة المولد النبوى الشريف .

كما تحدث شيخ الأزهر عن أن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - خير قدوة للبشرية جمعاء ، وعلينا جميعاً أن نقتدى به ونسير على نهجه سلوكاً وقولاً وعملاً امتثالاً لقول الله - تعالى - :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب - ٢١) وعلينا أن نتذكر خلقه وصبره وحلمه وعبادته ، وبذلك نذكر الناس بأن الله أرسله رحمة للعالمين لكى يخرج الناس من الظلمات إلى النور .

• •

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر أ.د محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية الأزهرية بقسميها (العلمى والأدبى) للعام الدراسى ٩٨/٩٧ .

وقد بلغت النسبة العامة للنجاح ٤٦,٧٪ ، علما بأن نتيجة القسم الأدبى بلغت ٤٠,١٪ ، حيث تقدم للامتحان ٢٤٣١٦ نجح منهم ٩٧٢٢ طالبا وطالبة .

وبلغت نسبة النجاح بالقسم العلمى (علوم) ٦٢,٦٪ حيث تقدم للامتحان ٩٥٩١ نجح منهم ٥٩٠٨ طلاب وطالبات ، وبلغت نسبة النجاح فى قسم الرياضيات ٦٣,٦٪ ، حيث تقدم للامتحان ٥٥٩ نجح منهم ٣٥٣ طالبا وطالبة .

وجاء ترتيب العشرة الأوائل من القسم الأدبى على النحو التالى :

النسبة المئوية	المجموع	المعهد	الاسم	الترتيب
٪٩٢,٨	٥٢٩	الدلنجات	محمد فوزى حسن عبد الغنى	الأول
٪٩١,٥	٥٢٢	ف . زرقان	رشا عبد السلام محمود مكى	الثانى
٩١,١	٥١٩	ف . دمنهور	نجوى إبراهيم سعد حجاج	الثالث
٪٩٠,٥	٥١٦	ف . محمد رجب	عزة عبد الرحيم محمد سليمان	الرابع
٪٩٠,٤	٥١٥	ف . طنطا	سهام أحمد بدوى بدوى جاب الله	الخامس
٪٩٠,٢	٥١٤	بسيون	حمدى حسن أيوب عبد الرازق	السادس
٪٩٠,٢	٥١٤	دكرنس	محمود محمد عبد الفتاح	السادس مكرر
٪٩٠	٥١٣	ف . أجا	نجلاء المتولى الشحات	السابع
٪٨٩,٨	٥١٢	كفر الشيخ	أحمد إمام عبد العزيز عبد	الثامن
٪٨٩,٨	٥١٢	ف . طنطا	سمية عبد السلام عبده الشيخ	الثامن مكرر

وقد احتل المراكز الخمسة الأول كل من :

النسبة المئوية	المجموع	المعهد	الاسم	الترتيب
٪٩١,٥	٦٢٢	د . طلعت النموذجى	أحمد فاروق إبراهيم مصطفى	الأول
٪٩١,٢	٦٢٠	حسن أبو بكر	محمد عبد الصمد عبد ربه محمد	الثانى
٪٩١	٦١٩	المنصورة	حسين العليمى حسن علام	الثالث
٪٩١	٦١٩	طوخ	محمد أمين عبد الهادى أحمد	الثالث مكرر
٪٩٠,٩	٦١٨	د . طلعت النموذجى	عمر محمد محمد عبد العزيز	الخامس

ومجلة الأزهر تهنىء جميع الناجحين ، وتتمنى التوفيق لبقية الطلبة .

وكان الخمسة الأوائل من القسم الأدبى (مكفوفون) هم :

الترتيب	الاسم	المعهد	المجموع	النسبة المئوية
الأول	وليد السيد مصطفى فرج	شربين	٤٧٩	٨٤٪
الثانى	صباح عمر عمر أبو زيد	ف. سيدى سالم	٤٢٧	٧٤,٩٪
الثالث	عمر أحمد عبد المغيث	نزلة القاضى	٤١٩	٧٣,٥٪
الرابع	هانى سعد مصطفى المنير	دمياط	٤١٦	٧٣٪
الخامس	عطية محمود محمد حسانين	سنهور المدينة	٤١٤	٧٢,٦٪

أما القسم العلمى (شعبة علوم) فكان ترتيب العشرة الأوائل كما يلى :

الترتيب	الاسم	المعهد	المجموع	النسبة المئوية
الأول	هبة محمد عبد الجليل السيد	ف. مدينة نصر	٦٣٥	٩٧,٧٪
الثانى	محمد سرحان السيد أبو المجد	دكرنس	٦٣٣	٩٧,٤٪
الثالث	محمد ممدوح أحمد عبد الوهاب	كفر الشيخ	٦٣١	٩٧,١٪
الرابع	بشير أبو الفتوح السيد الطنطاوى	دمياط	٦٣٠	٩٦,٩٪
الخامس	فاطمة محمود محمد السعيد	ف. المنصورة	٦٢٨	٩٦,٦٪



الترتيب	الاســـم	المعهـــد	المجموع	النسبة المئوية
السادس	عمرو مصطفى نبيل أحمد محمد	د. طلعت النموذجى	٦٢٦	٩٦,٣٪
السابع	أحمد أمين عبد العزيز عاشور	د. طلعت النموذجى	٦٢٥	٩٦,٢٪
السابع مكرر	أحمد محمد لبيب محمد السباعى	كشك بزفق	٦٢٥	٩٦,٢٪
السابع مكرر	محمود جابر عبد العظيم الطبال	كشك بزفق	٦٢٥	٩٦,٢٪
السابع مكرر	نيفين نبيه أبو الفتوح عبد المطلب	ف . المنصورة	٦٢٥	٩٦,٢٪





يحررها الدكتور
حسن علي محمد

كرامة الشعوب وأمنها.. لا تباع ولا تشترى

السيد الأمريكي لم يع الدرس الباكستاني ، ولا أعلم سياسة تتمتع بقدر وافر من الجهل ، مثل السياسة الأمريكية ، في المنطقة العربية ، والإسلامية . . ربما كان هذا الجهل نابعاً من استخفاف . . وربما كان نابعاً من غرور مكذوب . . كذوب . . وفي كل الأحوال . . برهن الباكستانيون على حقيقة ناصعة . . هي : أن الكرامة لا تباع ، ولا تشترى . . فقد رفضوا مزاد السيد كلينتون في سوق النخاسة ، حين عرض خمسة مليارات من الدولارات ، مقابل عدم إجراء تفجيرات نووية مصحوبة بوعود كثيرة .

ولأن الباكستان وعت وفهمت أسلوب السيد الأمريكي ، رفضت بعزة الأموال ، لأن أمن شعبها لا يقدر بأموال العالم كله .

لقد رأينا كيف صرح رئيس الوزراء الباكستاني لإبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/٦/٢٦ بأنه رفض مليارات أمريكا لأن الأمن القومي الباكستاني غير قابل للمساومة ، ولو بأموال أمريكا كلها ، ومن الدرس الباكستاني نتعلم : أن الاعتماد على النفس ، هو صمام الأمن القومي ، ومن الدرس الباكستاني نتعلم أن أمة الإسلام لم تمت ، كما يتوهم السيد الأمريكي . . وإننا مستعدون لأكل أوراق الشجر . . من أجل بلدنا . . عزيزاً كريماً .

الرئيس مبارك يدعو المسلمين إلى المشاركة في بناء عالم يسوده العدل والحرية والسلام

في خطابه - احتفالاً بالمولد النبوي - حث الرئيس محمد حسني مبارك ، العالم الإسلامي على استلهام جوهر الرسالة المحمدية في بناء الفرد الصالح ، وتكوين المجتمع المترابط ، وإقامة جسور التعاون مع الأمم .

وقال السيد رئيس الجمهورية : إن القرن القادم يحمل تحديات ، ومخاطر جسيمة وغير مسبوقة .

وقد كرم السيد الرئيس ثمانية من علماء الإسلام ومفكريه ، بينهما اثنان من خارج مصر ، كما منح قلادة الجمهورية وهي أرفع وسام مصري لاسم فضيلة الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي .

● والتوصية بمحكمة عدل إسلامية :

اختتم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤتمره العاشر في القاهرة ، وقد أصدر عدة توصيات : من أهمها : ضرورة إنشاء محكمة عدل إسلامية ؛ للنظر في النزاعات بين الدول الإسلامية ؛ لمنع التدخل الأجنبي في شئون العالم الإسلامي .

● و ١٥٠ دولة بحثت مستقبل العالم الإسلامي :

في مؤتمره العام ، عقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جلساته على مدار ثلاثة أيام تحت شعار « الإسلام والقرن الحادي والعشرون » ناقش فيها عدة محاور مهمة بحضور لفيف من كبار علماء الإسلام .

القاهرة خاص لـ « الأزهر » :

الإمام الأكبر : لا تغيير أو حذف في المناهج الدراسية بالأزهر

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر على أن المناهج الدراسية بالأزهر الشريف باقية كما هي ، دون حذف أي شيء من المقررات ولا تهاون في حفظ القرآن الكريم للطلاب ، وسيتم اختيار مدرسين من أصحاب الكفاءات العالية للتدريس لطلاب المعاهد الأزهرية .

ويعلن : إن مبارك وزايد يتعاونان لصالح الأمة الإسلامية

أكد فضيلة الإمام الأكبر : أن الرئيس حسني مبارك وسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ، يتعاونان لصالح الأمة العربية والإسلامية ، ويعملان بإخلاص ، من أجل لم الشمل العربي ، وجمع الأمة على كلمة سواء .

جاء ذلك خلال استقبال الإمام الأكبر لوزير الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الإمارات .

●●●●

ورئيس جامعة الأزهر يعلن :

قناة الدعوة الإسلامية تبث الفكر المعتدل

أعلن الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر : إن قناة الدعوة الإسلامية التي تجري حالياً ترتيبات إنشائها لبثها على القمر

المصرى (نايل سات) تستهدف عرض الصورة الحضارية للإسلام ونشر الفكر الدينى المعتدل وخدمة الدعوة الإسلامية ، والرد على المزاعم التى تروج ضد الإسلام والمسلمين ، وقال : إن القناة الجديدة التى يشارك الأزهر فيها سوف تبث برامجها باللغة العربية مع ترجمة لبعضها باللغات الحية ، وأكد أنه سوف يشارك فى القناة كوكبة من كبار علماء الأمة .

●●●●

أساتذة من جامعة الأزهر للتدريس بالجامعات الكويتية

استقبل الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر : وزير الأوقاف الكويتى والوفد المرافق له ، حيث أشاد الوزير الكويتى بالدور البارز للأزهر فى العالم كله .

ووقع الدكتور أحمد عمر هاشم والدكتور الكليبى ثلاث اتفاقيات للتعاون العلمى والثقافى ، تشمل إيفاد أعضاء هيئة التدريس إلى الجامعات الكويتية واستقبال طلاب الكويت ، بجامعة الأزهر بمرحلتى الماجستير والدكتوراه .

●●●●

دعم التعاون المشترك بين جامعة الأزهر والأكاديمية العربية

لتعزيز التعاون فى مجالات الدراسات الأكاديمية والاقتصاد الإسلامى والتدريب تم التوقيع على اتفاق للتعاون المشترك بين جامعة الأزهر والأكاديمية العربية للعلوم المصرفية والمالية ، وقد وقع الاتفاق الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة والدكتور مصطفى هديب رئيس الأكاديمية العربية .

ووجهت الأكاديمية الدعوة لوفد من جامعة الأزهر لزيارة مقرها الرئيسى فى العاصمة الأردنية عمان .

وأكد الدكتور هديب رئيس الأكاديمية العربية تقديره لجامعة الأزهر باعتبارها أقدم الجامعات العربية والإسلامية فى العالم .

●●●●

وزير الأوقاف المصــرى :

قضية الأمية فى العالم الإسلامى تحتل الأولوية فى المرحلة المقبلة

صرح الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بأن : قضية الأمية فى العالم الإسلامى سوف تتصدر أولوية العمل فى المرحلة المقبلة من خلال منهج عمل قابل للتنفيذ ، بالإضافة إلى التنسيق بين علوم الدنيا والدين لإيجاد شخصية المواطن المسلم المتكامل القادر على مواجهة القرن المقبل والتعامل مع التكنولوجيا الحديثة .

●●●●

مؤتمر « الترجمة وتفاعل الحضارات » يناقش :

مواجهة محاولات تحريف القرآن على « الإنترنت »

أعلن الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر أنه سوف يتم افتتاح مركز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة الأزهر .

وأعلن الدكتور سامح جاد نائب رئيس جامعة الأزهر أن المؤتمر بحث المشكلات التى تواجه ترجمات معانى القرآن الكريم إلى اللغات الحية لتحقيق التفاعل بين الشعوب الإسلامية .

ونبه الدكتور طه أبو كريشة إلى أهمية الترجمة فى التصدى لحملات تشويه صورة الإسلام من خلال

تحريف القرآن باستخدام شبكة المعلومات الدولية « الإنترنت » .

الجدير بالذكر أن المؤتمر استمر ٣ أيام ، وتعرض خلالها ١٠٠ بحث فى ثلاثة محاور رئيسية مرتبطة بترجمات القرآن الكريم والتفاسير والمعاجم اللغوية ومشكلات نقلها وترجمتها .

●●●●

الجزائـــر :

جدل بين الأحزاب حول قانون تعميم التعريب

تصاعدت ردود الفعل المعارضة للقانون بعد دخوله حيز التنفيذ ، وقد عارض القانون حزب الجبهة الاشتراكى ، بينما أعلن حزب التجمع الوطنى الديمقراطى تمسكه بالهوية الوطنية والعروبة والأمازيجية .

وقال : إن استخدام اللغة العربية لغة رسمية للدولة هو مطلب شعبى باعتباره من مقومات السيادة الوطنية .

●●●●

دمشـــق :

نقلا عن مراسل الأهرام عاطف صقر

مفتى سوريا يدعو إلى إنشاء قناة فضائية عربية للتعاليم الأخلاقية

افتتح الشيخ أحمد كفتارو مفتى سورية الدورة التأهيلية العالمية السادسة للأئمة والدعاة من البلدان غير الناطقة باللغة العربية فى أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا .

يشارك فى الدورة ١٤٠ إماماً ومعلماً من ٤٢ دولة ، ودعا مفتى سورية إلى الوسطية والاعتدال والتفاعل مع شعوب العالم ، وأكد أنه لا نجاة للإنسانية إلا بالعودة إلى تعاليم الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما دعا إلى إنشاء قناة فضائية عربية وإسلامية متخصصة لنشر الإسلام وإعادة بناء الإنسان المتفوق بالعلم والعمل .

●●●●

قـطـر :

صلاة الغائب على روح الشيخ الشعراوى فى قطر والبحرين

اهتم معظم خطباء مساجد قطر بالحديث عن مآثر الشيخ الشعراوى ، والإشادة بدوره ، فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وقد أدى المصلون صلاة الغائب على روحه .

●●●●

البحريـن :

إحباط محاولة لضرب اقتصاد البحرين

أكد رئيس وزراء البحرين الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة أن بلاده تمكنت من احتواء المخطط الدولى لضرب اقتصادها بتزييف كميات ضخمة من العملة البحرينية وتهريبها للأسواق المحلية والدولية .

●●●●

الـسـعوديـة :

اجتماع اللجنة العليا لمصر والسعودية

صرح السفير سيد أبوزيد وزير الخارجية للشئون العربية رئيس الجانب المصرى بأن اللجنة

العليا تضم ممثلين من مختلف الوزارات والهيئات المعنية لبحث كافة المجالات للعلاقات الثنائية المصرية السعودية .

وقد تم إنشاء مجلس رجال الأعمال المشترك برئاسة خالد أبو إسماعيل نائب رئيس اتحاد الغرف التجارية المصرية .

●●●●

ومفتى القدس لـ « الأهرام إبدو » :

إسرائيل لا تملك أى أثر
يؤيد وجودها فى القدس

أكد الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس فى حديث خاص لـ(الأهرام إبدو) أن إسرائيل تعمل فى القدس من منطلق الإحساس بعقدة النقص لأنها لا تملك أى أثر يؤيد وجودها فى حين أن المدينة حافلة بآلاف من الآثار الإسلامية .

وأضاف مفتى القدس أن إسرائيل تريد طمس الحضارة الإسلامية واختلاق مزاعم إسرائيلية تثبت وجودها . . !!

●●●●

المتطرفون اليهود يهددون
باقتحام المسجد الأقصى

لعدة مرات . . لازال اليهود المتطرفون يهددون باقتحام المسجد الأقصى ، لإقامة صلواتهم فيه ، وقد تم توزيع إعلانات فى القدس تدعو المتطرفين لاقتحام المسجد الأقصى .

كما دعت جماعة « أمناء جبل الهيكل » إلى تجمع حاشد ينطلق من إحدى المستوطنات ، شمال القدس إلى بيت الشرق للتظاهر أمامه والمطالبة بهدمه . . !!

ومخطط إسرائيلى لتهويد مدارس القدس

كشف مطيع أبوعجية الوكيل المساعد لوزارة التعليم الفلسطينية عن محاولات إسرائيلية لسلطات الاحتلال بتشكيل لجنة للعمل على تطبيق المناهج الإسرائيلية على المدارس العربية فى القدس ومنع سيطرة مؤسسات التعليم الفلسطينية على المناهج هناك .

وأعلن عن وجود أكثر من ثلاثين كتاباً تفرضها إسرائيل على المدارس العربية بالقدس وتحوى معظمها هجوماً وقحاً على الإسلام وعلى رسوله الكريم .

والجدير بالذكر أن مصر أعلنت عن تقديمها المناهج المصرية فوراً فى حالة طلبها مع تيسير قبول الطلاب الفلسطينيين فى المدارس المصرية .

●●●●

● ومؤتمر الشئون التعليمية لأبناء فلسطين بدمشق

يطالب بتطوير التعليم بالأراضى المحتلة

طالب المؤتمر بإثارة موضوع التعليم فى القدس فى المؤتمرات الدولية والاستمرار فى محاربة عمليات تهويد التعليم فى القدس بجميع أشكاله .

فلسطين المحتلة :

فلسطين على طريق الدولة ..
رغم أنف إسرائيل

الأمم المتحدة ـ وكالات الأنباء :

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ساحقة على قرار برفع مستوى تمثيل بعثة منظمة

التحرير الفلسطينية من وضع (مراقب) إلى وضع تتمتع فيه بحقوق « الدولة » عدا حق التصويت .
وافق على مشروع القرار، ١٢٤ دولة مقابل اعتراض أمريكا وإسرائيل وما يسمى بميكرونيزيا وجزر مارشال ..!!

●●●●

●صحيفة إسرائيلية :

فرنسا اتخذت قرارا بالاعتراف بدولة فلسطينية

تل أبيب : أ . ف . ب :

ذكرت صحيفة « هاآرتس » الإسرائيلية أن فرنسا مستعدة للاعتراف بدولة فلسطينية فور إعلانها في نهاية المرحلة الانتقالية للحكم الذاتي الفلسطيني .
وأشارت الصحيفة إلى أن خبراء في وزارة الخارجية الفرنسية يرون أن الشروط القانونية للاعتراف بدولة فلسطينية تحققت لأن السلطة الفلسطينية تمارس فعلاً سيطرة فعلية على جزء من الأراضي التي تطالب بها .

●●●●

بغــــداد :

وفد مصري يبحث في بغداد زيادة كميات الأرز المصدرة إلى العراق .
غادر القاهرة رئيس شركة مضارب الإسكندرية للأرز لينضم للوفد التجاري الموجود في بغداد بهدف إجراء مباحثات مع العراق تتناول إمكانية إبرام عقود جديدة لتزويد العراق باحتياجاته من الأرز المصري .

●●●●

ليبيا :

طائرة ليبية تخترق الحصار الدولى تنفيذا لقرارات القمة الأفريقية

● طرابلس ـ وكالات الأنباء :

هبطت بمطار طرابلس الدولى إحدى الطائرات الليبية قادمة من تشاد مخترقة بذلك الحصار الجوى الظالم المفروض على الشعب الليبى المسلم .

وصل على متن الطائرة امين عام مساعد دول الساحل والصحراء الأفريقية ، كما غادرت الطائرة مطار طرابلس متجهة إلى تشاد مخترقة بذلك الحصار الجوى .

●●●●

ترحيب ليبي بدعوة المشير طنطاوى لتكوين تكتل عسكرى عربي

● طرابلس ـ وكالات الأنباء :

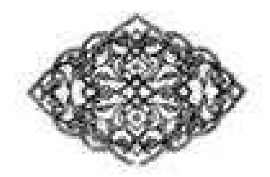
رحبت اللجنة الشعبية العامة للوحدة الليبية بدعوة المشير حسين طنطاوى القائد العام للقوات المسلحة لتكوين تكتل عسكرى عربي لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة العربية وتحقيق التقدم التقنى .

S'il arrive qu'il adopte une pensée, il ne doit pas avoir recours aux interprétations du Coran qui appuient son point de vue, ni choisir parmi les hadiths ceux qui s'adoptent à son opinion: son avis et son opinion doivent être soumis à la vérité. Il lui est conseillé aussi de garder l'esprit ouvert, de ne pas s'attaquer à ceux qui ont des opinions contraires aux siennes, car le savoir est étendu et le Coran peut se prêter à diverses interprétations....Il doit aussi arracher de son coeur toute trace de haine, de rancoeur ou d'envie contre les autres ulémas qui ont acquis une renommée plus large que la sienne ou qui sont entourés d'amour de gens. Il doit savoir que les ulémas, le Jour du Jugement Dernier, seront intérrogés de la même manière que les prophètes...

Le Prophète-b.s-a dit:*"Si tes conseils servent à guider un seul homme vers la Voie Droite, ceci sera pour toi plus profitable que la possession des meilleures faveurs de ce monde."*(selon une autre version)*"plus profitable que tout ce monde et ce qu'il contient."*

A SUIVRE

Hadith rapporté par Sahl-Ibn Sà ad (Al-Bokhary).





trace imperceptible. Pendant le second sommeil, on retirera le reste de cette loyauté, de sorte qu'il en restera une trace pareille à celle que laisse une braise, quand elle tombe sur un pied en y produisant une légère boursouflure." Puis, le Prophète-b.s-prit un caillou qu'il fit rouler sur son pied et dit :"Les gens s'éveilleront le lendemain pour conclure des transactions, mais ils ne trouveront personne à qui l'on pourra confier un dépôt, au point qu'on dira:"dans telle tribu, il y a un homme loyal. On dira alors de lui:"Comme il est sérieux! Comme il est ingénieux! Comme il est raisonnable! alors que son coeur ne renfermera la moindre parcelle de foi."

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le vrai Musulman est celui qui surveille son comportement: vis-à-vis d'Allah-Gloire à Lui-, vis-à-vis des gens et vis-à-vis- de lui-même de sorte qu'on le qualifie de loyal en toutes ses actions et qu'il soit à l'abri de la colère de Son Seigneur qui a dit: **[Allah n'aime pas les traîtres.]**

Surate 8 "Al-Anfâl" (Le Butin). V.58.

Nous exposerons ici des exemples de quelques sortes de loyauté montrant comment la sauvegarder afin qu'elle soit un flambeau qui fait connaître au fidèle les sortes de loyautés, sur lesquelles il sera interrogé le Jour du Jugement Dernier.

1-La loyaute du savoir:

Le savoir est un don et une faveur qu'Allah a réservé à certains de Ses serviteurs. Celui qu' Allah a doté du savoir et qu'Il a guidé à exhorter les gens, à leur enseigner, à recommander de faire le bien et à pourchasser le mal, doit prendre soin de cette faveur. Il doit le faire fructifier par des lectures continuelles, car la science n'est conservée que par l'étude permanente. Il faut également, qu'il fasse preuve d'impartialité par rapport aux avis et aux opinions des autres. Son but doit être la recherche continuelle de la vérité; il lui est conseillé d'être indulgent envers ses disciples, que son savoir se pare de clémence; il doit transmettre le savoir en toute probité en le référant à ses propres auteurs, en témoignant de ce qu'il leur doit. Nos pieux ancêtres ont dit: *Est doué du savoir celui qui attribue le savoir à son auteur.*

Il doit etre egalement loyal lorsqu'il rapporte les propos du Prophete-b.s-qui a dit:*"Un mensonge à mon sujet n'est pas comme un mensonge sur n'importe qui: celui qui forge volontairement des mensonges à mon sujet, qu'il soit prêt à occuper sa place en Enfer."*[3]

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

[3]La plupart des théologiens disent que le mensonge sur Allah et Son Messager est une pure incroyance qui pourra être transmise et divulguée entre les hommes de chaque génération. Surtout, lorsque le mensonge comporte la transformation de ce qui est illicite en licite.

[Quand Sâlih, leur frère, leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?; Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] V.142et143.

[Quand leur frère Lot leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?. Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] V.161et162.

[Lorsque Schuaïb leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?. Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] V.177et178.

Dans la Surate 44"Ad-Dokhan"(La Fumée), Il a dit:

[Et avant eux, Nous avons déjà éprouvé le peuple de Pharaon, quand un noble Messager leur était venu, (leur disant) "Livrez-moi les serviteurs d'Allah! Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] V.17et18.

Dans la Surate 7"Al-A'raf" V.68, Il a dit:

[Je vous communique les messages de mon Seigneur, et je suis pour vous un conseiller digne de confiance.]

Comme la loyauté est une des qualités des Messagers, elle est aussi une des qualités des hommes vertueux et des djinns, en chaque lieu et chaque époque.

Voici comment le Coran nous décrit le comportement d'un djinn puissant et nous rapporte ce qu'il dit à "Salomon", lorsque ce dernier lui demanda d'apporter le trône de Bilqis; il lui dit:**[Je te l'apporterai avant que tu ne te lèves de ta place: pour cela, je suis fort et digne de confiance.]**

Surate 27 "An-Naml"(Les Fourmis) V.39.

Aussi, lorsque la fille de "Schuaïb" a décrit "Moïse" -paix sur lui- avant que ce dernier ne fût chargé de sa mission, :**[L'une d'elles dit:Ô mon père, engage-le (à ton service) moyennant salaire, car le meilleur à engager c'est celui qui est fort et digne de confiance.]**

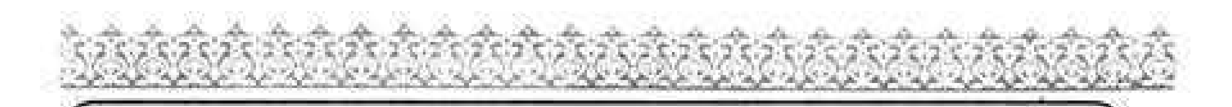
Surate 28 "Al-Qaças"(Le Récit) V.26.

La loyauté dans la transmission du Message est manifeste dans les paroles de la mère des croyants "Aïcha"-A.s.e-lorsqu'elle dit: ***"Si Mohamed-b.s-avait dissimulé quelque chose de la Révélation, il aurait dissimulé les paroles d'Allah-Gloire à Lui-:*****[Et tu cachais en ton âme ce qu'Allah allait rendre public[2]. Tu craignais les gens, et c'est Allah qui est plus digne de ta crainte.]**

Surate 33 "Al-Ahzab"(Les Coalisés) V.37.

Ce qui est effrayant et alarmant c'est que la loyauté sera enlevée de la terre parmi dix choses précieuses que l'Archange Gabriel enlèvera avant que ne sonne l'Heure, comme nous l'apprend le Prophète-b.s-:***"L'homme dormira d'un premier sommeil durant lequel on ôtera la loyauté de son coeur et il n'en restera qu'une***

[2]Ce verset fait allusion à l'incident du mariage du Prophète-b.s-avec "Zeinab bint Gahch"sa cousine et la femme de son fils adoptif"Zaïd". Ce dernier, l'ayant répudié, Mohammed-b.s-avait reçu l'ordre d'Allah-Gloire à Lui- de l'épouser; afin de proscrire définitivement l'adoption- comme le déclarent les versets 4 et 5 de cette même surate- et aussi pour démontrer pratiquement que personne n'est retenu par les liens de l'adoption.



La loyauté est l'une des vertus dont fut qualifié notre Prophète-b.s- avant sa mission divine, si bien que son peuple le surnommait:*"Le loyal"*. Puis, lorsque le Prophète-b.s-prit la résolution d'émigrer à Médine, il chargea son cousin "Ali Ibn Abou Talib"-A.s.l-de rester à la Mecque afin de remettre les dépôts à leurs propriétaires, malgré tout ce que les infidèles infligeaient à ses compagnons et malgré leur attitude vis-à-vis de sa mission.

Donc, la loyauté est une chose très sérieuse, Allah-Gloire à Lui-a dit:**[Nous avons proposé aux cieux, à la terre et aux montagnes le dépôt de la foi. Ils ont refusé de le porter et en ont eu peur. Seul, l'homme s'en est chargé; car il est très injuste (envers lui-même) et très ignorant.]**

Surate 33 "Al-Ahzab" (Les Coalisés)V.72.

Il y a différentes sortes de loyauté: la loyauté de la parole, la loyauté de la transmission, la loyauté du savoir, la loyauté dans l'appel à Allah, la loyauté dans les diverses transactions entre les gens, dans les domaines du commerce, de l'industrie, de l'agriculture, etc...

Il importe pour que quelqu'un soit qualifié de "loyal" qu'il soit sincère et probe; on ne peut pas qualifier de loyal celui qui ment, ni celui qui est querelleur ou (mura'i) .

Allah-Gloire à Lui-a qualifié l'Archange Gabriel "de loyal", car, Il lui a confié la Révélation qu'Il envoie à Ses Messagers; il la leur révèle intégralement, sans rien omettre ni ajouter, sans falsification ni changement et sans en informer qui que ce soit d'autre que le Messager visé. Allah-Gloire à Lui- a dit:**[L'esprit fidèle est descendu avec cela.** **Surate 26"As-Sù ara"(Les Poètes)V.193.**

La loyauté est une des vertus qui caractérisent tous les Messagers du fait qu'Allah-Gloire à Lui-les a chargés de transmettre à leur peuple ce qu'Il leur révèle. Ils le font fidèlement, sans attendre de salaire, tout en endurant les maux que les autres leur infligent.

Allah-Gloire à Lui-a qualifié Ses Messagers de loyauté à plusieurs reprises. Citons, par exemple, ces versets de **la surate 26"As-Sù arà" (Les Poètes):**

[Lorsque "N, uh"(Noé), leur frère; leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?. Je suis pour vous un Messager digne de confiance."] **V.106 et107.**

[Quand Hud, leur frère, leur dit:"Ne craindrez-vous pas Allah?. Je suis pour vous un Messager digne de confiance. **V.124et125.**

[1]"Mura'i" ce terme n'a pas d'équivalent en français, en voici l'explication, d'après le livre "Les Interdictions" du Cheikh Yassin:"Al-Murà i" est celui qui lance une critique contre son frère musulman, afin d'y montrer une contradiction dans ses propos, de rabaisser sa valeur, faire preuve d'une supériorité sur lui et ne visant dans tout cela que l'opposition aux avis de son frère.

La Loyauté "Al-Amanah"

Traduction de :
Hoda Hussein Chaâraoui.[1]

La loyauté est l'opposé de la trahison... Le mot peut servir pour qualifier un trait de caractère humain. On dit: Untel est loyal. Il peut aussi désigner le dépôt-qu'il soit matériel ou moral-qu'on confie à quelqu'un.

Les secrets des gens sont placés en dépots de confiance chez ceux qui les consultent comme le Prophète-b.s-l'a signalé en ces termes:"***Celui qui est consulté, doit être loyal de sorte à ne jamais dévoiler les secrets d'autrui.***"

Hadith raporté par El-Termizie.

Il en est de même pour les médecins qui soignent les malades, ils sont tenus de ne pas dévoiler les secrets des gens. Ainsi, tout ce que l'homme dépose chez un autre qu'il s'agisse de sommes d'argent, de marchandises ou d'autres objets... C'est là un dépôt qui lui est confié et dont il doit assurer la sauvegarde jusqu'à ce que le propriétaire le récupère.

Il en est de même pour les organes de l'homme et son corps; ils constituent un dépôt qui lui est confié et sur lequel il aura à rendre compte le Jour du Jugement Dernier. Allah-Gloire à Lui- a prescrit à Ses serviteurs de garder précieusement ce qui leur est confié et de le remettre à son ayant-droit. Il a dit:[**Certes, Allah vous commande de rendre les dépôts à leurs ayants-droit, et quand vous jugez entre des gens, de juger avec équité.**]

Surate 4 "An-Nissa'"(Les Femmes) V.58.

Il a dit également:[**Ô vous qui croyez! Ne trahissez pas Allah et le Messager. Ne trahissez pas sciemment la confiance qu'on a placée en vous.**]

Surate 8"Al-Anfal"(Le Butin) V.27.

Le fait d'être loyal ne dépend pas de celui qui t'a fait confiance, mais dépend de toi; c'est toi qui dois être loyal si tu es un vrai musulman, comme nous l'apprend le Hadith du Prophète-b.s- qui a dit:"***Remets le dépôt à celui qui t'a fait confiance et ne trahis pas celui qui t'a trahi.***"

Hadith rapporté par Al-Dar Katny.



11- En fait, ton avertissement n'est profitable qu'à celui qui suit les prescriptions du Coran et qui craint le Miséricordieux, même s'il ne Le voit pas. Annonce à ces derniers la bonne nouvelle du pardon de leurs péchés par Allah et de la bonne rétribution pour leurs actions.

12- C'est Nous qui ressuscitons les morts et qui inscrivons les actions qu'ils ont accomplies en ce monde ainsi que les traces qu'ils y ont laissées après leur mort. Nous avons tout inscrit dans un Livre clair.

13- Rappelle - ô Prophète - à ton peuple, l'histoire des habitants de la cité [1]: Elle ressemble à la leur. Les messagers s'y étaient rendus pour les guider vers la Voie Droite.

14- Nous leur envoyâmes d'abord deux messagers qu'ils démentirent; alors Nous les appuyâmes par un troisième. Ces trois messagers leur dirent: "Nous sommes envoyés à vous".

15- Les habitants de la cité leur répondirent: "Vous n'êtes que des humains comme nous. Le Miséricordieux n'a rien révélé à des humains; vous n'êtes que des gens qui disent des choses irréelles."

16- Les messagers répliquèrent: "Notre Seigneur qui nous a envoyés vers vous, sait que nous sommes des messagers envoyés à vous.

17- D'ailleurs nous ne sommes chargés que de vous transmettre clairement le message d'Allah."

18- Les habitants de la cité dirent: "Vous nous portez malheur par votre arrivée. Nous jurons que si vous ne cessez votre appel, nous vous lapiderons et nous vous ferons endurer un supplice particulièrement douloureux."

19- Les messagers dirent: "Votre mauvais présage, dû à votre incroyance, vous est attribué. Est-ce que lorsque vous êtes exhortés à faire ce qui causera votre bonheur, vous tirez mauvais présage de notre présence et vous nous menacez d'un supplice douloureux? Vous êtes, certes des gens qui outrepassez toutes les limites de la vérité et de la justice".

A SUIVRE

(1) Selon les exégètes, il s'agit de la ville d'Antioche.



l'attention des humains sur la goutte qui est à l'origine de leur création et, malgré cela, l'homme s'oppose en adversaire (à Allah). Or, à qui appartient l'origine de la première création? Qui fait jaillir le feu à partir des arbres verts? Celui qui a créé les cieux et la terre est capable de ranimer les os qui sont à l'état de cendres. Il est Celui qui dit à la chose "sois" et elle "est". Le Souverain de toute chose est au-dessus de tout manque, et c'est vers Lui que vous serez ramenés.

1- "Ya - Sîn": deux lettres qui commencent la sourate de la même manière que débutent certaines sourates du Coran, par des lettres isolées.

2- Je jure par le Coran qui renferme la sagesse et le savoir utile.

3- Que tu es certes - ô Mohammad - parmi ceux qu'Allah a envoyés aux gens pour les guider par la vraie religion,

4- Sur une Voie Droite qui est la Religion de l'Islam,

5- Religion révélée par le Fort et le Vainqueur sur toute chose, par Celui que personne ne peut empêcher de faire ce qu'Il veut. Il est compâtissant envers Ses serviteurs, car Il leur a envoyé celui qui va les guider vers la voie du salut.

6- Afin que tu avertisses ceux dont les proches ancêtres n'ont pas été prévenus avant cela: ils sont inconscients de leurs devoirs envers Allah, envers eux-mêmes et envers les gens.

7- Par Notre Savoir, Nous savons d'avance que la plupart d'entre eux n'optent pas pour la foi. La réalité concorde exactement avec ce que Nous savons à leur sujet: ils n'auront pas la foi.

8- Nous avons fait en sorte que ceux qui persistent dans l'incroyance soient semblables à des êtres qui portent des chaînes autour de leur cou, ces chaînes leur arrivent jusqu'au menton. Leurs mains sont fortement attachées à leur tête qu'elles soulèvent tout en gardant leurs regards baissés. Ainsi ils sont incapables de bouger la tête pour voir.

9- Nous avons fait en sorte que ceux qui sont privés de voir les signes et les preuves, soient semblables à des êtres enfermes entre deux barrieres et qui ne voient donc rien: ils ne voient ni ce qui est devant eux, ni ce qui est derriere eux.

10- Cela est egal pour eux: que tu les avertisses ou que tu ne les avertisses point, ils ne croient pas.

Sourate (36) "Yasin"
Mecquoise composée de 83 versets
Au nom d'Allah, le Miséricordieux, plein de miséricorde.

DR. ROKEYA GABR

Cette sourate débute par deux lettres faisant partie des lettres qui forment les mots de la langue arabe. Ce verset est suivi par un serment fait au nom du Coran et qui certifie que Mohammad - à lui bénédiction et salut - est l'un des messagers et qu'il est sur une Voie Droite que lui a indiquée le Coran, révélé par le Puissant et le Miséricordieux, afin d'avertir un peuple dont les ancêtres ne furent point avertis auparavant. La sourate offre le tableau des ingrats qui ne profitent pas de l'avertissement et explique que l'avertissement n'est utile que pour celui qui est prédisposé à accepter le Rappel et à craindre le Miséricordieux. Elle montre qu'Allah ressuscite les morts et qu'Il recense les actions de Ses serviteurs. La sourate offre ensuite un exemple destiné aux incroyants de la Mecque, en révélant la lutte qui oppose ceux qui invitent à croire en Allah et ceux qui démentent cela, en montrant quelle sera la fin de chacun des deux partis. Ensuite la sourate expose les preuves du pouvoir d'Allah qui doivent mener à croire et à craindre la menace d'Allah. Cette menace les surprendra en un jour où chaque être sera rétribué pour ce qu'il aura fait: les hôtes du Paradis auront des réjouissances et tous leurs désirs seront exaucés; quant aux hôtes de l'Enfer, ils seront chassés; alors qu'ils seront sous l'emprise du Tout-Puissant, leurs bouches seront scellées et leurs organes parleront. Si Allah l'avait voulu, Il aurait même changé leur aspect. C'est Lui qui transforme la force en faiblesse et la raison en débilité chez celui dont l'âge est avancé.

C'est Lui qui a protégé Son prophète contre toute imagination et toute divagation: Il ne lui a point appris la poésie; ce n'est point un métier digne de lui que celui où le poète s'abandonne au rêve. Mohammad n'a été envoyé qu'avec un Rappel clair qui puise ses fondements dans la logique et non dans l'imagination. La sourate se poursuit en rappelant les bienfaits d'Allah envers Ses serviteurs: Il leur a asservi le bétail qu'ils s'approprient et qui leur sert de monture. Or, malgré tous ces bienfaits qui sont mis à leur disposition, les hommes considèrent certaines divinités impuissantes comme les égales d'Allah. La sourate se termine en attirant

REVUE
AL AZHAR

Rabi Al-Akhar 1419 H. Aug. 1998 Vol. 71 Part IV

Section Francaise

Some of those who contradict Islam, became enemies to the Muslims, fought them and stood in the way of the call for Islam. Islam permits Muslims to fight those people and even urges for this fight. No one would ask Muslims to overlook those enemies or stand with folded arms and stretch necks to be slaughterd by others. Islam does not impose that on anybody because it contradicts with the nature of existence and the principle which says «Everyone had the right to defend himself». It is enough for proving that Islam loves peace that it demands and asks for it with those who do not attack it. It does not harm the love of Islam for peace and its call for it thus commands Muslims to fight those who assault them. This is the outcome of verses and (Hadiths) which call for fighting. They once include fighting when there is an attack and once they include no mention of the attack because Allah knows the situation (which means that the people are already fighting). Allah also knows that there are already existing verses that prohibit fighting someone who does not attack Muslims. Allah would never leave this matter which is connected with the future of humanity and world peace without an exclusive text and a clear statement. Such statement is provided in Allah's words:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

«And fight in the way of Allah against those who fight against you but do not be aggressive. Surely Allah loves not the aggression.

(Al Baqara : 190)

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

«And if they incline to peace, incline thou also to it, and trust in Allah».

(Al Anfal : 61)

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾

«Allah forbids you not respecting those who fight you nor for religion nor drive you forth from your home that you show them kindness and deal with them justly».

(Al Mumtahana : 8)

You must know that among the enemies of Islam are people who throw it with accusations and stick them to it. Those are people who hate Islam and plot against it and want to eradicate it from existence. They find the easy way for this purpose is to turn world countries on Islam and make them understand that it is a fight it is a fight against peace and human cooperation. World countries then become enemies to Islam and fight against it using every possible weapon.

The enemies of Islam work hard to make powerful countries believe that Islam does not deserve existence and that it does not cope with the spirit of the present time (regarding the great aim of making peace prevail all over the world). Those enemies make powerful countries understand that Islam is an evil on their citizens and on humanity as a whole. According to them if Islam is left alone ; such contries will be engaged in wars after wars and there will be continuous disrruption. Hence, they have to fight Islam as they fight harmful germs or murderous infection. This point makes this research very important and useful. It is far better than any other research for Muslims. It drives away such false accusations about Islam and removes the dangerous weapons used by the enemies of Islam to plot against it.

This research explains to Muslims the view of Islam concerning peace so they work for it without wasting their efforts in a struggle without an enemy. People on this earth will then know the trutn so they won't look at Muslims as enemies waiting to attack. The result of that will be cooperation and peace.

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾

«Repel evil with that which is best».

(Al Muminun : 96)

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

«Take the forgiveness and enjoin good and turn away from the ignorant».

(Al Araf : 199)

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾

«Then if they turn away, thy duty is only deliverance (of the message)».

(Al Nahl : 82)

These are the facts and rules which should becompact. Thus the «Fatiha» and the following «Suras» (chapters of the Qurien) return to these rules.

May be somebody would say «What you mentioned about the call of Islam for peace contradicts with its call for war and fighting all polytheists».

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾

«O Prophet, urge the believers to fight».

(Al Anfal : 65)

﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

«So smite above the necks and smite every finger-tip of them».

(Al Anfal : 12)

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾

«So when you meet in battle those who disbelieve, smite the necks».

(Muhammaed : 4)

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾

«So let those fight in the way of Allah who sell this world's life for the Hereafter».

(Al Nisa : 74)

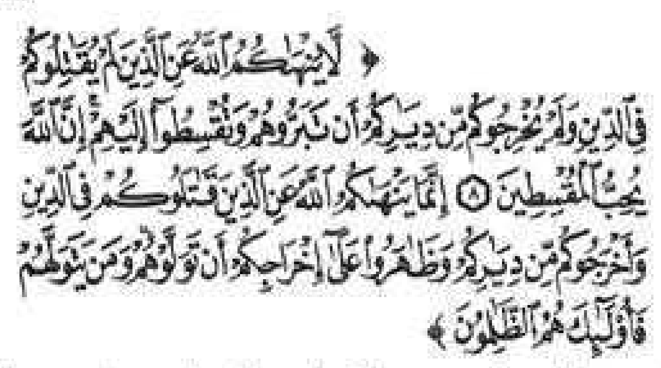
Do not those verses prove that Islam is a religion of war and that it calls for fighting? Does not Islam call for fighting heathens and polytheistst because it considers polytheism a crime that deserves war or punishment until the criminals leave their disbelief?

this right even after their attacking the Muslims and then being fought and beaten.

3. Allah allowed Muslims to hold a safe-keeping agreement with those who differ with them in religion (Thema). Muslims can live together with those people in one country.

4. The Prophet (P B U H) explained the rights of the Aliens (Ahlu Althema) the same as the rights of the Muslims. They get what we get and have to do what we must do. This means that they have the same rights as we do and that their duties are the same as ours.

5. Allah declared exclusively (in a way that allows no doubt or gives way to any interpretation) that difference in belief and religion does not lead to unbenevolence injustice. What leads to that is the assault launched on the Muslims by those who contradict Islam.



«Allah forbids you not respecting those who fight you not for religion nor drive you forth from your homes that you show them kindness and deal with them justly. Surely Allah loves the doer of justice. Allah forbids you only respecting those who fight you for religion, and drive you forth from your homes and help (others) in your expulsion, that you make friends of them, those are the wrong doers».

(Al Mumtahana : 8,9)

6. The Qur'an called for lenience and patience. Inviting others to Islam should be with good exboration.

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

«Call to the way of thy Lord with wisdom and good exhoration».

(Al Nahl 125)

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

«So remind. Thou art only one to remind. Thou art not a warder over them».

(Al Ghashiyah : 21,22)

change the laws of this universe is toil after toil. It only brings unwanted fatigue and stremeous labour.

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ
مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

«And if thy lord had pleased, He would have made people a single nation. And they cease not to differ. Except those on whom thy Lord has mercy, and for this did He create them. And the word of thy Lord is fulfilled. I shal fill hell with jinn and men, all together».

(Hud : 118,119)

If a Muslim knows that the nature of human being requires this difference and that this is Allah's will, then there should be no need for malevolence or hatred.

2. Allah put this decisive rule which can never be dealt with slightly.

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

«There is no compulsion in religion».

(Al Baqara : 256)

Accordingly, everyone chooses his own religion and no creature whatsoever has power over him. Anyone can select his creed as he does with his garment. Hence this leads Muslims to avoid compelling anyboody to embrace Islam. Muslims should not fight a nation to make it leave its religion.

3. Allah says:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ
حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾

«So when you meet in battle those who disbelieve, smite the necks then when you have overcome them, make them prisoners, and afterwards set them (free) as a favour or for ransom till the war lay down its burdens».

(Muhammaed : 4)

Allah allowed Muslims to set hostages free and spare their lives without compensation, or leave them and take a ransom. This is a practical way of teaching Muslims to give those who contradict them the right for existence and to grant them

Peace is the Muslims greeting when they meet or visit each other.This great salutation brings hearts together and strengthens relationships. All of that affirms That Islam loves peace, cares for it, wishes to spread its wings all over the universe, thus rising like a pearl everywhere on earth. That peace which Islam cares for is a dear and noble kind of peace which aims at sparing blood (saving lives) and spreading security and tranquility among people. It does not mean weakness, submission and leaving usurped tights, but it is a strong kind of peace based on readiness and preparation to frighten anyone that would be tempted to assault or oppress Muslims. The writer (May Allah have mercy on him) says:

Some religions call upon their followers to love all humans through cooperation with the followers of other religions whether they live with them in one country or they live in other countries in this world. Some other religions are not like that. They do not call for love or cooperation. They may even stand in the way of human cooperation and brotherhood due to their perversion and twisted nature. Such religions which belong to the second type fill life with evil because difference among human beings in creeds religions is a fact that can not be put aside or ignored.

There is no power whatsoever that can eliminate this difference. If a religion ignores this truth and wishes to erase other religions (becaus) it does not have this element of cooperation with followers of other religions) then it is trying to do what can never be done. Dissension, opposition, corruption and unending war will only follow. The true judgement then is that it is not right for the followers of this religion to exist with the followers of another religion in one country. They are not fit for cooperation with people living in this world. What can be worse than a country in which its citizens are enemies towards one another and are unable to cooperate to bring about something good or push aside any corruption? Is there anything worse than a deviating a nation in this world? Is there anything worse than a nation that attacks other nations, welcomes the flames of war, disturbs peace and stands in the way of the great object of humanity which is continuous peace on this earth ?

The first type of religion is a grace and a blessing on those who embrace it as well as on those who do not. It does not call upon those who adopt it to be involved in a war after another or to disturb world peace by launching assaults or holding weapons.

Where is the place of Islam? Does it have the element of cooperation between its followers and those who contradict it? Or is it of the second type, a war on other religions, battles against them and assaults on them whenever possible? A true researcher finds Islam among the religions which call for peace. Its followers can cooperate with those who contradict it either within the Muslim state or in another country and this can be made clear by the following points:

1. It is pointed out in more than one verse that difference in creeds and religions is a necessity among humans. Allah decreed this. It is an inevitable fact and the attempt to

Islam and peace

By Sheikh Mohamed Arafa,

Member of the Group of Leadig Scholars

Translated by Hanan Abdou El Tahtawy

The concept of peace in Islam occupies a great place in its teachings. It appears clear and bright in its goals and objectives. The word peace is mentioned in the Holy Qur'an in more than fourty verses (Aya). The verses which contain this noble word point; at strengthening the bonds of relationships among people and invite them to live in cooperation like brothers and not to be enemies. Allah. want people to be merciful not competitive towards each other.

Islam is derived from the word Salam or peace. Allah's first address to the first messenger on earth after the flood was a call for peace and an urge to spread it all over the new world.



«It was said O Noha, descend with peace from us and blessings on thee and on nations (spreinging) from those with thee» (Hud 48).

Salam or peace is one of the names of Allah. He has never sent a Prophet or a Messenger without granting him peace and overwhelming him with it so that peace becomes his slogan in life and the basis for his dealing with people. Due to the position of peace, Allah made the night in which Qur'an was revealed a blessed night encompassed with peace from beginning till end.



«Peace ! it is till the rising of the morning».
(Al QADR : 5)

Peace is genuine in the manners (nature) of the honourable Prophet (Peace Be Upon Him). Allah commanded him to make peace his slogan even with his enemies.

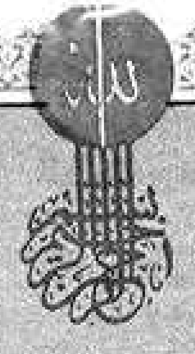


«So turn away from them and say peace!.
(Al·Zukhruf : 89)



AL-AZHAR MAGAZINE

Rabi Al-Akhar 1419 H. Aug. 1998



ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part IV

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

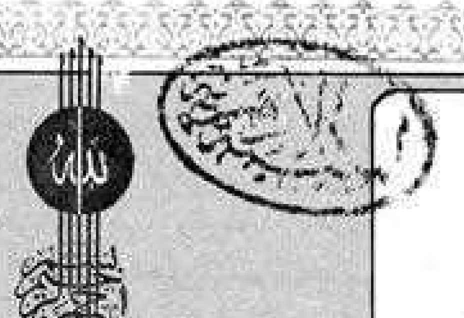
EDITORS: Dr. TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.



الفهـــرس



الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى
• • •
المشرف العام
رئيس التحرير
عبد المعز عبد الحميد الجزار
مدير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة
المراسلات باسم
مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣
الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

كيف تتحقق محبة رسول الله؟

صلى الله عليه وسلم

أحمد لله وأستعينه وأستغفره، وأصلى وأسلم على سيد الخلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد:

فإن محبة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون، وإليها يشخص العاملون، وعليها يتفانى المحبون، وبروح نسيمها يتروّح العابدون.

وهى قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذى من فقده فهو فى بحار الظلمات.

وهى روح الإيمان والأعمال والأحوال والمقامات.

وإذا كان الإنسان يحب من منحه فى دنياه مرة أو مرتين معروفاً فانيا، أو استنقذه من مهلكة،

جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - سبتمبر ١٩٩٨ م - الجزء الخامس - السنة الحادية والسبعون

أو مضرة لا تدوم ، فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ، ووقاه من العذاب الأليم مالا يفنى ، وإذا كان المرء يحب غيره على مافيه من صورة جميلة ، وسيرة حميدة ، فكيف بهذا النبى الكريم ، والرسول العظيم ، الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم ، المانح لنا جوامع المكارم ، والفضل العميم ، فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة ، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى ، وأزكى من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين .

روى البخارى عن أبي هريرة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .[1]

أخى فى الله وفى العقيدة : اعلم أنه لا حياة للقلب إلا بمحبة الله تعالى ، ومحبة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عيش إلا عيش المحبين ، الذين قرت أعينهم بحبيبهم ، وسكنت نفوسهم إليه ، واطمأنت قلوبهم به ، واستأنسوا بقربه ، وتنعموا بمحبته ، ففى القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله ، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات .

قال صاحب المدارج : ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية ، حتى يعرف الله ، ويهتدى إليه بطريق توصله إليه ، ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة ، فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة ، فينجذب إليها بكليته ، ويدأب فى تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ، وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ، ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ، فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته ، والإنابة إليه ، فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره ، وحديث نفسه ، على إرادة ربه وطلبه ، والشوق إليه ، فإذا صدق فى ذلك ، رزق محبة الرسول ، واستولت روحانيته على قلبه ، فجعله إمامه وأستاذه ومعلمه ، وشيخه ، وقدوته ، كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه ، فيطالع سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومبادىء أموره ، وكيفية نزول الوحى عليه ، ويعرف صفاته ، وأخلاقه ، وحركاته ، وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه ، إلى غير ذلك مما منحه الله ـ تعالى ـ حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه .

---

١ ـ البخارى ١/١٠ ومسلم / الإيمان والنسائى ٨/١١٤ .

أخى المسلم : إن لمحبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علامات :

- أعظمها الاقتداء به ، واستعمال سنته ، وسلوك طريقته ، والاهتداء بهديه وسيرته ، والوقوف على ماحده لنا من شريعة قال تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران : ٣١)

وقال المحاسبى : « علامة حب العبد لله ـ عز وجل ـ اتباع مرضاة الله والتمسك بسنن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه ، ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه .... »

- ومن علامات المحبة أن يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد فى نفسه حرجا مما قضى لقوله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء : ٦٥) .

- ومن العلامات كذلك : نصر دينه بالقول والفعل ، والدفاع عن شريعته ، والتخلق بأخلاقه ، فى الجود والإيثار ، والحلم ، والصبر والتواضع وغيرها .
- ومنها : التسلى عن المصائب ، فإن المحب يجد فى لذة المحبة ما ينسيه المصائب ، ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ، ليست طبيعة الخلق ، بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلى بحظوظه وشهواته .
- ومن هذه العلامات : كثرة ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره .
- ومنها : تعظيمه صلى الله عليه وسلم ـ عند ذكره ، وإظهار الخشوع والخضوع ، والانكسار ، مع سماع اسمه ، فكل من أحب شيئاً خضع له ، كما كان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه خشعوا ، واقشعرت جلودهم ، وبكوا ، كذلك كان كثير من التابعين ، فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة له وشوقا إليه وتهيبا وتوقيرا . قال التجيبى : واجب على كل مؤمن متى ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ، ويأخذ فى هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ، ويتأدب بما

أدبنا الله به . وكان قتادة : إذا سمع الحديث أخذه البكاء والعويل والزويل . أى : القلق والانزعاج .

● ومن العلامات : كثرة الشوق إلى لقائه ، وكانت الصحابة - رضى الله عنهم - إذا اشتد بهم الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة ، قصدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستشفوا بمشاهدته ، وتلذذوا بالجلوس معه ، والنظر إليه ، والتبرك به - صلى الله عليه وسلم - .

● ومن علامات محبته - صلى الله عليه وسلم - حب القرآن ، الذى أتى به ، وهدى به ، واهتدى به ، وتخلق به ، وإذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله ، فانظر محبة القرآن من قلبك ، والتذاذك بسماعه ، هل هو أعظم من التذاذ أصحاب الملاهى والغنى المطرب بسماعهم . ويروى : أن عثمان بن عفان قال : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله .

● ومنها : محبة سنته - صلى الله عليه وسلم - وقراءة حديثه ، فإن من دخلت حلاوة الإيمان فى قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله تعالى ، أو من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تشربتها روحه وقلبه ونفسه .

● ومن علامات محبته - صلى الله عليه وسلم - أن يلتذ محبه بذكره الشريف ، ويطرب عند سماع اسمه المنيف ، وقد يوجب ذلك شكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه .

إخوة الإسلام : إن من اتصف بهذه العلامات فهو كامل المحبة لله ورسوله ، ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ، ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - للذى حده فى الخمر ، لما لعنه بعضهم وقال : ما أكثر ما يؤتى به ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » فأخبر أنه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه[1] .

اللهم ارزقنا محبة رسولك ، ومحبة من يحبه ، واجعل اللهم صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

١ - طبقات ابن سعد ٣ : ٢ : ٥٦ والبداية ٨/ ٧٠ .

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ (٩٩) أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا
نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)
وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟
يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ
وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ
وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (١٠٣) ﴾

(البقرة - ٩٩ : ١٠٣)

أى : لقد أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالة على معانيها وعلى كونها من عند الله ، وبينا لك فيها علوم اليهود ، ومكنونات سرائرهم وأخبارهم ، وما حرفه أوائلهم وأواخرهم من كتبهم ، وما بدلوه من أحكامهم قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(النمل - ٧٦)

وإن هذه الآيات التى أنزلها الله إليك يا محمد ، ما يكفر بها ، ويجحد صدقها إلا المتمردون من الكفرة ، الخارجون على حدود الله المنتهكون لحرماته .

والهمزة فى قوله ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ للإنكار ، والواو للعطف على محذوف يقتضيه المقام ، أى : أكفروا بالآيات البينات ، وكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ، أى : طرحوه ونقضوه من النبذ وهو إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ومنه سمى النبيذ وهو التمر والزبيب إذا طرحا فى الماء ، وهو حقيقة فى الأجرام وإسناده إلى العهد مجاز .

والضمير فى قوله : ﴿ مِّنْهُم ﴾ يعود لليهود الذين اشتهروا بنقض العهود وقوله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يفيد الترقى إلى الأغلظ فالأغلظ ، أى أن فريقا منهم عرف بنقضه للعهد ، وأكثرهم عرف بكفره وجحده للحق .

قال صاحب الكشاف : واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود ، وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا ، وكم عاهدوا رسول الله فلم يفوا : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ .(١)

وقال الرازى : « والمقصود من هذا الاستفهام الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه ، لأن مثل ذلك إذا قيل بهذا اللفظ كان أبلغ فى التوبيخ والتبكيت . ودل بقوله : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا ﴾ على عهد بعد عهد نبذوه ونقضوه ، بل يدل على أن ذلك كالعادة منهم ، فكأنه - تعالى - أراد تسلية النبى ﷺ عند كفرهم بما أنزل عليه من الآيات ، بأن بين له أن ذلك ليس ببدع منهم ، بل هو سجيتهم وعادتهم وعادة سلفهم ... » .(٢)

ثم تحدث القرآن بعد ذلك عن نبذ اليهود لكتاب الله ، واتباعهم للسحر والأوهام ، فقال - تعالى - : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾

(البقرة - ١٠١ - ١٠٣)

---

(١) تفسير الكشاف : جـ ١ ص ٢٢٧ .

(٢) تفسير الفخر الرازى : جـ ١ ص ٤١٧ .

والمعنى : وحين جاء اليهود وأحبارهم رسول من عندالله ، وهو محمد ﷺ الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة ، طرح فريق كبير منهم تعاليم التوراة التى تشهد بصدقه ، وراء ظهورهم ، حتى لكأنهم يجهلون أنها من عند الله ، واتبعوا ما قصته واختلقته الشياطين من السحر والأوهام والمفتريات على عهد سليمان - عليه السلام - ومن هذه المفتريات والأكاذيب زعمهم أن سليمان - عليه السلام - كان ساحراً ، وما تم له ملكه العريض ، ولا ظهرت على يديه المعجزات الباهرة من تسخير الجن والريح إلا بهذا .

وقد أكذبهم الله - تعالى - فى هذا الزعم بقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ أى : بتعلم السحر والعمل به ، كما يزعم هؤلاء ، ولكن الشياطين ، هم الذين « كفروا » بتعلم السحر وتعليمه للناس ، وتعليمهم - أيضاً - ضرباً آخر منه وهو ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ من وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال به ، ولقد كان الملكان لا يعلمان أحدا من الناس السحر حتى ينصحاه بقولهما : إن السحر الذى نعلمك إياه . . القصد منه التمييز بين المطيع والعاصى ، وبين السحر والمعجزة ، فحذار أن تستعمله فيما نهيت عنه فتكون من الكافرين ، بخلاف الشياطين فإنهم تعلموه وعلموه لغيرهم لاستعماله فى الشرور والآثام ، ولإحداث التفرقة بين الزوجين ، ولكن هذا السحر الذى يتعاطاه الشياطين وأتباعهم لن يضر أحدا بذاته ، وإنما ضرره يتأتى إذا أراد الله - تعالى - ذلك وشاءه ، ولقد علم أولئك النابذون لكتاب الله المؤثرون عليه اتباع السحر ، أن من استبدل السحر بكتاب الله ، فليس له نصيب من نعيم الجنة ، ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ علماً نافعاً . ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ﴾ بالله ورسوله محمد ﷺ كما أرشدتهم إليه التوراة : ﴿ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ المعاصى والآثام لأثيبوا مثوبة من عند الله هى خير لهم مما آثروه واختاروه على كتاب الله ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

بيان لما صدر عن اليهود من تكذيب للرسول ﷺ وطرح لتعاليم كتابهم الذى أمرتهم باتباعه .

أخرج ابن جرير عن السدى قال فى قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾

أى لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فخاصموه بها . فاتفقت التوراة والقرآن ، فنبذوا التوراة والقرآن وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت ، فذلك قول الله ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أى كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود ، فنقضوا عهد الله ، لا يعلمون ما فى التوراة من الأمر باتباع محمد ﷺ وتصديقه [1] .

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٤٣ بتصرف وتلخيص .

وفى وصف الرسول بأنه آت من عند الله تعظيم له ، ومبالغة فى إنكار عدم إيمانهم به ، وإغراء للناس جميعاً بالدخول فى دعوته ، لأنه ليس رسولاً من تلقاء نفسه ، وإنما هو رسول من عند الله - تعالى - .

والمراد ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ التوراة . وتصديق الرسول ﷺ لها ، معناه أن ما جاء به من تعاليم موافق لها فى أصول الدين ، وأن ما جاءت به من صفات للرسول المنتظر بعد عيسى - عليه السلام - لا تنطبق إلا عليه ﷺ .

وعبر - سبحانه - عن تركهم العمل بالكتاب الذى نزل لهدايتهم بالنبذ ، مبالغة فى عدم اعتدادهم ، وتناسيهم إياه ، لأن أصل النبذ طرح وإلقاء ما لا يعتد به .

وفى إسناد النبذ إلى فريق من الذين أوتوا الكتاب ، سخرية بهم ، واستجهال لهم ، لأن الذين أوتوه هم الذين نبذوه ، ولو كان النابذون من المشركين لكان لهم بعض العذر لجهلهم ، ولكن أن يكون التاركون للنور هم الذين أوتوه وأكرموا به ، فذلك هو الضلال المبين .

والمراد من ﴿ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ الذى نبذوه لما جاءهم رسول الله - ﷺ - التوراة ، لأنهم لو كانوا مؤمنين بها حقاً ، لاتبعوا الرسول ﷺ الذى ذكرت صفاته فيها ، والذى وجب عليهم بمقتضى كتابهم التوراة الإيمان به ، فهم بجحودهم لنبوته ، يكونون جاحدين لتوراتهم التى شهدت له بالصدق .

وقيل المراد بكتاب الله الذى نبذوه القرآن ، لأنهم لم يؤمنوا به ، بل تركوه بعد سماعه ، وتناسوا ما اشتمل عليه من هداية وإرشاد ، مع أنه كان من المتحتم عليهم أن يتلقوه بالقبول .

والذى نراه أن الرأى الأول أرجح ، لأن النبذ يقتضى سابقة الأخذ ، فى الجملة ، وهو متحقق بالنسبة للتوراة ، بخلاف القرآن الكريم فإنهم لم يسبق لهم أن تمسكوا به ، ولأن مذمتهم تكون أشد وجحودهم أكثر ، إذا كان المراد بالكتاب الذى نبذوه ، هو عين الكتاب الذى نزل لهدايتهم وآمنوا به وهو التوراة .

وقوله - تعالى - : ﴿ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ كناية عن إعراضهم الشديد عنه ، وتوليهم عن تعاليمه .

تقول العرب : جعل هذا الأمر وراء ظهره ، أى تولى عنه معرضاً ، لأن ما يجعل وراء الظهر لا ينظر إليه ، ففى هذه الجملة الكريمة تصوير صادق لإعراضهم عن كتاب الله - تعالى - حيث شبه - سبحانه - تركهم لكتابه ، بحالة شىء يرمى به وراء الظهر استهانة به ، وفى إضافة الوراء إلى الظهر ، تأكيد لنبذ ما ترك بحيث لا يؤخذ بعد ذلك .

قال الأستاذ الإمام : ليس المراد بنبذ الكتاب وراء ظهورهم أنهم طرحوه برمته ، وتركوا التصديق به فى جملته وتفصيله ، وإنما المراد أنهم طرحوا أجزاء منه وهو ما يبشر بالنبى - ﷺ - ويبين صفاته ويأمرهم بالإيمان به واتباعه ، فهو تشبيه لتركهم إياه وإنكاره ، بمن يلقى الشىء وراء ظهره حتى لا يراه فيتذكره ، وترك الجزء منه كتركه كله ، لأن ترك البعض يذهب بحرمة الوحى من النفس ، ويجرىء على ترك الباقى [1] .

---

(١) تفسير المنار جـ ١ص ٣٤٦ .

وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ جملة حالية ، أى طرحوه وراء ظهورهم مشبهين بحال من لا يعلم منه شيئاً ، ومن لا يعرف أنه كتاب الله .

وشبههم بمن لا يعلمون مع أنهم فى الواقع يعلمون أنه من عند الله ـ حق العلم ـ لأنهم نبذوه مكابرة وعناداً ، ولأنهم لم يعملوا بمقتضى علمهم ومن كان هذا شأنه فهو والجاهل سواء ، فى جحود الحق والانغماس فى الآثام .

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ بنفى الحال والاستقبال للإشعار بأنهم قوم لا أمل فى توبتهم وإنابتهم ، بل هم تمر بهم الأيام ، وتتوالى عليهم العظات ، ومع ذلك لا يتوبون ولا يرجعون إلى الحق ، فهم مستمرون على طرح كتاب الله فى كل وقت وآن ، ومصممون على ذلك .

ثم حكى ـ سبحانه ـ لوناً آخر من زيغهم وضلالهم واتباعهم للأباطيل بعد أن وبخهم على نبذهم لكتابه فقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ .

اتبعوا : من الاتباع وهو الاقتداء ، والضمير فيه يعود على اليهود المعاصرين للنبى ﷺ .

وتتلو : من التلاوة بمعنى الاتباع أو القراءة ، وقال الراغب : تلا عليه كذب عليه .

والشياطين : جمع شيطان ، وهو كائن حى خلق من النار ، ويطلق على الممتلىء شراً من الإنس .

والمعنى : إن هؤلاء اليهود نبذوا كتاب الله ، واتبعوا الذى كانت تتلوه وتقصه الشياطين على عهد ملك سليمان ، وفى زمانه ، من الأكاذيب والكفر ، ومن ذلك زعمهم أن ملكه قام على أساس السحر ، وأنه ارتد فى أواخر حياته ، وعبد الأصنام إرضاء لنسائه الوثنيات إلى غير ذلك من الأكاذيب التى ألصقوها به ـ عليه السلام ـ وهو برىء منها .

قال صاحب الكشاف : وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ أى على عهد ملكه وفى زمانه ، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة ، وقد دونوها فى كتب يقرءونها ويعلمونها للناس ، وفشا ذلك فى زمان سليمان ـ عليه السلام ـ حتى قالوا : إن الجن تعلم الغيب ، وكانوا يقولون : ماتم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه يسخر الإنس والجن والريح التى تجرى بأمره [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ معناه : وما كفر سليمان ولكن الشياطين هم الذين كفروا إذ تعلموا السحر وعلموه لغيرهم بقصد إضلالهم ، وصرفهم عن عبادة الله ـ تعالى ـ إلى عبادة غيره من المخلوقات .

ففى الجملة الكريمة تنزيه لسليمان ـ عليه السلام ـ عن الردة والشرك وتبرئة له من عمل السحر الذى كان يتعاطاه أولئك الشياطين وينسبونه إليه زوراً وبهتاناً ، ودلالة على أن ذلك السحر الذى نسبوه إليه وباشرته الشياطين نوع من الكفر .

وقد كان اليهود يعتقدون كفر سليمان ، وأنه ارتد فى آخر عمره ، وعبد الأصنام وبنى لها

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٢ .

المعابد ، وكانوا عندما يذكر النبى ﷺ سليمان بين الأنبياء يقولون : انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل ، يذكر سليمان مع الأنبياء ، وإنما كان ساحراً يركب الريح .

فإن قال قائل : ما الحكمة فى نفى الكفر عن سليمان مع أن صدر الآية لا يفيد أن أحداً نسب إليه ذلك .

فالجواب : أن اليهود الذين نبذوا كتاب الله ، واتبعوا ما تتله الشياطين من السحر أضافوا هذا السحر إلى سليمان ، وقالوا إنه كان يسخر به الجن والإنس والريح ، فأكذبهم الله - تعالى - بقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ كما بينا .

والضمير فى قوله تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ يعود على الشياطين الذين افتروا الأكاذيب على سليمان - عليه السلام - .

ويجوز أن يعود على اليهود الذين نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتله الشياطين على سليمان .

قال الأستاذ الإمام : فى قوله - تعالى - : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ : وجهان :

أحدهما : أنه متصل بقوله تعالى : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أى : أن الشياطين هم الذين يعلمون الناس السحر .

والثانى : وهو الأظهر أنه متصل بالكلام عن اليهود وأن الكلام فى الشياطين قد انتهى عند قوله - تعالى - ﴿ كَفَرُوا۟ ﴾ وانتحال اليهود لتعليم السحر أمر كان مشهوراً فى زمن التنزيل ولا يزالون ينتحلون ذلك إلى اليوم ، أى أن فريقاً من اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وههنا يقول القائل : بماذا اتبعوا أولئك الشياطين الذين كذبوا على سليمان فى رميه بالكفر وزعمهم أن السحر استخرج من كتبه التى كانت تحت كرسيه ؟ فأجاب على طريق الاستئناف البيانى ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ .

ونفى الكفر عن سليمان وإلصاقه بالشياطين الكاذبين ذكر بطريق الاعتراض ، فعلم - أيضاً - أنهم اتبعوا الشياطين بهذه الفرية ، وإنما كان القصد إلى وصف اليهود بتعلم السحر ، لأنه من السيئات التى كانوا متلبسين بها ، ويغشون بها الناس خداعاً وتمويهاً وتلبيساً [1] .

وإنما أضاف الله - تعالى - إلى اليهود أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان خاصة مع أنه كان معروفاً قبل سليمان - عليه السلام - كما أخبر به القرآن عن سحرة فرعون ، وإنما أضاف ذلك إليهم ، لأن هذا كان هو الواقع منهم ، ولأن سحر هؤلاء الشياطين الذين كانوا على عهد سليمان ، كان مدوناً فى صحف اليهود من قديم ، وتوارثه خلفهم عن سلفهم إلى أن وصل إلى من عاصر النبى ﷺ منهم ولأن سليمان - عليه السلام - أعطاه الله تعالى ملكاً واسعاً ، وسخر له الإنس والجن والريح ، فعزت الشياطين ذلك كله إلى تعلمه السحر .

و﴿ ما ﴾ فى قوله - تعالى - ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ موصولة ، وهى معطوفة على السحر فى قوله تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ أى يعلمون الناس السحر ، ويعلمونهم الذى أنزل على الملكين .

(1) تفسير المنار جـ ١ ص ٤٠١ .

والذى أنزل عليهما هو وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال به ، ليعرفه الناس فيجتنبوه ، على حد قول الشاعر :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

فالشياطين عرفوه فعملوا به ، وعلموه للناس ليستعملوه فى الشرور والمآثم بينما المؤمنون عرفوه واستفادوا من الاطلاع عليه فتجنبوه (١) .

هذا ، واختصت بابل (٢) بالإنزال ، لأنها كانت أكثر البلاد عملاً بالسحر ، وكان سحرتها قد اتخذوا السحر وسيلة لتسخير العامة لهم فى أبدانهم وعقولهم وأموالهم ، ثم جروهم إلى عبادة الأصنام والكواكب فحدث فساد عظيم ، وعمت الأباطيل فألهم الله - تعالى - هاروت وماروت أن يكشفا للناس حقيقة السحر ودقائقه ، حتى يعلموا أن السحرة الذين صرفوهم عن عبادة الله إلى عبادة الكواكب وغيرها قد خدعوهم وأضلوهم ، وبذلك يعودون إلى الصراط المستقيم .

واللام فى ﴿ الْمَلَكَيْنِ ﴾ مفتوحة فى القراءات العشر المتواترة ، وقرىء شاذاً ﴿ الملِكين ﴾ بكسر اللام .

قال بعض المفسرين : المراد بالملَكين - بفتح اللام - رجلان صالحان اطلعا على أسرار السحر التى كانت تفعلها السحرة ، فعلماها للناس ليحذراهم من الانقياد لتلبيسات الشياطين ، وسميا ملكين مع أنهما من البشر لصلاحهما وتقواهما ، ويؤيد هذا الرأى قراءة الملِكين - بكسر اللام - وإن كانت شاذة .

وقال جمهور المفسرين : إنهما ملكان على الحقيقة أنزلهما الله - تعالى - ليعلما الناس السحر ابتلاء لهم ، ليفضحا مزاعم السحرة الذين كانوا يدعون النبوة كذباً ، ويسخرون العامة لهم ويخرجونهم إلى عبادة غير الله ، و(هاروت وماروت) اسمان للملكين اللذين أنزل عليهما السحر ، وهما بدل أو عطف بيان للملكين .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ بيان لما كان ينصح به الملكان من يريد تعلم السحر منهما . والجملة حالية من هاروت وماروت .

والفتنة ، المراد بها هنا الابتلاء والاختبار ، تقول : فتنت الذهب فى النار ، أى : اختبرته لتعرف جودته ورداءته .

والمعنى : أن الملكين لا يعلمان أحداً من الناس السحر إلا وينصحانه بقولهما إن ما نعلمك إياه من فنون السحر الغرض منه الابتلاء والاختبار لتمييز المطيع من العاصى ، فمن عمل به ضل وغوى ، ومن تركه فهو على هدى ونور من الله ، ولإظهار الفرق بين المعجزة والسحر ، فحذار أن تستعمل ما تعلمته فيما نهيت عنه فتكون من الكافرين ، كما كفر السحرة بنسبتهم التأثيرات إلى الكواكب وغيرها من المخلوقات .

---

(١) ويجوز أن تكون (ما) معطوفة على قوله تعالى : ﴿ ما تتلو الشياطين ﴾ والمعنى على هذا الرأى . واتبع اليهود بعد أن نبذوا كتاب الله . السحر الذى تلته الشياطين على عهد سليمان واتبعوا كذلك السحر الذى أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . وعلى هذا الرأى يكون قوله تعالى : ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ جملة معترضة بين المتعاطفين قصد بها تبرئة سليمان من السحر وإضافته إلى الشياطين ، وبيان أنهم هم الذين تعلموه وعلموه الناس بقصد إضلالهم هذا وفى إعراب (ما) فى قوله تعالى : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ آراء أخرى اكتفينا عنها بما ذكرناه لوفائه بالغرض .

(٢) بابل : مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر .

فالمقصود من تعليم الملكين للناس السحر ، فضح أمر السحرة الذين كثروا فى تلك الأيام ، وادعوا ما لم يأذن به الله ، وإظهار الفرق بين المعجزة والسحر حتى يعلم الناس أن هؤلاء السحرة الذين قد يزعمون بمرور الأيام أنهم أنبياء ليسوا كذلك ، وإنما هم أفاكون ، وأخبروا عن أنفسهم بطريق القصر بأنهم فتنة للمبالغة فى الإقرار بأنهما لا يملكان نفعاً ولا ضراً لأحد ، وإنما هما فتنة محضة ، وابتلاء من الله لعباده لتمييز المطيع من العاصى .

ثم بين ـ سبحانه ـ لوناً من السحر البغيض الذى استعمله أولئك السحرة فى الأذى فقال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ أى فيتعلم بعض الناس من الملكين ما يحصل به الفراق بين المرء وزوجه .

فالجملة الكريمة تفريع عما دل عليه قوله تعالى قبل ذلك : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ لأنه يقتضى أن التعليم حاصل ، وأن بعض المتعلمين قد استعملوه فى التفريق بين الزوجين .

وخصص سبحانه هذا اللون من السحر بالنص عليه للتنبيه على شدة فساده ، وعلى شناعة ذنب من يقوم به ، لأنه تسبب عنه التفريق بين الزوجين اللذين جمعت بينهما أواصر المودة والرحمة .

والضمير فى قوله تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ راجع لأحد ، وصح عود ضمير الجمع عليه مع أنه مفرد ، لوقوعه فى سياق النفى ، والنكرة إذا وردت بعد نفى كانت فى معنى أفراد كثيرة ، فصح أن يعود ضمير الجمع إليه كذلك .

ثم نفى ـ سبحانه ـ أن يكون السحر مؤثراً بذاته فقال تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى : أن أولئك السحرة لن يضروا أو ينفعوا أحداً بسحرهم إلا بإذن الله وقدرته ، فالسحر سبب عادى لما ينشأ عنه من الأضرار ويجوز أن يتخلف عنه مسببه إذا أذن الله بذلك .

والجملة الكريمة معترضة لدفع توهم أن يكون السحر مضراً بذاته ، بحيث لا يتخلف عنه الضرر متى تعاطاه الساحر .

والمراد ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ هنا . تخليته ـ سبحانه ـ بين المسحور وضرر السحر ، أى : إن شاء حصل الضرر بسبب السحر ، وإن شاء منعه فلا يصيب المسحور منه شىء من الأذى .

وعبر ـ سبحانه ـ عن هذا المعنى بطريق القصر ، مبالغة فى نفى أى تأثير للسحر بذاته ، وإغراء للناس بتكذيب ما يزعمه السحرة من أن لهم قوى غيبية سوى الأسباب التى ربط الله بها المسببات ، وإرشاداً لهم إلى حسن الاعتقاد ، وسلامة اليقين .

ثم بين ـ سبحانه ـ أن أولئك المتعلمين السحر للأذى وللتفرقة بين المتحابين يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، فقال تعالى : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ أى : أن أولئك الذين تعلموا السحر ليضروا به غيرهم ، ولم يتعلموه ليفرقوا به بين الحق والباطل ، أو ليدفعوا به الشر عن أنفسهم ، قد سلكوا بهذا التعليم الطريق الذى يضرهم ولا ينفعهم ، وأصبحوا بذلك عاصين لما تصحهم به الملكان عند تعليم السحر .

وفى هذه الجملة الكريمة زيادة تنبيه على تفاهة عقول المشتغلين بالسحر للأذى ومبالغة فى تجهيل المصدقين لهم ، لأن الساحر ـ مهما بلغت براعته ـ فلن يستطيع أن يمنع شيئاً أراده الله ، ولا أن يأتى بشىء منعه الله ومادام الأمر كذلك فالمشتغل به ، والمصدق له ، كلاهما وقع فى ضلال مبين .

وقد أفادت الجملة الكريمة بجمعها بين إثبات الضر ونفى النفع مفاد الحصر ، فكأنه ـ سبحانه ـ يقول : ويتعلمون ما ليس إلا ضرراً بحتاً .

« يتبع »

هل يظلم الإنسان نفسه ؟

للشيخ
على حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما قال : قال - رسول الله - ﷺ : « الظلم ظلمات يوم القيامة » - متفق عليه -

وعن أبي موسى - رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ : « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

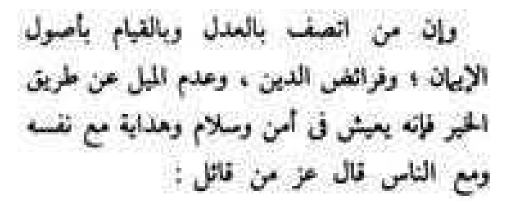
(هود-١٠٢) .

رواه الشيخان -

من أظهر مميزات الدين أنه قرر حقوق الإنسان لينصرف إلى عمله فى ثقة واطمئنان فأمر بالعدل بين الناس وإعطاء كل ذى حق حقه ، ومجازاة المحسن بإحسانه ومعاقبة المسىء على إساءته دون تفاوت أو تفاضل ؛ ليعيش الناس على قدم المساواة آمنين على دمائهم وأعراضهم وأموالهم .

فالعدل هو القيام بالحقوق على الوجه الأكمل ، ووضع الأمور فى نصابها ، وهو رأس الفضائل ، وتاج المكارم ، ورأس الخيرات ، وعنوان الكمالات ، وبه تنتظم أمور الدين والدنيا ، وعليه تتوقف سعادة المجتمع . من اتصف به كان محبوبا عند الله - عز وجل - لقيامه بالحقوق الواجبة ، وأعظم الحقوق وأوجبها حق الله على عباده أن يعرفوه ويوحدوه ، ولا يشركوا به شيئا . ولهذا كان من أعظم الظلم وأشده الشرك بالله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

(لقمان- ١٣) .



وإن من اتصف بالعدل وبالقيام بأصول الإيمان ، وفرائض الدين ، وعدم الميل عن طريق الخير فإنه يعيش فى أمن وسلام وهداية مع نفسه ومع الناس قال عز من قائل :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الأنعام -٨٢)

قال بعض الحكماء : الظلم ثلاثة : أولها ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى : وأعظمه الكفر والشرك والنفاق : ولذلك قال الله ـ تعالى

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

(لقمان - ١٣) .

والثانى : ظلم بين الإنسان وبين العباد ، وإياه قصد القرآن فى قول الله ـ سبحانه .

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الشورى -٤٢)

أى إنما الحرج والعنت على الذين يبتدئون الناس بالظلم ، كما جاء فى الحديث الصحيح فى تفسير ابن كثير ـ « المتسابان ما قالا ، فعلى البادىء مالم يعتد المظلوم » ، وهذا النوع من الظلم نتيجته أليمة ، وعاقبته وخيمة ، ونتيجته فى الدنيا الهلاك ؟ قال تعالى :

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾

(النمل -٥٢) .

وأما فى الآخرة ، فإن الظالم يلقى ظلمات متتابعة إذا خرج من ظلمة دخل فى غيرها من مظالم العباد ، فهى ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، كما فى الحديث « فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » حيث تحمل الظلمات على ظاهرها ، ويحتمل أن تكون كناية عن الهول والشدة بالنسبة للظالمين فهو تصوير لسوء العاقبة .

فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـ ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل » رواه أبو الشيخ بل إن الظالم يكون يوم القيامة مفلسا من الحسنات ـ فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه مسلم : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » .

ومن هنا ينصح رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ الظالم أن يرد الحق إلى صاحبه ، أو أن يستسمح صاحب المظلمة حتى يرضى ويصفح عنه .

فيقول : فيما رواه البخارى ، عن أبى هريرة

رضى الله عنه عن النبى - ﷺ - قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه .

أما النوع الثالث : فهو ظلم الإنسان لنفسه : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أى لأنفسهم .
(الأعراف- ١٩)

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾
(الطلاق- ١) .

والأنواع الثلاثة فى الحقيقة ظلم للنفس ، فالظالم أبدا مبتدىء بنفسه فى الظلم . وقد جاء ذلك فى كتاب الله فى أكثر من موضع . قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
(العنكبوت-٤)

فمن ظلم النفس بمنع الزكاة احتباس القطر من السماء ، ونزع البركة من المال وتعريضه للآفات .

ومن ظلم النفس بانتشار الزنى والفواحش ظهور الأوبئة والأمراض الخطيرة .

ومن ظلم نفسه بتعاطى السموم كالخمر والمخدرات جر على نفسه بلاء عظيما وأمراضا فتاكة وجنى على مجتمعه ، بلاء كبيراً .

ومن ظلم نفسه بالسرقة نشر الخوف فى المجتمع ، وزعزعة الأمن بنشر الرعب بين الناس .

ولقد استعاذ النبى - ﷺ - من خصال الشر .

روى ابن ماجه بسنده إلى عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال أقبل علينا رسول الله - ﷺ - فقال : يامعشر المهاجرين خمس خصال - إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان ولم ينقضوا عهد الله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ماق أيديهم ، وما تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم ، إن من تحمل أمانة العمل أيا كان هذا العمل ثم مالت نفسه الأمارة بالسوء ففضل رغبة دنيوية ، ومصلحة ذاتية فلم يؤد العمل على الوجه المطلوب فاختلس الوقت أو الجهد أو المال ولم يراع ما التزم به فهو ظالم لنفسه . والأب والأم ظالمان لنفسيهما إذا فضلا أحد أولادهما عن الآخر معاملة وعطاء ، والمرأة ظالمة لنفسها إذا تهاونت فيما فرض عليها أو قصرت فى حق زوجها ، أو عرضت نفسها للفتنة ، والبائع ظالم لنفسه إذا غش فى سلعته .

وكل مقصر فيما وكل إليه من أعمال يسأل عن ذلك فى

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾
(الفرقان-٢٧) .



الطريق إلى الهداية

لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر

منذ بعث الله محمدا ـ ﷺ ـ بالهدى ودين الحق ، حرص على أن يحث الناس على التدبر ، والتفكر ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شىء .

وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تعلى من شأن العقل ، وتحث على إعماله ، والانتفاع به ، باعتبار أنه نعمة من أجل النعم التى أنعم الله بها على عباده .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم : ٢١) .

ويقول الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم : ٢٤) .

ويقول الله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص ٢٩) .

ويقول الله تعالى ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر : ٢١) .

وحين دعا رسول الله الناس ـ بأمر الله ـ أن يتفكروا ، وأن يتدبروا كان على يقين تام أن من أكبر العوائق التى تحول بين الناس وبين اتباع الهدى الذى جاءهم به ، تمسكهم بما ألفوه وتوارثوه عن الآباء والأجداد . وقد كشف القرآن الكريم عن هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة . . . منها قول الله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٠) .

وقد كان هذا هو السبب فى إعراض أهل مكة عن الإيمان بمحمد ـ ﷺ ـ فقد قالوا ـ كما حكى القرآن الكريم ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف : ٢٢) .

وأهل مكة ـ فى هذا المسلك ـ قد ساروا على نفس الدرب الذى سلكه الكفار من قبلهم وهذا

قال الله سبحانه :

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف : ٢٣) .

ونتيجة لتمسكهم بالموروث والتعصب له دون حجة أو برهان ولحيهم للتقليد والجمود ولعجزهم عن مواجهة الحجج الدامغة التى يملكها الحق فإنهم لجأوا إلى الجحود والعناد والاستكبار عن قبول الحق . وحبس العقول عن التفكير والقلوب عن التعقل .

والقرآن الكريم يكشف عن هذا الموقف المزرى الذى لا يليق بإنسان عاقل فضله الله على كثير من خلقه . فيقول الله سبحانه ﴿ حم ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ (فصلت : ١ ـ ٥) .

ومن هنا يظهر السر وراء إلحاح القرآن الكريم وتحريضه للناس على التفكر والتدبر . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١) .

روى ابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه وغيرهما أن رسول الله ـ ﷺ ـ قرأ هذه الآيات وبكى . ثم قال : « ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها » .

وكما مدح الله عباده الذين يتفكرون ويتدبرون ووصفهم بأنهم أولو الألباب ، فقد ذم الله أولئك الذين لا يتفكرون فيما حولهم ، ولا يعتبرون بمخلوقات الله ، الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف : ١٠٥) .

وحيثما يمم الإنسان وجهه وتفكر فيما حوله يجد العديد من دلائل الهدى ، ومعالم الحق . وإذا نظر فى هذه الدلائل التى لا تحصى ، والمعالم التى لا تستقصى ، فإنه يتحرر من إسار التقليد ، ويتخلص من ذل الجمود وينطلق فى آفاق المعرفة ، ويصل إلى اليقين ويتعرف على الحق . يقول الله تعالى ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات : ٢٠ ـ ٢١) .

وآيات الله ودلائل قدرته كثيرة ومتجددة وهى مبثوثة فى الأنفس والآفاق . يقول الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

ومن أمارات عظمة الإسلام أنه لفت الأنظار بقوة إلى هذه الآيات حتى يدرك الإنسان ذاته ، ويعرف قدره ، ويهتدى إلى خالقه فيطيع أمره ، ويخضع لسلطانه ، وهذا هو مايهدف إليه الإسلام . وذلك هو الطريق المؤدى إليه .

وكل الذين دخلوا فى الإسلام سلكوا هذا الطريق ، فهم لم يهملوا قضية الدين ، وإنما أعطوا هذه القضية ما تستحق من عناية ؛ لأنها قضية مصير ، ولذلك لم يجعلوها على هامش

حياتهم ، والحقيقة بنت البحث فقرأوا وبحثوا وتدبروا . قرأوا بتجرد ، وبحثوا بتعقل ، وتدبروا بوعى وإدراك ، راغبين فى معرفة الحق والتزامه وعلم الله صدقهم فهداهم إليه .

ذلك هو القاسم المشترك الذى عرفناه من أخبار كل أولئك الذين دخلوا فى الإسلام وهداهم الله إليه .

منذ سنوات قدر الله لى أن أقرأ كتابا من تأليف « موريس بوكاى » يزن فيه التوراة والإنجيل والقرآن بميزان العلم . فوجدت الرجل متجردا ، يبحث بكل موضوعية ، ويكتب بدون تحيز وقلت - يومها - لمن سألنى عن رأيى فى الكتاب والكاتب : « يبدو لى أن الرجل سائر على الطريق الصحيح ، وأعتقد أنه لو استمر سائرا ولم يتوقف سيدخل فى الإسلام » .

وقد صح ما توقعته ، ودخل الرجل فى الإسلام فعلا .

لم أكن أعلم الغيب ، وليس ذلك من شأنى ؛ لأن الله - وحده - هو الذى يعلم الغيب . ولم تكن لى معرفة بالتنجيم ، ولا باشرته فى يوم من الأيام ولست مؤمنا به . وإنما هى المقدمات التى توصل إلى نتائجها ما لم تعترضها موانع . نعلم ذلك علم اليقين ونؤمن به تمام الإيمان .

لقد كان رسول الله - ﷺ - واثقا كل الثقة ، أنه على الحق المبين ، ولهذا كان يسعى جاهدا لمناقشة أهل مكة وغيرهم ، وفتح مجال الحوار معهم وهو على يقين تام بانتصار الحق الذى يدعو إليه ، وأن رفضهم قبول دعوته لن يكون إلا بسبب عنادهم وجحودهم ، فقد قال الله تعالى

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۝ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(النمل : ٧٩ - ٨١) .

يعنى : أنه من أصر على كفره وعمى عن رؤية نور الهدى وسد أذنيه عن سماع الحق ، فإنك لا تملك هدايته مع أنك على الحق . ولذا فإن عليك أن تمضى لما أمرك الله متوكلا عليه وحده ، ومن تمام ثقة رسول الله واطمئنانه إلى أنه على الحق وأنه لا يحول بين الآخرين وبين قبول دعوته إلا أن يتحاوروا معه انطلاقا من نقطة البحث عن الحقيقة ، كان يقول لأهل مكة ما ذكره الله فى قوله :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾

(سبأ : ٢٤ - ٢٦) .

وعندما حدد الله معالم الدين الذى بعث به محمدا - ﷺ - وبين أنه دين التوحيد والوحدة الذى بعث به جميع الأنبياء والمرسلين . وذكر أن المشركين هم الذين يكرهون هذا الدين ويرفضون قبوله .

عقب بيان ذلك يأمر الله محمدا - ﷺ - أن يدعو إلى هذا الدين الحق ، الذى يجمع ولا يفرق فيقول سبحانه

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (الشورى : ١٥) .

وهذه شخصية عالمية مرموقة تسير على الطريق

نفسه المؤدى إلى الهداية . ذلكم هو الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا . فقد تواترت الأنباء ونقلت إلينا أقوالا منسوبة إليه يتحدث فيها عن الإسلام بطريقة يظهر فيها اتزان الرجل ودقة فهمه وسمو إدراكه ورجاحة عقله وعمق تحليله ومعرفته الواعية للآثار الضارة التى عادت على الإنسان فى الغرب بسبب الحضارة المادية التى فقدت عنصر التوازن . وأن الحضارة الإسلامية هى التى لم تغفل قيمة الروح ولم تهمل العناية بالمادة فى نفس الوقت . وأن ذلك التوازن الذى تحتوى عليه ضرورى لسعادة الإنسان ، ولذا فإنه يجب على الغرب أن يتعلم من الإسلام .

فى محاضرة ألقاها الأمير تشارلز ، قال ما يأتى : « إن المادية المعاصرة أحدثت خللا مروعا فى حياة الفرد والمجتمع ، لأنها مادية فقدت عنصر التوازن الضرورى لحياة سوية متناسقة متكاملة .

ولقد بدأنا نحن أبناء العالم الغربى نشعر بأننا قد فقدنا الإحساس الكلى بالكون والبيئة ومسئوليتنا الشاملة إزاء الخلق ، ويمكن لنا نحن أبناء الغرب من أجل إعادة اكتشاف الفهم الأصيل لوجودنا ، ومهمتنا أن نلتمس العون على ذلك من التراث الإسلامى المشبع بالنظرة الكلية الأصيلة إلى الكون والإنسان . كما يمكن لنا الاستفادة من هذا التراث فى تحسين نظرتنا نحو الأفضل .

لقد شهدت القرون الثلاثة الأخيرة فى الغرب انقساما خطيرا فى طريقة رؤيتنا إلى العالم المحيط بنا . فقد حاول العلم بسط احتكاره وسطوته المستبدة على طريقة تفكيرنا وفهمنا للعالم وانفصل العلم عن الدين .

إن العلم أدى خدمة جليلة بتبيانه لنا أن العالم أكثر تعقيدا مما نظن . بيد أن العلم فى شكله المادى الأحادى الحديث قد عجز عن تفسير كل شىء . ولاشك أن انفصال العلم والتكنولوجيا عن القيم والموازين الأخلاقية قد بلغ حدا مروعا مفزعا .

ثم قال : إن الثقافة الإسلامية جاءت للحفاظ على الرؤية الصحيحة المتكاملة للعالم . وعلى نحو افتقدناه نحن خلال الأجيال السابقة فى الغرب .

وهناك الكثير مما يمكن لنا أن نتعلمه من رؤية العالم الإسلامى فى هذا المضمار . وهناك طرق شتى لبناء صرح الفهم والتقدير المتبادل .

ولعلنا نستطيع على سبيل المثال أن نبدأ بزيادة عدد المعلمين المسلمين فى المدارس البريطانية .

إننا نحتاج إلى أن يعلمنا معلمون مسلمون ، حتى نتعلم بقلوبنا ، كما نتعلم بعقولنا » .

إن ما قاله الرجل فى هذه القضية الخطيرة يمثل صفعة لهؤلاء الذين يقدسون كل ما هو غربى ، حتى فى مجال التقاليد والعادات والأخلاق ، وأساليب الحياة ، ويسفهون كل من يتحدث عن حضارة الإسلام ، وسمو تعاليمه ، وعدالة شريعته ، ويصفونه بكل النقائص ، ويتهمونه بشتى التهم .. وإذا كان هؤلاء يبذلون قصارى جهدهم ، لتكون بلادنا تابعة للغرب ، فى إلحاده وماديته وعلمانيته ، التى عزل بها الدين عن الحياة ، فما جنى غير التعاسة والشقاء ، فماذا يقول هؤلاء، وهم يسمعون عقلاء الغرب يعترفون بفشل الحضارة المادية ، وينشدون السلامة والنجاة فى حضارة الإسلام ؟

إننى أدعو هؤلاء لأن يراجعوا موقفهم فى ضوء ما يقوله الأمير تشارلز وغيره ، من مفكرى الغرب إن كانوا يعقلون .

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .



بين الرسم المتبع والخط المخترع

للدكتور : علي إبراهيم محمد*

حين نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وبدأ تدوينه في حياته كان الناس آنذاك يتبعون نظاماً كتابياً معيناً يتضمن هذا النظام كثيراً من الفروق بين المكتوب والمنطوق تتمثل هذه الفروق في زيادة رموز كتابية لا يوجد لها مقابل في الأصوات ، أو نقص بعض الرموز التي لها مقابل صوتي ، أو غير ذلك من هذه الفروق التي لم تمثل عائقاً ـ آنذاك ـ أمام الناس في استخدام هذا النظام في كل أمور حياتهم اليومية . بل إن أصحاب الرسول ـ ﷺ ـ استخدموه في تدوين كتاب الله ـ عز وجل ـ .

ومع ظهور هذه الفروق وبروزها لم يحاول علماء العربية ـ في هذا الوقت ـ تقنين هذا النظام وتنميط قواعده إلا بعد فترة غير قصيرة ، وعندما بدأوا في ذلك كانت الفكرة النحوية والصرفية قد سيطرت على التفكير الكتابي ، وقد أدى ذلك ـ بالطبع ـ إلى بقاء كثير من الفروق بين المكتوب والمنطوق ، وتطلب الأمر ظهور علم جديد يتخذ من هذه الفروق مادة وموضعاً له حتى يتمكن الكاتبون من أداء كتابتهم على صورة جديدة ، هذا العلم هو ما سُمي بعلم الهجاء ، أو الرسم ، أو ما سماه صاحب كشف الظنون ، بعلم إملاء الخط [1] ، أو الخط المخترع [2] .

ومنذ ظهور هذا العلم الذي قنن هذه الفروق وعلل وجودها أصبح الخلاف قائماً بين العلماء في

* الكاتب : مدرس أصول اللغة ـ كلية اللغة العربية ـ القاهرة .

(1) كشف الظنون ـ حاجي خليفة 1/902 ط . دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ 1992 م .

(2) المطالع النصرية ، الشيخ نصر الهوريني ، ص 19 ، ط المطبعة الخيرية 1304 هـ .

مسألة كتابة القرآن الكريم ، هل يكتب بالرسم العثماني والذي يُطلق عليه الرسم المتبع ؟ أم تجوز كتابته وفقاً للمعايير والأسس التي اشتمل عليها هذا العلم الذي يُسمى بالخط المخترع ؟

ومن الواضح أن هذا الخلاف بين من يجيز كتابته بالرسم المخترع ، ومن لا يجيز ، قائم على فهم كل من الفريقين ، أو تصوره لمصدر الرسم العثماني هل هو توقيفي من الله - عز وجل - ؟ أم أنه من اصطلاح الصحابة - رضوان الله عليهم - ؟

وبين هذا وذاك ظهر اتجاه ثالث يجمع بين الرأيين فيكتب المصحف بالرسم العثماني ، ويشرح في الهامش الكلمات التي تختلف في الرسم الإملائي ، وها نحن نعرض لهذه الآراء الثلاثة ونوضح أدلتهم وموقف البحث العلمي منها .

١ - القائلون بوجوب اتباع المصحف الإمام :

يذهب جمهور العلماء إلى وجوب اتباع رسم المصحف ، وعدم جواز كتابته بالهجاء الاصطلاحي ، أو ما يُسمى بالخط المخترع ، ولهم على ذلك أدلة كثيرة منها :

(أ) أن النبي - ﷺ - أقر كُتّاب الوحي على ما كتبوه ، وإقراره لهم دليل على أن الرسم المصحفي توقيف من الله - تعالى - لا تجوز مخالفته [1] .

(ب) إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - على هذا الرسم وكانوا وقتئذ اثنى عشر ألفا [2] ، ثم إجماع التابعين بعد ذلك وتابعي التابعين ، فلم يخالف أحد منهم هذا الرسم ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه فكر في أن يستبدل بالرسم المصحفي رسماً آخر .

(جـ) إجماع الفقهاء - رحمهم الله - على هذا الرسم .

قال الإمام أحمد : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياءٍ أو واو أو ألف غير ذلك [3] .

وقد سُئل الإمام مالك هل يُكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا . إلا على الكتبة الأولى [4] .

قال أبو عمرو الداني : « ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة » [5] .

وقال البيهقي في « شعب الإيمان » : « من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على حروف الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ولا يخالفهم فيها ولا يغير عما كتبوا شيئاً ، فإنهم أكثر علماً ، وأصدق قلباً ، وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم » [6] .

لهذه الأدلة وغيرها ذهب جمهور العلماء : إلى وجوب اتباع الرسم المصحفي ، وعدم جواز كتابته بالإملاء الاصطلاحي .

(١) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين - د . عبدالحي الفرماوي ، ص ٣٧ ص (١) مكتبة الأزهر ١٩٧٧ م .

(٢) سمير الطالبين للشيخ الضباع ص ١٨ ط مكتبة المشهد الحسيني د . ت .

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق . الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ١/٣٦٩ ط ٣ دار الفكر ١٩٨٠ م .

(٤) إتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي تحقيق . د . شعبان إسماعيل ١/٨١ ط عالم الكتب والكليات الأزهرية ١٩٨٧ م .

(٥) المقنع للداني تحقيق . محمد الصادق قمحاوي ص ١٩ ط الكليات الأزهرية د . ت .

(٦) البرهان ١/٣٧٩ .

٢ ـ القائلون بجواز كتابة القرآن الكريم بالخط المخترع :

ذهب فريق من العلماء القدامى والمحدثين إلى جواز كتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائى . بل دعا إليه بعضهم ، فمن القدامى دعا إليه عز الدين بن عبدالسلام الذى يقول : « لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغيير من الجهال »[١].

ويأتى هذا من تصور هذا الفريق إلى أن الرسم المصحفى من اصطلاح الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يُفهم هذا من كلام القاضى أبى بكر الباقلانى الذى يقول : « إنما فُرض على الأمة الوصية فى القرآن وألفاظه ، فلا يزيدون حرفاً ولا ينقصونه ولا يقدمونه ولا يؤخرونه ويتلونه على نحو ما يتلى عليهم .

وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً ، إذ لم يأخذ على كُتاب القرآن ، وخطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه ، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف ، وليس فى نصوص الكتاب ولا فى مفهومه أن رسم القرآن وخطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص ؛ لأن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً ، ولا نهى أحداً عن كتابته ، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح[٢] .

وقد رُد على هذا الاتجاه بأن إقرار الرسول ـ ﷺ ـ الكُتَّاب الذين كتبوا المصحف سنة يجب اتباعها . كما رُد عليه بإجماع الصحابة والتابعين على هذا الرسم . ويضاف على ذلك أن هذا الرسم لو لم يكن له مزية إلا اتصال سند القارىء بسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ لوجبت المحافظة عليه من أجل ذلك . فهذا الرسم يجعل القارىء لا يكتفى بالمكتوب فى قراءة النص القرآنى بل إن عليه أن يتطلب النص بالسماع من أفواه الشيوخ الذين تلقوه عن شيوخ يتصل سندهم بسيدنا الرسول ـ ﷺ ـ .

وهذا مما يضعف هذا الاتجاه .

٣ ـ الرأى الذى توسط بين الأمرين :

بين من أوجب اتباع رسم المصحف الإمام ومن أجاز كتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائى ظهر اتجاه ثالث أراد أن يجمع بين الرأيين . هذا الاتجاه يتمثل فى محاولة الشيخ عبدالجليل عيسى ـ مع إيمانه فيما يبدو بعدم التوفيق ـ الجمع بين الرأيين فى مصحف سماه بالمصحف المُيسر ، وذلك باتباع الرسم العثمانى مع التنبيه فى هامشه على الوجه الاصطلاحى فيما تظهر فيه المخالفة[٣] .

ومع إيمانى بأنه من الناحية الواقعية توجد بعض فروق بين المكتوب والمنطوق فى الرسم المصحفى

---

(١) البرهان للزركشى ١/ ٢٧٠ .

(٢) منهج الفرقان للشيخ محمد على سلامة ١/ ١٥١ ، ١٥٢ بتصرف ط ١٩٣٨ م .

(٣) فى علم الكتابة العربية لاستاذى الدكتور عبدالله ربيع محمود ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف يسير ط ١ ، ١٩٩٢ م .

منها ما لا يوجد له نظير فى الرسم الإملائى إلا أن هذا لا يبرر -فى نظرى- المساس بالرسم المصحفى ، لا من قريب ولا من بعيد ، وذلك لمايلى :

١ - إن المساس به والقول بجواز كتابته بالإملاء الاصطلاحى يفتح مجالاً للتحريف والتبديل فى كتاب الله - عز وجل - الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وما حدث للتوراة والإنجيل من تغيير وتحريف ليس ببعيد منا .

٢ - إن هذا الرسم -كما تقدم- سبب فى اتصال سند القارىء بسيدنا رسول الله - ﷺ - لأنه لا يجعل القارىء يكتفى بالرسم فقط فى قراءة النص القرآنى ، بل عليه أن يتلقنه من أفواه الحافظين الذين تلقوه عن شيوخ يتصل سندهم بسيدنا الرسول - ﷺ - .

٣ - إن هذا الرسم لا يُكتب به إلا القرآن الكريم ولا يتعرض له إلا حافظو كتاب الله - عز وجل - أو من يريد حفظه ومن يقبل عليه بإخلاص ييسر الله - تعالى - له . قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾
(القمر - ١٧)

فلعل من تيسيره تيسير معرفة خطوطه التى لا تختلف كثيراً عما يكتب به الناس فى سائر أمور حياتهم .

وفى نهاية هذا المقال ، لنا أن نشير إلى قضية مهمة فى كتابة المصاحف فى أيامنا هذه ، وهى اختلاف دور النشر المعنية بطبع المصاحف الشريفة فى أمور مهمة خاصة بالرسم المصحفى ، ونحن ندعو إلى توحيد دور النشر فى هذه الأشياء والتى منها :

اختلافهم فى علامات الوقف ، فقد ترى موضع الوقف فى مصحف مشاراً إليه بعلامة الوقف اللازم (م) وترى نفس الموضع فى مصحف آخر مشاراً إليه بعلامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى (قلى) .

وقد ترى من يجمع بين الوقف الجائز مع كون الوقف أولى والذى علامته (قلى) وبين الوقف الجائز مع كون الوصل أولى وعلامته (صلى) ويرمز للوقفين بعلامة الوقف الجائز جوازاً مستوى الطرفين (ج) ، وقد حدث مثل هذا فى مصحف الأزهر الطبعة العاشرة [١] .

كذلك تختلف دور النشر فى عدد أسطر الصفحة الواحدة فالأكثر على أنها خمسة عشر سطراً ، ومنها من يقل عن ذلك ، والتوحيد فى عدد الأسطر وغيره ، أمر مطلوب لأن الحافظ حين يحفظ تكون الصفحة بعدد أسطرها وبعلامات الوقف فيها قد دخلت ذهنه وتصورها تصوراً تاماً فإذا ماأراد أن يقرأ فى مصحف وجده مخالفا لما حفظ عليه ، قد يؤدى ذلك إلى قلة حفظه ، لاسيما إن كان حافظاً حديث العهد ، نسأل الله أن يجعلنا من الحافظين لكتابه العاملين به .

---

(١) مصحف الأزهر الشريف . الطبعة العاشرة صفحة (ى) من التعريف بالمصحف .



للدكتور : الشبراوى محمد عبد الهادى الجهورى (*)

لكلمة بلاء وقع أليم لدى أغلب الناس ، فهى تعنى عندهم الشر الذى ينزل بالعبد فيصيبه فى نفسه أو فى أهله أو فيما يملك من متع الحياة ومباهجها ، ومرد ذلك ما يأتى :

١ ـ ارتباط هذه الكلمة عند عامة الناس بالشدائد والمحن التى تحل بساحة الإنسان فتعكر صفو حياته وتحول سعادته شقاء وهناءه عناء .

٢ ـ تلك المعانى الكثيرة التى تحتويها كلمة بلاء .

ففى المعجم الوسيط : بلى الثوب بلى وبلاء : رث وبليت الدار ونحوها : فنيت ، وأبلى فى الأمر : اجتهد فيه وبالغ ، وأبلى فلان فلانا : اختبره ، وابتلى الثوب : أخلقه ، وابتلاه : جربه وعرفه ، والبلاء المحنة تنزل بالمرء ليختبر[1] .

وفى مختار الصحاح : البلية والبلوى واحد والجمع البلايا وبلاه : جربه واختبره ، وبلاه الله : اختبره ، ويبلوه بلاء بالمد وهو يكون بالخير والشر[2] .

فالكلمة تنطوى كما هو ملاحظ على أكثر من معنى : فهى تعنى الاختبار والامتحان والتجريب والاجتهاد والفناء والمعرفة والكشف والظهور ، والمحنة تنزل بالمرء ليختبر وهذا الاختبار لا يكون بالشر فقط ـ كما يعتقد بعض الناس ـ ولكنه يكون بالخير والشر معا .

(*) الكاتب : مشرف على معهد الهجارسة الإعدادى بنين .
(١) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٧١ طبعة دار المعارف .
(٢) مختار الصحاح ص ٦٥ طبعة دار المعارف .

كلمة بلاء فى القرآن الكريم :

جاءت كلمة بلاء فى القرآن الكريم بمعنى اختبار الله لعبده بالخير أو الشر وامتحانه له بالعطاء أو المنع ، قال تعالى :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

سورة الأنبياء الآية (٣٥)

أى نختبركم بالشدة والرخاء والحلال والحرام لنعاملكم معاملة المختبر ، فنقف على صبركم فى الشدة والضراء وشكركم فى اليسر والرخاء واستمساككم بالحلال وابتعادكم عن الحرام امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

سورة الإنسان الآية (٢) .

أى : خلقنا الجنس البشرى من نطفة امتزج فيها الماءان ماء الرجل بماء المرأة ، ونبتليه بمعنى نختبره ، ومن أجل ابتلاء الله للإنسان ووضعه موضع الاختبار جعله سميعا بصيرا لكى يستطيع التمييز بين الخير والشر والنافع والضار .

وقال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

سورة الملك الآية (١ ، ٢) .

أى : الذى خلق الموت والحياة ليختبركم أيها الناس حتى يتميز الخبيث من الطيب والصالح من الطالح .

قال أبو الهيثم : « البلاء يكون حسنا ويكون سيئا وأصله المحنة ، والله تعالى يبلو عبده بالصنيع الجميل ليمتحن شكره ، ويبلوه بالبلوى يكرهها ليمتحن صبره فقيل للحسن بلاء للذلك »(١) .

وقال القاضى عياض فى تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

سورة الكهف الآية (٧) .

وجه النظم كأنه تعالى يقول : يامحمد إنى خلقت الأرض وزينتها وأخرجت فيها أنواع المنافع والمصالح والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكاليف ، ثم إنهم يكفرون ويتمردون ، ومع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم ، فأنت يامحمد ينبغى أن لا تنتهى فى الحزن بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق(٢) .

هذا ولقد أتت كلمة بلاء فى القرآن الكريم بمعنى الكشف والظهور ، قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

سورة الطارق الآيتان (٩ ، ١٠) .

أى : تظهر وتبدو خفايا النفوس فيصبح السر علانية والمكنون مشهورا ، وهذا المعنى قريب من معنى الاختبار والامتحان ، فالذى يختبر غيره

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٨٧ .

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٢١ ص ٨١ مكتبة دار الفكر .

يحاول الكشف عن مكنونات نفسه ومخبوءات ضميره ومدى اتساقه مع مرادات المختبر أو تخالفه مع هذه المرادات .

ومتى جاء البلاء فيما يحب الإنسان ويتمنى سمي حسنة أو نعمة .

قال تعالى :

﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

سورة الأنفال الآية (١٧) .

فالبلاء هنا نعمة لأنه يعنى النصر والغنيمة اللذين أفاء الله بهما على المؤمنين فى غزوة بدر الكبرى ، ومتى جاء البلاء فيما يكرهه الإنسان ويبغضه سمي مصيبة أو سيئة ، وقد اجتمع الأمران فى قوله تعالى :

﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

سورة الأعراف الآية (١٦٨) .

أى : اختبرناهم بالعطايا كالنعم والعافية ، والبلايا كالنقم والأسقام والشدائد لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصى إلى طاعة ربهم فلم يرجعوا .

حتى يميز الخبيث من الطيب :

على أننا نود أن نشير هنا إلى أن ابتلاء الله للإنسان بمعنى اختباره له لا يعنى عدم معرفته سبحانه وتعالى بما سيكون عليه الإنسان عندما تغشاه النعمة ، أو تحل بساحته النقمة ، فالمولى سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولكن الله عز وجل يختبر عباده ليجعل من أنفسهم شهداء على أنفسهم فيتحقق فيهم قوله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

سورة يس الآية (٦٥) .

وأيضا ليتميز الخبيث من الطيب ، والصالح من الطالح والصادق الإيمان ، القوى العقيدة ، من ضعيف الإيمان مذبذب العقيدة ، قال تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾

سورة محمد الآية (٣١) .

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

سورة هود الآية (٧) .

أى : هو الذى خلق السموات فرفع سمكها وسير أفلاكها ، وخلق الأرض فأرسى جبالها وأجرى أنهارها وقدر فيها أقواتها ليختبركم أيها الناس أيكم أحسن عملا ، فيتميز المحسن من المسىء بتلك النعم ، فمن شكر فهو المحسن ومن كفر فهو المسىء .

قال القاضى عياض فى تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

سورة الكهف الآية (٧) .

إنه تعالى يبلوهم ليبصرهم أيهم أطوع لله عز وجل وأشد استمرارا على خدمته لأن من هذا حاله هو الذى يفوز بالجنة[1] .

وجاء فى تفسير الصاوى على الجلالين فى تفسير قوله تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

سورة الملك الآية (٢) .

(ليبلوكم : أى يعاملكم معاملة المبتلى المختبر فاندفع ما قد يتوهم من ظاهر الآية أن علمه تعالى يتجدد بتجدد المعلومات)[2] .

وقال ابن جزى فى تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾

سورة البقرة الآية (١٥٥) .

ولنبلونكم : أى : نختبركم ، ويواصل ابن جزى كلامه فيقول : « وحيثما جاء الاختبار فى حق الله عز وجل فمعناه أن يظهر فى الوجود ما فى علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس

بعضهم بعضا ، لأن الله يعلم ما كان وما يكون[3] ، ومعنى هذا أن الله تعالى يريد أن يقطع الحجة على الإنسان بطريق عمل واختبار تجريبى من خلاله يستكشف الإنسان نفسه ويتبين حقيقة أمره فيتحقق فيه قوله عز وجل :

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

سورة الإسراء الآيتان (١٣ ، ١٤) .

البلاء ليس وسيلة تعذيب ولكنه وسيلة ردع وتهذيب :

والبلاء ليس وسيلة تعذيب ، ولكنه وسيلة ردع وتهذيب ، فالمولى عز وجل خلق الإنسان وزوده بوسائل التمييز المختلفة (السمع - البصر - الفؤاد) ليميز بين الخير والشر والنافع والضار ، كما أمده سبحانه وتعالى من واسع فضله وعظيم نعمه التى لا تعد ولا تحصى .

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

سورة إبراهيم الآية (٣٤) .

ولكن الإنسان كثيرا ما تطغيه النعمة فيضل الطريق وينحرف عن جادة السبيل ، فيميل مع الهوى ويستجيب لأهواء النفس الأمارة بالسوء ويجرى وراء إغراءات الشيطان الذى آل على نفسه غواية بنى آدم أجمعين إلا عباد الله منهم المخلصين ، وهنا يكون التقويم العملى والتذكير الربانى من الله سبحانه وتعالى للإنسان ، وذلك بسلب بعض نعمه عنه ليتذكر ضعفه وحاجته إلى واهب النعم وهو الله سبحانه وتعالى ، والمولى عز وجل يعطينا مثلا حيا لهذا الصنف من الناس ،

(١) تفسير الفخر الرازى جـ ٢١ ص ٨١ .
(٢) تفسير الصاوى على الجلالين ج ٤ ص ٩١
(٣) تفسير ابن جزى جـ ٢ ص ٣٩ .

وهم هؤلاء الذين تطغيهم النعمة وتشغلهم عن المنعم ، وكيف أنه عاقبهم بطغيانهم وكفرانهم لنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾

سورة النحل الآية (١١٢) .

وقد تكون وسيلة التقويم والتهذيب بإمداد الله للإنسان بمزيد من النعم فيتذكر فضل الله تعالى عليه فيثوب إلى رشده ويتجه بكليته إلى الله عز وجل معترفا بفضله سبحانه وتعالى عليه .

ومن هنا ندرك أن البلاء بالعطاء أو المنع وسيلة إصلاح وتهذيب للإنسان وليس وسيلة تعذيب ، فالمولى سبحانه وتعالى غنى عن تعذيب عباده بل إنه منزه عن تعذيبهم ، فهو القائل في محكم كتابه :

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾

سورة النساء الآية رقم (١٤٧) .

إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه :

وليس معنى هذا أن البلاء خاص بالغاوين أو المنحرفين عن جادة الطريق ، ولكن الله تعالى يبتلى عبده المطيع ليمكن له في ساحة الإيمان ، وليكون أسوة لغيره في الصبر عندما يبتلى بسلب النعمة ، وأيضا ليكون أسوة لغيره في الشكر عندما يبتلى بالعطاء والمنح ، وقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط »[١] .

ولما سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أشد الناس بلاء قال : « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ، وما عليه خطيئة »[٢] .

إننا من خلال ما قدمنا نجد أن البلاء باعتباره امتحانا واختبارا من الله عز وجل للعبد له جوانب إيجابية لابد أن يفطن إليها العبد المؤمن ويعيها جيدا ، من هذه الجوانب الإيجابية للبلاء :

١ ـ إن البلاء يصقل العبد المؤمن ، ويمكن له في ساحة الإيمان ، فالنفس المؤمنة من خلال ما تتعرض له من شدائد ومحن يشتد يقينها بالله عز وجل ، فتوقن أن ماحل بها من شدة وما ألم بها من محنة إنما هو بعلم الله عز وجل وإرادته ، فهى تردد قول الله عز وجل :

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء ص ١٣٣٨ .

(٢) رواه الترمذى في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب الصبر على البلاء ص ٢٠٢ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ص ١٣٣٤ .

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

سورة الحديد الآية (٢٢) .

٢ ـ إن البلاء يطهر النفس وينقيها من الخطايا والآثام ، فالمولى سبحانه وتعالى يطهر عباده المخلصين ويصفيهم من الخطايا والذنوب بالشدائد والمحن كما تصفى النار الذهب مما علق به من شوائب وأدران ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « مايزال البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة »(١) .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدرى رضى الله عنهما عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا همٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه »(٢) .

٣ ـ من خلال البلاء تظهر العبودية الصادقة لله رب العالمين ، فالعبد الذى تحل بساحته الكارثة فيضرع إلى الله ـ عز وجل ـ بالدعاء ويستعين بالله تعالى على كشف ما ألم به من شدائد دون سخط على قضاء الله عبد قوى الإيمان ثابت العقيدة راسخ اليقين بالله عز وجل ، أما العبد الذى يفزع ويجزع ويضطرب ويسخط على قضاء الله عز وجل وقدره عبد ضعيف الإيمان مذبذب العقيدة ، ومن هنا : نقول إنه عن طريق البلاء يتميز الخبيث من الطيب ، ويظهر المؤمن القوى الإيمان الثابت العقيدة من المنافق المخادع المدعى على الإيمان ، قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

سورة الحج الآية (١١) .

٤ ـ إن البلاء والصبر على شدائد الحياة دليل محبة الله للعبد وبرهان رضاه سبحانه وتعالى عليه ، وهو وسيلة الوصول والرقى إلى مدارج العلى ومنازل القرب من الله رب العالمين فمن أراد الوصول اجتهد وصبر وثابر ، وحاول التغلب على عثرات الطريق ومشقات السفر ، وعلى قدر الصبر والمثابرة والرضى بما قضى الله وقدر يكون ثواب الله ـ عز وجل ـ للعبد ، فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن أعظم الجزاء من عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط »(٣) فينبغى على المؤمن أن يوطن نفسه على البلاء ، وأن يعلم أنه اختبار وامتحان من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيصبر على الشدائد والمحن ، محتسبا ثواب ذلك عند الله ـ عز وجل ـ ويشكره فى حالة الرخاء والنعم ، معترفا بفضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه ، فالمولى ـ عز وجل ـ يقول :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

سورة إبراهيم الآية (٧) .

---

(١) رواه الترمذى فى سننه ، كتاب الزهد ، باب الصبر على البلاء ص ٢٠ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الترمذى .

قضايا قرآنيـة :

قضية الرسم العثمانى

للأستاذ : صديق بكر على عيطة

حول رأى الامام مالك :

القرآن كتاب الله ، الذى أنزله على رسوله محمد بن عبد الله - ﷺ - والذى جاء بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . هذا الكتاب ، الذى هو سيد الكتب السماوية كلها ، والمهيمن على كل ما جاء فيها ، استحوذ على كثير من اهتمامات العلماء والدارسين فى كل عصر ، وفى كل أمة ، وتحت كل الحضارات ، حتى فاق كل ماسبق أو لحق به من كتب سماوية أو أرضية فى هذه الدراسات التى قام بها مؤيدوه ومعارضوه .

ومن هذه القضايا ، التى ثارت من حوله قضية رسم الكلمات ، فى كتابة المصحف ، التى اصطلح على تسميتها بـ « الرسم العثمانى » حيث ارتفعت بعض الأصوات التى تنادى بكتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث ، والتخلى عن الرسم العثمانى ، الذى لم يعد - فى رأيهم - صالحا لهذا العصر .

وقد اخترت من هذه الأصوات ، ذلك الكتاب الذى ألفه منذ نحو نصف قرن الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف تحت عنوان « الفرقان لابن الخطيب » . وأنا بهذا لم أقصد مناقشة الرجل ، ولكن مناقشة « فكره » الذى يمثل أفكار فئة من الكتاب والمحللين ، بدليل أنى صرفت النظر عن كثير من سقطاته ، التى خرج فيها عن حدود الحوار العف النزيه الذى يقصد به صاحبه تبين وجه الحق فى القضية التى كانت محل المناقشة .

وكتاب « الفرقان لابن الخطيب » يمثل الاتجاه الرافض للرسم العثمانى أصدق تمثيل ، وقد ساق فيه مؤلفه من الأدلة والبراهين على صدق دعواه ما لم يتح لغيره ؛ مما يمنح القضية قدرا أكبر من فرص التحليل ، الذى يشفى الغلة ، ويضع الحق فى نصابه ، وسيدور موضوعنا فى هذه القضية من خلال الرد على ما أورده المؤلف فى هذا الكتاب المشار إليه .

ففى صفحة ٥٧ من هذا الكتاب ، وتحت عنوان « أمية العرب » ، يذكر المؤلف - وهو يمهد

للطعن في الرسم العثماني - « أن العرب أمة أمية ، لا عهد لها بالكتابة أو القراءة » ثم يقول : « وليس هذا غمطا لحقهم ، ولا انتقاصا لفضلهم ، فهم من نعرف من النبل والفضل والسبق في الخيرات والمكرمات ، لكنهم كانوا أميين قبل كل شيء ، بل الأمية - التي نعتبرها نقصا وسبة للناس - هي إحدى مفاخرهم » .

ثم يستدل على ذلك بقول النبي - ﷺ - : « نحن أمة أميون لا نحسب ولا نكتب . الشهر هكذا وهكذا وهكذا » وقبض إبهامه في الثالثة . رواه أحمد في مسنده[1] .

ثم يستعرض - في إيجاز شديد - كيف وجدت الكتابة في الأمة الإسلامية . . ومن هذا كله ينطلق المؤلف ، إلى الطعن الشديد في كتابة المصحف ، مشككا في صحة الرسم العثماني ، الذي أصبح موضع تقدير واحترام من كافة المسلمين منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، وإلى الآن . يقول : « ولما كانت الكتابة بين العرب في أول عهدهم بالإسلام ، ولم يتموا إتقانها ، ومعرفة فنونها ، وقع في كتابة المصاحف اختلاف كبير في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة ورسمها ، لا من حيث معاني الكلمات ومدلولها » .

ثم يقول المؤلف في صفحة ٦٠ : « وإن الإملاء مهما تطور رسمه ، وتعددت مناحيه فإنه لا يغير نطقا ، ولا يحرف معنى .

« وإذا سلمنا بما يقوله بعضهم من أن الرسم القديم يتفق مع كثير من القراءات ، لوجب علينا أن نكتب المصحف المصرى بما يوافق اللهجة المصرية من القراءات .

« وإلا فكيف نكلف العامة - بل الخاصة الذين لم يحفظوا القرآن - قراءة ما لم يحيطوا به علما ، ولم يستطيعوا له فهما » أ . هـ كلام المؤلف .

أما نحن فإن ردنا عليه يكون على النحو التالى .

أولا : الأستاذ ، يدعى أن هناك مصحفا مصريا ؛ بما يتضمن أن هناك مصحفا سعوديا ، وآخر عراقيا ، أو سوريًا . . وهكذا . وفاته أن المصحف ، هو مصحف المسلمين كافة ، وفي كل أرجاء المعمورة ، ولا يغير من اسمه أن يطبع هنا أو هناك . والواقع خير شاهد على ذلك . فلقد قرأنا القرآن الكريم في المصحف الذى طبع في مصر ، والذى طبع في اليمن ، والذى طبع في السعودية ، والذى طبع في العراق . . وهكذا . وها هو ذا المصحف تتبادله بطبعاته المختلفة دول العالم الإسلامى ، من شرقه إلى غربه ، ومن شماله إلى جنوبه ، أيا كانت الدار التى طبع فيها ، وهو يتوافق تماما مع الرسم العثماني ، الذى يتسع للقراءات السبع المشهورة ، فلا معنى لما يدعيه المؤلف من التخصيص المزعوم .

ثانيا : إن من يقرأ عبارة المؤلف : « وإلا فكيف نكلف العامة . . الخ العبارة » يظن أن المشكلة صعبة ، وأن الرسم العثماني يقف عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها ، في طريق من يقبل على المصحف ليتعلم قراءة القرآن . في حين أن قراءة

---

(١) جـ ٢/ ١٢٢ ط ٧٣٥ المكتب الإسلامى

القرآن ، بلغت من البساطة فى تناولها حدا يدعو حقا إلى الإعجاب بهذا الكتاب المعجز من جانب إلى حد الإبهار ، والبسيط من جانب آخر ، إلى حد الإبهار أيضا . ولقد صدق الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

(القمر ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠)

فمن المشاهد المألوفة ، التى تقع عليها العين صباح مساء ، فى قرانا ومدننا ، وفى أحيائنا الشعبية ، أو الراقية ، أن ترى المرأة الشابة والفتاة التى فى ريعان شبابها ، والعجوز ، والشيخ الفانى والطفل .. يحمل مصحفا ويقرأ فيه دون أدنى تعثر . كل ما هنالك ، أن تعتاد أذنه سماع القرآن من « شيخ » مثلا ، أو أى رجل أو امرأة يحسن التلاوة ، ليقرأ المريد بعد ذلك دون أدنى عناء . ونحن - والحمد لله - نرى مشكلة التلقى الآن قد حلت تماما ؛ بإذاعات القرآن الكريم ، التى تغطى بإرسالها المتميز كل أرجاء العالم الإسلامى ، وكان ذلك دليلا صريحا وواضحا ، على صدق الحق فى بعض أوجه الإعجاز القرآنى ، تتضح مظاهره فى النصف الثانى من القرن العشرين ، كما لم تتضح من قبل ، والأيام حبلى بالكثير ؛ مما يبرز يوما بعد يوم ، أن آفاق الإعجاز القرآنى ، تتفتق عن الجديد كل يوم ، فى هذا الكتاب الأسنى . فإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ٩) فإن من أسباب حفظه التى هيأها الحق تبارك وتعالى أن يسره للذكر ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠) ويكون التيسير فى كل عصر بما يحمل من وسائل . أما أولئك « الخاصة الذين لم يحفظوا القرآن » ، فلا شأن لنا بهم ، وليس هناك مشكلة فى طريقهم ؛ وإنما مشكلتهم من داخل حياتهم الخاصة ، وليست من قبل الرسم العثمانى . وأما الكلمات التى لا تتفق مع الرسم الإملائى المعروف فلا تشكل أكثر من ٢/١٪ من كلمات القرآن الكريم ، فيما لو تغاضينا عن تكرارها ، وقد أصبحت معروفة تماما ، ولا تشكل أى عائق إلا فى خيال المؤلف ومن لف لفه .

وفى استدلاله على وجوب كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث يقول المؤلف صفحة ٦٠ : « قال أشهب رضى الله تعالى عنه : سئل مالك رحمه الله تعالى : أرأيت من استكتب مصحفا اليوم ، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى ، فسأله السائل عن نقط القرآن ، فقال : أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ، ولا يزاد فى المصاحف ما لم يكن فيها ، وأما المصاحف التى يتعلم فيها الصبيان فلا أرى بذلك بأسا » .

ثم يعلق المؤلف على رأى مالك قائلا ص ٦١ ، ٦٢ : « ومن العجيب أن علماء الرسم ، ومن لف لفهم ، يوردون من قول مالك - رضى الله تعالى عنه - مايتفق ورأيهم ، فيذكرون منه إلى قوله : ولكن يكتب على الكتبة الأولى ، ويسكتون عن باقيه ، وهو كتابة المصاحف بالرسم الحديث لمن يتعلمون القرآن » .

ويستمر قائلا : « وقد أصبح الناس جميعا فى زماننا هذا - عالمهم وجاهلهم - فى حكم الصبيان

الذين يتعلمون القرآن . عدا بضع نفر ممن أكرمهم الله بفهمه .

« ونهى مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن كتابته بخلاف الرسم الأول ، إنما هو نهى عن التلاعب بأصله ، المؤدى لضياعه وتحريفه » .

ثم يقول : « ونحن إذا جارينا علماء الرسم ، واتبعنا مالكا فيما أمر به ونهى عنه ، لوجب علينا أن نتبعه أيضا فى عدم النقط ، وعدم وضع أية إشارة لم يضعها عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى مصحفه ، الذى أجمعت عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

« ولكن مالكا ـ رضى الله تعالى عنه ـ [ولا يزال الكلام للمؤلف] قد أباح كتابته على الهجاء الحديث ، وأجاز نقطه لمن يتعلمون القرآن ، ويتلقنونه مع بقاء المصحف الإمام ، والمحافظة على أصله كما هو ، بدون نقط ولا إحداث شىء فيه » .

ثم يقول : « وهذا هو الرأى الذى نستصوبه ، وندعو إليه ، ونرغب فيه ، وهو أن يكتب المصحف الإمام ، كمصحف عثمان رضى الله تعالى عنه تماما ، لاينقط ولا يشكل ولا يدخل فيه ماليس منه ، ويبقى كأصل يحفظ أثرا لبقاء الرسم الأول وتكتب باقى المصاحف بالإملاء الحديث » أ . هـ كلام المؤلف ، صاحب كتاب « الفرقان » وعفوا أن أطلت ، فالقضية ذات شعب كثيرة ، ولا بد من عرض وجهة نظر المؤلف بأمانة ووضوح ؛ لتتم مناقشتها تفصيلا بما يترك وجهتى النظر أمام القارىء جليتين ، لا غموض فيهما .

وفى تعليقنا على ذلك نقول :

أولا : أورد المؤلف رواية مالك ليدلل على جواز كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث ، مع أن هذه الرواية لا تحمل أى دليل على ذلك . كل ما تدل عليه أن مالكا يرفض هذا الرأى ، والعبارة صريحة فى هذا الرفض : « لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى » فمن أين جاء المؤلف بجواز ـ أو ضرورة ـ كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث من عبارة مالك ؟ !

أما ما يتعلق بنقط المصحف ، فقد أجازه مالك ، فيما عدا المصحف الإمام ، والغريب أن يقول المؤلف : « ولكن مالكا ـ رضى الله تعالى عنه ـ قد أباح كتابته على الهجاء الحديث ، وأجاز نقطه لمن يتعلمون القرآن ويتلقنونه » .

إن الإمام مالكا ـ رضى الله عنه ـ سئل سؤالين : الأول عن الرسم ، وكانت الإجابة برفض الرسم الإملائى الحديث صراحة . والثانى عن النقط وكانت الإجابة بالموافقة فيما عدا المصحف الإمام ، ولا أدرى كيف فهم الأستاذ العبارة !! مالك يقول عن النقط : « لا أرى بذلك بأسا » ، واسم الإشارة يعود على المسئول عنه وهو النقط ، فكيف ضم إليه المؤلف ماسبق أن رفضه الإمام ؟ الله أعلم !!

ثانيا : لقد عرف الإمام مالك ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ بدقة روايته للحديث الشريف ؛ حتى أنه كان يروى الحديث قائلا : عن فلان . . عن فلان . . عن فلان . . عن صاحب هذا المقام [ويشير إلى مقام رسول الله ـ ﷺ ـ] أنه قال كذا وكذا وكانت هذه الإشارة إمعانا منه فى دقة الرواية ، ومتانة التثبت فيما يرويه ـ رضى الله عنه ـ فلو كان الإمام يرى فى المصحف خطأ يهدد قدسيته ، وحفظ الله له ، لما كان له أن يسكت ،

ولكان جديرا بأن يقف حياته كلها لإصلاحه ، ولكان جديرا بأن يستمع المسلمون جميعا لما يشير به . ألا نذكر هذه المقولة الشهيرة التى صارت مثلا يضرب على مر التاريخ كله « لا يفتى ومالك بالمدينة » ؟ ! .

وغير معقول أن ما وصل إلى المؤلف من خبىء الأسرار ، وغريب الأخبار ، قد عز وصوله لإمام المدينة - رضى الله عنه وأجزل له المثوبة - .

ثالثا : يذكر المؤلف فى صفحة ٦١ من كتابه المسمى « الفرقان » أن المصحف العثمانى كان محل إجماع من الصحابة - رضوان الله عليهم - ثم يقول فى صفحة ٩٠ ضمن الفصل الذى عنون له بـ « التناقض الموجود فى رسم المصحف » : « وقد جاء أن عثمان - رضى الله تعالى عنه - قال - حين عرض عليه المصحف فى كتبته الأخيرة - أرى فيه لحنا ، وستقيمه العرب بألسنتها » ثم يفسر كلمة عثمان هذه بقوله : « ولا شك أن عثمان يقصد بذلك اللحن الذى ستقيمه العرب بألسنتها : الخطأ البادى فى الهجاء ، والتناقض الموجود فى رسم المصحف القديم » أ . هـ كلام المؤلف .

فهل معنى ذلك ، أن إجماع الصحابة قد انعقد على أن هناك لحناً فى المصحف ، ثم تركوه زعما منهم بأن من سيأتون بعدهم سيقومون بإصلاحه ؟

ألا يعنى ذلك أن عثمان والصحابة ، كانوا يعرفون وجه الصحة فى ذلك ؟ فلماذا تركوه إذن ؟ وهل كانوا على يقين مِنْ أن مَنْ سيأتون بعدهم ، سيكونون « أكثر حرصا منهم على سلامة الآيات ؟ » .

إن هذا بالقطع يتنافى مع مفهوم قول النبى - ﷺ - : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

إذن لا فكاك عندئذ من أحد احتمالين : إما أن يكون عثمان بن عفان يجهل حقيقة موقعه هو وصحابة الرسول من التاريخ الإسلامى ، أو أن يكون خائنا للأمانة ، التى ينطق به ورفاقه . ولسنا فى حاجة لبيان بطلانها .

رابعا : يعلن المؤلف فى صفحة ٦٢ ، أنه يستصوب الرأى الذى يقول بضرورة تغيير الرسم فى المصحف إلى ما يوافق الرسم الحديث ، وعلى العموم - حرصا منا على حرية الرأى - نحن لن نعامله نفس معاملته لمخالفيه فى الرأى ، ولن ننعته بشىء مما نعتهم هو به ، مع أننا لا نوافقه ؛ فهو رأى شخصى بحت أملته عليه رؤيته الخاصة ، التى لا تلزم أحدا من المسلمين باتباعها ، ولا تفسّقه فى نظر أحد .

غير أن مانعيبه عليه أنه يحمله على رأى الإمام مالك - رضى الله عنه - وهو كما رأينا بعيد كل البعد عن منطوقه ومفهومه على السواء .

لقد أثبت الواقع المعيش ، أن هذه الكلمات التى تختلف فى رسمها العثمانى عن الرسم الإملائى المعتاد ، محدودة ، وإن كانت مكررة ، ولا تشكل أى عقبة أمام الناشئة فى حفظ القرآن الكريم ، فضلا عن أن بها من الإشارات مايدل بوضوح على كيفية نطقها الصحيح ، ولقد عرفنا منذ أن كنا أطفالا صغارا فى الكتاتيب ، أن هناك اختلافا فى رسم كلمات كذا وكذا ، وهى خاصة بالخط العثمانى فى المصاحف ، لا يقاس عليها إملائيا . إذن ليس هناك داع لهذا التعديل المقترح من قبل بعض الناس ؛ حتى لا يكون هذا التعديل بابا من أبواب التعديلات ، التى سوف ينادى بها كثير ممن ينتظرون مثل هذه اللحظة .



منذ أن فقد العالم الإسلامي - بصفة عامة - ومصر - بصفة خاصة - الإمام الكبير والداعية الإسلامي، فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، وسيل جارف من السادة القراء، لمجلة الأزهر، من: مقالات وقصائد، وخلجات مليئة بالأسى والحزن على فراق الإمام الداعية الذي كرس حياته في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والتبصير للدين الإسلامي بالفهم الصحيح.

ونعتذر عن تأخير نشر ما وصل إلينا وسوف نوالي بإذن الله - تعالى - نشر ما ورد إلى المجلة، بهذه المناسبة عن حياة مجدد الأمة، وترجمان القرآن الكريم في العصر الحديث، فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

شاكرين لكل من تفضل وأسهم في الكتابة إلينا.

وجزى الله الجميع كل خير، وعوضنا والأمة الإسلامية في الفقيد الكريم الراحل خيرا، وألهمنا جميعا الصبر.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (البقرة-١٥٦).



للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى

الإمام الشعراوى الأسطورة ، أو قل المعجزة الذى رحل إلى جوار الله ، وإلى عالم الخلود ، منذ أيام قلائل - فجر الأربعاء الثانى والعشرين من صفر ١٤١٩ هـ ، السابع عشر من يونيو ١٩٩٨ - كان يمثل بحق أرفع قيم الإسلام نسكا وعملا وخلقا وأدبا وإنسانية وبرا وعطاء ، وبكته مصر والعالم الإسلامى قاطبة ، وشعر كل مسلم بفداحة المصاب فيه ، ولكنه الصبر والإيمان بقضاء الله وقدره ، واللواذ بالخالق الأعلى يدفع إلى ترداد الآية الكريمة

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ (البقرة - ١٥٦)

ومع مكانة الإمام الشعراوى الإسلامية والفكرية والعلمية والاجتماعية فى وطنه ، بل وفى الوطن الإسلامى عامة ، لم يبلغ أحد من حب الجماهير وثقتهم وتعاطفهم معه ما بلغه هذا الشيخ الجليل ، الذى كانت الجماهير تتلهف لسماع حلقاته الإسلامية عبر الإذاعة والتليفزيون وفى الأمسيات الدينية فى كل مناسبة .

- ١ -

وكان الإمام الشعراوى صديقا للزعماء والقادة ورجال الفكر والدين والأدب ، ولعلماء الأزهر عامة على اختلاف مشاربهم وميولهم ونزعاتهم .

كرمته مصر ، فاستدعاه الرئيس محمد أنور السادات من السعودية عام ١٩٧٦ ليشغل منصب وزير الأوقاف والدعوة ، وظل فى هذا المكان حتى عام ١٩٧٨ ، ومنحه الرئيس السادات كذلك وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام ١٩٧٦ ، كما منحه الرئيس محمد حسنى مبارك عام ١٩٨٨ الجائزة التقديرية فى العلوم الاجتماعية . وفى عام ١٩٨٩ كرمته محافظة الدقهلية وسط حفاوة أبناء محافظته وتهليلهم ، وتبرع فى هذا الحفل بمليون جنيه لمكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى المحافظة . كما اختير عضوا بمجمع الخالدين عام ١٩٨٧ ، وعضوا بالهيئة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامى فى مكة . وفى عام ١٩٩٠ كرمته جامعة المنصورة فمنحته الدكتوراة الفخرية فى الآداب تقديرا وإكبارا لشخصيته الجليلة ، وفى هذا التكريم تحدث الأساتذة الدكاترة :

- عبد الهادى النجار عميد حقوق جامعة المنصورة .
- على بركات عميد آداب المنصورة .
- عبد الفتاح حسن رئيس الجامعة .

منوهين لعطائه لدينه ولوطنه وللعالم الإسلامى ، ولا ننسى خطبته الخالدة فى هيئة الأمم المتحدة منوها بدعوة الإسلام إلى السلام .

وفى هذا العام ١٩٩٨ - ١٤١٩ هـ كرمته دبى باختياره الشخصية الإسلامية الأولى فى العالم الإسلامى لعام ١٩٩٨ ، ومنحه سمو الأمير زايد آل نهيان وسام زايد من الدرجة الأولى ، وتبرع بالجائزة التى منحت له للأزهر الشريف وطلاب البعوث الإسلامية فيه .

ولا تسل عن حب الشعب له بجميع طبقاته ، والتفافهم حوله ، حتى كان بيته مقصد الجميع وذوى الحاجات وطالبى الخير ، وكان يتسع صدره لكل الناس ويقابل كل قاصد له ، وكل ذى حاجة ، حتى السيدات بجميع فئاتهن وألوانهن وطبقاتهن ومشاربهن .

والصرح الإسلامى الكبير الذى بناه هذا الشيخ الجليل فى بلدته دقادوس ، من معاهد أزهرية ومكتب لتحفيظ القرآن الكريم ومسجد فسيح ومستشفى لعلاج الفقراء ومبرة لمساعدة الفقراء ، عمل كبير سيلقى جزاءه عليه من المولى - عز وجل - فى دار الجزاء .

ودروس الشيخ فى شرح كتاب الله وتفسير آياته البينات كانت بحق من أرفع الشروح فى التفسير ، وكان الشيخ يبلغ فيها غاية السمو ، حتى ليفهمها الصغير والكبير والأمى والمتعلم ، والمثقف وغير المثقف ، ويستمع إليها فى شوق وحب كل الجماهير .

إلى مؤلفاته التى لاقت ذيوعا وإقبالا من الناس ما بعدهما من ذيوع وإقبال ، رحمك الله يا إمام الدعاة ، جزاء عملك الصالح للإسلام

وللمسلمين وللناس كافة ، فلقد أعطيت وبذلت ، وعملت مالم يستطع أحد عمله فى وطننا اليوم .

ـ ٢ ـ

لقد مات الشيخ عن ثمانية وثمانين عاما ، فقد ولد فى الخامس عشر من أبريل من عام ١٩١٠ ـ الثانى عشر من ربيع الآخر عام ١٣٢٨ هـ فى قريته دقادوس من أبوين كريمين صالحين ، وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بمعهد الزقازيق وهو فى نحو الخامسة عشرة من عمره وذلك عام ١٩٢٦ ونال الابتدائية والثانوية من هذا المعهد ، ثم التحق بكلية اللغة العربية ، ونال منها الشهادة العالية عام ١٩٤١ ، ثم إجازة التدريس التى تعد بمثابة (الماجستير) عام ١٩٤٣ ، وكان الذى ينال هذه الشهادة يقدم مع الامتحان الشفوى والتحريرى رسالة ، أى بحثا فى أى موضوع علمى يختاره وعين مدرسا للعلوم العربية ـ بعد أن نجح فى امتحان مسابقة كان الأول فيه ـ فى معهد طنطا الدينى الأزهرى ، ونقل إلى معهد الإسكندرية فالزقازيق ، إلى أن عين وكيلا لمعهد طنطا عام ١٩٦٠ ، فمديرا للدعوة بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١ ، فمفتشا للعلوم العربية بالأزهر عام ١٩٦٢ ، فمديرا لمكتب الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر آنذاك عام ١٩٦٤ ، واختير عام ١٩٧٠ أستاذا بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

وفى هذه الأثناء صدر له فى السعودية بالإنجليزية ـ كتاب « فيض الرحمن فى معجزة القرآن » وهو أول مؤلفاته وطبع منه ملايين من النسخ على طبعات متعددة وزعت فى أوروبا وأمريكا ، كما طبع منه بالعربية مئات الآلاف من النسخ وصح أن يطلق عليه من يومئذ لقب « جار الله » ومن جواره لبيت الله جاءته الفيوضات الإلهية من كل جانب .

وتولى الشيخ منصب وزير الأوقاف وشئون الدعوة عامين (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨) ، وبعدها تفرغ لشئون الدعوة الإسلامية تفرغا كاملا ، إلى أن توفاه الله ـ جل جلاله ـ إلى رحمته ، وقد دعا له الشعب كافة بأن ينزله الله منازل الشهداء والصالحين الأبرار من أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

ـ ٣ ـ

ويمثل الإمام الشيخ الشعراوى بالنسبة لى زميل الصبا ورفيق الشباب والصديق الوفى فى شتى مراحل طلب العلم ، والعمل فى خدمة اللغة والأدب والدين طيلة حياتنا حتى وفاته رحمه الله .

كنا فى معهد الزقازيق طالبين معا ، مذاكرتنا وسهراتنا وندواتنا معا ، وميولنا ومشاربنا السياسية والعلمية والأزهرية واحدة ، وقراءاتنا فى مختلف كتب الدين والأدب والشعر تكاد تكون كذلك واحدة ، واتجاهاتنا لمدرسة شوقى وحافظ اتجاهات مشتركة ، إلى قراءاتنا لشعر الديوانيين والأبولليين والمهجريين ، وللمجلات الأدبية الكبيرة من مثل السياسة الأسبوعية والرسالة والثقافة والعصور والمقتطف والهلال ، بل وللصحف اليومية وبخاصة صحف الوفد كالجهاد والبلاغ وغيرهما .

واشتركنا معا فى الثورة الوطنية عام ١٩٣٤ ضد

الإنجليز طلبا للاستقلال والجلاء واستنكاراً لتصريحات وزير الخارجية البريطاني السير صمويل هور ، كما اشتركنا في ثورة الأزهر ضد القصر ، وفي طلب تعيين الشيخ المراغي شيخا للأزهر من أجل الإصلاح والتجديد . وألفنا جمعية أدبية من الشعراوي ومني ومعنا الزملاء :

محمد فهمي عبد اللطيف ، وحسن جاد ، وطاهر أبو فاشا ، والمهدي مصطفى وغيرهم ، واخترنا الشعراوي رئيسا لها ، وكنت أنا الأمين العام لهذه الجمعية ، كما ألفنا جمعية الشباب في معهد الزقازيق من أجل الحركة الوطنية ، وكان الشعراوي رئيسا لها ، وأنا الوكيل لها ، ومحمد فهمي عبد اللطيف الأمين للصندوق ، ولم نقف عند هذا الحد ، بل ألفنا اتحادا عاما للطلاب في الشرقية كان الشعراوي رئيسه وكنت وكيله ، وذلك من أجل المطالبة بالحرية والاستقلال ، وأخرج الشعراوي أثناء ذلك ديوانه « بنات الفكر » ، وأخرجت أنا ديواني « وحي العاطفة » وأصدر حسن جاد ديوانه « زورق الشجون » وذلك عام ١٩٣٦ .

وفي كلية اللغة وفي عملنا بعد تخرجنا في الأزهر ، وفي شتى نواحي الدين والثقافة والأدب واللغة ، زادت صلاتنا وثوقا وتمكنا وامتدادا . . وقد كتبت عن الشيخ أديبا وشاعرا من قبل في مقالات عدة نشرت في الصحف المختلفة ، ولا زلت أذكر لقاءاتنا ومعنا صديق الفكر والأدب د . عبد العزيز شرف رئيس القسم الأدبي بالأهرام ، وأحاديثنا وحواراتنا في هذه اللقاءات ، وكيف كانت تبدأ وتنتهي لنعاودها كلما سنحت الأحوال ، لازلت أذكرها بفيض من الحزن العميق ، والذكريات اللاذعة ، لأن إمام هذه اللقاءات وبطلها قد فارقنا ، ليحيا حياة طيبة في جوار الله ورحمته . . إنه بشخصه قد غاب ، غاب ، ولكنه بشخصيته وروحه معنا كل لحظة ، وسيظل معنا دائما وأبداً ، إلى أن يحين اللقاء في جوار الخالق المعبود .

إني لأقول في عبرات لا تنقطع :

لقد كان الإمام ، إمام الدين ، لؤلؤة
يتيمة صافها الرحمن من كرم

وكان للدين والأيام مفخرة
ونعمة من جليل الخير والنعم

وكان . . ثم مضى لله محتسبا
شوقا إلى السدة العلياء والقمم

مضى وفيا لدين الله داعية
إلى الفضائل يبغي الرشد للأمم

وزاهدا ، حجة الإسلام متخذا
سيف العزيمة رغم السقم والهرم

مضى كريما عفيف النفس ذا ثقة
بربه ، داعيا لأكرم القيم

جزاه رب السماء فضل رحمته
في حسن مبتدأ منه ومختتم



ظاهرة يمكن الإفادة منها

للأستاذ الدكتور : سعد ظلام

لقد كان الشيخ ظاهرة فى الدعوة وآن لنا أن ندرسها لنتعلم ونتعرف منها معنى القدوة لنحقق للدعوة ولأنفسنا وللدعاة الخير والنجاح .

ونحن الآن فى ظروف رحيل إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، والإحساس الفاجع الذى شمل قطاعات الشعب المسلم فى كل أنحاء العالم بفقده ، والإحباط الذى سيطر على القاعدة الشعبية العريضة خاصة ، وكأنه عملية ارتطام صدمت مشاعره المتألمة تضمد جراحنا وتتأسى وتصبر ، وليس أمامنا حين نحتسب إلى الله غالياً إلا أن نصبر والصبر عند الصدمة الأولى .

والشيخ - يرحمه الله - كان نموذجاً فريداً في الدعاة، وطرازاً خاصاً من العلماء، وقد رحل عنا والساحة لا تزال في حاجة إليه، والنفوس المتعطشة الظامئة إلى علمه الغزير تعاني من الفقر والعوز في هذه النوعية من الدعاة الذين سيطروا بكلمتهم وسلوكهم على القلوب، والذين اكتسبوا حباً شعبياً جارفاً لم يحرزه عالم أو داعية أو فقيه من قبل إلا في القليل النادر «وقليل ماهم» وفي حقب زمنية متفاوتة.

ولقد تمكنت هذه العلاقة الخاصة بين الشعب والإمام أيما تمكن، ونمت في فترة مبكرة، واستمرت زمناً طويلاً لم تتأثر ولم تهتز. وقد حافظ الشيخ على هذه العلاقة محافظة طيبة، وبذل لها من سلوكه القدوة، وعلمه الوافر، وذكائه المفرط وبره وكرمه ما جعلها تدوم وتستمر، حتى أحسن كل فرد من أفراد الشعب أنه على علاقة حب خاصة بالشيخ الإمام، وهذه هي الثمرة التي يقطفها المريد من العالم.

أما العالم العالم فإنه يحقق بذلك صلة حب أسمى بالله، تنعكس أو ينعكس أثرها على كل من حوله «فإذا أحب الله فلاناً نادى جبريل» إن الله يحب فلاناً فأحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض، وهذه أجل نعمة يتطلع إليها العالم من المريد، ولقد كان للشيخ - يرحمه الله - حواريون ومريدون حققوا المعادلة الصعبة في زمن التنازلات.

وقد استطاع الشيخ بمهارة الربان وذكائه أن يجمع بين هذا الحب الشعبي ورضاء المسئولين في وقت واحد، وهذه براعة لا يحسنها الكثيرون إلا من عصم الله، ولأن هذه الأطراف المتباعدة لا تجتمع في قرن أو تتوحد في يد فرد إلا إذا كان مدرباً على القيادة فاهماً لأصولها وقواعدها وضوابطها واعياً بظروف كل مستوى من هذه المستويات ومداخله وحركته ونسق التصرف فيه، والقاعدة التي تحكمه، وهذا ما لم يتوافر للكثير من دعاتنا وعلمائنا، فبعض علمائنا يوثق علاقته بالمسئولين ثم يترك الرضاء الشعبي للظروف أو أن علاقته بالمسئولين تكون على حساب الرضاء الشعبي فيخسر وهو يظن أنه رابح، والبعض الآخر قد يقيم علاقة حسنة مع الشعب، ثم ينسى الطرف الآخر، فتتأزم العلاقة أو لا تسير في طريقها المرسوم، وبالتالي لا يحقق ما يريده، ولكن الشيخ الشعراوي - يرحمه الله - نجح بكل المقاييس في إدارة هذا التوازن إدارة الخبير الملتزم بالمنهج، المنضبط الشديد الانضباط، وقد ساعده هذا الرصيد في أن يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم، لأن الجميع يعرفون منهجه، ويدركون الحكمة في سلوكه فهو يعبر عن نفسه في الفتيا في أية قضية، ويعبر - أيضاً - عن هذا الرصيد الذي اكتسبه من الحب، لقد نهج نفس النهج النبوي في التماس - رضاء الله - فقال الحق فأغضب البعض حيناً ثم عاد إليه وهو مقدر له حبيب قريب هنا وهناك، ومن العلاقة المتميزة بين الفرقاء.

ولقد كان للشيخ منهج رسمه الله ورسوله التزمه وطبقه، فهو يتمثل قول الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾

(الأحزاب ٣٩)



ويلتزم قول رسوله فلقد كتب معاوية إلى عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن اكتبى إلى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى على ، فكتبت عائشة : « إلى معاوية : سلام عليك فإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس » والسلام عليك . . . » .

وكلمة الحق قد تغضب الكثير ، وقد يحجم البعض عن أن يصدع بها ، وقد يهتف بها فى تعصيب وتحد وانفعال ، والفريقان لم ينجحا فى التجربة وتحقيق الهدف ، وإن ظنا أنهما أحرزا بعض النجاحات ، فالأول يخسر رصيده فى وجدان الشعب إن كان له رصيد ، والثانى يخسر رصيده لدى المسئولين إن كان قد بقى له رصيد ، والحكمة إنما تكون فى الأمرين معا ، وفى هذا التوازن تكمن حكمة الشيخ ـ يرحمه الله ـ التى أدركها وهيأ لها من الوسائل والأسباب ما جعلها تبقى وتتألق وتستمر ، وهى تزداد فى كل يوم رسوخاً وتألقاً فقد التمس رضاء الله فكفاه الله مئونة الناس .

وقد جعله ذلك على رأس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ينصح الحكام والدين النصيحة لعامة المسلمين وخاصتهم ، ويبين لهم حكم الله فيجد فيهم التقبل والإذعان ، ويقدم للشعب كل ما لدى العالم من حليب المعارف والذخيرة فى النصح والتوجه ، والتبصر والهداية والرشد فيجد التجاوب والتفاعل والالتزام ، وهذا هو النجاح ، أو قل هو قمة نجاح الداعية ، ويهمنا أن نتوصل إلى منظومة العوامل التى هيأت الداعية الإمام لكل هذه النجاحات لكى نضعها أمام الدعاة ليلتزموا بها ، وأمام المخططين للدعوة لينظروا فى تطبيقها إن أرادوا تحسين الخدمة الدعوية .

وبداية نقول : إن الشيخ الشعراوى من خريجى كلية اللغة العربية ، وهذا يسقط دعوى الأوقاف بقصر تعيين خريجى أصول الدين والدعوة على وظائف الدعاة فالدعوة موهبة .

وهذا هو العنصر الأول من عناصر هذه المنظومة ، ولقد كانت موهبة الشيخ ـ يرحمه الله ـ موهبة فطرية ، وهى هبة إلهية يهبها الله لبعض عباده ، وهى حدث كونى مزلزل يأتى على غير ارتقاب ولا يخضع لنواميس البشر ، وقد تسمى عبقرية ، وقد نسب العرب كل أمر خارق إلى ما سموه « عبقر » يريدون أنه بلغ الغاية واستوفى شرائط الجمال والخلود ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (الرحمن ٧٦) .

والعنصر الثانى : الثقافة : لابد منها لكى تحقق الموهبة فعاليتها لابد أن تتثقف بالدراسة والتحصيل ، وهذا ما اجتناه الشيخ من أمهات الكتب ومصادرها ، وكنوز المعارف ومناشئها ، لقد تمرس بالقراءة والاطلاع منذ صباه الباكر ، طالباً فى الأزهر وجامعته ، ثم قارئاً لكل ما وقعت عليه عيناه من كتب ، وما طالته يده مهتماً بتراث السابقين يجيل فيه الطرف ، ويتأمل وينقب ويستفيد ، وبحكم تخرجه فى كلية اللغة العربية ، كان لابد أن تكون أسبق إلى تخصصه ، لقد درس علوم الدين كلها من خلال اللغة العربية ، ولهذا استقام لسانه ومنهجه ، ومن أسباب اهتزاز صورة الدعاة والمتعرضين للإفتاء أنهم يدرسون علوم

الشريعة بعيدة عن اللغة ، ولقد كان الأزهر قبل التطوير يقدم لأبنائه كل العلوم الشرعية من خلال اللغة العربية ، وكان أساتذة الكليات الثلاث وعمداؤها يتبادلون المواقع ، ومن هنا كانت معارفهم متوازنة ومستوية ، وأداتهم لا تخطىء ، ولسانهم لا يضطرب ، وحتى نحقق للدعاة هذا التوازن لابد من نظرة منهجية إلى ما يقدم لطلابنا فى الكليات الأصلية لتعود اللغة البوابة الأصلية فى فهم كتاب الله وسنة نبيه وفهم كل ما يتصل بهما من علوم ، إننا من خلال ولوعنا بالتخصص وانحياز البعض إلى تخصصه دون النظرة العامة التى تحقق رسالة الداعية والمفتى والخطيب والكاتب والأديب انحياز البعض أحدث ما يشبه القفزات فى لعبة « الأكروبات » فتخرج الداعية الذى لا يحسن صياغة الرسالة الإعلامية ، والمفتى الذى لا يحسن فهم النص ، والعالم الذى تضطرب رؤاه فيحتار ويضطرب لأنه لا يعرف أسرار اللغة ولا مدلولاتها واستعمالاتها .

والثقافة التى نطلبها فى الداعية ليست بالطبع ما حصله فى سنى الدراسة فقط ، ولكننا نريدها ثقافة تتسع لكل ما يقع حوله وتحت بصره من أحداث ورؤى وأحوال سياسية وأنظمة اقتصادية واجتماعية .

وما يحيط به من فكر وفلسفات وعلم الاجتماع والأدب والتربية والطبيعة ، لا نطالبه بالإحاطة والشمولية ولكن بثقافة جمعية ورؤية وفهم بطباعها وأنساقها ، فإذا تحقق له ذلك وثق فى أداته وفى نفسه وواجه المشكلات والأحوال برباطة جأش واندمج فى الحياة اندماجاً عضوياً فإذا التقطه الإعلام صنع منه نجماً داعية أو داعية نجماً ، وهذا ما حققه الإمام .

والعنصر الثالث القدوة والسلوك : فلابد للداعية أن يقول ما يفعل ، ويفعل ما يقول ، لا يخالف قوله فعله ولا العكس : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف : (٢ - ٣)

فإذا خالف القول الفعل ، أو الفعل القول اهتزت الصورة واضطرب المنهج وانقطعت الصلة الحاكمة والضابطة بين الداعية ومريديه .

والعنصر الرابع : تقوى الله وخشيته ، فلابد من أن يكون الداعية على صلة وثيقة بالله يخشاه ويراقبه مؤدياً لفرائضه ملتزماً بالأدب والخلق والاتزان ، يضوىء صورته دائماً لدى محبيه وعارفى فضله بما يلتزمه من إخلاص وتجرد ، وحب لله ولرسوله ، فإذا ادعى غير ما يظهر عليه حاله فلا بركة فيه ولا خير ، ولا أمل :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

والتقوى جماعُ الخير كلّه وهى المنزلة التى يرتفع إليها المسلم إذا التزم نهج الله أمراً ونهياً ، وهى زاد طيب فى مسيرة الحياة الدنيوية والأخروية ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة - ١٩٧).. وهى من أسباب الفلاح والنجاح والفوز .



وتقوى الله خير الزاد ذخراً
وعند الله للأتقى مزيد

ونحسب الشيخ - يرحمه الله - على أكمل ما يكون فى هذه الجوانب .

والعنصر الخامس : التواضع : وهو دليل على الفهم الصحيح للدعوة ، وعلى إحراز مزيد من التقوى والطاعات والقربات ، إنه ثمرة خلقية لا تكون إلا عند اكتمال الشجرة الإيمانية كل وسائل وجودها من الجذور والساق والفروع والأغصان والأوراق ، والظل ثمرة والزهرة ثمرة أخرى ، والتواضع ثمر الثمرات جميعاً ، وبه يقترب الداعية من جمهوره ومحبيه ويقتربون منه ، ويزدادون به صلة وتوثقاً ، وهذا يحقق الغرض الأساسى للدعوة .

وليس التواضع الذى نقصد المذلة والمسكنة فليس المسلم بذليل ؛ لأنه يستمد عزته من عزة الله ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون - ٨) ، لكنه كتواضع النحلة تدنو ولكن فى رفعة وسمو

ولعل هذا من أبرز ما يميز شيخنا الشعراوى فمن أهم سماته التواضع الذى كان فيه مضرب المثل .

والعنصر السادس : الإخلاص : والله يحب المخلصين ، وهو صفة من صفات الأنبياء ، فموسى كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ، ولقد تكررت الآية ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (الصافات - ١٢٨) .

فى سورة الصافات وحدها أكثر من ثلاث مرات لأن المخلصين الذين وقعوا فى هذا السور « إلا » ودخلوا فى عبودية الله الخاصة مخلصون له لا يشركون معه فى قلوبهم أحداً غيره ، ولهذا جاء على صورة اسم المفعول .

ولقد نعى الله على من يدعى باللسان أنه لو كان عنده علم عن الأولين لكان من عباد الله المخلصين ، والرد عليهم أن هذه درجة لا ينالها باستحقاق إلا من شغلوا أوقاتهم وعقولهم وقلوبهم وسلوكهم وتفرغوا لهذه العبادات ، إنهم يقدون أرواحهم ويدربونها ويهيئونها لمعارج الطهر والنور . . ﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ۝ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ الصافات : (١٦٧ : ١٦٩) .

ولابد للداعية من الإخلاص ، بل لابد لكل عمل من الإخلاص ، إنه يستصحب النية ويفرغ القلب من الشواغل ، وإذا خلصت النيات كان العمل صالحاً مقبولاً ، « وإنما الأعمال بالنيات » ، ومن أعظم أجرا ممن أخلص دينه لله واعتصم به ﴿ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء : (١٤٦)

ويستتبع إخلاص النية إخلاص العمل .

والعنصر السابع لغته ونحن نؤكد على اللغة باعتبارها الأداة للداعية ، فقد تخرج فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، وهى يومئذ - ولا تزال - تقدم لطالبيها مأدبة لغوية شهية ، وكان فيها أساتذة كبار ملأوا الدنيا علماً وأدباً وفقهاً وتأليفاً وتحقيقاً ، فنهل من علمهم ما عزز به موهبته ، ودرس دراسة متخصصة مكنته من زمام الكلمة .

وهو حين درس فى كلية اللغة العربية ألم إلماماً واسعاً بالأدب العربى لساناً وتراثاً وطرائف

فترسب هذا كله فى ذاكرته ، فاغترف منه ، وكلما اغترف زاد المعين لأن النبع عميق الغور ثجاج فياض .

ولقد كان لهذه الملكة اللغوية المدربة أثرها فى خواطره وفى دعوته وفى أسلوبه تفسيراً وتدقيقاً واستيعاباً ومرجعية وعصمة لسان .

وقد ترك هذا كله على أسلوبه سمة أدبية ، وطرزت قوله بما وعى من الملح والطرف والحكايات والوقائع فتفادى بهذا الملال والسأم ، وأشعل حس المتلقين ليتابعوه وهم أكثر نشاطاً وحيوية واستفادة .

والعنصر الثامن عمله بالتدريس ، والمدرس إذا كان متمكناً من مادته العلمية يحس بنشوة وسعادة وهو يؤدى درسه ، إنه يشعل عقول تلاميذه ويبهرهم بما أفاض الله عليه ، وهو كلما ازداد إطلاعاً زادت ثقته بنفسه ، وتفنن فى التوصيل فأتقن وأحسن .

والتدريس فى الأزهر بالذات يحتاج إلى نقاش وجدل وإلى صبر وتمحيص ، ومراجعة دائمة ، وكتب التراث التى تدرس توصل هذا النهج ، وكل هذا مما يزيد فى الثقة والمقدرة والكفاءة ويعين على الحوار ، وملاقاة الجماهير ، وقد أسهم هذا كله فى بروز الشيخ الشعراوى إعلامياً حين جاءته الفرصة ، فخاضها وأثراها ، وهو معد لها ومؤهل لذلك تمام الإعداد والتأهيل .

وما اضطراب البعض أمام عدسات التليفزيون إلا من باب عدم الثقة والنضج والاكتمال .

والعنصر التاسع : أسلوبه المتفرد الجائش بكل ما فى اللغة والتراث والمعاصرة ، وما فيه من جمال وقدرة على التوصيل ، وما فى مصريته من روح ودعابة وخفة ظل ، وهذا أضفى على طريقته نكهة خاصة ، وأفرد له منهجاً متميزاً لا يشاركه فيه سواه ، وينفرد هو على قمته مفرداً علما ، لقد اتصل بقاع المجتمع وتعمق فلسفته واستلهم من المجتمع مشكلاته وتبناها وعمل على حلها بكل ما يملك من مودة وجاه وسخاء نفس .

وهذه مهمة الداعية ، إن مهمته أن يندس فى قلب مجتمعه ويتعرف على ما يعوق تقدمه أو يسيء إليه ويقهره ثم يتوجه بكل ما يملك من حلول دينية ويستعمل صلاته بالجهات المعنية للإسهام فى حلها والسيطرة عليها ؛ ليحقق بذلك إرادة الله على الأرض ، وليوجد لرسالته صدى فى أعماق الناس وحياتهم .

والعنصر العاشر : الرسالة الإعلامية ، أو نجومية الإعلام ، والإعلام يصنع النجم الرياضى والفنى والموسيقى ، ولكنه لم يصنع الشعراوى الداعية ؛ لأنه عندما تقدم إليه التليفزيون أو قدمه كان قد تعدى الستين ، ولذلك كان فضل الشعراوى على التليفزيون أكبر من فضل التليفزيون عليه ، صحيح إن التليفزيون هو الذى قدمه وهو الذى عرف به الجماهير ، وهو الذى جعله يجود أداته ، ويتألق فى رسالته الإعلامية ، ولكن كل هذا كان سيتلاشى لو أن المعدن لم يكن ممتازاً ، والجوهر لم يكن متألقاً ، والجودة لم تكن على خير ما يرام .

والصدمة الإعلامية تردى إن لم يكن المقدم على مستواها من القوة والتأثير ، فهى كالمطبات فى الطيران لا يتحملها ضعيف القلب ولا يصمد لها إلا الأقوياء ، وقد كان الشيخ أقوى مادة وجدارة وأكثر مدى فى التوصيل ، قبل أن يلتقطه التليفزيون ففضله على التليفزيون أعظم من فضل التليفزيون عليه .



للدكتور: عبد الله بن محمد الحميد •

ببالغ الأسى والحزن فقدت الأمة الإسلامية عالماً جليلاً ومفسراً عظيماً للقرآن الكريم هو فضيلة الشيخ «محمد متولى الشعراوى» بعد معاناة مع أمراض الشيخوخة، وبعد أن ملأ الدنيا بأحاديثه الممتعة عبر الإذاعة والتليفزيون، ومؤلفاته القيمة التى تدور فى معظمها حول كتاب الله - عز وجل - فيما كان يطلق عليه «خواطره حول القرآن الكريم». وبما قال فى ذلك فى مقدمة كتاب «اللواء الإسلامى» وهى صحيفة إسلامية أسبوعية تصدر عن الحزب الوطنى الديمقراطى بجمهورية مصر العربية دأبت ولازالت على نشر أحاديث الشيخ الشعراوى.

فإنى لا أستبيح لنفسى أن أدخل على كتاب الله مفسراً، فليس عندى ما أرجح به أننى بالغ فيه ما يرضى نفسى عن نفسى، ولذلك آثرت أن أسمى كل ذلك خواطرى حول القرآن الكريم. والخواطر رزق يجدده الرازق ولا يلام عليه المرزوق، وكل ما أرجوه أن يجزى الله عنى وعن كل مفيد من خواطرى، وكل من تأثرت به سماعاً منه، أو قراءة له، أو تأسياً به، فمن كل هؤلاء خيرة عمل هذا، ولا أستطيع أن أقول أنى أتيت بجديد، لأن ما جئت به لهؤلاء وليد.. ورحم الله ابن المقفع إذ قال: «شربت الخطب رياً ولم أضبط لها روياً، ففاضت ثم فاضت، فلا هى هى، ولا هى غيرها». ولقد شاء الله لهذه الخواطر أن تكون نتيجة لكل ما تأثرت به حتى وإن كان سامعا يبدو من ملامحه الإعجاب، أو قارئاً يطريق فى كتاب... إلخ.

والحقيقة فإن وفاة الشيخ الشعراوى تعد خسارة كبيرة وثلمة فى كيان الإسلام من الصعب أن تعوض إلا أن يشاء الله - عز وجل -، فلقد كان - رحمه الله - ذا أسلوب متفرد فى تناوله للآيات

• الكاتب: عضو نادى أبها الأدبى.

البينات من الذكر الحكيم تأملاً وتفسيرا ووقوفا عند مظاهر الإعجاز البلاغي والنظمي ، بطريقة جذابة ممتعة يفهمها من يستمع إليه أو يقرأ مؤلفاته . وتتضح فيها السهولة والسلاسة وإشراق العبارة وعمق الدلالة وشمول الرؤية ، وسعة الثقافة ، والإحاطة بعلوم العصر ، فيما يمكن القول فيه بأن الشيخ الراحل جمع فى تفسيره للقرآن الكريم جملة من العلوم والفنون فقهية وحديثية ونحوية وبلاغية وطبية ورياضية وكيميائية وفيزيائية وفلكية ، ثم استطاع بتوفيق الله - تعالى - له أن يفيد من تلك العلوم فى تفسير كلام الله - عز وجل - وقدمه للمتلقين فى أسلوب سهل ممتنع يقبل عليه العالم المتعلم والأمى ومتوسط الثقافة بكل حب وإعجاب .

وحينما أقول بأن الشيخ الشعراوى - رحمه الله - [ظاهرة العصر] فإنما أعنى ما أقول حيث لا أعلم فيما أحاطت به ذاكرتى الكليلة أنه يوجد فى العالم الإسلامى المعاصر من يماثل الشيخ الراحل فى طريقته الفذة فى تفسير القرآن الكريم ، والتى أكسبته حبا وإعجابا وإقبالا جماهيرياً هائلاً ، وشهرة واسعة من مشرق العالم الإسلامى إلى مغربه ومن شماله إلى جنوبه .

فلقد كان - رحمه الله - مثالا رائعا للداعية المسلم ، والفقيه الواعى بأمور عصره حيث سخر ما آتاه الله من علم وفقه ووعى وثقافة فى تفسير كتاب الله - تعالى - بأسلوب خاص ، ومنهج خاص يجعل المستمع إليه يحلق معه فى الملكوت الأعلى فى ظلال القرآن الكريم ، فاجتمع على محبته ومحبة علمه الكبير والصغير ، والخواص والعوام والمسلم وغير المسلم ، فلقد ذكر لى أن النصارى فى مصر العزيزة كانوا يتابعون برنامجه التليفزيونى الشهير « نور على نور » .

وكان للفقيد تأثيره الواسع فى رجوع كثير من العصاة إلى نور الإسلام ، فتابوا على يديه ، وتأثروا بأسلوبه ، وأقلعوا عما كانوا عليه من ضلال وانحراف عن الحق بحيث يصدق فيه قول النبى ﷺ : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ، فلقد كان - رحمه الله - من أعلام الدعوة إلى الله على بصيرة فى هذا العصر جاهد بلسانه وقلمه طيلة نصف قرن وهدى الله به ملايين من المسلمين ، وحببهم فى دين الله - عز وجل - وأقام الحجة القاطعة على أصحاب الهوى ، والقلوب الضعيفة ، وكانت حجته الراسخة وأسلوبه المتسم بالحكمة واللين سببا من أسباب اهتداء كثير من الناس على يديه .

أما عن الناحية الأدبية عند الشيخ الشعراوى - رحمه الله - فلقد آتاه الله فصاحة فى اللسان ، وجمالا فى الإلقاء ، وروعة فى الأداء ، وحسن اختيار للألفاظ ، فكأنما هى طوع يديه يختار منها مايشاء ، إلى جانب ما كان يتمتع به - رحمه الله - من قوة الذاكرة التى كانت تختزن مئات الأبيات الشعرية التى ساعدته فى الاستشهاد بها أثناء أحاديثه المقروءة والمسموعة . ولا غرابة فى ذلك ، فلقد حفظ القرآن الكريم فى صغره ، ثم كان تخصصه العلمى فى اللغة العربية وعلومها حيث حصل على الشهادة العالية فى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٣٦١ هـ/١٩٤١ م ، ثم تنقل فى أكثر من موقع مدرساً ، وخطيبا مفوها ، فى بلده مصر ثم فى المملكة العربية السعودية ، فأكسبه كل ذلك إلى جانب ما كان يتمتع به من

قوة فى الموهبة الأدبية إلى الإبداع والتحليق فى النواحى الأدبية .

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أنه كان شاعرا من الطبقة الممتازة لكن اهتمامه بتفسير القرآن الكريم قد غطى على تلك الموهبة الفذة .

ولقد طرق الشيخ الأديب جملة من الأغراض الشعرية كالرثاء ، ومن ذلك مرثيته فى الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ التى قال فيها :

هانت خطوب الدهر بعدك فيصل
أيخاف بعدك أى خطب ينزل
الله من ناعيه كيف تحملت
أعصابه فوق الذى يتحمل
ولقد نعى ياهوله مما نعى
وأصاب يابلواه فيما ينزل

وحينما استشهدت مجموعة من أبناء مصر المناهضين للاحتلال الإنجليزى عام ١٣٥٥ هـ/١٩٣٥ م حيا الشيخ أولئك الشهداء فقال :

نداء يابنى وطنى مجاب
دم الشهداء يذكره الشباب
وهم نفس الضحايا والضحايا
بهم قد عز فى مصر المصاب
شباب بر لم يفرق وأدى
رسالته وهاهى ذى مجاب
فلم يجبن ولم يخل وأرغى
وأزبد لاتزعزعه الحراب
وقدم روحه لتلحق مهرا
ومن دمه المراق بدا الخضاب
وآثر أن يموت شهيد مصر
لتحيا مصر مركزها مهاب
يهون القيد فى تحرير مصر
وعذب فى قضيتها العذاب

ومن شعره مخاطبا المرأة المسلمة حاثا إياها على الحشمة ومحذرا لها من التبرج :

قصرت أكمامها وشلت ذيولا
هلا رحمت إهابك المصقولا
أسئمت من برد الشتاء سجونه
فطلبت تحرير المصيف عجولا
وخطرت تحت غلالة شفافة
فى فتنة تدع الحليم جهولا
محبوكة لصقت بجسم مشرق
دفعته ثورته فبان فضولا
المحت فى عرض الجمال وغرك
الفرار حتى أسمعوك فضولا

وأما أجمل شعره فهى (قصيدة الباكورة) التى استعرض فيها حياة النبى ﷺ ويبلغ عدد أبياتها مائتين وخمسة وعشرين بيتا قال فى مطلعها :

ياليلة المعراج والإسراء
وحى الجلال وفتنة الشعراء
الدهر أجمع أنت سر نواته
وبما أتاك الله ذات رواء
فلك العلا دارت عليه شمسه
والشمس واحدة من الإنشاء
ياليلة فى الدهر جل مقامها
نور عليك يفوق نور ذكاء
ياليلة فيها الفضائل أينعت
لنبينا ذى الرتبة العلياء

ثم ختمها بقوله :

باكورة منى ولما تكتمل
عن درك همه خيا إطرائى

سِنِ إلى روح النبى تحية
فى مدحة هى من دليل ولائى
لا عيب إن ند الفصيح فكونها
فى المصطفى قد زاد من خيلائى

ويبقى أن أختم هذه الكلمة بذكر أبرز مؤلفات الشيخ الراحل ـ رحمه الله ـ وهى كثيرة لكنى أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ تفسير القرآن الكريم وقد صدر منه عشرة مجلدات وصل فيها إلى سورة الممتحنة .
٢ ـ معجزة القرآن فى عشرة أجزاء .
٣ ـ من فيض الرحمن فى معجزة القرآن فى أربعة أجزاء .
٤ ـ الفتاوى فى عشرين مجلدا .
٥ ـ الأدلة المادية على وجود الله .
٦ ـ أوصاف أهل الجنة .
٧ ـ خواطرى حول القرآن الكريم فى ثلاثة أجزاء .
٨ ـ القرآن الكريم معجزة ومنهج فى ثلاثة أجزاء .
٩ ـ على مائدة الفكر الإسلامى .
١٠ ـ فى تربية الإنسان المسلم .
١١ ـ المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .
١٢ ـ الفتاوى الكبرى .
١٣ ـ أسرار بسم الله الرحمن الرحيم .
١٤ ـ الإسراء والمعراج .
١٥ ـ أقول لهؤلاء .
١٦ ـ الغيب .
١٧ ـ القضاء والقدر .
١٨ ـ القصص القرآنى فى سورة الكهف .
١٩ ـ الرزق .
٢٠ ـ هذا هو الإسلام .
٢١ ـ كيف نفهم الإسلام .
٢٢ ـ معجزة القرآن فى ثلاثة أجزاء .
٢٣ ـ خطر الكفر والنفاق على مجتمع الإسلام .
٢٤ ـ أسئلة حرجة وأجوبة صريحة .
٢٥ ـ آراء الشيخ الشعراوى فى حرب الخليج .
٢٦ ـ الحلال والحرام .
٢٧ ـ الحج المبرور .
٢٨ ـ الحياة والموت .
٢٩ ـ الخير والشر .
٣٠ ـ السحر والحسد .
٣١ ـ الشيطان والإنسان .
٣٢ ـ المرأة فى القرآن .
٣٣ ـ معجزات الرسول ﷺ .
٣٤ ـ نهاية العالم .
٣٥ ـ يوم القيامة .
٣٦ ـ آية الكرسى .
٣٧ ـ قصيدة الباكورة فى مدح النبى ﷺ .

هذا بالإضافة إلى عشرات الأشرطة المرئية والمسموعة التى تحتوى على دروسه فى تفسير القرآن الكريم .

رحم الله الشيخ محمد متولى الشعراوى وأسكنه فسيح جناته ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، جزاء ما قدمه للأمة الإسلامية من العلم النافع والعمل الصالح ، كما نسأل الله تعالى أن يجبر قلوب ذويه وتلاميذه وسائر محبيه بالصبر والسلوان ، وإنا لفراقك أيها الشيخ الجليل لمحزونون ، وإن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا عز وجل إنا لله وإنا إليه راجعون .



الجنيد.. وتصوفه

للأستاذ الدكتور
عامر النجار

هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري البغدادي ، ولد على أرجح الآراء حوالي عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م ، وكان مولده ببغداد ، وبها نشأ وتعلم ومات ودفن بها عام ٢٩٧ هـ = ٩١٠ م .

وهو الملقب بسيد الطائفة وطاووس الصوفية ، وقد انحدر أصلاً من إحدى أسر « نهاوند » ، فأصل أبيه من نهاوند ، وكان والده يبيع الزجاج لذلك سمي القواريري .. وقد حفظ القرآن صغيراً ، وأخذ الفقه على يد أبي ثور الكلبي تلميذ الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وقيل عن الجنيد : إنه أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد . وقد صحب الحارث المحاسبي الصوفي الكبير ، وتتلمذ في التصوف أيضاً على يد أبي جعفر محمد بن علي القصاب المتوفى سنة ٢٧٥ هـ / ١٨٨ م .

أما خاله السري السقطي فيعد أستاذه الحقيقي في التصوف ويصف الجنيد خاله « السري » متحدثاً عن كثرة عبادته وقيامه الليل فيقول : « ما رأيت أعبد من « السري » ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت »[1] .

وأيضاً سمع الجنيد الحسن بن عرفة ، ومن قدماء أصحاب الجنيد « محمد بن موسى الفرغاني »[2] وقال الجنيد : « ما أخرج الله إلى الأرض علماً ، وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وقد جعل الله لي فيها حظاً ونصيباً »[3] .

(١) الغزالي ، أبو حامد ، الإحياء ، ط ١ الريان للتراث ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ، ج ٤ ص ٤٣٤ .
(٢) ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الجزء السادس ، ط حيدر أباد الركن ١٣٥٧ هـ . صفحة ٢٦٢ .
(٣) المرجع السابق .

وقال محمد الحريرى : كنت واقفاً على رأس الجنيد وقت وفاته وهو يقرأ القرآن فقلت يا أباالقاسم أرفق بنفسك ! فقال : يا أبا محمد ، ما رأيت أحداً أحوج إليه منى فى هذا الوقت وهو يطوى صحيفتى[1] .

ومن صحب الجنيد : محمد بن أحمد بن القاسم أبو على الروذبارى ، وكان « من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة ، وصحب الجنيد وسمع الحديث ، وحفظ منه شيئاً كثيراً »[2] .

وكان الروذبارى يقول : « أستاذى فى التصوف الجنيد »[3] .

وأيضاً كان إبراهيم بن داود القصار « من أقران الجنيد »[4] .

ومن أصحابه أيضاً « عبدالله بن محمد أبومحمد النيسابورى المعروف بـ (جعفر المرتعش) » .

وكذا ممن صحب الجنيد « أبويعقوب النهر جورى »[5] « ومحمد بن إبراهيم المعروف بابن يوسف بن محمد أبوعمر الزجاجى النيسابورى »[6] .

وعن موت الجنيد :

قال أبوبكر العطوى : « كنت عند الجنيد حين مات ، فرأيته ختم القرآن .. ثم ابتدأ من البقرة - وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله »[7] .

أخلاقــه :

أما عن أهم أخلاقه فقد كان الجنيد صادقاً داعياً إلى الصدق يقول الجنيد « حقيقة الصدق أن تصدق فى موطن لا ينجيك منه إلا الكذب »[8] .

وكان الجنيد حيياً ، ذو نفس قوية لا يستطيع الشيطان أن يتلاعب به أو أن يغويه ، قال الجنيد : « رأيت إبليس فى منامى وكأنه عُريان ، فقلت له ، أما تستحى من الناس ؟ فقال بالله عندك هؤلاء من الناس ؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ، ولكن الناس غير هؤلاء ! فقلت له : ومن هم ؟ قال : قوم فى مسجد الشونيزى [ببغداد] قد أضنوا قلبى وأنحلوا جسمى ، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله - تعالى - فأكاد أحترق ! قال الجنيد فانتبهت ولبست ثيابى وجئت إلى مسجد « الشونيزى » وعلى ليل فلما دخلت المسجد إذ أنا بثلاث أنفس جلوس ورؤوسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت المسجد ، أخرج أحدهم رأسه فقال : يا أبا القاسم ، أنت كلما قيل لك شىء تقبل ! » .

وكان الجنيد مثالاً للزهد الصادق ، قال جعفر الخلدى كان عمرو بن عثمان « الصوفى » قد ولى قضاء « جدة » فهجره الجنيد ، وقال : لا أكلم من كان يظهر الزهد ، ثم يبدو منه الاتساع فى طلب الدنيا .

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٢٧٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٣٠١ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٣٩١ .
(٧) القشيرى ، الرسالة ، جـ١ ، ص ١٣٦ .
(٨) القشيرى ، الرسالة ، جـ٢ ، ص ٤٥١ .

علمه :

لقد كان الجنيد واحداً من علماء الإسلام فى التوحيد والتصوف ، وقيل عنه إنه أول من تكلم فى علم التوحيد فى بغداد ، وهو صاحب المقولة الشهيرة « إن التوحيد إفراد القدم عن الحدث » .

وكان الجنيد يرى « أن أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد »[1] ويقول الجنيد : « التوحيد إفراد القدم عن الحدث » أى إفراده سبحانه وتعالى من أى حدوث وعن أول ما يحتاج إليه العبد من اعتقاده يقول الجنيد : « إن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة ، معرفة المصنوع صانعه ، والمحدث كيف كان إحداثه وصفة الخالق من المخلوق ، وصفة القديم من المحدث ، ويذل لدعوته ، ويعترف بوجوب طاعته ، فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه »[2] .

ويبرز الجنيد حقيقة التوحيد ويؤكد أهمية الاعتقاد بوحدانية الله ونفى الأضداد والأنداد عنه فالله سبحانه وتعالى : ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[الشورى ١١]

فقد سئل الجنيد عن التوحيد فقال : « إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد ، الذى لم يلد ، ولم يولد . بنفى الأضداد والأنداد ، والأشباه ، بلا تشبيه . ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل » . وقال أيضاً : « التوحيد : علمك وإقرارك بأن الله فرد فى أزليته لا ثانى معه [أى متفرد فى أزليته ، لأنه كان ولا شىء معه] ، ولا شىء يفعل فعله » . والله سبحانه وتعالى هو المتفرد بعلم الغيوب ، يقول الجنيد : « تفرد الحق بعلم الغيوب ، فعلم ما كان ، وما يكون ، وما لايكون : أن لو كان كيف كان يكون »[3] .

ويرى الجنيد أن السكون إلى الله تعالى وحده هو الكاشف عن كل ضر ، أو بلوى تصيب وحدة الإنسان فيقول : « من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله تعالى وحجب ذكره عن قلبه ، وأجراه على لسانه ، فإن انتبه وانقطع عمن سكن إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى . ونحن نعوذ الله من السكون إلى غيره »[4] .

والجنيد يؤكد دائماً على أهمية الإقبال على الله تعالى وعدم الإعراض عنه ولو لحظة واحدة فيقول : « لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله »[5] .

الجنيد ورأيه فى التصوف :

كان الجنيد يربط دائماً فكره الصوفى بقواعد الكتاب والسنة ، ولهذا عده العلماء شيخ مذهب التصوف . وكان الجنيد يقول : « مذهبنا هذا : مقيد بأصول الكتاب والسنة »[6] .

وقال أيضاً : « الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول - ﷺ - ، واتبع سنته ،

---

(١) القشيرى ، الرسالة ، ص ٥٥ .
(٢) القشيرى ، الرسالة ، ص ٤١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤
(٤) السلمى ، طبقات الصوفية ، ص ١٦٣ .
(٥) القشيرى ، الرسالة القشيرية ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .
(٦) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .

ولزم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه »[1] .

وقال : « من لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة »[2] .

ومن هذه النصوص كلها يتضح لنا كيف كان الجنيد داعياً إلى التمسك بكتاب الله ، وسنة نبيه -ﷺ- .

قال أبو على الروذبارى سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال الرجل : أهل المعرفة بالله : يصلون إلى ترك الحركات [أى : الأعمال] ، من باب البر والتقرب إلى الله - عز وجل - فقال الجنيد : « إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندى عظيمة ، والذى يسرق ، ويزنى أحسن حالاً من الذى يقول هذا ، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى ، وإليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها »[3] .

وهو ككل متصوف يدعو إلى التصوف السنى ، لا يقول بعصمة الأولياء . فعندما قيل له « العارف يزنى يا أبا القاسم ؟ فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه وقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً »[4] .

الجنيد وموقفه من مسألة الفناء :

يمثل تصوف الجنيد ومدرسته نموذجاً معتدلاً من نماذج التصوف الإسلامى القائم على الكتاب والسنة ، ولهذا فإن الجنيد ومدرسته يبعدت تماماً عن الشطح الصوفى .

« فهذه المدرسة رفضت رفضاً باتاً الأخذ بفكرة الجمع بين فناء الصفات وفناء الذات ، بل لقد فصلت فصلاً تاماً بين الذات والصفات بمعنى أنها لم تعترف بأن الصفات هى حقيقة الذات ، بل هى زائدة على الذات ، ومن هنا يمكن فناء الصفات مع بقاء الذات ، فيشعر السالك أنه لا مجال مطلقاً للخلط بين صفة الأزلية والحدث فيظل الإله مفارقاً ، ويظل المخلوق حادثاً متطلعاً إلى صفات الجمال والجلال »[5] .

من ذلك كله يتضح لنا أن مذهبه فى الفناء لا يؤدى إلى الحلول أو الاتحاد .

ولقد غالى الأستاذ زينر «Zaehner» فى حديثه عن فكرة « الفناء » عند الجنيد وأخطأ خطأ كبيراً حين ادعى أن الجنيد وقع تحت تأثير الصفات الإلهية بأنه تأله أى صيرورة الإنسان إلهاً . وأنه تحدث عن فكرة الله فى الإنسان أو سكنه فى الإنسان[6] .

والحقيقة أن الجنيد فى شرحه لوقوع الإنسان

---

(1) السلمى ، عبد الرحمن ، طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبة ، ط مصر ، ١٩٥٣ ، ص ١٥٩ .
(2) الإصبهانى ، حلية الأولياء ، جـ ١٠ ، ص ٢٥٧ .
(3) القشيرى ، الرسالة ، جـ ١ ، ص ١٣٣ - ص ١٣٤ .
(4) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٧٥ .
(5) ياسين ، إبراهيم ، حال الفناء فى التصوف الإسلامى ، نشر المطبعة العلمية الحديثة ، بالمنصورة ، ١٩٩٣ ، ص ٢٤ .
(6) جعفر ، كمال جعفر ، التصوف : طريقاً وتجربة ومذهباً ، الناشر دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٢ .

تحت تأثير الصفات الإلهية ـ كما يقول الدكتور كمال جعفر ـ « فتح بالحديث القدسي ـ كنت سمعه الذى يسمع به . . الخ » مستلزماً فى شرحه طريق التحفظ بعبارات لا يمكن الاعتراض عليها ، حيث يستعمل الجنيد فى كتابه « الفناء » ألفاظاً مثل اللطف ، والهداية ، والتوفيق أو التأييد . ولا يوجد أى نص جنيدى يتحدث عن التأله أو الحلول[1] .

وبعد ذكر الحديث القدسى السالف وفيه « . . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به . . . » يتساءل الجنيد إثر ذلك قائلاً : « فإذا كان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، فكيف تصف ذلك بكيفيته أو تحده بتحدى تعلمه ؟ ويضيف إلى ذلك قوله ولو ادعى ذلك مدع لأبطل فى دعواه ، لأنا لا نعلم ذلك كائناً بجهة من الجهات تعلم أو تعرف ، وإنما معنى ذلك أنه يؤيده ويوفقه ويهديه ويشهده ما شاء كيف شاء بإصابة الصواب وموافقة الحق .

وذلك فعل الله عز وجل فيه ومواهبه له ، منسوبة إليه لا إلى الواجد لها ، لأنها لم تكن عنه ولا منه ولا به ، وإنما كانت واقعة عليه من غيره ، وهى لغيره أولى وبه أحرى »[2] .

والحقيقة أن مذهب الجنيد يؤدى إلى هذه الفكرة « لا أحد يستطيع مشاهدة الله فى صفاته العليا وأسمائه الحسنى على الوجه التام سوى الله جل جلاله ، وهو لا يجاوز ذلك إلى الذات الإلهية كما يذهب إلى ذلك البسطامى وابن عربى ، ومن ناحية أخرى نقول هناك فرق بين فناء الجنيد وفناء أصحاب الشطح الصوفى ، ففناء الجنيد صحو وحضور لا سكر وغيبة « كما يظل فناء الجنيد توحيداً بعيداً عن فناء الشاطحين من غلو وانحراف »[3] .

من ذلك كله يتضح لنا أن الجنيد يمثل رأساً من رؤوس التصوف السنى فى الإسلام .

أثر الجنيد ومدرسته فى التصوف الإسلامى :

امتد أثر الجنيد ومدرسته حتى القرن الخامس الهجرى فنجد أثرها واضحاً فى أبى حامد الغزالى الذى يعد رائداً من رواد التصوف السنى ، وقال أيضاً بفكرة الفناء فى التوحيد ، فالسالك لا يشاهد إلا الواحد لكونه مستغرقاً بالتوحيد ففنى عن رؤية نفسه والخلق .

وهذا الفناء يعنى توحيد إرادة العبد مع إرادة الله تعالى .

وفى هذا تفريق بين بين الخالق والمخلوق .

أهم أعمال الجنيد :

رسائل الجنيد (مطبوع) تحقيق وطبع على حسن عبد القادر ، وهى عبارة عن رسائله إلى بعض إخوانه ، ونجد أيضاً فى هذه الرسائل موضوعات تتناول التوحيد ، والفناء ، والتصوف الإسلامى ، ومن مؤلفاته المخطوطة ، « قصيدة صوفية » ، و « الوصايا » .

---

(1) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .
(2) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .
(3) ياسين ، إبراهيم ، حال الفناء فى التصوف الإسلامى ، ص ٢٤ .

العلوم الاجتماعية

ودورها فى مكافحة العنف والتطرف

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد*

سيظل العنف والتطرف انحرافاً إجرامياً فى الفكر والسلوك ، يمكن أن يظهر فى أى مجتمع حتى ولو كان مجتمعا ديمقراطياً يتمتع بالغنى والنفوذ ، فقد شهدت الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة ثلاث حوادث إرهابية كبرى ليس للعرب والمسلمين دخل فيها ، وهى :

(١) حادث تفجير قنبلة فى المدينة الرياضية بأتلانتا .

(٢) حادث تفجير مبنى بلدية « أوكلاهوما سيتى » .

(٣) حادث (٢٥ يوليو) الماضى داخل قلعة « الكابيتول هيل » فى الكونجرس الأمريكى .

ومع استنكارنا لكل حوادث العنف والتطرف سواء كانت داخل أمريكا أو خارجها ، إلا أننا نقدم من خلالها الدليل الدامغ على أن الإرهاب ليس صناعة عربية أو إسلامية ، كما يروج البعض أو يعتقد ، بل هو ظاهرة عالمية لا ترتبط بوطن معين ، أو بدين معين ، أو بحضارة دون غيرها من حضارات العالم .

---

* الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب - جامعة المنصورة .

وكم تعالت الأصوات العربية الإسلامية مطالبة الرأى العام الأمريكى والأوروبى بالانتباه إلى الدوافع السياسية المغرضة وراء إلصاق تهمة الإرهاب مرة بالمسلمين ، ومرة بالعرب ، ولكن لا حياة لمن تنادى !!

إن العنف والتطرف من الظواهر التى لا وطن لها ولا دين ، ومن الخير أن يتكاتف الجميع للقضاء عليها بدلاً من أن يستغلها البعض فى تشويه الآخرين وتحقيق مصالح سياسية على حسابهم .

ونحمد الله ـ تعالى ـ على أن جرائم العنف فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية ليست ظاهرة منظمة ولا متكررة ، إنما حوادث فردية فى سبيلها إلى الانحصار .

وفى إطار مجابهتها يمكن للعلوم الاجتماعية بجميع فروعها (الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والقانونية) أن تلعب دوراً فعالاً ـ إلى جانب الجهات الأمنية والشعبية ـ فى مواجهة جرائم العنف والتطرف .

ومن ثم أقامت جامعة الأزهر بالتعاون بين قسم الاجتماع بكلية الدراسات الإنسانية ومركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى مؤتمراً دولياً حول : (العلوم الاجتماعية ودورها فى مكافحة جرائم العنف والتطرف فى المجتمعات الإسلامية) فى الفترة من ٤ ـ ٦ ربيع الأول الموافق ٢٨ ـ ٣٠ يونيو ١٩٩٨ م وذلك بهدف استعراض إسهامات العلوم الاجتماعية فى مجال خدمة المجتمع متمثلاً فى مواجهة هذه الظواهر الغريبة والمصادرة لثقافتنا الإسلامية والعربية والمصرية وهى ظواهر العنف والتطرف ، ولذلك من أجل التنبيه إلى أهمية مشاركة العلوم الاجتماعية بكل فروعها فى مواجهة مشكلات المجتمعات الإسلامية ، وإدارة أزماتها وتفعيل برامج التنمية الوطنية ، والاستعارة من كل أدبيات هذه العلوم ومناهجها وتوظيفها فى خدمة مجتمعاتنا . ولا شك أن فى هذا دعوة موجهة إلى كل المشتغلين بهذه العلوم للتخلص من التبعية الثقافية والانطلاق فى الدراسات الاجتماعية من منطلقاتنا الدينية والوطنية والتاريخية بشكل يستفيد من أحدث الآليات والأساليب المنهجية المطروحة عالمياً .

وقد بدأت جلسات المؤتمر بجلسة افتتاحية حضرها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى راعى المؤتمر وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، رئيس المؤتمر ، والأستاذ الدكتور سامح جاد نائب رئيس جامعة الأزهر لفرع البنات ونائب رئيس المؤتمر ، والأستاذة الدكتورة عفاف زيدان عميدة كلية الدراسات الإنسانية وأمين عام المؤتمر ، والأستاذ الدكتور نبيل السمالوطى أستاذ ورئيس قسم الاجتماع ومقرر عام

المؤتمر ، والأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى أمين المؤتمر . وقد ألقى كل منهم كلمة فى الجلسة الافتتاحية .

وقد جرت محاور المؤتمر فى ثمانى جلسات ، وانتهت بحلقة نقاشية .

تخصصت الجلسة الأولى : للأطر الفكرية والمنهجية لظاهرتى العنف والتطرف وكيفية مواجهتها ، ورأسها الأستاذ الدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس الجامعة لشئون التعليم والطلاب ، والأستاذ الدكتور سيد حنفى - الأستاذ بجامعة الزقازيق .

والجلسة الثانية : لبعض الجوانب التاريخية لجرائم العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود - رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، والأستاذ الدكتور رأفت غنيمى الشيخ عميد معهد الدراسات الأسيوية جامعة الزقازيق .

والجلسة الثالثة : لبعض الجوانب الاقتصادية والسكانية للعنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس مجلس الوزراء الأسبق ، والأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى .

والجلسة الرابعة : للإطار القانونى لمواجهة العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور سامح جاد - نائب رئيس الجامعة لفرع البنات ، والمستشار / جابر خليل - المحامى العام بالإسكندرية .

والجلسة الخامسة : لدور الخدمة الاجتماعية فى مواجهة العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ المستشار / طارق البشرى - نائب رئيس مجلس الدولة ، والأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى - عميد المعهد العالى للخدمة الاجتماعية - كفر الشيخ .

والجلسة السادسة : لدور علم النفس فى مواجهة العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور صوفى أبوطالب - رئيس مجلس الشعب الأسبق ، والأستاذ الدكتور ممدوح الصدفى - عميد كلية التربية جامعة الأزهر .

والجلسة السابعة : عن الجوانب الشرعية والدعوية لمواجهة العنف والتطرف ، ورأسها الأستاذ الدكتور حسنين ربيع - نائب رئيس جامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار - الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر .

والجلسة الثامنة : لدراسة ظاهرتى العنف والتطرف فى إطار علم الاجتماع ، ورأسها الأستاذ الدكتور سلامة أحمد سلامة - مستشار رئيس تحرير جريدة الأهرام ، والأستاذ الدكتور

رشاد عبد اللطيف ـ عميد كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان .

أما الحلقة النقاشية : فقد دارت حول : استراتيجيات مواجهة جرائم العنف والتطرف فى المجتمعات الإسلامية ـ رؤية مستقبلية . وقد تحدث فيها صفوة من المشتغلين بالعلوم الشرعية والاجتماعية ، وقد رأس هذه الجلسة فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة وتمت مناقشة خمسين بحثاً بعد تحكيمها تحكيماً علمياً .

وقد توصل المشاركون فى المؤتمر إلى مجموعة من التوصيات من أهمها ما يلى :

أولاً : بناء سياسة بحثية تركز على الدراسة المنهجية لمشكلات المجتمعات وتوظيفها فى خدمة مواجهة أزماتها وإبراز أهم معوقات التنمية الوطنية والتوصل إلى أسبابها وعواملها وأساليب مواجهتها ، وفى مقدمة هذه المعوقات تلك الظواهر الغريبة الوافدة المصادمة لثقافتنا الإسلامية والعربية وهى ظواهر التطرف والعنف وتقديم نتائج هذه الدراسات إلى الجهات المسئولة عن صياغة القرار .

ثانياً : تشجيع الدراسات المتكاملة أو البينية والتى تشارك فيها كل فروع العلوم الاجتماعية (الاجتماع والنفس والتربية والاقتصاد والسياسة والإنسان والخدمة الاجتماعية والقانون والإدارة) وذلك عند دراسة نظم المجتمعات الإسلامية ومشكلاتها ، تحقيقاً للفهم العلمى الشمولى للظواهر والنظم المدروسة .

ثالثاً : التخطيط لتحقيق التواصل بين المشتغلين بالعلوم الاجتماعية على مستوى الدول الإسلامية العربية من أجل الاستفادة بمختلف الدراسات والبحوث التى يتم إجراؤها وعدم التكرار وتحقيق التراكم المعرفى بالنسبة لكل الظواهر المدروسة بشكل عام وبشكل خاص للظواهر المرضية الوافدة على مجتمعاتنا مثل ظواهر العنف والتطرف .

رابعاً : يراعى عند الإعداد العلمى للدعاة تحقيق الحفظ الكامل للقرآن الكريم وعلومه وإجادة اللغات الأجنبية ودراسة العلوم الاجتماعية ، وفى مقدمتها علم الاجتماع والنفس والاتصال تحقيقاً للفهم العلمى ولبيئة المجتمع الذى يمارس خلاله الدعوة والوعى بقضاياه المعاصرة .

خامساً : إحكام الرقابة على العشوائيات والمناطق المتخلفة داخل المدن وإمداد الصالح منها بالخدمات وإعادة تسكين سكان غير الصالح منها وعدم السماح بظهور عشوائيات جديدة ، حيث كشفت الدراسات عن علاقة واضحة بين التطرف والعنف وبين هذه المناطق .

سادساً : تحقيق المزيد من التيسيرات أمام كبار المستثمرين مع تقديم مزيد من التيسيرات أمام الاستثمارات والمشروعات والصناعات الصغيرة للشباب ، من أجل مواجهة مشكلات البطالة والحرمان التى تمهد الطريق لدى ضعاف النفوس للانخراط فى جرائم التطرف والعنف .

سابعاً : هناك دور جوهرى وهام لكل أجهزة المجتمع المدنى من أحزاب وهيئات غير حكومية وجمعيات ونقابات واتحادات فى مواجهة جرائم العنف والتطرف ، وذلك من خلال المزيد من استثمار طاقات الشباب فى خدمة برامج التنمية الوطنية ، وفتح قنوات شرعية أمامهم للتعبير عن الرأى ، وإتاحة الفرصة أمامهم لإبراز قدراتهم وطاقاتهم الإبداعية من أجل صالح المجتمع .

ثامناً : إحكام الرقابة على المصنفات الفنية (شرائط الفيديو والكاسيت) والكتب التى تغذى اتجاهات العنف والتطرف لدى الشباب ، وتيسير البدائل التى تبرز وسطية الإسلام وسماحته وانفتاحه على كل الثقافات والآراء الأخرى .

تاسعاً : لما كان التكافل الاجتماعى من العوامل الفاعلة فى تحقيق الترابط والتراحم بين أبناء المجتمع والحيلولة دون ظهور الصراعات المدمرة والمتمثلة فى حركات التطرف والعنف ، فإن المؤتمر يوصى بإيجاد آلية أو نظام لتجميع الزكاة وصرفها إلى مستحقيها .

عاشراً : لما كانت من أهم عوامل العنف والتطرف الاختلالات الهيكلية فى توزيع المشروعات الاستثمارية جغرافياً ، فإن المؤتمر يبارك ما قامت به القيادة السياسية من مشروعات عملاقة فى الأماكن النائية والمحرومة مثل مشروع توشكى وشرق التفريعة ، وإقامة مدن صناعية فى عواصم محافظات الصعيد ، ويوصى المؤتمر بأن يكون للشباب النصيب الأوفر فى هذه المشروعات بشروط ميسرة .

حادى عشر : إعطاء المزيد من الاهتمام للتربية الدينية بالمدارس ، وتخصيص هيئة تدريس مستقلة لها . هذا مع ضرورة تخصيص مقرر للثقافة الإسلامية فى كل كليات الجامعة ، باعتبار أن الفهم السليم للدين هو خير عصمة ضد الانحراف بكل أنواعه بما فيه التطرف والعنف .

ثانى عشر : الإشادة بالجهود الموفقة للجهات الأمنية فى حماية المجتمع من كل أنواع الانحراف والخروج عن الشرعية ، ويوصى المؤتمر بترشيد المواجهات الأمنية الناجحة لجرائم العنف والتطرف وتعزيز طاقات أجهزة الأمن بكل الإمكانات التقنية الجديدة التى لها لحماية المجتمع .



تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد/ أ . ن . من القاهرة ، يقول فيه :

نذرت أن أذبح خروفا إن نجح ابنى فى الثانوية العامة ، وأكرم الله ابنى ونجح ، ومرت سنة كاملة ولم أوف بالنذر ، علما بأن حالتى متيسرة ، وأستطيع الوفاء ، فهل علىّ إثم فى هذا التأخير ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنفيد بأن الوفاء بالنذر على مباح وطاعة واجب شرعا ، لقوله تعالى ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ (الحج - ٢٩) ، ولقوله - صلى الله عليه وسلم - « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه » البخارى (٦٣١٨) ، وهو دين فى رقبة صاحبه حتى يؤديه ، خاصة إذا كانت حالته ميسورة ويستطيع الوفاء به ، وأن تأخيره فى هذه الحالة يعتبر صاحبه آثما شرعا ، وقد مدح ربنا سبحانه وتعالى الموفين بالنذر فى القرآن الكريم ، حيث قال جل شأنه :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾

(الإنسان : ٥ - ٧) .

ولهذا كان النذر مكروها ولا يجب على الإنسان أن يكلف نفسه بما لا يستطيع ، فإذا نذر نذرا فإن عليه الوفاء بما نذر لأنه دين لله ، ودين الله أحق بالوفاء ، والله أعلم .

السؤال من السيد/ عبد الفتاح إبراهيم البيجاوى يقول فيه :

١ ـ كيف أقدر زكاة المال على محل أدوات منزلية برأس مال ٣٠ ألف جنيه ، ويبيع هذه الأدوات بالتقسيط على سنة أو سنتين ؟

٢ ـ محل آخر برأس مال ٣٠ ألف جنيه لبيع الدواجن واللحوم المجمدة والأسماك ، فما هى الطريقة التى أخرج بها الزكاة وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد عن السؤال الأول بأنك فى نهاية العام ابتداء من بدء النشاط إلى نهاية سنة هجرية تقوم هذه التجارة بعد خصم المصروفات من نقل وخلافه ، ويخرج عنها جميعا الزكاة ، وهى ربع العشر أى ٢,٥٪ ، وتسمى عروض التجارة ، والزكاة تكون على رأس المال والأرباح جميعها .

وعن الثانى نفس الطريقة تقوم هذه التجارة فى نهاية كل عام هجرى ، وأن تبلغ نصابا خاليا من الديون ، وتخرج الزكاة على رأس المال والأرباح وهى ٢,٥٪ ، والله تعالى أعلم .

السؤال : أريد أن أتزوج ابنة خالى الصغرى ، فأخبرتنى أمى أنها أرضعت أختها الكبرى (بنت خالى الكبرى) .

هذا ولم يحدث أن رضعت بنت خالى المخطوبة من والدتى ، ولم أرضع من والدها ، فهل يحل لى الزواج منها ؟

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد .. فنفيد بأنه مادام راغب الزواج والمرغوب منها لم يجتمعا على ثدى واحد ، فإن زواجها حلال لا شيء فيه ، ولا عبرة برضاع أخت الزوجة من أم الزوج ، هذا والله أعلم .

••••

السؤال من السيدة : محاسن محمد كامل ، تقول فيه :

تزوجت من شخص مسلم الديانة مصرى الجنسية ، وكتب ورقة عرفية بينى وبينه ، ولم يكن هناك شهود أثناء كتابة عقد الزواج ، والسؤال هل هذا الزواج على هذه الصورة يكون عقدا صحيحا شرعا ؟ وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأن عقد الزواج الشرعى لابد من أن يكون مستوفيا لجميع أركانه وشروطه من إيجاب وقبول ومهر مسمى وشهادة رجلين عدلين وولى شرعى ، وحيث إن الصورة الواردة بالسؤال تفيد بأنه لم يكن هناك أثناء عقد الزواج شهود ولا ولى شرعى ، فإن العقد على هذه الصورة يكون باطلا شرعا ، ولايعتد به ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .



السؤال مقدم من السيد/ محمد عبد الجواد هريدى

توفيت سيدة عن أختين شقيقتين ، أولاد أخوين شقيقين ، أولاد أخوات شقيقات ، وأوصت لأقاربها ، فمن يرث ، وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

نفيد بأن الوصية إذا ثبتت فإنها فى الثلث ، فإن زادت فلابد من إجازة الورثة لها ، وتستخرج من التركة أولا ، ويقسم الباقى على الورثة الشرعيين وهم : الأختان الشقيقتان ولهما الثلثان فرضا لعدم من يعصبهما أو يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى للذكور فقط من أولاد الأخوين الشقيقين تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أولاد أخ واحد ، ولا شىء للإناث من أولاد الأخوين الشقيقين ، كما أنه لا شىء لأولاد الأخوات الشقيقات لأنهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ، والله تعالى أعلم .

••••

السؤال مقدم من السيد/ الشيخ جاسر :

هل دخول النساء المساجد للصلاة أو لسماع الدروس الدينية فيه حرمة عليهن ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

فنفيد بأن دخول النساء المساجد للصلاة أو لسماع الدروس الدينية لا حرمة فيه ، بشرط وجود الساتر الذى يحجبهن أو يسترهن عن مشاهدة الرجال لهن ، ولا يجوز لأحد أن يمنعهن من تأدية العبادة إذا توفرت الشروط السابقة ، والله تعالى أعلم .

••••

السؤال مقدم من السيد/ منصور عرابى :

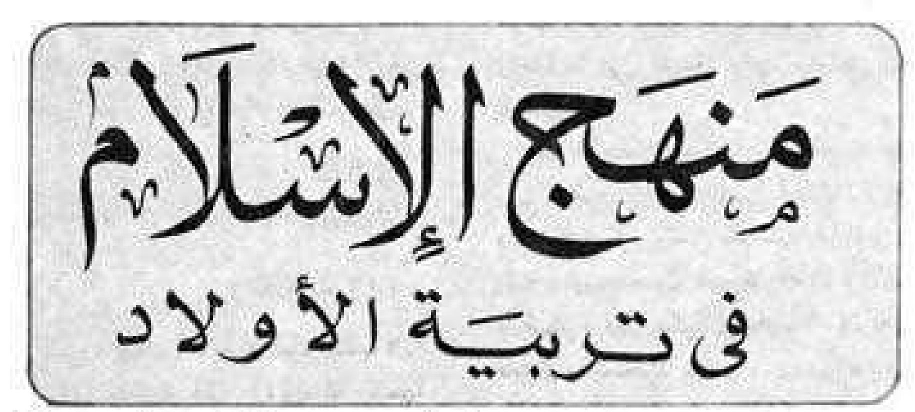
ما رأى الدين فى تلقى أهل الميت العزاء فى القبور ؟ وهل يجوز تغسيل الميت من غير أهله ؟ ومن هم الذين يجب عليهم أن يحملوا الميت على أكتافهم ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

فنفيد بأن مواساة المسلم مشروعة من قبيل المؤاخاة والترابط ، كما أن تشييع الجنائز حق مشروع دعت إليه السنة النبوية المطهرة ، فمن حق المتوفى على أخيه المسلم أن يشيع جنازته ، وله الأجر والثواب ، وتقبل العزاء لأهله جائزة فى أى مكان سواء كانت فى القبور أو فى غيرها .

والأفضل أن يغسل الميت أقاربه ، فإذا لم يوجد من أهله من يقوم بهذا فلا مانع شرعا من القيام بهذا العمل ممن يتطوع به من أهل الفضل الموثوق بهم حتى لا يخرج سرا يراه أثناء الغسل مثلا ، وحمل الميت على الأكتاف فرض كفاية على جماعة المسلمين ممن يوجد منهم وقت الوفاة .



لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراغي

إعداد وتقديم:
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الأبناء غراس حياة ، وقطوف أمل ، وقرة عين الإنسان ، هم بناة الغد ؛ وهم رجاله : مفكروه وسواعده ، ودروع أمته ، وحماة استقراره ، وهم فى الإسلام مستودع أمانات الآباء ، يحفظون الدين ، وينقادون لرب العالمين ، من أجل ذلك وجه الإسلام عنايته إلى تربيتهم ، حتى يسعد بهم المجتمع ، ويصعدوا هم بالمجتمع ، فلقد شملت عناية الإسلام جميع جوانب حياة الفرد ، ليتمو نموا متكاملا ، نموا يشمل : جسمه وروحه وخلقه وعقله ، وبالمحافظة على هذا النمط العالى من التربية الراقية ، يربى المواطن الصالح ، الذى يعرف حقوقه ، وواجباته ، ويبقى الفرد المسلم القوى ، الذى يعيش بعقيدته الصحيحة ، وعقله الواعى ، وخلقه القوى .

ونحن أمة الإسلام : إذا أردنا لأنفسنا عزا ومجدا وسؤددا ، علينا أن نعود إلى جوهر ديننا ، علينا أن نربى الأجيال المسلمة على نمط من الرجولة الحقة ، والإنسانية الكريمة ، النمط الذى لمسناه فى المسلمين الأول ، حيث كانوا : قوة فى العقل ، وقوة فى الروح ، وقوة فى الخلق ، وقوة فى الجسم .

إننا لكى نربى الأبناء تربية عالية ومتكاملة ، يجب أن نصوغهم صياغة تتفق مع ما نؤمن به من عقائد ، ومثل عليا كريمة ، مستمدة من كتاب الله - عز وجل - ومن سنة رسوله - ﷺ - .

وللمزيد من الإرشاد والتوجيه يقول الكاتب - رحمه الله -:

أشهى ثمرات الحياة إلى الإنسان الأولاد ، يعرف ذلك من ذاق حلاوتهم ومن ابتلى منهم بالحرمان . وبشدة مرارة الحرمان يعرف قدر نعمة الله بهم على الإنسان ، وعلى الأولاد عمارة الأرض وهى مقصود خلق الله للأكوان . قال تعالى :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(الكهف - ٤٦)

وعن النبى - ﷺ - : « الولد ثمرة القلب »[1] ولما بشر على بفاطمة قال : « ريحانة أشمها ورزقها على الله » وحب الولد من طبيعة الإنسان لهذا تمنى الولد جميع الناس حتى الأنبياء .

وقد تضرع إبراهيم إلى ربه أن يهبه الذرية فقال :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ ﴾

(الصافات - ١٠٠ ، ١٠١)

وتضرع زكريا - عليه السلام - فقال :

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

(مريم - ٥ ، ٦)

ولقد صور كثير من الأدباء والشعراء أحاسيسهم بحب الأولاد ، وهذه الصور على تنوعها وتلونها تصدر عن عاطفة واحدة ، وطبيعة واحدة ، هى طبيعة الحب الخالص ، والود الصادق .

قال الأحنف لمعاوية : وقد غضب على ابنه يزيد فهجره : يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، وبهم نصول عند كل جليلة ، إن غضبوا فأرضهم ، وإن سألوك فأعطهم ، وإن لم يسألوك فابتدئهم يمنحوك ودهم ، ويحبوك دهرهم ، ولا تنظر إليهم شزرا ، ولا تكن عليهم ثقيلا ، فيتمنوا وفاتك ، ويكرهوا قربك ، ويملوا حياتك . وقال أبو تمام :

وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عينى عن الغمض

والولد ليس ملكا لوالديه فقط ، بل هو ملك للأمة ، ويسعد والداه ، وتسعد الأمة بمقدار توفيقهم فى حسن تربيته ، وإعداده لرسالته فى الحياة إعداداً جسميا وخلقيا ، وعقليا ، وتربية الولد واجب مشترك ، بين الوالدين ، وبين الدولة ، فى المنزل والمدرسة ، إلا أن الواجب الأول ، والعبء الأوفى ، يقع على كاهل الوالدين ، وعلى الوالدة بخاصة فى حال الطفولة والصغر ، لأن تأثر الولد بوالدته فى هذه الحالة يكون قويا .

(١) مجمع الزوائد منبع الفوائد للهيثمى .

وقد قدر الإسلام خطورة هذا التأثر ، فمنع أن يتزوج المسلم المشركة ، خوفا أن يفتتن الأولاد فى دينهم باتباعها ، وكذلك قدر علماء النفس والاجتماع فقالوا :

« إنه على ما يتلقاه الطفل فى المنزل من الوالدين ، يتوقف إلى حد كبير ، تكوينه وإعداده للحياة » .

وقال الإمام الغزالى : « والصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ماينقش عليه ، وقابل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عُوِّدَ الخير عُلِّمه وعَلَّمه ، ونشأ عليه ، وسعد فى الدنيا والآخرة ، وشاركه فى ثوابه أبواه ، وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر ، وأهمل إهمال البهائم ، شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القيم عليه ، الوالى له ، وقد قال الله ـ عز وجل ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(التحريم ـ ٦)

وقد أرشد الإسلام إلى قواعد عامة لتربية الطفل جسميا وعلميا وخلقيا ، فأرشد إلى ما يقوى جسمه ، ويشد عوده ، بممارسة أنواع من الرياضة كالمسابقة والمصارعة ، والرماية ، والسباحة ، وكان النبى ـ ﷺ ـ القدوة العملية فى ذلك ، فعن سلمة بن الأكوع ـ رضى الله عنه ـ قال : « مر النبى ـ عليه السلام ـ على نفر من أسلمة يتنضلون فقال : ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال ـ ﷺ ـ : ما لكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ قال النبى : ارموا فأنا معكم كلكم »[1] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « بينا الحبشة يلعبون عند النبى ـ ﷺ ـ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها فقال : « دعهم ياعمر » وصارع النبى ـ ﷺ ـ ركانة فصرعه »

وعن عمر ـ رضى الله عنه ـ « علموا أولادكم السباحة ومروهم يثبوا على الخيل وثبا » .

ودعا الإسلام إلى تعليم الأولاد فى تأكيد فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ولم يقصرهم على لون منه دون لون إلا أنه يرى أن أولى العلوم بالتعليم هو العلم الديني ، لأنه الوسيلة إلى السعادة فى الدنيا والآخرة ، وبتعاليم الدين تستقر النفوس وتطمئن القلوب ، وتسعى فى شئونها راضية لا يبطرها نجاح ولا يزلها فشل ، لأنها تكل مصائر الأمور إلى الله ـ وجعل التعليم من حق الولد على والده وروى البيهقى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ـ ﷺ ـ : « قال حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يحسن موضعه ـ أى يختار والدته من أصل طيب ـ وأن يحسن أدبه[2] » وفرض الإسلام العلم على كل مسلم ومسلمة ، ولم يقصرهما على لون منه دون لون فلكل منها أن يأخذ منه ما يلائمه ويعينه على رسالته ووظيفته ،

◄

(١) رواه البخارى .
(٢) كنز العمال جـ ١٦ .

فللمرأة أن تأخذ منه ما يعدها أن تكون زوجا صالحة تسر زوجها ، وتحسن القيام على شئون منزلها ، وأما صالحة تحسن تربية أطفالها ، وتوجيهها إلى حياة فاضلة سعيدة ، وللرجل أن يأخذ منه ما يعده للرسالة التى يختارها لنفسه ، ويعينه على تحصيل رزقه .

وأرشد الإسلام إلى قواعد عامة فى الفضائل وآداب الاجتماع هى أسمى ما تصل إليه الآداب فى أرقى المجتمعات ، تتمثل فى آيات القرآن الكريم وعمل الرسول - ﷺ - ، وعمل أصحابه . ودعا الآباء إلى أن يأخذوا أبناءهم بها لينشئوهم جيلا صالحا يتحلى بالآداب والفضائل ؛ لتسعد بهم الأسرة وتسعد بهم الأمة ، وتكون كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس قال - تعالى - :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾

(لقمان - من ١٤ إلى ١٩)

وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(النور - ٥٨)

فى هذه الآية يرشد الله الآباء إلى أن يعودوا أطفالهم الاستئذان للدخول عليهم فى أوقات ثلاث هى مظان الراحة ، وعدم التقيد بلياقة فى لبس أو جلوس ، ومظان أن ترفع الكلفة فيها بين الرجل وأهله ، حتى لا يطلع الطفل على ما لا ينبغى أن يطلع عليه فى هذه الأوقات وهى : قبل صلاة الفجر ، وعند الراحة فى الظهر ، « ومن بعد صلاة العشاء » وعن عمر بن سلمة أنه كان غلاما صغيرا فى حجر رسول الله - ﷺ - ، وكانت يده تطيش فى الصحفة إذا أكل - أى تتحرك فى الطبق دون انتظام - فقال رسول الله : « ياغلام سم الله وكل بيمينك ، وكل مما يليك »[١] إلى آداب كثيرة استفاضت بها السنة وثبتت بالنقل الصحيح عن الصحابة .

وأرشد الإسلام إلى التلطف بالأبناء فى التربية والتوجيه ، حتى لا ينفروا منها ولا يتبرموا بها ولتنغرس فى نفوسهم فى فيض من العطف الأبوى الخالص : وعن النبى - ﷺ - : أنه كان إذا رأى

(١) رواه البخارى

فاطمة ـ رضى الله عنها ـ مقبلة قام لها عن مجلسه وأخذ يدها فقبلها . وعنه ـ ﷺ ـ أنه قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » « رواه ابن ماجه » وقد جاءه أعرابي فقال : أتقبلون الصبيان فما نقبلهم ؟ فقال له : « أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة » ؟[1]

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد ـ رضى الله عنها قالت : « أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ مع أبي ، وعلى قميص أخضر ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ سنه ، سنه وهى بالحبشية : حسنة قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزجرني أبي . فقال رسول الله : دعها . ثم قال : أبلى وأخلقى ثم أبلى وأخلقى .

وندب الإسلام إلى وجوب العدل بين الأولاد فى العطاء ، حتى ينشأوا متحابين متعاونين ، وأنكر أنه يميز بين البنين والبنات ، حتى لا يحملهم التمايز على عقوق الآباء وجفوتهم ، وعن النبى ـ ﷺ ـ : « أن ساووا بين أولادكم فى العطية ، فلو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء »[2]

وينبغى أن يأكل الوالد مع أولاده تأنيسا لهم وقياما على توجيههم ورعايتهم ، وعن سفيان ـ رضى الله عنه ـ : بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة .

بهذه التعاليم يدعو الإسلام الآباء أن يأخذوا أبناءهم ليسعدوا وتسعد بهم الأمة ، وهذه السعادة غاية ما يهدف إليه الإسلام .

(المجلد الحادى والعشرون)

وعن أبي بن كعب ـ رضى الله عنه ـ قال كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدا أبعد من المساجد منه وكانت لا تخطئه صلاة فقيل له لو اشتريت حمارا لتركبه فى الظلماء وفى الرمضاء قال : ما يسرني أن منزلى إلى جنب المسجد إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى فقال رسول الله ـ ﷺ ـ « قد جمع الله لك ذلك كله » . رواه مسلم .

(١) رواه البخارى .
(٢) السنن الكبرى للبيهقى .

من قادة الخلفاء الراشدين



للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

(٢)

هاشم بن عتبة :

ما أن استقر سعد بن أبي وقاص بالمدائن حتى علم بأن (مهران الرازى) قائد جيوش (كسرى يزدجرد الثالث) قد عسكر بجيوش الفرس فى موضع يقال له « جلولاء » وتحصن بها ، وحفر الخنادق حولها ، استعدادا لحرب المسلمين ، كذلك خرج جيش فارسى آخر من الموصل يقودهم رجل يقال له : (الأنطاق) فعسكر بمدينة « تكريت » على نهر دجلة[١] .

فكتب سعد بن أبي وقاص ، إلى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ، فرد عليه بقوله : « سرح هاشم بن عتبة إلى « جلولاء » فى اثنى عشر ألفا ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى ميمنته سعد بن مالك ، وعلى ميسرته « عمرو بن مالك بن عتبة » ، واجعل على ساقته « عمرو بن مرة الجهنى » ، وإن هزم الله الجندين : جند مهران ، وجند الأنطاق ، فقدم القعقاع بن عمرو فى آثار القوم ، حتى ينزل بحلوان ، ويكون بين السواد والجبل ، فيكون ردءا للمسلمين » .

وخرج هاشم بن عتبة من المدائن - مركز قيادة المسلمين فى ذلك الوقت - فى صفر ١٦هـ - ، على رأس اثنى عشر ألفا من وجوه المهاجرين والأنصار ، وممن سبق له أن ارتد عن الإسلام ، ثم عاد إليه ثانية .

وفى المقابل كان يزدجرد يحشد الحشود ، ويعد

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٦٥٢ ، الطبرى ٤ / ٢٤ : ٢٥

قواته فى « جلولاء » بآلاف تلو آلاف ، فطلب هاشم المدد من سعد ، فأمده بستمائة فارس ، كان فيهم طليحة بن خويلد الأسدى ، وقيس بن مكشوح ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وحجر بن عدى ، وفى النهاية خرج المجوس فى زحف هائل تجاه جيوش المسلمين ، فى حين وقف هاشم خطيبا فى جنوده فقال : « إن هذا المنزل منزله مابعده ، أبلوا بلاء حسنا يتم لكم عليه الأجر والمغنم ، واعملوا لله » ، والتحم الفريقان التحاما هائلا ، ولمح القعقاع خللا فى بعض صفوف المسلمين ، فصرخ فيهم : « أهالتكم هذه ؟ فقالوا : نعم ، نحن مكلون ، وهم مريحون ، والكال يخاف العجز إلا أن يعقب ، فقال القعقاع : إنا حاملون عليهم ومجالدوهم وغير كافين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالطوهم ، ولا يكذبن أحد منكم » ، فلما أطبق عليهم الليل تحاجز الفريقان ، ولكن القعقاع صرخ فى المسلمين : « أين تحاجزون وأميركم فى الخندق » ، ولم يكن هاشم قائد الجيش قد دخل خنادق المجوس إنما أراد القعقاع أن يدفع المسلمين إلى مطاردة المجوس داخل خنادقهم وحصونهم ، وهو يعلم علم اليقين أن المسلمين لم ولن يقبلوا بترك أميرهم لعدوهم ، فاندفعوا خلف القعقاع فحل الذعر بالمجوس الذين ظنوا أن المسلمين سيتعدون عنهم حتى يشرق ضوء النهار فى اليوم التالى ، فحلت بهم الهزيمة ، وسقطت « جلولاء » فى غرة ذى القعدة عام ١٦هـ (١) .

القعقاع بن عمرو يفتح حلوان :

ثم أنفذ سعد بن أبى وقاص القعقاع بن عمرو إلى حلوان فانطلق القعقاع فى آثار الفرس على رأس ثلاثة آلاف رجل من المسلمين العرب ، والعجم الذين أسلموا .

أما فى حلوان التى اتخذها يزدجرد الثالث معقلا له فقد وصلت أخبار الهزيمة وانتصار المسلمين وخروج القعقاع إليهم ، فأخلى يزدجرد حلوان فدخلها القعقاع بعد قتال يسير مع حاميتها ، فى حين فر أهلها يلتمسون النجاة ، فأعادهم القعقاع بعد أن أمنهم على أنفسهم نظير الجزية ، فرجعوا إلى ديارهم وأقروا بها ، ولما استدعى سعد بن أبى وقاص القعقاع للعودة إلى الكوفة المقر الجديد لقيادة الجيوش الإسلامية ، اختار القعقاع رجلا من المسلمين العجم ، كان قد اطمأن إلى إسلامه ، وهو قباذ بن عبد الله الفارسى ، الذى كان أول فارسى يتولى قيادة فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ(٢) باستثناء الصحابى الجليل (سلمان) ـ رضى الله عنه ـ .

جرير بن عبد الله البجلى :

عندما شرع المسلمون فى قسمة غنائمهم من معركة « جلولاء » طلب جرير بن عبد الله البجلى الحصول على ربع الغنائم له ولقومه بجيلة وفق

(١) الطبرى ٤/ ٣٢

(٢) الطبرى ٤/ ٣٤

أول عهده مع عمر بن الخطاب فى بداية فتوح فارس والعراق ، وعندما علم أمير المؤمنين بذلك كتب إلى سعد بن أبى وقاص : « إن شاء جرير أن يكون إنما قاتل وقومه على جُعل كجُعل المؤلفة قلوبهم ، فاعطوهم جُعلهم ، وإن كانوا إنما قاتلوا لله واحتسبوا ماعنده فهم من المسلمين لهم مالهم وعليهم ماعليهم » ، فاستدعى سعد بن أبى وقاص ، جرير بن عبد الله وعرض عليه كتاب الخليفة ، فقال : « صدق أمير المؤمنين وبر لا حاجة لنا بالربع » ، وتبعت بجيلة سيدها طائعة مختارة ماعدا امرأة واحدة لم تسلم ، وطلبت سهم أبيها المتوفى فى القتال فأعطاها عمر[1] .

عبد الله بن المعتم العبسى :

كتب سعد بن أبى وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب بشأن نزول العجم تكريت على نهر دجلة يقودهم (الأنطاق) ، فكتب إليه عمر : « سرح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتم ، واستعمل على مقدمته ربعى بن الأفكل العنزى ، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلى ، وعلى ميسرته فرات ابن حيان العجلى ، وعلى ساقته هانىء بن قيس ، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة ، فإن هزموا عدوهم فأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأفكل العنزى إلى الحصنين » ، والحصنان هنا هما : نينوى والموصل ، والأولى مدينة آشورية قديمة شرق دجلة .

وخرج عبد الله بن المعتم من المدائن فى خمسة آلاف رجل حتى بلغ تكريت فوجد جيش الأنطاق يضم جنودا من الفرس والروم وعرب الجزيرة من قبائل إياد وتغلب والنمر والشهارجة ، وقد حفروا خندقا يحتمون وراءه ، فحاصرهم عبد الله بن المعتم الذى قرر أن يستفيد من وجود العنصر العربى فى جيش الأنطاق ، فكتب إليهم يحاول استمالتهم ، فمال بعض بنى تغلب وإياد والنمر إلى الانحياز للمسلمين ، وكتبوا بذلك إلى عبد الله ابن المعتم ، الذى أرسل إليهم يقول : « إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأقروا بما جاء به من عند الله ، ثم أعلمونا رأيكم » ، فعادت الرسل بإسلامهم ، فكتب إليهم ابن المعتم : « إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التى تلينا لندخل عليهم منها فخذوا الأبواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه » .

فكانت نتيجة هذا التدبير من ابن المعتم أن حاقت الهزيمة بالفرس وحلفائهم وسقطت تكريت فى جمادى الأولى عام ١٦هـ .[2]

ربعى بن الأفكل العنزى[3] :

وتنفيذا لأوامر الخليفة بعث عبد الله بن المعتم (ربعى بن الأفكل العنزى) إلى الحصنين : الموصل ونينوى ، وسار ربعى ، ومعه تغلب وإياد والنمر الذين أسلموا وشاركوا فى فتح تكريت وحسن إسلامهم ، وكانوا من أهل الموصل

---

(١) فتوح البلدان ص ٦٢٨/ ٦٧٠
(٢) الطبرى ٤/ ٣٥
(٣) الطبرى ٤/ ٣٥

وتبوى ، فقدمهم ربعى ، وجعل عليهم عتبة بن الوعل من بنى سعد بن جشم ، وذا القرط ، وأبا وداعة بن أبى كرب ، وابن ذى السنينة ، وابن الحجر الإيادى ، وبشر بن أبى حوط ، وكانوا متساندين فى الإمارة ، فساروا مسرعين إلى الحصنين قبل أن يعلم أهلها بما حدث فى تكريت ، وادعوا الانتصار على المسلمين حتى تمكنوا من السيطرة على أبواب الحصون وفتحوها لجيوش المسلمين ، فدخل ربعى بن الأفكل الحصنين معا ، ونادى فى أهلها بالصلح ، فاستجابوا ، وصارت لهم جميعا ذمة المسلمين ومنعتهم .

واتخذ عبد الله بن المعتم من الموصل بعد ذلك قاعدة له ، على أن سعد بن أبى وقاص استدعى ابن المعتم إلى الكوفة فاستخلف عليها مسلما فارسيا حسن إسلامه هو مسلم بن عبد الله الفارسى .

عمر بن مالك :

حشد هرقل قيصر الروم الجيوش فى حمص وانضمت إليه جموع غفيرة من عرب الجزيرة ، فبعث بهم هرقل إلى (هيت) على نهر الفرات ، فكتب سعد بن أبى وقاص بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى رد عليه قائلا : « ابعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند ، وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامرى ، وعلى مجنبتيه ربعى بن عامر ، ومالك بن حبيب » .

فخرج عمر بن مالك من المدائن على رأس الجيش تجاه (هيت) وضرب الحصار على من فيها ، وكانوا تحصنوا بخندق حفروه حولهم ، فخلف الحارث بن يزيد على حصارها ، وسار هو بنصف الجيش إلى (قرقيسياء) عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات ، فاستولى عليها عنوة ، واستجاب أهلها لأداء الجزية .

ثم كتب عمر بن مالك إلى الحارث بن يزيد بشأن المحاصرين فى (هيت) : « إنهم إن استجابوا فخل عنهم فليخرجوا ، وإلا فخندق عليهم خندقا أبوابه مايليك حتى أرى من رأيى » .

فاستجاب المحاصرون فى هيت واستسلموا[1] .

ضرار بن الخطاب :

حشد الفرس حشدا جديدا فى سهل (ماسبذان) فكتب سعد بن أبى وقاص بذلك إلى عمر بن الخطاب الذى رد عليه : « ابعث عليهم ضرار بن الخطاب فى جند ، واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدى ، وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبى حليف بجيلة ، والمضارب بن فلان العجلى » .

ونجح المسلمون بقيادة ضرار فى هزيمة جيوش الفرس ، وأسر (آذين هرمزان) قائد الفرس ، وكان ضرار هو الذى أسره فضرب عنقه ، ودخل

(١) الطبرى ٤/ ٣٧

ماسبذان عنوة ففر أهلها فى الجبال المحيطة بها ، فأمنهم ضرار فعادوا على أن يدفعوا الجزية .

ثم عاد ضرار ليلحق بسعد بن أبى وقاص ، الذى انتقل إلى الكوفة ، واستخلف ضرار على (ماسبذان) ابن الهذيل[1] .

عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب[2] :

ثم وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة ، لفتحها وقال له : « قد فتح الله ـ عز وجل ـ على إخوانكم الحيرة وماحولها ، وقتل عظيم من الفرس ، ووطئت خيل المسلمين أرض بابل ، ولست آمن أن يمدهم إخوانهم من أهل فارس ، فإنى أريد أن أوجهك إلى أرض الهند (الأبلة) لتمنع أهل تلك الجيزة من أهل الأهواز وفارس وميسان عن إمداد إخوانهم على إخوانكم ، وتقاتلهم ، لعل الله يفتح عليكم ، فسر على بركة الله ، واتق الله ما استطعت ، واحكم بالعدل ، وصل الصلاة لوقتها وأكثر ذكر الله » .

وأوصاه عمر بقوله : « ياعتبة إنى استعملتك على أرض الهند ، وهو حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ماحولها ، وأن يعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمى أن يمدك بعرفجة بن هرثمة ، وهو ذو مجاهدة للعدو ومكايدته ، فإذا قدم عليك فاستشره وقربه .

وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة ، وإلا فالسيف فى غير هوادة .

واتق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوتك ، وقد صحبت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعززت به بعد الذلة ، وقويت به بعد الضعف ، حتى صرت أميرا مسلطا ، وملكا مطاعا تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك ، فيالها من نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك ، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، ولهى أخوفها عندى عليك أن تستدرجك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم .

أعيذك بالله ونفسى من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأر د الله ولا ترد الدنيا ، واتق مصارع الظالمين ، انطلق أنت ومن معك ، حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا » .

وصل عتبة أرض الأبلة فى ربيع الآخر ١٦هـ ، فخطب فى جنوده : « هاهنا أمرتم ، إن أمير المؤمنين أمرنى أن أنزل أقصى البر من أرض العرب ، وأدنى الريف من أرض العجم ، فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا » .

ثم كتب عمر إلى عتبة يقول : « اجمع الناس موضعا واحدا قريبا من الماء والمرعى ولا تفرقهم » .

ولما علم الفرس بقدوم المسلمين تجاه الأبلة خرجوا لحربهم فى وقعة كانت الغلبة فيها للمسلمين ، وقف عتبة بعد النصر خطيبا فى

---

(١) الطبرى ٤/ ٣٧

(٢) الطبرى ٣/ ٥٩٠ : ٥٩٧

الجيش يقول : « إن الدنيا تصرمت وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء ، ألا وإنكم منتقلون منها إلى دار قرار فانتقلوا بخير مابحضرتكم ، وقد ذكر لى لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفا ولتملأنه أو عجبتم ! ولقد ذكر لى أن مابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ ، ولقد رأيتم وأنا سابع سبعة مع النبى - صلى الله عليه وسلم - مالنا طعام إلا ورق السمر حتى تقرحت أشداقنا ، والتقطت بردة فشققتها بينى وبين سعد فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مصر من الأمصار وسيجربون الناس بعدنا » .

ولما شرع عتبة فى اقتحام الأبلة فرت منها حاميتها الفارسية وعبرت الفرات دون قتال فدخلها عتبة فاتحا فأصاب منها المسلمون الكثير من الغنائم وكتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه بالنصر وحمل الكتاب نافع بن الحارث .

وأثار سقوط الأبلة فى يد المسلمين حنق الفرس الذين تجمعت قواتهم فى الأهواز بقيادة (هرمزان) استعدادا للهجوم على جيوش المسلمين ، فكتب عتبة بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، فأمده بنعيم بن مقرن المزنى ، ونعيم بن مسعود ، ودار بين الجانبين قتال هائل كادت الهزيمة تحيق فيه بالفرس لولا أن (هرمزان) طلب الصلح بعد أن أيقن بالهزيمة فقبل عتبة وصالحه على أن يدع للفرس (الأهواز) و (مهرجان قذق) ماعدا نهر (تيرى) و (مناذر) وما غلب المسلمون عليه من سوق الأهواز . على أن هرمزان مالبث أن نقض الصلح ليلتقى الطرفان من جديد عند جسر سوق الأهواز فى معركة حاسمة انهزم فيها هرمزان ، فهرب إلى (رامهرمز) وعاد يطلب الصلح من جديد وأمر عمر بن الخطاب عتبة بقبول الصلح فصالحوه على ما لم يفتحوه من أرض (رامهرمز) و (تستر) و (السوس) و (جندى سابور) و (البنيان) و (مهرجان قذق) ، فأقام هرمزان بها حتى يجبى إليهم خراجها ولا يدخلون عليه وله الذمة والمنعة ، فكانوا يحمونه من غارات الأكراد عليه .

ولما اقترب موسم الحج بعث عتبة إلى أمير المؤمنين يستأذنه فى أداء الفريضة والحج فأذن له ، ولكن عتبة أراد أن يستعفى من ولاية البصرة فرفض عمر وأصر على أن يليها عتبة الذى توفى وهو فى طريقه إليها عام ١٩ هـ .

عياض بن غنم :

وفى عام ١٧ هـ احتشد الروم ومن حالفهم من الأعراب فى الجزيرة بهدف الانقضاض منها على حمص بالشام ، فكتب عمر بن الخطاب إلى سعد ابن أبى وقاص فى الكوفة أن يبعث سهيل بن عدى إلى الرقة بالجزيرة ، وعبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى نصيبين ، ثم يفتحا حران والرها ، والوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وأن يرسل جيشا إلى الجزيرة ويجعل عليهم جميعا خالد بن عرفطة أو هاشم بن عتبة أو

عياض بن غنم ، فاختار سعد عياض بن غنم [١] .

وسار سهيل بن عدى إلى الرقة فحاصرها ، فكتب أهلها إلى عياض بن غنم يسألونه الصلح فقبل منهم ، وجاء فى كتاب الصلح : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما يعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لاتخرب ولا تسكن إذا أعطوا الجزية ولم يحدثوا مغيلة ، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ولابيعة ، ولا يظهروا ناقوسا ولا باعوثا ولا صليبا ، شهد الله وكفى بالله شهيدا » وختمه عياض بختمه [٢] .

أما عبد الله بن عتبان فقد سار إلى نصيبين تحت لواء عياض كأمر الخليفة فما أن وصلها وشرع فى حصارها حتى طلب أهلها الصلح ، وفعلوا كما فعل أهل الرقة ، وكتبوا إلى عياض الذى قبل منهم ، وعقد لهم الصلح عبد الله بن عتبان [٣]

وبعد سقوط الرقة ونصيبين سار عياض تجاه (حران) ، و (الرها) على رأس الجيش ، فسار أولا تجاه حران ، وكانت مدينة عظيمة فما أن بلغتها جيوش المسلمين حتى بادر أهلها إلى طلب الصلح ودفع الجزية .

ثم سار عياض إلى الرها وضرب حولها الحصار ، ووقع قتال بين الجانبين ، انهزم فيه أهل الرها فارتدوا داخل حصونهم وأغلقوها عليهم ثم طلبوا الصلح .

فكتب إليهم عياض : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرها ، إنى أمنتهم على دمائهم وأموالهم ، وذراريهم ، ونسائهم ، ومدينتهم ، وطواحينهم ، إذا أدوا الحق الذى عليهم ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالنا ، شهد الله وملائكته والمسلمون [٤] .

ثم سير عياض عثمان بن أبى العاص بن بشر الثقفى إلى أرمينيا فصالحه أهلها على الجزية على كل أهل بيت دينار [٥] .

ووجه عياض الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ فأخضعها بعد أن انضم إليه من أسلم من تغلب وعرب الجزيرة وسالمه من لم يسلم ، إلا قبيلة إياد بن نزار حيث رحل من لم يسلم منهم إلى المناطق الخاضعة للروم ، فكتب الوليد بذلك إلى الخليفة الذى كتب إلى قيصر يقول : « إنه بلغنى أن حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ، فوالله لتخرجنه أو لننبذن إلى النصارى ثم لنخرجنهم إليك » فأخرجهم قيصر فعاد منهم أربعة آلاف [٦] .

على أنه حدثت مشكلة كبيرة بعد ذلك مبعثها أن الوليد بن عقبة رفض أن يقبل من العرب إلا الإسلام ، وكان عامة عرب الجزيرة من تغلب

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٥٦
(٢) المصدر السابق ص ٤٥٧
(٣) الطبرى ٤/٥١
(٤) فتوح البلدان ص ٤٩٩
(٥) الطبرى ٤/ ٥٣
(٦) الطبرى ٤/ ٥٤

ومنهم من أسلم ومنهم من لم يسلم ، وكانت حجته أن العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام ، فلا يقبل منهم كفر ولا ذمة ، ولكن بنى تغلب رفضوا وقالوا : « أما من نقب على قومه فى صلح سعد ومن كان قبله فأنتم وذلك ، وأما من لم ينقب عليه أحد ولم يجر ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه ؟ » ، وكانوا يقصدون بذلك الوفد الذى كان قد قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسلماً ، وعرب تكريت والموصل الذين أسلموا .

فكتب الوليد إلى عمر بن الخطاب يستشيره فى ذلك ، فرد عليه : « إنما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منها فيها إلا الإسلام ، فدعهم على أن لا ينصروا وليدا ، واقبل منهم إذا أسلموا » .

فأسلم بعضهم وبقى بعضهم على دينه ، فوجبت عليهم الجزية ، فنصح منهم الوليد بن عقبة بقولهم : « لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا ، ولكن ضعفوا عليهم الصدقة التى تأخذونها من أموالهم ، فيكون جزاء ، فإنهم يغضبون من ذكر الجزاء على ألا ينصروا مولودا إذا أسلم آباؤهم » .

لكن الوليد رفض وأصر على أن يجبى منهم الجزية ، وكان فى تغلب عز وامتناع فنازعوا الوليد ، فلما علم عمر بن الخطاب قبل منهم الصدقة مضعفة وعزل الوليد وأمر بدلا منه فرات ابن حيان العجلى ، وهند بن عمرو الجملى[1] .

العلاء بن الحضرمى :

هو عامل عمر بن الخطاب على البحرين ، أخذته الغيرة وهو يسمع أخبار الفتوح ، وأبى إلا أن يكون له دور فيها ، وكان قد كتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى غزو فارس ، فرفض عمر ، فما كان منه إلا أن استنفر أهل البحرين لغزو فارس دون إذن الخليفة ، فتسابق أهل البحرين المتعطشين للجهاد إلى تلبية النداء ، وقسم العلاء جيشه إلى مجموعات ثلاث الأولى عليها الجارود بن المعلى ، والثانية السوار بن همام ، والثالثة خليد بن منذر بن ساوى ، وعبر الجيش الخليج ، ورست السفن على الساحل الفارسى من ناحية اصطخر ، فاصطدم الجيش بجيش فارسى جرار ووقع قتال هائل تحطمت فيه سفن المسلمين فقطع عليهم خط الرجعة وحصروا بين البحر والفرس ، واستشهد الجارود بن المعلى ، والسوار بن همام ، وولده عبد الله ، وأحاط الفرس بالمسلمين فى كل مكان .

ولما علم عمر بما حدث غضب مما فعل العلاء ، وعزله عن البحرين ، وأمره بالمسير إلى سعد بن أبى وقاص ، بالكوفة ليكون تحت إمرته ، وكتب إلى عتبة بن غزوان : « إن العلاء بن الحضرمى حمل جندا من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصانى ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا وينشبوا ، فاندب إليهم الناس ، واضممهم إليك قبل أن يجتاحوا » .

ولبى عتبة نداء الخليفة وانتدب لاستخلاص المسلمين المحصورين على الساحل الفارسى صفوة فرسان المسلمين ، وكان فيهم عرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، ومجزأة بن ثور ، ونهار بن

(١) الطبرى ٤/ ٥٦

الحارث ، والترجمان بن فلان ، والحصين بن أبي حر والأحنف بن قيس ، وسعد بن أبي العرجاء ، وعبد الرحمن بن سهل ، وصعصعة بن معاوية ، وعاصم بن عمرو ، وغيرهم يقودهم أبو سبرة بن أبي رهم ، فاستخلصوا المسلمين من الفرس بعد معركة عنيفة وعادوا بهم إلى البصرة [1]

عمر بن الخطاب يعزل سعد بن أبي وقاص [2]

ادعى نفر من أهل الكوفة على أميرها سعد بن أبي وقاص : « أنه لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية ، ولا يغزو في السرية ، ولا يحسن الصلاة » ، فأرسل عمر محمد بن مسلمة للنظر في الأمر ، وجعل الأخير يطوف بسعد على مساجد الكوفة يسأل المصلين عنه ، فكان لا يسأل أحدا إلا قال : « لا نعلم إلا خيرا ، ولا نشتهي به بدلا ، ولا نقول فيه ، ولا نعين عليه » .

على أن رجلا يدعى أسامة بن قتادة قال : « اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية ، ولا يغزو في السرية » .

فقال سعد : « اللهم إن كان قالها كاذبا ورياء وسمعة ، فاعم بصره ، وأكثر عياله ، وعرضه لمضلات الفتن » ، وكان سعد ـ رضي الله عنه ـ مستجاب الدعوة ، فعاش هذا الرجل حتى عمي ، واجتمع عنده عشر بنات ، ويتعرض للجواري ، فإذا خوطب في ذلك يقول : « مفتون أصابته دعوة سعد بن أبي وقاص الرجل المبارك » .

ورغم أن عمر استيقن تماما من كذب الافتراءات على سعد بن أبي وقاص ، إلا أنه آثر أن يعزله احتياطا ، لا لريبة فيه ، ولكن لأن الكوفة كانت بمثابة قاعدة الانطلاق لفتوح فارس ، ومركز التحكم والسيطرة عليها ، وكان من الضروري لعمر في هذا الوقت أن يولي رجلا لا يختلف فيه الناس ، ويتوحدون حوله ، فعزله ، وولى مكانه عمار بن ياسر على الحرب ، وعبد الله ابن مسعود على القضاء ، وعمرو بن حنيف على الخراج .

النعمان بن مقرن المزني [3] :

واصل (يزدجرد الثالث) فراره أمام زحف المسلمين حتى استقر به المقام في مدينة (قم) ومنها وجه نداءه إلى أهل فارس لحرب المسلمين ، فتقاطروا إليه من كل أقطار بلاد فارس ، حتى اجتمعت إليه جموع عظيمة ، فولى أمرهم مردان شاه بن هرمز ووجههم إلى (نهاوند) .

وكتب عمار بن ياسر بذلك إلى عمر بن الخطاب ، الذي صعد المنبر ممسكا بكتاب عمار وقال : « يامعشر العرب ، إن الله أيدكم بالإسلام ، وألف بينكم بعد الفرقة ، وأغناكم بعد الفاقة ، وأظفركم في كل موطن لقيتم فيه عدوكم ، فلم تَفُلُّوا ولم تغلبوا ، وإن الشيطان قد

---

(١) الطبري ٤/ ٧٩

(٢) الطبري ٤/ ١٢٢ ، الأخبار الطوال ص ١٢٩

(٣) الأخبار الطوال ص ١٣٣ : ١٣٦ الطبري ٤/ ١١٩

جمع جموعا ليطفىء نور الله ، وهذا كتاب عمار بن ياسر يذكر أن أهل قومس ، وطبرستان ، ودنباوند ، وجرجان ، والرى ، وأصبهان ، وقم ، وهمذان ، والماهين ، وماسبذان ، قد أجفلوا إلى ملكهم ليسيروا إلى إخوانكم بالكوفة والبصرة، حتى يطردوهم من أرضهم ويغزوكم فى بلادكم فأشيروا على ».

فتكلم طلحة بن عبيد الله فقال : « .. أنت الوالى فمرنا نطع .. » ، ثم تكلم عثمان بن عفان فنصح بأن « .. اكتب إلى أهل الشام .. وإلى أهل اليمن .. وإلى أهل البصرة .. وسر أنت بأهل هذا الحرم حتى توافى الكوفة وقد وافاك المسلمون من أقطار أرضهم وآفاق بلادهم ، فإنك إذا فعلت ذلك كنت أكثر منهم جمعا وأعز نفرا » .

فى حين قال على بن أبى طالب : « .. إنا لم نقاتل الناس على عهد نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكثرة .. » ونصح بأن يستعين بثلث الجند فقط من كل مصر من الأمصار والكور ، وأخذ عمر برأى على فكتب بذلك إلى الأمصار ، وقال : « لأولين الحرب رجلا يكون غدا لأسنة القوم جزرا » فولى النعمان بن مقرن المزنى ، واستدعى (السائب بن الأقرع) فدفع إليه عهد النعمان بن مقرن ، وقال له : « إن قتل النعمان فولى الأمر حذيفة بن اليمان . وإن قتل حذيفة ، فولى الأمر جرير بن عبد الله البجلى ، وإن قتل جريرة فالأمير المغيرة بن شعبة ، وإن قتل المغيرة فالأمير الأشعث بن قيس » .

وكتب عمر إلى النعمان بن مقرن : « إن قبلك رجلين هما فارسا العرب : عمر بن معدى كرب ، وطليحة بن خويلد ، فشاورهما فى الحرب ولا توليهما شيئا من الأمر » ، ثم قال للسائب : « إن أظفر الله المسلمين فتول أمر المغنم ، ولا ترفع إلىّ باطلا ، وإن يهلك ذلك الجيش فاذهب فلا أرينك » .

ووصلت إلى النعمان كتب الخليفة ، فزحف بالجيش حتى نزل بمكان يسمى « الإسفيذهان » قرب نهاوند .

ووقف النعمان يخطب فى الجيش :

« قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين ، وماوعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم وأدى ماوعدكم وصدوره ، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه ، والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله ، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ، فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه .

وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة ، والذى لهم فى ظفركم وعزكم ، والذى عليهم فى هزيمتكم وذلكم .

وقد ترون ماأنتم بإزائه من عدوكم ، وما أخطرتم ، وما أخطروا لكم ، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة ، وما ترون من هذا السواد ، وأما ما أخطرتم لهم فدونكم وبيضتكم ، ولا سواء ما أخطرتم ، وماأخطروا ، فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم ، واتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء ، فإنكم بين خيرين منتظرين إحدى الحسنيين ، من بين شهيد حى مرزوق ، أو فتح قريب وظفر يسير ، فكفى كل رجل ما يليه ، ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع

البقية ص ـ ٧٩٤ ـ







مؤسس الجمعية الشرعية وداعية الإسلام بمصر

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

حدثنى عالم فاضل من كبار علماء الأزهر ، وأحد أساتذة النحو بكلية اللغة العربية فى الثلاثينيات قال :

كنت فى مسجد الرفاعى بالقاهرة أنتظر صعود الخطيب إلى منبر الجمعة يعظ الناس كعادته ، فلم أجده ، وتطلع الناس إلى خطيب بين جموع الحاضرين يقوم بدور الخطيب الغائب ، فتوجهت الأنظار إلىّ وأنا معروف لدى الجميع بأنى من العلماء ولكنى اعتذرت آسفا ، لأنى لم أعتد الارتجال فى مثل هذا المقام ، واشتد الحرج بنفسى ، حتى أنقذ الموقف رجل من رجال الجمعية الشرعية يشتغل تاجرا فى محل للبقالة ،

ولكنه يلوثُ عمامة على رأسه ، فصعد إلى المنبر وألقى خطبة ممتازة لا تقل عن خطب الواعظ الغائب ، بل ربما أربت عليه ، والرجل بعد لم يترب فى معهد أزهرى ، ولم يجلس إلى مدرس رسمى ، ولكنه حفظ القرآن الكريم كبيراً على يد الإمام محمود خطاب السبكى مع نفر مثله يبلغون المئات ، ثم حضر دروسه فى المسجد أمدا من الدهر ، ومرن لسانه على القول ، فأدى دور الواعظ بإتقان .

والذى تجب ملاحظته فى هذا المجال أن القرآن مصدر ثقافة للمسلم ، فالإنسان إذا حفظ كتاب الله فى لغته البليغة تطلع تلقائيا إلى معرفة معانيه ، وألم بأغراض كثيرة من أفانين التشريع والتاريخ والأخلاق وشئون العقيدة ، وعالم الغيب فى اليوم الآخر ومابه من مشاهد الحساب والبعث والصراط والجنة والنار ، فإذا ضم إلى ذلك قراءة الحديث من نفسه . . ولو لم يسمعه من شيخه ـ فإن إضافات جديدة تنير عقله ، وترفع من مستواه ، ومثل هذا الرجل المتطلع لا يستطيع أن يهمل رغبته فى قراءة ما يستطيع فهمه من كتب التفسير والحديث والفقه ، وهو بهذا الزاد جدير أن يعظ الناس .

لعل الإمام محمود خطاب السبكى ، قد عرف ذلك كله حق المعرفة حين صمم على إنشاء قسم للوعظ من أبناء الجمعية الشرعية التى أنشأها بنضاله المتصل ، فقد عرف أن الوطن عند إنشاء هذا القسم الأهلى لم يعين وعاظا يطوفون بالقرى والمدن داعين إلى الله ، كما حدث من بعد ذلك ولمس الحاجة إلى هذا الضرب من الوعظ ، كى يهدى الحائر ، ويرشد الضال ، ثم رأى أن أكثر طلاب الأزهر لعهده يقرءون المتون والحواشى والتقارير ، ويهتمون بعلوم اللسان دون أن تكون أدوات الخطابة المنبرية مما يدرسون ، فأنشأ بالجمعية قسما للوعظ ، لم يقصر أصحابه على سن معينة ، ولكنه دعا الراغبين فى العلم إلى استماع دروسه ودروس زملائه من أعضاء الجمعية ، وألف من الكتب ما يهديهم إلى تحقيق رسالتهم من كافة الوجوه ، ألف كتاب « الدين الخالص » فى تسعة أجزاء كبار تشمل العبادات والمعاملات ومحارب « البدع والمنكرات » حتى أصبحت الدين الخالص لدى أتباع الشيخ بمنزلة كتاب « الإحياء » لأبى حامدا الغزالى ، وشرح « سند أبى داود » فى أجزاء عدة تبلغ ثلاثة عشر مجلدا كتب ذلك كله ، وشرح ذلك كله بأسلوب واضح يقرؤه القارىء فيجد المعنى الواضح ، والدليل المقنع ، والإنارة البصيرة ، ومن ذاق هذا الضرب من الكلام سيقرأ ما تقع عليه يده من كتب التراث ، وبذلك أصبح هؤلاء المتطوعون من التجار والصناع والعمال رسل هداية ، لا يبتغون عليها أجرا ولا شكورا فهم وعاظ متطوعون ، ولهم زملاء فى الجمعية الشرعية اصطفاهم الأستاذ من نجباء الفتيان حين توسم فيهم المعرفة ، فأعدهم إعداداً أكثر تنظيما ، ليكون دعاة رسميين فى مساجد

الجمعية ، يطوفون البلاد مذكرين هادين ، ولهم سمتهم الخاص ، ومنهجهم في محاربة البدع ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذه الحركة التنويرية أدت دورها على نحو ناجح لم يكن يتوقعه الشيخ حين بدأ التجربة ، ولكنه غرس البذر وتعهده ، ثم رأى الزرع الناضر والثمر البهيج .

كان الوعظ ضرورة ماسة حين أنشأ الشيخ السبكى دروس الوعظ سنة ١٩١٤ م ، ومن قبل هذا التاريخ بعامين أنشأ ذوو الغيرة من المسلمين داراً للوعظ والإرشاد على نحو أوسع ، إذ لم يكن الغرض منها إرشاد المصريين فى الداخل فحسب ، بل المراد الأكبر تخريج دعاة للعالم الإسلامى كله وبمختلف لغاته ، إذ أن المسلمين يفتقرون إلى ضرب من التوجيه الصادق يقاوم التبشير الزاحف بماله وإغرائه على مواطن كثيرة من مواطن الإسلام ، فرأس الأستاذ محمود سالم بك جمعية إسلامية لنشر الدعوة ، وقام الأستاذ محمد رشيد رضا بإدارة مدرسة الدعوة بحيث تدرس فيها جميع العلوم والفنون التى تدرس فى الكليات العالية مع اهتمام زائد بالتربية الدينية وكانت المدارس - كما يقول المنار - تقبل فى عداد طلبتها شباب المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والخامسة والعشرين ، على أن يكونوا قد حصلوا من العلوم ما يسمح لهم بتلقى هذه الدروس العالية المستوى ، وكانت تفضل من الطلاب من يجيئون من الخارج كأبناء الهند ، والملايو ، والصين وأندونسيا ، وغيرها ، ثم يعطى الطالب فى آخر السنة الثالثة شهادة مرشد تؤهله للدعوة بين المسلمين ، ولكن المدرسة لم تستمر على ما كان يرجى لها من ذيوع ، لأن الحرب العالمية الثانية قد أوقفت سيرها بأمر انجليزى كما أوقفت هذه الحرب دروس الشيخ محمود خطاب فى مساجد الجمعية الشرعية ! والفرق بين الجمعيتين أن جمعية الشيخ رشيد قد أغلقت إلى غير عودة ، أما مدارس الشيخ السبكى فقد عادت إلى طريقها منذ زال الخطر بانتهاء الحرب ، ولن أقول إن الشيخ السبكى قد تأثر بمدرسة الدعوة والإرشاد ، فحاول أن يحتذو حذوها ، بل أقول إنه لمس حالة الجهالة الدينية فى الشعب المصرى فحاول إنقاذه على يد دعاة يعرفون كيف يخاطبونه بالتى هى أحسن ، ولم يمتد بصره إلى العالم الإسلامى الفسيح ، لأنه يقدر إمكانياته المتواضعة ، ويرسم الخطط باتئاد هادىء ، وقد رأى فى احتياج الأمة داخليا ما شغله عن الاهتمام بالخارج ، إذ لا يجوز لعاقل أن يصلح بيوت الجيران ، قبل أن يصلح بيته ، ولعله كان ينوى ويأمل أن يمتد إلى أكثر ما اتجه إليه ، ولكن الأمل شىء ، والحقيقة شىء آخر .

لقد قفزت إلى الحديث عن مدارس الوعظ ومساجد الدعوة ، دون أن أقول شيئا عن حياة الشيخ ، ولعلى أكون قد شوقت القارىء إلى معرفة تاريخه بما أسلفت من حديث الدعوة ، فالرجل لا يزال فى حاجة إلى كتاب مستقل يتحدث عن مآثره الكثيرة ، وقد تجاهله أكثر من كتبوا عن أئمة الإصلاح الدينى فى هذا العصر ، وما كان لهم أن يتجاهلوا مثله ، لأن آثاره لا تزال باقية ، وجمعيته

الشرعية تملأ ربوع الجمهورية بمساجدها، ومبرّاتها الخيرية، ومصحاتها الطبية، على نحو ما سأشير إليه الآن!

ولد الشيخ محمود خطاب في سنة ١٨٥٨ م في قرية سبك الأحد بالمنوفية، وكان والده عمدة القرية يملك أرضا زراعية، ويجمع حوله أبناء البلدة، فشب ولده في بيئة ذات ثراء مناسب، وجعل منذ صغره يباشر أعمال الزراعة ويغرس نبات الحديقة المحيطة بالمنزل، ويخالط أهل الخبرة في مسائل الغرس والحصد، بل في كل ما يمت إلى العمالة القروية من نجارة وحدادة وتجارة وغيرها، وتلك النشأة أفادته في حياته العلمية والإرشادية، إذ جعلته ابن قرية يفهم مشكلات الفلاحين، ويقف على أعباء الفعلة من العمال والكادحين، ولم تشغله مسائل الزراعة والحرف اليدوية عن التعلم على يد مدرس خاص، ولكن أمد إقامته بالريف قد طال حتى بلغ التاسعة عشرة من عمره، فسافر إلى القاهرة للالتحاق بالأزهر الشريف، وكان الالتحاق حينئذ بالجامع الأزهر لا يتقيد بسن معينة، ولكن علو سنه بالنسبة للطالب الناشيء قد أفاده قدرة على التحصيل المستوعب. فاستطاع في أمد يسير أن يلحق بمن سبقوه، وكانت حياته الريفية شغله الشاغل، إذ لمس من البدع والمنكرات في قريته وفي الريف بعامة مالا يتفق مع قواعد الشرع الحنيف، وأخذ يوازن بين ما يقرأ في كتب الأزهر وما يرى من بدع تتعلق بحفلات الذكر وجمع النذور وزيارة الموتى على سبيل التوسل، ووجود طبقة تدعى التصوف، وهى جاهلة بحقيقته الأصيلة، مريضة بداء التواكل لا ترتزق بعمل، ولكن تعيش على صدقات الناس ظانة أن هذا الكسل الخامل عبادة مشروعة، قرأ الطالب كتب الشريعة في منابعها الصافية، وأدرك فداحة مايقع فيه الريفيون من أخطاء، فما حانت فرصة الأجازة السنوية، حتى ذهب إلى قريته منكرا كل ما يرى من المشاهد المخالفة لمنهج الإسلام، ورأى مقاومة عنيفة ممن وصفوه بالإلحاد والزندقة، وكان الطالب عمليا في سلوكه حيث صبر وصابر وجاهد بالتي هي أحسن، ثم انتظر حتى عاد إلى الأزهر، فوجه أسئلة دينية مكتوبة إلى كبار الأساتذة خاصة بما يرى من البدع والمنكرات لتكون الإجابة سلاحا في يده، ولم يتوان شيوخه عن الإجابة والتوقيع على ما يؤيد منهجه، فحمل هذه الإجابة الموقعة إلى قريته، وخطب الناس مستندا إلى ما في يده، وتم له النصر بالقضاء على هذه البدع في قريته، ففرح فرحا شديدا، وأصر على أن تكون القرى المصرية مبرأة من هذه المثالب، ومن هنا نشأت في نفسه ضرورة تأليف الجمعية الشرعية ليقوم أبناؤها بإرشاد القوم في القرى والمدن إلى حقيقة الدين، وكان الرجل عمليا في موقف خاص بها فقد مات والده وهو كبير القوم في ملئه، والشائع المتبع أن يقام له سرادق فخم يستمر ثلاث ليالي، وأن يشيع جثمانه بمشهد حافل



تظلله البيارق والرايات ، وأن ينشد المنشدون قصيدة البردة فى مدح الرسول منغمة طول الطريق حتى تصل الجنازة إلى مستقرها من القبر ، وأن يفد كبار القراء المشاهير ليحيوا الليالى الثلاث ، كما يتوافد الأجانب من القرى طيلة هذه الأيام الثلاثة يأكلون ويشربون وينامون ، وأهل الراحل من غير طبقة الشيخ السبكى يقعون فى حيرة حين يموت منهم أحد ، إذ هم مضطرون إلى هذه المراسيم حتى لا يكونوا موضع المؤاخذة من الناس ! مات والد الشيخ فى هذه البيئة ذات التقليد المتبع ، ولكن المغرمين جاءوا للتعزية فلم يجدوا السرادق ولا القراء ، وجاء أصحاب الرايات والأعلام فصدهم الشيخ وأمرهم بالرجوع ، ثم سارت الجنازة فى خشوع ، ورجع الناس إلى المنزل الكبير ليعظهم الشيخ ، وليخبرهم أن ما صنعه فى تشييع والده هو ما جاء به الشرع الشريف ، وأن خراب المنازل فى إقامة الحفلات الباهظة مما لا يرضاه الله ، ومن ثم صار هذا النهج متبعا فى قرية الشيخ ، وإن قوبل بمعارضة فى غيرها ، ولكنه فعل ما استراح إليه ، وجنب من وافقه كثيرا من الأعباء .

ولم ينته الطالب الذكى عند هذا الموقف العملى ، بل رأى أن يصدر كتابا يجمع البدع المنكرة ، ويردها بلسان القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين ، ثم أخذ موافقة على ما كتب من كبار شيوخه ، وكانت دعوة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده إلى محاربة المنكرات قد بدأت تذيع فى الناس ، حيث قامت مجلة « المنار » بنشر آرائه على وجه متسع ، وقام تلاميذه بالكتابة فى الصحف والخطابة على المنابر فى استهجان كل مالا يتصل بالدين من بدع ، ولا أدرى لماذا لم يشر الشيخ محمود خطاب إلى آراء الإمام ، ولم يأخذ توقيعه فيمن أخذ توقيعهم من الشيوخ ، والرجل العظيم كبير العلماء ، ومفتى الديار المصرية الرسمى ! لعله لمس كراهية الوصوليين لمنحى الإمام ، وقيام نفر من جهلة المشايخ بالحملة على آرائه الصائبة ، فرأى أن يكون عنه بمنأى ، على أن الشيخ قد ناصره وأيده حين شاعت آراء الطالب النابه فى قرى الريف ، واشتكى المغرضون منها إلى رجال الحكم بالعواصم المختلفة ، فكتب المسئولون إلى الشيخ الإمام يطلبون فتواه فيما أذاع الشيخ السبكى ، إذ أحدثت آراؤه شغبا فى الناس ، وكادت تؤدى إلى فتنة فى المساجد والمجامع العامة ، جاء كتاب المسئولين إلى المفتى الأكبر ، فأقر كل ما قاله الشيخ محمود خطاب السبكى ، وأعلن أنه النهج المتبع عند من يستمعون القول فيتبعون صوابه ، وكسب الشيخ السبكى بذلك معاونة رجال الإدارة من مأمورى المراكز ، وضباط النقط فى القرى والبلاد ، وهذا نصر آخر كتب له ، بعد أن وفق إلى جعل قرية (سبك الأحد) نموذجا للاحتذاء .

رأى الشيخ محمود أن يتقدم لامتحان الشهادة العالمية بالأزهر ليكون عالما رسميا فى نظر العامة والخاصة ، لأن خصومه قد أشاعوا عنه قلة

بضاعته من العلم ، وأنه يلجأ إلى الوعظ الجمهورى الذى لا يكلفه غير شرح آية أو تفسير حديث ، أما التعمق فى أصول الشريعة وعلوم اللغة والنحو فهو بعيد عنه ، ولا يجوز لمثله أن يتصدر للوعظ والإرشاد ؛ تقدم الشيخ لامتحان العالمية فى سن التاسعة والثلاثين ، وسن كبيرة بالنسبة لمن يحرزون الشهادة قبل الثلاثين ، ولكن ذلك لا يمنع قانونيا من اجتياز الامتحان ، وكان الامتحان لعهده شفويا فقط يدور حول إحدى عشرة مادة علمية لكل مادة يومها الخاص بها ، والممتحنون من كبار العلماء بالأزهر ، يمتحنون المادة لجميع المتقدمين فى يوم واحد من الصباح إلى الغروب ، وكان هؤلاء لا يزيدون على سبعة أو ثمانية كل عام ، لأن رهبة الامتحان ، وطول مدته النسبية ، ونقاش الكبار من الفحول كانت تصد الكثيرين عن الاقتحام فى لجة عاتية لا تؤمن عقباها ، وكان من الممتحنين الكبار بعض من لا يرضون عن حركة الشيخ الإصلاحية ويعدونها حبا للتظاهر ورغبة فى ذيوع الاسم ونباهة الصيت ، ولكن الحق لابد أن يفوز ، فقد وفق الشيخ فى إجاباته المختلفة على كل ما قدم إليه من أسئلة ، ورأت اللجنة أن يفوز بالدرجة العلمية عن جدارة ، ومن ثم جاز له أن يصبح مدرسا رسميا بالأزهر ، أخذ يختار من نبهاء الطلاب من يتطلعون إلى إصلاح دينى ، ترتكز مبادئه على القرآن والحديث ، وكابد عناء فى إفهام تلاميذه أن المذاهب الفقهية متقاربة ، وأن انتساب الطالب الأزهرى إلى مذهب معين ، لا يجوز أن يعوقه عن الاطلاع على المذاهب الأخرى ، فإذا رجح لديه دليل فى مذهب آخر كان أولى باتباعه ، وضرب المثل لهم بمفتى الديار المصرية الأستاذ الإمام محمد عبده ، حيث إنه شيخ الحنفية الرسمى ، ولكنه فى فتاواه لا يتقيد بالمذهب الحنفى إذا رأى الدليل القوى فى مذهب سواه ، بل إنه يترك المذاهب الأربعة إلى آراء أخرى يجدها فى كتب الأعلام تنسب إلى كبار الصحابة والتابعين ، وتكون معتمدة لدى من تلاهم من أئمة الفقهاء مثل الأوزاعى وسفيان الثورى وابن المبارك وابن حزم وطاووس ، وحين شرع الشيخ محمود خطاب فى كتابة تأليفه المتسع (الدين الخالص) كان هذا الاتجاه واضحا لديه ، ولم تمض سنوات يسيرة حتى رأى الرجل أن لديه من نوابغ الطلاب وأفاضل المدرسين من يؤيدون طريقه الإصلاحى ، ففكر فى إنشاء جمعية تدعو إلى الله ، بعيدة عن الأزهر الرسمى . لأنه باستقلاله فى هذه الجمعية يستطيع أن يكون أكثر حركة ، ويستطيع أن تبعث مؤيديه من تلاميذ الجمعية إلى المدن والقرى المصرية ليرشدوا الناس دون أن يجدوا معارضا من جهات مسئولة ، وهكذا أصبح تأليف الجمعية شغله الشاغل حتى وفقه الله إليه ، فصارت الجمعية واقعا ملموسا ، وقامت برسالتها على نحو ما تشاهده الآن فى مصر جميعها ، وذلك بتأييد الله ورضاه !

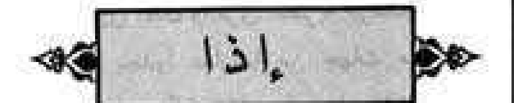
« يتبع »

طرائف ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نعم الفائز

قال بعض العلماء : إذا ابتليت فثق بالله ولا تجزع ، وإذا عوفيت فاشكر الله ولا تقطع ، وإذا وقف بك أمر فلا تيأس ولا تطمع ، وفوض أمرك إلى الله ، فنعم الملجأ ونعم المرجع ، فإذا فعلت فقد فزت بخير الدارين أجمع .

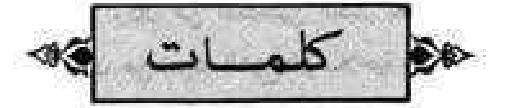


إذا

إذا جهلت ، فاسأل .
وإذا أسأت ، فاندم .
وإذا ندمت ، فاقلع .
وإذا فُضلت على أحد ، فاكتم .

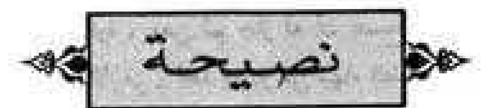
المنُّ يفسد المعروف

فلا تك منّانا بخير فعلته
فقد يفسد المعروف بالمنّ صاحبه .



كلمات

اثنان لا تنساهما أبدا : ذكر الله ، والموت ، واثنان لا تتذكرهما أبدا : إحسانك إلى الناس ، وإساءة الناس إليك .



نصيحة

قال الأحنف بن قيس لولده :
يابنى : إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه ،

فإن أنصفك فالزمه ، وإلا فاحذره ، فالإنصاف وقت الغضب من شيم الأكرمين .



الكبر يؤدي إلى الوضاعة

قال معاوية بن أبي سفيان :

إن التواضع مع البخل والجهل ، أزين بالرجل من الكبر مع البذل والعقل ، فيالها من حسنة غطت على سيئتين كبيرتين ، ويالها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين .



العقل

وافضل قسم الله للمرء عقله
فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا اكمل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومآربه



أعجب شيء

قال حكيم : أعجب شيء رأيته ، رجل بيده القرآن الكريم ، ويطلب علما سواه ، وأعجب منه قلب عرف الله ثم عصاه .

المبادرة بالعمل الصالح

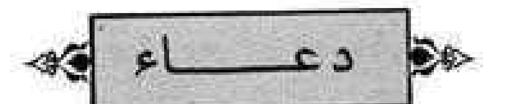
قال الحسن البصري : بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل ، فإن لكم ما أمضيتم لا ما أبقيتم .

وكان خالد بن معدان يقول :

إذا لم تزرع وأبصرت حاصدا
ندمت على التفريط في زمن البذر

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لأصحابه يوماً : فيم أنتم ؟ قالوا : نرجو ونخاف ، فقال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه . وقال الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجرى على اليبس



دعاء

اللهم إنك تعلم أني ماكفرت بك منذ آمنت ، ولا أضمرت لك في قلبي غير ما يضمر المؤمنون الموحدون ، فاغفر لي آثامي وذنوبي ، فإني ما أذنبت عنادا لك ، ولا تمردا عليك ، ولكنها النفس غلبتني على أمري ، وحالت بيني وبين طاعتك ، وأنت أجلّ من أن تقاضيني مقاضاة الدائن غريمه ، لأنك كريم ، والكريم يمنح العطية منحا ، ولا يقرضها قرضا ، ويسبغ نعمته الوارفة الظليلة ، حتى على العصاة والمجرمين .

«من كتاب النظرات» بتصرف



الذرة لغة واصطلاحا :

كلمة « الذرة » فى اللغة العربية تعنى : صغار النمل ، وتعنى أيضاً : النسل ، وهى تجمع على « ذرّ » ، ومن أبرز معانيها أنها تطلق على ما يرى من هباء وجسيمات دقيقة فى شعاع الشمس الداخل من النافذة ، ومعناها البيانى المقصود هو التهوين والتصغير والتقليل ، وقد ورد ذكر كلمة الذرة ومثقالها فى القرآن الكريم فى مجال التشبيه لتقريب مدى صغر المشبه إلى ذهن السامع أو القارىء . قال تعالى :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾ (الزلزلة : ٧ ، ٨)

كذلك ذكرت حبة الخردل ومثقالها للغرض نفسه : قال تعالى :

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾

(لقمان : ١٦) .

أما استخدام مصطلح « الذرة » بمعناه العلمى ، فقد دخل فى لغتنا العربية حديثا على سبيل ترجمة غير دقيقة لكلمة « أتوم » التى تعنى فى لغة الإغريق « غير المنقسم » أو « غير القابل للانقسام » ، وعلى الرغم من شيوعه وقبوله فى لغة العلم العربية باتفاق الناس عليه ، إلا أنه

لا يطابق المعنى اللغوى والبيانى من وجوه عدة ، فضلا عن أنه لا يوافق المقابل الأجنبى الذى احتفظ بلفظه فى جل لغات العالم ، وترجمه أسلافنا ترجمة دقيقة عندما ظهر فى تراثنا الإسلامى باسم « الجزء الذى لا يتجزأ » و « الجوهر الفرد » .

وهنا يجب التنبيه إلى خطورة الربط اللغوى بين اللفظ القرآنى والمصطلح العلمى دون إحاطة تامة بدلالات اللفظ القرآنى من جهة وبتاريخ المصطلح العلمى وسيرته ومعناه من جهة أخرى . وقد ظهر هذا عندما تحدث البعض عن سبق القرآن الكريم أن يتضمن تفاصيل العلوم المختلفة ومايضعه الناس ، اتفاقا ، من مصطلحات فيها .

ويتضح الأثر السلبى لهذه الطريقة فى التفكير عند ترجمة معانى القرآن الكريم إلى مختلف اللغات الأجنبية ويظهر التعبير أو اللفظ القرآنى وكأنه ـ حاشا لله ـ مقتبس من لغات قديمة ، فنكون بذلك قد أسأنا إلى الهدف النبيل . ثم ، إذا كان ذلك كذلك ، فأين نجد فى القرآن الكريم المقابل لكلمات « إلكترون » و « بروتون » و « نيوترون » التى ظلت على حالها فى جميع اللغات ؟! . . وماذا نقول الآن فيما ظهر حديثا من مسميات لجسيمات أولية دون الذرة ترجمت إلى اللغة العربية بأسماء من قبيل : « السحر » و « الغرابة » و « الجمال » ؟ . . هل إذا ما وجد لفظ مماثل لهذه الكلمات أو مشتق منها فى القرآن الكريم نقول أن القرآن سبق إلى الإخبار بالجسيمات الأولية دون الذرية قبل أن يكتشفها العلم الحديث ؟ . . لاشك أن ظهور مثل هذه التفسيرات التى جانبها الصواب فيه إسراف فى التأويل ويضاعف من تيار المعارضين لاتجاه الربط بين العلم وإنجازاته من جهة ، وبين القرآن وآياته من جهة أخرى .

من ناحية أخرى ، يقتضى فقه مصطلح « الذرة » أن نؤصل له فى الفكر الإسلامى بعد أن نعرف شيئاً عن سيرته وظروف نشأته فى الثقافة الإغريقية . ذلك أن المذهب الذرى الذى وضعه فلاسفة الإغريق لا يزال يحظى باهتمام كبير من جانب بعض المؤرخين وفلاسفة العلم الغربيين الذين يعرضون لتاريخ النظرية الذرية بالتحليل والتأصيل ، وعلينا أن نتناول الأمر بكل الحذر ولا نبالغ فى تقديره فوق ما يجب ، لأن هذا المذهب قام على كثير من الخيال ، ومن الجدل النظرى العقيم ، ولم يقم على منهج علمى منظم ، وهو بعيد كل البعد عن المدرك المعاصر فى تركيب المادة وبناء الذرة ، فضلا عن أنه يستند عند أنصاره ويذهب بهم إلى أقصى حدود النزعة المادية الآلية التى تسيِّر ـ فى نظرهم ـ جميع الأشياء والموجودات فى هذا العالم بحتمية القانون الطبيعى .

وقد اطلع المسلمون الأوائل على آراء فلاسفة الإغريق فى « الذرة » أو « الجوهر الفرد » من خلال مترجماتهم إلى اللغة العربية ، وكان طبيعيا أن يتبرأ مفكرو الإسلام من هذا المذهب الذرى الذى يجحد أصحابه الصانع المدبر للعالم ، وينكرون وجود الخالق الواحد جل وعلا ، كما ينكرون النبوة والبعث والحساب ، وقد وصفهم الإمام الغزالى فى « المنقذ من الضلال » بالزنادقة ، كما أنهم وُسموا بالدهرية الذين عناهم القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الجاثية : ٢٤ ـ ٢٦)

ويأتى أبو الهذيل العلاف (١٣٥ هـ ـ ٢٣٥ هـ) فى مقدمة فلاسفة المسلمين الذين ساهموا فى أول صياغة إسلامية لمعنى مصطلح « الجزء الذى لا يتجزأ » ، فهو يقول : « إن الخردل يجوز أن يتجزأ نصفين ، ثم أربعة ، ثم ثمانية إلى أن يصير كل جزء منها لا يتجزأ ، ويجوز على الجوهر الواحد الذى لا ينقسم إذا انفرد ما يجوز على الأجسام من الحركة والسكون ، وما يتولد عنها من المجامعة والمفارقة . وهذه الأجزاء تتحرك فى خلاء ، لكنها لا تتحرك ولا تسكن بذاتها لأن الله من حيث هو ذات فريدة وقادرة هو الذى أوجد الحركة فيها والسكون » .

ألم يكن من الأفضل الإبقاء على مصطلح « أتوم » معربا ، أو على المقابل العربى « الجزء الذى لا يتجزأ » ، وما دام هذا لم يحدث فلا مشاحة فى وضع مصطلح « الذرة » واستعماله ، لكن المشاحة ضرورية فيما يتعلق بالمضمون وتوظيف المعنى دينيا وفكريا .

المادة لغة واصطلاحا :

كلمة « مادة » تعنى فى اللغة العربية : كل شىء يكون مددا لغيره ، وتعنى أيضاً كل جسم ذى امتداد ووزن ويشغل حيزا ، ومادة الشىء هى أصوله وعناصره التى منها يتكون . ومن ثم فإن مادة الكون هى كل ما خلق الله فى عالم الشهادة ، أى العالم الذى نحسه بحواسنا أو ندركه بما يقوم مقام الحواس ويعزز وظائفها من أجهزة وأدوات ، مثل المقاريب التى تمكن من رؤية الأجسام البعيدة والمجاهر التى تمكن من رؤية الأجسام الدقيقة ، أو غير ذلك مما لم يتمكن الإنسان بعد من إدراكه والتعرف عليه فى هذا الكون الفسيح الذى لا يعلم مداه إلا الله وحده .

ولقد أقسم الله بالمادة فى صورها المختلفة لحث الإنسان على دراستها للإفادة منها والتعرف على ما فيها من أسرار دالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته ، يستوى فى ذلك أن تكون المادة شمسا أو نجما أو قمرا أو

سماء أو أرضا أو ريحا أو بحرا ، أو حتى قلما وكلاما مسطورا ، فهى كلها مسخرة من قبل الله تعالى لاستخدام الإنسان بما يحقق الإعمار فى الأرض ، وهى لا تملك لنفسها ضرا أو نفعا .

لكن أصحاب النزعة المادية شوهوا هذا المعنى الإيمانى للمادة ، واعتبروها الحقيقة الوحيدة المؤكدة التى يفسر بها الكون والمعرفة والسلوك ولا سبيل إلى العثور على حكمة وراءها . ولجأ هؤلاء الملحدون إلى محاولة تقنين هذه الأفكار فى أنساق حسبوها علمية وانخدع بها الكثيرون إلى حين ، وأخذ المفتونون بهذا التيار الفكرى الضال بما أسموه « الحتمية العلمية » أو « الحتمية المادية » ليبرروا لأنفسهم بلوغ قوانين كلية عامة من وقائع جزئية محدودة ، إذ يستحيل على أى باحث أن يرصد كل الوقائع القائمة فى كل زمان ومكان ، وحسبه ما يتاح له منها لكى يصل إلى القانون الذى يصف به سلوك ما يراه أمامه من ظواهر ، ولن يتحقق له ذلك إلا إذا افترض أن المادة بلا بداية ولانهاية ، وأن العالم يخضع لحتمية تربط بين السبب والنتيجة ، وأن الكون المادى يتصرف بضرورة داخلية آلية (ميكانيكية) دون الحاجة إلى علة مطلقة ، وأن كل ما يحدث فى الكون من الأرض إلى السماء يخضع لقانون معلوم أسموه « قانون الطبيعة » . ويبلغ تقديس هذه النزعة الإلحادية حدا جعل الموغلين فى المادية يقارنون بين الإنسان والآلة ، ويشبهون أجزاء المجتمع كله بالآلة وأجزائها ، ويؤكدون أن جسم الإنسان هو الحقيقة الإنسانية الوحيدة ، وأن الغرائز والانفعالات هى التى تقوده وتحكم سلوكه ، ويرجعون الظواهر النفسية إلى عوامل كيميائية وفسيولوجية ، ويردون الحياة إلى مجموعة أعضاء أو وظائف تؤدى عملها وكأنها تروس فى آلة ميكانيكية . وخلاصة ما يزعمه هؤلاء أن الكون والإنسان لا يحتاجان البتة إلى أى سبب غيبى ميتافيزيقى (من وراء الطبيعة) أما تفسير الظواهر المختلفة فلا يخضع ـ حسب زعمهم ـ إلا لنوعين من العلل هما : الضرورة والصدفة .

ولقد تولى العلم نفسه دحض هذه الأفكار المادية الطائشة وإسقاطها عندما ظهرت بشائر مرحلة جديدة فى تاريخ العلم مع حلول القرن العشرين ، فقد فتحت نظرية النسبية لأينشتين بابا واسعا لأهمية منطق التوحيد فى الفكر العلمى ، من خلال الجمع بين المكان والزمان والجاذبية والإنسان ، وكان من أهم نتائجها أنها زودت الباحثين بأدوات فكرية وعملية جديدة تمكنهم من البحث المفصل فى بقية الكون بأكمله ، وفى أصله ومصيره ، واضطر أنصار الحتمية المادية إلى أخذ جانب الحذر من مبدأ يخالف طبيعة التقدم العلمى ، فضلا عن أنه يناقض فطرة الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى .

ولعل أبرز ما توصل إليه العلم حديثا نظرية « الانفجار الكبير » التى تقضى بأن الكون قد نشأ فى لحظة محددة يرجع تاريخها إلى ما بين ١٢ ، ٢٠ بليون سنة ، إثر انفجار مادته التى كانت جميعها محتواة فى حيز صغير جدا لا يكاد حجمه يعادل شيئا ، وكانت تلك اللحظة هى بداية المكان والزمان والمادة . ويعترف علماء الكونيات بأن هذه العملية تفوق الخيال ، ولكنها مقبولة عقلا ، ولا يستلزم حدوثها وجود مكان قائم بالفعل ، إذ ليس هناك ما يدعو إلى أن تفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار الكبير ، وأنه حدث بينهما تفاعل فجائى ، فما الذى يميز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات فى الأزلية ؟

ويخلص أحد العلماء المعاصرين إلى القول بأن بداية الزمن أمر لا مناص منه ، كما أنه ينفى صفة الأبدية عن المادة والكون لأن عملية انكماش واحدة كبيرة من شأنها أن تنهى كل شىء ، ولو حصل انهيار فى الجاذبية فسنكون قد وصلنا إلى نهاية الزمن . فالمادة إذن ليست بلا بداية ولا نهاية . والأبسط أن نسلم بحقيقة إبداع الإرادة الإلهية للكون من العدم .

وهكذا نجد أن معطيات العلم الجديدة تقود بالضرورة إلى اعتبار الإنسان فى مركز الغاية من إبداع الكون ، والكون الذى يستهدف ظهور الإنسان يستلزم بداهة وجود الخالق الذى يدبره ويرعى شئونه . فسبحان القائل فى محكم التنزيل :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ (ص : ٢٧) .

من قادة الخلفاء الراشدين . بقية .

عليه قرنه ، وقرن نفسه ، وذلك من الملاءمة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه .. اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام ، وذل يذل به الكفار ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك ، أمنوا يرحمكم الله » ، فأمن المسلمون وبكوا من خطبة النعمان.

وكان الفرس قد تحصنوا خلف خنادق عجز معها المسلمون عن الوصول إليهم ، فأشار عمر ابن معدى كرب على النعمان بأن يشيع أن أمير المؤمنين توفى ، وينسحب بالجند ، فما أن فعل النعمان حتى تخلى الفرس عن خنادقهم لمطاردة المسلمين فاستدار النعمان بالجيش لمواجهتهم ، وكان النعمان يجول بين صفوف المسلمين يحضهم على القتال ، وكان أكثر ما يحرص عليه أن ينتظر الساعة التى كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقاتل فيها ويستنزل النصر ، وهى زوال النهار ومهب الريح ، والتحم الفريقان فى قتال عنيف كان النعمان أول شهدائه فحمله أخوه سويد ابن مقرن إلى فسطاطه ، وارتدى ثيابه ، وتقلد سيفه ، وركب فرسه فلم يشعر أحد بوفاة النعمان ، وظل المسلمون يقاتلون حتى أظهرهم الله على الفرس وسقطت نهاوند .

(يتبع)

خميلة الشعر

للأستاذ / محمد عبد الوهاب

تطلع الخميلة اليوم ، وقد تبدلت ملامحها ، فاشجارها واجمة ذاهلة ، وازهارها اسية ذابلة ، اما اطيارها ، التي طالما سحرت الألباب بحلو الانغام والألحان ، بدت وقد مضّها الحزن وشفَّها الشّجن .

ولا غرو ، فإن ما نقدمه اليوم ما هو إلا عبرة كبيرة ، وقعت على هذه الصفحات ، فجرت سطورا معبرة ، عما احسه الشعراء من لوعة واسى ، لما اصاب امتنا الإسلامية من اقصاها إلى اقصاها لرحيل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وكيف لا ، وفضيلته كان علما من اعلام الإسلام ، ولواء مباركا من الويته ، يدافع عن مبادئه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيهتدى به الضال ، ويامن به الخائف .

ولانه ابن بار من ابناء الأزهر الشريف ، فيحق للأزهر ، ولمجلته الناطقة بلسانه ، ان تقدم لروحه الطاهرة لمسة وفاء ، لعطائه العلمى الزاخر ، ومهما حاولنا ، او حاول غيرنا من الناس ، فلا يستطيع ان يفى شيخنا حقه إلا الله جل وعلا .

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

هذا ونقدم فى هذا العدد ثلاث قصائد معبرة ، تقدم بها الشعراء .. اثروا ويثرون ساحتنا الادبية ، بنتاجاتهم المتميزة ، وافكارهم البنّاءة والموحية .

والله ولى التوفيق .



مرثية الإمام
محمد متولى الشعراوى

للأستاذ الدكتور : محمد رجب البيومى



ألقيت فى جلسة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف. يوم الخميس ٢٣ من شهر صفر سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٨ من شهر يونية سنة ١٩٩٨م، • بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، ورئيس المجمع، والتى خصصت لتأبين الإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى. رحمه الله..

- ١ -

العزاءَ العزاءَ قد أفلَ البد ... رُ فضلَّ السَّارى وتاه الطَّريقُ
والدجَى كالخضمِّ يقذفُ بالمو ... جِ عُبَابًا فيه الوجودُ غريقُ
وعيونُ الثَّراة هَاجَ لَهَا اللَّيْل ... شُجُونًا ففاضَ منها العقيقُ
وقَفَ الرَّكْبُ فى الدجى كأسيرٍ ... يتمنَّى الحياةَ وَهْوَ طَلِيقُ
كلّ سارٍ مَضَى يُحَدِّقُ فى الأ ... فقِ ومَاذَا يُفيده التَّحديقُ ؟

يَرقبُ البدرَ في السَّماءِ ولنْ ... يسطعَ منْ ضوئه عليه بريقُ

الضياءُ الضياءُ أودعه الموتُ ... ضريحًا به السكونُ العميقُ

فالعزاءَ العزاءَ قد أفل البد ... رُ فضلَّ السَّاري وتاهَ الطَّريقُ

- ٢ -

أينَ منَّا مُحاضراتُك في التفسيرِ ... تُهدِي لَنَا الجنى فَنَذوقُ

نَفحاتُ الإيمانِ تَسطعُ منها ... مثلما يبعثُ الضياءَ الشروقُ

بَهرت كلَّ سامعٍ فإذا ... التكبيرُ لِلَّهِ يُعتَلى ويفُوقُ

وإذا الملحدُ اللَّجوجُ جزوعٌ ... وإذا المؤمنُ الطَّروب مشوقُ

يستلذ التَّفسيرَ حتى كأنَّ ... الشرح كأسٌ يُدار فيها الرحيقُ

كلُّ جيلٍ به الأئمةُ أعلامًا ... وأنتَ المتوَّجُ المرموقُ

منطقٌ ساطعُ الدَّليلِ ولفظٌ ... كانسيابِ المياهِ عذبٌ رقيقُ

يقطفُ السامعونَ ما يتشهو ... نَ، فكلٌّ يرى به ما يروقُ

فكبارُ الأفهامِ يُطربها الغوصُ ... ويُناجيها الدَّقيقُ العميقُ

وصغارُ الأفهامِ يُطربُها السَّهلُ ... ويقتادُها الرشيقُ الأنيقُ

جنةٌ غضَّةٌ وعرفٌ زكيٌّ ... وجنى ناضرٌ، وغصنٌ وريقُ

خيرَ العصرِ في جحيمِ بلاياهُ ... ولاحتْ لناظريهِ الفتوقُ

أبصر الدَّاءَ في مكامنهِ الغُلْفِ ... فيا عزَّة الدواءُ الشَّفيقُ

ليس في كفِّه سوى مُصْحَفِ ... اللهِ فمنهُ صَبوحُه والغَبوقُ

فلعمري لولا الخشوعُ لدى الذ ... كر لقد هزَّ سمعَه التَّصفيقُ

هكذا هكذا تكون المعالي ... كالمباني يَلْتَاطُهُنَّ دفوقُ

- ٣ -

هجم المارقونَ من كل صَوْب ... في زمانٍ يطيبُ فيه المروقُ

كلَّ غاوٍ يهْذِي لتسمعَ منه ... مايقولُ المُراوغُ الزنديقُ

فإذا صاح بالحقيقة حُرٌّ ... صرخ البومُ، واستطارَ النَّعيقُ

رِدَّةٌ لم يكنْ لها غيرُ قوم ... كلّهمْ في البيان ضاعٍ ذَليقُ
كان منهم «محمدٌ» وهو جيشٌ ... وحدَه، كم تغصّ منه الحلوقُ
بَطَلُ التَّنْوير الحقيقيّ فعلاً ... فدعِ القوم نُوَّمًا، لم يفيقوا
أيّ نور إلا من الذكر يأتي ... وسِوى الذكر رِدَّةٌ وفسوقُ

- ٤ -

مَنْ رَأى الأزهر الجزوع كشكل ... غابَ عندها وحيدُها المعشوقُ
والأسَى يملأُ العيون ضَبَابًا ... كغيوم تنفضُّ منها البُرُوقُ
وجموعُ الطّلاب يعلو زفير ... من صُدور ويستفيضُ شَهيقُ
قد تمنَّوْا أن يَحملُوك على الرأس ... فكلٌّ إلى الوداعِ سبوقُ
جاءَهم الامتحانُ فالتحم القيدُ ... وَقَارَتْ بِالْغَيْظِ منهم عُروقُ
عَاقَهم مَوْسم الحصاد وماكانَ ... سواه لدى الوداع يعوقُ
إن تنادَتْ جسومهم فعلى القبر ... لترى أرواحهم تحليقُ
والملايينُ من سواهم حشود ... كاد منها رحب الفضاء يضيقُ
أمَلٌ فَرَّ كالخيال فهلا ... كان بعد الفرار منه طُروقُ
العزاءَ العزاءَ قد أفل البد ... ر فَضَلَّ السَّارِي وتاه الطريقُ

- ٥ -

يافقيدَ الأخلاقِ أي المزايا ... لك يصفو معينها ويروقُ؟
الحياء النبيل، والأدب الجمّ ... وإحساسك الرهيف الرَّقيقُ
حينَ أعطاه ربه شارك ... النَّاس فإحسانه أكيدٌ وثيقُ
يجمع المال عنده دون مسعى ... وله بعد ساعة تفريقُ
كَمْ يتيمٍ حَنَا عليه وَكَمْ ثَكْلَ ... محَا حزنَها نداءُ الشَّفيقُ
وبيوتٍ مستورة لَوْ عداها ... كَشفُ السّتر وَاسْتَطارَ الحَريقُ
عفِّ عن ذا فَلَوْ أفَضْتُ بِمَا أدْ ... ريه عنه تعذّر التَّصديقُ
العزاءَ العزاءَ قد أفل البدر ... فضل السارى وتاهَ الطَّريقُ

فى رحيل الإمام الشعراوى

للأستاذ : محمد التهامى



ألقاها الشاعر فى حفل تأبين « الشبكات الإذاعية لجمهورية مصر العربية » لفضيلة الشيخ الشعراوى ، والذى أقيم فى مسجد مولانا الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ مساء يوم السبت الموافق ٢٥ من شهر صفر سنة ١٤١٩هـ ، ٢٠/٦/١٩٩٨م .

أيها المقْنعُ منْ ذَا أقنعك ؟ ∴ فارتضيْتَ الصمتَ كيلا نسمَعك
وارتقيت البعد عن أنظارِنا ∴ فحملت الصبرَ والسّلوى معك
قد تركتَ الكون قفرًا موحِشًا ∴ فتمنى كلُّنا أن يَتْبَعَكْ
هذه أرْواحُنا نفدِى بها ∴ إن يكن فى طوْقها أنْ ترجِعَكْ

ـ

هلْ وهَذا الهوْلُ فى أيامِنَا ∴ أيُّها العملاقُ تُخْلِى موقِعَكْ ؟
جِئتَ بِالتِّبْيَانِ نُورًا ساطِعًا ∴ فتحَرّتْ كل عين مَوْضِعَكْ

تَعْبُرُ الغَيْمَ وَتَطْوِي فَوْقَه ∴ مَا اسْتَطَاعَتْ غَيْمَةٌ أَنْ تَمْنَعَكْ

ـ

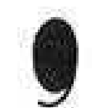
سِرْتَ بِالإِيمَانِ نَهْرًا جَارِيًا ∴ فَرِضَاءُ اللهِ أَجْرَى مَنْبَعَكْ
قَدْ قَضَيْتَ العُمْرَ طَوَّافًا بِهِ ∴ وَعُيُونُ الخَلْقِ تَرْعَى مَطْلَعَكْ
وَقَسَا الدَّهْرُ وَوَافَاكَ الضَّنَى ∴ حَاوَلَتْ الآمُهُ أَنْ تُخْضِعَكْ
فَقَهَرْتَ الهَوْلَ لَمْ تَعْبَأْ بِهِ ∴ لَمْ تُرِدْ بَاقْتِيَحَنَا أَنْ يَقْطَعَكْ
تَقْطِفُ الوَرْدَ وَتُهْدِيهِ لَنَا ∴ وَعَضُوضُ الشَّوْكِ أَدْمَى إِصْبَعَكْ
وَتَصُبُّ الشَّهْدَ فِي أَفْوَاهِنَا ∴ رَاضِيًا مِن نَحْلِهِ أَنْ يَلْسَعَكْ
وَعَرَضْتَ الثَّغْرَ بَسَّامًا لَنَا ∴ وَكَتَمْتَ الجُرْحَ مَهْمَا أَوْجَعَكْ
تُطْلِقُ البَسْمَةَ فِي أَفْوَاهِنَا ∴ وَتُغَطِّي فِي ضُلُوعٍ أَدْمُعَكْ
وَتَرُدُّ النَّارَ عَنْ أَضْلَاعِنَا ∴ حِينَ تَلْوِي فِي غُضَالٍ أَضْلُعَكْ
فَتَقَبَّتَ الجُرْحَ فِي أَعْمَاقِنَا ∴ بَعْدَمَا أَعْمَلْتَ فِيهِ مِبْضَعَكْ
وَدَعَاكَ اللهُ فَاشْتَدَّتْ خُطَى ∴ كُنْتَ فِيهَا وَاثِبًا مَا أَسْرَعَكْ
قَدْ جَمَعْتَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا مَعًا ∴ نِلْتَ فِي الدَّارَيْنِ فِيهَا مَطْمَعَكْ
كَيْفَ تَحْيَا دُونَ قَوْلٍ مُلْهَمٍ ∴ صَاغَهُ الرَّحْمَنُ لَمَّا أَبْدَعَكْ ؟
تَعْرِفُ الحَقَّ صَوَابًا كُلَّهُ ∴ مَا تَرَكْتَ الزَّيْفَ حَتَّى يَخْدَعَكْ
كَمْ تَوَالَى بَاطِلٌ مُسْتَحْكِمٌ ∴ ثُمَّ وَلَّى عَاجِزًا أَنْ يُقْنِعَكْ
أَغْلَقَ الحَقُّ عَلَى أَسْرَارِهِ ∴ وَعَلَيْهَا فِي جَلَاءٍ أَطْلَعَكْ
أَتُرَى أُرْهِقْتَ مِنْ أَيَّامِنَا ∴ وَطَغَى الإِرْهَاقُ حَتَّى ضَيَّعَكْ ؟
قُلْ لَنَا بِاللهِ بَاقْتِيدِيلِنَا ∴ كَيْفَ نَحْيَا فِي الدُّجَى مَنْ شَيَّعَكْ ؟

∴





للشاعر: محمد فتحى نصار



إلى الروح الكريمة فى مثواها الكريم، عند مليك مقتدر، فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

هل ختمتَ الكتابَ قبلَ الرَّحيلِ   وأضأتَ القلوبَ قبلَ العقولِ ؟!
هل أزحتَ الستارَ عن كلِّ خافٍ   من معانٍ بديعةِ التأويلِ ؟!
هل شربتَ الغيوبَ نهرًا حفيًّا   فى كؤوسٍ رنّانةِ الترتيلِ ؟!
هل عبرتَ التاريخَ فهوَ سطورٌ   فى نواحِى رُؤاكَ خيرُ دليلِ ؟!
هل رأيتَ الأمينَ بتنزلٍ وحيًا   وتلقّيتَ صوتَهُ بالقبولِ ؟!
هل قرأتَ الحياةَ سِفرًا فسِفرًا   فرضيتَ الرَّحيلَ دونَ بديلِ ؟!
وتركتَ الحياةَ لمّا استقرّتْ   وأقرّتْ بما ترى من أصولِ ؟!

•

يادليلَ الظِّماءِ للنَّبعِ والنَّبـ   ـعِ اشتياقٌ لِضوئكَ المَعسولِ
يارفيقَ الصَّباحِ وجهًا لوجهٍ   ومُنادى سَناهُ دونَ غُفولِ
أينَ نلقى هُداكَ وهوَ حبيبٌ   رائعُ الوعدِ ما لَهُ مِن مثيلِ ؟
كيفَ نأتمُّ والإمامُ بعيدٌ   دونَ مرآى مكانِهِ ألفُ غِيلِ ؟

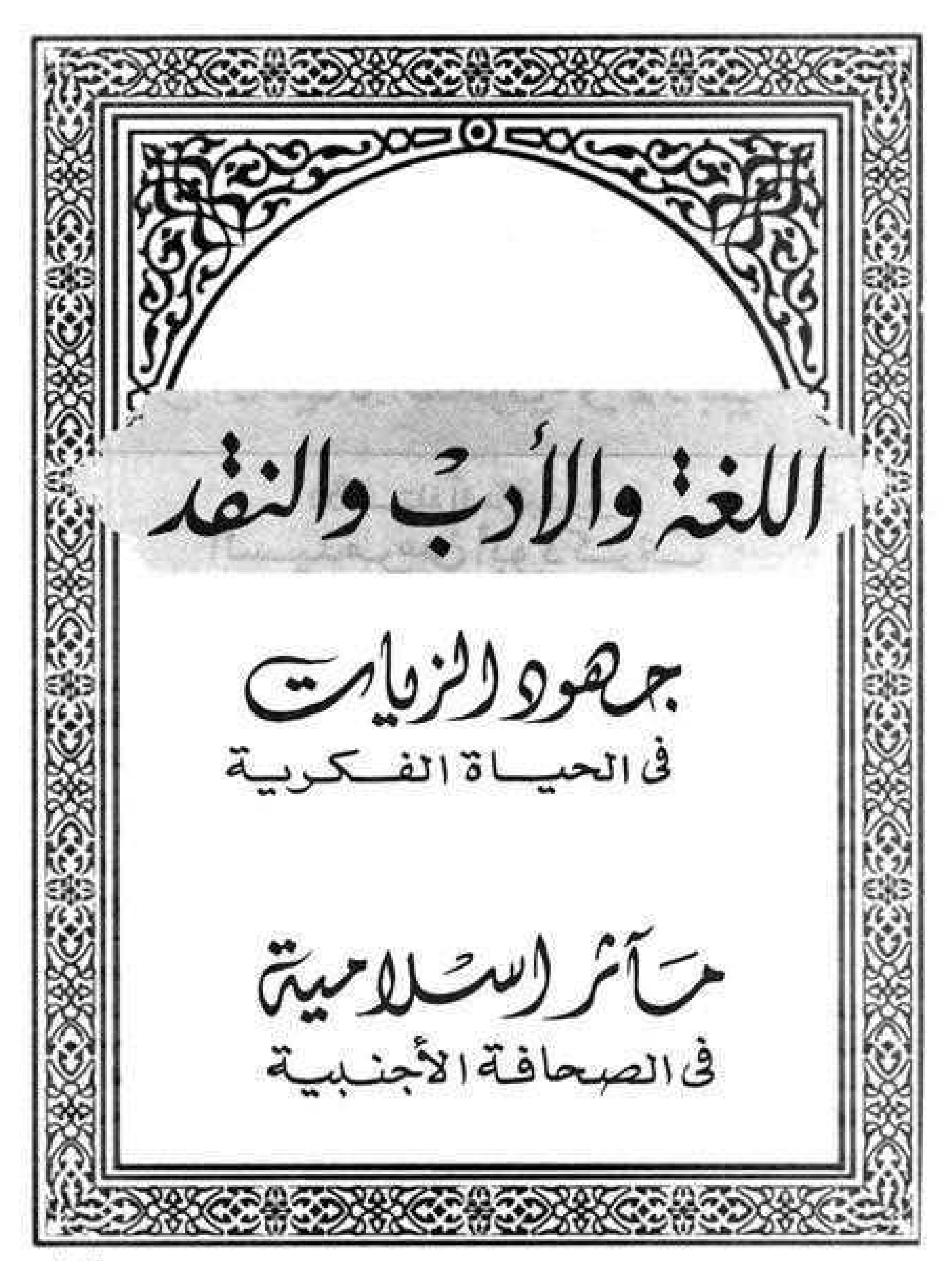
كيف تُصْغِي وصوتُهُ صار غيبا   رغم أنَّ الحديثَ غضُّ الفصولِ ؟
يا صديقَ الكتابِ، وهْوَ شفيعٌ   ورفيقٌ، ورفعةٌ لخليلِ :
لا تدعْنا لتيهنا ودجانا   وابْقَ فينا بقاءَ كلِّ أصيلِ
ابْقَ فينا بقاءَ كلِّ نبيلٍ   ابْقَ فينا بقاءَ كلِّ رسولِ

•

سوف تبقى -وإن رحلتَ- كتابا   وحديثا معانقَ التنزيلِ
سوف تبقى لمن أحبَّوك وحبَّا   وطريقا على خطا «جبريلِ»
سوف تبقى لنا منارا ورمزا   فوقَ جُهدِ التشبيهِ والتمثيلِ
فوقَ طاقاتِ كلِّ ذي كلماتٍ   حائرِ اللفظِ عاجزٍ، وعجولِ
فوقَ كلِّ العقولِ مهما استنيرت   وأتتْ بالجميلِ، أوْ بالجزيلِ
سوف تبقى هناك فوقَ الأماني   تتراءى كالشمسِ، كالمستحيلِ

•

آيةَ اللهِ، أنتَ كنتَ صداها   وحفيفَ التفسيرِ والتفصيلِ
وهي كانتْ لكَ الحياةَ، وكانتْ   خطاكَ الأمانَ يومَ الرحيلِ
كنتُ بالأمسِ ضارعا بدعائي   أن تطولَ الحياةُ ريَّ غليلِ
فأنا اليومَ صامتٌ متنعيدٌ   كلَّ ما قد سمعتُ قبلَ النزولِ
وأنا اليوم عاجزٌ عن بيانٍ   كنتُ أزهى به قُبيلَ الدخولِ
وأنا اليوم صامتٌ رغمَ أنِّي   كنتُ ربَّ الحروفِ منذُ قليلِ
فادعُ أنتَ القريبَ ألَّا يرانا   من بقايا الشرودِ، رفاتِ الصهيلِ
وأعدْني إلى الحياةِ، وصِفْ لي   رحلةَ الوعدِ، يا لها من سبيلِ !!
وأرِني من مواقفٍ لم أعشْها   بحروفٍ مترفقةِ التذليلِ
ها أنا في انتظارك اليومَ، فانظرْ   لم يزلْ صوتُ موعدي في ذهولي
لم يغبْ صوتُكَ الحبيبُ فدعني   مُصغيَ القلبِ في انتظارِ المقولِ
واحكِ لي عن كرامةِ اللهِ دهرا   لن أملَّ الحديثَ، رغمَ الذهولِ
أرِني الغيبَ من وراءِ المعاني   وسلامَ الخروجِ، طيبَ الوصولِ
ربَّما أقتدي، وأجمعُ نفسي   فوقَ دربِ النجاةِ، قبلَ الذبولِ
ربَّما ألتقي بتربِكَ يوما   تحتَ دوحٍ من الجنانِ ظليلِ


اللغة والأدب والنقد
جهود الزيات
فى الحياة الفكرية
مآثر إسلامية
فى الصحافة الأجنبية



للأستاذ الدكتور
السيد مرسى أبو ذكرى

تقديم

أحمد حسن الزيات ١٨٨٥ - ١٩٦٨ ، كاتب له مكانته ومنزلته بين أدباء عصره ، جمع بين الثقافتين العربية والأوربية فى حذق ومهارة ، ودافع عن الأصالة العربية وآدابها ، بقلم متميز ، وأسلوب متفرد ، وفكر نير ، مما كان له أثره فى حياتنا الفكرية والأدبية .

دبّج يراعه - من الثلث الأول من القرن الحالى - مقالات ممتعة فى الأدب والسياسة والاجتماع ، تفيض بالإحساس الدافق ، والشعور الصادق ، والحماس الهادر ، تجعله صاحب مدرسة متميزة فى أدبنا المعاصر .

لم يفقد الزيات طابعه العربى ولا تسق أسلوبه العالى ، رغم وقوفه على روائع آداب الغرب .

حتى قيل عنه : « أسلوب الزيات يعتمد على الصنعة المحكمة .. فهو ضفيرة منسقة من الألفاظ الموسيقية المجلجلة ، أو قطعة من الفسيفساء ، أبدعتها يد فنان صانع ، أو هو قالب جاهز يلبسها لكل فكرة ، ويلقيها على كل موضوع ، دون أن يحاول الخروج عن النسق المعتاد ، أو السنة المقررة ، ودون أن يعنى بتحوير القلب ، وتهذيبه بحيث يلائم الشكل المطلوب[1] .

آثار الزيات

أثرى الزيات المكتبة العربية بمؤلفات وترجمات ، صنعت للأدب العربى منهجا وطريقا ، ونهضت به فنا وأسلوبا ، وكونت مذهبا فنيا يقوم على دعامتين : الأولى : إعادة الطابع

(١) راجع : فن المقالة ص ٨٤ - ٨٥ ومحمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٦

الأول للبلاغة العربية ، كما فى كتابات ابن المقفع ، وفصول الجاحظ ، والثانية : تطعيم الفكر العربى الحديث بترجمة روائع الأدب الغربية كآلام فرتر وروفائيل ، ليساير ركب الحضارة المعاصرة ، وهاهى آثار الزيات المؤلفة والمترجمة :

١. تاريخ الأدب العربى

ألفه الزيات عام ١٩١٦ ، ليعود بدراسة الأدب إلى منابعه الأولى ، ضمّن مقدمته : ماهية الأدب وتاريخه وفائدته ، وأثره فى حياة الأمة ، وفى بناء وحدة الشعوب ، واستطرد قائلا : « فإذا حرمت شعبا آدابه وعلومه الجليلة الموروثة ، فقطعت سياق تقاليده الأدبية والقومية ، حرمته قوام خصائصه ، ونظام وحدته ، وقدته إلى العبودية العقلية ، وهى شر من العبودية السياسية ، لأن استعباد الجسم مرض يمكن دواؤه ، ويرجى شفاؤه ، أما استعباد الروح فموت للقومية التى لا يقدر على إحيائها طبيب »[١] .

قسم الزيات تاريخ الأدب العربى إلى خمسة عصور هى : العصر الجاهلى ، وعصر صدر الإسلام والدولة الأموية ، والعصر العباسى ، والعصر التركى ، والعصر الحديث ، وخص كل عصر بباب ، وأخضع تقسيم العصور لتقلبات السياسة ، وتغييرات المجتمعات فى الأمة العربية والإسلامية ، وأنهى الكتاب بخاتمة فى تاريخ الاستشراق ، وذكر بعض المستشرقين .

٢. آلام فرتر

هى قصة ألفها « جيته » صور فيها آلام وحب الفتى « فرتر » ترجمها الزيات خلال الفترة بين ١٩١٩ / ١٩٢٠ لما مر به من اضطراب عواطفه وكثرة انفعالاته ، على نحو ما مر بالفتى « فرتر » . تصرف الزيات فى بعض أحداثها دون تجاوز أمانة الترجمة لنص القصة وطبعت سنة ١٩٢٠ .

٣. روفائيل

قصة الكاتب الفرنسى « لامرتين ١٧٩٠ - ١٨٦٩ » ترجمها الزيات خلال إقامته فى باريس عام ١٩٢٥ ، بعد مشاهدته لمعظم المعالم التى وردت فى القصة ، وزيارة الأماكن التى ارتادها البطل « روفائيل » مع بطلة القصة « جوليانا » ، وطبعت عقب عودته من باريس سنة ١٩٢٥ .

ولولا إختلاف الأسماء والأماكن لخيل لقارىء القصتين - آلام فرتر وروفائيل - أن أبطالهما عرب ، وهذا يدل على إفادة الزيات من الثقافة الفرنسية ، دون أن يعلو صوتها على صوت العربية فى أسلوبه وفكره وترجماته .

٤. أصول الأدب

ألفه الزيات بعد عودته من العراق ١٩٣٢ ، ضمّنه محاضراته التى ألقاها فى بغداد ، وبعض مقالاته التى كتبها - قبل سفره - فى المجلات ، ورغم تميز محاضرات ومقالات الكتاب بالعمق وحسن العرض ، فإنها تفتقد المنهج المتكامل على نحو ما تلقاه فى كتابه الأول .

أثار الزيات فى محاضرات ومقالات الكتاب قضايا أدبية هامة ، فتحت آفاقا جديدة فى الدراسة الأدبية ، ونشر الكتاب سنة ١٩٣٤ ، فكانت موضوعاته جديدة ، وبخاصة الأبحاث النقدية

(١) راجع : تاريخ الأدب العربى ص ٤ الطبعة الخامسة والعشرون بدون تاريخ .

التى استقى أصولها من الأدب الفرنسى ، وساهم بها فى حركة النقد الأدبى العربى .

٥. دفاع عن البلاغة

ألفه الزيات بعد عام ١٩٣٤ ، للرد على حملات التشهير بالبلاغة القديمة ، وأرجع ما تعانيه البلاغة فى العصر الحديث إلى ثلاثة عوامل : السرعة والصحافة والتطفل ، ورأى أنها البلايا الثلاث التى تكابدها البلاغة المعاصرة .

ورأى الزيات أن البلاغة موهبة قبل كل شيء ، وليست صنعة يمكن اكتسابها ، وحددها بأنها « البلاغة التى لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكر والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، إذ الكلام كائن حى ، روحه المعنى ، وجسمه اللفظ ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفسا لا يتمثل ، والجسم جمادا لا يحسّ »[(١)] .

وأشار إلى أن الذوق الأدبى أداة الفن ، وأن العقل أداة العلم ، فالذى لا يتذوق لا يدرك الجمال ، والذى لا يفقه لا يعرف الحق ، ورسم وسائل تكوين الأدب ومذاهبه ، وتحدث عن الأسلوب ، ونشأة مذاهب الكتابة فى تاريخ اللغة العربية ، وظهور المذاهب الأدبية فى أوروبا ، وفند مزاعم القائلين بالعامية ، وكشف حقيقة الدعوة إلى الرمزية

٦. مختارات من الأدب الفرنسى

هى من عيون النثر والشعر ، معظم النثر قصص « لجى دى موباسان » ، أما الشعر فترجمة لقصائد وصور شعرية ، معظمها للامرتين ١٧٩٠ ـ ١٨٦٩ ، واللافت للنظر فى هذه المختارات أن الزيات ضمن النثر قصة الكاتب الإنجليزى « أرنولديت » ويبدو أنه ترجمها عن الفرنسية ، كما أطلق اسم زعيم النثر الفرنسى على « شوتوبريان » .

يدل الكتاب ـ فى اختياراته ـ على ولع الزيات بمن ترجم إنتاجهم ، أما من حيث الأسلوب فقد تصرف الزيات فيه ، ليقربه إلى العربية ، تقوده دقته وأمانته ، وإلا سميت ترجماته تعريبا .

٧. وحى الرسالة

ضمّنه الزيات المقالات التى كتبها فى مجلة الرسالة ، طوال عمرها ١٩٣٣ ـ ١٩٥٣ ، وقدم لها فى الغلاف الخارجى بقوله : « فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص » ، وهذا يعنى أن مقالات الكتاب متفرقة ، تتناول شئون الثقافة والأدب ، لكنها تحمل تجاربه وانفعالاته وأفكاره وفلسفته فى الحياة .

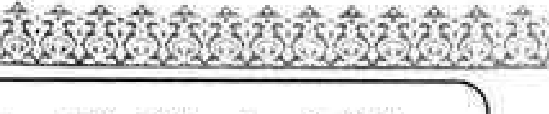
تتسم مقالات الكتاب بالطابع العربى ، الذى تتميز به كتابات فحول الكتاب من المتقدمين ، وتطعيمها بآثار الفكر الأوروبى ، وروائع الأدب الغربى ، وبهذا الكتاب نال الزيات جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٥٣ .

٨. فى ضوء الرسالة

يعد هذا الكتاب امتدادا لكتاب وحى الرسالة ، ضمنه الزيات المقالات التى كتبها بعد احتجاب مجلة الرسالة عام ١٩٥٣ ، والتى نشرها فى جريدتى الشعب والجمهورية ، وفى مجلتى الهلال والأزهر ، وقدم لمقالات الكتاب فى الغلاف الخارجى بقوله : « ألوان من الأدب والتاريخ » .

---

(١) راجع : دفاع عن البلاغة ص ١٧ لمحمد حسن الزيات طبعة ١٩٤٥ .



ويلاحظ أن بعض مقالات الكتاب معاد ومكرر ، وبعضها جديد يحمل ذكريات الماضى ، وتضم مباحث لغوية ، ودراسات تناولت الواقعية والأدب ، وقضية الشعر المرسل وغيرها ، كما يلاحظ أن مؤلفات الزيات تحمل أفكارا جديدة فى البلاغة والأدب ، ويسودها أسلوب مميز فى اختيار الألفاظ ، وسبك الجمل ، وروعة الأداء ، وجمال التعبير ، وقوة التصوير .

الرسالة والزيات

اتخذ الزيات فكرة تسميتها من معنى الرسالة المحمدية الخالدة ، لتكون أسلوبا ومنهجا وغاية[1] ، والرسالة منذ صدور عددها الأول فى الخامس عشر من يناير عام ١٩٣٣ ، حتى آخر أعدادها الصادر فى الثالث والعشرين من فبراير عام ١٩٥٣ ، مرت بأربع مراحل نجمل القول فيها ، وهى :

المرحلة الأولى :

هى مرحلة الرسالة النصف شهرية .. تبدأ من العدد الأول الصادر فى ١٥ يناير عام ١٩٣٣ ، وإلى العدد ٢١ الصادر فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٣٣ ، مهدت أعداد هذه المرحلة للمراحل التى تلتها ، وخاصة المرحلة الثانية التى تعد من أهم مراحلها .

تناولت أعداد هذه المرحلة موضوعات عديدة أهمها : حوادث وأحاديث ، وفى الأدب العربى ، وفى الأدب الشرقى ، وفى الأدب الغربى ، وباب العلم ، والعالم النسائى ، وباب القصص ، والعالم المسرحى والسينمائى ، ومن طرائف الشعر .

المرحلة الثانية :

هى مرحلة الرسالة الشابة ، أى أنها أخصب وأعمق مراحلها ، تبدأ من العدد ٢٢ الصادر فى ٤ ديسمبر عام ١٩٣٣ ، إلى العدد ٣٣٨ الصادر فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٣٩ ، حيث زادت أبوابا جديدة على أبوابها السابقة ، مثل النسائيات ، والأخبار الأدبية والعلمية والثقافية ، والقصص والاقتصاد والاجتماع والسياسة العالمية ، وبذا خطت الرسالة خطوة جديدة ومفيدة .

وفى أول يناير عام ١٩٣٧ ظهرت الرسالة ومعها الرواية ـ مجلة القصص العالمى والسمر الرفيع ـ تنقل من بدائع الأدب الغربى ، الأقاصيص والروايات والمذكرات والاعترافات والسير ، « فترضى الذوق كما ترضى الرسالة العقل ، وترفع القصة كما ترفع الرسالة المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل الرسالة أدب العرب »[1] .

وأبرز موضوعات هذه المرحلة سلسلة مقالات للزيات ، تناولت علل المجتمع المصرى من فقر وجهل ومرض ، ومعاناة الفلاح من ظلم الإقطاع له ، وإهمال الحكومة لشئونه ، وصفه الزيات بقوله : « لا يكاد ينزع يده من الأرض ، ولا يرفع طرفه إلى السماء ، ولا يتبين وجهه الدنيا ، ولا يتصور غاية الحكم ، ثم يحول عليه الحول فلا يجد نقودا فى جيبه ، ولا سرورا فى قلبه »[2] .

بجانب سلسلة مقالات تناولت الحياة الأدبية فى معظم بلدان العروبة ، وأخرى : دارت حول العلوم والفلسفة ، وثالثة : اهتمت بالشعر

(١) راجع : العدد ١٨٣ من مجلة الرسالة الصادر فى ١٩٣٧/١/٤ .

(٢) راجع : العدد ٤٠ من مجلة الرسالة ، الصادر فى ١٩٣٤/٤/٩ .

والقصة والموضوعات الإسلامية مع الأبواب الثابتة .

المرحلة الثالثة :

هى مرحلة الرسالة خلال الحرب العالمية الثانية ، تبدأ من العدد ٣٣٩ الصادر فى أول يناير عام ١٩٤٠ ، إلى العدد ٦٠٦ الصادر فى ١٢ فبراير عام ١٩٤٥ ، فى هذه المرحلة أدمجت الرواية مع الرسالة ، وأصبح المسمى « الرسالة والرواية » وبدأت العناية بالأقصوصة ، فتضمن معظم أعدادها أقصوصة أو أقصوصتين ، من أروع ما أُلف أو نقل .

تناولت أعداد هذه المرحلة الكثير من الأبواب ، ففى باب القصص كتب محمد سعيد العريان ، وفى باب الأدب الفنلندى كتب صديق شيبوب ، وفى باب الأدب فى سير أعلامه كتب محمود الخفيف ، وفى باب من هنا وهناك كتب محمود محمد شاكر ، وعن الشعر المرسل والشعر الحر كتب دريني خشبة سلسلة من المقالات ، تناول فيها محاولات محمد فريد أبو حديد ، وعلى أحمد باكثير ، وأحمد زكى أبو شادى .

وفى باب أوزان الشعر العربى ، كتب محمد مندور سلسلة من المقالات ، وفى باب كتب وشخصيات تناول سيد قطب أدب المازنى ، وزهرة العمر لتوفيق الحكيم ، والصديقة بنت الصديق للعقاد بالنقد والتقويم ، وعن قضية مقتل الحلاج كتب عبد المتعال الصعيدى عدة مقالات ، وتحت عنوان « الحديث ذو شجون » سجّل خواطره ، وغيرها من الأبواب .

وفى عدد الهجرة النبوية ٥٥٠ الصادر فى ٢١ المحرم ١٣٦٣ هـ = ١٧ يناير ١٩٤٤ احتلت الموضوعات الدينية معظم صفحاته ، فكتب الزيات عن عبقرية الإسلام ، وكتب العقاد عن الروحانية بين موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، وكتب محمود شلتوت عن فقه عمر ، وكتب أنطوان الجويل عن عظمة العيد وعبرة الذكرى ، وغيرها من الموضوعات التى تدور فى فلك الدين أو الهجرة .

المرحلة الرابعة :

هى فترة الرسالة فى مرحلتها الأخيرة ، تبدأ بالعدد ٦٠٧ الصادر فى ١٩ فبراير عام ١٩٤٥ ، إلى العدد ١٠٢٥ الصادر فى ٢٣ فبراير عام ١٩٥٣ ، تعكس صفحات أعداد هذه المرحلة السياسة الاجتماعية التى كانت مصر عليها ، فالزيات فى مقالة « نهضة العرب مشكلة » تناول مشكلتنا مع الاستعمار الذى يرى أن العرب دواب سخروا لنقل الأحمال وجر الأثقال [1] .

وكتب عمر الدسوقى عن فلسطين ، وهاجم الأمريكان لمساندتهم اليهود ضد الحق العربى [2] ، وكتب سيد قطب عن شيلوك الجديد أو قضية فلسطين ، وهى مسرحية لعلى أحمد باكثير ، وتناولها بالنقد والتعليق[3] ، وكان العدد ١٠٢٥ الصادر فى ٢٣ فبراير عام ١٩٥٣ آخر أعداد الرسالة ، فقد افتتحه الزيات بعنوان « الرسالة

---

(١) راجع : العدد ٦٢٦ من مجلة الرسالة الصادر فى ١٩٤٥/٧/٢ .

(٢) راجع : العدد ٦٥٤ من مجلة الرسالة الصادر فى ١٩٤٦/١/١٤ .

(٣) راجع : العدد ٦٥٥ من مجلة الرسالة ، الصادر فى ١٩٤٦/١/٢١ .

تحتجب » أعلن فيه توقفها عن الصدور ، وألقى تبعة احتجابها على الحكومة بوجه عام ، وعلى وزارة التربية والتعليم بوجه خاص ، وختم مقاله بقوله : « ولكن القضاء غالب ، والرجاء فى الله أولى ، ولكل أجل كتاب ، ولكل سافرة حجاب ، ولكل بداية نهاية »(١) .

أثر الرسالة فى التاريخ الأدبى

حرص الزيات طوال حياة « الرسالة » ١٩٣٣ ـ ١٩٥٣ ، أن يتخذ من تسميتها أسلوبا ومنهجا ، يواجه به طغيان السياسة ، ويدعم به ذوق الناشئين فى مواجهة بهرج الأدب ، وتوضيح الطريق أمام حيرة أبناء الأمة ، بجانب ربط القديم بالحديث ، ووصل الشرق بالغرب .

لذا تجد أنور الجندى يقول : « إن الرسالة جمعت بين الأدب الوصفى والأدب الإنشائى ، وبين القصة والشعر ، وأن قوام مدرسة الرسالة ، روح الزيات الأدبية المتسمة بالأسلوب البليغ ، والعبارة المتزنة ، والكلمة النقية ، والنقد والإبداع ، وبالرغم من أن بعض كتاب السياسة انتقل إلى الرسالة إلا أن إنتاجهم كان قد تطور وتحول من حال إلى حال(٢) .

ومثل بكتابات طه حسين فى صحيفة « السياسة » ١٩٢٣ تحت عنوان « حديث الأربعاء » عن المجون فى العصر العباسى ، وتحوله فى « الرسالة » عام ١٩٣٣ إلى الكتابة تحت عنوان « على هامش السيرة » وبما كتبه مصطفى صادق الرافعى عن حديث القمر وأوراق الورد قبل صدور الرسالة ، ثم تحوله إلى كتابة مقالات جيدة فى « الرسالة » ألفت فى مجموعها كتابه المسمى « وحى القلم » .

والذى يتابع مسيرة المجلات قبل صدور الرسالة ، يجد معظمها قد حمل شخصيات منشئيها ، ولم تنفك عن السمات الفكرية لأصحابها ، فالمقتطف منذ صدورها فى بيروت عام ١٨٧٦ ، ثم انتقالها لمصر عام ١٨٨٥ ، تحمل السمات العلمية ليعقوب صروف ، والهلال منذ ظهورها عام ١٨٩٢ تحمل السمات التاريخية لجورجى زيدان ، والأستاذ منذ وجودها عام ١٨٩٢ تحمل تدفق نبضات عبد الله النديم فى نقده العنيف للحكومة والاستعمار .

بينما « الرسالة » منذ صدورها عام ١٩٣٣ لم تكن أسيرة للزيات ، وإنما شكلت ذاتها وفق ظروفها ، ولم تكن مجرد وعاء للمادة الأدبية والصحفية ، وإنما كانت بمثابة الأرض التى نبتت فيها الأزهار الأدبية(٣) ، ولا يعنى هذا أن الرسالة لم تتأثر بأسلوب الزيات أو شخصيته ، أو لم يكن له تأثير فى كتاباته ، فالرجل قضى بها عشرين عاما ، وقد ملك أداة الإبداع ، التى وجهته إلى المقال ، وحددت مستقبله الأدبى ، ولولاها لأبعده التدريس عن التأليف والترجمة ، حيث شغله

(١) راجع : العدد ١٠٢٥ من مجلة الرسالة الصادر فى ١٩٥٣/١٢/٢٢ .

(٢) راجع : المحافظة والتجديد فى النثر العربى فى مائة عام ص ٦٥٥ طبعة الرسالة عام ١٩٦١ .

(٣) يلاحظ أن المجلات التى عاصرت « الرسالة » اهتمت بالأدب دون الثقافة : المعرفة ١٩٣١ ـ ١٩٣٤ شهرية ، المجلة الجديدة ١٩٢٩ ـ ١٩٤١ ، ومن ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤ شهرية . الكاتب المصرى ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ شهرية . أبوللو ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ شهرية ، مجلتى ١٩٣٤ ـ ١٩٤٥ شهرية . وبذا يظهر دور « الرسالة » وأثرها فى الحياة الفكرية والأدبية دون غيرها .

بمدرسة الفرير بالخرنفش عام ١٩٠٧ - ١٩١٤ ، ومدرسة الظاهر عام ١٩١٤ - ١٩٢٢ ، ورياسة قسم اللغة العربية بالجامعة الأمريكية ١٩٢٢ - ١٩٢٩ ، وعمله ببغداد فى مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٩ - ١٩٣٢ .

من هنا تميزت « الرسالة » عن غيرها فى التأريخ الأدبى ، وبالذات فى رصد حركة الأدب المعاصر عند ظهور شخصية أدبية أو وجود ظاهرة فنية ، أو استحداث فن من فنون الأدب ، أو نشوب معركة أدبية ، وما أكثر ما حفلت صفحات الرسالة به ، من موضوعات خلال فترة ظهورها التى امتدت إلى عشرين عاما .

لذا قيل عن الزيات والرسالة : « والذين يعرفون الزيات يعرفون مجلة الرسالة التى ظلت مايقرب من ربع قرن ، تحمل رسالة الفكر العربى فى كل مكان من العالم الناطق بالضاد ، والتى كانت مدرسة حقيقية ، ربت جيلا وأنشأت أدبا ، وثقفت وعلمت ، وقامت على صفحاتها معارك النقد والتجديد(١) .

والمسلم به أن « الرسالة » مجلة أدبية ، أثرت التأريخ الأدبى ، بالعديد من الموضوعات والقضايا والشخصيات والأفكار ، وبما نشرت من آداب مختلف الأمم وفنونها ، وبما أحيت من التراث العربى القديم ، وبذا تنفرد دون غيرها من المجلات التى ظهرت - قبلها أو عاصرتها - فى البلدان العربية .

فالباحث الذى يترجم - مثلا - لأحمد شوقى ، أو زكى مبارك ، أو عباس العقاد ، أو طه حسين ، عليه مراجعة أعداد الرسالة ، وإلا فاته الوقوف على عناصر تكوين الشخصية التى هو بصددها ، وبَعُدَ عن دراسة تاريخها ، والدارس لظاهرة الشعر الجديد أو الحر ، عليه حتى تجدى دراسته أن يرجع إلى الأعداد الأولى من مجلة « الرسالة » حيث صاحبت هذه الظاهرة أول أعدادها .

من هنا يبدو دور « الرسالة » فى مجال التأريخ لحركة الأدب ، وفى حفظ مالم ينشر فى كتب ، من كتابات كبار الأدباء ، وتعد أعدادها التى تجاوزت الألف ثروة من تراثنا الأدبى ، وثقافة جامعة عرفتها مختلف بلاد العروبة منذ ظهورها على الساحة الأدبية عام ١٩٣٣ .

يضاف لذلك ما نشرت من روائع مختلف الآداب : إنجليزية وألمانية وإيطالية وأسبانية وروسية وهندية ، وما عرفت من أعلام العالم ، وقدمت لفصول من التراث الأدبى القديم .

وعلى هذا ستظل أعداد مجلة « الرسالة » التى بلغت خمسة وعشرين بعد الألف مصدرا للدارسين فى تاريخ الفكر والفن ، وفى إثراء المكتبة العربية بمقالات جمعت فى كتب ، مثل وحى الرسالة لأحمد حسن الزيات ، ووحى القلم لمصطفى صادق الرافعى ، والبرج العاجى لتوفيق الحكيم ، وترجمات لدريني خشبة ، وأحمد عرابى لمحمود الخفيف ، وليلى المريضة فى العراق لزكى مبارك ، وعلى هامش السيرة لطه حسين ، وغيرها من الكتابات المتفرقة فى أعداد الرسالة ، ثم جمعت فى كتب يرجع إليها طلاب العلم ورواد المعرفة من حين لآخر .

---

(١) راجع : الحديث عن الزيات ، المجمعيون فى ثلاثين عاما ، ومحمد مهدى علام ، الهيئة العامة لشئون المطابع عام ١٩٦٤ .

مآثر إسلامية

فى الصحافة الأجنبية

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

كانت الحضارة الإسلامية ذات يوم ملء الأسماع والأبصار ، لا ينكرها إلا جاحد أو حاقد ، ويقر بها العدو قبل الصديق ، ويرتوى من معينها الثرى كل ظامىء إلى المعرفة ، متعطش للعلم ، متطلع إلى السمو الأخلاقى ، يدرك أن رسالة الإنسان الحقيقية هى : عبادة الله وحده ، وإعمار الكون ، وهما هدفان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر تماما ، كما لا يمكن وضع الصورة خارج إطارها ، فأعمالنا هى صورتنا المعبرة عن شخصيتنا ، والمجسمة لتقدمنا ، وهى تخلو من المعنى والمغزى ، إذا كانت فى معزل عن الإيمان ، الذى يمثل الإطار المنوط به حفظ هذه الصورة ، من عوامل الفساد ، وإبقائها فى حال من الوضاءة والإشراق ، يزيدها بهاء ورواء ما تثرى به الآخرين من شغف بالسؤدد ، وتشوف للكمالات الإنسانية ، وتشدان للمعالى . وهذا بالفعل ما أدركه أسلافنا ، فمزجوا الدين بالدنيا مزجا ، جعلهم محل الإعجاب والإكبار ، حتى من أعدائهم ، الذين لم يملكوا أنفسهم من الذهول ، فنوهوا كثيرا بمآثر الأجداد الرائعة ، وأعمالهم الخالدة ، وسجاياهم الحميدة . وحكاية شارلمان إمبراطور الروم ، مع هارون الرشيد ، أشهر من

أن تُروى ، فقد ذهل الرجل حين أهداه أمير المؤمنين العباسى ساعة اخترعها المسلمون ، وظنها الآخر ضربا من ضروب السحر والخيال ، هذا ما كان قديما ، ونقله له الثقات من المؤرخين ، ولكن ليس من رأى كمن سمع كما يقول العارفون . ويزداد إعجابنا ، ونكون أكثر انبهارا حين تطلع القارىء الكريم على بعض الشذرات العبقة ، التى ازدانت بها إحدى المجلات الأجنبية ، التى تصدر باللغة الإنجليزية ، وهى مجلة تخصصت فى نشر الثقافة ذات المستوى الرفيع ، وزاد من أهميتها أن لها موقعا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) فقد نشرت فى عددين متتاليين اثنتين من المآثر الإسلامية الزاهرة ، التى تجعلنا نرفع رؤوسنا بكل شموخ وإباء ، أن صرنا أغرودة عذبة فى فم الأصدقاء ، وغير الأصدقاء ، والحمد لله أنهم نوهوا وأشادوا وكتبوا ودونوا فى مجلتهم هذه الأسطر المضيئة .

ففى عدد مارس ١٩٩٨ من مجلة (ماتيلدا زيجلر) للمكفوفين التى تصدر من (أمريكا) منذ عام ١٩٠٧ جاءت قصة حقيقية فى أسطر قليلة إن دلت على شىء ، فهى إنما تدل على مدى امتثال المسلمين لأول نداء سماوى ورد فى قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لرسوله الكريم محمد ـ ﷺ ـ :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق ـ ١)

الآيات قالت المجلة « إن عبد الله أبا القاسم ابن إسماعيل المعروف بـ (الشهر زورى) وكان كبير الوزراء فى فارس ، فى القرن العاشر الميلادى ، اعتاد ألا يسافر مطلقا إلا مصطحبا معه كتبه ومراجعه ، ويصل بك العجب مداه حين تعلم أن مكتبته تلك كانت تتكون من مجلدات ضخمة ، يبلغ عددها مائة وسبعة عشر ألف مجلد ، تحملها قافلة من الجمال ، يبلغ عددها أربعمائة من الإبل . إلى هنا وربما بدا الأمر عاديا ، رغم صعوبته ، وتكلفته العالية ، لكن الذى لم يكن فى الحسبان أنه تم تدريب هذه الإبل تدريبا دقيقا ، حتى تسير حاملة الكتب ، وقد رتبت عليها ترتيبا (ألف بائيا) . فأين أصحاب الحواسيب ذوات الإمكانات المهولة ، من أولئك المسلمين ذوى الإمكانات ، التى لا تقارن بحال بإمكانات عصر المعلومات .

وبعد فلربما اعتبر البعض ذلك العمل على ضخامته ، وندرة طرازه عملا فرديا ، زاعمين أنه لا يفيد المجموع فى شىء ، ومن هنا نرى لزاما علينا ، أن نورد مثلا آخر تعدت فائدته الفرد إلى المجموع ، وتجاوزت أهميته مجرد الاستمتاع بمتعة القراءة النظرية إلى المنفعة العملية ، التى تدل بحق على توقد ذهنى ، وذكاء فطرى ، وبراعة فى استثمار الخبرة ، وإعمال التجربة ، تطبيقا للمنهج العلمى السليم .

ففى عدد أبريل من المجلة ذاتها ، وعلى مدى صفحة كاملة جاءت هذه القصة تحت عنوان : (تحديد موقع المستشفى) .

قالت المجلة : إن العالم أبا بكر محمد بن زكريا الرازى ، المولود سنة٨٤١ م ، والمتوفى سنة ٩٢٦ م والمعروف لدى الغرب باسم : RHAZES والمولود فى فارس (إيران الحالية) فى بلد تسمى الرى ، بالقرب من طهران ، هذا العالم الذى قضى شبابه فى تعلم الموسيقى والرياضيات ، وعلم الكيمياء ، قام بالسفر إلى بغداد ؛ ليواصل دراسة الطب . وكان ساعتها فى

سن الأربعين ، وبعد استكمال دراساته عاد إلى مسقط رأسه ؛ ليستأنف إدارته لمستشفى ذلك البلد المحظوظ . وطبقت شهرته الآفاق ، إذ فى غضون بضع سنين تم اختياره ليكون مديرا لأحد المستشفيات الجديدة ، التى كان من المزمع بناؤها فى بغداد ، عاصمة الخلافة الإسلامية حينذاك ، واستن فى سبيل إقامة هذا المستشفى سنة لم يسبق إليها ، فقد أمر القائمين على المشروع بتعليق قطع من اللحم النىء مواقع مختلفة من المدينة ، ثم قام بعد ذلك بفحص هذه القطع المعرضة للهواء ؛ ليتبين مدى تأثرها ، ودرجة الفساد أو الصلاحية ، التى وصلت إليها . ثم أمر ببناء المستشفى فى المكان الذى لم تتأثر فيه قطع اللحم إلا بأقل قدر من العفونة . وكانت حجته الرائعة فى ذلك أن أكثر الأماكن تمتعا بالهواء النقى ، هى أصلحها لإقامة ذلك الصرح الصحى الشامخ . وهو مفهوم بيئى سابق لعصره ، توصل إليه الرازى بفطنته ، وصفاء قريحته ، فحق له أن يكون على الحظوة والإجلال فى واحدة من أعرق المجلات الثقافية ، والكتب الأجنبية ، ليكون هو وأمثاله من العلماء الأفذاذ ، القدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، التى ينشدها شبابنا الواعد فى سبيل ارتقاء سلم المجد ، وذرى العلياء .

وفى عدد ديسمبر ١٩٩٥ من نفس المجلة جاء فى فقرة نشرتها قولها : « إن الناس فى الغرب بشكل عام لا يدركون حقيقة : أن الإسلام يمثل ركنا ركينا من التراث الدينى ، الذى أوحت به السماء إلى الأنبياء ، وبدأ بنبى الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ واستمر عبر سلسلة من الأنبياء شملت موسى وعيسى (وامتنع الكاتب ـ مطلقا ـ عن ذكر اسم النبى محمد ـ ﷺ ـ وواصل قائلا : « إن أديان التوحيد الثلاثة العظيمة كان مهدها الشرق الأوسط ، وإن اليهودية والمسيحية والإسلام كلها بها نقاط التقاء ، ولتأكيد هذا المعنى طلب الكاتب من القراء ـ فى شكل اختبارى ـ ذكر مصدر بعض النصوص التى أوردها . . هل هو العهد القديم أو العهد الجديد أو القرآن ؟ وأجاب فى النهاية : إنها آيات من القرآن الكريم نوردها مصححين خطأ جاء فى آخرها .

قال تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

(لبقرة ـ ٣٥)

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

(البقرة ـ ٤٧)

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾

(آل عمران ـ ٤٢)

وأما الآية الرابعة فقد ذكرها الكاتب ، وتعمد حذف اسم الرسول ـ ﷺ ـ منها ، كما لم يذكر اسم سيدنا نوح ، لهدف لا نعلمه ، ونص الآية :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾

(النساء ـ ١٦٣)

هذا وبالله التوفيق



على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

الحرم المكى الشريف والأعلام المحيطة به

بحث وإعداد الدكتور/ عبد الملك بن عبد الله دهيش

● عزيزى القارىء : إن الكتابة عن الحرم المكى تحتاج منا إلى مجلدات ، ويصعب فيها العرض والتحليل ، ولكن من عظيم سرورى أن يكون لى الشرف فى عرض هذه الموسوعة فى التاريخ الدقيق .

● وهذه رحلة غير عادية ، لأنها ليس من بلد إلى بلد ! إنما هى طواف حول بلد بمسار دقيق لايجوز أن تحيد عنه ذات اليمين ، ولا ذات الشمال .

● وهذه الموسوعة التاريخية بدأها الباحث بمقدمة شرح فيها بداية رحلته فى بعض اللجان المكلفة بهذا الأمر بصحبة والده فضيلة الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش عندما كان رئيسا لمحاكم مكة المكرمة .

* الباحث/ الرئيس العام لتعليم البنات بالمملكة العربية السعودية.



● وأخذ الحماس والرغبة بهذا الباحث فى البحث والتنقيب بعد أن تعمق فى دراسة المباحث الجغرافية ، التى ذكرها الفاكهى فى كتابه ، وخاصة الأعلام التى صرح بها ، والمخطوطات التى ذكرها فى (كتاب الفاكهى) .

● وبدأ الباحث رحلته مستعينا بأهل الخبرة ممن لهم دراية فى مواضع مكة وجبالها ووهادها ، وأعلامها ، وشعابها ، وأسماء جبالها ، وريعانها ، وأوديتها ، وآبارها .

● ثم قام الباحث بمسح شامل لتلك المواضع ، حيث استعرض الحدود .الحد الشرقى ، والحد الشمالى ، والحد الغربى ، والحد الجنوبى .

● وقد رأى الباحث فى رحلته (٩٢٣) علما تحيط بالحرم المكى إحاطة تامة ، أقامها السلف ، رغم ارتفاع الجبال أكثر من ٥٠٠ متر عند سطح البحر .

● انتقل بعد ذلك إلى تقسيم البحث ، وقسمه إلى ثلاثة أبواب ، وكل باب إلى فصلين ، ففى الباب الأول : أشار إلى تاريخ أعلام الحرم المكى ، ولماذا تم اختيار الحرم على سائر الأرض ؟ ويعتبر بعض المختصين أن مكة المكرمة هى مركز الأرض ، وقد توصلوا إلى ذلك بوسائل علمية ، قامت على نوع من الإسقاط المساحى الخاص ، فتوصلوا إلى هذه النتيجة الدقيقة ؟

● ثم شرح الباحث متى حرمت مكة المكرمة ؟ وأشار أن المتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية يجد أن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض .

● تعرض بعد ذلك إلى المواقيت ، ودوائر الحرم ، وشرح كيف أن الكعبة تحيط بها دوائر ثلاث هى : دائرة المسجد دائرة الحرم ، ودائرة المواقيت ، وهى مواضع حددها الشارع الحكيم فلا يتجاوز هذه المواقت إن كان قاصدا دخول مكة المكرمة .

● والمواقيت هى : ذو الحليفة ، والجحفة ، وذات عرق ، وقرن المنازل ، ويلملم .

● ثم أشار بعد ذلك إلى سبب تحريم الحرم .

● ثم تناول الباحث خصائص الحرم المكى ، وأحكامه ، منها أن الصلوات الخمس تضاعف فيه ، تضاعف القرابات ، تضاعف السيئة ، عدم كراهية صلاة النافلة ، إن صلاة العيد تقام فى المسجد الحرام ، أن لا يدخل الحرم إلا بإحرام ، كراهية إقامة الحد فيه ، وأنها اختصت ببئر زمزم ، وغيرها من الخصائص ، أما تحديد أعلام الحرم بعد سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى أن جددها

النبي - صلى الله عليه وسلم - فهم إسماعيل - عليه السلام - عدنان من أولاد قصى بن كلاب قريش أثناء البعثة ، ثم تجديد النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وعثمان بن عفان ، ومعاوية ، وعبد الملك بن مروان ، والمهدى العباسى حتى انتهى التجديد على يد خادم الحرمين الملك فهد .

● ثم ذكر الباحث جهود الإمامين الأزرقى والفاكهى والمواضع التى ذكراها فى حدود الحرم ثم الأودية التى تسكب سيولها من الحل إلى الحرم ، ومداخل مكة التى كانت فى زمنهما .

● وأشار إلى جهود محب الدين الطبرى ، والإمام تقى الدين الفاسى ، ثم تقييم الجهود المبذولة فى تحديد المسافات بين الحرم والأعلام المحيطة به .

● لقد تحدث الباحث فى شرح وتوضيح لم يسبقه فيه أحد أعلام الحدود كالحد الشرقى ، والحد الشمالى ، والحد الغربى ، وأخيرا الحد الجنوبى .

● حتى توصل الباحث إلى نتائج أهمها إن علم (حدود الحرم الشريف) من العلوم التى لم تكتب كتابة مستقلة ، ولم تدون منذ أول وجود لها على الأرض تدوينا قائما بذاته إلى يوم الناس هذا،وأن تحديد حدود الحرم أمر توقيفى لا مجال فيه للاجتهاد . إن عدد الأعلام المحيطة بالحرم التى وقفت عليها الدراسة ووصفتها وصورتها هى ٩٣٤ علما ، وعدد الجبال التى يسير عليها حد الحرم هى ٤٥ جبلا ، وعدد الثنايا (الريعان) والشرفات التى يمر بها حد الحرم ١٦ ثنية وشرفة .

● وكانت هناك سبعة اقتراحات أهمها وجوب المسارعة بتنصيب أعلام طريق جدة السريع ، وطريق الطائف السريع ، ووجوب المسارعة إلى وضع أعلام الليث بين جبل الدوامة السوداء وجبل نعيلة ، ثم إعادة بناء جميع الأعلام المتهدمة التى كانت قائمة على رؤوس الجبال والمرتفعات ، إنشاء دائرة خاصة لشؤون حدود الحرم ، تقرير فصل من فصول الجغرافيا فى أحد مقررات الدراسة لسنة من السنوات فى المرحلة المتوسطة والثانوية موضوع حدود الحرم .

● وأخيرا عزيزى القارىء بعد أن استغرقت رحلة هذا الباحث تسعة أشهر فى شهور الشتاء والربيع والخريف ، وكان يتسلق الجبال بعد صلاة الفجر ، أو فى المساء بعد صلاة العصر حتى غروب الشمس ، وكان يشرح بالرسم المخطط كل الجبال والقمم الموجودة بها ، ويسجل مابين الأعلام من مسافات ووصفها ، وبعد النزول يحصى ما وجده من أعلام ثم يكتب وصفا عاما للجبل من حيث حدوده وأبعاده ولون حجارته ، وقام بتصوير أكثر من ٢٠٠٠ صورة واستعان بمكتب هندسى ، وبهذا قام الباحث برحلة شاقة ، ولكنها جميلة وعظيمة .

● وهذا البحث غزير المادة ، متعدد الجوانب ، وهو عبارة عن جهد فردى للباحث سجله بكامل الأمانة .

● أضم ندائى إلى نداء الباحث بأن تلفت نظر المؤسسات العلمية والدينية إلى هذا الموضوع الهام .

● عزيزى القارىء هذه رسالة بسيطة حاولت أن أقدمها لك هدية عن أعظم مكان فى الوجود .

القضاء والقدر فى الإسلام

تأليف الدكتور: فاروق أحمد الدسوقى

● عزيزى القارىء إن قضية القضاء والقدر من أهم القضايا التى مازالت فيها الاجتهادات والآراء ، وهى مدار علم الكلام ، ومفترق الطرق ، التى سلكتها المدارس والفرق الإسلامية .

● وسيظل الفلاسفة والمفكرون مختلفين ، وأن الاختلاف هو روح الفلسفة وسبب وجودها ، وعلة استمرارها .

● والفلسفة هى البحث عن الحقيقة من كون وإنسان ، وموقف الإنسان الوجودى ومصيره بعد الموت ، ومدى حريته ومكانته فى تحديد هذا المصير .

● ومؤلف هذا الكتاب يبحر ويبحث ويجتهد فى هذا العلم حتى يطىء حدة الخلاف ، ويصل إلى نتائج تريح الإنسان فى هذه المسائل ، وإيقانا منه : أن الحل الحاسم لهذه المسألة وهى القضاء والقدر والجبر والاختيار وارد فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

● ولهذا اتخذهما مرجعا أساسيا ، وأساسا يعتمد إليه فى كل مسألة من المسائل .

القضاءُ والقدرُ في الإسلام

تأليف
الدكتور فاروق أحمد الدسوقي

الجزء الأول
في القرآن الكريم والسُّنَّة

دار الاعتصام

● بدأ بمقدمة شرح فيها كيف اتجه إلى دراسة الفلسفة ، وانبهار أستاذه الدكتور على سامى النشار ببحثه لنيل درجة الماجستير ، وموضوعها : « مشكلة الحرية فى الفكر الإسلامى » .

● ويتناول فى المقدمة عقيدة التوحيد الإسلامية ، ودراسة الفكر الإسلامى ، والإسلام كحضارة ، والفلسفة الإسلامية ، ثم ناقش قضية العلوم ، ونادى بإعادة تأسيسها من القرآن والسنة .

● بعد ذلك تحدث المؤلف عن قضية إبليس والشبهات السبع ، ومناظرة إبليس للملائكة ، ورده على الأقوال التى تعلقت بهذه المسألة ، وخاصة الرد المزعوم بأن إبليس هو البطل المأساوى أو شهيد التوحيد المظلوم .

● ثم أشار إلى شبهات إبليس فى مجال الأدب وتأييد بعض الأدباء لهذه الشبهات ورده عليهم بالقرآن والسنة المطهرة .

● تعرض أيضا لشبهات إبليس فى الفكر الدينى والفلسفى ، والمواقف الثلاثة التى يقفها الناس من القدر .

● أما فى الفصل الأول من الكتاب الذى يحتوى على أكثر من أربعمائة صفحة كلها تتعلق بالبحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة ، ثم الرجوع إلى القرآن الكريم كله لمعرفة حقيقة قرآنية واحدة ، ثم إفراد الله بالألوهية والربوبية يوجب إفراد الوحى كمصدر للعقيدة والشريعة ، أيضا الوحى والعقل ومنهج التأويل العقلى ثم المعرفة بالوحى والمعرفة بالعقل ، ضرورة توافق الحقيقة المستنبطة من البحث فى القرآن مع غيرها من الحقائق القرآنية ، وأخيرا إخلاص النية وسلامة القصد .

● أما فى الفصل الثانى فوضح الأسس الاعتقادية للحرية الإنسانية من حيث الإنسان والزمان والفطرة والإلحاد ، ثم أشار إلى حقيقة قرآنية عظيمة وخطيرة ، وهما وجود الله عز وجل أمر بديهى لا يحتاج إلى دليل ، تعرض أيضا إلى مسألة مناهضة الملاحدة بالأدلة العقلية ، ثم الفطرة ، ونشأة الدين ، وظاهرة الإلحاد ، ثم مناهضة القرآن الكريم للملاحدة بالتعجيز وبإثبات الفطرة ، ثم الأمانة والخلافة .

● أشار أيضا إلى الإنسان والعالم والإنسان والشيطان والسماء والأرض والخلافة .

● ثم تعرض لقضية هامة ، وهى لماذا خلق الله العالم ؟ ولماذا خلق الله الإنسان ؟

فى الفصل الثالث تحدث فيها عن حكمة الخلق وتفسيره ، وخلق الحياة الدنيا ، ثم التجربة الابتلائية بالضراء والسراء ، والجبر والاختيار .

● أما فى الفصل الرابع فتحدث عن الجبر والاختيار فى القرآن الكريم ، وجوهر الاختيار البشرى فى القرآن الكريم .

● ثم أشار فى الفصل الخامس : إلى ركائز الاستطاعة البشرية فى القرآن الكريم ، تحدث فيها عن الخلافة وإثبات الاستطاعة للإنسان ، ونفى القدرة عنه ، ثم معنى الفعل الإنسانى وحدوده ، تحدث أيضا عن إثبات السنن والمشيئة الإلهية ، ثم العلة لا تخلق المعلول ، ثم طرح

مذهب المتكلمين فى علاقة العلة ، بالمعلول المعرفة والعلم أحد المقومات الثلاثية الرئيسية للحرية ، تحدث فيها عن العلم والتكنولوجيا ، وأشار إلى كتاب الله لعباس محمود العقاد عندما صرح فيه قائلا (ترقى الناس فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات) ، وهو هنا غربى يتبع المدرسة الغربية العلمانية فى تفسير نشأة الدين .

● ثم تعرض لمسألة هامة وهى محاولة الكافر يوم القيامة نفى حريته فى الدنيا ، ثم الدين والعلم مقوما الحضارة الإنسانية الصحيحة .

● أما فى الفصل السابع فقد وضح الدكتور الدسوقى القضاء والقدر قائلا : القضاء يعنى إرادة الله النافذة فى الخلق والفعل فى زمان ومكان ، وبكيف وبكم محدودين ، والقدر فى القرآن الكريم والسنة ، هو تقدير كل شىء تقديرا مسبقا على خلقه وحدوثه أى تحديده ماهية وخاصية وصفة كما وكيفا زمانا ومكانا ، ثم تعرض للإرادة والأمر والاختيار الإنسانى والإرادة الإلهية ، وقضية الإسلام والإيمان والقدر والتدوين ، ثم القدر والابتلاء .

● انتقل بنا بعد ذلك إلى العدل الإلهى ، والكمال الإنسانى ، وأن الكلام على القضاء والقدر يجب أن يكون من خلال حقيقة الابتلاء ، لأنها الوعاء الذى يحتوى هذا كله فيقدم لنا الأمر التشريعى الإلهى والأمر الكونى متناسقين ، بلا تضارب أو تناقض أو غموض أو لبس أو إبهام ، كما يقدم لنا الجانب الاختيارى من كينونة البشر وأفعالهم فى تناسق تام وبلا تعارض أو تناقض أو تضاد .

● تعرض المؤلف أيضا إلى الحرية السياسية ، وحرية العقيدة للأفراد والشعوب ، ثم الحرية الاقتصادية ، والحرية الاجتماعية ، وتعنى : كل المواطنين جميعا سواء ، فى الحقوق والواجبات بلا تمييز طبقى ، وأخيرا الحرية السلوكية .

● أما الفصل التاسع والأخير فقد اختتمه الدكتور فاروق بالنتائج الغيبية للحرية الإنسانية ، أشار فيه بأن الجنة للفائزين وجهنم للخاسرين نتيجة حتمية للابتلاء ، تحدث فيه عن الحرية والتحلل من شرع الله وعبوديته وسبيل الخير وسبيل الشر والجنة والنار والخلافة فى الدنيا والآخرة .

● عزيزى القارىء : إن علم الكلام يقوم على الخلافات والتشقق والنزاع والتعصب الأعمى ، لذا اخترت لك هذا الكتاب لكل الأعمار من شباب ورجال ونساء ليكون عونا على تفهم وإدراك واستيعاب هذه القضايا الهامة التى كثر فيها الكلام فتشققت الوحدة إلى فرق ، وليكن هذا الكتاب أيضا بين يدى الباحثين والمجتهدين والمثقفين فى الفكر الإسلامى ليكون لهم طريقا علميا واضحا من طرق العلوم الإسلامية .

النصائح الدينية والوصايا الإيمانية

حققه وراجعه المستشار: السيد على بن السيد عبد الرحمن الهاشمى

● عزيزى القارىء : إنه لمن النجاح والتطور المتلاحق ، وحسن القبول ، أن يحظى هذا الباب بهذه الموسوعة الإسلامية التى ينتفع بها المسلمون فى بقاع الأرض ، من نصائح دينية ، وقضايا إيمانية ، تحثهم على التمسك بالدين والعمل الصالح .

ومما يزيدنا بهجة ، ويزيد الكتاب استحسانا أن يقدم له الإمام الأكبر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بماله من حلاوة المنطق ، وحسن البيان وسهولة المعانى ، وعظمة العلم .

● وقد فضيلته بشرح جلى وأسلوب بديع هذه الموسوعة ، وأشاد بالمحقق السابق العلامة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا .

● ثم أشار فضيلته إلى الإضافة والمراجعة والزيادة الواسعة فى هذا التحقيق للمحقق المستشار السيد على بن السيد عبد الرحمن الهاشمى .

● وقد استهل فضيلته بمقدمة وافية عرض فيها منهجه فى التحقيق ، وبدأ الباحث بمبحث حول التقوى وتمنى الموت ووجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم المباحث الرئيسية ، وتتحدث عن الصلاة والزكاة والصوم والحج وتلاوة القرآن وذكر الله ، والجهاد ، ومبحث الولايات والمنجيات ، ثم الخاتمة .

● وأشار فضيلته إلى الجهد المبذول فى هذا التحقيق حيث قال لقد وافانا بالغرض المقصود فيه الإجابة عن أسئلة كثيرة ، يحتاجها المسلم والمسلمة فى أمور حياتهما ومعاشهما .

● وأولى مباحث الكتاب : بحث التقوى وأنها وصية الله للأولين والآخرين ، وأن الطاعات تقوى الإسلام ، والمعاصى توهنه ، ثم خير القلوب أصفاها وأصلبها ، وأرقها ، والتقية من الباطل والشر كله .

● ثم أصناف الناس فى الأمل ثلاثة ، ثم العالم الذى يعلم الناس الحيل شيطان مارد ، وعلماء السوء ، وعلامات العالم العامل ، مما ينبغى للعلماء والقضاة .

● ثم انتقل المؤلف إلى مبحث الصلاة وفيه :

وجوب كمال الطهارة للصلاة ، وجوب الخشوع ، وحضور القلب فى الصلاة ، صلاة الجمعة فرض عين بالإجماع ، وجوب صلاة الوتر إحياء مابين العشاء بين القليل الدائم خير من الكثير المنقطع .

النصائح الدينية
والوصايا الإيمانية

لشيخ الإسلام الإمام عبد الله بن علوي الحداد الحسيني
(ت ١١٣٢هـ - ١٧٢٠م)

طبع على نفقة
صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان
ولي العهد - نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

أشرف على تحقيقه وراجعه وقدم له
المستشار
السيد علي بن السيد عبد الرحمن الهاشمي

● أما مبحث الزكاة فقد أشار إلى فضلها - القليل عند الله كثير الثواب - التحذير من نهر السائل ، فضل الأسرار بالصدقة ، الحث فى الصدق بالمحبوب ، ذم السؤال إلا عند الحاجة الشديدة ..

● ثم انتقل بنا المؤلف إلى مباحث الصوم ، والذكاة ، والحج ، وتلاوة القرآن ، من حيث آداب التلاوة ، وتحسين الصوت بالقرآن ، ثم أشار إلى مباحث : ذكر الله - تعالى - ومباحث الأمر بالمعروف ، ومباحث الجهاد ، والولايات ، وتناول فيها الأسرة والمجتمع ، ثم مبحث المحرمات والمنجيات ، حتى انتهى إلى خاتمة الكتاب حول عقلية أهل السنة والجماعة ، ثم خاتمة الخاتمة ، التى اشتملت على سبعة أحاديث شريفة مروية عن صحابة كرام .

● وقد أشاد فضيلة الشيخ عبد المعز الجزار بهذا الكتاب قائلا فلما كان كتاب « النصائح الدينية والوصايا الإيمانية » لشيخ الإسلام عبد الله بن علوى الحداد الحضرمى الشافعى من كتب التراث القيمة التى لا غنى عنها لكل مسلم يريد أن يصحح عقيدته ، فقد احتوى على العديد من المباحث التى ترشد إلى سعادة الدنيا والآخرة ، كل هذا فى وضوح عبارة ، وقوة أسلوب ، وتحقيق فى البحث ودقة فى النقل ووضوح الحجة وباهر المحجة وفيض فى البيان .

● ثم وضح فضيلته مكانة هذا الكتاب العلمية ، وأشار إلى مجموعة العلماء التى تناولته من قبل والطبعات التى نقل منها بأمانة وحرص ودقة عالية ، حتى أنه حرص على إبراز المحقق بأنه عالم عامل من علماء هذه الأمة المشهود لهم بطول الباع فى التحقيق والتدقيق وحب للعمل والعلماء ، وإخلاص فى كل ما يقوم به .

● ثم أبرز الدور السخى والمعطاء الذى يوليه سمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان ولى العهد فى رعايته وعنايته بنشر كتب العلوم النافعة ، ولاسيما كتب الفقه متمثلا فى الدور الرائد فى ظل حضرة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات .

● وأخيرا عزيزى القارىء أقدم لك ما يغنيك عن الاستفسار والحيرة فى أمور دينك ، فهو شعلة إسلامية بها ما يهمك فى الدنيا والآخرة .



بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

قلوب محبة

مازالت الرسائل تترى، والألسنة تلهج بحب الشيخ الشعراوى، داعية له أن يجزيه الله - تعالى - خير ما جزى إماماً عن محبيه، ومازالت أصداء وفاته تلهم قراءنا بالكثير، فتخرج قرائحهم أشجى ما عندهم فى كلمات حزينة، عميقة المعنى، وإننا لنحترم فيها خلجات نفوس طيبة ونبضات قلوب محبة تحتفى بإمامها الراحل، وتسجل له مواقفه الكريمة الشجاعة.

ونحن أمام هذا الحب الغامر، والمشاعر الجياشة، والسيل الجارف من رسائل القراء، رغبةً منهم أن يضم كتاب الوفاء سطوراً ولو قليلة بأيديهم، نقدم بعضاً منها.

أمير الدعاة

وردت هذه الرسالة من أحد القراء، ولم يشر إلى اسمه، نقتطف منها ما يلى:

لعل مما يخفف علينا وقع المصيبة الجائحة فى وفاة إمام الدعاة قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء - ٣٤).

لقد عاش إمامنا - رضى الله عنه - حياة حميدة حببته إلى قلوب الملايين المؤمنين بالله، إذ كان غيث رحمة لها، يرد إليها نور الثقة بعد ظلام اليأس.

فها هى ذى جنازة المليون، التى تخرج من تلقاء نفسها ملتاعة لتشييع شيخ الدعاة إلى مثواه بين قلب مكلوم، وعين قرحها البكاء، ونفس الناعت أيها النباع.

لقد شاهدت الخيزران أم هارون الرشيد اجتماع الناس أفواجاً، لا يحصيها عد على سيدى عبد الله بن المبارك وهى تنظر من قصرها، فلما سألت وعرفت أنه عالم خراسان، قالت قولتها الشهيرة: «هذا هو الملك الحقيقى، لا ملك هارون».

لقد مات الشعراوى ميتةً يتمناها كل مسلم صادق. مات التقى النقى الطاهر الورع، مشيعاً إلى مثواه؛ لتفرح بمقدمه السماء، وتحف روحه

الطاهرة الملائكة ليستبشر بمقدمه أبوه آدم - صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وسلم ، وليتقطع قلب أبي مُرة ، ويتوارى خزيا هو وجنوده من شياطين الجن والإنس .

رحم الله الشعراوى رحمة واسعة ، بقدر ما أمتع بحديثه الشائق الصادر عن نفس مؤمنة ملايين المستمعين ، وبقدر ما أسال دموعاً من خشية الله . ولكم أسال من دمعى ، إذ كنت أستمع إليه ، وأدرك إدراكاً كبيراً جمال ما يفسر إذ هو مجالى ، وهو التفسير الذى إن لم يتتبع اللفظة ودورانها ، وموضعها فى السياق ، فلا فهم ولا إدراك .

وكم حاولت أن أراه فى حياتى .. ولكن إذا عزَّ المطلب فى الدنيا فهل ياترى يجود رب رحيم غفور كريم يعفو عن كثير ، أن أراه فى جنة الخلد ؟ وأين تكون منزلتى منه ؟

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾
(الأعراف - ٥٦)

فقد سئل الإمام سفيان الثورى - رضى الله عنه - هل انت مؤمن ؟

فأجاب : الإيمان إيمانان . إن كنت تسألنى عن الإيمان بالله ، وملائكته ، ورسله ، واليوم الآخر ، فأنا مؤمن .

أما إن كنت تسأل عن الإيمان :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾
(الأنفال - ٢) .

فلا أدرى أأنا منهم أم لا ؟

أم ترانى أردد مع ابن زيدون - رحمه الله ، وغفر له - :

إن كان قد عز فى الدنيا اللقاء ففى
مـواقف الحشر نلقـاكم ويكفينـا

فسلام على الشعراوى ، يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا .

والسلام عليك يا إمامنا بما أثرت فىَّ ، من لواعج الحزن ، وبواعث الأسى ، ومرارة الفقد ، الذى يصقل الروح .

ويغفر الله لى ولكم ، ولسائر المسلمين .

ورحل إمام الدعاة

من محافظة دمياط - الزرقا - كفر المياسرة أرسل القارىء : مصدق مطاوع عيسى يقول :

كان الإمام الشعراوى ، ولا يزال علماً من أعلام الفكر الإسلامى :

ناقش بيسر القضايا الهامة ، وجعل من الصعب سهلاً . أحب الناس ، فبادلوه حباً بحب ، وكان من الشخصيات الفذة ، فترك علماً ينتفع به من أجل هذا الجيل ، والأجيال القادمة ؛ وليرفعه الله بهذا العلم مع الأبرار ، والشهداء ، والصديقين .

من أقواله الخالدة التى هزت وجدانى :

● « أحب الناس إلى قلبى ، هو الذى لا يجاملنى بإخفاء عيب فىَّ » .

وهو قول يستند إلى قول الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - « رحم الله امرءًا أهدى إلىَّ عيوبى »

• أسأل الله ألا يكون تكريمى فى الدنيا ، على حساب جزائى يوم القيامة .

• إن الله موجود فينا بالفطرة ، إنه موجود فى كل حبات كياننا . نحس به ، ونشعر بوجوده ، ونعرف أنه موجود ، ومن إجاباته الملهمة عن سؤال :

لماذا خلق الله ـ تعالى ـ الشياطين ؟ وما فائدة وجودهم ؟ يقول : إنه إذا لم يوجد ما يهيجك على المعصية تصبح الطاعة أمراً اعتيادياً ، لكن عظمة الطاعة تتجلى فى أن واحداً يغريك بأن تعصى ، فتقول له : لا ؛ لأن فكرة وجود الشياطين استبقاء لحرارة التكليف .

• ومن أهم الأمور التى كان يحرص عليها : أنه كان يخلو بنفسه يومياً ساعتين ، ليحاسبها قبل أن تُحاسب ، ويزن أعماله قبل أن تُوزن ، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

وأتساءل : من منا يخلو بنفسه ولو نصف ساعة يومياً ؟

رحم الله هذا القطب ، والمفكر الإسلامى : محمد متولى الشعراوى ، الإمام المجدد لديننا ، وأسكنه فسيح جناته : الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

بكت عينى أبا سامى

القارىء رجب سيد عياد البرديسى :
المملكة العربية السعودية ـ المدينة المنورة ـ البريكة أرسل يقول :

غداة نعى أبا سامى الناعى
بكت عينى ، واهتز جنانى
حل الأجل وتقطعت الأماني
وتجمدت سيول الدمع فى الوجدان
فلما لبَّى الإمام الداعى
شيعته البقرة ، والسبع المثانى
أتاه الله من سحر البيان
فألف بين القاصى والدانى
فيا نفس صبراً على ما قضى
الرحمن فى غابر الأزمان
بالله قولوا إن سمعتم ذكره :
رحم الله مفسر القرآن

●●●●

أما القارىء : محمود الطاهر الصافى ـ عضو رابطة الأدب الإسلامى فيكتوريا ـ المنتزه ـ الإسكندرية . فيرسل كلمة عن :

القرآن الكريم والفطرة الإنسانية

إن القرآن الكريم ، هو أعظم منبع معنوى ، وعملى ترتوى من معينه الثر البصائر الحرة ، والعقول المطلقة العبقرية ؛ لأنه العلم الأعلى ، والحكمة المعجزة فى جمالها وإحكامها ، وصورة الحياة المثلى المتسقة ، التى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ، فالقرآن الكريم يتجه فى إبلاغه المعجز ، إلى الفطرة الإنسانية السليمة المشتركة ، التى تعلو على القومية ، والجنسية ، والعصبية ، فمعانيه تنتظم عناصر وجود الإنسان ، وأسرار خلقه ، وصلته بخالقه ، وتجعل ذلك كله على صراط مستقيم ، فالإنسان بجسمه وروحه ، ونفسه ، وقلبه ومع نفسه وغيره من البداية إلى النهاية ـ يصوره القرآن وحدة متكاملة ، وقوى

متحدة ، مسخرة لحقيقته الإنسانية العالية ، التي هي موضع العناية الإلهية من الكون كله ، وفطرة الإنسان إنما هي هذه الحقيقة غير أن من استحب الضلالة يكتسب ما يباعده عن الفطرة ؛ فيصير اختلالاً في كيان الإنسانية كلها ، أو بعضها .

●●●●

أما القارئة عبير محمد نصار - البحيرة - دمنهور .

فتقتطف طاقة من بستان ابن القيم الجوزية فتذكر تحت عنوان : الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل :

(١) قراءة القرآن بتدبر وتفهم لمعانيه .

(٢) التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض لقوله تعالى في حديث قدسي : « ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه »[1] رواه البخاري .

(٣) دوام ذكر الله على كل حال باللسان ، والقلب ، والعمل .

(٤) مطالعة القلب لأسمائه وصفاته .

(٥) مشاهدة بره وإحسانه ، وآلائه ، ونعمه .

(٦) انكسار القلب بكليته بين يدى الله - عز وجل - .

(٧) مجالسة المحبين الصادقين .

(٨) مباعدة كل سبب يحول بين القلب ، وبين الله - عز وجل - .

القارىء : عبد الوهاب عبد الغفار عمر - البحيرة - شبرا خيت .

يرسل إسهاماً عن دولة بروناى يقول :

اسم بروناى اشتق من نهر بروناى (حالياً لبانج) ، والذى ينبع من سرواك ويمر بالعاصمة بندر سرى بيجوان ، تحتل سلطنة بروناى الشريط الساحل الشمالى لجزيرة بورنيو ، ثالث جزر العالم مساحة ، وقلب مجموعة جزر جنوب شرق آسيا . . وتبدو السلطنة على شكل قوسين تتداخل بينها أراضى سرواك إحدى ولايات اتحاد ماليزيا ، إضافة إلى جزيرة لابوان . . وتحيط بها أراضى دول أندونيسيا وماليزيا والفلبين وتايلاند . . مساحة السلطنة ٥٧٦٥ كيلو مترا « نصف مساحة لبنان » لغة الدولة الرسمية هى اللغة الملايوية - والعملة هى الدولار البرونى « نصف الدولار الأمريكى » استقلت عن بريطانيا فى الأول من يناير ١٩٨٤ . عدد السكان فى بروناى طبقا لآخر الإحصائيات بلغ ٢٥٠ ألف نسمة أغلبهم من الملايويين (١٣٩) ألف نسمة يليهم الصينيون (٤٨ ألفا) ، ثم الجنسيات الأخرى (٢٥ ألفاً بينهم ٥ آلاف بريطانى و ٢٥٠٠ من الهنود والباكستانيين والفلبينيين ، أما الباقون (١٩ ألف نسمة) فهم سكان البلاد الأصليين من قبائل الكادازان والأيبان والدوسون يعيشون فى الغابات الداخلية الكثيفة ، دخل الفرد يصل إلى ٢٥ ألف دولار أمريكى ، وتحتل المركز الأول لدخل الفرد فى العالم كما أعلنه البنك الدولى فى إحصائه السنوى .

بروناى من أقدم الممالك المالوية الإسلامية وتشير الآثار التاريخية المتبقية إلى أن جذورها تمتد

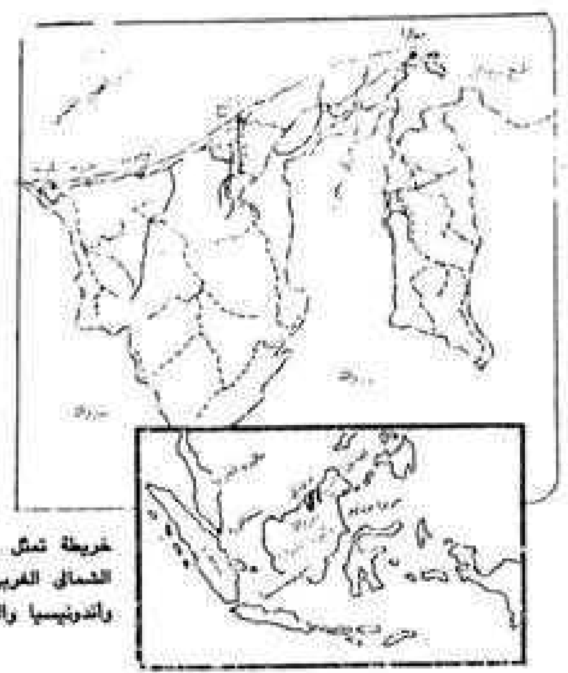
---

(١) رواه البخارى فى الرقائق (١١/ ٢٤٠ ، ٢٤١) .

إلى أواخر القرن الرابع عشر عندما اعتنق حاكم الإمارة (أوانج الان بتياتار) الإسلام وسمى نفسه السلطان محمد شاه الأول ، بعد أن قام بزيارة لمملكة « ملقا » لزيارة السلطان المسلم حيث اقتنع بالإسلام ودخل فيه ، ومنذ ذلك الوقت تولى الحكم ٢٩ سلطاناً . وقد تأصلت جذور الإسلام في بروناى عندما وفد من الطائف الشريف على من نسل الإمام حسن بن على ، واستقبله السلطان استقبالاً حسناً ، ومن ثم انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً في فترة قصيرة ، فارتضاه واعتنقه معظم أبناء البلاد حتى أصبحت بروناى دولة إسلامية بعد ذلك ، وتزوج « الشريف على » من ابنة السلطان « أحمد » وأصبح بعد ذلك السلطان الثالث لبروناى باسم السلطان بركات . وحكم السلطان بركات البلاد حسب مبادىء الشريعة الإسلامية .. وكان هو وراء قيام مملكة « كوتاباتو » العاصمة القديمة . المسلمون فى السلطنة يربو عددهم على ١٥٠ ألف مسلم على مذهب أهل السنة والجماعة أصلاً والمذهب الشافعى فرعاً ، أما الباقون فمن غير المسلمين .

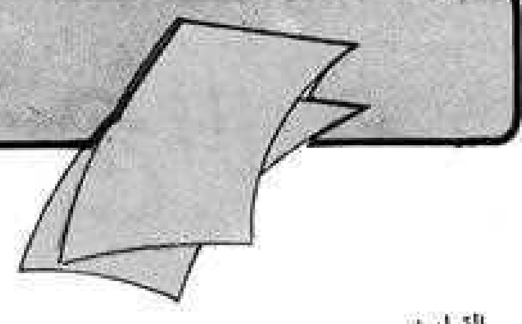
من أشهر المساجد مسجد عمر على سيف الدين .

اقتصاد بروناى يقوم على النفط والغاز الطبيعى .. والواقع أن ازدهار بروناى يرتبط بالنفط والغاز الطبيعى المسيل . وهذا كله يشكل ٩٨٪ من مجموع صادرات البلاد التى بلغت عام ٩٤ ستة مليارات من الدولارات وتمثل ٨٠٪ من خالص الإنتاج القومى والمصادر المعدنية محدودة ، ويتجه النشاط إلى الصناعات الخشبية والزراعة وصيد الأسماك .



خريطة تمثل موقع بروناى حيث تحتل الشريط الساحلى الشمالى الغربى لجزيرة بورنيو وتحيط بها أراضى ماليزيا وأندونيسيا والفلبين وتايلاند .





القراء :

ـ قناوى محمد فادى ، قنا ـ الحصواية ـ مدرسة عمر بن الخطاب .

ـ يوسف عبد الهادى بيومى ، قنا ـ مركز قوص ـ قرية الحلة .

ـ العيدى طارق ـ المسيلة ـ الجزائر .

ـ إيهاب عصام خليفة ـ أشمون منوفية .

بخصوص الاشتراك فى مجلة الأزهر ، يمكنكم الاشتراك عن طريق قسم الاشتراكات « بجريدة الأهرام » حيث هى الجهة المسئولة عن التوزيع وعنوانها : القاهرة ـ شارع الجلاء .

أما بخصوص رغبتكم فى الحصول على بعض المطبوعات التى تعرف بالدين الإسلامى باللغات الأجنبية فيمكنكم الحصول عليها من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعنوانه كالتالى : ٩ ش النباتات ـ جاردن سيتى ـ القاهرة .

القراء :

سامح محمد محمود صاحب قصيدة « وا إسلاماه » .

هشام عبد الصبور رجب صاحب قصيدة « المناهضة » .

أسامة الزقزوق صاحب قصيدة « الشوق والحنين إلى أم القرى » .

عليكم بقراءة المزيد من دواوين الشعر العربى القديم منه والحديث حتى تصقل موهبتكم ، فتنطلقوا محلقين فى دنيا الشعر الجميل بإذن الله ـ تعالى ـ .

القارىء : بدران بسيونى مصطفى الأمانة الفنية ـ مجمع البحوث الإسلامية .

قصيدتكم المهداة إلى روح فضيلة الشيخ الشعراوى حوت معان طيبة ودلت على روح إنسانية عالية ، فشكراً على شعورك الطيب وعلى ما قمت به ، ونأسف لعدم نشر أى إنتاج إلا بالعربية الفصحى .

القارىء : محمد عبده عبد القادر نجم ـ رئيس الشئون القانونية ـ بالتربية والتعليم ـ السنبلاوين .

نفيدكم أن ما دون على غلاف المجلة لم يكن خطأ مطبعياً ، وإنما كان مع العدد هديتان : كتاب « محمد الرحمة المهداة » ولوحة : هؤلاء فى الجنة .

ونرجو موافاتنا باسم وعنوان باعة الصحف الذين أفادوك بذلك حتى يمكننا إخطار إدارة توزيع الأهرام لاتخاذ اللازم ، ليكون فى ذلك عبرة للآخرين .

كما يمكنكم الكتابة مباشرة إلى :

جريدة الأهرام ـ قسم التوزيع

شارع الجلاء ـ القاهرة .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يعقد مؤتمراً صحفياً

● عقد فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى مؤتمراً صحفياً حضره بعض أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وقيادات الأزهر ، والمسئولون عن التعليم بالأزهر والمهتمون بالعملية التعليمية ومراسلو الصحف المحلية والعربية ووكالات الأنباء العربية والأجنبية فى قاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف فى الساعة الواحدة ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٨/٨/١١ ، لتوضيح ما أثير حول تخفيض مدة الدراسة بالمعاهد الثانوية من أربع سنوات إلى ثلاث سنوات ، وما أثير أيضاً حول تخفيض مواد الدراسة بالمعاهد الأزهرية فى المراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية .

وقد أكد فضيلته أن اقتراح الثانوية الأزهرية ثلاث سنين بدأت مناقشاته منذ ٢٧ ديسمبر عام ١٩٩٧ ، ولم تحدث الموافقة عليه إلا هذا العام بعد دراسة متأنية ، وبعد أخذ رأى المتخصصين فى الأزهر والمسئولين عن العملية التعليمية ، وأيضاً بعد رأى وموافقة المجلس الأعلى للأزهر الذى هو أكبر هيئة لدراسة هذه الأمور ، والمسئولين فيه من الأزهر ومن التربية والتعليم ومن المتخصصين فى هذا المجال ، وهو أكبر من مجلس جامعة الأزهر ، وكانت رغبة ملحة من أولياء الأمور الذين لهم أبناء يدرسون فى الأزهر الشريف ، وبعد ذلك رفع الأمر إلى مجلس الوزراء ووافق عليه ، ثم إلى مجلس الشعب ووافق عليه ، ثم رفع إلى السيد رئيس الجمهورية ووافق عليه ، وتم تعديل القانون إلى أن تكون الدراسة بالثانوية الأزهرية ثلاث سنوات بدلاً من أربع سنوات ، وأيضاً أصبح شيخ الأزهر الشريف هو المسئول عن تعديل المناهج ، وكان هذا القانون قبل ذلك يتيح أن يتولى وزير الأزهر مسئولية تعديل المناهج .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أن حصص

تحفيظ القرآن الكريم فى بعض المراحل بلغت ثلث المنهج وخاصة فى المرحلة الابتدائية التى وصلت فيها إلى ١٥ حصة فى الأسبوع ، وكذلك المواد العربية والشرعية ، ولم يحدث الاختلاف إلا فى المرحلة الثانوية حيث لا يتساوى الذى يدخل كليات الطب والهندسة والصيدلة والزراعة وطب الأسنان والعلوم إلخ فى المواد العربية والشرعية مع الطالب الذى سيلتحق بكليات اللغة العربية والشريعة وأصول الدين والدعوة ، ومن هنا كانت المفاضلة ، حيث بلغت الحصص فى الشعبة الأدبية ٢٢ حصة فى العلوم الشرعية أسبوعياً ،

وكذلك العلوم العربية ، ١٧ حصة فى المواد الثقافية والعلمية ، حتى يتناسب المنهج مع الكلية التى يرغبها الطالب ، وأكد شيخ الأزهر على أنه مسئول أمام الله أولاً على أنه أخذ على عاتقه منذ أن تولى مشيخة الأزهر أن يحافظ على القرآن الكريم وعلومه ، وعلى العلوم العربية والشرعية ، ومن أجل ذلك قرر أن يكون حفظ القرآن الكريم فى المرحلة الابتدائية ثمانية عشر جزءا يمتحن الطالب فى المنهج المقرر فى العام وفى الأعوام السابقة ، ويكون حفظ المقرر من القرآن فى القسم الإعدادى سبعة أجزاء يمتحن الطالب فى منهج العام وفى المنهج السابق جميعه وأيضا تقرر حفظ خمسة أجزاء فى القسم الثانوى يمتحن الطالب فى المنهج المقرر للعام ، وفى المنهج المقرر على الأعوام السابقة جميعه ، وبذلك يلتحق بالجامعة ، وهو حافظ للقرآن الكريم ، وفى الجامعة تتم الإعادة على القرآن بامتحان تحريرى وشفوى كل عام ، ومن أجل ذلك تم شراء تسجيل للقرآن الكريم بصوت الشيخ الحصرى (المصحف المعلم)، وتم توزيعه على المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية كل سنة دراسية لها الشرائط الخاصة بها والمقررة عليها ، وتم شراء أجهزة تسجيل تم توزيعها على المعاهد الأزهرية جميعها ، وفى طابور الصباح تتم قراءة القرآن الكريم لمدة عشر دقائق يردد الطالب القراءة وراء القارىء ، وفى الحصص يتم الحفظ عن طريق هذه الشرائط أيضاً حتى يتعلم الطالب القراءة الصحيحة ، كما تم تسليم جامعة الأزهر الشريف خمسين نسخة من (المصحف المعلم) لتوزيعها على كليات الجامعة ليكون الحفظ بنفس الطريقة فى المعاهد الأزهرية ، ثم طلب فضيلة الإمام الأكبر من الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية .. بتوضيح وشرح المناهج الخاصة بكل مرحلة وعدد الحصص فى القرآن الكريم وفى المواد الشرعية والعربية والثقافية ، وأشار إلى الكتب وإلى مؤلفيها وإلى عدد صفحاتها ، وكانت الكتب موجودة أمام الجميع ، ووضح أن المناهج لم تتغير ، وأنها جميعها من التراث الذى كان يدرس فى الأزهر قديما ، وتم توزيع مناهج السنة الرابعة الثانوية على الصف الأول والثانى والثالث ، وتمت إزالة الحشو ، كما تمت إزالة المكرر .

وتحدث فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم ، وقال : إن الهدف من هذا المؤتمر هو الرد على المزايدين الذين نشروا فى الصحف وفى وسائل الإعلام أخباراً لا أساس لها من الصحة ، ومن أجل ذلك عقد المؤتمر لتبين الحقيقة أمام الجميع والكتب موجودة والمسئولون عن التعليم فى الأزهر موجودون قرأوا الخطة وبينوا المنهج وعدد الحصص والكتب ثم قام بالرد على الأسئلة التى وُجهت مكتوبة .

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف قائلاً : إن البعض يقول أن

هناك مؤامرة لتدمير الأزهر من الداخل والخارج ، أو هي أوامر علينا تمليها الحكومة ، وأنا أقول أن هذا ليس من الحقيقة في شيء ، وإنما تطوير الأزهر نابع من الأزهر ذاته برئاسة شيخه بعد دراسة متأنية استمرت ما يقرب من سنة إلى أن تمت الموافقة عليه بالقنوات الشرعية والدستورية ، فلماذا كل هذه الضجة المفتعلة ؟ فإذن ليست هناك مشكلة إلا تمسك بعض المعترضين .

ثم عقب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رداً على من قال إن القرآن الكريم كان يدرس كله في المرحلة الابتدائية من قبل : قال إن هذا غير مقبول وهو عمل غير عادل ، وقد جربناه بأنفسنا حيث كان الطالب يمتحن في القرآن فقط وبذلك ينسى الماضي كله ، فتخرج جيل لا يحفظ القرآن ، ونحن نريد لخريج الأزهر أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله حفظاً جيداً ، والفرق بين الأزهري وغيره هو حفظ القرآن الكريم ، والأزهري الذي لا يحفظ القرآن الكريم لا يسمى أزهرياً ، وبالنسبة للمواد الشرعية واللغوية أكد فضيلته بالأدلة التي عرضت في المؤتمر أمام الحاضرين وتضمنت الكتب الدراسية والمقررات الجديدة التي ستدرس للطالب بعد التعديلات أنه لم يحدث فيها حذف أو تغيير ، بل هناك مواد زيدت حصصها والحذف تم في الحشو وفي المكرر وفي بعض المواد الثقافية بالنسبة للقسم الأدبي .

••••

الإمام الأكبر يحضر الحفل الختامي للتضامن الإسلامي

● في الحفل الختامي للمخيم الرابع للتضامن الإسلامي الذي أقامه المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمعسكر أبي قير بالإسكندرية ، وحضره شباب ٥٦ دولة إسلامية وعربية من أفريقيا وآسيا وما يقرب من مائة شاب فلسطيني ضمن معسكر الشباب الذي يضم ٢٠٠٠ شاب في ١٩٩٨/٧/٣١ . أعلن فضيلته أن مصر رئيساً وحكومة وشعباً تتقبل أبناء الدول الإسلامية بقلوبها وتفتحها لهم قبل أن تفتح أبوابها لأننا أمة واحدة تتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، وأعلن أن شباب ٥٦ دولة إسلامية وعربية قاموا بغرس ٥٦ شجرة في أرض الإسكندرية من أجل التعمير والتعاون ، وهو ما نادى به الدين الإسلامي الحنيف ، وطالب فضيلته الشباب بأن يعتنقوا الفضائل ويبتعدوا عن الرذائل ، وأن تكون صداقاتهم وعلاقاتهم بالشباب الذي يحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأن يبتعدوا عن الشائعات الكاذبة.

وقال فضيلته : إن التضامن بين الشباب المسلم هو أسمى المعاني التي نسعى إليها لأن الشباب هم عدة الأمة التي بدونها لا تقوم لها قائمة ، ولذلك أشاد القرآن الكريم بهم وامتدحهم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

فحين يقوى الرابط بينهم تعز بهم الأمة وتتبوأ مكانتها المرجوة لها ، كما قال الله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

وقد صدرت التوصيات في نهاية الندوة ، أعلنها السيد حمدي عبيد مسئول المخيمات بمجلس الإغاثة ، وقد استمرت عشرة أيام خلال المعسكر ، وقد دعت إلى إنشاء محكمة عدل إسلامية على غرار محكمة العدل الدولية تنظر شئون المسلمين في العالم الإسلامي ، كما دعت إلى

قيام لجنة لتقصى الحقائق فى المناطق المنكوبة فى العالم الإسلامى تتكون من الأزهر الشريف والمجلس الإسلامى العلمى للدعوة والإغاثة ومنظمة المؤتمر الإسلامى .

●●●●

ويرأس فضيلته اجتماع مديرى المناطق الأزهرية

● رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاجتماع الموسع لرؤساء ومديرى جميع المناطق الأزهرية بالجمهورية يوم ١٩٩٨/٨/٤ ، حيث أكد فضيلته الاستعداد التام والدقة الكاملة فى امتحانات الدور الثانى للشهادات الأزهرية الإعدادية والثانوية ، وإجازة التجويد وتخصص القراءات من حيث الأسئلة وتأمينها وتهيئة الجو المناسب للطلاب ليؤدوا الامتحان بأعصاب هادئة وتوفير كل وسائل الراحة لهم مع الانضباط التام والكامل .

كما قرر فضيلته عدم قبول أى تلميذ بالصف الأول الابتدائى أقل من ست سنوات ، ويفتح فصل تمهيدى فى كل معهد على مستوى معاهد الجمهورية يقبل من هم أقل من ست سنوات ، وذلك بمصروفات ، ويكون له الأولوية فى العام القادم لدخول الصف الأول الابتدائى ، كما تقرر ألا تقل كثافة الفصل عن ١٥ طالباً ، ولا تزيد على ٣٥ طالباً ، وبالنسبة لدخول الصف الأول الإعدادى الأزهرى عن طريق المسابقة التى تجرى لذلك كل عام ، لا يزيد سن الطالب الذى يتقدم للامتحان على ١١ سنة وستة أشهر بعد اجتيازه الامتحان المقرر بنجاح حسب القواعد المنظمة ، كما تقرر إلغاء شرط السن عند الالتحاق بمعهد القراءات ، وتوفير محفظى القرآن الكريم من المحفظين والوعاظ ، وقد فوض فضيلة الإمام الأكبر رؤساء المناطق الأزهرية فى الموافقة على تحويل الطلاب من المعاهد الأزهرية إلى التربية والتعليم فى نطاق الصالح العام وفى حالة الضرورة ، كما تقرر عدم إعطاء إذن تشغيل للمعاهد الأزهرية التى تبنى بالجهود الذاتية إلا بعد موافقة رئيس المنطقة ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وذلك حتى ٦/٣٠ من كل عام ، ولا يقبل تشغيل أى معهد بعد هذا التاريخ وبعد التأكد من أن مبنى المعهد صالح للعملية التعليمية من جميع النواحى ، كما أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضرورة الاستعداد للعام الدراسى الجديد وتجهيز المكان بالأثاث والوسائل التعليمية والكتب الدراسية والعمالة وهيئة التدريس ، كما وجه على المظهر العام بالنسبة لملابس الطلاب فى جميع المراحل .

●●●●

ويستقبل رئيس المحكمة العليا بالمغرب .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ٩٨/٧/٣٠ السيد المستشار أحمد مصطفى المراغى رئيس محكمة النقض يرافقه السيد المستشار/ إدريس الضحاك رئيس المحكمة العليا بالمملكة المغربية والوفد المرافق لسيادته فى إطار الزيارة التى يقوم بها الوفد للقاهرة لتوقيع اتفاقية التعاون القضائى بين مصر والمملكة المغربية .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى الأزهر الشريف موضحاً أن التعاون بين مصر والمملكة

المغربية قائم منذ زمن طويل ، ونحن نذكر أن العلامة فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين كان شيخاً للأزهر وهو من دولة المغرب الشقيقة ، والتعاون بين مصر وأزهرها والمغرب يزداد قوة وازدهاراً ، وللمغاربة رواق بالأزهر الشريف لطلاب العلم بها للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ، والأزهر الشريف يرحب بكل تعاون مثمر بينه وبين جامعات المغرب ، وأبواب الأزهر وجامعته مفتوحة على مصراعيها لطلاب المغرب الشقيق .

قدم الوفد شكره لفضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة لزيارة الأزهر ، وأشاد الوفد بما يقدمه الأزهر من خلال علمائه وبعثاته لنشر الدعوة الإسلامية والثقافة إلى العالم أجمع ، كما قدم تعازيه فى وفاة المرحوم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف .

●●●●

ويرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

● برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عقد المجلس الأعلى للأزهر جلسته يوم ٩٨/٧/٢٦ بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر ، ووافق المجلس الأعلى للأزهر على خطة الدراسة بشعبة الدراسات الإسلامية باللغة الألمانية بمرحلة الإجازة العالية بكلية اللغات والترجمة ، كما وافق على قواعد وشروط قبول الطلاب المصريين والوافدين بمرحلة الإجازة العالية ، بكليات الجامعة للبنين والبنات للعام الجامعى ٩٩/٩٨ ، كما تمت الموافقة على تشكيل اللجنة العلمية الدائمة للقانون الخاص بجامعة الأزهر .

كما وافق على تحديد الأقسام العلمية لشعبتى الشريعة والقانون والصحافة والإعلام بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ، حضر الجلسة فضيلة الدكتور وزير الأوقاف ، وفضيلة وكيل الأزهر ، وفضيلة رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، والأستاذ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

●●●●

قرارات فضيلة الإمام الأكبر

● صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمد خدمة فضيلة الشيخ / على محمد على فتح الله وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون الخدمات بالأزهر الشريف لمدة سنة تبدأ من ١٩٩٨/٧/١٥م .

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : يسند إلى الشيخ محمود إبراهيم عبد الباعث أحمد شيخ معهد الإسكندرية الثانوى للبنين بدرجة مدير عام القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الإسكندرية الأزهرية اعتباراً من ١٩٩٨/٧/١٥ ، ولحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة وصفها المعتمدة من الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة وفق قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية .

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ على نور الدين محمد على - الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الدينى بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف إلى الجماهيرية الليبية لمدة ستة أيام فى مهمة رسمية لإنهاء المعاملة المالية للسادة الوعاظ المرشحين للعمل فى مجال الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية والعربية فى الدول الأفريقية على نفقة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالجماهيرية الليبية من الأحد ٩ أغسطس وحتى ١٤ أغسطس عام ١٩٩٨ .

● وافق فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف على قيام وعاظ الأزهر الشريف وعددهم ١٨٠٠ واعظ بالمساهمة فى تحفيظ القرآن الكريم لطلاب المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية ، كما وافق على قيامهم بسد العجز فى تدريس المواد الشرعية والعربية بالمعاهد الأزهرية .

● تمت ترقية ١٢٢٤ من العاملين بمنطقة القاهرة الأزهرية شملت المراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية للبنين والبنات والمعلمين والقراءات ، صرح بذلك الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، حيث شملت الترقيات المدرسين الأوائل فى الابتدائى والإعدادى والثانوى ، وكذلك وكلاء وشيوخ المعاهد فى المراحل الثلاث ، وكذلك الموجهين والموجهين الأوائل والنظار ورؤساء أقسام بالمرحلة الابتدائية ، وهذه الحركة الموسعة فى الترقيات تضمنت ٣٠١ مدرس إعدادى شرعى وثقافى ، ٣٠٠ مدرس أول ثانوى ، ١٩٩ وكيل معهد للمرحلة الإعدادية ، ٢٨٦ للمرحلة الابتدائية ، ٢٦ شيخ معهد إعدادى وثانوى ، ٣١ موجهاً إعدادياً شرعياً وثقافياً ، ٦٣ موجهاً ثانوياً ، ٢٢ موجه أول ثانوى .

المرحلة الابتدائية ١١٦ مدرساً أول ، ٧ وكلاء معاهد ، ١١ ناظراً ، ٣٩ موجهاً ، ٧ موجهين أول ، ٦ رؤساء أقسام .

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف حركة الإعارات الخارجية للعام الدراسى ٩٨/٩٩ من مختلف التخصصات للعلوم الشرعية والعربية والثقافية لدول العالم المختلفة شملت الحركة أكثر من ثلاثمائة وخمسين مدرساً ومدرسة إلى جنوب أفريقيا والجابون وجيبوتى ، والكاميرون وغينيا كوناكرى ، السنغال ، تشاد ، النيجر ،

كوت ديفوار ، الفلبين ، باكستان ، نيجيريا ، مالى ، إريتريا ، كينيا ، زيمبابوى ، بوروندى ، الجزائر ، بنين ، أندونيسيا ، بنجلاديش . . وكذلك لدول الكومنولث الإسلامى : كازخستان ، أذربيجان ، تركمانستان ، الأنغوش ، وكذلك إلى المالديف ، وسيرلانكا ، تايلاند ، ألبانيا ، الصومال ، النمسا ، رومانيا ، وزامبيا .



يحررها الدكتور
حسن على محمد

●● من المحرر ●●

«وولف» ومهمته السخيفة ..

● هل حقا فى مصر اضطهاد ضد المسيحيين ؟!

● وهل وصل الأمر إلى حد تدخل جهات مشكوك فيها لتقصى الحقائق ؟

● وهل بلدنا الأمن والمطمئن يحتاج إلى خبراء لرصد التمييز بين المسلم والمسيحى ؟!

إن فرانك وولف ذلك الأمريكى اليهودى ما جاء إلى مصر الآمنة إلا لإثارة الشكوك والقلاقل ولابد أن يعرف المسلم والمسيحى الدوافع الكامنة وراء هذه الزيارة الكريهة .

وأعتقد أن الدولة أخطأت حين سمحت لهذا (الوولف) بدخول البلاد وإن سعة صدر المسئولين فى مصر تم تفسيرها على نحو يضر بالأمن القومى .

● والسؤال : هل حقا كان الأمريكان حريصين على حقوق إخوتنا المسيحيين فى مصر ؟ .. ولماذا هم دون جميع خلق الله ؟!

ثم أين حقوق السود فى أمريكا ؟! وأين حقوق المسلمين وهم أكثر من ستة ملايين مسلم فى أمريكا ؟

● ثم هل من حق مصر بلد الأزهر الشريف أن ترسل لجنة لتقصى أحوال المسلمين الأمريكان ؟

● ياأيها الإخوة .. ياأبناء مصر .. (المسلمون والمسيحيون) لا تنخدعوا بالشعارات الكاذبة .

الإمام الأكبر:

القدس في قلب كل مسلم

القاهرة. خاص للأزهر

دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المسلمين والعرب فى كل مكان إلى الدفاع عن حقوقهم المشروعة فى مدينة القدس بكل الطرق الممكنة.

وأشار فى كلمة ألقاها فى مؤتمر القدس محور الإسلام إلى أنه فى حالة رفض إسرائيل الاستجابة لمطالب المسلمين بحقوقهم المشروعة فى القدس فليس أمامهم إلا الدفاع عن أنفسهم وأراضيهم بكافة الطرق والوسائل التى تعيد إليهم حقوقهم المسلوبة.

وقال شيخ الأزهر: إن القدس أمانة فى أعناق الدول الإسلامية والمسيحية، لأنها مدينة قدستها السماء وسار فيها الأنبياء.

مفتي الديار المصرية يدعو إلى تشديد المقاطعة الاقتصادية على إسرائيل

ومن جانب آخر دعا فضيلة المفتى إلى تشديد المقاطعة الاقتصادية على إسرائيل ومن يناصرها، مؤكداً على ضرورة أن يسهم العرب والمسلمون فى إعمار الأراضى العربية فى فلسطين.

مفتي سورية يدعو المسلمين للوقوف في وجه التوسع الإسرائيلي

كما دعا الشيخ أحمد كفتارو مفتى سورية إلى أن يقف المسلمون جميعا فى وجه المخططات الصهيونية التى تهدف إلى تهويد القدس وإقامة المستوطنات بها، وقال إن الجهاد يصبح ضرورة فى حالة استمرار الغرور الصهيونى الإسرائيلى.

خاص «للأزهر»

٩٧٤ مبعوثا أزهريا في ٦٩ دولة لإعلاء كلمة الله

القاهرة:

للأزهر الشريف بعثات تعليمية إسلامية فى ٦٩ دولة يبلغ عدد أعضائها ٩٧٤ مبعوثا، يعملون فى العديد من الدول الإسلامية مثل: كينيا، والسنغال، والكاميرون، ولبنان، والنيجر، والفلبين، ومالى، وأندونيسيا، واليمن.. وغير ذلك.

كما يعمل حوالى ١٢٧٢ مبعوثا أزهريا فى العالم الإسلامى بنظام التعاقد الشخصى، وتتولى السفارات المصرية فى العالم رعاية بعثات الأزهر.

وتتكون بعثة الأزهر من رئيس وسكرتير وأعضاء من العلماء المعلمين.

والجدير بالذكر أن لوزارة الأوقاف ١٢٨ عالما يعملون فى المراكز الإسلامية فى لندن، وبروكسل، والولايات المتحدة وأوراجواى وأوغندا والكاميرون وأفريقيا الوسطى وجنوب أفريقية وفنزويلا وشيلى!

جزر البحر الكاريبي يحتاجون إلي الدعاة وبناء المساجد

تحتاج الأقليات الإسلامية فى جزر الكاريبى إلى الدعاة والمدرسين وإلى المساعدة المالية فى بناء المساجد والمدارس الإسلامية وإرسال المصاحف.

يبلغ عدد المسلمين فى جزر الكاريبى حوالى ٥٠٠٠ مسلم ومسلمة ولا يوجد مسجد واحد

يؤدون فيه صلواتهم ، ويسعون لدى السلطات لتكوين جمعية ترعى شئونهم .

تخريج دفعة جديدة من الجامعة الإسلامية

النيجر:

تخرج من الجامعة الإسلامية فى النيجر ٧٩ طالبا فى العام الدراسى ١٩٩٨/٩٧ ، وقد ترأس حفل التخرج ، وزير التعليم العالى فى النيجر وحضر الحفل عدد من السفراء وكبار المسئولين .

ويذكر أن الحكومة النيجيرية مهتمة بالشئون الإسلامية وبتطوير العمل الإسلامى .

الجدير بالذكر أن الجامعة الإسلامية أنشأتها منظمة المؤتمر الإسلامى عام ١٩٨٧ وتخرج منها حتى الآن ٥٠٠ طالب من ١٦ دولة أفريقية .

١٥ ألف مسلم يحتاجون إلى تعلم اللغة العربية

نيوزيلاندا:

يبلغ عدد الأقليات الإسلامية فى نيوزيلاندا ١٥ ألف نسمة من ٤ ملايين نسمة هم سكان الدولة .

وللمسلمين فى نيوزيلاندا عدد من المساجد والجمعيات المنتشرة فى جميع المناطق هناك ، ويتركز المسلمون فى عدة مدن منها أوكلاند وفى هذه المدينة ثلاثة مساجد ، وثلاث جمعيات إسلامية .

الجدير بالذكر أن معظم مسلمى نيوزيلاندا من آسيا .

٣٣٠٠ متر لأول مسجد.. بجبل طارق

جبل طارق. وكالة الأنباء الإسلامية:

يجرى استكمال إنشاءات أول مسجد فى منطقة جبل طارق جنوبى أسبانيا بالقرب من منطقة عبور المسلمين من شمال أفريقيا إلى الأراضى الأوروبية .

المعروف أن المسجد الوحيد بجبل طارق الذى كان قائما تم تحويله إلى كنيسة بعد خروج المسلمين من هذه المناطق .

وقد تبرع الملك فهد بن عبد العزيز بتكلفة المسجد الجديد ومرافقه ، وتبلغ مساحة المسجد الجديد ٣٣٠٠ متر مربع ، ويشتمل على مسجد ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وقاعة للمحاضرات ومكتبة إسلامية ومنطقة خدمات ويستوعب المسجد ألف مصل فى القاعة الرئيسية منه .

هجوم تنصيرى على ماليزيا

ماليزيا:

صادرت الحكومة الماليزية كتبا تنصيرية حاول المتنصرون إدخالها إلى ماليزيا لتنصير المسلمين والوثنيين هناك ، والمعروف أن هذه الكتب جاءت من سنغافورة وأندونيسيا .

وقد منعت وزارة الداخلية ٢٣٠ كتابا بموجب قانون صادر عن الدولة يمنع دخول أو طبع أو تداول أى كتب بهدف التنصير .

وقال مصدر مسئول فى وزارة الداخلية أن هذه الكتب طبعت بأغلفة تشبه الكتب الإسلامية وعلى غلافها عبارات خادعة وكأنها كتب إسلامية .

استانبول. إينا

تركيا:

تطالب كثير من الأطراف السياسية التركية ـ وخاصة الإسلامية ـ بفتح مسجد أيا صوفيا للصلاة أمام المسلمين ، وكان آخرها ما قام به ١٥٠ نائبا فى البرلمان التركى حيث وقعوا على طلب

للحكومة بإعادة فتح المسجد للصلاة . واستعادة وظيفته كجامع .

ومسجد أياصوفيا من المعمار البيزنطي في استانبول ، وكان قبل الفتح الإسلامي كنيسة احتفالات للبيزنطيين ثم تحول إلى مسجد جامع على يد السلطان محمد الفاتح .

افتتاح كلية للشريعة الإسلامية

كينيا :

نيروبي . وكالات الأنباء الإسلامية

تم إنشاء كلية للشريعة والدراسات الإسلامية بدعم من لجنة مسلمي أفريقيا وهي هيئة خيرية كويتية .

وتنفذ اللجنة الكويتية العديد من المشروعات لخدمة أبناء المسلمين في أفريقيا ومساعدتهم على تحسين أحوالهم ومعيشتهم .

وقد صرح الأمين العام للجنة الدكتور عبد الرحمن السميط أن كلية الشريعة الإسلامية ستكون بمثابة نواة لجامعة إسلامية بكينيا ، وفي خطة لجنة مسلمي أفريقيا فتح كلية لتدريب المعلمين في موزمبيق .

إعادة مسجد للمسلمين

المجر :

بودابست . وكالات الأنباء :

تدرس الحكومة المنجارية (المجر) إعادة مسجد بودابست العاصمة إلى المسلمين المقيمين في العاصمة .

وكانت الحكومة الشيوعية السابقة قد حولت المسجد إلى سينما وتبحث الحكومة المجرية عن خبراء في فن المعمار العثماني لإعادة بناء وترميم المساجد القديمة التي بناها العثمانيون في هنجاريا .

وقد بنى السلطان سليمان هذا المسجد الكبير في بودابست الذي تحول إلى كنيسة ثم حوله الشيوعيون إلى قاعة للسينما وأخيرا عادت السينما إلى مسجد عندما عرف المجريون الإسلام جيدا .

تأسيس مجلس العلماء

زيمبابوي :

هراري . وكالة الأنباء الإسلامية :

تأسس مجلس العلماء هناك بهدف تنسيق الجهود والدفاع عن مصالح المسلمين ومساعدة الجمعيات والمنظمات الإسلامية وإرشادها في حقل التعليم والدعوة .

المعروف أن المجلس تم تأسيسه في عام ١٩٧٥ ويبلغ أعضاء المجلس في تشكيله الأخير ٧٥ عضوا من العلماء يشكلون الجمعية العامة ويجتمعون مرة كل عام وهناك لجنة تنفيذية يبلغ عدد أعضائها ١٤ عضوا من العلماء يتنخبون مرتين سنويا ويقدم المجلس مساعدات مالية لبناء المساجد وصيانتها ونشر الدعوة الإسلامية وتوزيع المطبوعات .

صحيفة سورية تطالب بمحاكمة مجرمي الحرب في إسرائيل

سوريا :

دمشق . أ . ش . أ :

طالبت صحيفة (تشرين) السورية المحكمة الجنائية الدولية بمحاكمة مجرمي الحرب الإسرائيليين بتهمة المجاهرة بالعداء للسلام والقانون الدولي وممارسة شريعة الغاب واغتيال العلماء والأبرياء .

وقالت الصحيفة إن الاستيطان شكل من أشكال التطهير العرقي مشيرة في الوقت ذاته إلى الحملة العدائية التي يشنها اليهود ضد العرب في الأراضي المحتلة .

Rappelant l'engagement donné par les fils d'Adam, Allah a pris un engagement de Ses serviteurs dès leur création lorsqu'Il leur a demandé de se prendre eux-mêmes à témoins, de croire en Lui, de Lui consacrer toute leur dévotion, puis Il leur a rappelé cela en ces termes: **[Rappelle-leur, lorsque ton Seigneur a tiré des reines des fils d'Adam leur descendance et les a fait témoigner vis-à-vis d'eux-mêmes en leur disant:"Ne suis-je pas votre Dieu?". A quoi ils répondirent: "Si! Nous l'attestons!". Afin que vous ne disiez point, au Jour de la Résurrection: "Vraiment, nous n'y avons pas fait attention". Ou que vous disiez:"Nos ancêtres autrefois donnaient des associés à Allah, et nous sommes leurs descendants, après eux, vas-tu nous détruire pour ce qu'ont fait les imposteurs?".]**

Surate 7 "Al-A'raf" V.172 et 173.

De même, la loyauté envers Allah se manifeste dans les témoignages. Quiconque est appelé à témoigner doit le faire et rapporter ce qu'il a vu ou entendu sans falsification.

Allah-Gloire à Lui- a dit:**[Ne refusez pas de témoigner. Quiconque refuse de témoigner sera coupable en son coeur.]**

Surate 2 "Al-Baqara"(La Vache)V.283.

Elle se manifeste aussi, dans le fait de conserver sa foi en Allah -Gloire à Lui- qui a dit:**[Et ne violez pas vos serments après les avoir solennellement prêtés et avoir pris Allah comme Garant.]**

Surate 16"An-Nahl" (Les Abeilles) V.91.

Il est du devoir du musulman de satisfaire le souhait de son frère, s'il l'exprime par un serment et s'il ne comporte pas de tort, pour lui éviter le parjure conformément au Hadith du Prophète-b.s-[7] Il en est de même, dans tous les rapports avec Allah-Gloire à Lui-, dans tout ce qu'on Lui doit, le musulman est tenu d'être loyal, digne de confiance en tout ce qu'Il nous a confié par la saine nature.

Enfin, dans un Hadith divin "Qodossy", Allah -Qu'il soit exalté- dit:***"Nul n'acquiert Ma faveur qu'en accomplissant ce que Je lui ai imposé de faire.***

Mon serviteur ne cesse de rechercher ma grâce par des oeuvres surérogatoires, jusqu'à ce que je finisse par l'aimer.

Si Je l'aime, Je serai son oreille avec laquelle il entendra, son oeil avec lequel il verra, sa main avec laquelle il frappera et son pied avec lequel il marchera. S'il Me demande Je lui accorde, s'il cherche refuge Je le protège."

Rapporté par Al-Bokhary.

[7] Al-Bara'ibn Azeb a dit que le Prophète-b.s- nous a recommandé d'aller voir les malades, d'assister aux funérailles, de présenter les souhaits à celui qui éternue, de secourir les opprimés, de répondre aux invitations et de saluer.



Il nous suffit de signaler que Omar ibn Al-Khattab-A.s.l.-le farouche défenseur de la religion a dit:"*J'éspère sortir de ce monde indemne et j'aurais souhaité que la mère de Omar n'eût pas donné le jour à Omar.*" C'est ainsi qu'il est recommandé a tout musulman en chaque poste et, dans chaque charge de la société d'être loyal envers les autres: cela est manifeste dans les paroles du Prophète-b.s-qui dit:"***Chacun de vous est un berger et il lui sera demandé compte de son troupeau. Le prince est le berger de son peuple, l'homme est un berger pour sa famille, la femme est une bergère dans sa maison, le domestique est un berger dans le domaine de son maître; chacun de vous est donc un berger et il lui sera demandé compte de ses responsabilités.***"

Hadith rapporté par Al-Bokhary et Moslim.

3-La loyauté vis-à-vis de soi-même:

L'âme est un dépôt confié à l'homme.à ce sujet Allah-Gloire à Lui-a dit:[**Sera heureux celui qui la purifie (son âme), tandis que courra à sa ruine celui qui la souille.**]

Surate 91 "Ach-Shams" (Le Soleil) V.9 et 10.

De même tous les sens, les organes[6] sont un dépôt confié à l'homme et il lui sera demandé de rendre compte de l'usage qu'il en a fait, conformément aux paroles d'Allah-Gloire à Lui-:[**L'ouïe, la vue et le coeur: sur tout cela, en vérité, on sera interrogé.**]

Surate 17 "Al-Isrâ" (Le Voyage nocturne)V.36.

Il en est de même de tout ce qu'Allah a octroyé à son serviteur comme: l'argent, le pouvoir, l'épouse et les enfants sont un dépôt confié à l'homme et sur lequel il sera interrogé le Jour du Jugement Dernier. Le Prophète-b.s- a dit:"***Chaque être humain, le Jour du Jugement Dernier -qu'il soit destiné au paradis ou à l'Enfer-, sera interrogé sur ces quatres choses: sa vie, à quoi l'a-t-il employée?, son savoir comment l'a-t-il mis en pratique?, sa fortune d'où il l'a acquise et à quoi il l'a dépensée et enfin son corps à quoi il s'en est servi.***"

Hadith rapporté par El-Termizie.

Ces dépôts de confiance varient d'une personne à l'autre et chacun sera interrogé dans les limites de ce qu'Allah lui aura confié; même la raison de l'homme est considérée comme l'un de ces dons.

4-La loyauté envers Allah-Gloire à Lui-:

Elle se manifeste par la sincérité de la foi, qui doit ne pas être entâchée d'aucun défaut, qu'il s'agisse d'un polythéisme apparent ou caché.

---

[6]L'homme a sept membres à savoir: l'oreille, l'oeil, la langue, la main, le pied, le ventre et les organes sexuels.




plaideurs plus habiles que leurs adversaires à exposer leurs différends. Je juge d'après ce que j'entends. Que celui auquel j'accorde un bien qui n'est pas le sien, prenne garde. Ce n'est qu'une tranche de feu que je lui taille."

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il en est de même pour celui qui engage un ouvrier. Il est tenu de bien le traiter, de ne pas l'opprimer et il doit se hâter de lui donner son salaire, conformément aux paroles du Prophète-b.s-qui dit:*"Donnez à l'ouvrier son salaire avant même que sa sueur n'ait séchée."* **Hadith rapporté par Al-Soyouty.**

L'artisan est tenu de s'en tenir au juste milieu en estimant son salaire de façon à ne pas exagérer, ni à être négligent dans son métier. Le Prophète-b.s-a annoncé la bonne nouvelle aux artisans qui font des travaux manuels et qui font honnêtement leurs métier; il a dit:*"Celui qui s'endort le soir épuisé de fatigue à cause de l'effort qu'il a fourni en faisant un travail licite, s'endort en ayant tous ses péchés pardonnés."* **Hadith rapporté par Aicha-A.s.e-(AL-Soyouty.)**

Le Prophète-b.s- a recommandé d'exécuter méticuleusement le travail, sans frauder, il a dit: *"Allah aime que celui d'entre vous qui fait un travail en prenne bien soin."* **Hadith rapporté par Aicha-A.s.e-(Al-Bayhaky.)**

Il est vivement conseillé à chaque fonctionnaire qui a des rapports sociaux avec le public, de s'efforcer à leur être utile, de répondre à leur demande, de leur éviter toute peine et de ne pas les charger de ce qui dépasse leurs moyens. Leur manquer d'égards, c'est trahir la confiance. Le Prophète-b.s-a dit:*"Seigneur! Celui à qui l'on confie la direction d'une affaire de ma communauté, et qui se montre bienveillant envers les gens, sois Clément envers lui. Et celui à qui l'on confie la direction d'une affaire de ma communauté, et qui accable les gens, sois impitoyable envers lui."*

Hadith rapporté par Aicha-A.s.e-(Moslim).

Il est interdit au fonctionnaire d'accepter un cadeau qui lui est donné pour sa fonction, le Prophète-b.s-a menacé son auteur de l'Enfer et le cadeau est jugé comme un pot-de-vin. Le Prophète-b.s-a prévenu qu'Allah a maudit aussi bien le corrupteur que le corrompu[5], que le corropmpu et quiconque se fait intermédiaire entre eux.

Quiconque est nommé juge, ou responsable des affaires des gens ou berger doit se souvenir des paroles du Prophète-b.s-concernant ces charges: *"Ceci est une charge de confiance et, le Jour du Jugement Dernier, elles seront une humiliation et une cause de regret; à moins que celui qui en prenne la charge soit digne de s'acquitter de ses obligations."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

---

[5] Le corrupteur est celui qui donne le pot-de-vin tandis que le corrompu est celui qui l'accepte.



avant celui qui vient de me ramener." Le prêteur lui demanda:"Ne m'as-tu rien envoyé?".L'emprunteur répliqua:"Je te répète que je n'avais pas réussi à trouver un navire avant celui qui vient de m'amener." "Allah, répondit le prêteur, m'a remboursé à ta place et m'a remis ce que tu avais envoyé dans la poutre." Sur ce fait, l'emprunteur remporta les mille dinars et partit satisfait."

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Commentaire du Hadith d'après l'une des séances de Sa Révérence le Cheikh Yassine Rouchdy:

L'emprunteur parle à Son Seigneur et lui raconte les évènements tels qu'ils s'étaient déroulés. Ce qui nous pousse à demander: est ce que le Seigneur ne le savait pas?. Si, bien sûr! Le Seigneur sait tout, mais c'est le fait de converser avec Allah conformément à la sage tradition de nos pieux ancêtres qui dit:*"Celui qui voudrait un compagnon, Allah lui suffit. Celui qui voudrait un avertissement, la mort lui suffit. Celui qui refuse l'un et l'autre l'Enfer lui suffit."* Donc, c'est une invitation aux fidèles de converser avec leur Seigneur qui les écoute attentivement et Lui seul est capable de les secourir.

Rien n'empêche le Seigneur d'écouter ou ne l'occupe de façon qu'Il remet les affaires de quiconque pour accomplir les voeux d'un autre. Par contre, l'ami sur terre peut être retenu par ses occupations, ou ses fonctions ou encore par son repos. Qui d'entre nous ne voudrait pas avoir Son Seigneur pour compagnon?. La réponse est simple: converser toujours avec Lui. Plaintes, voeux, invocations, souhaits, désirs etc.. Confiez-*les* a Allah, Il est apte à les réaliser et Il soulage Ses serviteurs qui veulent Le prendre pour ami.

L'emprunteur bien qu'il ait déposé les mille dinars dans la poutre, est revenu chez le prêteur avec mille autre dinars.

Pourquoi? La première fois en payant la dette et en l'enfonçant dans la poutre c'était pour prouver à Son Seigneur qu'il a été fidèle au serment et qu'il n'a pas profité de la caution et du témoignage divins pour abuser d'autrui. Grâce à sa bonne intention, le Seigneur a fait parvenir la poutre au prêteur. Ce dernier, n'a pas demandé d'autres témoins lorsque le débiteur lui a signalé le nom d'Allah comme Témoin. La sincérité de l'intention de ces deux individus a mérité que les deux soient rétribués: le créancier et le débiteur.

L'emprunteur, la deuxième fois, est revenu lui remettre l'argent, car il savait qu'il lui était redevable de mille dinars.

S'attendait-il à ce que la poutre parvienne au prêteur?. La plupart des avis disent: Non. Il ne pouvait pas non plus dire au prêteur que je t'ai envoyé l'argent dans une poutre dans la mer.... Mais parce qu'il était fidèle à son engagement envers Son Seigneur, Allah s'est porté Garant de remettre l'argent à son créancier. Le Prophète-b.s- a dit:*"Allah ne s'intéresse pas à vos physionomies, ni à vos richesses, Il regarde uniquement vos coeurs et vos oeuvres."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il faut aussi savoir que le jugement rendu par le tribunal ne peut, devant Allah, rendre licite ce qui ne l'est pas. Le Prophète-b.s-a dit: *"Je ne suis qu'un être humain et vous venez vous plaindre à moi. Parmi vous, il se trouve des*

petite chose?. Le Prophète-b.s- répondit: *"Même si c'est un batonnet d'Arak." (plante qu'on utilisait comme cure-dent.)*

Hadith rapporté par Moslim.

Il nous faut aussi signaler, qu'il est permis de s'emprunter de l'argent, mais, on ne doit recourir à ce moyen qu'en cas de force majeure, en étant sûr de rembourser et en accompagnant l'acte d'une résolution sincère et ferme de s'acquitter de sa dette. Le Prophète-b.s-a dit: *"Quiconque emprunte de l'argent aux autres avec la détermination de le restituer, Allah l'aidera à le faire. Quiconque emprunte de l'argent avec la détermination de ne pas le restituer, Allah nuira son argent[4]."*
Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Selon Abou-Horaïra, *le Messager d'Allah a raconté le récit suivant:"Un homme des fils d'Israël demanda à l'un de ses compatriotes de lui prêter mille dinars. Celui-ci dit à l'emprunteur: "Amène-moi des témoins qui témoigneront de cela." -"Allah me suffit comme Témoin, "répondit l'emprunteur.*

"Alors, donne-moi une caution" - "Allah suffit comme Caution",répliqua l'emprunteur. "Tu as raison," ajouta le prêteur et il lui rémit la somme en lui fixant un terme pour son remboursement.

L'emprunteur entreprit un voyage en mer, alla à ses affaires puis le voyage étant terminé, il voulut retourner dans sa ville. Mais, quand il chercha un navire pour le ramener, il n'en trouva aucun et le délai de la date de remboursement allait bientôt expirer. Alors qu'il était ainsi embarrasé, il vit une poutre qui flottait. Il la prit, y fit un trou dans lequel il introduisit mille dinars et une lettre adressée à son créancier. Puis il la boucha et la jeta dans la mer en disant:"Ô Allah! Tu sais que j'ai emprunté mille dinars d'Untel et que je lui avais dit lorsqu'il me demanda une caution: "Allah! suffit comme Caution"; et lorsqu'il me demanda un témoin, je lui dis:"Allah! suffit comme Témoin". J'ai fait tous mes efforts pour trouver un navire afin de m'acquitter de ma dette, mais je n'ai pas pu en trouver un. Aussi, je te confie cet argent." Ceci fait, il jeta la poutre dans la mer, où elle s'enfonça; puis il rentra dans la ville en espérant toujours trouver un navire qui le ramènerait à son pays.

Pendant ce temps, le prêteur, de l'autre côté de la mer, sortit pour voir si quelque navire ne lui rapportait pas son argent. Ne voyant rien, il retourna chez lui. Un jour, pendant qu'il contemplait la mer, il aperçut la poutre, il la saisit et la rapporta à sa famille comme bois à brûler. Comme il la scia, il y trouva l'argent ainsi que la lettre.

Plus tard, l'emprunteur revint, alla trouver son prêteur et lui rapporta les mille dinars en lui disant:"Par Allah! je n'ai cessé de faire mon possible pour trouver un navire et te rendre ton argent, mais je n'ai pas réussi à en trouver un

---

[4] L'intention est le principe vital de toute action. Celle-ci est bonne quand son mobile est bon et mauvaise quand il est mauvais. Dans ce Hadith, la mauvaise intention a fait d'un acte permis par la loi, un acte illicite et son auteur sera châtié.

LA LOYAUTE

«AL - AMANAH»

Traduction :

HODA HUSSEIN CHARAAOUI

- 2 -

2-La loyauté dans les rapports:

Elle se manifeste dans la conduite observée envers autrui, en conservant les secrets qui t'ont été révélés dans la confidence au nom de l'amitié, ou bien sous forme d'une demande de conseil, ou par le métier que tu professes-comme c'est le cas pour le médecin, l'avocat -par exemple- il ne faut pas dévoiler leurs secrets, ni les rapporter à quelqu'un sous prétexte qu'il est un de tes proches. Si tu es commerçant, tu es tenu de ne pas trahir, ni tromper. Le Prophète-b.s-a dit:*"Celui qui nous trompe n'est pas des nôtres."*

- Un jour le Prophète-b.s-passa devant un marchand qui vendait des céréales. Le Prophète-b.s- introduisit sa main dans le sac de céréales et y sentit de l'humidité. *"Qu'est ce que cela?"*, demanda-t-il au marchand.

-*" La pluie l'a mouillé"*,dit le marchand.

-*"Pourquoi ne l'as-tu pas mis à la surface pour qu'on le voie?."*dit le Prophète-b.s-,.puis il ajouta:*"Quiconque nous trompe n'est pas des nôtres"*.

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il a dit également:*"Le vendeur et l'acheteur sont libres de conclure un marché tant qu'ils ne se sont pas séparés. S'ils ont été sincères et se sont révélé les défauts de leur marchandise, leur marché sera béni. Si, au contraire, ils se sont menti et ont caché l'imperfection de leur marchandise, ce marché ne leur apportera aucun bien."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il est formellement interdit d'usurper les biens d'autrui. Le Prophète-b.s-a dit:*"Celui qui prête serment en vue de s'approprier injustement le droit d'un musulman, Allah le destinera à l'Enfer et le Paradis lui sera prohibé ."* Un homme se leva et demanda:*"Ce châtiment est-il appliqué, même si c'est une*

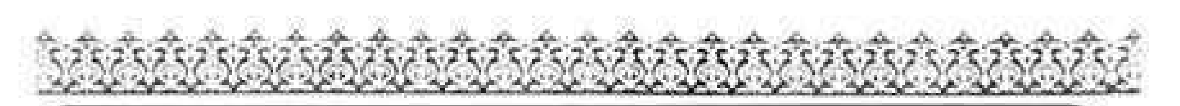
49- Ils n'ont point à attendre: aussitôt un seul cri les terrasse par surprise pendant qu'ils sont absorbés par les disputes concernant les affaires de ce monde, inconscients de la vie future.

50- Ils ne peuvent ni faire un testament ni revenir auprès des membres de leur famille, tant ce qui leur est arrivé est subit.

51- On souffle dans la Trompette Infernale pour annoncer la Résurrection; et aussitôt les morts sortent de leurs tombeaux en se précipitant pour aller à la rencontre d'Allah. Cette Trompette et ce cri sont des choses qu'Allah seul connaît. (A SUIVRE)

---

la lune, les planètes et les étoiles tournent dans le ciel à une vitesse déterminée et dans un sens déterminé. Selon les études récentes, on a pu remarquer que les différents éléments d'une nébuleuse gravitent autour du centre à une vitesse diamétralement opposée à sa distance du centre. Ainsi, le soleil et la lune tournent chacun dans des orbites parallèles qui rendent impossible leur rencontre. De même la nuit ne peut dépasser le jour à moins que la terre ne tourne autour de son axe de l'est à l'ouest. La lune, dans sa rotation autour de la terre, passe par des constellations d'étoiles appelées "maisons". Au début et à la fin du mois la lune prend l'apparence d'une palme desséchée.



après nuit, jusqu'à ce qu'elle atteigne la forme de pleine lune; ensuite sa taille diminue de la même façon jusqu'à ce qu'elle apparaisse - pour celui qui la regarde - telle une palme de dattier qui, avec le temps, se dessèche, se courbe et jaunit.

40- Ni le soleil peut sortir de ses habitudes et rejoindre la lune pour entrer dans son orbite, ni la nuit peut vaincre le jour et empêcher ce dernier de venir, mais ils apparaissent successivement, l'un après l'autre. De même, le soleil, la lune et les autres astres, voguent chacun dans son orbite dont il ne peut sortir.(2)

41- Voici un autre signe pour eux: Nous avons porté les êtres humains dans des vaisseaux remplis de passagers, de bagages et de provisions.

42- Nous leur avons créé, comme les vaisseaux, d'autres moyens de transport.

43- Si Nous voulions les noyer avec tout ce qu' ils ont gagné, Nous les aurions noyés: nul ne pourrait alors venir à leur secours, ni eux ils ne pourraient échapper à l'anéantissement.

44- Pourtant, par miséricorde pour eux, Nous ne les noyons pas et Nous les laissons jouir (de la vie) jusqu'à un terme fixé d'avance.

45- Lorsqu'on leur dit: "Craignez qu'il ne vous arrive ce qui est arrivé aux peuples précédents qui ont refusé de croire et craignez le supplice de la vie future que vous vous attirerez par votre persistance dans l'incroyance - en espérant qu'Allah aura pitié de vous, si vous Le craignez-", ils se détournent.

46- Ils se détournent de tous les arguments de leur Seigneur qui leur sont présentés et qui prouvent l'unicité et le pouvoir d'Allah.

47- Si on leur dit: "Donnez aux pauvres des biens qu'Allah vous a octroyés", les incroyants disent aux croyants: "Allons-nous nourrir ceux qu'Allah - s'Il l'avait voulu - aurait nourris? En faisant cela nous irions à l'encontre de la volonté d'Allah. Vous qui nous invitez à donner les biens, vous êtes dans un aveuglement qui vous empêche de voir la Vérité".

48- Ils disent aux croyants, en les raillant: "Quand aura lieu ce que vous nous promettez - si vous êtes véridiques dans votre promesse?"





avons fait descendre du ciel, car Nous n'avons jamais anéanti un peuple en lui envoyant des soldats.

29- Leur anéantissement ne nécessita qu'un seul cri que Nous leur envoyâmes et les voici aussitôt morts, tels un feu éteint!

30- Hélas! Ils méritent qu'on éprouve un grand regret pour eux, à cause de leur grande perte. Nous ne leur avons jamais envoyé de messager sans qu'ils ne s'en soient moqués.

31- N'ont-ils donc pas tiré une leçon de l'exemple des nombreux peuples qui les ont précédés et que Nous avons anéantis? Ces derniers ne reviennent plus à leur vie en ce bas-monde!

32- Tous les peuples précédents et tous ceux qui viendront seront certes rassemblés chez Nous, ramenés de force vers Nous.

33- Pour leur donner une preuve de Notre pouvoir de ressusciter, Nous avons ramené, grâce à l'eau, la vie à la terre desséchée, et Nous y avons alors fait pousser des graines dont vous mangez.

34- 35- Nous y avons mis des jardins et des vergers de palmiers et de vignes: Nous y avons fait jaillir des sources qui arrosent leurs arbres et y font pousser les fruits, afin qu'ils mangent de cela et non de ce qu'ils ont fait de leurs propres mains. En échange de cela, ne devraient-ils pas s'acquitter de leur devoir envers Allah, en ayant la foi et en Le louant?!

36- Pour témoigner de la transcendance d'Allah qui a créé de toute chose le mâle et la femelle, aussi bien chez les plantes que chez les individus et en d'autres choses que les gens ignorent ,

37- Voici un autre signe pour leur prouver l'existence d'Allah et Son pouvoir: la nuit qui est dépouillée du jour qui la dissimulait; les gens sont alors plongés dans l'obscurité qui les enveloppe de toutes parts.

38- Le soleil chemine vers un lieu de séjour qu'Allah a décrété pour lui et pour lequel Il a fixé un lieu et une durée. Ceci est l'oeuvre du Vainqueur par Son pouvoir, et de l'Omniscient.

39- La lune - par Notre décret - a des phases: elle apparaît comme un croissant très fin au début du mois; ensuite elle grandit graduellement, nuit



LA TRADUCTION DU SEMS DU CORAN

(suite) (YASIN)

par : DR. ROKEYA GABR

20- Un homme, venant de l'autre bout de la ville, arriva en se hâtant pour dire aux habitants de la ville: "Vous, les gens, suivez les messagers qui vous sont envoyés de la part d'Allah.

21- "Suivez ceux qui ne vous demandent aucun salaire en échange de leurs conseils et du fait qu'ils vous guident, alors qu'eux ils sont bien guidés et que vous profiterez de leur exemple pour suivre le chemin du bien et de la réussite.

22- "Quelle chose pourrait m'empêcher d'adorer Celui qui m'a créé alors que c'est vers Lui - et aucun autre que Lui - que vous et moi reviendrons?!

23- "Prendrais-je en dehors d'Allah d'autres divinités dont l'intercession ne me servira nullement si Allah me veut quelque mal, et qui ne sauront me l'éviter, si ce mal m'atteint?

24- "Si jamais je prenais d'autres dieux en dehors de Lui, je serais certes dans un égarement manifeste.

25- "J'ai cru en votre Seigneur qui vous a créés et pris en charge. Ecoutez mon conseil et obéissez-moi."

26- 27- Il lui fut dit - en récompense pour sa foi et pour son invitation à croire en Allah -: "Entre au Paradis". Il dit, alors qu' il jouissait de la félicité et de la dignité: "Comme j'aurais souhaité que mon peuple sache à quel point mon Seigneur m'a pardonné et m'a traité avec générosité, afin qu'ils aient la foi comme moi!"

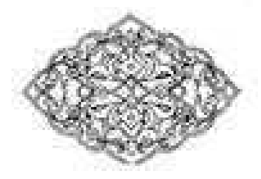
28- Nous ne les avons point anéantis au moyen de soldats que Nous

REVUE AL AZHAR

Jumada Al-ula 1419 H.Sep., 1998 Vol. 71 Part V.

Section Francaise

Testify the truth and never fabricate,
Adhere to the right and advocate,
Avoid statues and draw not a human portrait,
Save your skin from the Hell-fire even with a half date,
Stick to the sound Islamic tenets and don't deviate,
Extremism and blind fanaticism blind the mind and never illuminate,
They tarnish the true image of religion and devastate,
Fulfil your promise as it is the prophet Ismael's trait,
Help the opressed and collaborate,
Tighten the grip on the oppressor and intimidate,
Show not your teeth to the weak or humiliate,
Alleviate their sufferings and lighten their weight,
Don't complicate lawful matters but facilitate,
Forgive the follies of fools and never retaliate,
Curb your fury and elevate,
Bury the hatchet to live in a peaceful state,
Benefit from the sagacity of the sage and the serenity of the sedate,
Fight the element of evil and eliminate,
Cling to virtue and propagate,
Waste not your time in a futile debate,
Finish today's duties not to procrastinate,
Your shroud may be woven and tomorrow may be your burial date,
No escape from your fate.



No Escape

By Kamal Abdul Rahman Hammam

No escape from your fate,
Sooner or later, you'II be named the late,
The angel of death is ordered to close your life's gate,
Never can you predict your death place or date,
Have you prepared yourself for this decisive fate?
Recite the holy Qur'an and contemplate,
Read the prophetic Tradition, and concentrate
Believe in Monotheism and don't hesitate,
It is the call of your innate nature since your birth date,
Submit to the Donor of life and supplicate,
Worship the Creator with Whom no partners participate,
Your existence out of nothingness is enough to bow to him and prostrate,
Scrutinize His signs and meditate,
Blessings and peace be upon the prophet muhmmad whose path is true and straight,
Refrain from prohibitions and never violate,
Adultery defames fame and raises poverty rate,
Liquor befogs the mind and makes you hallucinate,
Drug addiction results in high lunacy rate,
Smoking makes health deteriorate,
Rob not anyone or assassinate,
Usurp not an inch of others' land or confiscate,
Fight usury and eradicate,
Bribery is a devilish and hellish trait,



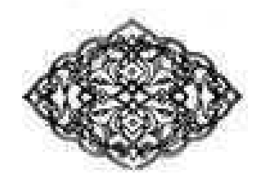
﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا
لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ
السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (١٨) ﴾

«And indeed we sought out heaven, but we found it filled with mighty guards and meteors». (72:8) The Jinn.

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) ﴾

«And indeed we sat in some places, sitting to listen, but whoever listens now finds a meteor lying in ambush for him». (72:9) The jinn.

﴿ وَأَنَّا كُنَّا
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) ﴾



This was the first historic reference to the atom having weight.

We learn from the Qur'an (Which was revealed more than thirteen centuries ago) that humans and other creatures would travel through the bounds of the earth, and in the heavens but only with authority.

«O company of jinn and men, were you able to penetrate the bounds of the heavens and the earth, do then penetrate them, yet you shall not pass through save by an authority». (55:35) the Most benignant.

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾

«He knows whatever goes into the earth, and whatever comes forth from it, and what comes down from heaven and what ascends into it». (57:4) Iron.

﴿ هُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ
فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

Far from being a chaotic existence, we learn that there is a higher order of the universe, that the heavens are full activities, sounds that can be eavesdropped to.We also learn that there are places where the jinn and the angels are, and that there are tough guards and hosts guarding the heavens, and the ultimate where the highest assembly is.We learn that everything is measured, even meteors are guided, and have specific purposes, so is every thing else in the earth and the heavens.

«And we have made constellations in heaven, and embellished it to the beholders. and we have guarded it against every outcast satan. Except he who eavesdrops; then him a visible meteod shall pursue». (15:16 - 18) Al Hijr.



Modern commentators now understand that the Qur'an full with modern and still unknown scientific knowledge. Beginning with the smallest details about the creation of the universe and of human life and other creatures life, to other fields such as Astronomy, space, earth, geology, sciences and mathematics.

We learn in the Qur'an without illusions where we stand, we learn that there are other planets swimming in many orbits, that there are the likes of earth, that there are constellations, star clusters, galaxies. We learn about the vastness of the universe where distances are covered some in a thousand years, some in fifty thousand years, and more. We learn that there are different time zones where a thousand years in human life is but one day in Allah's counting, and where Allah's Messengers ascend to Allah from other places in differnt times. We also learn that the universe did not just happen, but that it is ruled and run with perfect laws and to a perfect precision. Allah has even created the slightest of details with perfect measure.

This measure of Allah is of huge and magnificent dimensions, that the more we ponder about it the more we are awed by the power and knowledge of Allah Almighty, (Glory be to Him in his mercy.)

«And we do not send down except in a known measure,» (15:21) Al Hijr.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾

«And not so much as a single weight' of an atom in the earth or in the heavens is hidden from your God, neither is anything' smaller' than that or greater». (10:61) Jonah.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ
وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا
أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾

Islam And The Great Qur'an

Part IX

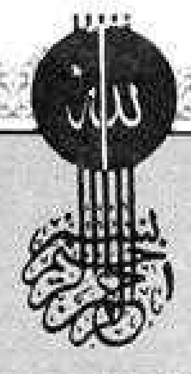
by Ambassador Maha Fahmy

Knowledge in Islam
The Qur'an, the Light :

«Say: The Holy Spirit brought it down from your God with the truth that he may establish firm those who believe, and as guidance and glad tidings to the moslems».
(16 : 20) the bee.



There is no darkness in the Qur'an.The Qur'an ushered in great learning and knowledge in the Arab world. Reading the Qur'an started and age of enlightnment that long preceded then greatly inspired Europe. Arab mathematicians are and were famed, inventing the zero and the numericals the way they are written today, (01 etc). Are Arabic not latin, a great relief from the Roman symbols. The zero made advanced mathematics possible.Arab scholars and scientists became famed in Algebra, physics, Astronomy, sciences, geography, history and in literature and culture. Arab civilization and culture influenced Europe and greatly contributed when Europe was getting out from the dark ages. No one can read the Qur'an without attaining intellectual sophistication, at least as an arabic language expert, a language rich, very literary and very eloquent.



AL-AZHAR MAGAZINE

Jumada Al-ula 1419 H.Sep.,1998

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part V.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

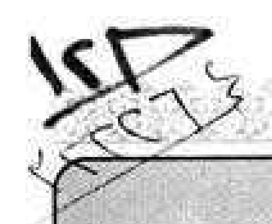
(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس







الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة

ت : ٥٩٠٥٤٧٢ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء وحاجة المجتمع إليهم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد .

فإن العلماء هم سراج العباد ، ومنار البلاد ، وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة ، وهم غيظ الشيطان ، وبهم تحيا قلوب أهل الحق ، وتموت قلوب أهل الزيغ ، وإن مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء ، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، إذا انطمست النجوم تحيروا ، وإذا أبصر عنها الظلام أبصروا .

وقد بين المولى - سبحانه - فضل العلماء في الدنيا والآخرة إذ يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ﴾

(سورة المجادلة : ١١) .

جمادى الآخرة ١٤١٩هـ . أكتوبر ١٩٩٨م . الجزء السادس . السنة الحادية والسبعون

فوعد الله المؤمنين أن يرفعهم ثم خص العلماء منهم بفضل الدرجات ، وقوله :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

(سورة فاطر : ٢٨)

فأعلم خلقه أنه إنما يخشاه العلماء به ، وقوله :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾

(سورة السجدة : ٢٤)

وعن مجاهد فى قوله تعالى :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾

(سورة البقرة ٢٦٩)

قال : العلم والفقه ، إلى غير ذلك من آيات القرآن الكريم .

وفى الحديث الشريف : « يشفّع الله يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ، ثم الشهداء »[1] ، وأعظم بمنزلة بين الأنبياء والشهداء ، لأن العلماء يحيون إلى الناس بعلمهم الذى أفنوا فيه نفائس أوقاتهم ، أكرمهم الله بولاية مقام الإحسان إليهم فى الآخرة بالشفاعة فيهم جزاء وفاقا ، ثم إنه صرّح فى حديث بأن حبر العلماء أرجح من دم الشهيد « يوزن حبر العلماء ودم الشهداء فيرجح ثواب حبر العلماء على ثواب دم الشهيد »[2] وصدق من قال :

يا طالبى علم النبى محمد ما أنتمو وسواكم بسواء
ومداد ما تجرى به أقلامكم أزكى وأرجح من دم الشهداء

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما عبد الله بشىء أفضل من فقه فى دين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شىء عماد ، وعماد الدين الفقه »[3] .

---

(١) ابن ماجه (٤٣١٣) وإتحاف السادة المتقين (٢/ ٤١ ، ١٠/ ٤٩٦) .
(٢) ميزان الاعتدال (٧٣٩٢) .
(٣) سنن البيهقى (١/ ١٠٢) ومجمع الزوائد (١/ ١٢١) .

وقال كعب : « عليكم بالعلم قبل أن يذهب ، فإن ذهاب العلم موت أهله ، موت العالم نجم طمس ، موت العالم كسر لا يجبر ، وثلمة لا تسد . بأبي وأمي العلماء ، قال : أحسبه قال : قبلى إذا لقيتهم ، وضالتى إذا لم ألقهم ، لا خير فى الناس إلا بهم » .

وقال الحسن البصرى - رضى الله عنه - : « صرير قلم العالم تسبيح ، وكتابة العلم والنظر فيه عبادة ، وإذا أصاب من ذلك المداد ثوبه فكإصابة دم الشهيد . وإذا قطر منها على الأرض تلألأ نوره ، وإذا قام من قبره نظر إليه أهل الجمع ، فقالوا : هذا عبد من عباد الله أكرمه الله ، وحشره مع الأنبياء » .

قال الهيتمى فى كتاب « الزواجر » : ومن الكبائر المحرمات إضاعة نحو العلماء والاستخفاف بهم لحديث : « ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق : ذو الشيبة فى الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط»[4] ، ولحديث : « ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه »[5] ، وروى الطبرانى عن أبى ثعلبة بن الخيام أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء إنى لم أجعل علمى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم ماكان منكم ولا أبالى »[6] .

قال النووى - رحمه الله تعالى - فى « شرح المهذب » بعد قوله - صلى الله عليه وسلم - : « من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب »[7] ، قال الإمامان الجليلان : الشافعى وأبو حنيفة - رضى الله تعالى عنهما - إذا لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى ، لاسيما وقد جعل الله فيهم علامة إرادة الخير » .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعرى : « لحوم العلماء مسمومة ، وهتك أستارهم معلومة ، وإن لحوم العلماء سم ، من شمها مرض ، ومن ذاقها مات » .

وقال الإمام شهاب الدين المنصورى :

أجدر الناس بالعلا العلماء ... فهم الصالحون والأولياء
سادة ذو الجلال أثنى عليهم ... وعلى مثلهم يطيب الثناء
وبهم تمطر السماء وعنا ... يكشف السوء ويزول البلاء
فالبرايا جسم وهم فيه روح ... والبرايا موتى وهم أحياء
فتعفف عن لحمهم فهو سم ... جل منه الضنا وعز الشفاء

---

(٤) مجمع الزوائد (١/١٢٧) والمعجم للطبرانى (٨/٢٣٨) .
(٥) المعجم الكبير للطبرانى (١١/٤٤٩) .
(٦) تفسير ابن كثير (٦/٥٣٦) .
(٧) إتحاف السادة المتقين للزبيدى (٥/٢٩٥ ، ٨/ ٤٧٧ ، ٩ ، ٦١٠) والحاوى (١/٥٦٢) .

قد رأينا لكل دهر عيونا ولعمرى هم للعيون ضياء

وقال الإمام على كرم الله وجهه :

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم فى أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

ومما استدل به السيد السمهودى ـ رحمه الله ـ على وجوب تعظيم العلماء واحترامهم قوله تعالى :

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾

(سورة الحج : ٣٠)

وقوله :

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾

(سورة الحج : ٣٢)

فالعلماء من أعظم حرمات الله ، ومن أعظم شعائر الله ، ويقول الإمام الشعرانى ـ رحمه الله ـ : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نبجل العلماء والصالحين والأكابر ، وإن لم يعملوا بعلمهم ، لنقوم بواجب حقهم ، ونكل أمرهم إلى الله تعالى ، فمن أخل بواجب حقوقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله ، فإن العلماء نواب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقال العيدروس ـ رحمه الله تعالى ـ « يجب تحسين الظن بالعلماء » .

وبعد : فإن العلماء للأمة كالملح للطعام ، وينبغى علينا أن نحوطهم بالرعاية والعناية ، وأن نبوئهم المكانة اللائقة بهم ، وأن نزاحمهم فى مجالسهم ، ونسألهم عما يعن لنا من أمور ، لأنهم أهل الذكر ، حتى يستقيم الأمر وتوضع الأمور فى موقعها الصحيح .

نسأل الله سبحانه أن يلهمنا الرشد ، وأن ينور بصائرنا ، وأن نقتدى بعلمائنا الأفذاذ فى علمهم وعملهم ، وأن يعلمنا ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا .

اللهم آمين .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ (٩٩) أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا
نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)
وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟
يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ
وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ
وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (١٠٣) ﴾

(البقرة - ٩٩ : ١٠٣)

ثم بين ـ سبحانه ـ مآل أولئك اليهود التاركين للحق ، والمتبعين للباطل فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾

(البقرة ـ ١٠٢)

أى : ولقد علم أولئك اليهود الذين نبذوا تعاليم كتابهم واتبعوا السحر ، أن من استبدل السحر بكتاب الله ليس له من حظ فى الجنة ، لأنه قد اختار الضلال وترك الهدى ، وعلمهم مرجعه إلى أن التوراة قد حرمت عليهم تعلم السحر أو تعليمه للأذى والضرر ، وشددت العقوبة على مرتكبه ، وعلى متبع الجن والشياطين والكهان ، فالضمير فى ﴿ عَلِمُوا ﴾ يعود إلى أولئك اليهود الذى تركوا كتاب الله واستبدلوا به السحر .

والاشتراء هو اكتساب شىء ببذل غيره ، والمراد أنهم اكتسبوا السحر الذى تتلوه الشياطين بعد أن بذلوا فى سبيل ذلك إيمانهم ونصيبهم من الجنة ، وغدوا مفلسين من حظوظ الآخرة ، لإقبالهم على التمويه والكذب ، واستبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأكد ـ سبحانه ـ علمهم بضرر السحر بقوله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ للإشارة إلى أن اختيارهم للسحر لم ينشأ عن جهلهم بضرره ، وإنما هم الذين اختاروه ومالوا إليه متعمدين وعالمين بعاقبته السيئة .

ثم قال تعالى :

﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة ١٠٢)

شروا : بمعنى باعوا ، وبيع الأنفس هنا معناه بيع نصيبها من الجنة . ونعيمها .

والمعنى : ولبئس شيئا باع به أولئك السحرة حظوظ أنفسهم تعلم ما يضر من السحر والعمل به ، ولو كانوا ممن ينتفعون بعلمهم لما فعلوا ذلك .

وأثبت لهم العلم فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ ثم نفاه عنهم فى قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ جريا على الأسلوب المعروف فى فنون البلاغة من أن العالم بالشىء إذا لم يعمل بموجب علمه نزل منزلة الجاهل ونفى عنه العلم كما ينفى عن الجاهلين .

وإلى هذا المعنى الذى قررناه أشار صاحب الكشاف بقوله :

فإن قلت كيف أثبت لهم العلم أولا فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ على سبيل التوكيد القسمى ، ثم نفاه عنهم فى قوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

قلت : معناه لو كانوا يعملون بعلمهم . جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه[1] .

---

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٨ .

ثم بين - سبحانه - المنافع التى تعود عليهم لو اتبعوا الحق، بعد أن بين الأضرار التى ترتبت على اتباعهم للباطل فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة - ١٠٣)

أى: لو أن أولئك اليهود النابذين لكتاب الله المتبعين للأوهام والأباطيل، آمنوا بمحمد - ﷺ - أو بالتوراة إيمانا حقا، واتقوا الله، فاجتنبوا ما يؤثمهم ومنه السحر والتمويه، لكانت لهم مثوبة(١) من عند الله، هى خير لهم من السحر وغيره، ولو كانوا من أولى العلم النافع لفهموا ذلك، واستبدلوا بالسحر الإيمان والتقوى، ولكنهم قوم لا يعقلون.

فقوله تعالى: ﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ جواب للو الشرطية، وأصل التركيب، لأثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به أنفسهم، فحذف الفعل، وغير السبك إلى ما عليه النظم الكريم، للدلالة على ثبوت المثوبة لهم والجزم بخيريتها.

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف(٢) بقوله: (فإن قلت: كيف أوثرت الجملة الإسمية على الفعلية فى جواب لو؟ قلت: لما فى ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها، كما عدل عن النصب إلى الرفع فى سلام عليكم لذلك.

وقال الإمام الألوسى: (المثوبة: اسم مصدر أثاب إذا أعطى الثواب، والثواب الجزاء الذى يعطى للغير. ولم يقل - سبحانه - لمثوبة الله مع أنه أخصر، ليشعر التنكير بالتقليل فيفيد أن شيئا قليلا من ثواب الله - تعالى - فى الآخرة الدائمة، خير من متاع كثير فى الدنيا الفانية، فكيف وثواب الله - تعالى - كثير دائم، وفيه من الترغيب والترهيب المناسبين للمقام مالا يخفى(٣).

وقوله تعالى: ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ شرط آخر محذوف الجواب لدلالة ما تقدم عليه، وحذف مفعول ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ لدلالة ﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ عليه. أى: لو كانوا يعلمون مثوبة الله لما اشتروا السحر بالإيمان.

وبذلك تكون الآيات الكريمة التى سقناها فى هذا المبحث قد دمغت بنى إسرائيل بجحود الحق، ونبذهم لتعاليم كتابهم وإيثارهم عليها الأكاذيب والأباطيل، وسيرهم فى طريق الشر عن تعمد وإصرار، وعدم عملهم بما يعلمون لانحراف طباعهم، وحماقة تفكيرهم وسوء تدبيرهم. واستحواذ الشيطان عليهم..

﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

(البقرة - ٩٠)

هذا، ويحسن بنا قبل أن نختم هذا البحث،

---

(١) المثوبة: اسم مصدر أثاب أعطى الثواب. والثواب الجزاء الذى يعطى للغير.

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٨.

(٣) تفسير الألوسى جـ ١ ص ٣٨٤.

أن نذكر كلمة موجزة عن السحر فنقول : السحر : فى أصل اللغة معناه : الصرف ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون : ٨٩) أى : فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل .

وقد ذكر السحر فى القرآن والسنة ، واتفق علماء المسلمين على أن هناك شيئا يسمى سحرا ، إلا أنهم اختلفوا فى تصويره .

فجمهور أهل السنة ذهب إلى أن للسحر آثارا حقيقية ، وأن الساحر قد يأتى بأشياء غير عادية ، إلا أن الفاعل الحقيقى فى كل ذلك هو الله - تعالى - واستدلوا على ذلك بأدلة منها .

أولا : أن الله - تعالى - قد أمر نبيه - ﷺ - ، أن يستعيذ به ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ (الفلق - ٤)

وهم السحرة - على أرجح الأقوال .

قال الإمام ابن كثير : قوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ (الفلق : ٤) قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك ، يعنى السواحر قال مجاهد « إذا رقين ونفثن فى العقد »[1] .

فالآية الكريمة تدل على أن للسحر آثارا حقيقية ، وإلا لما أمر الله - تعالى - نبيه - ﷺ - أن يستعيذ من شرور السحرة .

ثانيا : قال الإمام البخارى : - فى باب هل يستخرج السحر - : حدثنى عبد الله بن محمد ، قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : أول من حدثنا به ابن جريج يقول : حدثنى آل عروة عن عروة ، فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله - ﷺ - سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ، قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذلك . فقال : « ياعائشة أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر ، ما بال الرجل : مطبوب ، قال ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم - رجل من بنى زريق حليف اليهود كان منافقا - قال . وفيم ؟

قال : فى مشط ومشاطه ، قال : وأين ؟ قال فى جف طلعة ذكر تحت راعوفة فى بئر ذروان . قالت : فأتى البئر حتى استخرجه ، فقال : « هذه البئر التى أريتها وكأن نخلها رءوس الشياطين » قال فاستخرج - أى السحر - قالت : فقلت أفلا - أى - تنشرت ؟ فقال : « إن الله قد شفانى وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا »[2] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٧٣ .

(٢) فتح البارى : لابن حجر جـ ١٢ ص ٢٤٥ طبعة الحلبى .

وهذا تفسير موجز لمفردات الحديث : « هشام » هو ابن عروة ابن الزبير ومعنى : « أفتانى فيما استفتيته فيه » : أجابنى فيما دعوته من أن يطلعنى على حقيقة ما ، « مطبوب » أى مسحور يقال : طب الرجل - بالضم - إذا سحر ، « المشط » : الآلة التى يسرح بها شعر الرأس واللحية ، « والمشاطة » : ما يخرج من الشعر إذا مشط ، « وجف طلع نخلة ذكر » هو الغشاء الذى يكون على الطلع ويطلق على الذكر والأنثى فلهذا قيده بالذكر . « والراعوفة » حجر يوضع على رأس البئر يقوم عليه المستقى وقد يكون فى أسفلها ، « وبئر ذروان » : اسم لموضع البئر ، كان ماءها نقاعة الحناء ، : يعنى أحمر اللون ، « أفلا أى تنشرت » : النشرة - بالضم - ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحرا أو مسا من الجن قيل لها ذلك : لأنه يكشف بها عما خالطه من الداء .

فهذا الحديث الصحيح يفيد أن السحر قد أثر فى جسم الرسول - ﷺ - بنوع من المرض أو الثقل، دون أن يكون لذلك أدنى تأثير فى عقله.

قال الإمام ابن القيم: هذا هو الحديث الذى رواه البخارى، وهو ثابت عند أهل العلم بالحديث لا يختلفون فى صحته، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيحه، ولم يتكلم فيه أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقه، وهؤلاء أعلم بأحوال الرسول - ﷺ - وأيامه[١].

وقال الإمام القرطبى « والأدلة متوفرة على أن للسحر حقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله - تعالى - ورسوله على وجوده ووقوعه، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق، ولقد شاع السحر وذاع فى سابق الزمان، وتكلم الناس فيه، ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله[٢].

وقال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى: قال المازرى: « مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة. خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها. وقد ذكره الله - تعالى - فى كتابه وذكر أنه مما يتعلم. وذكر فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به. وأنه يفرق بين المرء وزوجه. وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضا مصرح بإثباته. وأنه أشياء دفنت وأخرجت ولا يستنكر فى العقل أن الله - سبحانه - يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام، أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر. قال: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث لسبب آخر. فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذى ادعاه بعض المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك. قال القاضى عياض: وقد جاءت روايات مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على قوله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله فى الحديث: « حتى يظن أنه يأتى أهله ولا يأتيهن » أى يظهر من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور[٣].

أما المعتزلة فقد ذهبوا إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تخييل وتمويه كما قال تعالى فى سحرة فرعون ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه - ٦٦)

فأخبر - سبحانه - أن ما ظنوه سحرا منها لم يكن سعيا على الحقيقة إنما كان تخييلا وتمويها. وقال تعالى فى سحرة فرعون أيضا: ﴿

(١) التفسير القيم لابن القيم - تفسير سورة الفلق.
(٢) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٦.
(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب السحر جـ ٤ ص ١٧١٩ شرح وتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى.

﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف - ١١٦)

أى فلما ألقوا عصيهم موهوا على الناس حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى ، وأرهبوهم بما فعلوه ، وجاءوا بسحر عظيم فى فنه .

والذى نراه أن السحر على أضرب منها :

أولا : ضرب يترتب على مزاولته قلب الحقائق كقلب الإنسان حيوانا وعكسه ، وهذا قد منعه المعتزلة بحجة أن الساحر لو أمكنه ذلك لالتبس فعله هذا بمعجزات الأنبياء . وأهل السنة أجازوا وقوعه وإن كان لم يقع فعلا . ويفرقون بينه وبين المعجزة إن وقع ، بأن المعجزة خارق يظهر على يد من يدعى النبوة على سبيل التحدى والمعارضة ، والسحر ليس فيه دعوى نبوة ولا معارضة .

هذا مع ملاحظة أن السحر يمكن تعلمه وتعليمه ، ولا يظهر إلا على يد شرير بخلاف المعجزة .

قال فضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين : وهذا النوع لم يقع لنا دليل فى الشريعة على وقوعه ، وربما كانت الحاجة إلى الفرق بين المعجزة والسحر فرقا واضحا تقتضى عدم وقوعه ، فالساحر لا يبلغ أن يقلب العصا ثعبانا ، ولا أن يفلق البحر فتمر بين فرقيه الجيوش ، ولا أن يجعل الماء ينبع بين الأصابع فتروى منه العطاش ، أعنى أنه لا يجرى على يده من خوارق العادات ، مثل ما يجرى على أيدى الأنبياء للإعجاز(١) .

ثانيا : أن يزاول بعض أرباب النفوس الخبيثة أفعالا يترتب عليها الضرر بدون مماسة ولا ملابسة لمن وقع عليه الضرر ، وهذا الضرب قد جوز وقوعه أهل السنة ومنعه المعتزلة ، ومن أمثلته مايفعله السحرة للتفريق بين المرء وزوجه والظاهر فى هذا الضرب قول أهل السنة لأن القرآن الكريم قد حكى عن السحرة أنهم يتعلمون من السحر ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وقد صح الحديث أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر رسول الله - ﷺ - وأنه حينما استخرج السحر خف جسمه - ﷺ - كأنما نشط من عقال .

ثالثا : مزاولة أسباب يترتب عليها آثار ظاهرية لا حقيقية وهذا الضرب واقع باتفاق بين أهل السنة والمعتزلة ، وقد حكاه القرآن الكريم عن سحرة فرعون فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف - ١١٦) وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه - ٦٦)

هذا ، وقد حذر الإسلام من تعاطى السحر للأذى ، وجاءت تعاليمه بذمه وتحريمه ، وتوعدت مرتكبه بالعقوبات الأليمة ، ففى الحديث الشريف « حد الساحر ضربه بالسيف »

وقد أفتى بعض الفقهاء بقتل الساحر لأنه زنديق ، وبعضهم أفتى بأن الساحر إذا كان قد أحدث فى المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه ، وإن كان قد أحدث به مالا قصاص فيه ، حكم عليه بدية مناسبة .

وبعد : فهذه كلمة ذكرناها عن السحر ، لم نقصد بها الخوض فى تفصيلاته . وإنما قصدنا بها إعطاء القارىء فكرة مختصرة عنه بمناسبة حديثنا عن رذائل اليهود التى منها نبذهم لكتاب الله واتباعهم للأوهام والأباطيل والأكاذيب .

---

(١) مجلة لواء الإسلام ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ص٩ .

قبس من أنوار النبوة

الأمن في الإسلام

لفضيلة الشيخ:
على حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إذا أصبحت آمنا في سربك ـ أي في نفسك أو قومك ـ معافى في بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء » ـ أي التراب أو ذهاب الأثر . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان .

البيان :

الإسلام دستور عظيم ، يعمل على استقرار حياة الأفراد والجماعات والأمم والمجتمعات . وإن المتأمل في منهج الإسلام الذي ارتضاه الله لنا دينا يجده يولي الأمن عناية فائقة فيجعله قسيما للطعام الذي تتوقف عليه الحياة . امتن به على قريش يذكرها بنعمه ويأمرها بعبادته وطاعته . فيقول : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝ ﴾ (قريش ـ ٤)

فإذا كان الطعام حياة مادية للإنسان فإن الأمن

حياة معنوية له ، وهو شعور ينبع من داخل النفس يلازم الإنسان ويبعث فيه الاطمئنان والراحة النفسية التى تتمثل فى الثقة العميقة فى الله ـ سبحانه ـ على نحو يشعر صاحبه بالسكينة ، كما يشعره بالاعتماد على خالقه ـ سبحانه ـ لأنه يشعر بمعيته له بالحماية والحفظ ، وليس هناك قوة تستعصى على حماية الله وحفظه .

ولمكانة الأمن وعلو منزلته بشر الله رسوله محمدا ـ ﷺ ـ بالرؤيا الصادقة ووعده وأصحابه بدخول المسجد الحرام آمنين مطمئنين فقال :

﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون ﴾

(سورة الفتح ـ ٢٧)

ولمكانة الأمن كانت دعوة يوسف ـ عليه السلام ـ لإخوته وأبيه

﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾

(يوسف ـ ٩٩)

وإذا توفر الأمن فى ظلال حياة ترتبط باستقامة السلوك النابع من الإيمان الصادق الذى يعصم صاحبه من الوقوع فى الخطأ مع الآخرين فإنه يجلب الأمن والسعادة. بل يتأكد ضمان الأمن للمؤمن المستقيم فى سلوكه مع الله ومع النفس ومع الناس أجمعين :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

(الأحقاف ـ ١٣)

كما أن الله ـ عز وجل ـ وعده بالعزة والتمكين فى الأرض للمجتمع الذى يتمسك أفراده بالمبادىء والمثل والقيم . قال تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾

(النور ـ ٥٥)

ومن هنا شدد الله ـ عز وجل ـ عقوبة إيذاء الناس ونفر من إزعاج الفرد أو المجتمع بترويعهم أو بتهديدهم أو بنهب أموالهم أو بانتهاك أعراضهم أو بسفك دمائهم .

قال الله تعالى :

﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾

(الأحزاب ـ ٥٨)

إن جريمة الاعتداء على مقدرات الناس وأموالهم وأرواحهم يعد محاربة لله ورسوله وجزاء من هذا فعله يبينه ربنا فى كتابه العزيز :

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾

(المائدة ـ ٣٣)

إن من يزعج الفرد أو المجتمع . يلقى أشد العقاب فى يوم الجزاء .

قال ـ ﷺ ـ : من أخاف مؤمنا كان حقا على الله الا يؤمنه من فزع يوم القيامة » رواه أحمد وأبو داود .

وإن جريمة إزهاق الأرواح تدل على التجرد من الإنسانية والرحمة وإن الله ـ عز وجل ـ توعد مقترف جريمة قتل الأرواح بمقته وغضبه وشديد عقابه .

قال تعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ ﴾

(النساء ـ ٩٣)

وما كان ذلك إلا لأن الإسلام يحرص كل الحرص على حقن الدماء وصيانة الأرواح ، بل يعتبر القتل ظلما جريمة كبرى ، لأنها سلب لحياة الإنسان بغير حق وهدم لبنيان الله . والإنسان بنية الله . ومن يهدم بنية الله يستحق أليم العذاب .

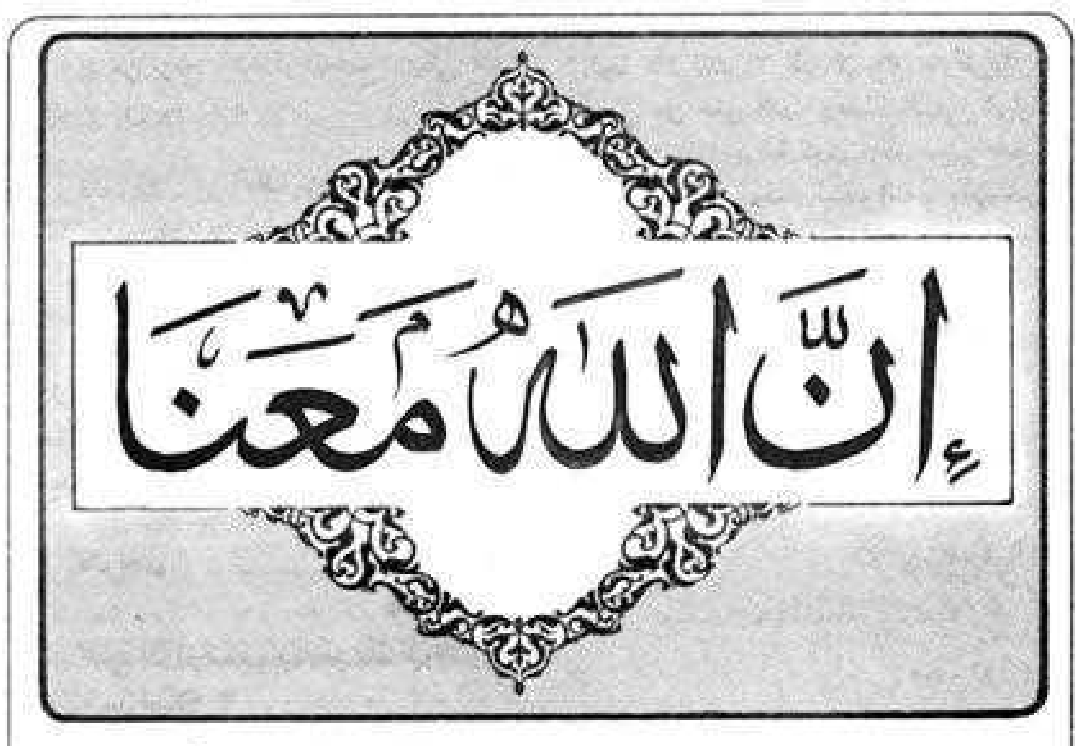
إن هؤلاء الطغاة الذى يعتدون على شعوب الأمه الإسلامية يقتلون ويدمرون سينتقم الله منهم ومن كل ظالم وقال ـ ﷺ ـ إن الله ليمل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ـ ثم تلا قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝ ﴾

(هود ـ ١٠٢)

رواه البخارى عن أبى موسى الأشعرى .

وعن أبى بن كعب ـ رضى الله عنه ـ قال كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدا أبعد من المساجد منه وكانت لا تخطئه صلاة فقيل له لو اشتريت حمارا لتركبه فى الظلماء وفى الرمضاء قال : ما يسرنى أن منزلى إلى جنب المسجد إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى فقال رسول الله ـ ﷺ ـ « قد جمع الله لك ذلك كله » . رواه مسلم .



لفضيلة الشيخ: السيد عبد المقصود عسكر

حين يتدبر المؤمن آيات الله فى كتابه المبارك ويستخلص منها الدروس والعبر يكون قد انخرط فى سلك أهل العقل والنهى واندمج فى موكب أولى الألباب .

هذا ما تشهد به آيات القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص : ٢٩) .

وفى قوله سبحانه :

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد : ٧٩) .

ومن خلال تدبر آيات القرآن الكريم يكتشف المؤمن كنوزا ثرية ، وثروات هائلة من العلم والمعرفة يقوى بها الإيمان ، ويزداد اليقين ، وتشع الأنوار ، وتنجاب الظلمات .

ومعية الله لعباده تعبير تكرر فى آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل منها قوله سبحانه :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ

اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
(التوبة : ٤٠)

ومنها قول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة : ٧) .

وعند النظر فى مجموع الآيات المباركات التى ورد فيها هذا التعبير بصيغه المتنوعة وسياقاته المتعددة نجد أن معية الله للإنسان نوعان :

النوع الأول : معية مراقبة ومحاسبة وعلم بكل ما يصدر عن الخلق من قول أو فعل أو خاطرة أو فكرة لاتزال مستكنة فى الصدور بحيث لاتخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

وهذا النوع من المعية يشمل الخلق جميعا . وهو المراد بقول الله تعالى :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
(الحديد : ٣ ـ ٤)

وهو المراد ـ أيضا ـ من الآية التى ذكرناها آنفا ، من سورة المجادلة ، والمعية بهذا المعنى تتصل اتصالا وثيقا بصفات الجلال والكمال لله تبارك وتعالى مثل صفات السميع والعليم ، والبصير والرقيب ، والحسيب والعدل وغيرها .

ومن نتائج هذه المعية وتوابعها تسجيل أعمال الخلائق وتصرفاتهم ، وإحصاؤها عليهم حتى يحاسبوا عليها ، وينال كل مخلوق مايستحق من جزاء فى اليوم الآخر . يقول الله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾
(المجادلة : ٦) .

ويقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾
(النجم : ٣٠ ـ ٣١)

والنوع الثانى : معية حفظ ورعاية ونصر وعناية وتأييد وحماية وهذا النوع من المعية خاص بأولياء الله تعالى وأصفيائه من الأنبياء والمرسلين ومن المؤمنين الصادقين ، وإلى هذا المعنى أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : (ياأبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما) .

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه أن أبابكر رضى الله عنه حدثه فقال : قلت للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن فى الغار ، لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، قال : فقال : (ياأبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما)[1] .

وقد سجل القرآن الكريم هذه الواقعة وسماها الله نصرا فقال :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ

(١) وأخرجه البخارى ومسلم.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ... إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٤٠) .

يقول القرطبي في تفسيره : « ولهذا قال بعض العلماء في قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ مايدل على أن الخليفة بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، لأن الخليفة لا يكون أبدا إلا ثانيا ، وسمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر يقول : إنما استحق الصديق أن يقال له ثاني اثنين لقيامه بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأمر ، كقيام النبي - صلى الله عليه وسلم - به أولا ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدت العرب كلها ، ولم يبق الإسلام إلا بالمدينة ومكة وجواثا[٢] . فقام أبوبكر يدعو الناس إلى الإسلام ، ويقاتلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستحق من هذه الجهة أن يقال في حقه ثاني اثنين .

ومن المواضع التي وردت فيها المعية بهذا المعنى ما جرى مع سيدنا موسى - عليه السلام - حين خرج مع قومه مهاجراً وطاردهم فرعون بجنوده كي يعيدهم خاضعين لسلطانه يتعرضون للإذلال والمهانة وملأ الخوف قلوب بني إسرائيل وعبروا عن ذلك فطمأنهم موسى - عليه السلام - مؤكدا لهم أن معية الله له ستكون سببا في النجاة ، وقد كان كما قال . فكانت نجاة موسى ومن معه وكان هلاك فرعون وجنوده .

يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۝ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ (الشعراء : ٦١ - ٦٦)

وقد عرف موسى - عليه السلام - فضل هذه المعية منذ بدأ السير على طريق الدعوة إلى الله ، لأنه عندما كلفه الله أن يذهب ومعه أخوه هارون عليهما السلام للقاء فرعون لتذكيره بالله والخشية منه قالا إننا نخاف بطشه بنا وطغيانه علينا . وعندئذ طمأنهما الله وأمنهما من بطش فرعون لأنهما سيكونان في معية الله عز وجل ولن يستطيع فرعون أن يمسهما بأى أذى ماداما محافظين على ذكر الله ، وقد تحقق وعد الله الذى لا يتخلف .

يقول الله تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه : ٤٢ - ٤٦)

كيفية الفوز بمعية الله :

المعية بمعناها الأول وهو المراقبة والمحاسبة وما يترتب عليها من إحصاء الأعمال والجزاء عليها حاصلة للخلائق جميعا سواء رضوا بذلك أم لم يرضوا به ، ولهذا فهى لن تكون محل سعى وطلب من الإنسان . والسؤال المذكور ليس مطروحا بشأنها .

أما المعية بمعناها الثاني وهو الحفظ والرعاية والنصر والعناية فإن الفوز بها يكون بطلبها والسعي إليها والعمل لها بعد توفيق الله - عز وجل - وهدايته لأنها نعمة من نعم الله تعالى . وماعند الله لا ينال إلا بطاعته .

---

(٢) موضع بالبحرين.

ولهذا فإنها هى التى يطرح السؤال عن كيفية الفوز بها .

ونجد الجواب عن هذا السؤال فى آيات القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول العظيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ويمكن أن نقول : إن الحصول عليها والفوز بها يكون بالمحافظة على أوامر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه والوقوف عند حدوده ، وإخلاص العمل له وحده .

وقد نبهنا القرآن الكريم إلى ذلك عندما ذكر لنا الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل فى قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة : ١٢) .

فقد تضمنت هذه الآية أعمالا لابد من أدائها ممن أراد أن يحظى بمعية الله له فيحفظه ويرعاه ويسعده فى الدنيا والآخرة . وإذا أضفنا إلى هذه الأعمال بقية بنود الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل كما وردت فى قول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (البقرة : ٨٣ ـ ٨٤) .

إذا جمعنا ماورد فى هذه الآيات من تكاليف يتحقق لمن قام بها على وجهها الفوز بمعية الله سبحانه يظهر لنا أنها نفس التكاليف التى كلف الله بها الأمة الإسلامية . ويمكن أن نوجزها فيما يلى :

١ ـ الإيمان بالله الواحد الأحد . والتوجه إليه بالعبادة الخالصة له ، وفى هذا يقول الله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ١١٠) .

٢ ـ بر الوالدين والإحسان إليهما : وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

(الإسراء : ٢٣ ـ ٢٤) .

٣ ـ صلة الرحم وهى أثر عمل من آثار الإيمان بالله سبحانه . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[٣] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه)[٤] .

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

٤ ـ رعاية اليتامى وكفالتهم . وقد حث على ذلك ورغب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا) . وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما(*) .

٥ ـ ضبط اللسان والتحكم فيه بحيث لا يقول الإنسان إلا حقا ولا ينطق إلا صدقا ويتجنب لغو الكلام ويتخير من الكلام أحسنه .

يقول الله تعالى :

﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾ (الإسراء : ٥٣) .

٦ ـ إقامة الصلاة والحفاظ عليها فى أوقاتها . وقد عنى بها الإسلام أيما عناية ، حتى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله)(٦) .

٧ ـ إيتاء الزكاة . وهى ركن من أركان الإسلام قرين الصلاة ، وهى حق المال كما أن الصلاة حق الجسد . واسمها مأخوذ من معنى النماء والطهارة والبركة فهى تزكى النفس وتنميها بالخيرات .

يقول الله تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ (التوبة : ١٠٣) .

٨ ـ كف الأذى عن الناس فلا يعتدى عليهم فى نفس أو عرض أو مال بأية صورة من صور العدوان . وقد وردت فى ذلك نصوص كثيرة .

٩ ـ الإيمان بكل الرسل ونصرتهم ومؤازرتهم والحفاظ على دعوة الإسلام التى بعثوا بها ، وهى الدعوة التى بلغها وجاهد فى سبيلها خاتم الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذين معه والذين جاءوا ويجيئون من بعدهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة جمعت العديد من هذه التكاليف التى تشمل كل خصال الخير وتحض عليها وتحذر من كل خصال الشر وتنفر منها .

من هذه الآيات قول الله تبارك وتعالى :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (البقرة : ١٧٧) الآية

ومنها قول الله تعالى :

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ (النساء : ٣٦) الآية .

ومنها قول الله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴿٦٣﴾ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴿٦٤﴾ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ﴿٦٥﴾ إنها ساءت مستقرا ومقاما ﴿٦٦﴾ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴿٦٧﴾ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴿٦٨﴾

(*) رواه البخارى.

(٦) رواه الطبرانى.

﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

(الفرقان : ٦٣ - ٧٤)

كما ذكرت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة صفات وأخلاق قرنت ببيان فوز أصحابها بمعية الله عز وجل ، على أساس أنها صفات جامعة . ونذكر فيما يلي بعضا منها مضافا إلى ما سبق .

١ - التقوى . وقد أوصى الله جميع الخلائق بها . حيث يقول الله سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾

(النساء : ١٣١) .

وقد بين حقيقة التقوى سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه حين سأله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً : ما هي التقوى ؟ فقال : ياأمير المؤمنين أما سرت في طريق فيه شوك ؟ قال : بلى . قال : فماذا كنت تصنع ؟ قال : كنت أشمر عن ثيابي وأجتهد . قال : فتلك هي التقوى .

ومن أجل هذا حظي المتقون بمعية الله عز وجل .

يقول الله تعالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة : ١٩٤) .

٢ - الإحسان : وهو مطلوب في كل شيء حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)(٧) .

وقد بين رسول الله حقيقة الإحسان لما سأله عنه جبريل عليه السلام فقال : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)(٨) .

ولهذا كان المحسنون جديرين بالفوز بمعية الله عز وجل .

يقول الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت : ٦٩)

٣ - ذكر الله وهو أفضل العبادات وأعظمها شأنا وأعلاها قدرا من حيث تصفية القلوب وتحليتها وتزكية النفوس وتطهيرها ، وبه تطمئن قلوب المؤمنين .

يقول الله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨) .

ولهذا فقط حظي الذاكرون لله بالفوز بمعيته - سبحانه - لأنه القائل :

---

(٧) رواه مسلم.

(٨) رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة : ١٥٢) .

ومما يؤكد فوز الذاكرين بهذه المعية المباركة قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه فى الحديث القدسى : (أنا عند ظن عبدى بى . وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم)[٩] .

٤ ـ الصبر : وهو أعظم عطاء يعطيه الله لعبد من عباده يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (ما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر)[١٠] .

والصبر قوة يتحصن بها المؤمنون فى أوقات الشدائد والمحن . ويواجهون بها الصعاب التى تعترض طريقهم ، ولهذا فهم لا يضعفون أمام الأعاصير والعواصف ولا تخيفهم قوة الأعداء ولا يرعبهم بطش الطغاة ولا طغيانهم .

يقول الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران : ١٤٦) .

ومن أحبه الله نصره وأيده وحفظه من كيد عدوه وكان فى معيته .

ولهذا فقد فاز الصابرون بمعية الله عز وجل . يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٦٥ ـ ٦٦) .

آثار الشعور بالمعية :

إن شعور العبد بمعية الله له وبمراقبته الدائمة لكل ما يصدر عنه وإحساسه بأنه يعيش فى كنفه ويستظل بحمايته ، كل ذلك ينتج آثارا هائلة فى سلوك العبد وتصرفاته وفى نظرته للأحداث التى تجرى وفى علاقاته بالآخرين الذين يتعامل معهم .

ونذكر فيما يلى بعض هذه الآثار الهامة :

١ ـ شدة الحرص على طاعة الله تعالى والحذر الشديد من معصيته . وتلك نتيجة حتمية لشعور المؤمن الصادق بأن الله معه يراقب سلوكه ويحصى عليه أعماله وسيجازيه عليها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وحين يصل المؤمن إلى هذا المستوى من الخشية لله يكون قد وضع أقدامه على الطريق الصحيح الذى يسلكه فى عداد المتقين الذين أعد الله لهم جنات عرضها السماوات والأرض .

والوصول إلى هذه المنزلة يجعل المؤمن نصيرا للحق والعدل ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم ، كما يحفظه من السقوط فى شراك العصبية أو العنصرية أو الدفاع عن الباطل والتخلى عن الحق ، مجاملة للخلق كما حدث من أولئك الذين عناهم الله بقوله : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (النساء : ١٠٨)

٢ ـ القدرة على مواجهة الشدائد والمحن

(٩) متفق عليه.

(١٠) متفق عليه.

مستعينا بالله وواثقا من وعده ومطمئنا إلى معيته ، فيشعر بالأنس وإن كان وحيدا . وينتظر الفرج في أوقات الضيق ، ويرى في المحن منحا وفي العسر يسرا ، مصداقا لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعبد الله بن عباس رضي الله عنه) (احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا)[11] .

٣ ـ رفض الذلة وعدم قبول الدنية ، لأنه لن يقبل الذلة من أعزه الله بالإيمان ، وهو سبحانه القائل :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون : ٨)

ولن يقبل الذلة والهوان من كان مع الله ومعتزا بحماه ، ألم يقل الله لأوليائه برغم ما أصابهم من قرح وجرح :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٩) .

وعلى حين يرضى كثير من الناس أن يعيشوا عيش العبيد الأذلاء ، إيثاراً للسلامة وهروبا من تكاليف الجهاد ، فإن المؤمنين الصادقين يسعون دائماً إلى المعالي ، وينشدون الحياة العزيزة الكريمة ، أو الشهادة العظيمة في سبيل الله . ورائدهم في ذلك قول الله تعالى :

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد : ٣٥)

٤ ـ البذل والعطاء والتضحية والفداء . ذلك لأن من كان في معية الغني لا يخشى فقرا ، ومن كان واثقا بما أعد الله لعباده المؤمنين هانت عليه الدنيا بما فيها ، ومن فيها ، وأقبل على البذل والعطاء بسماحة نفس إيثارا لما عند الله وطمعا في رضاه لأن ثقته بما عند الله أشد من ثقته بما في يده .

إن الشح والبخل والخوف والجبن رذائل يبغضها الله سبحانه ، ولا يقع الإنسان فيها إلا بتحريض من الشيطان ، ولا يتخلص الإنسان منها إلا إذا قاوم الشيطان ، ولاذ بحمى الرحمن . يقول الله تعالى :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٦٨) .

إن المؤمن الصادق لا يركن إلى الدنيا ولا ينخدع بزينتها ولا يغتر بزخرفها بعد أن علم قدرها وأدرك قيمتها .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء)[12] .

البقية ص ٩٤٤

---

(١١) رواه الإمام أحمد والترمذي .
(١٢) رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح .

مهمة المسجد
فى توجيه الشباب
للإسهام فى تنمية مجتمعاتهم

للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والنبيين وخاتمهم أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد :

فإن المسجد فى الإسلام مركز الإشعاع ، ونقطة الانطلاق إلى غرس العقيدة السليمة من الشوائب وتأدية العبادات على الوجه الصحيح بعيداً عن الإفراط والتفريط واكتساب الأخلاق العالية ، والأخذ بالسلوك القويم ، والتدرب على حسن المعاملة واكتساب المعارف النافعة ، والعلوم المفيدة ، والتأسى بصاحب الرسالة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التعامل مع شئون الحياة المختلفة .

هذا هو جوهر الرسالة التى يؤديها المسجد فى المجتمع المسلم ، وهكذا كان محور الحياة فى مبدأ الإسلام فى السلم والحرب ، والتعليم والتوجيه ، والأخذ بأسباب الحياة التى تؤدى إلى الرقى والتقدم .

ومن أجل ذلك خرّج المسجد جيلا من الصحابة تعلموا على يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونقلوا ما تعلموه من الهدى النبوى إلى من جاء بعدهم من أجيال المسلمين المتعاقبة فاتسعت دائرة التوجيه الإلهى والتعليم النبوى من مركزها بمسجد المدينة حتى وصلت الصين شرقاً ، وقلب أوروبا غرباً .

ونتيجة هذا الانطلاق الذى ابتدأ من المسجد النبوى بالمدينة شهدت الدنيا حضارة إسلامية متميزة عن الحضارات التى عرفتها البشرية فى عصورها المختلفة فى القديم والحديث سِمَتُها الرحمة والعدل والمساواة والحفاظ على الكرامة الإنسانية ، وإعطاء كل ذى حق حقه بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو عقيدته أو لغته ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، ومكانة المرء فى الإسلام تتوقف على مدى ما ينطوى

عليه ضميره من عقيدة صحيحة ونية خيرة وعمل صالح يقدمه لأفراد مجتمعه بصرف النظر عن حسن المنظر وفراهة الجسم ، لأن الإسلام يحتفى بالجوهر قبل العناية بالمظهر ، وقد حدد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الميزان بقوله : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أحسابكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[1] .

والإسلام جاء ليجمع البشرية تحت لواء واحد وعقيدة واحدة حتى يتعارفوا ويتعاونوا . . فالله ـ سبحانه ـ يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات (آية ١٣)

ومن أجل ذلك النهج الذى سار عليه المسلمون الأوائل مقتدين بتوجيه القرآن الكريم ، وهدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقبلت الشعوب على اعتناق الإسلام راضية مطمئنة لأنها رأت فى مبادئه تحقيقاً لأمنها ورخائها ، وفى تعاليمه صيانة لكرامتها وحفظاً لإنسانيتها ، وفى عدالة أحكامه أمناً وأماناً على دمائها وأموالها وأعراضها ، فرغبت فى الانتساب إليه والعيش فى ظلاله ، والعمل على تأييده ونشره ، لأنها رأت فيه الحق الذى ظلت تنشده ، والأمن الذى تحتمى به من ظلم الأقوياء ، وقد زادها تمسكاً به وحرصاً عليه ما وعته من تراثه الذى يولى الإنسان الاهتمام اللائق ويواجه فى حزم والتزام أى بادرة تبدو من بعض الأفراد ، يشم منها خروج على الأسس التى سنّها والمبادىء التى شرعها ، سواء كان فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو فى زمن خلفائه من بعده أو مسلك حكام المسلمين وأولى الأمر فيهم ، فالسيرة النبوية تحدثنا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما كان فى مسجده يعلم أصحابه ، ويربيهم على قيم الإسلام ومبادئه ، وكانوا يلتفون من حوله يتلهفون إلى الانتفاع بهديه الذى تستضىء به قلوبهم .

روى جندب بن جنادة الغفارى عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ : قاولت رجلا عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت له : ياابن السوداء ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « طف الصاع طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل »[2] . ونزل قوله ـ تعالى ـ مواجهاً هذا الصنيع حتى يكون توجيها عاما يلتزم به المسلمون جميعاً ، ويكون تحذيراً للآخرين :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

الحجرات (آية ١١)

وإزاء هذا الحزم فى إرساء مبدأ المساواة واقتلاع أى آثار للعصبية لم يجد ذلك الصحابى الذى بدرت منه هذه البادرة إلا أن يضع خده على التراب ويطلب ممن أساء إليه أن يطأ على صدغه كتعبير عن ندمه عما قدم من إساءة ، وكان المسجد

---

(١) الطبرانى ـ المعجم الكبير ـ بغداد .
(٢) الزبيدى ـ اتحاف السادة المتقين (٨ / ٣٧٥) .

ساحة هذا الدرس الذى اشترك فى تلقيه وحى الله وتوجيه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

على هذا المنوال سار أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ومن منبر المسجد أعلن عن مبدئه فى الحكم ومنهجه فى السياسة والتعامل مع جماعة المسلمين فهم جميعاً أمام الحق سواء لا فرق بين ضعيف وقوى ، وأعلنها مجلجلة فى خطبته الأولى : « القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له » ، وهو فى هذا يقفو خطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما وقعت حادثة سرقة المرأة المخزومية وأراد بنو مخزوم أن يجدوا وسيلة تنجو بها المرأة من تنفيذ حد السرقة عليها ، وهم لا يجرؤون أن يتحدثوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الأمر ، فاتجهوا إلى أسامة بن زيد يطلبون إليه أن يتحدث إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعله يتسامح فى إقامة الحد عليها ، ولم يكد أسامة يتحدث إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شأن المرأة حتى بدا الغضب فى وجهه وقال له : « أتشفع فى حد من حدود الله ، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[1] .

كان هذا الإعلان الذى يضع قاعدة هامة من قواعد الاجتماع وارتفاع الدول وقوتها حينما تأخذ به وانهيارها وضعفها حينما تتخلى عنه ، كان ذلك الإعلان من منبر مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعاه الصغير والكبير وصار أمراً لازماً يأخذ المسلم نفسه به ويسير الحكام على هداه حتى تستقيم بهم الأمور وتمضى الحياة بالمجتمعات آمنة مطمئنة رخية سعيدة .

ومن هذا المنطلق الذى يحرص على سيادة العدل جاءت وصية عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى أبى موسى الأشعرى يقول فيها : « آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وفى قضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . . » وهذا الحرص على إقامة العدل هو الذى دفعه إلى أن يعلن على الناس فى المسجد فى أول عهده بالحكم : « إذا رأيتم فىَّ اعوجاجاً فقومونى ، فقال له أحدهم من عرض المجلس : والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ، ويعلق عمر على قول الرجل قائلا : الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بالسيف » .

كان هذا الإعلان أيضاً من منبر المسجد مما يؤكد أن المسجد هو محور الحياة فى المجتمع المسلم ووظيفته الأساسية هى وظيفة التوجيه والتعليم وإيصال الحقوق إلى أصحابها .

ولم يكن تأثير المسجد قاصراً على صدر الإسلام بل ظل ممتداً مع التاريخ مادامت الدولة الإسلامية قائدة المجتمع الإنسانى ، وباعثة النهضة والإشعاع إلى شعوب الأرض جميعاً وداعية إلى إقامة العدل ، ورعاية الحقوق وحفظ الحرمات ، وحماية الضعفاء ورد العدوان وكانت المساجد فى الحواضر الإسلامية هى الجامعات التى يتخرج فيها القادة

---

(١) سنن أبى داود ـ (٣ / ١٣٢) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ ط مصطفى البابى الحلبى .

والمفكرون وعلماء السياسة والموجهون إلى قيم الحق والعدل والسلام والساحات التى يتدرب فيها النشء من أبناء المسلمين على التخلق بما يدعو إليه الإسلام من السمو والاستقامة فى السلوك والأخلاق والمعاملات .

كيف يستعيد المسجد مكانته ؟

إذا كان هذا الذى عرضنا جانباً منه هو تأثير المسجد فى المجتمع المسلم وإعداد أبنائه للاضطلاع بمهامهم والقيام بواجباتهم سواء كانت علمية أو اجتماعية أو سياسية فما بالنا اليوم ونحن نرى المساجد فى أغلب بلاد العالم الإسلامى قد انحسر تأثيرها وأصبح التأثير الأكبر من صنع أجهزة أخرى جاء بها العصر الحديث ، ولم يمكن استغلالها الاستغلال الأمثل لتقوم بواجبها على خير وجه فى صيانة المجتمع المسلم وحمايته من الآثار الوافدة ، وقد واكب ذلك انكماش الدور القيادى الذى كان المسجد يضطلع به ، وإن ذلك ليدعونا أن نستعرض الأسباب التى أدت إلى هذه النتيجة حتى نأخذ فى علاجها ونعيد للمسجد دوره الريادى فى إعداد النشء ، وتقويم الشباب ، وسيادة المثل العليا التى قام المسجد على الدعوة إليها والأخذ بها على مدى التاريخ المضىء للدولة الإسلامية .

نحن لا نتجاهل تأثير الأجهزة الحديثة فى جذب الاهتمام من كل قطاعات المجتمع شيوخاً كانوا أم شباباً أم أطفالاً رجالاً ونساء ، وهذه الأجهزة فى مقدمتها التليفزيون والفيديو والراديو والصحف ، ومع ظهور هذا التأثير الواسع لهذه الأجهزة على سلوك المجتمع وأخلاقياته تسرب إلى مجتمعاتنا بدون وعى بعض أنماط السلوك التى لا تتفق مع عقائدنا ومثلنا وأخلاقنا ومنهج حياتنا ، ودخلت بيوتنا وأثرت على أبنائنا شئنا أم أبينا ، ويرجع ذلك إلى أن الذين تولوا هذه الأجهزة فى الأعم الأغلب كانوا واقعين تحت تأثير الذين نقلوا عنهم هذه الأجهزة ، وإذا أرادوا أن يتمرنوا على إدارة هذه الأجهزة فإنهم يذهبون إلى البلاد الأخرى ليأخذوا عنهم كيفية إدارتها وتوجيهها ، وظنوا أن فى اتباع ما تلقوه الوسيلة الوحيدة للنجاح فى القيام بمهامهم ، وقد يكون البعض منهم قد تعمد امتداد المنهج الغربى فى توجيه هذه الأجهزة نتيجة لأنماط التربية التى نشأ عليها وظن أنه بصنيعه هذا إنما ينهج نهج الدول التى صارت إليها قيادة الحياة فى عصرنا الحاضر ، وقد تكون نظم التربية والتعليم التى تلقاها قد أسهمت بالنصيب الأوفى فى سلوكه هذا ، وقد يكون البعض الآخر قد اضطر إلى عرض ما يقدم إليه لأنه لم يجد عنده من المواد التى تلائم مبادئنا ومثلنا وأخلاقنا ومنهج حياتنا ما يملأ به الفراغ الذى يحتاج إلى تقديمه لجمهوره سواء كان جمهوراً قارئا فى صحيفة أو مستمعاً لإذاعة أو مشاهدا للتليفزيون أو الفيديو ، وعلى العموم فإننا نشعر أن كثيرين من المسئولين عن إدارة هذه الأجهزة على اختلافها يحتاجون إلى أن يتلقوا دورات مكثفة تجعلهم يستشعرون مسئولياتهم نحو الجمهور الذى يخاطبونه .

ففى المجتمعات العلمانية لا يسمحون أن تعرض هذه الأجهزة دعوة تخالف ما أخذت أنفسها به .

وإننا لنأمل من القائمين على هذه الأجهزة أن يأخذوا فى الاعتبار العمل الدءوب على ما يؤكد



القيم البناءة فى نفوس الشباب والنشء الجديد بالذات لأنهم هم المستقبل ، وذلك انطلاقاً من الإدراك بقوة تأثير هذه الأجهزة فى تفكير الأمة وسلوكها ، وأن ما يبنيه المسجد فى أسبوع من العمل المضنى يمكن أن يهدمه التليفزيون فى مشهد لا يستغرق أكثر من دقائق معدودة ، ومن أجل ذلك كان لزاماً أن يكون هنا تناسق بين هذه الأجهزة وبين الرسالة التى يقوم عليها المسجد ، وإلا سيكون كل جهد تبذله هباء لا يغنى ولن نصل إلى ما نريد من تحصين الأمة وإعداد الشباب إعدادا مفيداً يسهم به فى تنمية مجتمعه إلا إذا أقمنا هذا السياج وإلا كان مثلنا مثل الحالة التى يصورها الشاعر بقوله :

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

هذا الذى عرضناه يمثل المعوق الطارىء على رسالة المسجد وتمكينه من القيام بدوره المنشود فى بناء المجتمع القوى وإعداد الفرد السوى ، وتكوين الشاب القادر على تحمل مسئولياته والنهوض بأعبائه فى خدمة مجتمعه وتحقيق رغباته .

وهنا لا يفوتنى أن أشير إلى أن هذا التعارض بين رسالة المسجد وبين ما تبثه وسائل الإعلام قد أسهم إلى حد كبير فى وجود القلق بين بعض الشباب فى عدد من مجتمعاتنا وأوقعهم فريسة لبعض الأفكار غير الناضجة التى حاول أصحابها استغلال الطاقات المتفجرة فى نفوس الشباب مما سبب كثيراً من المشاكل التى ألمت بنا جميعاً .

ولسنا بهذا الذى قلناه نلقى التبعة كلها على وسائل الإعلام ونعفى المساجد ، فشخصية الإمام وقدراته ذات أثر فعال فى المحيط الذى يعمل فيه ، وبقدر ما عنده من المعرفة النافعة والرغبة فى العمل ، والتفتح الفكرى والمقدرة على تناول المشاكل ومناقشتها مناقشة واعية يستطيع أن يجعل المسجد منطقة جذب ومركز إشعاع حقيقيا يجمع من حوله القلوب ويحبب المسجد إلى رواده .

ولكى يقوم الإمام بواجبه على خير وجه لابد أن تتوافر له الإمكانات العلمية والمادية والقدرات الذهنية التى تعينه على النجاح فى مهمته ، وأن يزود المسجد بوسائل الجذب التى ترغب الشباب فى الارتباط به .

فبالنسبة للإمام لابد أن يختار بعناية الشخص الذى يتولى هذه المهمة ، وأن يكون معداً إعداداً علمياً سليماً ، وأن تكون له الشخصية القادرة على التأثير والحوار والإقناع وإنى أقترح ألا يختار لهذا المنصب إلا من يجتاز اختبارا دقيقا فى العلوم الدينية والمعارف المعاصرة ، والوقوف على ما يموج به العالم من تيارات فكرية وحركات اجتماعية حتى يستطيع أن يواجه كل ذلك فيقبل النافع ويرفض الضار ، ويبين مميزات الإسلام فى القضايا التى تطرح ويكشف عن أوجه النقص فى المناهج الأخرى التى تطرح فى الساحة ، ويتقدم دعاتها بالترويج لها ، وبذلك يستطيع الإمام أن يكون مركز الدائرة فى المحيط الذى يعمل فيه ويكتسب ثقة من حوله .

ولا يمكن أن نعثر على هذه النوعية من الأئمة إلا إذا هيأنا له وضعاً اجتماعياً واقتصادياً يمكنه من النهوض بهذا الواجب على الوجه الأكمل ، فإن كثيرين من ذوى الكفاءات ينصرفون عن هذا الميدان لأنهم لا يجدون ما يحقق لهم الحياة الكريمة التى تمكنهم من الحفاظ على المستوى اللائق بهم ، وقد يساعد على الوصول إلى هذا الهدف أن نضمن له دخلا مجزياً متميزاً عن نظرائه من العاملين فى

المجالات الأخرى ، وأن تقدم له مسكناً لائقاً مريحاً ، وأن يلحق به مكان للاجتماعات واللقاءات التى يعقدها مع زواره من سكان المنطقة وأن تمكنه من أن يمد يد العون لمن يحتاج العون بأن نضع تحت يده من الوسائل ما يجعله قادراً على مساعدة من هو فى ضائقة مالية وبخاصة من طلاب العلم ، وأن يستجاب له فى المستشفيات حينما يلجأ إليه فقير مريض يحتاج إلى العلاج .

وعلى الرغم من أن الكليات والمعاهد المختصة بإعداد الدعاة تحاول أن تقدم خير العناصر إلا أن القيود التى تلتزم بها باعتبارها أعضاء فى مؤسسات تعليمية لابد أن تخضع لما يحكم كل أعضاء هذه المؤسسات ويقيد من حركتها ، ولهذا فإنى أقترح أن ينشأ معهد عال للدعاة يسمح بالدخول فيه لكل من يتقدم إليه من الحاصلين على شهادات جامعية شريطة أن يجتاز امتحانا تحريريا وشفويا فى القرآن الكريم والثقافة الإسلامية والخطابة ، وتكون مدة الدراسة به سنتين ، يعتبر الملتحق بالمعهد خلالها موظفا يتقاضى راتبا مثل نظرائه فإذا تخرج بتقدير لا يقل عن جيد لحق بوظيفة إمام من الدرجة الأولى ، وحصل على كل المميزات التى تقدم لمن يعملون فى مجال الإمامة والتى سبقت الإشارة إليها ، وأعتقد أننا بفتحنا هذا المجال أمام ذوى المقدرة على العمل فى الحقل الدعوى نكون قد أسدينا خدمة جليلة للمسجد ورسالته ، وطعمنا العاملين فى حقل الدعوة بدماء جديدة تنطلق فى عملها بدافع من أنفسها رغبة فى العمل ذاته ، وفى الوقت نفسه لا نسمح لكل من حفظ آيات من القرآن وردد بعض الأحاديث النبوية بدون فقه ولا دراية بأن يتولى مسئولية التوجيه وهو لم يستكمل أدواته بعد .

أما المسجد ذاته فلابد أن نزوده بكل ما يغرى الشباب بالإقبال عليه بعد أن هيأنا له الإمام المناسب ، وذلك بأن يكون بالمسجد مكتبة جامعة يؤمها الشباب للاطلاع والبحث ، وأن يكون ملحقا به ساحة للاجتماعات والمحاضرات واللقاءات تعرض فيها القضايا وتناقش من خلال وجهة نظر الإسلام وأن يلحق به بعض الأنشطة العلمية والاجتماعية ، والمهنية والصحية والتعليمية مثل « دورات للكمبيوتر » ، و« عيادات طبية » مزودة بأحدث الأجهزة وصيدليات بها كل الأدوية المطلوبة على أن تقدم للفقير مجانا ويدفع القادر ما يطلب إليه .

وفصول دراسية لمساعدة الطلاب فى جميع المستويات التعليمية ، ولجنة اجتماعية تكون مسئولة عن مساعدة الفقراء فى المنطقة التى يقوم المسجد على خدمتها وتدريب الشباب من رواد المسجد على الإسهام فى كل هذه الخدمات والاشتراك فيها ، فإذا تم هذا للمسجد فلا شك أنه سيكون المركز الأصيل المؤثر فى توجيه الحياة العامة وإعداد الشباب للقيام بالإسهام فى تنمية مجتمعاتهم .

ولا يحتاج منا هذا إلا إلى إخلاص النيات وجدية العمل والرغبة الصادقة فى تحقيق النماء والرخاء .

ولا شك أن الموسرين من المسلمين حينما يرون هذه الآثار الطيبة سيسارعون إلى تقديم العون المادى لتحقيق هذا الأمل ، ولو تأملنا فى فكرة الوقف فى الإسلام لوجدنا أنها دعوة عملية لتحقيق مثل هذه الخدمات .

وبالله التوفيق



الحياء والإيمان

للدكتور: سامى عفيفى حجازى (*)

الحياء شرط من شروط العمل الخلقى يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق[1] . ولذا يعرفه صاحب كتاب « التعريفات » فيقول : الحياء انقباض النفس من شىء ، وتركه حذرا عن اللوم فيه ، وهو نوعان :

الأول : حياء نفسانى وهو الذى خلقه الله - تعالى - فى النفوس كلها ، كالحياء من كشف العورة .

والثانى : حياء إيمانى وهو امتناع المؤمن من فعل المعاصى ، خوفا من الله تعالى[2] ، كما يقول القاضى عياض : « إن الحياء رقة تعترى وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهيته ، أو ما يكون تركه خيرا من فعله »[3] .

(*) كلية أصول الدين القاهرة

(1) الإمام النووى . رياض الصالحين . ص ٢٣٧ ط ١٩٨٣ م

(2) السيد الشريف الجرجانى . كتاب التعريفات ص ٩٤ . ط بيروت ١٩٨٣م .

(3) القاضى عياض . الشفا بأحوال المصطفى ج١ . ص ٦٨ الحلبى ١٩٥٠م .

ومن خلال هذه الضوابط يتضح لنا أن الحياء : هو ما كان وفق الشرع ، لما فيه من اعتدال الشمائل الخلقية ، ومن هنا كان قائما على انقباض النفس عن القبائح ، وهو من سمات الإنسان القائم على الفطرة والتوحيد ، وقد جعل فيه ليرتدع عما تنزع إليه الشهوة من الشرور والمآثم من جانب ، ولأنه من أسباب أصل الإيمان من جانب آخر ، وأخلاق أهله تمنع الفواحش ، وتحمل على الخير والبر ، ولذا كان شرطا من شروط الخلق والسلوك ، وعلى هذا فالحياء ليس مركبا من قوة سلبية ، وقوة إيجابية معا ، أى : من جبن وعفة ، كما يقول البعض[٤] ، وأن الشجاع يستحى من الفرار والجبن معا ، ولذا فمن الخطأ القول : بأن الشجاع قلما يكون مستحيا .

إن الخوف فى الحياء ليس كالخوف فى الجبن والفرار ، لأن الخوف فى الحياء خوف من النقيصة ، وأما الخوف فى الجبن فخوف من الخطر ، وحرص على الحياة .

ومن هنا : فالحياء يخيف صاحبه من فقدان الفضيلة ، والجبن يخيف صاحبه من فقدان الحياة ، بصرف النظر عن الفضيلة .

وعلى هذا فالحياء ليس جبنا ، ولكنه شرط للشجاعة التى هى نقيض الجبن ، كما هو شرط لغيرها من الفضائل ، والشجاع هو فى الحقيقة أحرص الناس على الحياء من الجبن والفرار .

وعلى هذا تتضح قيمة الحياء فى مفهوم الدين ، كما يقول صاحب دراسة أدب الدنيا والدين : « إن الدين أقوى قاعدة الدنيا واستقامتها ، وأجدى الأمور نفعا فى انتظامها وسلامتها » ولذلك لم يخل الله ـ تعالى ـ خلقه منذ فطرهم عقلاء من تكليف شرع واعتقاد دين ، ينقادون لحكمه ، لئلا تختلف بينهم الآراء ، ويستسلمون لأمره فلا تتصرف بهم الأهواء[*] ، وهذا يعنى : تهذيب الظاهر والباطن وفقا لتوجيهات الشريعة ، وإذا ما تهذب باطن الإنسان وظهرت آثار ذلك فى سلوكه ، كان حينئذ متحليا بالخلق ، والسلوك الإسلامى القائم على تهذيب وتنقية الظاهر والباطن ، ولذا فمما لاشك فيه عند كل منصف أن الإيمان الصحيح له أثره البالغ فى تهذيب نفس الفرد وتطهيره ، من الميل إلى الفحش ، أو الفسق ، ليس هذا فحسب بل وأكبر دافع له كذلك إلى التمسك بالفضيلة والاستزادة من ألوان البر والخيرات ، إذ المؤمن الحق يرتفع بنفسه عن اقتراف الدنايا والآثام ، كما أن ترك المؤمن للإثم يكون فى السر كما يكون فى العلانية .

ولذا فالحياء يمنع من المعاصى ، كما يمنع من التقاعس عن أداء الواجبات والفضائل .

وإذا كانت أوامر الشريعة تنقسم فى جملتها إلى ما يتعلق بأقوال ظاهرة ، كالصوم ، والصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والسعى

(٤) راجع : الحسين بن على الراغب الأصفهانى . الذريعة ص ١١٣ ، ط ١٣٢٤هـ .

(*) الماوردى ، أدب الدنيا والدين ، ص ١٣ ، ط دار الشعب ، ١٩٧٩م .

فى مصالح العباد ، وإلى ما يتعلق بالنفس والقلب كالإخلاص والتواضع ، والحب فى الله والبغض فيه ، والخوف من وعيد الله ـ تعالى ـ والأمل فى مثوبته ورضوانه .

فكذلك النواهى تنقسم فى جملتها ـ أيضا ـ إلى ما يتعلق بظاهر الأقوال والأفعال كالنهى عن القتل بغير حق ، والسرقة ، والغيبة ، والنميمة ، وإلى ما يتعلق بأعماق النفس ، أو القلب ، كالنهى عن الكبر ، والعجب والحقد ، والتعلق بزخارف الدنيا ، وأهواء النفس .

وفوق هذا وذاك فإن ما تلبس به المسلم من الطاعات الظاهرة المتعلقة بالأقوال والأفعال لا يستقيم على حالة من القبول عند الله ـ تعالى ـ ما لم ينهض ويرتكز على تلك الطاعات الأخرى المتعلقة بطوايا النفس والقلب .(٦)

إن الحياء قوة تعترى النفس وتمنع من اقتراف المعاصى ، وتحفظ من التردى فى الرذائل ، ليس هذا فحسب ، بل ويبعث على العمل الفاضل ، ولذا كان الحياء دليل نضج الحس الخلقى ، الذى يميز بين الخير والشر ، وبالتالى يمنع من اقتراف الشر ، ويبعث على الخير .

ومن هنا دعا أئمة السلوك إلى التأكيد على أهمية الحياء ، وأنه ينشأ لدى المسلم الذى يتقى الله ـ تعالى ـ عن طريقين :

الأول : رؤية الآلاء ، أى : نعم الله ـ تبارك وتعالى ـ التى أسبغها على الإنسان ظاهرة وباطنة .

والثانى : رؤية التقصير ، وذلك بمعنى شعور المرء بأنه لا يستطيع أن يوفى هذه النعم حقها من الشكر كما ينبغى أن يكون .

وعلى هذا فالخجل ليس حياء شرعا ، لأنه إفراط فى الحياء إلى حد الاضطراب والحيرة ، ولذا كان الخجل مذموما لما فيه من تجاوز الحد .

ومن هنا ذهب الحكماء إلى التفرقة بين الحياء والخجل ، وأن الخجل ضعف وصفة رجل يستر ما ابتلى به من المعاصى ، أو يمتنع عن كشف ما يخصه من صميم الأمور الباطنة(٧) .

أما الحياء فتغير وانكسار عند خوف مايعاب أو يلم ، ولذا كان من سماته أنه يعقل المرء عن اقتراف الشرور والآثام ، كما يقول صاحب « تهذيب الأخلاق » : « إن أول ما ينبغى أن يتفرس فى الصبى ويستدل به على عقله : الحياء ، فإنه يدل على أنه قد أحس بالقبيح ، ومع إحساسه به هو يحذره ويجتنبه ، ويخاف أن يظهر منه أو فيه ، فإذا نظرت إلى الصبى فوجدته مستحيا فهذا أول دليل نجابته ، والشاهد على أن نفسه قد أحست بالجميل والقبيح ، وأن حياءه هو انحصار نفسه ، خوفا من قبح يظهر منه ، وهذا ليس بشىء أكثر من إيثار الجميل ، والهروب من القبيح بالتمييز والعقل »(٨) .

ولذا نجد نقطة التقاء بين الحياء وبين العقل ، الذى يعقل صاحبه عن شىء ما ، ويشتبه أن يكون سلوك الحياء أثرا من آثار العقل فى الإنسان ، أو هو مظهر من مظاهره الكبرى ،

---

(٦) راجع : السلوك وتنمية وعى الأمة للمؤلف ، ص ٩ ، ط ١٩٩٦م .

(٧) المعجم الفلسفى ١ج ، ص ٣٠٥ بيروت ١٩٨٢م .

(٨) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٦٧ ، ط الأولى .

ولذا يقول صاحب دراسة دستور الأخلاق فى القرآن الكريم : إن الحياء هو القيمة المركزية فى الأخلاق الإسلامية ، وليس مجرد مانع أو حافز ، أو باعث على الخلق والسلوك .[9]

وإذا كان العرف قد نادى باعتياد الأخلاق اليهودية على أنها شريعة الخوف ، والأخلاق المسيحية على أنها شريعة الحب ، فإن الحياء الشرعى يجمع مختلف المبادىء اللازمة للخلق والسلوك فى تركيب متكامل[10] ويؤيد ذلك قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء »[11] .

إن سمة الحياء دلالة على اعتدال النفس وشارة لصفاء ونقاء الضمير ، وإذا كان الحياء من الناس حسنا ، فإن الأحسن منه كثيرا أن يكون الحياء من الله ـ تعالى ـ لأنه يمنع الإنسان من المعاصى دائما ، ولهذا نقل عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قوله : إنى لأغتسل فى البيت المظلم ، فأنطوى حياء من الله ـ عز وجل ـ[12] .

ومن الحياء المحمود : أن يستحى الإنسان من نفسه ، وفى هذا نوع من المراقبة الذاتية والوجدانية حيث يتقى الإنسان نفسه ويفر من توبيخ النفس ، وتأنيب الضمير ، فيصبح عادة له ، تضفى عليه منهلا أخلاقيا وسلوكيا .

ومن هنا فالحياء ضرورة فى حياة كل إنسان ، حيث يكون بمثابة الستر ، الذى يورى سوأته ، ويشير إلى ذلك الخليفة الأول أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فيقول : « كأنى أرى من لاحياء له ، ولا أمانة وسط القوم عريانا » .

ويروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ما يفيد هذا المعنى ، من أن الحياء كالثوب الذى يستر صاحبه ، حيث يقول : « من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه[13] » ، وأن أحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتشير إلى أهمية الحياء وقيمته ، وكونه دليلا على صدق صاحبه حيث يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء[14] » ، وفى رواية : « إن لكل دين خلقا[15] » ، ومن هنا جعل الإسلام قيمة الحياء سمة من السمات المقومة للإيمان ، والمتممة له ، حيث يقول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « والحياء شعبة من الإيمان »[16] ، كما ربط الإسلام ـ أيضا ـ بين



(٩) محمد عبد الله دراز ، دستور الأخلاق فى القرآن الكريم ، ص ٥٣١ ، ط ٧ بيروت ، ١٩٨٧ .
(١٠) دكتور محمد عبد الله دراز دستور الأخلاق فى القرآن الكريم ص ٥٣١ بيروت ط السابقة .
(١١) انظر موطأ الإمام مالك وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب ١٧ وكذا فى الجامع الصغير ج ١ ص ٩٧ عن النعمان بن بشير ، برواية أخرى .
(١٢) راجع دكتور/ محمد كمال جعفر : فى الفلسفة والأخلاق ، ص ٣٤٠ ، ط ١٩٦٨م .
(١٣) الشيخ عبد القادر المغربى : الأخلاق والواجبات ، ص ٧٣ ، ط ١٩٤٧م .
(١٤) انظر موطأ الإمام مالك .
(١٥) ابن ماجه وكتاب الزهد وكذا فى الجامع الصغير ج ١ ، ص ٩٧ عن النعمان بن بشير ، وسنن ابن ماجه جـ ٢ رقم ٤١٨١ .
(١٦) الإمام البخارى ، كتاب الإيمان ، وراجع فتح المنعم لشرح صحيح مسلم لأستاذنا الدكتور موسى شاهين جـ ١ ص ٢١١ .

الحياء وبين طرق الخير كلها ، وهذا مصدر من مصادر السعادة والرضوان الذى ضل عنه المرضون عن طريق الفطرة والتوحيد ، ومصداق ذلك قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحياء خير كله »[17] ، كما ورد فى الحديث ـ أيضا : « الحياء لا يأتى إلا بخير »[18] ، ونلمس هذا المعنى فى موضع آخر حيث يقرر المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وماكان الحياء فى شيء قط إلا زانه »[19]

ومن كل ما تقدم يتضح أن الخير والشر معان كامنة فى النفوس بالفطرة ، وهى منح إلهية ، والإنسان مطالب من الله بأن يخرج ما أودعه ربه فيه من سجايا صالحة إلى الفعل ، وذلك بالتحكم فى سلوكه بالإرادة والكسب ، فإذا استطاع ذلك فاستخرج ما هو بالقوة إلى الفعل كان متحليا بالحياء ، وهذا يكون لمن تيقظ بالإيمان ، ولذلك كان أهل الخلق متفاوتين فى مدى قدرتهم على اكتساب الخير ، أو الابتعاد عن الشر ، تبعا لما ركب فيهم من السجايا ، التى هى فعل الخالق ، واستخراجه بكسب المخلوق ، فكذا الآداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الإلهية[20] كما قال الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه
فى وجهه شاهد من الخبر

فسمة الخير : الدعاء والحياء ، وسمة الشر : الفجور والبذاء ، وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء فى النار »[21] ، وعن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحياء والإيمان قرناء جميعا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر »[21] .

وللحياء حالة متوسطة : هى حد الاعتدال ، وهى الممدوحة فى شرع الله ، قال تعالى :

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾

(سورة القصص جزء من الآية ٢٥) .

ومعنى ذلك أن المرأة العفيفة تمشى على استحياء ، بعيدة عن التبذل والتبرج والإغواء ، جاءته على خلق كريم لتنهى إليه دعوة فى أوجز عبارة ، وأدق تعبير ، فمع الحياء إبانة وفصاحة ، وطهارة وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النقية السليمة المستقيمة ، فالفتاة المستقيمة القويمة تستحى بفطرتها عند لقاء الرجال ، والحديث معهم ، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لاتضطرب الاضطراب الذى يطمع ويغرى ويهيج ، إنما تتحدث فى وضوح بالقدر المطلوب[22] ، وهذا لا يكون إلا بالحياء .

---

(١٧) رواه الإمام مسلم والإمام أحمد بن حنبل .
(١٨) رواه الشيخان . وراجع اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .
(١٩) رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد .
(٢٠) راجع : عوارف المعارف . للسهروردى .
(٢١) ابن ماجه جـ٢ ١٤٠٠ والبذاء هو الفحش فى الكلام .
(٢٢) سيد قطب . فى ظلال القرآن الكريم . ج ٦ ص ٢٣٧ . ط السابعة . ١٩٧١م .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

(سورة البقرة الآية ٢٦) .

فالله رب كل شيء وخالق كل شيء من الدقيق والجليل والصغير والكبير ، على أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل ، وإنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير ، وليس في ضرب الأمثال ما يعاب ، وما من شأنه الاستحياء من ذكره ، والحق - تبارك وتعالى - جلت حكمته يريد بها اختبار القلوب وامتحان النفوس ، وبذلك يتضح أن الحياء شرط للقيمة الخلقية والسلوكية ، وهو رأس مال الثقة بالإنسان ، حيث يقدر الناس صاحبه ، كما أشار إلى ذلك جمال الدين الأفغاني - رحمه الله تعالى - حيث يقول : « إن صاحب الحياء يحترم عقله ، ويلتزم أحكامه في كل المواقف ، ليس هذا فحسب بل هو أسبق الناس إلى احترام عهوده من حيث الصدق والوفاء »[٢٣] .

ومصداق ذلك قول ابن عمر - رضي الله عنه - إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر على رجل وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « دعه فإن الحياء من الإيمان »[٢٤] .

فإذا ما تحلى المسلم بالقيم الخلقية ، والسلوكية للحياء صده ذلك عن فعل كل قبيح ، ودفعه إلى امتثال كل أمر طيب ، أما إذا ضعف هذا الإدراك في ذات الإنسان ، فلن يحل محله إلا السلوك المجافي للفطرة ، وهنا يضع الإنسان نفسه أمام منافذ السوء والمنكر ، فيقع في المهالك ، وما أصعب ما يعانيه مجتمع يبتلى بمثل هذا ، كما يقول أئمة الشريعة :

« إنما جعل الحياء من الإيمان ، وإن كان غريزة ، لأن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وعلم ، فالفعل المأمور به سواء كان واجبا أو مندوبا يستحى من تركه .

والمنهى عنه الحرام أو المكروه يستحى من فعله ، وأما المباح فالحياء من فعله وتركه جائز . إن الحياء يدور حول ثلاث شعب :

أولها : الحياء من الله - عز وجل - ويكون بما كلفنا به من امتثال أمر ، واجتناب نهي ، ورضا بقضاء وقدر ، وأن نراقب الله في حركاتنا وسكناتنا في خلوتنا وجلوتنا ، ومصداق هذا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأحد أصحابه : « أوصيك أن تستحي من الله - تعالى - كما تستحي من الرجل الصالح من قومك »[٢٥] .

---

(٢٣) دكتور/ محمد القسم . في مؤلفه جمال الدين الأفغاني ، حياته وفلسفته . ص ١٤٢ . ط الأنجلو المصرية .
(٢٤) وراجع بذل المجهود في حل أبي داود جـ ١٩ ص ٥٠ والبخاري جـ ١ ص ٦٩ ومسلم ٣٦ .
(٢٥) أخرجه الترمذي وراجع الترغيب والترهيب وانظر مرقاة المفاتيح جـ ٤ ص ٧٤ .

روى الترمذى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « استحيوا من الله حق الحياء . قلنا : إنا نستحى من الله يارسول الله والحمد لله ، قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء . أن تحفظ الرأس وماوعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء »(٢٦) .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : دخلت على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوجدته يبكى فقلت : يارسول الله ما يبكيك ؟ قال : أخبرنى جبريل ـ عليه السلام ـ أن الله يستحى من عبد يشيب فى الإسلام أن يعذبه ، أفلا يستحى الشيخ أن يذنب وقد شاب فى الإسلام »(٢٧) .

ثانيها : الحياء من الناس ، ويكون بمراعاة حقوقهم وكف الأذى عنهم وترك مجاهدتهم بالقبيح .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من تقوى الله اتقاء الناس »(٢٨) .

ثالثها : حياء المرء من نفسه ، ويكون بالعفة واتقاء الريب والتورع عن الشبهات ، واستشعار عظمة الله تعالى وخشيته فى جميع الأوقات ، وألا يعمل فى السر عملا يستحى منه فى العلانية ، لذلك قال بعض الحكماء الفضلاء : « ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك ، فالإثم ما حاك فى صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس »(٢٩) .

فالنفس الحيية هى الأبية الشريفة التى تتحاشى عن الدنايا وتترفع عن فعل النقائص ، وتأبى الضيم ، فتبرأ من كل عار ، وذلك حين لا تقف موقف امتهان يحط بالكرامة ، أو يخدش الشرف .

إن الحياء الشرعى : هو الذى يحمل صاحبه على البعد عما نهى الله عنه . إنه يقظة فى الضمير . وسمو فى التفكير ، وترفع عن الدنايا واتجاه إلى التحلى بكريم الصفات ، وحميد الخصال والعادات ، وهو أكبر شاهد على الأدب الرفيع ، والتواضع الجم الذى يدفع إلى التحلى والتخلى .

أما الحياء الذى ينشأ عنه الإخلال بالحقوق فليس حياء شرعا ، بل هو عجز ومهانة ، والحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الإيمان ، وهو المكلف به دون الغريزى. غير أن كل من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد جمع له النوعان :

فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وفى المكتسب فى الذروة العليا ، وقد ربى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه على هذه

---

(٢٦) رواه الإمام الترمذى فى مسنده .
(٢٧) راجع بذل المجهود فى حل أبى داود ، وراجع المنهاج فى شعب الإيمان جـ٢ ص ٢٤٠ .
(٢٨) المرجع السابق .
(٢٩) صحيح الإمام مسلم ومسند الإمام أحمد عن وابصة بن سعيد .

الشمائل العظيمة حتى يكونوا أهلا لبناء المجتمع القدوة ، ولا يتحقق ذلك إلا بالتمسك بما أقيم عليه بناء الدين فى ذات المسلم ، وليس ما نقوله دعوى بدون دليل ، وذلك لأن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت »[٣٠] .

وهذا القول الجامع يوقفنا على أن فاقد الحياء جدير بكل هوان من جانب ، وبعيد عن الهداية الإيمانية من جانب آخر ، ولنا فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة حسنة فى التمسك بضوابط الخلق والسلوك ، والتى ثمرتها الحياء الذى لا يأتى إلا بكل خير ، كما تبين فيما تقدم ، وأنه كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياء من العذراء فى خدرها[٣١] ، وصدق الله العظيم حين قال لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(سورة القلم الآية ٤) .

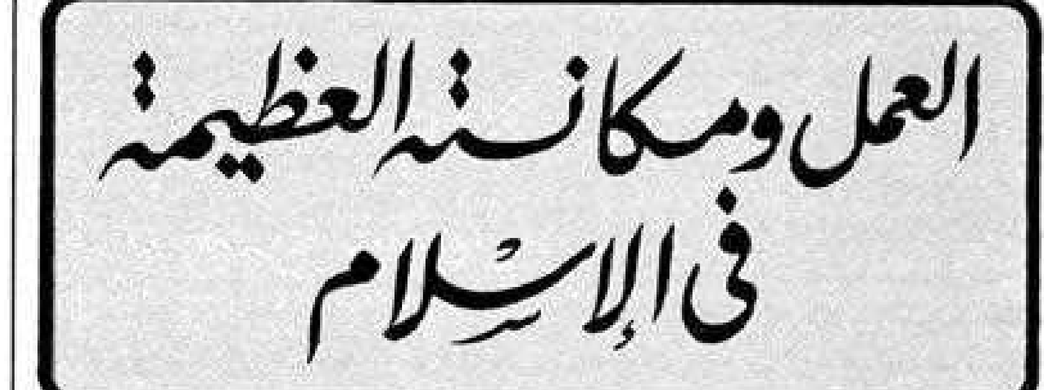
وعلى ضوء كل ما تقدم يتضح لنا : أن الحياء الإيمانى معيار لكل خلق وسلوك ، يشتمل عليه من اعتدال الخلال ، والصفات ، والضوابط الخلقية والسلوكية المنبثقة من الإسلام ، وفى هذا ما يوقفنا على أن للحياء دورا إيجابيا فى كونه باعثا على الخلق والسلوك القويم ، كما أن له دورا سلبيا فى كونه مانعا من المعاصى والقبائح ، وليس وسطا بين رذيلتين ، كما يظهر لنا أن التمسك بهذا البناء الرفيع دليل على الإيمان الذى يحقق السعادة للفرد والمجتمع .

عن حصين بن وحوح ـ رضى الله عنه ـ أن طلحة بن البراء بن عازب ـ رضى الله عنهما ـ مرض فأتاه النبى ـ ﷺ ـ يعوده فقال : « إنى لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فآذنونى به وعجلوا به فإنه لا ينبغى لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهرانى أهله » . رواه أبو داود .

---

(٣٠) رواه الإمام أحمد وأبو داود والبزار .

(٣١) رواه الإمام البخارى كتاب المناقب .



العمل ومكانته العظيمة في الإسلام

لفضيلة الشيخ:
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

قال الله تعالى :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾

(النحل : ٩٧) .

إن الإسلام وهو دين الإنسانية بأسرها ، والحريص على خيرها وإسعادها ، يريد للناس أن يحيوا حياة طيبة عزيزة كريمة ، تتأكد بها إنسانيتهم ، وتتحقق لهم فيها احتياجاتهم ، فدعاهم بعد الإيمان بالله - عز وجل - وبرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى أداء العبادات ، حتى تكون حياتهم قائمة على السلوك الحميد ، والضمير الحى ، والقلب النظيف ، وكما دعاهم إلى العبادة دعاهم إلى أن يكونوا إيجابيين فى هذه الحياة يعملون وينتجون ويخترعون ويبتكرون ، حتى لا يتخلفوا عن ركب الإنسانية الزاحف ، لأنه دين الرقى والحضارة ، دين الحياة والنشاط والحركة الدائبة .

وإنه ما عرف العالم بأسره دينا من الأديان حث على العمل ورغب فيه كدين الإسلام ، قال الله تعالى موجها عباده إلى العمل الطيب ، والجد والنشاط :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾

(التوبة : ١٠٥) .

وروى الحافظ البزار عن رفاعة بن رافع : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - سئل : أى الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور » وروى البخاري عن المقدام بن معد يكرب - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : « ماأكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده » .

فترك العمل عكس ماجاء به الإسلام ، وليس الدين منحصراً فى العبادة فحسب ؛ من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج . بل كل عمل من أعمال الدنيا يُراد به وجه الله - عز وجل - والدار الآخرة إنما هو من صميم الدين . . ومن الدين أن يقوم الناس بأداء ماتتطلبه شئون الحياة من زراعة وصناعة وتجارة وحرفة ومهنة بالطريقة السليمة التى بينها الإسلام ، وأرشدت إليها تعاليمه . والله يثيب عليها كما يثيب على الطاعات . وسائر العبادات ، وكل ماهو من صميم الدين . . عن كعب بن عجرة - رضى الله عنه - قال : « مرّ على النبى - ﷺ - رجل ، فرأى أصحاب النبى - ﷺ - من جلده ونشاطه ، فقالوا : يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال - ﷺ - : « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » رواه الطبرانى . .

لهذا نرى الإسلام يوجه أتباعه إلى استخدام وسائل الإنتاج المتاحة لهم فى جميع مجالات العمل . . ففى مجال التصنيع « الصناعة » يقول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحديد : ٢٥) .

فقد قرن الله تعالى فى هذه الآية إنزال الكتب والأمر بالعدل في كل شيء مما يتعلق بشئون الدنيا والدين ، بإنزال الحديد للإشارة إلى أن الكتاب يمثل القوة التشريعية ، والميزان يمثل القوة القضائية ، والحديد يمثل القوة التنفيذية ؛ لأن تشريع السماء لابد له من قاض يحكم بالعدل . ولابد لهما من قوة تنفذ حكمهما ، وتناضل وتجاهد من أجلهما ، وتدفع عدوان المعتدين وجبروت الظالمين . . فالصناعة من أنفع ما علمه الله تعالى بنى الإنسان مكنت لهم أن يتخذوا مما ذرأ على الأرض ، وما أودع فى بطنها وسائل لتوفير راحتهم ، وإنماء حضارتهم ، واستكمال سعادتهم . . وليس أدل على فضل الصناعة وشرفها من أن الله تعالى علمها رسله وأنبياءه فآدم - عليه السلام - كان فلاحا يحرث الأرض ، ويعمل بنفسه ، وبمعاونة زوجته حواء جميع الأعمال التى تتطلبها مهنة الزراعة ، ويصنع بيديه الآلات التى تعينه على ذلك . . وكان إدريس - عليه السلام - خياطاً . . وكان نوح - عليه السلام - نجارا ، يصنع الفلك الذى يتخذه طريقا للنجاة من الطوفان قال الله تعالى :

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾

(هود : ٣٧ ، ٣٨) .

وكان إبراهيم - عليه السلام - : بناء ، وهو الذى بنى الكعبة البيت الحرام ، وساعده فى عملية البناء ابنه إسماعيل : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(البقرة : ١٢٧) .

وكان إلياس نساجاً .. وكان داود ـ عليه السلام ـ زراداً يصنع الدروع ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(سبأ : ١٠ ، ١١) .

أى اصنع الدروع التامة التى تستعمل فى الحروب ، وأتقن صناعتها ..

وقد قامت الحضارة الإسلامية على إدراك فضل الصناعة وشرفها ، وماذاك إلا لأن الإسلام دين متطور ، ينادى بالعلم والثقافة والدراسة وفهم الواقع ، والاستفادة من خبرات وتجارب كل فرد ، ويحث على ارتياد الآفاق والمجهولات .. من أجل ذلك أمر بالبحوث العقلية ، والمجهودات الفكرية ، والمحاولات العلمية والعملية .

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

(يونس : ١٠١) .

وأمر معتنقيه بدوام الإنتاج الذى يعود على الإنسانية بالخير ، وملاءمة التطورات الزمنية فى قول النبى ـ ﷺ ـ : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » رواه مسلم . وقوله ـ ﷺ ـ : « أليس لكل زمان ما يلائمه » لا يشترط لذلك سوى شرط واحد : هو أن تكون الصناعة مما ينفع الناس ، ويخفف أو يزيل آلام البشرية .. وفى مجال التجارة يقول الله تعالى :

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾

(البقرة : ٢٨٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾

(المزمل : ٢٠) .

وهم التجار المسافرون : الذين يتقلبون فى الأرض ، ويطلبون الرزق وكسب المال ، مما هو فضل من الله ونعمة . وبه ينالون من الله عظيم الأجر وحسن المثوبة .. روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « التاجر الصدوق الأمين ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .. وقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ : يشتغل بالتجارة فى مال السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ قبل البعثة .. قال ابن إسحاق : « وكانت خديجة بنت خويلد : امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله ـ ﷺ ـ من صدق حديثه ، وعظيم أمانته ، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج فى مالها ، إلى الشام تاجرا ، وتعطيه أفضل ما تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها ، يقال له « ميسرة » فقبله رسول الله ـ ﷺ ـ منها وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامها « ميسرة » حتى قدم الشام ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به » .. وأثر عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى ، أبيع وأشترى ولأن أموت بين شعبتى رحلى ، وأنا أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله أحب إلى من أن أموت شهيدا فى سبيله ، لأن الله تعالى قدم ذاك على هذا فى كتابه قال تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

(المزمل : ٢٠) .

فالتجارة : هى محك الرجولة ، بها يمتحن دين الرجل وورعه وعفته وأمانته . . فلا ينبغى للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده ، ولا دنياه عن آخرته ، فيكون عمره ضائعا ، وصفقته خاسرة ، وما يفوته من الثواب فى الآخرة لا يفى به ما ينال فى الدنيا من متاع قليل ، وحطام زائل ، فيكون ممن اشترى الدنيا بالآخرة :

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

(العنكبوت : ٦٤) .

بل العاقل الكيس ينبغى له أن يشفق على نفسه ، وشفقته على نفسه ، تكون بحفظ رأس ماله ودينه وتجارته فيه قال الله تعالى :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾

(النور : ٣٧) .

وقال جل شأنه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

(فاطر : ٢٩ ، ٣٠) .

وفى مجال الزراعة يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾

(الواقعة : ٦٣ ، ٦٤) .

وروى مسلم فى صحيحه أن النبى ـ ﷺ ـ دخل ذات يوم على أم بشر الأنصارية فى نخل لها فقال : « من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر ؟ قالت : بل مسلم يارسول الله ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : لا يغرس مسلم غرسا ، ولا يزرع زرعا ، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شىء إلا كانت له صدقة إلى يوم القيامة » . . وروى أن النبى ـ ﷺ ـ صافح حذيفة بن اليمان فوجد يده خشنة أجشة ، فسأله عن السبب ؟ فقال : يارسول الله إنى أحرث الأرض بفأس طلبا لرزق عيالى ، فسر منه رسول الله ـ ﷺ ـ وقال : هذه يد يحبها الله ورسوله » .

لقد دعا الإسلام إلى العمل للدين والدنيا ، بل وطالب بالإخلاص فيه ، وأن يكون العمل صالحا هادفا إلى خير الفرد والجماعة ، وقرر أن الله لا يضيع عمل العاملين والعاملات ، طالما أنهم قد بذلوا الجهد ، وأحسنوا العمل ، وسعوا فى الأرض يبتغون من فضل الله قال تعالى :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾

(آل عمران : ١٩٥) .

وبين أن الأجر يكون على قدر العمل ، قال تعالى :

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(الأحقاف : ١٩) .

فالعمل فى ذاته عبادة إذا حسنت النية ، وسلمت الطوية ، ولم يترتب عليه الإهمال أو التقصير فى بعض الواجبات الدينية ، وذلك لأنه

يحقق الحكمة من خلق الإنسان ووجوده فى هذه الحياة ، قال تعالى :

﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾

(يس : ٣٥) .

والشكر على النعمة يقتضى حفظها ، والمداومة عليها ، لقد خاطب الله رسله وأنبياءه بقوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون : ٥١) .

وذلك ليكونوا لنا خير قدوة فى حياتنا الدنيوية وقال الله تعالى فى شأن يوسف عليه السلام :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (يوسف : ٥٤) .

ومن هذه الآية الكريمة يتضح أن يوسف ـ عليه السلام ـ استدعاه ملك مصر ، ليجعله أثيراً لديه ، نديما له ، محظيا عنده ، ومعلوم أن من كان بهذه المنزلة لدى الملوك فهو من أرباب العيش الرخى ، والمشرب الهنى ، والفراش الوثير ، ثم هو من أهل الترف والنعمة ، وأرباب الراحة والدعة ، وقد رفض يوسف ـ عليه السلام ـ أن يعطل ما أعطاه الله من قوة ، وما منحه من جهد ، وما ألهمه من علم وخبرة ويرضى بحياة البطالة التى لا تستريح لها نفس أبية ، وفطرة زكية ، فطلب أن يقوم بعمل ، يبذل فيه الجهد ، إصلاحاً لأمور الناس ، وصيانة للمجتمع من الاختلال فقال : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ مبينا له الحكمة فى هذا المطلب بقوله :

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف : ٥٥) .

ومن البدهى أن مجد الدين والمجتمع الإسلامى لا يبقى إلا بأيدى نفوس فتية قوية ، تعرف كيف تؤدى الواجب بأمانة وإخلاص ، وعزم وتصميم ، وتأخذ الحق فى أناة وصبر ، ورفق وحزم ، وعلى كاهل أمة ناهضة لا تتهاون فى أداء عمل ولا تضيع ساعة من حياتها فى لهو أو كسل ، بل تشغل جل وقتها بوضع لبنات فى صرح عزها .. ولا شك أن الإسلام يشحذ العزائم ، وينمى المواهب ، ويذكى طاقات الطموح ، ويربى فى النفوس قوة الشخصية ، والاعتزاز بالكرامة وذلك أس من أسس بناء الحضارة ، وقاعدة فى خلق الشعوب القوية ..

وقد وعد الله المؤمنين العاملين بالفوز والنصر المبين ، فحقق لهم وعدهم ، وأنالهم مآربهم ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وبدلهم من بعد خوفهم أمنا .. ولا يزال هذا شأن كل أمة تؤمن بالله ورسوله ، وتعمل الصالح الذى أمر الله به ، وتترك كل قبيح نهى الله عنه ، وتقيم العدل والنظام ، قال الله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور : ٥٥) .

والأمة الإسلامية الآن قادرة بإذن الله على استرداد مجدها التليد ، وعزها الضائع : إذا رجعت إلى العمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ـ ﷺ ـ ، ووحدت صفوفها ، وجمعت على الحق كلمتها ..

﴿ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾

(محمد : ٣٥) .



للأستاذ : صديق بكر على عيطة

ما نزال فى هذه الحلقة والحلقات التالية - إن شاء الله - مع كتاب « الفرقان لابن الخطيب » نفند فكره ، ونرد على مزاعمه ، التى تدعو إلى كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث ، وطرح الرسم العثمانى ، وقد قلنا فى الحلقة الماضية إننا لا نقصد الرجل وإنما نقصد فكره ، لأنه يمثل فكر طائفة من الكتاب والمحللين .

يقول الرجل فى صفحة ٦٢ مدللا على وجوب كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث بدلا من الرسم العثمانى : « . . . وقد جاء عن ابن عمر ، وقتادة ، وإبراهيم ، وهشام ، وابن سيرين : كراهة نقط المصحف ، وإحداث أى تحسين ، أو تنميق به ، وقد أغلظوا فى ذلك ، وأعظموا فى إثمه .

وها نحن أولاء - وما يزال الكلام لصاحب كتاب الفرقان - قد نقطنا المصحف ، وشكلناه ، ووضعنا به علامات ، وأدخلنا فيه إشارات ، ليست منه وليس منها .

« أليس كل ذلك لتسهيل قراءته ، وتبيين عبارته ، وتعرف وقفاته ، وتبين مواضع سكتاته ، ومواطن سجداته ؟ »

« فحيث أدخلنا عليه ما كرهه الأوائل ، ولم يرضوا عنه ، ولم يفتوا به ، وذلك لمصلحة رأيناها ، وحكمة تبيناها . ولأجل أن يستطيع القارىء أن يقرأه والمتفهم أن يتفهمه . فلا أقل من أن نكتبه بالهجاء الذى تداوله الناس ، واصطلحوا على علمه ومعرفته » أ . هـ كلام الأستاذ .

والمتأمل فى هذا الكلام ، يرى أن سيادته يقيس ما لم تدع إليه الحاجة ، ولم تثبت فيه المصلحة ، بما دعت إليه الحاجة ، وثبتت فيه المصلحة ؛ لأن تنقيط الحروف ، ووضع العلامات بجميع أشكالها ، وبجميع أهدافها المتفق عليها ، أصبح ضرورة من ضرورات الأداء القرآنى ، فى صورته المثلى . وليس هناك ما يخشى من وراء ذلك . أما ما يدعو إليه المؤلف من كتابة المصحف بالرسم الحديث ، فليس هناك من الضرورة ما يؤكده ، فضلا عن أن هناك بعض الآثار الجانبية ، التى يخشى منها على هذا الكتاب الأسمى . ألا يدرى الأستاذ أن الرسم الإملائى الحديث ، فيه كثير من الاختلاف بين بعض الأقطار العربية ؟ إذن فبأى رسم نكتبه ؟ ألا يفتح ذلك بابا واسعا من أبواب الخلاف ؟ . بخاصة ونحن فى عصر كثر فيه تداول المطبوعات وفى مقدمتها المصحف بين الأقطار العربية والإسلامية ، بصورة لم يسبق لها مثيل ، وهى آخذة فى التزايد .

ولماذا إذن كل هذا ؟ والمسلمون فى أقصى البلاد وأدناها يعرفون ما يتميز به القرآن من خصوصية يستوعبها الصبى بسرعة فى بواكير حياته : كتابة ونطقا وسماعا ؟

ثم يسوق المؤلف فى صفحة ٦٤ جدولا لعدد من الكلمات ، التى اختلف رسمها العثمانى عن الرسم الإملائى ، ويقول فى صفحة ٦٥ : « هذا مع ملاحظة أن القرآن قد كتب فى المصحف الإمام ، بالرسم الأول بدون نقط ولا شكل » ليرتب على ذلك أن « تزداد الكلمات عجمة على عجمة ، والتباسا على التباس ، وتصير قراءة القرآن على صحته مستحيلة أو أشبه بالمستحيلات » .

ويستمر قائلا : « وذلك لأن القارىء فيه لا يستطيع أن يفرق بين لفظة « ياصالح » ولفظة « يَصْلُحْ » . لأن رسمها مجردة من النقط والشكل هكـذا : « يصلح » ولا بين « ليســوموا » و « ليسوا » . ولا بين « أنباء » و « أَنْبَـوا » . ولا بين « البَـلاَغُ » ، و « البلغ » . ولا بين « جىءَ » و « جاىءَ » أ . هـ كلام المؤلف صاحب

كتاب « الفرقان » . غير أننا فى ملاحظاتنا على ما أورده نقول :

أولا : يزعم المؤلف أن هناك تشويها فى نطق الكلمات التى اختلف رسمها العثمانى عن الرسم الإملائى الحديث . فأين ذلك التشويه فى « يَٰصَٰلِحُ » أو فى « طَٰغِين » أو فى « إِيَّٰىَ » مثلا ؟ .

ألم يكن يدرى ـ رحمه الله ـ أن القرآن ، إنما يؤخذ بالتلقى ؟ أى بالمشافهة بالدرجة الأولى ؟ وهذا فعلا هو ما عشناه فى طفولتنا وصبانا من خلال نظام الكتاتيب وما شابه ذلك ، ومانزال نمارسه مع أبنائنا وأحفادنا ، فما هو مشاهد ، ومتفق عليه أن المتعلم يمسك بالمصحف ، ويقرأ أمام « شيخ » ، ويُسمعه ذلك الشيخ كيف تتلى الآية بعد الآية ، إلى أن يستقر الصبى على طريق شيخه فى التلاوة الصحيحة ، بعد أن يتعرف ـ عن طريق الممارسة الفعلية ـ على الرموز التى تساعده على ذلك . فهذه المدود الصغيرة ، أليست موضوعة بحساب دقيق صارم ، يحفظ للكلمة حقها فى النطق السديد ، الذى لا تشوبه أدنى شائبة ؟ وهل هناك حالة واحدة ، رآها المؤلف أو سمع عنها ، قرأ فيها القارىء ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ ﴾ على أنها يَصْلُحُ قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، أى بوضع الفعل « يصلح » مكان « يَٰصَٰلِح » أو ما هو شبيه بذلك ؟

نحن مع المؤلف فى احتمال هذا التشابك بين اللفظتين إذا وردتا أو وردت إحداهما منفردة بعيدة عن سياق الآية المباركة ، ولم يكن هناك مايشير إلى أنها جزء من الآية . هنا ـ وهنا فقط ـ يحتمل هذا التشابك بين اللفظتين ، أما ونحن نقرأ الآية المباركة ، وننطق باللفظة من خلال سياق الآية ، فلا وجود أصلا لذلك التشابك بين اللفظتين .

إن قارىء القرآن يتتبع مواطىء أقدام شيخه ومعلمه فى كيفية التلاوة الصحيحة والعجيب فى أمر هذا الكتاب المعجز ، أن يظل المرء طيلة حياته ذاكرا هذه القراءة الصحيحة ـ ولا تثبت إلا إذا كانت صحيحة ، وهذه إحدى معجزات ذلك الكتاب العجيب ـ بنصّها وفصّها ، ذاكرا مكان الآية فى الصحيفة ، ذاكرا أين تم حفظها ـ ربما ـ إلى آخر أيام حياته مهما طالت . وهو ما لم يحدث مع أى كتاب آخر سماوى أو أرضى !

ثانيا : إن ما يدعو إليه المؤلف من إعادة الرسم ، حسب القواعد الإملائية المعروفة ، إنما هو فتح للباب على مصراعيه ، لتشويه النطق الذى يحذرنا منه ؛ حيث إن القارىء العادى ، سوف يقرأ الآية ، غير معتمد على صاحب قراءة صحيحة يطمئن إليها ، ويصير كمن يقرأ قصة ، أو عمودا فى صحيفة يومية ، أو موضوعا فى كتاب المطالعة ، دون أن يعرف لخصوصية التلاوة القرآنية حقها ، وما يجب أن تكون عليه من رعاية لأحكامها ، التى لا يمكن أن تعرف إلا

بالتلقى والسماع أولا ، وتشرب موسيقى القرآن ، التى تهز القلوب والعقول هزا . فمثلا : كم من طلاب القراءة الصحيحة ، يستطيع أن يقرأ قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ أو ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ دون أن يقوم التلقى بالدور الأكبر فى ذلك ؟ إن مثل هذه الكلمات يرى معناها فى موسيقاها ، كما أن موسيقاها ترى فى معناها ، وطريق المعنى هو التلاوة الصحيحة ، وطريق التلاوة الصحيحة ، إنما هو السماع الصحيح . ثم من يستطيع قراءة : حمٓ . الٓمٓ . قٓ . نٓ . كٓهيعٓصٓ . حمٓ عٓسٓقٓ . . قراءة صحيحة دون أن يكون التلقى هو العامل الأول فى ذلك ؟

وإذا لم يكن هناك بدٌّ من السماع والتلقى لكل من يقرأ القرآن مبتدئا فى ذلك كبيرا كان أو صغيرا ، فما الداعى إذن لأن نفتح باب التغيير ، الذى لا نستطيع التحكم فى رياحه ، ليدخل فيه مانخشاه ، ويخشاه جميع المسلمين من التغيير والتبديل . ويومها ، نحاول الدفاع عنه فلا نستطيع ، لنصبح فى هذه الحالة كمن دفع للمغنى درهما ليغنى ، فلما غنى ، دفع له عشرة دراهم ليسكت ، وياليته يسكت فى حالتنا هذه !!

ثالثا : إن المؤلف حينما يذكر « أن القرآن قد كتب فى المصحف الإمام ، بالرسم الأول دون نقط ولا شكل ليرتب على ذلك « أن تزداد الكلمات عجمة على عجمة ، والتباسا على التباس » إنما يعلن بذلك إفلاسه عن طرح الحجج المقنعة ، ولذا فهو « يُلَمْلِمُ » من هنا وهناك ، حججا لا تغنى شروى نقير ، ولا تتقدم به خطوة واحدة فى طريق ما يرمى إليه ، فهذه الحجة ليست بذات موضوع ، منذ أن أجمع المسلمون على نقط المصحف وتشكيله ، ولم نعد نرى منذ ذلك الحين ، فى واقع الأمر غيره . مالنا نحن ـ المسلمين ، قراء القرآن ـ وما للمصحف الذى لم يُنقط ولم يُشكل ؟ كم واحدٍ من المسلمين رآه رأى العين ؟ إن ما كان قد أرسل منذ عصر عثمان رضى الله عنه إلى الأمصار الإسلامية ، نسخ محدودة العدد للغاية ، وهى الآن فى أماكن غير متاحة للعامة أو للخاصة ، لأنها أثر إسلامى يعتز به المسلمون ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطلع فيها أو عليها أحد . إذن فلا معنى لأن يعتبرها الأستاذ المؤلف ـ رحمه الله ـ عائقا يضاف إلى بقية العوائق ، التى رسمها فى مخيلته الخصبة .

رابعا : ذكر المؤلف التشابه الحاصل بين « ياصالح » إذا جردت من ألفى المد ، والنقط والشكل ، وصارت « نصلح » وبين الفعل « يصلح » وما شابه ذلك ، ولكنه لم يذكر التشابه بين « الٓمٓ » فى فواتح بعض السور و « ألم » فى فاتحة سورة الشرح ، أليس لأنه يعرف سلفا أن التلقى الشفاهى هنا كفيل بأن يقوم بدور الحارس الأمين ، الذى لا يسمح إطلاقا بهذا الخلط المزعوم بين الكلمات ، التى أشار إليها ؟

إن الله تبارك وتعالى جعل القرآن الكريم مرتبطا بالتواتر ، والنقل الشفاهى أكثر من أى

كتاب سماوى آخر . ولقد أحسن الإمام الشيخ محمد أبو زهرة فى التعليل لذلك عندما قال فى كتابه : « المعجزة الكبرى . القرآن » ص ٢٩ :

« إن ذلك من عمل الله تعالى ؛ لأن الله تعالى العليم الحكيم ، جعل حفظ القرآن الكريم فى الصدور ابتداء وانتهاء ، وفى السطور احتياطا ، ولتكون كتابته من بعد ذلك صحيحة من كل وجوهها ، لا يعتريها تصحيف ، ولا تحريف ، وأن تواتر القرآن الكريم عن رسول الله يكون كما تلقاه عن ربه العليم الحكيم . والتواتر يكون بالتلقى فى الصدور لا فى السطور . ولا يكون تواتر فى مكتوب إلا إذا قرىء المكتوب على من أخذ عنه وأجازه . فالمكتوب يحتاج فى نقله إلى الإجازة القولية ، والإجازة القولية لا تحتاج إلى كتابة إلا بمقدار تسجيل الإجازة » .

إننا لا نستطيع حتى الآن أن نزعم أن خط المصحف ، وبخاصة فى رسم الكلمات التى لا يتعلق بها أحد أحكام القراءات ، وقد اختلفت فى ذات الوقت عن الرسم الإملائى الحديث .

أقول لا نستطيع أن نزعم ، أنه قد تم رسمه وفق قاعدة معينة ، ولذا فلا غرابة فى أن نرى هناك اختلافا بين الكلمات المتماثلة ، وهو بطبيعة الحال لا يتعدى الآحاد . أقول لا نستطيع حتى الآن ؛ لأنه قد تظهر حكمة لذلك فى المستقبل على يد واحد ، أو جماعة من المسلمين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والحكمة ليست قاصرة على زمن دون زمن .

غير أنى أود أن أركز على نقطتين اثنتين :

الأولى : أن الرعيل الأول . الذى اضطلع بمهمة جمع القرآن الكريم ، لم يكن من الغفلة ، بحيث تقع منه أخطاء الزيادة والنقصان ، فى الآية أو أخطاء فى رسم الكلمة ، وقد كانوا من الحذر ، والحيطة بالدرجة التى تعرفها ويعرفها كافة المسلمين ، بدءا من الصديق ، فعمر وعائشة ، وانتهاء بآخر واحد من أعضاء اللجنة التى شكلها عثمان رضى الله عنه للقيام بهذه المهمة الجليلة .

الثانية : ليس هناك من داعى العقيدة ، أو المصلحة العاجلة أو الآجلة أن نقتحم كتاب الله الأقدس ، وغدّ نحن ـ المسلمين ـ أيدينا إليه بالتغيير أو التبديل فى رسم الكلمات ـ والرسم الإملائى على وجه التحديد ـ لأن هذه الزيادة أو هذا النقص ، لا أقول إنها لا داعى لها ، بل هى خروج على إجماع المسلمين عن بكرة أبيهم .

وإلى لقاء آخر إن شاء الله نكمل فيه المسيرة .



للأستاذ الدكتور: محمد إبراهيم الفيومى

من الموضوعات التى ملكت على إعجابى ، وشدت إليها تفكيرى ، وأنا أقرأ كتابا عنوانه : « الإسلام فى التاريخ الحديث » لمؤلفه (ولفرد كانتويل سميث) حديثه عن العرب والإسلام والغرب - والأزمة التى ضربت أطنابها فيما يحكمهم من علاقات . ولم يكن حديثه عن موضوع الإسلام فى التاريخ الحديث ، خاضعا لأهواء عرقية ، شأن الكتابات التى تعرضت للإسلام والغرب ، إنما كان حديثه عن الموضوع حديث الدارس المتمكن الهاضم لمصادره ، لا يتعجل نتائج بحثه ، ولا يعدها قبل ، ثم يبحث عن شهود لها . ولا ينال ذلك إلا من خبرته الثقافية ، فهو : مدير معهد الدراسات الإسلامية ، وأستاذ الدين المقارن ، جامعة ماجل - مونتريال كندا . وقد أقام المؤلف فى « لاهور » بضع سنوات يدرس الإسلام ، وزار غالبية المناطق الإسلامية ، ووضع عدداً من الكتب ، نذكر منها - الإسلام فى الهند - الإسلام فى العالم الحديث وجاء إلى القاهرة وألقى محاضرتين فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية ، فى مساء يومى ١٩ ، ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٨ .

لذلك كان منصفا فيما يكتب عن الإسلام ، نزيه القلم فيما يكتب عن العرب ، ناقدا محللا ، محايدا فى عرضه لتاريخ علاقات الغرب بالعرب ، لذا رأينا تلخيص وجهة نظره التى يقرر فيها :

إن العرب قوم ذوو كبرياء وحساسية ، مسلمون يمتزج إسلامهم بنسيج كبريائهم وحساسيتهم ، كما يتداخل مع عروبتهم ، ويمتزج بها ، مما يجعل لحياتهم اليوم سمعة خاصة . بل إن الإسلام هو الصفة الظاهرة للقومية العربية .

إن العرب ليجمعون فى تركيز شديد الأزمة الحديثة للعالم الإسلامى كله . وفخر العرب بعروبتهم عميق جدا .

ولهذا الفخر عناصر مختلفة ، يرجع بعضها إلى ما كانوا يتحلون به من فضائل ، فى الفترة السابقة على الإسلام ، كان من أبرزها المروءة ، ويعتبر العربى الحق مثلا يحتذى به فى هذه الناحية ، كما يرجعها البعض الآخر إلى لغتهم العربية ، إذ هم فخورون بها ، وبآدابها ، وتاريخها كل الفخر ، ولقد سادت هذه اللغة فى العصر القديم ، وكانت ثقافتهم فى وقت ما : هى الثقافة المرموقة فى العالم ، هذا فضلا عن أن المسلم العربى كأى مسلم آخر فخور بدينه وعقيدته ، فالإسلام هو الدين الوحيد فى العالم الذى ملأ نفوس معتنقيه فخرا وإعجابا ، وهم ينظرون إلى لغتهم بوصفها اللغة التى اختارها الله وسيلة لإظهار دينه ،

فكانت هى اللغة التى يجب أن يتعلمها كل من أراد أن يتخذ الإسلام دينا له .

ومن ناحية أخرى فالإسلام هو الذى خرج بالعرب من ديارهم ، إلى بلاد أخرى ما كانوا يعرفونها ، ففتحوها وأنتجوا فيها ، وهكذا نجد أن الإسلام كان سبب عظمة العرب الدنيوية .

كما كان العرب من الناحية الأخرى أصحاب فضل فى نشر الإسلام فى بقاع الأرض .

إذا رأينا ذلك ، وأدركنا مبلغ تعلق العرب بدينهم ، الذى كان أساس عظمتهم ، ورفعة شأنهم فى العالم ، أمكننا أن نقدر عمق شعورهم ، ومدى حساسيتهم إزاء كل هجوم على هذا الدين ومن ناحية أخرى ، فقد رأى العرب العالم الحديث يتآمر على عروبتهم ، مزعزعا الثقة فى القومية العربية ، وكان هجومه هجوما على أهم معاقلهم ، كان الهجوم لا هوادة فيه ولا رحمة ، ومن أمثلته الصارخة إطلاق السفن البريطانية نيرانها على الإسكندرية سنة ١٨٨٢ بغية القضاء على حركة « عرابى باشا » عندما قام لإصلاح الحكم الداخلى فى بلاده ، كذلك أصلت الطائرات الفرنسية بقذائفها المدن السورية سنة ١٩٢٥ ، حين طالب السوريون بالحكم الذاتى ، واقتحمت الدبابات البريطانية قصر عابدين ، وكسرت بابه ، كى تقيم حكومة موالية للحلفاء ؛ لذلك كان العرب باستمرار متوجسين من الغرب ، ويعيشون فى ظل المدافع التى قد تنطلق فى أية لحظة ، وتهددهم فى كل لحظة ، ويلازمهم

الشعور بالخطر يأتيهم من ناحية الغرب ، ويعتقدون أن الغربيين سيهاجمونهم ، كلما سنحت فرصة الهجوم وسيعتدون عليهم ، وأن لديهم القوة التى تمكنهم من الهجوم والاعتداء ، وفضلا عن ذلك فقد كان فى يد الغرب سلاح آخر لفرض سيطرته على العرب ، سلاح الضغط الاقتصادى ، الذى كثيرا ماتعرض له العرب بدرجات تتفاوت ، فكان تارة ثقيلا قاسيا ، وأخرى غاشيا لا مبرر له ، وهو بعد ذلك سلاح خبيث يخضع العرب للغرب ، وكثيرا ما أحس العرب ألا مبرر لهذا الضغط ، ولهذه الهجمات ، وكانوا يرون العالم مبهما لا يدركونه إدراكا تاما ، ولا يمكنهم أن يسيطروا عليه .

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد من الهجوم المسلح ، إلى الضغط الاقتصادى ، إذ جاوز الغربيون هذا كله إلى توجيه النقد إلى العرب فى حياتهم الخاصة ونظمهم .. بل إلى وصفهم بالتأخر والتخلف .

بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فحابوا اليهود على حساب العرب ، فيما يقدمون من مساعدات ، موحين إلى العرب أنهم ليسوا متخلفين فقط ، وإنما لا أهمية لهم أيضا .

وقد نما الشعور أخيرا بين العرب بأن الهجوم عليهم من جانب الغرب مقصود به الهجوم على دينهم ، وأن العالم أو فى القليل الغربى يتعمد تمزق الإسلام . ومن الحق أن الإسلام يعتبر صعوبة من بين الصعاب ، التى يواجهها الغرب ؟ اليوم ، وأحد العوامل التى شاركت فى إيجاد الفجوة بينهم وبين الغرب .. إذ الواقع أن الفروق بين الحضارات العظمى فى العالم دقيقة وعميقة ، وأن الفجوات القائمة بينها تدق على فهم الغربيين والمسلمين على السواء .

وهناك اتجاه جديد فى العالم الحديث إلى ضرورة عبور هذه الفجوات . وإيجاد اتصال وتفاهم بين الحضارات المختلفة .

وقد جرى التاريخ على أن علاقة الغرب بالإسلام كانت تختلف منذ البداية عن علاقته بأى مدنية أخرى ، فقد كان لها تخوم مشتركة بينهما دوما ، مما يؤيد أنهما كانا على اتصال دائم ، وكانا على خصومة ونزاع صريح فى الغالب ، أما الصين والهند فكانا بعيدين ، تسودهما الخرافة ، ولم يعرفا بحق إلا فى القرن الثامن عشر ، ومن الناحية الثانية فقد عرفت أوروبا الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا ، وكانت نظرتها إليه فى الكثير الغالب النظرة إلى عدو وعيد.

كان الهجوم مباشرا سواء من الناحية العسكرية ، أو من الناحية المذهبية ، وكان بالغ القوة ، وأنه لأمر طبيعى أن يرى المسلمون الحق والخير ، بل ومن المحتم أن الإسلام يجب أن يمتد كما حدث وتختلف عن ذلك نظرة غير المسلمين ، الذين تم هذا التوسع على حسابهم ، لقد كان على حساب الغرب إلى درجة كبيرة ، فقد فقدت المسيحية فجأة أفضل ولايات الإمبراطورية الرومانية ، وكانت معرضة لخطر فقد هذه

الإمبراطورية كلها ، وبالرغم من أن القسطنطينية لم تقع فى يد العرب ، كما وقعت مصر وسورية إلا أنها سقطت فى الموجة الإسلامية التالية سنة ١٤٥٣ ، وفى صميم قلب أوروبا فرض الحصار على فيينا فى سنة ١٥٢٩ ، ثم فى سنة ١٨٦٣ .

وكان التحدى والانتصارات تصل إلى نطاق القيم والأفكار ، فالهجوم الإسلامى ، كان ينتظم النظر والعمل ، وكان الإسلام يركز أفكاره على مركز العقيدة المسيحية ، التى شرعت أوروبا تقيم عليها مدنيتها ، وكان التحدى الإسلامى يتميز بالقوة حتى أنه تسلل بنجاح إلى قرابة نصف العالم المسيحى ، فكان القوة الإيجابية الوحيدة ، التى اكتسبت مرتدين عن المسيحية ، يقدر عددهم بعشرات الملايين ، كان القوة الوحيدة التى أعلنت أن المذهب المسيحى ليس زائفا فقط ، بل شنيعا أيضا .

ولسنا نذكر بهذا التاريخ الطويل لذلك النزاع بغية إعادة إشعاله ، أو لتبرير التهاتر ، فعلى العكس من ذلك لمجرد تبيان أن توفيق أولئك الذين يرجون ، أو يعملون اليوم على التوفيق أو التفاهم لا يتوقع أن يتم لهم هذا التوفيق سريعا ، أو فى سهولة ويسر .

وهكذا لعب الإسلام بوصفه دينا ، ومدنية تاريخية دوره ، فى نطاق التطور الخارجى ، ولعب دورا آخر فى نطاق التطور الداخلى ، وهو دور هام وثيق الصلة بأزمة العرب الداخلية ، فقد وجدوا الإسلام هدفا لهجوم العالم الحديث ، ولم يكن الهجوم علانية فحسب ، وإنما هو ماثل فى أذهان الأفراد العرب ، وهنا يشتد الكرب ، وقد يصبح خطيرا أيضا .

على أن هناك أسلوبا معروفا ، وإن لم يكن بسيطا مؤداه أن الدين هدف للهجوم عليه من جانب العنصرية ؟ وقد عرف العرب هذه الظاهرة ، وكان الكفاح فى القرن التاسع عشر حادا ، وأصبحت الفكرة القائلة بأن العلوم الحديثة بما لازمها من تفكير وجرأة ، وأن الحياة العصرية بسحرها ، جعلت من العقيدة الدينية شيئا لا يمكن الدفاع عنه ، أو تأييده أو غير ضرورى ، ذائعة فى العالم كله .

إلا أن المراقبين الغربيين ، وقد تعلموا هذا بالنسبة للمسيحية ، تملكتهم الدهشة لما تبينوا من أن الدين لم يفقد سحره فى المجتمع العربى ، أو بعبارة أخرى فى العالم الإسلامى .

فالإسلام لم يتأثر بهذا الاتجاه إذ انبرى المدافعون عن العقيدة يصدرون الكتب تلو الكتب ، والنشرات تلو النشرات ، يدافعون فيها عن العقيدة ، وينعون على الشباب العربى اعتناقهم المذاهب العقلية الغربية ، وغيرها من الآراء التى تنكر على العقيدة صحتها .

وقد يبدو أن هذه الشكوى مبالغ فيها إلا أن مجرد وجود هذه الكتابات الدفاعية يقوم دليلا على وجود المشكلة ذاتها وحدتها .

فالمشكلة قائمة وحادة ، ليس بالنسبة للمجتمع فحسب ، بل أيضا بالنسبة للفرد ، فإن كان

كثيرون انساقوا بعيدا عن العقيدة ، فهناك آخرون يهيمون فى وادى الحيرة والشك .. هوت أرواحهم فى دوامة من التردد ، حيث تتقاذفها تيارات مختلفة من الإيمان والشك .

وعلى هذا النحو يكون الوضع فى المجتمع العربى أوفر خطرا ، وضررا منه فى المجتمع الغربى ، سواء من ناحية الفرد ، أو من ناحية المجتمع ، وذلك لسببين : أن الهجوم العلمانى على الدين أجنبى عن العرب . وأنه الأيسر للفرد ، وأوفر صحة للمجتمع أن يجد تقليدا موروثا يناقش بقيم جديدة تطورت بين قومه ، من أن تكون هذه القيم قد تسللت إليه على أيد مفروض أنها معادية فتنفر الإنسان حتى من نفسه ، لفكرة أنه كان حليف الخطأ دائما ، أمر يحتاج إلى شجاعة إذ الشعور بالخطر ، وعدم الأمان يغدو عظيما ، إذ كان المعيار أجنبيا ، فالرجل الغربى الذى يجد أن دينه أصبح لا يمكن الدفاع عنه يعتنق بعض القيم الأخرى التى وجدت فى مجتمعه ، بينما العربى فى مثل هذا الموقف تنصب متاعبه على هجر قيم مجتمعه ، ويكون فى تركه للإسلام كمن يخون مجتمعه .

والخطر الذى يستهدف له لا يأتيه من الخارج فحسب ، بل ومن الداخل ، ولا يتهدد وجوده وحده بل جوهره وماهيته .

وإذن فالمأزق الإسلامى إزاء العنصرية يحسه المثقفون بعمق ، فقد مضى أكثر من قرن من الزمان منذ بدأت الحاجة إلى الدفاع عن العقيدة ضد الضغط الخارجى ، والتأخر الداخلى .. واليوم ، وبرغم التقدم فى نواح كثيرة نرى الهجوم على الإسلام أكثر شدة ، نرى هجوما من الخارج ، ومن الداخل ليس هجوما من أعدائه الأجانب الخارجيين ، بل كذلك هجوما على الظاهرة التاريخية الخارجية للإسلام كحقيقة واقعة .

إن هذا الإحساس بالهجوم ، يلقى كثيرا من الضوء على تفاقم المشكلة بين الإسلام والغرب والعربى الحديث يقف موقف الدفاع عن نفسه ، وعن مجتمعه ضد الاعتداء ، حتى أصبحت كل حركة ترمى إلى خلق ثقة بالعالم الخارجى ، تزيد من هذا العداء ، حتى لقد أصبحت كراهية الأجنبى صريحة فى كثير من المدن الإسلامية الكبرى ، وكان من نتيجة هذا الشعور أن أصبح المسلمون فى هذه الأيام يضرعون إلى الله أن يتركوا وشأنهم ، ولكنهم تبينوا أنه لا يمكنهم ترك الدفاع مادامت هناك هجمات ، إذ أصبح لهذه الهجمات رد فعل ، فى عقولهم ، ومشاعرهم ، واتخذوا فى دفاعهم طريقين : طريق الفكر ، أو المعاذير ، وطريق العمل .

كلمة وفاء

فى ذكرى أستاذنا فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى

"رحمه الله" المتوفى فى ١٥ من المحرم ١٤٠٣هـ

للدكتور : عبد الفتاح إسماعيل شلبى

كان مولد أستاذنا الشيخ العلامة عبد الفتاح القاضى ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م بمحافظة البحيرة ، وفى مدينة دمنهور التى نشأ فيها علماء مشهورون ملأوا الأرض علما حتى يومنا هذا .

حفظ القرآن الكريم وجوده ، وتلقى قراءاته على أكابر الشيوخ فى عصره . . وتلقى علومه الثانوية بمعهد الإسكندرية الدينى ، ثم ارتحل إلى القاهرة حيث حصل على شهادة العالمية ، ثم التحق بالتخصص القديم : « شعبة التفسير والحديث » حيث نال شهادته التى تعادل (الدكتوراه) سنة ١٣٥٥هـ ، وتقلب الشيخ فى



وظائف مختلفة كان آخرها فى مصر المدير العام للمعاهد الأزهرية .

طارت شهرة الشيخ ، وفطن لعلمه وقدره سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، فأسند إلى الشيخ عبد الفتاح القاضى إنشاء « كلية القرآن الكريم » بالجامعة ، فأولاها الشيخ القاضى عناية ورعاية ، وارتبط بها ارتباطا وثيقا ، تخطيطا وتدريسا ومنهجا وكتابا ، واختار للتدريس بها أساتذة لهم الصدارة فى علوم القرآن والقراءات .

وحنا الشيخ على طلابها ، فأحبهم وأحبوه ، حتى أصبحت هذه الكلية بفضل رعاية الشيخ لها منارة ومصدرا للإشعاع فى أقطار العالم الإسلامى .

وقد هيأ الله للشيخ الأعلام من أكابر الشيوخ أخذ عنهم القراءات تجويدا وتعليما ، أمثال الشيخ محمود بن محمد غزال .

وفى دراسته العالية كان من شيوخه الأئمة من علماء الأزهر فى فروع العلم المختلفة : التفسير ، والفقه ، والحديث ، والبلاغة ، واللغة ، وحسبنا أن يكون من أساتذته : أصحاب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر الأسبق ، والشيخ عبد الله دراز ، والشيخ محمود خطاب السبكى ، والشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق ، والشيخ سيد بن على المرصفى .

وكان من طلابه الذين أخذوا عنه القراءات ، وتخرجوا على يديه الأفاضل الأكابر من علمائنا : الشيخ موسى شاهين لاشين ، والدكتور عوض الله حجازى ، والدكتور زكريا البرى ، وغيرهم من المصريين .

كما كان من طلابه الشيخ على بن عبد الرحمن الحذيفى الإمام بالحرم النبوى الشريف ، والشيخ إبراهيم الأخضر .

ومن أبرز أعمال الشيخ كذلك رياسته للجنة تصحيح المصاحف بمصر ، وإنشاء كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة ، وقد حدثتك عنها منذ قريب .

ولفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى مؤلفات عدة بعضها منظوم ، وبعضها منثور ، وقد تنوعت هذه المؤلفات بين الدراسات القرآنية ، والفقهية ، واللغوية ، وقد صاغها الشيخ بأسلوب سهل ، قريب إلى أذهان الطلاب والمتعلمين ، ومن هذه المؤلفات :

- « الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع » .
- « البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة » .
- « النظم الجامع لقراءة الإمام نافع » : وقد جعلها من بحر الرجز ، حيث يقول فى أبياتها الأولى :

وهذه أرجوزة ضمنتها
حروف نافع ، وقد هذبتها

- « شرح النظم الجامع » ، وهو شرح النظم السابق ، أورده الشيخ ـ رحمه الله ـ فى إيجاز واضح .
- « القراءات الشاذة ، وتوجيهها من لغة العرب » .

ذكر فيه قراءة الأئمة الأربعة بعد العشرة ، الذين تواترت قراءاتهم ، وبين وجه قراءة كل إمام من الأئمة الأربعة ، احتج لها من حيث اللغة والإعراب ، لكن لا يقرأ بها نظرا لشذوذها .

● « الفوائد الحسان فى عد آى القرآن » .

وهو نظم سهل من بحر الرجز .

وقد شرح هذا النظم فى : « نفائس البيان شرح الفوائد الحسان » .

● « تاريخ المصحف الشريف » تعرض فى هذا الكتاب القيم إلى كتابة القرآن الكريم ورسمه ، ونقطه وشكله .

● « تاريخ القراء العشرة ، ورواتهم ، وتواتر قراءاتهم ، ومنهج كل فى القراءة » .

● القراءات فى نظر المستشرقين » .

وقد ناقش الشيخ ـ رحمه الله ـ الشبهات التى أوردها المستشرق : جولد زيهر ، وبين ما وقع فيه من أخطاء .

وقد وهبه الله قدرة فائقة على نظم الشعر ووظف فضيلته هذه القدرة فى الشعر التعليمى ، وبخاصة علمى الفقه والقراءات فله فى الفقه :

● « أرجوزة الميراث » فى أسلوب واضح ، وقد جعل هذه الأرجوزة من بحر الرجز ومطلعها :

الحمد لله العلى الباقى
مقدر الآجال والأرزاق

ثم يقول بعد الصلاة والسلام على النبى وآله وصحابته والتابعين :

وهذه أرجوزة الميراث
نظمتها للفتية الأحداث

● « شرح أرجوزة الميراث » وهو شرح للكتاب السابق وجاء شرحا موجزا للمبتدئين كما ذكر فى مطلع أرجوزته السابقة .

● « الصيام ، وفضائله وأحكامه » من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

ولفضيلته تحقيقات لكتب فى القراءات ، ورسم المصحف ، وعلم الضبط .

وهكذا نفع الله بعلم أستاذنا الجليل الشيخ عبد الفتاح القاضى ، على هذا النطاق الواسع من النفع العظيم فى خدمة القرآن الكريم .

وفى اليوم الخامس عشر من شهر محرم ١٤٠٣هـ ، انتقل إلى جوار ربه ، راجعا إليه راضيا مرضيا .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عما قدم من الأعمال الصالحات خير الجزاء .

الإطار الاجتماعي للدعوة والداعية في الدول الإسلامية

للأستاذ الدكتور: محمد محمد البادى*

لا تحدث الدعوة الدينية بصفة عامة داخل فراغ، ولا يمارس الدعاة أعمالهم بعيدا عن واقع الحياة الاجتماعية التى يعيشون فيها، ولا يستطيع الداعية أن يؤثر بدعوته إلا من خلال إطار اجتماعى يحكم أقواله، وسلوكياته، فى مواجهة جماهيره.

وإذا كان هذا القول صحيحا فيما يتعلق بالدعوة الدينية، أيا كانت هذه الدعوة، فإنه أكثر صحة فيما يتعلق بالدعوة الإسلامية. ذلك لأن الإسلام دين يربط بين الدنيا والآخرة، ويحافظ على توازن دقيق بين حقوق الفرد والجماعة والمجتمع، والخالق - سبحانه وتعالى - ومن ثم، كان للإطار الاجتماعى الذى يحكم دعاته ودعوته مغزى أعمق وأبعد غورا. ولقد اعترف علماء الإسلام وأئمته بهذه الحقيقة وأكدوا عليها.

ففى دراسة للشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف السابق (رحمة الله عليه) جاء فيها: أنه إذا كانت وظائف المسجد قد انكمشت فى هذا العصر بعد أن زاحمته المؤسسات المعاصرة، وبسبب فتور التدين لدى كثير من المسلمين وانحرافهم، أو قعودهم عن سلوك الطريق المستقيم، والانخداع بزخرف الحياة المادية، التى سادت فى المجتمعات غير الإسلامية، وبسبب الضعف السياسى والاقتصادى، الذى شاب الأقطار الإسلامية التى

* الكاتب: أستاذ ورئيس قسم الصحافة والإعلام - كلية الآداب - جامعة المنصورة.

وقعت فريسة للاستعمار السياسى ، بعد الاستعمار العسكرى والفكرى ، ومع الهيمنة الاقتصادية للغير ، ثم شيوع البدع والخرافات ، التى باعدت بين الكثير من المسلمين ، وبين الدين الصحيح .

وأضاف قوله : إنه إذا كان ذلك ، كان على أمة الإسلام أن تعود إلى استعادة وظائف المساجد ، وإبراز العمل بها ، فلا تظل مقصورة أو محصورة فى أداء الصلوات ، وإنما تمتد وتعود إلى التعليم ، والتربية ، والتوجيه الدينى والخلقى ، ونشر العلم والثقافة العامة(*) .

وهذه الدراسة بإشارتها إلى أهمية الربط بين المسجد والمجتمع ، وبين الدعوة ومجريات الحياة الاجتماعية ومتطلباتها ، تؤكد على أهمية الإطار الاجتماعى لكل من الدعوة والداعية من زاوية دينية أساسية ، حيث لا تأثير للدعوة والداعية إلا من خلال التعامل مع الواقع الاجتماعى .

ولقد أكدت الدراسات العلمية للإقناع أهمية هذا الإطار الاجتماعى ، ومدى قدرته على التحكم فى الآثار الناتجة عن أية عملية إقناع ، فى أى مجال من مجالات الحياة الاجتماعية باتساع المجتمع كله ، ولئن كانت هذه الدراسات عددت مفاهيم أخرى للإطار الاجتماعى ، « كالإطار الموقفى » و « الإطار الاتصالى » ، إلا أن المعانى الداخلة فى هذه المصطلحات جميعها ومفاهيمها واحدة ولا تعارض بينها ، وكلها مستمدة من الواقع الاجتماعى الذى يحيط بالداعية وهو يتوجه بدعوته إلى جماهير معينة .

ويهمنا هنا أن نتناول هذه المصطلحات جميعها من الناحية العلمية ، لنتعرف على تطبيقاتها فى مجال الدعوة الدينية الإسلامية ، وأهميتها ، وكيفية استثمارها ، لدعم فعالية الدعاة وقوة تأثيرهم وسط متغيرات اجتماعية قاسية ، تعصف بقلوب المسلمين وعقولهم ، وتجعلهم فى دوامة فكرية وثقافية ، تفصل بينهم وبين الدعوة وأهدافها النبيلة .

فعلى ضوء النتائج التى انتهت إليها تلك الدراسات العلمية فى مجال الإقناع ، تبين : أن الإطار الاجتماعى أو الموقفى أو الاتصالى الذى يحيط بكل عملية للإقناع بكل تطبيقاتها ، بين مفاهيم كثيرة ، وكلها ذات تأثيرات متباينة ومؤكدة على كل من القائم بالإقناع ورسالته وجماهيره ، كما أن لها مغزاها للدعوة الدينية الإسلامية .

فمن الناحية العلمية ، نجد أن الإطار الموقفى أو الاتصالى الذى تجرى داخله عمليات الإقناع . يعتبر أحد العناصر الأساسية المشكلة لكل عملية منها ، إلى جانب القائم بالإقناع ورسالته والوسيلة التى تستخدم لنقل رسالته ، والجماهير المستهدفة منها . ويقصد بهذا الإطار الموقفى أو الاتصالى تلك الخلفية الاجتماعية والمادية والمعنوية المستمدة من الإطار الاجتماعى المحيط بها ، والتى تعطى لعملية الإقناع دوافعها ، والتى تساعد كلا من الطرفين المتقابلين فى كل عملية إقناع ، وهما القائم بالإقناع وجماهيره المستهدفة ، على فهم رسالة الآخر وتفسيرها ، والاستجابة لها ، على أساس أن كل عملية إقناع تقوم على اتصال هادف يتبادل خلاله الطرفان التأثيرات ، لكى يصل

(*) فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق : المسجد إنشاء .. ورسالة .. وتاريخا . ملحق مجلة الأزهر ، عدد رمضان عام ١٤١٦ هـ . الصفحات ١٧ و ٢٨ و ٢٩ .

القائم بالإقناع فى النهاية إلى غايته . والإطار الموقفى أو الاتصالى أو الاجتماعى ، بهذا التعريف ، يحمل تأثيراته على الطرفين معا ، كما يحمل تأثيراته على النتائج التى تنتهى إليها كل عملية للإقناع .

والإطار الموقفى أو الاتصالى أو الاجتماعى يضيق أو يتسع ، بحسب المتغيرات الكائنة فيه ، فى مواجهة كل عملية للإقناع . ومع أننا نجد أن بعض الباحثين يستعملون هذا المصطلح استعمالا ضيقا لا يستوعب إلا بعض المعانى المحدودة ، إلا أن النظرة الواقعية لمفهوم هذا المصطلح ووظائفه تحتم ربط معانيه بطبيعة عمليات الإقناع التى تتنوع وتتعدد بتنوع تطبيقاته وتعددها . فلكل عملية إقناع إطارها الموقفى أو الاتصال أوالاجتماعى ، ولكل إطار متغيراته التى تحكم معانيه . وهذا ينطبق على المجال التطبيقى للدعوة الإسلامية ، كما ينطبق على مجالات الإقناع الأخرى وتطبيقاتها .

فقد يعنى الإطار الموقفى أو الاتصالى مايسمى « بالأرضية المشتركة » بين الطرفين الداخلين فى عملية إقناع معينة . ويقصد بالأرضية المشتركة تلك الجوانب المتشابهة التى تخلق تآلفا بين ميول الطرفين وخبرتهما ، ويمكن أن تؤدى إلى عبور فجوة الخلافات والاختلافات بينهما . وهى بهذا المعنى ، تصبح أكثر اتصالا بالماضى ، لأنها تجمع عوامل تعمقت شخصية كل طرف منهما ، لأنها عوامل مكتسبة من النظام الاجتماعى المحيط بالإنسان ، على أساس أن البيئة المحلية ، والمجتمع لهما تأثيرهما على شخصية الفرد فيهما .

ولعل التاريخ المشترك وظروفه المشتركة التى مرت بالمجتمعات الإسلامية ، والتى أدت إلى الضعف السياسى ، والاقتصادى ، والفكرى ، والثقافى ، تصلح أمثلة واقعية فى مجال الدعوة الإسلامية ، والتى تصنع أرضية مشتركة بين الدعاة وجماهيرهم فى هذه المجتمعات .

وقد يعنى الإطار الموقفى أو الاتصالى ما يسمى بالخلفية المشتركة ، ويقصد بها وجود بيئة مناسبة ، أو غير مناسبة للتعامل بين الطرفين الداخلين فى عملية إقناع معينة ، وهى تجمع عوامل ومتغيرات متباينة . فقد تعنى ظروف المكان والزمان التى تجرى فيها عملية الإقناع ، أو قد تعنى درجة الحرارة وقت حدوث عملية الإقناع ، وقد تعنى الحوادث الجارية والضاغطة على الطرفين ، أو قد تنصرف إلى التقاليد الثقافية والاجتماعية التى تشكل خلفية لما يدور بين الطرفين ، وهى كلها عوامل ومتغيرات منفصلة عن شخصية كل طرف منهما ، وأكثر اتصالا بالظروف الحالية الموجودة خلال عملية الإقناع ، كما أنها عوامل تشكلها ظروف النظام الاجتماعى الذى ينتمى إليه الطرفان ومتغيراته .

ولا شك أن هذه المعانى لها تطبيقاتها الهامة فى الدعوة الإسلامية . فتوقيت الدعوة ومكانها لهما أهمية بالغة ، والحوادث الجارية فى المجتمعات الإسلامية والعالم من حولها لها أهميتها أيضا ، ومراعاة التقاليد الثقافية فى مجتمع خارجى لها أهميتها كذلك . وهى كلها عوامل ينبغى أن تدخل فى الحسبان إذا أراد الداعية لدعوته النجاح والفعالية .

وقد يعنى الإطار الموقفى أو الاتصالى - أيضا - ما يسمى بالمصالح المشتركة بين الطرفين . وهذه المصالح المشتركة تتحقق إذ شعر كل طرف أن مصالحه الخاصة تتحقق إذا حقق الطرف الآخر

مصالحه الخاصة . وإذا كانت هذه المصالح المشتركة أكثر وضوحا فى مجالات السياسة والاقتصاد ، فإنها لا تقل وضوحا فى مجال الدعوة الدينية الإسلامية ، فكل من الداعية وجماهيره المسلمة لها مصلحة مشتركة فى فهم الإسلام وتطبيقه فكرا وقولا وسلوكا ، مما يجعل الطرفين يقبلان على التفاعل معا ، إذا توفرت الظروف الأخرى المتصلة بالعناصر الأخرى لعملية الإقناع كالرسالة والوسيلة . أما إذا كانت الجماهير غير مسلمة ، فهنا يكون على الداعية أن يهتدى إلى مايجمع بينه وبينها من مصالح مشتركة ، وأن يربط بين دعوته وبين هذه المصالح المشتركة .

ويضاف إلى ذلك ، مايعنيه الإطار الموقفى أو الاتصالى من معان تتصل بالمثيرات الاجتماعية . ويقصد بها ما يقدمه النظام الاجتماعى الذى ينتمى إليه الطرفان الداخلان فى عملية إقناع معينة من ظروف ومتغيرات تشكل مع الحاجات الإنسانية مثيرات ودوافع لكلا الطرفين .فإذا كانت هذه الظروف والمتغيرات واضحة فى علاقتها بالحاجات الإنسانية ، إلى جانب وضوح السلوك المطلوب لإشباع هذه الحاجات ، قلنا بأن الإطار الموقفى أو الاتصالى يقدم مثيرات اجتماعية إيجابية لعملية الإقناع ، والعكس صحيح .

ولاشك أن الربط بين الظروف السائدة فى مجتمع إسلامى أو غير إسلامى ومعان دينية إسلامية معينة ، بالكيفية التى توضح للجماهير كيفية إشباع هذا الربط لحاجات إنسانية يحسون أهميتها ، يمكن أن تحقق هذا المعنى من معان الإطار الموقفى أو الاتصالى فى الدعوة الإسلامية .

ويضاف إلى ذلك أيضا ، ما يعنيه الإطار الموقفى أو الاتصالى من معان تتصل بالتنظيمات الاجتماعية التى تنتمى إليها الجماهير المستهدفة من عملية إقناع معينة . ويقصد بها تلك الجماعات التى ينتمون إليها ، كالأسر والطوائف والطبقات والفئات والعشائر والقبائل ، وما إليها ، وهى جميعها تشكل النظام البنائى فى مجتمع معين . وهذا يعنى : أن الكيفية التى يستثمر بها القائم بالإقناع طبيعة هذه الجماعات وعلاقاتها وحاجاتها وثقافاتها ، بالربط بينها وبين مضمون دعوته ، يمكن أن تؤثر على نجاحها . وهذا واضح فى مجال الدعوة الإسلامية ، ولا يحتاج إلى أمثلة أو أدلة ، خاصة إذا كان الداعية فى مجتمع قبائل أو عشائرى كالمجتمعات الأفريقية مثلا .

كما يضاف إلى ذلك ، ما يعنيه الإطار الموقفى أو الاتصالى من معان تتصل بالعمليات النفسية المعقدة التى تحدث داخل هذه التنظيمات الاجتماعية ، التى تنتمى إليها الجماهير المستهدفة . ومن أهم هذه العمليات الكيفية التى يقيم بها الفرد ذاته ، ويقيم الآخرين داخل جماعته ، والكيفية التى يتحقق بها الاعتماد المتبادل بين أفراد الجماعة ، وطبيعة الاتصال بينهم ودرجته ، ودرجة السلطة والنفوذ التى يتمتع بها كل فرد ، والأدوار الاجتماعية للأعضاء وما تخلقه من توقعات مشتركة . وهذه العمليات النفسية تؤدى إلى علاقات اجتماعية إيجابية أو سلبية بين الأفراد ، المنتمين إلى جماعة معينة ، وتشكل الإطار النفسى والاجتماعى الذى يسود هذه الجماعة أو تلك .

ولعل الأهمية القصوى لدراسة الجماعات الإنسانية فى كل مجتمع ، بكل ما يجرى داخلها من عمليات ، وما يترتب عليها من مناخ إيجابى أو سلبى ، تعتبر مدخلا قويا ، لأنها تجعل الداعية

يفهم نفسية جماهيره وبناءها الاجتماعى ، قبل أن يوجه إليها دعوته بالكيفية التى تلقى بها آذانا صاغية ونفوسا طيعة وقلوبا لينة .

وعلى ذلك ، يكون الإطار الموقفى أو الاتصالى أو الاجتماعى له ضغوطه وتأثيراته على الدعوة والداعية ، بالكيفية التى لا يمكن معها تجاهله ، بل وبالكيفية التى تحتّم دراسته بوعى وإدراك وتعقل ، وبما يحقق الاستفادة العملية منه ، عندما يصوغ الداعية دعوته ، إذا أراد لها تفاعلا إيجابيا مثمرا واستجابة روحية وفكرية وسلوكية عميقة .

وعلى ذلك أيضا ، يكون تساؤلنا هنا عن الكيفية التى يمكن بها أن يستفيد الداعية من الإطار الموقفى أو الاتصالى أو الاجتماعى بكل معانيه ، وهو يتوجه بدعوته إلى جماهيره ؟! وتكون إجابتنا عن هذا التساؤل ، كما يلى :

أولا : قبل إعداد رسالته ، ينبغى على الداعية :

١ - أن يدرس طبيعة المجتمع الذى يوجه إليه دعوته ، وأن يدرس بنيانه وثقافته ، والعلاقات بين أفراده وجماعاته ، سواء من الناحية النفسية أو الاجتماعية ، وأن يدرس مناسباته التاريخية والقومية ، كما يدرس المؤثرات الإعلامية والثقافية داخله وخارجه ، وما شابه ذلك .

٢ - أن يدرس البيئة التى يقيم داخلها ، ويوجه إلى سكانها دعوته . وليكن معلوما أن الثقافة العامة لكل مجتمع تنقسم إلى ثقافات فرعية ، كالثقافات البيئية والطائفية . وليس هناك تعارض بينها . فالبيئة الريفية مثلا لها ثقافتها التى تختلف فى كثير أو قليل عن ثقافة البيئة الصناعية ، وهكذا ، وكلتاهما لا تتعارض مع ثقافة المجتمع الكبير الذى تنتميان إليه ، بل إنه يستوعب كلتيهما ، ويبلور ثقافة عامة تختلف بدرجات متفاوتة عن كل منهما .

ثانيا : عند إعداد رسالته ، ينبغى على الداعية :

١ - أن يكون هناك انسجام وتوافق بين الأدلة والشواهد التى يستخدمها وبين ما يجرى فى المجتمع والبيئة اللذين يوجه دعوته من خلالها إلى جماهير مستهدفة فيها .

٢ - أن يستثمر المثيرات الاجتماعية ، كالمناسبات التاريخية والاجتماعية ، بالكيفية التى تلتقى مع حاجات الناس ، حتى يتولد عندهم الدافع إلى الاستماع لدعوته والاستجابة لها .

٣ - أن يضع فى اعتباره ظروف المكان والزمان كالحرارة والمطر والبرد والزحام والظروف الخاصة لكل فرد والظروف الضاغطة على نفسية الجماهير ، إلى جانب مراعاة اهتمامات الجماهير واتجاهاتها ، حتى تخرج دعوته متوافقة مع واقعهم وظروفهم وإمكاناتهم ومستوياتهم وحاجاتهم . فليس بطول الخطبة مثلا يقاس نجاحها ، وليس بالحماس والتعصب والصياح والعويل والبكاء يستجيب الناس . وأقوال الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - خير شاهد على ذلك ، عندما قال (ﷺ) : « يسروا ولا تعسروا » - متفق عليه - بمعنى أن يكون الدعاة مبشرين ولا يكونوا منفرين ، وأن يعاملوا الناس على قدر عقولهم ، وأن يخففوا عن الناس عند الصلاة .

ومن ذلك ما رواه الإمام مالك عن أبى هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا كان أحدكم يصلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم السقيم والضعيف ، فإذا كان يصلى لنفسه فليطل ما شاء .

كذلك أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة - أيضاً - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا أمّ أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض ، وإذا صلى وحده فليصل كيف شاء .

وقال الإمام الشافعي[1] : روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان أخفّ الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه .

٤ - أن تكون دعوته منسجمة ومتوافقة مع ما يقال أو يجرى فى المجتمع والبيئة اللذين يدعو من خلالهما ، وإذا كان هناك تعارض ، فليجد حلا لهذا التعارض حتى لا تكون كلماته جوفاء ودعوته خاوية . فالدعوة الإسلامية حياة اجتماعية متكاملة ولا تنفصل عن واقع الناس ، ويكون على المسئولين عنها فى كل مجتمع إسلامى أن يتحملوا هذه المسئولية ، ليوفروا للدعاة مناخا مناسبا .

ثالثا : خلال توجيه رسالته وبعدها ، ينبغى على الداعية :

١ - أن يقيس مدى استجابة الجماهير لدعوته ، سواء كان هذا القياس باللفظ أو التعبير الحسى أو الفعل . وكلما كان الداعية أقرب إلى البيئة التى يوجه من خلالها دعوته ، كلما استطاع أن يلمس آثار دعوته بوضوح . ثم إن انطباعات الناس ومشاعرها ، وملامح وجوهها ، كلها تعطى للداعية مؤشرات قوية على ردود فعلهم تجاه مضمون رسالته . والحرص على تلقى ردود الأفعال يحدد مدى نجاح دعوته .

٢ - على الداعية أن يغير من أسلوبه وأدلته وشواهده بالكيفية التى تتناسب مع ردود الأفعال التى يتلقاها ، حتى يستطيع أن يحقق تفاعلا أكبر مع دعوته واستجابة أكثر معها .

٣ - على الداعية أن يعلم أن آثار دعوته لا تتحقق من رسالة واحدة ، وأن التكرار المتنوع والمحسوب ، يمكن أن يحقق هذه الآثار على التوالى وبشكل متراكم ، على أن يكون واضحا أن الملل والضجر والسأم صفات إنسانية طبيعية وعلى الداعية أن يتعامل معها بوعى وإدراك .

وإذا كنا لا نستطيع أن نحمل الدعاة كل هذه المسئوليات التى يفرضها الربط بين الإطار الاجتماعى والدعوة والداعية ، وخاصة فى مجال البحوث والدراسات اللازمة لرسالتهم ، فإن المسئولين عنهم فى وزارة الأوقاف والأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، يستطيعون أن يقيموا جهازا للبحوث العلمية الاجتماعية ، وتكون النتائج التى يصل إليها تحت تصرف الدعاة ؛ ليستفيدوا منها ، سواء قبل إعداد رسالتهم أو خلالها أو بعدها .

وخلاصة القول هنا : أنه إذا كان الانفصال بين الدعوة والداعية ، وإطارهما الاجتماعى سببا واضحا لما أصاب الدعوة الإسلامية من ضعف ، بالكيفية التى أشار إليها فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى دراسته التى استشهدنا بها ، فإن التفاعل الإيجابى بين هذه العناصر الثلاثة على أسس علمية مدروسة ، يعتبر مدخلا قويا إلى داعية أكثر تفاعلا ، ودعوة أكثر تأثيرا فى مواجهة متغيرات ثقافية عنيفة وضاغطة ، سواء من داخل المجتمعات الإسلامية أو خارجها .

---

(١) راجع كتاب الأم - طبعة دار الغد العربى - جـ ١ صـ ٢٤٩





للدكتور: محمد عبد الحكيم

ليس من شك فى أن أمتنا العربية قد شرعت فى إنهاء مرحلة الضعف والتفكك وأخذت فى تجميع كلمتها بما يعود عليها وعلى المسلمين بالنفع ويجعلها قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة ويصل بها إلى بر الأمان والسلام بمشيئة الله تعالى .

وأذكر أن مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى القاهرة فى شهر يونية (١٩٩٦) بدعوة من الرئيس مبارك إلى القادة العرب ، كان خطوة رائدة على هذا الطريق ، حيث تمت فيه المصالحات بين بعض الزعماء العرب ، حيث الخروج بموقف عربى موحد من القدس وفلسطين والأراضى العربية المحتلة .

وكان ـ أيضاً ـ من أهم ما خرج به المؤتمر فى بيانه الختامى الذى نشرته الصحف المصرية فى ذلك الوقت ، هو دعم السلام كخيار استراتيجى عربى وحمايته ، على أن يكون عادلاً وشاملاً يقوم على مبدأ « الأرض مقابل السلام » وقرارات مجلس الأمن ومقررات مؤتمر مدريد ، والنص على أهمية انضمام كافة الدول بالمنطقة إلى اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية ، والتزام إسرائيل بإخضاع منشآتها النووية للمراقبة الدولية كضرورة لأمن المنطقة واستقرارها .

وعلى الرغم من أن انعقاد « القمة العربية » على هذا النحو الطيب كان مكسباً كبيراً للتضامن العربى الذى عاد ويعود بالخير على شعوب أمتنا العربية والإسلامية ، وأنه فتح الباب لعقد قمم عربية أخرى توفر المزيد من الأمن والاستقرار فى

---

* مدرس الصحافة بكلية الآداب جامعة المنصورة .

المنطقة ، إلا أنه فى ظل التعنت الإسرائيلى تجاه كل ما هو عربى وكل ما هو إسلامى ؛ تبقى حقيقة الوضع القائم لأحوال العرب والمسلمين بصفة عامة ، وتبقى حقيقة التحديات التى تواجه أمتنا بأبعادها المختلفة .

تلك التحديات التى لم تفارق أمتنا فى الماضى متمثلة فى الحروب الصليبية والغزو المغولى وسقوط الأندلس فى يد الصليبيين ، وفى الحاضر متمثلة فى : التعنت الإسرائيلى ، والاستشراق المعادى ، والعلمانية ، والحركات الهدامة داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، والتى تشهد آثرها فيما تشهده بعض ساحات الوطن الإسلامى من قتال وفتن وإبادة .

إن من ينظر إلى حال الأمة الإسلامية اليوم بسهولة ما يراه من مظاهر الضعف والوهن فيها ، حتى أصبحت الشكوى من هذا الوضع قاسماً مشتركاً لدى المفكرين والعلماء وعامة الناس إن كان اليأس من الإصلاح يسيطر على الكافة .

ومن ثم أصبح على العلماء والمفكرين « كفرض عين » مواجهة أسباب الضعف فى الواقع الملموس بصراحة كاملة ، وبتجرد بعيد عن المجاملات ، تلك المجاملات التى يرى البعض أنها هى السبب الأول لما نحن فيه من عناء .

ولعل ما يزيد من خطر المسئولية هو إدراك حجم المخططات الساعية لمسخ شخصية الأمة وتبديد طاقتها وثرواتها بالغزو الثقافى عبر قنوات الاتصال والسماوات المفتوحة .

سؤال يطرح نفسه :

فما هى أسباب الوهن ومظاهر الضعف فى الواقع العربى والإسلامى ، وكيف يمكن مواجهتها فى ظل التعنت الإسرائيلى وما تضعه من عراقيل أمام المسيرة السلمية ؟ وفى ظل التحديات المطروحة بصفة عامة ، حتى تتمكن من تجاوز خط التواكل والخمول إلى خط العمل والتأثير فى رُكب الحضارة العالمية كسالف عهدنا فى المجد والدور والمكانة ؟ أو بمعنى آخر ، ما هى ركائز البقاء لأمتنا العربية والإسلامية فى ظل التحديات المعاصرة ؟

رؤية الإمام الأكبر :

وقد سبق أن نص فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى[1] على أن أولويات العمل من أجل تحقيق مفهوم الأمة الواحدة ، أو الجسد الواحد الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، هى الاعتماد على عدة ركائز ، كل ركيزة منها متى طبقت ومتى نفذت ستعود على الأمة العربية والإسلامية بالخير ، هى : ركيزة الاتحاد . ركيزة التكاتف .

ركيزة التعاون . ركيزة الإخلاص .

ركيزة الشعور بأننا جميعا فى مركب واحد .

وأننا ـ جميعا ـ تظلنا سماء واحدة وتقلنا أرض واحدة .

وأننا ـ جميعا ـ تجمعنا مصالح مشتركة .

فالأمة العربية ـ والكلام لفضيلته ـ يجب عليها أن تتكاتف من أجل الدفاع عن حقوقها ، ومن أجل الدفاع عن دينها ، ومن أجل الدفاع عن كرامتها .

رؤية عالم أزهرى :

وتحت عنوان « الوحدة أولاً » رصد فضيلة الشيخ عبد المعز الجزار (رئيس تحرير مجلة

(١) من حديث صحفى مع فضيلته فى مكتبه .

الأزهر) أحوال الأمة الإسلامية بعد أن عقد مقارنة بين سالف عهدها المزدهر فى ظل مبدأ التآخى بين المهاجرين والأنصار ، وبين واقعها الراهن ، ثم قال فضيلته فى محاولة لتشخيص الداء والدواء[1] :

و أما الآن فقد تأخر المسلمون ، وأضاعوا مجدهم ، بسبب إهمال دينهم وكتابهم العزيز ، فلم يعملوا بأحكامه ، ولم يتخلقوا بأخلاقه ، ولم يتحلوا بآدابه ، ولم يأبهوا لنصوصه وأحكامه ، ولو تأملوها وعملوا بمقتضاها لاستقامت أمورهم واتسقت أفكارهم وانتظمت دولهم وهو نبراس لكل من يستضىء به فى تقنين القوانين ، وتنظيم الشرائع وسياسة الأمم ، وإدارة دفة الدول .

ولما لم يعمل المسلمون بدينهم القويم وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم أظلمت قلوبهم ، وعميت بصائرهم ، وهانت عليهم نفوسهم ، وخارت قواهم .

والدين أقوى قاعدة فى صلاح الدنيا واستقامتها ، وأجدى الأمور نفعا فى انتظامها وسلامتها ، وهو الفرد الأحد فى صلاح الآخرة ، وما كان به صلاح الدنيا والآخرة ، فحقيق بالعقل أن يكون به متمسكا وعليه محافظا .

ثم إنه بسبب تدابر المسلمين وتقاطعهم وتنابذهم وتباغضهم وتهاترهم وتحاسدهم وإيقاع بعضهم فى بعض ، وتنافسهم فى التافه من الشىء من غير أن يكون لهذا التنافس فائدة تعود عليهم ، حتى تقطعت أوصالهم وتفككت عرى الألفة والمحبة بينهم جميعا ، حتى بين الآباء والأبناء ، والإخوة والأخوات ، والأزواج والزوجات ، والمعلمين والمتعلمين ، فلا توجد بين الجميع محبة ولا رأفة ولا رحمة ، وفقد الاحترام بين الجميع .

وحينئذ أصبح المسلمون مفككين ، وصاروا أذلة فى أوطانهم ، وهانت عليهم أنفسهم ، وضاعت أرضهم ، وعلى رأسها : القدس والمسجد الأقصى .

وأخيراً : فإن قوة المسلمين فى وحدتهم ، وتعاونهم ، وتضامنهم ، وتآزرهم ، ووحدة كلمتهم ، وإن صلاح أمر المسلمين إنما يتحقق بالالتزام بشرع الله عز وجل ، واتباع سنة رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعمل بالمنهج الذى حدده الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده فى الأرض .

وفى ضوء هذه الرؤية نجد أن هناك أزمة توهن جسد الأمة العربية والإسلامية ، وهذه الأزمة لها عناصر أو مظاهر ضعف تحيط بها وتثقل كاهل العمل الإسلامى ، وتحجب عنه رؤية الطريق ، لعل من أبرزها :

١ ـ الخلاف والتنازع .

فقد حطم التنازع البنية الحية فى الوجدان المسلم ، مع أن الله ـ عز وجل ـ نهانا عنه ورتب عليه نتيجة من أخطر النتائج وهى الفشل وذهاب الريح . فقال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال/٤٦)

والمعنى[2] : ولا تتنازعوا فيما بينكم فتتفرق كلمتكم وتذهب قوتكم ودولتكم وتجرى الأمور على غير ما تريدون من النصر ، والفشل فى الأصل : الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر ، وأكثر

(١) مجلة الأزهر عدد ذى القعدة ١٤١٨هـ ، مارس ١٩٩٨ ص١٧٢٨ .

(٢) تفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ الحزب ١٩ صفحات ١٦٣٠ ـ ١٦٣١ .

أسبابه : الضعف والجبن ، ولذلك فسروه بها) أ . هـ .

فهذه الآية تعبر عن حال الأمة الإسلامية إذا اختلفت وتنازعت أفضل تعبير .

٢ - فقدان المنهج .

ويعد التنازع في حد ذاته نتيجة مترتبة على فقدان المنهج المتمثل في كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهما من أهم عوامل قوة الأمة الإسلامية ووحدتها وتضامنها ما إن اعتصمت الأمة الإسلامية بهما .

يقول تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾

(الكهف/ ٥٧) .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾

(السجدة/ ٢٢) .

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾

(المائدة/ ١٣) .

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

(يوسف/ ١٠٤) .

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾

(النور/ ٣٧) .

فلاشك أن نسيان هذا الذكر هو فقدان للمنهج ، يليه الخضوع والمهانة ، بينما العمل بمقتضاه فيه الشرف والبقاء والحياة ونعمة الحضور في المجتمع الدولي بتقدير وتوقير .

٣ - خلافات الحدود :

ويأتي التعصب للجغرافيا والتاريخ بالخلافات على الحدود بين بعض الدول العربية والإسلامية في مقدمة عوامل الضعف التي تفتت في كيان الأمة ، حيث تقوم الحرب ويقع الضحايا وتنزف الدماء وتهدر الطاقات بسبب التعصب للتاريخ أو الجنس مع أن هذه الأراضي أراض عربية إسلامية سواء هنا أو هناك .

على أن هذه الخلافات حول الحدود وغيرها من مظاهر الضعف والوهن في أمتنا ، إنما تستمر استجابة لرغبات غربية غير معلنة ، لأن مصلحة الغرب تقتضي وجود عدد كبير من الدول المستقلة والمتناحرة في نفس الوقت حتى تتضاءل إمكانية الوفاق والتكتل فيما بينها أكبر ، فليس من مصلحة الغرب وجود دولة واحدة قوية في المنطقة العربية أو وحدة صف في المجتمعات الإسلامية !

تشويه الصورة الإسلامية :

ولا يكاد يطل يوم جديد إلا بهجمة شرسة على الإسلام تبغي تشويه صورته النقية ، تلك الهجمات التي تأخذ أشكالا عديدة منها : بروز الخلافات بين بعض شعوب الأمة الإسلامية ، بل بين أبناء الشعب الواحد .

وهكذا يجرى اختراق الإسلام اليوم بوسائل عديدة من قبل الذين يدركون قيمته وقوته وحضارته بغية قطعه عن جذوره تمهيدا للقضاء عليه .

التحدى الثقافي وثورة المعلومات :

وتأسيسا على ما تقدم من مظاهر الضعف في الجسد العربي والإسلامي يمكن النظر إلى التحدى المعرفي أو الثقافي الذي يواجه عالمنا العربي والإسلامي على أنه من أخطر التحديات التي تواجهه بسبب الثورة التكنولوجية والتطور المستمر لشبكة الاتصالات الفضائية القادرة على اختراق الحدود السياسية والجغرافية ، لاسيما أن هناك

قاعدة تقول : « إن من يملك التكنولوجيا هو الذى يحكم وهو الذى ستكون له السيادة فى موضوع هذه التكنولوجيا ، وهى مادة الفكر التى تحملها أوعيتها ، فهل يمكن توظيف ما تملكه من وسائل وقنوات إعلامية ـ مصرية وعربية ـ فى رأب هذا الصدع ومواجهة هذا التحدى ؟؟

ويرى بعض خبراء الإعلام أنه إذا كانت تكنولوجيا الاتصال هى المحك الحقيقى لقياس قوة الدول وكان الشق الأساسى لهذه التكنولوجيا هو « الهاردوير Hardwire » المتمثل فى الأجهزة الصناعية والحاسبات الآلية « الشهيرة بالكمبيوتر » وأجهزة التلفاز ، وما شابهها ، وهو شق نستورده ولا نملكه ؛ فلا أقل من أن نطوعه وأن نتحكم فى المضمون وهو « Softwire » ، ونسيطر على مفرداته ، بحيث يصبح الإعلام الإسلامى من أهم مقومات القوة لعالمنا فى عصر ثورة المعلومات .

والحق أنه كلام كان مقبولا قبل أن تتوسع مصر والمنطقة العربية فى القنوات الإقليمية والفضائية ، فقد أصبح لدينا فى مصر عدا القناتين التليفزيونيتين المركزيتين (الأولى والثانية) ست قنوات إقليمية هى : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة ، فضلا عن قناة النيل الدولية ، وقناة المعلومات ، وقناة النيل للدراما وغيرها ، ثم القناة الفضائية المصرية المستأجرة على القمر الصناعى العربى (Arabsat-1) ، والقناة غزيرة الإشعاع على القمر الصناعى العربى (Arabsat-2) .

وقد توجت هذه الإنجازات بدخول مصر نادى الفضاء العالمى بإطلاق أول قمر صناعى مصرى « نايل سات » (Nilesat) فى مايو (١٩٩٨) بعدد (١٢) قناة مضغوطة تصل فى مجملها إلى (٨٤) قناة فضائية .

هذا بالإضافة إلى الشبكات الفضائية المتعددة فى المنطقة العربية ، وجميعها يمكن لمصر والمنطقة العربية من خلالها وهى تمثل الـ « Hardwire » ، وبالكوادر المدربة أن تكون مصدرة للثقافة العربية والإسلامية الخاصة بها ، وهى مادة الفكر التى كانت تمثل الـ « Softwire » ، بعد أن كانت جالبة لثقافات أمريكية وأوروبية فى شكل دراما وأفلام ومسلسلات تؤثر بالقطع على الهوية والعادات المصرية والعربية والإسلامية ، تلك الثقافات التى كانت تفرض نفسها بغزارة الإنتاج وقلة التكلفة المادية .

وهكذا تأتى الخطط الجادة المشتركة القائمة على تعاليم الإسلام ومنهجه هى حجر الزاوية لدى عالمنا العربى والإسلامى عند أية محاولة للنهوض الحضارى ومجابهة التحديات المعاصرة .

وأخيراً فإنه يجب النص على أن وعد الله تعالى بالنصر والاستخلاف فى الأرض وعد مشروط بمناصرة الله ـ عز وجل .

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (محمد/٧) .

علماء من مصر

لفضيلة الشيخ: عبد الحفيظ على القرنى (٢)

تحدثنا في المقال السابق[1] عن بعض من نبغوا في مصر من علماء القراءات والحديث، ونوالي حديثنا عن علماء آخرين في ميادين أخرى.

في علم الفقه:

ولا يمكن أن ننسى الليث بن سعد الذي كان من كبار المجتهدين في العلم، وكان معاصرا للإمام مالك، واستحق ثقته، وكان مالك يتوج روايته عنه بقوله: حدثني من أرضى من أهل العلم. وهو يعني بذلك الليث بن سعد.

وكان الإمام الليث من مفاخر مصر دينا وعلما وخلقا، وهو مصري صميم وإن كان بعضهم يروي أن له أصولا أصبهانية فارسية، إلا أنه ولد في حضن أسرة مصرية كانت تعيش في «قلقشندة» من أعمال القليوبية سنة أربع وعشرين ومائة. وبعضهم يقول: ولد سنة أربع وتسعين هـ.

ونشأ بمصر وتثقف على علمائها ومن أبرزهم يزيد بن أبي حبيب، وكان الإمام الشافعي يجله ويشتاق إلى لقائه، وكان ذلك أحد الأسباب التي جعلت الشافعي يتشوق إلى مصر، ولكن مجيئه تأخر كثيرا بعد رحيل الليث إلى العالم الباقي. وفي الليث يقول الشافعي: الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

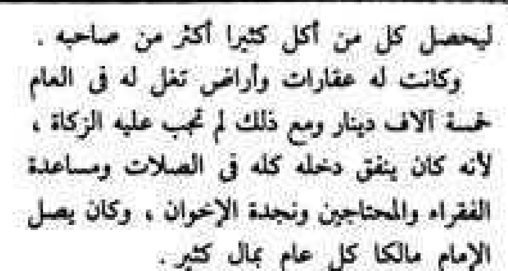
ومن إجلال العلماء لليث بن سعد أنهم كانوا يتذاكرون مسائله، ومن ذلك أنه في أثناء قراءة ابن وهب مسائل لليث على الشافعي قال رجل من العلماء: أحسن والله الليث كأنه كان يسمع مالكا يجيب فيجيب. فقال ابن وهب: بل كان مالكا يسمع والليث يجيب فيجيب، والله الذي لا إله إلا هو مارأيت أحدا أفقه من الليث.

وكان الليث إلى جانب علمه الغزير كريما فياضا بالعطاء، حمل إليه مالك صينية فيها تمر، فأعادها إليه مملوءة ذهبا، كان ذلك في أثناء زيارة الليث للمدينة.

وقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: كان يتخير لأصحابه «الفالوذج» ويعمل فيه الدنانير

---

(١) شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٩ هـ.



ليحصل كل من أكل كثيرا أكثر من صاحبه .

وكانت له عقارات وأراض تغل له فى العام خمسة آلاف دينار ومع ذلك لم تجب عليه الزكاة ، لأنه كان ينفق دخله كله فى الصلات ومساعدة الفقراء والمحتاجين ونجدة الإخوان ، وكان يصل الإمام مالكا كل عام بمال كثير .

وكان الليث بن سعد عظيم المنزلة عند القاضى والوالى حتى كانا لا يقطعان أمرا دون مشورته ، حتى قال بعض الشعراء فى ذلك بيتين وأرسلهما إلى الخليفة المنصور فى بغداد :

لعبد الله عبد الله عندى
نصائح حكتها فى السر وحدى
أمير المؤمنين تلاف مصرا
فإن أميرها ليث بن سعد

وهذا من الحسد الذى ابتلى به العلماء .

وكان الليث فقيها صاحب فهم وحكمة ، وله رأى صائب ومعرفة دقيقة بالأحكام ، وقد حدثت محاورات فقهية بينه وبين الإمام مالك حول القضايا الفقهية ومن بينها حرص الإمام مالك على تفضيل عمل أهل المدينة على غيرهم ، والأخذ بهذا العمل فى كثير من أحكامه الفقهية . . وكان الإمام الليث لايرى هذا الرأى .

ومن المحاورات التى جرت بين الإمام الليث والإمام مالك أن الإمام مالك كتب إلى الليث يقول له : بلغنى أنك تأكل الرقاق وتلبس الرقاق وتمشى فى الأسواق .

فرد عليه الليث قائلاً : صدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف ٣٢)

وهذا أبلغ رد .

وقد توفى الليث بن سعد بمصر سنة ١٧٥ هـ وقبره بمصر معروف وهو أحد المزارات المشهورة ، وهو قريب من مسجد الإمام الشافعى ـ رضى الله عنهما ـ .

قيل فيما يرويه ابن خلكان أنه بعد أن دفن الليث بن سعد سمع صوتا يقول دون أن يرى صاحبه :

ذهب الليث فلا ليث لكم
ومضى العلم قريبا وقُبر

وهو بيت يشير إلى منزلة الليث وعظم قدره ، وأن الفراغ الذى تركه بعد لا يوجد من يملؤه .

ابن عبد الحكم :

ومن أئمة الفقه فى مصر محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، ويكنى أبا عبدالله الفقيه الشافعى سمع من ابن وهب ، وأشهب من أصحاب الإمام مالك ، فلما قدم الشافعى مصر ، صحبه وتفقه به وحُمِل فى المحنة ـ محنة القول بخلق القرآن ـ إلى بغداد وامتحن ، ولكنه صمد ، ولم يجب إلى ما أريد منه ، فَرُدَّ إلى مصر ، وانتهت إليها الرياسة بها .

وقد وصل إلى منزلة رفيعة عند الإمام الشافعى ، قال المازنى : كنا نأتى الشافعى نسمع منه فنجلس على باب داره ، ويأتى محمد بن عبد الحكم فيصعد ويطيل المكث عنده ، وكان الشافعى يقول عنه : وددت لو أن لى ولدا مثله وعلىَّ ألف دينار لا أجد لها قضاء .

وهذه العبارة تشير إلى عزة الدينار فى ذلك الوقت وارتفاع قيمته حتى لأن الألف دينار تكون ثروة كبيرة . . كما تشير إلى خطورة الدين ، وأنه يمثل هما عظيما ، ولكنه يهون أمره إذا رزق الإنسان غلاما كابن عبد الحكم .

وعلى الرغم من أن ابن عبد الحكم كان أبوه مالكياً إلا أنه كان يوصى ابنه بملازمة الشافعى ، وكان ذلك سبب وصوله إلى أعلى درجات العلم .

وقد اختص الشافعى محمد بن عبد الحكم بكتاب « الوصايا » الذى كان الشافعى قد كتبه بخطه وأعطاه له ، ولم يكن الشافعى قد حدث به . قال الربيع : وجدناه بخط الشافعى عنده بعد موته .

وأثنى عليه كثير من العلماء ، قال عنه النسائى : أنه صدوق ، وتلك شهادة لها قدرها من أحد علماء السنة وأصحاب الحديث .

وقال عنه ابن خزيمة : مارأيت فى فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين منه ـ يعنى ابن عبد الحكم .

وكان محمد بن عبد الحكم صاحب أفق واسع ، ويدل على ذلك أن أحمد بن طولون أمير مصر أجرى عينا بالمغافر ، وتوقف الناس عن الوضوء منها والشرب منها بحجة أنها كانت وقفا فاستقدم ابن طولون محمد بن عبد الحكم ليلا إلى هذه السقاية ، فحين حضر شرب من السقاية وتوضأ منها ، فكان فعله هذا حجة ، فأعجب به ابن طولون ووجه إليه بصلة .

ولم يفعل ابن عبد الحكم ما فعله خوفا أو مصانعة ، ولكنه فعله فقها وعلما لأن الوقف لا ينافى استنباط الماء من المكان الموقوف والانتفاع به على سبيل الصدقة ونفع الناس ، وهذا لا يخالف شروط الواقف .

ولمحمد بن عبد الحكم كتاب فى تاريخ مصر يعد من أقدم الكتب التى ألفت فى معرفة مصر وفضائلها وتاريخها . وعليه اعتمد كثير من المؤلفين الذين جاءوا بعده .

وله غير هذا كتاب السنن على مذهب الإمام الشافعى ، وكتاب مصابيح الظلام . وتوفى ابن عبد الحكم سنة ثمان وستين ومائتين ، وقبره بجوار قبر الإمام الشافعى رحمهما الله تعالى .

البويطى :

ومتى أشرنا إلى محنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء فيها وجب علينا أن نشير إلى عالم من علماء مصر كان أحد الذين استشهدوا فيها ، وكان الإمام الشافعى قد أشار إلى استشهاده حين قدم مصر ، فقد نظر إليه متفرسا وقال له : أما أنت ياأبا يعقوب فستموت فى حديدك .

وهذه هى فراسة العلماء التى جاء فيها قوله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » رواه البخارى فى التاريخ والترمذى من حديث أبى سعيد رضى الله عنه .

والبويطى هو : أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصرى البويطى ، ينسب إلى قرية صغيرة فى صعيد مصر اسمها « بويط » هى إحدى قرى مركز ساحل سليم بمحافظة أسيوط على الشاطىء الشرقى للنيل ، وقد زرت هذه القرية مرارا ولكن أحدا فيها لا يعرف شيئا عن هذا الإمام الذى كتب لهذه القرية الخلود ، ولعل هذه الكلمة تنبه

أذهان النابهين من أبناء هذه القرية ليبحثوا عن تاريخ هذا الشيخ وينسجوا على منواله فى العلم ، حين كان تلميذا نجيبا للشافعى رضى الله عنه وغيره من الأئمة ، ثم بلغ من الثقة أن أصبح علما يروى عنه أصحاب السنن كإبراهيم الحربى والترمذى والقاسم بن المغيرة وغيرهم .

قال ابن خلكان عن البويطى فى « وفيات الأعيان » : كان واسطة عقد جماعة الشافعى وأظهرهم نجابة ، اختص به الشافعى فى حياته وقام مقامه فى الدرس والفتوى بعد وفاته

تعرض البويطى للفتنة :

الحسد وراء كل محنة يتعرض لها النابهون ، وكم أكل الحسد من قلوب ، ويشتد الحسد عادة بين العلماء أنفسهم ، وقد حسد الكسائى سيبويه ، وكان هذا الحسد سببا فى القضاء حسرة على سيبويه وهو فى شرخ الشباب ، ولهذا قصة مشهورة فى ميادين الأدب والعلم .

أما قصة حسد البويطى فيشير إليها السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » قال : كان ابن أبى الليث الحنفى قاضى مصر يحسد البويطى على حسن منزلته وارتفاع قدره بين الناس ، فسعى به إلى الواثق الخليفة العباسى أيام المحنة بخلق القرآن ، فأمر الواثق بحمله إلى بغداد مغلولا مقيدا ، وأريد منه القول بذلك فامتنع . فحبس ببغداد إلى أن مات فى القيد والحبس يوم الجمعة من رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين

وصدقت نبوءة الشافعى فيه حين قال له قبل ذلك اليوم بثلاثين سنة : أنت تموت فى حديدك .

بطولة البويطى :

ولم يلن البويطى ولم يضعف عزمه ، ولكنه أظهر بطولة فريدة ، ولم يأخذ الضرب والتضييق عليه فى الحبس ، وثقل الحديد من ثباته شيئا .

قال الربيع بن سليمان : لقد رأيت البويطى على بغل فى عنقه غُل وفى رجليه قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا ، وهو يقول : إنما خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الخلق بكلمة كن ، فإذا كانت « كن » مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا ، فوالله لأموتن فى حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون أنه مات فى هذا الشأن قوم فى حديدهم ، ولئن أدخلت على الواثق لأصدقنه .

وأصبح البويطى موضع إعجاب شديد بصموده العظيم ، وثباته الخارق ، وعزمه القوى ، وإيمانه العميق ، واجتهاده فى العبادة على الرغم مما هو فيه من ضيق وحبس . حدث الشيخ أبو القاسم الشيرازى فى كتابه « طبقات الفقهاء » قائلاً : كان أبو يعقوب البويطى إذا سمع المؤذن وهو فى السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن ، فيقول له السجان : أين تريد ؟

فيقول الشيخ : أجيب داعى الله .
فيقول السجان : ارجع عافاك الله .

فيقول البويطى : اللهم إنك تعلم أنى قد أجبت داعيك فمنعونى . وظل وهو فى السجن مواظبا على العبادة نشيطا فيها على الرغم مما يكابده من عناء السجن حتى لقى ربه راضيا مرضيا .

ويروى لنا أحد رفقائه فى السجن وهو أبو الوليد بن أبى الجارود قائلاً : كان البويطى جارى فى السجن ، فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته قارئاً يصلى ـ وقد ذكر ذلك ابن خلكان فى ترجمته له فى « وفيات الأعيان » .

مثل أعلى :

وإن كنا نعجب من صلابة البويطى فى دينه وعمق إيمانه وشدة صبره ومواظبته على العبادة وهو فى ضيق السجن وكربه ، وهو فى سن متقدمة تجعل له مندوحة أن يؤدى فرضه جالسا أو يستعمل الرخص التى يسر الله بها على عباده فى أمراضهم وأسفارهم وضوائقهم ، فإننا نرثى لحال هذا القاضى الذى وشى به للخليفة ، وعرضه لهذه المحنة ، لا لسبب إلا ذلك الحسد الذى ملأ قلبه ، والتنافس المذموم فى دنيا يملؤها الوهم ويحيط بها الفناء .

لقد رأى القاضى ما يكنه الناس من إعجاب للبويطى فهاله ذلك ، وظن أنه بوشايته تلك يتفتح له باب الإعجاب ، ويتفسح أمامه المجال للتصدر ، وماأضيق هذا من نظر !! وما أضيقه من هدف !!

ولقد ضرب البويطى المثل الكامل للعلماء ، وانتصر الحق وزهق الباطل ، وذهبت هذه المحنة التى أصيب فيها كثير من العلماء الفضلاء ، ولكنهم أبقوا بعدهم أثرا خالدا وذكرا باقيا وشهادة طيبة بأن الحق أحق أن يتبع ، وأن مناصب الدنيا زائلة ، أما كلمة الحق فهى باقية خالدة .

وصية البويطى :

كتب البويطى رسالة من سجنه إلى الربيع بن سليمان أحد تلاميذ الشافعى يقول له فيها : إنه ليأتى على أوقات لا أحس فيها بالحديد على بدنى حتى تمسه يدى ، فإذا قرأت كتابى فأحسن خلقك مع أهل حلقتك ، واستوص بالغرباء خاصة خيرا ، فكثيرا ما كنت أسمع الشافعى ـ رضى الله عنه ـ يتمثل بهذا البيت :

أهين لهم نفسى لأكرمها بهم
ولن تكرم النفس التى لا تهينها

ثروة علمية :

كان الإمام الشافعى يعرف قدر تلميذه البويطى ، وكثيرا ما كان يحيل عليه ما يرد له من أسئلة السائلين فيقول : سلوا أبا يعقوب ، فحين يجيب البويطى يقول الشافعى رضى الله عنه : القول كما قال .

وقد لقبه الذهبى فى كتابه « دول الإسلام » بأنه فقيه وقته وأعلم أصحاب الشافعى وأعبدهم .

وترك من بعده ثروة علمية تشير إلى فضله تتمثل فى عدة كتب ، منها كتاب « المختصر الكبير » ، و« المختصر الصغير » ، وكتاب « الفرائض » وهى كتب تدور حول الفقه الشافعى ومسائله ، وله كتاب « النزهة الزهية » فى علم النحو وهذا يشير إلى براعته فى النحو إلى جانب براعته فى الفقه والحديث .

رحم الله هذا العالم الموسوعى وطيب ثراه ، وجزاه عما قدم للعلم واللغة والدين والأخلاق خيرا .

ونرجو أن نلتقى فى هذا الموضوع مع أئمة آخرين ممن نشأوا فى ربوع مصر وأضاءوا آفاقها بالعلم والمعرفة إن شاء الله تعالى .

طرائف .. ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

استعن بالله

كل عسير إذا استعنت بالله فهو يسير ، وكل يسير إذا اعتمدت فيه على نفسك أو أحد من خلق الله فهو عسير .

سؤال .. وجواب

سئل حكيم عن أفضل الحكمة ، فقال : معرفة المرء بقدره ، وعن أكمل العقل ، فقال : وقوف الإنسان عند علمه ، وعن الحلم ، فقال حلم الإنسان عند استماع شتمه ، وعن أصون المروءة ، فقال : استيفاء الإنسان ماء وجهه ، وعن أكمل المال فقال : ما أعطى الحق منه ، وعن أحسن السخاء ، فقال : البذل قبل المسألة . وعن أنفع الأشياء ، فقال : تقوى الله وإخلاص العمل ، وعن أي الملوك خير ، فقال أقربهم من الحلم عند المقدرة وأبعدهم من الجهل عند الغضب .

الذكر الحسن

قال الشاعر :

وما من كاتب إلا سيفنى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه

كن على حذر

من الكريم إذا أهنته ، ومن العاقل إذا أحرجته ، ومن اللئيم إذا أكرمته ، ومن الأحمق إذا مازحته .

شكاية صريحة

قدم أمير المؤمنين ـ المنصور ـ حاجا ، فكان يخرج للطواف ليلا وبينما هو يطوف إذ برجل يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع .

فاستدعاه ـ المنصور ـ وسأله ، ما هذا الذى تقول ؟ لقد حشوت مسامعى بما أمرضنى وأقلقنى . فأجابه الرجل : إنما عنيتك بقولى ، وقصدتك ، لا سواك .

دع الأمل

يامن يعد غدا لتوبته
أعلى يقين من بلوغ غد ؟ !
أيام عمرك كلها عدد
ولعل يومك آخر العدد

خير المكاسب وشرها

قيل لبعض الحكماء : ما خير المكسب ؟

قال : خير مكاسب الدنيا طلب الحلال لزوال الحاجة والأخذ منه للقوة على العبادة ، وتقديم فضله لزاد يوم القيامة .

وأما خير مكاسب الآخرة : فعلم معمول به نشرته ، وعمل صالح قدمته ، وسنة حسنة أحييتها .

قيل : وما شر المكاسب ؟ قال : أما شر مكاسب الدنيا فحرام جمعته ، وفى المعاصى أنفقته ، ولمن لا يطيع ربه خلفته .

وأما شر مكاسب الآخرة : فحق أنكرته حسدا ، ومعصية قدمتها إصرارا ، وسنة سيئة أحييتها عدوانا .

هل أخذت نصيبك

قال رجل لآخر : إن الحاكم قد أمر لكل مجنون بدرهمين . فقال له : هل أخذت نصيبك ؟

الأعداء .. والأصدقاء

قال حكيم : انتفعت بأعدائى أكثر مما انتفعت بأصدقائى ، لأن أعدائى كانوا يعيروننى بأخطائى فأنتبه لها ، وأصدقائى كانوا يزينون لى الخطأ .

دعاء

اللهم إنى أبرأ إليك من حولى وقوتى ، وألجأ إلى حولك وقوتك ، أحمدك إذ أوجدتنا من العدم ، وفضلتنا على كثير من الأمم .

من قادة الخلفاء الراشدين



٣

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

قادة فتوح الشام :

أبو عبيدة بن الجراح ، خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص[1]

توفى الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى جمادى الآخرة من سنة ١٣ هـ ، ولما تولى عمر بن الخطاب أصدر واحدا من أهم قراراته ، وهو عزل خالد بن الوليد عن قيادة جيش الفتح الإسلامى ، فى الشام وولى بدلا منه أبا عبيدة عامر بن الجراح ، على أن أبا عبيدة لم يطْلع أحدا على خطاب الخليفة له ، حتى انتهت معركة اليرموك ، ولم ينفذ أبو عبيدة أمر الخليفة خجلا من خالد بن الوليد ، فكتب إليه عمر بن الخطاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد : فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحى فإن الله لا يستحى من الحق ، وإنى أوصيك بتقوى الله ، الذى أخرجك من الكفر إلى الإيمان ، ومن الضلال إلى الهدى ، وقد استعملتك على جند

(١) لا يمكن تناول أعمال كل قائد من هؤلاء فى فتوح الشام كل على حدة لأن الثلاثة شاركوا جنبا إلى جنب فى كل مراحل الفتح ، فضلا عن أن أبا عبيدة كان القائد العام وخالد وعمرو يأتمران بأمره .

خالد ، فاقبض جنده ، واعزله عن إمارته ، ولا تنفذ المسلمين إلى هلكة ، رجاء غنيمة ، ولا تنفذ سرية إلى جمع كثير ، وغض عن الدنيا عينيك ، وإله عنها قلبك ، وإياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم ، وخبرت سرائرهم ، وإن بينك وبين الآخرة ستر الخمار ، وكأن بك منتظر سفرا من دار قد مضت نضارتها ، وذهبت زهرتها ، وأحزم الناس من يكون زاده التقوى »[1] .

وعلم خالد بأمر عزله فأقبل حتى دخل على أبي عبيدة فقال : « يغفر الله لك ، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني ، وأنت تصلي خلفي والسلطان سلطانك ؟! » فقال أبو عبيدة : « وأنت يغفر الله لك ، ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيري ، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله ثم قد كنت أعلمك إن شاء الله ، وما سلطان الدنيا أريد ، وما للدنيا أعمل ، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن إخوان وقوام بأمر الله عز وجل ، وما يضر الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنياه ، بل يعلم الوالي أنه يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما يعرض من الهلكة إلا من عصم الله - عز وجل - وقليل ما هم » . فقال خالد : « الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت وكان أحب إليّ من عمر ، والحمد لله الذي ولي عمر وكان أبغض إليّ من أبي بكر ثم ألزمني حبه »[2] .

ثم كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنك في كنف من المسلمين وعدد يكفي حصار دمشق ، فابعث سراياك في أرض حمص ودمشق وماسواها من الشام ، ولا يمنعك قولي هذا أن تعري عسكرك ، فيطمع فيك عدوك ، ولكن انظر برأيك فيما استغنيت عنه منهم فسيرهم ، وما احتجت إليه منهم فاحبسه عندك ، وليكن فيمن يُحبس عندك خالد بن الوليد ، فإنه لا غنى بك عنه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »[3] .

فارتحل أبو عبيدة من اليرموك ، ونزل بالجنود على (مرج الصفر) وهو عازم على حصار دمشق فعلم بورود إمدادات جيش الروم من حمص إلى دمشق ، وتجمع جيوش رومية أخرى بـ (فحل) من أرض فلسطين فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب ، الذي رد عليه بقوله : « أن ابدأ بدمشق فإنها حصن الشام ، وبيت مملكتهم ، فانهض لها واشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاءهم ، فإن فتحها الله قبل دمشق ، فذلك الذي نحب ، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك ، واستخلف على دمشق ، فإذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حمص ، واترك عمرا وشرحبيل على الأردن وفلسطين »[4] .

---

(1) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٠٢ .
(2) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ٥١٢/١ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ٤٠٢/٣ .
(3) الأزدي / تاريخ فتوح الشام .
(4) البداية والنهاية ٢١/٧ .

فسرح أبو عبيدة إلى فحل جيشا على رأسه (عُمارة بن مخشى) الصحابى فساروا من مرج الصفر إلى فحل، فوجدوا الروم هناك قريبا من ثمانين ألفا وكتب الله النصر للمسلمين فكانت فحل أول حصن فتح قبل دمشق، أما أهل فحل فلما رأوا أن المسلمين تغلبوا على الروم فقد سألوا الصلح ٤٦٥ : ٤٦٧م ثم بعث أبو عبيدة جيشا يكون بين دمشق وبين فلسطين، وبعث (ذا الكلاع) على جيش يكون بين دمشق وبين حمص ليرد من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل، ثم سار أبو عبيدة من مرج الصفر قاصدا دمشق، وقد جعل خالد بن الوليد فى القلب، وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص فى المجنبتين، وعلى الخيل عياض بن غنم، وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة فقدموا دمشق، ووقف خالد بن الوليد على الباب الشرقى وباب كيسان، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير، ونزل يزيد بن أبى سفيان على باب الجابية الصغير، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد، وأرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش بـ (برزة) يكون ردءا له، وكذا الذى بينه وبين حمص، وحاصروها حصارا شديدا سبعين ليلة[١].

خالد بن الوليد:

بعد أن قام عمر بعزل خالد، عن إمرة الجيش، كتب إلى الأمصار فى هذا العزل:

«إنى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فُتنوا به، فخشيت أن يوكلوا إليه، ويبتلوا، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا بعرض الفتنة»[٢].

فعمر يدرك تماما قيمة خالد بن الوليد، فى العمليات الحربية، فى الشام، ومن هنا كان نصح عمر لأبى عبيدة «... وليكن فيمن يُحبس عندك خالد بن الوليد، فإنه لا غنى بك عنه...» فكان لخالد بن الوليد اليد الطولى فى كل المعارك، التى خاضها المسلمون بالشام تحت قيادة أبى عبيدة بن الجراح.

وفى حصار دمشق امتنع أهلها غاية الامتناع، وعجز المسلمون عن اقتحامها، وفى إحدى الليالى فطن خالد بن الوليد إلى خلو أسوار الباب الشرقى، من المقاتلة الرومية، فتسلق السور، ومعه القعقاع بن عمرو، ومذعور بن عدى، وثبتوا عليها سلالم من الحبال ليتسلقها الجيش، بعد أن أحكموا ربطها أسفل السور، ثم رفعوا أصواتهم بالتكبير، فاندفع المسلمون يتسلقون الأسوار، فى حين انحدر خالد ومن معه داخل الحصن فقتلوا حراس الباب الشرقى، وفتحوه؛ لتندفع منه جيوش المسلمين، عندها فتح أهل دمشق سائر الأبواب طالبين الصلح من سائر أمراء جيوش المسلمين، فأجابوهم وهم لا يعلمون ما صنع خالد، فدخلت جيوش المسلمين دمشق، من كل جانب، ليجدوا خالد بن الوليد

---

(١) المصدر السابق ٢١/٧، ٢٢.

(٢) على المتقى، كنز العمال ٦/ ٣٠ ط حيدر اباد ـ الدكن نقلا عن محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٤٥٨، ٤٥٩ ط ١٩٨٥ دار النفائس / بيروت.

يقتل كل من يجده فقالوا له : « إنا قد أمناهم » فقال خالد : إني فتحتها عنوة . على أن أبا عبيدة اختار أن يعقد الصلح لأهل دمشق ، وكتب خالد عهد الصلح ، وكان ذلك في رجب ١٤ هـ وتضمن كتاب الصلح الأمان على الدماء والأموال والكنائس[1] .

ثم انطلق خالد بأمر أمير الجيش أبي عبيدة بن الجراح إلى البقاع ، ففتحه بالسيف[2] واتجه منها إلى بعلبك التي رأى أهلها أنه لا أمل لهم ، فبعثوا في طلب الصلح ، فكتب خالد بذلك إلى أبي عبيدة الذي وافق وكتب لهم كتابا أمنهم على أنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم ، وأجلهم إلى ربيع الآخر ، وجمادى الأولى ، فمن أراد الجلاء سار إلى حيث شاء ، ومن أقام فعليه الجزية[3] .

وواصل أبو عبيدة السير بالجيش ومعه خالد بن الوليد ، حتى بلغوا حمص ، في شتاء عام ١٥ هـ فحاصروها حصارا شديدا ، فلما اشتدت وطأة الحصار على الروم ، أخرجوا جيشا كبيرا ، تصدى له خالد بن الوليد الذي صاح في رجاله : « يا أهل الإسلام الشدة الشدة » فحملوا على الروم حملة صادقة حتى اضطروا للانسحاب فبعث خالد في أعقابهم (ميسرة بن مسروق العبسي) الذي طاردهم ثم حمل عليهم فهزموهم[4] .

فلما اشتد الحصار على أهل حمص خشوا من السبي فأرسلوا إلى أبي عبيدة طالبين الصلح فصالحهم وأمنهم على أنفسهم ، وأموالهم وكنائسهم ، على أن يضيفوا المسلمين يوما وليلة وعلى ألا يعمروا بيعهم ، وصالحوا على أرض حمص كلها على أن عليهم مائة ألف دينار وسبعين ألف دينار .

فكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بفتح حمص : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فالحمد لله الذي أفاء علينا وعليك ، أفضل كورة بالشام أهلا وقلاعا ، وأكثرهم عدة وجمعا وخراجا ، وأكبتهم للمشركين كبتا ، وأيسره على المسلمين فتحا ، أخبرك يا أمير المؤمنين أصلحك الله أنا قدمنا بلاد حمص يزفونهم ببأس شديد ، فلما دخلنا بلادهم ألقى الله الرعب في قلوبهم ، ووهن كيدهم ، وقلم أظفارهم وسألوا الصلح وأذعنوا بأداء الجزية ، فقبلنا منهم وكففنا عنهم ، وفتحوا لنا الحصون ، واكتتبوا منا الأمان وقد وجهنا الخيول إلى الناحية التي فيها ملكهم وجنوده ، فنسأل الله مالك الملوك وناصر الجنود أن يعز المسلمين بنصره ، وأن يسلم المشرك الخاطيء بذنبه والسلام عليك » .

فرد عليه عمر بكتاب جاء فيه « أما بعد : فقد بلغني كتابك تأمرني فيه بحمد الله على ما أفاء الله علينا من الأرض وفتح علينا من القلاع ، ومكن لنا في البلاد وصنع لنا ولكم ، وأبلانا وإياكم من

---

(1) البداية والنهاية ٢١/٧ : ٢٧
(2) المصدر السابق ٢٧/٧ .
(3) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٢٩ : ١٣٠ .
(4) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٤٥ .

حسن البلاء ، فالحمد لله حمدا كثيرا ليس له نفاد ، ولا يُحصى له تعداد ، وذكرت أنك وجهت الخيول نحو البلاد التى فيها ملك الروم وجموعهم ، فلا تفعل ، وابعث إلى خيلك فاضممها إليك ، وأقم حتى يمضى هذا الحول ، ونرى من رأينا ونستعين بالله ذى الجلال والإكرام على جميع أمورنا . والسلام »[1] .

ثم بعث أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين ، فلما جاء ثار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب فقاتلهم خالد قتالا شديدا وهُزم الروم هزيمة منكرة ، فلما رأى حلفاؤهم من نصارى الأعراب ذلك لجأوا إلى حصنهم فتحصنوا به ، فقال لهم خالد : « لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا » ولم يزل خالد بهم حتى فتحها الله عليه .

وبلغ عمر ما فعل خالد بقنسرين فقال : « أمر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، كان أعلم بالرجال منى ، إنى لم أعزله عن ريبة ولكن الناس عظموه فخشيت أن يوكلوا إليه »[2] .

على أن عمر بن الخطاب علم بعد ذلك أن أهل قنسرين أرسلوا إلى أبى عبيدة يطلبون الصلح ، فأجابهم إليه فى حين اقتحمها خالد ، وأخربها فرأى عمر أن خالد تجاوز حدوده ، واقتحم قنسرين عنوة برغم أمان أبى عبيدة فعزله عن قنسرين ، فلما استبان لعمر أن خالد اقتحم قنسرين ولم يعلم بأمان أبى عبيدة لأهلها ، أرسل له يقول « إنك علىَّ لكريم وإنك عندى لعزيز ، ولن يصل إليك منى أمر تكرهه بعد ذلك »[3] .

ورحل أبو عبيدة إلى حلب فضرب الحصار على أهلها حتى طلبوا الصلح ، فأمنهم على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم وسور مدينتهم ومنازلهم ، والحصن الذى بها .

ولكن هرقل مالبث أن أعاد تجميع جيوشه وحاصر أبا عبيدة وجيشه بحمص ونصح خالد أبو عبيدة بالخروج ومناجزة الروم ، ولكنه فضل التحصن بحمص نزولا على رأى أغلب أمرائه ، وأمر بإخلاء دمشق وسحب حاميتها حتى يتجمع له أكبر عدد ممكن فى مواجهة الروم ، ورد لأهل دمشق ما أخذه منهم من الجزية التى كانت تجبى نظير الحماية فقال أهل دمشق للمسلمين : « ردكم الله إلينا ولعن الذين كانوا يملكوننا من الروم ، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا بل غصبوا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا » .

وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر بن الخطاب وجاء فى كتابه :

« أما بعد فإن عيونى قدمت على من أرض عدونا ، من القرية التى فيها ملك الروم ، فحدثونى بأن الروم قد توجهوا إلينا ، وجمعوا لنا

---

(1) الأزدى ، تاريخ فتوح الشام ص١٤٥ : ١٤٨ .
(٢) البداية والنهاية ٨٨/٧ ، ٨٩ .
(٣) البداية والنهاية ١٢٧/٧ ، وذلك خلافا لما هو سائد بين المؤرخين ، وبنيت رأيى هذا على ما أورده البلاذرى فى فتوح البلدان ص١٧٢ من أن أبا عبيدة كتب كتابا لأهل قنسرين يؤمنهم فيه على أنفسهم ، وعلى ما ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ٨٨/٧ من أن خالدا دخلها عنوة أما ما يقال من أن عمر عزل خالدا لبذله المال لذوى الشرف واللسان أو لسابق عداوة بينهما ، أو قصة مالك ابن نويرة ، فهى أمور تأباها سيرة رجلين من عظماء التاريخ الإسلامى .

من الجموع ما لم يجمعوه لأمة قط كانت قبلنا . وقد دعوت المسلمين فأخبرتهم الخبر ، واستشرتهم فى الرأى . فأجمع رأيهم على أن يتنحوا عنهم حتى يأتينا رأيك . وقد بعثت إليك رجلاً عنده علم ما قلنا ، فسله عما بدا لك ، فإنه بذلك عليم ، وهو عندنا أمين . ونستعين بالله العزيز العليم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . والسلام عليك »[1] .

فرد عليه عمر بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى أبى عبيدة ابن الجراح ، وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان والمهاجرين فى سبيل الله .

السلام عليكم . فإنى أحمد إليكم الله ، الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنه بلغنى توجيهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق ، وترككم بلاداً قد فتحها الله عليكم ، وخليتموها لعدوكم ، وخرجتم منها طائعين . فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم . وسألت رسولكم : أعن رأى من جيمكم كان ذلك ؟ فزعم أن ذلك كان من رأى خياركم وأولى النهى منكم وجماعتكم . فعلمت أن الله عز وجل لم يكن ليجمع رأيكم إلا على توفيق وصواب ورشد فى العاجلة والعاقبة . فهون ذلك علىّ ما كان دخلنى من الكراهية قبل ذلك لتحويلكم . وقد سألنى رسولكم المدد لكم . وأنا ممدكم قبل أن تقرءوا كتابى هذا ، وأشخص إليكم المدد من قبل إن شاء الله تعالى . واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله تعالى ينزل النصر عليهم . ولربما خذل الله الجموع الكثيرة فوهنت ، وقلت وفشلت ، ولم تُغن عنهم فيئتهم شيئا . ولربما نصر الله العصابة القليل عددها على الكثير عددها من أعداء الله تعالى . فأنزل الله تعالى عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء الله تعالى وأعداء المسلمين بأسه ورجزه والسلام عليكم » .[2] .

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص بالكوفة أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسيرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب نجدة لأبى عبيدة ، وأن يجهز جيشا يُسيره إلى أهل الجزيرة الذين مالأوا الروم على حصار أبى عبيدة ، فوجه سعد بن أبى وقاص جيشين .. واحد عليه القعقاع بن عمرو التميمى ، والآخر عليه عياض بن غنم لنجدة أبى عبيدة فحلت الهزيمة بالروم[3]

« يتبع »

(1) الوثائق السياسية ص ١٧٠ .
(2) المصدر السابق ص ١٧١ .
(3) البداية والنهاية ٧/٨٤ .

الثقافة أولاً..

للأستاذ الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

هل صرنا أمة لا تقرأ؟

إن أساس حضارة الأمم هو الثقافة، والثقافة أساسها القراءة، ولذلك أعجبنا الإعجاب كله بحركة دفع الشباب للقراءة، وحثهم عليها، وإصدار المكتبات الثقافية اللازمة لنمو عقليتهم، ولتغذية مواهبهم وإبداعاتهم، حتى يمكن أن يشاركوا فى حركة الثقافة، وفى بناء شخصية الأمة وحضارتها، وحين نزل القرآن الكريم نادى أولا بوجوب القراءة كأساس لبناء الأمة الإسلامية، فقال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾.

والإنسان العربى، والمسلم بصفة خاصة، عليه - فى المجتمع المعاصر - أن يعى تمام الوعى أن تراثه هو ثقافته الأصيلة التى يجب أن يتسلح بها، وأن تكون عنده هى الأساس لأى بناء فكرى يتحدى الزمان والمكان، ويواجه الحياة فى القرن الجديد.

ثقافتنا العربية الإسلامية هى القادرة على بناء الإنسان روحيا وخلقيا واجتماعيا، وعلى صنع الحاضر والمستقبل لأمتنا، وعلى مضاعفة قوة انتماء الإنسان المسلم لوطنه ومجتمعه، بل ولدينه وللإنسانية عامة؛ وعلى خلق فرص النجاح أمامه فى معايشة الحضارة العالمية بكل مذاهبها ومعتقداتها بسلام ووئام.

وهذه الثقافة الأصيلة هى الحافز لنا على تأسيس بناء تام، وبنية قوية للمجتمع الثقافى بصفة خاصة، وللمجتمع العربى الإسلامى بوجه عام.

إنها هى التى ستقودنا للعمل من أجل تبادل المعرفة بيننا وبين الحضارة الراهنة، والعمل الدائب لنشر السلام بين حضارة الشرق وحضارة الغرب.

والمستقبل القريب يحمل لنا تحديات لابد من أن نستعد دائماً لمواجهتها ، بكل طاقاتنا الروحية والفكرية والثقافية ، وبالتسلح بتراثنا الإسلامى العربى بكل أبعاده ، لأن الثقافة ليست إبداعا فى الأدب ، وارتقاء بالفكر فحسب ، بل هى شاملة للعلم والمعرفة ولفهم جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وكل الحقوق الشخصية والإنسانية .

ثقافتنا وحدها قادرة على العمل من أجل احتفاظنا بشخصيتنا وهويتنا المستقلة العاملة على مسايرة التطورات العالمية المتلاحقة ليكون لنا دورنا الفعال الذى نشارك به العالم فى صنع الحياة .

أما الذين ينادون بأن الفكر الغربى يجب أن يكون أساس ثقافتنا وهويتنا العقلية ، فهم جد مخطئين ، لأنهم يتناسون الفروق الجوهرية بيننا وبين الغرب ، وأن هذا الفكر قد أفلس روحياً وأخلاقياً وإنسانياً .

وإن كان هو الذى يسير الحضارة الراهنة بقوة العلم وحده ، وهم يزعمون أن التنوير ضرورة لنا ، لنصنع حضارة جديدة ، ويريدون من التنوير جانبه العلمانى المادى الملحد والمظلم ، ويتناسون أن مصطلح التنوير إنما يعبر عن مرحلة عصر النهضة ، وهو عصر معركة دارت فى أرض أخرى ، ولأغراض ليست هى التى تمثل أمامنا الآن فى أرض الواقع العربى الإسلامى المعاش ، وينادى هؤلاء المضللون بالمجتمع المدنى ، وليس المجتمع المدنى إلا خروجا على شريعة السماء وعلى منهج القرآن ، وهو مع ذلك ليس إلا وصفا للسوق الرأسمالية لا أكثر ولا أقل ، كما أنه بعيد عن قيمنا وتراثنا وفكرنا وأخلاقنا وحياتنا الروحية والاجتماعية ، وهؤلاء التنويريون ، ومثلهم الحداثيون قد أصبحوا يؤمنون بالغيبيات التى كانوا يرفضونها من قبل ، مثل إيمانهم بحتمية التطور ، وبما يسمونه حتمية التاريخ ، وشأنهم فى ذلك شأن العلمانيين والماديين والوجوديين وكافة أصناف الملحدين المنكرين للدين ولرسالات السماء . .

-٢-

ثقافتنا العربية الإسلامية هى التى أخرجت لنا أعلام الفكر الإسلامى طيلة ألف وأربعمائة عام ؛ أخرجت لنا أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل ، كما أخرجت لنا أمثال الفارابى وابن سينا والغزالى وابن رشد ، وأخرجت لنا أمثال الأصمعى والجاحظ والتوحيدى ، وأمثال أبى تمام والبحترى وابن الرومى والمتنبى والمعرى والشريف الرضى وأحمد شوقى وحافظ إبراهيم وأبى ريشة ، وأمثال محمد عبده والعقاد وطه حسين ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، ومصطفى صادق الرافعى والزيات وأحمد أمين ومصطفى عبد الرازق وأضرابهم ؛ كما أخرجت لنا أمثال جابر بن حيان وجعفر الصادق والرازى والبيرونى ، وأخيراً على مصطفى مشرفة وفاروق الباز وأحمد زكى وأحمد زويل وسواهم .

فثقافتنا تشمل علوم الشريعة ، وأصول الدين ، وكافة علوم الإسلام وثقافاته المستمدة من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح واجتهادات المجتهدين الأولين فى الإسلام وأصحاب المذاهب الإسلامية الصحيحة ، كما تشمل كذلك الثقافة العلمية بشتى فروعها ، وثقافات علوم العربية وآدابها وبلاغتها ؛ وهى التى صنعت الأعلام والموهوبين طيلة تاريخنا الممتد عبر أربعة عشر قرنا من الزمان .



حدثنى بربك عن ثقافة الغرب ، وماذا أدت إليه فى بلادنا من صنع التبعية ، وفقدان الشخصية وضياع النبوغ ، وانهيار القيم ، وذوبان الذاتية وضعف الروح ، وعدم القدرة على تحمل المسئولية ، وبحسبنا ما قرأناه من أن آلافا من الشباب الجامعيين دخلوا مسابقة عامة .. فلم ينجح منهم أحد .

ونحن نعلم أن إخواننا المسيحيين فى مصر نبغ منهم الكثير ، ممن رضعوا أفاويق الثقافة العربية أولا وقبل كل شىء وحدها ، وبعضهم كان يحفظ العديد من آيات القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والكثير منهم قرأوا الشعر العربى فى مختلف عصوره ، وحفظوا منه العديد من قصائده البليغة .

وهذه الثقافة العربية الإسلامية ، التى يمثلها لنا تراثنا الخالد ، قد أخذت أبدع ما فى الثقافات العالمية وأضافته إليها نسيجا حياً متجدداً نابضا بالحياة والقدرة على العمل وعلى صنع الحضارة .

والتراث الإسلامى حافل بالموسوعات الضخمة فى شتى العلوم ، وفى مقدمتها علوم الشريعة والفقه والأصول والتفسير والحديث والتوحيد ، إلى علوم التاريخ وتقويم البلدان ، وعلوم الطب والكيمياء والهندسة والحساب والجبر والفلسفة والطبيعة والرياضيات ، وإلى علوم اللغة والأدب والنقد والشعر ومختلف الموسوعات الأدبية ، وإلى القصص والأسمار وكتب الرحلات وكتب الطبقات والسيرة ، وإلى كتب تاريخ المدن ودواوين الشعراء وبلاغات البلغاء ، وسوى ذلك كله من علوم الدين والدنيا ، وعلوم الحكمة والزهد والتصوف والأخلاق .

وأدباؤنا فى شبابهم كانوا أمثلة رفيعة للنبوغ والموهبة والقدرة على الاستيعاب .

كان كامل كيلانى مؤلف كتب أدب الأطفال يحفظ وهو تلميذ فى المدرسة الابتدائية عشرة آلاف بيت من الشعر العربى : وكان العقاد وهو تلميذ فى الابتدائية يقرأ الأدب الإنجليزي ويترجم منه .

تراثنا العربى الإسلامى صنع الرجال والنبوغ والعبقريات فى شتى علوم الدين واللغة والأدب والشريعة والفقه والفلسفة والتاريخ وغيرها .

وابن رشد كان إمام الجامعات فى الغرب فى عصر النهضة ، وابن خلدون مبتكر علم الاجتماع مازال الغرب يقر بعبقريته ، ونظريات الفقه المالكى كانت أساس قانون نابليون .

عظمة الثقافة العربية الإسلامية ليست مجالا لإنكار منكر ، ولا لجحود جاحد .. إنها هى التى أضاءت الشرق والغرب ، وهزت الجامعات وصنعت المواهب والعبقريات .

أيها الإنسان العربى :

أيها الإنسان المسلم :

احتفل بثقافاتك الأصيلة ، وأقبل عليها ، وتزود من زادها ؛ فهى وحدها القادرة على صنع المعجزات ، وهى وحدها المجلية للمواهب ، والصانعة للنبوغ ، وهى وحدها القادرة على بناء الإنسان ، وتجديد الحياة وصنع الحضارة .

إن الثقافة العربية الإسلامية هى ثقافة القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، ثقافة الإمام على بن أبى طالب وكتابه « نهج البلاغة » ، ثقافة ابن المقفع فى كتبه من أمثال : « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير » و « الأدب الوجيز » ، ثقافة المبرد فى كتابه « الكامل » وابن المعتز فى كتابه « البديع » ، وثعلب فى كتابه

« قواعد الشعر » ، والأصمعى فى كتابه « فحولة الشعراء » ، وابن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » ، وقدامة فى كتابه « نقد الشعر » ، ثقافة الشافعى فى كتابيه : الأم والرسالة ، إلى غير ذلك من الأعلام ومن تراثهم الخالد .

إن ظاهرة ضعف طلابنا فى اللغة العربية منشؤها أنهم أولاً لايقرأون ، وأن ملهيات الشباب صرفتهم اليوم عن القراءة ، وأنهم ثانياً قد طرحوا التراث العربى كله جملة وراءهم ظهريا ، فهم لا يعرفون الجاحظ مثلا ولا كتبه : « البيان والتبيين » و« الحيوان » ، و« البخلاء » ، وما إلى ذلك كله ، بل هم لا يقرأون أدب الرافعى والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم والزيات وأحمد أمين وزكى مبارك وغيرهم ، وهذا الأدب عربى إسلامى صرف ، وهو تراث قريب . وإذا كان لهم العذر فى عدم قراءتهم للتراث البعيد ، فما عذرهم فى هذا التراث الذى لم يغب عنا إلا عشرات السنين .

وحسنا تفعل هيئة الكتاب المصرية فى نشرها أولا لأمهات كتب التراث ، وثانياً لنشر ملخصات هذه الكتب تعد تهذيبا لها ، وتقريبا لأفكارها إلى شباب اليوم .

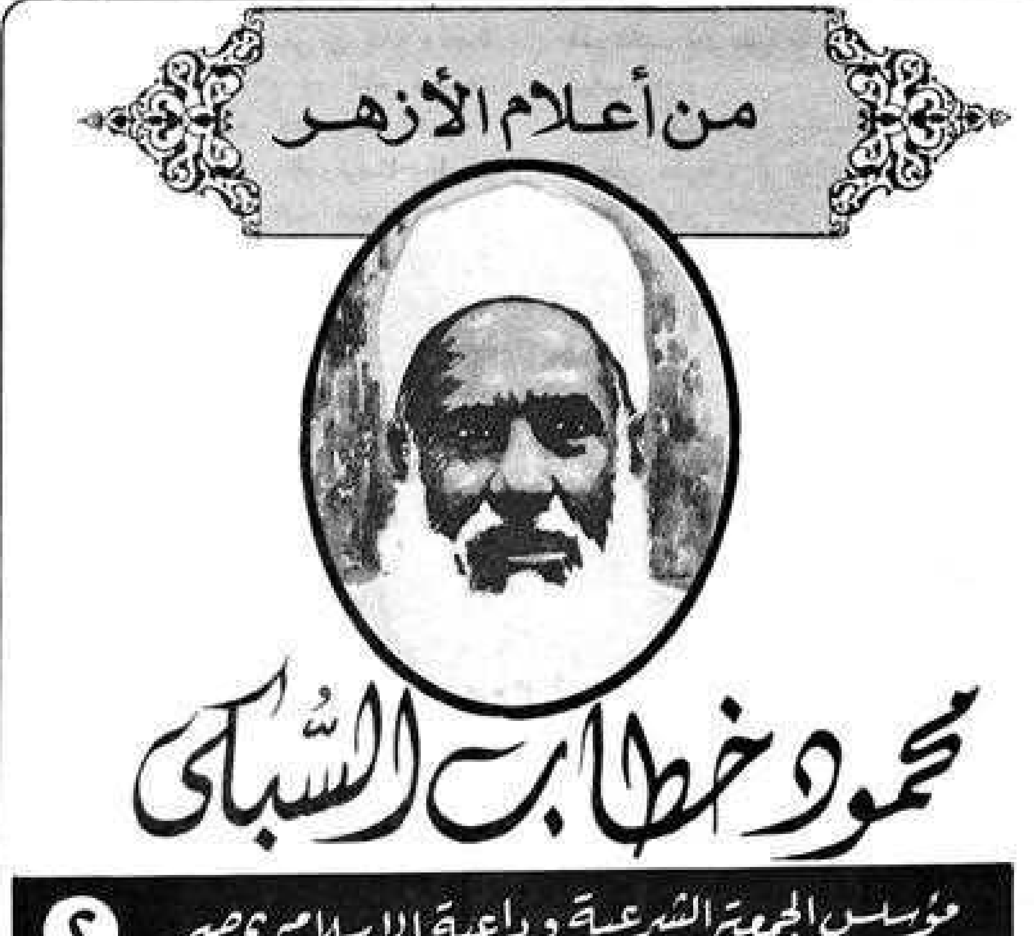
وإذا سألت شباب الجامعات اليوم عن على مصطفى مشرفة ، أو الدكتور أحمد زكى ، أو مصطفى لطفى المنفلوطى ، أو المويلحى ، أو عبد العزيز البشرى ، أو عبد الرحمن عزام أو محمد الخضر حسين ، أو الكثير من أعلامنا المعاصرين ؛ لم تجد عندهم جوابا .

ومن من الشباب اليوم قرأ عودة الروح أو عصفور من الشرق ، أو آلام فرتر أو ماجدولين ، أو حديث عيسى بن هشام مثلاً ؟

لنعد إلى الثقافة الأصيلة وأعلامها وذخائرها لا عودة المستقل بها وحدها ، ولكن عودة المشاركة بينها وبين ثقافة اليوم حتى لا نتهم بالجمود وبالوقوف عند منبع واحد من منابع الثقافة الإنسانية كما يقولون .

إن منبعنا الثقافى الأصيل هو قبل كل شىء هو فى ثقافتنا العربية الإسلامية : ثقافة القرآن واللغة العربية الشامخة والتاريخ والحضارة ، والتراث العربى العظيم .

« وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن الطاعون فأخبرها أنه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع فى الطاعون فيمكث فى بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد » . رواه البخارى .



للدكتور / محمد رجب البيومى

يقول الأستاذ الزعيم احمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة بمصر عن الأستاذ السبكى [١] :

« إن أتصور أن حركة « السبكية » كما كانت تسمى نسبة إلى مؤسسها المغفور له الشيخ محمود خطاب السبكى هى أحد ردود فعل مصر الإسلامية ضد الاحتلال الإنجليزى .

(١) مجلة المختار الإسلامى ، رمضان سنة ١٤٠٨ هـ نقلا عن مقال للأستاذ احمد حسين نشر بمجلة الاعتصام ، ذى الحجة سنة ١٣٩٥ هـ .

لقد كان الاحتلال الإنجليزى لمصر صدمة مدوخة ، إذ لأول مرة وجد مسلمو مصر أنهم محكومون بقوة غير إسلامية ، فأخرج هذا الشعب من صفوفه من راح يحاول وضع يده على سبب هذه النكبة ، فذهب بعضهم إلى أن السر فيها يرجع إلى قلة التعليم ، فاندفعوا يبشرون بوجوب نشر التعليم وفتح المدارس ، وقال آخرون : إنما هو انعدام الوعى السياسى ، فراحوا ينشئون الأحزاب ، ويُصدرون الصحف ، وقال ضمير الشعب الممعن فى الإيمان أن السر هو فى انحراف المسلمين عن دينهم ، وعليهم أن يتمسكوا بما كان عليه السلف الصالح تصديقاً لقول نبيهم : « تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » ، وهكذا كان الشيخ محمود خطاب السبكى تُرجماناً لمشاعر الشعب .

وتعبيراً عن إرادته فى النهوض والإصلاح والتحرير عن طريق العودة إلى الإسلام عند منابعه الأولى ، إن الذى أتصوره فى عمل الشيخ محمود أنه أنشأ مزرعة روحية لإعادة مجد الإسلام عن طريق اتباع الكتاب والسنة كما طبقها السلف الصالح ، وسُرعان ماازدهرت هذه المزرعة وبدأت تؤتى أكلها فراحت تقدم للمصرى أروع النماذج والمثل ، فى شتى أنواع الأنشطة ، فعندما قامت ثورة ١٩١٩ ، هذا الحدث العجيب الذى حطم كبرياء الإنجليز وجبروتهم ، مما استرعى الانتباه إلى الدور العظيم الذى قامت به ورش العنابر التابعة للسكك الحديدية ، وقد كشفت الأيام أن قائد هذا العمل من أعظم من عرفت مصر ، كان هو الشيخ أحمد جاد الله ، وقد قدم للمحاكمة فى مقتل السير لى ستاك الإنجليزى وعشرات الإنجليز من قبله ، ولم يكن الشيخ أحمد جاد إلا عضواً من أصدق أعضاء الجمعية الشرعية » .

هذا قليل من كثير قاله الزعيم أحمد حسين ، وقدآثرت الاستشهاد به ، لأن بعض القراء لا يصدقون روعة هذه الأعمال الباهرة التى بلغت حد الاستشهاد فى سبيل الله إلا إذا هتف بها كاتب كبير ، وها هو ذا الأستاذ أحمد حسين ينطق بأثر الإسلام فى تربية النفوس ، ورفع مستواها إلى منزلة الاستشهاد ، ولكن كيف ألفت هذه الجمعية الشرعية التى آتت هذا الثمر العجيب ؟

فى المحرم من سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م أسس الإمام محمود الجمعية ووضع لها نظاماً خاصاً لتكون على أسس ثابتة يؤكدها القانون المدون باتفاق جميع الأعضاء على تنفيذ نصوصه ، وكان الوعظ الدينى ، والإرشاد القرآنى هو الأساس الأول الذى ترتكز عليه الجمعية لتلفت المسلمين إلى واجبهم الحضارى ، فاهتم الإمام باختيار طائفة من زملائه وتلاميذه ، وحدد لكل أستاذ مكان عمله ، وبرنامج وعظه ، وجعل اجتماع الجمعية محدداً بليلة الخميس من كل أسبوع ، إلا إذا طرأ عاجل يستدعى جلسة سريعة ، وكانت محاضر الجلسات تدون فى سجل خاص يوقع عليه الجميع ، ثم طبع قانون الجمعية وتقدم به إلى الجهات المسئولة فوافقت عليه ، وأبرز ما قام به

الأستاذ منذ تألفت الجمعية الشروع فى بناء عدة مساجد خاصة بالجمعية ، وقد عدَّ بعض الناقدين هذا العمل اعتزالاً عن كافة الناس ، وهو نظر قاصر ، لأن مساجد الجمعية تفتح أبوابها لكل وافد ، ولكن المساجد العامة التابعة لوزارة الأوقاف لا يمكن من المنبر والوعظ غير الخطيب الرسمى المعين من الوزارة ، فكيف يقوم خطيب الجماعة بإيضاح أغراضها الإسلامية وهو ممنوع من مزاولة جهاده على نحو متصل ، ولم يكن دور المساجد مقصورا على الصلاة والخطبة الأسبوعية ، بل كان لكل مسجد برنامجه التعليمى ، وقد ألحقت به مدارس لتعليم القرآن وتحفيظه ، ومدارس لدراسة قواعد الدين واللغة ، فكانت بمثابة معاهد دينية تؤازر الأزهر فى أداء رسالته ، وكانت نشأة الإمام فى الريف ، ومزاولته العمل فى الزراعة والصناعة ناهضة به إلى التفكير فى إنشاء دورات مهنية لتعليم الفتيات ما يحتجن إليه من أمور الحياكة والتطريز وتدبير المنازل حتى يستطعن التكسب العمل من هذه المهمة ، ولا يكن عالة على التبرعات التى يجود بها الناس على فترات متقطعة لا تتصل ، مع تقديم دروس دينية لهن يعرفن بها كيف تنشأ الفتاة المسلمة فى ظل التربية الدينية .

أما الأمر الباهر حقاً فهو ما وجد لأول مرة بالمساجد الدينية ، وهو إحداث مستوصفات للعلاج فى كل حى يقوم به المسجد ، بأجور رمزية مع تيسير أدوات الفحص الطبى ، ونحن نرى الآن مئات المستشفيات الملحقة بمساجد الدولة ، ولكن الذى أنشأ هذا المرفق وبدأ بتنفيذه لأول مرة هو الشيخ محمود خطاب السبكى ، ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين ، وما نقوله عن المستشفيات الملحقة بالمساجد نقوله عن فصول التقوية التعليمية التى كانت إحدى مهام المسجد ، فقد شاء الأستاذ أن يكون المسجد صورة مصغرة للأزهر ، فدعا التلاميذ إلى الاستماع إلى دروس تتصل بمقررات المدرسة ، يكون التعليم بها مجاناً دون مقابل ، ويضاف إليها درس التربية الدينية إذ كان هذا الدرس مهملاً أو كالهمل فى مدارس الدولة حينئذ ، ويذكرنا هذا بإنشائه معاهد عالية تلحق بالمساجد لتخريج الدعاة ، إذ أن خطيب المسجد المعين من الجمعية لا يبلغ هذا المبلغ إلا بعد دربة وامتحان ، وعليه أن يختار من أبناء الحى من يراه مناسباً لأن يكون واعظاً فيما بعد ، فيشجعه على الالتحاق بمعاهد الجمعية التى كانت تسمى (معاهد الإمامة) ولها لائحة تعليمية ذات مواد أصيلة فى التربية الثقافية إذ يتضمن الفقه والحديث والتفسير والتاريخ الإسلامى والتربية الخلقية ، ومدة الدراسة عامان يصل فيهما الطالب إلى مبتغى الجماعة من إنشاء هذا التعليم ، ويعقد له امتحان يقدر مدى كفاءته العلمية !! كل ذلك قامت به الجمعية على نسق رتيب .

وبعض الناس يحاولون انتقاص هذه المدارس بمقارنتها بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التى أنشأها الأستاذ الإمام محمد عبده ، ولعمرى هذا هو الخطأ بعينه ، فقد كان للأستاذ الإمام منزلته الكبيرة لدى أغنياء الدولة وكبار الباشوات والأعيان ممن أيقظ فيهم حاسة التدين ، ودفعهم إلى التبرع السنوى للجمعية ، بل دفعهم إلى تحديد أوقاف كبيرة ذات ريع سنوى تحفظ به

الجمعية مستواها المالى ، وطاف الأستاذ الإمام بنفسه على منازل الكبار من الأثرياء ، فاستجابوا إلى رجائه ، وأنشىء مجلس الإدارة برئاسته ضاما كبار الوجهاء من المصلحين ذوى المناصب المرموقة ! وقد قامت الجمعية بواجبها المشكور فأسست المدارس وأقامت المبرات الخيرية ، ووزعت أجوراً شهرية على المعوزين والمحتاجين ، وذلك فضل باهر لا ينكر ، ولكن لا يجب أن يكون هذا الفضل مدعاة لإنكار فضل آخر قام به إمام مخلص لم يتيسر له أن يعتمد على الكبار من أصحاب الجاه والنفوذ ، فاعتمد على من يراهم أهل الخير من إخوانه وزملائه ، وممن يعرفون إخلاصه وحرصه على النفع العام ، وشاء الله لعمله أن يثمر فى حياته وفيما بعد وفاته حتى أصبح الآن عملاً ضخماً يحتل أرقى الأحياء ، وبه الأجهزة الكاملة على أحدث طراز ، وقد فترت الجمعية الخيرية على غير ما نود ، ونهضت الجمعية الشرعية لتؤدى رسالتها بنجاح .

وقد نسيت أن أتحدث عن مجهود اقتصادى باهر أشار إليه الأستاذ محمد أحمد بدوى عضو إدارة مجلس الجمعية فى مقال علمى نشره بمجلة المسلم المعاصر(١) حيث قال :

« كانت نظرة الشيخ « محمود خطاب السبكى » مترامية الأطراف ، فلم يُهمل فى تجربته النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، لأن مشكلات التخلف يأخذ بعضها برقاب بعض وعلاجها يتداعى فيه جزء إلى جزء ، فقد بدأ الاتجاه الاقتصادى بتصنيع أقمشة لدى الغير بتصميات يضعها الشيخ بنفسه ، ويختار لها الألوان ، والمواد الخام ، واعتمدت الجمعية وكلاء للتوزيع ، ثم أنشأت مصنعاً يدوياً خاصاً بها ، بدلاً من تشغيل الآلات المؤقتة التى ابتكرها الشيخ (خارج الجمعية) ، وأعدت معرضاً للمنتجات فى مقرها ، مع بقاء الوكلاء فى الأقاليم ، وزادت شهرة المنسوجات وجودتها ، حتى صارت تصدر إلى السعودية وإلى فلسطين » .

هذا بعض الجهد الاقتصادى الذى أشار إليه الكاتب الفاضل ، وفيما ذكرناه إشارة إلى بعض نواحى الجهد الاجتماعى ، أما الجهد السياسى ، فلا تخفى معالمه ، لأن الإسلام دين ودولة ، فالسياسة لا يمكن فصلها عنه ، ومن يظنون الإسلام علاقة بين العبد وربه فقط ينكرون ذلك فى أعماقهم - إن كانوا مسلمين - ولكنهم يجهرون بغير ما يعتقدون رغبة فى نفع عاجل ، أو خضوعا لرؤساء يرون فيهم النفع الخاص لهم ، وهم فى كل ذلك أذناب لا رءوس ، وقد ارتاب الاحتلال الإنجليزى بدروس الشيخ منذ بدأ يلقيها بالجمعية الشرعية ، وقام الدخلاء بمراقبة هذه الدروس ، ثم بادروا بالقبض عليه توهماً لمراسلات بينه وبين تركيا عاصمة الخلافة الإسلامية ، وتم تفتيش منزله بحثاً عن هذه المراسلات ، وأودع السجن بغيا وعدواناً ، فظل مضربا عن تناول الطعام ، حتى علمت أسرته ، فكانت تنفذ إليه ما يقوته بمجاهدات شاقة فى هذا السبيل ، وظل معتقلاً ثلاثة أشهر ، دون تحقيق ، لأن الأدلة اليقينية



(١) مجلة المسلم المعاصر العدد ٤٩ سنة ١٤٠٨ هـ ص ١٣٧ .

مفقودة ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى أصدر الحاكم العسكرى قراراً بمنع الشيخ من مزاولة عمله بالجمعية والمسجد ، وأوقفت تبعاً لذلك محاضر جلسات الجمعية ، وكل ذلك لم يمنع الشيخ من المناداة بضرورة الاحتكام إلى كتاب الله ومنع القوانين الأجنبية ، كان يهتف بذلك فى جميع دروسه ، ثم سجل رأيه الصريح فى الجزء الخامس من الدين الخالص حيث قال[1] : « إن المسلمين الآن تحت سيطرة غيرهم لأنهم لم يقيموا الدين كما أمروا ، بل أفرطوا فى تقليد الأجنبى فى الضار دون النافع فقلدوه فى أكل الربا وشرب الخمر ، وإباحة الزنا والتبرج ، وخروج النساء واستحمامهن فى البحار ، بل قلدوهم فى الحكم بالقانون الوضعى ، ونبذ الحكم بالقانون السماوى ، ولم يرتدعوا بقول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

المائدة (آية ٤٤)

وتركوا ما أمرهم مولاهم به فى قوله :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

الأنفال (آية ٦٠)

فخذلهم الله وسلط عليهم من لا يرحمهم ، والانتصار على الأجنبى خاص بمن نصر دين الله وتمسك به وسلك طريق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

محمد (آية ٧)

وقال :

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

غافر (آية ٥١)

فنصر الدين من الإيمان .

وقد أشار الأستاذ أحمد حسين فى كلمته السابقة إلى جهاد بعض أعضاء الجمعية الشرعية ـ الشيخ أحمد جاد ـ وليس وحده الذى قدم روحه فداء لوطنه ، فقد تحدث الدكتور محمد مورو ومجلة المختار[2] عن جهود هائلة لنفر من الأعضاء منهم المجاهد إبراهيم موسى الذى كان بين عمال العنابر الذين أوقفوا حركة المرور بالسكك الحديدية ، وكان أميناً للصندوق المالى للعمال ، واتهم فى حادث قتل السردار الإنجليزى وحكم عليه بالإعدام ، ولم يجزع وقابل الشهادة باستبشار » ، وحديث إضراب العمال بقيادته وقيادة زميله أحمد جاد مشتهر ، أشار إليه الرافعى فى كتابه عن ثورة ١٩١٩ م ، وكان أقوى تأثيراً من المظاهرات التى اندفعت تلقائياً فى القاهرة وشتى عواصم البلاد ، لأنه جعل الإنجليز يعجزون عجزاً تاما عن استتباب الأمن ، وبه وبأمثاله رجعوا عن تكريس الاحتلال .

(١) الدين الخالص جـ ٥ ص ٢١٧ ومابعدها .

(٢) مجلة المختار الإسلامى رمضان سنة ١٤٠٨ هـ .

كما أشار الدكتور محمد مورو إلى أثرين بارزين فى الاتجاه السياسى للجمعية ، إذ أزعجها أن يتدخل المستعمرون الإنجليز بفلسطين ضد العرب فينحازوا جهارا إلى الصهيونية المحتلة ، وقد داهموا المنازل وتركوا أهلها فى العراء ، فقامت الجمعية الشرعية بإرسال كمية من المنسوجات إلى بيت المقدس لتوزيعها على المنكوبين فى فلسطين ، وأرسلت الطرود العاجلة بطريق سكة حديد (مصر - فلسطين) وتلقى مجلس إدارة الجمعية رسالة محررة فى ١٧ من رجب عام ١٣٤٩ هـ الموافق ١٤ من ديسمبر ١٩٣٠ م ، موقعاً عليها من رئيس المجلس الأعلى الإسلامى السيد محمد أمين الحسينى يشكر الجمعية على ما قامت به ، وفى الأربعينيات فتحت الجمعية مجال التبرعات للشعب الفلسطينى وقامت بجهدها قدر المستطاع فى هذا المجال ، هذا هو الأثر الأول ، أما الأثر الثانى فيما قامت به الجمعية من إعلان المقاطعة الاقتصادية التامة لكل ما يصنع فى إنجلترا ، ويرد إلى مصر من الأدوات والملابس ، وقام الوعاظ التابعون للجمعية بنشر الدعوة إلى المقاطعة واستجاب لها فريق كبير من أبناء الشعب ، كما شنت الجمعية حرباً على الترف الزائد فى استعمال أدوات التجميل وأزياء التبرج الوافدة من الغرب ، وأظهرت أن المتاجر العربية ستتعرض للبوار إذا اندفع الناس فى شراء هذه الكماليات ، وتركوا ما بالمتاجر العربية من ملابس الاحتشام والفضيلة ، مع رخص الثمن ، بالإضافة إلى غلائه فى الأدوات الوافدة ، وهى مما يهون تركه دون احتياج .

ولا أثقل لدى من المقارنة الظالمة بين مصلح ومصلح ، لأن زعماء الإصلاح جنود فى ركب الزحف الإسلامى إلى الإمام ، وكل زعيم يبذل جهده قدر المستطاع ، فإذا وفق زعيم لأكثر مما وفق إليه سواه ، فلا يجوز لنا أن نحاول الغض من مقامه ليكون الجميع فى مستوى واحد ، والأعمال بالنيات ، ورب عمل صغير يكون أجره عند الله أوفى من عمل يكبره ، فمراعاة الحق المنصف أولى وأجدر بمن يكتبون عن جهاد المصلحين ، فقد تعرض الأستاذ محمد أحمد بدوى فى مقاله (تجربة الجمعية الشرعية بالقاهرة) المنشور بمجلة المسلم المعاصر [(١)] إلى موازنة بين أثر الإمام محمد عبده وأثر الإمام محمود خطاب السبكى فقال فيما قال : (أما الأفغانى ومحمد عبده فإن دعوتهما لم تصل إلى الشعب ، كان عمل الشيخ محمد عبده كصرخة فى واد أو كمثل زخات من المطر أصابت صحراء واسعة امتصت الماء فلم تثمر شيئاً ، ولكن عمل الشيخ محمود خطاب قد روى بمائه الذى كان قليلاً قطعة أرض صغيرة ، فظهر أثره فيها ، فأنبتت وآتت أكلها ، وساعد ما نتج منها على استصلاح قطعة أخرى ، وساعدت الاثنتان على استصلاح ثالثة وهكذا تولدت قوة ذاتية للدعوة إلى الإصلاح ، وكأن الكاتب رأى فى انتشار الجمعيات الشرعية بالمدن والقرى سبقاً لم يصل إليه الإمام محمد عبده ، وقد نسى أن انتشار فضائل الإسلام فى جميع الصحف والمجلات الإسلامية لآلاف القراء كان بفضل محمد عبده الذى هاجم أعداء الإسلام ، حين رموه بالتأخر

(١) المسلم المعاصر بالمحرم سنة ١٤٠٨ هـ .

والجمود ومحاربة العقل وأنه سبب التقهقر فى بلاد الإسلام ، وكاد كثير من المخدوعين أن يصدقوا هذا الإفك ، لولا أن حمل الأستاذ الإمام لواء الدفاع عن الإسلام ، وأيقظ العقول من نومها حين فتح العيون على مجد فكرى وحضارى للإسلام لم يعرفوه ، فما جاء من بعده مدافع عن الإسلام إلا رشف من مورده ، وأكل من ثمره ، ومنهم الإمام محمود خطاب ، وإذا وُجد لدينا نفر من كتاب العقيدة الإسلامية كرشيد رضا وجاويش وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ، ومحمد مصطفى المراغى ومحمد الخضرى وعبدالوهاب النجار ومن لا أستطيع أن أحصيهم فكلهم قد خرجوا من عباءة الإمام ، أما إصلاح الأزهر وخروجه من النور إلى الظلمات فلم يتم بغير السير على منهج الإمام الذى رسمه ، وحالت الأغراض دون تنفيذه ، حتى جاء الإمام المراغى فاقتفاه ونقله إلى الوجود الحى واعترف بذلك فى حفلة التكريم التى أقيمت له بعد عودته الثانية إلى مشيخة الأزهر الشريف ، أفيقال بعد ذلك كله إنه ماء نزل فى صحراء !!

إن اللـــه معنــــا . بقية .

٥ ـ القوة والشجاعة بحيث لا يخاف الطغاة ولا يخشى بأسهم ولا يرهب الأعداء مهما ملكوا من قوة ، إذ كيف يخاف بطش الطغاة من كان فى معية القوى الذى لا يغلب ، ولهذا كان أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يهابون الموت ولا يرهبون الأعداء وذلك ثقة منهم فى وعد الله وانتظارا لما أعده لهم من النعيم المقيم والدرجات العلى .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : انطلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا يقدمن أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه » ، فدنا المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » قال : يقول عمير بن الحمام الأنصارى رضى الله عنه : يارسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : « نعم » قال : بخ بخ[١٣] فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ » قال : لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : « فإنك من أهلها » فأخرج تمرات من قرنه[١٤] فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة ! فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[١٥] .

فاللهم احفظنا بعنايتك واكلأنا برعايتك وأعزنا بعزتك واجعلنا أهلاً لمعيتك ، إنك نعم المولى ونعم النصير !

(١٣) كلمة تقال لتفخيم الأمر وتعظيمه فى الخير.

(١٤) جعبة النشاب.

(١٥) رواه مسلم.

طبقات المحققين والمصححين



فضيلة الشيخ
محمد الخضر حسين
رحمه الله

بقلم الأستاذ الدكتور:
السيد الجميلى

هذا رجل طيب الأرومة، واسع السرب، رحيب الصدر، بعيد الأناة، راسخ رسوخ الجبال، طوده لا تقلقه العواصف، وبحره لا تكدره الدلاء.

أناخ فى ظل الأمان، ونزل فى أكناف الدعة، ضرب الأمن عليه سرادقه، وضرب عليه الوقار أطنابه، ومدت عليه الدعة رواقها.

سلس الطبيعة، لين الأعطاف، أخلاقه ألين من أعطاف النسيم، وأسلس من الماء.

لم ينل من أجلاده ما نابه من بنى جلدته . . فكان فى كل أحواله وأطواره خافض الجناح ، متجافيا عن مقاعد الكبر لا تتهادى به أذيال التيه .

فيه يقول لسان الحال عن شاعر العرب :

عمّت فـواضـله فعمّ مصـابـه
فـالنـاس فـيـه كـلهم مـأجـور
ردّت صـنـائعـه عليـه حيـاتـه
فـكـأنـه من نشرهـا منشـور

إنه الشيخ الإمام الفقيه محمد الخضر حسين علم من أعلام العروبة والإسلام ، أديب أصولى باحث مطبوع ، شاعر مجيد متقن ، له يد طولى ، وباع طويل وقدم راسخة فى علوم المعقول والمنقول .

ذلكم الإمام محمد الخضر بن حسين بن على بن عمر الحسنى ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف للهجرة المشرفة الموافق سنة ست وسبعين وثمانمائة وألف للميلاد ، فى نفطة (من بلاد تونس) كان محل ميلاده حيث نشأ وترعرع فى بيئة خضراء اخضرار الأمل ، نقية الهواء مطوية على البراءة والخير والتأميل .

ولئن كانت البيئة التونسية قد انطوت على الكثير والكثير من العلائق المتشابكة والدخائل المتواشجة إلا أنك ترى فيها صورة جامعة دقيقة للحسن الظاهر والجمال الباهر . . اختلف إليها كل فترة بين فينة وأخرى ، فكأنى أراها لأول مرة ، ففيها لى ذكريات ومسامرات مع أصهارى الذين يشدنى الحنين قبل فراقهم لما أراهم مفطورين عليه من سلامة الصدور ونقاء الطوايا ، وسجاحة الطبائع .

إن العجيب فى أمر هذه البقعة العزيزة على كل عربى مسلم أن ترى فيها سمات الغرب من جهات عديدة لا مجال لبسط القول فيها ، ثم من جهة أخرى تراها وثيقة العروة ، مستحصدة المريرة ، قوية الأصرة بالأصول العربية .

فالتونسى شديد الوضوح وكثير الصراحة لا يخفى فى أطوائه شيئاً ، فالحقيقة ظاهرة على وجهه ، ولسانه ، وجبينه ، ولا يكتمك حديثاً بحال ، هذا فضلاً عن الطيبة الحقيقية غير المنحولة ، والتواضع الشديد غير المصنوع .

من تلك الذكريات التى مر عليها زهاء ثلاث عشرة سنة كنت هناك والأسرة ، فدهمت ابنتى نوبة صحية وعثرة طارئة حرجة ، فأدخلتها مستشفى خاصاً هناك ، فإذا بى أرى الدقة والعناية والاهتمام الفارط غير المحدود من الأساتذة الأطباء الأجانب والتوانسة مع النخوة والشهامة العربية ، فأعجزوا نطقى وطوقوا عنقى بما أسدوه لابنتى من خدمات جليلة ، فكيف أشكرهم وأنا قليل الحول والحيلة ؟؟!!!

فى (نفطة) التونسية اشرأب شيخنا فى أسرة طيبة الأصول ، عريقة النسب ، لها مع الفضائل شجنة قوية ، ونسب شابك ، وعروة وثيقة . . لما أن لنا بها - نحن المصريين - نسبا شابكا وماسكة رحم .

قيل إن أصل الشيخ من الجزائر ، ينتمى إلى أسرة الأدارسة التى كونت دولة بالمغرب .

حفظ القرآن صبياً كداب الكثيرين من أترابه ، ثم وجد نفسه منهوماً بالأدب العربي ، مشغوفاً مولعاً بالتراث العربي بعامة ، فنهل من ورده المشفوه السخى .

انتقل إلى تونس مع أبيه سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة ، وقيل سنة ثلاث وعشرين .

ثم تتلمذ فى تونس الخضراء لأعلام عصره من كبار الشيوخ المرموقين ، وكان ذلك فى جامع الزيتونة سنة سبع وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق سنة تسع وثمانين وثمانمائة وألف للميلاد ، ولم يزل بهذا الجامع حتى استحصد رأيه ، واستعجم عوده ، وكملت أداته ، فأصبح قوى الشكيمة ، مبرم الرأى ، فخيم الشأن .

وقد زرت جامع الزيتونة وهو جامع أثرى شديد المشابهة بالجامع الأزهر الشريف ، وبه مكتبة رائعة ينهل منها الدارسون والباحثون والعلماء .

تخرج فى جامع الزيتونة ، فنال شهادته العالمية منه سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف الموافق سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد .

عمل بعد تخرجه فى جامع الزيتونة مدرساً للعلوم الشرعية واللغوية ، ثم عمل بالتدريس أيضاً فى المدرسة الصادقية بتونس .

ثم أنشأ مجلة علمية أدبية هى مجلة « السعادة العظمى » وهى أول مجلة أنشئت فى المغرب العربى ، وكان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة إلى سنة ثلاث وعشرين .

فى بنزرت ولى القضاء ، وعمل فى نفس الوقت بالتدريس والخطابة بجامعها ، ثم استعفى من القضاء لأسباب لم نقف عليها بجلاء .

ثم عاد مرة أخرى إلى التدريس بجامع الزيتونة سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف الموافق سنة ست وتسعمائة وألف ، وفى ذلك الوقت كانت وفاة الإمام المصلح الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ فى مصر .

عمل الخضر حسين فى لجنة تنظيم المكتبتين : العبدلية والزيتونة .

فى تلك الفترة زار الجزائر مرات ثلاثا فقط .

قيل : عندما نشبت الحرب بين الطليان والعثمانيين ـ رحل محمد الخضر حسين إلى الجزائر ، وألقى بها دروساً نافعة ثم كان لابد أن يغادرها مستكرها من الاستعمار .

ثم أشخص إلى دمشق سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة حيث درس هناك اللغة العربية فى المدرسة السلطانية قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان ذلك سنة اثنى عشر وتسعمائة وألف للميلاد ، ثم تحول بعد ذلك إلى مكة .

●●●

فكر الشيخ مليا ، وأطرق طويلاً ، ثم قالت له نفسه همساً : وجدتها .. وجدتها .

إنها المنتجع والمستراد والملاذ المستذرى به لكل شارد ووارد ، فالغريب فيها ليس غريباً ، إذ ما أن

يطأ ثراها حتى ينسى أهله وأوطانه . . إنها مصر المعزية أعزها الله ، القاهرة المحروسة المأنوسة بلطف الله قهر الله أعداءها وكبت حاسديها .

في مصر الحبيبة إلى كل عربي ومسلم التقى الشيخ الخضر بالشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الشيخ الإمام محمد عبده ، وكان لقاء كريما طيباً .

ثم عاد إلى تونس سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة ، ثم عُين عضواً بلجنة « التاريخ التونسي » ثم ينتقل بعد ذلك إلى دمشق ليعمل مدرساً في المدرسة السلطانية .

بيد أن الحكومة العثمانية كانت انتدبته إلى السفر إلى برلين - إبان الحرب العالمية - مع الشيخ عبدالعزيز جاويش وآخرين ، وكانت فرصة ذهبية لإجادة اللغة الألمانية مع الألمان في برلين . . ثم عاد بعد ذلك إلى الأستانة ولم يلبث أن اجتواها وثقل على صدره هواها ، واستوبل أجواءها ، انطلق إلى دمشق مرة أخرى فاعتقله حاكمها سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف ، ونال صنوف العذاب في سجنه ومحبسه ، وتعرض لحملة منطوية على الإرهاب والإعنات والإرهاق الذى لا مزيد عليه .

كـأن بـلاد الله وهى عـريضـة
على الخائف المذعور كفة حابل
يـؤدى إليـه أن كـل ثـنيـة
تيممهـا تـرمى إليـه بقـاتـل

اعتورته الهموم ، ونالت من أجلاده الأشجان لكن ظل يقاومها بثبات وقوة يقين :

وهبك اتقيت السهم من حيث تتقى
فكيف بمن يرميك من حيث لا تدرى

ثم تنكسر حدة الظلم ، ولابد أن يكون ذلك فأراد الله - سبحانه - أن يفرج كربته ، ويرحم غربته ، فأفرج عنه ، وتنعم بالحرية .

نشر في دمشق سلسلة من أخبار رحلته في جريدة « المقتبس » الدمشقية وفيها نشر مجموعات من الشعر الرقيق لما احتل الفرنسيون سوريا سنة اثنتين وعشرين الموافق سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة ، كان استقراره الأخير في بلده الحبيب مصر الغالية حيث وجد فيها هواءً نقياً ، وصدراً حنوناً ، وقلباً رءوما يحتفى ويحتفل بالعلماء الأعلام .

في القاهرة عمل الشيخ الخضر حسين مصححاً في دار الكتب المصرية الكائنة بباب الخلق ، وأنفق بها سنوات خمساً كانت ثرية مأهولة بالخير والخصوبة والنماء .

ألف في مصر رسالته النفيسة : « الخيال في الشعر العربي » .

من شدة حبه لمصر والمصريين وحبهم له نال الجنسية المصرية . . . . . فهو الجزائرى التونسى المصرى .

نال من الجامع الأزهر شهادة العالمية ، فكان حصوله عليها مسوغاً له للعمل بالتدريس في الجامع الأزهر .

أنشأ جمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية الشبان المسلمين ، ثم تولى رئاستها ، ورأس تحرير

مجلتها . فى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة ظهر كتاب : « الإسلام وأصول الحكم » للشيخ على عبدالرازق بما انطوى عليه من طعن فى الإسلام مخالفاً بذلك الإجماع على بدهيات معلومة من الدين بالضرورة .

ثم انبرى الشيخ الخضر حسين يرد على هذا الكتاب ويميط اللثام عما اعتوره من عوار ، وما شابه من مدخولات وآراء فاسدة باطلة شديدة الانحدار ظاهرة البطلان المطلق ، فانتزعت شهادة العالمية من على عبدالرازق .

ثم يصدر كتاب الدكتور طه حسين سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف (سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة) فيكون من نصيبه أن يتصدى له الشيخ الخضر ، فيسدد إليه حراب نقده ، ويعزو ما ورد فيه من مخالفات إلى سموم المستشرقين من أساتذة طه حسين .

إنه نظراً لإخلاصه وقوته كان له مكان فى قلوب محبيه وعارفى فضله .

من ثم اختير رئيساً لتحرير مجلة « نور الإسلام » الأزهرية ، وهى التى صارت فيما بعد « مجلة الأزهر » .. ثم رئيساً لتحرير مجلة « لواء الإسلام » التى أصدرها المرحوم أحمد حمزة باشا .

تكريماً وإكراماً للرجل ، وعرفاناً بفضله وبذله وجهده العلمى والأدبى .. اختير ليكون عضواً بهيئة كبار العلماء (مجمع البحوث الإسلامية حالياً) ، وذلك بموجب رسالة قدمها ، موضوعها : (القياس فى اللغة العربية) ، ثم عمل أستاذاً بكلية أصول الدين .

كان الشيخ محمد الخضر حسين ، من الرعيل الأول إذ اختير ليكون عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد .

تتويجاً لأعماله الجليلة عُين شيخاً للأزهر فى أواخر سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة .. ثم استقال من منصبه سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف .

كان الشيخ إبان زيارته الأخيرة لألمانيا قد التقى فيها بزعماء الحركة الإسلامية مثل : الدكتور عبدالحميد سعيد ، والدكتور أحمد فؤاد ، والشيخ عبدالعزيز جاويش .. وكانت هذه الصداقة خيراً وبركة .

لم تكد تسالم الشيخ الكبير الهموم ، ولم تكن تهادنه الحوادث الجسام ، وتنام عنه الطوارق حتى ألفى نفسه قد أوغل فى الثانية والثمانين من عمره ... وتاقت هذه النفس المبرورة ، والطبيعة اللينة الوفورة ، واشتاقت إلى جوار ربها الذى لا يُضام من والاه ، ولا يشقى من كان مرضياً عنه عنده .. وكما قال شاعر العرب لخنديد : « وسهم المنايا مولع بالذخائر » .

لما شعر الشيخ بأن النهاية المحتومة وشيكة ولم يعد ثم بد منها ولا مصرف عنها ترك وصية حررها على الفور مؤداها أن يدفن فى تربة صديقه وحميمه وواصله خدنه وخدينه أحمد تيمور باشا .

فكما كان كلا الشيخين قريبا من الآخر فى الدنيا ، فلابد أن يكونا قريبين فى القبر .. فرضى

الله عنها وأرضاها ، وقد انتقل الشيخ الخضر إلى رحمة الله في القاهرة سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد .

اجتمعت في الشيخ الخضر حسين من الخلال والسجايا والخصال ما لا يجتمع في غيره إلا في النُدرى .

●●●

قال عنه الشيخ محمد علي النجار :

« كان قوى الحجة ، حسن الجدال ، عف اللسان والقلم ، لا يتناول المنقود بما يخزيه ويثلم عرضه » .

نعم .. نم واسترح أيها الشيخ الجليل فإن صنائعك مذخورة وأعمالك مأجورة ، وأياديك مذكورة ، وفوارط حسناتك في الموقف بين يدى الله تعالى إن شاء الله يوم نلقاه .

فقدناك فقدان الربيع وليتنا
فديناك من دهمائنا بألوف

تراث الشيخ الخضر حسين :

- حياة اللغة العربية : مسامرة ألقاها في نادى الجمعية الخلدونية في الحادى عشر من شوال سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة .
- الخيال الشعرى العربي .
- مناهج الشرف . وهو كتاب في الأخلاق ، طبع بمطبعة الترقى بدمشق سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة .
- الدعوة إلى الإصلاح .
- طائفة القاديانية .
- مدارك الشريعة الإسلامية وسياستها .
نشر في دمشق سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة .
- الحرية في الإسلام . مسامرة ألقاها في السابع عشر من ربيع الثاني سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة ، بنادى جمعية مدرسة قدماء تلامذة المدرسة الصادقية .
- نقض كتاب : « الإسلام وأصول الحكم » .
- نقض كتاب : « في الشعر الجاهلي » .
- خواطر الحياة .. وهو ديوان شعره .
- بلاغة القرآن .
- رسائل الإصلاح . ثلاث رسائل في ثلاثة مجلدات .
- محمد رسول الله .
- آداب الحرب في الإسلام .
- السعادة العظمى .
- تونس وجامع الزيتونة .
- القياس في اللغة العربية ، وهي الرسالة التي تقدم بها لعضوية هيئة كبار العلماء .
- أبحاث ومقالات ودراسات عديدة نشرت في مجلة الأزهر ، ولواء الإسلام ، والهداية الإسلامية .
- شروح وتعليقات على كتاب : « الموافقات للشاطبي » .

والحمد لله رب العالمين

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

رسالة المعلم

للأستاذ : محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

إن رسالة المعلم تتناول كيان الفرد إذ تصقل معدنه ، وتجلو جوهره ، وتخلق منه إنسانا يعيش لغيره ، كما يعيش لنفسه ، وهى بذلك كله : تربية وتكوين قبل أن تكون تعلما وتعليما وتلقينا ، وأساسها روح فاضلة وخلق كريم ؛ والطالب فى سنه المبكرة مرآة صافية صادقة ، تعكس فى وضوح صورة المربى فى المدرسة ، وتنفذ إلى أغوار نفسه فيتمثلها وينقاد وراءها ؛ وهو حين ينمو فكره ، وتسمو روحه ، ويقوى جسمه ، تكون صورة أستاذه ومربيه ، قد انطبعت فى كل عناصر كيانه .

ولهذا ينبغى على المعلم أن يكون قدوة حسنة ، فى دينه ، وخلقه وفى كل صفاته وتصرفاته .

فالشباب هم رجال المستقبل وعصب الحياة ، وعدة الأمم ، به تعيش ، وفى سبيلها تحيا ، والأمة القوية هى التى تتمتع بقوة شبابها ، والأمة السعيدة التى يعمل فيها الشباب بفكر وثاب ، وعزيمة لا تعرف الخور ، وأمل لا يرقى إليه الملل ، ولذلك تحرص الشعوب الناهضة على العناية برسالة المعلم وتوفير كل ما هو بحاجة إليه ؛ ليتفرغ لأداء واجبه ، تفرغا كاملا ، نجنى من غرسه أطيب الثمرات ، وأحسن الخيرات .

إن الشباب نار ونور ، والمعلم الناجح المخلص فى عمله يستطيع أن ينير الطريق بيسر وسهولة ويعالج العقبات بما أوتى من فهم وبعد نظر ، محققا الأمل المنشود من رسالة المعلم .

قال الكاتب ـ رحمه الله ـ :

المعلمون الذين ستقع أنظارهم على هذه الكلمة يعدون بالمئات إن لم يعدوا بالألوف ، وما منهم إلا من يحفظ كلمة حافظ فيهم :

قم للمعلم وفّـه التبجيـلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

وهم يحفظون هذه الكلمة على أنها ثناء عليهم بأنهم ـ مع قيامهم بمهمة التعليم ـ يحملون رسالة من رسالات الله ، يتوسلون بها إلى مرضاة الله . وإذا كان فيهم من أجهد نفسه فى طلب العلم من نعومة أظفاره فى مختلف مراحل التعليم إلى أن صار معلماً ، ولم يبلغ بعد أن يكون من حملة رسالة الله إلى أبناء الجيل الناشىء فى معاهد التعليم ، فإن الناس لا ينكرون عليه أنه معلم ، ولكنهم لا يعترفون له ـ ولا هو يعترف لنفسه ـ بأنه أحد الذين أثنى عليهم حافظ إبراهيم ، لاضطلاعهم برسالة التعليم .

المعلمون فريقان : معلم آلى يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين ، ومعلم صاحب رسالة فى التعليم يؤدى عمله من قلبه إلى قلوب المتعلمين . وكلا الفريقين يؤدى عمله ، ويبذل فى سبيله من جهد ووقت مثل الذى يبذله صاحبه ، غير أن أحدهما آلة ، والآخر مؤمن برسالة .

الأول تافه يعيش على هامش الحياة ، والآخر خالد يؤدى لله واجبه فى تكوين الجيل وإعداده للحياة .

الأول أسطوانة تتحرك وهى لا تشعر بما تتحرك له ، والآخر أب حكيم رحيم يعتبر تلاميذه أمانة الله بين يديه كأولاده الذين اختصه الله بهم وائتمنه عليهم .

إن الأمة الإسلامية كلها ـ ومصر فى جملتها ـ تجتاز الآن طوراً من أطوار تاريخها ، وهى منه على مفترق الطرق . والتطور لا يتناول الذين شبوا عن الطوق ودخلوا فى سن الرجولة أو الكهولة أو الشيخوخة ، بل يتناول رواد معاهد العلم من البراعم التى فى سن الطفولة ، إلى المراهقين الذين يملأون المدارس الثانوية ، فالشباب الذين يتلقون التعليم الجامعى ، هؤلاء هم المعرضون الآن لحادث التطور ، وهؤلاء هم الواقفون على مفترق الطرق ، وهؤلاء هم الذين سيكون منهم ـ فى عشرات السنين الآتية ـ أتفه أمة أخرجت للناس ، أو خير أمة أخرجت للناس . وفى يد المعلم ، المعلم الذى يجهل رسالته أو يتجاهلها ، والمعلم الذى يعلم رسالته ويؤمن بها ، فى يد هذا الفريق من المعلمين أو ذاك ، تكوين الجيل الآتى ، وإعداده لمستقبل الأمة والوطن جيلا تافها ، أو جيلا خيراً نافعا .

كان اسم المصنع القائم على إعداد الأجيال الماضية « وزارة المعارف » ، لأن المطلوب من المعلم فيما مضى كان حشر ألفاظ من المعارف فى أمخاخ التلاميذ والطلبة ليجتازوا بها الامتحان السنوى ، ثم يحصلوا بعد ذلك على شهادة يتوصلون بها إلى وظيفة فى دواوين الحكومة ، فكان يكفى لذلك أن يكون المعلم آلة تحفيظ يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين .

هذه هى الطريقة التى اختطها « دانلوب » وزارة المعارف ، وسارت عليها وزارة المعارف فى النصف الماضى من هذا القرن . أما الآن ، أى فى السنة الدراسية الجديدة ، فقد تحولت وزارة المعارف إلى شيء آخر ، إلى « وزارة التربية والتعليم » ، إشعارا للمعلم بأن عمله الفردى السابق أصبح الآن عملا مزدوجاً : كان معلماً وصار معلماً ومربياً . كان موظفا مكلفا بإعداد موظفين ، فصار أباً مكلفاً بإعداد رجال عاملين خيرين نافعين . كانت مهمته تنتهى بين لسانه وآذان تلاميذه ، فازدوجت الآن هذه المهمة ، وصار مكلفاً بأن ينشيء صلة جديدة بين قلبه وقلوب أبناء كأبنائه ائتمنه الوطن عليهم ليكون منهم خير أمة أخرجت للناس ، لا ليتركهم هملا يتعرضون بأهوائهم لحبائل الشيطان فيكونوا شر أمة أخرجت للناس .

لقد تحول المعلم عندنا ـ المرة الأولى ـ من آلة أو أسطوانة تردد مناهج وزارة المعارف ، إلى مرب يرى فى نفسه أنه سفير وزارة التربية والتعليم ، إلى فلذات أكباد الأمة الذين يملأون مقاعد معاهد التربية والتعليم ، ليجعل منهم لبنات قوية سليمة فى بنيان الجيل الحبيب فى المستقبل القريب .

لقد صار المعلم مربياً ومعلماً من قلبه وصميم روحه ومنتهى عزيمته ، بعد أن كان معلماً من لسانه وذاكرته . وهذا الفرق الجوهرى بين المعلم الدنلوبى والمعلم الاستقلالى هو الذى يجب أن يجعله المعلم نصب عينيه فى داخل مدرسته وخارجها .

لقد أصبح المعلم مسئولا عن تربية العقل فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، والعقل هو المصباح للنفس البشرية يقوم على توجيهها إلى الحق والخير فى طريق الحياة ، فكلما كانت عناية المعلم بتربية عقل التلميذ أحكم وأقوم ، كان للأمة من هذا التلميذ الرجل المستنير المهذب الذى تعتز به الأمة ويرتفع مستواها ويستقيم سيرها نحو العلى ، فيكون لها فى التاريخ دور أعز وأفضل وأعلى .

والمعلم مسئول عن تربية الخلق فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، ليكون الجيل الآتى من الأمة ـ فى عشرات السنين التالية ـ من أهل الصدق والتعاون على الخير ، والصبر فى الشدائد ، ومن أهل القصد والرفق والاعتدال ، والدأب فى العمل والمثابرة عليه والتجويد له ، وإيثار الآجلة بنصيبها من السعى والجهد ، مع إعطاء العاجلة حقها من ذلك .

أيها المعلمون ، أنتم الذين تروون للناس قول شوقى : « الأمم الأخلاق » وقد مل الناس رواية هذه الكلمة بالألسن ، وباتوا فى حاجة إلى أن يروها معمولا بها فى سيرتنا وتصرفاتنا وتعاملنا فيما بيننا ، لتكون قدوة لهم ولتكون لهم أسوة بنا ، فإن لسان الحال أبلغ وأصدق وأجدى وأسرع تأثيرا من لسان المقال ، وإذا كانت الأمم الأخلاق ، فما هى منزلتنا الآن من هذه الأخلاق ؟ وهل من سبيل إلى الارتفاع بمنزلتنا إلا على أيديكم ؟ وإذا كان التغنى بقول شوقى : « إنما الأمم الأخلاق » لم ننتفع به من طريق الكلام ، فهلا ترون أن الأوان قد آن لتجرب طريق القدوة والأسوة ؟ وإذا كنتم يائسين من جدوى القدوة والأسوة فى جيلى أنا وأمثالى من

الذين شبوا عن الطوق ، فهلا نبدأ بتجربة القدوة والأسوة مع هذه البراعم المتفتحة على مقاعد مدارسكم ومعاهدكم ؟

إن الزمان استدار ، والبضاعة التى كانت ترضى وزارة المعارف فيما مضى ، لن تكتفى بها وزارة التربية والتعليم فيما سيأتى ، وقد أصبحت الأمة فى حاجة إلى جيل منها جديد يحب الله ، ويؤثر رضاه ، ويتقى مساخطه . ويختار الحق والخير ، ويقتدى فى ذلك بالمثل العليا فى سيرة الأخيار من أهل الحق ، وما أكثرهم فى سلف هذه الأمة الغنية بالأخلاق فى جاهليتها ، فضلا عن عصور الإسلام التى قدمت للإنسانية من قادة الحق والخير من لا تضارعها فيهم أمم الأرض مجتمعة ، فاستمدوا من هذا الماضى الغنى بالفضائل لإعداد المستقبل إعداداً صالحا تتصل أخراه بأولاه ، فتستأنف سيرتنا الطيبة فى التاريخ .

عرفوا الأحفاد بفضائل الأجداد .

ابعثوا فى الحاضر مآثر الماضى .

اربطوا قافلة الغد بقافلة الأمس لتواصل طريقها إلى السعادة .

إن معلم الناس الخير ﷺ كان يستعيذ بالله من علم لا ينفع ، فعلموا تلاميذكم ما ينفعهم فى تنمية عقولهم ، وتربية أخلاقهم ، والنهوض بمستوى حياتهم ، حتى يكونوا أمة صالحة تحترمها الأمم ، وحتى يكونوا أمة صدق ، ودأب ، وتجويد ، وابتكار لكل ما ينفع الناس ويقضى حاجاتهم ويرفع مستواهم بين الأمم .

هذه هى رسالة المعلم ، والذى يؤمن بها لا يحتاج إلى مناهج تدله عليها ، ولا إلى دليل يأخذ بيده إليها كالدليل الذى يستعين به الكفيف إذا سلك طريقه .

هى رسالة يعرفها كل معلم ، ثم يتفاوتون فى العمل بها ، بقدر تفاوتهم فى الإيمان بها . والفارق بين الفريقين هو أن يميز المعلم طريقه فى التعليم : فهل هو موظف فى وزارة المعارف الدنلوبية ، أم هو سفير وزارة التربية والتعليم ، المتعاون معها على تكوين الجيل الجديد بتربية عقله وخلقه ونفسه ، وتزويده بالعلم النافع للنهوض بمستوى الأمة الاجتماعى إلى ما يرضى الله وتعم فى الأوطان الإسلامية رسالة الحق والخير .

إن رسالة المعلم هى رسالة الدليل للأمة الحائرة وهى على مفترق الطرق ، فانظروا إلى أى طريق أنتم ذاهبون بها . .

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال كأنى أنظر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يحكى نبياً من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » . متفق عليه .

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين

السؤال من السيد / ع . م

ما حكم الاحتفال بإقامة السرادقات للميت لاستقبال المعزين والتباهى بالإنفاق عليها من إحضار قارىء مسموع ، وتقديم الأطعمة للمعزين . وتأخير الدفن لوقت معين لاجتماع الناس والنعى . وقراءة القرآن للميت وتقديم الصدقة ؟

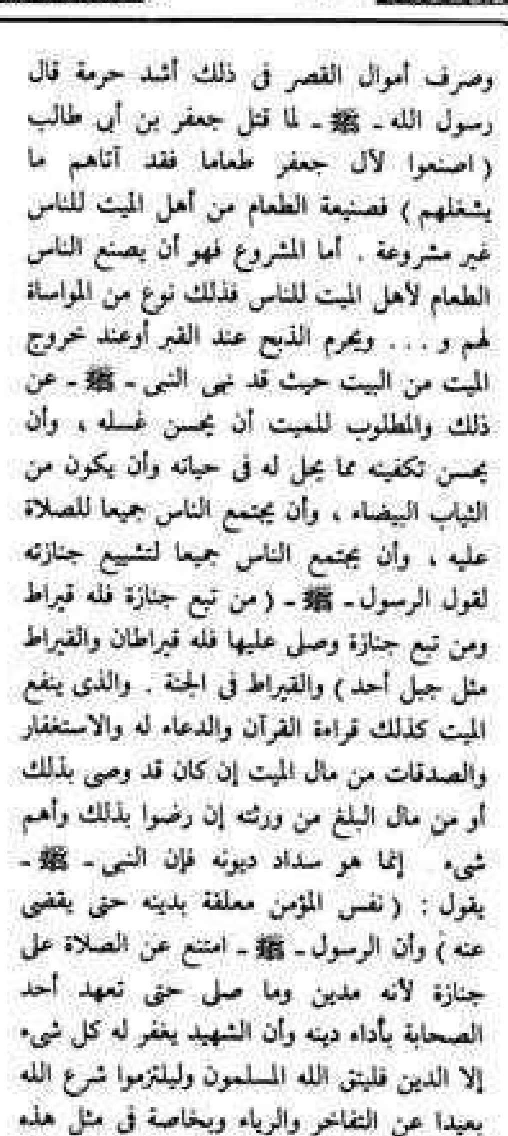
الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأن المشروع عند الموت الإسراع بالتجهيز والجنازة للدفن بعد أن يمضى الوقت الذى يغلب على الظن فيه أن الوفاة قد تحققت - يقول الرسول - ﷺ - (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك غير ذلك فشر تلقونه عن كاهلكم) وبذلك لايشرع تأخير الدفن حتى يجتمع الناس كما لايشرع النعى بالصورة المعروفة الآن من ذكر صفات الميت ووظائفه وأقربائه وصفاتهم فإن ذلك من نعى الجاهلية وقد نهى عنه الرسول - ﷺ - أما المشروع للنعى فهو الإعلان لأقربائه وأصدقائه بدون ذكر لصفاته ومراكزه .

وإقامة السرادقات والتباهى بإقامتها وإحضار القارئين المسموعين لها وتقديم الأطعمة للمعزين كل ذلك غير مشروع لما فيه من الإسراف فى الأموال والفخر على الناس والإضرار بالقصر من ورثة الميت إذ أن صرف الأموال فى ذلك محرم


وصرف أموال القصر فى ذلك أشد حرمة قال رسول الله - ﷺ - لما قتل جعفر بن أبى طالب (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد آتاهم ما يشغلهم) فصنيعة الطعام من أهل الميت للناس غير مشروعة . أما المشروع فهو أن يصنع الناس الطعام لأهل الميت للناس فذلك نوع من المواساة لهم و . . . ويحرم الذبح عند القبر أوعند خروج الميت من البيت حيث قد نهى النبى - ﷺ - عن ذلك والمطلوب للميت أن يحسن غسله ، وأن يحسن تكفينه مما يحل له فى حياته وأن يكون من الثياب البيضاء ، وأن يجتمع الناس جميعا للصلاة عليه ، وأن يجتمع الناس جميعا لتشييع جنازته لقول الرسول - ﷺ - (من تبع جنازة فله قيراط ومن تبع جنازة وصلى عليها فله قيراطان والقيراط مثل جبل أحد) والقيراط فى الجنة . والذى ينفع الميت كذلك قراءة القرآن والدعاء له والاستغفار والصدقات من مال الميت إن كان قد وصى بذلك أو من مال البلغ من ورثته إن رضوا بذلك وأهم شىء إنما هو سداد ديونه فإن النبى - ﷺ - يقول : (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه) وأن الرسول - ﷺ - امتنع عن الصلاة على جنازة لأنه مدين وما صلى حتى تعهد أحد الصحابة بأداء دينه وأن الشهيد يغفر له كل شىء إلا الدين فليتق الله المسلمون وليلتزموا شرع الله بعيدا عن التفاخر والرياء وبخاصة فى مثل هذه المواقف حتى لاتجتمع بلية النفس والمال ، والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / اللواء عبد الحكم عباس إبراهيم توفى عن : بنتين ، وأولاد أخوين شقيقين ذكور وإناث فمن يرث وما نصيبه .

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد .

فنفيد بأن للبنتين الثلثين فرضاً لعدم من يعصبهما يقسم بينهما بالتساوى والباقى للذكور فقط من أولاد الأخوين الشقيقين تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أبناء أخ واحد ، ولاشىء للإناث من أولاد الأخوين الشقيقين لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال ، والله أعلم .

السؤال من السيدة / هدى محمود خلف إبراهيم تقول فيه :

شاب يريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد ولكن توجد أخت للفتاة رضعت من أم الشاب فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأنه مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ولا عبرة أن أخت الفتاة رضعت من أم الشاب فالحرمة تقع على من رضع ، والله تعالى أعلم .

من السيد / ع . و

[السؤال الأول]

ـ أعطانى الله من نعمه وبنيت مسجداً وأخرج من الزكاة ثلثها أو خمسها للمسجد فهل يجوز ؟

الجواب

لامانع من دفع بعض الزكاة لعمارة المسجد : فذلك من سبيل الله على ما هو المختار للفتوى .

[السؤال الثانى] عندى مزارع سمكية تشرب بالآلة هل تكون زكاتها نصف العشر أم ربع العشر . وهل تخرج الزكاة بعد خصم مصروفات الزريعة والغفرة وأجر عمال واستخراج السمك من الإيراد الكلى ، أو تخرج الزكاة من الإيراد الكلى دون خصم المصروفات السابقة ؟

الجواب

إذا كانت هذه تجارة يقوم السمك آخر العام ويخصم من ثمنه المصاريف والديون ، وتخرج الزكاة على الباقى بواقع ٢,٥٪ (على كل ألف جنيه ٢٥ جنيها) .

[السؤال الثالث] عندى نخل حيانى بلحه أحمر ورطب ولايصلح تمراً وأدفع زكاته نقداً . فهل يجوز ؟

الجواب

البلح الذى لا يصلح تمرا لا زكاة فيه على رأى بعض المذاهب ، ولا مانع من إخراج صدقة عنه ليبارك الله فيه .

[السؤال الرابع] هل الفلوس التى فى البنك تستحق الزكاة على رأس المال أو الأرباح ويوجد جدال على الفلوس التى فى البنك يقال أنها ربا ؟

الجواب

النقود التى فى البنوك التجارية العادية تجب الزكاة فى أصلها عند آخر الحول الهجرى إذا بلغت نصابا وهو ما قيمته حوالى ٨٥ جراما من الذهب بواقع ٢,٥٪ (على كل ألف جنيه ٢٥ جنيها) أما الفوائد فهى مما لا زكاة عليها ، وتنفق فى سبيل الله ، ولا يجوز الانتفاع بها شخصيا ؟

[السؤال الخامس] ـ يسلمون على أقربائى أو أغراب من النساء صغيراً وكبيراً ويبوسون على يدى ويبوسون فى وجهى وأنا محرج أن أقول لهم : ماتبوسونيش وأعتبرهم كأخواتى وأبنائى وأشعر كأنى أسلم على رجل عادى فهل فيها شىء مخالف للدين . أو تنقض الوضوء ؟

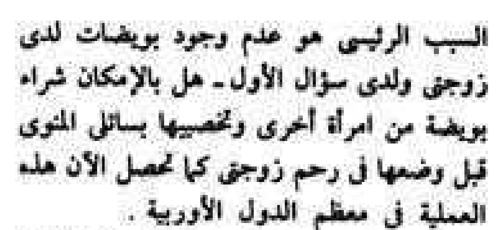
الجواب

النساء القريبات منهن محارم كالأم والبنت والأخت وغير محارم كبنت العم وبنت الخال .. وغير المحارم لا يجوز السلام عليهن باليد بدون حائل ، وبالتالى لا يجوز التقبيل ولا غيره ، أما الوضوء إذا كان اللمس بغير حائل فهو ينتقض عند الشافعية مطلقا ولا ينتقض عند المالكية إلا إذا كان فيه تعمد أو شهوة ، فالأولى البعد عنه وعدم فعله والقول بالنقض أولى .

سؤالان من المواطن الدكتور عثمان حسين إلى صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

وبالاطلاع على الاستفتاءين تبين أن الأول يقول فيه : أنا متزوج منذ سبع سنوات ولم يرزقنى الله بأطفال حتى الآن كل التحاليل الطبية أكدت أن




السبب الرئيسى هو عدم وجود بويضات لدى زوجتى ولدى سؤال الأول ـ هل بالإمكان شراء بويضة من امرأة أخرى وتخصيبها بسائل المنوى قبل وضعها فى رحم زوجتى كما تحصل الآن هذه العملية فى معظم الدول الأوربية .

٢ ـ إذا كانت الإجابة بلا فى السؤال الأول فهل بإمكانى الزواج من امرأة ثانية ثم أخذ بويضة منها بموافقتها ثم تخصيب البويضة بسائل المنوى ووضعها فى رحم زوجتى الأولى وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فنفيد بالاطلاع على السؤالين المذكورين أعلاه بأنه لايجوز شرعا فى تلكما الحالتين ، والله تعالى أعلم .

سؤال :

رجل مسلم الديانة متزوج من سيدة كانت مسيحية واعتنقت الدين الإسلامى وأصبحت مسلمة والزوجة لها ورثة مسيحيون فهل يحق لهم الإرث منها فى حالة وفاتها ، وما الحكم ؟ مع الإحاطة أن الزوجة ليس لها أولاد . . .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأن ميراث هذه الزوجة المسلمة يرثه زوجها فإذا لم يكن زوجها موجودا فإن ميراثها يؤول إلى بيت المال . ولا يرثها أحد من المسيحيين لاختلاف الدينين إذ هو مانع من موانع الإرث والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة/ عزيزة أحمد مرسى تقول فيه :

توفى رجل عن زوجة ، وخمس بنات ، وأخ وأخت شقيقين . . فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد . . فنفيد بأن للزوجة الثُمن فرضاً لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الخمس الثلثان فرضاً لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخ والأخت تعصيباً يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى . . والله ـ تعالى ـ أعلم .

« وعن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ـ ﷺ ـ إن الله ليملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ . (هود-١٠٢) متفق عليه .



للأستاذ: محمد عبد الوهاب

تقدم الخميلة اليوم طاقة متنوعة من القصائد الشعرية المعبرة نبدؤها بقصيدة عنوانها: «وداعاً أبا سامي» للأستاذ الدكتور سعد ظلام، وهي مهداة إلى روح إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي رحل عن دنيانا، وكنا في أشد الحاجة إليه، وسوف نوالي نشر ماورد إلى المجلة عن رحيل إمام الدعاة في الأعداد المقبلة - إن شاء الله.

ثم نتبعها بقصيدة من تراث الشريف الرضي، الذي يعتبر من أشعر الشعراء القرشيين، وفيها يعبر عن اعتزازه بنسبه الشريف، وبالحنين إلى أسلافه من آل بيت النبوة عليهم جميعا الصلاة والسلام.

ثم قصيدة للشاعر جابر محمد الكردي، يعرض من خلالها رأيه فيما يكتبه بعض الصحفيين من تهجم ظالم على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر - حفظه الله - فيظهر الحقائق التي يحاول الشانئون أن يخفوها افتراء وظلما.

ونقدم قصيدة للشاعر محمود الطاهر الصافي - يعبر فيها عن عقيدة التوحيد بأبياته الشعرية الصادقة.

ونختتم جولة الخميلة في هذا العدد بقصيدة «في حب مصر» بعنوان «أنا مصر» يقدم من خلالها الشاعر / محمد أحمد المغصراني ما يحسه من محبة وشوق إلى الوطن العزيز الغالي «مصر».

هذا ونرجو أن يوفقنا الله - سبحانه وتعالى - لتقديم كل ما يروق ويفيد، كما نرجو من قرائنا وكتابنا الأعزاء - موافاة إدارة المجلة بآرائكم وما ترجونه في هذا الباب.

والله ولي التوفيق

وداعاً أبا سامي



إلى روح مولانا إمام الدعاة الشيخ

«محمد متولي الشعــراوي» الذي رحل

عن دنيانا وكنا في أشد الحاجة إليه

دكتور سعد ظلام

بروحي لو تفدي .. لجئتك فاديا   وقدمت قلبي .. والمنى وفؤاديا

ولكنها الآجال .. والعمر والدنى   وسفر طواه الموت فينان عاليا

وداعاً «أبا سامي» .. فذاك مصيرنا   وهذا قضاء الله في الخلق ماضيا

نعاك صباح كالنواعي .. فساءنا   نظرت .. كأن الشمس مالت بأفقها

وساء صباح كان للشيخ ناعيا   وملت مداها .. والسنا والمراقيا

وأن شحوباً غل فيها ضياءها   وأثقل فيها خطوها والمعاليا

دعتها الغواشي بالفراق .. وراعها   وداعٌ .. وما أقسى النوى والغواشيا

تناهى أماسيها الصعاب بفقده   وتخشى الأماسي أن يصرن مآسيا

وأزهرنا المعمور أجهش باكيا   وودع تاريخاً مضيئاً .. وغاليا

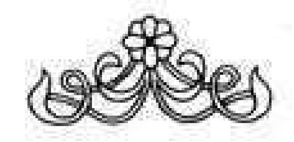
وشيع إحدى قبلتيه .. ومنبراً   وجزءاً عزيزاً بالحضارة زاهيا

وقد كان مأزوماً .. فكنت رجاءه   وقد كان محروباً .. فكنت المداويا

فيا أيها اليوم الذى لا أطيقه   وأنت غراب البين أسحم داجيا
خطفت ائتلاقاً واخضراراً .. وبسمة   وأفراح عرس قد رجعن بواكيا
ويتمت فينا الحب وهو رسالة   وأرغمتنا ألا نرجى التلاقيا
رحلت « أبا سامى » فسودت أفقنا   وبيضت بالآلام تلك المآقيا
ملايين هبت للوداع .. أسيفة   سقاها الردى كأساً من الحزن داجيا
يتامى .. كأن الموت ألجم حسهم   وأعمل فيهم ما يفوق المواضيا
وهاهم .. حواريوك .. فى كل موقع   بهم من سهام القهر والغدر .. ما بيا
يعزون فيمن كان ملء حياتهم   ربيعاً يرجى ، أو طبيباً .. مداويا
ومن كان ملء السمع والقلب علمه   وصوت كصوت الحق بالحق .. داويا
يهز متون الظلم صوت هزيمة   يقول فلا يخشى سوى الله .. راعيا
عيون على المحراب .. والمصحف الذى   غزلت بدنياه حياتك .. ثاويا
وأنت به نعم الخبير .. سهازه   تصيد بها النجمات .. حلين حاليا
كشفت بنور الله عذب ضيائه   وأخرجت منه دره واللآليا
مهارة صياد .. وبوحة عاشق   أديب وفيض بالتدفق هاميا
وأنت .. ورب البيت فنان مصحف   حباك الإله الذوق فنان راقيا
ويا أيها الركب المسافر للسما   وأنت تغذ السير .. فرحان .. هانيا
تركت بنا الأشجان ترعى نفوسنا   وتزرع أياماً تشيب النواصيا
فتسود فى وجه الحياة وجوهنا   وتكلح آفاق الدهور تغابيا
ترفق بنا .. يا أيها الركب .. إننا   لفى حاجة قصوى إليه .. تناهيا
فمن للدعوة الغراء .. بعد « محمد »   ومن لكتاب الله سهران .. تاليا ؟
ينقب عن معنى .. ويشرح لفظة   ويسلك بالحب المضيىء المثانيا
ومن هتاف الحق يهدر صوته   فتهتز أركان .. وتجثو تداعيا
ومن للأولى زجوا بحضنك ضعفهم   فكنت لهم كهفاً أميناً وحانيا ؟
يتامى كأن الموت غال أباهم   وما أضعف المجنى .. وأقساه جانيا
ويا أيها الحزن الذى شق صدرنا   وداس بخفيه السنا والأياديا
وحطم أفنان .. وهد منائرى   وخل مشاعرى الغضاب بواكيا
عزيز علينا أن تفارق شيخنا   وكنت لنا مجداً منقياً .. وهاديا
عزيز علينا أن تفارق شيخنا   ونحن على حال تسر الأعاديا

نفتش عن شيخ قئول .. فلا نرى   وقار .. فلا نلقى سوى الضعف قاريا
وها أنت قد ودعت .. فارتاع حالنا   وأظهر فينا كل ما كان خافيا
عزيز علينا يا نموذج نفسه   فراقك .. يا طب القلوب .. وشافيا
عزيز على مثلى .. وإنك قدوتى   وإن كنت قد حوصرت نابا .. وناديا
وقد حيل ما بينى .. وبين مواهبى   كما حيل بين الزرع والماء صافيا
ترشفت كأس الحزن حتى رشفته   ولكن رفضت الضعف حتى التفانيا
تصبرت حتى قيل إنى صابر   ومن لى بهذا الصبر حسا مداجيا ؟
فجئت وفى روحى بقايا عزيمة   لأعزف من حزنى لحوناً غواليا
وامتص من نعمى حديثك نفحة   أصوغ بها نفسى إليك مناجيا
أتيت كأنى فى الحديد مقيد   تموت أحاسيسى .. وتحيا تفانيا
أتيت .. ولكن فى وضوئى وروعتى   وأحرمت قلباً ناصع الطهر ساجيا
كأنى بساحات « الحطيم » و « زمزم »   أعالج قلباً بالوضاءة راجيا
كأنى على باب « الحسين » و « جعفر »   أمد أكفى بالضراعة داعيا
تهيبت .. والخطوات أثقلها الأسى   وأشفقت لما جئت روضك باكيا
أقدم خطوى ثم أرجع ثانيا   وأحزم صبرى ، ثم يرتد خاويا
وأبوابك السبع المثانى .. ومن لنا   بمثل المثانى مدخلاً متناغيا ؟
ومن أين ؟ والأبواب عالية الذرى   ونبض المعانى كالسما متراميا
مهارج إيمان .. ونبل .. وحكمة   ومعراج أخلاق يجوز المراميا
أتيت إلى أبواب علمك قابساً   فحيث التفتنا .. كان نورك هاديا
دخلت تضاعيف الحياة .. فردها   زعيماً سياسياً .. أديباً .. وحاديا
فرأيك مقبول ، ونصحك سائغ   وأمرك تلقيه ، فيصبح ماضيا
وكم موقف لله أنت وقفته   لتدفع ظلماً ، أو تقيم المباديا
تواضعت فى غير اتضاع وإنما   تكون المعانى حيث تبدو روانيا
أأحكى عن الشعر الذى أنت نسبة   إليه ، وكم دبجت فيه القوافيا ؟
أم الفقه والفتيا ؟ أم الدين والحجا   أم الحفظ للقرآن أسنى عواليا
أم البر والإعطاء والجود والندى   تعم قريباً فى العطاء .. ونائيا
« دقادوس » قد أنجبت للدين عالماً   وبحر علوم الله مد السواقيا
ومجتهداً « كالشافعى » و « مالك »   وصنو وابن عباس « و » عزا « وداعيا
ونجما على الآفاق فى كل منتدى   يرد ضلالات ويفحم غاويا

ومن هو سباق إلى كل غاية ... ومن حبه زكى القلوب تصافيا
ومن هو نجم الدين فى كل محفل ... يعطر بالقول المضىء المجاليا
وكم صاول الإلحاد وهو مدجج ... وما هابه .. والأفق يهمى دواهيا
ومن مثل « شعراوى » إماما وأمة ... وخلقاً رضيا كالشعاع تساميا
وأفصح ما فيه الذى لايذيعه ... وقد ظل سرا مطمئنا .. وخافيا
وليس يذيع الروض إلا عبيره ... ولو كان من يجنيه لصا وجانيا
سيرضيك إما كنت يوماً صديقه ... وترضاه إما كنت يوماً معاديا
سترضاه فى الحالين صدق مودة ... ويرضيك فى الحالين بالود صافيا
فيا أيها الشيخ المقيم .. وإن نأى ... لذكرك كالأهرام مازال باقيا
يصوغ على تاريخنا ووجودنا ... ربيعاً ينث الطيب فينان زاكيا
ويملأ بالإشراق وجه حياتنا ... وتهدينا نفساً .. ودرباً .. وناديا
ستبقى بما قدمت للمجد أولاً ... وتبقى بما أبقيت للخلد ثانيا
على كل أفق مصحف .. وملائك ... وقلب نبى مشرق الوحى .. داعيا
وألف صلاة ضمختك بعطرها ... وسيل من الرحمات يهمى سواقيا
سلام عليكم يا إمام دعاتنا ... مع الرسل مرضيا عليك .. وراضيا



من شعراء قريش:

الشريف الرضى

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ذى المنقبتين أبى أحمد الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ولد فى بغداد سنة ٣٥٩ هـ . وتوفى هناك سنة ٤٠٦ هـ .

يقول الثعالبى فى يتيمته : « إن الرضى ابتدأ بقول الشعر ، بعد أن جاوز العشر سنين بقليل » ، وقال الفتح بن جنى : « إن الشريف الرضى أحضر إلى السيراف النحوى ، وهو طفل لم يبلغ عمره عشر سنين ، فلقنه النحو . وقعد معه يوماً فى حلقته فذاكره بشىء من الإعراب ، على عادة التعليم ، فقال له : إذا قلنا رأيت عمرو ، فما علامة النصب فى عمرو ؟

فقال له الرضى : بغض علىّ ! فعجب السيراف والحاضرون من حدة خاطره » .

كان ذا هيبة ، وورع وعفة ، ومراعاة للأهل والعشيرة ؛ رفيع المنزلة بشرف نسبه وعلو منصبه ، حيث انتقلت إليه نقابة الأشراف من أبيه وهو حى ، وتولى معها إمارة الحج والمظالم ، وكان يرشح نفسه للخلافة ، ومن أدل شعره على عزة نفسه ، قوله يخاطب القادر بالله الخليفة العباسى :

عطفاً ! أمير المؤمنين ، فإننا ... فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبدا ، كلانا فى المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك ، فإننى ... أنا عاطل منها ، وأنت مطوق

ونختار له اليوم نصاً يفتخر فيه بآل البيت - عليهم السلام - فيقول :

ألا لله بادرة الطلاب ... وعزم لا يروع بالعتاب
وكل مشمر البردين يهوى ... هوى المصلتات إلى الرقاب
أعاتب على بعد التنائى ... ويعزلنى على قرب الإياب
رأيت العجز يخضع لليالى ... ويرضى عن نوائبها الغضاب

ولولا صولة الأيام دوني ... هجمت على العلى من كل باب
ومن شيم الفتى العربي فينا ... وصال البيض والخيل العراب

ثم يقول :

سقى الله المدينة من محل ... لباب الماء والنطف العذاب
وجاد على البقيع وساكنيه ... رخى الذيل ملآن الوطاب
وأعلام الغرى، وما استباحت ... معالمها من الحسب اللباب
وقبرا بالطفوف يضم شلوا ... قضى ظمأ إلى برد الشراب
و(سامرا)، و(بغدادا)، و(طوسا) ... هطول الودق منخرق العباب
فلو بخل السحاب على ثراها ... لذابت فوقها قطع السراب
سقاك فكم ظمئت إليك شوقا ... على عدواء داري واقترابي

ثم يقول :

صلاة الله تخفق كل يوم ... على تلك المعالم والقباب

إلى أن يقول :

وفي قبران بالزوراء أشفي ... بقربهما نزاعي واكتئابي
أقود إليهما نفسي وأهدي ... سلاما لا يحيد عن الجواب
لقاؤهما يطهر من جناني ... ويدرأ عن ردائي كل عاب
قسيم النار جدي يوم يلقى ... به باب النجاة من العذاب[1]
وساقي الخلق والمهجات حرى ... وفاتحة الصراط إلى الحساب
ومن سمحت بخاتمه.. يمين ... تضن بكل عالية الكعاب
أما في باب خير معجزات ... تصدق، أو مناجاة الحباب
أرادت كيده، والله يأبى ... فجاء النصر من قبل الغراب
أهذا البدر يكسف بالدياجي ... وهذي الشمس تطمس بالضباب
وكان إذا استطال عليه جان ... يرى ترك العقاب، من العقاب
بكم في الشعر فخري لا بشعري ... وعنكم طال باعي في الخطاب
أجل عن القبائح غير أني ... لكم أرمي وأرمى بالسباب
فأجهر بالولاء، ولا أوري ... وأنطق بالبراء، ولا أحابي
ومن أولى بكم مني وليا ... وفي أيديكم طرف انتسابي
محبكم ولو بغضت حياتي ... وزائركم ولو عقرت ركابي
تباعد بيننا غير الليالي ... ومرجعنا إلى النسب القراب

الناقدون في الميزان

للشيخ: جابر محمد الكردى

بعض الصحافة تقلب الميزانا ... وترى النهار من الهوى ألوانا
تأبى التطور والتقدم كالذى ... ألف الجمود وقيد الأذهانا
ماضى أزهرنا علوم نفحت ... من كل حشو فى المناهج كانا
من نصف قرن والمناهج عندنا ... ترجو القشيب وتنشد الأعوانا
حتى أتاها شيخنا وإمامنا ... يبغى المفيد ويعدل الميزانا
متخصصون لدى الإمام تعاونوا ... حتى أتموا الصرح والأركانا
نعماء طنطاوى أنت إمامنا ... تبنى وغيرك يمقت البنيانا ؟
الوعظ خلفك والمعاهد كلها ... والشعب يعلن بالرضا إعلانا
يا شيخ أزهرنا سلمت من الردى ... ويحطم القلم الكسيح عيانا
من كان مثلك لا يضام لأنه ... يخشى الإله وينشر الإحسانا
لك فى المنابر صحبة ومحبة ... وعلوت فى علم الكتاب بيانا
إن كان بعض الناقدين تطاولوا ... فكريم طبعك قد بدا عنوانا

من لطيف المنح

على بعض ماماء ونبح

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

من المغيبات التى أخبرت عنها السنة النبوية الصحيحة ، أن صياح الديكة ينبىء عن رؤية الملائكة ، وأن بعض العجماوات من البهائم تحس بما ينال بعض الموتى ، من عذاب فى القبر ، وغير ذلك مما لا مجال للإفاضة فى شرحه وتفصيله ، وكل هذه بالطبع تجليات أودعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعض مخلوقاته ، وأيدتها حقائق العلم الحديث ، التى نورد فى هذه الأسطر طرفاً منها فى محاولات متواضعة ، قصد العلماء من ورائها استكشاف واستكناه الروابط النفسية ، والصلات الروحية ، بين الإنسان والحيوان ، منوهين بما أوردته السنة النبوية ، من أن اقتناء الكلاب ينقص من أجور أصحابها فى كل يوم .

وأول هذه القصص ما جاء فى مقال نشرته مجلة (العصر الحديث ـ *New Age*) الأمريكية ، فى عدد شهرى سبتمبر وأكتوبر سنة ١٩٩٥ ، حيث قال الكاتب : إن فى بلدتى بإنجلترا إحدى الجارات الأرامل ، كانت تقتنى فى بيتها أحد القطط ، وكان ابن هذه السيدة بحاراً ، وذات يوم أخبرتنى أنها دائماً ما تعلم وقت عودة ابنها إلى البيت بالضبط ، حتى ولو لم يخطرها هو بذلك ، والسبب : أن القط كان يذهب ويجلس على دواسة الباب ، ويشرع فى المواء ، فى الساعة ، أو الساعتين ، اللتين تسبقان وصول الابن للبيت ،

مما يمكن أمه من إعداد الشاى له ، ولم تكن هذه السيدة مولعة بالكذب والبهتان ، رغم أن البعض قد يضيف لهذه القصة ، من الرتوش والألوان ما يخرجها عن الحقيقة .

ولقد دفعنى قبولها المحض لهذه الظاهرة أن أتساءل : هل هناك أمور غريبة حقاً ؟ أو أن هذا مجرد وهم ناشىء عن تفكير غير علمى ، اتخذ من الخزعبلات ، والخرافات ، والنزوات أجنحة يحلق بها فى دنيا السراب ؟

وسرعان ما يكتشف الكاتب أن لدى كثير من مقتنى تلك الحيوانات حكايات مشابهة ، فيدفعه ذلك لكتابة مقالات حول الموضوع ، لمجلات وصحف مشهورة ، ذكر منها اثنتين : هما : الدورية المسماة (علوم تقوية الرياضات الذهنية) والصحيفة اللندنية المعروفة (صنداى تلجراف *(Sunday Telegraph* ، وعلى إثر ذلك يتلقى مئات الخطابات من أناس ، زعموا أن هذه الحيوانات ـ خصوصاً الكلاب ـ لديها بعض القدرات الخارقة ، ويستطرد قائلاً : « إن هذه الظواهر لم تؤخذ مأخذ الجد ، وأن تلك الحكايات اعتبرت ألغازاً لا معنى لها ، رغم وجود ما يبررها ، ورغم تجاهل علماء النفس لها ، ولإيمانى الشديد بما جال فى فكرى أنها تنبىء عما أسميته التخاطر ، أو توارد ، وتداعى الأفكار ، لدى هذه المخلوقات تماماً ، كما هو الحال مع الإنسان ، وهنا لا يفوتنى أن أنوه بصوت الشيخ الجليل (عبدالحميد كشك) ـ رحمه الله ـ والذى نقل لنا فى إحدى روائعه قصة الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين سمعه المسلمون على المنبر ، فى إحدى خطب الجمعة ، يهتف قائلاً : « ياسارية .. الجَبَلَ .. الجبل .. ومن استرعى الذئب ظلم » فلما طلب المصلون منه بعد الصلاة تفسيراً لما قال ، أخبرهم أنه أحس أو رأى أن جيش سارية بن حصن فى الشام ، كان سيهزم لو لم يحتم بالجبل ضد الروم ، وقد أقر سارية بعد عودته بالقصة ، وأنه لولا التجاء الجيش المسلم إلى الجبل ، امتثالاً للصوت ، الذى سمعه ، ولم يعرف له مصدراً لما تحقق النصر ، وثبوت هذه القصة الحقيقية تاريخياً يشرح ويفسر معنى حدة البصيرة ، وصفاء الحدس .

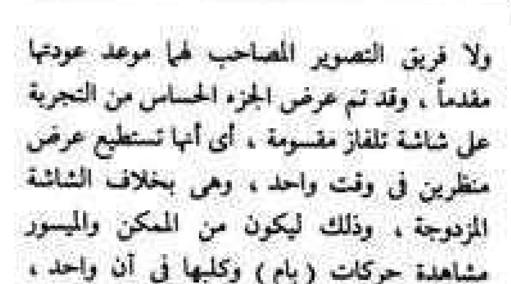
وفى كتاب (سبع تجارب يمكن أن تغير وجه العالم .. شرح وتحليل لظاهرة طالما أهملها العلماء) حيث جاء فيه : أن ما أسموه بالحاسة السادسة عند الحيوان يتفق مع رأى (روبجر ماجفورد) أحد علماء سلوكيات الحيوان الذى أبلغ صحيفة (صنداى تلجراف) اللندنية : أن للحيوانات حواسا كثيرة ومتنوعة ، تفوق ما لدى الإنسان ، وإن بإمكان هذه الحيوانات تتبع الأصوات ذات الذبذبات المنخفضة جداً والتغيرات (الجيو مغناطيسية) ، لذا فلا ينبغى أن نستغرب قدرتها ، على الإحساس بأمور لا نحسها ، نحن البشر ، ويواصل (ماجفورد) فيقول : « لا أعتقد أننا بحاجة إلى إضافة ، أو اختراع حاسة سادسة للحيوان ، وإنما الأمر ببساطة أنها تدمج كل حواسها ، وتستخدمها بكفاءة عالية .

ولإثبات هذه النظرية يقدم لنا الكاتب حكاية شائقة تقول : إنه فى مقاطعة (لانكشاير) بإنجلترا عندما تقوم الآنسة (بام سمارت) بالخروج فإنها

تترك كلبها (جيق) ذا الخمس سنوات مع والديها ، اللذين يسكنان الشقة المجاورة لها ، وبالطبع لا يكون الوالدان على علم بموعد عودة ابنتهما إلى البيت ، لأن ساعات عملها غير منتظمة ، كما أنها تذهب لزيارة الصديقات . لكن كلبها يعلم ـ دائماً ـ الوقت الذى تبدأ فيه بام رحلة العودة إلى البيت ، فينطلق إلى النافذة بحثاً عنها ، ويقول الكاتب : إنه منذ عام ، وتلبية لطلب منى بدأت بام فى تدوين الأوقات التى تعود فيها إلى البيت بالضبط ، إلى جانب ملاحظات والديها على تصرفات كلبها .

وقد ثبت أنه فى ثمان وثلاثين مرة من مجموع أربع وأربعين مرة ، استطاع الكلب التنبؤ بموعد رجوعها للبيت ، من مدن وأماكن مختلفة ، إذ كان يتجه للنافذة منتظراً صاحبته فى اللحظة التى تبدأ فيها إدارة محرك سيارتها فى طريق عودتها إلى البيت ، فمثلاً عندما بدأت التحرك من مقاطعة (بيرى) وهى بلدة تبعد خمسة أميال عن (لانكشاير) ، وتستغرق عشر دقائق ، ذهب الكلب إلى النافذة قبل أن تطرق صاحبته الباب بعشر دقائق تماماً ، ولما ذهبت فى رحلة إلى (بلاك بول) وهى رحلة مدتها ساعة ونصف الساعة ، فإن الكلب استعد للقائها فى ذات المدة ، وأما المرات الست التى لم يستجب فيها الكلب لصاحبته ، فقد كان مشغولاً بزميل له أصابته الحمى ، فى مسكن مجاور ، واستطرد الكاتب قائلاً : إن « بام » وبناء على رغبتى ـ أيضاً ـ استخدمت فى تنقلاتها الدراجة ، ولم تستعمل السيارة ، وهو أمر نادراً ما كانت تمارسه منذ سنوات ، وقامت بزيارة أختها ، التى تسكن على بعد أكثر من ثلاثة أميال ، ومرة أخرى ، اتجه الكلب للنافذة قبل أن تركب صاحبته الدراجة مودعة أختها فى طريق عودتها للبيت ، وتجربة الدراجة هذه فندت نظرية : أن الكلب يستمع إلى صوت السيارة من بعد ، وتركت للباحثين احتمالين اثنين : الأول أن الكلب يدرك من تصرفات والدى بام أنها على وشك الوصول إلى المنزل ، والثانى أنه يشعر ويحس بقدوم صاحبته للبيت من سلوكياتها هى ، وهو ما يؤيد نظرية التخاطر ، ولإبطال الفرض الأول ، فإن (بام) كانت تعود للبيت فى أوقات غير منتظمة يتم تحديدها عن طريق القرعة ، وفى كل مرة ينطلق الكلب كعادته إلى النافذة فى الوقت الذى تبدأ فيه بام رحلة العودة ، وكأنه يحس تصرفاتها رغم ما يفصلها من أميال .

ولقد ذهب فريق من وحدة العلوم بتلفاز النمسا مؤخراً لبريطانيا ، وذلك لتصوير تصرفات ذلك الكلب العجيب فى فيلم وثائقى ، وتم تقسيم الفريق إلى مجموعتين ، وتم ضبط الأجهزة ، التى يستعملونها لتصور فى وقت واحد ، وهاتان المجموعتان أولاهما تصور بكاميراتها البيت الذى يقيم فيه والدى (بام) والفريق الثانى يتتبع (بام) التى تقضى ساعات فى بلدة مجاورة . . وفى وقت تم اختياره عشوائياً ، فإن الفريق المنوط به تصوير بام ، طلب منها بدء رحلة ربع الساعة إلى بيتها ، ولدحض ادعاء تجاوب الكلب مع صوت سيارة صاحبته ، التى ربما يسمعها من بعد فقد عادت بام إلى البيت راكبة سيارة أجرة (تاكسى) دون أن يعلم والداها



ولا فريق التصوير المصاحب لها موعد عودتها مقدماً ، وقد تم عرض الجزء الحساس من التجربة على شاشة تلفاز مقسومة ، أى أنها تستطيع عرض منظرين فى وقت واحد ، وهى بخلاف الشاشة المزدوجة ، وذلك ليكون من الممكن والميسور مشاهدة حركات (بام) وكلبها فى آن واحد ، وتأكد للفريقين أنه بعد مرور خمس ثوان بالضبط من بدء سير (بام) ناحية سيارة الأجرة أن الكلب اندفع للنافذة منتظرا عودة صاحبته .

ويقول (هيق ليجر) العالم النمساوى ، المشرف على التجربة السابقة : « إنى لا أومن بنظرية التخاطر عادة ، ومع هذا فليس لدى أى تفسير لما رأيت بعينى على الإطلاق .

ثم يورد المقال قصة لأحد القطط ذات القدرات الخارقة ، فيقول : إن زوجة أحد أساتذة الجامعة فى مقاطعة (ويلز) بانجلترا قالت لى :

« إن زوجى عندما يهاتفنى من الجامعة ، وأكون فى البيت من أى مكان آخر ، فإن القط ينطلق إلى الهاتف ويمسك السماعة بمخالبه ، وقد نجح عدة مرات فى فعل ذلك ثم يصدر مواء يسمعه زوجى بحب وشغف على الطرف الآخر من الخط ، ولو حدث ، وكان من يتصل شخصا آخر فإن القط كان لا يبدى أى اهتمام ، فيالقدرة البارى الوهاب .

وينهى الكاتب كلامه بأسطر يؤكد فيها : أن للعلم كلاما يمكن أن يعتد به فى هذا المجال فيقول : إذا افترضنا أن هذه القصص حقيقية ، ويمكن الاعتماد عليها وتصديقها ، وأعتقد - جازما - أنها كذلك ، فإن الطريقة الوحيدة لتفسير هذه التصرفات هى افتراض وجود علاقة غير مرئية أو رباط وثيق بين الإنسان والحيوان ، وعن طريقها يتم التأثير والتأثر عن بعد ، ثم يتساءل الكاتب ما طبيعة هذا الرباط ؟ ويجيب :

إنى أعتقد أن الناس يمكن أن ترتبط بحيواناتها ، وبالآخرين بما أسميه مجالا معينا . وفى فرضيتى هذه أرى أن لذلك المجال رنينا مايصدر عنه يشبه إلى حد كبير الرنين المغناطيسى . كما أرى أن المجالات غير المنظورة هى التى تشكل الطريقة التى تنمو بها الكائنات وتنظم بها غرائزها الحيوانية ، بل إنها تخلف ذلك بروابطها الاجتماعية ، وأرى أن تلك التأثيرات يمكن أن تنتقل عبر هذا المجال ذى الرنين تماما كما أن موجات الإرسال الإذاعى المسموع ، والمرئى ، تنتقل عبر المجال الكهرومغناطيسى . ومن نافلة القول : أن وجود ذلك المجال أمر مثير للجدل والنقاش ، فإن وجد مثل هذا المجال فإن التأثيرات غير المرئية ، التى تنتقل من إنسان إلى حيوان ، وبالعكس ، يمكن أن تساعد فى تفسير وشرح هذه القدرة الخارقة ، التى وهبها البارى لهذه الحيوانات العجماوات ، وختاما : فإن هذا النوع من الأبحاث باهظ التكاليف ، ويمكن أن يقوم به طلبة العلم كمشروعات علمية ، فإن أكدت أبحاث أخرى وجود مجالات جديدة ، أو تأثيرات ، لم يتم التعرف عليها بعد عن طريق العلم ، فإن الحيوانات ستسهم فى إعطائنا فهما أعمق ليس فقط للطبيعة ، بل ولا نفسنا أيضا . ■

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور: أحمد فؤاد باشا (٤)

يعتقد البعض خطأً أن مصطلحات الحضارة الغربية، ذات الدلالات غير الإسلامية، لا ينبغى استعمالها فى أدبيات الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية، إما من قبيل الحذر، أو إيثاراً للسلامة والبعد عن اللبس والغموض. وكانت النتيجة أن تحاشى بعض الإسلاميين استخدام تلك المصطلحات، وشجعوا الآخر بذلك على أن يتمادى فى احتكارها، ويجعلها مميزة لثقافته المادية التى يسعى إلى «عولمتها».

العقل والعقلانية:

لقد استأثرت الثقافة الغربية بهذين اللفظين وحرمتهما على كل ما سواها، حيث جعلت من «العقلانية» مذهبا يميزها وحدها ويدل على سر تفوقها علميا وحضاريا، استناداً إلى «العقل الذى بالغوا فى تقدير سلطانه إلى درجة التقديس، واعتبروا أحكامه مطلقة الصدق واليقين، وعامة مشتركة بين جميع الناس.

لكننا لو تعاملنا مع مصطلح «العقلانية» بما يعنيه فى اللغة العربية منسوبا إلى «العقل» الذى به يتميز الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، والحسن من القبيح، ويكون به التفكير والاستدلال، وتركيب التصورات والتصديقات، لوجدناه أقرب لديننا وأنسب: ذلك لأن معجزة الإسلام ورسوله - ﷺ - معجزة عقلية وعقلانية، والخطاب الإسلامى يلفت أصحاب العقول الراجحة وذوى القلوب المؤمنة إلى المنهج الصحيح فى التعامل مع آيات الله الداعية إلى تحقيق الإبداع العلمى والعمل فى مجالات المعرفة وتطبيقاتها. مصداق هذا قول الحق جل وعلا:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ ﴾

(الرعد ـ ٢ : ٤)

ولا يخفى على أى عاقل مغزى الخطاب الإلهى الموجه فى هذه الآيات الكريمة للموقنين ، ولقوم يعقلون ويتفكرون .

ولقد كان لمثل هذا الخطاب الإسلامى أعظم الأثر فى تشكيل العقلانية الإسلامية القادرة على التفوق والإبداع ، والمهيأة لأداء أعمال بنائية وحضارية بفضل ما تميزت به من خصائص وسمات تأتى فى مقدمتها ملكة النقد البناء التى توجه العقل البشرى إلى ضالته وتساعده على الوصول إلى حكم صائب . وهذا الإحساس النقدى من أهم الضرورات المعرفية التى يتحدد المرء على أساسها الموقف العقلى للقاضى ، فيطرح جانبا ميوله الشخصية ، ويفحص كل الحجج والبراهين التى توجه القرار فى اتجاه معين . وهذا المنهج النقدى من شأنه أن يساعد العقل على رفض العوامل التى تنكر إمكان المعرفة وتهون من قدرة الإنسان على تحصيلها ، كما تساعده على تلافى الأخطاء التى وقع فيها السابقون ، وتزوده بأنجح السبل والمفاهيم والنتائج التى توصل إليها العقل الإنسانى . ويخطىء من يظن أن العقل والعقلانية يشكلان خطورة على الدين الذى من أصوله الطاعة والاستسلام ، فالقرآن الكريم حث على إعمال العقل فى تدبر آياته سعيا للوصول إلى الحقيقة ، قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝ ﴾

(النساء ـ ٨٢)

وقد أفاد من هذه التعاليم الإسلامية علماء المسلمين الذين نهجوا نهجا عقلانيا مبكرا ، وتوخوا الحقيقة على أساس علمى دقيق ، ويكفى أن نستشهد فى هذا المقام بما قاله الحسن بن الهيثم عن نفسه عندما اتخذ موقفا تجاه الاختلاف فى الرأى بين المتكلمين ، حيث ذكر ما نصه : « . . . إنى لم أزل منذ عهد الصبا مرويا فى اعتقادات هؤلاء الناس المختلفة وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأى ، فكنت متشككا فى جميعه ، موقنا بأن الحق واحد ، وأن الاختلاف فيه إنما هو من جهة السلوك إليه . فلما كملت لإدراك الأمور العقلية انقطعت إلى طلب معدن العلم ، ووجهت رغبتى وحرصى إلى إدراك مابه تنكشف تمويهات الظنون ، وتنقشع غيابات المتشكك المفتون ، وبعثت عزيمتى إلى تحصيل الرأى المقرب إلى الله . . . » .

فلننظر كيف أنصف الإسلام العقل ، وأرسى مبادىء العقلانية الإيمانية ، وعول عليها فى أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف ، للقيام بمهام المعرفة والتعرف على الحقائق الكبرى فى الوجود .

المنهجية :

« المنهجية » كلمة لا يكاد يخلو منها كتاب أو خطاب أو حوار أو حديث يعرض لقضية من قضايا الفكر العلمى ، وبالرغم من ذلك فإن الاختلاف حول المعنى والمضمون شديدة والمشاحة قائمة بين أنصار المذاهب الفكرية المختلفة .

وتدلنا النظرة الفاحصة لطبيعة البحث فى العلوم المختلفة على حقيقة هامة مؤداها أن مناهج البحث العلمى ليست أبدا قواعد ثابتة ، بل هى تتغير تبعا لمقتضيات العلم ، وتكون قابلة للتعديل المستمر حتى تستطيع ان تفى بمتطلبات العلم المتجددة . وليس صحيحا ما يوهمنا به المروجون للثقافة الغربية ومفاهيمها من أن قضية المنهجية العلمية قد بت فيها ولم تعد تحتاج إلى نظر جديد ، وأنه ما علينا ، إذا أردنا أن نجنى ثمار البحث العلمى كما يجنيها غيرنا ، إلا أن نعرف ذلك المنهج الذى ألفوا ترديده منسوبا إلى « ديكارت » و « ميل » و « بيكون » وغيرهم ، حتى أوشكنا على تصوره اختراعا غربيا على شكل لائحة أو قائمة بالتعليمات والإرشادات التى لا ينبغى الحيود عن تطبيقها ، وكأنها طائفة من الوصفات المجربة الناجحة ، يتعين على أى باحث الالتزام بها .

ويقتضى فقه مصطلح « المنهجية » أن نؤصل له بالمنهج الإسلامى الذى جاء بالقول الفصل فى التأليف بين العقل والواقع الكونى والإنسانى ، وتميز بأنه منهج عقلانى تجريبى إيمانى فى آن واحد ، يحث على الاستقراء والاستنباط ، وينمى الحس النقدى والنظرة الاستقصائية لدى الباحثين ، فهو يعتبر الإنسان بكامله ، بعقله وحواسه وإرادته وبصيرته وكل ملكاته التى أنعم الله بها عليه ، يعتبرها مجتمعة الوسيلة الأولى والأخيرة لتحصيل المعرفة العلمية .

وقد أشار القرآن الكريم إلى حواس الإنسان وباقى ملكاته المعرفية فى أماكن كثيرة ، فذكر الذوق فى قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾

(الأعراف : ٢٢)

وأشار إلى اللمس فى قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

(الأنعام : ٧)

وأشار إلى حاسة الشم فى قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾

(يوسف - ٩٤)

وذكر السمع والبصر والفؤاد فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل - ٨)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

(الحج - ٤٦)

وأشار إلى العلم الذى يتلقى بالفتح من الله سبحانه وتعالى ، ويعول فى تحصيله على « التقوى » حيث قال تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة - ٢٨٢)

وليس هناك من شك فى أن البحث فى ظواهر الكون والحياة لقراءة الآيات الإلهية المبثة فى الآفاق وفى الأنفس يتم بالاستخدام الأمثل لكل هذه الوسائل والملكات الإدراكية ، وليس اختراع العديد من أجهزة الرصد والقياس سوى تعزيز وتعميق لهذه الوسائل والملكات ، فلم يكن استحداث أجيال المجاهر والمقاريب بأنواعها المختلفة إلا تعزيزا لحاسة الإبصار بعد أن اقتحم العلم عالم المتناهيات فى الصغر كالذرة والخلية الحية ونواتيها ، وغزا عالم المتناهيات فى البعد والكبر من كواكب ونجوم ومجرات فى أعماق الفضاء الخارجى ، ولم يكن اختراع مقاييس الحرارة (الترمومترات) سوى تعميق لحاسة اللمس ، وليس الحاسب الآلى سوى مساعد للعقل فى إجراء العمليات الحسابية والتخطيطية المعقدة . وسوف يستمر تطور الأجهزة العلمية مواكبا لتطور المعرفة العلمية ، لكن يظل فكر الإنسان وعمله نتاجا لوسائل وملكات يتحمل مسئوليتها أمام خالقه الحكيم العليم القائل فى محكم التنزيل :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

(الإسراء - ٣٦)

وهكذا أدرك المسلمون الأوائل أن مفتاح المعرفة يمثل فى اتباع منهجية علمية رشيدة ، واستطاعوا بفضل التوجيهات الإسلامية البناءة أن يطبقوا هذه المنهجية على أساس الممارسة النقدية السليمة لعلوم القدماء ، وميزوا بوضوح بين مصادر المعرفة فى عالمى الغيب والشهادة ، كما ميزوا بين طبيعة الظواهر العقلية الخالصة من جهة ، وبين الظواهر الحسية المادية من جهة أخرى ، ولذا نجدهم قد فطنوا إلى تعددية مناهج البحث العلمى ، وهو ما يعتبر خير رد على دعاوى المشككين فى قدرات العقلية الإسلامية على التنسيق والتجميع والتركيب فى أنساق فكرية شملت مذاهب فى علم التوحيد ، وفى علم أصول الفقه ، وفى غيرهما من العلوم العقلية ، إلى جانب المنهج التجريبى الاستقرائى الملائم فى الظواهر الكونية المنتظمة ، وهو مالم يظفر به الفكر فى غيرهم من الأمم . وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الأنعام - ١٥٣)

الشك المنهجى :

يشارك الشك المنهجى فى العملية النقدية للمعرفة باعتباره أول مراحل التفكير التى تتطلب من أى باحث فى قضية معرفية أن يتحرى الدليل

الأقوى والبرهان الكافى من أجل الوصول إلى اليقين . بل إن هذا النوع من الشك الذى يستخدمه الباحث الناضج بإرادته ، رغبة منه فى اختبار معرفته وعدم تأثر تفكيره بالأخطاء المألوفة والمتوارثة ، يعتبر فى واقع الأمر أحد عناصر اليقين فى تحصيل المعرفة العلمية . وهناك من الباحثين فى قضايا المنهجية من يرى فى الشك المنهجى تلك القوة الموقظة فى تاريخ النشاط العقلى ، ويرجع إليه كل نزوع إلى النقد الصحيح وحرية البحث وعبقرية الاكتشاف فى ماضى العلم وحاضره .

من ناحية أخرى ، عرفت الدراسات العقلية الحديثة وأبحاث التحليل النفسى أن الشك المنهجى فى الفكر العقلانى والتجريبى على حد سواء يلازم خطوات اختبار المعرفة أو امتحانها أثناء تحصيلها وعند تمحيص مصادرها ونتائجها .

إذ أن الاعتقاد والإنكار فى رأى الكثيرين من علماء النفس مظهران لحالة نفسية واحدة ، فالضد الصحيح للاعتقاد هو الشك الإرادى والبحث العلمى وليس الإنكار . ومن ثم فإن الطريق إلى تحصيل معارف جديدة وصحيحة يقوم فى جانبه العقلى على استخدام الشك المنهجى ، وهو بطبيعة الحال يختلف عما يعرف بالشك المذهبى أو الشك المطلق الذى يزاول لذاته وبغير إرادة من صاحبه الذى يعيش فى حالة ريب ، يبدأ فيها وينتهى بالشك وعدم الثقة فى بلوغ اليقين ، على نحو مافعل الشكاك من « السوفسطائيين » الذين اتخذوا من الشك مركزا يديرون عليه محاوراتهم الجدلية العقيمة ، فعطلوا به حركة العقل السليم فى اتجاه الحق والحقيقة .

ومن حسن تقدير الإسلام أن أيقظ كل مقومات الحس النقدى فى العقل الإنسانى ، ودعا إلى إعمال التفكير العلمى السليم لكى يكون الشك ممرا إلى العلم اليقينى ، وليس لمجرد الشك الذى يبغى إنكار الحقيقة . ونجد مصداق هذا فى آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة -٢٣ ، ٢٤)

وقوله عز من قائل :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۝ ﴾

(الحج -٥ : ٧)

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة

تلقيت رسالة طيبة من أخ كريم يتساءل فيها عن قواعد النشر وأهم الموضوعات التى تحظى بالنشر فى باب « بين المجلة والقارىء » . وللقارىء الكريم نقول :

لقد حرصنا منذ إنشاء هذا الباب أن يكون للقارىء :

* رأى فيما ينشر بالمجلة .
* ومشاركة بقلمه فى تحرير بعض الموضوعات .

وبفضل الله ـ تعالى ـ فإن القراء يساهمون بشكل فعّال فى كلا هذين الأمرين . وإننا نذكر القراء بأننا نهتم ـ فى هذا الباب ـ بنشر كل ما هو جاد وجديد ، وليس بالضرورة أن يكون إنتاجا خاصا بالقارىء بل نرحب ـ أيضا ـ بكل ما لفت انتباهه فى كتاب أو صحيفة أو برنامج .

وفى حالة رغبة القارىء فى المساهمة بأحد الموضوعات ، فعليه أن يراعى أن لا يتناول ما تعالجه المجلة بأقلام الأساتذة المختصين ، مع مراعاة الدقة فى ذكر المراجع التى اعتمد عليها وبخاصة عند الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة .

الشـــورى

ويرسل القارىء : ناصر مصطفى عبد الحميد مرسى كلمة مستفيضة عن الشورى نجتزىء منها قوله :

الشورى

هى استطلاع رأى الأمة من خلال نوابها من أهل الحل والعقد فى أمر من الأمور الدنيوية التى تمس مصالح الناس بهدف الوصول إلى الرأى الصواب ؛ مما يساعد الحاكم على اتخاذ القرار النهائى بما لا يخالف النصوص الشرعية وأحكامها ومقاصدها صراحة أو ضمنا .

وهى من أهم الأصول السياسية فى الإسلام . فمبدأ الشورى فى الإسلام يحقق التوازن بين السلطتين ضمانا لعدم ديكتاتورية السلطة التنفيذية .

ومن أجل هذا أمر الله سبحانه وتعالى بتحقيق مبدأ الشورى فى أكثر من موضع من القرآن الكريم ومن ذلك قول الله تعالى :

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران ـ ١٥٩)

كما وردت الشورى كصفة من صفات المؤمنين فى قوله تعالى :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى ـ ٣٨)

كما حث عليها الرسول فى أحاديث كثيرة منها قوله ـ ﷺ ـ «لا خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد» . رواه الطبرانى

وقوله ـ ﷺ ـ : « أما وإن الله ورسوله لغنيان عنها ـ أى المشاورة ـ ولكن جعلها تعالى رحمة لأمتى ، فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا » . وأما سنة الرسول ـ ﷺ ـ العملية فى هذا الأمر فهى أشهر من أن تذكر أو تحصر فقد كان يستشير أصحابه فى كل أمر لم يرد فيه توجيه سماوى .

أما الهدف من الشورى فهو :

١ ـ التأليف بين قلوب المسلمين ، وذلك حين يجتمعون لأخذ الرأى فيما بينهم بهدف الوصول إلى الحق الذى يرضى الله ـ تعالى .

٢ ـ معالجة كل القضايا المستحدثة فى حياة الناس مما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة .

٣ ـ احترام حرية الفكر والعقل .

٤ ـ الوصول إلى قرارات بعيدة عن الزلل .

مجال الشورى وحدودها :

ما الموضوعات التى تخضع للشورى بين أهل الحل والعقد ؟ والجواب أنها الأمور التى استحدثت فى حياة الناس مما لم يرد فيه نص فى الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها من مصادر التشريع ، كالمسائل التطبيقية حول الأصول السياسية أو الأصول الاقتصادية ، أى اتخاذ أفضل الطرق لتطبيق هذه الأصول وأمور الحرب والهدنة وعقد المصالحات ووضع الميزانية وتوزيعها ، وتخصيص النفقات وغير ذلك من الأمور التى لم ينص الشارع عليها بالحل أو بالحرمة » .





وتلقينا من القارىء : خالد السيد محمد سالم من قرية المقاطع ، مركز الباجور رسالة احتوت على كلمة عن قدرة الله تعالى جاء فيها :

« .. فلا بد على ذوى العقول ان يذكروا الله ، وأن يكون لسانهم رطبا بذكر الله ، ولا يجعلوا الدنيا اكبر همهم بل عليهم ان يتفكروا فى قدرة الله ـ تعالى ـ وكيف بسط الارض ومهدها وكيف رفع السماء وامسكها وعليهم ان يقرأوا فى تدبر قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾

(الغاشية ـ ١٧)

وعلينا أن لا نتخدع بالمظاهر ، وأن نؤمن يقينا أن الأمور كلها بيد الله ـ عز وجل ـ فلا نسأل إلا الله ولا نذل إلا له ، وعلينا أن نتأمل قول الشاعر :

قل للطبيب تخطفته يد الردى
يا شافى الأمراض من أرداكا ؟
قل للمريض نجا وعوفى بعدما
عجزت فنون الطب من عافاكا ؟
قل للصحيح يموت لا من علة
من بالمنايا ياصحيح دهاكا ؟

إغاثة الملهوف واصطناع المعروف

ومن رسالة للقارىء : عبد الهادى محمد أحمد سليم

منشأة الجمال ـ مركز طامية ـ الفيوم

نورد مايلى :

دعا الإسلام الحنيف إلى التعاون وإغاثة الملهوف وانتشاله من ورطته وقضاء حاجته فقال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

(٢ ـ المائدة)

ومن هنا وجب على كل مسلم ان يكون معينا إذا طلب العون منه ويطلب العون إذا احتاج إليه

فضل العلم

ومن قصيدة للقارئة نجلاء إبراهيم عامر ـ دمنهور شبرا بعنوان : « فضل طلب العلم ومنزلته » نعرض هذه الأبيات :

العلم اغلى وأحلى ماله استمعت
اذن واعرب عنه ناطق بفم
العلم اشرف مطلوب وطالبه
لله أكرم من يمشى على قدم
العلم نور مبين يستضىء به
أهل السعادة والجهال فى الظلم

لأن كلمة تعاونوا على وزن تفاعلوا وهذا مايشير إلى معنى الأخذ والعطاء المتبادل بين من يملك ومن لا يملك ، والمسلمون فى هذه الأيام فى أمس الحاجة لإحياء هذا الخلق الرفيع فيما بينهم حتى تعود جماعة الإسلام إلى سابق عهدها من القوة والمجد والنصر على الأعداء . فالمسلم النافع لمجتمعه هو أحب الناس إلى الله وإلى رسوله فقد روى فى مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « خير الناس أنفعهم للناس » . فمن هذا الحديث نفهم أن أفضل الناس وأحبهم إلى الله ورسوله هم النافعون لخلقه الذين يمنحونهم مما منحهم الله من عطاء .

وصاحب العطاء لابد وأنه يدرك تماما أن الله سبحانه وتعالى خصه بهذا العطاء ليفيض به على غيره من الملهوفين وأصحاب الحاجات فإذا منعهم هذا العطاء صرفه الله عنه وحوله إلى غيره ليقوم بهذه المهمة ويؤديها على أكمل وجه فقد روى ابن أبى الدنيا أيضا عنه ـ ﷺ ـ أنه قال : « إن لله قوما اختصهم بالنعم لمنافع العباد ، يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم » .

وفى رواية للطبرانى عن عتبة بن غزوان عن نبى الله ـ ﷺ ـ قال : « إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل ياعباد الله أعينونى . فإن لله عبادا لا تراهم » . قال الإمام النووى : جربت ذلك فوجدته فإذا كان الله يحب إغاثة اللهفان وجند لذلك جنوداً خفية لا تراهم فما بالنا نحن المسلمين نهمل هذا الخلق الرفيع فعلينا أن نغيث الملهوف ونعين صاحب الحاجة حتى ننال من الله الخير الوفير فى الدنيا والآخرة .

الأمر بالمعروف

ونقدم هذا الجزء من رسالة القارىء : أيمن محمد أبو السعود مركز دسوق .

يقول تحت عنوان : الحاجة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : المجتمع وإن كان به العاقل والرشيد الذى تصدر أعماله عن دين وعلم تجربة به كثير من المقصرين المتراخين الذين يقعون فى الزلل إما جهلا وإما استهتاراً فلو ترك هؤلاء بغير نصح لأساءوا إلى أنفسهم وإلى المجتمع الذى هم فيه وتمادوا فى غيهم وكثرت المفاسد وفشت الشرور وأهملت الفضائل وانتشرت المظالم واستبد الحكام وعمت الفتن فشملت المفسدين وغيرهم ، لذا فرض الدين على المسلمين ان يامروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فقال تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران ـ ١٠٤)

اللهــم لـك الحمــد

ويرسل القارىء : خيرى محمد إبراهيم أبو الروس بيلا ـ كفر الشيخ هذه الرسالة من أقوال الرسول ـ ﷺ ـ .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا قام من الليل يتهجد قال : « اللهم لك الحمد قيم السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنيب وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت . أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

« رواه الإمام البخارى فى صحيحه »

ردود ســـريعة

القارىء : ناجح الخربطلى بدوى إسماعيل قنا ـ نجع حمادى ـ أولاد نجم

وصلتنا رسالتكم ونحن فى انتظار ما ترسله من إسهامات .

القارىء : تامر عبد الغنى الأنصارى دمنهور ـ عزبة الأنصارى

إن الطريق إلى الله ـ تعالى ـ مفتوح للجميع وبخاصة لهؤلاء العائدين إلى رحاب الله التائبين ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر ٥٣)

ولا مانع من اختيار الرفيق الصالح الذى يعينك على الطريق فخير رفيق هو الذى يذكر دائما بتقوى الله ـ تعالى . ولك أن تطيعه فى كل شىء ما لم يأمرك بمحرم « فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

القراء :

ـ رجب يونس عيسى
ـ فاضل إسماعيل صالح
ـ أحمد محمد غانم

شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع ـ كفر الدوار
إبراهيم البدرى على ـ الاسكندرية ـ محطة الرمل ـ ش سعد زغلول

نرجو أن تقبل اعتذارنا عن عدم التمكن من إرسال الأجزاء ١١ ، ١٢ سنة ١٤١٨ هـ ، حيث تنفد المجلة بعد صدورها مباشرة .

أما بخصوص طلبكم الاشتراك فى المجلة ، فيمكنكم الكتابة مباشرة إلى :

السيد / رئيس قسم الاشتراكات بجريدة الأهرام ـ القاهرة ـ شارع الجلاء .

حيث إن الأهرام هى الجهة المسئولة عن توزيع مجلة الأزهر على أن يتضمن طلبكم العنوان بالتفصيل وبخط واضح مرفقاً به حوالة بريدية بقيمة الاشتراك ، وهى اثنا عشر جنيها عن العام .



على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائي والتطور المتلاحق في الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافي ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق في نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما في المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة

تأليف الدكتور / عبد الصبور شاهين :



● عزيزى الإنسان .. إذا أردت البحث عن نفسك ومكونات خلقك ، وكيف خُلقت وما هي بدايتك وحقيقة الطين الذى خُلقت منه ، ومن هو أبوك ، ومتى بدأ تكوينه ؟ أسئلة كثيرة ومتعددة قد يشرد فيها عقلك طوال عمرك وأنت تبحث عن نفسك .

● والآن أقدم لك هذا الكتاب : فيه كل صغيرة وكبيرة عن الخليقة بين الأسطورة والحقيقة مع اختلاف الأقوال والأساطير وصولاً إلى الحقيقة الأساسية ، ومن المعلوم أن أمم الحيوان والطير قد

سبقت فى وجودها الإنسان على الأرض ، وحسبك من ذلك إشارة القرآن إلى الغراب الذى علم ابن آدم القاتل كيف يوارى سوأة أخيه ، ولكن وجود هذه الكائنات لم يشغل بال الإنسان ، لأنه لا يمثل فى نظره مشكلة .

فأما وجود الخليقة البشرية فهو المشكلة الكبرى التى تواردت عليها الرؤى وتواترت الاجتهادات بدءا من الرؤية الإسرائيلية ، وللأسف كانت واسعة الانتشار ، وتفردها على الساحة الفكرية ، حتى وجدنا أكثر المفسرين للقرآن يرددون ما ذكرته الإسرائيليات ترديداً حرفياً .. دون أدنى محاولة تعرض مضمونها على العقل ، وتغربل ما حفلت به من خرافات وأساطير .

● وإليك أيها القارىء جوهرها كما تلقيناها عن القدماء ، وكما رواها صاحب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس ، ووضحها أستاذنا الدكتور عبدالصبور شاهين مستعيناً بالقرآن الكريم .

ففى المقدمة ذكر المؤلف معرفة الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن طريق خلقه للإنسان هذا المخلوق العاقل المؤهل للمعرفة .

● وأما الزمان والمكان فقد خلقا لتحديد ماهية الأشياء ، وقد جعلها الخالق ـ سبحانه ـ على مرتبتين ، غيب وشهادة ، إن كل ما فى كيان الإنسان ، وواقعه ، وزمانه ، ومكانه هو من آثار رحمة الله .

● ثم عرض المؤلف آراء ابن طفيل فى مشكلة خلق الإنسان وتناول جزئية هامة من كتاب (آدم ـ عليه السلام) من تأليف بشير التركى ، وذكر فيه أهم الموجات البشرية وهى أربع :

● الأولى من أربعة مليارات إلى مليار من السنين ، وهى فترة عاش خلالها بشر يسمى بشر الجنوب والاسترالوبتيك .

● والثانية من مليار إلى مائة وخمسين ألف سنة وعاش خلالها جيل « البتكانتروب » ، وهو البشر الواقف .

● والثالثة من مائة وخمسين إلى أربعين ألف سنة ، وعاش خلالها إنسان « النياندرتال » وهو بشر الشعور .

● الرابعة من أربعين ألف سنة حتى الآن ، وقد عاش فيها الإنسان « الهوموسابيتر » ، أو الإنسان العارف .

● أما فى الباب الأول من الكتاب فقد ذكر المؤلف القصة والإسرائيليات وقصة خلق الإنسان عند القدماء تأثرت بالتصور الإسرائيلى لها ، وأشار إلى سلسلة النسب من آدم ـ عليه السلام ـ وحتى إبراهيم ـ عليه السلام ـ .

● أما فى الباب الثانى فتناول النظرة العلمية ووضح فيها أكثر من ست عشرة حقبة وهى عصور مرت بكوكب الأرض وقسمت إلى حُقب بدأت من حقبة ما قبل (الكمبرى) إلى حقبة (البلايستوسين) .

● وعن دور الإنسان بين العلم والقرآن وضح المؤلف أن معطيات العلم ليست حقائق مطلقة فى أغلب الأحيان ، بل هى رُؤى نسبية ، من حيث

إن العقل الذى يتوصل إليها مرتهن بقيود من البيئة والزمان والقدرات الذاتية .

أما القرآن وهو الكلمة الإلهية النهائية فى الخطاب ما بين السماء والأرض فإنه ولا شك يقدم للعقل الإنسانى الحقائق النهائية فى الموضوع .

● ومن نظرة القدماء إلى وجود الخليقة كان الفصل الثالث من الكتاب ويحكى أسطورة خلق الإنسان .

● وفى الفصل الرابع تناول المؤلف حديث القرآن ، وذكر السور التى تعرضت لخلق الإنسان وهى ٣٥ سورة قرآنية ، وهى تتضمن أساسيات قصة الخلق من مبدئها إلى منتهاها .

والأساسيات التى يقصدها المؤلف فى القصة هى إخبار الله للملائكة بأنه سيخلق البشر ، خلق البشر من طين ، أمر الملائكة ومعهم إبليس بالسجود للمخلوق عند استوائه واكتهاله ، رفض إبليس للسجود استكبارا ، ادعاؤه الخيرية على آدم بخيرية النار على الطين ، طرد إبليس وإمهاله إلى يوم الدين .

توعد إبليس بغواية آدم ، إلا المخلصين ، وعيد الله بجهنم لمن اتبع إبليس .

● وبعد ذلك ذكر المؤلف فى عدة فصول إعلام الملائكة . خلق البشر من طين استعمالات القرآن لكلمة (بشر) حقيقة الطين ، الخلق النفسى ، البشر والإنسان ، الإنسان يخرج من البشر ، الطريق إلى الجنة ، برهان التكرار ، آدم أبو الإنسان .

● أما فى الباب الثانى فتحدث المؤلف عن وقائع القصة ، ففى الفصل الأول وضح معنى البشر واللغة والإنسان والملائكة ثم السجود للنبى الإنسان وموقف إبليس ثم بين إبليس وآدم فى الجنة .

● وفى الفصل السادس بين المؤلف اللغة والأسماء القديمة ـ الله ـ الملائكة ـ آدم ـ إبليس ـ الشيطان ، وتناول قصة إبليس فى القرآن ، وقد ورد ذكر الشيطان فى القرآن مفرداً وجمعاً فى سياقات توحى باختلاف المعنى المقصود منه ، وعرض الشيطان فى المرحلة المكية والمرحلة المدنية ، وكان هذا هو الفصل الأخير بعد أن عشنا مع هذا الكتاب الشيق الذى نضعه بين يد القراء الأعزاء ليوضح لهم معالمهم وقصة خلقهم .

● وفى النهاية أقول لكم أن الموضوع خطير ـ مثير ، وهو يحتاج إلى أن يقرأ بمزيد من التأمل والهدوء دون الخضوع للأفكار المتوارثة ، والحكايات القديمة .

وأخطر ما فى الموضوع أن تقرأ نصاً معيناً أو كتاباً ، ثم تهب معترضاً فى تلقائية بعيدة عن التفكير المتعمق .

● وهذا الكتاب لم يخرج فيه الدكتور عبدالصبور عن المعنى القرآنى ، ولا يتناقض فى نتائجه مع أى حديث صحيح فى السنة الشريفة .

والهدف منه هو انتزاع العقل المسلم من براثن النقول الإسرائيلية المحشوة بالخرافات ، المنافية لكل ما هو عقل وعلم ونور .

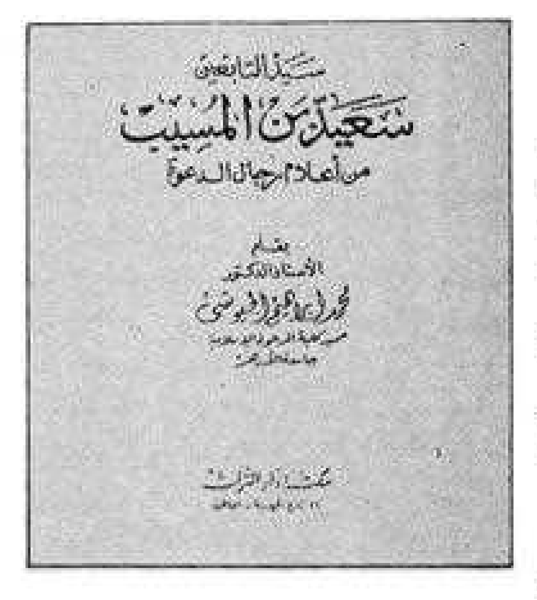
● فاحرص عليه لتضيف إلى مكتبتك كتاباً لا غنى عنه ، ويجب أن يقرأه كل مسلم يريد ان يعرف حقيقته : كيف ومتى ولماذا ؟؟؟

◆

سيد التابعين سعيد بن المسيب

من أعلام رجال الدعوة

تاليف الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشي :



● عزيزى القارىء : كنت أتردد كثيراً فى البحث عن أهم الإصدارات التى تهم كل قارىء ، وتكون عنده معلومات هامة عن العلماء فى مختلف العصور إلى أن اهتديت إلى هذه الدراسة لواحد من أكبر علماء الأمة فى عصر التابعين ، وأبعدهم أثراً فى الحركة العلمية وتأثيراً فى طلاب العلم فى عصره ، تعرض فيه أطوار حياة هذا العالم المتميز الذى استحق أن يطلق عليه العلماء من بعده لقب « سيد التابعين » .

● هذا الكتاب يحكى سيرة هذا الصحابى الجليل وتراجم هامة عن حياته ، ففى بداية هذا الكتاب :

● كان التمهيد عن مسيرة الدعوة فى عصر النبوة والخلفاء عندما كانت الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يأخذون عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مباشرة أثناء حياته يتلقون عنه ما يفيدهم فى دينهم ودنياهم ، ويسألونه عما يحتاجون إلى السؤال عنه ، وقد حفظت لنا كتب السنن والسير سيلا من هذه الأسئلة ومعينا لا ينضب من المعارف التى استقاها الصحابة منه ـ عليه السلام ـ وقد انتفعوا بهذه المعارف حتى بلغ عدد منهم مكانة من العلم هيأت له أن يجلس مجلس الفتوى فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

● ثم تحدث عن نشأة المدارس الفكرية بعد عصر النبوة وفقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبوسلمة بن عبدالرحمن ، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله ، وسليمان ابن يسار ، وخارجة بن زيد ، وأبوبكر بن عبدالرحمن ، وأبان بن عثمان .

● المؤلف : عميد كلية الدعوة الإسلامية السابق .

● وأشار المؤلف أيضا إلى مجمع العلماء أو مجلس الفتوى وحلقات الدرس .

● أما فى الفصل الأول من الكتاب فتحدث عن النشأة والتربية لسيد التابعين الورع الحجة الإمام الفقيه العالم التقى أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى القرشى المدنى شيخ المدينة كان أبوه وجده صحابيين وكانت أسرته تعرف بالحدة فى الطباع والشدة فيما تأخذ به أنفسنا .

● ثم تناول المؤلف حياته فى تحصيل العلم وإعجابه بعلم زيد بن ثابت وقضاياه ثم إعجاب الناس بعلمه وقوة حافظته وهيبته واعتزازه بنفسه .

● ولكن فى الفصل الثانى انتقل المؤلف إلى المتاعب والاضطهاد التى تعرض لها هذا الصحابى ، من الزبيريين ، والأمويين على السواء ، لأن كلا منهما كان يريد أن يكون الناس تبعاً له فيما يرى .

● ووضح المؤلف فى الفصل الثالث دنيا ودين سعيد بن المسيب - رضى الله عنه - من مظهر وملبس ، وموقفه من الشعر ، وروايته واستماعه ، ثم أخلاقه وعبادته وتقواه ، وصومه وحجه .

● أما فى الفصل الرابع فقد تناول المؤلف أسرته وحياته الاجتماعية ، فكان لسعيد ابن اسمه محمد وابنته التى زوجها لتلميذه ابن أبى وداعة ، وكانت زوجته ابنة أبى هريرة - رضى الله عنها - .

● أشار المؤلف بعد ذلك إلى نظرته إلى الأحداث السياسية ، ورأيه فى فتنة سيدنا عثمان ، وموقفه من البيعة ليزيد وبنى مروان ثم موقفه من عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه - .

● وفى الفصل الخامس والأخير صاحبنا سعيد بن المسيب فى رحلة طويلة طوفنا معه فيها فى مجالات الدرس والتحصيل .

● أشار المؤلف إلى معرفته بالأخبار والأنساب . . ثم علم تعبير الرؤى ونماذج من تعبيره للرؤى ، وعلوم القرآن ثم فى القراءات وأسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ وتفسير القرآن والسنة وخبر الآحاد والمرسل والفقه .

● وقد وردت عن الإمام سعيد أحكام فقهية ، تناولت تقريباً كل مسائل الفروع ، فى العبادات ، والمعاملات والحدود .

● هذا عزيزى القارىء : يكون هذا العالم الإمام الجليل قد قضى حياة طويلة عريضة ، استمرت ثمانين عاماً ، وامتلأت بالأحداث المثيرة ، لم يسلم منها بل ناله من متاعبها الكثير من سجن وجلد ومقاطعة وتعرض للقتل أكثر من مرة .

● كان هذا الإمام حريصاً على حضور الجماعة بالمسجد النبوى ، ثم توفى إلى رحمة الله عام ٩٤ هـ بعد أن ترك أثراً واضحاً فى معالم الحياة الفكرية فى المدينة ، واتجاه المدارس الفقهية فيما بعد ، بعد أن ضرب القدوة للعلماء ، وأهل الفتوى فى الاعتزاز بالحق ، والتمسك بأهدافه ، حتى تسود المثل العليا ويتحقق للمجتمعات ما تصبو إليه من عدل يتعم به الجميع ، وأمن يبسط عليهم ظلاله .

● تقدم هذه الدراسة للعاملين فى حقل الدعوة ، والمنتسبين إليها لعلهم يجدون فيها ما ينقصهم فى سلوكهم وأخلاقهم ، ويقفون على المدى الفذ لاعتزاز العلماء بمكانتهم وحرصهم على إعلان كلمة الحق والدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة .



أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ
عمر البسطويسى

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهـر يـزور مـاليزيا

● عاد بسلامة الله ـ تعالى ـ فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى من زيارته لماليزيا يوم ١٩٩٨/٨/٢٣، حيث التقى خلال الزيارة بملك ماليزيا ورئيس وزرائها الدكتور/ محمد مهاتير، والسيد وزير الشئون الدينية وبأساتذة الجامعات الإسلامية، كما زار فرع جامعة الأزهر بماليزيا، وألقى عدة محاضرات عن التسامح فى الإسلام ووسطيته وسبل مواجهة الإساءات الموجهة ضد الإسلام والوسائل التى يجب اتخاذها لتوضيح الصورة الصحيحة للإسلام.

وقد منحت جامعة ماليزيا «جائزة العطاء العلمى المتميز» لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر تقديراً لجهوده المتميزة فى خدمة الإسلام والمسلمين.

وقد حظيت زيارة فضيلته باهتمام كبير من كل المسئولين ومن كل وسائل الإعلام الماليزية التى اهتمت اهتماماً كبيراً وخصصت مساحات ضخمة لمتابعة اللقاءات التى تمت مع فضيلته والمسئولين بماليزيا، وقد أكد الدكتور/ مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا أن سياسة الأزهر فى التعليم المتوازن نموذج يحتذى.

«نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الابتدائية»

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف صباح يوم ١٩٩٨/٨/٢٥، نتيجة امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية للدور الثانى للعام الدراسى ٩٨/٩٧، وقد تقدم للامتحان ٥٢٣٩٠ تلميذاً وتلميذة، حضر منهم ٥٠٩٦١ تلميذاً وتلميذة وتخلف ١٤٢٩، ونجح ٣٦٣٨٥، ورسب ١٦٠٠٥، والنسبة المئوية

للنجاح فى الدور الثانى ٧١,٤٠٪ .. وكانت النسبة المئوية للنجاح فى الدور الأول ٥٦,٠٧٪ ، والنسبة المئوية للنجاح فى الدورين الأول والثانى للشهادة الابتدائية الأزهرية بلغت ٨٦,٨٤٪ .

• نتيجة امتحان شهادات القراءات •

اعتمد فضيلته صباح يوم ١٩٩٨/٩/٩ نتيجة امتحان شهادات القراءات الثلاث التجويد والعالية والقراءات للدور الثانى للعام الدراسى ٩٩/٩٨ ، وجاءت النتيجة على النحو التالى :

أولاً : إجازة التجويد : تقدم للامتحان ٨٧٠ طالباً نجح منهم ٦٤٠ طالباً ، وبلغت النسبة العامة للنجاح فى الدورين الأول والثانى ٩٠٪ .

ثانياً : عالية القراءات : تقدم للامتحان ٣٣١ طالباً نجح منهم ٢٣١ طالباً ، وبلغت النسبة العامة للنجاح فى الدورين الأول والثانى ٨٦,٨٪ .

ثالثاً : تخصص القراءات : تقدم للامتحان ١٤٧ طالباً نجح منهم ١١٨ طالباً وبلغت النسبة العامة للنجاح فى الدورين الأول والثانى ٩٢,٤٪ .

• افتتاح مجمع المعاهد الأزهرية بالحى الثامن بمدينة نصر •

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجمع المعاهد الأزهرية النموذجية باسم الدكتور طلعت السيد بمدينة نصر بالحى الثامن يوم ٩٨/٨/٢٥ ، ويشتمل المجمع على حضانة (تمهيدى) وابتدائى وإعدادى وثانوى بنين وبنات ، وقد قدمه الدكتور طلعت السيد هدية للأزهر الشريف مكتمل الإنشاءات والمبانى على أحدث طراز ، وكذلك التجهيزات من أثاث وخلافه ، وقد تكلف حوالى المليون ونصف المليون جنيه ، حضر حفل الافتتاح فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والمسئولون بالأزهر الشريف والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

• فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقى وفد المعهد الدبلوماسى بوزارة الخارجية •

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بوفد المعهد الدبلوماسى بوزارة الخارجية من الملحقين الدبلوماسيين والتجاريين بقاعة الاجتماعات الكبرى بإدارة الأزهر الشريف وعددهم ٥٢ ملحقاً يوم ١٩٩٨/٨/٣١ ، وأوضح السيد السفير/ محمود فرغل مساعد وزير الخارجية ومدير المعهد أن هذه الزيارة تأتى فى إطار تطوير تدريب الدبلوماسيين الجدد لتعميق معرفتهم بكافة القضايا .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالوفد فى الأزهر الشريف منارة العلم والمعرفة شارحاً دور الأزهر فى نشر الثقافة ، فى مشارق الأرض ومغاربها ..

كما قام فضيلته بالتعريف بسماحة الإسلام والوسطية التى يتمتع بها وبعده عن التعصب



كما أوضح فضيلته دور الأزهر الشريف من حيث المنح التى يقدمها لأبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم فى أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا واستراليا للدراسة بالأزهر وجامعته العريقة والمعاهد والكليات التى يساعد فى إنشائها فى الدول المختلفة ، وكذا إرسال العلماء من الأزهر إلى كافة أنحاء العالم لتوضيح سماحة الإسلام

كما أوضح فضيلته بأن علاقة الأزهر بوزارة الخارجية المصرية فى الداخل والخارج قوية ووثيقة الصلة ، وأن بعثات الأزهر فى الخارج على اتصال وثيق بالسفارات المصرية لأن السفارات المصرية هى العين الساهرة على مصالح مصر فى الخارج ولهم دور هام فى إيفاد أبناء هذه الدول للالتحاق بالأزهر وجامعته .

ومهمة السفراء فى الخارج شاقة وتحتاج إلى جهد ومشقة لتوضيح صورة مصر وسياستها لأن العالم يتطور وكل دولة تريد أن تأخذ مكانها بين الدول ، وذلك يحتاج لجهد الدبلوماسيين والعلماء ، ومصر بأزهرها وعلمائها ودبلوماسييها وثقافتها وتاريخها تأخذ وتحتل المكانة المرموقة فى العالم أجمع ، وأيضاً المراكز الإسلامية فى العالم تؤدى الدور الهام لخدمة دينها ووطنها .

وقـد استمـع فضيلتـه إلى أسئلتهم واستفساراتهم ، وأجاب عن الأسئلة التى طرحت .

وفى نهاية اللقاء قدم النصح والتوجيه لرجال الدبلوماسية بأن يتزودوا بالعلم النافع وبالقراءة المستمرة ومتابعة ومواكبة التطور المستمر فى العالم أجمع وأن يعتصموا بالفضائل التى من شأنها أن تعصم الإنسان من الوقوع فى الخطأ ، وأن يتحصن بالوفاء والصدق والأمانة والطهارة والنزاهة . . والتعاون والثقة بالنفس داعياً الله لهم بالتوفيق والسداد فى عملهم ، وقدم الوفد الشكر لفضيلته لإتاحة هذه الفرصة

« الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير دولة استراليا »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٩٩٨/٨/٢٧ ، السيد السفير الدكتور/ عصام رمضان سفير مصر الجديد بدولة استراليا ، وذلك بمناسبة تعيينه سفيراً لجمهورية مصر العربية بدولة استراليا .

طلب السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر التوجيه والنصح ، كما طلب إمداده بالكتب والمراجع الدينية ، وذلك لتعليم أبناء الجالية المصرية فى استراليا وغيرهم قواعد الإسلام واللغة العربية وغيرها ولمساعدتهم على معرفة أمور دينهم كما طلب إمداد استراليا بعلماء من الأزهر الشريف خلال شهر رمضان لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

كما أبدى رغبته فى أن يقبل فضيلة الإمام الأكبر الدعوة لزيارة دولة استراليا ،وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن استعداد الأزهر الشريف لتقديم كل عون ومساعدة فى مجال نشر الدعوة والثقافة الإسلامية باستراليا وغيرها من دول العالم سواء عن طريق الكتب والمراجع أو عن طريق إرسال العلماء .

وقد شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الاستقبال وعلى النصائح التى استمع إليها من فضيلته .



• الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير مصر بدولة زامبيا •

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ٩٨/٨/٢٧ السيد السفير د . صفوت أيوب سفير مصر بدولة زامبيا بمناسبة تعيينه سفيراً جديداً لجمهورية مصر العربية بدولة زامبيا ، وقد طلب النصح والتوجيه من فضيلته ، وقد شكره فضيلة الإمام على زيارته للأزهر الشريف متمنياً له التوفيق فى عمله الجديد . . حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

• الإمام الأكبر يستقبل وفد جمعية ثقافة دونجان بجمهورية كازاخستان •

استقبل فضيلته وفد جمعية ثقافة دونجان بجمهورية كازاخستان برياسة الدكتور رشيد باكيرون رئيس الجمعية ، وقد رحب فضيلة الإمام بالوفد بالأزهر الشريف ، وطلب الوفد من فضيلة الإمام الأكبر إمداد الجمعية بالكتب الإسلامية والمراجع الدينية باللغة العربية وباللغات الأخرى للاستعانة بها فى فهم الإسلام فهماً صحيحاً وللرجوع إليها للاطلاع والاستفادة ، كما طلب الوفد إرسال علماء من الأزهر الشريف لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

وأبدى الوفد رغبته فى زيارة فضيلة الإمام الأكبر لدولة كازاخستان ، وسيقوم الوفد بالعمل على اتخاذ اللازم مع الحكومة لإنجاز هذه الزيارة التى يعتبرونها شيئاً مهماً جداً .

وقد وعد فضيلته بدراسة مطالبهم تمهيداً لتلبيتها فى أقرب وقت ممكن .

• الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير زامبيا بالقاهرة •

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد السفير/ باتريك كافو موكاتشى سفير زامبيا بالقاهرة ، وقد أبلغ سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر تحيات وتقدير فخامة رئيس جمهورية زامبيا .

وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول المنح التى يقدمها الأزهر الشريف لطلاب دولة زامبيا للدراسة بالأزهر فى المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر ، وكذلك دور البعثة الأزهرية الموجودة فى زامبيا لتعليم أبنائها اللغة العربية والشريعة الإسلامية ونشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، وكذلك الكتب والمراجع الدينية ، وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته وتقديره لفخامة رئيس جمهورية زامبيا والحكومة وشعب زامبيا مؤكداً أن الأزهر لا يدخر وسعاً فى تقديم كل عون ومساعدة لأبناء زامبيا الشقيقة من كتب دراسية وكتب دينية ومنح للطلاب وعلماء من الأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ سامى الشعراوى ـ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ـ والشيخ/ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

• الإمام الأكبر يستقبل سعادة سفيرة مصر بدولة الكاميرون •

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ١٩٩٨/٩/٢ سعادة السفيرة عبلة عبدالرحمن سفيرة مصر بدولة الكاميرون .

تم خلال اللقاء استعراض أوضاع المسلمين فى الكاميرون ، وطلبت السفيرة من شيخ الأزهر دعم الأزهر الشريف للكاميرون فى زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء المسلمين بالكاميرون للدراسة بالأزهر وجامعته وإيفاد العلماء من الأزهر خلال شهر رمضان المعظم ، وذلك لنشر الثقافة الإسلامية .

وقد قدمت سيادتها الشكر لفضيلته على ما يقدمه الأزهر وعلى البعثة الموجودة من الأزهر الشريف فى الكاميرون وعلى حسن اللقاء .

• قرارات لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر •

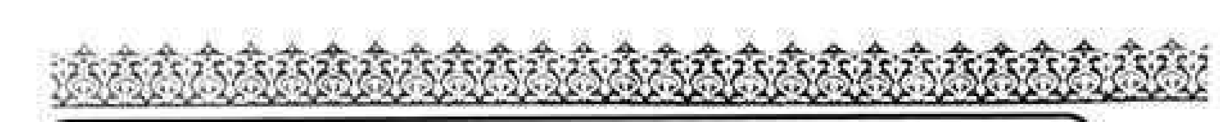
● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قراراً بنقل فضيلة الشيخ/ محمود محمد سيد الحجر رئيس الإدارة المركزية لمنطقة قنا الأزهرية بالدرجة العالية والقائم بعمل رئيس الإدارة المركزية المشرف على مدينة البعوث الإسلامية إلى وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الشرقية الأزهرية اعتباراً من ١٩٩٨/٩/٥ . صدر فى ١٩٩٨/٨/٣١ .

كما صدر قرار فضيلته أيضاً : يسند إلى فضيلة الشيخ/ فرحات السعيد المواق المنجى شيخ معهد المنصورة الثانوى بنين بدرجة مدير عام والقائم بعمل مدير عام شئون الطلبة والخدمات بمدينة البعوث الإسلامية حالياً ، القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية المشرف على مدينة البعوث الإسلامية ، وذلك إلى حين شغلها بصفة أصلية عمن توافرت فيه شروط شغلها وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم (٥) لسنة ١٩٩١ ، ولائحته التنفيذية ، صدر فى ١٩٩٨/٩/١ .

● كما صدر قرار فضيلته أيضاً : يسند إلى فضيلة الشيخ/ عبدالمقصود محمد محمد برانية وكيل مشيخة عليا (أ) للعلوم الدينية والعربية بدرجة مدير عام القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة البحيرة الأزهرية اعتباراً من ١٩٩٨/٨/٣١ تاريخ خلوها لإحالة شاغلها إلى التقاعد ، وذلك لحين شغلها بصفة أصلية عمن توافرت فيه شروط شغلها طبقاً لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ ، ولائحته التنفيذية (صدر فى ١٩٩٨/٨/٣١) .

● كما صدر قرار فضيلته بنقل فضيلة الشيخ/ محمد حسنى محمد حجازى شيخ معهد دمنهور الثانوى بنين بدرجة مدير عام إلى وظيفة وكيل منطقة (أ) للعلوم الدينية والعربية بالبحيرة بذات الدرجة والمجموعة النوعية التى ينتمى إليها ، وذلك اعتباراً من ١٩٩٨/٨/٣١ . صدر فى ١٩٩٨/٨/٣١ .

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بإيفاد السيد/ عبدالمؤمن محمود مجاهد عزام بسكرتارية مكتب شيخ الأزهر ـ سكرتيراً لبعثة الأزهر بدولة مالى فى العام الدراسى ٩٩/٩٨ العام الأول على أن تتحمل موازنة الأزهر نفقات السفر والمرتبات المقررة قانوناً للسيد المذكور خلال فترة إيفاده . . صدر فى ١٩٩٨/٨/٢٩ . . كما صدر قرار شيخ الأزهر بالتجديد للشيخ/ حسين حسن حامد على الطويل شيخ معهد فتيات مصر الجديدة الأزهرى للعام الدراسى ٩٩/٩٨ رئيساً لبعثة الأزهر فى دولة الكاميرون . صدر فى ٨/٢٠ .



«مناقشة بدء العام الدراسى الجديد»

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف برؤساء ومديرى المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية أيام ٥، ٧، ١٩٩٨/٩/٩، وذلك لمناقشة ما يتعلق ببدء الدراسة فى العام الجديد والوقوف على قبول الطلاب فى التمهيدى والابتدائى ومسابقة القبول بالإعدادى الأزهرى، واستكمال العجز فى المدرسين والمحفظين وموقف المعاهد من ناحية الترميم والإحلال إلخ.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على التوسع فى فتح الفصول التمهيدية بمصروفات، وذلك لمن لا يقبل بالصف الأول الابتدائى فى جميع معاهد الجمهورية من سن ٤ ـ ٦ سنوات، ولا حد للكثافة.

وأكد على عدم قبول أى طالب بالصف الأول الابتدائى الأزهرى لأقل من ست سنوات ولو بيوم واحد، وعلى أن تكون كثافة الفصل لا تقل عن ١٥ طالباً، ولا تزيد على ٣٥ طالباً، وفى المحافظات النائية يمكن النزول بالحد الأدنى عن ١٥ طالباً حسب ما يراه رئيس المنطقة.

توحيد الزى فى التمهيدى وفى الابتدائى بنين وبنات تمهيداً لتعميمه فى الإعدادى والثانوى على الطلاب والطالبات.

وكل من نجح فى مسابقة القبول الإعدادى الأزهرى إذا كانت سنه ١١/٢ فأكثر يقبل بالصف الأول الإعدادى، ومن نجح فى مسابقة القبول الإعدادى الأزهرى وسنه أقل من ١١/٢ يقبل بالصف السادس الابتدائى الأزهرى إذا رغب الطالب فى ذلك.

وفيما يختص بالعجز فى مدرسى تحفيظ القرآن الكريم يتم سد العجز بالاستعانة بوعاظ الأزهر الشريف لتدريس القرآن الكريم وتحفيظه ولتدريس بعض المواد الدينية والعربية إذا اقتضت الضرورة.

وفيما يختص بالعجز فى مدرسى اللغة الإنجليزية تم تدريب وتأهيل كثير من المدرسين وتحويلهم إلى تدريس اللغة الإنجليزية وتم الإعلان عن مسابقة لسد هذا العجز والاستعانة بخريجى كلية اللغات والترجمة وسيتم تعيينهم على درجات.

وبالنسبة للكتب أكد المسئولون أنها وصلت للمناطق وقامت بتوزيعها على المعاهد ليتسلمها الطلاب فى أول يوم فى الدراسة.

التركيز على متابعة الانتهاء من ترميم المعاهد الأزهرية لتكون جاهزة فى بدء الدراسة واستلام المعاهد من الشركات المنفذة للإحلال والتجديد.

التأكيد على المتابعة الدائمة والمستمرة فى بدء العام الدراسى من شيوخ المعاهد والمفتشين والموجهين على حفظ القرآن الكريم والعناية بحفظه عناية فائقة والمواد الأخرى وخاصة فى المرحلة الابتدائية التى هى الأساس للتعليم الأزهرى.

حضر هذه اللقاءات فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والأستاذ محمد جلال عبد ربه ـ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ـ والمسئولون عن العملية التعليمية بالأزهر والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام.



أخبار العالم الإسلامى

يحررها الدكتور :
حسن على محمد

●● من المحرر ●●

السودان وألاعيب الأمريكان !

تحاول الولايات المتحدة الأمريكية رسم خريطة جديدة لقارة أفريقية ، والمنطقة العربية ، لتأمين إسرائيل عدة عقود من الزمان ، ولاترى الولايات المتحدة خطراً حقيقياً على إسرائيل إلا من مصر ، باعتبارها الثقل البشرى ، والعسكرى ، والثقافى فى المنطقة ، وهى تحاول فى هذا إضعاف جميع الأطراف من خلال رجال المخابرات الأمريكية الذين يلعبون فى جنوب السودان ودول حوض نهر النيل . . !

وقد تركز المخطط الأمريكى فى منطقة البحيرات العظمى لأهميتها الاستراتيجية بحيث يتحرك منها الأمريكان شرقاً وغرباً ، ومن هذه المنطقة تنسال مياه الأمطار شمالاً فى نهر النيل شريان الحياة فى مصر والسودان كما تمثل هذه المنطقة نقطة التقاء بين الشمال العربى والامتداد الإسلامى فى أفريقيا .

ولهذا تحتضن الولايات المتحدة الدول المحيطة بالسودان وتؤلبها ضد السودان مع مدها بالتدريب ، والعتاد العسكرى ولهذا ستكون مصر هى الهدف الثانى بعد السودان ، وإن ما يدور فى جنوب مصر يجب أن نفتح عليه عيوننا جيداً .

●●●●

مصر :

□ القاهرة :

شيخ الأزهر :
مصر تفتح قلبها لأبناء العالم الإسلامي

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر : أن مصر تفتح قلبها لأبناء العالم الإسلامى الدارسين فى جامعتها وأزهرها ومعاهدها .

وقال الإمام الأكبر : إن هناك فرقاً بين من يصنع قنبلة ليدافع بها عن وطنه ، وعرضه وكرامته ، ومن يصنع قنبلة ليحطم بها قطاراً أو يهدم منزلا .

وأشار الإمام الأكبر إلى أن طالب الأزهر يجب أن يحفظ القرآن الكريم ، وإن لم يستطع فهو غير أزهرى ، وقال بأن حفظ القرآن سيكون ١٨ جزءاً فى المرحلة الابتدائية ، ٧ أجزاء فى المرحلة الإعدادية و٥ أجزاء فى المرحلة الثانوية .

وقال إن الطالب بجامعة الأزهر يجب أن يكون حافظا للأجزاء الثلاثين .

●●●●

تعيين ٦٠٠٠ إمام وخطيب فى المساجد

قررت وزارة الأوقاف تعيين ٦٠٠٠ خطيب وإمام من خريجى كليات الدعوة وأصول الدين ، وأعلن وزير الأوقاف أنه تقرر رفع الإعانة المقدمة لطلبة الجامعات إلى ١٥٠٪ تم اعتمادها من صندوق البر بوزارة الأوقاف.

●●●●

دار إفتاء عالمية ..على الإنترنت

أعلن الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف : أن الوزارة ستتولى الرد على استفسارات المواطنين من جميع أنحاء العالم الإسلامى حول الدين الإسلامى والقضايا الإسلامية ، والفتاوى الشرعية عن طريق شبكة الإنترنت .

●●●●

العالم العربى :

هجوم أمريكى بالصواريخ على السودان وأفغانستان

□ الخرطوم ـ كابول : وكالات الأنباء

فى واحدة من أعمال البلطجة الدولية ، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه ضربات جوية صاروخية إلى كل من السودان وأفغانستان حيث دمرت مصنعاً للأدوية فى السودان بزعم أنه مصنع كيماويات ينتج أسلحة كيماوية ، كما دمرت بعض المواقع الأفغانية التى يشتبه أن يكون فيها أسامة بن لادن .

وتعد هذه الهجمات الأمريكية سابقة خطيرة فى مجال العلاقات الدولية وخرقاً للقوانين الدولية واعتداء على دولتين عضوين فى الأمم المتحدة .

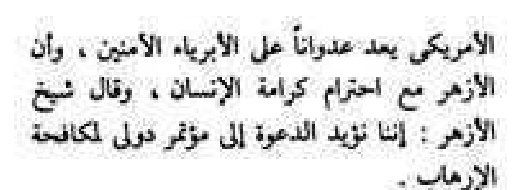
●●●●

...... وشيخ الأزهر يؤكد :

□ القاهرة ـ خاص للأزهر

نحن ضد العدوان على الأبرياء

أكد فضيلة الإمام الأكبر : أن السلوك



الأمريكى يعد عدواناً على الأبرياء الآمنين ، وأن الأزهر مع احترام كرامة الإنسان ، وقال شيخ الأزهر : إننا نؤيد الدعوة إلى مؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب .

●●●●

السودان يطالب ببعثة تقصى حقائق للمصنع المدمر

الخرطوم ـ أ . ف . ب :

طالب السودان منظمة الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية بإرسال بعثة تقصى حقائق إلى أراضيه للتأكد من أن المصنع الذى تعرض لضربة عسكرية أمريكية خاص بإنتاج الأدوية وليس لأسلحة كيماوية .

وأعرب وزير الخارجية السودانى مصطفى عثمان عن استعداد بلاده لاستقبال هذه البعثة ، وتحقيقها فى وجود أى صلة بين المصنع وأسامة بن لادن .

ومن ناحية أخرى ، قررت الحكومة السودانية حظر استخدام طائرات الشركات الجوية الأمريكية للمجال الجوى السودانى بعد الضربات العسكرية الأمريكية المفاجئة .

●●●●

...... ووزير الخارجية المصرى يقول : لايمكن لأية دولة أن تكون بديلا عن مجلس الأمن

القاهرة :

صرح السيد عمرو موسى وزير الخارجية المصرى بأن البيان المصرى الصادر بمناسبة الضربات الأمريكية ضد السودان وأفغانستان كان واضحاً فى تأكيد الموقف المصرى ضد الإرهاب وفى مطالبة مجلس الأمن باتخاذ التدابير اللازمة .

●●●●

..... والولايات المتحدة الأمريكية تواصل حملتها الدبلوماسية لاحتواء مضاعفات الهجوم العسكرى

واشنطن ـ وكالات الأنباء :

واصلت الولايات المتحدة حملتها الدبلوماسية للتقليل من أخطار هجومها العسكرى غير القانونى وحاول الرئيس الأمريكى الاتصال بقادة الدول العربية لشرح الموقف الأمريكى وحشد التأييد لواشنطن ضد السودان وأفغانستان .

●●●●

ردود فعل عربية واسعة النطاق على الهجمات الأمريكية

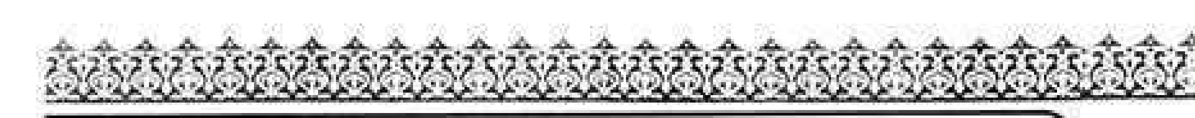
عواصم الدول العربية ـ وكالات الأنباء :

أثارت الهجمات الأمريكية « الوقحة » ردود فعل واسعة النطاق على المستويات الرسمية والشعبية .

فقد استنكرت سوريا العدوان الأمريكى ووصفتها المملكة الأردنية بأنها غير معقولة وغير مقبولة ، وأعربت قطر عن قلقها لهذه الهجمات .

كما أكد الرئيس السودانى عمر البشير أن بلاده ستنتقم من الولايات المتحدة لاعتدائها على مصنع الشفاء مؤكداً تصميم بلاده على الرد على العدوان .

كما أطلق المتظاهرون السودانيون هتافات معادية ثم قاموا بحرق العلم الأمريكى .



..... وموجات إدانة عالمية للغارات الجوية الأمريكية ضد السودان وأفغانستان بالدول الإسلامية

عواصم الدول الإسلامية ـ وكالات الأنباء:

توالت ردود الفعل العالمية على الضربات الصاروخية الأمريكية ضد السودان وأفغانستان، وغلب عليها طابع الإدانة المعلنة والضمنية، ففى باكستان طالب وزير الخارجية بعدم شن أى هجوم إضافى ضد أفغانستان والبحث عن أساليب أخرى فى مكافحة الإرهاب.

كما أعلنت إيران رسمياً عن نشر وحدات إضافية على امتداد حدودها مع أفغانستان تحسباً لتكرار الغارات الجوية الأمريكية.

وفى ماليزيا أدان د. محاضر محمد رئيس الوزراء العمل العسكرى الأمريكى، وحذر من حدوث فوضى عالمية إذا قررت كل دولة شن هجوم فى الوقت الذى يحلو لها.

وفى أنقرة أصدرت الخارجية التركية بياناً رسمياً أكدت فيه تأييد تركيا للغارات الجوية الأمريكية.

●●●●

● العالم الإسلامى:ـ

□ بنجلاديش

الفيضانات تهدد بنجلاديش بالأوبئة

أدت الفيضانات الناجمة عن الأمطار الغزيرة إلى ارتفاع منسوب المياه فى الأنهار ومقتل ٧٠٠ شخص وأضرار جسيمة بمنازل وحقول ٣٠ مليون شخص وتدمير آلاف المنازل والمحاصيل الزراعية.

وتشير وكالة (اسوشيتدبرس) إلى أن بنجلاديش أصبحت مهددة بتفشى أمراض الكوليرا والإسهال من بدء تحلل جثث الموتى الملقاة بالشوارع والحقول الزراعية.

●●●●

باكستان تترقب خطة إنقاذ مالى يقدمها البنك الإسلامى للتنمية

□ باكستان

كراتشى ـ وكالات الأنباء:

حذر جاحازب نصير المحلل المالى الباكستانى من احتمال توقف باكستان عن سداد أقساط الديون الخارجية حال فشل البنك الإسلامى للتنمية فى تدبير خطة إنقاذ بحوالى مليار ونصف المليار دولار تشارك فيها عدة مؤسسات مالية إسلامية.

وقد رفض صندوق النقد الدولى الاستمرار فى تقديم القروض للباكستان إثر العقوبات الدولية المفروضة على إسلام آباد منذ التفجيرات النووية فى مايو الماضى من عام ١٩٩٨.

●●●●

الهند وباكستان توافقان على استئناف المفاوضات

ديربان ـ جنوب أفريقية ـ وكالات الأنباء:

اتفقت الهند وباكستان على استمرار المحادثات

بينهما فى اجتماع بين وكيل وزارة الخارجية للبلدين فى قمة عدم الانحياز .

●●●●

أندونيسيا :

الجيش الأندونيسى ينفى تحريضه على إثارة الاضطرابات

جاكرتا ـ و : نفى الجيش الأندونيسى الاتهامات الموجهة له بالتحريض على إثارة الاضطرابات ، وألقت قيادة عسكرية بالجيش الأندونيسى باللوم على الانفصاليين الإسلاميين .

وجاء بيان الجيش الأندونيسى رداً على اتهامات وجهتها اللجنة المستقلة للاختفاء القسرى وضحايا التعذيب .

●●●●

ماليزيا :

خطة لإنعاش اقتصاد ماليزيا

كوالالمبور ـ رويتر :

كشفت الحكومة الماليزية عن مجموعة من الإجراءات الاقتصادية الشاملة وضعها المجلس الوطنى للعمل الاقتصادى تهدف إلى مساعدة البلاد للخروج من ركودها .

وأوصى مجلس الوزراء الماليزى بإزالة جميع القيود على الملكية الأجنبية فى مشروعات الصناعات التحويلية .

كوسوفا :

الصرب يرتكبون مذابح بشعة ضد الألبان

بريشتينا : وكالات الأنباء :

ارتكب الصرب مذابح بشعة فى بلدة « هوفيتش » ، استمرت خمسة أيام ، انتهت بفرار ٢٠ ألف نسمة إلى التلال الشمالية ، وقد دعت اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان إلى إجراء تحقيق دولى حول المجازر البشعة التى يرتكبها الصرب ضد الألبان المسلمين .

●●●●

□ أوزباكستان :

أوزباكستان تحتفل بمقياس النيل فى طشقند

طشقند ـ وكالات الأنباء : ـ

أبرقت السفارة الأوزبكية فى القاهرة إلى هيئة الاستعلامات المصرية تطلب استقبال وفد على مستوى عال لإعداد فيلم تسجيل عن مقياس الروضة مدته نصف ساعة بتمويل من اليونسكو .

وسوف تحتفل طشقند بمقياس النيل فى شهر أكتوبر الحالى فى إطار احتفالها بمرور ١٢٠٠ عام على مولد عالم الفلك والهندسة الأوزبكى أحمد الفرغانى الذى قام بتصميم وبناء المقياس عام ٨٦١ م .

l'élève en degrés ou bien Il lui accorde ces deux faveurs à la fois. On raconte que le Jour du Jugement Dernier -avant que la Balance ne soit posée ou que le Jugement ne soit commencé- un Crieur de la part du Seigneur -Le Sublime- dira: **Que Celui dont le salaire incombe à Allah, se lève.**[3]. Quelques-uns sous l'effet d'une inspiration se lèveront, puis l'ordre sera donné de les mener au Paradis.

Les anges leur demanderont surpris:"*Qui êtes-vous?*". Ils réponderont:"*Nous sommes les patients?*" Les Portes du Paradis s'ouvriront alors pour eux' et ses Gardiens leur diront: **[Paix sur vous, pour votre endurance.]** **Surate 13"Ar-Râd".(Le Tonnerrre)V.24.**

Lorsque les gens du Rassemblement verront ce que les endurants ont gagné, ils souhaiteront que leurs corps aient été rongés avec des cisailles de fer,-dans la vie terrestre-, et qu'ils eurent endurés tout ce mal, pour qu'ils puissent mériter ce que les patients ont mérité. Allah, Le Glorieux, a dit vrai en signalant que: **[Ceux qui sont endurants, seront dignement rémunérés au-delà de toute mesure.]**
Surate 39 "Az-Zumar" (Les Groupes) V.10.

à l'épreuve. Celui qui se résigne[1] obtiendra l'approbation d'Allah, mais celui qui se révolte encourra Sa colère."

Hadith rapporté par Al-Termizie.

Donc, lorsque l'homme est frappé d'un malheur ou d'une chose qui le répugne, il doit se résigner, car la résignation lui vaudra une grande récompense. S'il n'arrive pas à atteindre le stade du contentement, qu'il soit du moins parmi ceux qui endurent sans se plaindre.

Certains de nos pieux Cheikhs ont dit que: *Lorsqu'Allah veut rapprocher de Lui l'un de Ses serviteurs, Il le détache de tout ce qui le corrompt, l'expose à toutes sortes d'épreuves pour l'obliger à retourner vers Son Seigneur.*

Celui qui ne s'alarme pas, ni ne s'irrite, ni ne se plaint obtiendra l'approbation d'Allah et la généreuse récompense. Quant à celui qui se lamente, se rebelle, s'emporte contre les arrêts divins; il sera maudit et rien n'arrêtera le cours du destin, car les décrets divins sont justes et immuables que l'on s'y montre résigné ou non. Allah décrète tout avec une sagesse infinie, même si cette dernière n'est point apparente pour ceux qui sont doués d'intelligence. Nos pieux ancêtres ont dit:" *l'homme est avide du bien en toutes ses affaires, or, dans certaines affaires le mal est caché."*

Donc, il n'existe point de mal qui ne fasse partie d'un bien car tout ce qui provient d'Allah ne peut être qu'un bien. C'est Lui qui dit: **[Or, il se peut que vous ayez de l'aversion pour une chose qui, cependant, vous est un bien. Et il se peut que vous aimiez une chose qui cependant vous est mauvaise. C'est Allah qui sait, alors que vous ne savez pas.]**

Surate 2 "Al-Baqara" (La Vache)V.216.

C'est pour cette raison, qu'un des "Connaisseurs" disait:" *Je trouve ma joie dans les arrêts du destin."*

Un autre, s'attristait et s'effrayait si la vie lui ouvrait les bras et disait:*"Je crains qu'on me dise le Jour du Jugement Dernier* **[Vous avez dissipé vos biens et vous en avez joui pleinement durant votre vie sur terre.]"**

Surate 46 "Al-Ahqâf" V.20.

Al-Bokhary a rapporté ce Hadith du Prophète-b.s-:***"Quand Allah veut du bien à quelqu'un, Il l'éprouve."***

Le Prophète -b.s- a dit également:***"C'est merveilleux! Tout ce qui arrive au croyant, lui est favorable. Nul autre n'a ce privilège: S'il est heureux, il remercie Allah et cela est bien pour lui; s'il est malheureux, il se résigne et cela est bénéfique pour lui."***

Hadith rapporté par Moslim.

Nos pieux ancêtres ont dit:*Le croyant n'est jamais épargné qu'il s'agisse d'une maladie, d'une diminution de biens ou d'une humiliation.*

L'épreuve en cette vie est pour celui qui l'endure avec patience est un bienfait caché, car elle amène l'homme à recourir à Son Seigneur, qui lui pardonne ses péchés, ou

---

[1]La résignation est une vertu qu'on peut acquérir à force d'entraînement.

3-L'endurance devant les bienfaits:

En reconnaissant leur source c'est-à-dire la grâce divine, car tout don n'est que par la grâce d'Allah-Gloire à Lui-. De plus, le croyant n'emploie les faveurs octroyés par Son Seigneur que dans des choses licites, de sorte qu'il ne se montre jamais ni rebelle ni ingrat. Allah-Gloire à Lui- a dit: **[Bien au contraire l'homme est rebelle, dès qu'il se voit dans l'aisance.]**

Surate 96 "Al-Alaq" (Le Caillot de sang)V.6et 7.

Nos pieux ancêtres ont dit:
"Le peu qui suffit est supérieur à l'abondance qui divertit."
Le Prophète-b.s-invoquait Son Seigneur par ces paroles:
"Seigneur! Préserve-moi contre la séduction de l'épreuve de la richesse et l'égarement de l'épreuve de la pauvreté." ***"Al-Bokhary".***

4-L'endurance dans les épreuves:

Cette endurance se manifeste par l'acceptation des arrêts divins et du destin sans s'alarmer ni se plaindre. Le croyant les accepte avec stoïcisme en demandant à Allah de le dédommager de sa perte- qu'elle soit matérielle ou physique- et de l'assister par Sa Grâce en cas de disparition d'un être aimé...Allah-Gloire à Lui-a dit:**[Nous vous éprouverons de quelques façons, par la peur , la faim, la diminution des biens, de personnes et de fruits. Annonce la bonne nouvelle aux endurants.]**

Surate 2 "Al-Baqara" (La Vache) V.155.

Allah-Gloire à Lui-a dit également: **[Et certainement Nous vous éprouverons afin de connaitre ceux d'entre vous qui luttent, ainsi que les endurants et d'éprouver ce que l'on rapporte sur vous.]**

Surate 47" Mohammed" V.31.

Les épreuves sont proportionnelles à la foi de l'homme: si sa foi est fragile l'épreuve sera allégée, c'est pour cette raison que le Prophète-b.s-a dit:***"Les épreuves les plus pénibles sont celles qui s'abattent sur les Prophètes, puis sur les élus, puis sur les meilleurs et ainsi de suite par ordre de mérite."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Notons qu'il exite des sortes d'épreuves dont la rétribution (pour celui qui les endure) ne peut être que le Paradis: Anas-A.s.l-a rapporté ce Hadith du Prophète -b.s-: ***"Allah-Gloire à Lui- a dit: Quand Je frappe mon serviteur de cécité et qu'il se soumet à Mon arrêt, Je lui accorde en échange le Paradis."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Al-Timizie a rapporté également ce Hadith du Prophète-b.s-qui dit:***"La valeur de la rétribution est proportionnelle à l'épreuve. Quand Allah aime des gens, Il les soumet***



Bien que ce soit Allah qui guide le fidèle vers la patience et L'assiste, Il annonce la bonne nouvelle à ceux qui sont endurants, par ces paroles:[**Annonce une heureuse issue aux endurants, à ceux qui, frappés d'un malheur disent:"Nous appartenons à Allah et vers Lui sera notre retour!". Ceux-là auront pour lot miséricorde et bénédiction de leur Seigneur. Ils auront suivi le droit chemin.]**

Surate 2 "Al-baqara" (La Vache) V.156.

La patience est la vertu la plus indispensable pour l'accomplissement des actes de dévotion le mois de Ramadan, par exemple, a été nommé le mois de patience, parce que le croyant renonce par piété aux désirs licites permis en dehors du jeûne: il supporte la faim, la soif, trouve son réconfort en pensant à Allah et à la grande rétribution accordée pour cet acte de dévotion, selon le Hadith divin qui dit:***[Tout ce que fait le fils d'Adam lui appartient, sauf le jeûne, il M'appartient et c'est Moi qui en fixe la rétribution.]***

Rapporté par Al-Bokhary et Moslim.

Toutefois, la patience n'est valable que si elle est accompagnée de sincérité; le jeûneur dans sa solitude n'est vu que par Allah, donc c'est un acte de dévotion dont seul Allah est témoin, c'est pour cette raison que c'est Lui qui en fixe la récompense.

En ce qui suit, nous exposerons les quatre sortes d'endurance et nous expliquerons chacun séparément.

1-L'endurance dans la soumission:

Cette forme d'endurance consiste à respecter les ordres d'Allah quels que pénibles ou difficiles qu'ils soient: comme le fait de supporter le jeûne, d'accomplir les prières nocturnes ainsi que tous les autres actes de dévotion. Le Prophète-b.s-ne se tenait-il pas debout dans ses prières nocturnes si longtemps que ses pieds se fendillaient et saignaient?. Quand Aïcha -A.s.e- lui demanda:"***Pourquoi Ô Messager d'Allah fais-tu cela, alors que tu sais qu'Allah t'a pardonné tes péchés présents et passés?"***Il répondit:***"N'est ce point une raison pour être un serviteur reconnaissant?".***

Rappoté par Al-Bokhary.

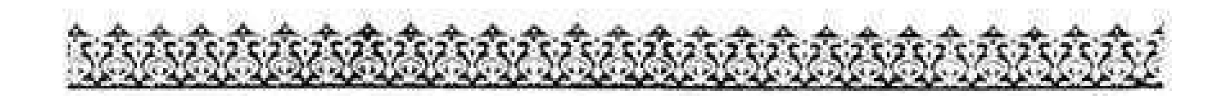
2-L'endurance qui consiste à éviter de commetttre les péchés:

En s'écartant de ce qu'Allah interdit et de tout ce qui lui fait encourir la colère d'Allah comme l'indique ce verset global: **[Certes, Allah prescrit l'équité, la charité, l'assistance bienveillante aux proches. Il proscrit la turpitude, réprouve l'inconvenance, stigmatise la violence injustifiée. Allah vous exhorte ainsi, pour vous inciter à refléchir.]**

Surate 16 "An-Nahl" (Les Abeilles)V.90.

Cette parole est vraie lorsqu'elle dit:

"Le combattant est celui qui réprime ses passions et l'émigré est celui qui fuit les turpitudes".



Patience et Endurance

"As–Sabr"

Traduttion de : Hoda Hussein Chaaraoui

La patience et l'endurance sont des vertus qui consistent à réprimer de sa nature humaine (nafs) en fonction des exigences de la raison et de la loi. Certains ulémas ont dit que le mot patience, peut avoir plusieurs significations différentes selon les circonstances de la vie. Si c'est le fait de se résigner devant le malheur, on le nomme patience tout simplement et son opposé est la colère; si le mot est utilisé pour décrire la fermeté durant le combat, on le nomme: courage et son opposé est la lâcheté; si c'est pour décrire le fait de supporter les paroles irritantes d'autrui, on le nomme: longanimité et son opposé est l'emportement; si c'est le fait de se retenir de parler, on le nomme: discrétion et son opposé est la légèreté.

De même le fait de s'astreindre à l'obéissance, au culte d'Allah, de lutter contre ses passions, d'éviter les péchés, on le nomme endurance car le Musulman est appelé à réprimer sa nature humaine (nafs) par la soumission, par les actes de dévotion, à lutter contre ses penchants et l'écarter des péchés. Allah-Gloire à Lui- nous recommande dans Son Livre révélé toutes les formes d'endurance, Il nous dit:**[Ô vous les croyants! soyez endurants. Rivalisez en endurance. Soyez fermes et craignez Allah; Afin que vous obteniez la félicité.]**

Surate 3 "Al-Imran" (La Famille d'Imran.) V.200.

La patience est l'une des vertus de l'Islam qui a vu sa forme la plus parfaite en la personne du meilleur des fils d'Adam, Mohammed-b.s-que le Seigneur a décrit par ces paroles: **[Certes, tu es doué du plus noble des caractères.]**

Surate 68 "Al-qalam" (La Plume). V.4.

La patience est également l'une des vertus dont jouissent les Messagers. Allah-Gloire à Lui- ordonna à Son Bien-aimé-b.s-de suivre leur exemple; Il a dit: **[Sois patient, comme l'ont été les Messagers qui étaient doués d'une ferme résolution.]**

Surate 46 "Al-Ahcâf" V.35.

Ce qui prouve que leur patience atteignit le faite de la patience.

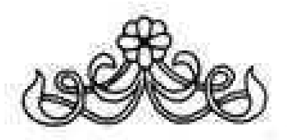
L'homme ne peut acquérir cette vertu qu'avec l'aide et la grâce d'Allah, c'est lui qui a dit:**[Sois patient! Ta patience ne vient que d'Allah.]**

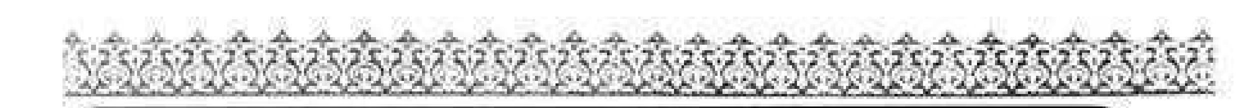
Surate 16 "An-nahl" (Les Abeilles) V.127.

81- Ont-ils perdu la raison et ne savent-ils pas que Celui qui a créé les cieux et la terre - malgré leur immensité - est capable de recréer les humains qui sont - comparativement - bien petits et bien faibles? Oui, certes: Il est le Tout-Puissant qui créé sans cesse, et Il est l'Omniscient.

82- C'est ainsi qu'Il procède dans Sa création: quand Il veut faire exister une chose, il Lui suffit de dire: "Sois", alors elle "est", et "existe" immédiatement.

83- Celui qui, par Son pouvoir, peut tout posséder - en la créant, en la gérant et en en disposant - est le Transcendant, bien au-dessus de tout ce qui ne convient pas à Sa Majesté et c'est vers Lui seul que vous serez ramenés afin qu'Il vous juge pour vos actions.





eux-mêmes des défenseurs au service de leurs divinités impuissantes, pour les servir et les défendre contre tout mal.

76- Ne sois donc point attristé par leurs paroles contre Allah dues à leur athéisme, ni contre toi, par leur démenti. Nous savons ce qu'ils cachent et ce qu'ils divulguent, et Nous les rétribuons pour cela.

77- L'être humain renie-t-il l'existence d'Allah et Sa toute-puissance et ne voit-il pas que Nous l'avons créé - du néant - à partir d'une simple goutte de sperme? et le voilà qui affiche fortement et ouvertement cette adversité!

78- Cet ennemi déclaré nous offre un exemple par lequel il renie Notre pouvoir de faire revivre les os après qu'ils sont réduits en poussière; or, il a oublié que Nous l'avons créé lui-même, alors qu'il n'existait pas auparavant. Il a dit avec réprobation, tout en jugeant impossible que Nous en soyons capable: "Qui fait revivre les os alors qu'ils sont réduits en poussière?"

79- Dis - ô Mohammad -: "C'est Celui qui les a créés la première fois qui les fait revire, car celui qui a commencé par faire une chose peut facilement la refaire. Il est parfaitement au courant de tout ce qu'Il a créé, aussi ne Lui est-il pas impossible de rassembler les parties après qu'elles sont dispersées.

80- Celui qui a créé pour vous le feu à partir des arbres verts, lorsqu'ils sont desséchés.[1]

---

(1) L'énergie solaire se transmet aux plantes grâce à la photosynthèse. Le bois se forme à partir d'éléments chimiques composés essentiellement de carbone, d'hydrogène et d'oxygène. C'est de ce bois que se compose le charbon de bois utilisé comme combustible. En brûlant, ce charbon dégage une énergie utilisée pour le chauffage, la cuisson des aliments, etc. Quant au charbon minéral, il est formé de la même façon, puis il s'est partiellement décomposé au cours de milliers d'annés sous l'effet d'agents géologiques tels la chaleur et la pression. La couleur "verte" dans le verset désigne la chorophylle verte nécessaire à la photosynthèse.

qu'ils sachent que la vie est un lieu de séjour temporaire et que c'est la vie future qui est le séjour éternel? (1)

69- Nous n'avons point appris la poésie à Notre messager. D'ailleurs il ne convient pas - vu sa valeur et sa dignité - qu'il soit un poète. Le Coran qui lui est révélé n'est qu'une exhortation et un Livre divin clair. Aucune comparaison n'est donc possible entre le Coran et la poésie.

70- Ce Coran vise à inspirer la peur à celui dont le coeur est vivace et l'esprit alerte, mais aussi pour que le supplice soit bien mérité par ceux qui le renient et refusent d'être guidés par lui.

71- Les incroyants sont-ils devenus aveugles au point de ne pas voir que Nous avons créé pour eux - par Notre pouvoir - le bétail(2) qu'ils s'approprient, et dont ils font usage à leur gré?

72- Nous les leur avons asservis: ils usent certains comme monture et en mangent d'autres.

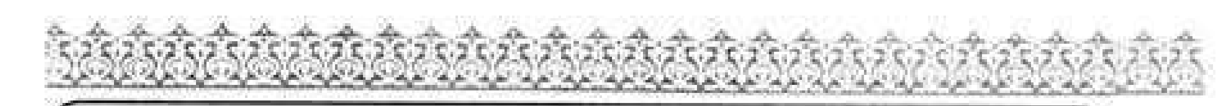
73- En plus de cela, ils profitent de leur laine, de leur fourrure, de leurs poils et de leurs os, et ils boivent leur lait. Oublient-ils tous ces bienfaits, au point de ne pas remercier leur Bienfaiteur?

74- Les polythéistes ont même adoré d'autres divinités en dehors d'Allah, avec l'espoir qu'elles les assisteraient.

75- Or, ces divinités ne peuvent leur venir en aide, si Allah veut les frapper d'un mal; car elles ne sont ni utiles ni nuisibles; en outre ils sont

---

(1) Celui dont Nous prolongeons les jours devient faible car la vie humaine passe par trois étapes: croissance, maturité et affaiblissement des organes (reins, foie, glande thyroïde et pancréas) qui affaiblit tout le corps. De plus, toutes les cellules du corps - à l'exclusion de celles du cerveau et de la moëlle épinière - évoluent et changent continuellement. Tant qu'il y a équilibre entre la rénovation et la destruction des cellules, il n'y a aucun symptôme. Par contre, si les cellules détruites ne sont pas remplacées par des cellules nouvelles, on voit apparaître les signes de sénilité avec un changement dans la nature des tissus: ceci est apparent sur la peau du visage, par exemple. Ce sont là les causes directes de l'apparition des signes du vieillissement.
(2) Il s'agit des chameaux, des moutons et des vaches.



59- Il sera dit ce jour-là aux coupables: "Ecartez-vous des croyants."

60- Ne vous-ai-Je pas recommandé - ô descendants d'Adam - de ne point obéir à Satan en l'adorant comme un dieu, car il est pour vous un ennemi déclaré?!

61- Ne vous-ai-Je pas recommandé de Me vouer un culte exclusif, car le fait de M'adorer exclusivement est la Voie la plus droite.

62- Satan a séduit un grand nombre de créatures parmi vous. Vous n'en étiez pas conscients; ne réfléchissiez-vous donc pas lorsque vous lui obéissiez?

63- Il leur sera dit: "Voici la Géhenne qu'on vous promettait durant votre vie en ce monde, en châtiment pour votre incroyance.

64- "Entrez-y et souffrez aujourd'hui de sa chaleur, en punition pour votre incroyance".

65- Aujourd'hui Nous scellons leurs bouches pour qu'elles ne puissent pas parler, ce sont leurs mains qui Nous parlent et leurs pieds sont doués du don de la parole, afin qu'ils témoignent contre eux et disent ce qu' ils faisaient.

66- Si Nous avions voulu les rendre aveugles durant leur vie Nous l'aurions fait; ils se seraient alors bousculés sur la voie de la Vérité qu'ils doivent suivre. Mais comment la verraient-ils, alors que Nous les aurons rendus aveugles?

67- Si Nous voulions changer leur apparence, Nous l'aurions transformée en une apparence hideuse, malgré la force et la dignité dont ils jouissent. Ils n'auraient pu alors ni avancer ni reculer, car Nous aurions annihilé leur force.

68- Celui dont Nous prolongeons la vie, Nous le ramenons de la force à la faiblesse. Ne comprennent-ils pas que cela est en Notre pouvoir, afin

YASIN

DR. ROKEYA MAHMOUD GABR

(3)

52- Ceux qui se relèvent de leurs tombeaux disent: "Quelle chose effroyable nous attend? Qui nous a réveillés de notre sommeil?". Aussitôt ils reçoivent la réponse à leur question: "C'est le Jour de la Résurrection que le Miséricordieux a promis à Ses serviteurs, et les messagers ont dit vrai en parlant de ce Jour."

53- Il a suffi d'un seul cri pour les appeler à sortir (de leurs tombes); et les voici aussitôt rassemblés devant Nous, amenés pour être jugés par Nous.

54- Ce jour-là aucune âme ne verra sa rétribution diminuée pour une action qu'elle aura accomplie, et vous ne recevrez que la juste rétribution pour le bien ou le mal que vous aurez fait.

55- Les hôtes du Paradis seront absorbés ce jour-là par la félicité dont ils jouissent et qui les remplit de joie.

56- Eux et leurs conjoints, sous des ombrages descendant jusqu'à terre, seront accoudés sur des lits décorés.

57- Au Paradis, ils auront des fruits de toutes sortes et tous leurs désirs seront comblés.

58- Il leur sera dit: "Paix: c'est là une parole émanant d'un Seigneur compâtissant".

REVUE
AL AZHAR

Jumada Al-Akhera 1419H. Oct., 1998 Vol. 71 Part VI

Section Francaise

7 – This is "A Book we have sent down to you that you may bring forth the people from darkness to light, by their god's leave .' (14 :1) Abraham

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ
رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝ ﴾

The Qur'an emphasizes that we are given sight, hearing, minds and hearts to see that Allah has created humans different ; different countries, creeds, colours and races to know each other and to seek to attain harmony and cooperation ; reaching for the sublime and the example of the harmonious Oneness .

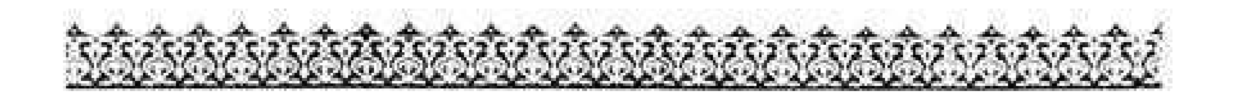
"O men we have indeed create you of male and female, and have made you peoples and tribes that you might know one another . (49 : 13) champers .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾

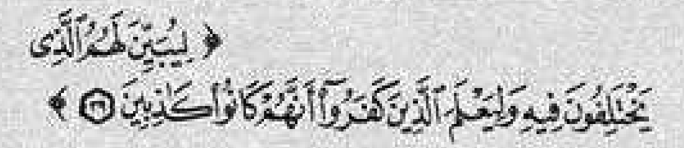
8 – Allah has blessed us with hearts, sight, hearing and minds to see that he created us rich and poor to know that we must have a compassion and a responsibility to help one another . The rich and the learned and the most powerful helping the less fortunate will become even more blessed and strengthened by Allah to be able to help even more .

9 – That religion is all about practicing what we preach, putting the theory to the fest of application to real life and daily practice . This is not an outlandish idea, people are already aware that there is a great deal more to cooperation and helping each other out than simply being kind, which in itself is greatly rewarded by Allah, That Allah in his wisdom has made us realize that we live together in an interdependent world wher ignoring one another is really like ignoring ourselves.

10 – Our religious past is important in the lessons of the divisiveness and struggless of our ancestors. We must also shed the light of acquired learning and knowledge on religious examples, morals, stories and lessons to be able to benefit from what Allah wants us to comprehend and learn, and to try to achieve the sublime, the perfect and the light, all are potentials for humans .



"That you may Elucidate for them that which they are at variance." (16 : 39) the bee.



2 – That Allah stands by his promise and that it is word does not change. He praises to Allah, speaks to all peoples in all languages. « And they swear By God their most strenuous aoths that Allah Will never raise him who died, yea, it is a true promise on Him, But most people know not » (16 : 38) the bee .



3 – That the Qur'an is a universal message to all beings and a mercy and good tidings for the Muslims.

4 – That the most important message of Qur'an is manifest in its very name which means 'to read' and the very first word of the very first revelation is (read) the important message is emphasizing knowledge as a means out of darkness into the light . The light is another name of the Qur'an.

5 – That reading and knowledge means also to see not only with your eyes but also with your heart . To be able to see what is there around humans, what is there for them to do about it, and what in reality is expected from them .

6 – That humans went from darkness to light across the three Holy Books comprising the word of Allah .

* The Original sin and the fall out and down from heaven .
* The messiah Jesus son of Mary, forgiveness, mercy and to give sight, to make people see the light and so that man can be at the right hand of Allah .
* The journey and ascent of prophet Mohammad to the light of Allah and forgiveness . Muslims are absolved and are accepted back through prayers in Heaven .

Islam And The Great Qur'an

by Ambassador Maha Fahmy

The important messages of the Qur'an :

1 – In the Qur'an Allah is One, and there is a trinity of Holy Books ; the Torah, the Gospel and the Qur'an with The Qur'an corroborating what was before it of Books and as a guardian over them and a guidance where they are at variance.

– The Torah, story of Adam father of man .

– The Gospel story of the Messiah, Jesus son of virgin Mary .

– The Qur'an, the word of Allah Revealed by the Holy Spirit .

"And we have sent down the Book to you with truth confirming what was before it of a Book and as a guardian over it ." (5 : 48) the table .



"And We have sent down upon you the Book the Qur'an elucidating everything and a guidance, and a mercy, and good tidings to the Muslems " (16 : 89) the bee.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾



"So when you read the Quran, then seek refuge in Allah from the outcast Satan" (S16, A98)the Bee

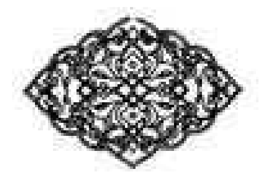
5 – Reading The Basmallah (In The Name Of Allah The Merciful the Ever-Merciful).

It is preferable to start your reading with this sentence at the beginning of the Suras except Surah At-tawbah (Repentance).

6 – Seeking the blessed times :

Reading the Qur'an is required at all times yet there are certain times in which it will be more rewarded such as at the month of Ramadan (the fasting month) when the Qur'an was revealed and the reward of reading it is doubled as well as at dawn and before sunset for these are the best two daily times of remembering Allah (thikr).

Ending an article about the Qur'an is not an easy task, for there are a huge amount of related information which could be included yet due to the space limitation I will stop at this point with the hope to continue writing in the nearest opportunity.



﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

That is indeed a Quran most honorable In a book well guarded**
Which none shall touch but those who are clean A revelation from the Lord Of the Worlds* (556/ A77-80)*

In this honorable ayah our attention is drawn to four qualities of the Qur'an : (a)- It is honorable and deserves respect and favors those who believe in it, (b)- It is well guarded, precious in itself, and well preserved as we have mentioned above, (c)- None could touch but the clean ; clean in body, mind, thought, intention, and soul; only such can contact with its full meaning, (d)- It is universal because it is a revelation from The Lord of The Worlds.

2 – Sensitivity :

It is highly important to be sensitive to the words of Allah, to interact with them; with understanding to the meanings and situations behind the words as much as possible seizing the opportunity of every ayah to pray to Allah when it is suitable, to ask for His forgiveness and mercy at the convenient places. Crying out of compassion is also preferable for it cleans the heart and the soul of the believer according to Imam Alnawawy in his **Al Tebyan** he narrated the Prophetic saying "Read The Qur'an and cry, If you can not make yourself."

3 – Correction

The Muslim has to learn the correct rules of reading the Qur'an (the Tajweed science) which has its special methods that has to be learnt from a learnt specialist. On the present time we are blessed with the availability of the modern learning aids such as the recorders, radios and audio computerized CDs which facilitate the learning process making the learnt specialist reachable to almost everyone.

4 – Seeking Allah's Protection :

It is preferable to preceed your reading of the Qur'an with asking for Allah's Protection from Satan :



"Whoever recites the Qur'an and thinks that someone is given better than him, he maximizes what Allah made trivial and minimizes what Allah made great." Narrated by Ibn Omar authorize by Altabarane. (200)

From these Hadiths we understand that studying The Qur'an, Knowing its meanings and memorizing it is the true value which could never be surpassed.

We may also understand that those who were given the talent and patience to study it are with no doubt given a precious gift from The Creator, yet it is a duty and obligation on every Muslim to read, recite, study, learn, memorize and understand The Qur'an not only as a Holly Book but also as a doctrine to our everyday life which contains the history of our ancestors and gives the divine solutions to our present problems and forsakes our future as well.

Finding it difficult to learn should neither be an obstacle nor an excuse or its negligence for Allah had made it easy for those who see it easy and hard for those who see it as such. Allah repeated the following ? ayah in Sura Al-Qammar (54) many times :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ ﴾

But We have indeed made the Qur'an easy to understand and remember : then is there any that will receive admonition ? (22,23,40).

Thus Qur'an as the basic source of our legislation is no hoarding for certain sect, group or tongue, but it is an open mine for those who are willing to fall down.

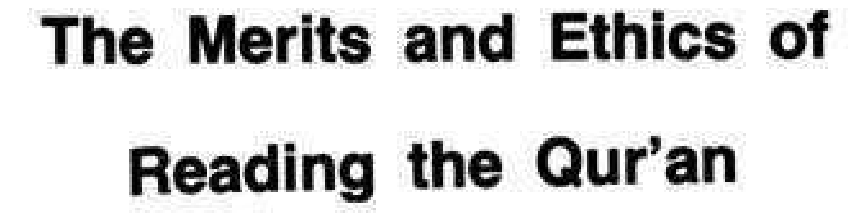
As a divine science The Qur'an should be dealt with from a very different approach than any other science; for it determines a prior purification of soul and directness of one's intention to Allah as well as avoiding sins and Allah's anger as much as possible. Though all these qualities and conditions are needed in all the aspects of our lives yet student or reader of the Qur'an should be more, careful and pay more attention to them in order to get Allah's keys to the Qur'anic secrets.

Reading the Qur'an is a worship in itself which could bring the Muslim closer to his Lorsd and nearer to his Creator, as any other sort of worship in Islam it has its own ethics. I Collected some of them from different Islamic references and books in the following list :

1 – Ablution :

It is preferable for the Muslim to have ablution before reading The Qur'an resembling the angles and seeking the higher ranks from Allah :





The Merits and Ethics of Reading the Qur'an

By : Hadeer Refat Abo-Elnagah

I believe in the Qur'an as the Holly Book we were favored with,as an honor and guidance which deserves our attention, care and study. It is a secret treasure which can give its jewels only to those who work hard enough to dig in its meanings and merits, to those who are willing to spend enough time and effort to unveil some of its wisdom and drink from its everlasting well. This article is only the first in a series about The Qur'an I intend to write within the next few months.

The Qur'an is not only important to Muslims as their Holly Book but also important to all humanity because it is the only Book now on earth that has not been changed since it was revelaed to Muhammad (Peace Be Upon Him,) We were promised with its protection and preservation by Allah.

As Allah promised in his Holly Book :



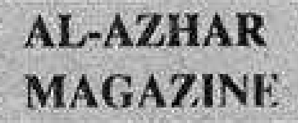
We have without doubt, sent down the Message; and we will assuredly guard it (from corruption).

(S.15 . A9) Al-HIJR-9

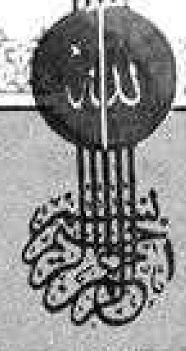
To me studying The Qur'an is not a burden –as many people think of it–or a task that has to be done but a gift and a blessing from Allah to very special people, in his **Fadall Al Qur'an** Ibn Khatheer narrated the following two Hadith according to the Prophet (Peace Be Upon Him :)

"The most honorable of my people are those who has the Qur'an" narrated by Ibn Abbas (193).




AL-AZHAR MAGAZINE

Jumada Al-Akhera 1419H.



ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part VI

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

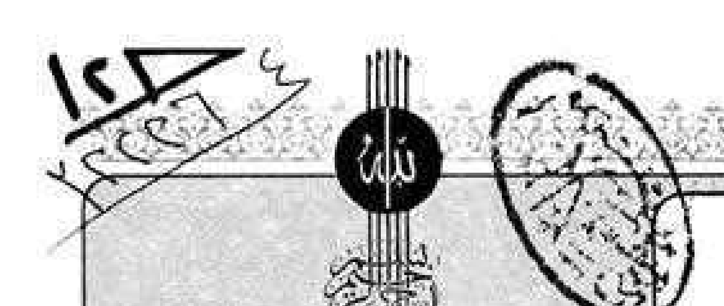
(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت: ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة



في رحاب

الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد . .

ففى مثل هذه الأيام المباركة من شهر الله الحرام ، شهر رجب الفرد ، يحتفل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى عزيزة علينا ، حبيبة إلى قلب كل مسلم ومسلمة ، ألا وهى ذكرى معجزة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ من بيت الله الحرام بمكة المكرمة إلى بيت المقدس بالشام إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى .

هذا الحدث المعجز حقاً وقع ليلاً بالروح والجسد ، لنبينا - صلوات الله وسلامه عليه - وهو فى حالة اليقظة ، هذا الأمر الخارق للعادة فعلاً ، المعجز لنا نحن البشر ، هَيِّنٌ على الله ، الذى يقول للشيء كن فيكون .

رجب ١٤١٩هـ - نوفمبر ١٩٩٨م - الجزء السابع - السنة الحادية والسبعون

ولكى تتضح حكمة هذا الأمر العظيم ، ونقف على مراميه وهدفه نسأل التاريخ ، ونستقصى أخباره ، ونتنسم أسراره ، ونتعرف آثاره ، ونقف على حقيقة الأجواء التى سبقت هذه النفحة الإلهية ، والمنحة الربانية ، فيحدثنا التاريخ أن سيد الخلق قد عاش أيام الدعوة الأولى ، وهو ينعم بأنيسين حبيبين إلى قلبه : خديجة الزوج الأولى تؤنسه فى المنزل ، وعمه أبى طالب يؤنسه خارج المنزل .

كانت خديجة زوجاً صالحة ، بادرت بتصديقه أول عهده بالنبوة ، وسارعت فوراً دون إبطاء إلى الإيمان به ، وفضلاً عن ذلك فقد وضعت كل مالها تحت تصرفه .

ثم كان أبو طالب يمنعه من أذى أعدائه ، ويدفع عنه كيد خصومه وحساده ، ويقف إلى جانبه إذا دهمه خطب ، أو حزبه أمر ، ويقول :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسَّد فى التراب دفينا

كان كل منهما عوناً له فى النائبات ، وسنداً له فى الحوادث ، فإذا ماتلبّد الجو أمامه ، وأظلمت الدنيا أمام عينيه ، وساءت معاملة قومه له عاد إلى منزله ، فالتقى بزوجه خديجة البارة ، فتقابله بابتسامة ساحرة ، فينشرح صدره ، ويرتاح قلبه ، ولايكاد يبادلها الحديث ، ويفضى إليها بأحزانه وآلامه ، حتى تبدد عنه كل ألم ، وتُسرّى عنه كل هم ، وتفتح فى وجهه كل أبواب الأمل ، فيخرج نشطاً فتياً ، يدعو إلى الله من جديد ، صابراً محتسباً ، فإذا أعرض عنه قومه ، وعقدوا العزم على الكيد له ، وقف أمامهم أبو طالب يدافع عن ابن أخيه ، ويحوطه ويحميه ، ويشد أزره ويقويه .

هكذا كان يحميه أبو طالب ، وهكذا كانت تواسيه خديجة ، وفى عام واحد قبيل حدث الإسراء ماتت خديجة ومات عقبها أبو طالب ، فقد الأنيس والنصير حتى سمى هذا العام : عام الحزن[1] ، وهنا اتسع مجال الإيذاء أمام الأعداء ، وأدرك رسول الله ـ ﷺ ـ أن بقاءه بينهم لم يعد ميسوراً ، فهاجر إلى الطائف يحمل إيماناً قوياً ، ويقيناً صادقاً ، وليس له الآن من نصير إلا الله ـ سبحانه ـ وأملاً فى أن يجد فى أهل الطائف من يصدق دعوته ، وينصره ويحميه ويؤازره ، ويعزره ويوقره ، ولكن ما إن وصل إليهم وعرض دعوته إلى الله حتى فوجىء بسخريتهم لدعوته ، وزادوا فأغروا به سفهاءهم وصبيانهم ، يرمونه بالحجارة ويسبونه ، واستمروا فى إيذائه حتى انتعل الدم .

---

(١) ابن هشام ٢/٥ وما بعدها والروض الأنف للسهيل وخاتم النبيين لأبى زهرة ٢/٥٧٥ .

وفي النهاية اضطر - ﷺ - للعود من حيث أتى من مكة ، عاد وهو مكروب كاسف البال ، حزين النفس ، مغموم الفؤاد ، مردداً في ضراعة وانكسار : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يارب العالمين » .

ودخل مكة في جوار رجل مشرك هو عدي بن حاتم الطائي ، في هذا الجو القاتم ، وهذه الظروف الكئيبة ، والأوقات الرهيبة ، واللحظات العصيبة ، وبعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، جاءته دعوة من ربه ليشعره بأنه الحبيب ، فلا يحزن ولا ييئس ، وأن أهل الأرض إن كانوا قد آذوك وطردوك فهأنا أستقبلك في السماء ، حيث تحظى بالنفحة الربانية ، وبحضرة القدس ، في جو يكتمل فيه الأنس ، وتستمتع به النفس ، وتظفر فيه بأبهى مظاهر التبجيل والتكريم ، تثبيتاً لفؤادك وشرحاً لصدرك ، ورفعاً لذكرك . وصدق من قال :

تمادى حماة الشرك في غلوائهم ... وآذوا رسول الله وهو يذكر
فضاقت عليه الأرض وهي رحيبة ... وبات حزيناً قلبه يتفطر
فنادت سماء الله لا تأس إنني ... أحنُّ إلى لقياك والشوق يغمر
إذا الأرض ضاقت بالرسول فحسبه ... مكان منيفٌ في السما متخيَّرُ

وليعلم الرسول - ﷺ - أنه إن هان على الناس ، فهو عزيز عند رب الناس ، وإذا تجهم له أهل الأرض فقد لاقاه بالحفاوة أهل السماء ، ثم ليتلقى هذا الأمر الجلل الذي به قوام الحياة ، وعليه مدار السعادة في الدنيا والآخرة ، ألا وهي الصلاة الجامعة لكل معاني الحياة الجميلة ، والمتضمنة جميع أركان الدين الإسلامي .

وكانت معجزة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات ، وأظهر البراهين البينات الواضحات ، وأقوى الحجج المحكمات ، وأصدق الأنباء ، وأعظم الآيات ، وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه - ﷺ - بعموم الكرامات ، لما اشتملت عليه من الأمور الخارقة للعادة ، التي تقصر العقول عن إدراك مثلها ، كرؤية الله والجنة وقطعه في زمن قليل ، واتساع الزمن حتى صلى بالأنبياء إلى غير ذلك[1] .

---

(١) شرح الزرقاني (٨/٦)

وكان إسراء واحداً ، فى ليلة واحدة بروحه وجسده يقظة وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين ، والفقهاء والمتكلمين ، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغى العدول عنه ، إذ ليس فى العقل ما يحيله ، حتى يعدل عنه ، وإنما عده محالاً صدر من كفار قريش ، وبعض ضعفاء المسلمين ، لتوهمهم أن قطع مثل هذه المسافة ذهاباً وإياباً فى بعض ليلة محال ، لبعدها فتقطع فى أيام كثيرة ، ومن بعض أرباب علم الهيئة الزاعمين أن الأفلاك لافرجة فيها ، ولا تقبل الخرق والالتئام وكلاهما خطأ عقلاً ونقلاً ، ألا ترى نقل عرش بلقيس فى طرفة عين مع بعد مسافته ، وقد نطقت النصوص بأن للسماء أبواباً تفتح وتغلق ، فلاعبرة بأوهام الفلاسفة[1]

وكان الإسراء ليلاً مع أن غالب الفرائض كالصوم والجهاد والصبح والظهر والعصر ، والابتغاء من فضل الله إنما هو بالنهار ، وإن وقع جهاد ليلاً فنادر لنحو غارة فيه ، وفيه الصلاة الوسطى ، والصوم الذى قال الله فيه : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به[2] » . وأجيب : بأنه إنما جعل ليلاً تمكيناً للتخصيص بمقام المحبة ، لأنه تعالى اتخذه ـ عليه السلام ـ حبيباً وخليلاً ، فجمع له بين المقامين ، والليل أخص زمان للمحبين ، وأن الخلوة بالحبيب ثابتة بالليل ، وليزداد الذين آمنوا إيماناً بالغيب ، وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم ، إذ الليل أخفى حالاً من النهار ، ولعله لو عرج به نهاراً لفات المؤمن فضيلة الإيمان بالغيب ، وقد أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب ففيه فضل عظيم [3]

ثم هناك حكمة على طريق أهل الإشارات ، وهم المحققون من الصوفية ، والإشارات الحقائق التى يأخذونها من نص القرآن وغيره ، وهى أنه قيل : لأن الله تعالى لما محا آية الليل طمس نورها بالظلام لنسكن فيه ، وجعل آية النهار مبصراً فيها بالضوء انكسر الليل ، فجبر بأن أسرى فيه بمحمد ـ ﷺ ـ وذلك أعظم الجبر ، وقيل : افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له : لاتفتخر فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود فى الليل إلى السماء . وقيل : لأنه ـ ﷺ ـ سراج ، والسراج إنما يوقد بالليل ، أى : إنما يحصل الانتفاع به بإيقاده ليلاً ، ويذم بإيقاده نهاراً [4]، وإن رحلة الإسراء والمعراج مليئة بالعبر والمواقف التى لايتسع المقام لذكرها هاهنا .

---

(١) شرح الزرقانى (٨/٦)
(٢) رواه أحمد فى مسنده مع اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٣) شرح الزرقانى (٩/٦)
(٤) المرجع السابق .

وبعد : فإن ذكرى الإسراء والمعراج لتهتف بالمسلمين ، وتصرخ فى وجوههم أن هبوا من نومكم ، واستيقظوا من سباتكم ، واستعدوا للحياة بالإيمان والصبر ، ولاتركنوا إلى الأرض ، فقد حلّق نبيكم - ﷺ - فى الآفاق ، واجتاز السبع الطباق . ولأختم حديثى بكلام جرى على لسان واحد من أهل الإشارات :

لما كان - ﷺ - ثمرة شجرة الكون ، ودرّة صَدَفة الوجود ، وسرّ معنى كلمة « كن » ولم يكن بدٌّ من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها ، ورفعها إلى حضرة قدسه ، والطواف بها على ندمان حضرته ، أرسل إليه أعز خدام الملك عليه ، فلما ورد عليه خادماً له وافاه على فراشه نائماً ، فقال له : قم يانائم فقد هيئت لك الغنائم .

قال ياجبريل : إلى أين ؟ قال : يامحمد ارفع الأين من البين ، إنما أنا رسول القِدَم ، أرسلت إليك لأكون من جملة الخدم ، يامحمد أنت مراد الإرادة ، الكل مُراد لأجلك ، وأنت مراد لأجله ، أنت صفوة كأس المحبة ... أنت دُرّة هذه الصَّدَفة ... أنت شمس المعارف ، أنت بدر اللطائف ... مامهدت الدار إلا لأجلك ، ماحُمى هذا الحمى إلا لوصلك ، مارُوّق كأس المحبة إلا لشربك ، فقال عليه الصلاة والسلام : ياجبريل ، فالكريم يدعونى إليه ، فما الذى يفعل بى ؟ قال : ليغفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر . قال ياجبريل : هذا لى فما لعيالى وأطفالى ؟ قال :

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾

(الضحى : ٤)

قال ياجبريل : الآن طاب قلبى ، هاأنا ذاهب إلى ربى . ثم قال جبريل : يامحمد إنما جىء بى إليك الليلة لأكون خادم دولتك ، وحاجب حاشيتك ، وحامل غاشيتك ، وجىء بالمركوب إليك لإظهار كرامتك ، لأن من عادة الملوك إذا استزاروا حبيباً ، أو استدعوا قريباً ، وأرادوا ظهور إكرامه واحترامه ، أرسلوا أخص خدامهم ، وأعز نوابهم ، لنقل أقدامهم ، فجئناك على رسم عادة الملوك ، وآداب السلوك ، ومن اعتقد أنه يصل إليه بالخُطا فقد وقع فى الخطا ، ومن ظن أنه محجوب بالغطا فقد حرم العطا »[1] .

اللهم اعط محمداً سؤله وبلغه مأموله ، واجمعنا على رضاه ، ونسعد بقربه فى مثواه .. اللهم آمين ..

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) شجرة الكون لابن عربى



ينظر الأزهر الشريف بقلب حزين إلى ما يجرى فى العالم من أحداث بصفة عامة وإلى مايجرى فى العالم الإسلامى بصفة خاصة ، إذ كان يود أن تتحد الكلمة ، وأن تسود الأخوة الإنسانية والإسلامية ، لأن الإسلام يقرر أن الناس جميعا من أب وأم واحدة ، كما يقرر أن المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولكن الواقع المشهود غير ذلك ، فهناك خلافات تنذر بالحرب المدمرة بين دول إسلامية ، وهناك خلافات بين هذه الدول ، توغر الصدور ، وتزيد فى الأحقاد والنفور ، لذلك كان العمل على رأب الصدع ، وجمع الشمل فرضا محتوما ، لاخلاف عليه بين العقلاء ، أصحاب العقائد السليمة ، والنفوس الكريمة .

وهذا ما أحس به السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، حين بادر بزيارة أخيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لكى يتشاورا فيما يعود على العالم الإسلامى بالخير لاسيما بعد أن بدأت الخلافات تتفاقم بين دولتين عزيزتين هما : تركيا وسوريا ، فما كان من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك إلا أن بادر بالسفر إلى سوريا ثم إلى تركيا ، لكى يبذل جميع ما أعطاه الله ـ تعالى ـ من وسائل قوية ، لإصلاح ذات البين بين الدولتين المسلمتين ، وللعمل على توحيد الصف ، وإنهاء ما يعرض من خلافات عن طريق الحوار الأخوى المصحوب

بالإخلاص المتبادل بين الطرفين لا عن طريق الإنذارات والتهديدات التى تفسد ولاتصلح ، وتخرب ولاتعمر ، وتهدم ولاتبنى .

والأزهر الشريف يؤيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى جهوده الموفقة المخلصة ، كما يشكر خادم الحرمين الشريفين على سعيه الدائم لجمع كلمة المسلمين ، كما يشيد بجميع الجهود المخلصة التى تبذل فى هذا السبيل .

على أن الأزهر الشريف يمد بصره إلى بقاع أخرى فى العالم الإسلامى ، فيسوؤه أن يرى الشقاق بين دولتين إسلاميتين هما إيران ، وأفغانستان .

والأزهر الشريف يناشد هاتين الدولتين الإسلاميتين أن تتداركا الأمور بالعقل والحكمة ، وأن تتجنبا كل ما يؤدى إلى إزهاق الأرواح ، وسفك الدماء وأن تعلما أن صفاء القلوب ، وإخلاص النيات يؤديان إلى تقريب مسافات الخلاف بل إلى إزالته - بإذن الله تعالى -

هذا : ولاينسى الأزهر الشريف مأساة إخواننا وأبنائنا المسلمين فى « كوسوفا » حين كرر الصرب اعتداءهم الظالم على أبناء إقليم « كوسوفا » الذين يطالبون بحقهم فى الحياة الحرة الكريمة .

وإن الأزهر الشريف ليطالب الدول الإسلامية كافة ، ومجلس الأمن ، كما يطالب الدول التى أحست بوضوح ، بما وقع على إقليم « كوسوفا » من عدوان أثيم قام به الصرب - يطالب الجميع ، أن يستعملوا - بسرعة وحسم - جميع وسائل القوة والردع ضد الصرب المعتدين ، حتى يظفر أبناء إقليم « كوسوفا » بالحقوق الإنسانية ، وبالحرية التى كفلتها قوانين الأمم المتحدة لكل إنسان .

وفق الله - تعالى - الجميع إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، إنه سميع مجيب .

٢١ من جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ
١٢ من أكتوبر ١٩٩٨ م

شيخ الأزهر
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية
د. محمد سيد طنطاوى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى


يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ
يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)

وجه القرآن نداء إلى المؤمنين نهاهم فيه عن مخاطبة النبى - ﷺ - بألفاظ معينة حتى لا يتخذها اليهود ذريعة للإساءة إلى النبى - ﷺ - فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠٤)

﴿ رَاعِنَا ﴾ من المراعاة، وهى المبالغة فى الرعى بمعنى حفظ الغير، وإمهاله، وتدبير أموره، وتدارك مصالحه، وكان المؤمنون يقولون لرسول الله - ﷺ - إذا حدثهم بحديث راعنا يا رسول الله، أى: راقبنا وانظرنا حتى نفهم كلامك ونحفظه، فتلقف اليهود هذه الكلمة لموافقتها كلمة سبئة عندهم، وأخذوا يلوون بها ألسنتهم، ويقولون: « رَاعِنَا »

يا أبا القاسم ، يظهرون أنهم يريدون طلب المراعاة والانتظار ، وهم يريدون فى الحقيقة الإساءة إليه - ﷺ - إذ أن هذه الكلمة عبرية كانوا يتسابون بها يقصدون جعله راعيا من رعاة الغنم أو من الرعونة التى هى الحمق والخفة ، فنهى الله - تعالى - المسلمين عن استعمال هذه الكلمة حتى لا يتخذها اليهود وسيلة إلى إيذاء النبى - ﷺ - والتنقيص من شأنه .

قال قتادة : « كانت اليهود تقول للنبى - ﷺ - راعنا سمعك ، يستهزئون بذلك وكانت - هذه الكلمة - فى اليهود قبيحة » .

وقال الإمام ابن كثير : « نهى الله - تعالى - عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين فى مقالهم وفعالهم ، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص فإذا أرادوا أن يقولوا : اسمع لنا ، يقولوا راعنا يورون بالرعونة كما قال تعالى :

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (النساء : ٤٦)

وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا ، إنما يقولون : السام عليكم والسام هو الموت ، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بقولنا وعليكم ، وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا ، والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً »[1] .

وقال الإمام ابن تيمية : « كان المسلمون يقولون راعنا يا رسول الله وأرعنا سمعك ، يعنون المراعاة ، وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود ، فلما سمعتها اليهود اغتنموها وقالوا فيما بينهم : كنا نسب محمداً سراً فأعلنوا له الآن بالشتم ، وكانوا يأتونه ويقولون : راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم ، فسمعها « سعد بن معاذ » ففطن لهم ، - وكان يعرف لغتهم - فقال لليهود : عليكم لعنة الله ، والذى نفسى بيده يا معشر اليهود لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله - ﷺ - لأضربن عنقه ، فقالوا : أولستم تقولونها ، فأنزل الله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ لكى لا يتخذ اليهود ذلك سبيلا إلى شتم الرسول - ﷺ - »[2] .

ثم أرشد الله - تعالى - المؤمنين إلى ما يقولونه بدل هذه الكلمة فقال تعالى : ﴿ وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ أى : لا تقولوا تلك الكلمة - وهى ﴿ رَاعِنَا ﴾ أيها المؤمنون لئلا يتخذها اليهود ذريعة لسب نبيكم - ﷺ - وقولوا مكانها « انظُرْنَا » أى : انتظرنا وتأن معنا حتى نفهم عنك ، من نظر بمعنى انتظر تقول نظرت الرجل انظره إذا انتظرته

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤٨ .
(٢) كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول - ﷺ - » ص ١٤١ للإمام ابن تيمية .

وارتقبه ، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (الحديد : ١٣) أي : انتظرونا نقتبس من نوركم .

فالآية الكريمة تنبيه وإرشاد إلى الأدب الجميل ، وهو أن يتجنب الإنسان في مخاطباته الألفاظ التي توهم جفاء أو تنقيصاً في مقام يقتضي إظهار مودة أو تعظيم .

ثم بين - سبحانه - مصير اليهود المؤلم جزاء تمديهم على رسول الله - ﷺ - فقال : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، أي : لهؤلاء اليهود الذين اتخذوا كلمة ﴿ رَاعِنَا ﴾ وسيلة إلى سب الرسول - ﷺ - عذاب أليم جزاء كفرهم وتطاولهم وسفاهتهم .

هذا ، وقد وردت أحاديث صحيحة صرحت بأن اليهود كانوا يحيون رسول الله - ﷺ - بكلام محرف لا يفطن له أكثر الناس يقصدون به الدعاء عليه بالموت ، فكان الرسول - ﷺ - يرد عليهم بما يكبتهم ويخزيهم ، ومن هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك قال :

١ - مر يهودي برسول الله - ﷺ - فقال السام عليك ، فقال رسول الله - ﷺ - (وعليك) ، ثم قال رسول الله - ﷺ - لأصحابه - أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال يقول : (السام عليك) قالوا يارسول الله ألا نقتله . قال : (لا ، إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) [١] .

٢ - وأخرج الشيخان عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

دخل رهط من اليهود على رسول الله - ﷺ - فقالوا :

السام عليك . قالت عائشة : ففهمتها ، فقلت : عليكم السام واللعنة ، قالت : فقال رسول الله - ﷺ - : « مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله » فقلت : يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : « ولقد قلت وعليكم » [٢] .

٣ - وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : « سلم ناس من اليهود على رسول الله - ﷺ - فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم فقال : « وعليكم » فقالت عائشة وغضبت : ألم تسمع ما قالوا ؟ . قال : بلى قد سمعت فرددت عليهم ، وإنما نجاب ولا يجابون علينا » [٣] .

---

(١) صحيح البخاري ، باب ، إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ، من كتاب ، إستتابة المرتدين ، جـ ٩ ص ٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في باب ، كيف يرد على أهل الذمة السلام ، جـ ٨ ص ٧٠ وأخرجه مسلم في كتاب السلام ، جـ ٤ ص ١٨٠٦ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

(٣) صحيح مسلم : باب ، النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم من ، كتاب السلام ، جـ ٤ ص ١٢٠٧ .

وإذن فالآية الكريمة وهى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ إلخ ، وهذه الأحاديث الشريفة تثبت أن اليهود كانوا يستعملون من بين مسالكهم الخبيثة لكيد الدعوة الإسلامية القول الملتوى القبيح ، والخطاب المحرف السيىء ، ولكن الله - تعالى - أحبط خطتهم ، ونهى المؤمنين عن استعمال الألفاظ التى كان يتخذها اليهود ذريعة لبلوغ مآربهم ، وكان الرسول - ﷺ - يرد عليهم بما يغيظهم ويخزيهم ، وبذلك ذهبت مكايد اليهود أدراج الرياح وأيد الله - تعالى - رسوله والمؤمنين بقوته ونصره .

ثم نبه القرآن المؤمنين إلى ما يضمره لهم المشركون وأهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود - من شرور وأحقاد فقال - تعالى - :

﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٠٥)

﴿ مَّا يَوَدُّ ﴾ أى : ما يحب ، إذ الود محبة الشىء مع تمنيه ، يقال : ود فلان كذا يوده وداً ومودة بمعنى أحبه وتمناه .

قال صاحب الكشاف : « ومن الأولى فى الآية للبيان ، لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان : أهل الكتاب والمشركون ، والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية »[1] .

وقوله - تعالى - : ﴿ مَّا يَوَدُّ ﴾ .. إلخ الآية بيان لما بيته الكافرون - خصوصاً اليهود - للمسلمين من حقد وكراهية وتحذير لهم من الاطمئنان إليهم ، والثقة بهم .

وفى التعبير بقوله تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ دون ما يود أهل الكتاب تنبيه إلى أنهم قد كفروا بكتبهم ، لأنهم لو كانوا مؤمنين بها لصدقوا محمداً - ﷺ - الذى أمرتهم كتبهم بتصديقه واتباعه .

وعطف عليهم المشركين ليدل على أن عبدة الأصنام - أيضاً - يضاهون كفرة أهل الكتاب ، فى كراهة نزول أى خير على المؤمنين ، وأن الجميع يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله عن طريق نبيه - ﷺ - من دين قويم ، وقرآن كريم ، وهداية عظمى ، وأخوة شاملة ، وأمن بعد خوف ، وقوة بعد ضعف .

الخير : النعمة والفضل ، والمراد به فى الآية الكريمة النبوة وما تبعها من الوحى الصادق ، والقرآن العظيم المشتمل على الحكمة الرائعة والحجة البالغة والبلاغة الباهرة والتوجيه النافع .. وأهل الكتاب قد كرهوا ذلك للمؤمنين لعنادهم وحسدهم ، وكراهتهم أن تكون النبوة فى رجل عربى ليس منهم .

---

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٧٤ .

والمشركون كرهوا ذلك ـ أيضاً ـ لأن فى انتشار الإسلام ، وفى تنزيل الوحى عن النبى ـ ﷺ ـ ما يخيب آمالهم فى إبطال الدعوة الإسلامية ، وإضعاف شوكتها والنصر على أتباعها .

وقوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

رد عليهم بما يكشف عن جهلهم وجهل جميع الحاسدين ، لأن الحاسد لغباوته يسخط على قدر الله ، ويعترض عليه لإنعامه ـ سبحانه ـ على المحسود والله ـ تعالى ـ هو صاحب التصرف المطلق فى الإعطاء والمنع ، فكان من الواجب على هؤلاء الذين لا يودون أن ينزل أى خير على المؤمنين أن يريحوا أنفسهم من هذا العناء ، وأن يتحولوا عن ذلك الغباء ، لأن الله ـ تعالى ـ يهب خيره لمن يشاء .

والاختصاص بالشىء : الانفراد به ، تقول : اختص فلان بكذا أى انفرد به ، ويستعمل متعديا إلى المفعول به ، فتقول : أخصصت فلاناً بكذا أى أفردته به وجعلته مقصوراً عليه وعلى هذا الوجه ورد الاختصاص فى الآية الكريمة .

وقيد ـ سبحانه ـ اختصاص رحمته بمن يشاء ليعلم الناس جميعاً ، أن إفراد بعض عباده بالرحمة منوط بمشيئته وحدها ، وليس لأحد كائناً من كان أى تأثير فى ذلك .

ومفعول المشيئة محذوف كما هو الشأن فيه إذا تقدم عليه كلام أو تأخر عنه ، أى : يختص برحمته من يشاء اختصاصه بها ، وهى تتناول النبوة . والقرآن ، والنصر ، وكل ذلك مما لا يود الكافرون إنزاله على المؤمنين .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ تذييل لما سبق ، أى كل خير يناله العباد فى دينهم أو دنياهم إنما هو من عنده ـ تعالى ـ يتفضل به عليهم ، وفى ذلك إشعار للحاسدين بأن يقلعوا عن حسدهم ، وتعريض باليهود وغيرهم ممن حسدوا محمداً ـ ﷺ ـ على أن آتاه الله النبوة ، فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لهم : إن أصطفى للنبوة من أشاء من عبادى وهى لا تدرك بالأمانى ، ولكنى أهبها لمن هو أهل لها .

وبذلك تكون الآية الكريمة قد حذرت المؤمنين مما يبيته لهم الكافرون من حقد وبغضاء وبشرتهم بأن ما يبيتونه لن يضرهم ما داموا معتصمين بكتاب ربهم ، وسنة نبيهم .

يتبـع



قبس من أنوار النبوة

الحياة الدنيا في الإسلام

لفضيلة الشيخ
على حامد عبد الرحيم

« عن عُمرو بن عوف الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث أبا عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ إلى البحرين يأتى بجزيتها ، فقدم من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين رآهم ثم قال : أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين ، قال : أجل يارسول الله . قال : أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .
رواه البخارى ومسلم .



البيان :

يسمو الدين الإسلامى على غيره من الأديان بمنهج قوامه الاعتدال والوسطية والتكامل والتوازن . وفى نظرته إلى الحياة الدنيا التى يقضى فيها الإنسان عمره فى صورتين قد تبدوان متناقضتين متنافرتين لكل من لا يجيل النظر متأملاً فيها ، ولا يستخلص العبرة منها :

صورة تبرز ضآلة هذه الحياة الإنسانية وحقارتها ، وتهون من شأنها وصورة أخرى تبرز تؤكد قيمة الحياة والرغبة فى التعلق بها والاستزادة منها ، والتزود من متاعها .

وإن من ينظر فى آيات من القرآن الكريم يجدها تصور الدنيا فى صورة منفرة ، إذ يقول عز من قائل :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد : ٢٠) .

وكما قال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(يونس : ٢٤) .

ونجد فى الحديث الشريف نصوصا تؤكد حقارة الحياة الدنيا :

مثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » أخرجه الترمذى .

وعن سهل بن سعد أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ فيما رواه مسلم وغيره ـ : « والله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ؟ أخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد .

إن المتأمل فى الآيات القرآنية المتقدمة والأحاديث النبوية المذكورة يجدها منفرة من الحياة الدنيا مبرزة لحقارتها إذ هى حياة صائرة إلى زوال شبيهة بهيئة الزرع فى نضارته ثم فى مصيره إلى الحصد ، وبالماء القليل الذى يعلق بالإصبع عندما يوضع فى البحر ، إنها حياة سريعة الزوال غرارة بمن ركن إليها ، فتانة بزخرفها ورونقها .

فإذا جئنا إلى الصورة الأخرى للحياة الدنيا فنجد نصوصا من كتاب الله ومن حديث رسول الله ترفع من شأن الحياة الدنيا وتعلى من قدرها من مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل : ٩٧) .

﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

(القصص : ٧٧) .

وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « خيركم

من طال عمره وحسن عمله » الترمذى . وقال ـ صلى الله عليه وسلم : ـ فيما أخرجه ابن ماجه ـ ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة » .

كل هذه النصوص تعلى من شأن الحياة وتحيطها بسياج من الرعاية والإجلال كما ترفع من شأن العمل الصالح وتبشر صاحبه بحياة طيبة فى الدنيا والأجر الأحسن فى الآخرة .

إن الإسلام ينظر إلى الأمور بمنظار الاعتدال والتوسط والتوازن ينظر إلى الحياة الدنيا ويبرزها فى صورتين متقابلتين فى الظاهر ، متكاملتين فى الحقيقة .

فلو أنه وقف عند حد إبراز تفاهة هذه الدنيا فى نظر الإنسان لهانت الدنيا فى نظره وأهمل شئون تعمير الكون ، وتخلى عن تلك الأمانة التى أنيطت بعهدته . بل قد يحمل نفسه على التخلص من حياة حقيرة ودنيا خسيسة بأى سبب من الأسباب .

إن الإسلام لم يقف عند حد إبراز هذا الوجه الحقير للدنيا . بل نبهنا إلى جانب آخر تأخذ فيه الحياة شأنا عظيما فإذا هى مقدسة لا يجوز الاعتداء عليها .

ومن هنا يأتى معنى التكامل والاعتدال ؛ فلو أن الإنسان لم يدرك ضآلة الحياة الدنيا وحقارتها لاغتر بها وانغمس فى ملذاتها ، وأهمل شئونها بالتخلى ؛ بل قد يسعى إلى خراب الأرض بدلا من إعمارها ، كما أنه لو لم يدرك قداسة هذه الحياة وحرمتها لما فهم من معانى تفاهتها وقلة شأنها الإعراض عنها ، والفرار إلى الكهوف ومحاولة التخلص منها ، وهذه سلبية لا يقرها الإسلام .

والكون بما فيه إنما هو مسخر لفائدة الإنسان ، وتدبير معاشه وتحقيق شروط رفاهيته ، وإسعاده فى الدار الآخرة لقد قرر الإسلام فيما قرر من مبادىء السعادة الدنيوية الموصلة للسعادة الأخروية ، وجوب السعى والجد والعمل ، فعليه أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، فالشخص العاطل كالسوس ينخر فى بناء المجتمع .

قال رجل ليحيى بن معاذ الرازى ـ رضى الله عنه ـ إنك لتحب الدنيا فقال يحيى للرجل : أخبرنى عن الآخرة أبالطاعة تنال أم بالمعصية قال الرجل : لا بل بالطاعة . قال الرازى : وأخبرنى عن الطاعة أبالحياة تنال أم بالممات ؟ قال الرجل : لا بل بالحياة . قال الرازى : فأخبرنى عن الحياة أبالقوت تنال أم بغير القوت ؟ قال : بل بالقوت . قال الرازى : فأخبرنى عن القوت أمن الدنيا هو أم من الآخرة . قال : بل من الدنيا . قال الرازى : فكيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت أكتسب به حياة أدرك بها طاعة أنال بها الآخرة . فقال الرجل : أشهد أن ذلك من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :«إن من البيان لسحرا » .



للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

إذا قيل لك : إن الزمان قد طُوِيَ طياً ، وإن المسافات الشاسعة قد صارت أقرب إليك من حبل الوريد ، وإن هذا الكون العظيم كله قد أصبح مجالا فضائياً لرحلة من أعجب رحلات التاريخ لم تستغرق إلا سويعات قليلات ، وإن بلايين الرؤى والمشاهد قد وعتها ذاكرة إنسان هذه الرحلة الغريبة ؟ فهل تصدق ذلك .

إن إنسان الفضاء المعاصر فى رحلاته المتعاقبة لم يصنع المستحيل ، بل عاش مع الممكن ومع الإمكان ، فالزمن هو الزمن ، والمسافات هى المسافات ؛ وهذا الإنسان إنما يجوب الفضاء بقوى عديدة تصنع له عن طريق العلم وبسببه ما تصنع ، وتدبر له الأمر ، وتضع له المركبة ليركبها ، وتهيىء له الصاروخ ليقذف بمركبته إلى جوف الفضاء ، فى حساب دقيق للثوانى والساعات والأيام .

فأين هذا كله من الرحلة المعجزة ، رحلة الرحلات ، رحلة إلى الأرض وإلى السماء ، السماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة

والسابعة ، وإلى ما وراء السابعة ، حيث العرش والكرسى وسدرة المنتهى ، وعالم الإرادة الإلهية الخارقة ؟

الزمن لا زمن

المسافات التي لا تقدر بعدد كلا مسافات والإنسان يتنقل عبر هذه المسافات ، وعبر اللازمن ، وكأنه يتنقل فى حديقة بيته أو فى فناء مدرسته . .

يالله !! يالقدرة السماء !! يالمعجزة الدنيا والأخرة !! يالعظمة الرحلة والرجال ومدبر الرحلة وصانعها الإله الأعظم لاَ تَسَلْ كيف كان ذلك ، فليس فى إمكان العقل أن يفهم المعجزة ، لأنها معجزة ، ولا فى إمكانه أن يصنعها لأن صانع المعجزة هو خالق الأرض والسماء ، وهو إله هذا الكون العظيم ، وهو مدبر الأمر كله ، وهو الذى أراد هذه المعجزة ، وأراد لها أن يكون الذى يشرف بفضلها وكرامتها وجلالها هو خاتم المرسلين ، وسيد الأولين والأخرين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى المكى ، ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الأولين ، ـ وصلى الله عليه وسلم ـ فى الأخرين ، ـ وصلى الله عليه وسلم ـ إلى يوم الدين .

ـ ٢ ـ

ولقد حاولت قريش أن تفهم حديث هذه الحادثة أو قل : هذه القصة الواقعية الخارقة للعادة ، أو قل : المعجزة ، فلم تفهم شيئاً .

فحين تمت هذه المعجزة ، أيقظوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبيل الفجر ، وكان فى بيت أم هانىء (هند بنت عمه أبى طالب) فقام وصلى صلاة الفجر ، وحمد الله ـ عز وجل ـ ثم قال : ياأم هانىء ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت صلاة الغداة ـ الفجر ـ معكم الآن كما ترين ، ولم يذكر لها ـ ﷺ ـ أمر المعراج لأنه خصوصية له أكبر من خصوصية الرحلة إلى بيت المقدس ، ومعجزة له أكبر من قدرة عقولهم على تصورها وعلى فهمها . . ثم قام ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليخرج فى مهام أموره ؛ تقول أم هانىء : فأخذت بطرف ردائه ، فقلت له : يانبى الله ، لا تحدث بهذا الحديث الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ؛ قال : والله لأحدثنهم ؛ فلما خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الناس أخبرهم فعجبوا ، وقالوا له : وما آية ـ أى دليل وبرهان ـ ذلك يامحمد فإنا لم نسمع بمثل هذا قط ـ أى بمثل الرحلة من مكة إلى بيت المقدس ، عبر اللا زمن ، فأخبرهم رسول الله ـ ﷺ ـ بمشاهد صادقات حدثت له فى هذه الرحلة ورآها رأى العين فقال أكثر الناس فى مكة : هذا والله الأمر البين ، (أى العجيب والغريب والذى لا يصدقه عقل ، والذى يدل على كذب قائله) .

وارتد كثير ممن كانوا أسلموا ، وذهب الناس إلى أبى بكر صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ يقولون له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ؟ يزعم أنه قد صلى الليلة فى بيت المقدس ورجع إلى مكة ؛ فقال لهم أبو بكر : والله لئن كان قد قال ذلك لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ فو الله إنه ليخبرنى إن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى

ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل أبو بكر حتى انتهى إلى رسول الله -ﷺ- فقال : يانبى الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يانبى الله فصفه لى فإنى قد جئته ، فجعل رسول الله -ﷺ- يصفه لأبى بكر ، وأبو بكر يقول له : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى رسول الله ، فقال لأبى بكر : أنت يا أبا بكر الصديق ، فسمى من يومئذ بالصديق .

لقد عجبوا لرحلة الإسراء - السير ليلا من مكة إلى بيت المقدس ، فما بالهم لو حدثهم الرسول العظيم بأمر المعراج - أى الرحلة من الأرض إلى السماء السابعة وما وراءها - لا شك أنهم كانوا سيصابون بالجنون لحديث المعراج ومعجزته التى هى فوق فهم كل عقل ، وكل إدراك إنسان .

- ٣ -

ها نحن أولاء فى العام الخمسين ، لمولد سيد المرسلين العام ٦٢٠ للميلاد .

الأحداث تتوالى فى مكة وما حولها الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يضرب الناس أروع المثل لصموده فى سبيل تبليغ رسالة الله إلى الناس كافة .

وقريش ماضية فى عنادها وكبريائها وصدها عن سبيل الله ، وتعذيبها للمسلمين الأولين ، ممن آمنوا بمحمد ورسالته ، ودخلوا ، فى دين الله ، والقبائل حول مكة تتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، تنتظر ما سوف تتمخض عنه الأيام من أحداث وأنباء .

وكانت هذه المعجزة ، معجزة الإسراء والمعراج دليلا على مكانة رسول الله عند ربه ، وتثبيتا لفؤاده فى نضاله العظيم فى سبيل الدعوة والرسالة ، وبشرى له بالنصر العظيم يأتيه من السماء ، كما كانت هدى ورحمة وطمأنينة لمن آمن بالله وصدق دعوته ، وكان من أمر الله على يقين .

ليلة خالدة ، بما حدث فيها من معجزة الإسراء والمعراج ، الإسراء برسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس ، والمعراج برسول الله -ﷺ- من الأرض إلى السماء ، يقول الله - عز وجل - فى كتابه الحكيم :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء - ١) .

ويقول - عز وجل - فى سورة النجم :

﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) ﴾

(النجم - ٧ - ١٨) .

ويحدث عبد الله بن مسعود والحسن بن أبى الحسن وابن عباس وغيرهم حديث الإسراء ، ويروى ابن إسحاق حديث المعراج فى تفصيل

كبير ، وتصافح ملائكة الله ورسله الكرام الرسول العظيم فى إسرائه وفى معراجه .

- آدم عليه السلام فى السماء الأولى
- وعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فى السماء الثانية .
- ويوسف عليه السلام فى السماء الثالثة .
- وإدريس عليه السلام فى السماء الرابعة .
- وهارون عليه السلام فى السماء الخامسة .
- وموسى عليه السلام فى السماء السادسة .
- وإبراهيم عليه السلام فى السماء السابعة .

ثم سار رسول الله - ﷺ - بعد السابعة إلى سدرة المنتهى ، إلى حيث العرش والكرسى العظيم .

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

(من الآية ٢٥٥ البقرة)

وفرض الله - عز وجل - على رسوله الكريم وعلى أمته ، الأمة الوسط ، الصلاة ، خمس مرات فى اليوم والليلة ، فكان فرض الصلاة تتويجا لهذه الرحلة المباركة ، فى هذه الليلة المباركة .

إنها ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، ليلة الذكرى والمعجزة الخالدة ، ليلة الإسراء والمعراج .

- ٤ -

هل نصدق أن بيت الله ، بيت المقدس الطاهر الكريم ، يمكن أن تدنسه افتراءات الصهيونيين ورؤساء الصهيونيين ، وأكاذيبهم الملعونة ، أو أن تنال منه شيئا ؟ إنه بيت الله ، إنه يقف اليوم شامخا صامدا فى رعاية الله وحمايته ، ولسوف ينال الذين يحاولون تدنيسه أو كما يقولون : تدميره عذاب الله وانتقامه الشديد ، والله - عز وجل - يقول فى أمثالهم :

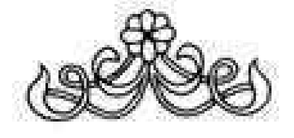
﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

(الفجر - ١٣ ، ١٤)

إن بيت المقدس هو الصخرة الصلبة التى ستدمر عليها أحلام الصهيونية والصهيونيين ، ومن والاهم بإذن الله وقدرته ومشيئته ، وقد وعد الله - عز وجل - عباده المؤمنين بالنصر ، فقال عزت قدرته :

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر - ٥١) .





للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبع طريقه إلى يوم الدين . .

وبعد . .

فإن واجب المسلمين نحو القدس واجب قديم ، استند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ورحلة رسول الله ـ ﷺ ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وإرث الرسالة الخاتمة التى جاء بها سيدنا محمد ـ ﷺ ـ للرسالات السابقة التى جاء بها الأنبياء من قبل .

كل ذلك ألقى تبعات على عاتق المسلمين نحو القدس ، وهكذا أبرزت مسئولية المسلمين نحو القدس منذ بدء الرسالة حينما وقعت رحلة الإسراء والمعراج من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى ، وتسجيل القرآن الكريم لهذه الرحلة المباركة تسجيلاً لربط مشاعر المسلمين بهذه الأرض التى بارك الله من حولها ، وجعلهم يستشعرون منذ اللحظة الأولى واجبهم نحو بيت المقدس حينما نزل قول الله تعالى :

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾

(الإسراء ـ ١) .

ولئن كانت الآية الكريمة نزلت لتسجيل حدث هام ذى دلالة فى حياة الدعوة الإسلامية ، ويعتبر فى ذات الوقت معلماً من معالم الدعوة فى ذلك الوقت الذى كانت لاتزال ناشئة فيه ، فى سنواتها الأولى ، وكانت تواجه بإصرار شديد من الإنكار والجحود وتحد سافر من أهل مكة لصاحب الدعوة ومن تبعه من القلة المؤمنة فى ذلك الوقت المبكر ، فإنها كانت - أيضاً - هادياً وموجها للأجيال المسلمة التى جاءت فيما بعد لتنبيههم إلى التزامهم الدينى بحماية هذه البقعة والتضحية فى سبيلها ، والسعى الدءوب فى الحفاظ عليها ورد العدوان عنها ، وتخليصها ممن استباحوا قدسيتها وعاثوا فساداً فى جوانبها .

ولعل نص القرآن الكريم على أن هذه الرحلة المباركة بدأت من المسجد الحرام ، وانتهت إلى المسجد الأقصى ، لعل ذلك النص يشيرَ إلى أن واجب المسلمين نحو بيت المقدس بالقدس على فى الأهمية واجبهم نحو المسجد الحرام بمكة المكرمة .

وقد جاءت السنة المطهرة تؤكد هذا المعنى وتثبته فى قلوب المسلمين ، وفى عقولهم حتى يظل حياً متجدداً على مدى التاريخ ، فإن غفلوا أو وهنوا فى فترة من الفترات فلايلبثون أن يعودوا إلى مايجب عليهم القيام به ومايدعوهم إليه دينهم من حماية المقدسات والتضحية فى سبيلها والسهر على رعايتها حتى تظل معلماً من معالم الحق والعدل والسلام .

وفى تأكيد هذا المعنى جعل الله بيت المقدس القبلة الأولى للمسلمين يتوجهون إليه فى صلاتهم منذ بدء الرسالة حتى بعد الهجرة بأكثر من ستة عشر شهراً ؛ ليكون ذلك - أيضاً - باعثاً يؤكد الباعث الأول ويقويه ، ويمده بالحيوية والتجدد كلما قرأ المسلمون كتاب ربهم ووقفوا على سنة نبيهم ودرسوا سيرته ، فهم يعلمون من السيرة ومن السنة أن النبي - ﷺ - كان يتجه بصلاته إلى بيت المقدس وهو بمكة ، وكان من السهل عليه أن يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس وهو بمكة ، وهكذا كان يفعل لأن مكة فى الجنوب والقدس فى الشمال ، فلما هاجر إلى المدينة المنورة بعد ثلاثة عشر عاماً من الرسالة والمدينة تقع فى وسط الطريق بين مكة والقدس ، فهى إلى الشمال من مكة وإلى الجنوب من القدس ، فلم يكن من الممكن أن يتجه إلى الاثنين معاً ، فكانت صلاته إلى بيت المقدس طوال أكثر من ستة عشر شهراً لأنه لم يؤمر بالاتجاه إلى مكة وإن كان يتطلع إلى ذلك ، ولكنه لايفعل ذلك من تلقاء نفسه ولابد من أمر إلهى يتنزل عليه حتى كان ذلك فى منتصف شعبان من السنة الثانية من الهجرة ، حينما نزل قول الله تعالى من سورة البقرة :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ



بغافل عما يعملون ۝ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية
ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة
بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن
الظالمين ۝ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ۝ الحق من ربك فلا
تكونن من الممترين ۝ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات
أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير ۝ ومن
حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك
وما الله بغافل عما تعملون ۝ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون
للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني
ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾

(البقرة : ١٤٢ - ١٥٠) .

ولسنا بصدد ماتشير إليه الآيات الكريمات من مواقف السفهاء من اليهود والمشركين ومحاولتهم التشنيع والتشويش على النبى ورسالته وعلى المسلمين وعقيدتهم ، فإن ذلك أمر تكفل به المفسرون إلى جانب القضايا الأخرى التى تناولتها الآيات ولكن الذى يعنينا فى بحثنا هنا من استشهادنا بالآيات أن المسجد الأقصى بالقدس كان قبلة المسلمين الأولى بضع عشرة سنة ؛ ولذلك كان المسجد الأقصى ثالث المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال فى الإسلام بمقتضى حديث رسول الله - ﷺ - الذى يقول : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى[1] .

ومعنى شد الرحال إليه أن التعبد فيه متميز عن التعبد فى غيره من المساجد العادية ، فالصلاة فيه كما جاء فى السنة النبوية تعدل خمسمائة صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد النبوى ، من كل هذه النصوص اكتسب المسجد الأقصى حرمة وقدسية فى نفوس المسلمين تفرض عليهم حمايته وبذل النفس والنفيس فى سبيل تحريره ممن دنسوا حرمه وتحكموا فى مصيره .

وقد استمرت هذه القدسية للمسجد الأقصى حية فى قلوب المسلمين على مدى التاريخ منذ الفتح الإسلامى للقدس فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى صلاح الدين ومن جاء بعده من حكام المسلمين .

وفى الظروف التى تم فيها الفتح والشروط التى اتفق عليها مجال للوقوف والنظر والاستنتاج ، فقد ذكرت كتب التاريخ أن عمرو بن العاص قد عرف مما وصل إليه من أخبار الروم والنصارى المقيمين بالقدس أن عندهم معرفة توارثوها عن سابقيهم بصفة الرجل الذى تفتح القدس على يديه وأن هذه الأوصاف التى يتحدثون عنها لاتنطبق على عمرو وإنما تنطبق على عمر بن الخطاب فبعث إليه ، وتذهب هذه الروايات أن عمراً لما طال به المقام بعث إلى القائد الرومانى بكتاب مع رجل يتكلم الرومية وأوصاه أن يتنبه لكل مايقوله أرطبون القائد الرومانى وينقله إليه بعد أن يعود وكان فى كتاب عمرو الذى بعث به رداً على كتاب أرطبون قوله : « جاءنى كتابك وأنت نظيري ومثلى فى قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتى ، وقد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد ،

---

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٢٠٦ .

وأستعدى عليك فلاناً وفلاناً وفلاناً - أعوان ووزراء . . . لأرطبون - فأقرئهم كتابي وليتظروا فيما بيني وبينك » .

فلما قرأ أرطبون الكتاب ضحك وضحك من معه وقال كلاماً فهموا منه أنه يعلم أن الفتح لن يتم على يد عمرو ، فعجبوا من ذلك وأقبلوا عليه يسألونه قائلين : من أين علمت أنه ليس بصاحبها ؟

فأجاب : صاحبها رجل اسمه عمر ثلاثة أحرف ، فعاد الرسول إلى عمرو وقص عليه مادار في مجلس أرطبون فعرف أن الفتح لن يتم إلا على يد عمر - رضى الله عنه - فكتب إلى أمير المؤمنين يقول : إنى أعالج حرباً كئوداً صدوماً وبلاداً ادخرت لك ، فرأيك .

ولما تلقى عمر كتاب عمرو أدرك أن عمراً لم يقل ماقال من عند نفسه ، ولابد أن هناك مايدعوه إلى قول هذه المقالة ، فخرج إلى بيت المقدس وكانوا يسمونها إيليا ، وانتهى الأمر بعقد صلح اشترط فيه النصارى أن لايسكن معهم إيليا (القدس) أحد من اليهود .

ولنا وقفة مع هذا الشرط بعد أن نأتى بنص عقد الصلح لنقف على مافيه من تسامح واحترام لعقائد المخالفين لاتجدها إلا فى الإسلام ، تلك السنة التى تميز بها المسلمون على مر العصور ، وفيما يلى نص ميثاق الصلح الذى يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماأعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لاتسكن كنائسهم ولاتُهدم ولاينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم ، ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ماعلى أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل « فلان » فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ماعلى أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم .

وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة[2] .

(٢) راجع تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٦٠٩ .



وفى قراءة متأنية لهذا العهد نجد بوضوح أن عمر - رضى الله عنه - قد أعطى للنصارى ما أعطاه الإسلام من حرية العقيدة والعبادة، واحترام أماكنها والمحافظة عليها وحرمة الأنفس والأموال، وهذا أمر يتبعه الإسلام مع كل المخالفين، ويضاف هنا شرط خاص بأهل القدس هو أنهم اشترطوا ألا يسكن معهم فى مدينتهم أحد من اليهود، هذا الشرط وضعه النصارى والتزم به عمر، وكان مقتضى هذا الشرط أن يلتزم به المسلمون على مدى التاريخ وقد ظل حكام المسلمين محافظين على هذا الشرط فلما تهاونوا فيه كانت النتيجة مانرى الآن ومايعانيه أهل القدس وسكان فلسطين بأسرها مما تعلم الدنيا جميعها مايجرى هناك من بطش واضطهاد وتعذيب وقتل ومصادرة ونفى .

وإعادة القدس إلى سلطان المسلمين مسئولية كل مسلم، وقد رأوا ماحل بهم وبديارهم حينما توزعتهم الأهواء وتحكمت فيها الرغبات الشخصية، ويوم أن تجتمع كلمتهم ويتوحد صفهم فستكون الطريق ممهدة إلى التحرير واستنقاذ القدس من الهوان والأسر اللذين تعانى منها ويعانى منها كذلك أهلوها وسكانها .

وقد استشعر المسلمون على مدى التاريخ مسئوليتهم نحو بيت المقدس، ولم يهدأ لهم بال كلما تعرض لعدوان حتى يخلصوه مما تعرض له، وقد كانت القدس وما حولها من أرض فلسطين مطمعاً للفرنج وساقوا لها الجيوش باسم الصليب، واستمر الصراع طوال القرن السادس الهجرى وفى فترات الصراع كانت جيوش الفرنجة قد تمكنت من الاستيلاء على المدينة المقدسة، وأعملوا فى أهلها القتل، حتى كانت هناك مذبحة رهيبة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، إلا على أيدى أمثالهم من المتعصبين الذين أقاموا محاكم التفتيش فى بلاد الأندلس، والفرنسيين فى الجزائر التى ضحت بمليون شهيد، ولو استعرضنا ما أقدم عليه من جاء بعدهم فى بلاد الإسلام لاقشعرت الأبدان من هول ماوقع وامتلأت القلوب بالحقد والضغينة من بشاعة ماحدث فى ليبيا على أيدى الإيطاليين، وفى المغرب على أيدى الفرنسيين، وفى الهند على أيدى الإنجليز وأخيراً تلك الملحمة التى تتتابع حلقتها على أرض فلسطين منذ خمسين عاماً يسجل أبناؤها بطولات وتضحيات لا تتوقف أمام الصلف الصهيونى وغطرسته واستعماله كل وسائل الإبادة والإهلاك ضد هؤلاء الصامدين من أبناء الأرض المقدسة .

وقد أقدم الصهاينة على أبشع ماعرفت البشرية من الوحشية، ليخمدوا تلك الجذوة التى لاتهدأ من هنا إلا لتنطلق من هناك، وستستمر حتى يحقق الله لها النصر يوم أن ينبذ المسلمون خلافاتهم وتتوحد كلمتهم ولهم فى التاريخ عبرة ودرس وعظة، فإن الصليبيين قد امتد الصراع معهم على أرض فلسطين على مدى قرنين من الزمان، تمكنوا من إقامة ممالك لهم ودولاً هناك متتهزين تفرق المسلمين وتنازع بعضهم مع بعض حتى هيأ الله لأمة الإسلام صلاح الدين، فوحد الجهود وجمع الكلمة واستعان بالله وتمثل عظمة الإسلام فى سلوكه وأخلاقه ومبادئه حتى حقق الله له النصر، وفتح على يديه القدس واستنقذها من أيدى الصليبيين عام ٥٨٣ هجرية، وارتفع الأذان

مدوياً بعد أن تعطل ووقف القاضي محيى الدين بن الزكي خطيباً يوم الجمعة التى أعقبت تحرير القدس فقال :

« فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم تابع يقول : الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومزيد النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذى قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على العباد من طله وهطله ، الذى أظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره ، ومطهر بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر إجهاره .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ، ورافض الإفك ، الذى أسرى به من المسجد، الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، مازاغ البصر وماطغى - ﷺ - وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، مزلزل الشرك ومكسر الأصنام ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان . أيها الناس أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها فى أيدى المشركين قريباً من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستعمر فيها رسمه ورفع قواعده بالتوحيد فإنه بُنِى عليه ، وبالتقوى فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم محمد - ﷺ - وقبلتكم التى كنتم تصلون إليها فى ابتداء الإسلام وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ومقر الرسل ومهبط الوحى ومنزل تنزل الأمر والنهى وهو فى أرض المحشر وصعيد المنشر وهو فى الأرض المقدسة التى ذكرها الله فى كتابه المبين وهو المسجد الذى صلى فيه رسول الله - ﷺ - بالملائكة المقربين وهو البلد الذى بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذى شرفه الله برسالته وكرمه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى :

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾

(النساء - ١٧٢) .

وقال :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾

(المائدة - ٧٢) .

وهو أولى القبلتين وثانى المسجدين وثالث الحرمين لاتشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لايجاريكم فيها مجار ولايباريكم فى شرفها مبار ، فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوح العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية والوقعات اليرموكية والمنازلات الخيبرية والهجمات الخالدية فجازاكم الله عن نبيه محمد - ﷺ - أفضل الجزاء وشكر لكم مابذلتموه من مهجكم فى مقارعة الأعداء ، وتقبل منكم ماتقربتم به إليه من مهراق الدماء ، وأثابكم الجنة فهى دار السعداء فأقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله تعالى بواجب شكرها ، فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذى فُتحت له أبواب السماء وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء وابتهج به الملائكة المقربون وقربه عيناً الأنبياء والمرسلون ، فإذا عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذى يفتح عليه البيت المقدس فى آخر الزمان والجند الذين تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان ، فيوشك أن تكون التهانى به بين أهل الخضراء أكثر من التهانى به بين أهل الغبراء ، أليس هو البيت الذى ذكره الله فى كتابه ونص عليه فى خطابه فقال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء - ١) .

أليس هو البيت الذى عظمته الملوك وأثنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من إلهكم عز وجل ، أليس هو البيت الذى أمسك الله - عز وجل - الشمس على يوشع لأجله أن تغرب وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ، أليس هو البيت الذى أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان وغضب عليهم لأجله فألقاهم فى التيه عقوبة للعصيان ، فاحمدوا الله الذى أمضى عزائمكم لما قعد عنه بنو إسرائيل وقد فضلهم على العالمين ، ووفقكم لما خُذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين ، وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى ، فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده ، وشكركم الملائكة المنزلون على ماأهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث ،

فالآن يستغفر لكم أملاك السموات وتصل عليكم الصلوات المباركات فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التى من تمسك بها سلم ، ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى وموافقة الردى ورجوع القهقرى والنكول عن العدا وخذوا فى انتهاز الفرصة وإزالة مابقى من الغصة وجاهدوا فى الله حق جهاده وبيعوا عباد الله أنفسكم فى رضاه ، إذ جعلكم من خير عباده وإياكم أن يستذلكم الشيطان وأن يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد وبخيولكم الجياد ، وبجلادكم فى مواطن

الجلاد ، لا والله ما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ، واحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخصكم بهذا الفتح المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين أن تقترفوا كبيرا من مناهيه وأن تأتوا عظيماً من معاصيه فتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا والذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، اذكروا أيام الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا فى حسم الداء وقطع شأفة الأعداء وتطهير بقية الأرض التى أغضبت الله ورسوله واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية والملة المحمدية الله أكبر فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله من كفروا ، واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانتهزوها وفريسة فناجزوها ومهمة فأخرجوا لها هممكم ، وأبرزوها ، وسيروا إليها عزماتكم ، وجهزوها ، فالأمور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول ، وهم مثلكم أو يزيدون ، فكيف وقد أضحى فى قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد

قال الله تعالى :

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾

(الأنفال ـ ٦٥) .

أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره والازدجار بزواجره وأيدنا معشر المسلمين بنصر من عنده :

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ﴾

(آل عمران ـ ١٦٠) » .

وإننا لنرقب فى أيامنا هذه من يعيد سيرة صلاح الدين ويقود المسلمين على كلمة الله تحت راية الإسلام لينقذ القدس مما تعانيه ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، يوم يعود الحق إلى أصحابه ويسود السلام أرض السلام ، ويقف الخطيب على منبر الأقصى يعيد إلى الأذهان ماقاله القاضى محى الدين بن الزكى ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولكن لله سنناً فى الكون لاتتغير ، إذ يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد ـ ١١) .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « يقول الله تعالى ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » . رواه البخارى .



الإسراء والمعراج

تكريم لنبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم

للمستشار: محمد عزت الطهطاوي

يعد حادث الإسراء والمعراج تكريما من السماء للنبي - ﷺ - وإعدادا لقواه النفسية والعقلية والجسمية لتحمل أعباء الرسالة العامة ومتاعب الهجرة ومشاق الجهاد في سبيل الله في مستقبل الأيام، وتطمين له على حسن العاقبة، وعلو كلمته، وخذلان أعدائه، وأنه في حماية ونصرة ومنعة من خالق الكون حتى يتم له إبلاغ الناس رسالة ربه.

فما أن تنفس المسلمون من الشدة التي لاقوها في الاحتباس في شعب بني هاشم مدة ثلاث سنين كاملة حيث ضيق المشركون الحصار عليهم وانقطع عنهم العون، وقل الغذاء حتى بلغ بهم الجهد أقصاه، ثم فرج الله عنهم فانطلقوا يستأنفون نشاطهم القديم حتى أصيب رسول الله - ﷺ - في حياته الخاصة بوفاة زوجته السيدة خديجة - رضي الله عنها - ثم أصيب في حياته العامة بوفاة عمه أبي طالب.

فقد كانت السيدة خديجة نسمة سلام وبر، بقيت ربع قرن مع النبي - ﷺ - تحترم قبل الرسالة تأمله وتحنثه وعزلته، وتحمل معه بعد الرسالة كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة.

أما أبو طالب فقد كان الحصن الذي يحتمي به النبي - ﷺ - في مباشرة الدعوة من هجمات الكبراء والسفهاء إذ سخر جاهه وسلطانه في الذود عن ابن أخيه وكف العوادي أن تنال منه.

روى أن رسول الله - ﷺ - قال: (ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب)[1]

(١) الحديث أخرجه ابن إسحاق بسند صحيح عن عروة بن الزبير مرسلا.

توجهه إلى الطائف

لما رأى رسول الله ـ ﷺ ـ أن المشركين فى مكة مضوا فى طريق الكفر حتى أوغلوا فيه فكر فى التوجه برسالته إلى قرية أخرى علها تكون أحسن قبولا وأقرب استجابة ، فولى وجهه شطر قبيلة ثقيف فى الطائف يلتمس نصرتها .

فسار إليها على قدميه مع غلامه زيد بن حارثة ، وهى تبعد عن مكة نحو خمسين ميلا فلما انتهى إليها يلتمس من أهلها النصرة والمعونة قابلوه بأشد مما قوبل به من قومه ، فرجع منها وقد تقطعت فى نفسه وسائل الاستعانة بالناس ، لذلك اتجه إلى خالق الكون تذوب نفسه بالضراعة له وينطلق لسانه بالدعاء إليه فيقول : (اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة إلا بك) [٢]

تعزية وبشرى بإسرائه إلى بيت المقدس

فى هذا الجو الربانى الخالص يمد الله يده إلى رسوله ـ ﷺ ـ ويضمه إليه ويسرى به بجسمه وروحه بواسطة البراق ، وهو من وسائله الربانية السريعة العظمى من المسجد الحرام فى مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى فى مدينة القدس بأرض فلسطين فيريه من آياته الكبرى ما يبدد فى نفسه الشريفة سحائب هذا الجو الأرضى الخانق ، ويضىء له المستقبل بنصره الحق وبلوغه إلى منتهاه فيزداد يقينا على يقين بأن الذى كلفه بالرسالة ودعوة الخلق إلى توحيده وعبادته هو بلاشك ناصره ومؤيده على أعدائه ، وعلى كل من يصد الناس عن سماع دعوة الإسلام قال ـ جل وعلا :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء ـ ١)

وفى ذلك قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« بينا أنا نائم فى الحجر إذ جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى ، فقمت فخرجت معه فخرج بى إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه ، يضع يديه فى منتهى طرفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى لايفوتنى ولا أفوته » قال الحسن البصرى راوى الحديث :

(فمضى رسول الله ـ ﷺ ـ ومضى جبريل عليه

---

(٢) كتاب « فقه السيرة » تأليف الشيخ محمد الغزالى .


السلام معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله - ﷺ - فصلى بهم)[3]

حادث المعراج

ثم يتلو حادث الإسراء حادث المعراج وقد أوضحت آيات المعراج فى القرآن الكريم والسنة المطهرة بعض ما شهده - ﷺ - من هذه الآيات ، فقد عرج به إلى السماوات العلا وقابل لفيفا من الأنبياء السابقين فى كل سماء ثم وصل فى معراجه إلى سدرة المنتهى حيث شاء رب العزة والقدرة والملكوت أن يتجلى عليه بأنواره القدسية وعند سدرة المنتهى رأى ملك الوحى جبريل - عليه السلام - على صورته الملكية قال تعالى - :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ (النجم : ١٣ - ١٨)

وهذه هى المرة الثانية التى يرى فيها ذلك الملك الكريم الذى يأتيه بالوحى من السماء على صورته الملكية ، وكانت المرة الأولى فى بداية بعثته - ﷺ - فقد رآه بالبطحاء بمكة كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ (التكوير : ٢٣)

بالصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح [4]

الصلوات الخمس شرعت فى السماء

فى هذا العالم القدسى والمكان العلوى حيث طويت المسافات وزالت الحجب فرض الله تعالى على نبيه - ﷺ - وعلى أمته الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ، وأوصى بالمحافظة عليها ، وجعلها عليهم كتابا موقوتا يناجون فيها ربهم وبها يقومون بواجب العبودية التى خلعت على نبيهم فى تلك الليلة ، وفيها يتغلبون على الشهوات والأهواء ، وبها تغرس فى قلوبهم مكارم الأخلاق ويطهرون نفوسهم من صفات الجبن والبخل والهلع والجزع ، كما يستعينون بها على مشاق الحياة [5] قال جل وعلا .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

(البقرة : ١٥٣)

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾

(النساء : ١٠٣)

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾

(البقرة : ٢٣٨)

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (هود : ١١٤)

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

(العنكبوت : ٤٥)

---

(٣) كتاب السيرة النبوية فى القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد الصبور مرزوق نقلا عن كتاب السيرة لابن هشام .

(٤) كتاب مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث تحقيق واختصار محمد على الصابونى عن سورة التكوير .

(٥) كتاب من « توجيهات الإسلام » للأستاذ الإمام محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق .

﴿ إن الإنسان خلق هلوعا ۝ إذا مسه الشر جزوعا ۝ وإذا مسه الخير منوعا ۝ إلا المصلين ۝ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾

(المعارج : ١٩ - ٢٣)

لماذا كانت رحلة الإسراء والمعراج إلى بيت المقدس ولم تبدأ من المسجد الحرام بمكة

يرجع ذلك إلى تاريخ قديم ، فلقد ظلت النبوات زمانا طويلا وهى وقف على بنى إسرائيل وظل بيت المقدس مهبط الوحى ، ومشرق أنواره على الأرض ، وقصبة الوطن المحبب إلى أولئك الإسرائيليين فلما أهدروا كرامة الوحى وأسقطوا أحكام السماء حلت بهم لعنة الله ، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد ، ومن ثم كان مجىء الرسالة إلى نبى الأمين محمد - ﷺ - انتقالا بالقيادة الروحية فى هذا العالم من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام - .

وقد كان غضب اليهود مشتعلا لهذا التحول ، مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره وقد نعى عليهم القرآن ذلك الإنكار قال - تعالى :

﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءو بغضب على غضب ﴾

(البقرة : ٩٠)

لكن إرادة الله مضت وحلت أمة الإسلام رسالتها وورث النبى العربى - نبى الأمين التعاليم الصحيحة لإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ، وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها فكان من وصل الحاضر بالماضى وإدماج الكل فى حقيقة واحدة فدين الله واحد ، وأن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين فى الإسلام ، وأن ينتقل إليه الرسول - ﷺ - فى إسرائه قال - تعالى :

﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾

(الجمعة : ٢)

إن النبوات يصدق بعضها بعضا ، ويمهد السابق منها إلى اللاحق ، وقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء جميعا بذلك ومنهم أنبياء بنى إسرائيل قال - جل وعلا :

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾

(آل عمران : ٨١)

فإنه ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أيضا أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، لهذا كان - ﷺ - هو الإمام الأعظم ، وكان إمام الأنبياء ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس حيث صلى بهم [٦]

البقية ص ١١٠٨

(٦) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الاول تفسير سورة آل عمران المرجع السابق .



المساجد الثلاثة المقدسة

فى القلوب المخلصة

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

إن الله قد فضل بعض البقاع على بعض لحكمة لايعلمها إلا هو.قال الله تعالى فى كتابه الكريم لموسى عليه السلام: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ : (طه ـ ١٢)

وفضل الله بعض الرسل على بعض : قال الله عز وجل: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾
الآية ـ ٢٥٣ ـ البقرة

وفضل الله تبارك وتعالى بعض الأوقات على بعض ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (سورة القدر) : والمسجد الحرام هو بيت الله العتيق العريق الذى يتجه إليه جميع المسلمين فى صلاتهم ويطوفون حوله فى حجهم ، وهو ملتقى الوافدين إليه من جميع بلاد الدنيا للتقرب بالعبادة إلى الله تعالى عند بيته الذى جعله الله مباركا وهدى للعالمين وفيه الرضا والقبول والطهر والأمن لمن كان قلبه سليما وخلقه قويما وإيمانه بالله صادقا وعنده يتلمس ضيوف الرحمن الرحمات وتسكب العبرات وتستجاب الدعوات لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى.

والله يقول :

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴿٩٦﴾ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾

[الآيتان ـ ٩٦ ـ ٩٧ سورة آل عمران] .

« لقد بوأ الله لإبراهيم مكان البيت »

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴿٢٦﴾ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴿٢٧﴾ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴿٢٨﴾ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴿٢٩﴾ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾

[الآيات ـ ٢٦ ـ ٣٠ ـ من سورة الحج]

ولقد أراد الله للبيت أن يرفع ويذكر فيه اسمه بالصلوات والحج والعمرة كما أراد لمكة المكرمة أن تكون هذا البلد الأمين استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ قال ﴿ رب اجعل هذا بلدا آمنا ﴾ أراد الله أن يجعل هذا البيت مثابة للناس وأمنا وأن يجعله إلى يوم الدين مباركا وهدى للعالمين وقبلة للمسلمين فى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر . . . والله يقول :

﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴿٣﴾ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾

(الآية ـ ٤ من سورة قريش)

وجاء فى الصحيحين أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « أفضل الأعمال إيمان بالله ، ثم جهاد فى سبيله ، ثم حج مبرور » فالحج من أعظم القربات عند الله إذا أخلص صاحبه دينه لله ، فكان سلوكه مستقيما ، وخلقه قويما : لأن الحج فيه تزكية للنفس ، وتقوية للروح وفيه العزة والعفة فلا رفث ولافسوق ولا جدال فى الحج .

« أدعية مستجابة لإبراهيم عليه السلام »

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴿١٢٧﴾ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴿١٢٨﴾ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴿١٢٩﴾ ﴾

[الآيات ـ ١٢٧ ـ ١٢٩ ـ من سورة البقرة]

ولما نظر سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حوله فلم ير إلا صحراء ليست ذات زرع ولاشجر فيها ولانبات ولاثمر طلب من الله لهذه البقعة الأمن والاطمئنان والرزق مستقبلا للسكان ، إذ طلب من الله ـ لهؤلاء ـ بالخشوع والدعاء رافعا أكف الرجاء أن يرزق أهله من الثمرات من آمن منهم : ولكن الله تعالى قد تكفل بالرزق للمؤمن وللكافر ولكل دابة فى الأرض فهو الرزاق العليم : وقد رأى إبراهيم خليل الرحمن وعدو الأصنام انتشار عبادة الأصنام فرجا ربه أن يجنبه وبنيه وكل ذريته هذا الداء الخطير والشر المستطير فاستجاب الله دعاءه وقبل رجاءه والله يقول :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝ ﴾

[سورة إبراهيم ٣٥ - ٣٧]

« طلب سيدنا إبراهيم من ربه أن يرزق من آمن » ، ولكن الله يرزق كل دابة .

ولقد قال سيدنا إبراهيم ، وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم : ولكن قال الله :

﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

(البقرة - ٣٦)

لأنه لايغفر أن يشرك به : وقد طلب سيدنا إبراهيم - عليه السلام - أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم : فجعل الله قلوب المسلمين تهوى إلى الحرم : ومن حوله ، وهذه ظاهرة يعرفها من ذاق فعرف ومن حرم انحرف حيث إنها لتهوى القلوب إلى الله علام الغيوب تلتمس غفران الذنوب وستر العيوب فالعيون تبكى ، والقلوب تهوى : والله غفور رحيم : رءوف بعباده جل جلاله ، ولقد جاء فى الصحيحين عن النبى - ﷺ - أنه قال : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة : مساجد ، المسجد الحرام : والمسجد الأقصى : ومسجدى هذا : » (البخارى ومسلم)

وهذه المساجد الثلاثة لها قدسيتها ولها ذكرياتها التى لايتسع هذا المقال لسردها وحصرها .

روى الإمام أحمد قال : قال رسول الله - ﷺ - : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى » .

وعن عبد الله بن عدى - رضى الله عنه - أنه سمع النبى - ﷺ - يقول لمكة « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » .

(رواه الترمذى والنسائى)

« المسجد النبوي الكريم » :

يكفى فى فضل الحرم النبوى الشريف أن الله سبحانه . وفق النبى - ﷺ - بنفسه لبنائه وشاركه أصحابه الكرام البررة فى هذا (رضى الله عنهم) وهو ثانى الحرمين الشريفين هذا الحرم النبوى فيه موضع منبر النبى ومقام مصلاه ودار آخرته وأولاه ، وجاء فى شرح المواهب للزرقانى أن محمدبن حرب الهلالى أتى قبر النبى - ﷺ - فزاره وجلس بجانبه ، فجاء أعرابى وجلس للزيارة وأخذ يقول : (ياخير الرسل : إن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝ ﴾ (النساء ٦٤)

وانشأ يقول :

ياخير من دفنت فى القاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفدا لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

« وعند الحرم النبوى ذكريات كثيرة » :

ذكريات تتوافد وتتزاحم وتتواكب ، ذكريات الرسول وهو يبنى أمة ويؤسس دولة قال لها ربنا :



﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران - ١١٠)

وهذه صورتها مرسومة فى القرآن الكريم صحيحة واضحة قوية خالدة باقية بخلود القرآن

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[الآية ٢٩ من سورة الفتح]

إن الله قد كرم رسوله محمدا - ﷺ - تكريما عظيما فقال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

[الآية - ٥٦ من سورة الأحزاب]

لقد أمر الله الذين آمنوا بأن يصلوا عليه ويسلموا تسليما وأجزل الثواب لمن يصلى عليه كما أمر الله المؤمنين بألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبى وألا يخاطبوه باللغة الجافة فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات - ٢)

وتتوافد الذكريات عند زيارة الحرم النبوى ومنها أن صاحب هذا المسجد الشريف هو الذى بدل الله به ظلام الحياة نورا وذل الأميين عزا وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين وذلك لأن النور لما أشرق على أرض الصخور هدى الله به من اتبع رضوانه سبل السلام وبذلك امحت الظلمات والجهالات والأوهام والخرافات فانتفعوا بإرشادات القرآن وهداياته وتوجيهاته وعظاته لما تدبروا آياته فعرفوا الحق الواضح المستبين فآمنوا عن صدق ويقين بالله رب العالمين

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(١٥ ، ١٦ من سورة المائدة)

إنه ليس بعد كتاب الله كتاب وليس بعد رسول الله سيدنا محمد رسول ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

• سيدى يارسول الله • :

يزورك أحبابك من عباد الله الصالحين عند مسجدك المبارك المقدس فيصلون ويسلمون عليك بلسان الحال ولسان المقال بألسنة طاهرة وقلوب خاشعة وأرواح ضارعة هاتفة قائلة لك :

الصلاة والسلام عليك ياسيدى يارسول الله يامن أرسلك ربك رحمة للعالمين فقال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء - ١٠٧]

الصلاة والسلام عليك ياخاتم المرسلين : يامن وصفك ربك بأنك بالمؤمنين رءوف رحيم ، فقال جل جلاله :

﴿

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة - ١٢٨]

الصلاة والسلام عليك يامن قال لك ربك:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ ﴾

(الضحى - ٤) .

الصلاة والسلام عليك يا من ناداك ربك بأحب الأسماء إكراما لك وتقديرا فقال :

يأيها الرسول ، يأيها النبي ، يأيها المزمل ، يأيها المدثر ، وقال لغيرك بأسمائهم المجردة :

صلوات الله وسلامه عليك يا إمام الأنبياء وياسيد الأولياء وقدوة العلماء الأتقياء صلواته وسلامه عليك يوم ولدت ويوم بعثت ويوم أسرى بك ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وصلواته وسلامه عليك يوم هاجرت من مكة إلى المدينة لتؤدى الأمانة وتبلغ الرسالة ، صلواته وسلامه عليك يوم قبضت إلى الرفيق الأعلى ويوم تبعث حيا .

« المسجد الأقصى »

والمسجد الأقصى هو الذى جاء مقترنا ذكره بذكر المسجد الحرام فى أول سورة الإسراء : قال الله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء - ١)

وهو قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين وهو معهد الأنبياء وهو يلى المسجد الحرام فى البناء فى حال الابتداء ومن الصخرة المقدسة كان المعراج بخاتم الأنبياء - ﷺ - إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى فكان قاب قوسين أو أدنى : فنال من منازل الرفعة والتكريم مقاما عليا لم ينله الخليل ولا الكليم ولا وصل إليه ملك مقرب أو نبى مكرم وفى المسجد الأقصى قد أم النبيين وصعد منه إلى أعلى عليين : والمسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذى بناه سليمان عليه السلام - : قد بنى عمر رضى الله عنه المصلى أمام الصخرة لما فتح بيت المقدس وكان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة فى المصلى الذى بناه عمر - رضى الله تعالى عنه - وأما القبة فقد كانت غير موجودة فوق الصخرة فى عهد الخلفاء الراشدين : ولكن عبد الملك بن مروان هو الذى أقامها فوق الصخرة فى عهده :

وأما فضل المسجد الأقصى فيكفى فيه قول الله تعالى : ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾

« القبلة الأولى » :

لما جاء الإسلام وفرضت الصلاة على المسلمين ثم هاجر رسول الله إلى المدينة اتخذ المسجد الأقصى قبلته مدة ستة عشر شهرا ثم أمره ربه فى السنة الثانية من الهجرة أن يولى وجهه شطر المسجد الحرام مستقبلا الكعبة والله يقول :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة - ١٤٤)

ويقول الله ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة - ١٤٨ ، ١٤٩)

• رسول الله ينظر بنور الله •:

يبدو أن الرسول الأعظم كان ينظر بنور الله وبعين البصيرة لما طلب أن تكون البلد الأمين «مكة» قبلة له ولأمته إلى يوم الدين تأمينا للحجاج وتحصينا لهم من خطر داهم ويصنعه قوم يعيشون مع المسلمين بألسنتهم ويعيشون مع أعداء الإسلام بقلوبهم فهم يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم، يعرفون الأسرار وينقلونها للأعداء ولكن المنافقين قد كشف الله أسرارهم وهتك أستارهم مع أنهم ضعاف خوارون خزايا قلوبهم مريضة ونفوسهم ضعيفة - لاقوة لهم إلا الخديعة والمخاتلة ولن تستمر طويلا لأنها إلى زوال إذا جاء نصر الله والفتح ولابد للحق أن ينتصر وللباطل أن ينهار ويندحر.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

(البقرة - ١٦)

• أما اليهود •:

فكانوا دائما لا أمان لعهدهم ولا وفاء لوعدهم: سالمهم الرسول فلم يسالموه لأن الغدر طبيعتهم والمكر سجيتهم : ، والغرور ملء صدورهم والحقد والكيد طبيعتهم والمكر السيء خلتهم ولابد للنفوس الشريرة من وازع ديني يهديها ويربيها ويهذبها ويؤدبها أو رادع يصدها عن غيها وبغيها وعن عدوانها وطغيانها والله يقول للمسلمين :

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝

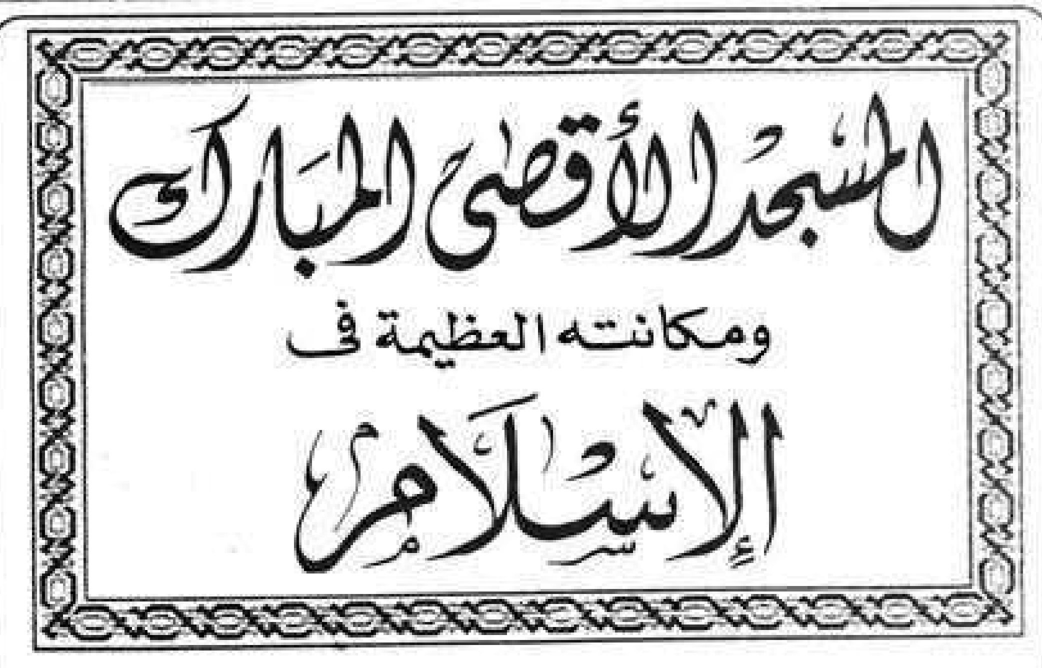
(الأنفال - ٦٠)

ثم لماذا إعداد كل مستطاع من القوة والجواب لإرهاب عدو الله وعدو المؤمنين بالله ولإرهاب الآخرين الذين يمدونهم سرا بالأسلحة المتطورة والأموال الوفيرة وكل أنواع الذخيرة .. وذلك لأن الوحدة مع القوة بشتى أنواعها تحفظ للأمة أمنها واستقرارها وتحمى أرضها ومجدها لأن الإسلام يمقت الضعف والهوان والتفرق والتمزق ويود من المسلمين أن يكونوا أمة واحدة وإن اختلفت ألوانهم وأوطانهم.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾

[المؤمنون - ٥٢)

عن أبي سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : كان النبي - ﷺ - يقول : «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها ياويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق». رواه البخاري.



لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح *

عن أبى ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ قال : وقلت : يا رسول الله : أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً ، وحيثما أدركتك الصلاة فصل» (١).

المساجد : هى تلك الجامعات الإسلامية : التى يتلقى فيها المسلمون ـ على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم ـ تعاليم دينهم ودنياهم .

---

* المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر .

(١) رواه البخارى ومسلم .

تصل ما بينهم وبين ربهم ، كما تصل ما بينهم وبين بعضهم ، فهى التى تربط بين قلوبهم بروابط متينة من الحب والإخاء والود والصفاء ، وتربيهم تربية سليمة ، على أسس قوية ، تجعلهم متمكنين من أسباب المعرفة والبصر بالحياة ، قادرين على السير فيها على النهج السوى الذى رسمه أحكم الحاكمين .

لهذا ؛ كان أول عمل عمله النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد هجرته من مكة إلى المدينة ؛ هو بناء مسجد يجمع بين المهاجرين والأنصار ، يؤلف بين قلوبهم ، ويوحد صفوفهم ، وقد اتخذه النبى - صلى الله عليه وسلم - معهدا يبلغ فيه وحى السماء ، وداراً للفتوى والقضاء ، ومجلساً للشورى وتبادل الآراء ، وديواناً لتحرير الكتب إلى الملوك والأمراء ، وبيتاً لمال المسلمين ، ومقراً لتنظيم كتائب المجاهدين .

والمساجد فى المعنى اللغوى هى : مواضع السجود ، أى : الأماكن التى تجوز فيها الصلاة ، سواء أكانت مبنية لهذا الغرض أم لا ، وهى مما اختص الله - تعالى - به الأمة الإسلامية . فقد روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون »(١) .

وفى المعنى الاصطلاحى : ما وقف على المسلمين للصلاة والعبادة .

المسجد الحرام : هو بيت الله العتيق ، وقبلة المسلمين فى الصلاة والدعاء ، ومعقد آمالهم ، ومهوى أفئدتهم ، وهو أول بيت وضع للعبادة ، قال الله - تعالى - :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

(آل عمران : ٩٦ ، ٩٧)

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من حج لله فلم يرفث ، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »(٢) .

وعن جابر - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . قيل : وما بره ؟ قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام »(٣) .

وقيل للحسن بن على - رضى الله عنه - : « الحج المبرور : جزاؤه الجنة ، قال : آية ذلك أن يرجع زاهدا فى الدنيا ، راغبا فى الآخرة ، وقيل له : جزاء الحج المغفرة ، قال : آية ذلك : أن يدع سيىء ماكان عليه من العمل » .

والحرام : أى المحرم ؛ لأن القتال محرم عنده ، أو لأنه : ممنوع من الظلمة أن يتعرضوا له بما يمس قداسته ، قال الله - تعالى - :

﴿

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه احمد والطبرانى والبيهقى .



(الحج : ٢٥)

المسجد الأقصى: تحظى مدينة القدس على مر التاريخ بالتبجيل والتكريم، والتفخيم والتعظيم، والعناية الكبرى من الأديان السماوية الثلاثة، وتهفو إليها أفئدة الملايين، ووجدانات الشعوب.. وتطلق على هذه المدينة أسماء عديدة منها: يبوس.. أورسالم.. إيلياء.. مدينة الله.. بيت المقدس وهو الاسم الذى انتشر بعد الفتح الإسلامى للقدس الشريف المدينة المقدسة.. البيت المقدس.. مدينة السلام.

وفى هذه البقعة المباركة يوجد المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وإليه الإسراء بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ومنه العروج به إلى السماء..

قال الله - تعالى -:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء : ١)

قال الزركشى فى قوله - تعالى -: ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ جعل حوله من الأنبياء المصطفين الأخيار وأكثر فيه من الثمار، ومجرى الأنهار».

وهو - أيضاً - أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال، والأربعة التى يمنع من دخولها المسيخ الدجال.. عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[1].

وفى رواية أخرى: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدى، ومسجد إيلياء».

وروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الدجال يطوف الأرض، إلا أربعة مساجد: مسجد المدينة، ومسجد مكة، والأقصى، والطور»[2].

وتعميقاً لقيمة المسجد الأقصى فى قلوب المسلمين؛ جعل الله الصلاة فى رحابه بخمسمائة، أو ألف، أو خمسين ألف صلاة، كما جاء فى الروايات الصحيحة.. فقد روى عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الصلاة فى المسجد الحرام: بمائة ألف صلاة، والصلاة فى مسجدى: بألف صلاة، والصلاة فى بيت المقدس: بخمسمائة صلاة»[3].

وعن ميمونة بنت سعد - رضى الله عنها - قالت: «يا نبى الله أفتنا فى بيت المقدس. فقال لها: أرض المنشر والمحشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاتكم فيه كألف صلاة. قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال: فليهد إليه زيتا يُسرج فيه؛ فإنه من أهدى كان كمن صلى»[4].

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده.

(٣) الطبرانى بسند صحيح.

(٤) رواه الإمام أحمد.

وعن أنس بن مالك مرفوعاً عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « صلاة الرجل في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة . (١)

ولقد بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن سكان بيت المقدس : سيهديهم الله ـ عز وجل ـ : إلى التمسك بالحق والدفاع عنه ، وأنهم سيكونون حماته ، لا يهابون الباطل وسطوته ، وغدره وصولته ، وأن الغلبة ستكون لهم ، والدائرة ستكون على أعدائهم .

عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله ـ عز وجل ـ وهم كذلك ، قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس » (٢) .

وفي بيان ما للمسجد الأقصى : من منزلة ومكانة عظيمة في الإسلام ، ما روي عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ مرفوعاً قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه » (٣) . . وفي رواية أخرى : بزيادة : « وما تأخر ، أو وجبت له الجنة » (٤) .

وعن ذي الأصبع قال : قلنا : يا رسول الله إن ابتلينا بعدك بالبقاء ، أين تأمرنا ؟ قال : عليك بيت المقدس ، فلعل إن ينشأ لك ذرية تغدو إلى المسجد وتروح » (٥) . . وعن النعمان بن عطاء ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : « ما موضع في بيت المقدس إلا وقد سجد عليه ملك أو نبي ، فلعل جبهتك أن توافق جبهة ملك أو نبي » .

والأقصى : أي الأبعد ، وذلك لبعده عن المسجد الحرام ، إما في المسافة أو في الزمان ، أو لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ، وقيل : هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة ، لأنه بعيد عن مكة ، وبيت المقدس ، أبعد منه ، وقيل : لأنه أقصى موضع من الأرض ارتفاعاً وقربا من السماء .

والمراد بوضع المسجد في حديث أبي ذر : « أي مسجد وضع في الأرض أول » ؟ قيل : جعله للعبادة وتهيئته لها ، وإن لم يكن على سبيل البناء والتشييد . . وقيل : هو بناؤه لها ، وسؤاله هذا يحتمل أن يكون لمعرفة أقدم المساجد زمانا ، ويحتمل أن يكون لمعرفة أفضلها .

وأول من بنى الكعبة : هو آدم ـ عليه السلام ـ ثم بنى المسجد الأقصى ، بعد الفراغ من بنائها بأربعين سنة ، وعلى هذا القول : يكون إبراهيم ـ عليه السلام ـ : مجدداً لبناء كل منهما .

وقيل : إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو أول من بنى الكعبة البيت العتيق وساعده في بنائه ابنه إسماعيل ـ عليه السلام . . قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

(البقرة : ١٢٧)

---

(١) رواه ابن ماجه .
(٢) الإمام أحمد في مسنده .
(٣) رواه أبو داود .
(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى .
(٥) رواه الإمام أحمد .

وقال - جل شأنه - :

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

(إبراهيم : ٣٧)

وقال - عز اسمه - :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾

(الحج : ٢٦)

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : و لما فرغ إبراهيم - عليه السلام - من بناء البيت قال : رب قد فرغت ، فقال : أذن فى الناس بالحج ، قال : يارب وما يبلغ صوتى ؟ قال - تعالى - : أذن وعلىَّ البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟ قال : قل يأيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد يلبون »[1] .

وبعد أربعين سنة بنى - صلوات الله وسلامه عليه - المسجد الأقصى . . وقيل إن يعقوب - عليه السلام - هو الذى بنى المسجد الأقصى بعد بناء جده إبراهيم - عليه السلام - الكعبة بأربعين عاماً .

وأما البناء المقام حالياً فينسب إلى عبدالملك بن مروان وابنه الوليد ، فهو بناء مستحدث فى البقعة الطيبة ، وقد بنى معه مسجد الصخرة المشرفة ، والجدار الغربى لسور المسجد يسمى حائط المبكى .

ولقد كان من أسباب الفتح العربى الإسلامى لفلسطين هو إنقاذ هذه الأرض الطيبة من أيدى الروم والبيزنطيين ، لأن فيها المسجد الأقصى ، فوجهوا جيوشهم إليها ، وهزموا الروم فى موقعة اليرموك الفاصلة ، تحت قيادة خالد بن الوليد ، ثم كانت موقعة أجنادين التى هزموا فيها البيزنطيين ، تحت قيادة عمرو بن العاص ، والتى استسلمت بعدها مدينة القدس الشريف ، فى العام الخامس عشر من الهجرة ، وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قد أمر قائده أبا عبيدة عامر بن الجراح أن يتجه بجيشه من الشام إلى بيت المقدس .

وقد نقل السيد/ عبد الله التل عن كتاب يونانى مخطوط اطلع عليه أيام أن كان قائداً لمعركة القدس سنة ١٩٤٨ م عثر عليه فى دير المصلبة يذكر حادثة مجىء عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لتسلم بيت المقدس ما ترجمته :

« ولما اشتد حصار جيوش المسلمين لبيت المقدس سنة ٦٣٦م أطل البطريرك (صفرونيوس) على المحاصرين من فوق أسوار المدينة ، وقال لهم : إنا نريد أن نسلم ، لكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم ، فقدموا له أمير الجيش فقال : لا ، إنما نريد الأمير الأكبر ، نريد أمير المؤمنين .

فكتب أمير الجيش ، إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول : إن القوم يريدون تسليم المدينة ، لكنهم يشترطون أن يكون ذلك ليدك شخصياً .

فخرج عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من المدينة ، قاصداً بيت المقدس ، ومعه راحلة واحدة ، وغلام ، فلما صار فى ظاهر المدينة ، قال

---

(١) الحاكم وصححه والبيهقى فى سننه .

لغلامه : نحن اثنان والراحلة واحدة ، فإن ركبت أنا ، ومشيت أنت ظلمتك ، وإن ركبت أنت ومشيت أنا ظلمتنى ، وإن ركبنا الاثنان قصمنا ظهرها ، فلنقتسم الطريق مثالثة .

وأخذ عمر يركب مرحلة ، ويقود الراحلة مرحلة ، والغلام يركب مرحلة ، ويقود مرحلة ، وتمشى الراحلة أمامهما متخففة من حمل أحد مرحلة .

وهكذا استمر عمر ـ رضى الله عنه ـ يقتسم الطريق مثالثة بين نفسه وبين غلامه وبين راحلته .. من المدينة ، حتى بلغ جبلا مشرفا على القدس .. صادف أن كانت ببلوغه قد انتهت مرحلة ركوبه ، فكبر[1] من فوق رحل الراحلة ، ولما فرغ من تكبيره قال لغلامه : دورك . اركب . فقال الغلام : ياأمير المؤمنين لا تنزل ولا أركبن ؛ فإنا مقبلون على مدينة ، فيها مدنية وحضارة ، وفيها الخيول المطهمة المسرجة ، والعربات المذهبة .. فإن دخلنا على هذه الصورة ، أنا راكب على الراحلة وأمير المؤمنين آخذ بمقودها هزأوا بنا وسخروا من أمرنا ، وقد يؤثر ذلك على نصرنا ، فقال عمر : دورك .. لو كان الدور دورى ، ما نزلت وما ركبت ، أما والدور دورك ، فوالله لأنزلن ولتركبن ، ونزل عمر ، وركب الغلام الراحلة ، وأخذ عمر بمقودها .. فلما بلغ سور المدينة وجد نصاراها فى استقباله خارج بابها « المسمى بباب دمشق ، وعلى رأسهم البطريرك « صفرونيوس » فلما رأوه آخذاً بمقود الراحلة ، وغلامه فوق رحلها أكبروه وخروا له ساجدين ، فأشاح الغلام عليهم بعصاه من فوق رحلها ، وصاح فيهم : ويحكم ارفعوا رءوسكم ، فإنه لا ينبغى السجود إلا لله ، فلما رفعوا رءوسهم انتحى البطريرك « صفرونيوس » ناحية وبكى .. فتأثر عمر وأقبل عليه يطيب خاطره ويواسيه قائلاً : لا تحزن هون عليك فالدنيا دواليك يوم لك ويوم عليك ، فقال « صفرونيوس » : أظننتنى لضياع الملك بكيت ؟ والله ما لهذا بكيت ، وإنما بكيت لما أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية ، ترق ولا تنقطع ، فدولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة ، وكنت حسبتها دولة فاتحين تمر ثم تنقرض مع السنين .

وخطب عمر ـ رضى الله عنه ـ فى تلك الجموع الحاشدة ، مستهلاً خطبته بقوله « ياأهل إيلياء ، لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا » ، ثم دعاه البطريرك « صفرونيوس » لتفقد كنيسة القبر المقدس « كنيسة القيامة » فلبى دعوته ، وأدركته الصلاة وهو فيها ، فالتفت إلى البطريرك ، وقال له : أين أصلى ؟ فقال : مكانك صَلِّ .. فقال : ما كان لعمر أن يصلى فى كنيسة القيامة ، فيأتى المسلمون من بعدى ويقولون : ها هنا صلى عمر ، ويبنون عليه مسجداً ، وابتعد عنها رمية حجر ، وفرش عباءته وصلى ؛ وجاء المسلمون من بعده وبنوا على مُصلاه مسجداً ، وهو قائم على رمية حجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا .

---

(١) سمى ذلك الجبل من يومئذ بجبل المكبر .

ثم سأل عمر البطريرك «صفرونيوس» عن موضع المسجد الأقصى فدله على مكانه ، فوجده مغموراً بالقمامة ، ففرش عمر عباءته ، وأخذ ينزح فيها القمامة من مكان المسجد ويلقيها في الأودية .. واقتدى به قادة المسلمين ، ورؤساء الجند ، حتى طهروه تطهيراً ، ثم بنى عليه مسجداً (١)

ولقد استمر بيت المقدس تحت حكم الإسلام ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، ثم اغتصبته الصليبية بحروبها التى استمر أثرها ثمانية وثمانين عاماً ، عاثوا فيها فى الأرض الفساد ، وأقاموا بها مذابح للمسلمين تقشعر من هولها الجلود !!

وحينما اجتمعت كلمة المسلمين ، ووحدوا صفوفهم ، وعزموا على تطهير الأرض المقدسة قادهم البطل العظيم «صلاح الدين الأيوبى» وانتصروا فى الحروب المقدسة التى كانت أبرز معاركها فى حطين ، وبعدها استولى صلاح الدين على بيت المقدس وأعاده إلى حوزة المسلمين ، يوم الجمعة ، فى السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ .. ثم دخل المسجد الأقصى فى الجمعة التالية ، وصلى فيه .

إن المسلمين الأوائل وقبل أن يتحرر المسجد الأقصى كانوا مشدودين إليه بقلوبهم وأرواحهم وأجسادهم ، بل إن بعضهم كانوا ينقلون إليه موتاهم لمجاورة أنبياء الله فى قبورهم ، حتى إن الصحابة فكروا فى دفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى حرم المسجد الأقصى ، لما كان له من منزلة وقيمة فى نفسه ، فقد أراد أهل مكة من المهاجرين أن يردوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد موته إلى مكة ؛ لأنها مسقط رأسه ومأمن نفسه ، وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة ، لأنها دار هجرته ومدار نصرته ، وأرادت جماعة أخرى من المسلمين ، نقله إلى بيت المقدس ؛ لأنه موضع دفن الأنبياء ، وقد كان معراجه إلى السماء ، ولأن المسجد الأقصى يعتبر من أعظم المقدسات الدينية التى عُنى الإسلام بتعظيمها ، وحث على تكريمها ، ورغَّب فى تحريرها وتطهيرها ، ثم اتفقوا أخيراً على دفنه بالمدينة ، وفى حجرة أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - حيث قبض ولحق بالرفيق الأعلى - وماذاك إلا لأن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون ، كما جاء فى الأثر .

وبعد .. فإن المسجد الأقصى يعتبر بحق من أعظم مقدساتنا الدينية ، وأنه يجب على المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها أن يبذلوا قصارى جهودهم فى سبيل تحريره وتطهيره والحفاظ عليه .

---

(١) بنى المسجد أولاً من الخشب .



لفضيلة الشيخ:
معوض عوض إبراهيم

١ ـ سبحان الذى أسرى بعبده :

أسرى الله بعبده ومصطفاه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المسجد الحرام فى مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى فى القدس الشريف من فلسطين فى بلاد الشام ، وعرج به سبحانه منه إلى ما وراء سدرة المنتهى فى السماء السابعة . ما لم يجز لنبى سبق ولا لرسول تقدم ، وأرى الله مصطفاه آياته الكبرى أمثلة للمجاهدين ، والطائعين ، وصورا للزناة ، وآكل الربا ، وخطباء الفتنة ، والذين يلوكون أعراض الناس بالباطل .

بعد أن اركبه البراق الذى لم يركب مثله قط ، والذى يحق نقاء البرق وسناه وسرعته ، وأخدمه ملائكته المقربين ، وحشر له الصفوة الكريمة من الأنبياء والمرسلين ، فأمهم فى صلاة جامعة أثنى فى نهايتها على مولاه بخير ، كما أثنوا ـ صلوات الله عليهم ـ على الله حتى قال إبراهيم : « بهذا فضَّلكم محمد » وهو مشهد ملهم معلم يوجب على البشرية بأسرها عربها وعجمها ، وباديها وحاضرها ، أن تتبع محمدا ـ صلوات الله عليه ـ وتطيعه فى كل ما جاء به من لدن ربه .

وآيات الله التى تبهر العقول فى هذه الليلة ما كان ينبغى أن تكون موضع أخذ ورد ، أو مبحث ظن وشك ، هل كان الحدثان يقظة أو مناما ، أم بالجسد أو الروح ، لأن الذى أجراها وأعان عليها هو الله الذى لا يعجزه شىء لا فى الأرض ولا فى السماء لكن الأهواء ولعنة « الأنا » يغطيان على مدارك بعض الناس حتى يروا حسنا ما ليس بالحسن ، وتبدو لهم الأمور على غير حقيقتها .

٢ ـ خير أعمالكم الصلاة :

وما يحصى العقلاء ما يخلف الحدث العظيم ، من أسرار وعبر وحكم وتعليم وتكريم وإمداد

وإعداد للنبى العظيم - صلوات الله عليه - فيما يستقبل من قضايا الدعوة وشئون الناس .

لكن فرض الصلاة مشافهة ، وحيث فرضت كان وسيبقى أجل هبات الله وعطاياه فى هذه الليلة إلى المدى الذى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول فيه : « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

رواه أنس وهو فى « الشفاء » للقاضى عياض .

ويقول : « أرحنا بالصلاة يابلال » مجمع الزوائد والطبرانى والنسائى والخطيب (جزء ١٠) ، وهى تصل المرء بربه - عز شأنه - ليلا ونهارا ، وعلى كل حال فهى تعصمه من الزلل وسوء القول والعمل كما قال ربنا سبحانه :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (العنكبوت : ٤٥) .

وفى الأثر : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلم يزدد من الله - عز وجل - إلا بعدا » .

وراح الرسول من هذه الليلة بالصلاة « ثانية الإسلام » ، و « معراج المؤمن » قرير العين سعيدا بما حباه ربه أمرا يأخذ به نفسه ، ويبقى ركنا كريما من أركان الإسلام بعد الإقرار لله بالوحدانية ، وللنبى - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة التى أرست كلمة التوحيد ، وشهادة الإخلاص فيها بكل مكارم الأخلاق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٣- صبيحة الليلة الكريمة :

وأصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الليلة المفتوحة المباركة يلقى جبريل - عليه السلام - فيعلم أمين الوحى سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أزمنة الصلوات الخمس صبحا ، وظهراً ، وعصراً ، ومغرباً ، وعشاءً ، وحضراً وسفراً ، وتماماً ، وقصراً ، وجهراً بالقراءة وسراً ، ويعلمه هيئاتها قياماً وقعوداً ، وذكراً وابتداءً باستقبال القبلة بالطهر والنية وانتهاءً بالسلام .. وما أجل فهو اسم الله :

﴿ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾ (الحشر : ٢٣)

والسلام تحية المسلمين فى الدنيا ، وتحيتهم فى الآخرة .

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (الأحزاب : ٤٤) .

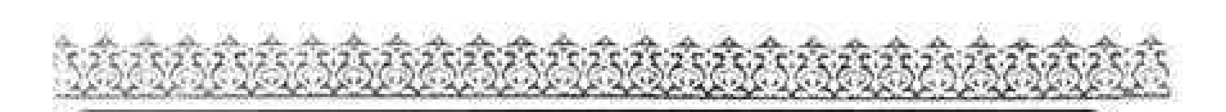
والسلام اسم لجنة الله التى أعدها للمتقين :

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنعام : ١٢٧) .

وهو السلام الذى يتطلبه الناس جميعا بإنصاف لا بقهر واعتساف كما يرفع المبطلون فى شرق وغرب المعاقر .

والتزم النبى - صلى الله عليه وسلم - ما فى ألفاف الإسراء والمعراج من عبر وعظات بما يليق به - صلى الله عليه وسلم - فى إقبال على الله وخشوع وتدبر ، وهو يترك لأمته قوله الذى رواه أبو هريرة - رضوان الله عليه - « أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء » . وهو فى صحيح مسلم .

ولقد وجه الله - تعالى - مصطفاه فى الصلاة إلى القبلة ، فلما هاجر الهجرة الكبرى إلى المدينة كان - سبحانه - يعلم أن فى التوجه إلى الكعبة رضا نفسه



فوجهه سبحانه إلى قبلة أبيه إبراهيم - عليه السلام -.

٤- جعل بيت المقدس قبلته :

لقد كان الرسول يتجه إلى بيت المقدس بعد الهجرة الكبرى أملاً فى أن يثنى عنان اليهود ويكسر من حدة عنادهم لكنه - عليه الصلاة والسلام - مع هؤلاء القوم كان كمن يحاول أن يجنى من الشوك العنب ، أو كما يقال كالمتطلب من الماء جذوة نار ، والمرء لا يدرك كل ما يتمنى غالبا وإن كان نبيا ، فلقد أدار عراض الأقفية أمنية النبى على غير ما أراد وقالوا عتوا وصلفا : « اتبع قبلتنا وغدا يتبع ديننا ».

وتمنى - صلوات الله عليه - بعد ستة عشر شهرا أو سبعة عشر أن يحول الله مصطفاه إلى قبلة أبيه إبراهيم فحقق - سبحانه - مراد مصطفاه ، وبلغه من الكعبة المشرفة مناه فى شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وامتن عليه وعلى المسلمين بقوله :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : ١٤٤) .

وتكررت المنة فعظمت وجلت مرات فيما وراء هذه الآية والله سبحانه يؤكد أن القوم وأمثالهم لن يتبعوا هذه القبلة ، وأن النبى وهو معصوم بالوحى لن يتبع قبلتهم ، وأن بعضهم لا يتبع قبلة بعض فلكل من المبطلين وجهة هو موليها اتباعا للأهواء وعزوفا عما تبين من العلم .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾

(البقرة : ١٤٩) .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(البقرة : ١٥٠) .

فالبيت الحرام نعمة فى ذاته ، والكعبة المشرفة فيه كذلك نعمة إلى نعم جمة ، إنها أنعم باقية خالدة تالدة على مر الزمان منذ رفع إبراهيم القواعد من البيت ، وإسماعيل ، لا يغض من قدرها ما لحق بها فى فترات من الزمان من غبش الوثنية وشغب الباطل ، وغزو الغزاة الذى أتى عليه الإسلام من القواعد ، وعز البيت ، ورأت الحياة الأمة المسلمة لربها ، بعد أن بعث الله فيها ومنها الرسول الخاتم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وزاد الله البيت الحرام أمنا على أمن ورسخت أصول القبلة فيه وستبقى إلى آخر الزمان راسية الأركان قوية البنيان بنا أو بغيرنا .

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾

(محمد : ٣٨) .

فهل نعطى الله حق الذب عن حياض الأقصى المكبل بالقيود والأغلال ، وهو بأيدى شذاذ الآفاق بعد أن أعانهم ويعينهم على باطلهم من يملى لهم الله ثم يأخذهم لا محالة أخذ عزيز مقتدر .



الصيغة الإسلامية لتحقيق التوازن بين المتناقضات

المستشار الدكتور : محمد شوقي الفنجري

١ ـ إن قوام الحياة الدنيا هو ظاهر المتناقضات ، وسبحان الله :

﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (طه : ٥٠) .

وإن سنة الحياة هي الحركة الدائمة و « التغيير المستمر » ، وسبحان الله الذي يغير ولا يتغير . الأمر الذي يتطلب « وعيا » يسفر عنه « أسلوب » أو موقف محدد ، في مواجهة مختلف تحديات الحياة وتناقضاتها ، وبالتالي الوصول بمتغيراتها إلى حالة الاعتدال ، أو « التوازن المنشود » .

وهذا ما تستهدفه « جدلية الإسلام » ، يقول الله تعالى :

﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (النحل - ١٢٥) .

وقوله تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ (المؤمنون - ٩٦) . وصدق الله العظيم :

﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ (البقرة - ٢٨٢) .

فجدلية الإسلام هي أسلوبه في التوفيق بين التناقضات ، وهي رؤياه بالنسبة للثابت والمتحرك ، وهي في الخلاصة الاجتهادات الشرعية ، أو الجهود التوفيقية من أجل وضع أحسن ، وتحقيق التقدم والرقي .

٢ ـ إنه على خلاف « الجدلية الوضعية » أو « المنهج المعرفى الغربى » ممثلا فى مختلف المذاهب والنظريات الوضعية ، فإن « جدلية الإسلام » أو المنهج المعرفى الإسلامى ـ على نحو ما نكشف عنه فى هذا المقال باختصار غير مخل ـ يقوم على أسس ثلاثة رئيسية هى :

أولا : التناقضات حقيقة قائمة ، ولكنها فى الإسلام للتكامل لا للصراع .

وهذا المفهوم أو التصور الإسلامى يحل ويعالج الإشكالية الكبرى التى يعانيها العالم من عدم إدراك حكمة هذا التناقض ، وأنه كالسالب والموجب للتكامل لا الصراع . وأن إغفال هذه الحكمة استتبع « أحادية النظر » وبالتالى الخلل الناتج عن ترجيح جانب أو « واقع » دون « آخر » ، وماأدى إليه من خلل أو اضطراب ، بل من ثورات أو انقلابات ، وفى النهاية فقدان أو غياب الاستقرار أو السلام المنشود .

ثانيا : المتغيرات حقيقة أخرى قائمة ، ولكنها فى الإسلام تكون « محكومة » أى : فى حدود الثوابت الإلهية ، كالحرية والإخاء والعدل ، والخلق القويم .

وهذا المفهوم أو الأصل الإسلامى يحل أو يعالج الإشكالية الكبرى الأخرى ، التى يعانيها العالم من تحكم الأهواء أو استغلال الحكام أو الأقوياء ، بحيث لا تتحرك أحداث الحياة « ومتغيراتها » اعتباطا أو عشوائيا ، وإنما هى بموجب الإسلام « تحرك منضبط » محكوم بأصول إلهية بهدف « التكامل السليم » أو « التوازن الحقيقى » ، مما لا يهدر حقا أو يلحق ضررا ، وبحيث يسود الرضا والسكينة والسعادة للجميع .

ثالثا : التسليم بالغيبيات والتجريب فى المحسوسات :

وهذا المفهوم أو التوجه الإسلامى يحل أو يعالج إشكالية « العلمانية » من حيث قصر الحياة على المحسوسات وحصر الفكر فى الماديات . وبالتالى ابتعاد الحضارة الحديثة عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى هو غيب ، والذى هو الغاية والوسيلة ، وهو صمام الأمان ، والمراد الأول والأخير بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾

(الانشقاق -٦) .

وأن إغفال أو افتقاد هذا المفهوم أو التوجه الإسلامى ، قد أشقى وأضل الحضارة الحديثة ، وأدى إلى تخبط البشر ومعاناتهم للقلق أو الانحراف ، إذ حق عليهم قوله تعالى :

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (التوبة -٦٧) .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه -١٢٤) .

٣ ـ لقد نبه الإسلام منذ ظهوره من خمسة عشر قرنا إلى حقيقة « ثنائية الحياة » أو الوجود ، بقوله تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(الذاريات ـ ٤٩) .

واسترعى النظر إلى فحوى « المتناقضات » بقوله تعالى :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾

(الأنبياء -٣٥) .

ثم نراه يرشد الإنسانية إلى كيفية ، أو صيغة التعامل مع هذه المتناقضات ، بحيث تقوم « الجدلية الإسلامية » أو « المنهج المعرفى الإسلامى » على أساس « العلاقة التبادلية التكاملية » ، وبحيث تأتى « المتغيرات » فى حدود « الثوابت الإلهية » ، بخلاف « الجدلية الوضعية » أو « المنهج المعرفى الغربى » ، الذى ضل السبيل بقيامه حتى اليوم على أساس « العلاقات المتنافرة الصراعية » ، وبحيث تأتى المتغيرات بحسب أهواء وأمزجة الحكام ، أو ذوى النفوذ ، وما يترتب على ذلك من آثار ونتائج أفسدت حياة البشر وأضلتها .

٤ - إن الإسلام يرفض سائر حضارات وفلسفات « البعد الواحد » التى تغفل حقيقة الحياة ، التى هى كالعملة الواحدة ذات وجهين أحدهما « مادى تجريبى » وثانيهما « روحى غيبى » ، بحيث يكمل كلاهما الآخر ، ولا قوام أو غناء لأحدهما عن الآخر .

وكما أرشدنا القرآن الكريم فإن بداية أى إصلاح أو تقدم ، إنما يكون من خلال ترشيد الفكر وتصحيح المفاهيم ، وصدق الله العظيم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد -١١) .

ورحم الله المفكر الإسلامى الباكستانى محمد إقبال ، حين كان يتمثل حضارة الإسلام بل قل يلخص « جدليته الخاصة » فى قوله تعالى :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

(القصص -٧٧) .

فحقيقة الدنيا أنها دار بلاء واختبار ، وأنها مزرعة الآخرة وجسرها الوحيد للجنة أو النار ، وصدق الله العظيم :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء -٧٢) .

وجماع القول أن الإسلام يربط فكر الإنسان وسلوكه ارتباطا وثيقا بالله - تعالى - وابتغاء وجهه - سبحانه - وخشيته ، ويضع له رسالة سامية يسعد بتحقيقها ، ويصل تكريمه للإنسان بأن سخر له كل ما فى السموات والأرض واعتبره خليفة الله فى أرضه . وإذا كان البشر جميعا يبحثون عن السعادة فتعز عليهم ، فذلك لأنهم يغفلون عن حقيقة السعادة وهى « المعية » مع الله - سبحانه - والطمأنينة إليه تعالى :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(الرعد -٢٨) .

وصدق الله العظيم :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

(الفتح -٤) .

حتى لقد نقل عن أحد الأئمة قوله : (لو علم

الملوك ما نحن فيه من السعادة الروحية لقاتلونا عليه بسيوفهم) الحسن البصرى .

٥ ـ إن عظمة الفكر الإسلامى ، وباعتبار الإسلام خاتم الأديان ، أنه الوحيد بين كل الأديان والنظم الوضعية كافة ، الذى يجيب بكل وضوح وإقناع على ذلك السؤال الأزلى الذى تاهت فيه الأفهام ، وتعددت فيه المذاهب وضلت فيه المسالك ، وهو لماذا خلقنا وإلى أين المصير ، وذلك بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾
(المؤمنون -١١٥) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران ـ ١٤٢) .

ويحدد الإسلام مهمة ورسالة الإنسان بأنه مستخلف من الله فى أرضه بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
(البقرة -٣٠) .

وهذه الخلافة لها وجهان :

الوجه الأول : هو العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وهى « علاقة عبودية » والالتزام بمنهجه بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الذاريات ـ ٥٦) .

والوجه الآخر وهو العلاقة بين الإنسان وكل ما استخلفه عليه ، وهى « علاقة سيادة » على الأرض وتعميرها بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

(هود -٦١) .

ولقد نهض العرب وبلغت الحضارة الإسلامية القمة فى عهدها الأول حين حققت خلافتها بالتزامها هذين الأصلين « العبودية لله » و« السيادة على الأرض » . ثم أفلت هذه الحضارة ، وتخلف المسلمون بقدر ما بعدت حضارتهم أو بعدوا أفرادا وجماعات ودولا عن هذين الأصلين ، ولاشك أن الحضارة العربية اليوم ، وإن حققت بمنهجها التجريبى الذى أخذته عن الحضارة الإسلامية تقدمها المادى والسيادة على الأرض ، إلا أنها قد ضلت وشقيت بانحرافها عن عبودية الله تعالى وتعاليمه ، وهذا هو سر أزماتها ومكمن انهيارها .

٦ ـ وخلاصة القول أن « الجدلية » هى فن أو أسلوب التعامل مع واقع المتناقضات وحقيقة المتغيرات ، ولقد كشف لنا الإسلام منذ ظهوره من أربعة عشر قرنا ونيف عن وجه المتناقضات أو « ثنائية التركيب » فى كل شىء بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(الذاريات ـ ٤٩) .

كما كشف لنا عن وجه المتغيرات ومختلف الأطروحات المستجدة بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

(آل عمران ـ ١٤٠) .

كما كشف لنا عن سبب أو حكمة هذه المتناقضات والمتغيرات ، وذلك باعتبارها تحديات الحياة ومحركها ودوافعها بقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾

(البقرة ـ ٢٥١) .

وباعتبارها ـ أيضا ـ أساس ابتلاء واختبار الإنسان لتحديد موقعه ودرجته فى الآخرة بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

(الأنبياء ـ ٣٥) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾

(محمد ـ ٣١) .

ولم يكتف الإسلام بالكشف عن واقع المتناقضات والمتغيرات ، أو يقتصر على بيان حكمتها وأسبابها ، وإنما أكشف لنا أيضاً عن سبيل أو أسلوب التعامل معها بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(فصلت ـ ٣٤)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (الشمس ـ ٩) .

بل كشف لنا أيضا عن غاية هذا الدفع وحدود هذه التزكية ، وهى التوازن بهدف القرب من الله ـ تعالى ـ بقوله سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن ـ ٧) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾

(الانشقاق ـ ٦) .

٧ ـ وبجدلية الإسلام بمعنى فن أو أسلوب التعامل مع واقع متناقضات الحياة ومتغيراتها ، إنما تكشف لنا عن « المنهج المعرفى الإسلامى » ، وهو على خلاف « المنهج المعرفى الغربى » ، يقوم على نحو ما أوضحنا على أسس ثلاثة رئيسية هى :

أولا : التناقضات هى للتكامل لا الصراع : والإسلام بذلك يعالج إشكالية كبرى تاهت فيها العقول ومختلف النظم الوضعية ، وهى إشكالية « ثنائية التركيب أو زوجية الأشياء » ، وما قد يبدو فيها من تعارض أو تناقض ، والتخبط بين ترجيح أو إهدار جانب على حساب آخر ، وما يستتبعه من خلل واضطراب .

ثانيا : المتغيرات هى فى حدود القيم والثوابت الإلهية : والإسلام بذلك يعالج إشكالية عظمى أخرى هى صميم أزمة الإنسان ، وهى إشكالية التحكم والهوى ونزوات المذاهب الوضعية وتحكمات ذوى النفوذ ، وتضارب الأحكام .

ثالثا : التسليم بالغيبيات وحتمية اعتبار البعد الروحى فى الإنسان : والإسلام بذلك يعالج إشكالية كبرى أخرى ، هى مكمن ضعف الحضارة الغربية ، وجرثومة فنائها حين ابتعدت عن الله ـ تعالى ـ باعتباره غيبا ، وتفرغت للماديات والأشياء ، فحق عليها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(الحشر ـ ١٩)

وكما عبر بعض كتابها بقوله : (إن الرجل الغربى قد انتهى ، لا لأنه فرغ من العلم والتقدم المادى ، ولكنه انتهى لأنه فرغ من الإيمان

والمثل) ، وقوله : (إن حضارة الغرب رفعت الإنسان إلى القمر ، بينما هي غائصة إلى ركبتيها في الأوحال) ، وقد وصف هايدجر عميد فلاسفة القرن العشرين عصر اليوم بقوله : (إنه عصر يبدو كقصر شامخ في منظر كئيب ، سادته يعانون من الأرق والملل والقلق ، وخدامه يقاسون من المرض والجهل والجوع) .

٨ - لقد شقيت الإنسانية عبر تاريخها الطويل وحتى اليوم ، بالجدلية الوضعية ، سواء تلك التي سادت منذ الإغريق على يد أرسطو وأبيقور وغيرهما ، والقائمة على أساس النظريات والثوابت ، وما استتبع ذلك من تجميد الفكر ومعارضة الكنيسة للتقدم العلمي . أو تلك التي تسود عالمنا المعاصر على يد بيكون وهيجل وغيرهما ، والقائمة على أساس التجريب والمتغيرات ، وما استتبع ذلك من قصر الحياة على المحسوسات وحصر الفكر في المتغيرات ، وإخراج الدين والمثل من دائرة الحياة ، والمناداة بتغير المبادىء والقيم الأخلاقية بتغير الأزمنة والأمكنة ، بل الادعاء بأن المثل والأخلاق ليست لها قيمة ذاتية وليست من الثوابت التي يعتد بها ، فكان هذا الانفلات والضياع والفساد الذي يتجرع الجميع مرارته .

وعيب هذه (الجدلية الوضعية) أو هذا (المنهج المعرفي الوضعي) سواء في صورته الحديثة وهي « الجدلية الغربية » أو « المشروع المعرفي الغربي » ، إنها « أحادية النظر » أي (انفصالية التوجه) ، ومن هنا كان أصل الداء ، وكانت أزمة الفكر الوضعي في مختلف مراحله أو صوره ، فإذا كانت (الجدلية اليونانية) قد أغفلت « حقيقة المتغيرات » وأهمية « التجريب » ، فقد أغفلت (الجدلية الغربية) حقيقة « الثوابت » وأهمية التسليم « بالدين والوحي » فيما لا يدركه العقل ولا يصل إليه التجريب .

٩ - إن عظمة الإسلام أنه دون أن يطلع على (المشروع المعرفي الإغريقي) ، وقبل أن ينشأ بقرون نقيضه ، وهو (المشروع المعرفي الغربي) ، وما صاحب كلا منهما من عيوب ومفاسد ، كان له منذ ظهوره منهجه المعرفي المتميز ، والذي هو طوق النجاة وسبيل الخلاص للإنسانية الجمعاء ، ذلك أن (المنهج المعرفي الإسلامي) يجمع بين :

أولا : الثبات والتطور ، فهو إذ يؤكد الثبات في العقيدة والأصول والقيم ، فإنه يسمح بالتغيير في التفاصيل والتطوير أو التعدد في النماذج والتطبيقات ، ولكن دون أي تجاوز ، أو خروج عن مبادئه وأحكامه العامة .

ثانيا : الجمع بين الماديات والروحانيات ، ذلك أنه إذ يدعو إلى الثروة والغنى ، والنظر في الكون والتجريب في المحسوسات ، وعدم التمسك ، إلا بالبرهان ، تراه يدعو إلى الإيمان والتسليم بالغيبيات ، واليوم الآخر ، مما يعجز العقل عن إدراكه أو الإحاطة به .

ثالثا : التوفيق بين المتناقضات : فتراه في كافة تطبيقاته يحرص على المصلحة العامة بقدر حرصه على المصلحة الخاصة ، دون جحد أو نفي إحداهما لحساب الأخرى .

هذا إلى أنه دون سائر المذاهب ، والنظم الوضعية ، ينفرد بربط فكر الإنسان وسلوكه ارتباطا وثيقا بالله - تعالى - ابتغاء وجهه - سبحانه - وخشيته ، ويضع له رسالة سامية يسعد بتحقيقها ، ويصل تكريمه للإنسان بوصفه أنه خليفة الله في أرضه بقوله - تعالى - :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة - ٣٠) .

نسأله تعالى السداد والتوفيق .

العلاقات الاجتماعية في الإسلام

تدعيم للوحدة في المجتمع الإسلامي

للأستاذ الدكتور: محمــد شامــة

تخضع العلاقات بين الكائنات الحية لعوامل شتى ، واتجاهات متعددة ، وتنطلق من أسس متفاوتة المصادر والمنابع ، وظروف مختلفة الملامح والأشكال ، فتتحكم فيها منازع الكائنات الحية المتنافرة ، وتصوغها رغبات الأنواع والأجناس ، وتوجهها ميول الأفراد يمينا أو شمالا ، وتطبعها الجماعات بطابعها الذى ترى فيه أنه يعود عليها بفائدة ، أو يمدها بأسباب البقاء ، فيحميها من عوامل الفناء والهلاك ، ومن هنا يميل الباحثون فى علم الأنثروبولوجيا « أى علم الإنسان » إلى الاعتقاد بأن الصراع بين الكائنات الحية هو قانون الحياة ، فلا يكتب البقاء إلا لمن يتغلب على من حوله ، فالبقاء للأقوى كما أن عملية الصراع بين هذه الكائنات الحية هى ديناميكية التطور .

أثر هذا المفهوم للعلاقات بين الكائنات الحية على فكر بعض المجموعات البشرية ، فاعتنقت مبدأ التفوق بين الأجناس البشرية ، ففضلت جنسا على آخر فى الحقوق والمعاملات ، وكذلك فى التقييم الإنسانى ، وكان من جراء ذلك أن ظهرت بين الناس صور من المعاملات لا تتفق مع ما تتطلبه واقعية الانتهاء إلى جنس واحد هو أصل للناس جميعا ، إذ شاعت بينهم نعرة استعلاء شعب على آخر ، وسيطرت على أذهانهم عقيدة التفاضل بين المجموعات البشرية ، على أساس اللون ، أو البيئة أو العقيدة ، واتخذ سلوكهم مسار استئثار الأفضل بكل أنواع الخيرات الموجودة على ظهر الأرض ، بحيث لا يترك لمن هو أدنى فى البشرية إلا ما يسد به رمقه ، أو ما يحفظ عليه

حياته ، فى حدود ما يؤدى لمن هو فوقه من خدمات ، أى : أن ما يترك له ليس إلا من زاوية حفظ قدرته ، لتنتفع بها المجموعة الأفضل ، فهو بمثابة الحيوان الذى يقدم له الطعام كى يقوى على تأدية ما يطلب منه من خدمات .

ونشأ عن هذا الوضع فى العلاقات الإنسانية صراع بين من يملك ، ومن لا يملك ، ونزاع بين الذين استولوا على كل ما حولهم من الخيرات ، وبين المحرومين الذين لا يجدون ما يقتاتون به ، مما جعل الهوة فى العلاقات الاجتماعية سحيقة وعميقة ، لا تجد لها شطآن ترتكز عليها الصلات الأخوية بين الناس ، ولا قرارا تقف عليه دعائم المحبة والمودة بينهم ، إذ لا توجههم إلا المنافع المادية ، فلا يميلون إلا حيث ينعمون ماديا ، ولا يأنسون إلا لمن يجنون من ورائه مكسبا يزيد من ثرواتهم ، أو جاههم وسلطانهم ، وبهذا ضاعت ملامح العلاقات الإنسانية ، وتلاشت عاطفة الأخوة بين الناس ، فأصبحت نفس الإنسان بهمة ، تلهث وراء المادة ، وتجرى وراء الشهوات الجسدية ، والملذات الجنسية ، حتى أصبح المجتمع البشرى أشبه بغابة يتحكم فيها القوى ، ويسود فيها كل من تجرد من المعانى السامية ، وتعرى من كل أردية الشرف والفضيلة .

ومن هنا كانت تعاليم الإسلام فى مجال العلاقات الاجتماعية ضوابط تمنع الإنسان من التردى فى المجال ، الذى يبعده عن الشعور بالأخوة الإنسانية ، أو يثنيه عن تأدية ما يقوى الروابط الإنسانية بينه وبين أهله ، أو يدعم روح التعاون بينه وبين بنى وطنه ، أو بينه وبين البشر جميعا ، فهى توصيه بالوالدين وبالأقربين ، كما تأمره بمساعدة الضعفاء والمساكين ، وتقديم العون لكل صاحب حاجة ، سواء كان قريبا منه أو بعيدا عنه ، فما دام يطلب العون وهو قادر على توصيل هذا العون له ، فيجب عليه القيام بذلك ، وقد وردت آيات وأحاديث تحث على تأدية هذا الواجب .

ففى باب الوصية بالوالدين يقول الله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

(الإسراء : ٢٣ - ٢٤)

ولا ينبغى أن تتأثر معاملة الابن لوالديه باختلاف العقيدة ، فلا يكون تباين العقيدة أو الرأى سببا فى الإساءة إليهما ، يقول الله تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت : ٨)

وفى آية أخرى يقول له :

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان : ١٥) .

أى : على الرغم من كفرهما ومحاولة ثنيك عن الإيمان بالله ، ينبغى أن تعاملهما برفق ، وأن تقدم لهما العون ، فتذلل كل عقبة تعترض سبيلهما ، وتلبى رغباتهما ، إذ معنى المصاحبة أن تساعدهما على تخطى ما يعترضهما من صعاب ، وأن تكون لطيفا فى معاملتك لهما .

وكما وصى القرآن الكريم الأبناء بالإحسان إلى

الأبناء ، فرض على الآباء حسن تربية الأبناء ، فأمر بأن يختار الأب لابنه أفضل الأمهات ، بمعنى : أن يحسن اختيار زوجته ، التى ستكون أما لأولاده ، حتى لا يجد الأبناء غضاضة فى نسبتهم إليها ، أو يشعروا بمنقصة ، لو كان فى حياة الأم ما يشينها فى المجتمع ، وذلك امتثالا لقول رسول الله - ﷺ - : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس[1] ». كذلك أوصاه بأن يختار لأولاده أحسن الأسماء ، فلا يطلق عليهم أسماء تحمل فى معانيها جانبا من جوانب الانحطاط فى المجتمع ، أو تبعث على السخرية والاستهزاء بهم ، وأن يسعى سعيا حثيثا فى عمله حتى يهيىء لهم تربية حسنة ، سواء كان ذلك فى المأكل ، أو الملبس ، أو المسكن ، وأن يعمل جاهدا على تعليمهم وتثقيفهم بقدر المستطاع حتى يكونوا أعضاء صالحين فى المجتمع ، يستطيعون كسب قوتهم بعد بلوغهم سن العمل - من عمل شريف ، فيقدمون بذلك خدمة لمجتمعهم ، ولأمتهم ، ولا ينسى الأب فى جميع مراحل تربيتهم أن يكون رحيما بهم ، عطوفا عليهم ، مرشدا لهم إلى الطريق المستقيم ، وصدق رسول الله - ﷺ - : إذ يقول : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا[2] » فالرحمة بالصغير تشمل فيما تشمل حسن تربيته وتعليمه ، والمحافظة عليه من قسوة الدهر صغيرا ، ورعايته وتوجيهه شابا ، والإبقاء على حسن العلاقة معه كهلا .

أما العلاقة بين الزوج وزوجته ، فقد رسمها القرآن الكريم على أساس حسن المعاشرة ، ورعاية كل منهما لحقوق الآخر ، وقيام كل طرف بما عليه من واجبات تجاه الآخر ، فلو التزم الجانبان بما رسمه القرآن الكريم لهما ، لرفرفت أجنحة السعادة على حياتهما الزوجية ، ولعاشا فى حب وسعادة ، يحدوهما الأمل فى المستقبل ، ويحف بهما النجاح فى كل ما يباشرانه من أعمال .

فقد وصى الإسلام الرجل أن يظهر لخطيبته ما يؤكد لها أنه يحبها ، وذلك يكون - بالإضافة إلى الظواهر العاطفية ، التى تبدو على ملامح الخطيب عند اللقاء - بتقديم الهدايا لها ، ولو كانت غير ذات قيمة من الناحية المادية ، لأن قيمتها بين المحبين تكمن فيما تعبر عنه من مشاعر تجاه الطرف الآخر ، يقول رسول الله - ﷺ - : « التمس ولو خاتما من حديد[3] » . أى : أعطها شيئا حتى ولو كان ما تعطيه خاتما من حديد ، لأن ذلك يغرس فى قلبها المودة والمحبة ، وما يشاع فى الغرب عن الإسلام من أنه فرض مهرا على الرجل ليشترى به المرأة ليس صحيحا ، لأن المهر ليس إلا رمزا للحب والائتناس بالزوجة ، حيث يشعرها بأنه راغب فيها ، ومستعد للتضحية فى سبيل إرضائها ، وما يقدمه لها هو ملكها ، لا يأخذه أحد منها ، فلا ينطبق عليه أركان الشراء الذى يزعمونه .

فإذا انتقلت معه إلى بيت الزوجية ، فإن السلوك القائم على احترام كل للآخر ، وحفظ حقوق كل طرف ، هو الإطار الذى رسمه الإسلام للحياة الزوجية ، فقد أعطى المرأة الحق فى أن تحتفظ بمالها لنفسها ، وتستثمره كما تشاء

---

(١) نص الحديث فى ابن ماجه : تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء ، وانكحوا إليهم .

(٢) رواه أبو داود وأحمد .

(٣) رواه البخارى .

دون أن يتدخل الرجل ، فى فرض رأى عليها ، أو إرغامها على اتجاه معين ، فهى مستقلة فى المعاملات المادية استقلالا تاما ، أما إذا تنازلت هى عن هذا الحق عن طيب خاطر لزوجها ، فلا يحرم الإسلام عليها ذلك .

كذلك يفرض الإسلام على الرجل القيام بكل ما تتطلبه المعيشة من نفقات ، دون أن يفرض على المرأة شيئا من ذلك ، غير أنه حثها على مساعدة الزوج فى هذا الجانب إذا كان دخله لا يكفى لمتطلبات الحياة ، وذلك لا يكون من باب الإلزام ، الذى يؤخذ بحق القانون والمقاضاة ، بل من باب حسن المعاشرة ، فما دامت هى شريكة حياته ، فينبغى عليها من باب الإنسانية ، أن تقدم له يد المعونة إن كان هو فى حاجة إلى ذلك ، وإلا أصبحت الحياة بينهما فاترة إن لم تصل إلى حد التنافر والتشاحن ، وذلك مخالفة لأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ حيث يقول :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء : ١٩) .

وكما فرض الإسلام على الرجل الإنفاق على بيت الزوجية ، لأن الغالب الأعم فى المجتمعات البشرية أن الرجل هو الذى يسعى لكسب قوت الأسرة ، فرض على المرأة أن ترعى شئون البيت ، وتربية الأولاد بما يضمن للحياة الزوجية عيشة سعيدة ، فإن شاركت المرأة الرجل فى السعى على الرزق ـ أى : إذا خرجت للعمل ـ فيجب على الرجل الا يتركها تتحمل العبء وحدها مضاعفا ، بمعنى ألا يتركها تعمل وترعى البيت دون أن يشاركها على قدر المستطاع ؛ لتخفيف العبء عنها ، ولا ضير فى ذلك ، فقد سئلت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عما كان النبى ـ ﷺ ـ يصنع فى بيته ، فأجابت : « كان [يكون] فى مهنة أهله ـ تعنى خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة »[٤] . . . فيستفاد من هذا الحديث أن النبى ـ ﷺ ـ كان يساعد أهل بيته فيما يقومون به داخل البيت . وعليه فإذا خرجت المرأة إلى العمل ؛ لتساعد فى تحسين الحياة المادية ، فلا أقل من أن يؤدى الرجل ما يخفف عنها عبء العمل ؛ لأن ذلك من حسن المعاشرة التى وصى الله بها فى كتابه العزيز .

فلو التزم كل فرد فى الأسرة بتأدية ما عليه من واجبات إزاء الآخرين ، وحفظ حقوق كل فرد فى الأسرة ، سواء فى ذلك : الآباء والأبناء لقامت الخلية الأولى فى المجتمع على أساس متين ، ولأرسيت قواعد متينة فى مجال الأخلاق ، مما سيكون له أثر فعال فى معاملة أفراد الأسرة مع بنى وطنهم من الأسر الأخرى .

فإذا انتقلنا من الأسرة إلى دائرة أوسع فى المجتمع ، لوجدنا أن الإسلام وصى خيرا بذوى القربى ، وأمر بالمحافظة على صلة الرحم ، فقال الله تعالى :

﴿ وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (الأنفال : ٧٥) .

وقال رسول الله ـ ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى »[٥] . . لأن من لا يرحم قريبه فهيهات أن يكون فى قلبه رحمة لمن لا يمت إليه بصلة قرابة ، ومن لا يقدم العون لمن

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه ابن ماجه والدارمى وأبو داود .

هو أقرب إليه من غيره ، فنادرا ما تكون لديه العاطفة التى تدفعه إلى مد يد المعونة لمن يحتاج إلى المساعدة ، ومن انتزعت من قلبه الرحمة على أهله ، وذوى عشيرته ، فقد فقد الشعور الذى يوجهه إلى العطف على الآخرين من بنى جنسه ، ولهذا كان منهج الإسلام فى تربية الفرد قائما على أساس تعويد الإنسان على العطف والحنان ، لمن يليه فى القرابة أولا ، لأن ذلك أقرب وأسرع فى غرس مبدأ الانتماء إلى المجموع ، ذلك الانتماء الذى يشعر الفرد بأن كيانه مرتبط بوجود الهيئة الكلية لعشيرته ، فيدفعه ذلك إلى المحافظة على كل فرد منها ، ويغرس فيه حب التعاون حتى لا يتصدع الكيان الذى ينتمى إليه ، فيكون فى ذلك فناء وضياع لذاته أيضا .

ولم يطلب الإسلام من المسلم أن يرعى أقرباءه من الجانب المعنوى فقط ، بل حثه على تقديم العون المادى لهم ، لا على اعتبار أن ما يقدمه لهم من باب الإحسان على الفقراء والمساكين ، بل من زاوية أنهم أقرباؤه ، لهم حق فى ماله ، ماداموا عاجزين عن كسب ما يقتاتون به ، يقول الله تعالى :

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الروم : ٣٨)

ويقول :

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة : ٢١٥)

ويقول :

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ (البقرة : ١٧٦)

فيفهم من تقديم حق ذوى القربى فى هذه الآيات على حق غيرهم من الفقراء ، أن لهم المنزلة الأولى فى تقديم العون المادى لهم ، إن كانوا فى حاجة إليه ، وما ذاك إلا لأن الإسلام يريد أن تبنى هذه العلاقة على أساس متين ؛ لأنها اللبنة الثانية - بعد لبنة الأسرة الصغيرة - فى المجتمع ، ولا يستقيم حال أى مجتمع ويشتد عوده إلا إذا كانت الوحدات التى يتركب منها صلبة قوية ، قادرة على مواجهة تيارات الحياة ، وتقلبات الزمن التى تعصف بكل بناء مفككة أوصاله ، وممزقة خيوط الروابط الأسرية فيه ، ولهذا جعل لكل من يقدم شيئا لقريبه أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة ، فقد روى النسائى ، والترمذى ، أن رسول الله - ﷺ - قال : « الصدقة على المسكين صدقة . . وهى على ذى الرحم ثنتان : صدقة وصلة » . .

كما حث الإسلام على رعاية حق الجار ، سواء كان ذلك فى المعاملة ، أو فى تخفيف ما يعانيه الجار من نوائب الدهر ، وكوارث الزمن ، إذ من حق الجار على جاره ألا يصدر منه ما يؤذيه ، أو ينغص عليه صفو هدوئه ، فلا يحدث أصواتا تزعجه ، ولا يأتى من الأعمال ما يلحق الضرر به ، وذلك تنفيذا لأمر الله - سبحانه وتعالى - فى كتابه العزيز حيث يقول :

﴿ وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾

(النساء : ٣٦)

فجاءت الوصية بالجار مع الوصية بعدم الإشراك بالله فى آية واحدة ، وما ذاك إلا لأهمية علاقة الإنسان بجاره فى التعاليم الإسلامية ، لأنها الحلقة التالية ـ بعد حلقة ذوى القربى ـ فى السلسلة الاجتماعية ، التى ينبغى أن تكون متماسكة ، لتقوم الحياة على أساس متين ، وركيزة قوية ، ومما يؤكد أمر الإسلام بالإحسان إلى الجار قول رسول الله ـ ﷺ ـ فيما ترويه عائشة ـ رضى الله عنها : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[٦] . .

فالإسلام يطلب من المسلم أن يتأدب مع جاره ، والمشارك له فى السكن ، سواء كان هذا الجار مسلما ، أو غير مسلم ، إذ يروى أبو ذر عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهم ـ : أنه ذبحت شاة فى بيته ـ أى : بيت عبد الله بن عمر ـ فقال : أهديتم لجارى اليهودى ؟ فإنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . .

فلا يجوز لمسلم أن يأتى من الأفعال ما يؤذى جاره ، فلا يستعمل جهاز الراديو أو غيره من الأجهزة على نحو يزعج جاره ، أو يعكر عليه صفو هدوئه ، أو يقلقه فى فترات الراحة ، أو يشوش عليه أثناء عمله ، الذى يحتاج إلى جو هادىء ، كذلك لا يستخدم النوافذ والشبابيك استخداما يسىء إلى أحد من جيرانه ، ولا يستعمل سيارته بطريقة تقلق النائمين أو تضايق الناس فى مساكنهم ، فتحول بينهم وبين الاستمتاع بالهدوء والراحة ، لأن من يفعل ذلك ، فإنه يرتكب إثما ، قد يخرجه عن حظيرة الإيمان الكامل ، لما يرويه أبو شريح عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه[٧] . . كما ذكروا لرسول الله ـ ﷺ ـ امرأة تصل الكثير ، وتقوم الكثير ، ولكنها تؤذى جيرانها فقال : « هى فى النار » .

كل ذلك ينطوى عليه الأمر بالإحسان إلى الجار ، ذلك أن الإحسان يشمل ـ فيما يشمله عدم إيذاء الجار ، أيا كان نوع هذا الإيذاء ومصدره ، كما يتضمن محاولة التخفيف عنه ، إذا ألم به كرب ، ومساعدته فى حالة احتياجه إلى المساعدة ، فلو ألمت بأحد مصيبة فى عزيز لديه ، أو فيما عنده من مال وجب على الجيران أن يهرعوا لمساعدته كل على قدر طاقته ، وكذلك لو كان فقيرا ، ليس عنده ما يقتات به ، فجيرانه مطالبون بالوقوف معه لاجتياز محنته ، فإن كان فى حاجة إلى عمل ، وجب على من يقدر على تدبيره له ، أن يقوم بهذا الواجب ، وإن كان عاجزا لا يقدر على كسب قوته وجب عليهم العمل على تدبير ما يقتات به ، ولا يتركونه يموت جوعا ، يقول رسول الله ـ ﷺ : « والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم »[٨] .

ومن الأحاديث التى فصلت حق الجار على جاره ، ما رواه معاذ بن جبل ، قال : قالوا : يارسول الله : ما حق الجار على جاره ؟ قال : إن

(٦) رواه البخارى .
(٧) رواه البخارى .
(٨) انظر : مسند أحمد

استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن مرض عدته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإذا مات أتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له ، وإن لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا تخرج بها ولدك ؛ ليغيظ بها ولده »[٩] . .

هذه هى العناية بالجار . . وهى الدعامة الأساسية فى تكوين المرحلة الأولى لوحدة الجماعة . إذ لو قامت وحدة بين الجار وجاره على أساس من المعاونة والمشاركة النفسية ، والوجدانية والمادية ، لأصبحت الجماعة التى تشيع فيها هذه الروح بين أفرادها من أشد الجماعات قوة واتحادا ، وأكثرها إيجابية فى حياتها الخاصة والعامة ، وأصلبها عودا فى مواجهة الأزمات ، وأوفرها إنتاجا فى المجالات المختلفة ، فتكون أسرع فى بناء صرح الحضارة الإنسانية ، التى تنشدها كل شعوب الأرض .

إن الإسلام حين يوصى بالجار خيرا ، لا ينشد إلا سعادة الناس ، التى تنبع أساسا من الطمأنينة فى الحياة ، ولا شك أن إحساس الإنسان بأنه لن يضيع بين جيرانه لهو المصدر الأساسى فى وجود الطمأنينة التى تساعد على العمل المثمر ، فتسعد القلوب ، وتطمئن النفوس .

لم تقتصر تعاليم الإسلام على الحث على رعاية ذوى القربى ، والجار فقط ، بل شملت ـ أيضا ـ الوصية بأن تكون المعاملة بين المسلمين ـ أيا كان موقعهم فى المجتمع ـ قائمة على مبدأ الأخوة التى تقتضى أن يحافظ الإنسان على شعور أخيه ، وأن يكون عونا له ، عندما يحتاج إلى مساعدة ، وذلك بأن يقف بجانبه عند الشدائد ، ويشد أزره فى الملمات ، ويكون درعا يقيه شر المصائب ، وذلك امتثالا لقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١٠] . .

فلا يكمل الإيمان إلا إذا أحس المؤمن أنه عضو فى كيان كلى : هو المجتمع ، وأن من واجبه المحافظة على أفراد هذا الكيان ، كما يحافظ على ذاته ، لأن وجود ذاته لا يتحقق إلا إذا كان الكيان الكلى الذى ينتسب إليه ـ وهو المجتمع ـ سليما كله ، لا يعتوره ضعف فى أى جانب من جوانبه ، ولا تتفكك أوصاله بسلوك كل فرد طريقا خاصا به ، بعيدا عن الجماعة ، وقد حذر الرسول من هذا العمل بقوله : « فإنما يأكل الذئب القاصية »[١١] .

كذلك لا يكون الإيمان صحيحا إلا إذا قامت العلاقة بين المسلمين على أساس من الصدق فى الشعور ، فلا تكون المعاملة قائمة على الخداع والمواربة ، والتناقض بين الظاهر والباطن ،

---

(٩) اتحاف السادة المتقين للزبيدى (٦/٣٠٨ ، ٣٠٩) .
(١٠) البخارى .
(١١) النسائى .

والتضاد بين ما يخفى وما يعلن ، فالمؤمن بالنسبة لأخيه صفحة بيضاء واضحة نقية ، لا تنطوى على جوانب سيئة ، فكما حارب الإسلام الخداع فى علاقة المسلمين بالله ، فطلب منهم أن يكونوا مخلصين فى عبادته فى قوله تعالى :

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۞ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (الزمر : ٢ - ٣) .

نصحهم - أيضا - بألا تنطوى قلوبهم على الغش والخديعة لغيرهم ، فبشر من يصفى قلبه من الأمراض ، التى تهز وحدة المجتمع ، وتهدد كيانه ، بأن الجنة مكفولة له يوم القيامة ، إذ يروى أنس - رضى الله عنه - قال : قال الرسول ﷺ : « إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال لى : « وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

وما يشاع بين الناس من أن الخداع ضرب من الكياسة فى المعاملة ، هو فى واقع الأمر مكر سيىء ، يحاربه الإسلام ، ويدعو إلى نبذه فى العلاقات الاجتماعية ، بل يحتقر كل من يمارسه بهذه الصورة مع إخوانه فى المجتمع ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (القلم : ١٠ - ١١) .

فبهذه الآية الكريمة ينصح المولى - عز وجل - رسوله الكريم بتجنب كل من يسعى إلى الإفساد فى مواربة وخداع ، لأنه إنسان مهين حقير ، لم يرع حقوق إخوانه فى المجتمع ، ولم يحافظ على الروابط الاجتماعية المقدسة ، فسعى إلى الإفساد فيما بينهم ، فارتكب بذلك جرما فى حق الجماعة ، يحتم على كل من يراه أن يحاربه ، ومن أسلوب المحاربة : تجنب هذا الذى يسعى إلى تمزيق العلاقة الأخوية بين الناس .

ويندرج تحت هذا النوع من الخداع ما يعتبره البعض نوعا من اللباقة الدبلوماسية ؛ لأنه عمل ينطوى على الغش والخداع ، الذى يحاربه الإسلام ، فالذى يعلن صداقته للدين وهو يحاربه : مخادع ، والذى يعلن عشقه للحرية الفردية ، أو الشعبية ، وهو شاهر سيفه : مخادع ، والذى يعلن تودده للفقراء ، وهو ممسك عنهم البذل والإعطاء : مخادع ، والذى يعلن حبه للإنسانية ، وهو جلاد أو مستغل : مخادع ، والذى يعلن حسن العلاقة بينه وبين القيم الرفيعة ، والفضائل الإنسانية ، وهو مادى منحرف فى ماديته : مخادع .

فالخداع من أفتك الأمراض ، التى تهدد وحدة المجتمع ، إذ يقطع العلاقة بين أفراده ، ويمزق الروابط التى يقوم عليها بناء الحياة الاجتماعية ، فتقطع أوصال الأمة ، بحيث لا تقوى على بناء ، ولا تستطيع المحافظة على ما لديها من إنجازات حضارية ، بل ينهار كل ما عندها بمجرد وجود هذه الظواهر الاجتماعية ، التى تفكك تماسك الأمة وترابطها ، ومن هنا جاءت آيات عديدة فى القرآن الكريم تحذر المسلمين من العادات السيئة ، التى تؤثر على وحدة الأمة وتماسكها ،



فقال تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ (الأنفال : ٤٦) .

وقال : ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ (فاطر : ٤٣) .

وقال :

﴿ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ۝ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾

(النمل - ٥٠ - ٥١)

فالخداع نوع من أنواع المكر ، وهو من أكثر الأسباب فتكا بوحدة الأمة ، إذ هو يفرقها شيعا وأحزابا ، ويمزقها زمرا وأشتاتا ، ومن هنا كان لابد من الالتزام بما أوصى الله به ؛ لأنه لو نفذ المسلمون ما أمر الله به ، فى مجال العلاقات الاجتماعية ، لصار المجتمع وحدة صلبة ، لا تؤثر فيها عواصف الزمن ، ولا تنال منها كوارث الدهر ، وقد جاء التعبير عن هذا المعنى فى قوله تعالى :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾

(آل عمران : ١٠٣)

وبجانب الوصية بأن تكون المعاملة بين الناس قائمة على الصدق والصراحة ، أمر الإسلام المؤمنين بألا يقفوا موقفا سلبيا إزاء ما يحدث بين إخوانهم ، من نزاعات وخصومات ففرض عليهم التدخل بين المتنازعين بغية الإصلاح فيما بينهم ، فإن تجاوز واحد الخصمين الحدود المشروعة ، فأبى إلا أن يستمر فى المنازعة مع خصمه ، فعلى المسلمين أن يوقفوه عند حده ، ولو اقتضى الأمر قتاله ، يقول تعالى :

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ۝ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾

(الحجرات : ٩ - ١٠)

كذلك أوصى الإسلام بتحقيق العدالة الاجتماعية فى المجتمع ، فلا يجوز لذى قوة وبطش فى المجتمع أن يستغل هذا المركز فى أكل حقوق المواطنين ، ولا يحل لصاحب مال أو جاه أن يستخدمه فى استغلال الناس واستعبادهم ، ولا ينبغى لمن بيده مصادر الطعام والشراب أن يتصرف فيها على نحو يسيء إلى المواطنين ، فكل قادر على تخفيف آلام الناس وتسهيل الحياة عليهم ، وجب عليه أن يقدم ما عنده للمحتاج إليه ، فعلى من يملك المال ، ويباشر استثماره ، أن يراعى أن للآخرين من أفراد المجتمع المحرومين العاجزين عن العمل حقا يتعين عليه أداؤه ، دون انتظار مقابل منهم ، يقول الله تعالى :

﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ (الحديد : ٧)

ويقول :

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

(المعارج : ١٩ ـ ٢٥)

وقد ذكر القرآن الكريم الأصناف الذين يحتاجون إلى العون المادى فقال :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة : ٦٠)

هذا بالإضافة إلى أنه مطالب بإعطاء من يعمل معه حقه بالكامل ، فلا يبخسه أجره على عمل يؤديه ، ولا يكلفه أكثر من طاقته فى العمل ، وإن احتاج إلى عون فى أدائه شاركه فيه ، يقول رسول الله ﷺ : « إخوانكم خولكم (أى خدمكم) . . أطعموهم مما تطعمون أنفسكم ، واكسوهم مما تلبسون ، وإن كلفتموهم بأمر لا يطيقونه فأعينوهم على أدائه »[١٢] .

ويأمر الإسلام صاحب المال الذى يتعامل مع الناس بألا ينقصهم الكيل والميزان فى البيع والشراء ، ولا يخدعهم ، أو يغشهم فى العقود ، التى يبرمها معهم ، ولا يكرههم بطريق مباشر ، أو غير مباشر ، على قبول ما يلحق الضرر بهم . يقول الله تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾

(هود : ٨٤)

ويقول :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾

(المطففين : ١ ـ ٣)

فإذا قامت العلاقة بين المواطنين على أساس الشعور بالأخوة ، فحافظ كل فرد على حقوق الآخرين ، الذين يعيشون معه فى المجتمع ، وبذل من يقدر على العطاء للمحتاجين كل ما من شأنه أن يخفف عنهم عبء الحياة ، والتزم جميع الأفراد بالتواصل بالخير ، والنهى عن المنكر ، لأصبح المجتمع متماسكا قويا ، قادرا على الإنجازات الحضارية ، فى جميع الميادين ، وذلك ماينشده الإسلام للمجتمعات الإنسانية .

---

(١٢) رواه البخارى .



الإسلام وتكريم الإنسان

لفضيلة الشيخ :
أحمد بن محمد طاحون

درس للفرس :

المغيرة بن شعبة أحد دعاة العرب المسلمين الذين تربوا فى مدرسة الدعوة المحمدية ، وعمقت فى شعوره ، وفى ضميره مبادىء الدين الحنيف . . المغيرة بن شعبة لقن قادة الفرس وشعبه فى موقف خاطف درسا كان له أثره العميق ، ودلالاته البعيدة ، إذ وجدهم يكادون يؤلهون قادتهم وأمراءهم ، ويرفعون أقدارهم فوق أقدار العوام من سائر الناس ، فماذا كان من أمر المغيرة مع الفرس وقادتهم ؟

لقد كان المغيرة سفير المسلمين إلى قادة الفرس يعرض عليهم : الإسلام أو الجزية أو الحرب .

فلما دخل المغيرة على رستم بطل الفرس المشهور فى التواريخ والأساطير جلس معه على سريره ، ففزع أعوان رستم ، واستكبروا هذه الجرأة من ذلك البدوى ذى المظهر البسيط ، فاجتذبوه من مكانه على السرير فى عنف شديد فما اهتز المغيرة ، ولا تغير ، ولا استكان ولا أخذته رهبة المظهر ، أو أسوة اللقاء . . ولكنه وقف وفى هدوء وعمق لقنهم درسا فى بناء الأمم ، وسياسة الشعوب إذ قال لهم : « لقد كانت تبلغنا عنكم الأحلام - العقول - ولا أرى أسفه منكم ، إنا معشر المسلمين ، لا يستعبد بعضنا بعضا ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى - أى نتساوى - فكان أحسن من الذى صنعتموه معى ، أن تخبرونى ، أن بعضكم أرباب بعض . إن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ، ولا يصنعه أحد ، وإنى لم آتكم ، ولكن دعوتمونى ، اليوم علمت أنكم مغلوبون وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول » .

يا أخى المسلم : إنها كلمات من ذهب ولو كان فيمن سمعها من الفرس ، من يضارع المغيرة لقال فى جوابه : واليوم علمنا أنكم أيها المسلمون غالبون ، وأن أحق الملك أن تقوم له قائمة لهو الملك الذى قوامه من هذه السيرة ، ومن هذه العقول .

فالمغيرة بن شعبة يدرك بثاقب فكره ، علة العلل فى انهيار دولة كبرى كدولة فارس . . حين لمح الفزع ينتاب وجوه القوم ، لما فوجئوا برجل أعرابى ، بسيط المظهر ، يجرؤ على أن يكون جليس رستم القائد المقرب وفى سرير واحد وهذا أمر ما ألفه شعب فارس ، ولا سمع عنه فى آبائه الأولين . . ولكن المغيرة وهو متخرج من مدرسة محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يترك الموقف حتى يكشف لهم جانبا من أخلاق الإسلام فى المساواة ، والإخاء وكيف أن الإسلام بهذا الخلق ، وبهذه السيرة الكريمة العطرة سيزيل كل البقايا العفنة لاسترقاق الإنسان ، والتعالى عليه وقد كان .

الإسلام رحمة :

نقرأ هذا أيها الإخوة عن حضارة فارس ، ونتأمله لنرى البون الشاسع ، بين ما كان عليه البشر قبل الإسلام ، وبين ما صاروا إليه بعد أن بعث الله إلى الناس كافة رسوله وحبيبه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إذ رفع عن كاهل الناس نير الظلم ، وساوى بينهم ، ورفق بضعافهم ، وجعل العلاقة بينهم قائمة على المودة ، والاحترام المتبادل ، ورعاية الحقوق وصارت منزلة الإنسان تقاس بنقاء نفسه ، وصفاء روحه ، وصلاح دينه وتقوى قلبه ، وصار أكرم الناس ، وأعز الناس هو الذى يقول فيه المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ موجها ومرشدا : « من احب أن يكون أكرم الناس ، فليتق الله ، إن خياركم أحاسنكم أخلاقا ، وأحبكم إلى الله ، أنفعكم لعباده » .

لا فضل إلا بالتقوى والصلاح :

فتقوى الله ، وحسن الخلق ، ثم جهود الفرد من خدمة الجماعة ونفعها ، وسعيه فيما يصلح شأنها . وذلك هو الميزان الذى توزن به الأقدار ، ويكون به فضل المرء ورجحانه . . لا بمجرد الحسب ، أو النسب ، أو الجاه والنسب فالناس جميعا عائلة واحدة والميزة بينهم تكون بتقوى الله ، والصلاح .

مساواة :

ولنتأمل الخبر التالى لنرى كيف كان الرسول الهادى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يربى أصحابه على هذا النمط العالى من السمو الإنسانى :

روى جندب بن جنادة الغفارى عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قاولت رجلا عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت له : ياابن السوداء ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « طف الصاع طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل » قال أبو ذر : فاضطجعت وقلت للرجل : قم فطأ على خدى .

تطبيق عملى :

ثم لننظر فى الخبر التالى لنرى كيف كان أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطبقون آداب النبوة ، ويتخذون سنته وهديه قانونا لحياتهم فما كانت مبادىء الإسلام إلا لتطبق ، وما كانت السنة النبوية وآدابها إلا لتحتذى : فقد اجتمع بباب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سهيل بن عمرو ابن الحارث ، وأبو سفيان بن حرب فى جمع من سادة العرب ينقطع ندهم بين العظماء وكان ممن حضر إلى باب عمر فى نفس الوقت صهيب

الروحى وهو مولى أجير ، وبلال الحبشى وهو مولى فقير أيضاً ، ولكنهما كانا من السابقين إلى الإسلام ، وشهدا بدراً فأذن لهما عمر رضى الله عنه ـ قبل علية القوم .. فضجر أبو سفيان بن حرب وغضب وقال لصاحبه : لم أر كاليوم قط يأذن عمر لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه ؟ أما صاحبه سهيل فكان حكيما فقال موجها الكلام لأبى سفيان وأصحابه : أيها القوم إنى والله أرى الذى فى وجوهكم . إن كنتم غضابا ، فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم إلى الإسلام ، ودعيتم ، فأسرعوا ، وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟ » .

وعمر ـ رضى الله عنه ـ إنما يقدم من يقدمه عمله وسبقه إلى الإسلام ، ويؤخر من يؤخره عمله ، ولا عليه من غضب الغاضبين ولوم اللائمين .

عاتب الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ألم يسمع عمر ـ رضى الله عنه ـ نبيه وحبيبه وقدوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين كان يلقى عبد الله ابن أم مكتوم ، فيبتسم له ويقول : أهلا بمن عاتبنى الله فيه .. أهلا بمن عاتبنى الله فيه .

ولم عاتب الله سبحانه وتعالى نبيه ؟ لقد عاتبه سبحانه وتعالى حين أقبل عليه السلام على جماعة من علية القوم يدعوهم إلى الإسلام ، وجاءه ابن أم مكتوم الأعمى ، يسأله ، ورسول الله مقبل على القوم ، ومعرض عن عبد الله فأنزل الله على نبيه :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴾

سورة عبس ١ ـ ١٠ .

ألا ما أعظم هذه الدروس أين نحن المسلمين من آداب الإسلام أو من أخلاق نبى الإسلام ونحن فى عصرنا الحاضر أحوج إلى هذه الدروس ، وأحوج إلى الاقتداء بنبى الهدى والرحمة لنعيد إلى أمة الإسلام سيرتها الأولى أمة واحدة تدين نفسها بالمثل العليا ، وبالمبادىء الخالدة وبأخلاق النبوة الهادية وتعتصم بحبل الله ، وتأخذ نفسها بدستور الإسلام فى كل شئون حياتها وبذلك نكون نحن المسلمين جديرين بالانتماء إلى الإسلام ، وإلى نبى الإسلام .

حاجة عصرنا إلى الإسلام :

لقد آخى الإسلام بين بنى البشر إخاء كريما قائما على أسس سليمة وقويمة ، فالإنسان كرمه الله ـ عز وجل ـ والعلاقة بين الناس ينبغى أن تقوم على الاحترام ورعاية الحقوق وأداء الواجبات ، ومن حق كل من يعيشون فى ظلال دولة الإسلام أن يجدوا الأمن والعدل والمواساة ، وأن يحيوا حياة كريمة ، مع اختلاف الدين ، وتباين اللغات والألسنة والله ـ عز وجل ـ يقول لعباده :

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ (الممتحنة ٨)

وفى ظلال دولة الإسلام يرفق الناس بعضهم ببعض ، ويتواضع بعضهم لبعض ، ويرحم قويهم ضعيفهم ، ويواسى غنيهم فقيرهم فلا ترفع ولا تكبر بسبب الجنس أو اللون أو الدين ..

فما أحوج عصرنا هذا إلى الإسلام ومبادئه العالية .



الفاروق

عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

٤

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

ثم ورد إلى أبى عبيدة كتاب من عمرو بن العاص الذى كان يعسكر بالجيش فى الجابية جاء فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن أهل إيليا وكثيراً ممن كنا صالحناهم من أهل الأردن قد نقضوا العهد فيما بيننا وبينهم ، وذكروا أن الروم قد أقبلت إلى الشام بقضها وقضيضها ، وإنكم قد خليتم لهم عن الأرض ، وخرجتم منها ، وأقبلتم منصرفين عنها ، وقد جرأهم ذلك علىّ وعلى من قبل من المسلمين . وقد تراسلوا وتواثقوا وتعاقدوا ليسيرن إلىّ . فاكتب إلىّ برأيك . فإن كنت تريد القدوم علىّ أقمت لك حتى تقدم . وإن كنت تريد أن تنزل منزلا من الشام أو من غيرها وأن أقدم عليك ، فأعلمنى برأيك أوافك فيه ، فإنى صائر إليك أينما كنت . وإلا فابعث إلى مددا أقوى بهم على عدوى ، وعلى ضبطى ما قبل ، فإنهم قد أرجفوا بنا ، واغتمزوا فينا ، واستعدوا لنا . ولو يجدون فينا ضعفاً ، أو

يرون فينا فرصة ما ناظرونا . والسلام عليك »[1] .

فكتب إليه أبو عبيدة بن الجراح :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فقد قدم عليّ عبد الله بن عمرو بكتابك تذكر فيه إرجاف المرجفين واستعدادهم لك وجرأتهم عليك للذى بلغهم من انصرافنا عن الروم وما خلينا لهم من الأرض . فإن ذلك ، والحمد لله ، لم يكن من المسلمين عن ضعف من بصائرهم ، ولا وهن من عدوهم ، ولكنه كان رأياً من جماعتهم كادوا به عدوهم من المشركين ، ليخرجوهم من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم ، وليجمع بعض المسلمين إلى بعض ويجمعوا من أطرافهم وينضم إليهم من كان فى قربهم . وينتظرون قدوم أمدادهم عليهم ، ثم يناهضونهم إن شاء الله تعالى . وقد اجتمعت خيلهم ، وتتامت فرسانهم ، ونثقنا بنصر الله أولياءه وإنجاز موعده وإعزاز دينه وإذلال المشركين حتى لا يمنع أحدهم أمه ولا خليله ولا نفسه حتى يتوقلوا فى رؤوس الجبال ، ويعجزوا عن منع الحصون ، ويحتجوا للسلم ويلتمسوا الصلح . وسنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً . ثم أعلم من قبلك من المسلمين أن قادم عليهم بجماعة أهل الإسلام إن شاء الله ، فليحسنوا بالله الظن . ولا يجدن أهل حربكم وعدوكم فيكم ضعفاً ولا وهناً ولا فشلاً ، فيغتمزوا فيكم ، ويتجرأوا عليكم ، أعزنا الله وإياكم بنصره ، وألبسنا وإياكم عافيته وعفوه والسلام عليك »[2] .

وفى تلك الأثناء احتشدت جيوش الروم قرب أجنادين يقودهم أحد دهاتهم ويدعى (أرطبون) فلما علم عمر بن الخطاب بذلك كتب إلى عمرو ابن العاص يأمره بالمسير إليه وقال قولته المشهورة « قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب » .

وسار عمرو بالجيش على ميمنته ابنه عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكى من بنى مالك بن كنانة ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، حتى وصل إلى الرملة حيث كان الروم .

ومكث عمرو زمنا لا يقدر على (أرطبون) ، فتسلل إلى معسكر الروم قاصدا مقابلة (أرطبون) على أنه رسول قائد جيش المسلمين عمرو بن العاص ، قاصدا من ذلك التعرف على جيش الروم لعله يجد ثغرة ينفذ إليهم منها ، فلما لقيه أرطبون أيقن من حواره معه أنه هو نفسه عمرو بن العاص وقرر أن يقتله وفطن عمرو إلى ذلك فقال للأرطبون : « أيها الأمير إنى قد سمعت كلامك وسمعت كلامى ، وإنى واحد من عشرة بعثنا عمر ابن الخطاب لنكون مع هذا الوالى لتشهد أموره وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت » فوافق الأرطبون وترك عمرا يرحل فقام

---

(1) الوثائق السياسية ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(2) المصدر السابق ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

عمرو فذهب إلى جيشه ، وتحقق أرطبون من أنه عمرو بن العاص فقال : « خدعنى الرجل هذا والله أدهى العرب » وعلم عمر بن الخطاب بما حدث فقال : « لله در عمرو » وشهدت أجنادين قتالا مشهودا لم ينته إلى نتيجة حاسمة [1].

كتب عمرو إلى أهل إيلياء (بيت المقدس) يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيليا . سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله العظيم الذى لا إله إلا هو ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم . أما بعد فإننا نثنى على ربنا خيراً ، ونحمده حمداً كثيراً ، كما رحمنا بنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وشرفنا برسالته ، وأكرمنا بدينه ، وأعزنا لطاعته ، وأكرمنا بتوحيده والإخلاص بمعرفته . فلسنا ، والحمد لله ، نجعل لله ندا ، ولا نتخذ من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا . سبحانه . ونحمده ، جل ثناؤه . والحمد لله الذى جعلكم شيعا ، وجعلكم فى دينكم أحزاباً بكفركم ، فكل حزب بما لديهم فرحون . فمنكم من يزعم أن لله ولداً ، ومنكم من يزعم أن الله ثانى اثنين ، ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة . فبعداً لمن أشرك بالله ، وسحقاً . وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

والحمد لله الذى قتل بطارقتكم ، وسلب عزكم ، وطرد من هذه البلاد ملوككم ، وأورثنا أرضكم ودياركم وأموالكم ، وأذلكم بكفركم بالله وشرككم به ، وتركك ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله ورسوله . فأعقبكم الله الجوع والخوف والذل والهوان بما كنتم تصنعون . فإذا أتاكم كتابى هذا فأسلموا تسلموا ، وإلا فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتاباً ، أماناً على دمائكم وأموالكم ، وأعقد لكم عقداً تؤدوا إلىَّ الجزية عن يد وأنتم صاغرون . وإلا فوالله الذى لا إله إلا هو ، لأرمينكم بالخيل بعد الخيل وبالرجال بعد الرجال ، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة ، وأسبى الذرية ، وتكونوا كأمة كانت ، فأصبحت كأنها لم تكن » [2].

فرد عليه أهل إيلياء بقولهم :

« أما بعد فإنك كتبت إلينا كتاباً تزكى فيه نفسك وتعيب ما نحن عليه . والقول بالباطل لا ينتفع به أحد نفسه ، ولا يضربه عدوه وقد فهمنا ما دعوتنا إليه . وهؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاءوكم . فإن أظهرهم الله عليكم ، فذلك بلاؤه عندنا فى القديم . وإن ابتلانا بظهوركم علينا ، فلعمرى ليقرن لكم بالصغار ، وما نحن إلا كمن قد ظهرتم عليه من إخواننا ، ثم دانوا لكم فأعطوكم ماسألتم » [3]

فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يقول :
« إنى أعالج حربا كؤودا صدوما وبلادا ادخرت

---

(1) البداية والنهاية ٧/ ٦٠ ، ٦١ .
(2) الوثائق السياسية ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .
(3) المصدر السابق ص ٤٧٥ .

لك فرأيك » وكان أبو عبيدة وقد وصل إلى إيلياء على رأس جيشه قشدد مع عمرو بن العاص الحصار على إيلياء ، ولكنها امتنعت عليهم ورأى صاحبها أن يصالح أحدا سوى عمر بن الخطاب نفسه ، فكتب أبو عبيدة إليه يخبره بذلك ، فاستشار عمر الصحابة ، فأشار عليه عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم ، فى حين أشار على بن أبى طالب على عمر بأن يسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين فى حصارهم ، فهوى عمر ماقال على ومال إليه وسار على رأس جيش إلى الشام على مقدمته العباس بن عبد المطلب ، واستخلف على المدينة على بن أبى طالب .(١).

ووصل عمر إلى حيث جيوش المسلمين حول إيلياء فتلقاه أبو عبيدة وهم بتقبيل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبى عبيدة فكف الاثنان ، ثم سار عمر إلى أهل إيليا وصالحهم وجاء فى كتاب الصلح :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولايضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية ، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصلبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيعهم ، وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة »(٢)

استشهاد أبى عبيدة :

ماأن تم للمسلمين فتح الشام وجاء العام الثامن عشر للهجرة حتى فجع المسلمون بطاعون عمواس الذى انتشر فى أرجاء الشام ومات فيه ما يقرب من خمسة وعشرين ألفا ، على رأسهم أبو عبيدة عامر ابن الجراح قائد جيوش الشام الذى أبى إلا الشهادة وسط رجاله وكان بإمكانه الخلاص ذلك أن

---

(١) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ٣/٦٠٩ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ٢/٥٥٨ .

الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - علم بأمر الطاعون فأراد أن يستخلص أبا عبيدة، فكتب له : «أن سلام عليك، أما بعد فقد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فإذا أتاك كتابى هذا فإنى أعزم عليك إن أتاك ليلا ألا تصبح حتى تركب، وإن أتاك نهارا ألا تمسى حتى تركب إلى فإذا أنت نظرت فى كتابى هذا ألا تضعه من يديك حتى تقبل»[1].

فأدرك أبو عبيدة مقصد عمر فكتب إليه : «يا أمير المؤمنين قد عرفت حاجتك إلىّ وأنك تستبقى ماليس بباق وإنى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فىّ وفيهم أمره وقضاءه، فحللنى من عزمتك».

فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس : «ياأمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟» فقال : «لا، وكأن قد»[2].

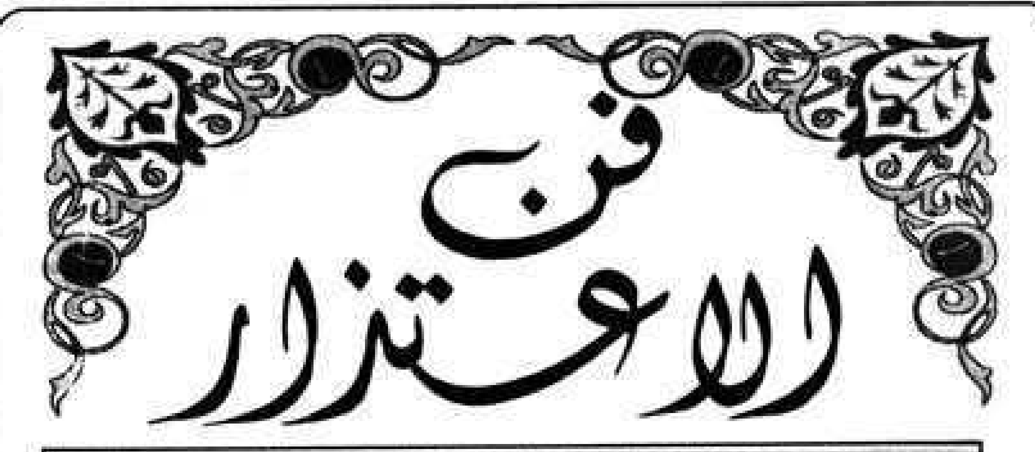
ومعاذ بن جبل :

خلف معاذ بن جبل أبا عبيدة على جيوش الشام بأمر من أبى عبيدة قبل وفاته فكتب معاذ إلى أمير المؤمنين : «لعبد الله عمر أمير المؤمنين من معاذ بن جبل، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الذى لا إله إلا هو، أما بعد : فاحتسب امرءا كان لله أمينا وكان الله فى عينه عظيما، وكان علينا وعليك، يا أمير المؤمنين، عزيزاً : أبا عبيدة بن الجراح غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبه وبالله نثق له، كتبت إليك وقد فشى الموت وهذا الوباء فى الناس ولن يخطىء أحد أجله من الموت، ومن لم يمت فسيموت جعل الله ما عنده خيرا لنا من الدنيا، وإن أبقانا وإن أهلكنا فجزاك الله عن جماعة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته، ورضوانه وجنته والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[3]

ولم تمض أيام على هذا الكتاب حتى تلقى عمر ابن الخطاب كتاب عمرو بن العاص ينعى فيه معاذ ابن جبل جاء فيه : «لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد : فإن معاذ ابن جبل رحمه الله مات، وقد فشى الموت فى المسلمين وقد استأذنونى فى التنحى إلى البر، وقد علمت أن إقامة المقيم لا تقربه من أجله، وأن هروب الهارب منه لا يباعده عن أجله، ولا يدفع به قدره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[4].

«يتبع»

(١) البداية والنهاية ٦٠/٧ ، ٦١ .
(٢) البداية والنهاية ١٠٤/١٠٣/٧ ، الطبرى ٩٣/٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ٥٥٨/١ .
(٣) الوثائق السياسية ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٩٠ .



فن الاعتذار

خُلق إسلامي فقدناه

للأستاذ : أحمد إبراهيم هلال (*)

لقد أشرق على الكون نور الإسلام ، ليخرج الناس مما هم فيه من الظلمات إلى النور ، وحمل المصطفى - صلى الله عليه وسلم - جذوة ذلك النور ، بل كان - صلى الله عليه وسلم - هو جذوة النور ذاتها ، التى أهداها الله إلى الناس كافة ؛ لترقى بها أرواحهم ، وتتزكى نفوسهم ، وتنتظم علاقاتهم ، وكان نور النهج الإسلامى شاملا ، وغامرا ، وفياضا ، فمهد وبين وحصن السبل بين المسلمَ وربه ، وبين المسلم ونفسه ، وبين المسلم وجميع الخلق ، وبين المسلم والكون كله ، وأخذ بأيدينا فى حرص وحنو وأناة إلى سعة أمان الله ، ورحابة رحمته ، وواسع عفوه وفضله ، ولقد فرط كثير من المسلمين فى صيانة تلك السبل واجترءوا عليها وأعملوا فيها معاول الذاتية والهوى .

والتسامح والاعتذار عما يدر من المسلم فى حق غيره من الناس ، هو من تلك السبل ، التى أهملها وضيعها كثير من المسلمين - فالمسلم يسعى فى الحياة - ممتثلا لأمر الله - ابتغاء إعالة نفسه

(*) باحث إسلامى متفرغ - حاصل على درجة الماجستير فى العلوم الإسلامية .

وأبنائه وآل بيته ومن يلزمه تدبير نفقاتهم) واحتياجاتهم المختلفة ، وفى أثناء ذلك قد يؤذى ـ بقصد أو بغير قصد ـ بعضاً ممن يحيط به من الناس ، وذلك بالفعل ، أو بالقول ، أو بالإشارة ـ مما يترك أثراً فى نفوس من آذاهم ـ إن لم يتم تداركه ـ يتعاظم مع الوقت ، ويشكل حائلا ؛ لصفاء التعامل ، ويخلق جفوة بين النفوس ، ويشيع أجواء من التربص ، ويضيع الوقت بالشكوى ، والغيبة والنميمة ، وينقسم الناس بين مؤيد ومعارض ، ومدافع ومهاجم ، وتفشو الفرقة والقطيعة ، وكل ذلك يمكن منعه ومعالجته بالاعتذار الرقيق المهذب ـ وإقرار المخطىء بخطئه ، واستعداده لتحمل تبعات خطئه ـ عن طيب نفس ، حيث ذلك من صميم خلق الإسلام .

واعتذار المخطىء لمن أخطأ فى حقه لا يضع من مكانته ، ولا يحط من قدره ، بل يزيده رفعة وقبولا ، عند الله وعند الناس .

وكيف لا ، والمصطفى الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ يضرب لنا المثل تلو المثل ـ فها هو يعرض جسده الشريف ، وكل ما يملك ؛ وفاء لمن يكون قد مسه بسوء ، أو أخطأ فى حقه ، أو أخذ منه شيئاً بغير رضا .

وما فعل سيد المرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من ذلك من شىء فهو الذى أدبه ربه ، فأحسن تأديبه ، ولكنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلمنا ويرشدنا إلى ما تصفو به النفوس ، وتسمو به الأرواح ، ومن ذلك يتضح لنا بجلاء : أن الاعتذار عن الخطأ ـ حتى وإن كان مظنون الحدوث ـ واجب على من يخطىء من المسلمين ، أميرهم وحقيرهم ، كبيرهم وصغيرهم ، حاكمهم ومحكومهم .

ولكن يكون الاعتذار مؤديا واجبه الإسلامى ، يجب أن يكون صادقا ، ومعبرا عن شعور حقيقى بالخطأ ، لأن ذلك وحده هو الذى يؤدى إلى العصمة من تكرار الخطأ ، وبالتالى العصمة من تكرار الاعتذار ، وإلا أصبح الأمر ملهاة ، وأصبح الدواء داء .

وأولى الناس بالاعتذار إليهم عما ارتكب فى حقهم من خطأ ، هما الوالدان ، لما لهما ـ فى الإسلام ـ من عظيم الفضل ، وعلو المكانة ، والخطأ فى حقهما من قبل أبنائهما ، هو من كبائر الذنوب ، ويجلب الخسران والبوار فى الدنيا والآخرة ، حتى وإن جاهداك لتشرك بالله ما ليس لك به من علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، أما وإن حدث ، فباب التوبة أرحب وأوسع ، من أن يوصد فى وجهه معتذرا ، مقرا بذنبه ، يرجو السماح والعفو ثم تتوالى بعد ذلك درجات من هم أولى بالاعتذار ، حال الخطأ فى حقهم ـ فتجد المعلمين ، والمربين والقائمين على أمر التنشئة يأتون فى مرتبة متقدمة ، فهم الذين

يتعهدون العقول والأفئدة بالتنوير والتزكية ، ورحم الله شاعرنا القائل :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

ولكننا للأسف ـ نجد أنه قد فشت ظاهرة سوء الأدب والبذاءة والتعالي ، وتدنى تعامل الطالب والدارس مع أستاذه ومعلمه ووصل الأمر أحيانا إلى التطاول باليد واللسان ، فكيف لأمة لا تحترم معلميها ولا تضعهم موضعهم الأسمى أن تتقدم وترنو الى مستقبل أفضل ، وصلى الله على الرسول الأمين القائل : « إن العلماء ورثة الأنبياء » رواه ابن ماجه في السنن [1] .

ثم يأتي بعد ذلك أهل القرابة والرحم على اختلاف درجاتهم ، ونستطيع ـ في يقين ـ أن نقرن بهم الجار ، وما أدراك ما الجار فالقرآن الكريم أوصانا به ، والرسول الهادي الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ بأيدينا فعلا ، وقولا ، وتقريرا ، في هذا السبيل ، وكأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينظر بعين الغيب ، كم جار الجار على جاره ، وكم فضح الساتر سر مستوره ، وكم ضاق كثير من الناس من أذى جيرانهم ، فطلبوا الرحيل ، أو انكفأوا على أنفسهم كمدا إلا أن يجدوا إلى الفرار سبيلاً .

فلا حفظ للسر ، ولا عون في الشدائد ، ولا حرمة للعرض ، ولا مشاركة في الكرب ، وقبل ذلك ، وبعد ذلك لا اعتذار عن إسراف في حقهم .

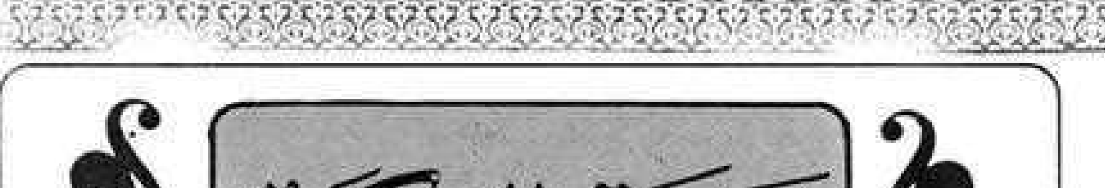
فيا أمة الإسلام رفقا بأنفسكم ، ورفقا بالجار ، فكلكم جار ، وكلكم مأمور بالإحسان إلى جاره ، مأمور بالاعتذار إليه حال الخطأ في حقه .

ثم تأتي بعد ذلك دائرة أوسع ، لتشمل جميع المسلمين رجالهم ونساءهم ، أطفالهم وشيبتهم ، فالكل في حق الأخوة سواء . .

وأخيرا تلتئم كل تلك الدوائر في الدائرة الأعم والأشمل ، وهم الخلق جميعا على كافة مللهم وأشكالهم ، فالمسلم الحق هو الذي يجاهد في أن يحفظ جوارحه ـ ظاهرها وخفيها ـ عن الخطأ في حق أي إنسان ، وهو الذي يسارع أيضا إلى الاعتذار عما بدر منه ، من خطأ في حق أي إنسان ، وذلك الاعتذار القريب ـ ما أمكن ـ من الخطأ ، والأكرم أن يكون قرين الخطأ ولصيقه ، فتبادل الاعتذار الجميل ، وتبادل التجاوز عن الخطأ ، وتبادل الود والابتسام ، كل ذلك يخفف كثيرا من الضغط العصبي والنفسي الذي يعاني منه إنسان ذلك العصر ، ويؤدي إلى أن تهون أمامه كثير من الصعاب ، التي يلقاها ، فيقبل على الحياة بخطى أوثق ، وأمل يتجدد في غد أفضل ، فتجتمع القلوب ، وتتكاتف السواعد ، في صنع مجتمع فاضل لخير أمة أخرجت للناس .

---

(١) جـ ١ / ٨١ من حديث طويل ، حديث رقم ٢٢٣ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .





حبة البركة

إعجاز إلهى فى خلقه!

للأستاذ: عبد العليم عبد السميع غزى

عرف الإنسان حبة البركة (الحبة السوداء) واهتدى إلى فوائدها منذ زمن طويل وقد عرفها قدماء المصريين منذ عشرين قرنا قبل ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ ووردت فى بردياتهم ، وكانوا يعرفونها باسم (شنتت) ، وظل الناس يستخدمون هذه الحبة السوداء بفطرتهم ، إلى أن جاء رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ ليؤكد فوائدها فى الشفاء من كل داء ، وكان الأطباء المسلمون يعالجون بها مرضاهم ، حيث كان العلاج فى تلك الآونة يعتمد على الأعشاب ، ولم يكن الطب التجريبى قد عرف بعد ، وظلت طرق العلاج بالحبة السوداء يتناقلها جيل بعد جيل ، حتى أيامنا هذه .

ولم يكن لهذه الحبة السوداء ـ ذات التاريخ العلاجى الطويل ، وإلى أن توجت قيمتها بحديث نبوى شريف ـ لم يكن لها نصيب من البحث ، مع التقدم العلمى ، الذى بدأ مع مطلع القرن التاسع عشر ـ اللهم إلا القليل من البحوث المنفردة هنا وهناك . .

بعض فوائدها:

وقد روى البخارى فى صحيحه ، عن خالد بن سعد قال : خرجنا ومعنا غالب بن أبجر فمرض ، فقدمنا المدينة وهو مريض ، فعاده ابن أبى عتيق ، فقال لنا : عليكم بالحبة السوداء فخذوا منها خمساً أو سبعا فاسحقوها ثم اقطروها فى أنفه بقطرات زيت منها .

وورد - أيضا - عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : سمعت رسول الله يقول : « إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام » قلت : وما السام ؟ قال : « الموت[1] .

وفى كتاب « منهاج البيان فيما استعمله الإنسان » لأبى على يحيى بن جزلة الطبيب البغدادى المتوفى ٣٩٣ هـ يقول : « إن حبة البركة تسمى الشونيز .. وهو حريف وأجوده الرزين ، وهوحار يابس مقطع للبلغم ، ومحلل للرياح والنفخ ، ويقطع الثآليل والخيلان ، والبهق ، والبرص ، والجرب ، وينفع فى الزكام العارض .. » وفى كتاب القانون لابن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ يقول : « الشونيز حريف قطع للبلغم ، وجلاء يحلل الرياح والنفخ وتنقيه بالغة يقطع الثآليل المنكوسة والخيلان والبهق والبرص خصوصاً ، ويجعل مع الخل على البثور اللبنية ويحل الأورام البلغمية والجرب المتقرح وينفع فى الأوجاع المزمنة فى الرأس ، ومن اللقوة وطبيخه بالخل ينفع من وجع الأسنان مضمضة ، وخصوصاً مع خشب الصنوبر ، ويقتل الديدان ، ويدر الطمث إذا استعمل أياما ، ويسعى بالعسل والماء الحار للحصاة فى المثانة والكلى .. » وورد أيضا فى كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لعبد الله بن أحمد الأندلسى المالقى العشاب المتوفى عام ٦٤٦ هـ بنفس وصف ابن سينا أو هو أقرب إليه ، وأيضا فى كتاب (المعتمد فى الأدوية المفردة) أيضا فى كتاب « تذكرة الألباب » لداود الأنطاكى وغيرها من كتب الأدوية والأغذية فجلها لم يترك هذا النبات إلا وأورد له العديد والعديد من الفوائد .

وكان حقا علينا أن نورد للقارىء مكونات هذا النبات ، حتى يطلع على أسراره الكيميائية وهى كالتالى :

١ - الزيت الثابت : وهو يمثل ٣٢ : ٣٨٪ من وزن الحبوب الجافة والذى يتم استخلاصه بالمذيبات .

٢ - الزيت الطيار : ويتم استخلاصه من الزيت الثابت أو من البذور المطحونة بالتقطير بالبخار ويمثل ١,٤٪ من البذور الجافة .

٣ - صابونين : ويمكن فصله بنسبة ١٣,٥ جم . من كل كيلو من البذور الجافة .

٤ - الكلويدات .

٥ - استيرولات مثل الكوليسترول وبيتاسيتوستيرول .. وغيرهما .

٦ - فلافونديدات مثل أميفيرول وكيورستين .

٧ - أنزيمات متنوعة منها الليبز .

٨ - الكوماريتات . وهى مجموعة كيميائية معروفة بتأثيرها فى منع تجلط الدم .

٩ - أحماض أمينية .

١٠ - أحماض دهنية منها الأوليك والليفوليك والأستياريك والميريستيك .

١١ - أحماض الأسكوريك (فيتامين ج) ومشتقاته .

١٢ - البروتينات المتنوعة والأملاح .

---

(١) ابن حجر ، فتح البارى ، ١٤٣/١٠ ، كتاب الطب ، باب الحبة السوداء .

١٣ ـ مواد أخرى ومنها عنصر الحديد والفوسفات والكالسيوم وغيرها .

العديد من الدراسات لبيان تأثيراتها

دراسات فارما كولوجية وإكلينيكية :

تم إجراء عدة دراسات على زيت حبة البركة ، والمواد المستخلصة منها ، على حيوانات التجارب وأجرى بعضها على الإنسان وهناك بعض التأثيرات أثبتت فاعليتها وجدواها العلاجية وأضرارها وخطورتها على من يستعملها بجرعات عالية ، وسوف أشير إلى هذه الدراسات مرتبة حسب إجرائها :

١. دراسات على الجهاز التنفسي :

وجد محفوظ والدخاخنى عام (١٩٦٠ م) أن النيجيللون المستخلص من بذور حبة البركة يحمى خنازير غينيا (الأرانب الهندية) من انقباض الشعب الهوائية الذى تحدثه مادة الهستامين وفى نفس العام درس بدر الدين تأثير النيجيللون على حساسية الصدر عند الأطفال وكذلك تأثيره على حساسية الصدر (الربو الشعبى) عند الكبار وسجل قيمته العلاجية وأكد خلوه من السمية .

ـ أثبت محفوظ والدخاخنى عام (١٩٦٥ م) أن العلاج بالنيجيللون لمرضى حساسية الصدر يزيد من قدرة مصل دمائهم ، على أسر الهستامين ومنعه من التأثير على الشعب الهوائية أو الأنسجة الأخرى .

ـ درس باحث أجنبى (تشاركرأفارق) عام ١٩٩٣ م وسيلة أخرى لتأثير النيجيللون المفيد فى حالات حساسية الصدر من خلال تأثيره على الخلايا الماستية المتخمة بالهستامين والوسيطات الأخرى فوجد أن هذه المادة النشطة تمنع الهستامين من خلال الماستية أيا كان منشط انطلاق تلك الوسيطات .

ومن هذه الدراسات نخلص إلى جدوى وفائدة حبة البركة ، ومادتها النشطة (ثيموكينون) ومشتقاته فى حالات حساسية الصدر وأن هذا التأثير هو التأثير الواقى من حدوث النوبات وليس تأثيراً علاجيا لعلاج انقباض الشعب الهوائية وهذا التأثير لا يحدث بمجرد تعاطى حبة البركة ولكنه يحدث بعد عدة أيام من استعمالها .

٢. دراسات على الجهاز المناعى :

أجريت دراسات جادة على تأثير الحبة السوداء على المناعة الطبيعية فى الإنسان ، وقد قام بهذه الدراسة باحثان مصريان فى معهد « أكبر » للطب الإسلامى والأبحاث بمدينة بناما ، تحت إشراف الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ، ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، وقد ألقى هذا البحث فى المؤتمر الأول للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة بإسلام آباد عام ١٩٨٧ م ، وقد استنتج الباحثان من هذه الدراسة مايلى :

ـ ثبت أن تناول حبوب (النيجيلاساتيفا) الحبة السوداء بالفم بجرعة جرام واحد مرتين يوميا له أثر مقو على وظائف المناعة .

وقد تكون لهذه النتائج فائدة عظمى حيث من الممكن أن يلعب مقوى طبيعى للمناعة مثل الحبة

السوداء دوراً هاماً فى علاج السرطان والإيدز وبعض الظروف المرضية الأخرى التى ترتبط بحالات نقص المناعة وكانت الخطط المستقبلية لمزيد من دراسة تأثير حبة البركة على الجهاز المناعى كما يلى :

★ تقييم أثر النيجيللاستيفا على مقاييس المناعة الأخرى مثل الكريات الليمفاوية وحافز الماكروفاج ومركبات المناعة المختلفة النشطة مثل عوامل ورم التنكرز والأنترفيرون والأنترلوكنز وغيرها .

★ تقييم دور المناعة بتأثير تناول حبة البركة بجرعات أكثر من ١ جم مرتين يوميا .

★ تقييم أثر الحبة السوداء (النيجيللاساتيفا) فى تقوية المناعة عند استعمالها مضافة إلى مقويات المناعة الطبيعية الأخرى مثل الثوم والعسل .

٣. دراسات على تأثيراتها على ديدان البطن :

فى عام ١٩٧٩ م أجرى بعض الباحثين الأجانب دراسات على تأثير حبة البركة على الديدان المختلفة ، ووجد أن زيت الحبة السوداء بتركيزات مختلفة يسبب شللا لديدان الأرض والديدان الشريطية ، وتقتلها فى زمن أقصر مما يحدثه دواء (البيرازين) المعروف التأثير . أما بالنسبة للديدان الخطافية فهى أقل تأثيراً .

ـ ثم أجرى بشارة ومسعود عام ١٩٩٢ م تجارب لدراسة تأثير المستخلص الكحولى لزيت حبة البركة فى علاج طفيل (الجيارديا) فى حيوانات التجارب ، والمعروف أن هذا الطفيل يصيب الأطفال والكبار ويسبب آلاما فى البطن وحالات الإسهال الحادة وخاصة عند الأطفال ويؤخر نموهم ويسبب فقدانهم للشهية وفى دراسة رائعة أجراها باحثان عام ١٩٩٤ م لدراسة تأثير زيت حبة البركة على اختراق السركاريا للجلد (الطور المعدى لديدان البلهارسيا) فى حيوانات التجارب ، فوجدوا أن زيت حبة البركة يمنع أو يقلل بشكل ذى دلالة إحصائية اختراق السركاريا للجلد وفى نفس الوقت يقتل السركاريا بسرعة وفى رسالة دكتوراة بجامعة القاهرة قامت ببحث تأثير حبة البركة على عدوى البلهارسيا فى مراحلها المختلفة وبشكل تفصيل وأثبتت الإيجابية .

٤. تأثيراتها على الميكروبات والطفيليات :

درس (أجاروال) وآخرون عام ١٩٧٩ م تأثيرات زيت حبة البركة على الميكروبات المختلفة وعلى نمو الفطريات ، وفى الحالتين استخدموا مضادات حيوية قياسية لمقارنة تأثير زيت حبة البركة بالنسبة لها فوجدوا أن لزيت حبة البركة تأثيراً مماثلا للبنسلين والأستربتوميسين على نمو البكتريا خاصة إيجابية صبغة جرام كما وجدوا تأثيراً جيدا على ميكروب الكوليرا يفوق تأثير الأستربتوميسين ، كما وجدوا تأثيراً كبيرا على نمو الفطريات خاصة فطر (الأسبرجليس) والمعروف انه أحد أسباب حساسية الصدر وأحد أسباب الالتهابات الشعبية الرئوية الحادة .

٥. أثر حبة البركة على إدرار اللبن :

فى عام ١٩٨٦ م درس (أجراولا) وآخرون ، تأثير حبة البركة على إفراز اللبن فى الجرذان التى ولدت حديثا وقد وجدوا أن المجموعة التى تغذت على حبة البركة قد زاد وزن صغارها بشكل أكبر

من المجموعة الأخرى . مما يشير إلى أن حبة البركة تزيد إفراز اللبن فى تلك الأمهات . ولمزيد من التأكد من هذه الحقيقة أخذ الباحثون أنسجة الثدى من الأمهات فى المجموعتين ودرسوها فوجدوا أن أنسجة الثدى فى الأمهات اللاتى تغذت على حبة البركة قد زادت وكبرت عن المجموعة الأخرى التى لم تتغذ على حبة البركة .

٦. أثرها على الكبد والمرارة :

يقول (ابن البيطار) فى كتابه « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » : (وإذا أخذ منه سبع حبات عدداً وغمرت باللبن (من امرأة) ساعة وسعط به فى أنف من به يرقان واصفرت منه العينان نفع فى ذلك نفعا بليغا لشدة تفتيحه للسدد .

وقد ذكر (ابن قيم الجوزية) نفس الكلام فى كتابه (زاد المعاد) .

وقد درس الدخاخنى وآخرون عام (١٩٦٢ م) تأثير زيت حبة البركة على إفراز مادة الصفراء من الكبد وتدفقها فى القنوات المرارية فوجد أن حبة البركة تزيد من إفراز مادة الصفراء وتزيد تدفقها .

٧. أثرها على مرضى السكر :

فى عام ١٩٨٧ م قام باحثان بدراسة تأثير مكونات خليط من الأعشاب يستخدم لمرضى السكر فى الكويت أضافا إليه بذور حبة البركة فوجدا أنه يخفض من نسبة السكر فى الدم ، وفى عام ١٩٩٢ م أجريت نفس الأبحاث فوجد أنه بعد ثلاثة أسابيع يقلل نسبة السكر فى الدم بواقع ٧٪ من مرحلة ماقبل العلاج .

٨. آثار أخرى :

وجد الدخاخنى عام ١٩٦٥ أن لحبة البركة ومشتقاتها تأثيراً خافضا لحمض البوليك الذى يحدث ارتفاعا فى الدم ومرض النقرس وذلك فى الجرذان .

ــ وجد نفس الباحث أن لحبة البركة تأثيراً مضاداً للالتهابات فى حيوانات التجارب ، وقد اقترح الباحث أن يكون زيت حبة البركة مفيدا فى التهابات المفاصل وعلاج مرض النقرس .

وقد أشار الظواهرى عام ١٩٦٤ م أن لزيت حبة البركة تأثيراً خافضا لضغط الدم ومضادا للتقلص فى العضلات الملساء اللا إرادية .

وأخيرا :

إن حبة البركة إعجاز إلهى فى خلقه ، لا يختلف عليه اثنان ، ولها عظيم الفوائد ، قليلة المضار بنسبة لاتقاس ، إذا زادت كمياتها عن العادة ، وهذه الحبة الصغيرة تحمل الكثير والكثير من الأسرار والمعانى ، التى لم تستطع للآن الكشف عن أغلبها ، فما كشف عنه قليل من كثير ، ولكن كلما زاد الاهتمام بها كلما اكتشف منها الكثير والكثير ، ولا نملك فى النهاية إلا أن نؤكد كلامنا وصدقه بحديث أصدق الخلق نبينا محمد ـ ﷺ ـ حينما قال : « إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام » ! سبحان الله الخالق !



استفتاءات القراء

يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ

السيد العراقى شمس الدين

فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد جميعة
إمام المركز الإسلامى بنيويورك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد :

فردا على كتابكم لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتاريخ ١٩٩٨/٩/٢٢ بخصوص طلب فتوى الأزهر الشريف فى إمكانية سفر المرأة بدون محرم ، فتتشرف لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بتسطير فتواها ردا على استفساركم .

الفتــوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد فنفيد :

إن اشتراط المحرم للمرأة فى سفرها شرط شرعى صيانة للمرأة وحفاظا عليها نظرا لخطورة السفر وعدم أمن الطريق ، وإذا تيسرت وسائل الانتقال والسفر وأصبح السفر مأمونا لا تتعرض فيه المرأة لضرر ولا تبتذل فيه كرامتها فلا مانع من سفرها بغير محرم إذا وجدت الرفقة المأمونة .

وقد ورد فى صحيح البخارى عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال :

(بينما أنا عند النبى - صلى الله عليه وسلم - إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة - أى الفقر - ثم أتى رجل آخر فشكا قطع السبيل . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ياعدى . هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها . فقال - صلى الله عليه وسلم - فإن طالت بك الحياة لترين الظعينة - أى المرأة - ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله .

قال عدى : فلقد رأيت الظعينة - أى المرأة - تخرج من الحيرة حتى تطوف بالكعبة بغير جوار (أى بغير رفيق) .

وقد ورد فى فقه المالكية والشافعية جواز سفر المرأة إذا تحقق الأمن وتلاشت أسباب الضرر .

فإذا أضفنا إلى ذلك شرف الغاية وهو خدمة الأطفال والنساء والمسنين من ضحايا الحروب وتحققت الرفقة المأمونة المشار إليها ، فلا مانع شرعا من سفر المرأة وعملها بغير محرم ، وذلك بعد إذن وليها بالسفر على أن تلتزم بالزى الإسلامى وآداب الإسلام فى التعامل .

هذا والله أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيد / رفعت هجرس من بور سعيد يقول :

هل يجوز اعتبار الأموال المدفوعة للحكومة أى « مصلحة الضرائب » قيمة الأرباح التجارية من أصل المطلوب منى صرفه قيمة زكاة المال أم لا يجوز ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ؟ فنفيد بأنه لا يغنى دفع الضرائب التى تفرضها الحكومة عن الزكاة الشرعية ، لأن الضرائب ليس لها مقدار محدود شرعاً بل يرجع الأمر فى تقديرها إلى ما يراه المسئولون فى الدولة استجابة لمصالحها ، وليس لها أيضاً مصرف معين شرعاً بل مصرفها مصالح الدولة .

●●●●

أما الزكاة فهى مقدار من المال محدود شرعاً بأنه ربع العشر فى النقدين وعروض التجارة ، والعشر أو نصفه فى الزروع والثمار وفى المواشى سن مخصوصة فى كل عدد منها تجب فيه الزكاة ولها مصارف معينة فى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ إلى آخر الآية الكريمة . .

والخلاصة : أنه لابد من إخراج الزكاة ، ولا يغنى عن ذلك دفع ضريبة الأرباح التجارية والله أعلم .

السؤال مقدم من السيد / حامد محمد إسماعيل .

توفيت عمتى عن : بنت ، وأخوين شقيقين ، وأولاد أخ شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد : فنفيد السائل بأن للبنت النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى للأخوين الشقيقين ، تعصيباً يقسم بينهما بالتساوى ولا شىء للذكور من أولاد الأخ الشقيق لحجبهم بالأخوين الشقيقين كما أنه لا شىء للإناث من أولاد الأخ الشقيق لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيدة / ن . م من الدقهلية تقول : هل يجوز للحائض قراءة القرآن من غير مس المصحف ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ؟ فنفيد بأنه يجوز شرعاً للحائض أن تقرأ القرآن من غير مس للمصحف مادام الحيض نازلاً .

فإن انقطع الدم يحرم عليها القراءة حتى تغتسل ، وهذا هو مذهب الإمام مالك رضى الله تعالى عنه والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / إسماعيل حسن من البحيرة يقول : رجل أصبح جنباً ، ثم سار على طريق بجوار نهر فانزلقت قدمه فسقط فى النهر وانغمس جميعه فى الماء ، فهل يطهر بذلك من الجنابة أم لا ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ؟

فنفيد بأن انغماس الرجل فى النهر كافٍ فى الغسل من الجنابة فى مذهب أبى حنيفة - رضى الله عنه - حيث لا يشترط النية فى الغسل . هذا والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / سيد كامل يقول فيه توفى رجل سنة ١٩٩٨ م عن زوجة ، ابنين ، بنتين ، بنات ابن / فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنات الابن المتوفى قبل والده بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة وقت وفاة والده فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ وبشرط ألا يكون الجد قد أعطاهن شيئا حال حياته بدون عوض يساوى نصيب أصلهن فتقسم التركة ٣٢ جزءا منها سبعة أجزاء وصية واجبة لبنات الابن تقسم بينهن بالتساوى دون أن يشاركهن أحد ، والباقى وهو خمسة وعشرون جزءا ، وهو الميراث ،للزوجة منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى للابنين والبنتين الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / إبراهيم على من المتوفية يقول :

عملت عملية فى "ختمى" ولاستمرار المرض حيث ينزل البراز دون انقطاع ، أرجو إفادتى عن حكم هذه النجاسة بالنسبة للصلاة ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد . فنفيد بأنه يجوز لهذا السائل أن يتوضأ ويصلى مع نزول هذا البراز المستمر ، ويتوضأ لكل وقت من الأوقات الخمسة ويصلى بالوضوء ما يجب أن يصلى فى الوقت ، وهذه حالة ضرورية ، ولا إعادة عليه لما يصلى ، والله تعالى أعلم .



عبد الله بن كنون

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

للدكتور : محمد رجب البيومى

لإخواننا فى المغرب العربى الكبير أدب حافل ، وتراث ضخم ، لم تر المطبعة منه شيئا ذا بال ، ومن مفكريه وعلمائه أئمة لم تنتقل شهرتهم إلى المشرق فيذاع عنهم ما قاموا به من كفاح علمى وسياسى يضاف إلى مفاخر العروبة والإسلام ، وقد أحس العلامة الكبير (عبد الله كنون) بهذا النقص الفادح ، فعكف على إصدار أجزاء صغيرة متوالية تعرف بالمغرب ونابغيه ، ولم يأل جهدا فى هذا المجال ، إذ لا يكاد يمر شهر حتى يتحدث عن علم مجهول فى كتيب موجز ، ثم رأى أن يضم هذه المتفرقات إلى كتب ذات أجزاء ، فأطلع القراء على كنز علمى مخبوء ، وقد كان كاتب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان أكبر ملم بتاريخ المغرب من أعلام الشارقة المعاصرين ، حيث وَالَى الشريف برجاله وأحداثه وتاريخه ومحنه الاستعمارية موالاة من حسب نفسه مغربيا يعيش فى آفاق هذه الربوع الشقيقة ويتنسم أريجها ويقاسم ذويها السراء والضراء ، وتعليقاته الرائعة على كتاب :

(حاضر العالم الإسلامى) بأجزائه الأربعة الكبار ، ومراسلاته ومقالاته ، وصداقاته لأعلام المغاربة تؤكد تضلعه الراسخ فى هذه الشئون ، ولكنه قرأ ما كتب الأستاذ النابغة عبد الله كنون فى موسوعة (النبوغ المغربى فى الأدب العربى) ، وفى كتاب : (ذكريات مشاهير رجال المغرب) ، وهو فى مجلدين كبيرين ، قرأ الأمير هذا الحشد الهائل عن أبناء المغرب ، فكتب بعد أن فرغ من قراءة موسوعة النبوغ المغربى (كنت أعهد نفسى من المشارقة الرجل الذى أطلع أكثر من غيره على تاريخ المغرب وأهله ، وأنعم النظر فيما يتعلق بثقافته وسياسته وسائر شئونه ، ولكنى رأيت نفسى بعد أن طالعت هذا الكتاب كأنى لم أعلم عن المغرب قليلا ولا كثيرا ، وكدت أقول إن من لم يطلع على هذا الكتاب لا حق له أن يدعى فى تاريخ المغرب الأدبى علما ، ولا أن يصدر فى حركاته الفكرية حكما[1]) ، وأمير البيان لم يبالغ فيما قال ، لأن رجال العربية فى المغرب كرجالها فى المشرق ، تضلعوا فى فقه علوم الشريعة ، وعلوم اللسان ، ومنهم أكبر كاتب عرفه الأدب العربى فى نظراته الاجتماعية والسياسية والتاريخية حتى عده الغربيون أنفسهم رائد علم الاجتماع ، وهو ابن خلدون ، وقد أحس الأستاذ كانون أن أدب بلاده غير مشتهر ، ولا سبيل إلى طبع كنوزه المخطوطة وإذاعتها فى المشرق دون إرهاق متواصل ، وكد دائب ، فإذا تيسر الكد والإرهاق بمعونة الخلف فى إحياء آثار السلف ، فقد تقف المادة دون أن تتسع لاستجابة من يطمحون إلى بحث القديم ليكون مددا للجديد ، أحس الأستاذ بذلك ، فواصل التعريف الموجز بهؤلاء الأعلام ، وكان فى إيجازه الدقيق لا يغفل الملامح البارزة فى أدب من يتحدث عنه ، ورب إيجاز شفى وكفى ، ورب تطويل أخل وأمل ، وأخاله شعر ببرد الراحة حين فرغ من موسوعته الحافلة قائلا لقراء المشرق والمغرب معا : هاؤم اقرءوا كتابيه ، وإذ كنا فى المشرق نعرف المشتهرين من هؤلاء ، أمثال ابن خلدون والإدريسى ، وابن بطوطة ، وابن أجرُّوم الصنهاجى ، والمازَّرى والجزولى ، فقد أحصى الأستاذ فيضاً غزيراً ممن لم نعرف عنهم شيئاً مثل عبد العزيز الفشتالى ، وأبو القاسم الزياتى ، وابن إدريس ، والسنوسى ، وأبو جعفر بن عطية ، وأبو العباس الجزائرى ، وميمون الخطابى ، ومالك بن المرحل ، وعبد العزيز الملزوزى ، والأمير سليمان الموحد ، وعثمان السلالجى ، وابن غازى ، وابن زاكور ، وابن الطيب العلمى ، وابن الدقاق ، وأبو عبدوس الكتاسى ، وأبو بكر ابن شبرين ، وابن رشيد ، وأبو القاسم الشريف ، وأبو الحاج الفاسى ، وأحمد زروق ، وعبد المهيمن الحضرمى ، وأبو العباس الغرفى وغيرهم .

وأذكر أن بعض الناقدين أخذ على الرجل البحاثة وقوفه عند التراجم دون نظرة شاملة

---

(١) « مفكرون وأدباء » للأستاذ أنور الجندى ص١٤٢ .

للمجرى العلمى فى كل عصر ، وهذا هو الظلم بعينه ، لأن النظرة الشاملة للمجرى العلمى فى كل عصر ، كما يقول الناقد لن تأتى إلا بعد دراسة هؤلاء والوقوف على مؤلفاتهم المختلفة ، فكتون قد وضع اللبنات القوية فى أساس التاريخ العلمى والثقافى لموطنه ، ولن يرتفع بناء ما دون أساس وطيد ، ولولا كتب التراجم ماتسنى لتاريخ الأدب فى المشرق أن ينهض على قدم وساق ، أليس واضعو هذا التاريخ قد اعتمدوا أولاً على كتب التراجم ، فطالعوا الأغانى ومعجم الأدباء والخريدة واليتيمة والدمية ووفيات الأعيان والوافى بالوفيات ، وماأعجز عن حصره مما يدور فى هذا النطاق حتى اكتمل الأساس العلمى ، وقام البناء التاريخى على دعائمه الراسخة ! على أن لقراءة التراجم لذة لدى القارىء لايجدها فى السرد التاريخى المتماسك ، وبهذه اللذة الأدبية المحققة أمكن غير المتخصص أن يطالع كتاب النبوغ فى شوق ونهم ، أما المثقف المتخصص ، فقد احتضنه احتضاناً ، ورأى فيه بذرات صحيحة ستؤتى أطيب الثمار .

وقارىء المجلات الأدبية والعلمية فى مصر والشام وغيرهما من ربوع الشرق يطالع اسم الأستاذ عبد الله كنون بين كبار الكتاب ، لأنه دأب على قراءة مايصدر فى الجناح الشرقى ، قراءة المشارك المسهم بآثاره ناقداً أو مبدعاً ، حتى إنه يستدرك على الأستاذ محمد سعيد العريان بعض ماقاله فى كتابه عن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، والعريان تلميذ الرافعى وكان موضع سره ونجواه بضع سنوات ، وقد نهض لكتابة تاريخ الأديب الكبير عقب رحيله وفاء يحق التلمذة البارة بالأبوة الحانية ، فإذا جاء الأستاذ عبد الله من طنجة ليستدرك بعض مافات المريد اللاصق فمعنى ذلك أنه ملم بكل مايتعلق بالرافعى رحمه الله ، كما أن مناقشاته الكثيرة لكبار الأدباء فى مصر والشام والعراق تنبىء عن تتبع يقظ ، وهو من الجراءة الأدبية العاقلة بحيث يجوز إعجاب قارئه مهما خالفه فى منحاه ، أذكر أنى قرأت قديماً ماقاله عن المصلح الكبير عبد الرحمن الكواكبى وقد ذهب إلى أن كتاب المشرق قد تعمدوا غمطه ، وإهمال تاريخه على حين قد أفاضوا فى حديث المصلحين الكبيرين ، محمد عبده وجمال الدين الأفغانى ، وهو لايقل عنهما ، ومكانة الكواكبى رحمه الله لا تنكر ، ولكن عدم تردد ذكره لا يرجع إلى الغمط والنكران فى شىء لأن الرجل العظيم لم يترك تلاميذ تشيد بفضله كما ترك جمال الدين محمد عبده وسعد زغلول واللقانى والمويلحى والهلباوى ، وكما ترك محمد عبده محمد رشيد رضا ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمد مصطفى المراغى ، فالتلاميذ قد كتبوا وأذاعوا ، وللقارىء أن يعجب كيف أهمل حديث العلامة محمد فريد وجدى وانتشر حديث من لم يبلغ مبلغه من أساتذة الجامعات ، لأن وجدى العظيم لم يكن



له حواريون يشيعون آراءه ، وسواء قد اصطنع من يبدىء ويعيد فى نجواه .

ولد عبد الله كنون فى مدينة فاس سنة ١٩٠٨م ، ونشأ فى أسرة مباركة ذات مجد علمى مشهود ، فوالده ممن اشتهروا بالتأليف العلمى ، وله ندوة بمنزله رآها الطفل صغيرا وتأثر نفسيا بملابساتها ، وجده من كبار أساتذة جامعة القرويين ، وحين وقع الاستعمار الغربى البغيض على البلاد كالليل الحالك ، هاجر الوالد بأسرته من فاس لأن الفرنسيين قد تعقبوا المجاهدين بها تعقبا ظالما فقتلوا بعضا ، وسجنوا بعضا ، والشيخ الكبير يحب الهدوء بعد حياة طويلة الكفاح ، فهاجر إلى (طنجة) إذ كان له بها نسب قريب ، وهى مدينة هادئة لا ترصدها أماني المستعمرين ، وفى جو المدينة الهادىء استطاع الصبى الناشىء أن يجد مجالا للتربية والثقافة ، وكان والده حريصا على أن يرثه علما وتأليفا ، فقدر الله أن يرثه ويفوقه ، وقد دفعته حماسة الشباب إلى الكتاب مبكرا فى الصحف ، ورحبت المجلات شرقا وغربا بإنتاجه الفكرى ، وكانت مجلة الرسالة وهى فى صدر المجلات الأدبية بالشرق العربى تحتضن آثاره ، وهو فى مقتبل عمره ، لأن حديثه بها عن المتنبى وبشر بن عوانة وغيرهما دل على نضوج فكرى ملموس ! والرسالة لا تشجع الضعيف ،

ولا تجامل القوى ، فكان نشرها مقالات الأديب الناهض (كنون) شهادة علمية بارتقائه ، وقد أمدته بثقة تدفع للأمام ، ثم تخطفته المناصب العلمية والسياسية معا ، إذ صار مدرسا بإحدى الكليات التابعة لجامعة القرويين ، فرأى فيه التلاميذ مثلا جديدا للمدرس المثقف ، حين يمزج العلم بالأدب ، وينزل إلى مستوى الطلاب بعيدا عن غموض الشروح ، وثقل الحواشى وضيق المتون ، وكانت صحيفة الميثاق المغربية لسان حال جماعة العلماء بالقرويين فتصدر للكتابة بها ، وانتخب رئيسا لرابطة علماء المغرب على حداثة سنه ، وعضوا بمجلس إدارة الجامعة ، وعضوا بالمجلس الأعلى للتخطيط ، وسما به الحظ ، فكان حاكما لطنجة ، فقاضيا كبيرا ، فوزيرا ناهضا .. وذلك لم يأت إليه من فراغ ، بل بجد متواصل ، وعمل دائب كان موضع التقدير .

لقد أتيح لى أن أقابل الأستاذ عبد الله كنون بالقاهرة عند انعقاد المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٤م ، وقد عرفته من زيه "غربى" ، وهرعت لأسلم عليه مشوقا ، إذ كنت من قرائه ومتتبعى آثاره فى شتى الصحف العربية ، فوجدت من كرم اللقاء ، وسعة الصدر ما أكبرته ، بل لمست من تواضعه العلمى حقيقة نبيلة تنبىء عن صدقه ، فقد ذكر لى فى أول لقاء أنه خجل من موضوعه الذى قدمه للمجمع إذ أنه اختار موضوع (الملكية الفردية فى الإسلام) بين الموضوعات التى عرضها عليه المسئولون ، وكان يظن أنه وحده الذى سيتكلم فى هذا الموضوع فكتبه على قدر طاقته ـ هكذا قال ـ ثم وقع فى حيرة حين رأى المجمع قد ضم باحثين كبيرين هما

الأستاذان الجليلان محمد عبد الله العربى ، وعلى الخفيف ، ليتكلم الثلاثة فى موضوع الملكية الفردية ، وحين وزعت المحاضرات على الأعضاء ، وقرأ الأستاذ عبد الله ما كتبه الزميلان دهش لما وجده من غزارة المادة ، وشمول الاستيعاب وجودة الاستنباط ، بحيث أصبح بحثه جوارهما ضئيلا كما وكيفا ، ثم ابتسم الأستاذ فى هدوء ، فقلت له إن المجمع يختار عدة علماء للحديث فى موضوع واحد ، ليكمل كل متحدث ماتقص من حديثى زميله ، والمسألة ليست مسألة كم ياسيدى ، حتى تقوم بنفسك هذه الحساسية ، فقال الشيخ فى إصرار أنا أدرى بما كتبا وما كتبت ، بعد أن طالعت ماكتباه ! وسآخذ حذرى حين يطلب منى موضوع لاحق ، على أنى راجعت ما كتب الأعلام الثلاثة ، فلم أجد بحث الأستاذ كنون يقصر عنها كثيرا إلا فى الكم ، والكم ليس مناط الحكم ، فقد ذكر النصوص الدالة على تشجيع العمل ، وتأمين جهود العاملين ضمن ملكية الأفراد والجماعات ، وتحدث عن البذل السمح فى عصر النبوة وماتلاه ، وأكد أن سياسة الإسلام فى الأموال مبنية على أصل أصيل من حرية المعاملة ، ورفع الحرج عن الناس ، ثم ألم بفريضة الزكاة ووجوب مراعاة حق الفقير بها ، مقارنا بين مواقف أبى بكر وعمر وعثمان ، جاعلا لكل موقف أسبابه ومبرراته ، ثم كر على من يذهبون إلى شيوعية الأموال ، ففند شبههم مؤكدا أن مال الدولة حق مفروض ينال منه الجميع ، والمقصود من ذلك كله وضع الأمور فى نصابها ، وعدم الخروج عما سنه الشرع ، واجتناب الأهواء المختلفة لأن الخير فى الاتباع ، وختم حديثه بقول الله :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة : ١٤٣) .

والبحث بهذا التحديد المؤيد بالأدلة جيد لا غبار عليه فى شىء ، وقد صدق الأستاذ وعده ، حيث تحدث فى العام اللاحق بالمؤتمر الثانى بمجمع البحوث سنة ١٩٦٥ حديثا مشبعا مستفيضا عن (الرق فى الإسلام)(٢) إذ بدأ بحثه الشامل عن الرق قبل الإسلام ، فطاف بما كان يغمر العبيد من إرهاق عاسف ، لدى الفراعنة فى مصر ، ولدى المجوس فى الفرس متنقلا إلى اليونان وماأهدروا به قيمة العبيد من قوانين يباركها فلاسفتهم الكبار ، مبينا هول ماكابد الأرقاء فى إسبرطة من عسف ، وانتقل إلى الرومان فكشف من مظاهر القسوة فى معاملة العبيد لدى هؤلاء مايفزع ، إذ كان للسيد أن يقتل عبده وإن لم يفعل شيئا ، فهو كبهيمة تذبح حين يريد صاحبها أن يأكل منها ، وفى العصور الوسطى تحدث عن أنواع الرق عند الأوروبيين ، وعن آراء المفكرين منهم منتهيا إلى قوله : (إن نظر المفكرين إلى الرق سواء القدامى منهم والمحدثين نظر أنانى قاصر عن مفهوم الكرامة الإنسانية ، وكان ذلك كله تمهيدا للحديث عن الرق فى الإسلام ، فأفاض الباحث

(٢) المؤتمر الثانى لمجمع البحوث من ص ٣٥٩ إلى ٣٧١ .

فيا كتبه تحت العناوين الآتية : (الإسلام والرق) ، (استرقاق أسرى الحروب ضرورة وقتية) ، (الشارع متشوف للحرية) ، (لماذا لم يكن المسلمون هم البادئون بإلغاء الرق) مؤكدا أنه لو روعيت تعاليم الإسلام فى سياسة الأرقاء لما وجد رقيق ما ، لأنه لم يعترف بالرق فى عصره الأول إلا على سبيل الضرورة المؤقتة ، ولما زالت أسباب الضرورة تحتم أن يزول الرق نهائيا بمنطق شريعة الإسلام .

هذه لمع مختلفة من بوارق الذهن الصافى الذى يتمتع به الأستاذ عبد الله كنون ، وهو ذهن لم ينحصر فى البحث المجرد دون مشاركة عملية فى الواقع السياسى والاجتماعى ، لأن الأستاذ قد شارك فى أعمال إصلاحية وسياسية ، وقدم اقتراحات شافية للنهوض بالحياة المغربية سياسيا واجتماعيا وفكريا ، وإذا كان حاكما لبعض الأقاليم فقاضيا لعدة محاكم ، فوزيرا لبعض الوزارات ، فرئيسا لجمعية العلماء القرويين ، فكل هذه المناصب ذات أعباء شديدة فى التنفيذ الفعلى ، ولا تقف عند النصح الكتابى ، ومن أعظم مواقفه البارزة صيحته العالية فى وجوه من أرادوا القضاء على جامعة القرويين سنة ١٩٥٧م بحجة اندماج التعليم الدينى فى التعليم العام ، كان الأستاذ مليا بما يدبر للجامعات الإسلامية فى المغرب ومصر والزيتونة والنجف من تدمير يأخذ مأخذ الإصلاح ، فظاهره فيه الرحمة ، وباطنه من قبله العذاب ، وقد تابع ما أريد بالأزهر من هذا الدمج حين بدأ الدكتور طه بمقاله الشهير (الخطوة الثانية) تابع ما أريد بالأزهر من كيد وقر عينا حين أبطل هذا الكيد ، فجهر برأيه المعارض ، وقال فيا قال [٣] « وكم أراد البعض فى مصر الإيقاع بالأزهر ، ولكنهم لم ينجحوا ، فقد ثار جدل عنيف حول ما سمى (بالخطوة الثانية) وكاد الأمر يتم لولا يقظة الأزهريين وثباتهم فسلم الأزهر ، ولكن القرويين وقعت » .

يقول أن الدكتور أحمد الحفناوى[٤] تعقيبا على ذلك : « وقد استمر حملة الشيخ كنون على هذه القرارات حتى ألغيت ، وأتبع ذلك بأن أصدر مشروعا عن رابطة علماءالمغرب برياسته ، يوضح كيف يتم النهوض بهذا النوع من التعليم ، ثم دعا إلى أن تقوم لجنة بالسفر إلى مصر لدراسة كيف استطاع الأزهر أن ينهض بذاته بعيدا عن الدمج والمحو ، وهكذا كانت رحلة عمره تمثل التاريخ الحى لجريمة الاستعمار ، وبسالة الإنسان العربى فى المغرب ثم هزيمة المستعمر ، وعودة المغرب الشقيق إلى الصف العربى مساهما فى طريق الحرية والبناء » .

ولكى يتضح للقارىء بعض مواقف الشيخ كنون ـ التى أشار إليها الكاتب فيما قبل ـ عن النهوض بالتعليم الإسلامى فى جامعة القرويين ، وعن مواجهة المستعمر حين يرسل بعض أذنابه من ذوى الاستشراق ليسمموا الأفق بآراء شاذة تعارض التيار الإسلامى ، ولا تقف عند المعارضة فقط ، بل تدعو إلى محوه واستئصاله لكى تتضح بعض هذه المواقف ، لابد أن نلم بمثالين واضحين لها ، مما جاهد به الشيخ فى سبيل الاستقلال دينيا فى الجامعة ، وسياسيا فى الأمة لتقدم الدليل .

« يتبع »

---

(٣) مجلة الأزهر ذى القعدة سنة ١٤١٠هـ .

(٤) المصدر السابق .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ:
محمود محمد المدني

إعداد وتقديم الأستاذ: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

الإسراء والمعراج معجزتان لخاتم النبيين وسيد المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - وهما من أكبر معجزات رسولنا - صلوات الله عليه - ومن أعظم البراهين البينات، وأقوى الحجج المحكمات، ومن أتم الدلالات على تخصيصه - عليه الصلاة والسلام - وقد ثبتتا بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وبإجماع أئمة المسلمين، ولقد أكرم الله رسوله الكريم

بهذه المعجزة تكريما له ، وتأييدا لرسالته ، وتشريفا لصموده فى مجال الدعوة وتبليغ الرسالة ، إنها رحلة تكريم واصطفاء ، وتأييد وتمكين فى مجال الدعوة وتبليغ الرسالة .

رحلة تقدير وإعزاز من المولى ـ عز وجل ـ لنبيه ومصطفاه الذى جاهد فأبلى فى سبيل نشر دعوته .

وإذا كان البشر قد آذوك يامحمد ، فإن معك ناصرك ، ومؤيدك ، ولتعرج إلى الله لتتلقى الأوامر الإلهية بعمود الدين ألا وهى ـ الصلاة ـ وقد وقعت هذه المعجزة بعد عام الحزن ، وفقد النصير والرفيق ونتيجة لهذا أراد المولى ـ سبحانه ـ أن يسرى عن حبيبه بهذه الرحلة المباركة .

ولمزيد من التفصيل ، قال الكاتب ـ رحمه الله ـ :

خرج بنو هاشم من الشعب بعد حصار دام ثلاث سنين ، لقى المسلمون فيها أقسى ضروب المقاطعة ، وكانت قريش تظن أنها بهذه الأعمال توقف سير الدعوة المحمدية ، ولكن الرسول ـ ﷺ ـ لم يضعف أمام هذا العنت .

وبعد الحصار بقليل توفى عمه ، وكان عضده فى الملمات ، وسنده عند الأزمات ، وبعده توفيت خديجة الزوجة الوفية ، والتى كانت مصدر التسرية فى لحظات الحزن والأسى ، فأحس المصطفى لفقدهما حزناً عميقاً ، حتى سمى عام وفاتهما بعام الحزن ، وبينا هو فى هذه الحالة ، وقريش تمعن فى الإيذاء ، وتشتط فى الخصومة ، ظناً منها أن فقد هذين النصيرين سيكون من العوامل التى تجعله ـ ﷺ ـ يقعد قليلا عن النشاط فى دعوته ، ولكن الدعوة تسير قدما فى الذيوع والانتشار .

وفى صبيحة يوم مشرق النور جلس ـ ﷺ ـ فى حجر إسماعيل يقص قصصاً كان فى سمع قريش الجاحدة المنكرة خيالا بل حديث خرافة ، حتى أنهم لفرط دهشتهم ظنوا به الظنون ، وحسبوا أن خياله قد شط به ، فبقيت أمامه جماعة يستعيدون حديثه خيفة أن يعدل عنه ، وجرى الباقون يتنادون فى الطرقات : تعالوا فاسمعوا لما يقول محمد ، اعتقادا أن هذا هو الخبل بعينه ، وما دروا أن الله جلت قدرته أحب عبده ورسوله ، فأكرمه وشرفه وفضله على سائر خلقه ، فجمع له الرسل المكرمين ، والملائكة المقربين ، فى « بيت المقدس » ليصلى بهم إماماً ، ويأخذ عليهم عهداً وميثاقاً بسموه وفضله وتقدمه وسبقه ، وقد أراه ربه وهو فى طريقه إلى المسجد الأقصى عجائب مخلوقاته الأرضية ، وما أعده للمخالفين عن أمره ، والخارجين عن

طاعته ، بارتكابهم للمنكرات ، وصور له عقوباتهم على ما اقترفوه .

وبعد الانتهاء من الصلاة أخذه جبريل وصعد به إلى السموات العلى ليريه آيات الله الكبرى فى الملكوت الأعلى ، ولا عجب فى ذلك ولا جناح فهو الرسول الأمين ، وهو الحبيب الأول من خلق الكائنات من نوره ، وألهم الأنبياء الصلاة عليه والتسبيح باسمه .

حتى إذا اكتمل جمعهم بهرهم صدقه ، وأفحمهم حسن حديثه ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكن عنادهم وإصرارهم على تكذيبه دعاهم إلى أن يستوصفوه بيت المقدس ، وهم موقنون أنه لم يره قبلا ، وأن الإسراء كان ليلا ، والليل يغطى المعالم ، إلا أن الرعاية الصمدانية تدركه فى شخص جبريل الأمين يحمل على كفه بيت المقدس ، ليكون الوصف هو الحقيقة الصارخة على صدقه - ﷺ - وأن أحد عيرهم صادفه فى الطريق فشرب من وكائه ، وأنه قادم يوم كذا فى غروب شمس يوم كذا ، فيقع ما حدث . وأن عيرهم الثانى يقدم يوم كذا فى ساعة كذا ، وأن مقدمهم بحمل وسقين ، فيصدق ما أخبر به .

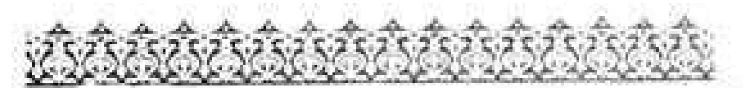
ولكن عتو المعاندين وفساد رأى المكابرين جعل قريشاً تتخذ من قصة الإسراء والمعراج باباً من أبواب شدة الإيذاء ، وقسوة الاضطهاد ، ومحاولة منع الرسول من نشر الدعوة المحمدية ، ولم يكن ذلك الإنكار لعقيدة يؤمنون بها من أن ما حدث به محمد - ﷺ - كذب ، بل هم موقنون كل اليقين أن الرسول صادق فى كل ما جاء به ، إلا أنه الحقد الدفين الذى ملك زمام قريش . كيف يؤتى محمد ذلك الخير العميم والشرف العظيم وحده ، وتذهب بنو هاشم وحدها بهذا العز الإلهى ، والسؤدد الربانى ، وتقف بقية قريش عطلا من كل شرف وعز .

•••

هذه هى الحقيقة المدوية فى أعماق التاريخ ، فمحمد - ﷺ - أسرى به فى الليلة السابعة والعشرين من رجب إلى المسجد الأقصى بصريح القرآن ، بروحه وجسده ، وصلى بالرسل والأنبياء والملائكة حيث جمعهم مولاه للاحتفاء بحبيبه ، وأخذ البيعة له منهم بأنه خاتمهم وإمامهم فى الدين والدنيا .

ثم نصب له المعراج ورقى به إلى ملكوت ربه يتلقاه رسول ويودعه رسول حتى سدرة المنتهى ، فانغمر فى أنوار ربه الصمدانية ، وتجلت له الحضرة الربانية بالعناية وسبح فى الأنوار القدسية ، وخاطبه مولاه فارضا عليه الصلاة .

وهذه الحقيقة لا ينكرها إلا من عميت



بصيرته ، فران على قلبه جهل بمدى قدرة الخالق جل جلاله بعد تلك المخترعات الحديثة التى قربت البعيد ، بل وصلت فى السير إلى أبعد من حدود الصوت ، ومخترعات الذرة ، هذه القدرة لا يعجزها الخرق والالتئام ولا أن يرجع إلى فراشه وهو لم يبرد بعد ، ولا طول المسافة ولا قصرها .

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾

(النجم : ١١) .

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

(النجم : ١٧ ، ١٨) .

●●●

ولقد كانت الإسراء والمعراج سبباً فى التعجيل باحتدام الخصومة بين الحق والباطل وأن الله لن يخذل عبده ، وأنه كتب للإسلام الخلود والانتصار فى كل ملحمة يكون فيها القرآن أحد طرفى الخصوم . والله متم نوره ولو كره الكافرون .

« المجلد السادس والعشرون »

الإسراء والمعراج تكريم لنبى الإسلام، صلى الله عليه وسلم، بقيـــة

وبعد

فجدير بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج وقد رأوا بأعينهم ذرارى بنى إسرائيل عادوا إلى فلسطين ليلعبوا من جديد دور الإفساد الذى ورثوه عن أسلافهم ، وأخذوا يتكتلون ويتعاونون من هنا وهناك على تثبيت أقدامهم ببناء المستوطنات لهم فى أرض المسلمين ، وتهويد مدينة القدس تمهيداً لسلب المسجد الأقصى من أهله .

جدير بالمسلمين أن يوحدوا كلمتهم ، ويستردوا مكانتهم ويطهروا أرض الله المقدسة ، وحماية المسجد الأقصى من عبث هؤلاء المفسدين ، وبذلك يتحقق وعيد الله الذى توعدهم به فى قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

(الإسراء : ٨)

فلقد عادوا إلى الإفساد فى الأرض لذلك فإن الله توعدهم - ووعده حق بالعقوبة فى الدنيا مع ما يدخره لهم فى الآخرة من العذاب والنكال [١]

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم عن سورة الإسراء المجلد الثانى - الحزب التاسع والعشرون الصادر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر



للأستاذ : محمد عبد الوهاب

في أي بحر سوف يبحر مركبي ! والقلب يسرى في معاريج النبي
لك يارسول الله تاقت مهجتي يامن هديت إلى السبيل الأصوب
جمعت أشتاتا .. وشدت مهدما وصنعت معجزة .. ياأعظم مذهب
صلى عليك الله ياعلم الهدى في كل حين من شروق ومغرب

لقد لبث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، ثلاث عشرة سنة ، بين قومه في مكة ، وهو يعرض عليهم رسالة التوحيد ، فكان عليه الصلاة والسلام كمن يعرض الجواهر الغالية على جماعة لا يرون في بريق الجواهر ، إلا أنه بريق زجاج ملون ، لا قيمة له عندهم ! ومن صلفهم وجهلهم ، تمكن العمى من قلوبهم ، فعميت بصائرهم عن التمعن في حقيقة ما جاءهم من الهدى ، فزادوا من أذاهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، فأنعم الله على سيدنا محمد برحلتي الإسراء والمعراج تسرية عنه وتأييدا له وتشريعا لأهم أركان الدين ، ألا وهو الصلاة .

كان لابد لنا أن نستهل الخميلة اليوم بهذه المقدمة البسيطة تعظيما لمعجزة الإسراء والمعراج الخالدة .

وخميلة الشعر في مجلة الأزهر الغراء ، لا يفوتها أن تقدم ضمن ما تحويه في هذا العدد زهرات شعرية جميلة ، تعبر عن المعاني العظيمة لهذه الذكرى ، والزهرة الأولى التي نقدمها اليوم هي قصيدة : (عند سدرة المنتهى) للشاعر الإسلامي الكبير إبراهيم صالح الذي يصور لنا بأبياته المعبرة ، الرحلة النورانية المباركة ، التي وصل فيها سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكانة عليا ، لم يصل إليها مخلوق قط من قبله .

والزهرة الثانية هي قصيدة : (سرمدية) للشاعر المهندس عبد العاطي موسى عبد العاطي ، الذي يذكرنا بالشاعر الكبير علي محمود طه ، لأنه كان مهندسا وشاعرا عظيما .

أما الزهرة الثالثة فهي قصيدة ، (رحلة إلى الحياة !) للشاعر الكبير السيد الصديق حافظ ، وفيها يعبر عن مشاعره الفياضة تجاه رحيل إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

ولا يسعنا بعد ذلك إلا أن نتوجه إلى قرائنا بكل الحب ، راجين منهم دوام تواصلهم معنا والله ولي التوفيق .



للأستاذ : إبراهيم صالح

سدرة المنتهى على قاب قوسين وفيض من الضياء المعقى
واريج يفوح من جنة المأوى برش الرضا على كل حى
انظرى .. لا بأعين نافذات لدى الكون بل كرؤيا نبى
واسمعى .. لا بمسمعى .. صلوات الإنس والجن فى صداها العلى
بالتسبيحة الملائك حول العرش تسرى فى سبحها الأبدى
ها هنا هل أحد كشعاع يربط الأرض بالشعاع الخفى
أبصر النور حيث لا حجب .. لا أستار .. بل حضرة الصفاء الرضى
ورأى ما رأى .. وما لم ير الخلق وما فوق كل عقل وضى
يقظة للرؤى وإشراقة للروح فى روعة الجلال البهى
شق فيها المعراج سبعا طباقا ومضى الركب موغلها فى المضى
سابحا مصعدا إلى الملأ الأعلى إلى منبع السنا السرمدى

جاز خير الورى مقام النبيين ... وأدناه من علا كل شئ
إيه ياليلة تغنى بها الدهر ... وغنى لنفحها القدسي
فيك كان الإسراء كانت صلاة ... الرسل جمعا خلف الرسول النبي
ضاء في نورها حمى المسجد ... الأقصى ولفته في أريج زكي
ومضى طائر السلام من القدس ... يغنى في كل واد قصي
رددت لحنه المآذن في خير ... نداء سرى عتى الدوي
انظرى القدس من أباح حماها ... لمطايا بغى وعهر بغى
دنستها عصابة من بنى صهيون ... تاهت على سراها الشقى
ومشى إفكها على كل درب ... آثم كل بكرة وعشى
ذبحت في الظلام فوق الثرى الطيب ... ترنيمة الفراس الندى
والحصى عذبته فارتد يرميها ... بحتف من السما مقضى
كلما أشعلت من الغدر سهما ... داميا رد ألف سهم فتى
فمتى يمسح السلام دموع القدس ... في مشرق الصباح الأبى
ويعود الأذان يهتف للنصر بكل ... الذرا بصوت عتى
ويغنى الزيتون يارب لحنا ... عربيا لوعدك المأتى
رب إنا على الصراط مشينا ... نشرب النور في صفاء ورى
ومشى غيرنا حيارى على الدرب ... يلجون في عماه وغى
إنهم فتية نسوك فضلوا ... ثم هاموا على الطريق الغوى
فاهد يارب للضياء سراهم ... بشعاع من نورك الأزلى
واسقهم خمرة الرضا ليشدوا ... من خطاهم على الصراط السوى





للأستاذ: عبد العاطى موسى عبد العاطى

الفجر ياصاحبى يدنو ويقترب … مهما يطول الدجى أو تنذر الشهب
والعسر لابد من يسر يصاحبه … والغيث آت وإن غابت به السحب
فكيف صارت سلاما بعد جذوتها … نار «الخليل» … وأضنى ذلك اللهب
وحوت «ذا النون» ما طالت دياجره … وبره جسم براه السقم والعطب
ونور عينيه من للصبر أسلمه … قميص «يوسف» يعلوه دم كذب
وذا «الكليم» الذى باليم يحرسه … موج حنون وكيف الماء يضطرب
«وحكمة الله» من بالمهد حدثها … فقرت العين إذ تساقط الرطب
وذا سراج الورى «طه» ورحمته … من أدب الله فهو الخلق والأدب
أسرى به الله إنعاما وتربية … فتاه فخراً على أقرانه «رجب»
هذا البراق سنا المختار شرفه … كم بات يهفو له الأقصى ويرتقب
وذاك معراجه للعرش وجهته … يطوى السماوات لاستر ولا حجب
تساءل العالم العلوى فى وله … وسدرة المنتهى أثوابها قشب
فاق الملائك أقداراً ومنزلة … توقف «الروح» والمختار يقترب
ومن دنا فتدلى تلك مكرمة … وذاك فيض من الرحمن يحتسب
وعاد يهدى لنا معراج بهجتنا … هى «الصلاة» التى فى وقتها تجب
شريعة لابن عبد الله قائمة … لسيد الخلق من تزهو به العرب
إن كنت قصرت يوما إن لى أملا … فيمن إليه هفا قلبى وأنتسب
فهو الحبيب الذى ترجى شفاعته … من بشرتنا به الأسفار والكتب

رحلة إلى الحياة

للأستاذ: السيد الصديق حافظ

ما الموت ؟ ! ماذا فيه من تلك المعاني الخافيه ؟ !
أعيا فلاسفة الوجود ذوي العقول العاتيه !

• • •

الموت ليس لمؤمن يرجو الحياة الباقيه !
الموت في بردى جهول مثل ثور الساقيه
عاش الحياة بمعدة ملأى ورأس طاويه !
عز المهيمن حيث قال : لنسفعن بالناصيه !

• • •

الموت قنطرة إلى شط الحياة الثانيه !
تلقى التقى هناك في جنات صدق عاليه !
في رفرف خضر وأنهار حسان جاريه !
والمجرمون وكل عاص كبكبوا في الهاويه !
سيقوا إلى ساح الحساب كما تساق الماشيه !
ولهم شراب من حميم نزف عين آنيه !
وطعامهم جوع ضريع في خواء الآنيه !

• • •

يامن سعيت إلى الفلاح ومن أجبت مناديه !
تعنو لوجه الله أوابا وعينك باكيه !
ترجو الرضا من فضيلة طوبى لنفس راجيه !
أبشر بجنات النعيم وبالقطوف الدانيه !
من قال : حسبي الله ربي ! كان ربي كافيه !

• • •

يانفس لا تغررك هاتيك الحياة الفانيه !
لا بد من يوم الفراق ومن نزول الداهيه !
لا تلهينك عن صلاتك أو زكاتك لاهيه !

• • •

يا عالم الأسرار لا تخفى عليه خافيه !
في يوم فر المرء من زوج وأم حانيه !
يارب كاسية ترى يوم القيامة عاريه !
كم صارخ ياويلتي ! لم يغن عني ماليه !
أين اختفى سلطانيه ؟ ! أين اختفى أعوانيه ؟ !
ياليتها كانت ـ وقد حل العذاب ـ القاضيه !

• • •

ياضيعة الإنسان ! كم يلهو وينسى الغاشيه !
يجري ويلهث خلف أوهام السراب الواهيه !
لا يشبع المسكين من زيف الأماني الزاهيه !
دنيا يجن بحبها ! شمطاء تبدو غانيه !
أنفاسنا تفنى وحاجات النفوس كما هيه !
نمضي كما جئنا وتذرونا الرياح السافيه !
سبحانه الباقي تعالى ! فاسألوه العافيه !



فقه المصطلحات العلمية

٥

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

يعتقد البعض خطأ أن مصطلحات الحضارة الغربية ، ذات الدلالات غير الإسلامية ، لا ينبغى استعمالها فى أدبيات الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية ، إما من قبيل الحذر ، أو إيثاراً للسلامة والبعد عن اللبس والغموض ، وكانت النتيجة أن تحاشى بعض الإسلاميين استخدام تلك المصطلحات ، وشجعوا الآخر بذلك على أن يتمادى فى احتكارها ، ويجعلها مميزة لثقافته المادية التى يسعى إلى « عولمتها » .

• **مناهج البحث العلمى :**

يخلط البعض بين « المناهج » بصيغة الجمع و« المنهج » بصيغة المفرد ، ويشيع بين علماء المنهجية العلمية *Methodology* ذلك المنهج الذى ألفوا ترديده منسوباً إلى « ديكارت » و« بيكون » و« ستيوارت ميل » حتى أوشكنا أن نعتقد بما يوهمنا به أنصار الثقافة الغربية من أن قضية المنهج العلمى قد بُتَّ فيها ولم تعد تحتاج إلى نظر جديد ، وإن نظرة فاحصة إلى طبيعة البحث العلمى تدلنا على تعدد مناهج البحث وتغيرها تبعاً لموضوعات العلم ومقتضياته وأدواته ، وتكون قابلة للتعديل المستمر حتى تستطيع أن تفي بمطالب العلم المتجددة ، وإلا فإنها تكون عبثاً على حركة العلم وتقدمه .

ولقد بلغت العلوم المعاصرة درجة من التشابك والتداخل فيما بينها ، بحيث تظل تفاصيل المناهج الفرعية فى تطورها وتغيرها مرهونة بالظروف التقنية فى معامل البحث والاختبار ، ومعتمدة على طبيعة الموضوعات قيد الدراسة التى تختلف من علم إلى علم ، بل وتختلف داخل العلم الواحد ، وكل أنواع المناهج الفرعية تعتبر فى حقيقتها خطوات لمسائل جزئية فى منهج واحد أو نسق عام هو المنهج العلمى الذى يدفع مسيرة التحصيل

المعرفى والتقدم العلمى والتقنى ، على أن يكون المعيار فى قياس سلامة أى منهج هو قيمته الحقيقية التى يكتسبها من نجاح العلم فى بلوغ نتائجه وتحقيق غاياته بالاستناد إلى مسلمات ثابتة تنطلق منها بنية المنهج الأساسية وتأخذ فى اعتبارها عملية التصحيح المستمرة لتلك العلاقة المتنامية والمتبادلة بين الذات الباحثة وموضوعات البحث المختلفة المنبثة فى جنبات الكون الفسيح .

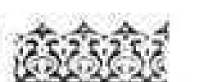
وقد فطن المسلمون الأوائل إلى تعددية مناهج البحث العلمى ، فلم يقتصروا فى عملية الاستدلال المنهجى على استخدام المنهج الاستقرائى القائم على الملاحظة والتجربة ، ولكنهم استخدموا كذلك المنهج الاستنباطى الذى يسير التفكير فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون التجاء إلى التجربة ، كما هو الحال فى بعض فروع المعرفة التجريدية كالرياضيات ، ويعتمد الاستنباط على فرض الفروض لإضفاء مقولات العقل على نتائج الملاحظة والتجربة ، واستخدام الخيال العلمى فى المماثلة بين الظواهر المختلفة للكشف عن الوحدة التى تربط بين وقائع متناثرة ، وابتكار المفاهيم والأحكام المطابقة للواقع والخبرة .

وقد بلغ الإمام أبو حنيفة الذروة فى الاستنباط بالقياس ، حيث كان يبحث عن العلة ، فإذا وصل إليها أخذ يختبرها ، ويفرض الفروض ويقدر وقائع لم تكن موجودة فى الطبيعة أصلاً ، بل يحتمل وجودها ، ثم يبنى عليها حكمه فيما يسمى « بالفقه التقديرى » ، وقد تأثر علماء المسلمين بهذا المنهج فى أبحاثهم العلمية ، على نحو ما تجده فى « مسألة ابن الهيثم » التى اشتهرت عند الأوروبيين باسم « مسألة الهازن » ، وتنص على أنه « إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس ، فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الخط الواصل منها إلى إحدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والخط الواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس » ، وحلول هذه المسألة كثيرة ومتنوعة ، وهى تتراوح بين اليسر والسهولة فى الأحوال العامة حينما يكون السطح العاكس مستوياً ، وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كريا أو أسطوانياً أو مخروطياً ، أو حينما تعتبر حالات خاصة .

وعرف المسلمون كذلك منهج البحث التاريخى فى علم مصطلح الحديث وطرق تحقيق الأحاديث دراية ورواية ، وهو ما يتضح جلياً من دراسة طرق التحقيق التاريخى عند كثيرين من علماء الطبقات .. وللقاضى عياض رسالة فى علم المصطلح حوت من مظاهر الدقة فى التفكير والاستنتاج ، تحت عنوان : « تحرى الرواية والمجىء باللفظ » ، ما يجعلها « تضاهى أدق ما ورد فى نفس الموضوع فى أهم كتب الافرنج فى ألمانيا وفرنسا وأمريكا وإنجلترا » .

أيضاً عرف المسلمون المنهج الجدلى فى آداب البحث والمناظرة ، من خلال الخطاب الإسلامى للعقل وتوجيهه إلى ضالته ، وفى أقوال بعض المتكلمين من المعتزلة نجد ما يدل على أنهم وضعوا الأسس التى بنى عليها هذا المنهج فيما بعد .

روى الأصفهانى قال : « اجتمع متكلمان ، فقال أحدهما : هل لك فى المناظرة ؟ فقال :



شرائط ألا تغضب ، ولا تعجب ، ولا تشغب ، ولا تحكم ، ولا تقبل على غيرى وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلاً ، ولا تجوز لنفسك تأويل مثلها على مذهبى ، وعلى أن تؤثر التصادق ، وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلاًّ منا يبنى مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته . . » ، أليس فى هذه الأقوال الجامعة ما يشير إلى مااكتسبته العقلية الإسلامية من قدرة على توخى الحقيقة بأسلوب علمى دقيق .

إن فى تنوع مناهج البحث العلمى التى مارسها علماء المسلمين بتوجيه مباشر من تعاليم الإسلام ما يعتبر خير رد على دعاوى المشككين فى قدرات العقلية الإسلامية على التنسيق والتجميع والتركيب فى حركات عقلية شملت مذاهب فى علم التوحيد ، وفى علم أصول الفقه ، وفى غيرهما من العلوم العقلية ، وهو ما لم يظفر به الفكر فى غيرهم من الأمم .

● التفاعل الحضارى :

تؤكد الدراسات التاريخية الجادة فى تاريخ العلم والحضارة الإنسانية أن العلاقة المتبادلة بين الثقافات العالمية الكبرى محكومة بالتفاعل المتبادل أخذاً وعطاء من جهة ، مع الاحتفاظ بالخصوصيات والتمايز من جهة أخرى ، ونقصد بالتفاعل المتبادل أن الثقافة الإنسانية ذات موارد متعددة ، بين شرقية وغربية ، يغذى بعضها بعضا ، دون أن تقام بينها حواجز منيعة لا تسمح باتصال أو تبادل ، فقد أخذت حضارات العصور القديمة والوسطى والحديثة ، وأعطت ، مثلما نأخذ نحن اليوم ونعطى ، لتبقى شجرة المعرفة خضراء يانعة ، وارفة الظل وغزيرة الثمار .

وقد جاء الإسلام بمقوماته الحضارية معبراً عن القانون الإلهى الذى أراده الله ـ سبحانه وتعالى ـ ناموساً طبيعياً لحركة الكون والحياة ، وقد كان رائدا الإصلاح : الشيخان جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، بعيدى النظر حين رأيا أن الأصول الدينية الحقة تنشىء للأمم قوة الاتحاد والائتلاف وجمع الشمل ، وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف ، وتنتهى بها إلى أقصى غاية فى المدنية ، ولم يتوافر هذا الذى رأياه إلا فى رسالة الإسلام المكتملة التى جمعت فى إعجاز ربانى بين متطلبات الدين ومتطلبات الدنيا ، وحثت على الانفتاح والتعارف والإخاء الإنسانى ، طريقاً للتكامل بين البشر ، ودعوة للاستفادة من معارف الآخر فى ميادين الرقى المادى والعلوم الكونية .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات ـ ١٣) .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الترمذى والعسكرى : « الحكمة ضالة كل حكيم فإذا وجدها فهو أحق بها » ، ومما يؤكد مبدأ الانفتاح والتواصل بين الأمم فى دعوة الإسلام العالمية من أجل الخير لكل البشر أنه كفل المحافظة على الحقوق والعهود والمواثيق للذين لم يأتمروا عليه .

قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة : ٨) .

وفى ضوء هذه المبادىء السامية التى سنها الإسلام للتعامل مع غير المسلمين انتشرت رسالة الإسلام فى جميع أنحاء الأرض ، وازدهرت الحضارة الإسلامية فى جوانبها المادية نتيجة التقائها بثقافات الإغريق والرومان والفرس والهنود وغيرهم ، حيث تعرف المسلمون على علوم كثير من الشعوب من غير ملتهم ، وتكونت لديهم خبرات واسعة فى شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والعمرانية والعلمية والتقنية ، وترجموا إلى اللغة العربية كل مفيد من تراث الأقدمين ، وصهروا هذه الخبرات والمعارف التى أخذوها واستفادوا منها فى بوتقة الإسلام ، فجاءت الحضارة الإسلامية مطبوعة بطابعه ، ومهورة بخاتمه ، بعد أن أبدعت إسهامات جديدة لم تكن موجودة من قبل .

ومثلما عرف المسلمون عمن سبقوهم ، عرفت أوروبا بعد ذلك منهم ، ومهدت علوم الحضارة الإسلامية لقيام النهضة الأوروبية الحديثة ، ثم قيام حضارة العالم المعاصرة ، وقد لخص « ول ديورانت » ، صاحب « قصة الحضارة » ، جوهر العطاء المتبادل بين الشرق والغرب بقوله : « إن اليونان عرضوا على الشرق الفلسفة ، وعرض الشرق على اليونان الدين ، وكانت الغلبة للدين ، لأن الفلسفة كانت ترفاً يقدم للأقلية الضئيلة ، أما الدين فكان سلوى للكثيرين » .

ولم يجد المنصفون من علماء الغرب المعنيين بتحليل التاريخ الإسلامى أدنى حرج فى الاعتراف بحقيقة العطاء المتبادل بين الحضارات ، بما فى ذلك حضارة الغرب الحديثة ، فيقول أحدهم وهو « كولر يونج » ، فى ندوة عن أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب المسيحى : « ويعد فهذا عرض تاريخى قصد به التذكير بالدين الثقافى العظيم الذى ندين به للإسلام منذ أن كنا ـ نحن المسيحيين ـ داخل هذه الألف سنة ـ نسافر إلى العواصم الإسلامية وإلى المعلمين المسلمين ندرس على أيديهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية ، وفى جملة ذلك

تراثنا الكلاسيكى الذى قام الإسلام على رعايته خير قيام ، حتى استطاعت أوروبا مرة أخرى أن تتفهمه وترعاه ، كل هذا يجب أن يمازج الروح التى نتجه بها ـ نحن المسيحيين ـ نحو الإسلام نحمل إليه هدايانا الثقافية والروحية ، فلنذهب إليه إذن فى شعور بالمساواة ، نؤدى الدين القديم ، ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدينا ما علينا بربحه ، ولكننا سنكون مسيحيين حقاً إذا تناسينا شروط التبادل وأعطينا فى حب واعتراف بالجميل » .

وهكذا يجب أن تكون معادلة التفاعل الحضارى صحيحة فى كل العصور ، وهى بعيدة عن كل الصفات القائمة على التعصب للجنس أو الدين أو البيئة الجغرافية ، فالمعرفة الإسلامية وحضارتها ظاهرة طبيعية لم تخرج عن منطق التاريخ ، ولم يكن بدٌّ من قيامها حين قامت ، وقد قام أصحابها بدورهم فى تقدم الفكر البشرى وتطوره على أكمل وجه ، ولولا ذلك لتأخرت مسيرة التقدم العلمى والتقنى إلى ما شاء الله .

طرائف.. ومواقف

للأستاذ: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الظلم ثلاثة

ظلم لايغفر ، وظلم لايترك ، وظلم مغفور لايطلب .

فأما الظلم الذى لايغفر فالشرك بالله ، قال الله ـ سبحانه ـ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ (النساء : ٤٨)

وأما الظلم الذى يغفر ، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات (١)

وأما الظلم الذى لايترك فظلم العباد بعضهم بعضا .

مسكين ابن آدم

مكتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تقتله الشرقة ، وتنتنه العرقة .

إخواني..

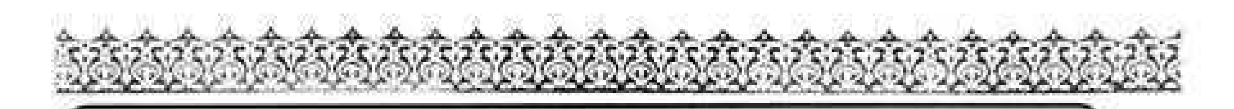
إلى كم تماطلون بالعمل ، وتطمعون فى بلوغ الأمل،وتغترون بفسحة المهل ، ولاتذكرون هجوم الأجل ؟، ماولدتم فللتراب ، وما بنيتم فللخراب ، وما جمعتم فللذهاب ، وما عملتم ففى كتاب مدخر ليوم الحساب ، وأنشدوا :

ولـو أنـا إذا متنـا تـركنـا
لكـان الموت راحة كل حى
ولكنـا إذا متنـا بعثنـا
ونسـأل بعدها عن كل شى

حقا

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فإنما
بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه
فما فاتك منها فليس بضائر

(١) الهنات : جمع هنة بفتحتين : الشىء اليسير والعمل الحقير ، والمراد به صغائر الذنوب .



عـــرقـــوب

العرب تضرب المثل فى الخلف « بعرقوب » . قال ابن الكلبى عن أبيه : كان « عرقوب » رجلا من العماليق ، فأتاه أخ له فسأله شيئا ، فقال له « عرقوب » : إذا أطلع نخلى ، فلما أطلع أتاه ، قال : إذا أبلح ، فلما أبلح أتاه ، فقال : إذا أزهى ، فلما أزهى أتاه ، قال : إذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ، قال : إذا صار تمرا ، فلما صار تمرا جده من الليل ، ولم يعط أخاه شيئا .

قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
ومامواعيدها إلا الأباطيل

وقال الأشجعى :

وعدت وكان الخلف منك سجية
مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

كم فى المسجد من أسطوانة

أتى رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل ، فشهدوا وكانوا عدولا ، فسألهم : كم فى القراح من نخلة ؟ قالوا : لانعلم ، فرد شهادتهم ، فقال له رجل منهم : أنت تقضى فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلمنا : كم فيه من أسطوانة ؟ فأجازهم .

الحســــد

يقال : إن الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء وأول ذنب عصى به الله فى الأرض ، فأما فى السماء فحسد إبليس لآدم ـ عليه السلام ـ وأما فى الأرض فحسد قابيل لهابيل ولذا قال بعض المفسرين فى قوله ـ تعالى ـ على لسان الكفار فى جهنم : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾

(فصلت : ٢٩)

إنه إنما أراد باللذى من الجن إبليس ، واللذى من الإنس قابيل ، وذلك أن إبليس أول من سن الكفر ، وقابيل كان أول من سن القتل ، وإنما كان أصل ذلك كله الحسد .



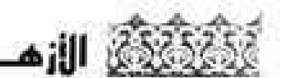
حقيـــقة

الاطمئنان بغير الله خوف ، والخوف من الله اطمئنان من غيره .



دعـــاء

اللهم ارزقنا توفيق الطاعة ، وبعد المعصية ، وصدق النية ، وعرفان الحرمة ، وأكرمنا بالهدى والاستقامة ، وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة ، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة ، وطهر بطوننا من الحرام والشبهة .



هباءة صغيرة في مهمة كبيرة

بقلم الأستاذ:
مجدى عبد الحميد بشير

فى كل مكان عبر الأدغال الكثيفة فى (كوستاريكا) إحدى دول أمريكا اللاتينية تجتذب أزهار (الهاميليا) الحمراء حشرة (الطائر الطنان) الذى يتوقف هناك للحظات يفيد فيها ويستفيد ، فهو لا يحتسى الرحيق فحسب وإنما يقوم بإلقاء بعض من حبوب اللقاح الثمينة التى بها بقاء تلك الأشجار . وككل العلاقات المعقدة التى تسود ساكنى الغابات المطيرة يبدو أن قانون المنفعة المتبادلة بين تلك الحشرات والأزهار أكثر تداخلا وأشد تشابكا . فلقد وجد الباحثون أنه بالإضافة إلى عملية إلقاء حبوب اللقاح فإن هذه النباتات تستغل - دون أن تدرى - الحشرات المتخصصة فى مهاجمة الأزهار التى تجوب الغابة متخذة من مناقير (الطيور الطنانة) وسيلة نقل يبهرها منها ألوانها ، التى تخلب الألباب ، وتسبى العقول . وتذخر الغابات الاستوائية المترعة بالحياة بأنواع من الكائنات جُبلت على الاعتياد على بعضها البعض بطرق وأساليب لا تخطر لبشر على بال . فهذه الكائنات الدقيقة صغيرة الحجم ، لدرجة تعجز معها عن الانتقال ، من مكان إلى مكان ، بمفردها ، ومن ثم تعلمت هذه الكائنات التى تشبه العناكب فى وهنها كيف تستغل وسيلة الانتقال الشائعة من زهرة إلى زهرة ، والتى وفرها لها البارى - عز وجل - .

والعامل الحاسم فى هذا الأمر : هو التوقيت الدقيق الذى يحتم على هذه المخلوقات الهزيلة أن تقفز إلى داخل أفواه الطيور الطنانة السريعة الحركة ، وقد غفلت عن رؤيتها مشتغلة عنها بالهبوط على إحدى الزهرات ، وتظل تلك



الكائنات على حالها إلى أن يقوم (الطائر الطنان) بزيارة تلك الزهور مرة أخرى فتسرع تلك الكائنات الدقيقة بالاندفاع إلى الخارج والنزول ، وذلك بتمزيق أنوف (الطيور الطنانة) التى كانت سببا فى نقل تلك الكائنات من مكان إلى مكان ، ثم تشرع فى الفرار سريعا كالبرق الخاطف ، وذلك إذا كانت تأمل أن تحط على فردوسها المنشود قبل أن يغادره (الطائر الطنان) إلى مكان آخر .

ولقد ألقت دراستان نشرتا فى جريدة (*Biotropica*) ضوءا جديدا على الحكاية الغريبة لتلك الكائنات الدقيقة المبتزة التى تتمحور حياتها حول مواطن الزهور سريعة الزوال ، ورحلات الغدو والرواح ، غير المتوقعة (للطير الطنان ذى الأجنحة) إنها قصة نشأت منذ أكثر من عقدين من الزمان ، كما يقول دكتور (روبرت كول ويل) بجامعة (كونكتيكت) ، وكما يقول أحد علماء بيئة المجتمع بجامعة (مينسوتا) : إنها قصة رائعة حقا ، فهذه الكائنات النحيفة لا أمل لها فى الانتقال لنبات آخر حتى ولو كان شجرة لا يزيد ارتفاعها على مائة وخمسين قدما ، لكنها لن تعدم وسيلة انتقال من زهرة إلى أخرى ، أى عن طريق (الطائر الطنان) ، إنه مثال فريد يرينا كيف يكيف الكائن الدقيق بين ما وُهب من إمكانيات على ضآلتها لتتوام مع ظروف عيش وضع فيها مهما كانت صعبة ، ويقول الباحثون :

إن التحليل المستفيض لهذا التكيف أبان وأوضح الجهد الشاق الذى يبذله الكائن الموجود بالغابات المطيرة ليعيش حتى ولو لم يزد جرمه عن جرم النقطة الموضوعة على حرف (ن) إلا قليلا .

وقال دكتور (بريان فارل) أحد علماء البيولوجيا بجامعة (كلورادو) : لقد تمكنا من الإجابة عن أسئلة كثيرة ، والسبب معرفة تلك الكائنات بكثير من الأسرار المذهلة .

ويضيف : إن معرفة هذه الأسرار بالتفصيل استغرق منا عشرين عاما من العمل الدءوب ، ونادراً ما شاهدنا هذا النوع من التفانى ، وهو الدستور الذى يحكم عالم الغابات الاستوائية .

ولتصوير عملية التعايش الحيوية بين هذه الكائنات تقول صحيفة (نيويورك تايمز) بمقال نُشر بتاريخ ١٩٩٥/٥/٢ : المكان : الغابة ، والوقت : منتصف الليل ، وحشد هائل من الكائنات اعتراه القلق أخذ يتجمع متخذا وضع الاستعداد على النباتات التى بدأت فى التفتح ، وآلاف الكائنات على شجرة (الماميليا) الصغيرة تنتظر الوقت الموعود عندما تتفتح أبواب وريقات الأزهار ، فتندفع تلك الكائنات مسرعة إلى الداخل ، وما أن تكون داخل الزهرة حتى تبدأ وليمة لا تدوم إلا قليلا . ولأن وقتها ثمين فهى تعجل بأكل حبوب اللقاح ، وامتصاص الرحيق الذى أخذ يتشكل عند الفجر ، ثم تنخرط تلك الكائنات فى عملية تزاوج يتعارك فيها الذكور للسيطرة على مأوى الإناث ، وهذه الكائنات تتمنى البقاء هناك طيلة حياتها ، لكن قليلا من مغامرات الإناث يقامرن بإصابة لباب الزهرة فى عنقود غير مأهول بالحشرات ، كما أن الذكور تخاطر بغية العثور على فيض من الإناث العذارى واللاتى أخذن يستكشفن الأماكن البكر المستورة التى تناثرت عبر أنحاء الغابات المطيرة الشاسعة ، ولذا فإن هذه

الكائنات الدقيقة التى زود كل منها بثمانية أقدام لا تستطيع الاتكال عليها تختبىء بمناقير (الطيور الطنانة) ثم تنجو بحياتها .

ويقول دكتور (كول ويل) : إنه فى سنة ١٩٦٩ عندما كان يدرس أحد مناهج الحياة الاستوائية فى (كوستاريكا) لاحظ أن الكائنات توجد فقط فى الأزهار الحمراء اللامعة التى تتردد عليها (الطيور الطنانة) وفى مقابلة أجرتها معه : (*LA SELVA*) وهى محطة أبحاث تابعة لمنظمة (الدراسات الاستوائية) حيث أجرى الكثير من بحوثه .

يقول دكتور (كول ويل) : إن تلك الكائنات كانت معروفة لنا قبل ذلك بخمس سنين ، لكن أحدا لم يكن يهتم بها أو يعرف عن طبيعة عملها شيئا . ثم يشير بيده إلى أحد (الطيور الطنانة) التى توقفت لثوان معدودة على زهرة بعد زهرة ، فيلاحظ الورطة التى تقع فيها تلك الكائنات .

لقد تخصص كل منها فى نوع من الأزهار ، لكن الحيرة أحاطت بها ، ثم يقول دكتور (كول ويل) : إن الطائر الوحيد يمكن أن تجد داخل أنفه ثلاثة أنواع من الكائنات الدقيقة قد تصل أحياناً إلى خمسة أنواع . وليس أمام أى من هذه الكائنات إلا ثانيتان أو ثلاث تتخذ فيها قرار الإفلات من منقار ذلك الطائر أو تواجه خطر الموت . وهو وقت جد قصير . لكن هذه الكائنات نادرا ما تخطىء ، إذ أن الخطأ فى عملها لا يتجاوز بحال واحدا فى المائتين . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : كيف تأتى لتلك المخلوقات الصغيرة العمياء التى تكاد تخلو من الرأس والمخ أن تعمل وتتصرف على هذا النسق ؟! وكيف فطنت للتمييز بين الأنواع المختلفة من الأزهار ، وكيف ألزمت نفسها بأن تحط ، وفى اندفاعة جنونية تضم اثنى عشر من تلك الكائنات فى الثانية الواحدة على النبات مخترقة مناقير الطيور التى قامت بنقلها والتى كان بإمكانها الإجهاز عليها ، وهى بداخل أفواهها ، فلم تستطع إلى ذلك سبيلا ؟!

إنها قدرة الله .

ومضمون ما اكتشفه الباحثون هو أن تلك الكائنات الواهية تتعرف على نوع النبات الذى تفضله عن طريق رائحة العطر المنبعث من الرحيق ، وفى اختبارات قُدم فيها للكائنات نوع من الرحيق لم تتخصص فى احتسائه ، فرفضت وأصرت بإلحاح على الذهاب لأنواع العسل الذى اعتادت تناوله ، وألفته ، وما أن تتعلق تلك الكائنات بتجاويف أنوف (الطيور الطنانة) سابحة فيها للتخلص مما علق بها من (أوضار) حتى تدرك تلك الكائنات الزمن الذى تصل فيه المحطة المطلوبة . ولديها بالطبع تبريراتها المعقولة فى اختياراتها السليمة ، فبعض أجناسها والذى نسب إلى مكتشفه فسمى (كولويل) يعلم أن الهبوط على الزهرة الخطأ يعنى الموت ، إذ أن بعض الأزهار التى تزورها الطيور خطأ تأوى كائنات أخرى تقتل زائريها ، كما أن الكائن - إن ارتكب خطأ - فهو إنما يخاطر بالضياع ، وفقدان السبيل ، وقد يأسى من العثور على أليف يشاركه الحياة .

ويقول الباحثون : إن ما لهذه الكائنات من عادات أمدت علماء البيئة بإجابات جديدة عن سؤال يقول : لماذا ينحصر عمل الكائنات

والحشرات آكلات النباتات فى مهاجمة نوع واحد أو بضعة أنواع من الزهور فقط ؟

ويفسر دكتور (فاريل) بالقول : إن الباحثين الحقيقين ركزوا على أهمية الكيماويات الدفاعية فى بعض النباتات ودورها فى إبعاد الحشرات والآفات الأخرى عن النباتات .

وفى ورقة بحثية قدمها دكتور (تولويل) وأخرى كتبها طلبة دراسات عليا متفرغون من كلية (كارلتون) تم إلقاء ضوء جديد على طبيعة تلك الكائنات ، فهى كائنات متوحشة جدا سريعة الازدراد لدرجة أنها تلتهم حوالى نصف الرحيق القيم الذى كان يمكن أن يخرج لنا النحل منه عسلا فيه شفاء للناس ، بالإضافة إلى التهامها لثلث كمية اللقاح .

وينتهى دكتور (كولويل) إلى القول : إنها عملية سيئة ، فهذا اللقاح هو كالنطفة والأمشاج بالنسبة للإنسان ، أو كالخلايا التناسلية وتمثل هذه الكائنات مشكلة ضخمة ، إذ هى منافس عنيد للنحل . إنها تتخذ منه مجرد وسيلة تنتقل بها مجانا من زهرة إلى أخرى ، كما أنها تستولى على طعامه من الرحيق وتحرم النبات من اللقاح الذى هو عماد حياته فانظر ـ وفقك الله ـ إلى هذا الكائن الواهى الذى يكاد يشبه الهباء ، وكم يحدث من الأفعال ، ويأتى من الأعمال لتدرك مدى ضعف الإنسان ، الذى غره حلم ربه عليه ، فطغى وتجبر ، ثم انظر كيف بث ـ سبحانه ـ هباته ، واختص مخلوقاته الضعيفة بالجانب الأوفر منها ، فعملت وكدحت وشكرت .

تنويـــه

● نود الإشارة إلى ان موضوع ، نظرات حول التصوف ، والذى نشر بعدد شهر ربيع الآخر ١٤١٩هـ اغسطس ١٩٩٨م بقلم الأستاذ بدوى طه بدوى ، اعتمد الكاتب فى كثير من مادته العلمية على الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية للأستاذة الدكتورة فاطمة محجوب العدد رقم ٩١ . وقد فات الكاتب الإشارة إلى المصدر العلمى الذى رجع إليه فى كثير من مادته ، لذا لزم التنويه .



قصائد للإسلام والقدس

رؤيــة موضوعية

للأستاذ : نبيـل محمد رشاد*

تساءل - منذ فترة - أستاذنا الدكتور الطاهر مكى عما أصاب شعراءنا - هذه الأيام - بيلادة الحس ، وجمود المشاعر ، وتحجر العواطف[1] في وقت تتكالب فيه على الأمة العربية والإسلامية ذئاب البشر ، وتتداعى عليها فيه الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، وتأتيها المصائب والنوازل مصبحة وممسية ، وتتغطرس إسرائيل ، وتمارس أبشع صنوف الاضطهاد والتشريد والتعذيب والطرد تجاه العرب والمسلمين في القدس الشريف والأراضي المحتلة ، ويسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى من الفلسطينيين بين الحين والحين دفاعاً عن حقوقهم المشروعة ووطنهم السليب .

ولعل هذا الديوان «قصائد للإسلام والقدس» للشاعر العالم الدكتور سعد دعبيس[2] يمثل صرخة تشق جدار الصمت لتعلن - أولاً - أن هناك نفراً من شعرائنا لايزالون يعيشون هموم مجتمعاتهم ، ويعبرون عن آمالها وآلامها ، ويتفاعلون مع ما يحدق بها من أحداث جسام ، ولتعلن - ثانياً - أن هذا الشاعر واحد من هؤلاء .

---

* الكاتب مدرس مساعد بكلية التربية - جامعة عين شمس .

(1) د . الطاهر مكي : شمس الشعر الغاربة . مقال بمجلة الهلال عدد ديسمبر ٩٦ . ص ١٠٦ .

(2) د . سعد دعبيس شاعر مصري معاصر له عدد من الدواوين الشعرية من أهمها « البحث عن إنسان » ، و « الحلم إنسان » ، و « اعترافات إنسان » ، وله عدد من الدراسات الأدبية والنقدية من أهمها : « الغزل في الشعر العربي الحديث » ، و « حوار مع الشعر الحر » ، و « نازك الملائكة » .



والدكتور سعد دعبيس شاعر ينطلق فى إبداعه الفنى من موقف محدد ، وأيديولوجية خاصة ، ذلك أنه أحد الشعراء الذين أسهموا إسهاماً فعالاً فى تنشيط حركة الأدب الإسلامي ، وهو فى مفهومه ذلك الأدب الذى يتبنى قيم الإسلام السامية ، ومبادئه العليا ، وغاياته الشريفة ، ويستمد موضوعاته من تلك القيم والمبادىء والغايات مضافاً إليها مايحفل به التاريخ الإسلامي ـ ممثلاً فى سيرة الرسول ـ ﷺ ـ ، وسير خلفائه الراشدين ، وصحابته الأكرمين ، ثم سير علماء الأمة ومفكريها وفلاسفتها ومبدعيها ـ من صفحات ناصعة ، وصور رائعة لحميد الفعال ، وكريم الخصال .

والأديب المسلم عند الدكتور سعد دعبيس هو ذلك الأديب الذى يتبنى قضايا مجتمعه الإسلامى [1] ، وينفعل بها ، ويعبر عنها فى إبداعه داعيا المجتمعات الإسلامية إلى التخلص مما حاق بها من أسباب الضعف والتخلف ، وحاثاً إياها على استشراف المستقبل ، والتأهب له بالاتحاد ونبذ عوامل التفرق والتشرذم ، والأخذ بأسباب العلم واستيعاب منجزات العصر الحديث وتقنياته فى جميع المجالات ثم العمل بعد ذلك على أن تكون لهم إضافاتهم إلى صرح الحضارة ، ومشاركتهم فى النهضة العالمية الحديثة .

وهذا الديوان الذى نعرض له بالتحليل والنقد ينحو هذا المنحى ، وهو كما يبدو من عنوانه يتبنى قضيتين أساسيتين :

أما القضية الأولى : فهى الدعوة إلى الإسلام بما يحمل من قيم التواد والتعاطف والتراحم والتعاون ، وبما يدعو الناس إليه من الحرية والمساواة والعدل ، فهو دين يسوى بين الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، لافرق فيه بين صغير وكبير ، ولا بين أبيض وأسود ، إلا بما يقدمه للناس من خير ، وبما يحمل فى قلبه من رفق وفى نفسه من إباء للضيم وترفع عن الدنايا ، وفى هذا يقول الشاعر من قصيدته « إنسانية الإسلام » على لسان الإسلام نفسه :

صلتى بالكون .. إنسانية
تلتقى أجناسها فى المعبد

قيم الأفراد .. فى أعماقهم
ليس بالأبيض .. وبالأسود

إنما أجناسنا أسطورة
تنمحى أوهامها فى المسجد

وبريق اللون يخبو عندما
يسجد الناس لرب أوحد [2]

وفى سبيل الدعوة إلى الإسلام يمضى الشاعر فى قصيدته يستعرض على لسان الإسلام نفسه أمجاد هذا الدين ، وأثره على بنى الإنسان فى المشارق والمغارب حيث صهرهم يوماً فى بوتقة

(١) د . سعد دعبيس : قصائد للإسلام والقدس ـ المقدمة ص ٨ ـ الطبعة الأولى القاهرة ٨٩ ، وجميع الإحالات بعد ذلك على هذا
(٢) الديوان ص ١٠٣ .

واحدة وجمعهم على كلمة واحدة ، وأذاقهم نعيم الوحدة العامة ، والأخوة التامة ، والمساواة والعدل المطلق مما أتاح لهم أن ينسوا ماكان بينهم فى سالف الزمان من إحن وثارات :

قـد سكبت الكون يومـاً وحـدة
مـن أزاهـير ربـيـع مـورق

غـرد ابن الغـرب فيهـا لحنـه
مـثـلما هـام بهـا ابـن المشرق

نسى الـرومـان والفـرس بهـا
إحنـا كـانت كـليـل مـطبق

وَغَـدَوْا من بعـد حـرب إخـوةً
وزهى الكـون بعدل مـطلق[1]

وفى ظل هذا العدل المطلق والوحدة الجامعة نشأت حضارة هذا الدين ، تلك الحضارة الإسلامية التى أعلت قيمة الإنسان ، وغالت بكرامته ، وصانت آدميته ، وحفظت عليه حياته - حتى وهو أسير - فلم تفكر يوماً فى الاعتداء عليها أو إزهاقها ، أو اختراع أدوات ومواد تنسفها وتبيدها :

لم تـبـح قـتـل أسـير أعـزل
بـجـراثـيـم وبـاءٍ مـعـدم

لم تـفـجـر ذرةً طـائـشـةً
تجعـل الكـون بقـايـا مـأتم[2]

والشاعر فى هذا يعرض بالحضارة المادية الغربية الحديثة التى تقوم على البطش بالضعفاء ، والفتك بالأعداء دونما تفرقة بين برىء ومجرم ، وظالم ومظلوم ، ومحارب ومسالم .

ويدرك الشاعر أن فى الإسلام علاجاً للإنسانية جمعاء من آلامها وهمومها وشقائها وتعاستها بما أنجزت من تقدم مادى باعد بينها وبين عالم الروح ، وبما تردت فيه من الانحلال والتفكك والتمزق لذا نراه ينادى الإنسان - أياً كان موقعه على خريطة المعمورة - على لسان الإنسان نفسه فيقول :

يـاأخى فى الشرق والغـرب أفق
آن أن تـسـمـع ألحـان المـنى

آن أن يـغـمـر عينيـك السـنـا
فـأصـغ للفجـر يسرى معلنـا

وارقـبـوا الأفـق فـإنى قـادم
واسمعوا صوتى . . إنى هاهنا

إننى الإسـلام . . حلم العـالم
أنا طب الكون . . آمال الدنـا[3]

ويرى الشاعر النبى - ﷺ - شمس اخضرار تبدد ظلام اليأس والقنوت والحيرة ، وتزرع الأمل والخير والسلام فى دنيا الوجود :

---

(١) الديوان ص١٠٥ .
(٢) الديوان ص١٠٦ .
(٣) الديوان ص١٠٦ .

أراك عـلى الأفق شمس اخضرار
تـرفـرف فـوق القـرى والـدروب

تـذيب جبـال الأسى والهمـوم
حـدائق ضـوء بسفـح خصيب[1]

أما القضية الثانية : التى تبناها هذا الديوان فهى « قضية القدس » التى كتب فيها عدداً من القصائد من مثل « خلفيتان لصورة القـدس » ، و« وطن المسلم » ، « إنهم يسرقون القدس من معجم البلدان » وفى هذه الأخيرة تمتلىء نفس الشاعر بالحيرة الممزوجة بالحسرة والألم حتى إنه ليتساءل قائلاً :

أتـرى زيـفـوا المعـاجـم حتى
نسى الـقـدس معجم البـلدان

أين ألقى فى معجم اليـوم رسـما
لـبـلاد الإسراء والإيمـان

وطن . . مسجد . . أذان . . صلاة
أين ألقى بيـان تـلك المعـانى[2]

ويشير الشاعر إلى مايرتكبه المحتل فيها من اعتداء على الحرمات ، وقتل للأبرياء ، وإشاعة للخوف والذعر :

جنـود صهيون قـد ساقـوا قوافلنا
أسرى لأمـرهـمو نعنـو ونـأتمـر

وهتكوا عرض من شاءوا وما رحموا
وعربدوا مثلما شاءوا وما ازدجـروا

ومـزقـوا جثث الأطفـال فى نهم
وهللوا لدم الأطفال وافتخـروا[3]

وينظر الشاعر إلى هذه الأفعال التى يرتكبها المحتل فى الأراضى الفلسطينية فيراها لا تصدر عن إنسان له قلب وروح ، وعروق تجرى فيها دماء الحياة فتساءل : من أى جنس ياترى من الأجناس هؤلاء العابثون بالكرامة الإنسانية ، المحطمون لأروع حضارة عرفتها البشرية على مر التاريخ ؟ ، أهم من الحيوانات العجماوات ؟ ، ومن أى فصائلها هم إن كانوا منها ؟ ، أمن الوحوش أم من البقر ؟

وحوش غاب همو . . لا بل زبانية
الـوحش يـأنف ممـا يفعـل الغجـر
أهم بهائم . . قد أرخوا أزمتها
حيروحش همو . . أم ياترى بقر[4]

وسرعان مايتذكر ماجبلت عليه الحيوانات من الرحمة فيدرك أنه :

لا شىء من عالم الغابات يشبههم
فللوحوش قلوب . . مثلما البشر[5]

ولا يدعنا الشاعر نتوهم أن قلوبهم قد قدَّت من حجارة صماء لا تشعر ولا تحس ولا تلين حيث يقول :

---

(1) الديوان ص٨٦ .
(2) الديوان ص٢٤ .
(3) الديوان ص٤٠ .
(4) الديوان ص٤١ .
(5) الديوان ص٤١ .

حتى الصخور إذا قيسوا بها رفضت
فالصخر من قلبه الأمواه تنفجر

وهو فى هذا البيت متأثر على المستويين التعبيرى والتصويري بالآية القرآنية التى وصف بها الحق جل جلاله ـ قسوة قلوب بنى إسرائيل ، وهى قوله تعالى ناعياً عليهم تحجر قلوبهم ومشاعرهم :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ
لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة ـ ٧٤) .

ويقف الشاعر مشدوهاً أمام الطفل الفلسطيني الذى يقاوم الاحتلال والعنف الإسرائيلي بالحجارة ، ويهدى أروع قصائده « العيد . . والمآذن الثائرة » إلى الأم الفلسطينية التى قدمت للعالم أطفال ثورة الحجارة .

ويرى أن الحجر فى يد الطفل الفلسطيني قد تكلم فأحسن البيان . . أسمعه وهو يقول على لسان طفل يخاطب أمه ، ومن حوله من أهل وأحباب :

أرأيت أشعار الحجارة كم لها سحر مبين
فلتسقطوا فى البلاغة فى الحواشى والمتون
ولتدرسوا الأحجار فهى بلاغة الخبر اليقين

●●●

فن الحجارة مولد لبلاغة لاتستكين
إن البلاغة حيثما الأحجار تأبى أن تهون
ولقد تعيد حجارة رشداً لمن زعم الجنون
ولقد تبين حجارة صبها ما لا يستبين

●●●

إن البلاغة موقف فاختر لنفسك أن تكون
وربما يغنيك عن بلاغة أن تكون . . ولا تكون
وسل الحجارة حين تحملها قلوب المؤمنين
سلها فإن بيانها يشفى قلوب الحائرين[2]

لقد خلع الشاعر فى هذه القصيدة على الحجارة كل معانى الحياة الإنسانية ، فهى تقول شعراً له سحر مبين ، وتعيد الرشد لمن زعم الجنون ، وتَسْأَلُ عن نفسها فتجيب إجابة تشفى قلوب الحائرين .

كما زاوج فيها بين الأساليب الإنشائية والخبرية للتعبير عن انفعالاته وأحاسيسه بهذه الانتفاضة ، وهؤلاء الأطفال الذين استطاعوا ـ بالحجارة وحدها ـ أن يقضوا مضاجع المحتلين ، وأن يلفتوا أنظار العالم كله إلى ما أحاط بهم من الظلم ، وما لفّ حاضرهم ومستقبلهم من الضياع .

وعلى هذا النحو من التعبير والتصوير يمضى الشاعر فى بقية قصائد ديوانه القيم الذى أثرى به ـ ولاشك ـ دنيا الشعر العربى الحديث .

---

(١) الديوان ص٤١

(٢) الديوان ص٣٧



يحررها الدكتور: حسن على محمد

• من المحرر •

تحية للرجال فى عيد النصر

كلما أهلت ذكريات النصر فى حياة العرب .. وكلما صدحت الموسيقى ، وذاعت الأغانى والأناشيد .. وكلما رفع عربى رأسه مزهواً بالنصر .. وكلما نبت زرع فى سيناء واخضرت الصحراء .. دوّت فى أذنى صيحات .. الله أكبر ، وتذكرت أيام العاشر من رمضان المجيدة ، جند صائمون ، يقاتلون من أجل الأرض والكرامة هتافهم .. الله أكبر .. زلزل أقدام الغدر ، زلزل أقدام الجبناء .

الدرس المهم فى نصر أكتوبر : أن العلم بدون إيمان هزيمة ، تمثلت فى الجيش اليهودى .

وأن الإيمان والعلم قوة جبارة ، تمثلت فى الجيش المصرى .. وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .

حسن على

مصـر :

الرئيس مبارك فى حديث لجريدة « القوات المسلحة » :

□ مصر لا تقبل الضغط عليها ولا تقبل ما يتعارض مع مصالحها .

□ دروس التاريخ تفرض علينا ضرورة الحفاظ على جيش قوى قادر .

□ حرب أكتوبر حرب مشروعة لتحرير الأرض ، ودفع العدوان .

● **القاهرة ـ نقلاً عن جريدة « القوات المسلحة » :**

شهدت مصر احتفالات ضخمة ، بانتصارات السادس من أكتوبر ، بمناسبة مرور ٢٥ سنة على ذكرى الانتصار ، ودحر العدوان .. وقد أجرت جريدة « القوات المسلحة » حديثاً مع السيد رئيس الجمهورية بهذه المناسبة .

وقد أعلن السيد الرئيس : أن القوات المسلحة المصرية قد شهدت طفرة كبيرة من التطور والتحديث ، وقال السيد الرئيس : إن السلام يحتاج إلى قوة تحميه ، لأننا نعيش ظروفاً إقليمية ، ودولية دقيقة ، تتطلب المزيد من الحذر ، وأن دروس التاريخ تفرض علينا الحفاظ على جيش قوى وقادر ، وأن نحتفظ بقدرة دفاعية كاملة ، تتيح لنا أن نقوم بدورنا الحيوى ، مؤكداً حرص مصر على السلام العادل والشامل .

وتناول الرئيس فى حديثه ذكرياته عن حرب أكتوبر ، وقال إنها منحته الكثير من الدروس ، وأن حرب الاستنزاف كانت هى المدرسة التى تعلمنا فيها جميعاً ، وانصهرت فيها قدرة الشعب المصرى مع قواته المسلحة .

وأشاد السيد الرئيس بدور القوات المسلحة مؤكداً أنها مدرسة المواطنة والانتماء ولا تعرف الفرق بين عنصرى الأمة ، وهى مصدر الثقة والأمان لكل الشعب المصرى .

● ● ●

□ د . حمدى البنبى وزير البترول :

عائدات البترول العربية قفزت من ٩ إلى ٦٨ مليار دولار نتيجة حرب أكتوبر .

صرح وزير البترول المصرى بأن صادرات مصر البترولية بلغت ٥٠ مليار دولار منذ أكتوبر ١٩٧٣ وحتى الآن ، وأوضح أن الحرب أتاحت للدول العربية المنتجة للبترول أن ترتفع عائداتها السنوية من ٩ مليارات إلى ٦٨ مليارا فى عام ١٩٧٦ نتيجة لتزايد أسعار البترول ٤ مرات .

● ● ●

□ د . حمدى زقزوق وزير الأوقاف :

مبارك مهتم بالمساجد وإحلالها بتكلفة ٦٨ مليون جنيه لهذا العام .

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف المصرى : أن موازنة الدعوة الإسلامية فى عهد الرئيس مبارك تضاعفت ، حوالى ١٨ مرة ، حيث

كانت فى عام ١٩٨٢/٨١ حوالى ٣٧ مليون جنيه ، وأصبحت ٦٦١ مليون جنيه ، كما زاد عدد العاملين خلال نفس المدة من ٩٣٩٣ إلى ٣٦ ألفا و٣٤٣ .

وأكد وزير الأوقاف اهتمام الرئيس مبارك بالمساجد ، ودورها فى نشر الإشعاع الفكرى ، والدين المستنير ، كما زادت أعداد المساجد الحكومية من ٥٤٠٠ مسجد عام ١٩٨١ إلى ٣٩ ألف مسجد عام ١٩٩٧ .

وقال وزير الأوقاف : إن الحكومة خصصت عام ١٩٩٣/٩٢ حوالى ١٥,٦ مليون جنيه لصيانة المساجد المتأثرة من الزلزال .

وأكد وزير الأوقاف على حرص الدولة على نشر الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ، حيث أصبح الآن لدينا ٢٥٨٢ كتّاباً .

□ د . جويلى وزير التموين :

مصر ترفض التنازل عن شروط الذبح وفقاً لأحكام الشريعة .

أكد الدكتور أحمد جويلى وزير التموين والتجارة : رفض مصر التنازل عن شروط الذبح وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، وإثبات طريقة الذبح على الدواجن المستوردة من الخارج .

وقال الوزير أمام اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب : إن هذا الشرط يتقدم جميع المواصفات ، التى حددتها مصر للسماح باستيراد الدواجن ، وفقاً لاتفاقية الجات .

● ● ●

الأوقاف تهدى جامعة جنوب الوادى أحدث مكتبة إسلامية .

صرح الدكتور نشأت فهمى رئيس جامعة جنوب الوادى بالإنابة أن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أهدى مكتبة إسلامية حديثة لجامعة جنوب الوادى .

ويأتى هذا فى إطار جهود المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ووزارة الأوقاف فى تثقيف الشباب الجامعى ، ومساعدته على الفهم الصحيح للدين الإسلامى ، كما أهدت وزارة الأوقاف الكويتية مكتبة إسلامية لجامعة جنوب الوادى .

● ● ●

□ مفتى الجمهورية يطالب الدول الإسلامية بمساندة أندونيسيا .

طالب فضيلة المفتى بمساندة أندونيسيا وتقديم يد العون لها للخروج من أزمتها الاقتصادية ، حتى يكون للمسلمين قوة فى مواجهة أعداء الإسلام ، الذين يهدفون إلى إضعاف المسلمين .

باكستان :

مؤيدو الشريعة يطالبون بالقرآن قانوناً وحيداً للبلاد

إسلام آباد ـ أ . ش . أ :

أعلن رئيس وزراء باكستان أن باكستان دولة

إسلامية ودستورها ينص على أن ديانتها الرسمية هى الإسلام .

واعلنت باكستان أنها لن تتخلف عن سداد فوائد دينها الخارجى البالغ ٣٠ مليارا بعد أن هبّت الدول الإسلامية لنصرتها .

وأشار متحدث رسمى أن بنك التنمية الإسلامى قدم بالفعل مساعدة قدرها ١,٥ مليار دولار لباكستان لحل أزمة السيولة ، التى تعانى منها وجعلتها تفكر فى تجميد ديونها .

● ● ●

.. وإسرائيل تلوح بتدمير المنشآت النووية الباكستانية

تل أبيب ـ إسلام آباد ـ وكالات الأنباء :

أبلغت دوائر إسرائيلية نظيرتها الأمريكية فى واشنطن أن تل أبيب سوف تجد نفسها مضطرة إلى مهاجمة باكستان بالصواريخ والضربات الجوية الموجهة حال قيام باكستان بإجراء تجارب نووية جديدة .

وقالت إسرائيل بأنها لن تسمح لأية دولة إسلامية بامتلاك السلاح النووى لتهديد ذلك للأمن القومى الإسرائيلى .

إيران

حشود عسكرية ضخمة على
الحدود الإيرانية الأفغانية

طهران ـ إسلام آباد :

هددت إيران بالثأر لمقتل دبلوماسييها بأفغانستان ، وقد جاء هذا التهديد مصحوباً بمناورات عسكرية ضخمة ، وحشود بلغت حوالى ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل تم نشرها على الحدود الإيرانية الأفغانية .

كما أعلن الرئيس الإيرانى : أن صبر إيران بدأ ينفد ، وأن على طالبان أن يسلموا الرهائن المحتجزين هناك ، ومعاقبة المتسببين فى قتل الدبلوماسيين الإيرانيين .

● ● ●

الرئيس الإيرانى يلقى كلمة بلاده
فى الأمم المتحدة

طهران : أ . ش . أ :

ألقى الرئيس الإيرانى محمد خاتمى كلمة بلاده أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر الماضى خلال دورة انعقادها الجديدة ، وقد لقى ترحيباً كبيراً ، كما رصدت الدوائر السياسية غزلاً بين الإدارة الأمريكية والحكومة الإيرانية لفتح صفحة جديدة بين إيران وأمريكا .

والمعروف أن الرئيس خاتمى هو أول رئيس إيرانى يلقى كلمة بلاده فى الجمعية العامة منذ عام ١٩٨٦ .

لبنان

المدفعية الإسرائيلية تهاجم جنوب لبنان :
القبض على شبكة جاسوسية تعمل لصالح اليهود

بيروت : (ر) :

شنت ٤ طائرات إسرائيلية غارتين على تله مليتا

ومزرعة عفياتا بإقليم التفاح ، كما قصفت المدفعية الإسرائيلية قرى زوط الشرقية وبلدة المنصورى .

وعلى صعيد آخر صرح مصدر أمنى بأنه تم إلقاء القبض على مجموعة كبيرة من المتعاملين مع إسرائيل فى منطقة الضاحية الجنوبية لبيروت تجاوز عددهم عشرين شخصاً .

الأردن :

الطراونة يستبعد مشاركة الأردن فى التعاون العسكرى الإسرائيلى ـ التركى

عمان ـ وكالات الأنباء :

أعلن الدكتور فايز الطراونة رئيس الوزراء الأردنى أن بلاده لن تشارك فى التعاون العسكرى التركى الإسرائيلى مؤكداً أن الأردن ليس جزءا من أى تحالف ذى طابع أمنى .

جاء ذلك فى أعقاب المباحثات التى أجراها الطراونة مع نظيره التركى مسعود يلماظ الذى بدأ جولة فى المنطقة ، زار خلالها الأردن وإسرائيل وفلسطين .

قطر :

لا خلافات جوهرية فى العلاقات المصرية القطرية

الدوحة ـ وكالات الأنباء :

أكد السفير محمد بن حمد آل خليفة سفير قطر بالقاهرة أنه لا توجد أية خلافات جوهرية بين القاهرة والدوحة مشدداً على قوله أن العلاقات المصرية القطرية تسير من حسن إلى الأحسن .

وقال السفير أنه تجرى حالياً اتصالات بين البلدين لتحديد موعد انعقاد اللجنة المصرية ـ القطرية العليا .

• • •

فلسطين :

١٠ ملايين دولار خسائر فلسطين يوميا بسبب الحصار اليهودى

غزة ـ أ . ش . أ :

أكد ماهر المصرى وزير التجارة الفلسطينى أن الخسائر الفلسطينية نتيجة الحصار الإسرائيلى المفروض على الأراضى الفلسطينية .

وقال : إن الحصار يشمل منع العمال والبضائع بما يخالف الوعود الإسرائيلية بعدم اللجوء إلى إغلاق الحدود أو منع العمال من الوصول إلى أعمالهم .

• • •

مسئول يهودى يشيد برغبة جماعة يهودية فى هدم المسجد الأقصى

أشاد نائب وزير التعليم اليهودى بدعوة جماعة يهودية لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه .



الجديد في العلم والتقنية

للدكتورة : نجوى السيد أحمد(*)

جهاز إلكتروني لقياس درجة تلوث الماء :

ابتكرت شركة فرنسية جهازاً إلكترونياً لقياس درجة تلوث الماء . تقوم فكرة الجهاز على الاستفادة من قدرة بعض أنواع البكتريا البحرية على إطلاق الضوء ، حيث يتم إدخال البكتريا في الماء المطلوب قياس درجة تلوثه ، ومن خلال مضاعف ضوئي حساس بالجهاز تقاس درجة هبوط الضوء بفعل التلوث .

الأوزون لتنقية مياه الشرب :

يتم الآن في فرنسا استخدام الأوزون لتنقية مياه الشرب في محطات التنقية ، حيث يتكون جزيء الأوزون من ٣ ذرات أكسجين ، وعندما يتم حقن الماء بالأوزون يقوم بتدمير جميع الكائنات الدقيقة الحية ويزيل أي تلوث للمياه . ويرى الخبراء أن الأوزون لا خطورة منه على صحة الإنسان ، كما أنه مادة غير ثابتة يتم تحللها بسهولة إلى الأكسجين وبذلك فهو لا يترك أي أثر على وجوده في الماء .

غسيل الفاكهة والخضروات آليا :

أنتجت شركة فرنسية ماكينة لغسيل وتنظيف الفاكهة والخضروات تعمل بنظام متكامل يحتوى على جميع الأوامر والبيانات الخاصة بمختلف المنتجات المراد تنظيفها . تتميز الماكينة باستخدام تيارات الماء والهواء في عملية الغسيل مما يسمح بسهولة وسرعة تنظيف الخضروات والفاكهة والمحافظة عليها ، بالإضافة إلى توفير استهلاك المياه بنسبة ٥٠٪ والطاقة بنسبة ٣٠٪ .

خطورة الإسراف في استخدام المنظفات الصناعية :

أشار تقرير للمعهد القومي للسرطان بالولايات المتحدة الأمريكية إلى أن الإسراف في استخدام المنظفات الصناعية قد يؤدي إلى الإصابة بسرطان الدم ، حيث إن مادة الكلور المستخدمة في تصنيع هذه المنظفات تتحد مع المركبات العضوية للمياه مكونة مادة تعرف بالهالوميثانات المسرطنة التي

(*) أستاذ باحث مساعد ـ المركز القومي للبحوث بالدقي .

تتخلل الملابس ومع استمرار الاستخدام تنفذ هذه المادة إلى دم الإنسان من خلال مسام الجلد .

تنظيف المبانى التاريخية بأشعة الليزر :

صمم فريق من الباحثين الأوروبيين جهازا محمولا لتنظيف المبانى التاريخية بأشعة الليزر ، والجهاز تتم تغذيته بأشعة الليزر ، ومتصل بأداة يدوية فى حجم كاميرا التصوير الضوئى ، كما يحتوى على نظام تبريد ذاتى ، تقوم فكرة الجهاز على بث الطاقة الضوئية بمعدل ٥٠٠ مللى من شعاع الليزر إلى الأداة اليدوية التى يتم توجيهها إلى البقع السوداء على المبانى حيث تتبخر بسرعة وسهولة ، ويتم بث نبضات أشعة الليزر لفترات زمنية قصيرة لتلافى تشتت الحرارة إلى باقى طبقات المبانى .

الليزر لعلاج الأسنان :

يتم الآن فى الولايات المتحدة الأمريكية استخدام أشعة الليزر كوسيلة فعالة لعلاج الأسنان بعد أن وافقت منظمة الأغذية والدواء على استخدامه حيث إن الأبحاث أثبتت عدم تأثير أشعة الليزر على سلامة وصحة جسم الإنسان . ويستخدم الليزر فى خلع وحشو وعلاج الأسنان .

من فوائد قشور جوز الهند :

استخرج مجموعة من العلماء بجمهورية أوكرانيا من قشور جوز الهند دواء يخلص جسم الإنسان من المواد الكيميائية الخطيرة ، كما يساعد على تقليل كمية الإشعاع فى جسم الإنسان بدرجة كبيرة خلال أسابيع من تناوله ويحسن من وظائف الكلى والكبد ، ويساعد على تقوية مناعة الجسم .

بكتيريا مهندسة وراثيا لمقاومة السرطان :

أعلن فريق علمى بجامعة « ييل » الأمريكية أنهم نجحوا فى إنتاج سلالة غير ضارة من بكتيريا السالمونيلا بالهندسة الوراثية تستخدم لمكافحة مرض السرطان ، قام العلماء بعمل سلالة جديدة من البكتريا تحمل مورثات مضادة للسرطان ، وتمت تجربتها على الفئران حيث تم إطلاقها فى الورم فلاحظوا أن الورم أخذ ينمو ببطء لكنه لم يختف تماما مما ساعد فى إطالة عمر الفئران .

رئة صناعية لمرضى سرطان الرئة :

طور العلماء الأمريكيون رئة صناعية تعويضية لمرضى سرطان الرئة والتليف الرئوى وغيرها من أمراض الرئة الخطيرة . الرئة مصنوعة من البلاستيك وتمت تجربتها على الحيوانات ونجحت فى القيام بوظيفة الرئة الطبيعية .

بيوت فولاذية للطوارىء :

صممت شركة بريطانيا بيوت طوارىء من الفولاذ يتم تركيبها فى أقل من نصف ساعة بدون استخدام أية آلات ، ويمكن كذلك فكها بسهولة لإعادة استخدامها فى أماكن أخرى .. المنزل مساحته حوالى ٢٠ مترا مربعا وهو مصنوع من طبقتين من الفولاذ المجلفن ، ويوجد به نوافذ من كل جهة وهو يصلح فى حالات الكوارث بدلا من الخيام التقليدية .

دوحة الكتب



إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور الملاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى، ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

المتطرفـــون

تأليف الدكتور عمر عبد الله كامل

● عزيزى القارىء .. منذ أن خُلق الإنسان والتطرف آفة خطرة، تصيب أصحاب القلوب الضعيفة، وتخترقها كالمرض الساكن بها، سواء أكان تطرفاً فى الدين، أم تطرفاً فى الدنيا.

ورغم التقدم الحضارى، ونداء الإسلام الدائم بعدم الغلو والتنطع، والتشديد والتعسير والتنفير، وعظمة الإسلام فى رفض هذا التطرف إلا أننا أصبنا فى عصرنا هذا، وابتلينا بأصناف من الغلاة ورثوا غلو الخوارج قديماً، مما جعل معظم الذين يتحدثون عن التطرف فى عصرنا يكادون يقصرونه على التطرف الدينى، فى حين أن هناك تطرفاً لا دينياً أشد منه خطراً وأبعد أثرا، وأعظم شرراً، وكثيراً مايكون هذا التطرف اللادينى، هو المولد الأول للتطرف الدينى.

ولهذا وقف مؤلف هذا الكتاب صامداً يتعقب هؤلاء الغلاة الضالين والمتطرفين وتفنيد شبهاتهم.

فبدأ هذا الكتاب بمقدمة جلية بيد عالم رشيد وصاحب صوت مسموع عمل جاهداً ليخرج هذا الكتاب إلى كل باحث عن الحقيقة، ليعلم حقيقة هذه الطائفة من المنبت وحتى عصرنا هذا بعد مراجعة دقيقة، واسترشاد فى المقدمة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، لهذا الموضوع لنخرج من هذه المقدمة بكل مايحويه الكتاب بين طياته.

وقسم الدكتور عمر كتابه هذا إلى مقدمة،

شرح فيها الاتجاهات المتطرفة من غلاة الشيعة والخوارج ، وخطورة التكفير ، وأحداث الجزائر ، وقتل السائحين ، وتشويه صورة مصر ، ثم إلى عدة أبواب :

الباب الأول : عن الخوارج المارقين وهذا هو لب الكتاب ؛ الذين استباحوا دماء المسلمين ، وقتلوا النساء والأطفال ، والشيوخ ، والمستأمنين .

حرص المؤلف على تعريف هذا الفئة ، وأصلها ونشأتها ، ثم معتقداتهم وألقابهم وفرقهم وتكرار ظهورهم ، وهم قوم من أهل الأهواء .

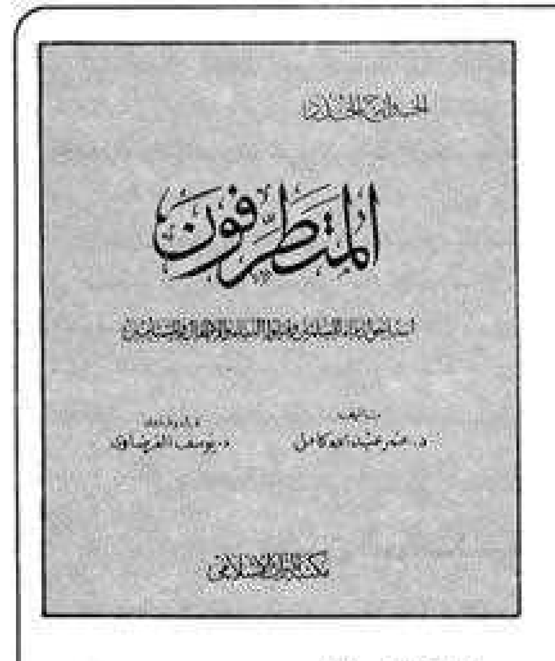
أما فى الفصل الثانى : فقد أبرز المؤلف صفاتهم ، ومعالمهم ، وماورد عنهم من آيات وأحاديث ، وصفاتهم ، وأسباب غلوهم وهو سوء الفهم ، وقلة الفقه ، ونقص التجربة والخبرة والإعجاب الشديد لأنفسهم .

ثم وضح فى الفصل الثالث : خطورة الخوارج وتكفيرهم للمسلمين ، واستحلالهم للقتل .

الباب الثانى : وتحدث فيه عن مظاهر التطرف وآفاته ، وقسمه إلى أربعة فصول : وسطية الإسلام - التطرف غلو وإفراط وتفريط - مظاهر التطرف - آفات التطرف .

أما عن أسباب التطرف الدينى فكان الباب الثالث : حيث أشار إلى الأسباب العلمية ومنها ضعف البصيرة فى الدين ، وأخطاء منهجية فى التفكير ، ثم الاتجاه الظاهرى فى فهم النصوص ، اتباع المتشابهات وترك المحكمات ، والتباس المفاهيم ، والإسراف فى التحريم ، وكثير من الأسباب .

ثم الأسباب النفسية والاجتماعية ، ثم الأوضاع الاقتصادية .



أما فى الباب الرابع : حيث تعرض إلى مخاطر التكفير وضوابطه ، منها مخاطر التسرع فى التكفير ، وضوابط التكفير ، ثم نماذج للغلو فى التكفير .

وفى الفصل الخامس : شرح الدكتور عمر موانع التكفير ، ذاكراً هذه الموانع عند شيخ الإسلام ابن تيمية .

وكان عنوان الباب السادس : سؤال هل مجتمعات المسلمين جاهلية ؟

حتى انتهى بنا إلى سبيل العلاج فى الباب السابع وهو تصحيح المفاهيم ، واتباع المنهج العلمى الصحيح ، ثم خطوات فى سبيل الإصلاح ، كالإصلاح الدينى ، والاقتصادى والإصلاح الاجتماعى ، وأهمية التكافل الاجتماعى .

ثم الفصل الثالث وهو ضوابط إنكار المنكر كالحكمة ،والحلم والرفق ، والرحمة ، والصبر ، والعلم ، والتواضع ثم شرح ضوابط الإنكار باليد وهى ستة ضوابط .

وأخيراً : عزيزي القارىء : لقد وفق المؤلف فى التحذير من الفكر الخارجي ، وكشف أسباب التطرف ولعل ماذكره من اقتراحات وخطوات فى سبيل العلاج ، وطريق الإصلاح ، تسارع فى الشفاء ، وتحقيق الخير لأمتنا ، والأمن والطمأنينة لمجتمعاتنا .

ونحب أن نذكر بأن الإسلام دين الوسطية ، ومنهجه اليسر والاعتدال ، ومراعاة المصالح والمقاصد ، فهل هناك أعظم من هذا ، ليستريح قلبك وتهدأ ثورتك ، وتشع أمامك حقائق هذه الطوائف ، فهيا بادر بضم هذا الكتاب إلى مكتبتك الإسلامية .

القضاء والقدر فى الإسلام بين السلف والمتكلمين

تأليف الدكتور / فاروق أحمد الدسوقى

● عزيزى القارىء : بعد أن قمنا بعرض جلى لمعنى القضاء والقدر فى الجزء الأول ، وشرحنا القضاء والقدر فى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة .

نقوم الآن بعرض موجز للجزء الثانى وهو بين السلف والمتكلمين .

ولا شك أن السلف ـ وهم الصحابة والتابعون والفقهاء والمحدثون ـ كانوا على عقيدة قرآنية خالصة فى شعب الإيمان الست ومنها عقيدتهم فى القضاء والقدر .

أما المتكلمون فهم الذين تمثلت فى فكرهم وعقائدهم بعض الانحرافات فى بعض شعب الإيمان بعامة وفى القضاء والقدر بخاصة .

● بدأ المؤلف كتابه بتفسير نشأة الفرق فى



الإسلام وتحدث عن ظهور الفرق الإسلامية ، الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والجهمية

والمعتزلة والأشعرية والفلاسفة والصوفية والباطنية .

وأشار إلى السلف وهم أهل السنة والجماعة .

● ثم شرح التعليل التاريخي لنشوء الفرق فى العالم الإسلامي وسلك المعللون لنشوء الفرق فى الإسلام مسالك شتى ، ونهجوا مناهج مختلفة ، كل حسب مذهبه واتجاهه ، فهناك اتجاه سياسى واتجاه يعلل نشوء الفرق بالعصبية القبلية ، أو التنافس بين بنى هاشم ، وبنى أمية ، ومنهم من يعلله بطبيعة الفكر البشرى .

● ويحاول آخرون من المستشرقين تصوير نشوء الفرق الكلامية والفلسفية فى الإسلام بمظهر الثراء الفكرى والتراث الفنى ، الذى يجب أن تفتخر به الأمة الإسلامية .

وظهر البعض من المستشرقين منكراً أن فى علم الكلام وتراث الفرق أدنى إبداع فكرى أو فلسفى ، ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق (آرنست رينان) الذى يتهم العقلية العربية بالعجز عن إنتاج هذا التراث الذى يراه البعض إنجازاً عظيماً من إنجازات الأمة الإسلامية .

● ثم انتقل المؤلف إلى الموضوعية فى تفسير التاريخ ، والأسباب الحقيقية ، والأسباب المباشرة أيضاً انتقل بنا إلى العوامل الرئيسية لنشوء الفرق فى تاريخ المسلمين حتى وصل إلى شق هام وهو لماذا زادت الفرق فى تاريخ الإسلام واحدة .

● أما فى بابه الأول فقد تعرض إلى عدة نقاط هامة منها فصل تمهيدى عن مفهوم القضاء والقدر ومشكلة الحرية عند العرب قبل الإسلام ، ثم أشار إلى عقيدة القضاء والقدر عند الصحابة - رضى الله عنهم - ثم موقف التابعين من القدر والحرية الإنسانية وموقف الفقهاء أيضاً .

● ووضح المؤلف مدرسة أهل الحديث ، ومشكلة خلق أفعال العباد .

● انتقل بعد ذلك إلى نشأة الانحراف فى عقيدة القضاء والقدر وظهور المجبرة والقدرية ومشكلة الحرية عند المعتزلة وتعرض فيها إلى منهج المعتزلة والأصول الخمسة ثم القدرة الإلهية والاستطاعة البشرية ثم المشيئة الإلهية والإرادة الإنسانية والفاعلية الإلهية والفاعلية البشرية ثم الفاعلية الإنسانية وإحداث الفعل .

● أما فى الباب الرابع فتحدث المؤلف عن القضاء والقدر عند الأشاعرة ، ووضح فيه الأشعرى والمنهج والقضاء والقدر ، ومفهوم الحرية عند الأشعرى ، وعند الباقلانى والجوينى .

● وهكذا عزيزى القارىء يبحر المؤلف فى قضايا الفرق الإسلامية ، ووجهات الاختلاف والقضايا الهامة ، فى الحرية ، ومنهج السلف ، والمتكلمين ، والقضايا التى تبين المنهجية الخاصة بالقضاء والقدر ، وذلك بأسلوب عصرى بحيث يزيل غمامة الاختلاف والآراء المناقضة للعقيدة الإسلامية .

ومازال للحديث بقية فى الجزء الثالث وستحدث عنه فى العدد القادم .. إن شاء الله تعالى .

من وصايا القرآن الكريم

نظرات حول وصايا لقمان الحكيم

تأليف : محمد الأنور أحمد البلتاجي

عزيزى القارىء : نحن دائماً نبحث عن الجديد وارتباطه بالتراث حتى يصبح العلم والثقافة الإسلامية فى تطور دائم لمواكبة اختلاف العصور والأزمنة .

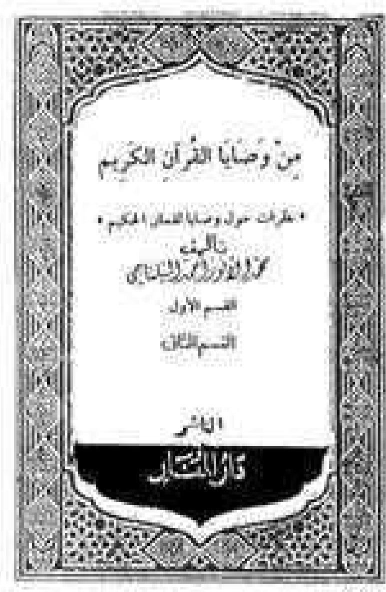
وفى جولة فى محراب المكتبات والبحث عن الثقافات والإصدارات التى تستفيد منها سوياً كى نضيف كل ما هو جديد ومفيد .

وقد لفتت نظرى هذه الموسوعة الذهبية التى تجمع بين طياتها خلاصة الحكمة التى أوتيها لقمان الحكيم والنبيون ، حيث أجملت ما فصله القرآن فى وصاياه الخالدة وفيها المنهاج الكامل للأخلاق الفاضلة والحياة السعيدة والنبراس المضىء فى مسيرة الحياة .

ففى هذه الوصايا النهى عن الشرك بالله والأمر ببر الوالدين والأمر بالصلاة والحض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على المكاره . والنهى عن التكبر والاختيال والغرور .

ففى هذه الموسوعة وهى تتكون من جزءين ، كل جزء به أكثر من خمسمائة صفحة من القطع المتوسط .

والفصل الأول عن الحكيم والحكمة وعرف لعرب بهذا الاسم ـ لقمان ـ شخصين ، أحدهما لقمان بن عادياء ، وكان معمراً من بقية عاد الأولى ، عظّمت العرب قدره فى النباهة والرياسة



والعلم والفصاحة والدهاء ونسبوا إليه طائفة من الأمثال والأخبار والأقاصيص .

أما الآخر فهو لقمان الحكيم الذى اشتهر بحكمه وأمثاله وشهد الله له بالحكمة .

واختلف الناس فى أصله وجنسه كما اختلفوا فى العهد الذى عاش فيه وصناعته وفيما إذا كان نبياً أم كان عبداً صالحاً من غير نبوة ؟

فذكر قوم انه كان عبريا وذكر آخرون أنه كان نوبيا من أهل « أيلة » وآخرون بأنه كان حبشيا أو أسود من سودان مصر .

أما عن صناعته فمنهم من قال خياطا وقيل نجارا وقيل حطابا وقيل راعيا وقيل قاضيا فى بنى إسرائيل ومستشارا لنبى الله داود ـ عليه السلام ـ .

هذا عن لقمان ، أما عن الحكمة . فقد عرفت القواميس الحكمة بأنها : العلم بحقائق الأشياء ، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وعُرفت بأنها : الفلسفة والعلم ، والتفقه ، والعدل ، والحلم ، وأطلق علم الحكمة على الكيمياء ، والطب .

أما الفصل الثانى فقد وضح فيه المؤلف أولى الوصايا على الإطلاق ، وهى النهى عن الشرك بالله ـ تعالى ـ والأمر بإفراده وحده بالربوبية ، وتناول فى إيضاح جلى الشرك الأكبر ، والشرك الأصغر .

أما فى الفصل الثالث فقد خصصه الكاتب للبر بالوالدين ، ولا سيما البر بالأم وطاعتها ، وذكر : أن البر بالوالدين يرفع الكربات ، ويزيد فى الرزق ، ويطيل فى العمر .

أما الفصل الرابع فكان تحت عنوان المرجع إلى الله : تعرض المؤلف للقضايا الغيبية التى تبدأ برحلة القدوم منذ نشأة الإنسان جنيناً فى بطن أمه حتى خروجه إلى الحياة الدنيا ، ثم انتقل إلى رحلة العودة ، فذكر أحوال الموتى والاحتضار وسؤال القبر والأحكام المتعلقة بأحوال القبور وزيادتها ثم صحب المؤلف الروح فى عالم البرزخ وتحدث عن بعض أمارات القيامة الصغرى والكبرى .

أما الفصل الخامس فقد تحدث فيه المؤلف عن أسماء الله ـ تعالى ـ وغيب السماوات والأرض ، ثم انتقل إلى بعض المزاعم والأباطيل التى ألصقت زوراً بالإسلام ، وأشار إلى علمى الظاهر ، والباطن ، وأهل الشريعة وأهل الحقيقة ، والسحر والكهانة .

أما فى الفصلين : السادس والسابع فتعرض إلى الصلاة والزكاة ، وإنفاق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنفاق الخلفاء الراشدين ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ثم تناول مجتمع الإسلام

والفصل الثامن كان عنوانه الصبر ، وخاصة صبر أيوب ـ عليه السلام ـ .

والفصلان : التاسع والعاشر كان عنوانها : الحديث عن الكبر ، والاختيال ، وتقسيم آفات الكبر والعُجب والغرور ، وعلاج الكبر والعُجب .

ثم وضح التواضع من صفات الرسل ، وطرح جانباً من أخلاق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تواضعه وحلمه وشفقته ، وحيائه وجوده وكرمه .

وأخيراً عزيزى القارىء : الحديث عن وصايا لقمان لا ينتهى ، والكتابة عنه لا يجف لها قلم ، أو تطوى فيها صفحات . .

فقد بذل المؤلف جهداً صادقاً فى سبيل إرضاء القارىء المسلم ، ومن الإقبال الشديد على هذه الموسوعة ، فقد حرص المؤلف على طباعته ثلاث مرات : الأولى عام ١٩٨٤ ، والثانية عام ١٩٨٧ ، والثالثة وهى الآن ١٩٩٨ م .

وبانضمام هذه الموسوعة إلى مكتبتك ستضيف لك الكثير ، وتجد الإجابة عن كل سؤال يحيرك ، ويتردد فى أعماقك .

بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

هـــل ينتهـــى «النـــاتـــو» مـأســـاة كـوسـوفـــو؟



لقد ظهرت الحقيقة عارية أمام الجميع، فإما أن يتحرك الناتو ليضرب جزار الصرب، أو فلتخرس كل الألسنة !!

بهذه الكلمات وضع «جوردون سميث» عضو الكونجرس الأمريكى مشكلة كوسوفو فى دائرة الضوء أمام الجميع فى الكونجرس، وفى العالم أجمع.

فمن أجل إقامة صربيا الكبرى أشعل «سلوبودان ميلاسوفيتش» ثلاث حروب فى سبع سنوات كان حصادها مائة ألف قتيل، وملايين المشردين.

إن هذه الكارثة لم تثر مشاعر المسلمين فحسب، بل أثارت كل من له مشاعر إنسانية فى العالم أجمع، وهاهى مجلة «النيوزويك» الأمريكية تحمل للعالم أجمع صورة طفل عمره ثمانية عشر شهراً، قتله الصرب بعد أن صوب إلى رأسه أحد جنودهم مدفعه الرشاش. إنها مأساة بكل المقاييس، فهل يتحرك الناتو؟

وحول مشكلة كوسوفو كانت هذه الرسالة من القارىء / إبراهيم عبدالوهاب شرف - مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة .. يقول :

كوسوفو .. بوسنة وهرسك أخرى
أم أندلس جديدة

لقد أرقنى كمسلم غيور على دينه ما يحدث فى إقليم كوسوفو الألبانى المسلم ، من اعتداءات غاشمة ، وحملات إبادة للمسلمين فى الإقليم ، من قوات الصرب ، وزعيمهم الذى انعدمت فيه المروءة ، بل انعدمت فيه الإنسانية وأصبح وحشاً ضارياً يقتل ويذبح فى المسلمين ، ويصفيهم عرقياً دون وازع من ضمير أو ذرة من عقلانية ، وأذكر نفسى وجموع المسلمين فى العالم ، والذين ينتظرون من أمريكا ومن حلف الأطلنطى أن يهب لتخليص سكان الإقليم من حملات الإبادة الصربية .

إن قلبى يتفطر ، ونفسى تفيض لوعة على حالنا : حال المسلمين فى عالم اليوم ، وعددنا شارف على المليار ونصف المليار .. ولكن العبرة ليست فى العدد كما يقولون !! هذا العدد الضخم يقف متفرجاً ، وكأن لسان حال كل مسلم فى أنحاء العالم يقول : أنا ومن بعدى الطوفان !!

تتوالى نشرات الأخبار وتبث على أسماعنا ما يُحاك ضد المسلمين فى هذا الإقليم المسكين الضعيف ، من قوات الصرب الغاشمة ، التى لا ترعى حقاً ، ولا تخاف من الله .. وكأنها تريد أن تصفى حساباً جديداً ، بعدما حدث للمسلمين فى جمهورية « البوسنة والهرسك » وما أشبه الليلة بالبارحة .

يقع الإقليم بين جمهوريتى : صربيا ، والجبل الأسود ، صفحة الإقليم تغطى حوالى ١١ ألف كيلو متر مربع ، توزعت عليها١٣٤٨ مدينة وقرية ، تتصدرها سبع مدن كبرى ، عاصمة الإقليم مدينة بريشتينا ، الناس وصل عددهم فى



إحصاء عام ١٩٨١ إلى مليون ، ٥٨٤ ألف نسمة ، يعنى أصبح هذا العدد ما يقرب من المليونين ، السهول والوديان تشكل ٣٦,٥٪ من المساحة ، المرتفعات والجبال والغابات تحتل نفس النسبة (٣٦,٥) المساحة الباقية لحساب الأنهار ، وأهمها نهر مبيل دريم ١١٢ كم ، وايبار ٨٥ كم .

وإنى أنادى وأستغيث كمسلم قائلاً : أما آن للمسلمين فى كافة أنحاء المعمورة أن يعودوا إلى الاعتصام بحبل الله المتين وتعود إليهم قوتهم عندما فتحوا هذه البلدان حتى وصلت فتوحاتهم إلى الصين .. قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

(آل عمران : ١٠٣)

فاللهم فرج كرب المكروبين المحاصرين فى إقليم كوسوفو .. المسلم وغيره من الأقاليم التى بها أقليات فى أنحاء العالم .. وشد من أزرهم ووحد بين صفوف المسلمين فى جميع الأنحاء .. إنك على ما تشاء قدير .

كلمة وفاء

وصلتنا هذه الكلمة من القارىء / محى الدين يوسف حسين الإسنوى - العشيرة المحمدية - القاهرة .

يرثى فيها أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته -

يقول :

وفى الثالثة من فجر يوم الأربعاء ، السادس عشر من شهر جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ / الموافق السابع من أكتوبر ١٩٩٨م ، انتقل إلى الرفيق الأعلى شيخنا الإمام محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية بعد حياة حافلة قضاها فى الدعوة إلى الله على هدى وبصيرة .

وأستاذنا الشيخ محمد زكى إبراهيم هو آخر ذلك الجيل من علماء الأزهر الذين حصلوا على العالمية القديمة ، تعددت ثقافته الدينية والدنيوية ، فهو فقيه ، محدث ، مفسر ، مؤرخ إسلامى ، يتحدث عدة لغات ، منها : الإنجليزية ، والألمانية ، والفارسية ، وشاعر فى مقدمة شعراء هذا الجيل . . ألف أكثر من مائة رسالة وكتاب .

وقد أمّ صلاة الجنازة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، وحضر الجنازة حشد كبير من محبيه وعارفى فضله ، وفى مقدمتهم علماء الأزهر ورجاله .

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة جاء فيها :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد - ﷺ - وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

يعز علينا جميعاً أن نودع شيخنا وأستاذنا ، الذى تربينا جميعاً فى مدرسته ، وكان مثالاً للتقى ، ولحسن الصلة بخالقه - عز وجل - كان مثالاً لمكارم الأخلاق ، كان مثالاً للعابد الذى حسنت صلته بخالقه - عز وجل - كان مربياً للأجيال بعلمه ، وبخلقه ، وبأدبه ، وبكل ما أعطاه الله - سبحانه وتعالى - من علم نافع ، ومن عقل راجح ، ومن فهم سليم لكتاب الله - عز وجل - وللسنة النبوية الشريفة .

عندما نودع شيخنا - رحمه الله وأجزل له الثواب - نقول ما قاله السابقون من قبلنا :

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٦)

نقول ما قاله سيدنا رسول الله - ﷺ - : عندما مات ابنه إبراهيم : « إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، ولكن لا نقول إلا ما يرضى الرب » .

لقد أدى شيخنا رسالته ، فى هذه الحياة على أحسن ما يكون الأداء ، علماً وتقى ، لذا فنحن ندعو الله - سبحانه - أن يلحقنا به فى زمرة الصالحين ، ونقول : (اللهم اغفر له ، وارحمه ، وعافه ، واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، اللهم باعد بينه وبين خطاياه ، كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم ، ربنا أكرمنا بشيخنا ، واجمعنا معه فى الفردوس الأعلى ، مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً) ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

القــرآن الكــريــم والفطــرة الإنســانيــة

أرسل القارىء:

محمود الطاهر الصالح -فيكتوريا- الإسكندرية .

يقول : إن القرآن الكريم هو أعظم منبع معنوى وعمل ترتوى من معينه الثر البصائر الحرة ، والعقول المطلقة العبقرية ؛ لأنه العلم الأعلى ، والحكمة المعجزة ، فى جمالها ، وصورة الحياة المثلى المتسقة ، التى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ، فالقرآن الكريم يتجه فى إبلاغه المعجز إلى الفطرة الإنسانية المشتركة ، التى تعلو على الجنسية ، والقومية ، والعصبية ، فمعانيه تنتظم عناصر وجود الإنسان ، وأسرار خلقه ، وصلتها بخالقه ، وتحمل ذلك كله على صراط مستقيم ، فالإنسان بجسمه ، وروحه ، ونفسه ، وقلبه . والإنسان مع نفسه وغيره من البداية إلى النهاية - يصوره القرآن وحدة متكاملة ، وقوى متحدة مسخرة ، لحقيقته الإنسانية العالية ، التى هى موضع العناية الإلهية ، من الكون كله ، وفطرة الإنسان إنما هى هذه الحقيقة غير أن من أصله الله يكتسب ما يباعده عن الفطرة ، فيصير اختلالاً فى كيان الإنسانية كلها ، أو بعضها .



وأرسل القارىء : عبد الهادى محمد أحمد سليم -منشأة الجمال- طامية - الفيوم .. تحت عنوان : « جبر الخواطر » يقول :

إن من أعظم الأعمال ، وأحبها إلى الله ، أن تُدخل السرور والغبطة على قلب فقير ، أو مسكين ، وأن تجبر خاطره ، فالمسلم الحق هو الذى لا يتعالى على إخوانه من المسلمين ، ويحسن إلى الفقراء والمساكين منهم ، ويجبر خواطرهم ، فما عُبِدَ الله بشىء أفضل من جبر الخواطر . وكان أول من حقق هذا الخلق القويم سيدنا المصطفى - ﷺ - عندما كان يحسن إلى الفقراء والمساكين ، ويتمنى أن يحشر معهم يوم القيامة ، وأعلن أنهم سيدخلون الجنة قبل أغنياء المسلمين ، كل ذلك جبراً لخواطرهم ، وإعلاءً لشأنهم حتى لا يحسوا أنهم عالة على المجتمع ، فتقل قيمتهم فى نظر أنفسهم ، والفقراء الصابرون

◄

هم جلساء الله يوم القيامة . وإن لكل شيء مفتاحاً ، ومفتاح الجنة حب المساكين . وكم من أشعث أغبر ، لو أقسم على الله لأبره ، فالجلوس مع الفقراء من التواضع ، ومن تواضع لله رفعه .

فعن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول - ﷺ - : « تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر » رواه أبو نعيم فى الحلية .

وقال عون بن عبدالله الهذلى : « صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غما منى ، إن رأيت أحداً أحسن ثيابا منى ، أو أطيب منى ريحا ، فصحبت الفقراء فاسترحت » . فهذا رجل من صالحى الأمة جرب بنفسه مصاحبة الفقراء ومجالستهم ، فأعلن عن فائدة هذه المصاحبة ، وهى : راحة البال والضمير ، والتفرغ لعبادة الله الواحد .

وقال عبد العزيز بن أبى دؤاد : « من رأس التواضع الرضا بالدُّون من شرف المجالس » ، وقال أبوعثمان الحرى : « اصحبوا الأغنياء بالتعزز ، والفقراء بالتذلل ، فإن التعزز على الأغنياء تواضع ، والتذلل للفقراء شرف » ، فبعد هذا القول الكريم من علماء الأمة الأفاضل ينبغى علينا أن نسارع إلى جبر خواطر الفقراء والمحتاجين ، وندعو الله أن يحيينا مساكين ويميتنا مساكين ، ويحشرنا فى زمرة المساكين » . ■

التقليد الأعمى لغيرنا إلغاء لشخصيتنا

أرسل القارىء/ سامى محمود حسين - دمياط - قرية الشعراء رسالتين تضمنتا موضوعين متقاربين ، نقدم منهما قوله :

إن من أهم ما يتميز به المسلم اتباع الحق ، والعمل به ، دون أن يكون للتقاليد السائدة ، والضلالات المستوردة ، أى تأثير على سلوكه ، ومنهج حياته .

والإسلام لم يرض للمسلم أن يكون ضعيف الشخصية والإرادة ، لا رأى له ، ينقاد لغيره ، ويتابع الناس فى أعمالهم وأقوالهم ، سواء أكانت

خطأ شائع يستحق التصحيح

يرسل القارىء / شحاتة أحمد أبو بكر - بنى سويف - ببا .. تحت عنوان « لا تكتموا الحق » يقول :

شرع الله الحكيم - جل وعلا - الطلاق ، وجعله حقاً للرجل .

وقد اختلف الفقهاء فى إعطاء حق الطلاق للمرأة ، والمنع أصوب .

ولكن وسائل الإعلام شوهت هذا الأمر ، وأخرجته عن نطاقه الصحيح ، وذلك فى بعض ما تقدمه للمواطنين . وإن كان الأمر لا يخفى على

خيراً أم شراً من غير ترو .. فقد بين لنا القرآن الكريم إن الجزاء من جنس العمل ، قال تعالى :



(الإسراء : ٧)

فالمهتدى ينال جزاء هدايته ، والضال ينال جزاء ضلالته ، فلكل إنسان جزاؤه على ماقدم .

قال الله تعالى :

﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء : ١٥)

وكما نعى الإسلام على الجاحدين ، نعى على الجامدين ، فقد تمسكوا بما كان عليه آباؤهم وعطلوا عقولهم ، ولا يستعملونها فى الموازنة بين ما جاء به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الهدى والنور ، وبين ما ورثوه عن آبائهم من ضلال مبين .

فقال تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

والإسلام يطالب المؤمنين جميعاً أن يحكموا عقولهم فيما يرونه من أعمال الناس ، ويسمعونه من أقوالهم ، فإن رأوا منهم خيراً اقتدوا بهم ، وليس لهم أن يتبعوهم فى غير ذلك .

ويرى ابن خلدون فى مقدمته : إن الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها ، تعانى دائماً من عقدة تقليد القوى الذى تخضع له وتتأثر إلى حد بعيد بأفكاره وآرائه ، وسلوكه .

إن الشاهد الماثل فى عالمنا الإسلامى والعربى المعاصر ، ليؤكد أنه انجرف فى تقليد القوى فيما لا يفيد وتأثر به إلى درجة التبعية فى الفكر والسلوك الاجتماعى ، فى أوسع قطاعاته ، مما أدى إلى سلبه لشخصيته المستقلة .

إن كثيراً من أبناء الأمة قد اتبعوا سنن غيرهم ، وانساقوا فى تيارهم غير مكرهين ، انبهروا بتمدينهم ، فعموا وتاهوا وضلوا وأضلوا .. والحديث الذى معنا خير مرشد إلى الطريق القويم فعن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .. رواه الترمذى .

أهل العلم ، إلا أننى أود أن أنبه عامة المسلمين إلى النقاط التالية :

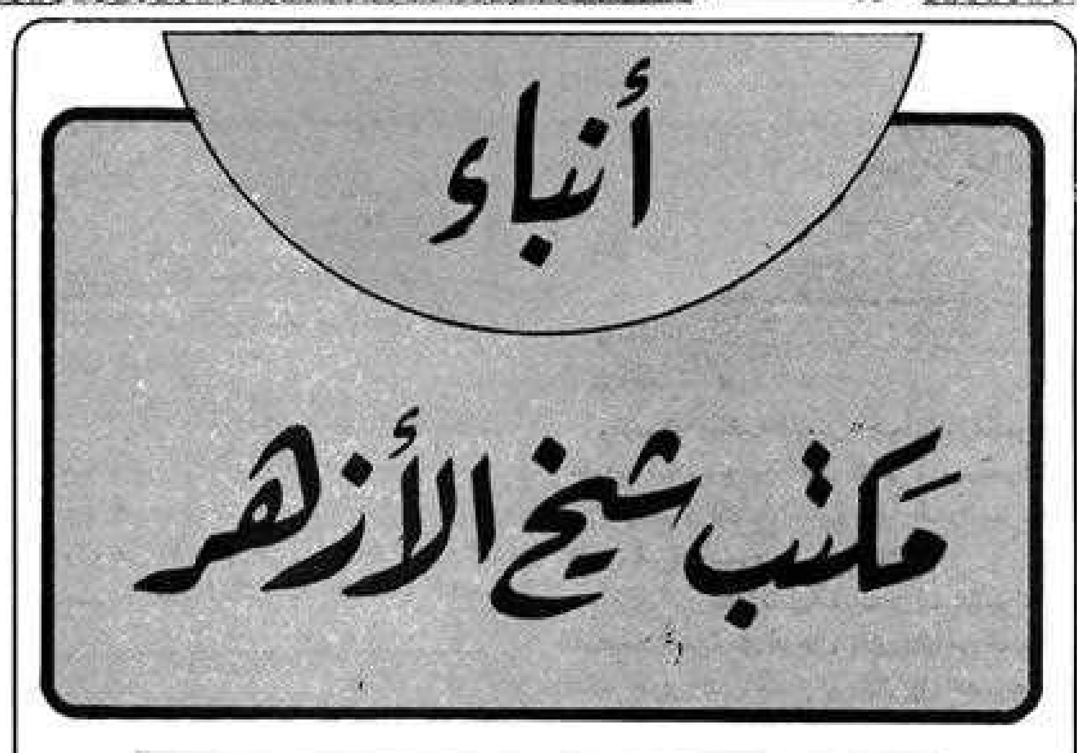
(أ) إن من أعطى المرأة حق الطلاق فقد جعله من باب الوكالة .

(ب) إن ذلك التوكيل لا يُسقط حق الرجل فى تطليقها متى شاء ؛ إذ أنه من باب توسيع الدائرة ، وليس نقلاً للحق .

(جـ) إن المرأة التى تملك حق الطلاق ، لا تملك حق الرجعة .

(د) إنها إذا مارست هذا الحق فإنها تطلق نفسها وليست تطلق زوجها كما يجرى فى الأفلام .

(هـ) بإمكان الرجل تقييد هذا التوكيل بطلقة واحدة عند إعطائه وبإمكانه سحبه بعد إعطائه .



إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى

□ استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / محمد صالح النضيف وزير خارجية جمهورية تشاد يرافقه السيد سفير مصر بتشاد والسيد سفير تشاد بمصر ووفد على مستوى عال بالأزهر الشريف ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/٩/١٤ ورحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق قائلا إن الأزهر الشريف على أتم استعداد لخدمة دولة تشاد وأعرب الضيف عن شكره وشكر بلاده رئيسا وحكومة وشعبا للأزهر الشريف وشيخه الفاضل لما يقدم للعالم الإسلامى فى كل مكان ولدولة تشاد بصفة خاصة تجاه الدعوة الإسلامية ، وطلب سيادته فتح معهد أزهرى بدولة تشاد لإعداد الدعاة يشرف عليه الأزهر الشريف ويمده بالمدرسين اللازمين من ذوى الخبرة للتدريس به وأيضا مده بالمناهج الدراسية اللازمة وقد أوضح شيخ الأزهر أن عدد مبعوثى علماء الأزهر لدولة تشاد وصل إلى ستين عالما يقومون بتدريس الفقه واللغة العربية وعلوم القرآن الكريم ، والمواد الثقافية ، ووصل عدد الطلاب الذين يدرسون بالأزهر الشريف هذا العام ٦٨ طالبا منهم ٣٥ طالبا على منح دراسية من الأزهر ، وقد طلب السيد الوزير زيادة المنح

الدراسية لطلاب دولة تشاد وكذلك زيادة العلماء ، وفى نهاية اللقاء قدم السيد الوزير خالص الشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف على إتاحة هذه الفرصة للقاء شيخ الأزهر ، كما وجه سيادته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة دولة تشاد ، وقد وعد فضيلة الإمام بدراسة طلبات السيد الوزير تمهيدا لتلبيتها .

□ حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

□ كما استقبل فضيلته بمكتبه فى ١٩ جمادى الأولى ١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/٩/١٠ سعادة السفير / وترجو الحاج محمد سفير بوركينا فاسو بالقاهرة .

□ وتم خلال اللقاء استعراض ومناقشة أوضاع المسلمين فى بوركينا فاسو ، وكذا أوضاع الطلاب الوافدين إلى الأزهر الشريف على نفقة الأزهر حيث يوجد بمعهدى البعوث فى القاهرة والاسكندرية ٤٩ طالبا ، وقد طلب السيد السفير زيادة المنح الدراسية لطلاب دولة بوركينا فاسو والعمل على تنشيط الدعوة الإسلامية وتعليم اللغة العربية فى بلاده من خلال إرسال علماء من الأزهر الشريف لهذا الغرض .

□ وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير بدراسة هذه المطالب تمهيدا لتلبيتها ، وقال إن الأزهر يضع نصب عينيه دائما احتياجات الدول الإسلامية والعربية وهى محل عنايته ورعايته .

□ شكرا لضيف فضيلة شيخ الأزهر والأزهر الشريف ومصر على حسن الرعاية والعناية التامة لطلاب بلاده خاصة وطلاب المسلمين عامة .

□ حضر اللقاء الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف . واستقبل فضيلته بمكتبه السيدة السفيرة / مدام واتا هونا توفا سفيرة دولة التشيك بالقاهرة ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٩/١٣ حيث رحب فضيلته بالسيدة السفيرة بالأزهر الشريف مؤكدا على تلبية الدعوة التى تلقاها فضيلته من السيد رئيس جمهورية التشيك لزيارة جمهورية التشيك ، وعلى أن يقوم بهذه الزيارة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر نيابة عن فضيلته يرافقه السيد الدكتور على السمان الخبير الإعلامى للحضور للمؤتمر العالمى ٢٠٠٠ والذى يعقد فى براغ بالجمهورية التشيكية فى المدة من ١١ - ١٤ أكتوبر سنة ١٩٩٨ وذلك لمناقشة الأبعاد الثقافية والإعلامية والروحية للحضارات المعاصرة وحقوق الإنسان .

□ وقد شكرت السيدة السفيرة فضيلة شيخ الأزهر على حسن اللقاء وعلى تلبية الدعوة ، حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام ، بالأزهر الشريف .

□ صدر قرار شيخ الأزهر بالموافقة على سفر كل من فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ورئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف ، والأستاذ الدكتور على السمان رئيس لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ونائب رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان بالأزهر

الشريف إلى براغ بالجمهورية التشيكية لمدة ستة أيام لحضور المؤتمر العالمى ٢٠٠٠ ممثلين للأزهر الشريف ، وقد سافرا سيادتها يوم الجمعة الموافق ١٨ من جمادى الآخرة ١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/١٠/٩ .

☐ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف بعمل بالخطط والمناهج الدراسية لطلاب الصف الأول الثانوى بقسميه الأدبى والعلمى بالمرحلة الثانوية الأزهرية اعتبارا من العام الدراسى ٩٩/٩٨ وفق النظام الجديد بتعديل مدة الدراسة بالمرحلة الثانوية الأزهرية من أربع سنوات إلى ثلاث سنوات إعمالا لأحكام القانون رقم ١٦٤ لسنة ١٩٩٨ .

☐ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف يسند إلى الشيخ / محمد أحمد عامر مصطفى مدير عام معهد طنطا الأزهرى التابع لمنطقة الغربية الأزهرية القيام بعمل وظيفة مدير عام منطقة البحر الأحمر الأزهرية ، ويلغى ندب الشيخ / عبد الهادى التونى أحمد عرفات القائم بعمل مدير عام منطقة البحر الأحمر ويعود لعمله الأصلى بذات المنطقة فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٩/١٥ .

☐ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف يسند إلى السيد / شريف محمد إبراهيم ندا مدير إدارة الأمن بمدينة البحوث الإسلامية القيام بعمل وظيفة مدير عام شئون الطلبة والخدمات بالمدينة وذلك لحين شغلها ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة الوصف وفقا لأحكام القانون رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية المشار إليها فى ٢٤ من جمادى الأولى ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٩/١٥ .

☐ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على تعديل إيفاد الشيخ / سرحان جوهر سرحان رئيس بعثة الأزهر فى باكستان وإيفاده رئيسا لبعثة الأزهر فى دولة تشاد فى العام الدراسى ٩٩/٩٨ العام الثانى والموافقة على إيفاد الشيخ / محمد عبد الرءوف عبد العزيز حمود الموجه بمنطقة المنوفية الأزهرية رئيسا لبعثة الأزهر فى باكستان للعام الدراسى ٩٩/٩٨ فى ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٩/١٣ .

☐ اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بالسادة ضباط الشرطة من معهد القادة لضباط الشرطة وذلك بمناسبة انعقاد الدورة ٧١ قيادات أمنية بالمعهد وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بإدارة الأزهر الشريف فى يوم ١٣ من جمادى الآخرة ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١٠/٤ رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة الضباط فى الأزهر الشريف قائلا لهم أن هذه اللقاءات من شأنها أن تجعل هناك صلة موصولة بين أبناء الوطن الواحد ، وكلما كانت هناك صلة بين أبناء الوطن كل مؤسسة فى حدود تخصصها كلما نهض المجتمع وتقدم وارتقى وسار فى الطريق القويم الذى يؤدى إلى السعادة فى الدنيا وإلى رضا الله تعالى فى الآخرة ، الأمة العاقلة الرشيدة الحكيمة هى التى يتواصل أبناؤها كل فى حدود تخصصه ، فرجال الأمن يتلاقون مع رجال الدين ورجال الدين ورجال الأمن يتلاقون مع رجال القوات المسلحة ، وهكذا هذا التلاقى يفتح نافذة لتبادل العلم النافع ، وكل متخصص فى علم من العلوم أو فن من الفنون يأخذ ويتعلم من غيره وهناك

حكمة تقول أنه (ما من عالم فى فن وإلا وهو تلميذ لغيره فى فن آخر) ، ولا يوجد إنسان أحاط بكل العلوم أو بكل الخبرات ، وأنا حينما أستمع إلى بعض أبنائنا من رجال الأمن سيعطيني فكرة عن المشاكل التى تحدث لأن ضابط الشرطة تأتى إليه الشكاوى من المواطنين ، وبذلك يستطيع أن يبصر رجل الدين بما يحيطه من خبايا ومشكلات وجرائم تسود فى المجتمع ، وبذلك يقوم رجل الدين بالتركيز على الانحرافات والمشكلات والجرائم ، ويضع العلاج الذى يناسب كل مشكلة ، وكذا الطبيب النفسى ، وهذا هو التواصل المطلوب للمجتمع ، ولذا يقول الله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾
المائدة : ٢

□ وأضاف أن الحصن القوى للأمة هم رجال الأمن ، والأمن إذا استتب فإن الأمة ترقى وتتقدم وتتحضر ، لكن الأمة إذا انتشرت فيها الجريمة ولم تجد من يقاومها فإنها تضعف وتتأخر ، والجرائم مثلها مثل شرر النار تبدأ صغيرة ثم تنتشر وتزداد ، ولكنها إذا عولجت بحزم وعدل وقوة انصلح حالها وتقدمت ، وهذا واجب كل مسئول وكل إنسان فى مجال تخصصه .

ولا شىء أفضل من نعمة الأمن والأمان فهو يسعد الأمم ويجعلها فى حالة استقرار واطمئنان فتتفرغ للعمل وللتعمير ويسودها الرخاء والازدهار والرقى ، ولذا يقول القرآن الكريم ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ .. (إبراهيم : ٣٥) وعلى النقيض من ذلك فلا شىء يزلزل الأمم ويجعلها تعيش فى فزع واضطراب إذا فقدت نعمة الأمن والأمان ، والأمم التى تقدمت هى التى انتشرت فيها نعمة الأمن والأمان والاطمئنان ، والأمم التى تأخرت بسبب فقدان نعمة الأمن والأمان والاطمئنان .

□ وقال فضيلته أن الشرائع السماوية كلها وعلى رأسها شريعة الإسلام إنما جاءت لتحقيق الأمن والأمان للبشرية ، ومن أجل ذلك كانت العقوبات وتطبيق القصاص العادل على المعتدى ، القصاص الذى لا ظلم فيه ولا محاباة مشيرا إلى أن العدل أساس الملك وحماية الأنفس والأعراض والأموال والكرامة الإنسانية ، وأكد فضيلته على نصيحته لأبنائه من القيادات الأمنية ، على كل المستويات بتقوى الله تعالى أولا وبأداء واجبهم بشجاعة وعدل والتزود دائما بالعلم النافع ، وأن يكون لديهم بعض الكتب الدينية التى توضح سماحة الإسلام وعدله لمحاربة الإرهاب والتطرف الذى يشوه صورة الإسلام وسماحته وعدله ، ثم أجاب فضيلته على كل الأسئلة والاستفسارات التى وجهت إلى فضيلته ، حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

□ أكد فضيلة الإمام الأكبر د / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف أن نصر أكتوبر العظيم فتح الطريق أمام مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لتحقيق النهضة الشاملة والعبور الاقتصادى والاجتماعى ، ورفع معدلات الإنتاج فى مصر جاء ذلك فى برقية التهنئة التى بعث بها فضيلته إلى السيد الرئيس بمناسبة اليوبيل الفضى لنصر أكتوبر العظيم باسمه وباسم علماء الأزهر وهيئاته وطلابه ، كما بعث ببرقية تهنئة مماثلة

للسيد المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة بمناسبة انتصار أكتوبر هنأ فيها الجنود والضباط .

□ سلم فضيلة الإمام الأكبر / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف خطاب شكر لرجل الأعمال الحاج صالح عوض الله عضو مجلس الشعب عن محافظة البحر الأحمر لتبرعه بشراء الزى الأزهرى (العمامة والكاكولا) وتوزيعه على جميع طلاب المعاهد الأزهرية بالمحافظة ، وأكد فضيلة الإمام الأكبر على تقديره لهذا العمل الجليل الذى يبتغى به صاحبه وجه الله تعالى ، وأن الأزهر الشريف يضع يده فى يد كل مسلم غيور على دينه يعمل على تشجيع انتشار الزى الأزهرى الذى يعتبر السمة المميزة لطلاب الأزهر الشريف .

□ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على إقامة الدورة العالمية التدريبية الثالثة والأربعين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف ولمدة ثلاثةأشهر اعتبارا من ١٩٩٨/١١/١ ، وذلك لعدد (٢٨) إماما وواعظا ، تتحمل موازنة الأزهر الشريف تذاكر السفر ذهابا وإيابا لهؤلاء الدارسين ، بالإضافة إلى نفقات الإقامة لهم بمدينة البعوث الإسلامية ويمثلون دول أوغندا ومدغشقر ، وتايلاند ، وسنغافورة ، والبوسنة والهرسك ، وأذربيجان ، وألبانيا .

●●●

صدر قرار شيخ الأزهر بتشكيل لجنة برئاسة فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر وعضوية كل من :

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / نصر فريد واصل مفتى الجمهورية .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الرشيد سالم وكيل أول وزارة الأوقاف .

٦ ـ فضيلة الشيخ / سامى محمد متولى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

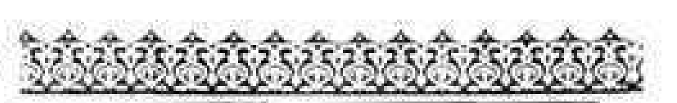
٧ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن عبد النبى العدوى عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٨ ـ فضيلة الشيخ / محمد محمد عبد الرحمن الراوى عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٩ ـ فضيلة الشيخ / جمال الدين محمد قطب أمين لجنة الفتوى بمشيخة الأزهر مقررا للجنة ، وتكون مهمة هذه اللجنة دراسة ومناقشة ومتابعة الأمور الآتية :

١ ـ ماينشر على شبكة الإنترنت من معلومات تسىء إلى الإسلام وتعاليمه وإعداد المادة العلمية الصحيحة ردا على ما ينشر .

٢ ـ إعداد المادة العلمية الصالحة للبث على شبكة الإنترنت للتعريف الصحيح للإسلام وشرح تعاليمه السامية ، وتفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وللجنة أن تستعين



بمن تراه لتحقيق مهمتها ، ولها أن تؤلف لجانا فرعية متخصصة فى كل المجالات المتصلة بأداء مهمتها .

تعرض اللجنة تقريرا عما يتم إنجازه أولا بأول كل خمسة عشر يوما على شيخ الأزهر ويعاونه فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف .

●●●

استقبل فضيلة الإمام الإكبر شيخ الأزهر الشريف عشرة من علماء الأزهر الشريف الذين يعملون فى حقل الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر والذين تم اختيارهم ليقوموا بنشر تعاليم الإسلام ونشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى عدة دول أفريقية هى : بوركينا فاسو ، نيجيريا ، تشاد ، النيجر ، مالى ، وهؤلاء الدعاة طلبت الجماهيرية الليبية أن ترسلهم إلى هذه الدول على نفقة جمعية الدعوة الإسلامية بليبيا فى إطار التعاون الثقافى بينها وبين الأزهر الشريف لنشر الإسلام ، وقد أوصاهم فضيلة شيخ الأزهر بأن يكونوا قدوة طيبة للمسلمين فى هذه البلاد ، وأن ييسروا على الناس أمور دينهم ، وأن يبتعدوا عن المسائل الخلافية ، وأن يظهروا سماحة الإسلام ويسره .

●●●

حضر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الاحتفال الذى أقامته رعاية الشباب بالأزهر لتكريم الطلاب والطالبات أوائل الشهادات الأزهرية وتكريم المناطق الفائزة فى أنشطة رعاية الطلاب (الجائزة الكبرى) ، وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بمجمع المعاهد الأزهرية النموذجية بمدينة نصر ، وقد فاز بالمركز الأول للشهادات الأزهرية خمسة عشر طالبا وطالبة ، وكانت الطالبة منى أحمد راشد من معهد كوم حمادة الأولى على الشهادة الابتدائية الأزهرية ، وكان الطالب أحمد عبد السميع من معهد كفر الشيخ بدسوق أول الشهادة الإعدادية الأزهرية ، وكان الطالب/ محمد فوزى حسن من البحيرة أول الشهادة الثانوية على المبصرين ، والطالب وليد السيد مصطفى فرج من معهد شربين أول الأدبى على المكفوفين ، وكانت الطالبة هبة محمد عبد الجليل من فتيات معهد مدينة نصر الأولى على القسم العلمى علوم ، والطالب أحمد فاروق إبراهيم من القاهرة حصل على جائزة الأول العلمى ، وقد كرمهم فضيلة الإمام الأكبر بإعطائهم شهادات التفوق والجوائز المالية ، كما قام فضيلته بتكريم المناطق الأزهرية ومنحهم درع التفوق ، وقد فازت منطقة الدقهلية بالجائزة الكبرى برئاسة فضيلة الشيخ محمد عريضة رئيس المنطقة ، وفازت منطقة الغربية بدرع النشاط الرياضى برئاسة فضيلة الشيخ / عبد المغنى رئيس المنطقة ، وفازت منطقة القليوبية بدرع النشاط العلمى برئاسة فضيلة الشيخ / عبد الموجود عبد الحكم رئيس المنطقة .

●●●

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف حفل تكريم الطلاب الوافدين على منح الأزهر من العالم الإسلامى الذين أتموا دراستهم الجامعية بالأزهر فى العام الدراسى ٩٨/٩٧ ، وقد أقيم الحفل بمدينة البعوث الإسلامية فى ١٩٩٨/١٠/١ ، وقام فضيلته بتوزيع شهادات التفوق على هؤلاء الطلاب وعددهم ٥٦ طالبا ، وينتمون إلى إحدى وعشرين دولة هى : أندونيسيا ، أفغانستان ،

نيجريا ، تايلاند ، تشاد ، سيرلانكا ، كوت ديفوار ، بوركينا فاسو ، السودان ، اليمن ، السنغال ، رواندا ، غينيا كوناكرى ، الصومال ، ليبريا ، جنوب أفريقيا ، باكستان ، مالى ، النيجر ، كينيا ، توجو ، والطلبة من كليات الشريعة والقانون ، واللغات والترجمة ، والدراسات الإسلامية ، والتربية ، والتجارة ، وأصول الدين ، واللغة العربية ، والعلوم ، والزراعة ، وقد طالب فضيلة شيخ الأزهر أبناء العالم الإسلامى ممن درسوا فى الأزهر أن يكونوا سفراء للأزهر فى دولهم لنشر الإسلام الصحيح البعيد عن التطرف والمغالاة ،كما أوصاهم بأن يكونوا قدوة طيبة لغيرهم فى بلادهم وأن يظلوا على تواصل مع الأزهر ، وأن يكونوا هم وغيرهم بعيدين عن التعصب الأعمى والتطرف المقيت ، وأن يتبعوا منهج الوسطية ، فى تعليم أبناء بلادهم وأن يبتعدوا كل البعد عن الخلافات المذهبية التى تشتت جهد وطاقات الشعوب وأن يحافظوا على القرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما لمعانيه ، وأن يعملوا بسنة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيدفعوا بمجتمعهم إلى التقدم والرقى العلمى والحضارى فى كل المجالات ، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالمنهج القويم وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وأشار فضيلته إلى أنه سعيد كل السعادة بهذا التجمع السنوى الذى تقيمه مدينة البعوث الإسلامية للخريجين من أبناء العالم الإسلامى والذى يجسد حقيقة قيادة الأزهر للعالم فى مجال الفكر والتعليم الإسلامى .

كما تحدث الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر حاثا لهم على أن يذكروا الأزهر الشريف وعلماءه ويذكروا مصر بلد الأزهر التى هيأت لهم سبل الإقامة والتعليم فى الأزهر ، وليعلموا أن الأزهر خرج قبلهم وسيخرج بعدهم أجيالا كثيرة من العلماء الذين درسوا العلم النافع بالأزهر الشريف ، وبهذا العلم يعودون إلى بلادهم يعلمون أبناء أوطانهم سماحة الإسلام وينشرون الفضائل التى أمر بها نبى الإسلام ، والقرآن الكريم الذى هو منهج الإسلام ، كما بين أن العالم كله شرقه وغربه شماله وجنوبه مدين للأزهر الشريف ،حيث إنه كعبة العلم ، ولا ينكر فضل الأزهر إلا حاقد أو جاحد ، لأن الأزهر قام وسيقوم بدوره فى نشر رسالة الإسلام الحنيف وتعاليمه السامية السمحة منذ فجر نشأته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

كما تحدث فضيلة الشيخ فرحات المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية عن فضل العلم والعلماء ، العلم الذى جعل صاحبه يخشى الله تعالى حق خشيته ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر : ٢٨)العلم الذى يرفع خسيسة صاحبه وأى منفعة أعظم وأجل من العلم الذى فضله المولى سبحانه على التسبيح فى حواره سبحانه مع ملائكته قبل خلق آدم عليه السلام ، وقال اذكروا الأزهر وشيخه الجليل وعلماءه ، لقد حملناكم الأمانة فلا تكونوا ظلومين لأنفسكم ولا جهولين عليها لا نقول لكم وداعا بل إلى لقاء إن لم يكن فوق الثرى ففى جنة رب السماء .

كما تحدث الخريج كامل محمد جامع ، كلية اللغة العربية من نيجريا حيث حيا شيخ الأزهر والضيوف بكلام بليغ طيب فصيح ، وأشاد بالأزهر وشيخه وما لاقوه فى فترة تعليمهم من عطف وحب ورعاية من جميع المسئولين ، مما جعله

هو وزملاءه يتفرغون لتحصيل العلم والمعرفة حتى حصلوا على الشهادة العالية حيث قال : لقد بيضتم وجوهنا ونورتم قلوبنا ، وبردتم أحشاءنا ، وعطرتم جدراننا ، فمن ورائكم تاريخ الأمة يسجل لكم كل خطوة كريمة تخطونها إلى هذا المكان الطيب الطاهر ، أيا هداة الأنام ويامصابيح الظلام ، فمن هنا كان سرورنا لايقدر ، ولسان حالنا يردد ويكرر :

جزيتم بفيض وضعف الجزاء
وعشتم جميعا حياة الهناء
ويوم الحساب تفيض الهبات
نحيى جميعا جموع الحضور
بكل لسان تسوق السلام
وفى كل عام تطيب الصلات

لقد ارتشفنا من رحيق الأزهر الشريف قلعة الإسلام ومنارة العلم النافع ، ونهلنا من منهله العذب الصافى فتذكروا - أيها الخريجون - أن الأزهر قد أخذ عليكم موثقا من الله على أن تكونوا هداة مهديين لهذا الدين الحنيف وأن تسعوا جاهدين على أن تظل راية الإسلام عالية خفاقة ، فاجتهدوا حتى تبرأ ذمتكم ، واذكروا كما علمنا الأزهر أن العنف لا يقوم به الدين ، ولن ينهض به المسلمون ، فقد غرس فى قلوبنا العقيدة الوسطية استنادا إلى قول الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة : ١٤٣) .

يجب أن نترسم خطا أساتذتنا الأجلاء ، وأن نضع فى قيد حياتنا منهج الأزهر فى تلك الثورة البيضاء السمحة التى يقودها رجاله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

ثم قال : طوبى لكم أبناء الكنانة لقد وهبكم الله عزا تالدا وطريفا حين أقام الأزهر الشريف فى قلب القاهرة الكبرى وسيظل نوره متألقا فى عيون التاريخ إلى يوم الدين ، أيها الخريجون اجعلوا علاقتكم مع الأزهر علاقة دائمة متصلة ، وداوموا على الإيمان والتقوى يدافع الله عنكم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾

(الحج : ٣٨)

وتحدث الخريج محمد عمر علام عمر خريج كلية الشريعة الإسلامية ، وهو أفغانى فقال : « إن هذا اليوم يعتبر من الأيام السعيدة فى حياتنا ومن الذكريات الخالدة طول العمر ، وكل واحد منا يفتخر بهذا البلد الطيب ويعتبره بلده الثانى الذى استضافه بالحب والمودة وعانقه بالعلم والمعرفة ، ويفتخر بالأيام التى قضاها فى أرض الكنانة ولها صفحات مسجلة فى خاطره ووجدانه ، ولن ننسى أبدا شعب مصر المسلم الذى يرحب بكل وافد يقصد العلم ويسعى وراء المعرفة ، والأزهر الشريف سيظل فى خدمة الأمة الإسلامية يقوم بدوره الرائد مدافعا عن الشرع المتين والتراث الإسلامى رافعا راية الحق ، إن الأزهر الشريف قد قام بدوره النير بالتعبير عن روح الإسلام الصحيح وتقديمه إلى المجتمع البشرى شريعة ومنهاجا ، دينا ودولة ، وسيظل قائما على الحق قائلا كلمة الحق ، لا يخاف فى الله لومة لائم ،

وسيظل مفسرا لمفهوم الإسلام بتنقيحه وتطهيره من كل ما يصب عليه أعداؤه من المفاهيم الخاطئة إساءة للإسلام وعزلا عن واقع الحياة البشرية وصدق الله إذ يقول :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩)

إننا فى غاية السرور والسعادة لما وفقنا الله تعالى من تحقيق أحلامنا بتلقى العلوم الدينية والثقافية الإسلامية من منهل هذه الجامعة العريقة واقتباس أنواع العلوم من كنوزها الثمينة فكم من قلوب تتمنى وتحلم النيل بهذه السعادة فيأزهر أنت سجل المفاخر لا حاجة للدليل ، أنت شفاء لمن جاءك من العليل ، بالحق تنطق بلا خوف ولا تميل ، أنت دائما فى قلوبنا كالروح فى الجسد منار فى معالم الطريق باهدية الفرد الصمد ، لم نشعر يوما بالغربة والفراق مع البعد عن الأهل والوطن لأننا وجدنا الترحيب والحب والمودة .

دور الأخلاق فى تنمية الدولة

تحت عنوان « دور الأخلاق فى تنمية دولة إندونيسيا والعالم الإسلامى » أقام اتحاد خريجى معاهد دار النجاح « بجاكارتا » الذين يدرسون بالأزهر الشريف ندوة إسلامية برابعة العدوية بمدينة نصر يوم السبت ١٩ من جمادى الآخرة ١٤١٩هـ الموافق ١٠ من أكتوبر ١٩٩٨ .

وقد دعى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، فأناب فضيلة الأستاذ الشيخ / سامى محمد متولى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية فى إلقاء كلمته التى دارت حول الأخلاق الإسلامية وأثرها فى نهضة الأمم والشعوب الإسلامية .

كما دعى إليها حشد كبير من العلماء والمتخصصين ، وكان فى مقدمة المدعوين فضيلة الأستاذ الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية ، وصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / عبد المعز عبد الحميد الجزار رئيس تحرير مجلة الأزهر .

استهلت الندوة بخير استهلال بآيات من كتاب الله ، ثم كلمة للسيد سفير إندونيسيا بالقاهرة أعرب فيها عن امتنانه للجهود التى يبذلها الأزهر تجاه المسلمين فى أنحاء العالم الإسلامى بعامة ومسلمى إندونيسيا بصفة خاصة .

ورد فضيلة الشيخ / سامى الشعراوى فى كلمته بأن هذا ما يجب علينا تجاه إخواننا .

ثم تتابعت جلسات الندوة ، فضمت الجلسة الأولى محاضرة فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ فؤاد على مخيمر الرئيس العام للجمعيات الشرعية والأستاذ بجامعة الأزهر بعنوان : « أثر العلم والعلماء والأخلاق فى ازدهار الاقتصاد الإسلامى » .

ثم محاضرة الأستاذ الدكتور حسين حسين شحاته أستاذ المحاسبة بكلية التجارة جامعة الأزهر ، والتى كانت بعنوان : « توصيات إسلامية إلى رجال الأعمال » .

أما الجلسة الثانية فقد خصصت لمحاضرة السيد شيرازى أحمد دمياطى ، والسيد سورحمان هدايت ، وكما استهلت الندوة بخير الكلام ختمت ـ أيضا ـ بالذكر الحكيم .

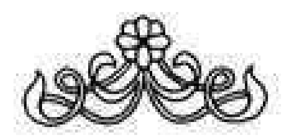


précédé la révélation de ce verset qui est venu les confirmer.[1]

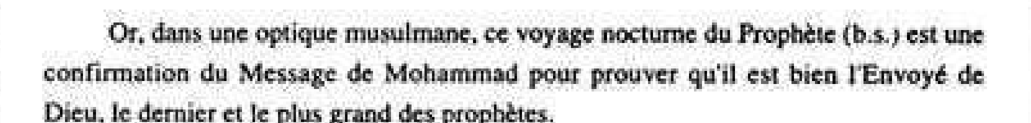
D'autre part, le récit de l'Ascension nocturne (Al Mi'rag) accomplie par Mohammad (b.s.) et rapportée dans les livres de Hadiths,[2] est considéré comme étant le premier texte religieux traitent de ce sujet.

Par la suite, cette allusion mystérieuse à la vie d'outre-tombe excita l'imagination des poètes et des mystiques de récits dont certains, par les excès de fantasie, se rapprochent des légendes.

Dr. Rokeya GABR



1- Ceci sera développé plus loin.
2- Ces Hadiths comportent tout ce qui a trait l'authentique tradition musulmane.



Or, dans une optique musulmane, ce voyage nocturne du Prophète (b.s.) est une confirmation du Message de Mohammad pour prouver qu'il est bien l'Envoyé de Dieu, le dernier et le plus grand des prophètes.

En effets, si nous passons en revue les religions révélées, nous trouvons que chacune des prophéties a eté confirmée par un ou plusieurs miracles (Abraham, Jésus, Moïse). Ces miracles visent à témoigner aux hommes que ces prophètes sont bien les Envoyés de Dieu. La toute-puissance divine les a doués de pouvoirs surnaturels afin de prouver aux hommes l'authenticité de leur mission.

Or, si nous acceptons de croire que Jésus a parlé au berceau, ou que les flammes n'ont point brûlé le Prophète Abraham, pourquoi démentirions - nous le récit de Mohammad (b.s.)? Cette ascention du Prophète de l'Islam qui est une réalité admise comme un acte de foi par tous les Musulmans, n'est point reconnue comme telle par nombre de non-musulmans dont certains vont même jusqu'a nier le Messager de Mohammad (b.s).

Un verset coranique, dans la Sourate "Le Voyage Nocturne" est généralement considéré comme le point de départ de l'eschatologie musulmane:

[Gloire à celui qui a fait voyager de nuit son serviteur de la Mosquée sacrée à la Mosquée très éloignée dont nous avons béni l'enceinte, et ceci pour lui montrer certains de nos Signes. Dieu est celui qui entend et voit parfaitement][1]

Par ce verset, le texte divin certifie l'authenticité du récit du Prophète Mohammad (b.s.) relaté dans plusieurs Hadiths qui racontent - certains avec force détails - le voyage de Mohammad de la Mecque à Jérusalem et son acension jusqu'au-delà du septième ciel.

En fait, le voyage et l'ascension nocturnes du Prophète Mohammad (b.s.) ont

---



(1) سورة الإسراء (آية ١)



Le Voyage Et L'Ascension Nocturnes De Mohammad

par Dr. Rokeya Gaber

Le "Voyage nocturne" du Prophète Mohammad (b.s.) et son Ascension sont considérés - après la Révélation du Coran - comme le plus grand miracle de l'Islam:

Ce pouvoir surnaturel accordé à Mohammad (b.s.) est certifié par un verset coranique où il est montré qu'il n'a été donné à aucune créature humaine de traverser les espaces célestes sans être préalablement doué d'un pouvoir surnaturel:

> [*O peuple de Djinns et des hommes!*
>
> *Si vous pouvez passer à travers les espaces des cieux et de la terre, faites-le!*
>
> *Mais vous ne les traverserez qu'à l'aide d'un pouvoir .....*][1]

Sourate "le Miséricordieux" (v.33)

Nous essaierons au départ de dissiper un malentendu: la majorité des chercheurs et des orientalistes non-musulmans considèrent Al Isrâ et Al Mi'rag[2] commes de simles légendes, elles-mêmes inspirés d'autres légendes antérieures (hindoues et persanes, entre autres).

Certains se contentent pourtant de signaler qu'il s'agit d'un acte de foi pour tout Musulman et que sa commémoration fait l'objet d'une acte foi pour tout Musulman et que sa commémoration fait l'objet d'une fête religieuse dans certains pays d'Islam.

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾
(سورة الرحمن (آية ٣٢)

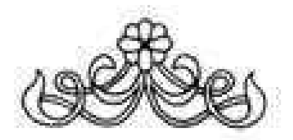
2- C'est le voyage et l'Ascension Nocturnes du Prophète Mohammad (b.s.)

La femme se précipita vers la maison du Prophete-b.s-, voulant s'excuser, elle lui dit:" ***Je ne t'ai pas reconnu." "La vraie patience, lui répondit-il, consiste à supporter le premier choc."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary et Moslim.

Enfin, Le Prophète-b.s- a dit:***"Celui qui veut être chaste, Allah l'aidera. Celui qui cherche à se passer de ce que possèdent les autres, Allah l'enrichira. Celui qui veut être patient, Allah l'aidera à patienter. Celui qui ne veut que le bien, Allah le lui accordera."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.





verset qui décrit les attitudes des amoureux: **[Ils dormaient une petite partie de la nuit.]** **Surate 51 "Az-Zariyat" (Ceux qui éparpillent.)V.17.**

C'est ainsi que nait l'amour[7] sincère d'Allah et la connaissance de Ses Attributs. Ceux qui sont consumés par Son amour et le désir de Le recontrer, traduisent cet amour par leur zèle dans le culte[8]. Leur ravissement ne provient que de la douceur de Son intimité de Son invocation, de la récitation de Ses paroles durant la nuit, pour profiter de la sérénité du soir et du sommeil des gens; ils se détachent ainsi de toutes les occupations terrestres et se livrent à Son adoration; espérant que cette dévotion leur procure la patience de supporter la séparation d'Allah; lorsque leur vie arrive à son terme, ils considèrent la mort comme la libératrice désirée depuis longtemps tel un amoureux passionnément attendu.

L'endurance sous toutes ses formes n'est acquise qu'à force d'entraînement de simulation de la part de l'homme jusqu'à ce qu'il atteigne l'endurance la plus parfaite:**"Cette belle patience"** dont parle le Prophète-b.s-Ya' coub (Jacob)-paix sur lui-.

Le Coran nous rapporte que les fils de Ya'coub, vinrent et lui prétendirent que "Yussuf"(Joseph) avait été dévoré par le loup; il leur dit alors:**["Vos âmes, plutôt, vous ont suggéré quelque chose, (Il ne me reste plus donc) qu'une belle patience.]**

Surate 12 "Yussuf"V.18.

Il répéta les mêmes paroles, lorsque ses fils vinrent lui annoncer que son fils avait volé et que sa punition pour le péché du vol était l'esclavage, il leur dit: **[Vos âmes plutôt vous ont inspiré (d'entreprendre) quelque chose...oh! Belle patience. Il se peut qu'Allah me les ramènera tous les deux. Car c'est Lui L'Omniscient, Le Sage.]**

Surate 12 "Yussuf"V.83.

Les ulémas ont expliqué le sens de **"belle patience"**, ils ont dit que c'est le fait de supporter la douleur ou le mal sans se plaindre ni protester.

Il nous faut signaler également que la patience exigée dans les épreuves, c'est celle qui se manifeste à l'instant même où le malheur nous frappe et non la patience après l'écoulement du temps; car c'est là faire l'épreuve de faiblesse dans la résignation.

On raconte que le Prophète -b.s- passa auprès d'une femme qui pleurait sur une tombe. ***"Crains Allah, lui dit-il, et endure". "Laisse-moi, tranquille, lui dit-elle, car tu n'es pas atteint d'un malheur semblable au mien."***

Le Prophète-b.s-la quitta et partit. On lui dit:***"Malheur à toi Ô femme, c'est le Messager d'Allah-b.s- qui te parlait".***

---

[7]Cet amour est le plus extrême des stades et l'apogée des degrés de la foi.

[8]Dans la tradition rapportant la question posée par Gibril au Messager d'Allah:*"Qu'est ce que la bienfaisance?"*. Il répondit:*"C'est que tu rendes ton culte à Allah comme si tu Le voyait; et si tu ne Le vois pas, Lui, du moins, te voit."*




4-L'endurance dans l'amour d'Allah:

C'est l'endurance de ceux qui aiment (*Mohibine*), ceux qui éprouvent la passion ardente de Le rencontrer et de regarder Sa Face Sublime. Leurs âmes et leurs coeurs sont suspendus à La Perfection et La Sublimité divines. Ils attendent avec une patience semblable à la passion et avec vigilance, que le terme de leur vie soit achevé. Et si ce n'était que chaque vie a un terme qui doit s'écouler, leurs âmes ne se seraient pas restées un seul instant dans leurs corps.

Cet amour personne ne peut le comprendre que ceux dont le coeur est rempli d'amour et de passion à l'égard d'Allah Lui même. Il est évident que personne ne peut connaître le désir ardent de la passion sinon celui qui a éprouvé ce sentiment, et personne non plus, ne peut connaître l'ardeur du désir charnel sinon celui qui en a souffert.

Cette forme d'endurance a été décrite par plusieurs amoureux[6] comme: Omar Ibn Al-Fared, Dhû'l-Nun Al-Misri et Rabi'a Al-Adawiya dans leurs poèmes, leurs plaintes: ils ont parlé d'un amour pur, très particulier, que plusieurs ignorent.

Ces amoureux ont dit que l'adoration dans l'espoir d'accéder au Paradis ou dans la crainte de l'Enfer est semblable à l'oeuvre du mauvais ouvrier: s'il obtient son salaire, il est satisfait, s'il en est privé, il riposte. Ils ont dit que le but de notre dévotion, doit émaner de notre amour pour l'Etre Suprême. C'est un amour dépouillé de toute crainte, et de toute convoitise.

Allah-Gloire à Lui- est le Seul digne d'être adoré, et le Seul digne d'être vénéré, même s'Il n'y avait ni Paradis ni Enfer.

Allah-Gloire à Lui- est La Beauté absolue, La Magnificence absolue et La Perfection absolue. Son adoration et la soumission à Ses ordres procurent au serviteur le plaisir et la jouissance.

Son invocation (Dhikr) dispense son auteur de toute autre compagnie. Ces amoureux se demandent: Est-ce que si Allah n'avait pas créé le Paradis et l'Enfer, les élus se seraient écartés de Sa dévotion, de la recherche de Son approbation et du désir de Sa rencontre?. Quel est le sens de ces paroles du Prophète-b.s-: ***"L'amour des femmes et des parfums fut placé dans mon coeur, qui ne trouve son bonheur que dans la prière."*** Pourquoi se tenait-il debout toute la nuit au point que ses pieds se fissuraient, alors que le Seigneur lui avait pardonné tous ses péchés?. Ces mystiques se basent sur le

---

[6]Ces amoureux sont les maîtres du Soufisme (ou mysticisme). Le Soufisme est le renoncement à tous les plaisirs égoïstes, de façon à se consacrer corps et âme à Allah. Délivrés de toutes les servitudes des désirs, les maîtres Soufis se sont soumis aux ordres d'Allah-Gloire à Lui- de façon que leur passion ne fut que dans la dévotion et l'adoration d'Allah. Ils souhaitent ce qu'Allah souhaite car ils n'ont plus de souhaits propres: ils se sont délivrés des besoins et ont ainsi acquis la paix et le bonheur dans les deux mondes.



affrontèrent Goliath et ses troupes, ils dirent: "Seigneur! Déverse sur nous l'endurance, affermis nos pas et accorde-nous la victoire sur ce peuple infidèle.]

Surate 2 "Al-Baqara" (La Vache) V.250.

-[Combien de Prophètes ont combattu, en compagnie de beaucoup de diciples, ceux-ci ne fléchirent pas à cause de ce qui les atteignit dans la voie d'Allah. Ils ne faiblirent pas et ils ne cédèrent point. Allah aime les endurants.]

Surate 3 "Al-'Imran" (La famille d'Imran)V.146.

-[Comptez-vous entrer au Paradis sans qu'Allah ne distingue parmi vous ceux qui luttent et qui sont endurants?.]

Surate 3 "Al-'Imran" (La famille d'Imran)V.142.

-[S'il y a cent endurants parmi vous, ils vaincront deux cents; et s'il y en a mille, ils vaincront deux mille, par la grâce d'Allah. Allah est avec les endurants.]

Surate 8 "Al-Anfal"(Le Butin) V.66.

Rappelons aussi, tout ce que les messagers ont enduré de la part de leurs peuples pour la Cause d'Allah. Ils les malmenèrent, les persécutèrent, mais les Messagers supportèrent la souffrance sans rendre le mal par le mal ni se venger ni même se soucier de leur personne. Mais, ils repoussaient avec bonté, enduraient et pardonnaient.

Voici un exemple de l'endurance du Prophète-b.s-: Ibn Mass'oud disait:***"J'ai toujours présent devant moi ce spectacle poignant: celui du Prophète Mohammed-b.s- à l'instar des anciens messagers, battu par son peuple, ensanglanté, essuyant le sang sur son visage en disant:"Seigneur! Pardonne à mon peuple, car il agit par ignorance."*** **Rapporté par Al-Bokhary et Moslim.**

Il en est de même pour tout ceux qui recommandent de faire le Bien et interdisent le Mal, et pour les réformateurs: ils endurent pour l'amour d'Allah, en quête de Son approbation pour la propagation de Sa religion et pour que Sa Parole domine.

Le Coran nous donne plusieurs exemples de ceux-là, dont nous citons:

-[Certes, des messagers avant toi (Mohammed) ont été traités de menteurs. Ils endurèrent alors avec constance d'être traités de menteurs et d'être persécutés, jusqu'à ce que Notre secours leur vint.] **Surate 6 "Al-An'âm" (Les Bestiaux)V.34.**

-[Comment ne pas nous en remettre à Allah, Lui qui nous a guidés vers des voies sûres pour notre salut?. Aussi, sommes-nous fermement résolus à supporter vos outrages. Allah est le meilleur appui pour ceux qui se fient à Lui.]

Surate 14 "Ibrahim"V.12.

-[Ô mon enfant, observe la prière, recommande ce qui est bien, déconseille ce qui est mal. Endure patiemment ce qui peut t'atteindre, tout cela est le propre d'une âme résolue.] **Surate 31 Luqmân" V.17.**

Allah-Gloire à Lui- a promis aux endurants de réaliser tous leurs désirs, Il a dit: **[Et quant à ceux qui luttent pour Notre cause, Nous les guideront certes sur Nos sentiers Allah est en vérité avec les bienfaisants.]**

Surate 29 "Al-Ankabout" (L'Araignée)V.69.

Telle est la patience de l'homme satisfait et c'est là l'endurance requise et c'est aussi l'apogée de la patience.

Nous trouvons dans la vie, quelqu'un qui est contraint à endurer: c'est celui qui est dépourvu de puissance, qui est patient malgré lui, son coeur riposte contre la destinée et sa langue se lamente; tel que le malade qui se plaint de sa maladie à ses visiteurs, celui qui est surpris par le décés de son fils dans un accident de voiture, alors que tous les autres passagers ont survécu; il en est de même pour celui qui recourt à la polygamie, sous prétexte, que sa première épouse ne donne naissance qu'à des filles.

Ainsi toute protestation, toute plainte, toute interrogation, ou tout étonnement sur les incidents du destin, sont des indices qui révèlent que leur auteur manque d'endurance à l'égard d'Allah; car l'endurance à Son égard est l'indice de la fermeté de la foi en Justice du destin qu'il soit bon ou mauvais, agréable ou amer... C'est aussi la conviction que tout ce qui provient d'Allah est un bien et que l'épreuve est un bienfait caché. Ainsi le croyant se résigne, car tout ce qui doit l'atteindre ne peut le manquer, et tout ce qui l'a déjà atteint ne pouvait l'épargner, et que la compassion d'Allah à l'égard de son serviteur, surpasse la compassion de la mère à l'égard de son enfant.

Voici un modèle de l'endurance du Prophète-b.s-:

Un jour où le Prophète-b.s- distribuait un butin, un bédouin dit:***"Ce partage est inéquitable!"***.Cette critique parvint au Prophète-b.s-. Son visage s'empourpra, puis il finit par dire:***"Qu'Allah fasse miséricorde à mon frère Moïse! Il fut offensé plus que cela, mais il se montra plus endurant."*** **Hadith rapporté par Al-Bokhary et Moslim.**

Khabab-A.s.l-a rapporté le hadith suivant:

Nous nous plaignîmes au Prophète-b.s- qui était accoudé à l'ombre de la ka'ba. Nous lui dîmes:***"N'implores-tu pas Allah pour nous faire triompher sur nos persécuteurs, ne Le pries-tu pas pour nous?."***

Il nous répondit:***"Auparavant, on prenait l'homme, on lui creusait une fosse on l'y mettait, puis, au moyen d'une scie placée sur sa tête, on le coupait en deux; avec des peignes en fer on lui arrachait la chair à même les os. Mais tout cela ne lui faisait pas renier sa foi."*** **Hadith rapporté par Al-Bokhary.**

3-L'endurance pour la cause d'Allah:

C'est le "Djihad", i.e. la lutte pour la Cause d'Allah, dans tous les domaines et la recherche de Son approbation par tous les moyens. Cette lutte englobe toute action qui nécessite un effort, qui est en contradiction avec les penchants naturels, ou qui expose l'homme à tout ce qui lui est nuisible tel que le combat pour faire dominer la Parole d'Allah, même si l'on doit mourir en martyr, être blessé ou perdre l'un de ses membres.

Le Coran nous a décrit l'attitude des hommes endurants pour la cause d'Allah à plusieurs reprises et nous a incité à suivre leur modèle; on y trouve: **[Et quand ils**



Ces notions sont explicites dans les paroles d'Allah-Gloire à Lui- qui a dit:[**Dis:"Je ne détiens pour moi-même ni profit ni dommage, en dehors de ce qu'Allah veut.]**

Surate 7 "Al-A'raf" V.188.

-[Et si Allah fait qu'un mal te touche, nul ne peut l'écarter en dehors de Lui. S'il veut pour toi un bien, nul ne détournera de toi Sa faveur.]

Surate 10 "Yûnus"(Jonas) V.107.

-[Et si Allah fait qu'un malheur te touche, nul autre que Lui ne peut le retenir. Et s'il fait qu'un bien te touche, c'est qu'Il est Omnipotent.]

Surate 6 "Al-An'Am" (Les Bestiaux)V.17.

-[Ce qu'Allah accorde par miséricorde aux gens, personne ne peut le retenir. Et ce qu'Il retient, personne ne peut l'accorder après Lui. C'est Lui Le Puissant, Le Sage.]

Surate 35 "Fatir" (Le Créateur) V.2.

On voit ainsi clairement que tout est entre Les Mains d'Allah et qu'Il est Le Maitre Suprême de l'univers, Il est Le Favorable et Le Préjudiciable, donc la patience qui est la reine des vertus est une faveur qui ne provient que d'Allah. C'est pour cette raison que, s'adressant au meilleur fils d'Adam, à notre Prophète-b.s-, Allah-Gloire à Lui- a dit: **[Sois endurant; Allah t'y aidera.]** **Surate 16 "An-Nahl" (Les Abeilles)V.127.**

Pour arriver à ce stade, il faut que le serviteur adresse sa demande à Allah, en ayant la ferme conviction qu'il n'est de pouvoir que le Sien, ni de force que la Sienne et qu'Il détient le bien et le mal.

On raconte qu'une fille [4] du Prophète-b.s-dépêcha une personne pour le prier de venir voir son enfant agonisant. Le Prophète-b.s-lui envoya dire:" ***Adresse-lui le salut et dis-lui: Tout appartient à Allah, ce qu'Il donne et ce qu'Il reprend; pour toute chose est fixé un terme. Qu'elle se résigne et en demande à Allah la récompense."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

2-L'endurance auprès d'Allah:

Cette endurance exige que le serviteur accepte les décrets d'Allah; en sorte que son penchant aille de pair avec ce qu' Allah a décrété et que ses désirs soient conformes à la volonté divine. Il se réjouit de tout ce qu'Allah lui accorde, sans protester ni par la langue ni par le coeur, à ce stade, il devient comme le Prophète-b.s- l'a décrit:***"Le croyant est flexible[5], semblable au roseau, qui se plie au passage de la tempête."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

---

voir clair en lui-même car le Prophète-b.s- a dit: ***"Celui qui connaît son moi (Nafs) connaît Son Seigneur."***

[4]La mère croyait que la présence du Prophète-b.s-soulagera l'enfant, autrement le Prophète-b.s- ne refuse rien quand on le sollicite pour tout ce qui est dans ses possibilités.

[5]La souplesse et l'aisance sont les caractéristiques du croyant, car elles lui permettent de s'adapter à toutes les circonstances de la vie.



PATIENCE ET ENDURANCE « AS–SABR »

– 2 –

Traduction de :

HODA HUSSEIN CHAARAOUI

Les Cheikhs éminents ont dit que l'endurance se prend en quatre sortes, à savoir: L'endurance en Allah, l'endurance auprès d'Allah, l'endurance pour la cause d'Allah et enfin l'endurance dans l'amour d'Allah.

1- L'endurance en Allah:

Cette endurance exige que le serviteur se désiste de son pouvoir et de sa force pour entrer dans La Puissance et Le Pouvoir divins, en ayant la ferme conviction que tout dépend d'Allah et qu'il doit placer sa confiance en Lui; alors il sait que c'est Sa Puissance qui empêche les malheurs de s'abattre sur lui, qu'il ne peut acquérir les profits que par Sa Force, qu'il ne peut empêcher le mal de lui nuire, ni le bien de le combler si ce n'est que par La Volonté d'Allah.

Arrivé à ce stade, le serviteur implore le secours d'Allah en Le suppliant de lui insuffler l'endurance, il L'implore de l'aider à accomplir les actes de dévotion, de Le préserver des péchés, de lui donner l'intuition de la reconnaissance pour Ses faveurs en les utilisant dans les voies du bien; il prie Allah de lui octroyer la patience dans les épreuves en sorte que jamais il ne se plaint ni ne s'alarme[3], car tout vient de Lui, rien ne dépend des créatures mais tout dépend du Créateur.

[2]A ce moment, chaque communauté sera agenouillée. Personne ne pourra se lever, car les membres n'obéiront pas. Seuls, les privilégiés recevront la faveur de pouvoir bouger leurs membres et de se lever.

[3]Ceci n'est point uniquement possible grâce aux efforts de l'homme, mais surtout avec l'aide et la grâce d'Allah. D'abord l'action est nécessaire, puis la connaissance vient polir le coeur pour le débarrasser des souillures du polythéisme lorsqu'il pense que les créatures peuvent lui faire du mal alors qu'en réalité, les autres n'ont agi que selon Sa Volonté. Donc, chacun, chacun de nous, doit



REVUE
AL AZHAR

Rajab 1419 H — Nov.1998 Vol. 71 Part VII

Section Francaise



desired or not, whether he is not wanted or people will receive him with cheerful faces, good feelings and a nice welcome.

A visitor has to knock at the door or ring the bell in a quiet soft manner without causing any disturbance. He should not call out loud for people to open the door for him quickly. For those who want to proclaim (announce their visit before entering a house, all means are known.

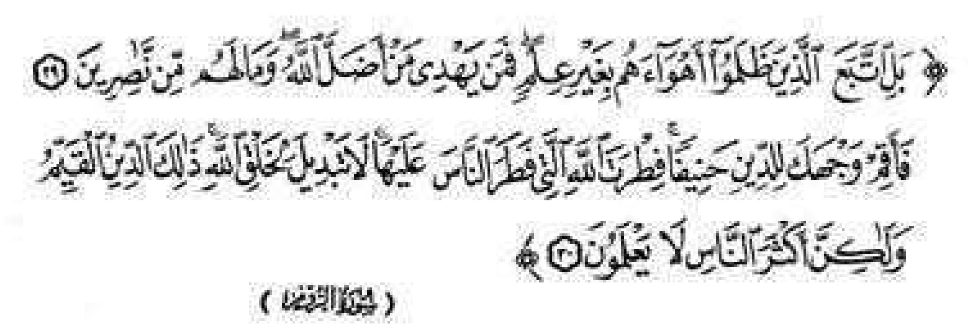
Asking permission is also clear in its usual ways.

This legislation of asking permission enlightens the way to protect human values and the Muslim family from any suspicions. Thus, let's remember it and care the most about it to ensure human chastity and good reputation. Allah says : « This is better for you » than a false pride because some people say : « To wait for permission to enter is a kind of humiliation and an insult for the visitor ». Those people are liars and Ignorant because Islam which prevents you from going into other people's homes without permission, also forbids others from coming into your house without your allowance.

The call is for all faithful male or female « O you who believe...... » Only pious people realise the good point in asking permission while guilty people who follow their own whims deny it. They are lead by the devil who made their deeds look good to them. Allah Says :

« Nay those who are unjust follow their low desires without any knowledge, so who can Guide him who Allah leaved in error ? and they shall have no helpers. » (29).

So set thy face for religions, being upright, the nature made by Allah is which He has created men. There is no altering Allah's creation. That is the right religion – but most people know not » (Surat Al Rum (29), (30).





Once a man came to the Prophet (May Prayers & Peace of Allah be Upon Him) and said « Should I ask permission before entering to see my mother ? » The Prophet (MPBUH) said « Yes ». The man then said « No one serves her except me. Should I ask permission whenever I enter to see her ? » The Propher (MPBUH) asked : « Do you wish to see her undressed ». The man said « No ». So the Prophet (MPBUH) said « Then ask permission ».

With asking permission a house keeps its glory and respect. So legislation here is a mercy for the human being as Islam set the limits and conditions for people when visiting others. It also prevents suspicions comingling with people which might arrouse doubts at that point, the devil has his ways & tricks to tempt people to commit sins and exhort them into sedition, slander and evil. The devil is a true enemy to man.

Protection of honour, undoubtful parental children connection and purity of reputation are the most dear matters to free people. Therefore Islam cared a great deal about the necessity for asking permission before entering other people's houses as to protect honour, avoid suspicion, slipping and then falling into sin. Thus, people live a chaste and honourable domestic life. Then no harm or danger would befail the Muslim family.

No one should say that a family is immune against any fault and that a friend is confidential, faithful and can not be suspected. But Allah Says : « But if you find no one therein enter them not, until permission is given to you» after syaying « until you have asked permission and saluted their inmates. This is better for you that you may be mindful.» .

With such commands and prohibitions a faithful person has to stick to the directives included and act according to major religious advice. Then vice would not find its way into those whose souls are weak (which makes them justify for themselves the chaeos they cause by mingling with others and intrudence upon honourable people's houses.

What is the meaning of « until you have asked permission » ?

Scholars said that this means until you have asked for permission to be able to enter a house (by which gloom and strangeness are to be removed while a feeling of peacefulness and tranquility takes their place). That gloom fills the hearts of those who enter into another person's home regardless of permission. A visitor has to find out whether his visit is

know by depending on their religion and their sound instinct that Allah the most Knowledgable prohibited the faithful men and women to be neglegent and wreckless. Thus, He made it obligatory for them to ask permission before entering other people's houses by telling them "O you who believe, enter not houses other than your own houses until you have asked permission and saluted their inmates. This is better for you that you may be mindful." This is in the Sura called « Al Nour » which Allah described by saying :

« (This is) a chapter which We have revealed and made obligatory and wherein we have revealed clear messages that you may be mindful »

Asking Permission is a Legal Right:

Islam, The true (Hanifit) religion, confirms both moral and material rights of man. Thus, by observing religious morals people's souls rise, their consciences awaken, and their perception enlightens. Then everyone stops at his limits and hence security and peace are to be established and friendly relations prevail. Accordingly, people cooperate in doing good not in doing evil and committing injustice. Woe to anyone who is overcome by his own whims. Allah says :



« He is indeed successful who causes it to grow, (9). And he indeed fails who burriest it. (10).

(Al Shams)

Allah ordered Muslims to follow the right path and to be moderate in everything. Allah says in the Qur'an :



« Surely Allah enjoins Justice and the doing of good.»

(Al Nahl 90)

But some people neglect all of that, look down upon Allah's verses and mock them. They even Say that asking permission is not enjoined on relatives and people of uterus relations. They say those verses do not suit our time. However, this is foolishness and ignorance. It is contradictory to man's honour, chastity, bravery, the natural instinct as well as the traditions and laws of the educated ones.

Allah, who created the soul, made it perfect and revealed to it the way of evil and the way of good and piety. He knows what is manifest and what is hidden as well as all the secrets of that soul. He is Allah who desired for Muslims to have the right morals in compliance with His commands and as a protection for the dignity of man.

By obeying Allah who revealed the Qur'an for the happines of mankind, and by observing the etiquette of asking permission, homes will preserve their freedom and sanctity because people have some private matters in their homes not to be shared with an unsensitive guest who has no respect for himself. Consequently, those verses above were revealed in order to say : Do not enter other people's houses without asking permission even if you were used to do that previously being relatives.

Qur'anic laws came to give people predominance over their houses, and protects their honour and security. The laws of the Qur'an also protect people's privacy and stability. Accordingly, rushing into the houses of others, must be prevented.

The above verses were revealed because a woman had complained to the Prophet (MPBUH) that while she was staying at home in a position she would not like to be seen in by anybody (even by a father or a'son), a certain visitor usually rushes into the house. So, what could be done with some one like that ? Then, these clear and decisive verses were revealed. They could not be subjected to any change, modification, neglegence or any wrong interpretation which might be done by those who go astray from the religion of guidance and truth. Those people went on imitating some persons who forgot Allah, so He made forget themselves. They are truely dissolute.

Should we call barbarism modernism and prostitution civilization ? Or should we call boldness freedom ? What those people say is too much, they only tell lies. Allah says :

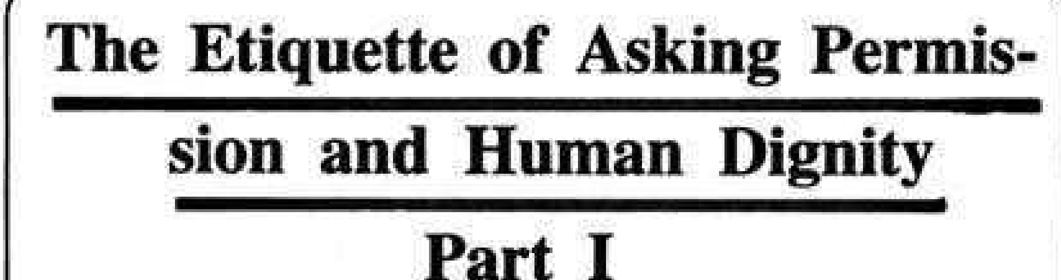
﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

« And mix not up truth with falsehood, nor hide the truth while you know. »

(Al Baqara 42)

What can analysts, Then, do with such decisive words which are not a joke ?

Allah tells Muslims in the Qur'an « And if it is said to you, Go back, then go back, this is Purer for you ». In fact, the conditions of the house might be unsuitable for receiving a visitor or entertaining a guest. This matter can only be recognized by corteous people who have good manners. All of this is elicited from the words of Allah the All Knowing Creator. Allah warns against being unsensitive towards others and neglecting their feelings. This unsensitivity is also abhored by those who are endowed with prudence and modesty. They

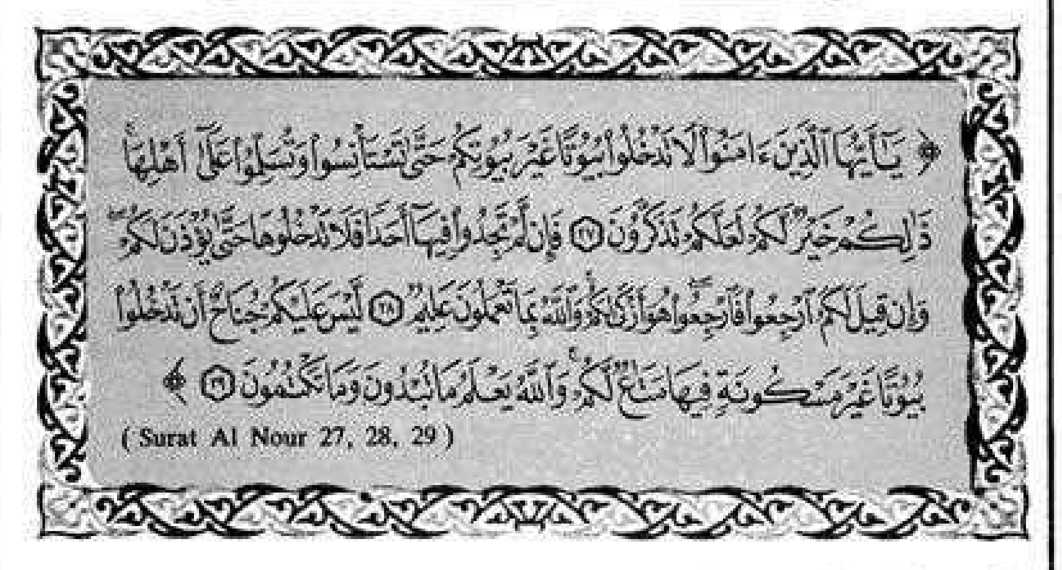


The Etiquette of Asking Permission and Human Dignity

Part I

By : Sheikh Mohammed Hafez Suliman

Translated by Hanan Abdou El Tahtawy



« O you who believe, enter not houses other than your own houses until you have asked permission and saluted their inmates. This is better for you that you may be mindful.

But if you find no one therein, enter them not until permission is given to you and if it is said to you, Go back, then go back, this is purer for you. And Allah is knower of what you do.

It is no sin for you to enter uninhabitted houses where in you have your necessities. And Allah knows what you do openly and what you hide.»

(Surat Al Nour 27, 28, 29)



16 – The Muslims are taught that surrender to Allah does not mean neglecting duties, work or learning. On the contrary, Allah in His Wisdom has made it very clear that a Muslim who works, who pursues knowledge and who strives to be just and enjoins justice and is charitable and worthy is better with Allah and is much blessed by Allah and encouraged.

17 – Islam is a guidance, for Allah has blessed humans with sight, hearing, minds and hearts to be able to discern what is right and what is wrong. A guidance sought from Allah and given must really be appreciated as the much better way, for Allah will never mislead when asked. Hence Allah's guidance is followed by Muslims. But that guidance will have to be strived for, and asked for; for it is for Muslims" benefit and is of human concern.

18 – Praise to Allah, does Allah, glory to him, like to be praised. The answer is yes, but the moral is more than that, Allah in His Wisdom wants the Muslims to get the message and to imitate His example among themselves, to say kind words to each other, to make their own and other peoples' lives happy with praise, mutual respect, encouragement and politeness. This is extremely important for the well being, peace of minds and happiness of the Muslims. It is a blessing that has resulted in happy and sane Muslims who have the world's happiest and healthiest psychology. Statistics reveal the happiest, most humourous and most normal of attitudes. Psychiatry is not a thriving business in Muslim countries.

19 – In the Qur'an the word of Allah is to teach Muslims the correct, better, virtuous and honourable way in Muslims' relations among themselves. It emphasizes the importance of family ties., love and mutual respect. It Also emphasizes the importance of prayers for all Muslims, especially the prayers of mothers for their children, prayers important and forever, blessings that grow over the years with Allah.

20 – Islamic ideals point away from factionalism and status heirarchies of tribal and past societies toward an egalitarianism of opportunity surmounting social and racial barriers. Islam provides a bassis for equity, making the richer compassionate towards, and responsible for the poorer, to replace hatred with love, spite, envy and rancour with harmony, justic and unity. To this end, rules and regulations in the Qur'an constitute guidance for all aspects of Muslim life and a bassis for their relationships, amongst Muslims and with other peoples,.

21 – In the Qur'an working hard and striving for riches is a truly blessed Islamic value. Allah has blessed the Muslims with power, energy and riches; praise be to Allah Almighty, He ordained that Muslims work and gain in honesty and in truth, and that the Muslim man or woman making money should not forget to set aside each year a portion of their earnings to the less fortunate. The purification dues are considered an important value in the Islamic faith. Muslims are very generous with the less fortunate and they compete in charity, because in the great Qur'an the more a Muslim gives the much more Allah gives and blesses – him or her. This is a tradition well observed by all Muslims at all levels.

Islam and the great Qur'an More messaged of the Qur'an

By : Ambassador Maha Fahmy

11 – That an important part of knowledge is the spiritual :
Connecting with Allah and fulfilling the spiritual, based on knowledge and realizing that knowledge is gradually.

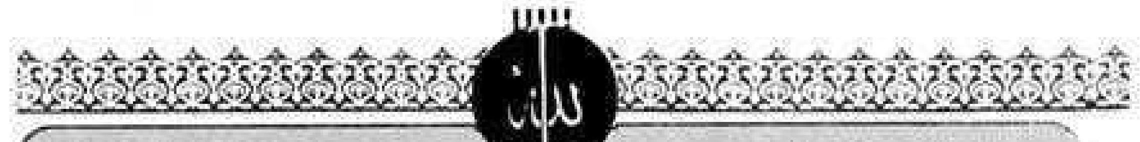
Attained and that there are limits to what humans can do and to what humans can learn. Accepting these limits is Islam; The surrender to Allah for guidance and for mercy and to be taught what we know not.

12 – Secularism and religion are really only different when people fail to reconcile the legends of past with modern life sciences and knowledge, more importantly with modern ways of life. Unconvincingly they seed an intellectual refuge in secularism, never good enough as an answer to many important questions and not good at all concerning the basic questions of our existence, that need not be where Islam is concerned. The Qur'an urges learning and reading and applying common sense and logic to what we see around us and to what we learn from what we read. The Qur'an also clarifying many issues that were shrouded in opscurities, making them easier to comprehend.

13 – Considering that the Qur'an has been there for more than thirteen centuries for the whole world to read, with the vast and important knowledge that the Qur'an continues to unfold, it sure is worth reading. To understand the universal messages of the great Qur'an and to appreciate the peace of mind and of soul that only the word of Allah can give.

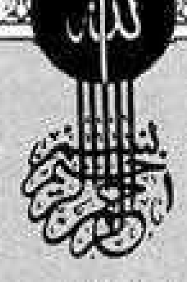
14 – At a time when there are untold numbers of books, articles, analysis, documents and even much more spent in time, expenditures and effort, theorizing, categorizing and arming, would it not make much more sense to read the one Book that the hundreds of millions of muslims recite by heart; to understand what the Muslims believe in, what they want you to hear and to see, what they stand for, tight for, who are they. hear us we are talking to you, see us we believe in Allah, in jesus, in Moses and the Messengers and all that was sent to them by Allah and all that Allah has ordained, and know us we are blessed.

15 – Islam means the complete surrender to and veneration of Allah, accepting all Heavenly religions and all of Allah's Messengers and Prophets without distinction, and all that was sent to them by Allah.



AL-AZHAR MAGAZINE

Rajab 1419 H — Nov.1998



ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part VII

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation

AL - Azhar University.

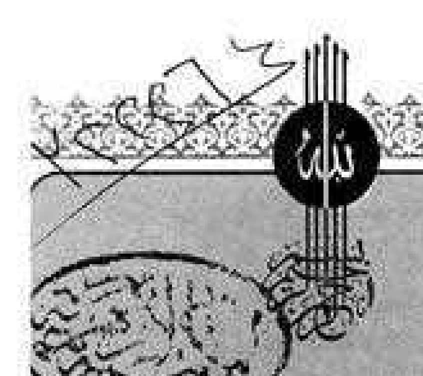
ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine.



الفهرس





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة .

ت : ٩٩‏٢٦٣٨٥٩ - ٢٣‏٥٩٠٥٤٧

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

عطايا الرحمن في شعبان

أحمد المولى - عز وجل - وأصلي وأسلم على أسعد الخلق سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد

فإن شعبان هو شهر الشرف والعلو والبر والألفة والنور ، شهر تفتح فيه الخيرات ، وتتنزل فيه البركات ، وتترك فيه الخطيئات ، وتكفر فيه السيئات ، وتكثر فيه الصلوات على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - خير البركات .

شعبان ١٤١٩ - ديسمبر ١٩٩٨ - الجزء الثامن - السنة الحادية والسبعون

ومن هذا المنطلق ينبغي على كل مؤمن لبيب ألا يغفل في هذا الشهر ، بل عليه أن يتأهب فيه لاستقبال شهر رمضان المكرم بالتطهر من الذنوب والتوبة عما فات وسلف فيما مضى من الأيام ، فيتضرع إلى الله ـ تعالى ـ في شهر شعبان ، ويتوسل إليه ، حتى يصلح فساد قلبه ، ويداوي مرض سره ، ولا يسوِّف ويؤخر ذلك إلى غد ، لأن الأيام ثلاثة : أمس وهو أجل ، واليوم وهو عمل ، وغداً وهو أمل ، فلا يدري هل يبلغه أم لا ؟ فأمس موعظة ، واليوم غنيمة ، وغداً مخاطرة ، وكذلك الشهور ثلاثة : رجب فقد مضى وذهب فلا يعود ، ورمضان وهو منتظر لا ندري هل نعيش إلى إدراكه أم لا ؟ وشعبان وهو واسطة بين شهرين ، فلنغتنم الطاعة فيه ، وقد قال الحبيب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لرجل وهو يعظه : « اغتنم خمسًا قبلَ خمسٍ : شبابَك قبل هِرَمِك ، وصحتَك قبل سقَمِك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغَك قبل شُغلك ، وحياتَك قبل موتك »[1] .

ولذا كان المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يولي هذا الشهر عناية خاصة ، فيصومه أو أكثره حيث جاء عن أبي سلمة قال : أتيت عائشة فقلت : أيْ أمَّهْ : أخبريني عن صلاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت : كانت صلاته بالليل في شهر رمضان ، وفيما سوى ذلك ثلاث عشرة ركعة ، منها ركعتا الفجر . قلت : أخبريني عن صيامه ، قالت : كان يصوم حتى نقول : قد صام ، ويفطر حتى نقول : قد أفطر ، ولم أره صام من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان ، كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان إلا قليلاً »[2] .

وعن أبي سلمة ، قال : سألت عائشة عن صيام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : كان يصوم حتى نقول : قد صام ، ويفطر حتى نقول : قد أفطر ، ولم أره صام من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان ، كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان إلا قليلاً »[3] .

وعن عائشة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يصوم شعبان ورمضان ويتحرى صوم الاثنين والخميس[4] .

---

(١) فيض القدير للمناوي (٢/١٦) برقم (١٢١٠) للحاكم والبيهقي وأحمد مرسلا وهو حسن .
(٢) مسند أبي يعلى (٨/٢٧٢) برقم (٤٨٦٠) إسناده صحيح وأخرجه الحميدي (١٧٣) ومسلم/ صلاة المسافرين (٢٣٨) (١٢٧) والبيهقي/ الصلاة (٣/٦) .
(٣) مسند أبي يعلى (١١/٩٥) برقم (٤٦٢٣) إسناده صحيح . وأحمد (٦/٣٩) ومسلم/ الصيام (١١٥٦) (١٧٦) باب صيام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غير رمضان . وابن ماجه (١٧١٠) والبيهقي (٤/٢٩٢) باب فضل صوم شعبان . ومالك (٥٦) والبخاري (١٩٦٩) .
(٤) مسند أبي يعلى (١١/١٩٢) برقم (٤٧٥١) إسناده صحيح . والترمذي (٧٤٥) .

وأيضاً في حديث آخر : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يصوم شعبان كله ، قالت : قلت يارسول الله أحبّ الشهور إليك أن تصومه شعبان قال : « إن الله يكتب على كل نفس ميّتة تلك السنة فأحب أن يأتيني أجلي وأنا صائم »[1] .

ثم يزداد اهتمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند دخول ليلة النصف ، فعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت : فقدت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات ليلة ، فخرجت أطلبه ، فإذا هو بالبقيع رافعٌ رأسه إلى السماء ، فقال : ياعائشة ! أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : قد قلت ومابي ذلك ، ولكني ظننت أنك أتيت بعض نسائك ، فقال : « إن الله ـ تعالى ـ ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ، فيغفر لأكثر من عدد شعرِ غنَم كلبٍ »[2] .

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم من طريق محمد بن سوقة ، عن عكرمة :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ (الدخان : ٤)

قال : في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة ، وينسخ الأحياء من الأموات ، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم ، ولا ينقص منهم أحد .[3] .

ولم يقف الأمر عند هذا بل خص المولى حبيبه ومصطفاه بجمع القبلتين له عندما هاجر إلى المدينة ، واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس ، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ليجمع له بين القبلتين كما عده السيوطي من خصائصه على الأنبياء والمرسلين ، وتأليفا لليهود ، ففرحت اليهود لظنهم أنه استقبله اقتداء بهم ، مع أنه كان لأمر ربه فاستقبلها سبعة عشر شهرا .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم ، وعند ابن سعد أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ياجبريل وددت أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود ، فقال جبريل : أنا عبد فادع ربك



---

(١) أبو يعلى (٨/ ٣١١ ـ ٣١٢) إسناده ضعيف لضعف سويد بن سعيد ترجمه البخاري في التاريخ (٤/ ٣٥٦) ولم يورد فيه لا جرحا ولا تعديلا ، ووثقه ابن حبان .
(٢) سنن ابن ماجه (١/ ٤٤٤) برقم (١٣٨٩) والدر المنثور للسيوطي (٥/ ٧٤١) .
(٣) الدر المنثور (٥/ ٧٤٠) .

وسله ، فكان يدعو دعاء محبة للملك بالحال لا بالمقال ، ففى الفتح : فيه بيان شرف المصطفى وكرامته على ربه لإعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال وينتظر جبريل ينزل عليه لأنها قبلة الداعى[1] ، فنزلت :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة : ١٤٤)

فارتاب فى ذلك اليهود وقالوا : ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، فأنزل الله :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ١١٥)

وعن ابن عمر قال : بينما نحن فى صلاة الصبح بقباء جاءهم رجل فقال : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها ، وكانت قبلة الناس إلى الشام فاستداروا وتوجهوا إلى الكعبة ، وهو فى الصحيحين بلفظ : كانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة ، وفى لفظ : كانوا ركوعا فى صلاة الصبح[2] .

وفى هذا الحديث من الفوائد : أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به ،وإن تقدم نزوله ،لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء . كما استنبط منه الطحاوى أن من لم تبلغه الدعوة ولم يمكنه استعلام ، فالفرض غير لازم له . وفيه جواز الاجتهاد فى زمنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنهم لما تمادوا فى الصلاة ، ولم يقطعوها دل على أنه رجح عندهم التمادى والتحول على القطع والاستئناف ولا يكون ذلك إلا عن اجتهاد كذا قيل . وفيه نظر : لاحتمال أن عندهم فى ذلك يقينا سابقا لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان مترقبا للتحويل،فلا مانع من تعليمهم ما صنعوا من التمادى والتحويل .

وفيه : قبول خبر الواحد ووجوب العمل به ونسخ ما تقرر بطريق العلم به لأن صلاتهم إلى بيت المقدس كانت عندهم بطريق القطع لمشاهدتهم صلاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليه ، وتحولوا إلى جهة الكعبة بخبر هذا الواحد .

وأجيب بأن الخبر المذكور احتفت به قرائن ومقدمات أفادت العلم عندهم بصدق المخبر ، فلم ينسخ عندهم ما يفيد العلم إلا بما يفيد العلم ، وقيل : كان النسخ بخبر الواحد جائزا فى زمنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطلقا وإنما منع بعده ويحتاج إلى دليل[3] .

---

(١) شرح الزرقانى على المواهب اللدنية (١/٤٠١ ، ٤٠٢) .
(٢) وفاء الوفا للسمهودى (١/٣٦١) .
(٣) شرح الزرقانى (١/٤٠١) .

وعن عثمان بن محمد بن الأخنس أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى بأصحابه فيه ـ يعنى فى مسجد القبلتين ـ الظهر ، فلما صلى ركعتين أمر أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الكعبة واستقبل الميزاب » .

وقال السمهودى : الثبت عندنا أنها صرفت فى الظهر فى مسجد القبلتين بعد سبعة عشر شهرا من الهجرة[1] .

ولما حولت القبلة قال بعض المؤمنين فكيف صلاتنا التى صليناها نحو بيت المقدس ؟ وكيف من مات من إخواننا المسلمين . قال فى « الفتح » وهم عشرة . فبمكة من قريش عبد الله بن شهاب ، والمطلب بن أزهر الزهريان ، والسكران بن عمرو العامرى . وبأرض الحبشة : حطاب ـ بالمهملة ـ ابن الحارث الجمحى وعمرو بن أمية الأسدى ، وعبد الله بن الحارث السهمى ، وعروة بن عبد العزى ، وعدى بن نضلة العدويان . ومن الأنصار بالمدينة : البراء بن معرور ـ بمهملات ـ وأسعد بن زرارة فهؤلاء العشرة متفق عليهم وهم يصلون إلى بيت المقدس ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

أى : صلاتكم إلى بيت المقدس ، بل يثيبكم عليه ، لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل[2] .

وفى شهر شعبان فرض الله صوم شهر رمضان[3] ، شهر الفضل والخير والبركة وخصه المولى بخصائص إكراماً للأمة المحمدية .

نسأل المولى أن يوفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على الحبيب الغالى سيدنا رسول الله وعلى آله ومن تبع هداه .



---

(١) وفاء الوفا (٣٦١/١) .
(٢) شرح الزرقانى (٤٠٤/١ ، ٤٠٥) .
(٣) المرجع السابق (٤٠٥/١) .

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهـــر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

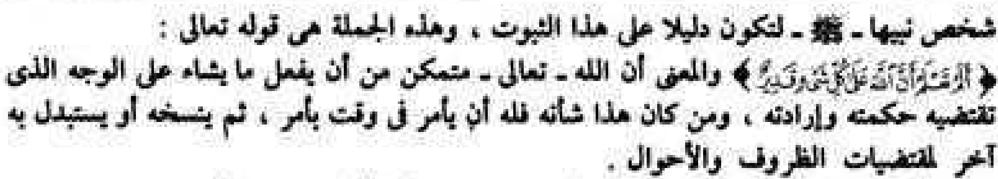
مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ
(١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١٠٨) وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ
كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ
بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)

انتقل القرآن إلى الحديث عن موضوع النسخ الذى أثار اليهود حوله الشبهات ، وجادلوا فيه النبى - صلى الله عليه وسلم - .

لقد استنكر اليهود أن يبدل الله آية بآية ، أو حكماً بحكم ، وقالوا : ألا ترون إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه غدا ، ما هذا من شأن الأنبياء ، وما هذا القرآن إلا من كلام محمد - صلى الله عليه وسلم - ، يقوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضا .

ولم يترك القرآن الكريم تلك الشبهات التى أثارها اليهود حول شريعة الإسلام بدون جواب ،

بل أنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآيات الكريمة لدحضها وإزالتها من الصدور ، ليزداد المؤمنون إيماناً.
والنسخ فى اللغة: الإبطال والإزالة ، يقال : نسخت الشمس الظل تنسخه ، إذا أذهبته وأبطلته .
وفى عرف الشرع : بيان انتهاء مدة الحكم بخطاب لولا هذا الخطاب لاستمر الحكم على مشروعيته ، بمقتضى النص الذى تقرر به أولا . وننسها من أنسى الشىء جعله منسيا .
فمعنى نسخ الآية فى قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ رفع حكمها مع بقائها .
ومعنى إنسائها فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ نُنسِهَا ﴾ رفع الآية من نظم القرآن جملة .
وسمى رفع الآية من نظم القرآن جملة إنساء ، لأن من شأن ما لا يبقى فى النظم أن ينساه الناس لقلة جريانه على الألسنة بالتلاوة والاحتجاج به .
ويصح إبقاء الإنساء على حقيقته ، وهو إذهاب الآية من القلوب وإزالتها من الحافظة ، بعد أن يقضى الله بنسخها .
وإنما قلنا بعد أن يقضى الله بنسخها ، لأن إنساء الناس آية لم تنسخ إضاعة لشىء من القرآن ، والله يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) .
ومما يدل على نسخ الآية المنساة ، أى : انتهاء مدة التكليف بها قوله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ أى نأت بخير من المنسية المنسوخة أو مثلها ، فيكون قوله تعالى : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ معبرا عن حالة تعرض فى بعض ما سيرفع من القرآن وهى أن ينساه الناس لذهابه من قلوبهم ، بعد أن يقضى الله بنسخه ـ كما ذكرنا ـ .
ووجه ذكر هذه الحالة بوجه خاص ، أن ما ينسى لعدم حضوره فى الذهن لا تعرف الآيات التى تقوم مقامه ، فربما يقع فى الوهم أنه ذهب من غير أن ينزل من الآيات ما يغنى غناءه .
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ ننسأها ﴾ بالهمزة ، من النساء وهو التأخير وعلى هذه القراءة يحمل النسخ فى قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ على النوعين السابقين وهما : نسخ الآية حكما فقط ، ونسخها حكما وتلاوة .
ومعنى ﴿ ننسأها ﴾ نؤخر إنزالها إلى وقت ثان فلا ننزلها ، وننزل ما يقوم مقامها فى القيام بالمصلحة .
والخيرية والمماثلة فى قوله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ ترجع إلى ثواب العمل بها . فقد يكون ثواب العمل بالناسخة أوفر من ثواب العمل بالمنسوخة قبل نسخها ، وقد يكون مماثلا له ، وإن كانت كل واحدة من الآيتين الناسخة والمنسوخة بالنظر إلى الوقت المقدر للعمل بها ، أقوم على المصلحة من الأخرى .
وبعد أن أثبت ـ سبحانه ـ أن النسخ جائز وواقع بقوله : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ ساق جملة كريمة فى صورة الاستفهام التقريرى ، مخاطبا بها الأمة الإسلامية فى



شخص نبيها - ﷺ - لتكون دليلا على هذا الثبوت ، وهذه الجملة هى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ والمعنى أن الله - تعالى - متمكن من أن يفعل ما يشاء على الوجه الذى تقتضيه حكمته وإرادته ، ومن كان هذا شأنه فله أن يأمر فى وقت بأمر ، ثم ينسخه أو يستبدل به آخر لمقتضيات الظروف والأحوال .

ثم أقام - سبحانه - الدليل على كمال قدرته وشمولها لكل شىء فقال :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة : ١٠٧)

والمعنى : أنه - سبحانه - مالك لجميع الكائنات العلوية والسفلية ، وأنه هو المتصرف كما يشاء فى ذواتها وأحوالها ، وأنه يتصرف فى أموركم ويجريها على حسب ما يصلحهم ، وهو أعلم بما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ وليس للناس من أحد يتولى أمورهم ، ويعينهم على أعدائهم سواه ، ومن كان الله وليه ونصيره ، علم يقينا أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له فى دنياه وأخراه .

وإذن فأنتم - أيها اليهود - ما قدرتم الله حق قدره ، لزعمكم أن النسخ محال على الله ، لأن المالك لكل شىء ، من حقه أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يريد على حسب ما تقتضيه حكمته ومشيئته .

فالآية واقعة موقع الدليل على ما تضمنته الجملة السابقة من إحاطة قدرته - سبحانه - بكل شىء .

ثم حذر القرآن الكريم المؤمنين من الاستماع إلى وساوس اليهود ، تثبيتاً لقلوبهم ، وتقوية لإيمانهم ، فقال تعالى :

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (البقرة : ١٠٨)

والمعنى : لا يصح لكم أيها المؤمنون أن تقترحوا على رسولكم محمد - ﷺ - مقترحات تتنافى مع الإيمان الحق كأن تسألوه أسئلة لا خير من ورائها لأنكم لو فعلتم ذلك لصرتم كبنى إسرائيل الذين طلبوا من نبيهم موسى - عليه السلام - بعد أن جاءهم بالبينات - مطالب تدل على تعنتهم وجهلهم فقالوا له :﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (النساء ١٥٣) وقالوا له :﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (الأعراف:١٣٨)

ولو صرتم مثلهم لكنتم ممن يختار الكفر على الإيمان ، ولخرجتم عن الصراط المستقيم الذى يدعوكم إليه نبيكم - ﷺ - .

والاستفهام فى الآية الكريمة للإنكار ، وفى أسلوبها مبالغة فى التحذير من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من تعنت مع رسولهم ، إذ جعل محط الإنكار إرادتهم للسؤال ، وفى النهى عن إرادة الشىء ، نهى عن فعله بأبلغ عبارة .

ثم نبه الله تعالى عباده المؤمنين إلى ما يضمره لهم اليهود من أحقاد وشرور فقال - تعالى - :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

ومعنى الآية الكريمة : أحب وتمنى عدد كثير من اليهود الذين هم أهل كتاب ، أن ينقلوكم أيها المؤمنون من الإيمان إلى الكفر ، حسدًا لكم وبغضا لدينكم ، من بعد ما ظهر لهم أنكم على الحق باتباعكم محمدا - ﷺ - فلا تهتموا بهم ، بل قابلوا أحقادهم وشرورهم بترك عقابهم ، والإعراض عن أذاهم ، حتى يأذن الله لكم فيهم بما فيه خيركم ونصركم ، فإنه - سبحانه - على كل شيء قدير » .

وقوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ (البقرة - ١٠٩)

بيان للون من ألوان الشرور التي يضمرها أهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود ، وهو تمنيهم ارتداد المسلمين عن دينهم الحق ، إلى الكفر الذي أنقذهم الله - تعالى - منه .

وإنما أسند - سبحانه - هذا التمني الذميم إلى الكثرة منهم ، إنصافا للقلة المؤمنة التي لم ترتض أن ينتقل المسلمون إلى الكفر بعد أن هداهم الله إلى الإسلام .

وقوله تعالى : ﴿ مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ ﴾ مبالغة في ذمهم ، بسبب ما تمنوه وأحبوه إذ ودوا - وهم أهل كتاب - أن يحل الكفر محل الإيمان ، وفيه إشعار بأن ما تمنوه بعيد الحصول ؛ لأن الإيمان متى خالطت بشاشته القلوب ، منع صاحبه من الانتقال إلى الكفر .

ثم بين - سبحانه - أن الذي حملهم على هذا التمني الذميم هو الحقد والحسد ، فقال تعالى :

﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (البقرة : ١٠٩)

أي : أن هذا التمني لم يكن له من سبب أو علة سوى الحسد الذي استولى على نفوسهم ، واستحوذ على قلوبهم فجعلهم يحسدون المؤمنين على نعمة الإيمان ويتمنون التحول عنه إلى الكفر ، فالجملة الكريمة علة لما تضمنته الجملة السابقة من محبتهم نقل المؤمنين إلى الكفر .

قال فضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين : « والحسد : قلق النفس من رؤية نعمة يصيبها إنسان ، وينشأ عن هذا القلق تمنى زوال تلك النعمة عن الغير وتمنى زوال النعم مذموم بكل لسان ، إلا نعمة أصابها فاجر أو جائر يستعين بها على الشر والفساد ، فإن تمنى زوالها كراهية للجور والفساد لا يدخل في قبيل الحسد المذموم فإن لم تتمن زوال النعمة عن شخص وإنما تمنيت لنفسك مثلها فهي الغبطة والمنافسة ، وهي محمودة لأنها قد تنتهي بالشخص إلى اكتساب محامد لولا المنافسة لظل في غفلة عنها ، والحسد قد يهجم على الإنسان ولا يكون في وسعه دفعه لشدة النفرة بينه وبين المحسود ، وإنما يؤاخذ الإنسان على رضاه به ، وإظهار ما يستدعيه من القدح في المحسود ، والقصد إلى إزالة النعمة عنه »[1] .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ إعلام للمؤمنين ، بأن هؤلاء اليهود لم يؤمروا بذلك في كتابهم ، بل إن كتابهم لينهاهم عن هذا الخلق الذميم ولكنهم لخبث نفوسهم وسوء طباعهم ، رسخ الحسد في قلوبهم لدرجة يعسر معها صرفه عنهم ، أو صرفهم عنه . ◆

(١) مجلة لواء الإسلام ، السنة الثالثة ، العدد ٥ ص ٦ .

والجملة الكريمة ﴿ حسدا من عند أنفسهم ﴾ تدل على أن أولئك اليهود يعتقدون صحة دين الإسلام ، إذ الإنسان لا يحسد غيره على دين إلا إذا عرف فى نفسه صحته ، وأنه طريق الفوز والفلاح .

وقوله تعالى : ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ يدل على أن محبة اليهود لتحويل المؤمنين من الكفر إلى الإيمان وقعت ، بعد أن ظهر لهم صدق النبى - ﷺ - وبعد أن تبين لهم أن الصفات التى وردت فى التوراة بشأن المبشر به ، لا تنطبق إلا عليه ، وإذا فكفرهم به لم يكن عن جهل وإنما كان عن عناد وجحود على الباطل ، وذلك هو شأن أحبارهم الذين كانوا على علم بالتوراة ، وبتبشيرها بالنبى - ﷺ - .

ثم أمر الله تعالى المؤمنين فى ختام الآية أن يقابلوا شرور اليهود بالعفو والصفح ، وأن يوادعوهم إلى حين فقال تعالى :

﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

العفو : ترك العقاب على الذنب . والصفح : ترك المؤاخذة عليه ، فكل صفح عفو ولا عكس .

والمعنى : عليكم أيها المؤمنون أن تتركوا معاقبة أولئك اليهود الحاسدين وأن تعرضوا عن رفع السيف فى وجوههم حتى يأذن الله لكم فى أن تشفوا صدوركم منهم ، ويبيح قتالهم الذى يترتب عليه نصركم ، إذ أن كل شىء داخل تحت سلطان قدرته - تعالى - .

فالمراد بالأمر فى قوله تعالى : ﴿ حتى يأتى الله بأمره ﴾ الإذن للمسلمين بقتالهم فى الوقت الذى يختاره الله - تعالى - لهم ، عندما تكون لهم القوة التى يتمكنون بها من جهاد أعدائهم .

قال صاحب المنار : قال الأستاذ الإمام : « وفى أمره تعالى لهم بالعفو والصفح إشارة إلى أن المؤمنين على قلتهم هم أصحاب القدرة والشوكة لأن الصفح إنما يطلب من القادر على خلافه كأنه يقول : لا يغرنكم أيها المؤمنون كثرة أهل الكتاب مع باطلهم ، فإنكم على قلتكم أقوى منهم بما أنتم عليه من الحق ، فعاملوهم معاملة القوى العادل ، للضعيف الجاهل وفى إنزال المؤمنين على قلتهم منزلة الأقوياء ، ووضع أهل الكتاب على كثرتهم موضع الضعفاء ، إيذان بأن أهل الحق هم المؤيدون بالعناية الإلهية ، وأن العزة لهم ما ثبتوا على حقهم ، ومهما يتصارع الحق والباطل فإن الحق هو الذى يصرع الباطل كما قلنا غير مرة ، وإنما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه » .

وقد أكد الله - تعالى - وعده بقوله : ﴿ إن الله على كل شىء قدير ﴾ أى أن كل شىء داخل تحت قدرته النافذة التى لا يعجزها شىء .

وقد أنجز الله - تعالى - وعده ، فأذن للمؤمنين فى الوقت المناسب بقتال اليهود وتأديبهم ، وقد ترتب على ذلك النصر للمؤمنين ، والطرد والقتل لليهود الحاقدين .

يتبع

قبس من أنوار النبوة

الدعاء وشهر شعبان

لفضيلة الشيخ
على حامد عبد الرحيم

١ - عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما على وجه الأرض مسلم يدعو الله - تعالى - بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ومالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، فقال رجل من القوم : إذاً نكثر ، قال : الله تعالى أكثر » رواه الترمذى .

وزاد الحاكم : « أو يدخر له من الأجر مثلها » .

٢ - عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها ، وصوموا نهارها ، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا ، فيقول : « ألا من مستغفر فأغفر له ؟ ألا من مسترزق فأرزقه ؟ ألا من مبتلى فأعافيه ؟ ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر » أخرجه ابن ماجه فى سننه .

البيان :

الدعاء عبادة من أجل وأعظم العبادات ، وهو سلاح المؤمن وعتاد المسلم ، وهو مظهر من مظاهر العبودية الحقة لله رب العالمين ، وبه يتقرب العبد إلى خالقه ، ويناجيه وحده حينما ينقطع أمله ورجاؤه فى المخلوقين ، أمرنا الله - عز وجل - به فقال فى محكم التنزيل :

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعـراف : ٥٥ - ٥٦) .

وقال - عز من قائل - :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة : ١٨٦) .

وجاء فى الحديث القدسى : عن أنس - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله - تعالى - : « يابن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى .

والدعاء بلا واسطة من خصوصيات هذه الأمة ، وأما الأمم السابقة فكانوا يذهبون إلى أنبيائهم ليسألوا لهم .

روى معمر عن قتادة - رضى الله عنه - أنه قال : « أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعط إلا لنبى ، كان يقال للنبى : اذهب فليس عليك جناح ، وقال لهذه الأمة :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج : ٧٨) .

أى ضيق بتكليف ما يشق عليكم القيام به ، وكان يقال للنبى - صلى الله عليه وسلم - أنت شهيد على قومك ، وقال لهذه الأمة :

﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

(البقرة : ١٤٣) .

وكان يقال للنبى سل تعط ، وقال لهذه الأمة :

﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

(غافر : ٦٠) .

كما حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمته على أن يكثروا من الدعاء ويجتهدوا فى الطاعة واللجوء إلى الله فى كل وقت وحين .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - فيما أخرجه البخارى ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يتنزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » ، وقد تأول الإمام مالك

وغيره بما معناه : تنزل رحمته أو ملائكته وقيل معناه : الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف .

وأقرب الدعاء إلى القبول : مادعت إليه الحاجة وأملاه القلب وانطلق به اللسان من غير تحديد بدعاء معين يحتاج إلى تأويل .

كما أن من شروط إجابة الدعاء أكل الحلال ، وأن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال لسعد ابن أبى وقاص - رضى الله عنه - عندما سأل : أن يدعو الرسول له ليكون مستجاب الدعوة فقال الرسول : « أطب مطعمك تستجب دعوتك » ، وأن يكون الداعى موقنا ولا يستعجل يقول : دعوت لم يستجب لى .

وأن يستقبل القبلة .. متسلحا بالوضوء ، مبتدئا دعاءه بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم يختم الدعاء بالصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - فإن الصلاة على رسول الله مقبولة لا محالة ، فإن الله - عز وجل - أكرم من أن يقبل الصلاتين ويرد الدعاء بينهما .

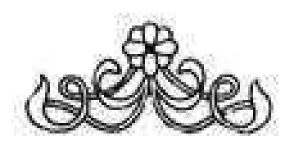
وعلى الداعى أن يتخير الأوقات الفاضلة التى ترجى فيها القبول : كليلة القدر ، وأيام شهر رمضان ، وليلة الإسراء والمعراج ، وأول شعبان ، وليلة النصف من شعبان ، وحال السجود ، وعند نزول الغيث ، وبين الأذان والإقامة ، ووقت السحر .

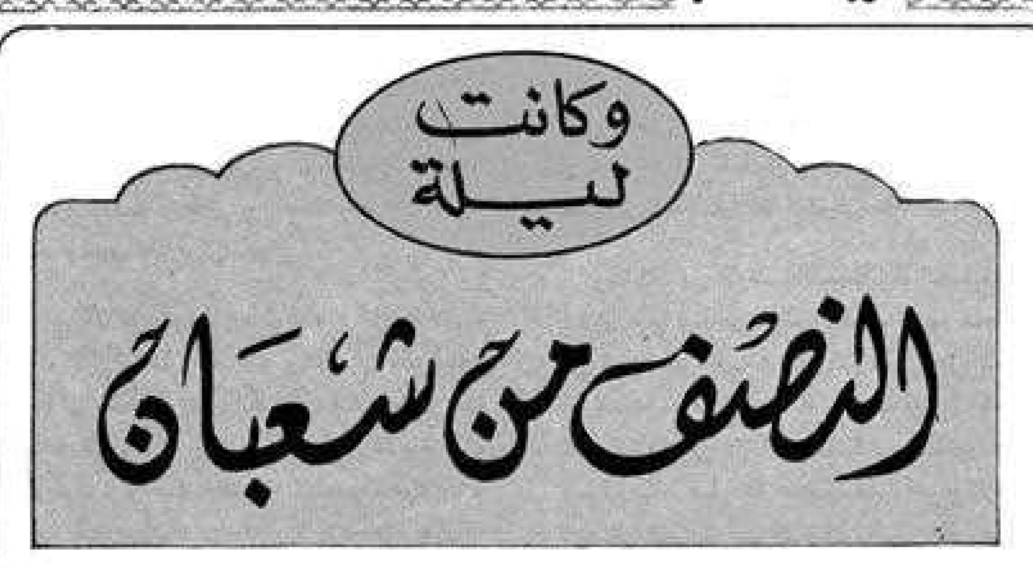
روى الطبرانى فى الكبير عن محمد بن مسلمة أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن لديكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها ، لعل أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا » .

وإذا كان من الأوقات الفاضلة ليلة النصف من شعبان فإنها ليلة من مواسم الخير ، وفيها نفحات من الرحمة التى يجب أن نتعرض لها ، وعلى العبد أن يخصها بطاعة خالصة لله رب العالمين فى خاصة نفسه بعيدا عن الرياء ، داعيا ربه بالمأثور عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخرج الإمام أحمد بن عبد الله بن عمرو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يطلع الله تعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن ، وقاتل نفس » .

وأخرج الترمذى عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله - عز وجل - ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب » .

فعلى المؤمن أن يجد ويجتهد فى الدعاء والاستغفار ، وفى سائر القربات حتى يكون ممن تشملهم رحمة الله وعفوه ، وخاصة فى هذه الأيام المباركات .





للأستاذ الدكتور :
محمد عبد المنعم خفاجى

شهر شعبان له مكانته بين شهور العام ، فهو المقدمة لشهر رمضان ، وهو شهر الدعاء والرجاء والحمد والثناء لله العلى القدير ، وهو شهر تروى فيه أحداث كثيرة فى حياة الرسل والرسالات ، يقولون : إنه نجى الله عز وجل فيه موسى من فرعون ، ونجى فيه إبراهيم الخليل من النار ، وشهر أرست فيه سفينة نوح على الجودى . ومالنا ولذلك كله من الأمور التى لم يأتنا عليها دليل موثق ، ولا برهان مؤكد ؟

إن رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يحتفل بهذا الشهر ويزكيه ، روى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال فيه :

ياعائشة « إنه ليس نفس تموت فى سنة إلا كتب أجلها فى شعبان ، وأحب أن يكتب أجلى وأنا فى عبادة ربى » .

وأخرج ابن أبى شيبة عن عطاء بن يسار قال : لم يكن رسول الله ـ ﷺ ـ فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان .

وأخرج الديلمى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان » .

وعن أسامة بن زيد قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يكثر من الصيام فى شهر شعبان ، فقلت : يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من

الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر تعرض فيه الأعمال على رب العالمين ، وأحب أن يرفع عمل وأنا صائم .

وروى البخارى عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : ما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صياما كما يصوم فى شعبان .

ـ ٢ ـ

وليلة النصف من شعبان ـ على الخصوص ـ تؤكد السنة النبوية منزلتها عند الله فى أحاديث كثيرة وردت عن رسولنا الكريم .

روى عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله تعالى ينزل فيها إلى سماء الدنيا ، فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له . ألا كذا ، ألا كذا ، حتى يطلع الفجر » .

وروى الطبرانى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « يطلع الله على عباده ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك ، أو مشاحن ، أو قاتل نفس » .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « هذه ليلة النصف من شعبان ، يغفر الله للمستغفرين ، ويرحم المترحمين » .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « يفتح الله الخير فى أربع ليال : ليلة الأضحى ، والفطر ، وليلة نصف شعبان ، وفى ليلة عرفة إلى الأذان .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ أتانى جبريل عليه السلام فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ، ولله فيها عتقاء من النار .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ عندى ، فلما كان فى جوف الليل فقدته ، فطلبته ، فإذا أنا به كالثوب الساقط ، وهو يقول فى سجوده : « سجد لك خيالى وسوادى ، وآمن بك فؤادى ، فهذه يدى وما جنيت بها على نفسى ، ياعظيما يرجى لكل عظيم ، ياعظيما اغفر لى الذنب العظيم ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره . ثم رفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال : أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ بك منك أنت كما أثنيت على نفسك . ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقنى قلبا نقيا من الشرك نقيا ، لاجافيا ولاشقيا » .

ـ ٣ ـ

ولماذا خصت هذه الليلة الكريمة بهذا الفضل الكريم .

قيل إنها نزل فيها القرآن الكريم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ من سورة الدخان : ٣

وذلك التفسير يخالف مانص عليه جمهور المفسرين ، من أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر ، بدلالة قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ من سورة القدر - ١

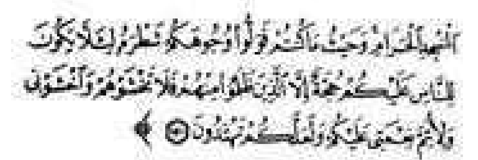
والصحيح أن هذه الليلة هى الليلة التى حولت فيها القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

البقرة ١٤٩ و ١٥٠ .

وقد نزلت الآيات :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ



الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ ﴾

[البقرة - الآيات ١٤٤ - ١٥٠]

والرسول - ﷺ - يصلى فى مسجد بنى سلمة مستقبلا المسجد الأقصى بالشام فحول رسول الله - ﷺ - وجهه إلى المسجد الحرام ولذلك سمى هذا المسجد مسجد القبلتين وكانت القبلة فى الصلاة جهة بيت المقدس أولا ، فلما حولت القبلة فى النصف من شعبان صارت القبلة هى جهة المسجد الحرام ، وكان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وصحابته يتمنون ذلك ، ويدعون الله أن يجعل البيت الحرام قبلتهم فى الصلاة .

ذكر العلماء ، ومنهم الإمام النووى فى شرحه لصحيح الإمام مسلم أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام كان فى اليوم الخامس عشر من شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة ، قبل « بدر » بشهر ، حيث نزلت هذه الآيات المباركات من سورة البقرة بأمر الله - عز وجل - فيها بأن يحول الرسول والمسلمون معه وجوههم فى الصلاة شطر المسجد الحرام بدلا من المسجد الأقصى تكريما للمسجد الحرام ، ورفعا لمكانته عند الله - عز وجل - فكان يوم نزول هذه الآيات المباركات يوم عيد للمسلمين ، فإذا كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام كان فى

اليوم الخامس عشر من شعبان ، أفلا يكفى هذا موضحا لمكانة هذه الليلة المباركة ؟

لقد كان ذلك التحويل بمثابة الاستقلال الكامل للشخصية الإسلامية ، والتمييز التام للذات المسلمة ، والإعزاز الكبير ، والتقدير العظيم لأمة الرسالة ولشعبها ولأهم معالم الحياة الروحية فيها ، وهو المسجد الحرام .

وكان هذا التحويل بمثابة تخلى الإسلام عن التبعية ، وأن تبعية المسلم يجب أن تكون لله وحده لا شريك له . . ويقوى من ذلك أن المسجد الحرام هو أوسط مكان فى الدنيا ، وأنه الجدير بأن يكون قبلة الأمة الوسط ، أمة الإسلام ، وأن المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها يجب أن يولوا وجوههم دائما وفى الصلاة شطر المسجد الحرام بيت الله ، بيت إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم السلام .

ـ ٤ ـ

القبلة يجب أن تكون شطر أقدم بيت فى الأرض عبد فيه الله ـ عز وجل ـ وحف بالكرامة والعزة والرفعة ، وملأت رحابه الطاهرات ملائكة السماء ، وتطلعت إليه وجوه أنبياء الله ورسله الكرام ، وهو البيت الذى لم يدنسه شيء طول عصور التاريخ ، ولم يدخل إلى رحابه الطاهرة غاز أو فاتح متكبر .

وهو البيت الذى أعز الله به العرب والمسلمين ، ولم يستطع « أبرهة » وجيشه الكبير القوى أن يدخله وهزمه الله وطرده من حماة شر طردة .

ثم إن البيت الحرام هو بيت التوحيد ، وبيت النور ، وبيت السلام فى الأرض ، وعلى طول أحقاب التاريخ كان هو الشعار العظيم للسلام ، وكان هو الذى يأوى إليه المظلوم فينتصر ، ويأوى إليه الضعيف فيشعر بالقوة والعزة ويأوى إليه المسكين والفقير واليتيم والظامىء والجائع ، فيجد القرى والخير والعطاء والبر والرحمة والإحسان .

البيت الحرام ، الذى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل ، وولد ونشأ وعاش فى جواره وبين رحابه سيد الأنبياء ، وخاتم المرسلين ، وأفضل النبيين محمد ـ ﷺ ـ والذى نزلت فى رحابه رسالة السماء ، على خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذى جعل الله ـ عز وجل ـ الحج إليه شريعة مفروضة فى الإسلام ، والذى مشت إليه الدنيا ، ومشى إليه الملوك معظمين مكبرين مهللين .

البيت الحرام ، قبلة الإسلام والمسلمين فسلام عليه ورحمة إلى يوم الدين .



الزهد في الإسلام

للأستاذ الدكتور:
عامر النجار

تعريف الزهد :

الزهد معناه فى اللغة : عدم الرغبة ، و « الزهادة فى الشىء خلاف الرغبة فيه » ، وتزهد أى صار زاهدا ، والزهد : « العابد »(١) .

وقال الإمام ابن عجيبة الصوفى : « إن الزهد هو خلو القلب من التعلق بغير الرب أو برودة الدنيا من القلب وعزوف النفس عنها »(٢) .

والزهد هو أول مقامات السالكين لطريق الله تعالى . يقول الإمام الرفاعى : « الزهد أساس الأحوال المرضية ، والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله ، فمن لم يحكم أساسه فى الزهد ، لم يصح له شىء مما بعده من المقامات »(٣) . والزاهد هو « من ترك كل شىء يشغل عن الله »(٤) ، فلابد للزاهد من ترك حب الدنيا وإخراجها من قلبه بحيث لا يشغله شىء سوى الحق .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (مسلم) .

قال الإمام المناوى : والدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، لأن المؤمن ممنوع من شهواتها المحرمة ، فكأنه فى سجن والكافر عكسه ، وقيل : كالسجن للمؤمن فى جنب ما أعد له فى الآخرة من الثواب والنعيم المقيم وكالجنة للكافر فى جنب ، ما أعد له فى الآخرة من العقوبة والعذاب الأليم »(٥) .

---

(١) المعجم الوجيز ، ص ٧ .
(٢) ابن عجيبة الشاذلى ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ، طبعة مكتبة الاعتدال بسوريا ، ١٩٣٧ .
(٣) الشعرانى ، عبد الوهاب : الطبقات الكبرى ، طبعة مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ١٣٤٣ هـ ، جـ ١ ص ١٢١ .
(٤) الرفاعى ، أحمد : الحكم ، طبعة شرف موسى ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ ، ص ٥٧ .
(٥) المناوى ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، طبع دار إحياء السنة النبوية ، جـ ٣ ص ٥٤٧ .

مشروعية الزهد :

لقد وجد الزهاد الأوائل فى آيات القرآن الكريم حثا على عدم إيثار الحياة الدنيا لأن فى ذلك هلاك المرء . . يقول تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ النازعات ٣٩ : ٤١

ويقول تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ . [الحديد : ٢٠] .

لقد كان الخوف من عذاب الله فى ناره الضارمة يوم القيامة سببا فى زهد الأوائل عن دنيا لاتساوى عند الله - تعالى - جناح بعوضة

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

ويقول تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [الحاقة : ٣١] .

ولهذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - أشد الناس خوفا من الله ، وإذا ارتكب أحدهم أى شىء فإنه يشعر كأنه ارتكب أكبر الكبائر . مر ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصارى خادم رسول الله يوما بباب رجل من الأنصار فبصر بامرأة الأنصارى وهى تغتسل ، فكرر النظر إليها . ولما أحس بذنبه خرج هائما على وجهه إلى جبال بين مكة والمدينة . فبعث رسول الله - ﷺ - عمر بن الخطاب وسلمان الفارسى فى طلبه فلقيهما راع من رعاة المدينة . فقال له عمر : هل لك علم بشاب بين هذه الجبال ؟ فلعلك تريد الهارب من جهنم . قال عمر : وما علمك بأنه هرب من جهنم ؟ قال : لأنه إذا كان نصف الليل ، خرج علينا من الشعب واضعا يديه على أم رأسه يبكى وينادى : يا ليتك قبضت روحى بين الأرواح وجسدى بين الأجساد ، ولا تجردنى ليوم القضاء .

فلما أتى به إلى رسول الله - ﷺ - سأله : ما الذى غيبك عنى ؟ قال ذنبى ، قال : أفلا أعلمك آية تمحو الذنوب والخطايا ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : « قل اللهم آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

قال إن ذنبى أعظم من ذلك . قال رسول الله - ﷺ - : بل كلام الله أعظم ، وأمره بالانصراف إلى منزله ، فانصرف ومرض ثلاثة أيام . فأتى سلمان النبى - ﷺ - وقال : إن ثعلبة لمائت . فدخل رسول الله - ﷺ - عليه . فأخذ برأسه ووضعه على حجره . فأزال رأسه عن حجر النبى - ﷺ - فقال له رسول الله - ﷺ - لم أزلت رأسك عن حجرى ؟ قال : لأنه ملآن من الذنوب . فقال رسول الله - ﷺ - « وما تجد ؟ » قال أجد مثل دبيب النمل بين جلدى وعظامى . قال : فماذا تشتهى ؟ قال : مغفرة ربى . قال : فنزل جبريل على النبى - ﷺ - فقال : يا أخى إن ربك يقرئك السلام ويقول « لو لقينى عبدى

بقراب الأرض خطيئة ، للقيته بقرابها مغفرة » قال فأعلمه رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك ـ فصاح صيحة فمات .

إننا لا نستطيع أن ننكر أن القرآن الكريم ، كان مصدرا للزهاد الأوائل فى الإسلام ، فقد وجدوا فيه أصلا لزهدهم ، ولقيامهم الليل وكثرة تبتلهم وتحنثهم وقنوتهم . يقول ـ تعالى ـ :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (الزمر ـ ٩)

ويقول تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة : ١٦

وقال تعالى مخاطبا رسوله ـ ﷺ ـ :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ المزمل : ٢٠

ولقد زهد العباد فى الدنيا خشية عذاب الآخرة ، فلقد صور القرآن الكريم جهنم تصويرا رهيبا ، وكأنها لم تخلق إلا لهم ، فاستولى على نفوسهم الرقيقة الرهبة والخوف من عذاب الله .

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر ـ ١٨)

ويقال إن صالح بن بشير المرى [وهو من كبار القصاصين الوعاظ الزهاد] ، « توفى عام ١٧٦ هـ » ، سمع رجلا فى مجلسه يقرأ هذه الآية فقطع صالح القراءة وقال : وكيف يكون للظالمين حيم أو شفيع والطالب لهم رب العالمين .

والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصى يساقون فى السلاسل والأغلال إلى الجحيم ، حفاة ، عراة مسودة وجوههم ، مزرقة عيونهم ، ذابلة أجسامهم ، ينادون : يا ويلاه . . يا ثبوراه . ماذا بنا ؟ ماذا حل بنا ؟ أين يذهب بنا ؟ ماذا يراد بنا ؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران ، فمرة يجرون على وجوههم ، ويسحبون عليها متكئين ، ومرة يقادون إليها عنوة مقرنين من بين باك دما بعد انقطاع الدموع ، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت .

إنك والله لو رأيتهم على ذاك لرأيت منظرا لا يقوم له بصرك ، ولا يثبت له قلبك ولا يستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك ثم تحب وصاح ، يا سوء منظراه ويا سوء منقلباه ، وبكى وبكى الناس »[1] . ويقول ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

[الحديد : ٢٠] .

★★★

يقول الزاهد الكبير إبراهيم بن أدهم [ت ١٦٢] « ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك ، ذم مولانا الدنيا فمدحناها ، وأبغضها فأحببناها وزهدنا فيها فآثرناها ، ورغبنا فى طلبها . وعدكم خراب الدنيا فحصنتموها ، ونهيتم عن طلبها فطلبتموها ، وأنذركم الكنوز فكنزتموها . دعتكم إلى هذه الغرارة دواعيها فأصبتهم مسرعين مناديها ، خدعتكم بغرورها ، ومنتكم فانقدتم خاضعين لأمنيتها تتمرغون فى زهواتها وتتمتعون فى لذاتها ، وتتقلبون فى

(١) الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ص ٧١ .

شهواتها ، وتتلوثون بتبعاتها ، تنبشون بمخالب الحرص على خزائنها ، وتحفرون بمعاول الطمع فى معادنها ، وتبنون بالغفلة فى أماكنها ، وتحصنون بالجهل فى مساكنها »[1] .

ولقد وجد الزهاد الأوائل فى كتاب الله ـ تعالى ـ مدخلا لزهدهم ، فعاشوا بين آيات الرجاء والخوف ، والرغبة والرهبة ، ووجدوا أنهم لابد من الفرار إليه ، والإنابة إليه .

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات ـ ٥٠)

وأكثروا من عبادة الله وذكره :

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ .

آل عمران : ٤١

وقال تعالى :

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ .

[المزمل : ٨] .

ووجد الزهاد الأوائل فى عزلة رسول الله ـ ﷺ ـ فى غار حراء قبل مبعثه إشارة إلى جواز العزلة والاعتكاف للعبادة والتبتل وذكر الله .

ووجدوا فى سيرة الخلفاء الراشدين ونماذج الصحابة والتابعين القدوة الصالحة لزهدهم . ونجد فى هذا الكتاب أقوال أئمة الزهد فى الإسلام من لدن رسول الله ـ ﷺ ـ حتى معاصرى أبى سعيد الأعرابى .

يقول ابن الأعرابى عن كتاب الزهد للإمام أحمد : وأى قارىء لكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل يستطيع بسهولة أن يكتشف أن ابن الأعرابى اعتمد اعتمادا كليا على هذا الكتاب .

مشروعية الزهد فى السنة المطهرة :

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : أخذ رسول الله ـ ﷺ ـ بمنكبى فقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » . وكان ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يقول : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » [البخارى] .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ نموذجا للزهد الحقيقى ويعتبر أن الدنيا ظل زائل لا قيمة لها ، لأن متعها سريعة الزوال ، وفناؤها حتمى ، فعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : نام رسول الله ـ ﷺ ـ على حصير ، فقام وقد أثر فى جنبه ، فقلنا : يارسول الله ، لو اتخذنا له وطاء . فقال : « مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . [أخرجه الترمذى] .

ويبين رسول الله ـ ﷺ ـ منزلة الدنيا ومدى حقارتها فيقول : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » [رواه الترمذى] .

إن زهد رسول الله ـ ﷺ ـ وزهد الصحابة أمر معروف تناولته كتب الأحاديث والسير ، فعن نافع قال : سمعت ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يقول : « والله ما شمل النبى ـ ﷺ ـ فى بيته ولا خارج بيته ثلاثة أثواب ، ولا شمل أبا بكر فى بيته

(١) الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ٣ ، ص ٢٤ .

ثلاثة أثواب ، غير أنى كنت أرى كساهم إذا أحرموا ، كان لكل واحد منهم متزر ومشمل لعلها كلها بثمن درع أحدكم ، والله لقد رأيت النبى - ﷺ - يرقع ثوبه ، ورأيت أبا بكر تخلل بالعباءة ، ورأيت عمرا يرقع جبته برقاع من أدم وهو أمير المؤمنين »[1] .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « قال رسول الله - ﷺ - عرض على ربى بطحاء مكة [2] ذهبا ، فقلت : لا يارب ، ولكنى أجوع يوما ، وأشبع يوما ، فإذا شبعت حمدتك وشكرتك ، وإذا جعت تضرعت إليك ، ودعوتك » . [رواه الترمذى ، وأبو الشيخ] .

وروى الشيخان وأبو الحسن بن الضحاك عن عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - قال : دخلت على رسول الله - ﷺ - فإذا هو متكىء على رمال حصير قد أثر فى جنبه ، فرفعت رأسى فى البيت ، فو الله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر ، إلا أهب ثلاثة معلقة ، وصبرة [3] من شعير ، فهملت عينا عمر فقال : مالك ؟ فقلت : يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه ، وكسرى وقيصر فيما هما فيه ؟ فجلس محمرا وجهه ، فقال : أفى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ ثم قال : أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ، ولنا الآخرة ؟ قلت : بلى ، يارسول الله ، فأحمد الله - عز وجل - ، زاد أبو الحسن الضحاك : يا عمر لو شاء أن يسير الجبال الراسيات معى ذهبا لسارت .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس - رضى الله عنهما ، قال : كان رسول الله - ﷺ - يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لايجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم الشعير .

وروى الإمام أحمد والترمذى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : اضطجع رسول الله - ﷺ - على حصير فأثر فى جنبه ، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه ، فقلت : يا رسول الله ، ألا آذنتنا فبسطت شيئا يقيك منه ، تنام عليه ، فقال : ما لى وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف ، فقال تحت شجرة ، ثم تركها » .

وروى الإمام أحمد ، وابن عساكر عن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - قال - وهو يعظ : لقد أصبحتم ، وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله - ﷺ - يزهد فيه ، والله ما أتت على رسول الله - ﷺ - ليلة من زهده إلا كان الذى عليه أكثر من الذى له .

ويرحم الله الإمام البوصيرى حين قال فى بردته :

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم
وأكدت زهده فيه ضرورته
إن الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وروى ابن الجوزى عن عائشة - رضى الله

---

(1) ابن الجوزى ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٠٢ .

(2) البطحاء ، مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، وبطحاء مكة مسيل واديها : تاج العروس جـ٢ ، ص ١٢٤

(3) صُبرة : أى بلا وزن وكيل ، مختار الصحاح ، ص ٣٥٥ ، وفى لسان العرب ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض ، [لسان العرب : مادة صبر] .

عنها ـ قالت : « ما رفع رسول الله ـ ﷺ ـ عشاء لغداء ، ولا غداء لعشاء ، ولا يتخذ من شيء زوجين ، لاقميصين ، ولا رداءين ، ولا إزارين ، ولا من النعال ، ولا رئي فارغا قط في بيته ، إما يخصف نعلا لرجل مسكين ، أو يخيط ثوبا لأرملة [1] » .

وروى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، قال : دخل رسول الله ـ ﷺ ـ يوم فتح مكة على أم هانيء بنت أبي طالب ، وكان جائعا فذكر الحديث ، وفيه قال رسول الله ـ ﷺ ـ : هل عندك طعام آكل ؟ فقالت : إن عندي لكسرة يابسة وإني أستحي أن أقدمها ، قال : هلميها ، فكسرها في ماء ، وجاءته بملح ، فقال : ما من أدم ؟ فقالت : ما عندي يا رسول الله إلا شيء من خل ، فقال : هلميه ، فلما جاءت صبه على طعامه ، وأكل ، ثم حمد الله تعالى ، ثم قال : نعم الأدم الخل يا أم هانيء لايفتقر بيت فيه خل .

وروى ابن حبان والبيهقي عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : دخل على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ساهم الوجه ، قالت : حسبت ذلك من وجع ، قلت : مالي أراك صلى الله عليك ساهم الوجه ؟ قال : من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا بالأمس ، ولم نقسمها .

قال الحافظ ابن عبد الله البجلي : سألت نعيم بن حماد قلت : جاء عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه لم يشبع في يوم من خبز مرتين ، وجاء عنه أنه كان يعد لأهله قوت سنة ، فكيف هذا ؟ قال : كان يعد لأهله قوت سنة ، فتنزل النازلة ، فيقسمه ، فيبقى بلا شيء .

وقال الحافظ ابن كثير : المراد أنه كان لايدخر شيئا مما يسرع إليه الفساد ، كالأطعمة ونحوها ، لما ثبت في الصحيحين عن عمر ـ رضي الله عنه ـ . قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله تعالى على رسول الله ـ ﷺ ـ مما لم يوجف [2] المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فكان يعزل نفقة أهله سنة ، ثم يجعل ما بقي من الكراع [3] والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل [4] » .

زهد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لقد جاءت الدنيا إلى صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ صاغرة دانية ، لكنهم وضعوا خزائنها وذهبها في سبيل الله تعالى . فقد خرج أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ عن ماله كله في سبيل الله ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : « ما تركت لأهلك ؟ قال : تركت الله ورسوله » [رواه أبو داود] .

وكان عمر ، في الزهد ، أمة وحده ، يلبس من الثياب الخشن ، ويأكل أقل طعام وأبسطه ، قالت ابنته حفصة ـ رضي الله عنها ـ ، لأبيها عمر : « يا أمير المؤمنين ، لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاما هو ألين من طعامك ، وقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير ، فقال : إني سأخصمك إلى نفسك ، ألا تذكرين ما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يلقى من شدة العيش ، فما زال يذكرها حتى أبكاها ، فقال لها : أما والله لئن

---

(1) ابن الجوزي ، كتاب الوفا بأحوال المصطفى ، جـ ٢ ، ص ٤٧٦ .

(2) الوجيف ، ضرب من سير الإبل ، ويقال أوجف فاعجف . وقال الله تعالى: ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ ، أي ما أعملتم . [مختار الصحاح ، ص ٧١١] .

(3) الكراع : اسم يجمع الخيل [مختار الصحاح ، ص ٥٦٧] .

(4) ابن يوسف الصالحي الشامي ، محمد : سبل الهدى والرشاد ، تحقيق : د . علي حسن محمود حبيبة ، جـ ٧ ، ص ١٤١ ، ص ١٤٢ .

استطعت لأشاركها فى مثل عيشها الشديد لعلى أدرك معها عيشها الرخى »[1] .

لقد كان عمر بن الخطاب مضرب الأمثال فى الزهد ، فعن قتادة ، ـ رضى الله عنه ـ أن عمر بن الخطاب أبطأ عن الناس يوم الجمعة ، قال : ثم خرج فاعتذر إليهم فى احتباسه وقال : « إنما حبسنى غسل ثوبى هذا ، كان يغسل ، ولم يكن لى ثوب غيره »[2] .

إن الزهد الحق فرغ قلبه تماما من الدنيا وشهواتها ، وامتلأ قلبه بأنوار الآخرة . فأصل الزهد فى القلب يقول عمرو بن عثمان المكى : « أعلم أن رأس الزهد وأصله فى القلوب هو احتقار الدنيا واستصغارها ، والنظر إليها بعين القلة ، وهذا هو الأصل الذى يكون منه حقيقة الزهد »[3] .

زهد أهل الصفة من صحابة رسول الله ﷺ ـ :

يروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ ، عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « وقف رسول الله ـ ﷺ ـ على أصحاب الصفة ، فرأى فقرهم وجهدهم ، وطيب قلوبهم ، فقال : « أبشروا يا أصحاب الصفة ، فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه ، راضيا بما فيه فإنه من رفاقى فى الجنة »[4] .

ويقول عنهم الأصبهانى فى « حلية الأولياء » : « هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شىء من العروض ، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال »[5] .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يحثهم على عدم الإقبال على الدنيا وزينتها والاشتغال بالعلم وذكر الله تعالى . فعن موسى بن على قال سمعت أبى يحدث عن عقبة ابن عامر ، قال : خرج إلينا رسول الله ـ ﷺ ـ ونحن فى الصفة ، فقال : « أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان والعقيق فيأتى منه بناقتين كوماوين فى غير إثم ولا قطيعة رحم ؟ » فقلنا يا رسول الله كلنا نحب ذلك . قال : « أو لايغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى خير له من ناقتين وثلاث وأربع ، خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل ؟ » .

ويعلق على هذا الحديث الأصبهانى فيقول : « حديث عقبة يصرح بأن النبى ـ ﷺ ـ ، كان يردهم عند العوارض الداعية إلى تمنى الدنيا والإقبال عليها ، إلى ماهو أليق بحالهم ، وأصلح لبالهم ، من الاشتغال بالأذكار ، وما يعود عليهم من منافع البيان والأنوار ، ويعصمون به من المهالك والأخطاء ويستروحون إليه مم يرد من الأمانى على الأسرار »[6] .

وقد وصفهم أبو نعيم الأصبهانى أحسن وصف فقال : « أهل الصفة هم أخيار القبائل والأقطار ، ألبسوا الأنوار ، فاستطابوا الأذكار ، واستراحت لهم الأعضاء والأطوار ، واستنارت منهم البواطن والأسرار ، بما وجد فيها المعبود من الرضا والأخيار ، فاعرضوا عن المشغوفين بما غرهم ولهوا عن الجامعين لما ضرهم من الحطام الزائل

---

(1) ابن الجوزى ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٠٤ .
(2) المرجع السابق، ص ١٠٢ .
(3) السلمى ، طبقات الصوفية .
(4) الهجويرى ، كشف المحجوب ، طبعة دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .
(5) الأصبهانى ، الحلية ، جـ ١ ، ص ٣٣٧ .
(6) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

البائد .. لم يعدلوا إلى أحد سواه ، ولم يعولوا إلا على محبته ورضاه » [1] .

وكان أهل الصفة في فقر شديد ، فلم يجتمع لأحد منهم ثوبان . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب ، فمنهم من يبلغ ركبتيه ، ومنهم من هو أسفل من ذلك ، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته » [رواه أحمد بن حنبل] .

وعن واثلة بن الأسقع قال : « كنت من أصحاب الصفة ، وما منا أحد عليه ثوب تام ، قد اتخذ العرق في جلودنا طرقا من الوسخ والغبار ، إذ خرج علينا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « ليبشر فقراء المهاجرين ثلاثا » .

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وأن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس ، بسادس » أو كما قال . وأن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق نبي الله ـ ﷺ ـ بعشرة » [متفق عليه]

وعن مجاهد أن أبا هريرة قال : مر بي رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : أبا هر ؟ » فقلت : لبيك يا رسول الله . قال : « الحق أهل الصفة فادعهم » . قال وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يلوون على أهل ولا مال ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها » [متفق عليه] .

لقد كانوا من أشد المسلمين فقرا وخصاصة وحاجة لدرجة أن بعضهم لم يكن في قدرته أن يصلب قامته أثناء صلاته فيترنح في وقفته لما به من خصاصة ، فعن حميد بن هانىء الخولاني ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في صلاتهم لما بهم من الخصاصة ـ وهم أصحاب الصفة ـ

وكان أبو هريرة عريف من يسكن الصفة من القاطنين ، ومن نزلها من الطارقين . . . وكان أحد أعلام الفقراء والمساكين .. فارق المتقطع المحدود ، منتظرا للمتقع به من تحف المعبود ، زهد في لبس اللين والحرير ، فعوض من حكم الفطن » [2] .

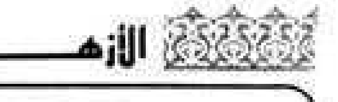
وعن مجاهد أن أبا هريرة كان يقول : والله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتمد على كبدي من الجوع ، وإن كنت أشد على بطني من الجوع ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بي عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ، ما سألته إلا ليستتبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مر أبو القاسم ـ ﷺ ـ وتبسم ، وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ثم قال : « يا أبا هر » ، قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : « الحق » ، ثم مضى واتبعته ، فدخل ، واستأذنت ، وأذن لي ، فدخلت فوجدت لبنا في قدح ، فقال : « من أين هذا اللبن ؟ » ، فقالوا : أهداه لك فلان ـ أو فلانة ـ فقال : « يا أبا هر » فقلت : لبيك يا رسول الله . قال : « الحق أهل الصفة فادعهم » قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يلوون على أحد ولا مال ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها ، وأشركهم فيها » .

« يتبع »

---

(1) المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

(2) أبو نعيم الأصبهاني ، الحلية ، جـ ١ ص ٣٧٧ .



الإسراء والمعراج
منعطف فى تاريخ الدعوة

للأستاذ الدكتور : سعد ظلام

لم يكن الإسراء والمعراج مجرد رحلة روحية عابرة ، أو مجرد حادث فردى بسيط ، فقد اشتملت هذه الرحلة النبوية على معان عميقة كثيرة ، وأحدثت تغيرا كبيراً فى محيط التخطيط للدعوة الإسلامية ، وتنقلها من مرحلتها المحلية الضيقة المحصورة فى مكة إلى مرحلة الشمولية ، والعمومية والعالمية .

لقد أعلنت آيات الإسراء والمعراج فى سورتى « الإسراء » « والنجم » أن النبى -ﷺ- هو نبى القبلتين ، وإمام المشرقين والمغربين ، ووارث الأنبياء قبله ، وإمام الأجيال بعده ، فقد التقت فى شخصه ، وفى إسرائه ، ومعراجه مكة بالقدس ، والمسجد الحرام بالمسجد الأقصى ، والتقى بالأنبياء قبله ، وصلى الأنبياء خلفه ، فكان هذا إيذانا بعموم رسالته ، وخلود إمامته ، وإنسانية تعاليمه ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، بل ويصلح بها كل زمان ومكان .

وأفادت السورتان تعيين شخصية النبى - ﷺ - ووصف إمامته ، وتحديد مكانة الأمة ، التى بعث فيها ، وبيان رسالتها وموقعها من الرسالات ، وأمته ودورها ، الذى ستمثله فى قيادة العالم ، والركب الإنسانى كله .

جاء الإسراء والمعراج حدا فاصلا بين الناحية الضيقة المحلية ، وبين الشخصية النبوية العالمية الخالدة فلو كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - زعيم أمة ، أو قائد إقليم ، ومنقذ عصر ، أو كان مؤسس مجد لم يكن فى حاجة إلى الإسراء والمعراج ، ولم يكن فى حاجة إلى تلك السياحة الروحية ، أو إلى الاتصال بالسماء اتصالا جديدا .

جاء الإسراء والمعراج فأعلن أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - ليس من طراز القادة والزعماء ، الذين تقف بهم مواهبهم ، عند حدود إقليمهم ، أو بلادهم ، أو عالمهم ، أو أمتهم أو شعوبهم بل هو من طراز جديد ، تسعد به الإنسانية ، وتنعم ، وترحم به الأمم والشعوب كلها ، والعالم

كله على امتداده بل الإنسان فى كل أرجاء العالم على امتداد الحقب والعصور . إنه من الأنبياء أولى العزم ، الذين يحملون رسالات السماء إلى الأرض ، ورسالة الخالق إلى الخلق ، أما كيف كان الإسراء والمعراج منعطفا فى تاريخ الدعوة فإننا نحاول بيانه فى هذا البحث .

منهج البحث :

منهج البحث الذى اصطفيته والذى سوف أبحث فى إطاره ، منهج قرآنى يعتمد على استقراء تام للسورة ، التى نزلت قبل الإسراء والمعراج ، وسورة مما نزل بعدها ، وكانت السورة التى نزلت قبل الإسراء هى سورة القصص ، والسورة التى نزلت بعدها هى سورة يونس : وسوف نجد تحولا أساسيا فى منهج الدعوة من خلال هذا المنهج القرآنى ، والاستقرائى التام .

أولا : قل ماكنت بدعا من الرسل :

الرسل والأنبياء حملة المشاعل ورواد الإنسانية يهدون بالحق وبه يعدلون ، يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ، لا فى الرسل ، ولا فى الأنبياء مالاقوا إيمانا وحفاظا على جوهر الدعوة ، أو الأمانة التى أناطها الله بهم ، تحمل الرسل والأنبياء عامة وأولو العزم خاصة فى سبيل أداء الأمانة ، وتبليغ رسالة لبنى البشر العنت الكثير والإرهاق والضيق ، والأذى وما فوق طاقة البشر فألقى إبراهيم فى النار ، وضرب نوح ، حتى لم يعد به حراك ، وذبح يحيى كما تذبح الشاة ، ونشر رأس زكريا بالمنشار ، وألقى يونس إلى الحوت ، وبيع يوسف بثمن بخس ، ولبث فى السجن بضع سنين ، وتآمر اليهود على صلب عيسى لولا أن رفعه الله إليه .

هكذا كانت مسيرة الأنبياء والرسل ، ولم يكن محمد بدعا من الرسل ، فهو يعلم منذ الخطوات الأولى لطلائع الوحى ، أنه معرض للإيذاء والإخراج من مكة ، وقد بشره بذلك ورقة بن نوفل ، لما ذهبت خديجة برسول الله إليه قال « ورقة » ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك قال الرسول : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ولقد كفلت القدرة الإلهية لرسول الله العصمة من الناس ، فنزلت آية التبليغ ، وفيها ما يفيد عصمة الله له :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(المائدة : ٦٧) .

كما نزلت آية الصدع بالدعوة ، ومعها ما يؤكد حماية الله لرسوله ، باعتباره داعية ، قال تعالى :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾

(الحجر : ٩٤ : ٩٦) .

وهذا له أثره دون شك فى نفس الداعية .

ولقد كانت العصبية القبلية فى مكة تمثل نوعا من الحماية للدعوة والداعية ، وكان التوازن الاجتماعى فى مكة يكفل للرسول قدرا لا بأس به من الحماية والأمن والكفاية ، فعلى الرغم من أن بنى هاشم ، وبنى المطلب لم يكونوا قد آمنوا

بالدعوة ، وكانوا يرفضونها مبدأ وفكرة إلا أنهم فى الوقت نفسه كانوا يأبون أن يؤذى محمد وهو منهم ، ولا يرضون أن يهان وهم منه ؛ لأن الاعتداء عليه فيه إهانة بالغة لهم ، ولعصبيتهم القبلية ، وكان أبو طالب وهو موضع التجلة والمهابة والاحترام فى قومه ، يمثل شيخ هذه العصبية أتم تمثيل ، فقد كان ربانا ماهرا يدير زورق التوازن بين مطالب قومه ، وحرصه على ابن أخيه فى مهارة ودربة وحسن أداء واقتدار .

وانطلاقا من هذا الفهم للحماية البشرية ، المتمثلة فى العصبية القبلية ، وجدنا أكبر أعداء الدعوة من أهل الرسول وذويه ، ولكنهم فى نفس الوقت يأبون أن يعتدى عليه ، أو يساء إليه حتى ولو كانت الجهة المعتدية فرعا آخر ، من فروع قريش ، وكثيرا ما وجدنا المشركين من قريش يسبقون بدعوة الرسول ، فيذهبون ، إلى أبى طالب يعرضون عليه أمر محمد ، وما كان منه ، طالبين أن يثنيه أبو طالب عن دعوته ، باذلين كل ما تخيلوا أنه يرميه ، وربما سمعنا أبا طالب يقول لابن أخيه : يا ابن أخى : قل ما أحببت فوالله لا أسلمك إليهم أبدا ، وكان إسلام حمزة عاملا هاما فى تلك الحماية ، وربما كانت الحماية سببا فى حماية هذا الإسلام ، بل لعلنا لا نعجب إذا وجدنا العباس وهو لم يزل على دين قومه ، هو الذى يتثبت للرسول فى بيعة العقبة الثانية ، ووجدنا بنى هاشم ، وبنى المطلب سواء فى الحصار الاقتصادى المضروب حولهم من المشركين فى مكة ، لم يفرق الحصار بين رسول الله وسواه ، تحمل الجميع ذلك كله انطلاقا من فهمهم للعصبية .

لقد جربت قريش مع رسول الله أقبح أساليب الاستهزاء والتكذيب ، وكل وسائل الإهمال والإعراض والامتعاض ، والإيذاء والتعدى والملاينة والملاطفة والإغراء ، ولما لم يجد ذلك كانت المقاطعة ، التى شقت على الرسول وجماعته ونالت منهم لولا أن الله سلم ، ولكن الحصار قد نال من أبى طالب فوهنت قوته ، ولم يمض على خروجه من الشعب إلا أشهر معدودة حتى ألح عليه المرض ، ومات وكانت وفاته فى رجب سنة عشر من النبوة بعد خروجه من الشعب بستة أشهر ، ثم ماتت بعده بقليل خديجة ـ رضى الله عنها ـ ولقد كان أبو طالب كما أسلفنا يمثل حصنا بالغ المنعة والحماية لرسول الله ـ ﷺ ـ وكانت خديجة وزير صدق للرسول ، أو كما يقول عنها الرسول : « آمنت بى حين كفر الناس ، وصدقتنى حين كذبنى الناس ، وأشركتنى فى مالها حين تركنى الناس » كانت خديجة وكان أبو طالب يمثلان المؤازرة للرسول فى أحلك الأوقات وأحرجها ، فكانت خديجة تحنو عليه ساعة الضيق والقلق ، وتسرى عنه ، وتقوى من ثقته ، وتعينه على تبليغ رسالته ، وتشاركه مغارم الجهاد وتبعاته ، وتواسيه بنفسها ومالها ، ولم تنل قريش من رسول الله منالا مثل ما نالته منه بعد موت عمه أبى طالب ، يقول ابن القيم : كان النبى ـ ﷺ ـ يتبع الحاج ويدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، ولهم الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه ، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها ، ظل كذلك عشر سنين من المبعث يدعو إلى الإسلام ، ويروى عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ لبث عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم ، فى المواسم « ومجنة » « وعكاظ » يقول من يؤمن ؟ ومن يؤوينى ؟ ومن ينصرنى حتى أبلغ رسالات ربى فله الجنة ؟ فلا يجد أحدا ينصره ولا يؤويه .

« ويروى ابن إسحق فى سيرته ما كان يفعله جيران الرسول به بعد موت أبى طالب فيقول « وكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة ، وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى برمته ، يعنى قدره إذا نصبت حتى اتخذ الرسول حجرا يتقى به منهم إذا صلى ، فكانوا إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به ، ثم يقول يابنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه فى الطريق ، واعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثره على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ورسول الله ـ ﷺ ـ يقول لها لا تبك يابنية فإن الله مانع أباك ويقول بين ذلك : مانالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبوطالب ، حتى سمى الرسول هذا العام عام الحزن ، وبموت أبى طالب وخديجة تراكمت الأحزان على رسول الله فتجرأوا عليه ، وكاشفوه بالأذى .

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام لقد كانت الدعوة حتى وفاة خديجة وأبى طالب محصورة فى نطاق مكة ، لم تخرج أو تبعد عنه ، على الرغم من الحصار والإيذاء والحقد والتربص ، ولكن هذه الظروف النفسية القاسية لم تمنع الرسول أن يصبر على موقفه ، فلم يبق أسيرا لها ، محصورا فى دائرتها ، بل إنه وسع الدائرة للدعوة فانتقل إلى الطائف ، وعرض دعوته ، ولاقى من الإيذاء مالاقى ، ولكنه لم يبال بكل مالاقى فى سبيل أن تجد الكلمة الفاعمة طريقها إلى القلوب واشتدت وطأتهم عليه ، وعلى أصحابه حتى اضطر أبوبكر أن يهاجر عن مكة حتى وصل إلى « برك الغماد » يريد الحبشة فأرجعه ابن الدغنة فى جواره ، وخرج رسول الله إلى الطائف لعله يجد من ينصره ، أو يساعده على تبليغ الرسالة ، فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويقذفونه بالحجارة ، وزيد مولاه يدفع عنه حتى انتهى إلى كرمة لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وهما من أعدائه ، فكره رسول الله مكالمتهما ، فقال : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس : ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت عليه الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » ورجع رسول الله ـ ﷺ ـ فى طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيبا حزينا ، كسير الفؤاد ، فلما بلغ « قرن المنازل » بعث الله إليه جبريل ، ومعه ملك الجبال يستأمره فى أن يطبق الأخشبين على أهل مكة ، ولكن الرسول قال : « بل أرجو أن يخرج الله ـ عز وجل ـ من أصلابهم من يعبد الله ـ عز وجل ـ وحده لا يشرك به شيئا وكان هذا اليوم كما يقول الرسول أشد عليه من أحد .

ولم يدخل الرسول مكة إلا فى جوار المطعم بن عدى ، ونلمح ربما لأول مرة ظهور جبريل ، ومعه ملك الجبال تأكيدا للعصمة الإلهية ، كما أشارت الآية الكريمة :

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر : ٩٥) .

إلى مكان كفاية الله أمرهم .

وفى هذه الظروف الشديدة الوقع والإيلام على وجدان الرسول ونفسه ، كان الإسراء والمعراج



أملا واعدا، وشحنة بالثقة الروحية، وكفاية وحماية إلهية، وإعدادا واستعدادا لمرحلة قادمة لها مابعدها.

ثانيا: الدعوة بين عهدين:

لقد أصبحت الدعوة فى مكة بعد أن فقدت حماية أبى طالب وخديجة محاصرة بالحقد والتربص، وفى ظروف لا يمكن معها استمرار بقائها. بعد أن ضيق الكفار الخناق عليها.

وكان لابد من أن تنتقل الدعوة من طور إلى طور آخر، ومن مرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن عهد إلى عهد، عهد كان الله يوصى رسوله فيه بالأخذ بالعفو، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين إلى عهد آخر، بدأ بالإذن بالجهاد، كانت الهجرة مبدأ، وكان الإسراء مقدمته.

وكان لابد للدعوة من أن تغير أسلوبها، فتواجه ما صارت إليه الأحوال، ولابد من حدوث تحول أساسى جوهرى فى الخطط والمنهج.

وكان لابد من تزويد الرسول بشحنة روحية أقوى، تتلاءم مع طبيعة الواقع، الذى تعيشه، والذى تتطلع إليه، وكان الإسراء والمعراج يمثل هذا المنعطف التاريخى للدعوة.

لقد كان جبريل ينزل إليه بالآيات، ولقد كانت الدعوة تستند إلى حماية البشر، فتكفلت بحمايتها السماء، ولقد كان يسمع عن العالم الغيبى، فلير هذا العالم الغيبى، وكم سمع عن أشقائه الأنبياء فليقابلهم وليتعرف عليهم فقد دعته السماء، ليريه الله من آياته الكبرى.

ولكى نتبين هذا التطور فى أسلوب الدعوة، ومنهجها، ينبغى التعرف على المنهج القرآنى فى الدعوة، وفى بعض السور، التى نزلت قبل الإسراء وبعده، لتتبين ملامح الدعوة فى كل مرحلة، وماذا كانت تتطلبه كل مرحلة.

ولقد نزلت سورة القصص قبل سورة الإسراء، ونزلت سورة يونس بعد الإسراء، فلنقف على أسلوب الدعوة قبل الإسراء وبعده من خلال منهج قرآنى، وهو أثبت المناهج وأصحها، ولنقف أولا على الإسراء، ثم على المنهج قبلها فى القصص، وبعدها فى يونس.

ثالثا: الإسراء والمعراج:

تحدث القرآن عن الإسراء فى موضعين منه، تحدث عنه فى فاتحتى سورتى الإسراء والنجم، والحديث عنه فى سورة الإسراء جاء سريعا مقتضبا وخاطفا، ثم تفرع لخطاب بنى إسرائيل، والحديث فى «النجم» موجه إلى أهل مكة الذين أنكروا الإسراء والمعراج، وكذبوا محمدا واستهزأوا به، وسخروا منه.

والأسلوب مختلف فى السورتين لاختلاف الجهة، ولكن عرض المعجزة ورواية الآيات وجرى النواميس واضحة.

وتمثل فاتحة سورة الإسراء أسلوبا غير مألوف فى فواتح السور القرآنية، فلم تبدأ سورة من سور القرآن بسبحان مصدرا كما بدأت سورة الإسراء، فالله يمجد نفسه ويعظم شأنه بقدرته على مالا يقدر عليه أحد سواه، كما دل لفظ «سبحان» على كمال القدرة وبالغ الحكمة، ونهاية تنزهه، عن صفات المخلوقين.

والتعبير «بعبده» يصور قمة الكمال حيث أضاف العبد إلى ضمير الله ـ سبحانه ـ كأنه ليس

هناك من يستحق هذا التخصيص بعبودية الله سوى محمد ، كما قال تعالى فى سورتى الفرقان والكهف :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان : ١) .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ (الكهف : ١) .

ويظهر هذا التكريم الإلهى لمحمد فى هذه الإضافة التخصصية التى لم ينلها نبى سواه ، فلم يرد لفظ « عبد » فى القرآن الكريم مضافا إلى ضمير الرب على هذا النحو ، الذى يحمل قمة التكريم إلا مقصودا به محمد ـ ﷺ ـ فإذا أطلق القرآن لفظ عبد مضافا إلى ضمير الله مقصودا به غيره ، فلابد من أن يذكر بعده اسم النبى ، أو الأنبياء المقصودين قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (ص : ٤١) .

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ (ص : ٤٥) .

أو يهمل ذكر الاسم قال تعالى :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف : ٦٥) .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ (الزخرف : ٥٩) .

لكن إذا أضيف لفظ العبد مضافا إلى ضمير الله دون ذكر اسم النبى كان المقصود محمدا ، وقد ورد هذا التفسير فى الإسراء والنجم عند الحديث عن الإسراء ، قال تعالى :

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (النجم : ١٠) .

فإضافة العبد إلى ضمير الرب هنا تكريمية نالها محمد بهذه الإضافة ، كأنه المستحق الوحيد للعبودية ، أو أن عبوديته لله بلغت غاية الكمال حتى استحق أن يكون فيها مثلا ، فلا تطلق على سواه ، فهو أكمل البشر وأحقهم بهذا الوصف الكريم ، ولهذا أرى أن الإسراء كان بالروح والجسد « لعبده » وإذا كان الإسراء لا يكون إلا ليلا فقد ذكر « ليلا » للتأكيد ، أو للتقليل ، أى أسرى به فى وقت قليل ، أو فى جنح الليل ، وهذا أبلغ فى القدرة والإعجاز .

والتعبير بقوله :

﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (الاسراء : ١) .

يفيد أن البركات الحسية والمعنوية وكون المسجد الأقصى مقر الأنبياء ، ومهبط الملائكة من نعم الله وآثاره .

أما قوله تعالى : ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ (الاسراء : ١) .

على هذا النحو من الأسلوب البالغ الروعة والإيجاز فقد مثل قمة التشريف لمحمد ، إذ أن الله هو الذى سيريه من آياته ، وقد أغنى هذا التعبير الموجز عن شريط حركى مصور يملأ ساحة زمنية كبيرة تصويرا لما شاهده « محمد » فى الإسراء والمعراج .

وقد جسد هذه المدركات كلها إسناد الفعل إلى ضمير العظمة وإضافة الآيات إليه فإذا كانت الرؤية والآيات منسوبتين إلى الله مضافتين إليه كانت الرؤية والآيات على قدر عظمة الله ◄

وقداسته ، فقد رأى محمد من الآيات العظيمة ما رأى ، واطلع على ملكوت السماوات والأرض ، ووصل إلى ما لم يصل إليه أحد من البشر ، ولا خطر حتى على قلب أحد .

واختصاص محمد بهذا التكريم دل عليه قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء : ١) .

أى : إنه هو السميع لأقوال محمد ، البصير بأفعاله ، فلهذا خصه بهذا التكريم ، وقد بين الله أنه أخبر بنى إسرائيل فى « التوراة » أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين ويتجبرون ، فإذا جاء وعد أولاهما بعث الله عليهم عبادا له أقوياء أشداء فتملكوا اليهود وأذلوهم ، ثم رد الله الكرة لبنى إسرائيل ، وقرر لهم القاعدة :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾

(الإسراء : ٧) .

فإذا أفسدتم جاء أعداؤكم فقهروكم وأهانوكم ودخلوا المسجد ودمروا وخربوا عسى الله أن يصرفهم عنكم .

ولكن إن عدتم إلى الإفساد عدنا إلى الإدالة عليكم والنكال بكم .

وأوجز تعبير وأخصر تعليق فى تعليل هذه الرحلة قوله تعالى : ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾

وهذه سنة الله بالنسبة للرسل أولى العزم قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾

(الأنعام : ٧٥) .

وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

(البقرة : ٢٦٠) .

وقال لموسى :

﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ (طه : ٢٣) .

وقد بين الله هذه الإرادة بقوله :

﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام : ٧٥) .

إذ أنه بعد استناد علوم الأنبياء إلى رؤية الآيات يحصل لهم من عين اليقين ما يفوق الحصر ، وماراء كمن سمع ، والخبر ليس كالمشاهدة ، وبعد هذه المشاهدة للآيات يتضاعف احتمالهم وتزداد قوة إرادتهم ، وتصغر فى عيونهم الدنيا ، ولا يعبأون بما لاقوا ، ويستقلون البذل والتضحية .

وسر الأسرار الكامن فى الحديث عن الإسراء فى سورة الإسراء يتجلى فى أن الله ذكر قصة الإسراء فى آية واحدة فقط ، ثم أخذ فى ذكر فضائح اليهود ، ثم نبه إلى أن القرآن يهدى للتى هى أقوم .

وربما ظن القارىء أن الآيتين ليس بينهما ارتباط ، والأمر ليس كذلك ، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع هنا فى بيت المقدس ، لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية لما ارتكبوا من جرائم وإفساد ، وبعد أن تحولت اليهودية إلى نوع من القومية والعنصرية ، من خلال الدعوة إلى المحافظة على نقاء الجنس ، وشعب الله المختار ، مما أدى إلى انكماشه ، ولأن اليهودية تستند إلى أسس النظرة العرقية ، وتقسم البشر إلى أجناس منفصلة ، وجاءت المسيحية فركزت على الشئون

الروحية على حساب شئون الدولة والمجتمع . ولهذا لم تعد اليهودية صالحة للبقاء فى قيادة البشرية ، ولابد من أن ينقل هذا المنصب القيادى إلى الرسول الخاتم . الذى أرسل إلى الناس كافة ويجتمع به مركزا للدعوة الحنفية الإبراهيمية من إسحق وإسماعيل ، وآن الأوان أن تنتقل القيادة الروحية من أمة إلى أمة ، ولكن كيف تنتقل هذه القيادة والرسول يطوف فى جبال مكة مطرودا محاصرا بين الناس ؟

وهذا يعنى أن هناك دورا من أدوار هذه الدعوة الإصلاحية قد أوشك على النهاية والتمام ، وسيبدأ دور آخر يختلف عن الدور الأول فى مجراه ، ولذلك نرى بعض الآيات تشتمل على إنذار سافر ، ووعيد شديد بالنسبة إلى المشركين :

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ﴾ (الإسراء : ١٦ ، ١٧) .

ويجنب هذه الآيات آيات أخرى تبين للمسلمين قواعد الحضارة وبنودها ومبادئها التى سيعلن عنها مجتمعهم الإسلامى ، كأنهم قد أووا إلى الأرض وتملكوا فيها زمام أمورهم من جميع المناحى ، وكونوا وحدة متماسكة ، تدور عليها قواعد المجتمع .

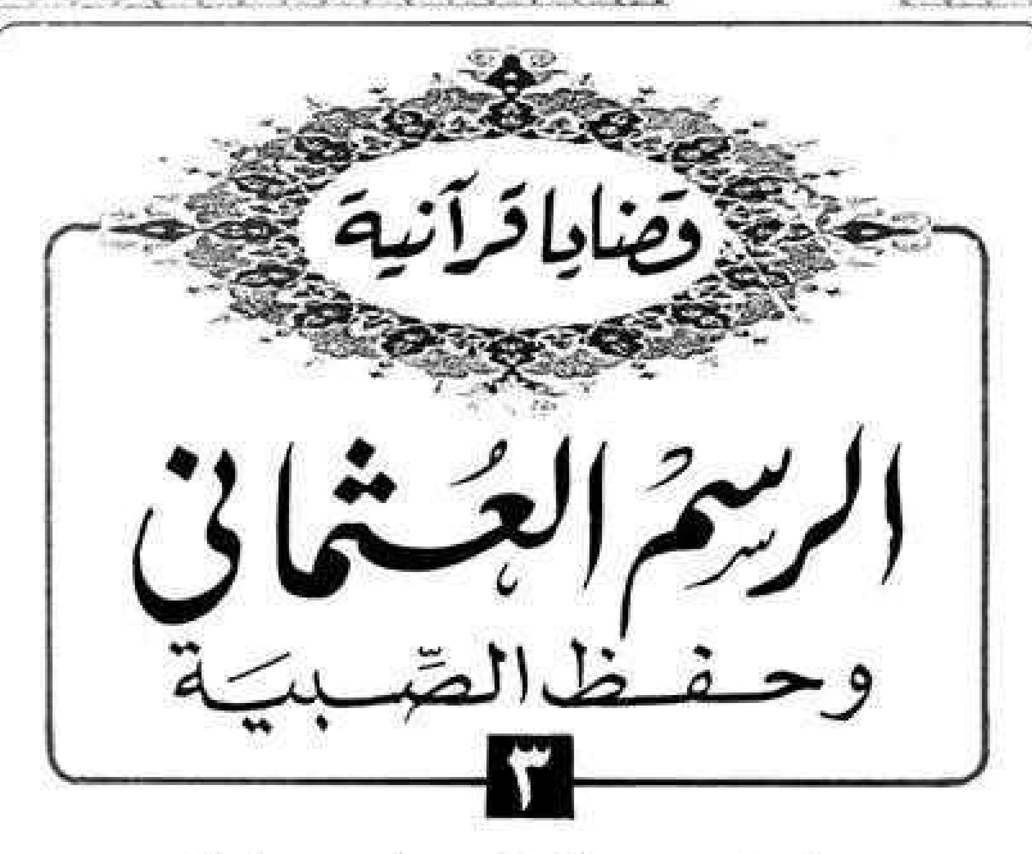
ففيه إشارة إلى أن الرسول سيجد مأمنا يستقر فيه ، ويصير له مركزا لنشر الدعوة منه فى أرجاء الدنيا ، وهذا سر من أسرار هذه الرحلة المباركة رحلة الإسراء والمعراج .

وآيات النجم التى تتحدث عن الإسراء ترد على قريش فى تكذيبها لمحمد فى الإسراء والمعراج ، وتلوح بالقوة والكفاية الإلهية له ، فى شخص جبريل وقوته ، وفيها معنى الإغاظة لهم ، ثم تتحدث عن معراج الرسول وما لقيه عند ربه ، وما رأى من آيات الله الكبرى . ومن آثار هذه الرحلة بالنسبة إلى محمد ، أنه عرف مكانته عند ربه بين الأنبياء فقد اجتمعوا له وأمهم فى المسجد الأقصى ، ثم يعرج به إلى حيث صرير أقلام القدر وسدرة المنتهى ، وبايعوه . . روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ « مابعث الله نبيا من الأنبياء إلا وأخذ الله عليه العهد لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه » فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

وقد اطمأن الرسول على مستقبل دينه وأمته ورأى من آيات ربه الكبرى ، كما تظهر لنا قيمة الصلاة ، وموقعها من أركان الإسلام ، إذ هى الفريضة الوحيدة التى لم يشأ الله أن يفرضها كبقية الفرائض . وإنما استقدم لها الرسول ، وفرضت فى السماء ، وهى تعنى الصلة بين العبد وربه ، وديمومة الرسالة وخلودها .

كما عزل اليهود عن قيادة الركب الإنسانى ، ولهذا كان الإسراء والمعراج نقطة تحول خطيرة فى مجال الدعوة والداعية ، فى الوقت الذى تكاد الأحداث تحكم قبضتها عليها بعد فقد أبى طالب وخديجة يجىء الإسراء والمعراج ليملأ نفس الرسول ثقة فى المستقبل ، ويزيده قدوة وتفاؤلا ، بقدر ماكان اختبارا للنفوس الضعيفة وكشفها ؛ لأنها لم تقدر على متابعة المسيرة الصاعدة . . .

« يتبع »



الرسم العثماني وحفظ الصبية

٣

للأستاذ : صديق بكر علي عيطة

يقول صاحب كتاب « الفرقان » وهو يدلل على وجوب رسم المصحف حسب الرسم الإملائي الحديث وطرح الرسم العثماني ص ٨٥ : « وتساءلنا : هل وضع رسم المصحف ليقرأ ، أو ليكون رمزا ، ويظل طلسما ؟ يتناقله القراء وحدهم ؟ ويلقنونه لمن يريدون تلقينه ، ممن يتزلف إليهم بماله ونفسه ، ويمنعونه عمن يريدون منعه ، ممن لم يرزق جاها ولا مالا ؟ » .

ويتابع حديثه قائلا : « إذا بحثنا ذلك ؟ وجدنا أن القرآن الكريم ما رسم بهذا الرسم ، ولا كتب بهذا الهجاء ؟ إلا لأنه هو الهجاء المعروف المتداول في العصر الأول .

« ولو كان عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ موجودا فى هذا العصر؟ لما وسعه إلا كتابة المصحف بالرسم ، والتهجئة الحديثة ، الواضحة المعقولة ، المقبولة ، التى يستطيع تلاوتها كل مسلم ، ويقوى على قراءتها كل مؤمن .

« وفضلا عن ذلك ؟ فإن هذا الهجاء لم يتنزل من لدن المولى ـ جل وعلا ـ ، ولم يلزمنا به الرسول ـ ﷺ ـ ، وإنما هو من وضع المخلوقين لصالح المخلوقين » أ . هـ كلام الرجل . وفى ردنا عليه نقول :

أولا : نعم . أنت على حق فى أن رسم المصحف وضع ليقرأ ، لا ليكون طلسما يتناقله القراء وحدهم ، لكن من قال إن القراء وحدهم ، هم الذين يتناقلونه ؟ ومن قال : إن القراء لا يلقنونه إلا لمن يتزلف إليهم بماله ونفسه ؟ ومن قال إنهم يمنعونه عمن يريدون منعه ، ممن لم يرزق جاها ولا مالا ؟ إن الواقع المعيش فعلا يشهد بخلاف ذلك تماما ؟ مما ينطق بأن هذه مجرد إدعاءات مفتراة على القراء ، بما هم منه براء . فبالرغم من أن ديننا الحنيف أباح لهم أن يرزقوا بسببه وليس ببعيد عن الذاكرة حديث رسول الله ـ ﷺ ـ الذى يخاطب فيه صحابته قائلا : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله ، اضربوا لى معكم بسهم » كما أن الشارع الحكيم أباح اعتبار تحفيظ الزوجة قدرا من القرآن الكريم ، صداقا شرعيا لها ـ بالرغم من ذلك فإن الواقع المشاهد ينطق بأن الأجر والمال ، لم يكن عائقا يقف فى طريق حفظ كتاب الله ـ تعالى ـ حتى فى حالة دفع الأجر للمحفظين ، نلاحظ أنهم أقل الناس أجرا ؛ فهم لايتقاضون إلا ما يبلغهم العيش ، ويقيهم ذل المسألة ؟ وهذا هو الذى أتاح لفقراء المسلمين ، أن يكونوا فى طليعة من يحفظ القرآن ، دون أن يكونوا من ذوى المال والجاه ، كما يزعم الأستاذ

ثانيا : إن رسم المصحف بوضعه الحالى ليس طلسما ، فإذا ما نحينا جانبا تهويل الأستاذ ، وطنطنته الجوفاء ، وجدنا الصبى الذى لم يتجاوز السادسة أو السابعة من عمره يمسك بالمصحف فى يده ، ويقرأ القرآن فى مهارة منقطعة النظير . . كل ما هو فى حاجة إليه ، سماع التلاوة الصحيحة لبعض الوقت فى بداية عهده بالحفظ ، لينطلق بعد ذلك فى طريقه دون عائق كبير أو صغير .

« وإننا لنعرف صبيان المكاتب [كما يقول الرافعى فى كتابه إعجاز القرآن ص ٢٤٢ ، ٢٤٣] ـ وقد كنا منهم ـ وما يسهل عليه القرآن وإظهاره ، ولا يمكنه فى أنفسهم حتى يثبتوه ، إلا نظمه واتساق هذا النظم ، ولو هم أخذوا فى غيره من فنون المعارف ، أو متون العلوم أو مختار الكلام أو نحوه مما يرادون على حفظه ، أى ذلك كان ، لأعياهم وبلغ منهم إلى حد الانقطاع والتخاذل ، حتى لايجمعوا منه قدرا فى حجم

القرآن إن جمعوه إلا وقد استنفدوا من العمر أضعاف ما يقطعونه فى حفظ القرآن : على أنهم يبلغون من هذا بالعفو والأناة ، ولا يبلغون مثله من ذلك إلا بالعنت والجهد .

« وقد ينسى أحدهم الآية من القرآن [ولا يزال الكلام للرافعى] فينقطع إلى الصمت من قراءته ، أو تتدخل فى لفظه بعض الآيات المتشابهة فى السور ، أو يسقط بعض اللفظ فى تلاوته فيضل فى ذلك ، ثم لاييسره للذكر ، ولايذكره بالآية المنسية أكثر ما يتذكر ، إلا نسق الحروف فى بعض كلماتها ، ولا يبين له مواقع الكلم المتشابهات ، إلا

نظام كل كلمة من آيتها ، ولا يهديه إلى ما أسقط من اللفظ غير إحساسه باضطراب النظم وتخلخل الكلام . ولقد كان ذلك أكبر ما كنا نستعين به أيام الحداثة على اتقاء الغلط والمداخلة والسهو ، وكنا نفزع إليه إذا جلسنا بين يدى فقيهنا - رحمه الله - مجلس القراءة (والتسميع) . وقد عرفنا أن تأذى سمعه مقرون بأذى عصاه . . وكم تواصفنا مع أذكياء الصبيان فى (الكتاب) فما رأينا منهم إلا من ادخر لمحنته من ذلك أشياء » انتهى كلام الأستاذ الرافعى - رحمه الله - ثم تستأنف حديثنا قائلين :

كتاب سماوى هذا شأنه ، وقد حظى بعناية الله - عز وجل - كما لم يحظ كتاب قبله ، كما تكفل الله بحفظه وتيسيره للذكر ، على هذا النحو الذى أطبق على الإقرار به كافة المسلمين ، فى شرق الأرض وفى غربها . . أفيقال بعد ذلك إن اختلاف

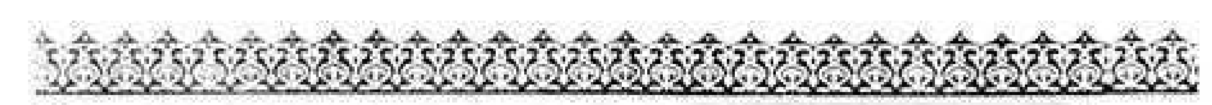
بعض كلمات منه فى الرسم عما تعورف عليه مؤخرا فيما يسمى بقواعد الإملاء ، يدخله فى باب الطلسمات ، والمبهمات ، التى لا تفك مغاليقها ؟

هذا فيما لو اعتبرناه اختلافا لا يفسره إلا أن كاتبيه لم يكونوا على علم تام بقواعد الإملاء الحديث .

فما الحكم إذن لو كان هذا الاختلاف ، « بتوفيق هو كالتوقيف » - كما قال الرافعى رحمه الله تعالى - ؟ أو كان منظورا فيه إلى هذه اللطائف التى أشار إليها الإمام الزركشى - رضى الله عنه وأرضاه - فى كتابه « البرهان » فى علوم القرآن » ؟ وسوف نذكر طائفة منها فى الحلقة التالية إن شاء الله - تعالى - .

أما ما يزعمه المؤلف من أنه شاهد بعينيه ، وسمع بأذنيه الكثير من هذه المشاكل ، التى يتعرض لها من يقرأون المصحف ، بسبب الرسم العثمانى ، فإن ذلك ليس فى جمهور الحفاظ ، وإنما فى قلة قليلة جدا - إن كان صادقا - لاتحسب على

الرسم العثمانى ، أو خلافه ، لأنها تريد أن تقرأ القرآن دون معلم . والقرآن يقوم أمره أساسا على التلقى الشفاهى ، المعروف بالتواتر ، وبخاصة فى بداية الحفظ ، إلى أن تستقر الملكة على الطريق وإن - والله - لأرى فى حديث رسول الله - ﷺ - : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » إشارة صريحة إلى هذه الحقيقة الكبرى ، وهى حقيقة التواتر الشفاهى الذى يصل بنا شفاها إلى سماع



المصطفى - ﷺ - غير هذه القرون الماضية . . وإلى آخر الزمان .

ثالثا : صحيح أن « هذا الهجاء لم ينزل من لدن المولى - جل وعلا - ؟ ولم يلزمنا به الرسول - ﷺ - ، وإنما هو من وضع المخلوقين لصالح المخلوقين »

إلا أن أمور الدين كلها ، قائمة على مبدأ الأخذ بالحيطة والحذر ، فالله - سبحانه وتعالى - يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ (المائدة : ٦)

فالأساس فى غسل اليدين أنه إلى المرافق ، كما أن الأساس فى غسل الرجل أنه إلى الكعبين » . غير أن الشارع الحكيم أوجب غسل جزء بعد المرفق ، وكذلك غسل الكعبين وشيء بعدهما أخذا بمبدأ الاحتياط . وإعمالا لقاعدة مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

كذلك حرم الإسلام الزنا ، كما حرم الاتصال بين الرجل والمرأة الأجنبية ، وأخذوا بمبدأ الحيطة والحذر ، حرم الخلوة بها ، وكل ما من شأنه أن يعد تمهيدا لمحرم حتى مجرد النظرة ، بعد النظرة الأولى العفوية حرمها الإسلام .

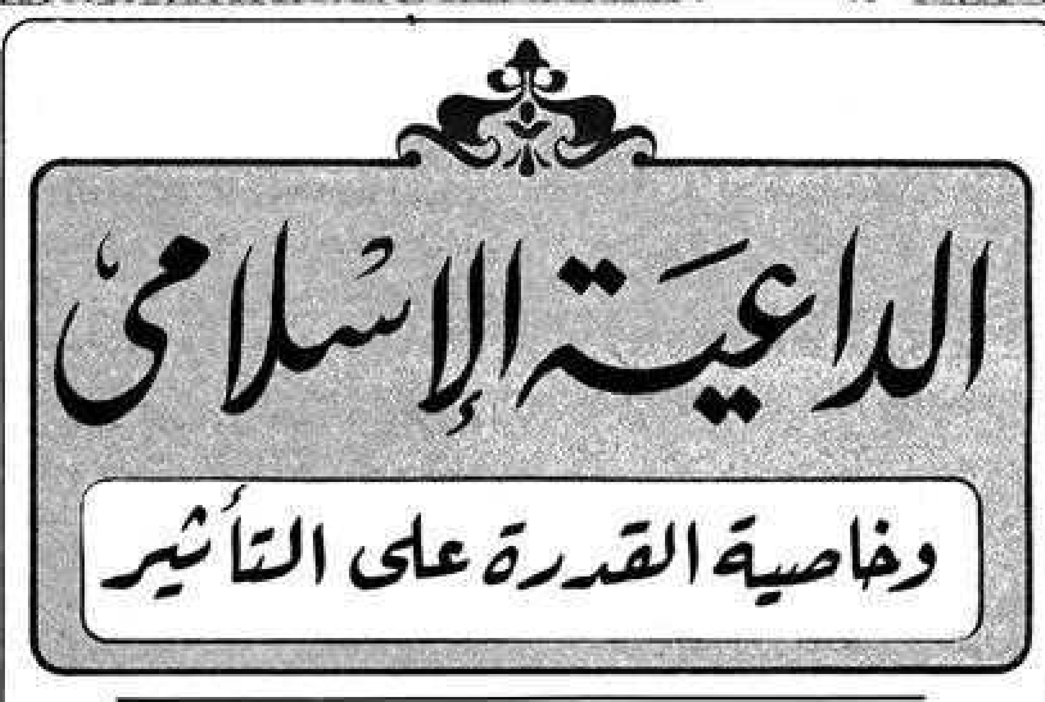
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾

(النور : ٢٩ : ٣٠)

حرم الإسلام كل هذا ؟ إعمالا لمبدأ سد الذرائع ، والأخذ بمبدأ الحيطة والحذر فى تناول قضايا الدين ، وعورة الرجل ما بين سرته وركبته ، غير أن الشارع أوجب ستر السرة والركبة مراعاة للمبدأ ذاته .

فقراء القرآن وعلماؤه ، عندما يمنعون من التدخل فى شئون رسم المصحف ، إنما يقصدون بالقطع ما وراء ذلك ؟ وهو عدم التدخل فى كتاب الله الكريم ، بما يتيح الفرصة لمن يأتون بعد ذلك ، أن تمتد أيديهم إلى ماهو أبعد من ذلك - عافانا الله جميعا - غير أن الأستاذ ومن لف لفه من دعاة الرسم الإملائى يقتحمون هذا الحرم الآمن بما يعرضه للخطر الداهم ، دون أن يلقى لذلك بالا . . ونحن لا نفترض فيهم سوء النية ، ولكنا نؤكد أنهم بذلك يجروننا إلى بيت مملوء بالشياطين ، التى سرعان ما تثب على من يرتاد هذا المكان وتبتها الأولى ، لتكون هى الأخيرة أيضا . نسأل الله تعالى أن يجنبنا الزلل !!



للأستاذ الدكتور : محمد محمد البادى (*)

القدرة على التأثير أساس لكل دعوة وهدف لكل داعية . فكل دعوة تقوم على الفكر والسلوك معا ، وكل داعية يستهدف زرع الإيمان بالفكرة ، وتبنى السلوك المعبر عنها . وهذه الحقيقة تجد ما يبررها فى كل دعوة وفى مواجهة كل داعية بصفة عامة ، وتجد سندها وركائزها فى الدعوة الإسلامية ودعاتها بصفة خاصة .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل »(١) .

وسئلت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت : « كان خلقه القرآن » ، وهذا يعنى أنه لا يكفى فى الإسلام أن تردد أفكاره ومبادئه ، وأن تؤمن بها ، وإنما لابد أن ينعكس ذلك على سلوكك . ومن هنا كانت أهمية توافر القدرة على التأثير عند الداعية الإسلامى .

ويقصد بهذه الخاصية أن يمتلك الداعية مواهب وأساليب إقناعية ، بحيث يستطيع أن يُفهم مستمعيه ما يقول ، وأن يقتنعوا بما يقول ، وأن

* الكاتب رئيس قسم الصحافة ـ كلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

(١) متفق عليه .

يسلكوا بالكيفية التى تتوافق مع ما يقول . وهو لا ينطق عن الهوى ، وإنما يدعو إلى مبادىء الإسلام وقيمه ، ويُفهمها لمستمعيه ، ليتمثلوا ما يفهمون فكرا وقولا وسلوكا .

وهنا نتساءل : هل هذه القدرة على التأثير تعنى سعة العلم والمعرفة عند الداعية ؟ وهل تعنى قدرته على أن يفهم مستمعوه عنه ما يعرفه ؟ والإجابة هنا بالإيجاب ، ولكن توفر هذين الشرطين لا يكفى ، لكى يمتلك الداعية القدرة على التأثير ، لأن الاقتناع ، أى التأثر بما قيل وانعكاسه على القول والعمل يعلو مجرد الفهم .

فقد أفهم رأيك ولكن لا أقتنع به ولا يكون له أثر على سلوكى . . ومن هنا تكون أهمية أن تتحول هذه المعرفة إلى عقيدة مقترنة بالتعبير عنها بالقول والعمل معا .

والشواهد على ذلك كثيرة وعديدة . فكلنا يشاهد دعاة يصعدون المنبر ليلقوا خطبة الجمعة مثلا ، ثم ينزلون وكأنهم لم يصعدوا ولم يتكلموا ، والناس ينصرفون وكأنهم لم يسمعوا . وليس معنى ذلك أن الخطيب لم يكن عالما فى موضوعه ، وإنما يعنى ذلك أن الخطيب لم يمتلك القدرة على الإفهام والتأثير .

وعلى العكس من ذلك ، نجد خطباء مجهولين برزوا وشاعوا بين الناس ، ووجدوا من يتعلق بهم ويردد قولهم ويعمل به . ومعنى ذلك أن هؤلاء الخطباء ملكوا إلى جانب العلم الواسع قدرة على توصيل علمهم إلى مستمعيهم ، وقدرة على أن يحولوا هذا العلم إلى سلوك وعمل .

وإذا شئنا شواهد أخرى من الدعوة للأديان الأخرى ، والمبشرين بها ، وجدنا أنهم تفننوا فى ذلك ، واستثمروا كل ما انتهت إليه علوم الإقناع ونتائجها ، واستفادوا من تطبيقاتها فى السياسة والفلسفة والعقيدة ، فى مواجهة جماهيرهم من الشعوب والقبائل التى لا تعرف دينا ولا عقيدة ، كما يحدث فى المجتمعات الاستوائية فى أفريقية .

وقد تعود خاصية القدرة على التأثير إلى توافر صفات تأثيرية طبيعية وغير عادية عند داعية معين ، حيث يولد وهو مزود بها . ويطلق عليها فى هذه الحالة مصطلح (*Charisma*) باللغة الإنجليزية . وهو مصطلح ليس له ما يقابله فى العربية أكثر مما أشرنا إليه . وهو يعنى أن شخصا ما يمتلك قدرات وراثية فى الإقناع والقيادة والتأثير تفوق القدرات العادية التى يبدو أن أشخاصا آخرين يمتلكونها .

وهناك موهوبون كثيرون برزوا فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية فى عصور متتابعة ـ وكانوا زعماء ملكوا هذه القدرات الطبيعية واستثمروها لتأييد ما يدعون إليه ، ونالوا حظا وافرا من الشهرة كخطباء مؤثرين فى أتباعهم .

فهل معنى ذلك أن نختار دعاتنا الإسلاميين من بين هؤلاء الموهوبين قبل إعدادهم لرسالتهم فى مواجهة شعوب العالم ؟ والإجابة بالإيجاب كلما كان ذلك ممكنا ، لأنهم سوف يكونون الأقدر على تبليغ الرسالة وتحقيق أهدافها . فإذا لم يتوافر ذلك بالأعداد المناسبة ، كان على المعاهد والكليات الجامعية الإسلامية أن تمدهم لذلك بالعلم والتدريب والممارسة من بين أولئك الذين يملكون الاستعداد لذلك .

وتوجد نتائج علمية انتهت إليها دراسات متخصصة فى الإقناع . وهى تفيد إمكانية تحقيق ذلك . فقد أكدت إحدى هذه الدراسات أن القائم بالإقناع عليه أن يظهر فى كل المناسبات التى

تجمعه بالآخرين بالكيفية التى تعطى انطباعا إيجابيا حول شخصيته ، وبدرجة توفر له الاحترام والثقة والجاذبية . وهذا مدخل لابد منه ، يساعده على زيادة قدرته على عرض دعوته بطريقة حسنة ، وإن كان هذا المدخل لا يغنى عن طريقة العرض الحسن ذاتها .

وأكدت دراسة علمية أخرى ، أن القائم بالإقناع عليه أن يهضم المعلومات التى جمعها هضما جيدا ، وأن يستطيع أن يجد لها مجرى طبيعيا وسط اتجاهات الناس وعقائدهم . وليكن واضحا أن الداعية ليس منصبا دينيا أو سياسياً أو ماشابه ذلك ، ولكنه يتأتى معايشة وسلوكاً وقدوة ، يتأثر بها الناس ويفرزونها إفرازاً طبيعيا .

وأكدت دراسة علمية ثالثة ، أن القائم بالإقناع عليه أن يبذل جهدا للتعرف على العقائد والاتجاهات السائدة بين الجماهير التى يتوجه إليها برسالته لكى يبنى عليها رسالته ، مؤكدا إمكانية توافق ما يدعو إليه مع الاتجاهات السليمة والعقائد الصحيحة للإنسان ، وليراعى أن هناك متغيرات لها وزنها فى تأثر الناس بما يدعو إليه ، كالعمر والجنس والخلفية الاجتماعية وغيرها . وهى متغيرات تفيد فى فهم نوعية الاتجاهات والعقائد السائدة وإمكانية استثمارها لتعميق ما يدعو إليه فى نفوسهم .

وأخيراً ، أكدت دراسة علمية رابعة ، أن القائم بالإقناع عليه أن يتعرف على الكيفية التى يتأثر بها جمهوره ، فقد تبين أن هناك جماهير تتأثر لأنها ترغب فى إحداث رد فعل ودى عند القائم بالإقناع ، وجماهير أخرى تتأثر لأنها ترغب فى تحقيق ذاتها ، وجماهير ثالثة تتأثر لأن السلوك المستهدف يتفق مع القيم داخلها ، وهكذا .

وعلى ذلك ، يكون على المعاهد والكليات الإسلامية أن توفر للدعوة الإسلامية دعاة قادرين على تحقيق رسالتها بتوفير القدرة لهم على التأثير على الجماهير المستهدفة فى شتى أنحاء العالم . ويمكن أن يتحقق ذلك ، فى رأينا ، بالخطوات التالية :

أولاً : توفير المقاييس العلمية التى يمكن بها اختيار الطلبة الموهوبين ، أى الذين يملكون هذه الخاصية الطبيعية فى التأثير ، إلى جانب اختيار الطلبة الذين يملكون الاستعداد لاكتساب قدر كبير منها من خلال التعليم والتدريب والممارسة . وهذه المقاييس متوافرة .

ثانياً : أن تتوافر فى هذه المعاهد والكليات المتخصصة مقررات دراسية تجمع بين فهم الدين والتفقه فيه ، والقدرة على إفهامه للآخرين والتأثير عليهم فكرا وسلوكاً . وهذا يتطلب إدخال علوم الإقناع بكل نتائجها الحديثة حتى يمتلك الطلبة مهارات الاتصال والإقناع وأساليبه وفنونه . وليكن واضحا أننا لسنا هنا فى وضع يسمح لنا بالقول بما يدعيه البعض من وجود جذور وتطبيقات لهذه العلوم فى الدعوة الدينية وأساليبها التقليدية .

فما توصل إليه العلماء المحدثون يفوق تصوراتنا حتى ولو كان ما يدعونه حقيقيا .

ثالثاً : ليكن واضحا أن التدريب والممارسة شرطان هامان لاكتساب القدرة على التأثير . فليس صحيحا أن نلقى فى آذان الطلاب بالمعلومات النظرية لنحشو بها عقولهم ، ولكن الأصح أن تتحول هذه المعلومات النظرية إلى ممارسات علمية .

وهذا يتطلب من القائمين بالتدريس أن يكتسبوا خبرات عملية إلى جانب علمهم النظرى ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه .

رابعاً : ليكن واضحا ـ أيضاً ـ أن الدين الإسلامى معايشة يومية اجتماعية . وهذا يتطلب إكساب الطلاب قدرات على فهم مشكلات العصر وتعقيدات الحياة الاجتماعية وصعوبات الممارسات اليومية ، إلى جانب إكسابهم قدرات على إقناع الناس بكيفية مواجهتها بطريقة إسلامية سليمة ، حتى لا يتمزق الفرد بين كلمات دينية يسمعها وبين واقع يومى يناقضها . وهذه الخطوة تتطلب تعاوناً كاملا بين كل الجهات المسئولة فى المجتمع الإسلامى ، سواء كانت إعلامية أو ثقافية أو تربوية أو دينية .

ولنتذكر أن أحد الأسباب الرئيسية لضعف الدعوة الإسلامية هو الانفصام القائم بين المنابر ودعاتها والحياة الاجتماعية ومجرياتها . فداخل المساجد يسمع الناس كلاماً قد يكون مؤثراً ، ولكنهم يخرجون إلى الواقع بعد الخطبة ليجدوا أنفسهم فى مواجهة ضغوط تفوق تحملهم ، فيتبخر ما يسمعون ، ويصبحون كما يمسون .

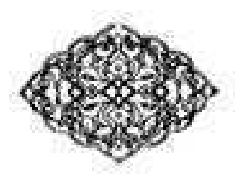
خامساً : ليكن واضحا كذلك أن الداعية جزء لا يتجزأ من مجتمعه ، ولا يستطيع أن يفصل نفسه عن محيطه بكل تأثيراته ، وعلى ذلك ، فنحن لا نستطيع أن نأمل خيرا فى داعية ، إلا إذا كان قادرا على أن يقول ما يؤمن به فعلا . فإذا كان ينادى مثلا بالصبر وقوة التحمل فى مواجهة ظروف معينة ، فعليه أن يكون مؤمناً بإمكانية تحقيق ذلك ، وليس مجرد ترديد كلمات يدعو إليها الدين . فالناس فى هذا العصر يعيشون ضغوطا لم تعرفها الناس فى العصور السابقة ، حتى شاع بينهم ما يعرف بأمراض العصر . فكيف يدعو إلى الصبر ، وهو يعلم صعوبة تحقيق ذلك فى نفسه أو أن المجتمع الذى يعيش فيه يعلم عنه جزعه وعدم صبره على الشدائد ، أو كيف يدعو إلى « بر الوالدين » ومجتمعه يعلم عنه مبلغ إهانته لوالديه ؟

إن هذا يتطلب أن يتعلم الداعية المرونة فيما يطلب والمرونة فيما يدعو إليه وليكن قدوة قبل كل شىء ، فإذا أراد أن يطاع ، فليأمر بما يستطاع .

إن الدعوة الدينية تحتاج إلى دعاة ذوى أفق واسع وفكر خصب ورؤية عملية ، يستطيعون بها أن يفهموا جيدا ويستوعبوا جيدا ويطبقوا علمهم بطريقة عملية متوافقة مع ظروف الحياة ومتطلباتها . وهذه الحاجة يمكن إكسابها للطلاب خلال دراستهم على أيدى أساتذة تتوافر فيهم هذه الصفات جميعها .

إن هذه الخطوات جميعها هدفت إلى توفير المناخ المناسب والظروف الملائمة لإعداد دعاة موهوبين ومستعدين لأن يكونوا مؤثرين ومقنعين . وما أحوج الدعوة الإسلامية فى هذا العصر إلى أمثال هؤلاء الدعاة الذين عمر بهم تاريخ الدعوة الإسلامية .

ولاشك أن كل ما يبذل لإعدادهم تفرضه ضرورات الحياة الاجتماعية ، وتبرره ضغوط الحياة العصرية ، وتدعو إليه تحديات المواجهات العالمية .



الإفرازات الطبيعية عند المرأة بين الطهارة والنجاسة

للدكتورة : فاطمة بنت عمر بن محمد نصيف

مقدمة

الحمد لله الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، ومنحه عقلاً يهتدى به إلى الصراط المستقيم ، وأرسل لنا النبى الكريم محمد بن عبدالله رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم .. وبعد :

فإن الإفرازات المهبلية (رطوبة فرج المرأة) من الأعراض الشائعة عند معظم النساء والذى دفعنى إلى البحث فى هذه المسألة كثرة الشكاوى والأسئلة التى تردنى فيها ، فهى من المسائل المحيرة للمرأة لاختلاف الفقهاء فى الحكم عليها . فالحكم بنجاسة شىء معين يتعلق بالحكم على العبادة بالفساد أو البطلان وهو ـ أيضاً ـ حكم تكليفى لأنه يتضمن أمر الله لعباده بإبعاد المحكوم عليه بالنجاسة واجتنابه من جهة ، وتطهير ما أصاب الثوب والبدن ولو من غير قصد من المكلف ولا تعمد .

والمرأة المؤمنة حريصة على مرضاة الله ـ تعالى ـ وحريصة على قبول عبادتها وآكد هذه العبادات وأعظمها عند الله هى الصلاة والطهارة مطلوبة للصلاة وشرط من شروطها .

والمرأة المؤمنة تريد أن تعرف على وجه التحديد هل هذه الرطوبة نجسة تلحق بالبول والأذى ؟! أم هى طاهرة تلحق بالبزاق والمخاط ؟ وهل خروجها ينقض الوضوء ؟! .. إلخ .

ولأن هذه الإفرازات تنزل بصفة دائمة ومستمرة عند أغلب النساء ، ولا يمكن التحكم فيها(*) ، فكان لابد من توضيح الحكم الشرعى فى المسألة ، خاصة أن فقهاء السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ وأجزل لهم المثوبة ـ لم يتعرضوا لمعالجة هذه المشكلة بشكل قاطع ، بل إن أنظارهم مختلفة فى الحكم عليها بالنجاسة وتنجيس ما تلاقيه هذه الرطوبة .

ومن خلال مراجعتى كتب الفقه لم أجد جواباً شافياً كافياً فى هذه المسألة ، فقررت أن أبحث فى هذا الموضوع مستعينة بالله ، محاولة الوصول إلى الحكم الصحيح عن طريق الأدلة الصحيحة ، عوناً للنساء وإنقاذاً لهن من الحرج الذى تسببه لهن هذه الإفرازات خاصة فى أماكن العبادة كالحرمين والمساجد ، وأوقات العبادة كالطواف حول البيت والصلاة خاصة عند عدم القدرة على التطهر إذا لزم الأمر لعدم توفر دورات مياه مناسبة قريبة من أماكن العبادة أو لصعوبة الوصول إليها فى أغلب الأحيان .

والله أسأل أن يكون هذا البحث خير عون لهن على أداء العبادات على الوجه الصحيح المطلوب ، وبنفس مطمئنة للحكم الصحيح بالدليل الصحيح ، وأسأله أن يلهمنى الصواب ويرزقنى فهم كتابه وسنة نبيه والعمل بها .

فاللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم .

الباحثة

تعريفات :

الإفرازات الطبيعية هى سوائل يفرزها مهبل المرأة فى الأحوال العادية ، ويطلق عليها الفقهاء (رطوبة فرج المرأة) ولا يقصد بها المنى ولا الودى ولا المذى . وهى إفرازات تنزل عند أغلب النساء بصفة مستمرة ودائمة ، ولكنها تختلف من امرأة لأخرى من حيث الكمية فقط . وهى شائعة لدى النساء ثيبات وأبكاراً .(1)

التعريف الفقهى :

عرفها الفقهاء بتعريف الإمام النووى ـ يرحمه الله ـ حيث يقول : (رطوبة فرج المرأة هى ماء أبيض متردد بين المذى والعرق)(2) .. (يخرج من باطن الفرج أى من داخل الفرج)(3) .



(*) إذا كان ذلك كذلك وكانت الإفرازات دائمة ومستمرة ولا يمكن التحكم فيها كانت اولئك النسوة من اهل الأعذار اللاتى تنطبق عليهن احكام اهل الأعذار .

(1) Comprehensive Gynecology page 46 and 171.

(2) النووى ، محيى الدين بن شرف ، المجموع شرح المهذب ويليه فتح العزيز للرافعى والتلخيص الحبير لابن حجر ، جـ ٢ ، شركة كبار علماء الأزهر ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(3) ابن عابدين ، محمد امين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار ، ص ١٥٤ دار الطباعة العامرة سنة ٣٠٧ هـ .

التعريف الطبى (٤) :

إن مصدر الإفرازات المهبلية الطبيعية الرئيسية هى :

١ ـ الغشاء المبطن للمهبل وهو سائل خفيف شفاف .

٢ ـ عنق الرحم فى أعلى المهبل وإفرازه شفاف لزج وغامض .

ومهمة هذه الإفرازات منع جفاف القناة المهبلية ، وهى إفرازات نقية لا رائحة لها تظهر فى غير أوقات الحيض ، وتتغير كميتها من وقت لآخر ، كما يتراوح لونها بين الشفاف والأبيض ولها مسببات عديدة ، الطبيعية منها والمرضية .

وتعتبر مرضية فى الحالات التالية :

١ ـ إذا زادت كميتها بشكل ملحوظ .

٢ ـ إذا أصبحت لها رائحة غير مقبولة .

٣ ـ إذا اصفر لونها وأصبحت كالحليب المتخثر .

ومن التعريفات السابقة يتحدد لدينا مصدر هذه الإفرازات وهى جدار المهبل الداخل لأن هذا الوصف أو التعريف يفيد كثيراً فى الحكم على هذه الرطوبة والتى هى من صلب البحث .

مدخــل :

اتفق الفقهاء على انتقاض الوضوء بما خرج من السبيلين إن كان معتاداً ، واختلفوا فيما يخرج نادراً . فقال الأئمة الثلاثة (الشافعى وأحمد وأبو حنيفة) أنه ينقض الوضوء ، ولم يوجب (مالك) الوضوء فى هذا الضرب .

وقد أشارت كتب الفقه إلى ذلك(٥) . جاء فى المغنى ما نصه : « والذى ينقض الطهارة ما خرج من قبل أو دبر معتاد ، وجملة ذلك أن الخارج من السبيلين على ضربين معتاد : كالبول والغائط والمنى والمذى والودى والريح ، فهذا ينقض الوضوء إجماعاً . ودم الاستحاضة ينقض الطهارة فى قول عامة أهل العلم إلا فى قول ربيعة . والضرب الثانى نادر كالدم والدود والحصى والشعر فينقض الوضوء أيضاً . ولم يوجب مالك الوضوء فى هذا الضرب لأنه نادر أشبه الخارج من غير السبيل » .

ولهذه الأسباب اضطربت أقوال الفقهاء فى الحكم على رطوبة فرج المرأة بين الطهارة والنجاسة فمنهم من اعتبرها من الخارج من السبيلين ، فأعطاها حكم النجاسة ، وأنها ناقضة للوضوء

---

(٤) (الدكتور) عرب . هشام استشارى امراض النساء وطب الاجنة بمستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة ، مقال بعنوان (الإفرازات المهبلية) .

(٥) الكاسانى . علاء الدين ابى بكر المسعود . بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع . جـ ١ . ص ٢٤ . الطبعة الثانية . ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م . دار الكتاب العربى . بيروت .

وابن قدامة . موفق الدين . المغنى . جـ ١ . ص ٢٣٠ . الطبعة الأولى . ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م . دار هجر للطباعة والنشر . القاهرة .

وابن عبد البر النمرى القرطبى . الكافى فى فقه اهل المدينة المالكى . جـ ١ . كتاب الوضوء . ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م .

والخطيب . محمد الشربينى . مغنى المحتاج إلى معرفة معانى الفاظ المنهاج على متن المنهاج لابى زكريا يحيى بن شرف النووى . جـ ١ . ص ٣٢ . ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م . مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى . القاهرة .

لقوله تبارك وتعالى فى آية الأمر بالوضوء : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾ (المائدة - ٦) (النساء - ٤٣) وقول الرسول (ﷺ) : « لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ » [٦] فاستندوا فى الحكم على المخرج .

فما هو مخرج هذه الرطوبة ؟!

هل هو أحد السبيلين ؟! أم هو مخرج ثالث والذى أطلقوا عليه « مخرج الولد » .

وكان ملخص ما وصلوا إليه :

١ - اتفق الفقهاء على أن الدبر من الرجل أو المرأة أحد السبيلين .

٢ - اتفقوا على أن مخرج البول من المرأة هو السبيل الثانى .

٣ - اختلفوا فى مخرج الولد من قبل المرأة هل هو من السبيل الثانى أو لا ؟

وانقسموا إلى فريقين :

١ - الفريق الأول :

وهو رأى جمهور الفقهاء أن مخرج الولد من السبيل الثانى ، ومن أقوالهم فى ذلك قول الشافعية « والتنبيه بالسبيلين إذ للمرأة ثلاثة مخارج اثنان من قبل وواحد من دبر ولشموله كما لو خلق له ذكران ، فإنه ينتقض الخارج من كل منهما ، وكذا لو خلق للمرأة فرجان» [٧] . وقولهم : « والذى ينقض الوضوء خمسة أشياء أحدها ما خرج من أحد السبيلين أى من قبل المتوضىء الحى الواضح ولو من مخرج الولد » [٨] .

وقول الحنفية : « وأما بيان ما ينقض الوضوء .. فالذى ينقضه الحدث وهو خروج النجس من الآدمى الحى سواء كان من السبيلين الدبر والذكر أو فرج المرأة » [٩] .

واختلفت أقوال الحنابلة فى هذه المسألة فكان بعضهم من **الفريق الأول** ، مثل ابن قدامة « وقد نقل صالح عن أبيه فى المرأة يخرج من فرجها الريح ؟! ما خرج من السبيلين ففيه الوضوء »[١٠] وكذلك ابن القاسم العاصمى النجدى فى حاشية الروض المربع .

٢ - الفريق الثانى :

ذهب إلى « أن السبيلين هما مخرج البول والغائط » وهم طائفة من فقهاء الحنابلة منهم البعلى فى المطلع [١١] ، وابن مفلح فى المبدع [١٢] وصاحب الروض المربع [١٣] حيث قال : « ينقض الوضوء ما خرج من سبيل أى مخرج بول

---

(٦) رواه البخارى فى كتاب الوضوء باب لا تقبل صلاة من غير طهور ، جـ ١ ، ص ٤٦ .

(٧) الهيثمى ، أحمد بن حجر ، حواشى الشروانى وابن القاسم العبادى على تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، م ١ ، ص ١٣٠ .

(٨) الخطيب ، محمد الشربينى ، مغنى المحتاج إلى معرفة المنهاج ، جـ ١ ، ص ٣٢ .

(٩) الكاسانى ، علاء الدين ابى بكر بن مسعود ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

(١٠) ابن قدامة ، موفق الدين ، المغنى ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ .

(١١) البعلى ، محمد بن ابى الفتح ، المطلع على ابواب المقنع ، ص ٢٣ ، المكتب الإسلامى الطبعة الأولى ، بدمشق ، ١٣٨٥ هـ .

(١٢) ابن مفلح ، إبراهيم بن محمد ، المبدع شرح المقنع ، جـ ١ ، ص ١٥٥ ، ١٣٩٣ هـ ، المكتب الإسلامى ، بيروت .

(١٣) الحجاوى ، شرف الدين ابو النجا ، الروض المربع ، جـ ١ ، ص ٢٤ ، الطبعة السادسة ، دار الفكر ، القاهرة .

أو غائط » وتبعهم من المحدثين سعدى أبو جيب فى القاموس الفقهى .(١٤)

تعقيب وترجيح :

إن قول الفريق الأول مخالف للحقيقة العلمية التشريحية . ولذا يترجح عندى قول الفريق الثانى الذى يقول إن المهبل مخرج ثالث غير السبيلين ، وأن السبيلين إنما يقصد بهما مخرج الغائط والبول فقط للأسباب الآتية :

١ ـ إن السبيلين منصوص على نجاسة ما يخرج منهما والعلة فى ذلك واضحة وهى : أن فتحة الشرج « مخرج الغائط » متصلة بمصدر النجاسة (المستقيم ـ القولون ـ الأمعاء الغليظة) حيث توجد فضلات الإنسان ، ومخرج البول متصل بمصدر النجاسة فى « المثانة » .

أما فرج المرأة من الداخل (المهبل) فهذا غير متصل بهذين المصدرين بل منفصل عنهما تماماً ، وبالتالى فهو بعيد عن النجاسة لأنه لو اتصل بأحد السبيلين لترتب على ذلك حكم جديد حيث تصبح المرأة (مفضاة) بتعبير ، الفقهاء ، أى مختلطة السبيلين(١٥) . وهى حالة مرضية اسمها Fistula

ويظهر ذلك بوضوح فى الرسم التشريحى المرفق حيث نرى مخرج البول ومخرج الولد منفصلين عن بعضهما تماماً ، ولا يمكن قياس أحدهما على الآخر ، فالأول متصل بمصدر النجاسة والآخر متصل بالرحم .

٢ ـ إن الرحم لا يكون نجساً إلا فى حالات معينة كالحيض والنفاس . أما فى بقية الأوقات فهو طاهر بنص القرآن ، ولذلك حرم الله الجماع فى حالة الحيض قال تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾

(البقرة ـ ٢٢٢)

وهذه الآية تفيد أن المباشرة الزوجية يجب أن تتم فى موضع طاهر ، وبعد أن يطهر تماماً لو طرأت عليه نجاسة لقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ (البقرة ٢٢٢) .. إلخ .

٣ ـ يؤيد القول بطهارة الرحم وما يتصل به أن الشارع حرم إتيان الزوجة فى دبرها « السبيل الأول » مخرج الغائط لأنه سبيل نجس ، وذلك بأحاديث صحيحة صريحة فى هذا الباب .

أورد أبو داود فى سننه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ملعـون من أتى امرأتـه فى دبرها »(١٦) .

قال (ﷺ) : « إن الله لا يستحى من الحق ، لا تأتوا النساء فى أعجازهـن »(١٧) رواه ابن ماجة . وقال (ﷺ) : من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد »(١٨) أخرجه أبو داود فى السنن .

(١٤) أبو جيب ، سعدى ، القاموس الفقهى ، مادة س ب ل .

(١٥) ابن عابدين ، محمد أمين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار ، ص ١٥٤ .

(١٦) سنن أبى داود حديث رقم ٢١٦٢ .

(١٧) رواه ابن ماجه وأحمد والبيهقى وصححه الألبانى فى إرواء الغليل ، جـ ٧ ، ص ٦٥ .

(١٨) أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وصححه الألبانى فى إرواء الغليل ، جـ ٧ ، ص ٦٨ .

كما ورد فى الحديث أيضاً قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها »[١٩] والأحاديث واضحة الدلالة فى تحريم الجماع مع وجود النجاسة ؛ ولذا فإنه حرم الجماع فى الدبر على الإطلاق ؛ لأن النجاسة لا تنفك عنه ، وحرم الجماع فى قبل المرأة « مخرج الولد » حين تطرأ عليه النجاسة فترة الحيض والنفاس . وهذه أدلة كافية توضح تحريم الجماع مع وجود النجاسة للأضرار المترتبة عليها .

٤ ـ يؤكد ذلك ما ورد فى القرآن الكريم فى معرض قصة قوم لوط :

﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾

(النمل ـ ٥٦) فدل على أن مسلك الذكر « فرج المرأة » طاهر . وإتيان الذكور فى أدبارهم نجاسة لأنه يتم فى موضع نجس ، ولذلك وصف هؤلاء الشُذّاذ المؤمنين بالطهارة .

ويتضح بذلك أن الفرق بين المهبل « مخرج الولد » والسبيلين كبير وواضح ، والله أعلم .

٥ ـ من الفقهاء من اعتبر نجاسة الإفرازات بسبب اتصال المهبل « الفرج الداخل » بالرحم أمثال ابن عقيل[٢٠] وقال أبو الحسن قياس المذهب النقض بالريح من قبل المرأة دون الرجل ، وعلله ابن عقيل لأن قبلها متنفذ إلى الجوف بخلاف الرجل » . فإذا قصد بالجوف موضع النجاسات فى الإنسان فهذا غير صحيح ، كما بينت سابقاً .

وإذا أراد بذلك رحم المرأة ، فرحم المرأة طاهر إلا فى حالات تطرأ عليه كالحيض والنفاس . ففيه يتم خلق جنين الإنسان ، وفيه ينمو ويتغذى ويكبر . فلو كان نجساً لترتب عليه حكماً ، وهو نجاسة الولد الخارج والذى نما فى الرحم لأن الحنابلة يحكمون بالنجاسة لكل ما تولد عنها . جاء فى المغنى[٢١] « ما يتولد عن النجاسة كدودة الحش وصرصاره فهو نجس حياً وميتاً » .

والآدمى وولده ليس كذلك . وقد نص الحنابلة على طهارة الآدمى حياً أو ميتاً[٢٢] لقوله (ﷺ) : « سبحان الله إن المؤمن لا ينجس[٢٣] » رواه البخارى ومسلم .

ولذلك يرجح القول بطهارة منى الآدمى . وحتى لايتعارض القولان : القول بأن الرحم نجس مع القول أن مايتولد عنه طاهر ، لابد أن نعتبر أن الرحم طاهر فى الحالات العادية ، وما يتولد عنه طاهر حيث ينقطع نزول دم الحيض فترة تخلق الجنين داخل الرحم ، وبالتالى يكون المهبل « الفرج الداخل للمرأة » طاهراً لأنه متصل بالرحم الطاهر إلا فى الحالات التى ذكرتها آنفاً .

وهذا ما أشار إليه البعلى[٢٤] فى المطلع حيث

---

(١٩) ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزوينى ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، جـ ١ ، ص ٦١٩ فى كتاب النكاح ، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م ، دار إحياء التراث العربى .

(٢٠) ابن مفلح ، إبراهيم بن محمد ، المبدع فى شرح المقنع ، جـ ١ ، ص ١٥٦ .

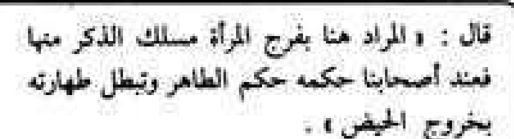
(٢١) ابن قدامة ، موفق الدين ، المغنى ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٢٣) ابن حجر ، أحمد بن على ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مجلد ١ ، ص ٣٩٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر .

مسلم ، الحجاج القشيرى ، صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٣ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(٢٤) البعلى ، محمد بن أبى الفتح ، المطلع على أبواب المقنع ، ص ٣٩ .


قال: « والمراد هنا بفرج المرأة مسلك الذكر منها فعند أصحابنا حكمه حكم الظاهر وتبطل طهارته بخروج الحيض ».

حكم الفقهاء على هذه السوائل:

ولمناقشة هذه المسألة لابد من التعرف أولاً على الرطوبات الخارجة من البدن، وهي على نوعين:

١ - رطوبات تخرج من البدن بشكل دائم كالعرق واللعاب والمخاط والصفة العامة لهذه الرطوبات الثلاث أنها كلها طاهرة بالاتفاق. ولو جعل الشارع هذه الرطوبات نجسة لوقع الناس في الحرج.

٢ - رطوبات تخرج من البدن بشكل غير دائم كالبول والغائط والمني والوذي والدم والقيح ونحو ذلك كلها نجسة. ما عدا المني عند من قال بطهارته[٢٥].

اضطربت أقول الفقهاء الأجلاء في الحكم على رطوبة الفرج هل هي من جنس العرق؟ أم من جنس المذى؟ ويبدو ذلك واضحاً في تعريف الإمام النووي لها وانقسموا إلى فريقين:

الفريـق الأول:

من قال بنجاستها أبو يوسف ومحمد بن الحنفية وهو المفتى به في مذهبهم. وهو مذهب الشافعية المفتى به والمالكية. وهو أحد القولين عند الحنابلة. وأدلتهم:

١ - القياس على الخارج من السبيلين إذ رطوبة الفرج رطوبة خارجة من السبيلين، وكل ما خرج من السبيلين من الرطوبات فهو نجس، فالبول والغائط والمذي والودي والدم كلها نجس؛ لأنها متولدة من محل نجس[٢٦] فكانت نجسة وهي تقاس على المذي بخاصة، ولأنها لا يخلق منها الولد، ولذلك استثنى المني من حكم النجاسة عند من يقول بطهارته؛ لأنه يخلق منه الولد[٢٧].

٢ - ما رواه البخاري ومسلم[٢٨] عن أبي بن كعب - رضي الله عنهما - أنه قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الرجل يصيب من المرأة ثم يكسل، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: يغسل ما أصابه من المرأة ثم يتوضأ ويصلي.

٣ - سأل زيد بن خالد الجهني عثمان بن عفان عن الرجل يجامع ولا ينزل فقال ليس عليه إلا الوضوء، وقال عثمان: أشهد أني سمعت ذلك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[٢٩] وما أمره بغسله إلا لنجاسة فيه، فدل ذلك على نجاسة رطوبة فرج المرأة.

---

(٢٥) شهاب الدين المصري، عمدة السالك وعدة الناسك، ص ٤١، مكتبة الغزالي، ١٣٩٨ هـ، دمشق.
(٢٦) ابن قدامة، المغني، جـ ١، ص ٦٢.
(٢٧) المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٩٩.
(٢٨) العيني، بدر الدين محمد بن أحمد، عمدة القارى شرح صحيح البخارى، جـ ٣، ص ٢٤٧، دار إحياء التراث العربي.
(٢٩) المصدر السابق، ص ٢٤٩.

الفريق الثانى :

من قال بطهارتها وهو قول أبو حنيفة ـ يرحمه الله ـ : « إن رطوبة الفرج طاهرة »[٣٠] وقول مرجوح عند المالكية ، فقد ورد عنهم « العلقة والمضغة ورطوبة فرج المرأة طاهر »[٣١] ، وهو المفتى به فى مذهب الحنابلة ، وقد ذكر صاحب الروض المربع[٣٢] تحت باب إزالة النجاسة الحكمية ما نصه « ورطوبة فرج المرأة وهو مسلك الذكر طاهر كالعرق والريق والمخاط » وهو أحد قولى المغنى[٣٣] ، وبعض الشافعية منهم البغوى والرافعى[٣٤] وقال (الأصح الطهارة) ونص الشافعى[٣٥] ـ رحمه الله ـ فى بعض كتبه على طهارة رطوبة الفرج .

وأدلة الفريق الثانى :

١ ـ قاسوا هذه الرطوبة على سائر رطوبات البدن المعتادة . وهو أولى من قياسها على البول والغائط ونحوهما ، وأولى من قياسها على المذى . وهو ماأشار إليه ابن قدامة فى كتابه المغنى[٣٦] ولأننا لو حكمنا بنجاسة فرج المرأة ، لحكمنا بنجاسة منيها لأنه يخرج من فرجها فيتنجس برطوبته » .

٢ ـ دليل عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت تفرك المنى من ثوب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٣٧] « وهو منى من جماع لأن الأنبياء لا تحتلم »[٣٨] وهو فى خروجه قد لاقى رطوبة الفرج ، ولو كانت هذه الرطوبة نجسة لتنجس المنى ولما كفى فى التطهير منه الفرك .

تعقيب وترجيح :

بعد استعراض آراء الفريقين وأدلتهم أرجح رأى الفريق الثانى للأدلة التى ذكروها والتى توافق المبادىء العامة فى أحكام الطهارة .

أما أدلة الفريق الأول والذين قاسوا الرطوبة على الخارج من السبيلين فهو قياس غير صحيح للأسباب التى تقدم ذكرها فالفرج الداخل (المهبل) ليس من السبيلين ، فالحكم بنجاسة كل ما خرج من السبيلين على البول والغائط صحيح لأنه لا يسلم من النجاسة ، أما ما خرج من غير مخرجى البول والغائط فلا يأخذ حكمها إلا ما نص الشرع على نجاسته كالمذي .

٢ ـ الأحاديث التى أوردوها كأدلة ذكرها البخارى تحت باب « غسل ما يصيب من رطوبة فرج المرأة » منسوخة بحديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل »[٣٩] ، وبالتالى يسقط الاستدلال بها .

---

(٣٠) ابن عابدين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .
(٣١) شهاب الدين المصرى ، عمدة السالك ، جـ ١ ، ص ٥٤ .
(٣٢) الحجاوى ، شرف الدين ابوالنجا ، الروض المربع ، ص ٣٢ .
(٣٣) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ٢ ، ص ٤٩١ .
(٣٤) النووى ، شرف الدين ، المجموع شرح المهذب ، جـ ٢ ، ص ٥٧٠ ، سنة ١٣٤٤ هـ ، شركة العلماء ، مطبعة التضامن
(٣٥) المصدر السابق .
(٣٦) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ٢ ، ص ٤٦١ .
(٣٧) ابن حجر ، احمد بن على العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ ، دار الفكر .
(٣٨) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ٢ ، ص ٤٩١ .
(٣٩) العينى ، بدر الدين محمد بن احمد ، عمدة القارىء شرح صحيح البخارى ، جـ ٣ ، ص ٢٤٧ .

وعموماً فإن الحديثين لم يعالجا المشكلة ، فالغسل المأمور به فى قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ » و« يغسل ذكره ويتوضأ » قد يكون من مذي المرأة الذى حدث نتيجة المداعبة والمجامعة والمذي منصوص على نجاسته .

وعا يؤيد رأى الفريق الثانى الأدلة الآتية :

١ ـ إن من القواعد الثابتة فى الفقه الإسلامى أن الأصل فى الأشياء الحل والطهارة وأن الحكم بنجاسة شىء معين يحتاج إلى دليل شرعى قوى يفيد غلبة الظن على أقل تقدير حتى لا يتصادم مع القاعدة الثابتة وهى (الأصل فى الأعيان الطهارة) وهو ما قاله ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ « أن الأصل فى الأعيان الطهارة فيجب القضاء بطهارته حتى يحيثنا ما وجب القول بأنه نجس »[٤٠] فيبقى على الأصل الصحيح الطهارة حتى يرد دليل صحيح بالنجاسة .

٢ ـ إن هذه السوائل مما عمت به البلوى بين النساء ، فلو كانت نجسة لبينها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ[٤١] « إن كل ما لا يمكن الاحتراز عن ملابسته معفو عنه » . ومعلوم أن رطوبة الفرج لا يمكن التحكم فى نزولها ولا الاحتراز منها ، وإن حاولت المرأة تحاشيها سببت لها مشقة . وما كان شأنه كذلك فإنه يحكم بطهارته تيسيراً على العباد لقوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج ـ ٧٨)

٣ ـ أما من قاس « رطوبة الفرج » على المذي لأنهما يخرجان من نفس المخرج كالقاضى عياض ـ يرحمه الله ـ حيث قال : (ما أصاب منه أى ما يخرج من فرجها فى حال الجماع فهو نجس ؛ لأنه لا يسلم من المذي وهو نجس)[٤٢] ، فهذا غير صحيح لأن المذي متفق على نجاسته ، أما الرطوبة فمختلف فيها . وقد رد ابن قدامة رأى القاضى بقوله : « ولا يصح هذا التحليل فإن الشهوة إذا اشتدت خرج المني دون المذي كحال الاحتلام »[٤٣] .

كما لا يجوز قياس هذه الإفرازات على المذي لسببين :

(أ) لأن المذي لا يخرج عادة إلا عند تحرك الشهوة ، أما رطوبة الفرج فهى موجودة بشكل دائم ، وبدون شهوة .

والشهوة فى الشريعة كما هو معلوم لها أثر فى كثير من الأحكام كاللمس بشهوة للمحرم حيث يوجب الدم ، وللمتوضىء ينقض الوضوء ، وللمعتكف يفسد الاعتكاف ، واللمس بدون شهوه لايفسد شيئاً من ذلك .

---

(٤٠) ابن تيمية ، تقى الدين الحرانى ، مجموعة الفتاوى ، مجلد ٢١ ، ص ٥٤٢ ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدنى ، القاهرة .
(٤١) المصدر السابق .
(٤٢) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ .
(٤٣) نفس المصدر السابق .

وهذه الرطوبة التى قصدتها فى بحثى هى التى تنزل فى الأحوال العادية بغير شهوة فلا تأخذ حكم المذي .

(ب) إن طبيعة رطوبة الفرج غير طبيعة المذي ، فالمذي قلوى ورطوبة الفرج حامضية[44] . ولذا فإن المذي يتدفق عند الإثارة الجنسيه ليعدل الوسط الحامضى للمهبل ليصبح وسطاً مناسباً للحيوانات المنوية « النطف » التى لا تعيش فى الأحماض ، ولما كانت الرطوبة شيئا مختلفا عن المذي فهى لا تأخذ حكمه فى النجاسة .

٤ ـ لا يمكن قياس هذه السوائل على من به سلس بول ولا على المستحاضة ؛ لأن هذه السوائل دائمة وطبيعية ، أما السلس والاستحاضة فحالة مرضية نادرة .

علماً بأن الفقهاء الأجلاء قد اختلفوا أصلاً فى الحكم على دم الاستحاضة ، فبعضهم قال بنجاسته ، وإن خروجه ينقض الوضوء ، كما تقدم فى كلام الأحناف ؛ لأنهم اعتمدوا على أن النبى أمر المستحاضة بالوضوء لكل صلاة .

وبعضهم قال بطهارته كالمالكية . فلم يجعلوا دم الاستحاضة حدثاً لكونه غير معتاد[45] . وهذا ما أرجحه ؛ لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد سمح للمستحاضة أن تصلى وتعتكف فى المسجد ، فلو كان دم الاستحاضة نجساً لما سمح لها ، فقد ورد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعتكف مع بعض نسائه وهى مستحاضة ترى الدم فربما وضعت الطست تحتها من الدم[46] .

أما تعليل أمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالوضوء فحتى تكون فى وضع لائق للصلاة .

بناء على ما تقدم فإن كل الدلالات والأدلة تفيد أن المهبل طاهر وكل ما يخرج منه طاهر إلا فى حالات سبق ذكرها .

ولكن سبب الإشكال أن المهبل فى المرأة هو مخرج لعدد من السوائل هى كالآتى :

١ ـ (ماء المرأة) أى : منيها إن صحت هذه التسمية وهو طاهر قياسا على ماء الرجل .

٢ ـ المذي إن كان لها مذي حيث إنه لم يرد نص يفيد أن لها مذياً وإنما ورد ما يخص الرجل .

والمعلوم أن سبب خروجه هو الشهوة ، وهو نجس وينقض الوضوء ، ويكون بسبب المداعبة والملاعبة أو التفكير فى الجماع وما إلى ذلك من المثيرات .

٣ ـ الإفرازات الطبيعية فى الحالات العادية :

إن طبيعة تركيب أعضاء المرأة التناسلية يجعل من المتعذر التفريق بينهم إلا بمعرفة الحالة المصاحبة لها عكس الرجل فإنه لا إشكال عنده لأن المنى يخرج منه متدفقاً ، والمذي يخرج لزجاً متسبباً .

(44) Comprehensive Gynaecology page 177.

(45) الكاسانى ، بدائع الصنائع ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

(46) ابن حجر ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، جـ ١ ، ص ٤١١ كتاب الحيض ، باب الاعتكاف للمستحاضة .

لذا فإننا إذا وضعنا قاعدة مراعاة الحالة المصاحبة لنزول السائل يصبح الحكم عليها سهلاً ، فإذا نزل منها (سائل) عند اشتداد الشهوة وبلوغها غايتها ، أو عند الجماع يكون هذا هو (الماء) الذى نص عليه الحديث عندما سألت أم سلمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (هل على المرأة غسل إن هى احتلمت ؟ .. فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : نعم إذا رأت الماء)(٤٧) .

وحكم هذا الماء طاهر قياسا على مني الرجل وخروجه يوجب الغسل وإذا نزل منها (سائل) عند المداعبة أو الملاعبة أو أى إثارة جنسية يطلق عليه (مذي) وهو نجس وخروجه ينقض الوضوء ، قياساً على مذي الرجل .

أما إذا نزلت منها سوائل فى الحالات العادية أثناء النهار أو الليل عند أدائها أعمالها المعتادة مثلاً أو عند أداء العبادات كالطواف والسعى والصلاة فهى طاهرة لعدم اقترانها بأى مثيرات .

والخلاصة أن السوائل الطبيعية طاهرة وخروجها لا ينقض الوضوء ولا توجب تطهير ما أصابها من البدن أو الثياب إلا إذا كان من باب النظافة الشخصية .

والله أعلم وهو الهادى إلى سواء السبيل .

إلى السادة الكتاب

نرجو من السادة الكتّاب مراعاة الآتى :

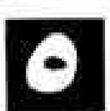
- كتابة المقال على الآلة الكاتبة ، على أن يرسل الأصل .
- تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الواردة فى مقالاتهم .
- إرسال الموضوعات التى تعالج مناسبة معينة قبل الموعد بمدة لا تقل عن شهرين حتى نتمكن من نشرها .
- إرفاق السيرة الذاتية مع مقالاتهم .

---

(٤٧) النووى ، شرح صحيح مسلم ، جـ ١ ، ص ٦٠٨ ، كتاب الحيض .

من قادة الخلفاء الراشدين





للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

يزيد .. قائداً لجند الشام

كتب عمر إلى يزيد بن أبي سفيان : « أما بعد فقد وليتك أجناد الشام كله ، وكتبت لهم أن يسمعوا لك ويطيعوا ، ولا يخالفوا لك أمراً ، فاخرج فعسكر بالمسلمين ، ثم سر بهم إلى قيسارية فأنزل عليها ، ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك ، فإنه لا ينبغى افتتاح ما افتتحتم من أرض الشام مع مقام أهل قيسارية فيها ، وهم عدوكم ، وإلى جانبكم ، وإنه لا يزال قيصر طامعا فى الشام مابقى فيها أحد من أهل طاعته ممتنعا ، ولو قد فتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام ، والله ـ عز وجل ـ فاعل ذلك به ، وصانع للمسلمين إن شاء الله »(١) .

فرد عليه يزيد بقوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فإن رأى أمير المؤمنين لأهل الشام كان رأيا أرشده الله فيه وأرشد به من أخذ به وبارك الله له ولأهل طاعته فيه . وإلى أخبر أمير المؤمنين أنا التقينا نحن وأهل

(١) الوثائق السياسية ص ٤٩١ .

قيسارية غير مرة ، وكل ذلك يجعل الله جدهم الأسفل وكيدهم الأخسر ويجعل الله الظفر عليهم . فلما رأوا أن الله قد أذهب ريحهم وأذلهم وأنزل عليهم الصغار والهوان ، وقتل صناديدهم وفرسانهم وملوكهم ، لزموا حصونهم وانحجزوا فى مدينتهم . فأطلنا حصارهم ، وقطعنا موادهم وميرتهم ، وضيقنا عليهم أشد الضيق . فلما جهدوا هزلا وأزلا ، فتحها الله علينا . والحمد لله رب العالمين . والسلام عليك ورحمة الله »[1] .

ـ فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى يزيد بن أبى سفيان . سلام عليك . فإنى أحمد إليك الذى لا إله إلا هو . أما بعد : فقد أتانى كتابك ، وفهمت ما ذكرته فيه من الفتح على المسلمين . فالحمد لله رب العالمين .

فاشكروا الله يزدكم ويتم نعمته عليكم . فإن الله قد كفاكم مؤنة عدوكم . وبسط لكم من الرزق ، ومكن لكم فى البلاد ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار . والسلام عليكم »[2] .

وأقبل يزيد بن أبى سفيان حتى نزل بدمشق . فلم يلبث إلا سنة حتى مات رحمه الله . فلما أثقل وأشرف على الموت ، كتب إلى عمر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإنى كتبت إليك كتابى هذا وأنا أظن أنى فى أول يوم من الآخرة ، وآخر يوم من الدنيا . فجزاك الله عنا وعن جميع المسلمين خيرا ، وجعل الله جنته لنا ولك مآبا ومصيرا ومقيلا . فابعث إلى عملك بالشام من أحببت . فأما أنا فقد استخلفت عليهم معاوية بن أبى سفيان .

ـ فلما أتى عمر ـ رضى الله عنه ـ كتابه جزع عليه جزعاً شديداً .

وكتب إلى معاوية بولايته على الشام ، وأقره عليها أربع سنين . فمات عمر ـ رضى الله عنه ـ ومعاوية على الشام »[3] .

وفاة خالد بن الوليد :

كان ذلك عام ٢١ هـ بقرية من قرى حمص وقال قوله الشهيرة : « لقد حضرت كذا وكذا وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وهأنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء » وأثر عنه قوله : « ماليلة يهدى إلى فيها عروس أو أبشر فيها بغلام بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو » .

وكان ـ رضى الله عنه ـ قد أوصى قبل وفاته : « إذا أنا مت فانظروا إلى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله ، فلما توفى خرج عمر فى جنازته وكانت النساء فى دار خالد يبكين ، فقيل له : « أرسل إليهن فانههن » فقال عمر : « وما عليهن

(١) المصدر السابق ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

أن ينزفن من دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن نقعا أو لقلقة »، وقال أيضا عندما سمع أم خالد تقول :

« أنت خير من ألف ألف من القو
م إذا مـاكبت وجوه الـرجـال »

فقال عمر : « صدقت والله إنه كـان لكذلك »[1] .

عمرو بن العاص فاتح مصر:

لما استكمل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فتح الشام ، بعث عمرو بن العاص إلى مصر وأردفه بالزبير بن العوام ، وفى صحبته بشر بن أرطأة ، وخارجة بن حذافة ، وعمير بن وهب الجمحى ، فاجتمعا على باب مصر ، فلقيهم أبو مريم كبير النصارى فى مصر ، ومعه الأسقف أبو مريام الذى بعثه المقوقس صاحب الاسكندرية للدفاع عن مصر ، فلما تقابل الطرفان تحدث عمرو بن العاص إلى أبي مريم وأبي مريام قائلا : « أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا ؛ إن الله بعث محمداً ـ ﷺ ـ بالحق وأمره به ، وأمرنا به محمد ـ ﷺ ـ وأدى إلينا كل الذى أمر به ، ثم مضى وتركنا على ـ الملة ـ الواضحة ، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظا لرحمنا منكم ، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ، ومما عهد إلينا أميرنا : استوصوا بالقبطيين خيرا ؛ فإن رسول الله ـ ﷺ ـ أوصانا بالقبط خيرا ؛ لأن لهم رحما وذمة » .

فرجع الرسولان إلى المقوقس بعد أن أمهلهما عمرو بن العاص ثلاثة أيام ، إلا أن (أرطبون) قائد جيوش الروم أبى الصلح ، وأصر على الحرب ، فقال نفر من أهل مصر . « ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى ، وقيصر وغلبوا على بلادهم » ودار قتال سقط خلاله (الأرطبون) قتيلا .

وحاصر المسلمون عين شمس ، وارتقى الزبير ابن العوام مع نفر من أصحابه أسوارها ، فلما أحس بهم أهل المدينة خرجوا إلى عمرو بن العاص ، طالبين الصلح ، وجاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ، وملتهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وصلبهم ، وبرهم ، وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ، ولا ينتقص ، ولا يساكنهم النوبة ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ماجنى لصوتهم ، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة ، وإن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى واختار الذهاب ، فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثا ، فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم ، على مافى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة

(١) البداية والنهاية ٧/١٢٥ : ١٣٠ .

أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ؛ على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير ، وعبد الله ، ومحمد إبناه ، وكتب وردان وحضر » .

فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم ، وقبلوا الصلح ، واجتمعت الخيول بمصر وعمرو الفسطاط وظهر أبو مريم وأبو مريام ، فكلما عمرا فى السبايا التى أصيبت بعد المعركة ، فأبى عمرو أن يردها عليهما ، وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه . فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب ، أمر أن كل سبى أخذ فى الخمسة أيام التى أمنوا فيها يرد ، وكل سبى أخذ ممن لم يقاتل ، وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سباياه ، وأن يخيروا من فى أيديهم من السبى بين الإسلام وبين أن يرجع إلى أهله فمن اختار الإسلام لا يردوه .

ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين ، وجمع السبايا وعرضوهم وخيروهم ، فمنهم من اختار الإسلام ومنهم من بقى على دينه ودفع الجزية .

ثم وجه عمرو جيشا لفتح الاسكندرية ، فضرب حولها الحصار ، حتى اضطر المقوقس إلى طلب الصلح ، وبعث عمرو بأخبار الفتح إلى عمر بن الخطاب مع الأخماس[1] .

أبو موسى الأشعرى :

ولاه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ على البصرة سنة ١٧ هـ وافتتح أصبهان والأهواز ، وكان ابن الخطاب قد كتب إلى أهل البصرة كتابا عند توليته عليهم جاء فيه : « أما بعد ، فإنى قد بعثت أبا موسى أميرا عليكم ، ليأخذ لضعيفكم من قويكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن ذمتكم ، وليحصى لكم فيئكم ، ثم ليقسمه بينكم ، ولينقى لكم طرقكم » .

على أن شهرة الأشعرى ومكانته فى التاريخ الإسلامى تعود أساسا إلى كونه واحدا من أشهر القضاة فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حيث كتب له الأخير كتابا يعرف باسم : « سياسة القضاء وتدبير الحكم » .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله : عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، سلام عليك ، أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس فى مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس ، إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك ، وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق لا يبطله شىء ، واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، الفهم الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، واعرف الأشباه والأمثال ، ثم قس الأمور بعد ذلك ، ثم اعمد لأحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى ، اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهى إليه ، فإن أحضر بينة أخذ

(١) البداية والنهاية ١٠٨/٧ : ١١٠ .

بحقه ، وإلا استحللت عليه القضاء . والمسلمون عدول فى الشهادة إلا مجلودا فى حد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ، إن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ عنكم بالبينات . وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فإن من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله ، أصلح الله مابينه وبين الناس ، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه الله ، فإن الله لا يقبل من عباده إلا ما كان خالصا ، فما ظنك بثواب من عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ؟ والسلام » .

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبى موسى كتابا آخر فى واجب الحاكم تجاه الرعية جاء فيه :

« أما بعد : فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثر نصيبك من الله ، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى . وأخيفوا الفساق واجعلوهم يدا يدا ، رجلا ورجلا ، وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح لهم بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملا . وقد بلغنى أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ، ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فإياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة ، مرت بواد خصيب ، فلم يكن لها هم إلا السمن ، وإنما حتفها فى السمن ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقى الناس به ، والسلام »[1] .

وكتابا آخر أورده وكيع فى أخبار القضاة[2] عن القطان بن سفيان بن أبيه قال : قرأت كتاب عمر ابن الخطاب لأبى موسى : لا تستقضين إلا ذا مال وذا حسب ، فإن ذا مال لا يرغب فى أموال الناس ، وإن ذا حسب لا يخشى العواقب بين الناس » .

وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب كتابا كان له أثره فى التاريخ الإسلامى ، إذ ترتب عليه وضع تقويم التاريخ الهجرى ، وجاء فى الكتاب : « إنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ » فجمع عمر الناس للمشورة ، فوضعوا التاريخ لهجرة المدينة وكان فى سنة ١٦ هـ[3] .

وكان أبو موسى ـ رضى الله عنه ـ أميا لا يعرف الكتابة ، فاستعمل من يكتب له ، وأملاه كتابا إلى عمر بن الخطاب ، فكتب : « من أبو موسى » بدلا من أن يقول : « من أبى موسى » فكتب عمر إلى أبى موسى : « إذا أتاك كتابى هذا فاضرب كاتبك سوطا ، واعزله عن عملك »

القاضى شريح :

الحارث بن قيس بن الجهم الكندى ، من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الإسلام ، ولى القضاء فى زمن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وظل عليه حتى استعفى زمن الحجاج بن يوسف الثقفى فأعفاه سنة ٧٧ هـ .

وقصة ولايته للقضاء أنه حدث أن ساوم عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بفرس فركبه ، فعطب فقال عمر للرجل صاحب الفرس : « خذ فرسك » فقال الرجل : « لا » قال : « اجعل بينى

(١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ١/ ١١
(٢) ١/ ٧٦ ، ٧٧
(٣) الطبرى ٢/ ١١٠

وبينك حكما ؛ قال الرجل : « شريح » فتحاكما إليه ، فقال شريح : « يا أمير المؤمنين حز ما ابتعت أو رد كما أخذت » ، فقال عمر : « وهل القضاء إلا هكذا ؟ سر إلى الكوفة (1) فبعثه قاضيا عليها ، وكان ذلك اليوم هو أول معرفة لعمر بشريح !

وكان شريح يقول للبينة إذا اتهمهم وقد عدلوا : « إنى لم أدعكما ، ولست أمنعكما إن قمتما ، وإنما يقضى على هذا أنتما ، وإنى إنما أتقى بكما فاتقيا على أنفسكما » فإذا أبوا إلا أن يشهدوا وقد عدلوا ، قال للذى يقضى له : « أما والله إنى لأقضى لك وإنى لأرى أنك ظالم ، ولكن لست أقضى بالظن ، إنما أقضى بما يحضرنى من البينة ، وما يحل لك قضائى شيئا حرمه الله عليك ، انطلق »[2] .

وكان لشريح ابن قال ذات يوم لأبيه : « إن بينى وبين قوم خصومة ، فانظر فإن كان الحق لى خاصمتهم ، وإن لم يكن لى الحق لم أخاصم » فقص قصته عليه ، فقال : « انطلق فخاصمهم » فانطلق إليهم ، فخاصمهم فقضى على ابنه ، فقال له لما رجع إلى أهله : « والله لو لم أتقدم إليك لم ألمك ، فضحتنى ، فقال : « يابنى ، والله لأنت أحب إلى من ملء الأرض مثلهم ، ولكن الله هو أعز على منك ، خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم ، فتذهب ببعض حقهم »[3] .

من تعليمات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لعماله :

« خذ الصدقة من المسلمين ، طهرة لأعمالهم ، وزكاة لأموالهم ، وحكما من أحكام الله ، العداء فيها حيف وظلم للمسلمين ، والتقصير عنها مداهنة فى الحق ، وخيانة للأمانة ، فادع الناس بأموالهم إلى أرفق المجامع ، وأقربها إلى مصالحهم ، ولا تحبس الناس أولهم لآخرهم ، فإن الرجز للماشية عليها شديد ، عليها مهلات ، ولا تسقها مساقا يبعد بها الكلأ ، وردها ، فإذا أوقف الرجل عليك غنمه ، فلا تعتم من غنمه ، ولا تأخذ من أدناها ، وخذ الصدقة من أوسطها ، ولا تأخذ من رجل إن لم تجد فى إبله السن التى عليه إلا تلك السن من شروى إبله ، أو قيمة عدل ، وانظر ذوات الدر والمخاض مما تجب منه الصدقة فتنكب عنها عن مصالح المسلمين فإنها مال حاضرهم ، وزاد مغربهم أو معديهم ، وذخيرة زمانهم ، ثم اقسم للفقراء ، وابدأ بضعفة المسكنة والأيتام والأرامل والشيوخ فمن اجتمع لك من المساكين فكانوا أهل بيت يتعاقبون ويتحاملون ، فاقسم لهم ما كان من الإبل يتعاقبوه حملهم ، وإن كان من الغنم امنحهم ، ومن كان فذا فلا تنقص كل خمسة منهم من فريضة أو عشير شيئا إلى خمس عشرة من الغنم »[4] .

كتب عمر بن الخطاب إلى عماله أن يوافوه بالموسم ، فوافوه ، فقام عمر خطيبا فقال : « أيها الناس إنى بعثت عمالى هؤلاء ولاة بالحق عليكم ، ولم أستعملهم ليصيبوا من أبشاركم ولا من دمائكم ولا من أموالكم ، فمن كانت له مظلمة عند أحد منهم فليقم أقيده منه ، وقد رأيت رسول الله - ﷺ - يقيد من نفسه »[5] .

ومن أوامره لجنود الفتح :

« لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا واتقوا الله فى الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب »[6] .

يتبع

(1) طبقات ابن سعد ٩١/٦

(2) المصدر السابق ٩١/٦

(3) المصدر السابق ٩٢/٦

(4) مصنف عبد الرزاق ٦٧٢٢

(5) الخراج لابى يوسف ص ١١٦

(6) سنن سعيد بن منصور ، القسم الثانى / ٢٦٢٥

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ

السيد العراقى شمس الدين

السؤال من الدكتور مهندس ح ـ الشيمى ـ القاهرة :

فضيلة الشيخ رئيس لجنة الفتوى بالأزهر :

زوجتى عند الحمل تعانى من التقيؤ فى اليوم أكثر من عشرين مرة ، ويستمر ذلك طوال مدة الحمل التسعة أشهر ، حتى أنها فى « الطفلة الأولى » أى الحمل الأول أصيبت بجفاف فى الأسبوع الأخير للوضع .. وفجأة حملت الزوجة مرة أخرى ، وأبقينا على هذا الحمل على الرغم من تكرار ماحدث فى الحمل الأول من القىء اليومى المستمر لأكثر من عشرين مرة ، وبشهادة الطبيب الثقة أن تكرار الحمل لهذه السيدة فيه ضرر عليها .. وقد ينعكس أيضا على الجنين .

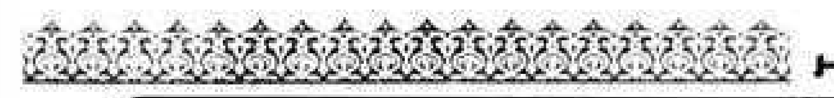
****

والسؤال : هل يباح بعد الوضع عمل ربط لهذه السيدة حفاظا على صحتها وتجنبا لمخاطر للجنين ، ونشكر لكم حسن تعاونكم .

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد فنفيد السائل أنه إذا كان الحال كما ذكر ، وكانت المشورة من طبيب مسلم عادل ثقة متخصص ، فإن الأولى بهذه الحالة بعد وضع الحمل ـ إن شاء الله ـ أن يتم استعمال وسيلة مؤقتة من وسائل تنظيم الحمل ، ويستمر فى سؤال الأطباء عن علاج ، فقد يتوصل الأطباء إلى علاج لهذه الحالة ، فلا نقع فى حرج ربط عنق الرحم ،



ومنع الحمل منعا دائما .. والله تعالى أعلى وأعلم .

****

السؤال من السيد/ مصطفى خالد سيد متولى ، يقول فيه :

توفيت زوجتى وأريد أن أتزوج أختها فهل علىّ من عدة وفاة وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد بأنه بموت الزوجة انقطعت الزوجية فلا مانع شرعا من أن يتزوج بأختها ، ولا عدة عليه فى هذه الحالة والله تعالى أعلم .

****

السؤال مقدم من السيد/ على فهمى عبد الله .

توفيت سيدة عن : عم الأب ، أولاد عم لأب ، عمة شقيقة ، فمن يرث وما نصيبه ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

فنفيد بأن التركة كلها للعم لأب تعصيبا ، ولا شىء لأبناء العم لأب لحجبهم بالعم لأب لأنه أقرب درجة ، كما أنه لا شىء للإناث من أولاد العم لأب ، ولا شىء أيضا للعمة الشقيقة لأنهن جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ محمد حسنين محمد حسنين ، يقول فيه :

١ ـ توفى رجل سنة ١٩١٧ عن أم ، زوجة ، أولاد ذكورا وإناثا .

٢ ـ توفى الابن وهو « على » سنة ١٩٤٤ ، عن أم ، وإخوة أشقاء ذكورا وإناثا .

٣ ـ سنة ٤٨ توفى « حسنين » عن أم ، زوجة ، أولاد ذكورا وإناثا .

٤ ـ سنة ١٩٦٤ توفيت الأم « ستيتة » تاركة أربع بنات ، أولاد ابن ذكورا وإناثا .

٥ ـ توفيت زوجة حسنين عن أولادها ذكورا وإناثا ، فمن يرث وما نصيبه ؟


الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد عن الأولى :

بأن للزوجة الثمن فرضا ، وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولادها تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن الثانى بأن للأم السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة والأخوات ، والباقى للإخوة الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن الثالث : بأن للأم السدس فرضا ،



وللزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى للأولاد تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن الرابع بأن للبنات الأربع الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى لأولاد الابن تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن الخامس بأن التركة كلها لأولادها تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، والله تعالى أعلم .

****

السؤال من السيدة/ ش ـ رقاعى تقول فيه :

ما حكم الشرع فى شاب يريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ، ولم يجتمعا على ثدى واحد ، ولكن شقيق الشاب رضع من أم الفتاة ، فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

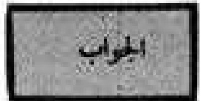
أما بعد :

فنفيد بأنه مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ، ولم يجتمعا على ثدى واحد ، فيجوز لهما الزواج ، ولا عبرة بأن شقيق الشاب رضع ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال ، والله تعالى أعلم .

****

السؤال من السيد/ ا ـ ى ـ ع عامر ، يقول فيه :

شاب خطب ابنتى ، وقدم لها شبكة ، وتم تحديد الفرح ، إلا أنه عدل عن الخطبة ، فما الحكم فى الشبكة ؟

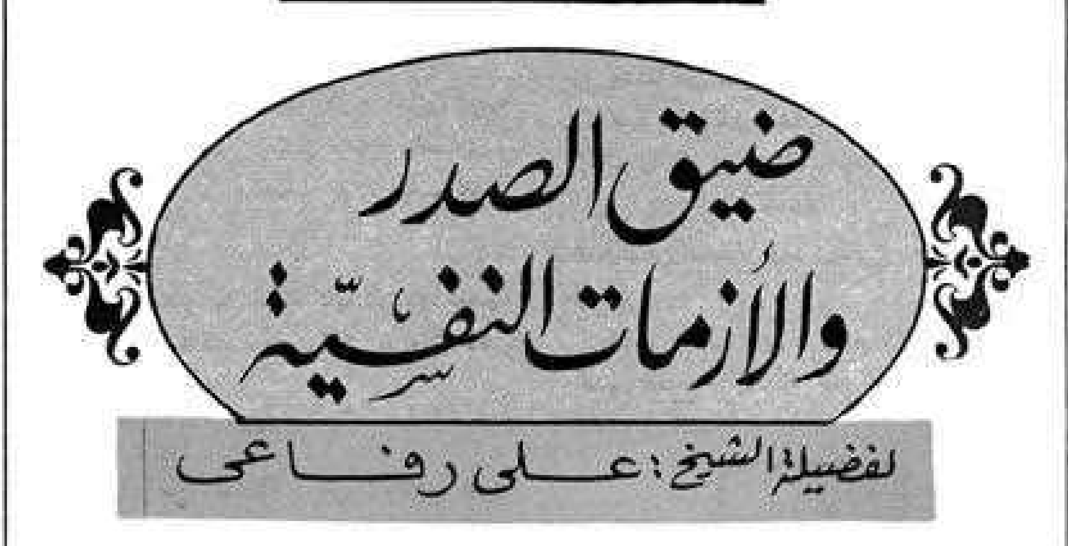


الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فنفيد بأن الشبكة تعتبر هدية ، وحيث إن الخاطب قد عدل عن الخطبة فإن الشبكة وكل ما قدمه الخاطب من هدايا تكون من حق المخطوبة لما أصابها من ضرر .

والرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا ضرر ولا ضرار » هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .





إعداد وتقديم:
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

جعل الله الإنسان خليفته فى الأرض ، وقد خلق لعمارتها وإصلاحها ، فالدنيا كما هى مليئة بالخير ، ففيها - أيضا - مايكدر الصفو ويحزن القلب .

والمسلم الحق هو الذى لا يستسلم لهذه المكدرات ولا يجزع ، فمن كثر جزعه كثرت زلته ، وعظمت علته ، وبعد أمله ، وحبط عمله ، وفى الإسلام وإرشاداته وتوجيهاته السلامة والأمن من كل بلاء وغم ، وذلك بالرضا والتسليم والصبر ، فمن قل صبره ، وعظم عليه أمره ضعف إيمانه ، ومن ضعف إيمانه حبط عمله ، وفى هذا يقول الكاتب - رحمه الله - :

إن ضيق الصدر وما يحدثه من ويلات ، وأزمات النفس وما تسببه من كوارث ونفاد الصبر ، وما ينتج عنه من بلاء وعناء ، كل أولئك من الأمراض الخطيرة التى كثيرا ما تؤدى بأصحابها إلى سوء المصير ، وتجعل حياتهم جحيما لا يطاق ،

ولما كان لكل داء دواء ، ولكل علة طريق يفضى إلى الشفاء ، والإنسان إن لم يعالج مرض جسمه هلك ، والنفس كالجسم إن مرضت تحتاج إلى علاج ، وعلاجها بدواء يناسبها ، وتركها بدون علاج يذبل زهرتها ويطفىء نورها ، لما كان الأمر

كذلك ، وجب علينا أن نبحث متلمسين طريق الخلاص من مرض ضيق الصدر وما يسببه للنفس من كآبة وحزن ، ونحن إذا تعرفنا على علة الداء ، أصبح من اليسير القضاء عليه قبل أن يستفحل ، ولقد قضى الحكيم العليم ، أن تكون الحياة ميدانا صاخبا بالهموم والأحزان ، حافلا بالرزايا والنوائب ، مائجاً بالآلام والأسقام ، تصطرع فيه النكبات ، وتتزاحم على أهله النازلات ، والإنسان بين ذلك فى جهد وتعب ، ومشقة ونصب ، خلقه الخالق العظيم وأراد به ذلك ، وفى هذا يقول ـ جل جلاله ـ :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾

(سورة البلد : ٤) .

سبحانك ربى علمت بحكمتك الأزلية فقضيت ولا راد لقضائك ، فلا يزال الإنسان فى شدائد ، فمن ظلمة الرحم ومضيقه إلى اصطراع فى الحياة وجهاد مرير ، ثم يعقب ذلك النازلة الكبرى ـ الموت الذى يضع حدا فاصلا بين معتركين ، معترك الحياة الدنيا والدار الآخرة ـ وللإنسان فى هذه الحياة آمال يرجو تحقيقها يحدوه الرجاء .

ويتملكه القلق ، لأمل ينشده ويخشى الحرمان منه ، أو لشر يحذره ويخاف وقوعه .. وقد يضيق صدره ، ويخيم الحزن على قلبه ، وتطير نفسه شعاعا لمحبوب فات نواله ، أو ضر نزل به ، وقد

يحدث ما نابه أو ما يتوهم أن تصيبه أزمة نفسية يغدو بها كئيبا كاسف البال ، يئوسا موزع النفس ، فتراه ميتا فى صورة الأحياء ، حياته شقاء ، وعيشه عناء ، موته راحة له من الآلام .

ولقد أدرك هذا المعنى وصوره أكمل تصوير من قال :

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

فالاستسلام لضيق الصدر والأزمات النفسية داء خطر يوهن النفس ويضعف القلب ، ويقنط من زوال الخطب ، فيشتد الكرب ، ويدوم الكمد ويستمر النكد ، فيجىء الغد كالأمس فى غمه وبلائه ، ويلازم النفس التشاؤم والتطير ، وينقطع الرجاء ، ويستعصى الخلاص ، وهذه جميعا بلايا لا تجلب خيرا ، ولا تدفع شرا ، ولا ترد فائتا ، ولا تحقق أملا ، وفى ذلك سوء الحال ، وشر المآل ، وفى الحكم المروية : من قل صبره وعظم عليه أمره ، وضاق عن حمل ما نزل به صدره فقد تبين كفره ، فلا يؤمن على من كان الجزع من شأنه أن يذهب بإيمانه .

ويقول بعض العلماء : من كثر جزعه كثرت زلته ، وعظمت علته ، وبعد أمله وحبط عمله ، وكفى مرض ضيق الصدر قبحا أن الانتحار أثر من آثاره ، وسيئة من سيئاته ، وهو بعد ليس من صفات العقلاء فى شىء ، فالمصاب به عقله مختل وقلبه معتل ، ونفسه مريضة فلا يليق بالإنسان الذى جعل خليفة فى الأرض وخلق لعمارتها وصلاحها أن يستسلم لهذا المرض الذى يقضى على المناعة ، وينغص الحياة ويهدم القوى ويحطم الأعصاب ويذيب الحيوية والنشاط ، ولنا فى

الأنبياء عليهم السلام أسوة وقدوة ، فهذا موسى عليه السلام لم يستسلم لضيق صدره ، حيث لا ينطق لسانه كما يريد ، فطلب من ربه الذى أرسله أن يعينه بأخيه هارون لأنه أفصح منه لسانا ، فلا تختل دعوته ولا تضعف حجته ، وفى ذلك شرح لصدره وتيسير لأمره ، قال :

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝ هَارُونَ أَخِي ۝ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ (سورة طه : ٢٥ - ٣٢) .

وفى آية أخرى قال الله - سبحانه - :

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴾ (سورة الشعراء : ١٠ - ١٣) .

ومن شرح الله صدره بالإسلام سهل عليه علاج نفسه من هذا المرض الخطير وسعد بالشفاعة ، وعليه فقط أن يبحث عن الطبيب الحاذق ، ويستعمل مايصفه من الدواء فسيجد السلامة فيه ، وطبيبه فى هذا إرشادات الإسلام ، فمن هديه الدعوة إلى الصبر والرضا بالقضاء والقدر ، وإحياء الرجاء فى السلامة ، والحياة الصحيحة بالعمل على ذلك ، وكل ذلك من شعب الإيمان .

ولقد حض القرآن الكريم على الصبر فى أكثر من سبعين موضعا ، وأضاف أكثر الدرجات والحسنات إليه ، وجعلها ثمرة له ، وطلب منا الاستعانة على كل أمورنا ، وما ينزل بنا بالصبر والصلاة ، قال الله - تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة : ١٥٣) .

فاستعن بالصبر ، وعالج أمرك بالروية والحكمة ، وحذار أن ينفد صبرك ، أو تعيا حيلتك ، فالرجل كل الرجل هو الذى يتخذ من الهزيمة فى أمر من الأمور مطية للانتصار فى محاولة مقبلة . والعاقل الأريب هو الذى ينتفع بأخطاء قد تقع منه فيتجنبها ويسير على نهج سوى ، ولا يستسلم لليأس فإنه قتّال للنفس ، مثبط للهمم ، جالب للهموم والأحزان .

وعلى من ضاق صدره لأمر من الأمور ، أن يتذكر أن أيامه فى هذه الدنيا معدودة وأنفاسه محدودة ، وأنه فى هذه الحياة ضيف ولابد من الرحيل ، فإذا أيقن بهذا ، فلماذا يكدر عيشه بضيق الصدر ، وينغص أيامه القصيرة بالأحزان والكآبة ، إن كان ذلك للمال فهو إلى زوال ، وإن كان لسعة الرزق فقد تكفل به الكبير المتعال ، وعلى كل حال فالدنيا إما نقمة نازلة ، وإما نعمة زائلة : أولها عناء ، وآخرها فناء ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، ومن صح فيها أمن ، ومن مرض فيها ندم ، ومن استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن ساعاها فاتته ، ومن تعد عنها أتته ، ومن نظر إليها أعمته ، ومن نظر بها بصرته ، ويرحم الله القائل :

تمتع من الأيام إن كنت حازما
فإنك منها بين ناه وآمر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه
فما فاته منها فليس بضائر

أيها المكتئب الحزين تمثل قول الحسن البصرى رحمه الله :

« الدنيا كلها غم ، فما كان منها من سرور فهو ربح » .

فقه المصطلحات العلمية

٦

للأستاذ الدكتور:
أحمد فؤاد باشا

يعتقد البعض خطأ أن مصطلحات الحضارة الغربية ، ذات الدلالات غير الإسلامية ، لا ينبغى استعمالها فى أدبيات الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية ، إما من قبيل الحذر ، أو إيثاراً للسلامة والبعد عن اللبس والغموض ، وكانت النتيجة أن تحاشى بعض الإسلاميين استخدام تلك المصطلحات ، وشجعوا الآخر بذلك على أن يتمادى فى احتكارها ، ويجعلها مميزة لثقافته المادية التى يسعى إلى « عولمتها » .

● **الحتمية :**

عندما انتقلت علوم المسلمين إلى أوروبا ومهدت لقيام العلم الحديث ، تركت النهضة الأوروبية الإيمان بالله ، وتخلى العلم عن المعنى والسمو الروحى ، وأصبح دنيويا فقط بعلاقاته مع الأشياء ، واتخذ الماديون من العلم ستارا يخفون وراءه أفكارهم الإلحادية ، لجأ البعض إلى محاولة تقنين هذه الأفكار فى أنساق معرفية انخدع بها الكثيرون إلى حين .

ولم يكن العالم الإنجليزى الشهير « إسحق نيوتن » من أصحاب النزعة المادية ، ولم يضع قوانينه المعروفة فى علم الميكانيكا الكلاسيكية إلا لوصف حركة الأجسام المادية التى نشاهدها فى هذا الكون . لكن نجاح نظريته وتطبيقها فى العديد من المجالات ، ولا سيما فى مجالات الفيزياء والفلك والكيمياء ، هو الذى ولّد فى نفوس الماديين رغبة فى تعميم قوانينه بحيث تشمل كل حقائق العالم فى كل زمان ومكان ، وعلقوا عليها آمالهم فى تفسير كل قضايا العلوم ، بما فيها علوم الأحياء والنفس والتاريخ والاقتصاد ، على أساس وجود المادة كحقيقة واحدة لا سبيل إلى العثور على حكمة وراءها . ولجأ المفتونون بهذا التيار الفكرى الضال إلى الأخذ بمبدأ « الحتمية المادية » *Materialistic Determinsim* لمجرد أن يضمن لهم الاطمئنان فى بلوغ قوانين كلية من وقائع جزئية محدودة ، إذ يستحيل على أى باحث

أن يرصد كل الوقائع القائمة فى كل زمان ومكان ، وحسبه ما يتاح له منها لكى يصل إلى القانون الذى يصف به سلوك ما يراه أمامه من ظواهر مختلفة فى الكون الذى يعيش فيه ، ولن يتحقق له ذلك إلا إذا افترض أن العالم من حوله يخضع لحتمية تربط بين السبب ونتيجته ، وتجعل صدق أحداثه مستقلا عن الزمان والمكان والخبرة الذاتية .

وبلغ تقديس « الحتمية المادية » إبان عصر النهضة الأوروبية حدًّا جعل الماديين يعزون كل ما يحدث فى الكون من الأرض إلى السماء بالخضوع لقانون معلوم أسموه « قانون الطبيعة » ، ولم يبق لبعض المتحفظين من هذا الاتجاه اللا إيمانى غير أن يقولوا بأن الإله هو المحرك الأول لهذا الكون الذى شبهوه بساعة رتب صانعها آلاتها الدقيقة فى هيئة خاصة ، بحيث تعمل وتتحرك ، ثم انقطعت صلته بها . وجاء « هيوم » فتخلص حتى من هذا الإله بمقولته الغبية : « لقد رأينا الساعات وهى تصنع فى المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يُصنع ، فكيف نسلم بأن له صانعا ؟! » . ولقد أدى هذا التصور الآلى (الميكانيكى) إلى ترسيخ اعتقادهم بأن النظام الفلكى لا يحتاج إلى أية أسطورة لاهوتية !!

ولا يجد العاقل اللبيب أية صعوبة فى كشف التناقض الواضح والعجيب الذى وقع فيه أنصار الحتمية المادية ، ففى الوقت الذى يؤكدون فيه ألا وجود إلا للمادة ، وينكرون العلة المطلقة فى الخلق الأول ، نجدهم يعترفون بعجزهم عن أن تخطط هذه المادة أو تهدف إلى أى شىء ، ومن ثم فهم لا يجدون سبيلا إلى العثور على حكمة وراءها . ويصف « برتراند رسل » خلاصة هذا الفكر المادى بقوله : « إن الإنسان وليد عوامل ليست بذات أهداف ، إن بدايته ونشوءه وأمانيه ومخاوفه وحبه وعقائده كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضى اتفاقى فى نظام الذرة ، والقبر ينهى حياة الإنسان ، ولا تستطيع أية قوة إحياءه مرة أخرى . إن الكفاح الإنسانى كله سوف يدفن حتما تحت أنقاض الكون ، ولو لم تكن هذه الأفكار قطعية ، فإنها أقرب ما تكون إلى الحقيقة ، حتى أن أية فلسفة تحاول إنكارها ستلقى فناءها تلقائيا » .

ولقد تولى العلم نفسه دحض هذا المبدأ المادى وإسقاطه عندما ظهرت بشائر مرحلة جديدة فى تاريخ العلم مع حلول القرن العشرين ، فقد أتت النظرية النسبية لأينشتين لتوضح خطأ افتراض حركة الأجسام فى خلفية من الزمان والمكان المطلقين ، ثم أوضحت نظرية الكم بعد ذلك أن قوانين نيوتن محدودة فقط بعالم المقاييس العادية ، وتفشل تماما فيما وراء ذلك من العمليات الذرية ودون الذرية فى الفيزياء الحديثة ، وتأكد انهيار « الحتمية المادية » بظهور نظرية هيزنبرج عن « عدم اليقين » أو الريبة واللاحتمية ، وأصبح الباحث المراقب عنصرا أساسيا مشاركا بالعقل والخبرة فى تفسير الظواهر الكونية واضطر فلاسفة العلم أخيراً ـ بعد أن عجزت الحتمية عن ملاحقة كل هذه الأبحاث ـ إلى أخذ جانب الحذر من مبدأ يخالف طبيعة التقدم العلمى ، فضلا عن أنه يناقض فطرة الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى وما يستلزمه هذا الإيمان من المحافظة على المحتوى القيمى والروحى فى منهج البحث العلمى .

وهكذا لم يلبث مذهب الحتمية المادية المؤسس على منظومة قوانين نيوتن أن تعرض لطعنات العلم نفسه الذى تخلى فى بعض قوانينه الجديدة



عن مفاهيم أساسية قامت عليها قوانينه القديمة ، مما يعني أن حقائق العلوم الكونية غير مقدسة لأنها من اجتهادات العلم البشرى المحدود ، ولأن الباحثين ليسوا منزهين عن الخطأ والقصور ـ على أن هذا لا يعنى فى الوقت نفسه أن القوانين العلمية التى يتوصل إليها الباحثون بعد اختبار تجريبى دقيق غير صحيحة ، فكل ما فى الأمر أنها تعتبر حقائق علمية جزئية ومحدودة بحدود الإمكانات البشرية ، وظروف التجارب العلمية التى أدت إلى الكشف عنها ، وليس من الصواب أبدا أن تعتبر محدودية هذه الحقائق الجزئية دليلا على قصور العلم أو منقصة فيه ، فطبيعة المعرفة العلمية تتميز بالنمو المطرد شيئا فشيئا فى اكتشاف آيات الله وإظهار ما خفى منها مع مرور الزمن ، مصداقا لقوله : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة الأنعام : ٦٧)

وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾

(سورة ص : ٨٨) .

● **الآلية والغائية :**

« الآلية » أو « الميكانيكية » منحى فلسفى يرجع الظواهر النفسية إلى عوامل كيميائية وفسيولوجية ، ويرد الحياة إلى مجموعة أعضاء أو وظائف تؤدى عملها وكأنها تروس فى آلة ميكانيكية ، ويأخذ أصحاب هذا المبدأ الفلسفى من الماديين بنموذج الإنسان الميكانيكى (الآلى) العام ، فيقارنون بين الإنسان والآلة ، ويشبهون أجزاء المجتمع كله بالآلة وأجزائها . ويؤكد الموغلون فى المادية أن جسم الإنسان هو الحقيقة الإنسانية الوحيدة ، وأن الغرائز والانفعالات ، وليس العقل هى التى تقود الإنسان وتحكم سلوكه ، فيزعم بعضهم أن قوة الإنسان الدافعة هى غريزة الجنس ، بينما يزعم آخرون أنها غريزة الجوع أو غريزة الخوف من الموت .

وبعد أن برهن العلم المعاصر على محورية العقل فى مبحث الأعصاب وعلم الفيزياء ، بدأ الاتجاه إلى « أنسنة » علم النفس انطلاقا من اعتبار الإنسان قوة واعية ، فهو يجرب ، وهو يقرر ، وهو يتصرف من أجل تحقيق أهداف ينتقيها هو لنفسه فى إطار ثرواته الروحية والعقلية . أى أن أولية العقل على المادة أصبحت فى ضوء الاكتشافات الجديدة جوهر علم النفس الإنسانى الذى يعول على أهمية القيم فى دراسة النموذج الإنسانى .

وهذه النظرة العلمية الجديدة ـ فيما يرى علماء البيولوجيا ومبحث الأعصاب ـ تعيد العقل إلى مكانته فوق المادة ، وقد انتقد العالم النفسى « إبراهام ماسلو » أولئك الذين يحصرون جميع الأنشطة الإنسانية فى دائرة الدوافع والغرائز ، وعاب عليهم جنوحهم إلى علم نفس مادى يقوم على الحوافز ، موضحا أن المأكل والملبس والمأوى وما إلى ذلك هى الحاجات الأدنى ، وأن الضروريات الأسمى غير مادية ، فالعقل والإرادة باعتبارهما من أسمى ملكات الإنسان ، هما اللذان يصدران الأوامر ، ويدفعان ويوجهان فسيولوجيا الجسم وعملياته الفيزيائية والكيميائية . ومؤدى هذا أن حياة الإنسان فى جوانبها الروحية والأخلاقية والفكرية هى حقيقة مؤكدة تماما مثل حقيقة حياته البيولوجية ، ومن ثم فهو مسئول أمام

الخالق جل وعلا عن كل ذلك ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (سورة الإسراء : ٣٦) .

من ناحية أخرى ، تعرف « الغائية » بأنها مبدأ فلسفى له طابع الضرورة والشمول والبداهة فى ربط الظواهر الكونية بالعناية الإلهية . وقد أنكر الماديون مبدأ « الغائية » على أساس أن الكون المادى يتصرف بضرورة ميكانيكية داخلية فحسب ، وأن المادة لا تستطيع من تلقاء ذاتها أن تقصد هدفا أو ترسم خطة . وذهب دعاة الإلحاد إلى القول بأن الكون ليس إلا آلة تدير نفسها بنفسها ، وبالتالى فإنه لا يحتاج البتة إلى أى سبب غيبى ميتافيزيقى (من وراء الطبيعة) . أما تفسير الظواهر الكونية المختلفة فلا يخضع - حسب زعمهم - إلا لنوعين من العلل هما : الضرورة والصدفة .

لكن معلومات العلوم المعاصرة توافق التصور الإسلامى الذى يدحض هذه الأفكار الطائشة ، استنادا إلى نتائج البحث العقلانى باستخدام براهين علم الرياضيات ، وأرصاد وتجارب علوم الفيزياء والفلك . فقد فتحت نظرية النسبية لأينشتين باباً واسعاً لأهمية منطق التوحيد فى الفكر العلمى ، من خلال الجمع بين المكان والزمان والجاذبية والإنسان ، وكان من أهم نتائجها أنها زودت الباحثين بأدوات فكرية وعملية جديدة تمكنهم من البحث المفصل فى بنية الكون بأكمله ، وفى أصله ومصيره . وكان من أهم ما توصلت إليه أبحاث العلماء نظرية الانفجار الكبير التى تقضى بأن الكون قد نشأ فى لحظة محددة يرجع تاريخها إلى ما بين ١٢ و٢٠ بليون سنة إثر انفجار مادته التى كانت جميعها محتواة فى حيز صغير جدا لا يكاد حجمه يعادل شيئا . وكانت تلك اللحظة هى بداية المكان والزمان والمادة .

ويعترف علماء الكونيات بأن « الانفجار الكبير » *Big Bang* عملية تفوق الخيال ، ولكنها مقبولة عقليا ولا يستلزم حدوثها وجود مكان قائم بالفعل ، إذ ليس هناك ما يدعو إلى أن نفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار الكبير ، وأنه حدث بينهما تفاعل فجائى ، فما الذى يميز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات فى الأزلية ؟

ويخلص عالم الفيزياء الفلكية « جوزيف سيلك » إلى القول بأن بداية الزمن أمر لامناص منه ، كما ينفى الفيزيائى « جون ويلر » صفة الأبدية عن المادة والكون قائلاً : « إن عملية انكماش كبيرة واحدة من شأنها أن تنهى الكون إلى الأبد ، ولو حصل انهيار فى الجاذبية فسنكون قد وصلنا إلى نهاية الزمن » .

وهكذا فإن معطيات العلم الجديدة تقود بالضرورة المنطقية إلى اعتبار الإنسان فى مركز الغاية من إبداع الكون ، والكون الذى يستهدف ظهور الإنسان يستلزم بداهة وجود الخالق الذى يدبره ويرعى شئونه ، فسبحان القائل فى محكم التنزيل :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ (سورة ص : ٢٧) .

رحلة الأنامل الذهبية

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

آيات الله فى خلقه تترى ، ونعمه على عباده لا تعد ولا تحصى ، فقد أوجدهم من عدم ، وأمدهم من عُدم ، ومن أولئك المحفوفين بالرعاية ، والمحاطين بالعناية ، والمشمولين بالفضل والمنة ، المكفوفون ، ذوو البصائر ، وأصحاب الأنامل الذهبية ، التى تجلت فيها آيات الله ، أصدق ما يكون التجلى ، وظهر فى حساسيتها الفائقة بديع صنعه ، وجميل إتقانه ، إذ يكمن فى هذه الأطراف الدقيقة التركيب سر تقدم أولئك الذين تلقوا قضاء الله بالرضا والتسليم ، فسموا جاهدين بعون منه ، وتوفيق إلى ولوج دنيا العلم والمعرفة ، فسدد الله خطاهم ، وأرشدهم وهداهم ، فاستطاعوا أن يقرأوا بأناملهم ، كما يقرأ البصير بعينيه كتاب الله ، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشتى المعارف والعلوم ، فسعد وهنأ . ترى ما حكاية هذه الأنامل الذهبية ؟ وما مسيرة تقدمها عبر التاريخ ؟

ذلك هو ما لفت الأنظار إليه انعقاد المؤتمر الدولى الثانى للمكفوفين ، تحت عنوان : « المكفوفون فى التاريخ .. وتاريخ المكفوفين » ، وذلك فى شهر صفر / يونيو الماضى بالعاصمة الفرنسية باريس ، وسبب اختيار باريس مكانا لانعقاد المؤتمر ، هو ارتباط هذا البلد بارتقاء أحوال ذوى البصائر ونهضتهم ، وناقش المؤتمر ثلاثة موضوعات :

الأول : الكيفية التى بها يمكن للكفيف الحصول على المواد المكتوبة بطريقة عادية ، لكن بحروف مطبوعة ، كتلك الحروف المكتوبة على بعض الأجهزة المنزلية ، كالثلاجة مثلا ، والتى يمكن للكفيف قراءتها باللمس .

الثانى : التطورات التى حدثت فى تعليم المكفوفين .



والثالث : تاريخ المنظمات التى أنشأها المكفوفون بأنفسهم ، والمنظمات التى تخدم شئونهم ، وأنشأها غيرهم من المبصرين .

وحضر المؤتمر ، وناقش الأبحاث وقدمها أناس من عشر دول ، هى :

بلجيكا ، كندا ، الدانمارك ، فرنسا ، إيطاليا ، أسبانيا ، السويد ، بريطانيا ، أمريكا ، وأرجواى .

ويُلاحظ هنا ـ ولشديد الأسف ـ غياب الدول الآسيوية والأفريقية ، والعربية ، والإسلامية ، وهو غياب يتناقض تناقضا صريحا ، مع مبادىء الدين الإسلامى الحنيف ، الذى اعتنى أشد العناية بهؤلاء الناس ، كما نوه القرآن الكريم ، بنور البصيرة والعقل ، فقال فى محكم التنزيل :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

(الحج : ٤٦) .

وبشر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَنْ فقد حبيبتيه ـ أى عينيه ـ فصبر بالجنة ، فقال فيما رواه أبو هريرة فى الصحيح : « من ابتليته بحبيبتيه ، فصبر عوضته منهما الجنة » فهل آن لنا أن نكون صورة وضيئة لدين عالمى خالد .

وتبدأ مسيرة الأنامل الذهبية برجل يدعى (فالنتين هوى) والذى عقد المؤتمر المذكور فى مقر الرابطة المسماة باسمه ، فمن هو ذلك الرجل ؟ إنه أول شخص يؤمن إيمانا جازما أن الأطفال المكفوفين باستطاعتهم ، بل من حقهم ، وواجبنا نحوهم أن يتلقوا قسطا كافيا من التربية والتعليم إذ أن مكفوفينا قبل هذا الرجل كانوا كماً مهملا ، أقصى ما يمكن أن يُعطوا من اهتمام ، هو : الانخراط فى القضايا الفلسفية المجردة ، وذلك فى خضم جيل يقول بعدم جدوى البصر لمن وُلِدَ كفيفا ، والزعم بأنه لا يستطيع التمييز بين شكل المكعب والدائرة ـ مثلاً ـ إن رُدَّ إليه بصره .

وبدت ألمعية السيد (هوى) فى عام ١٧٧١ م عندما أوجدته الصدفة بين مجموعة من الموسيقيين المكفوفين ، يعزفون فى مهرجان بباريس ، فى شكل مزرٍ أثر فيه أشد التأثير إذ كانوا يلبسون ملابس غريبة الشكل ، ونظارات سميكة صنعت من الورق المقوى ـ أى : الكرتون ـ حتى لا يرى الناس أعينهم ، وهو طبعا جهل مطبق ، إذا قورن بمعاملة المسلمين ، ونبى الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمكفوفين ، فقد ثبت أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ استخلف الصحابى الجليل عبدالله ابن أم مكتوم على المدينة المنورة ، أكثر من مرة ، وذلك فى أثناء انشغاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالغزو ، ونشر الدعوة ، فأين هذا من أناس جعلوا من هؤلاء المساكين مصدر تسلية وغرضا للشفقة والمهانة ، ويمتلىء ذلك الرجل بالحزن العميق فيصيح قائلاً : « لأبدلن هذا الوضع المزرى المثير للسخرية والتهكم ، والباعث على الاستهزاء ، ولأجعلن المكفوفين يقرأون ويكتبون ، ولأضعن بين أيديهم كتبا ، ومجلدات ، يقومون هم بطباعتها بأنفسهم ، ولأجعلنهم يتتبعون الأحرف الهجائية بأطراف أصابعهم ، فتكون لهم طريقة كتابة وقراءة خاصة بهم ، وبمن شابههم من الصم والبكم » وكان من الصعب تصديق هذه العبارات القوية ، التى بدت فى حينها ضربا من الخيال المفرط ، ولكن مشيئة الله ـ تعالى ـ وفضله ، وعزيمة الرجال الصادقة فى حب الخير للغير تغلبت ، فكانت كما قال الشاعر :

كان حلما فخاطرا فاحتيالا
ثم أضحى حقيقة لاخيالا
عمل من روائع العقل جئناه
بعلم ولم تجئه ارتجالا

إنه القراءة والكتابة للمكفوفين ، ولقد تحقق هذا الحلم بالفعل عندما التقى (فالنتين هوى) بعازفة البيانو النمساوية والمؤلفة (تريزا بارادبس) التى اطلعته على حروف تقرؤها بأصابعها ، استخدمت فى تثقيبها الدبابيس ، فأصبح من الممكن تتبعها بأطراف الأصابع .

الشحاذ يشحذ الهمم

ثم كانت المفاجأة الثانية أو قل الثالثة عندما تأثر (هوى) أشد التأثر بأحد الشبان المكفوفين فى سن السابعة عشرة ، وكان يستجدى الناس ، ويعمل بالتسول ، ويُسمى (فرانسوا ليسير) الذى كان باستطاعته التعرف على العملات الورقية التى يجود بها عليه أهل الخير ، فقد استطاع وببراعة قراءة ما كتب على ظهر هذه الأوراق النقدية ، من أحرف مطبوعة بالطريقة العادية ، لكنها بارزة يمكن قراءتها باللمس ، شريطة أن يتعلم الكفيف الحروف العادية منذ الصغر . وسرعان ما لمعت الفكرة فى ذهن السيد (هوى) فقال : « إذا كان ذلك الشحاذ الكفيف يستطيع التعرف على العملات الورقية بأطراف أصابعه ، فما المانع أن يقرأ المكفوفون بأصابعهم الأحرف العادية ، التى يقرأها إخوانهم المبصرون بأعينهم ؟

ومن هنا تشجع ذلك الرجل على إنشاء أول مدرسة لتعليم المكفوفين فى العالم فى باريس عام ١٧٨٤ م وكانت تسمى « المعهد الملكى للمكفوفين البالغين » إلى أن ألغت الثورة الفرنسية الألقاب الملكية ، فسمى « المعهد الوطنى للمكفوفين البالغين » .

الطفل المعجزة

وفى عام ١٨١٩ م التحق بالمعهد المذكور صبى ألمعى متوقد الذكاء فى العاشرة من عمره من قرية تسمى (كوفرى) تقع على مسافة ٢٥ ميلا ، شرقى باريس ، إنه (لوى برى) كما ينطق بالفرنسية ، والذى انتشرت طريقته فى الكتابة والقراءة بالخط النقطى البارز انتشارا عالميا ، فصارت هى الطريقة المعتمدة ، أكثر من أى طريقة أخرى فى القراءة والكتابة للمكفوفين . إنها طريقة دولية عالمية أثبتت حيويتها رغم تخرصات البعض ، بأنها طريقة بطيئة غير عملية ، وكان ممن روج لهذا المفهوم المغلوط الراحل (طه حسين) .

وبينما تلقى (برىّ) فى المدرسة تعليما ممتازا مكنه من أن يكون أعظم من أسدى للمكفوفين أنفع الخدمات وأفضلها ، لكن ذلك المعهد ، ومن سخرية الأقدار ـ كان السبب الأساسى فى القضاء على حياة ذلك العبقرى ، فموقع المدرسة كان شديد البرودة ، عالى الرطوبة ، غير صحى بالمرة ، مما أدى إلى إصابة أكثر من ٤٠٪ من التلاميذ بالدرن ، والسل الرئوى ، ذلك المرض الذى كان سببا فى أن يختطف الموت (لوى برىّ) وهو فى ريعان شبابه ، إذ توفى فى سن الثالثة والاربعين من عمره القصير ، والمعروف أن (برىّ) وُلِدَ عام ١٨٠٩ م وكان أبوه يعمل صانعا لأسرج الخيول مما أتاح له معيشة معقولة ، إن لم نقل مرفهة بالقياس إلى أقرانه فى مجتمع زراعى كانت وسيلته المهمة فى العمل والانتقال هى الخيل والبغال والحمير .

رب ضارة نافعة

وفى سن الثالثة تُفقأ عين الصبى اليمنى بعد لعبه بآلة حادة ، فى ورشة والده ، ثم لا يمهله القدر أكثر من عامين آخرين ، حتى تصاب عينه اليسرى بالعمى ، بسبب الرمد . وفى أيام الظلام تلك كان الأطفال من المكفوفين رهين البيوت ، كما كان أبو العلاء المعرى رهين المحبسين ، إذ لم تكن هناك مدارس يتم إرسالهم إليها ؛ للتعليم ، وكان يستفاد بهم فى بعض الأعمال البسيطة وحسن الحظ فقد كان والدا الطفل (برىّ) من الآباء المستنيرين ، فقد أحسنا استغلال قدراته غير العادية ، فصمما على تعليمه القراءة والكتابة ، بالطريقة العادية ، وتمكن أبوه من ابتكار آلات بسيطة استعان بها فى تعليم ابنه الحروف العادية ، فابتكر أحرفا مصنوعة من المسامير المثبتة على الخشب ، وهو ما أصبح يُعرف بـ (الكتابة المسمارية) وهى طريقة تعتمد على حاسة اللمس - أيضاً - وفى المعهد الوطنى - أيضاً - يتعرف (برىّ) ويتعلم الطريقة النقطية المعروفة ، بطريقة (بار بيير) فى الكتابة ، والقراءة الليلية ، وهى طريقة نقطية ابتكرها شارل (باربيير) وهو ضابط بسلاح المهندسين بالجيش الفرنسى يتمكن الجنود من قراءة الرسائل المكتوبة بها فى الظلام دون أن يطلع عليهم جنود الجيش المعادى .

وما نريد التأكيد عليه هنا هو أن (برىّ) ليس هو مبتكر الطريقة بالكتابة النقطية ، ولكنه طورها وحسنها ، حتى تكون طريقة عملية مقبولة يسهل تداولها ، والتعامل بها بين المكفوفين وغيرهم . فقد كان أكبر الأحرف نقطا فى طريقة (باربيير) الأصلية يبلغ اثنى عشرة نقطة ، مما يعنى أن يكون الكتاب المكتوب بهذه الطريقة ضخم الشكل ، مقززا للنظر . وتفتقت ألمعية (لوى برىّ) التى دأب فى العمل بها ليل نهار ، فابتكر طريقة استطاع فيها أن يختزل ويختصر نقط الطريقة الأصلية ، ويقللها حتى صار أكبر أحرفها لا يزيد بحال على ست نقاط فقط ، بعد أن كانت اثنى عشرة نقطة ، والوصول بالنقط إلى ست فقط ، لأكبر الحروف معناه ببساطة أن تكون الكتب ذات أحجام معقولة ومقبولة ، ثم توالت التعديلات والتغييرات والتحسينات على طريقة (برىّ) لكنها لم تستطع أبدا النزول بالحرف الأكبر عن ست نقاط بحال من الأحوال . وتتميز طريقة (برىّ) بالدقة الشديدة التى لا تسمح بالخطأ بسهولة إلا أن يكون سهوا أو عمدا ، فبها من الرموز ثلاثة وستون رمزا تشكل أحرف الهجاء بالفرنسية ، والإنجليزية ، والعربية ، وغيرها من اللغات ، بالإضافة إلى رموز الحساب ، والجبر ، والهندسة ، والحاسب الآلى ، مما يمكن الكفيف من التعامل مع ثورة المعلومات من (فاكس) و (بريد إلكترونى) و (شبكة المعلومات الدولية - الإنترنت) ناهيك عن علامات الترقيم والتشكيل فى اللغة العربية ، بالإضافة إلى إمكان رسم الأشكال المختلفة كالمربع والمستطيل والمثلث ، وغيرها من الرسومات الصعبة التى يستطيعها باقتدار وبراعة ، محترفو الكتابة بطريقة (برىّ) .

هذا ويوجد تمثال فى متحف الشمع بـ (باريس) لمخترع طريقة (برىّ) يقف فى شموخ إلى جانب العباقرة ، الذين أسهموا إسهامات كانت ذات تأثير فعال ، فى حياة البشرية ، خصوصا من ذوى البصائر .

علماء من مصر

أبو جعفر الطحاوى

٣

لفضيلة الشيخ

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

من أئمة الفقه المصريين أبو جعفر الطحاوى ، وعلى الرغم من تضلعه فى الحديث إلا أن شهرته الفقهية غلبت على شهرته الحديثية .

وقد كان الطحاوى . . رحمه الله إماما لايشق له غبار ، وقد نشأ فى بيئة علماء كانوا يكنون للإمام الشافعى وفقهه كل ولاء ، وكان هو أولا من دارسى المذهب الشافعى ، ولكنه تحول عنه إلى المذهب الحنفى فبرّز فيه وألف حتى صار من أئمته المشهورين .

اسمه ونسبه :

هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ابن عبد الملك الأزدى الطحاوى . والطحاوى نسبة إلى قرية اسمها طحا بصعيد مصر . وقد تعددت فى مصر بلاد تحمل هذا الاسم منها : طحا بوش ، وطحا البيشا ، وطحا العمودين ، وطحا الأشمونين ، وطحا المرج ، وطحا نوب ، والتى كانت مسقط رأسه من هذه البلاد هى طحا العمودين أوطحا الأشمونين بين البحر الأعظم وبحر يوسف من أعمال محافظة المنيا التى كانت تعرف بمنية ابن الخطيب .

ويرجع فى نسبه البعيد إلى قبيلة الأزد اليمنية ، هاجر منها أجداده بعد الفتح الإسلامى واستقروا فى مصر . شأنهم فى ذلك شأن كثير من القبائل التى نزحت من الجزيرة العربية واليمن مشاركة فى الفتح الإسلامى أو وافدة بعد الفتح .

وفى رحاب تلك القرية التى ذكرناها ولد

أبو جعفر الطحاوى كما يقول السمعانى فى كتابه الأنساب ليلة الأحد لعشر خلون من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين ، وتوفى فى ذى القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وبهذا يكون قد عاش اثنتين وتسعين سنة .

تحوله من المذهب الشافعى إلى الحنفى :

كان خال الطحاوى هو الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى ، وهو من علماء مصر ، صاحب المختصر على الأم للإمام الشافعى .

قال عنه ابن خلكان ، كان زاهدا عالما مجتهدا قوى الحجة غواصا على المعانى الدقيقة ، وكان إمام الشافعيين وأعرفهم بطرق الشافعى وفتاواه وما ينقل عنه .

وكان الطحاوى يدرس المذهب الشافعى على خاله المزنى . فقال المزنى يوما للطحاوى : والله لا جاء منك شىء .

فغضب الطحاوى من ذلك ، وانتقل إلى أبى جعفر بن أبى عمران الحنفى واشتغل عليه ، فلما صنف الطحاوى مختصره . قال : رحم الله أبا إبراهيم يعنى المزنى ـ لو كان حياً لكفر عن يمينه .

وهناك سبب آخر غير غضبة الطحاوى من خاله لعله هو الأولى فى تحوله . فقد ذكر أبو يحيى الخليل فى كتاب الإرشاد فى ترجمة المزنى أن الطحاوى ، وكان ابن أخت المزنى ، وأن محمد بن أحمد الشروطى قال : قلت للطحاوى لم خالفت خالك واخترت مذهب أبى حنيفة ؟

فقال : لأنى كنت أرى خالى يديم النظر فى كتب أبى حنيفة ، فلذلك انتقلت إليه .

ونظر المزنى فى كتب أبى حنيفة لايقدح فى تمرسه بالمذهب الشافعى ، فالعلماء لابد أن يطلعوا على مختلف الآراء ليكونوا المفهوم الصحيح السليم للقضايا التى يعالجونها . وكان الإمام الشافعى معجبا بالإمام أبى حنيفة وقد امتدحه بشعر جاء فيه :

لقد زان البلاد ومن عليها
إمام المسلمين أبو حنيفة
بأحكام وآيات وفقه
كآيات الزبور على الصحيفة
فما بالمشرقين له نظير
ولا بالمغربين ولابكوفة
إمام كان للإسلام بحرا
أمينا للنبى وللخليفة

ومن أقواله فيه : الناس كلهم عيال على أبى حنيفة فى الفقه .

عصر الطحاوى

وكان عصر الطحاوى عصر علم وفقه ، وكان يحكم مصر فى ذلك الوقت أحمد بن طولون ، وكان الطحاوى يتردد عليه لوعظه وتذكيره ، وكان ابن طولون يستجيب له .

وعاصر الطحاوى أيضا حاكما كان قاسى القلب شديدا على الرعية اسمه أبو منصور تكين الجزرى .

ودخل أبو منصور يوما على الطحاوى ففزع منه الطحاوى .

فطمأنه أبو منصور ، وخاطبه بقوله : ياسيدى إنى أريد أن أزوجك ابنتى فماذا ترى ؟

فرفض الطحاوى هذا العرض .

فعرض عليه أن يصله ببعض المال . فرفضه أيضا .

فازداد إكبار الطحاوى فى قلبه . فقال له أبو منصور تكين : هل أقطعك أرضا ؟ فقال الطحاوى : لا حاجة لى فى ذلك .

فقال له : سلنى ما شئت .

فقال الطحاوى : وتسمع ؟

قال : نعم .

قال : احفظ دينك لئلا ينفلت . واعمل على فكاك نفسك قبل الموت ، وإياك ومظالم العباد .

وقد أثرت هذه النصيحة فى قلب تكين . فأقلع عن ظلمه .

لقد أثرت هذه النصيحة فى قلب الحاكم لأنها خرجت من قلب ورع زاهد غير متعلق بأى عرض من أعراض الدنيا ، وهكذا يجب أن يكون العلماء إن أرادوا أن تكون لهم كلمة مسموعة .

كان الملوك قديما حكاما على الشعوب ، وكان العلماء حكاما على الملوك ، وقد انقلبت الآية وغزت الدنيا قلوب العلماء فضاعت هيبتهم من النفوس .

معاصروه من العلماء

عاصر الطحاوى عدة رجال من أصحاب الصحاح . كان عمره حين مات البخارى سبعا وعشرين سنة ، وكان عمره حين مات مسلم اثنتين وثلاثين سنة ، وشاركه الطحاوى فى روايته . وكان عمره حين مات الترمذى خمسين سنة ، وشاركه الطحاوى فى روايتين وكان عمره حين مات النسائى أربعا وسبعين سنة وشاركه الطحاوى فى روايته ، وكان عمره حين مات ابن ماجه أربعا وأربعين سنة وشاركه الطحاوى فى الرواية عن بعض شيوخه .

وكان عمره حين مات ابن حنبل اثنتى عشرة سنة .

وكان عمره حين مات يحيى بن معين أربع سنين .

وله شيوخ كثيرون منهم هارون بن سعيد الإيلى ، وعبد الغنى بن رفاعة ، ويونس بن عبد الأعلى ، وعيسى بن مثرود ، ومحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم وغيرهم .

وقد ظفر الطحاوى بثناء العلماء . قال عنه أبوعمر بن عبد البر صاحب كتابى التمهيد والاستيعاب : كان الطحاوى كوفى المذهب ـ أى حنفى المذهب لأن أبا حنيفة كان من أهل الكوفة ـ وكان عالما بجميع مذاهب الفقهاء .

وقال عنه أيضا : كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم مع مشاركته فى جميع مذاهب الفقهاء .

وقال عنه السمعانى : كان ثقة ثبتاً وقال عنه اليافعى فى مرآة الجنان : برع فى الفقه والحديث وصنف التصانيف المفيدة .

ولقبه السيوطى بالحافظ ، ولقب الحافظ لايمنح



لصاحبه اغتباطا ، بل يستحقه كل من كان موسوعة فى علم الحديث وروايته وحفظه .

مؤلفات الطحاوى :

يأتى فى مقدمة مؤلفاته كتاب « معانى الآثار » وهو يشهد بأسبقيته فى علمى الحديث والفقه معا ، ويدل دلالة قاطعة على حفظه وضبطه . إنه ـ كما تقول مقدمة التحقيق لهذا الكتاب ـ ألف فى المحاكمة بين أدلة المسائل الخلافية ، حيث يسوق بسنده الأخبار التى يتمسك بها أهل الخلاف فى تلك المسائل ، ويمزج من بحوثه بعد نقدها إسنادا ومتنا ، رواية ونظرا ، بما يقتنع به الباحث المنصف ، فهو خير كتاب فى التفقيه وتعليم طرق التفقه .

ولو نظر المنصف فى هذا الكتاب لوجده راجحا على غيره من كتب الحديث المشهورة ويظهر له رجحانه بالتأمل فى كلامه وترتيبه .

يقول المحقق : ورجحانه على نحو سنن أبى داود وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه ظاهر لاشك فيه ، وذلك لزيادة ما فيه من بيان وجوه الاستنباط وإظهار وجوه المعارضة ، وتمييز الناسخ من المنسوخ ، فهذه هى الأصل وعليها العمدة فى معرفة الحديث .

وأما سنن الدار قطنى أو الدارمى أو البيهقى أو غيرها فلا يقاس قدرها بقدره ولا يقارب خطوها خطوه .

وقد شرح الإمام بدر الدين العينى ـ صاحب كتاب عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ـ كتاب معانى الآثار للطحاوى فى ثمانية عشر مجلدا وجعل له عنوانا هو « نخب الأفكار فى شرح معانى الآثار » وهذا الشرح مازال مخطوطا ينتظر النور على يد بعض الغيورين من المعنيين بإحياء التراث . وكنت قد قمت بتحقيق المجلد الأول منه منذ سنوات ولكنه مازال ينتظر الطبع فى مطبعة الأنوار المحمدية التى كانت قد سبقت بطبع شرح معانى الآثار قبل ذلك فى مجلدين يحتويان على أربعة أجزاء بتحقيق فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق إمام مسجد السيدة زينب رحمه الله تعالى ورحم صاحب المطبعة الشيخ على مرسى وجزاهما عن تحقيق وطبع هذا الكتاب الثمين خيرا .

كتب أخرى للطحاوى :

وللطحاوى مؤلفات أخرى تشهد أيضا بعلمه وفضله منها :

- كتاب أحكام القرآن ، وقد أشار إليه ابن خلكان فى ترجمته عنه ، ويقع هذا الكتاب فى نيف وعشرين جزءا .
- كتاب اختلاف العلماء ، قال عنه حاجى خليفة فى كشف الظنون : ويقال فيه اختلاف الروايات وهو فى مائة ونيف وثلاثين جزءا ، وقد اختصره الجصاص الحنفى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وذكرت الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية له كتاب اختلاف الفقهاء ، وقالت د . فاطمة المحجوب : هو أحد المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية .

ولا أدرى هل هو كتاب اختلاف العلماء الذى ذكره حاجى خليفة أم هو كتاب آخر؟

● وله كتاب الشروط الكبرى وهو يتناول البحث عن كيفية ثبت الأحكام الثابتة عن القاضى فى الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال ، وموضوعه تلك الأحكام من حيث الكتابة ، وبعض مبادئه مأخوذ من الفقه ، وبعضها من علم الإنشاء ، وبعضها من الرسوم والعادات والأمور الاستحسانية .. ذكر ذلك حاجى خليفة فى كشف الظنون .

وله كتاب الشروط الصغير فى خمسة أجزاء ، وكتاب الشروط الأوسط .

وله كتاب المختصر فى الفقه وعليه عدة شروح .

وله كتاب : بيان مشكل الآثار ، وقد ذكر أنه من آخر تصانيفه كما أن معانى الآثار من أول تصانيفه .

● وله كتاب شرح الجامع الصغير.

والجامع الصغير فى الفروع للإمام محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى المتوفى سنة ٨٧ هـ .

● وله كتاب الوصايا .

● وله كتاب الفرائض .

● وله كتاب فى مناقب الإمام أبى حنيفة .

● وله كتاب النوادر الفقهية فى عشرة أجزاء .

فهذه المؤلفات تشهد بعلو كعب الطحاوى وطول باعه ، وسبقه وتقدمه وتفرده .

إن مصر كانت ومازالت مهد العلوم والفنون ، وقد بارك الله فى تربتها الزاكية فجعلها منبت الكثيرين من العلماء ، ومنشأ العديدين من أهل الفكر والفقهاء ومعظم أصحاب الرأى والنظر ، يفدون إليها فيجدون فى ربوعها ما يطمعون إليه من علم وما يحلمون به من مجد وظفر .

عن عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس - رضى الله عنهما - ألا أريك امرأة من أهل الجنة فقلت بلى قال هذه المرأة السوداء أتت النبى - ﷺ - فقالت إنى أصرع وإنى أتكشف فادع الله تعالى لى فقال : « إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك فقالت : أصبر فقالت إنى أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا الله لها » . متفق عليه .



للدكتور : محمد رجب البيومي

٢

عرف الأستاذ كنّون هدفه منذ بدأ يفهم التيارات المتصارعة فى وطنه ، هذا الهدف الواضح لعينه ، هو ازدهار المجد الإسلامى فى حاضره كما كان مؤتلقا فى الماضى ، والماضى بأعلامه وأحداثه وانتصاراته شىء مجسم حى فى نفس الأستاذ ، ووسيلة إعادته هى التربية الدينية القويمة التى تنشّئ الشبيبة على إحياء المجد المندثر ، وإعادة الاستقلال الغابر ، و « جامعة القرويين » هى مصدر الأمل المترقب حين تعد أبناءها ليكونوا حملة المشاعل فى دياجير الغياهب ، والأستاذ عضو شهير بمجلس إدارتها ، ورئيس لتحرير صحيفة « الميثاق » التى تنطق بلسان علماء المغرب ، وقد درس تاريخ الجامعة دراسة مستوفاة ، عرف ماضيها وحاضرها ، وأدرك ما بها من المحاسن والمآخذ ، ففى الماضى أوجدت « جامعة القرويين » أئمة وقفوا أنفسهم على خدمة الشريعة وعلوم اللسان ، وطافت لهم شهرة فى جميع الآفاق ، وقد ألم الأستاذ بشذور من أعمالهم الثقافية فيما كتبه من مقالات تحت عنوان « ماضى القرويين وحاضرها » نشرت بالمجلد السادس من مجلة « الرسالة » سنة ١٩٣٨ ، وقام الأستاذ بتلخيصها فى كتاب « التعاشيب » ، وإذا كان اهتمام الجامعة بعلوم الشريعة وعلوم العربية مما لا شك فيه ، فإن دراسة العلوم الفلسفية بها كانت فى حاجة إلى إضاءة نيرة انبعثت من مشعل الأستاذ حين تحدث عن انضمام الأندلس إلى المغرب فى أيام المرابطين ، فوجد من أساتذة الأندلس من قاموا بالنشاط الفلسفى على أحسن وجوهه ، يقول الأستاذ[1] :

(١) التعاشيب للأستاذ كنون ص ٧٩.



ومن رسل الثقافة العلمية من أهل الأندلس إلى المغرب أبو بكر بن باجه ، الفيلسوف والعالم الطبيعى والرياضى الطبيب ، ومنهم أبو العلاء بن زهر الطبيب البارع المدقق فى تشريح الأمراض ، وابنه أبو مروان صاحب كتاب « التيسير فى المداواة والتدبير » ، ومضى يتحدث عن ابن رشد وابن الياسمين ، ويوسف بن سمعون ، وابن البناء العددى ، وابن أبى ربيع العالم الرياضى ، والجاديرى وأبى القاسم النباتى وأبى القاسم الغول ، وابن حميدة وعبد الرحمن الفاسى مؤلف الأقنوم فى مبادىء العلوم ، وعبد الوهاب إدراق ، وابن شقرون ، وكل هؤلاء حكماء أطباء رياضيون يكتبون فى الفلسفة بمعناها القديم الذى يشمل الرياضيات والطبيعيات ، وكل منهم يحتاج إلى دراسة علمية تتوافر أسبابها بالاطلاع على ما تركوا من المؤلفات .

هذا عن الماضى أما الحاضر ، فقد أشار الأستاذ إلى فترة الجمود التى أعقبت فترة الحركة ، وهى دورة نراها دائما فى تواريخ العلوم والعلماء ، وقد مرت بالأزهر كما مرت بسواه ، هذه الفترة تمثل فترة انكماش واكتناز ، وفيها تنحصر الدراسة فى علوم الشريعة وعلوم اللسان على نحو تقليدى لا أثر فيه للابتكار ، ويرى الأستاذ للخلاص من هذا الجمود أن تعود الدراسة إلى محيطها الشامل الفسيح ، وذلك بأن[٢] (تتعدد أقسام الجامعة فتخصص كلية للدراسات الإسلامية المحضة ، وهى الأصل فى إنشائها ، ثم تخصص كلية للأدب تصل ما انقطع من مسائله بما جد من قضاياه المختلفة فى العهد الحاضر ، وكليتان للطب وللعلوم تسد بهما مفاقرنا فى الحياة العلمية العملية العصرية التى مافتئنا نسمع التبشير بها ، والوعد باستقبالها منذ ربع قرن ولا نجد لها أثرا) ولعل الأستاذ قد قر عينا حين رأى هذا الوعد قد تحقق فى المغرب على نحو محمود .

هذا عن التعليم ، أما جهاد الرجل فى تحطيم أفكار الاستعمار ، والدعوة إلى الاستقلال التام دون انتماء إلى اتجاه أوروبى ، فقد أبلى فيه بلاء حسنا ، وجهاده فى هذا النطاق لم يخرج عن قضية التعليم ، فقد حرص المستعمرون على محو اللغة العربية من البلاد ، وانتهجوا فى ذلك طرقا شتى باءت بالفشل الذريع ، وأول هذه الطرق محو

(٢) الثعالبى ص ٨٧ .

اللغة العربية نهائيا وقيام اللغة الفرنسية مقامها ، وهو ما عبر عنه المسيو (جود فورى منين) إذ قال فى بحث له عن التعليم المغربى « من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة لغتها واحدة ، وأنظمتها واحدة ، يجب أن نستعمل لفائدتنا الحكمة القديمة (فرق تسد) ووجود العنصر البربرى أداة نافعة لحفظ التوازن مع العنصر العربى ، ومن الممكن أن نستعمله ضد الحكومة المراكشية نفسها !

وهذه خطة أولى ثبت فشلها ، لأن قيام الكتلة البربرية مقام العربية بالمدارس لم يثمر أدنى ثمرة فى التغلب على العربية ، حين أسس الاستعمار مدارس خاصة بأبناء البربر جعلت تدرس البربرية والفرنسية فحسب ! فلم تجد شيئا ، وإزاء هذا الإخفاق رأى المسئولون أن تقوم اللغة الفرنسية وحدها مقام اللغتين لأنها لسان المدنية والحضارة ، وحاولوا كثيرا من الجهد الذى أسقطه علماء القرويين ومشايخ الكتاتيب ، ووعاظ المساجد فى التحذير من هجر العربية ، ففشلت الخطتان معا !!

وقد كتب الأستاذ الكبير علال الفاسى بحوثا ضافية(٣) تسجل خطوات هذه المكيدة ، وتعلن فشلها ، ثم رأى القوم أن يرجعوا إلى شىء معقول فى رأيهم ، وهو محاربة اللغة العربية الفصيحة عن طريق استعمال اللغة العامية الدارجة على لسان الشعب لتصبح لغة الكتابة والقراءة والبحث ، وقد كتب المستشرق (م. كولان) بحثا تحت عنوان (العامية المغربية) يدعو إلى هذا النهج بعد مقدمات ماكرة تعرض كيف أخفقت الفصحى فى رأيه عن مجاراة العصر ، ويرى أحد حلين ، أن يستغنى عن اللغة الدارجة والعربية مع تعميم اللغة الفرنسية ، وجعلها أداة الثقافة ، والحل الثانى هو ما اتجه إليه المسيو (جود فورى منين) من إحلال اللغة العامية الدارجة ، واستبعاد اللغة العربية ، وأوضح أن (م. كولان) كان يرحب بالحل الأول ، ويتمنى تحقيقه ولكنه جاء بالحل الثانى لاعتقاده عدم قبول ما يراه ، فإذا تعذرت الفرنسية فلتكن العامية الدارجة ، فهذا أهون من رسوخ العربية ذات الخطر بمبادئها وقرآنها ، وتراثها الحفيل ! وقد واجه الأستاذ عبد الله كنون مقترحات (م. كولان) بنقد هادم مسهب لا سبيل إلى ذكره جميعه ، ولكننا نلتقط منه مانحوه نحوا على إيجازه ، قال الأستاذ كنون بتصرف كبير فى حذف بعض المسائل نظرا لضيق المقام(٤) :

إن الأزمة التى يتحدث عنها الأستاذ المذكور لا وجود لها إلا فى مخيلته ، وفرنسا قد مضت على فرنسة التعليم منذ نزلت هذه البلاد ، ولكنها لم

---

(٣) تراجع بحوث السياسة البربرية فى مراكش . للأستاذ علال الفاسى بأعداد مجلة المسلمون السنة الأولى سنة ١٣٧١ .
(٤) التعاشيب ص ١٠١ .

تقدر أن تخلق هذه الأزمة ، لأن الشعب المغربي جد متمسك بعربيته ، ويقدمها في الطلب على كل لغة أخرى ، كما أن عامية المغرب هي أقرب اللهجات إلى الفصحى لكثرة ما تشتمل عليه من الكلمات الفصيحة ، وهي لاتزال محتفظة بتصاريف الأفعال ، ومراعية الفرق بين المذكر والمؤنث وما إلى ذلك ، وقد سلم المغرب من ذلك التسلط الأعجمي بالنسبة لدول عربية أخرى ،

وبقى محتفظا بصبغته العربية ، وزاده قربه من الأندلس استعرابا وشدة تمكن من العربية ، وإذن فليس في المغرب أزمة لغة ، وإن كانت هناك أزمة فهي أزمة التعليم ، لأن المغرب ـ حين كتابة الرد ـ ليس فيه غير ثلاث مدارس ثانوية ، وهي كالمدارس الابتدائية قرر التعليم فيها بالفرنسية وحدها ! أما العربية فتلقى كلغة إضافية في حصص قليلة جدا ، وليس بالمغرب تعليم عال أصلا لا بالفرنسية ولا بالعربية ، ماعدا التعليم الديني بالقرويين ، ولا أدل على سوء نية الاستعمار في المغرب من أن المستعمرين أرادوا عام ١٩٣١ أن يتبعوا مذهب (فرق تسد) وراحوا يدخلون في روع أهل المغرب أنهم نشأوا من أصلين عربي وبربري ليثيروا الحفائظ بين أولئك وهؤلاء ، ولكن أهل المغرب تنبهوا لهذه الدسيسة وثاروا عليها فباءت بالخذلان » .

إن إحساس عبد الله كنون بأصالة المغرب دينا وثقافة وحضارة دفعه إلى الإشادة به ، ومجابهة من يقف في وجه هذه الأصالة ! وقد أشرت من قبل إلى بعض آثاره المنشورة في إحياء ذكرى النوابغ من بني وطنه ، وقد أدت هذه الآثار دورها على الوجه الأكمل ، وأنقل هنا بعض ما قالته مجلة الكتاب عن أثر قيم للأستاذ كنون لم أشر إليه من قبل ، وهو كتاب (مدخل إلى تاريخ المغرب) حيث قالت(*) :

« وقد لفت نظرنا في هذا الكتاب أن المؤلف حرص على أن يصور عصور المجد والازدهار والتقدم في بلاد المغرب تصويرا رائعا يجعل القارىء ينزع إليها ، حتى تتمثل صورة الوطن المغربي في نفوس أبنائه ، وهي فاتنة المعارض ، بعيدة عن الصور القاتمة السود التي تعج بالاختلافات والاضطرابات فتتمثل أمام النشء في أسوأ معارضها ، ولم يفت المؤلف وهو في معرض القص التاريخي أن يصور الحالة الاجتماعية والأدبية في كل عصر من العصور حتى يستطيع القارىء أن يتابع مدى التطور الذي خضعت له البلاد في سلسلة الدول المتعاقبة عليها ، وبهذا صار الكتاب مرآة صادقة تتجلى فيها أحوال المغرب وأخباره في معرض من التحقيق الذي حرص المؤلف عليه في بعض المسائل الخلافية ، حتى يكون ميزان الحكم صحيحا لا يميل عن صواب ، ولا ينحرف عن حق » .

(*) مجلة الكتاب ـ أكتوبر سنة ١٩٥٢ .

وقد تعددت رحلات الأستاذ إلى القاهرة ، ليلقى فى مؤتمراتها العلمية بحوثه الرصينة ، فكان ما يختاره من هذه البحوث ذا صلة حميمة بالمغرب ورجاله ، وأذكر أنه فى أول مؤتمر شهده لمجمع اللغة العربية قد جعل موضوع حديثه (أثر المغرب فى العلم واللغة) وهو موضوع يحتاج إلى كتاب مستقل لا إلى بحث يلقى فى مؤتمر علمى ، ولكن الأستاذ قد اصطفى من العناصر العلمية ما يشبع السامع ويقنعه مادة وتعبيرا ، فقد أعلن أنه

باختياره هذا الموضوع يؤدى واجب التعريف ببلاده ذات المجد الحفيل ، وبعد أن أفاض فى ذكر التقدم الحضارى فى المغرب الحديث والقديم قال : وباستطاعتكم أيها الزملاء الكرام أن تذهبوا معى إلى بلادكم المغرب فتشاهدوا بأم العين معالم هذه الحضارة ماثلة أمامكم فى أسلوب البناء وفن

المعمار ومايزينه من زخارف ونقوش ، وتوريق وتذهيب وتطعيم وتنزيل ، وأسهب كثيرا فيا يجرى هذا المجرى بإشباع وإمتاع ، ثم انتقل إلى الآثار العلمية لأدباء المغرب وباحثيه فاختار بضعة أعلام من كبار القوم لينوه بما أبدعوه من الجديد ، وقد

فوجئت فى حديثه بشىء لم أعرفه وأسجله هنا لطرافته ، حيث أعلن أن المغرب يكتب أرقام الحساب على النمط الأوروبى فى رأى من لم يعرف حقائق التاريخ ، لأن الأرقام الأفرنجية هذه أرقام عربية أدخلها البابا سلفيسترى الثانى إلى أوروبا ، وأشاعها هناك حتى حلت محل الأرقام الرومانية لسهولتها وضبطها ، والعرب أولى باستعمالها لأنها منهم وإليهم ، أما الأرقام الذائعة فى المشرق فمجلوبة من الهند ، وأولى بالعرب أن يرجعوا إلى أرقامهم التى أهدوها إلى العالم المتمدن معتزين بها ، وتلك حقيقة مدهشة سجلتها كتب التراث المغربى ، ووقف عليها الأستاذ كنّون فى كتاب (تلقيح الأفكار لابن ياسمين الرياضى المغربى) ، وهو مخطوط محفوظ بالمكتبة العامة بالرباط[٦] .

وتتابعت محاضرات الأستاذ فى المؤتمر اللغوى وهى تدور حول التراث العلمى للمغرب ، وأشير إلى محاضرتين رائعتين إحداهما عن ابن البناء العددى ، والثانية عن ابن رشد الفقيه ، أما ابن البناء فهو نابغة الرياضيات الذى شملت مؤلفاته علوم الجبر والحساب والمقابلة ، والعددى نسبة إلى العدد وهو ما يشمل الرياضيات جميعها ، كما كانت ميزته العلمية فيا كتب عن علم الفلك ،

وهى ميزات شهد بها أساطين العلم الغربى فى أوروبا من أمثال سارطون وديكه وسوتر ، وكان المظنون بابن البناء أن اشتغاله بالعلوم الرياضية قد عاقه عن التبحر فى العلوم الإسلامية والعلوم العربية ، ولكن الأستاذ كنون ذكر له خمسة وثمانين كتابا بأسمائها منها اثنان وثلاثون كتابا فى بحوث التشريع واللغة ، وأربعة عشر كتابا فى العلوم الرياضية ، وثلاثون كتابا فى المؤلفات الفلكية ،

(٦) مجلة مجمع اللغة العربية ـ الجزء الحادى والعشرون سنة ١٩٦٦ ص ٢٨ .

وباقى المؤلفات فى المسائل الفلسفية الحكمية ، وهذا الجهد العلمى جبار فى تنوع مسائله ، واختلاف مواده ، وقد أفصح المحاضر عن ذلك بما لا مزيد عليه ، كما وقف عند أمور نسبت إليه تعد من الخوارق ، وحاول تعليلها تعليلا علميا ، كما حاول دحض ما اتسم بالمبالغة فى كثير منها ، فصدر عن فهم ناقد ، وبصر سديد[7] .

وأما ابن رشد فقد خصه الأستاذ ببحث عن فقهه التشريعى لأن الكتابة عن فلسفته كثيرة ، ولم تنل بحوثه الفقهية كثيرا من الاهتمام حتى تنوسيت أو كادت ، مع أنه من أئمة المذهب المالكى ، ولا يقل كفاءة ودراية عن أعلام هذا الميدان ، لذلك اختصت محاضرة الأستاذ بإيضاح هذه المنزلة الرفيعة للفيلسوف فى مضمار الفقه ، وقد ذكر إحاطة ابن رشد بمذهب مالك ، مع عدم التقيد به إذا كان فى المذاهب الأخرى التى يعرضها عرضا موفقا مايرجح الذائع المشهور فى المذهب المالكى ، وقد أخذ على المذهب مخالفته للأصول فى بعض المسائل ، وعلل ذلك بعدم وصول النص إلى الإمام ، أو عدم صحته لديه ، فهو فى صميمه لم يتخل عن المذهب المالكى ، ولكنه واسع النظرة شامل الاطلاع ، وبنظره الواسع أوجد مدرسة جديدة فى الفقه المالكى ، كما انتقد مسائل كثيرة فى المذاهب الأخرى وألزم أصحابها بالرجوع إلى القواعد الأصولية التى اصطلحوا عليها ، ولم يقتصر فى الإشادة بالمذاهب الفقهية على المشتهر منها ، بل ناقش غير المشتهر مؤيدا ومعارضا ، وله اهتمام بارز بالعلامة الأندلسى الكبير ابن حزم ، على أنه انتفع كثيرا بمعلوماته الطبية والطبيعية والفلكية فى الترجيح والاختيار للأقوال ، وبناء الفقه على النظر العلمى الصحيح ، وقد لاقت محاضرة الأستاذ كنون اهتماما كبيرا من أعضاء المجمع ، وعقب عليها الدكتور إبراهيم مذكور ، والأستاذ محمد مهدى الأثرى ، والأستاذ عباس حسن ، والشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد تعقيبا ناقدا مقدرا ، ذلك كله مسجل بمجلد البحوث والمحاضرات الخاصة بالدورة الرابعة والثلاثين سنة ١٩٦٨ .

هذه إلمامة موجزة بحياة الأستاذ العلمية وبها إشادة ببعض ما أخرج من الذخائر العلمية ، وقد لاحظت أنه يختار لبعض آثاره أسماء تدل على التواضع الأدبى مثل (التعاشيب) (ونحل وبقل) ومايدور هذا المدار وهو طريق سبقه إليه الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى حين سمى كتبه بمثل (خيوط العنكبوت) و(حصاد الهشيم) و (قبض الريح) مع أن كثيرا من القدماء كانوا يسمون كتبهم أسماء ذات صلف وبريق مثل (عرائس المجالس) (زهر الآداب) (بدائع الزهور) ولكل عصر اتجاهاته ، بل لكل مؤلف مشربه الحبيب ، وقد لبى نداء ربه سنة ١٩٩٠ على حين كان مولده سنة ١٩٠٨ ، فعاش عمرا سعيدا بالعمل ، حافلا بالجهاد ، وترك آثارا شاهدة يقرؤها الدارسون فى ثقة وإعجاب ، وله منهم الثناء الحافل ، ومن الله جزيل الثواب .

---

(٧) البحوث والمحاضرات للدورة الثلاثة والثلاثين للمجمع سنة ١٩٦٦م ص ٢٠٥ ومابعدها .



للشيخ: محيى الدين حسين يوسف الإسنوى

وهم فاخرونى بالذى عز عندهم   من العرض الفانى وذو الجهل يجترى

فقلت لهم: فخرى بأنى مسلم   وأنى صوفى، وأنى أزهرى

بهذا أجاب شيخنا ـ رحمه الله ـ من افتخر عليه بمناصب الدنيا وزينتها، من المال والجاه. وأى فخر أعظم من الفخر بالإسلام، والتصوف الإسلامى الصحيح، والانتساب إلى الأزهر الشريف، منارة العلم والعلماء.

وإذا كنت أكتب ترجمة لعالم جليل من أعلام الأزهر، بما لزمته وأخذت عنه، وخبرت علمه وفضله عن قرب، فإنى أقر أن ما أذكره هنا قل من كثر، وغيض من فيض، من غير مبالغة ولا تهويل.

• مولده ونشأته:

هو شيخنا وأستاذنا الإمام الفقيه، المحدث، الشاعر، بقية السلف الصالح: محمد زكى إبراهيم، رائد العشيرة المحمدية، الملقب بـ زكى الدين، وكنيته: أبو البركات، شريف حسيني أباً وأماً.

ولد ـ رحمه الله ـ فى القاهرة بمنزل والده بحى بولاق أبى العلاء، ولد فى ١٩١٦/٨/٢٢، وبرق فى السابع من أكتوبر ١٩٩٨ م فيكون قد قضى من العمر فى هذه الحياة الدنيا ٨٢ عاما.

ووالده هو العالم الأزهرى الشيخ إبراهيم الخليل



ابن على الشاذلى ، أحد أصحاب الشيخ مصطفى المراغى ، ومن مؤلفاته : كتاب (المرجع) ، سلسلة مقالات نشرت فى جريدة الإخوان سنة ١٩٣٢ م ، كما أن له بعض المقطوعات من الشعر الروحى الرائق ، وقد جمعتها فى رسالة مطبوعة .

أما جد الشيخ لأمه فهو الشيخ محمود أبو عليان من تلاميذ الشيخ عليش شيخ مالكية عصره ، وقد ترجم له الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى كتابه عن التصوف .

• تخرجه فى الأزهر:

وقد كان لنشأة الشيخ محمد زكى إبراهيم فى هذا الجو العلمى الصوفى الأزهرى ، أكبر الأثر فى تكوينه العلمى والروحى ، فتلقى العلم ابتداء على يد والده ، وحفظ القرآن على يد الشيخ جاد الله عطية فى مسجد السلطان أبى العلاء ، والشيخ أحمد الشريف بمسجد سيدى معروف ، وكان حينئذ ما بين التاسعة والعاشرة من عمره .

ثم التحق بمدرسة (درب الشارين الابتدائية) ، وكان الابتدائى حينئذ يوازى المرحلة الاعدادية الآن ، ثم انتقل منها إلى مدرسة (نهضة بولاق الكبرى) وكانت من أشهر المدارس فى ذلك الوقت .

ثم التحق بالأزهر فأخذ فيه المرحلة الثانوية ، ثم حصل على شهادة العالمية القديمة .

وقد ذكر لنا الشيخ ـ رحمه الله ـ كيف أدى امتحان العالمية ؟ ! وكان ذلك فى مجلس خاص معه (وهو مسجل عندى بصوته) قال رحمه الله :

كنا يوم الامتحان نصلى الفجر فى مسجد الإمام الحسين (الطالب واللجنة) . ونحضر درس الشيخ السمالوطى بعد الفجر ، وكان يحضره العلماء باعتبارهم تلاميذ للشيخ ، ثم ننتقل لصلاة الضحى فى الأزهر الشريف ، وتذهب اللجان إلى الرواق العباسى فى عدة غرف ، فى كل غرفة لجنة ، ويدخل الطالب ومعه أوراقه وكتبه ، التى تم تعيين الامتحان فيها ، وكان رئيس اللجان الشيخ عبد المجيد اللبان ـ رحمه الله ـ وظللت أمام اللجنة حتى أذان العصر ، وعند ذلك ختم الامتحان بالصلاة الشافعية (اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله .. إلخ) وكان الختم بهذه الصيغة إيذانا بنجاح الطالب وحصوله على العالمية الأزهرية ..

وأذكر أنهم حددوا لى فى علم البيان (تحقيق الخلاف بين السعد التفتازانى والسيد عبد القادر الجرجانى فى الاستعارة المكنية) .. وفى النحو باب المبتدأ والخبر ، وفى التفسير آية ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران ـ ٧) ..

هذا ما ذكره الشيخ عن امتحانه العالمية الأزهرية ..

• الشيخ والثقافة المدنية :

وقد تعلم الشيخ ـ رحمه الله ـ الإنجليزية فى المرحلة الابتدائية ، وتعلم الفرنسية على يد الأستاذ داود

سليمان من أعيان أسيوط ، والألمانية بالقاهرة على يد الأستاذ راغب والى ، وكان مدرسا بالمدرسة الألمانية بالقاهرة ، وقد ترجم الشيخ قصائد هاينى رش هاينى من الألمانية للعربية ، وتعلم الفارسية على يد الشيخ محمد حسن الأعظمى الإيرانى عضو جمعية الأخوة الإسلامية ، وترجم عدداً من قصائد إقبال إلى العربية .

وعندما اتهم بعضهم الشيخ بأنه شيخ أزهرى (معمم ومطربش) لا يدرى من علوم الدنيا شيئا إذا بالشيخ يرد عليه بأنه قد درس العلوم والآداب الغربية والمدنية الحديثة ، حتى أنه يستطيع أن يفرق بين موسيقى باخ وغيرها ، وبين لوحات بيكاسو وغيرها . . إلخ .

● الشيخ ورواية الحديث :

وبالإضافة إلى ما تلقاه من الفقه والتفسير والحديث بالأزهر الشريف اهتم شيخنا الإمام محمد زكى إبراهيم بتلقى علوم الحديث (رواية ودراية) على يد شيوخ عصره المرموقين منهم . . . وكذا الأصول واللغة ، ومما جاء فى إجازته :

وأخيراً . . وبالتالى وعلى الإجمال ، فإنى أروى قراءة ، وسماعا ، ووجادة ، وإجازة ، بالإذن الموصول والمكرر بالإثبات ، والجوامع ، والفهارس ، والأسانيد ، والمعاجم ، والمسلسلات ، والمختصرات ، عن أشياخى الأماجد الأكرمين : سيدى محمد حبيب الله الشنقيطى ، وسيدى علوى بن عباس المالكى الحسنى ، وعن سيدى أحمد الصديق الغمارى ، وشقيقه السيد عبد الله الصديق الغمارى ، وسيدى محمد زاهد الكوثرى ، نائب عام شيخ الإسلام بتركيا قبل الانقلاب ، وسيدى أحمد عبد الرحمن البنا ، وسيدى الشيخ المعمر السيد محمد عبد الله العربى العاقورى الليبى المصرى ، وسيدى الشيخ إبراهيم الغلاييني الدمشقى ، وسيدى الشيخ حسن حبنكة الميدانى السورى ، وسيدى الشيخ البيلاوى المصرى ، وسيدى الشيخ حسنين مخلوف المفتى المصرى ، والشيخ الحسينى أبو هاشم الأزهرى المصرى ، والشيخ المبشر الطرازى مفتى البلقان وآسيا الوسطى قبل الشيوعية ، والشيخ يوسف الدجوى المصرى ، وسيدى الشيخ محمد بخيت المطيعى المفتى المصرى ، وسيدى الشيخ محمد الحافظ التيجانى ، والشيخ أحمد عبد الجواد الدومى ، والشيخ الخضر حسين المغربى شيخ الأزهر ، والأمير عبد الكريم الخطابى المجاهد المغربى ، والسيد اليمنى الناصرى الشاذلى المغربى المجاهد ، والشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف الأزهرى من علماء الحديث بمصر ، وبقية أشياخى ممن سبق ذكر بعضهم - رضى الله عنهم - وعن والدى السيد إبراهيم الخليل بن على الشاذلى ، بإسنادهم المحررة بأثباتهم ، عن أشياخهم عموما بمروياتهم من التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والمنطق ، والسيرة ، والمصطلح ، وعلم الرجال والتوحيد ، وعلوم القرآن ، والعقائد ، وفروع اللغة العربية ، والثقافة العامة ، والتصوف الصحيح ، وخصوصا كتب القشيرى والغزالى والسهروردى وغيرهم مما أشرت إليه وما فاتنى أن أشير إليه .

● ثناء العلماء عليه :

● قال الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه (المدرسة الشاذلية) ، والشيخ الحسينى أبو هاشم والدكتور أحمد عمر هاشم فى كتابهما المشترك (المحدثون فى مصر) ، وأثنى عليه المحدث الشيخ عبد الله الصديق الغمارى فى كتابه (سبيل التوفيق) ، وأثنى عليه أيضا الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه (مذكرات سائح فى الشرق) ، والشيخ أحمد حسن الباقورى فى كتابه (قطوف) الذى نشرته مؤسسة الأخبار ، والشيخ محمد الغزالى فى كتابه (الجانب العاطفى فى

الإسلام) ، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى كتابه عن التصوف . .

• المناصب التي تولاها :

بعد أن حصل الشيخ ـ رحمه الله ـ على العالمية الأزهرية لم يجد عملا فى ذلك الوقت ، حتى تقدم للتدريس بالمدارس الأميرية بمحافظة بنى سويف ، وظل هناك مؤديا عمله عدة سنوات ، ثم عاد إلى القاهرة مدرساً أيضا ، وظل يتدرج فى وظائف التعليم المختلفة ، حتى أصبح رئيسا للسكرتارية العامة للتعليم الحر المسمى بالتعليم الخاص الآن ، ثم عين مفتش قسم ، وكان القسم وقتها يعنى القسم الإدارى .

وقد عمل أيضا : أستاذاً ومحاضراً للدراسات العليا بالمعاهد العالية ، ومعهد الدراسات الإسلامية ، ومعهد إعداد الدعاة ، وحاضر ـ أيضا ـ فى بعض الكليات الأزهرية ، ودورات إعداد الأئمة والوعاظ والبحوث الإسلامية .

وعمل مديراً لمؤسسة (الزفاف الملكى) والتى سميت بعد الثورة (مؤسسة البر الأميرية) .

• اشتغاله بالصحافة والمقال :

اشتغل شيخنا الإمام محمد زكى إبراهيم ـ رحمه الله ـ بالكتابة فى الصحف والمجلات (السيارة والإسلامية) منذ أواخر العشرينيات ؛ فكتب فى مجلات : الأزهر ، ومنبر الإسلام ، واللواء الإسلامى ، وعقيدتى ، والأخبار ، والأهرام ، والجمهورية . .

كذلك كتب فى : لواء الإسلام ، والإسلام ، والمسلم ، والخلاصة ، والعمل ، والتصوف الإسلامى ، وجريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية ، والسياسة الأسبوعية ، والفجر ، وأبولو . . وغيرها من المجلات . .

واشتغل فى الخمسينات بتحرير وإدارة مجلة (الخلاصة) لصاحبها سيد مصطفى أمين رابطة الإصلاح ، ثم بتحرير وإدارة مجلة (العمل) لصاحبها عبد العليم المهدى ، ثم أسس مجلته (المسلم) سنة ١٩٥٠ م ، وقام بتحريرها وإدارتها .

وقد تنوعت مقالات الشيخ وكتاباته ؛ فكان منها المقال الدينى ، والاجتماعى ، والتاريخى ، والأدبى ، والسياسى ، وكان منها البحث الأكاديمى ، والمقال الصحفى .

• مؤلفاته العلمية :

ترك لنا شيخنا ـ رحمه الله ـ ثروة علمية هائلة : أكثر من مائة كتاب ورسالة فى العلوم الدينية ، كما ترك لنا مئات البحوث والفتاوى والمقالات والخطب والدروس (بعضها مكتوب وبعضها مسجل) ، وقد وفقنى الله لمراجعة وتحقيق وطباعة بعض كتبه فى حياته رحمه الله ، ومن كتبه المطبوعة :

١ ـ أبجدية التصوف الإسلامى : عن أهم وأكثر ما يدور حول التصوف الإسلامى ، فيما هو له وما هو عليه ، بين أعدائه وأدعيائه .

٢ ـ أصول الوصول : أدلة أهم معالم الصوفية الحقة من صريح الكتاب وصحيح السنة .

٣ ـ الخطاب : خطاب صوفى جامع من الإمام الرائد إلى أحد كرام مريديه .

٤ ـ فواتح المفاتح : الدعاء وشروطه وآدابه وأحكامه .

٥ ـ أهل القبلة كلهم موحدون : يبين أن أهل القبلة كلهم موحدون ، وكل مساجدهم مساجد التوحيد ، ليس فيهم كافر ولا مشرك ، وإن عصى وخالف .

٦ ـ الأربعون حديثا الحاسمة ردعا للطوائف المكفرة الأئمة . .

٧ ـ حكم العمل بالحديث الضعيف : حول جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال بشرطه عند علماء الحديث ، وإن الضعيف جزء من الحديث المقبول عند أهل هذا الفن .

٨ ـ مراقد أهل البيت فى القاهرة : يحقق أن رأس الإمام الحسين رضى الله عنه والسيدة زينب وغيرهما من آل البيت بالقاهرة ، تاريخا وواقعا .

٩ ـ قضية الإمام المهدى : فى تأكيد أن المهدى حق ، ولكن لم يأت زمانه بعد عقلا ونقلا .

١٠ ـ ديوان البقايا : شعر صوفى واجتماعى فنى معاصر عميق .

١١ ـ ديوان المثانى : الجزء الأول ، والجزء الثانى : مثانى من الأبيات الشعرية تستغرق أغراضا مختلفة ، وحكما وتوجيهات ، وآدابا وصوفيات رائعة .

١٢ ـ أمهات الصلوات النافلة : الصلوات النافلة ومسائلها وأحكامها من الكتاب والسنة .

١٣ ـ ليلة النصف من شعبان : قيامها ، فضلها ، الدليل الحاسم على إحيائها .

١٤ ـ عصمة النبى ونجاة أبويه وعمه : رد على أقوال المنكرين ، وتأكيد العصمة وحلول المشاكل المدعاة حولها بقواطع الأدلة .

١٥ ـ بركات القرآن على الأحياء والموتى : من الحديث النبوى .

١٦ ـ حول معالم القرآن : على طريقة المحدثين فى قضايا ومعلومات قرآنية هامة .

١٧ ـ معالم المجتمع النسائى فى الإسلام : أحكام وقضايا النساء المختلفة بأسلوب علمى ميسر .

١٨ ـ فقه الصلوات والمدائح النبوية : بحث جديد فى فقه السيرة من الصلوات ومدائح الشعر والنثر قدمه للأزهر فى مؤتمر الفقه والسيرة العالمى ـ مجمع البحوث الإسلامية العاشر .

★ الشيخ والدعوة إلى الله :

كان شيخنا ـ رحمه الله ـ مثالا للداعية الإسلامى الرشيد ، الذى وهب كل حياته للدعوة ، على الرغم من مرضه الذى ألزمه بيته نحوا من عشرين عاما ، فإنه ما انعزل عن العالم أبدا ، وما ترك عادته فى الدرس والمحاضرة ، واستقبال عشرات الزوار يوميا ، والرد على اتصالاتهم الهاتفية ، كما كان من عادته أن يقرأ الصحف يوميا ، متابعا ما يحدث فى العالم من أحداث وأفكار ودعوات ، ويختار من تلك الجرائد والمجلات المقالات والقصاصات ويجمعها فى أرشيف خاص حسب الموضوع .

أسس الشيخ ـ رحمه الله ـ جمعية العشيرة المحمدية سنة ١٩٣٠م ، لتكون وسيلة للدعوة الإصلاحية الإسلامية الصوفية .. وجعل من مبادئه الاهتمام بالفرد والجماعة ، ومن أقواله (المجتمع فرد مكرر : إذا صلح الفرد صلح المجتمع) .

وقد عمل أمينا ورائدا دينيا لجمعية الشبان المسلمين ، والمؤتمر القرآنى ، وعضوا فى الهيئة العليا للدعوة بالأزهر ، وعضوا مؤسسا لعدد من الجمعيات الإسلامية .

ومما يحفظه التاريخ تلك المؤتمرات والندوات التى قام بها فى السبعينيات من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية ، وقد شاركه شيخ الأزهر عبد الحليم محمود الذى كان نائبا للشيخ فى مجلس إدارة العشيرة المحمدية .

ثم مشاركته ـ رحمه الله ـ فى اللجان التى أنشئت من أجل تقنين الشريعة ..

كما كان له الفضل فى إنشاء مكتب رعاية المهتدين إلى الإسلام بالأزهر الشريف ، والذى ما زال يؤدى مهمته إلى الآن .

★ مناظرات ومساجلات علمية :

وقد كان للشيخ مناظرات ومساجلات مع بعض معاصريه من الشيوخ والعلماء ، ممن اختلف معهم فى الرأى ، والاختلاف طبيعة بشرية ، وقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ قوى الحجة ، طوع الله له اللغة والبيان ، كما كان ملتزما بأدب العلم والمناظرة فى كل ذلك ، وليس أدل على ذلك من رفضه نشر خطاب يسيء لبعضهم بخط يد ذلك البعض ، وكان قد سبق إلى الله ، فأبى وقال : إن حرمة الموت تمنعنى من نشره ، وإن كان مافيه حقا إلا أن فيه إساءة كبيرة له .

ولعل أشهر هذه المناظرات ما كان بينه وبين الداعية الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ حول عبادة الرغبة والرهبة ، تلك المناظرات التى استمرت ستة أشهر على صفحات الأخبار ، والمسلم ، ولواء الإسلام .

ثم ماكان بينه وبين الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، والدكتور سيد رزق الطويل ، والدكتور إبراهيم هلال ، والأستاذ حسن قرون وأحمد سالم وغيرهم . . وفى كل تلك المناظرات التزم الشيخ ـ رحمه الله ـ الأدب الصوفى الرفيع ، والبحث العلمى النزيه ، والحجة المقنعة .

كما أنه انتقد عددا من العلماء ورد عليهم ، فانتقد الشيخ عبد العزيز عيسى لما كتبه فى كتابه (اجتهاد الرسول) ورد عليه فى كتاب (عصمة النبى ـ ﷺ ـ) الذى كان أول رد على ما نشره أحمد صبحى منصور ، وقد فصل المارق : أحمد صبحى منصور من الأزهر بذلك الكتاب والتقرير الذى كتبه عنه الشيخ ـ رحمه الله ـ .

وقد عرضت مشيخة الطرق الصوفية على الشيخ فرفض وقال : ماسرنى أن صرت شيخا لطبال وزمّار .

★ تراثه الأدبى :

فضيلة الشيخ محمد زكى إبراهيم من جيل الرواد الأوائل ومن شعراء هذا العصر ، عاصر شوقى ، وحافظ ، والعقاد ، والرافعى ، والزيات ، وكان له معهم صولات وجولات ، وقد ألف أربعة دواوين شعرية فى خمسة عشر جزءا من الشعر العمودى المقفى ، فى أغراض الشعر المختلفة .

وقد كان للشاعر حلقة شعرية إسلامية ألفها من كبار الشعراء الإسلاميين ، منهم : الدكتور حسن جاد ، وقاسم مظهر ، ومحمود الماحى ، وعبد الله شمس الدين ، والدكتور سعد ظلام ، وضيف الله ، والربيع الغزالى ، وشاور ربيع ، والأستاذ محمد التهامى ، وأحمد عبد الخالق . . وغيرهم .

كما أن للشيخ مقالات أدبية ونقدا أدبيا رائقا ، فى مجلة أبولو ، والفجر ، لعل من أهمها ما كتبه فى نقد الأستاذ (أبى حديد) فى الشعر الحر أو المرسل . . ولا ننسى ما انتقد به الزيات فى سلسلة مقالاته (مشاغبات الأسبوع) التى نشرتها له جريدة الإخوان لعهدها الأول سنة ١٩٣٢ ، ولنا ـ إن شاء الله ـ عودة إلى أدبيات الشيخ .

رحم الله شيخنا ، كان المسجد بيته الذى لم يبرحه ، ومدرسته ومضيفته وساحته ، محط رحال كل من زاره ومن عرف قدره من العلماء والرؤساء والأمراء .

وقد انتقل إلى رحمة الله الساعة الثالثة من فجر يوم الأربعاء ١٦ من جمادى الآخرة ١٤١٩هـ ، الموافق ٧ من أكتوبر ١٩٩٨م بعد حياة حافلة فى الدعوة إلى الله ، على هدى وبصيرة ، ورحمه الله رحمة واسعة .

طرائف.. ومواقف

للأستاذ: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«سؤال وجواب»

قال معاوية لعمرو بن العاص -رضي الله عنهما: من أبلغ الناس؟ قال: أتركهم للفضول، قال: فمن أصبر الناس؟ قال أردهم لهواه برأيه، قال: فمن أسخاهم؟ قال: من بذل دنياه لدينه، قال: فمن أشجع الناس؟ قال: من ردّ جهله بحلمه، قال: فمن أعلم الناس؟ قال: من آثر دينه، قال: صدقت.

«أسأت إلينا بتغيبك»

قال الصولي: كنت أقرأ على أبي خليفة كتاب «طبقات الشعراء» وغير ذلك، قال: فواعدنا يوما، وقال: لا تخلفون، فإني اتخذ لكم خبيصه، فتأخرت لشغل عرض لي، ثم جئت والهاشميون عنده، فلم يعرفني الغلام، وحجبني، فكتبت إليه:

أبا خليفة تجفو من له أدب
وتؤثر الغر من أولاد عباس
وأنت رأس الورى في كل مكرمة
وفي العلوم، وما الأذناب كالرأس
ماكان قدر خبيص لو أذنت لنا
فيه فيختلط الأشراف بالناس

فلما قرأها صاح على الغلام، ثم دخلت، فقال:

أسأت إلينا بتغيبك فظلمتنا في تعتبك، وإنما عقد المجلس بك، ونحن فيما فاتنا بتأخرك، كما أنشدني البوزي كمن طلق امرأته، ثم ندم، فتزوجت رجلا، فمات حين دخل بها، فتزوجها الأول، فقال:

فعادت لنا كالشمس بعد طلاقها
على خير أحوال كأن لم تطلق

ثم صاح ياغلام، أعد لنا مثل طعامنا، فأقمنا عنده يومنا.

«دعوة إلى التسامح»

قال البهاء زهير :

من اليوم تعارفنا
ونطوى ما جرى منا
فلا كان ولا صار
ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان ولابد
من العتبى فبالحسنى
فقد قيل لنا عنكم
كما قيل لكم عنا
كفى ما كان من هجر
فقد ذقتم وقد ذقنا
وما أحسن أن نرجع
للوصل كما كنا

«عاقبة الحمق»

قال الأصمعي - رحمه الله : قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثني فأمتعني بفصاحة وملاحة : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ، قال : فقلت : ولم ؟ قال : أخاف أن يجنى عليّ حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى عليّ حمقي .

«قيام الليل .. حببني في البقاء»

كان الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - يقوم ثلث الليل ، وتقوم امرأته ثلث الليل ، ويقوم ابنه ثلث الليل إذا نام هذا قام هذا .

فقال أبو سليمان الداراني : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا قيام الليل ما أحببت البقاء في الدنيا .

«أكره مخالفتكم»

قيل لطفيلي : اشتر لنا لحما ، فقال : لا أحسن الشراء ، فقيل له : أوقد النار ، فقال : أنا كسلان ، فقيل له : اطبخ ، فقال : لا أحسن الطبخ ، فلما غرف الطعام قيل له : تقدم فكل ، فقال : أكره أن أكثر من مخالفتكم .

«احذر أربع غارات»

غارة ملك الموت على روحك ، وغارة الورثة على أموالك ، وغارة الدود على جسدك ، وغارة الغرماء على حسناتك .

دعــــاء

اللهم إني أستغفرك لما تبت منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتك من نفسي وأخلفتك ، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك ، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي ، فتقويت بها على معصيتك ، وأستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها .



للأستاذ :

أحمد مصطفى حافظ

لإمام الدعاة ، فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، فى هذا الموضوع ، تعريف سديد (للصوفى) ، مؤداه أن : « كل مسعاه أن يقترب بمفروضات الله سبحانه وتعالى ، ثم يزيد بمسنونات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، من جنس ما فرض الله سبحانه وتعالى عليه »(١) إلى أن يضيف فضيلته إلى ما تقدم ، قوله : « والله سبحانه وتعالى يقول فى الحديث القدسى : « ومن أتانى يمشى ، أتيته هرولة » ، ولم يقل سبحانه : جئته أمشى - ولو قالها - أى الحق عز وجل - لكان المشى بالنسبة له ، شيئاً كبيرا ، ولكنه يقول : أتيت هرولة ، فما بالك بهرولة منسوبة لله ؟ ومن هنا - كما يقول فضيلته - يدخل الإنسان ، فى مقام الود مع الله ، ومعنى أن يوده الله : هو أن يصافيه »(٢) .

والدكتور على صبح ، يحتاط بادىء ذى بدء ، فى مقدمة كتابه ، الذى يحمل عنوان هذا المقال ، فينفى أية نزعة للغلو ، فى ميدان بحثه ، فيؤكد على إيمانه العميق ، بوسطية الأمة الإسلامية التى

(١) ، (٢) انظر حديث فضيلته بعنوان : « مشوار حياتى : آراء وأفكار » الذى قامت بإعداده فى كتاب دقيق الحجم ، الإذاعية الأستاذة فاطمة السحراوى

اختارها الله تعالى لها ، فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة : ١٤٣) .

ومن ثم اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأمة الإسلامية ، بالتوسط فى التشريع والحياة ، والتعامل مع مظاهر الكون ، وأسرار الوجود . . وبالتوازن بين الجوانب الروحية ، والجوانب المادية . . وانتهى المؤلف الفاضل إلى أن أعظم مرحلة من مراحل الأدب الصوفى ، هى مرحلة أدب الزهد ، فى أول نشأته ، فى عصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم فى عصور من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

فأدب الزهد ـ فى هذه المرحلة ـ هو الأدب الإسلامى حقا ، أو هو يمثل فرعا من فروعه ؛ لأنه أدب الاعتدال والقصد ، لا أدب الإسراف والعزوف ، عن المشاركة فى بناء الحياة وتقدمها ، وقد حدد المؤلف لدراسته للأدب الصوفى الفترة التى تمتد منذ فجر الإسلام ، وحتى نهاية القرن الرابع الهجرى .

وقد اشتمل الكتاب[1] على مقدمة وثلاثة فصول ، تحدث فى أولها عن الإسلام باعتباره التشريع السماوى للإيمان بالله عز وجل ، ثم تطرق إلى الحديث عن الإعجاز فى التصوير القرآنى ، لقصة موسى مع الخضر ـ عليهما السلام ـ مبينا أنها خلاصة القول فى علم الظاهر وعلم الباطن ، « وفى إعداد المؤمن المجتهد ، لفهم أسرار الأمور ، قبل الحكم على ظواهر الحياة »[2] كما يقول العقاد .

ثم تحدث المؤلف عن : « أهل الصفة » ، باعتبار أنهم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى بنى لهم (صفة) فى مسجده ؛ كان يأوى إليها من ليس له دار ، من المهاجرين والأنصار ، وأثبت قول الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى وصف الزاهدين الأولين ، فى خطبة له بأنهم « قد عظم الخالق فى أنفسهم ، فصغر مادونه فى أعينهم » إلى قوله : « إن قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة . . صبروا أياما قصيرة ، أعقبتها راحة طويلة ، فهم فى تجارة مربحة ، يسرها لهم ربهم . أرادتهم الدنيا ، فلم يريدوها ، وأسرتهم ، ففدوا أنفسهم منها » .

وفى الفصل الثانى من الكتاب ، يتحدث المؤلف عن حركة الزهد فى الأدب العربى ، باعتبار أنه يمثل رافدا أدبيا ، وغرضا من أغراض الأدب العربى ، نما وازدهر ، ليثبت الأدب الصوفى من أعماقه ، وينتهى إلى أن الأدب الصوفى ، هو المرحلة التالية لأدب الزهد النابعة منه ، عن أصالة وعراقة[3] .



---

(١) طبعة (المكتبة الأزهرية للتراث) سنة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م . فى ٣٥٤ صفحة من القطع الكبير .

(٢) انظر كتابه : (مذاهب أدبية واجتماعية) ص ١٩٢ .

(٣) يقول المستشرق نيكلسون : « سرعان ما تحول الزهد إلى التصوف ، فإن الحسن البصرى ـ وهو أشهر ممثل لحركة الزهد ـ يعد فى نظر الصوفية واحدا منهم » . انظر كتابه : « فى التصوف الإسلامى ص ٢ ترجمة د . أبو العلا عفيفى

وأورد المؤلف طائفة من أشعار الزهد ، التى تمثل هذا الاتجاه .. كقول عمران بن حطان - زاهدا فى الحياة ، وراغبا فى الاستشهاد :

لقد زاد الحياة إلى بغضا
وحبا للخروج : أبو بلال
ولو أنى علمت بأن حتفى
كحتف أبى بلال ، لا أبالى
فمن يك همه الدنيا فإنى
لها والله - رب البيت - قال

وقول الإمام الشافعى فى الدعاء :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما يدريك ما فعل الدعاء
سهام الليل لا تخطى ولكن
لها أمد ، وللأمد انتهاء
دعا المظلوم ليس له مرد
ولا حجب تقيه ولا سماء

ويتحدث المؤلف فى الفصل الثالث والأخير من كتابه عن : « الأدب الصوفى » وأورد طائفة من أرق الأشعار التى اتسمت بالروح الصوفى المتسامى لا تقل فى قيمتها وصياغتها المحكمة ، عن أرقى نماذج الشعر الوجدانى ، فى الأدب العربى ، وخاصة ما قيل منها فى الحب الإلهى ، كقول السيدة رابعة العدوية :

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى - فوق التراب - تراب

ثم يورد المؤلف بعض أقوال بليغة لأئمة التصوف فى تعريف (الصوفى) ومنها قول أبى تراب النخشبى :

- الصوفى لا يكدره شىء ويصفو
به كل شىء

وقول ذى النون المصرى عن الصوفية إنهم :- آثروا الله - عز وجل - على كل شىء ، فآثرهم الله على كل شىء .

ثم يعقب المؤلف على ذلك كله ، بما يعد خلاصة الرأى فى الكتاب وموضوعه بقوله : « قضى الله بالتفاضل - لحكمة يعلمها الله وحده - لكى تسير الحياة ، ويعمر الكون ، ويقضى الله أمرا كان مفعولا .. فيتشعب الخلق ، فمنهم الصانع ، والتاجر ، والمزارع ، والعامل ، والعالم ، والطبيب ، والقاضى ، والمهندس ، والصوفى والزاهد ، وهم جميعا يمثلون أدوارهم فى البناء والتقدم الإنسانى والعلمى » . إلى أن يقول : « إن غير الصوفية : من ملكت الدنيا أنفسهم ، وشغلتهم عن الله ، وما خلق الله الدنيا وسخرها ، إلا لخدمة الإنسان ، حتى يعبد ربه ، ويتصل به قلبه .. ولكنهم أفرطوا فى الاشتغال بها ، وازدادوا حرصا عليها ، فكانت عندهم الغاية لا الوسيلة » . إلى أن يقول فى موضع آخر من كتابه : « والزاهد الحق ، هو الذى يستولى على جماح نفسه وهواها : يزهد فى الدنيا - وهو يملك منها ما يصرفه عن زهده . . فيزهد فيها - عن غنى .. أو - على الأقل : هى عن عمل وجهاد ، وجد واجتهاد ، لتحقيق الكسب ، لا عن عجز وخمول » .

ويحضرني في هذا المقام ، قول الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله - في إحدى خواطر كتابه : (الشوارد) ، تحت عنوان : (صوفي في حلة مذهبة) يقول فيها :

- قلت لنفسي - وقد لبست حلة رسمية ، موشاه علاه مزركشة (وربما كان ذلك أثناء عمله كسفير لمصر بأحد البلاد العربية) - ما أبعد هذا مما تدعين من التصوف ! أين ، من التصوف ، هذه الزينة ، وهذه الأبهة ، وهذه الخيلاء ؟

قالت : (أي نفسه) - إنها زينة ، ومن حرم زينة الله التي أخرج لعباده ؟ وليست خيلاء ، فما احتلت بها ولا زهيت ، ولا داخلني العجب » . .

إلى أن يستطرد - مبديا رأيه في الصوفي الحق ، وتعريفه له . بأنه : « من ينال من الدنيا مالا وجاها وسلطانا ، فيصرف ما نال بالعدل ، ولا يختال ولا يغتر . . يملك الدنيا ، ولا تملكه ، وتصرفها يده ، ولا تتصرف هي . . في قلبه » .

ويتفق الدكتور عزام ، مع الدكتور على صبح في الرأي ، بعد ذلك ، حين يقول : « إنما الصوفي الحق ، الذي يتصوف في المعترك ، بين الفتن والأهواء ، لا من يقبع في صومعته ، لايمتحن قلبه ولا يده ، بمال أو سلطان ، ولا يفتن بمجاملة الناس ، ولا تحيط به الشهوات » .

وصفوة القول ، فإن القراءة في كتاب الدكتور على صبح - عميد كلية اللغة العربية الأسبق - تعد بمثابة سياحة روحية رائعة ، في عالم الصفاء والنقاء ، والمجاهدات والمشاهدات ، والأذواق والمواجيد . . وقد شدنا إلى كتابه ، ما اتسم به من رونق العبارة ، وشدة أسرها وإشراقها . .

فالكتاب يعد بحق ، ثمرة جهد دائب ، واطلاع عميق مستفيض ، وقد زانه المؤلف بشروح بليغة للنصوص ، تشي بملكة أدبية متوهجة ، وتدل على أن المؤلف الفاضل قد وجد موضوعه الذي يحسن التأليف فيه ، والإحاطة به ، مفندا زعم بعض المستشرقين أن التصوف غريب عن طبيعة الإسلام ، لأن سليقة العربي لا تقبل التصوف ، لأنه - كما يقولون - نشأ في بلاد صحراوية ، تحت سماء صافية ، بين مناظر مكشوفة ، لا تخفى شيئا ، ولا تغريه بالغوص على سر من الأسرار . . وهذا بعكس الأمم التي تنشأ بين الغابات المتشابكة ، والأغوار السحيقة ، والجبال السامقة . . في جو غائم ، قلما تكشف عما فوقه من الكواكب والنجوم حتى : الشمس والقمر ![1]

وينفي العقاد هذا الزعم - بعد ذلك - لخلط المستشرقين بين الطبيعة العربية ، وطبيعة الإسلام . . فالإسلام - كما يقول العقاد : « بمعزل عن هذا كله ، فهو يشكل الطبائع ، وليس العكس ، لأنه من لدن الخلاق العظيم ، وليس كالأثر الأدبي ، مثلا ، الذي يتكون في ظروف معينة ، يتأثر بها[2] .

وينتهي العقاد إلى مشاركة الدكتورين : عزام وصبح ، الرأي ، في تمييز التصوف « بنوعيه المعروفين ، وهما : التصوف الذي يرفض الحياة ، والتصوف الذي يقبل الحياة . . أو ، هو - الأخير على الأقل - لا يحسب رفضها شرطا لازما ، من شروط الخلاص والنجاة »[3] .

وبالله التوفيق .

---

(١) انظر كتابه « مذاهب أدبية واجتماعية » للعقاد ص ١٩١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٢ .



للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد(*)

ترجع أهمية اللغة العربية إلى أن بها تعرف معانى ألفاظ القرآن والسنة ولا سبيل إلى إدراك معانيها إلا بالتبحر فى علم هذه اللغة .

ومنذ عهد بعيد و ولغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت لغاتها هى اللغة المعربة المستعملة فى شعرها وخطبها وكتابتها ، ولا فرق بينها فى البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة من نبالة الموضوع والتأنق فى العبارة[1] .

ولست بصدد الحديث عن أهمية اللغة العربية فى بناء قومية العرب وبيان مدى ارتباط كلتيهما بالأخرى ، فهذه مسألة قطع الباحثون فيها شوطا كبيرا ، وسلم أكثرهم بأهميتها لانتسابها إلى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، فضلا عن أنها لغة الآباء والأجداد وسجل تراثهم الفكرى المجيد ، إنما يهمنا التركيز على دور « زكى مبارك » فى الدفاع عن الفصحى وتراثها وبيان قدرتها على

(*) الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

(1) أحمد الهاشمى : جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب ـ ط ١٢ (١٩٢٠) ص ٣٧٠ .

التطور ومسايرة الحضارة ، والدعوة إلى جعلها لغة رسمية بالمدارس الأجنبية وكليات الجامعة العملية ، والدواوين والبنوك والمحاكم والمحافل والمؤتمرات الدولية ، فضلا عن دوره في إحباط مكايد الاستعمار ودعوات « التغريب » الموجهة للنيل من الفصحى إيمانا منه بدورها في بناء القومية العربية .

فقد « تآمر الاستعمار على مناهضة الفصحى .... فاتهموها بالجمود والعجز عن مسايرة الحضارة الحديثة ، ودعوا إلى إيثار اللهجات المحلية عليها ، وروجوا لدعواهم بوسائل شتى[1] يريدون بذلك قطع صلة مصر بالعروبة وتنفيرها من كل ما هو عربي تمهيدا لفصلها عن القومية العربية ، ففي[2] سنة ١٨٩٣ زعم « ويليام ولكوكس » في خطبة ألقاها في نادي « الأزبكية » ، أن المصريين عاجزون عن الاختراع ؛ لأن اللغة العربية الفصحى تعوقهم عنه ، ونصحهم باتخاذ اللغة العامية أداة للتعبير الأدبي ، واستشهد بالأمة الإنجليزية في أنها أفادت فائدة كبرى منذ هجرت اللاتينية التي كانت لغة للكتابة والعلم فترة من الزمن ؛ وقد أوجدت هذه الدعوة دويا عاليا ، واستجاب لها بعض العرب وروجوا لها ؛ برغم أنها هادمة ، « فدعا لطفي السيد وسلامة موسى وعبد العزيز فهمي في مصر ، والخوري مارون غصن في سوريا وكثير غيرهم إلى العامية والحروف اللاتينية »[3] .

وكان « مبارك » واحدا من أبرز نصراء الفصحى ، فعارض دعوة « ولكوكس » وكشف النقاب عن اتجاهها التغريبي ، واستنكر استجابة بعض مشاهير الكتاب لدعوته ، آخذا عليهم انبهارهم الأحمق بفكر المستشرقين ، يقول : « بلغ الجهل ببعض كتاب العصر أن يصدق ما أشار إليه « ولكوكس » من أن اللغة العامية لغة مصرية أصيلة يتكلمها المصريون منذ عهد الهكسوس ، على أن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن لغة مصر القومية هي الفصحى ؛ لأنها لغة للدرس والتأليف منذ أجيال طويلة ، وقد رأينا بعض الكتاب المشهورين يبدئون ويعيدون في هذه المسألة لأنهم رأوها على عناية أحد المستشرقين »[4] .

كما ناشد أساتذة الجامعة بحماية الشباب من الدعوات التغريبية ، فقال « إن شباب اليوم يعانون أزمة خطيرة بسبب الدسائس التي يصوبها المستعمرون والمبشرون إلى صدر اللغة العربية ، وإن واجب الأساتذة في كلية الآداب حماية الشباب من تلك السموم الفواتك »[5] .

وردا على القائلين بأن اللغة العربية في مصر لغة أجنبية ، يحاول « مبارك » أن يستخدم

---

(١) الدكتور أحمد محمد الحوفي : القومية العربية في الشعر الحديث القاهرة ص ٢١ .

(٢) الدكتور أحمد محمد الحوفي : القومية العربية في الشعر الحديث ـ مرجع سبق ـ ص ٢١ .

(٣) أنور الجندي : أضواء على الفكر العربي المعاصر ـ القاهرة ـ ص ٥٢ .

(٤) الرسالة : ٨ يناير (١٩٤٠) .

(٥) الرسالة : ٨ يناير (١٩٤٠) .

التاريخ ليؤكد بمردوده ، فيقول : « إن مصر لحكمة أرادها الله بالعرب والمسلمين ، هى البلد الوحيد الذى انقرضت لغاته القديمة لتحل محلها اللغة العربية وهو حظ لم تظفر بمثله أمة عربية أخرى »[1] ، وضرب المثل بتعدد اللغات فى الأقطار الشامية والبلاد العراقية والجزيرة العربية ثم قرر أن اللغة العربية « خلقت للحياة ولم تخلق للموت ، بدليل أنها لم تنهزم بانهزام الإمبراطورية الإسلامية ، وهى امبراطورية لم تسيطر على العالم سيطرة حقيقية أكثر من قرنين اثنين ، فلو كانت اللغة العربية لم تعش إلا بحراسة الإمبراطورية لوجب أن تزول ، ولكنها لم تزل ولن تزول »[2] ، وفى موضع آخر يحث الهمم ويكتل الجهود للعودة بها إلى عصرها الذهبى ، فيقول : « إن اللغة العربية لها ماض مجيد فى الحياة العلمية والطبية ، ومن السهل رجعها إلى مجدها القديم ، ونحن لا تعجزنا الأصول ، وإنما تعجزنا الهمم العاتية التى تخلق الممالك والشعوب[3] .

والواقع أن « مبارك » كان ينظر إلى اللغة العربية بالمقارنة مع استقلال اللغات الدولية الأخرى مثل الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية ، فكانت نفسه تمور بالغضب على كل ما يجرى فى بلاده من بنى قومه من تكاسل وتخاذل وسكوت على الإهانة ، نلمح ذلك بصدق من قوله : « إن الرجل لا يستطيع أن يتخذ باريس أو لندن أو برلين مقاما بدون أن يتعلم الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية ، بينما يستطيع الأجنبى أن يتخذ من القاهرة مقاما بدون أن يتعلم العربية ؛ لأن فى القاهرة عصبيات أجنبية لها مدارس ومكاتب وجرائد ومسارح ومنتديات .. وهو يستطيع بقوته الاستقلالية أن يقهر المصريين على مخاطبته بلغته الأصلية ، ثم لا يستطيعون هم أن يقهروه على مخاطبتهم باللغة العربية[4] ، هو بهذا يعكس نظرة الوطنى الغيور على استقلال أمته .

وإن غيرته لتشتعل كلما نظر إلى فرنسا وهى تنشر لغتها فى مستعمراتها ، وانجلترا وهى تنشر لغتها فى مستعمراتها ، وإيطاليا وهى تنشر لغتها فى مستعمراتها ، وخاصة أنهم غاصبون ، « فإذا كان الغاصبون يرون نشر لغاتهم من مؤيدات الاحتلال أفلا يرى الوطنيون نشر لغتهم من مؤيدات الاستقلال ! »[5]، وفضلا عن ذلك كان يرى فى ماضى اللغة العربية سجلا حافلا بمفاخر الأمة وأخلاق الإسلام ، لذلك عندما تعرض « كليرجيه » ـ أحد كتاب فرنسا ـ لأخلاق المسلمين ، هاجمه بعنف ونصحه بدراسة اللغة العربية من أجل التعرف على أخلاق الإسلام وتماسك الشرق ، فقال : « إن هذا الرجل يتعرض للإسلام والأخلاق الإسلامية مع أنه لم يدرس اللغة العربية ... من يبلغ مسيو « كليرجيه » أنه كان قصير النظر ، حين اكتفى فى

---

(١) الرسالة : ١٣ ديسمبر (١٩٤٣) .
(٢) الرسالة : ١٣ ديسمبر (١٩٤٣) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ القاهرة ـ ص ٩ .
(٥) المرجع السابق ص ١٣ .

درس أخلاق المصريين بالوقوف عند بعض المناظر التى يشاهدها أحيانا من يعيش فى القاهرة . . إن الذين يشيمون الفاحشة عن الشرق وأهله لا يعرفون أن أهلهم يعيشون فى بيوت من زجاج ، وينسون أن دنياهم مستمدة من أصول ينكرها الخلق النبيل »(١)، ومن ثم فقد كشف « مبارك » فى هجومه على « كليرجيه » الستار عن المؤامرات التى يديرها دعاة التغريب والذين يعملون لحساب الاستعمار .

ولعل دفاعه الملح عن اللغة العربية يبدو غريبا فى نظر الكثيرين ، وبخاصة إذا صدر هذا الدفاع عن رجل متخرج فى « السوربون » ، ومن اليسير عليه أن يحمل الأمانة للفكر الغربى كما حملها من قبل عدد من الكتاب هثوا وراء فكر المستشرقين وجعلوا أمانتهم له أكبر من أمانتهم للغتهم وقومية وطنهم ، فأوغلوا فى الدعوة إلى العامية أو الفرعونية أو إلى النزعة اليونانية ، أما « مبارك » فقد كان حاد البصر عندما نجا من هذه التبعية وعندما جاهد فى مقاومتها منذ إدراكه لاتجاهات أوروبا ، مؤكدا إيمانه الخالص باللغة العربية ودورها فى بناء قومية العرب .

ويؤكد « أنور الجندى » أن « مبارك » كان نسيجا وحده فى هذا المجال بين من عادوا من أوروبا ، فقد كان طه حسين ، وسلامة موسى وغيرهما ، يحملون لواء الدعوة مخدوعين أو غير مخدوعين ، أما هو فلم ينخدع »(٢) كما يذهب إلى أن دفاعه عن اللغة لم يكن شعارا يتسامى به إلى لقب أو منصب من المناصب التى « كانت تغدق على من يسميهم الغرب سفراء الفكر فى العالم العربى(٣) ، وكيف يتسامى إلى هذه الألقاب من يستهدف مصلحة مصر والعرب والإسلام ؟ فضلا عن أن المناصب العالية ـ على حد تعبير « مبارك » ـ كانت « لا تمنح إلا لمن ترضى عنهم الدولة »(٤)، ولن ترضى « إلا بمصانعة الدولة ومصانعة المجتمع »(٥)، وهذا ما يرى‌ه منه « مبارك » وتساءل مستنكرا « هل من مصلحة مصر ولها الزعامة الأدبية فى الشرق العربى والإسلامى أن يشعر المفكرون من أبنائها بأن لا سبيل إلى الظفر بما تؤهلهم مواهبهم من كبار المناصب إلا بتلك المصانعة »(٦) .

والواقع أنه عاش محزون القلب من هذه الأوضاع ، حتى أنه كان يشعر ـ وهو فى وطنه ـ بالغربة الروحية كما لو كان منفيا ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « أما النفى فعرفناه فى صورة جديدة هى الغربة الروحية والغربة العقلية ، وإلى الله

(١) البلاغ : ٣٠ مارس (١٩٣٤) .
(٢) أنور الجندى : زكى مبارك دراسة لحياته ـ القاهرة ـ صفحات ٩٤ ، ١٠٣ .
(٣) أنور الجندى : زكى مبارك دراسة لحياته ـ القاهرة صفحات ٩٤ ، ١٠٣ .
(٤) الرسالة : يونية ١٩٤١ ، الحديث ذو شجون ـ القاهرة ـ ص ١٩٧ .
(٥) الرسالة : يونية ١٩٤١ ، الحديث ذو شجون ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٧ .
(٦) الرسالة : يونية ١٩٤١ ، الحديث ذو شجون ـ المرجع السابق ص ١٩٧ .

أشكو ما تعانى من قسوة الاغتراب فى هذا الزمان »[1] .

ومما يؤسف له أنه بالرغم من حرمانه مما تاق إليه من المناصب العالية ، كان يعانى من الرقابة المشددة المفروضة على فكره ، وهذا ما جعله يأن من خطورة تلك الضغوط ويقول : « لن تقوى لغتنا على منافسة اللغات الحية وهى أداة ضعيفة بسبب الكبت المفروض على قادة الفكر وحملة الأقلام »[2] .

ويمكن القول أن رقابة الدولة وضغوطها على فكر « مبارك » ، فضلا عن مؤامرات الغرب للنيل من اللغة العربية ، قد نشأ عنها ما يسمى بعنصر « التداخل أو التشويش » وهومعوق يؤثر على المرسل ورسالته معا « فتفقد عملية الاتصال شيئا من المعلومات المتدفقة من المصدر إلى الهدف »[3] ويمكن تصوير هذا « التداخل » كما فسره « شانون Cland Shanon » و « ويفر W . Weaver » وهما من الإعلاميين الإنجليز - على النحو التالى :[4] .

و « مبارك » كرجل إعلامى متمرس كان يضع هذه الأمور فى اعتباره ، فأخذ يعالج هذا التداخل عن طريق « الإعادة أو التكرار *REDUNDANCY* حتى تتاح الفرصة للمستقبل لالتقاط الإشارة »[5] ، وإذا كان للمرسل مراعاة « تجنب التكرار الممل »[6] فإن « مبارك » لم يتجنب ذلك ، نظرا لأنه يستهدف جعل « اللغة العربية لغة رسمية ، وهى فكرة قومية تقتضى عنصر « التثبيت » ، يوضح ذلك بقوله : « وبسبب الإلحاح فى هذه الدعوة وأن بعض أقطاب الجامعة المصرية من الثقلاء ، وأوصدوا فى وجهى كل الأبواب »[7] .

ولعل أبرز مظاهر عناية « مبارك » باللغة العربية اهتمامه بالدعوة إلى تدريس العلوم بها فى كليات الجامعة المصرية ، فقد دعا إلى « أن التعليم عند المستقلين يجب أن يكون باللغة القومية لغة الآباء والأجداد »[8] ، وذلك بعد أن نظر إلى الأمم المستقلة فوجدها لا تصطنع فى التعليم لغة أجنبية « أما مصر العزيزة فقد قسمت إلى مناطق ، منطقة ضعيفة تسود فيها اللغة العربية وهى المدارس الابتدائية ، ومنطقة قوية تسود فيها اللغة الفرنسية وهى كلية الآداب وكلية الحقوق ، ومنطقة أقوى تسود فيها اللغة الإنجليزية وهى

---

(١) الدكتور زكى مبارك : الموازنة بين الشعراء - القاهرة - ٣٣٢ .
(٢) الرسالة : مرجع سابق .
(٣) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير - القاهرة - ص ١٣٢ .
(٤) Shannon , C . & Weaver W . , The Mathematical Theory of Communi cation , (1949) .

الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير - مرجع سبق ص ١٣٢ .
(٥) المرجع السابق ص ١٣٣ .
(٦) المرجع السابق - ص ١٣٣ .
(٧) الرسالة : ٧ يناير (١٩٤٠) .
(٨) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد - مرجع سبق ص ١٢ ، ١٧ ، ١٤ .

كليات الطب والهندسة والعلوم »(١)، فضلا عن أن «مناصب التعليم فى المدارس العالية أكثرها للأجانب»(٢)، وقد دفعته نزعته التحررية إلى اليقين بأن ما يراه «بلية لا تصبر عليها أمة تسمو إلى كرامة الاستقلال»(٣).

والحقيقة أنها بلية تتضح أكثر إذا ما قورنت مع محافظة الشعوب الأفرنجية على لغاتها «فالإنجليز يريدون أن يبقوا انجليزا، والفرنسيس يريدون أن يبقوا فرنسيسا، والألمان لا يريدون أن يكونوا إلا ألمانا، والطليان لا يرضون إلا أن يكونوا طليانا، والروس قصارى همهم أن يكونوا روسا»(٤) وينظر «مبارك» إلى جهود تلك الشعوب فى سبيل الاحتفاظ بقوميتهم، فلم تزده إلا حماسا وغيرة على استقلال وطنه.

ويجىء دوره كرجل إعلامى أخذ على كاهله إحياء اللغة العربية فى سبيل تدعيم القومية، وهذا فى حقيقته عمل حضارى فى حاجة «إلى التنوير والتعبير والتوعية والإسراع بخطوات التنمية وتكتيل فئات الشعب وتوضيح الأهداف وتجسيمها وتنشئة الجماهير تنشئة سياسية واجتماعية يمكنها من تصور المستقبل وتدريب الناس على القيام بأدوارهم فى مجتمع الغد»(٥)، فكان أول ما قرره «مبارك» ونادى به فى هذا العمل الحضارى «أن لغة التعليم فى كليات الجامعة المصرية يجب أن تكون العربية»(٦)، وحتى يكون التخطيط سليما وغير متروك للمصادفة، أخذ يقوض المبررات التى أتاحت للغة الأجنبية أن تسود فى كليات الطب والهندسة والعلوم، فيقول: «إنهم يزعمون أن اللغة العربية تعوزها المصطلحات العلمية، وهذا وهم، أو هو عجز يستر بهذا الوهم المصنوع، فالمصطلحات العلمية لم تكن مما تفردت به الإنجليزية أو الفرنسية، وإنما هى ألفاظ نحتت نحتا من اليونانية واللاتينية، وفى مقدورنا أن نأخذها كما أخذوها بعد أن نصقلها صقل التعريب فتضاف إلى اللغة القومية»(٧).

ويبدو أننا فى حاجة إلى دراسة هذا الاقتراح والمضى به نحو التطبيق العمل، وخاصة أنه ليس بعيد المنال بدليل «تلك الكتب العلمية العديدة التى أخرجها الاتحاد السوفيتى أخيرا، وعبر فيها باللغة العربية عن علوم الذرة والفضاء والصواريخ، فضلا عن الطب والهندسة والفنون»(٨).

«يتبع»

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الدكتور زكى مبارك: اللغة والدين والتقاليد - مرجع سبق - صفحات ١٢، ١٣، ١٤.

(٣) المرجع السابق - ص ١٤.

(٤) شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم - ط ٣ (١٩٣٩) - ص ٧٨.

(٥) الدكتور إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير - مرجع سبق - ص ٢٨٥.

(٦) الدكتور زكى مبارك: اللغة والدين والتقاليد - مرجع سبق ص ١٥.

(٧) المرجع السابق.

(٨) د. إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير - القاهرة - ص ١١٨.



للأستاذ الدكتور
السيد مرسى أبو ذكرى

تقديم :

عرف تاريخنا منذ القرن الثالث الهجرى ، مؤلفات ذات معارف مختلفة ، وثقافات شتى ، آمن مؤلفوها بأن المحصول الوفير من الثقافة ، يثرى الأفكار ، ويفتق الأذهان ، وينمى الأذواق ، ويؤدى إلى الدراسة القويمة المنتجة ، حيث الإفادة من « المستطرف من كل فن » ، والطريف من كل علم .

وهى كتب عديدة عنى بعضها بمأثور الشعر والنثر ، وما يتصل بهما من أخبار وأنساب وأيام . وعنى باقيها بإحصاء الروايات ، وعرض جوانب من حيوات الشعراء والكتاب ، وسرد طائفة من شعرهم ونثرهم . ويؤخذ عليها أنها تفتقد التنسيق ، وتخلو من تسلسل الحوادث ، وترتيب الحديث عن الشخصيات حسب أزمانهم التى برزوا فيها ، بجانب عدم الاهتمام بالتحقيق التاريخى ، ومعرفة أثر البيئة فيهم .

إصلاح الدرس الأدبى :

أدى اتصال أبناء العالم العربى بأوروبا فى القرن الماضى ، إلى إنعاش حياة الأدب العربى بجانب دعوة الأدباء بضرورة اختيار النصوص التى تقوّم الألسنة ، بواسطة أصحاب الذوق الذين يحيطون بمنهج القدماء ، الذى يهتم باللغة والنحو ، والمعانى والبديع ، والعروض والقوافى ، ويعرفون منهج المحدثين الذى يعنى بصلة الأدب بالمجتمع من ناحية ، وصلة الحياة العقلية بالحياة الشعورية من ناحية أخرى . مع إمكانهم إبراز وجوه الشبه بين أدبنا وآداب الأمم الأخرى ، والإلمام باللغات الحديثة وآدابها .

ونتيجة لذلك شهد النصف الثانى من القرن الماضى نهضة فى دراسة الأدب ونقده ، على أيدى نفر يحسنون اختيار النصوص وتذوقها ، ويعرفون أسس البحث الأدبى الذى يقود للدرس المنتج على نحو ما نرى فى المؤلفات التالية :

الوسيلة الأدبية للعلوم العربية :

للشيخ حسين بن أحمد المرصفى ١٨١٥ - ١٨٨٩ . أراد بعبارة « الوسيلة الأدبية » الأداة التى تعلم اللغة العربية وآدابها ، وتعين على صناعة الشعر ، وتدبيج النثر . ونظرة فى مباحث الكتاب تريك - فى وضوح - ريادة المرصفى ، فى حركة تطوير الدراسة الأدبية ، ببحث علوم العربية ، وطرائق النقد التقليدى لدى العرب القدماء .

استهدف المرصفى بكتابه ، تربية الأذواق ، وتنمية الملكات ، وتفريق الوسائل عن الغايات . قبل تحصيل القواعد ، ودراسة الآراء والنظريات . فجاء منهجه إحياء للبلاغة ، وتجديد اللغة والأدب وتاريخه . ومهد به لمرحلة جديدة من البحث والتحقيق فى الدراسات الأدبية واللغوية ، وهذا ما حرصت الجامعة المصرية على تحقيقه منذ إنشائها ١٩٠٨ .

من هنا كان حسين المرصفى رائد البحث الأدبى فى الدراسة ، وعلى يديه تتلمذ نفر من رواد النهضة الأدبية الحديثة ، أقاموها على بعث التراث العربى القديم ، أو الذين جمعوا بين التراث العربى القديم والتراث الغربى الوافد .

المواهب الفتحية :

للشيخ حمزة فتح الله ١٨٤٩ - ١٩١٨ . اقتفى فيه أثر أبى عثمان الجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ فى البيان والتبيين ومحمد بن يزيد المبرد المتوفى ٢٨٥ هـ فى الكامل فى اللغة والأدب ، وأبى على القالى المتوفى ٣٥٦ هـ فى الأمالى ، وغيرهم من أصحاب المؤلفات التى غلب الاستطراد عليها ، لكنه لم يتقيد بفن من فنون الأدب ، أو علم من علوم اللغة ، وإنما انتقى مانقله مع بيان الصواب ، حتى جاء كتابه « نموذجا للأدب ، وعنوانا على الفضيلة التى امتازت بها لغة العرب »[1] .

استهدف الشيخ حمزة بكتابه ، أن يطلع طلابه على المعارف اللغوية والأدبية الجيدة ، ويأخذ بيدهم إلى الثقافة الواسعة التى تربى الملكات ،

---

(١) راجع : مقدمة المواهب الفتحية .

وتعين على إجادة القول ، وتربطهم بمصادر اللغة والأدب التى خلفها القدماء .

والجديد فى دراسة الشيخ حمزة ، تخطى عصور التخلف والضعف إلى عصور القوة والازدهار ، معتمدا على الأخذ من كل فن بطرف ، حتى تتحقق تربية الملكات . وبذا أقام منهجه على التثقيف اللغوى والأدبى ، مما كان له أثره فى دراسة الأدب العربى فى الربع الأول من القرن الحالى .

الموازنة الأدبية :

ساهم الشيخ محمد المهدى ١٨٦٨ ـ ١٩٢٤ ، فى دراسته للأدب ونصوصه ـ طوال عشرين عاما ـ لطلاب دار العلوم ، والجامعة المصرية ـ ومدرسة القضاء الشرعى ، بالعديد من الآراء الجيدة . والنظرات البارعة ، فى الموازنة بين الموضوع والعبارة الفكرية ، والحالة النفسية من جهة ، وبين السمة البارزة للأديب ، والاتجاه التأثرى فى الاستشهاد الشعرى من جهة أخرى مما جعل الشيخ المهدى من رواد مدارس الأدب ونقده فى مصر .

اعتمد الشيخ المهدى فى دراسته للأدب ، وفى الموازنة بين النصوص ، على منهج يعتمد على النقد والتحليل ، مع العناية بما يحتاجه من نحو وصرف ، ولغة وبيان ، ليغرس حب الأدب القديم فى نفوس مريديه من طلاب العلم ، حتى يقبلوا على استظهار الجيد من روائع أدبنا القديم ، فتنمو الأذواق ، وتجود الملكات عندئذ [١] .

تاريخ آداب اللغة العربية :

ألفه محمد دياب ١٨٥٢ ـ ١٩٢١ ، على أثر إشارة صديقه حسن توفيق العدل ، أن يضع كتابا فى الأدب العربى على غرار صنيع المستشرقين ، فجاءت محاولته تاريخا للعلوم الأدبية ـ اللسانية ـ لدى العرب . ومن ثم لم يرض العدل عن عمله بهذه التسمية .

والجديد فى محاولة دياب ، أنها حملت أول تسمية فى اللغة العربية لهذا الفن الجديد . وسواء كانت التسمية من بنات أفكار دياب ، أو من وحى صديقه العدل ، فهى جديدة ومستحدثة ، وإن نازعها جورجى زيدان ١٨٦١ ـ ١٩١٤ فى التسمية [٢] .

محاولة العدل :

فى ١٨٩٥ درس حسن توفيق العدل ١٨٦٢ ـ ١٩٠٤ الأدب العربى لطلاب دار العلوم . وحاول فى دراسته التى أودعها كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ، تطبيق مناهج الأوروبيين على أدبنا العربى . فصدر كتابه ببحثين : أحدهما عن اللغة أنهاء بأنها « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » [٣] وثانيهما عن أدب اللغة خلص منه إلى أن « تاريخ أدب اللغة تابع فى تقسيمه للتاريخ السياسى أو الدينى فى كل أمة ، لأن الأحوال السياسية أو الدينية تكون فى العادة عامة . . . » [١] .

---

(١) راجع : مبحث « الطالب الموازنة » ص ٣٩٢ ـ ٤٠٣ بكتاب الموازنة بين الشعراء ، زكى مبارك ، طبعة ١٩٧٣م

(٢) راجع : جورجى زيدان ص ٨٧ محمد عبد الغنى حسن ، العدد ٩٠ من سلسلة أعلام العرب ١٩٧٠ .

(٣) راجع : تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤ ومابعدها ، مخطوط بدار الكتب ١٣٢٠هـ = ١٩٠٤م .

(٤) راجع : المصدر السابق ص ٧ ومابعدها .

وهذا يعنى أن العدل ربط الظاهرة الأدبية ، بظواهر الاجتماع والسياسة ، حيث اعتبر « تاريخ الأدب تابعا للسياسة والدين » ، وأرجع تأثير السياسة أو الدين إلى تحريك الأفكار ، وازدهار الأدب فى ظل الإسلام ، وانحداره بتجزئة الدولة الواحدة .

والجديد فى دراسة العدل وقوفه على نتائج ـ فى الشعر والنثر الجاهلى ـ ، تتمثل فى وحدة اللغة الفصيحة ، وهذا ما أسماه علماء اللغة المحدثون « اللغة المشتركة » اليوم . لذا نراه يقول : « . . . انظر يا رعاك الله إلى هذا المنظوم ، وذاك المنثور اللذين صاغهما أولئك الشعراء والخطباء من سبائك الكلام . . . . . . تجد أن لهجاتهم الكلامية متحدة على اختلاف قبائلهم ، واقتران لغاتهم ، وما ذلك إلا أن هؤلاء الشعراء والخطباء ، كونوا بأشعارهم وخطبهم وحدة اللغة الفصيحة فيما بين القبائل المختلفة . . . »[1] .

وبذا عدّت محاولة العدل ـ رغم وجازتها ـ تطورا فى دراسة الأدب العربى ، وجعله علما مستقلا ، وفنا قائما بذاته ، ومن ثم كان كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » أساس دراسة الأدب العربى ، حيث استحسن الدارسون طريقته ، فألفوا على نهجه مع شىء من التعديل والتفصيل .

تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب .

ضمّنه مؤلفه محمد روحى الخالدى ١٨٦٤ ـ ١٩١٣ « المقابلة بين الآداب العربية والإفرنجية » ، وكشف فيه عما اقتبسه الإفرنج من آدابنا وأساليبنا ، وهو « مما لم يتصد للبحث فيه أحد قبله ولا أحد بعده » . كما تحدث عن الأدب الفرنسى منذ عهده الأول ، حتى زمن فيكتور هوجو ١٨٠٢ ـ ١٨٨٥ ، مع وصف مؤلفاته ومقابلتها بما عند أدباء العرب من آثار .

بث الخالدى آراءه ونظراته فى ثنايا كتابه ، وحدد موقفه تجاه ثلاث قضايا أساسية : تجاوز فى الأولى ما درج القدماء عليه فى تعريف الأدب ، فأدخل فيه الأغانى والروايات والقصص ، والنوادر والحكايات والمقالات ، وغيرها مما أخذ به نقادنا اليوم [2] .

ودعا فى الثانية إلى الوقوف على آداب الأمم المتمدنة ، بعد شيوع فكرة الاكتفاء الذاتى فى عصور التخلف[3] وذمّ فى الثالثة الإفراط فى المحسنات البديعية ، حيث أكثر الأدباء فيها ، مما قادهم إلى التكلف والتقليد[4] .

ودعا الخالدى ـ أكثر من مرة ـ إلى ضرورة



(١) راجع : تاريخ اداب اللغة العربية ص ٨ ومابعدها ، مخطوط بدار الكتب ١٣٢٠هـ = ١٩٠٤م .

(٢) راجع : تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب ص ٢٥ محمد روحى الخالدى الهلال ١٩٠٤ .

(٣) راجع : تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب ص ٢٥ ـ ٣٦ محمد روحى الخالدى ١٩٠٤ .

(٤) راجع : المصدر السابق ص ٢٨ ـ ٢٩ .

مقارنة الفنون والموضوعات والمعانى التى طرقها أدباء الأمتين : الإفرنجية والعربية ، مما يدل على إحاطته بالنظائر والأشباه ، بين أدبنا العربى وآداب الأمم الأخرى .

ويعدّ حديث الخالدى عن تطور الشعر عبر عصوره ، نظرة مبتكرة للأدب حسب المنهج التاريخى الذى يربط فنون الأدب بما يحيط بها من ظروف ومؤثرات .

تعريب إلياذة هوميروس :

اهتدى الدارسون العرب بأصول مناهج الغرب فى دراساتهم ، حتى يسهل الوقوف على العوامل المؤثرة فى الأدب والأديب معاً ، مما ترتب عليه وضع نظريات جديدة فى تفسير الأدب ونقده ، وردّه لعوامل المجتمع ، وأحوال السياسة .

وسرعان ماعرّب سليمان البستانى (١٨٥٦ - ١٩٢٥) ، إلياذة هوميروس شعرا ، وصدّرها بمقدمة تعد نموذجاً رائعاً للدراسة الأدبية ومقارنة الآداب ، جمع خلالها بين الأساليب الغربية فى الدراسة ، وبين الأسلوب البلاغى الانطباعى ، الذى سلكه العرب منذ القرن الثالث الهجرى ، بدءاً من البيان والتبيين لأبى عثمان الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ ، فكتابى نقد الشعر ونقد النثر لقدامة بن جعفر المتوفى ٣٣٧ هـ ، فكتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى المتوفى ٣٩٥ هـ ، فكتابى « دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجانى المتوفى ٤٧١ هـ ، فكتابات عبد الرحمن بن خلدون المتوفى ٨٠٨ هـ .

فأتاح سليمان البستانى بنقل الإلياذة لشعراء العربية الاطلاع عليها ، فأهاج قرائحهم ، ودفعهم إلى محاكاتها ، فظهرت بوادر من صنيع الملحمة ، حسب ثقافة كاتبها وتأثره بالقديم أو الجديد .

تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية :

كلفت إدارة الجامعة فى أول أمرها ، حفنى ناصف ١٨٥٤ - ١٩١٩ ، بدراسة أدب اللغة والتاريخ له فى عام ١٩٠٩ / ١٩١٠ ، فألقى محاضرات على طلاب قسم اللغة العربية ، سماها « تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية » .

ضمّن حفنى ناصف دراسته موضوعات ، لم يلتفت مؤلفو التاريخ الأدبى - قبله وبعده - إليها ، مثل : مسميات حروف اللغة ، وتقسيمها إلى صغرى وكبرى ، والخلاف فى ترتيب الحروف العربية بين المشارقة والمغاربة ، واستعمال الحروف فى الحساب والفلك والتاريخ . كما تناول تاريخ الخط العربى منذ عهد رعاة العرب والبابليين حتى يومنا ، وأشار إلى الأقلام وأنواعها ، إلى آخر الموضوعات التى خلت معظم كتب الأدب منها .

وتعدّ مذكرات حفنى ناصف فى تاريخ الأدب ، صورة من نشاط الجامعة المصرية الناشئة ، فى ميدان النهوض باللغة والأدب ، مما كان له أثره فى نهضة دراسة تاريخ الأدب وتطوره فى محيط الدراسة الأدبية المعاصرة .

تاريخ الآداب العربية :

للمستشرق الإيطالى كارل نالينو ١٨٧٢ - ١٩٣٨ ، فقد استقدمته إدارة الجامعة ١٩٠٩

لدراسة الأدب حسب مناهج الغرب الحديثة . وأسفرت محاضراته فى مجال التاريخ الأدبى للطلاب خلال العام الدراسى ١٩١٠ /١٩١١ ، عن كتابه « تاريخ الآداب العربية من الجاهلية إلى نهاية الدولة الأموية » واستهدف من دراسته تعويد الطلاب طريقة البحث ، ووجُوه المفارقة ، وسلامة الاستنباط .

يتميز عمل « نالينو » باستقلال رأيه الذى استخلصه من تجاربه ودراسته ، فنراه يوجه طلابه بقوله : « ستسمعون يا سادة أُسَرِّد فى أثناء دروسى عدداً غير قليل ، من أسماء وعلماء معتبرين قدماء كانوا أو معاصرين ، شرقيين أو غربيين ، فأنتقد أقوالهم ، وأبدى فكرى فيها بالحرية التامة ، مستحسناً تارة لآرائهم ، وذاداً تارة عليها ، بعد تقديم المستندات والدلائل والحجج . وليس غرضى من ذلك الحطّ من شأن أولئك العلماء الأفاضل . . . وإنما غرضى الانتفاع بأعمالهم العلمية المهمّة ، وتقدير فضائلها حق التقدير[1] .

ولا غرابة من « نالينو » الذى تأدب بأدب الغرب ، أن يسجل فى كتابه ماعرفه من أفكار واتجاهات تفيد دراسة « التاريخ الأدبى » ، وتثمر فى إبراز الحقائق ، وتوصّل إلى صحّة النتائج .

مقدمة لدراسة بلاغة العرب :

لأحمد ضيف ١٨٨٠ ـ ١٩٤٥ ، كلفته إدارة الجامعة بعد عودته من باريس ١٩١٨ ، بدراسة الأدب ، وأثمرت دراسته بها كتابين : « مقدمة لدراسة بلاغة العرب » و « بلاغة العرب فى الأندلس » ، تجاوز فيهما تقاليد فهم الأدب ودراسته ، لإيمانه بأن التجديد واجب فى لغة بلاده وأدب أمته .

يضم الكتاب الأول مجموع المحاضرات التى ألقاها على الطلاب خلال عام ١٩١٨ / ١٩١٩ وطبع ١٩٢١ . أراد بكلمة « بلاغة » مانسميه « أدباً » . مهّد لمحاضراته ببيان طبيعة الأدب وحاجته لمناهج جديدة ، تعتمد على النقد السليم ، ثم عرض أقسام الشعر ، والأقوال التى قيلت فى الشعر الجاهلى ، والنزعات المختلفة فى فهم البلاغة « الأدب » وبذا خالف ضيف نهج سابقيه فى الموضوعات التى تناولوها . ونعى على الدارسين قولهم : كتاب أدب لتضمنه العديد من اللغة وقواعدها ، والكثير من الشعر والنثر ، وكذا قولهم : فلان أديب لأنه جلى العبارة ، عالم بكثير من المترادفات ، تنقاد له البلاغة ، ودعا إلى تحطيم المفاهيم المتعلقة بالأدب وكتبه ومؤلفيه[2] .

ووضّح أحمد ضيف أن النقد ـ فى جملته ـ لايخرج عن وصف الأعمال الأدبية وتحليلها ، ولا عبرة للأحكام التى تصدر بعيدة عن نفسية الأديب وثقافته وميوله . وبذا التقى فى دراسته للأدب مع منهج المتهمين بدراسة التاريخ الطبيعى للنفوس الإنسانية ، للحصول على صورة عامة من الحياة العقلية للإنسان ، من أمثال : سانت بيف

(١) راجع : تاريخ الآداب العربية ص ١٩ كارلو نالينو ـ دار المعارف ١٩٧٠ .

(٢) راجع : مقدمة لدراسة بلاغة العرب ص ٦ ، احمد ضيف الطبعة الأولى ١٩٢١ .

١٨٠٤ ـ ١٨٦٩ ، وهيبوليت تين ١٨٢٥ ـ ١٨٩٣ ، وفرديناند برونتير ١٨٤٩ ـ ١٩٠٧ .

وفى ١٩٢٤ أصدر كتابه الثانى « بلاغة العرب فى الأندلس » ، أراد به أدب العرب فى بلاد الأندلس ، مهد له بفتوح الأندلس ، والحياة العقلية والفنية والاجتماعية فى ربوعها ، ثم تناول الشعر والنثر فيها ، وترجم لبعض أعلامها ، وألم بالموشحات وشيوعها . والكتاب تكملة لمباحث كتابه الأول ، وبمثابة تطبيق لاتجاهه فى الأدب والنقد .

وضّح أحمد ضيف اتجاهه ـ أكثر ـ فى دراسة الأدب ، بقوله : « فلابد من البحث فى الصلة بين الكاتب وكتابته والاجتماع ، ولابد من معرفة البلد الذى ولد فيه الكاتب ، والجو الذى تربى فيه ، والزمن الذى عاش فيه ، وحالته الصحية ، ومزاجه وسيرته ، والتربية التى حصل عليها ، ومعرفة أصله وقبيلته ، والأوصاف العامة لها . . . »[1]

واشترط فى دارس الأدب تمتعه بالملاحظة الدقيقة ، وقدرته على الموازنة الصحيحة ، واستعداده للمقارنة الواعية ، فقال : « . . . لايصدق القول بأن لغة العرب أحسن اللغات ، دون أن يعرف ـ دارس الأدب ـ اللغات الأجنبية ، ويوازن بينها وبين العربية . . . . لايتحقق له ذلك إلا إذا وقف على مذاهب العرب قديما وحديثا ، وعرف الخطأ والصواب فى آراء صاحب الكتاب »[2] .

وتبدو أصالة اتجاه أحمد ضيف فى كتابيه ، مزج دراسة الأدب بالتاريخ الإسلامى . حيث يقول : « لو كان من الضرورى الاستدلال على أطوار الأدب بدراسة التاريخ ، فذلك ألزم ما يكون فى أدب العرب ، لأنه أشد ما يكون صلة بالتاريخ ، إذ التاريخ الإسلامى من تواريخ الأمم وأشدها حركة وانتقالا ، وأظهرها أثرا فى العقول والأفكار ، لأنه ليس تاريخا لاغير ، بل هو أيضا تاريخ دينى ، أى تاريخ مذاهب وأحزاب دينية ، وآراء فى السياسة والاجتماع ، مبنية على أثر الدين فى العقول والعقائد »[3] .

وبذا أسهم أحمد ضيف فى محاضراته بجهود محمودة ، فى دراسة الأدب ونقده بكتابيه ، وكان اتجاهه فيهما جديدا ، وبخاصة دعوته لأخذ ما يناسب أدبنا وطبيعته ، من مذاهب النقد ومسائله لدى الغرب ، وبخاصة فى فرنسا .

فى الشعر الجاهلى :

فى ١٩٢٤ تحولت الجامعة الأهلية إلى حكومية ، وأصبح طه حسين ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣ م أستاذا للغة العربية وآدابها ، وأخذ يؤرخ للأدب العربى على منهج ـ رنيه ديكارت ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ ـ الفلسفى الذى يقوم على الشك ، من أجل الوصول إلى اليقين ، فنسف جذور الطرق التى اعتمد مدرسو الأدب العربى من أسلافه عليها قبله .

(١) راجع : بلاغة العرب فى الأندلس ص ٩٨ ، أحمد ضيف الطبعة الأولى ١٩٢٤ .

(٢) راجع : المصدر السابق ص ٣ ـ ٧ .

(٣) راجع بلاغة العرب فى الأندلس ص ١٥ ـ ١٦ أحمد ضيف الطبعة الأولى ١٩٢٤ .

بدأ الرجل بدراسة الشعر الجاهلي ، فكان كتابه « في الشعر الجاهلي » ١٩٢٦ ، وقادته شكوكه في الشعر الجاهلي ، إلى أنه لايمثل اللغة الجاهلية ، لخلوه من الأسانيد التي فات الرواة الاعتماد عليها . مما أحدث ضجة في مختلف الأوساط . اضطرته لتسميته « في الأدب الجاهلي » حدد طه حسين الأدب بأنه « ما يؤثر من الشعر والنثر ، وما يتصل بهما لتفسيرهما من ناحية ، ونقدهما من ناحية أخرى » . [١] ثم أشار إلى ما يعين على فهمه وتذوقه ، فقال : « إنك لاتستطيع أن تفهم الأثر الفني للكاتب أو الشاعر ، إذا اعتمدت على ما تعودنا أن نعتمد عليه من علوم اللغة ، ومن الأنساب والأخبار ، ومن النقد ، وإنما قد تحتاج إلى أن تعتمد على أشياء أخرى ، ليس بينها وبين الأدب صلة ظاهرة » [٢] .

وكشف عن صلة الأدب بتاريخه ، فقال : « فتاريخ الأدب .. أدب في نفسه من جهة ، لأنه يتأثر به مأثور الكلام من الذوق . . . وتاريخ الأدب علم من جهة أخرى ، ولكنه لايستطيع أن يكون علما كالعلوم الطبيعية والرياضية لأنه متأثر بهذه الشخصية »[٣] .

أخضع طه حسين التاريخ الأدبي لثلاثة مقاييس : أحدها : سياسي يخضع الأدب للسياسة في رقيها وانحطاطها ، وعنه يقول : « النظر في الآداب من حيث العصور التي ظهرت فيها ، وتقسيمها من هذه الناحية إلى آداب جاهلية ، وآداب إسلامية ، وآداب نشأت في عصر الانحطاط ، ثم آداب نشأت في العصر الحديث » [٤] .

وثانيها : علمي أراد به تطبيق نظرة سانت بيف ١٨٠٤ - ١٨٦٩ في الاقتصاد على شخصية الأديب ، واتجاه هيبوليت تين ١٨٢٥ - ١٨٩٣ لبيئة الأديب ، وأثر الجنس والزمان فيه ، واهتمام فرديناند برونتير ١٨٤٩ - ١٩٠٧ ، في الوقوف على أصل الأدب ، وما يطرأ عليه من تطور ، وإليه أشار بقوله : « مثل هذا النوع من البحث العلمي الخالص كثير ، لايكاد يبلغه الإحصاء ، وهو الزهرة الحقيقية لجهود اللغويين والباحثين عن الأدب وتاريخه ، وعلى هذه الجهود الخصبة . . . . يقوم التاريخ الأدبي الصحيح » [٥] .

ثالثها : المقياس الأدبي الذي اقترحه ، بأن يأخذ من العلم منهجه وطريقته في البحوث التاريخية وغيرها ، مما يمهد السبيل لتذوق النص الأدبي ، وفيه يقول : « لن أستطيع أن أستحسن القصيدة من شعر أبي نواس ، إلا إذا لاءمت نفسي ، ووافقت عاطفتي وهواي ، ولم تثقل على طبعي ، ولم ينفر منها مزاجي الخاص ، أنا إذن عالم حين اكتشفت تلك النص ، وأضبطه وأحققه وأفسره من الوجهة النحوية واللغوية . . . ولكني

---

(١) راجع : في الأدب الجاهلي ص ٢٨ ، وطه حسين ، دار المعارف ١٩٨١ .
(٢) راجع : المصدر السابق ص ٢٨ - ٢٩ .
(٣) راجع : في الأدب الجاهلي ص ٣٣ ، طه حسين ، دار المعارف ١٩٨١ .
(٤) راجع : المصدر السابق ص ٣٧ .
(٥) راجع : في الأدب الجاهلي ص ٥٢ ، طه حسين ، دار المعارف ١٩٨١ .

لست عالما حين أدلك على مواضع الجمال الفنى من هذا النص »[1] .

وأخذ على طه حسين عدم تسليمه بصحة أكثر الأدب الجاهلى ، حيث قال : « لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين »[2] . وبذا أحدث الكتاب ضجة فى مختلف الأوساط . فوضع رجال اللغة والدين الكتب لمناقشته والرد عليه ، وفى ١٩٢٧ برزت الردود عليه ، مثل « الشهاب الراصد » لمحمد لطفى جمعه المتوفى ١٩٥٣ ، « ونقد الشعر الجاهلى » لمحمد فريد وجدى المتوفى ١٩٥٤ ، و « نقض كتاب فى الشعر الجاهلى » لمحمد الخضر حسين المتوفى ١٩٥٨ ، و« نقض مطاعن فى القرآن » لمحمد أحمد عرفة المتوفى ١٩٧٣ .

ولعنف الحملة على طه حسين ، وضراوة الجدل حول كتابه ، اضطر إلى تعديل آرائه ، وبخاصة ما تعرض فيها للدين ، وأعاد طبعه ١٩٢٧ بعنوان آخر هو « فى الأدب الجاهلى » دون تغيير نظرته للشعر الجاهلى .

وظلت الثورة قائمة على الكتاب على نحو ما صوره كتاب « تحت راية القرآن » لمصطفى صادق الرافعى المتوفى ١٩٣٧ ، وكتاب « النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى » لمحمد أحمد الغمراوى المتوفى ١٩٤٤ ، وقد صُدِّر بمقدمة طويلة ضافية ، لأمير البيان شكيب أرسلان المتوفى ١٩٤٦ .

وأسفر الحديث عن قضية الشعر الجاهلى ، عن وضع أصول جديدة للبحث الأدبى ، ترجع إلى جانبين : جانب علمى يقوم على فحص النصوص الأدبية وتحقيقها ، واستنباط دلالتها مع الدقة والتفسير ، وتعليل الأحكام ، ومعرفة ما يحيط بها من ظروف ومؤثرات ، وجانب فنى يتصل بنقل النصوص ، وتصوير الشخصيات ، حتى يمكن إحالة التاريخ الأدبى إلى عمل ممتع ، يلذ العقل والشعور معا .

والحمد لله أولا وآخرا .

□

استدراك

جاء بافتتاحية عدد رجب سنة ١٤١٩ صفحة ١٠١٩ السطر الرابع «ودخل مكة فى جوار رجل مشرك هو عدى بن حاتم الطائى، والصحيح هو: المطعم بن عدى»

---

(١) راجع : فى الأدب الجاهلى ص ٥٠ - ٥١ ، طه حسين ، دار المعارف ١٩٨١ .

(٢) راجع : المصدر السابق ص ٨٠ .

خميلة الشعر

للأستاذ: محمد عبد الوهاب

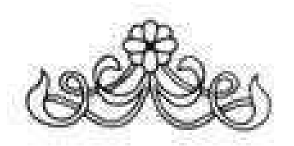
تتألق خميلة الشعر اليوم ، بأنوار قصائدها البديعة ، التى تشرق علينا بأنغامها الحلوة والمتنوعة ، بأمل أن تتلاقى وأذواق قرائها الأعزاء ، ونستهل جولتنا الخميلية بقصيدة : (به أتقى) للشاعر الأزهرى الكبير محمد عبد الرحمن صان الدين ، الذى يعود إلى عشاق شعره الإيمانى المعبر بعد غياب .

ثم نلتقى بقصيدة (توحيد الله) للشاعر الإسلامى الكبير محمود الطاهر الصافى الذى يعرض علينا من خلال أبيات قصيدته حبه العظيم لله الواحد القهار ثم نشيد النصر للأستاذ محمد إبراهيم العشماوى ونختم الخميلة بأبيات للأستاذ محمد أحمد المعصرانى بعنوان « أنا مصر »



للأستاذ: محمد عبد الوهاب

الله ربى لست أعبد غيره ... هو من يلبى حاجتى ومطالبى
سبحانه، خلق الورى بفضائله ... وبنوره، ساروا لخير أرحب
ومحمد حسن الختام لمعشر ... قادوا الحياة لعزة ومناقب
يارب وارفع شأن أمتنا به ... واجعل رحيق المجد عذب المشرب
هذا كتابك يامهيمن بيننا ... اجعله فى دمنا كشهاد طيب
واجعل حياة المسلمين كريمة ... بالعلم والإيمان.. لا بتقلب
وانعم علينا بالهداية والتقى ... باعد بنا عن فرقة ونوائب
فتتوب - حتما - من براثن غفلة ... ونعيش عيش الظافر المتوثب
أبناء يعرب فلتقوموا للعلا ... لا يستحق العيش من لم يتعب





للشيخ محمد عبد الرحمن صبان الدين

تغنيت بالإسلام حين عرفته ∴ وإن لعرق المسلمين سليل[1]
على ملة الإسلام بين عشيرتي ∴ نشأت، ووعيي للأمور كليل
فلما نما عقلي وزادت حصيلتي ∴ من العلم والعرفان بان السبيل
فهمت به حبا تملك مهجتي ∴ وهل تجحد النور المبين عقول؟
ولكن دين الله ليس توارثا ∴ ولا نحلة دقت عليها طبول[2]
بل الدين آيات تجلى جلالها ∴ على صدقها قد قام فيها دليل
ألا إنه الوحي الذي مد ظله ∴ وللوحي ظل في العقول ظليل
أجل إنه الينبوع فاض نميره ∴ به يرتوي في الظامئين غليل
وكل إلى سلساله العذب ظامىء ∴ وكل بعيد عن هداه ضليل
لقد خط للدنيا نظام حياتها ∴ وليس له في العالمين مثيل
ودين على الإنصاف قام بناؤه ∴ لدين له الطبع السليم يميل
رأيت به الإنسان يسمو ويرتقي ∴ فنفيه إلى عز الحياة سبيل
يسوس بني الدنيا برفق ورحمة ∴ وزجر بحزم ليس عنه بديل
نظام وتشريع، وضبط بحكمة ∴ يظل فروع قد نمتها أصول
وحسب بني الإنسان أن شريعة ∴ أتتهم من الرحمن فيها شمول
فما صد عن ينبوعها غير جاحد ∴ وما عابها إلا غبي جهول

فقل للذي يحيا بغير عقيدة ∴ شريدا بصحراء الحياة يجول
كئيبا من الأهوال يقتل نفسه ∴ فرارا، كأن العيش غول تغول
تعال إلى الإسلام تظفر بواحة ∴ ففيه من القيظ الممض مقيل[3]
إذا مد في هذي الحياة رواقه ∴ أحس بعز النفس فيه ذليل[4]
ولا تنظر الإسلام في أدعيائه ∴ فما كل من يعلي الجبين جميل
وما كل منسوب إليه بصادق ∴ ولا كل من أبدى الجلال جليل
ولكن خلق المرء عنوان دينه ∴ وليس من الإسلام إلا نبيل

١ - سليل : أي ولد منحدر من المسلمين .
٢ - نحلة : دعوى باطلة .
٣ - ممض : محرق ، مقيل : مأوى عند القيلولة .
٤ - رواقه : خيمته أو سقفه

توحيد الله

للأستاذ: محمود الطاهر الصافى

أنت المليك لكل باطن ولأنت مظهر كل ظاهر
أنت القديم ولا سوى ولقد بقيت بلا مناظر
وجلال وجهك مشرق وجماله فى الكون باهر
من رام غيرك وجهة فماله فى الكون خاسر
كل الخلائق هالك ولأنت باق أنت آخر
أنت الوجود حقيقة وسواك كالظلل العوابر
منك التحرك والسكو ن وكل ما فى الكون دائر
أنت المقدم والمؤخر والمجير من الجوائر
من رام أمنك فى الظلا م رأى الضياء بغير ساتر
منك الكتاب عظائم إعجازه نور وقاهر
حبل به كل القوى يعلو إلى أعلى البشائر
كل الوجود معلق بضيائه فهو المصادر
الله خالق كل شيء بالكلام وبالأوامر
وكلامه قرآنه نتلو أحلى من مزامر
وهو الكلام جميعه ما غاب منه أى نادر
صفة الإله تعاظمت لا تنتهى فهى الزواخر
وهو المحيط علومه حوت الظواهر والسرائر
من رام رشدا في سوا ه فهو فى الإظلام عاثر
ومحمد نور الكتا ب وهديه يمحو الدياجر
فهو المدينة شعشعت وهو الشموس لكل سائر
وأخو النبى علينا هو بابه رب المفاخر



للأستاذ: محمد إبراهيم العشماوى

ألق الهموم وودع الأحزانا .. واملأ فؤاد المؤمنين أمانا
إن الذى قد أنزل القرآنا .. قد خط نصرك للورى عنوانا
بُشرَى أن بدرا فأشرق نوره .. ومحى دياجير الظلام ظهوره
وسرى شذاه بها وفاح عبيره .. فاستنشقت نسم السرى إيمانا
تاهت عقول الباحثين فأرجفوا .. وعموا عن الحق المبين فزيفوا
ماكان منهم ظالم أو مسرف .. فافتح - إذا رمت الهدى - آذانا
ثار بؤرتهم . فمن يظفر به .. يعجل إليه ويشف مافى قلبه
ويرى أنَّ الضيم أعظم ذنبه .. أن يستباح فيمنح الغفرانا
جرت عليك قريش ويلات الوغى .. وطغى وأمعن فى الإذاية من طغى
فمن العدالة أن تكافىء من بغى .. حتى تقيم لدينه أركانا
حرب يحركها السلام فلو درى .. أهل الضلالة ذاك مانجوا الفرى
ياجلس الأمن المخيف ألا ترى !! .. ضلت سبيلك فاهدها بخطانا
خرَّت لعزة دينه الأصنام .. أفلا تخر لعزه الأقوام ؟
والله لو أخذوا به لأقاموا .. حقا وعدلا فى الورى وأمانا
دِنْ من تشاء بما تشاء فإنما .. شرع الوفاء محاربا ومسالما
واليوم تلك العير صرن مغانما .. وبها وفاؤك بعض ماقد كانا
ذوقى قريشا ما أذقت محمدا .. وتجرعى سيف المنون مجردا
قد حان حينك فاستعدى للردى .. ويصير عزك ذلة وهوانا

رمت الإغارة يارسول عليهمو .. وخرجت بالجيش القليل إليهمو
وهو الكثير وماتكون لديهمو؟ .. لكن ربك بالجنود أعانا
زمن الوفاء فخذ بحقك وافيا .. وكفى بسيفك فى المعارك شافيا
وإذا السلام غدا ولم يك كافيا .. فاحمل قناتك وادفع العدوانا
سمعوا بخبر المشركين فأقدموا .. ورأى أبو سفيان ألا يغنموا
فنجا بخطته وقام المجرم .. ذو الجهل يشعل للوغى نيرانا
شاءت إرادته بأن تبقى بها .. حتى تنال قريش شر عقابها
وترد ناكصة على أعقابها .. وترى عزيز مصابها خذلانا
صدوك عن دين الإله صدودا .. فابعث إليهم يارسول أسودا
واخرج إليهم ظافرا محمودا .. حتى يروا منك الردى ألوانا
ضيعت هيبتهم فكنت مهابا .. وسألت ربك نصره فأجابا
طب فالسماء تفتحت أبوابا .. ورأيت أملاك السماء عيانا
ظهروا فكان ظهورهم تكريما .. والفضل فضل الله كان عظيما
عز أعز به الكريم كريما .. حتى يطمئن قلبه اطمئنانا
غشاكمو الله النعاس لتأمنوا .. والماء أنزله عليكم فاسكنوا
فلوا فلول المشركين وأمكنوا .. منهم سيوفكم العلا إمكانا
قل للقليب مغورا من غورك ؟ .. وسل العريش مسوراً من سورك ؟
كل أشار برأيه . ما أشورك ؟ .. إن المشورة تفتق الأذهانا
لما دنوا من ماء بدر بادروا .. فبدرتهم بالاكرمين فغادروا
من ينزل الهيجاء فهو مغامر .. والجبن ينفع فى الوغى أحيانا

نصرت بعينك يارسول الله .. ووقيت شر مصائب ودواه ..
هزأتهم بين الورى والله .. وحصدت منهم فى الوغى شجعانا
والله عاتبك العتاب رقيقا .. تفدى الأسير وتبتغيه طليقا ؟
ياخير من سلك النجاة طريقا .. ماكان حتى تثخنوا إثخانا
أفك الذين رموك بالبهتان .. ماأنت بالباغى ولا العدوان
بل أنت راق طبعه إنسان .. لم تلف غيرك فى الورى إنسانا
إن الذين قتلتهم قد أجرموا .. فى الحرب ماهم بالأسارى فافهموا
ياأهل بدر بالرضى بشراكمو .. فالله أنزل فيكمو قرآنا

أنا مصر

للأستاذ: محمد أحمد المعصرانى

كم ارتويت من الأشواق يا مصر ... حتى حسبت بها أنى أنا مصر !!
هذى السنون من التهيام سيدتى ... مرت بأوردتى ، فاستأذن يا عمر
وهبت قلبى وروحى - دونما خجل - ... لقطرك العذب ؛ حتى يرتوى النهر !!
نذرت شعرى ونثرى كى أقدمه ... فدا ، فقال دمى : هل يقبل النذر ؟
إنى أحبك حبا لا يعادله ... حب البرايا ، وآمال لها سحر !!
علمت قلبى الهوى حتى هوى فتوارى ... ما بدا وابتدا واستعذب الصبر
علمته أن يرى فى حبه وطنا ... علمته «مصر» كى يبقى له ذكر
معابد الحب مازالت مرفرفة ... وسط التبتل حتى يمحى القهر
تركت فجر الهدى يسرى سدى ... فتأوه الهدى ليلة واستعبر الفجر !!
فاستيقظى واعبرى أدواءنا وصفى ... دواءنا واعرفى أن الشفا خير
يا مصر، أنت المرايا، أنت كل مشاعرى .. ... فهل تقبلين الحب يا مصر ؟!



على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائي والتطور المتلاحق في الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافي ؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق في نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما في المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

العربية الفصحى
دراسة في البناء اللغوي

تعريب وتحقيق وتقديم
دكتور عبدالصبور شاهين
تأليف/ هنري فليش

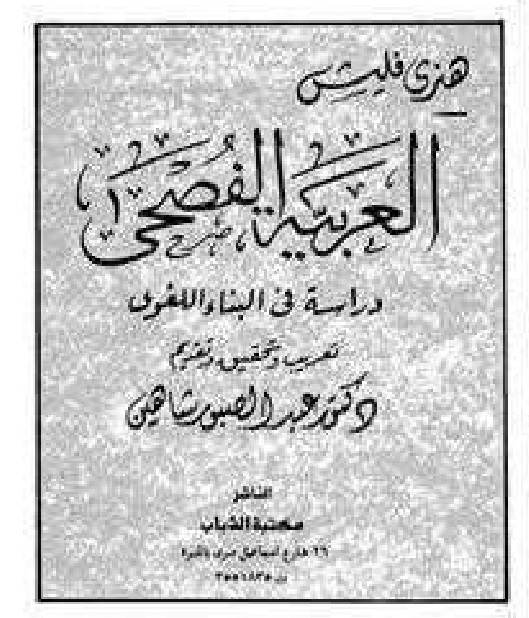
● عزيزي القارىء . إن الكتابة عن العربية من الصعب الخوض فيها لأنها حديث الله إلى العالمين ولغة دستور الإسلام القرآن الكريم ، وما بها من معان وأساليب بديعية ، وألفاظ جميلة ، تجعلنا نحتار كيف تكون البداية .

● وها نحن نقدم الطبعة الثانية للكتاب المذكور بعد صدور الطبعة الأولى عام ١٩٦٦ ميلادية .

● حيث قد حرص المؤلف على ترجمة الباب الثالث عن التراكيب - syntoxe - في اللغة الفصحى .

● وحاول المؤلف / هنرى أن يعالجها بفكره الاستشراقي ، ودرايته الكاملة والدقيقة بعناصر التراكيب العربية ؛ ملتزماً بالنموذج القرآني ، وما ينسج على منواله من تراكيب الشعراء والنثراء من فصحاء القرنين الأولين في التاريخ الإسلامي .

● ولقد أسهم المؤلف في الطبعة السابقة في إثراء



المناقشات حول هذين البابين الأساسيين في دراسة الفصحى .

● وهذا الكتاب وهو ترجمة دراسته للتراكيب سوف تدهش الكثيرين من دارسي العربية .

● فهو يتحدث لأول مرة في باب الأصوات عن (الوقف) والثاني في باب الصرف عن (جمع التكسير أو الجموع الداخلية) وهما من زيادة المؤلف إلى جانب تعديلات كثيرة في الأصل والهوامش واقتضى ذلك إضافة تعديلات في المذكرات التكميلية وفي الملاحق أو الفهارس .

● لقد توصل المؤلف إلى البحث في كيفية تناول اللغة العربية ، كما تعبر عن هذه الوظائف المختلفة لوحداتها اللغوية في الجمل البسيطة .

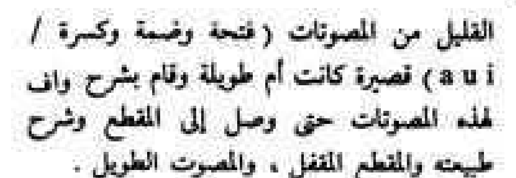
● استخدم المؤلف الأمثلة الأكثر بساطة في دراسة علم التراكيب .

● وكتاب اليوم الذي نقدمه لقرائنا قصد به مؤلفه بكل تواضع أن يكون مخططاً متواضعاً مع رجاء ألا يقابله قراؤه بقساوة لما حوى من نقائص ومعايب لا يمكن تجنبها شأن كل بداية معرضة للنقص .

● والمؤلف هو الدكتور هنري روبرت فليش ولد في قرية حونفيل بفرنسا سنة ١٩٠٤ وتلقى دراسته الثانوية بمدرسة الملائكة ثم حصل على دبلوم المدرسة القومية للغات الشرقية الحية بباريس ثم على دبلوم معهد الدراسات الصوتية . وهو من أقدم من التحقوا بمعهد الدراسات العليا بباريس قسم العلوم التاريخية واللغوية ثم حصل على الليسانس في الآداب من السوربون ثم نال درجة الدكتوراة في الآداب وهو عضو بالجمعية اللغوية للدراسات الحامية السامية ، وعضو بالجمعية اللغوية بباريس ، وبالجمعية الدولية للدراسات الشرقية ، كما اختير عضوا بمجلس إعادة تنظيم المركز القومي للبحث العلمي بباريس ، ومن أهم بحوثه فيما يتصل باللغة العربية .

١ ـ دراسات في علم الأصوات العربي ٢ ـ دراسات في الفعل العربي ٣ ـ اللهجات الشرقية ٤ ـ تاريخ النحو العربي والجانب المعجمي في الجملة العربية الفصحى ـ العربية الفصحى والعربية اللهجية .

● في البداية تكلم عن المصوتات القصيرة في آخر الكلمة المعربة حين يكون الاسم ممنوعاً من الصرف وكانت المادة الصوتية هي بداية الباب الأول يلاحظ في علم الأصوات وجود تناقض بين عدد الصوامت الضخم (٢٨) ، وذلك العدد



القليل من المصوتات (فتحة وضمة وكسرة / a u i) قصيرة كانت أم طويلة وقام بشرح واف لهذه المصوتات حتى وصل إلى المقطع وشرح طبيعته والمقطع المقفل ، والمصوت الطويل .

● وأشار إلى النبر والوقف وقد كشف المؤلف عن المادة الصوتية المستخدمة اصطلاحاً فى اللغة العربية الفصحى .

● أما الباب الثانى وهو الصرف فقد ذكر فيه أمثلة كثيرة وشرح أوليات فى الصرف الاسمى الإعراب ـ المفرد ـ والجمع الخارجى والمثنى ـ والجمع الداخلى واسم الجماعة ـ والنوع .

● ثم انتقل إلى جزئية أخرى ، وهى : تأملات فى الصياغة الاسمية فتناول فيها عدم التفرقة بين الأسماء والصفات . تفضيل الصيغ ذات الإيقاع الصاعد ثم مقارنة بالأوزان المستعملة فى الشعر .

● ثم تحدث عن السوابق سابقة الهمزة ، وسابقة الياء والتاء والميم ، ثم عن اللواحق صفات الأعداد الترتيبية تناول الأحداد من الأول إلى العاشر والعشرين والتسعين والمائة والألف .

● أشار بعد ذلك إلى الأفعال الفعل الثلاثى والرباعى وتناول الإشاريات من الضمائر الإشارية .

● وعرض الضمائر الشخصية ثم الإشارات والضمائر الموصولة ثم الضمائر الاستفهامية .

● أما فى القسم الرابع فوضح الأدوات ـ الظروف ـ أدوات الجر وأشباهها والروابط .

● وفى القسم الخامس أشار إلى الطرق النحوية الأخرى التى تبنى منها النماذج الرئيسية فى اللغة : النبر الديناميكى أو الموسيقى ، نظام الكلمات ، التركيب

● أما الباب الثالث : وهو التركيب فقد قسمه المؤلف إلى عدة أقسام :

● الأول الجملة البسيطة ـ منها المرفوع ـ المجرور ـ المنصوب ـ الوصف بالمشتق التبعية ـ النداء .

● الثانى الجملة المركبة ـ العبارة الموصولة ـ العبارات التكميلية .

● الثالث الجملة المزدوجة .

● ثم طرح المذكرات التكميلية كمسألة المزدوج وكتاب سيبويه ثم ضعف الواو والياء بين مصوتين ثم ملاحق الكتاب كدليل المصطلحات والأفكار ودليل الصيغ ودليل الأعلام .

● وأخيرا عزيزى القارىء : فإن معرب ومحقق هذا الكتاب قد بذل فيه جهداً كبيراً ، وحقق فيه من الثراء اللغوى والنحوى والتراكيب والألفاظ ما يستحق الاحتفاظ به وقراءته ، فالمادة مستقاة من المراجع الأصلية القديمة ، التى عالجت قضايا اللغة الفصحى ، ابتداء من كتاب سيبويه وأهم ما فى الأمر موقفه من هذه المادة ، فهو لم يحاول أن يبتدع ، أو أن يلتمس المآخذ شأن كثير من الباحثين فى تراث الأقدمين . والناقدين لمناهجهم . وإنما هو يحاول أن يبحث فى القديم روحاً جديدة ، تبقى عليه أصالته ، وتمنحه الحياة بمنطق علمى .

● لقد عشت مع تحقيق الدكتور عبدالصبور ذلك العالم الكبير الذى اختارأصعب المواضيع من هذه الثقافات الحقة ، التى تحقق أرقى صور التعاون الخلاق فى سبيل العلم ، وفى سبيل اللغة العربية : لغة القرآن .

القضاء والقدر فى الإسلام
الجزء الثالث
عند المتفلسفة فى الحضارة الإسلامية

تأليف

الدكتور فاروق أحمد الدسوقى

● عزيزى القارىء هذا هو الجزء الأخير من هذه الموسوعة الثقافية الإسلامية التى تحدثت بشرح جلى عن القضاء والقدر : عند المتفلسفة فى الحضارة الإسلامية .

● إن الفلسفة : هى المنهج العقلى المحض للبحث عن الحقيقة بمفهوم تدريس الفلسفة فى معظم المؤسسات الثقافية والعلمية .

والذين يتخذون العقل البشرى وحده دليلا ، ومرشداً ، وطريقاً لمعرفة حقيقة الكون ، وهدف الإنسان من وجوده ومصيره بعد الموت ، يتجاهلون حقيقة أولية فطرية ذات شأن خطير فى وجود الإنسان ألا وهى : حقيقة الفطرة التى بها يدرك الإنسان بداهة أن للكون وللإنسان خالقاً ومدبراً . ورازقاً وهادياً ، وأن الخالق لا يمكن أن يترك الإنسان ضالا تائها بلا رسالة وبلا هدى وبلا وحى .

● أراد المؤلف أن يوضح حقيقة الفلسفة من خلال الحضارة الإسلامية ويظهر الخلاف بين عقيدة الفلسفة ، وعقيدة التوحيد الإسلامية .

● ففى الفصل الأول تكلم عن القضاء والقدر ، والحرية الإنسانية عند أفلاطون ، فكان منها الفاعلية الإلهية ، ومفهوم القدر والفاعلية الطبيعية كعنصر أساسى فى مفهوم القدر .

والإنسان والفاعلية الإنسانية ، والجبريات الثلاث كعناصر حقيقية لمفهوم القدر ومشكلة الحرية الإنسانية والجبريات الثلاث .

● أما فى الفصل الثانى فأشار إلى القضاء والقدر والحرية الإنسانية عند أرسطو وشرح فيها الطبيعة والضرورة الطبيعية ومفهوم الألوهية وأثره على مفهوم القدر والفاعلية الإنسانية كأساس للحرية ، والحرية الإنسانية والضرورات الثلاث .

● وأشار المؤلف فى فصله الثالث إلى القضاء والقدر ، والحرية الإنسانية عند الكندى ، وهو نموذج لمفهوم القضاء والقدر والحرية الإنسانية فى مذهب فلسفى يجمع بين التفسير الطبيعى والفاعلية الإلهية عن طريق إثبات فاعلية للكواكب

كوسائط بين الفاعلية الإلهية والفاعلية الطبيعية وذلك بفكرة التولد .

● شرح فيه المؤلف مفهوم الألوهية ، وأثره على مفهوم القدر ، ثم تصور العالم وأثره على مفهوم القدر ثم الضرورة النفسية ، ومفهوم القدر بين الفاعلية الإلهية والحتمية الطبيعية والحرية الإنسانية والضرورات الثلاث .

● أما فى الفصل الرابع فتحدث عن مفهوم القضاء والقدر عند الفارابى ، وابن سينا وضم هذا الباب أكثر من عشرة محتويات بدءا من مفهوم الإلهية والجبرية الإلهية عندهم وحق العدالة الإلهية ، ومفهوم الشر ومصدره فى الوجود وتحدث المؤلف عن مفهوم السعادة الإنسانية وعلاقته بالكمال الإنسانى موضحا أن السعادة هى الغاية القصوى للإنسان كإنسان فهى (الخير المطلوب لذاته وليست تطلب أصلاً ولا فى وقت من إلا وقلت لينال بها شىء آخر ، وليس وراءها شىء آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها) ووسيلة الإنسان للوصول إليها هى النفس الناطقة التى لم تكن (لتخدم شيئاً آخر بل ليوصل بها إلى السعادة) .

● وأشار إلى الذات الإنسانية بين الضرورة والحرية ثم عناصر مشكلة الحرية عند الفارابى وابن سينا والقضاء والقدر عند ابن سينا ، ثم موقف الإنسان من الضرورة الكونية والقدر .

● وتحدث المؤلف عن الحرية الإنسانية والجبريات الثلاث : الإلهية والطبيعية ، والنفسية ثم تفسيرها للقدر تفسيراً طبيعياً .

● ووضَّح المؤلف تفسير الفارابى ، وابن سينا للنبوة والدعاء فى ضوء مفهومها للقضاء والقدر ، موضحاً أهم النتائج الدالة على ذلك بإيجاز،وأخيرا كانت العدالة الإلهية ومفهوم الشر ومصدره فى الوجود وهى الشق الأخير الذى تحدث عنه المؤلف موضحا فيه أن وجود الشر فى الكون رغم القول بجبرية كونية محيطة شاملة يصبح مشكلة .

● وقسم الفارابى الخير إلى خير كلى فى الوجود وخير إنسانى .

ومصدر الخير الكلى هو الإله .

أما مصدر الخير الجزئى فهو الإنسان .

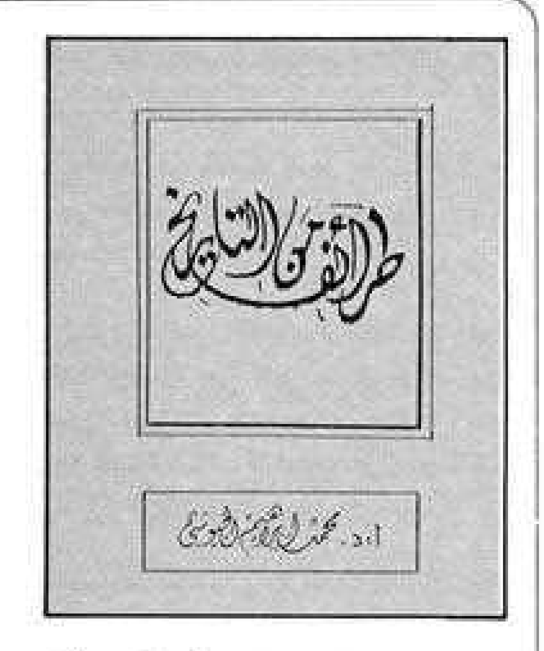
● ولهذا عزيزى القارىء يكون المؤلف الدكتور فاروق الدسوقى قد أوجز لنا مسائل القضاء والقدر فى موسوعة إسلامية مكونة من ثلاثة أجزاء كل جزء احتوى على موضوعات متكاملة يحتاجها كل إنسان مسلم ليدرك بعقله هذه المسائل الهامة فى حياته خوفا من أن يتوارى خلف ضلالات تظلم له عقله وتضل طريقه .

وإذا كنت قد اقتنيت الأجزاء السابقة عزيزى القارىء فعليك بهذا الجزء ، لأنه مكمل لها ، وحتى يكتمل الموضوع عندك لتصبح ملماً إلماماً كاملاً بكل صغيرة وكبيرة . بالموضوع بكل جوانبه .

طرائف من التاريخ

تأليف الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشى

● عزيزى القارىء هذه هى المرة الثانية التى تكتب فيها عن النوادر التى حفلت بها الكتب عبر التاريخ ، ففى أحد الأعداد السابقة من مجلتنا



وعلى ساحة هذه الدوحة كانت لنا وقفة مع ملك النوادر نصر الدين الرومى الملقب بجحا .

● ولكن فى هذا العدد نتجول داخل صفحات هذا الكتاب ، والذى يعرض صورا من حياة الخلفاء ، والشعراء ، والأدباء ، والعلماء .

ويلقى الضوء على جانب من الحياة الاجتماعية والثقافية فى العصور المختلفة ، منذ صدر الإسلام حتى العصر الحاضر .

● ففى بداية كتابه هذا تحدث المؤلف عن صراع العمالقة بين معاوية والحسن بن على ـ رضى الله عنه ـ ثم الصراع بين أبى حازم وسليمان بن عبدالملك .

ومن المواقف التى تدل على رباطة الجأش فى المواقف العصيبة ، والقدرة على التعبير المقنع المؤثر وأشباح الموت تتراقص أمام الأعين ، موقف تميم بن جميل أمام المعتصم ، ومن حوله السيوف المشرعة ينتظر حاملوها كلمة من المعتصم حتى يجهزوا عليه ، ولكن ذلك كله لم يذهل عقله عن التفكير السليم ، ولم يشغله عن عرض قضيته فى أوضح بيان وأنصعه ، حتى انتزع العفو من المعتصم ، وقد أثار موقف تميم هذا إعجاب رجل مثل أحمد بن أبى دؤاد حيث قال : ما رأينا رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل .

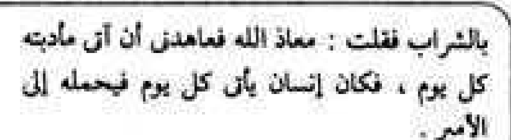
● ثم ذكر المؤلف مواقف محمودة لأبى سفيان ثم ذكر مواقف لمعاوية منها مع عمرو بن العاص وامرأة من وثلية ومعاوية وعقيل وبين معاوية وصحار العبدى ، وبين النعمان والصعب النهدى ، وذكر الحوار الذى كان فى مجلس معاوية حول ابن جعفر وبين معاوية وشريك بن الأعور .

● وروى المؤلف من أخبار الإمام العلامة المحدث الإخبارى الأديب أبو خليفة الفضل بن الحباب فى مجلس الأمير : روى ابنه قال : سمعت أبى يقول : حضرنا يوماً عند خليل أمير البصرة فجرى بينه وبين أبى خليفة كلام فقال له : من أنت أيها المتكلم ؟

فقال : أيها الأمير ، ما مثلك من جهل مثلى ، أنا أبو خليفة الفضل بن الحباب ، أفهل يخفى القمر ؟

فاعتذر إليه وقضى حاجته ، ولما خرج سألوه .

فقال : ما كان إلا خيراً ، أحضرنى مأدبته ، فابط وادج ، وافرخ ، وفولج لوذج ، ثم أتانى



بالشراب فقلت : معاذ الله فعاهدنى أن آتى مأدبته كل يوم ، فكان إنسان يأتى كل يوم فيحمله إلى الأمير .

● ثم كتب المؤلف عن عبقرية الشاعرين : الفرزدق وجرير .

● ثم تحدث عن نوادر العلماء والحوار الذى دار بين المهدى وأحد الأعراب ، ثم مروءة المهدى . وفراسته وسخائه .

● ثم تحدث عن جعفر الصادق ، وأبى حنيفة ، وبين مسلمة وأعرابى ، وأبو دلامة وذكر عن الكرم والبخل :

إن الكريم ليخفى عنك عسرته
حتى تـراه غنيـا وهـو مجهـود
وللبخيـل عـلى أمـوالـه علل
زرق العيـون عليها أوجه سود
إذا تكرمت أن تعطى القليل ولم
تقدر على سعة لم يظهر الجود
أبرق بخير ترجى للنوال فما
ترجى الثمار إذا لم يورق العود
بث النـوال ولا تمنعـك قلتـه
فكل ما سد فقراً فهو محمود

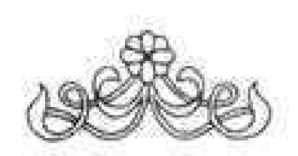
● ثم أشار المؤلف إلى إبراهيم بن المهدى وهو يختفى لعبد أسود .

● وتحدث عن المأمون ورجل يدعى النبوة ، ورجل آخر يزعم أنه إبراهيم الخليل ، ثم المأمون وصاحب الكفن .

وتناول المؤلف فى كتابه نوادر كثيرة عن عصر الخلفاء والحكماء حتى انتهى بنا إلى طرائف من العصر الحديث ثم ختمه بطرائف لعباس العقاد وهذه حصيلة للمؤلف قد امتدت على مدى نصف قرن من الزمان كانت تسجل فى حينها .

● وقد وجد المؤلف من نشر هذه الطرف والنوادر ما يعجب القارىء فى عصرنا هذا ، ربما وجد فيها ما يخفف عنه ما يعانى من كثافة الحياة المادية ، وثقلها .

● عزيزى القارىء لعل ما فى هذا الكتاب من لغة وأسلوب بديعى ، وألفاظ جميلة تثرى حصيلتك اللغوية ، ومعلوماتك التاريخية يحفزك إلى اقتنائه بمكتبتك .



بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

تحويل القبلة

إن أشرف بقعة على وجه البسيطة هى تلك البقعة التى يتوجه إليها المؤمنون فى صلاتهم ، طلبا لرضوان الله وأمنه ، طائعين متوسلين ضارعين ، معلنين خضوعهم لبارئهم . إنها الكعبة المشرفة بيت الله الحرام .

ولقد قضت حكمة الله ـ تعالى ـ أن يوجه المؤمنين إلى بيت المقدس مدة من الزمان ، ثم أمرهم ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتوجهوا إلى الكعبة المشرفة ، ليقضى أمراً كان مفعولا . حيث يقول الله فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾

(البقرة : ١٤٣)

إنها حكمة الله ومشيئته التى لا تحد ، وإنها أوامر الله التى يخضع لها كل مؤمن واثق بالله تعالى .

لقد توجه المسلمون بصلاتهم إلى بيت المقدس ما يقرب من سبعة عشر شهراً ورسول الله ـ ﷺ ـ يقلب وجهه إلى السماء ويطيل النظر ، رجاء أن يصرفه الله تعالى عن قبلة اليهود إلى قبلة أبينا إبراهيم عليه السلام .

وفى مثل هذه الأيام استجاب الله تعالى إلى حبيبه ومصطفاه فكان تحويل القبلة .

روى البخارى عن البراء بن عازب قال : « كان رسول الله ـ ﷺ ـ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يحب أن يتوجه نحو الكعبة ، فأنزل الله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة : ١٤٤)

نسأل الله تعالى ـ أن يعيد مثل هذه الأيام المباركة والأمة الإسلامية فى أفضل حال إنه سميع مجيب الدعاء .



ليلة النصف من شعبان

وعن ليلة النصف من شعبان أرسل إلينا القارىء أيمن محمد أبو السعود ـ دسوق ـ كفر الشيخ يقول :

ليلة النصف من شعبان هى ليلة زهراء مشرقة صبيحتها ، يستحب صيامها سعيا إلى كثرة الثواب ، ورضا للعزيز الوهاب .

وفى فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث كثيرة ، صحح ابن حبان بعضها . وقال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه : بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليالٍ : ليلة الجمعة ، والعيدين وأول رجب ، ونصف شعبان .

فينبغى على المؤمن أن يستعد لاستقبال الليلة المباركة بالتوبة وطاعة الله ـ تعالى ـ وأن يكثر فيها من ذكر الله ـ تعالى ـ ويدعوه ـ سبحانه ـ فالدعاء مخ العبادة .

ويقول بعض السلف الصالح : كم من مستقبل يوما لا يستكمله ، ومن مؤمل غدا لا يدركه .

وإذا كان الأمر كذلك ، وكلنا نعلم يقينه ، فلنسرع إلى التماس الخير فى كل مناسبة ، وها هى ليلة النصف من شعبان ، ليلة مباركة ، يستجاب فيها الدعاء ، فهنيئا لمن استعد وشمر عن ساعد الجد ، واستقبل ليلته بالدعاء والتضرع ، هنيئا لمن أحيا تلك الليلة بطاعة ربه ومولاه وانضم إلى فريق الطائعين وترك فريق العصاة .

أثر الأخلاق فى المجتمع الإسلامى

وعن أثر الأخلاق وردت رسالة القارىء محمد على البلجيهى ـ المنصورة يقول فيها :

إن التشريعات التى شرعها الله ـ تعالى ـ لعباده تذخر بالثواب العظيم لمن أداها بإخلاص ، وراعى حق الله فيها .

ولا عجب أن تكون الأخلاق ثمرة من ثمار التشريعات ، وجوهراً من جواهر الدين ، يقول النبى ـ ﷺ ـ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[1] فالأخلاق تمثل أساسا متينا وركنا ركينا للحياة الإنسانية . ومجتمع بلا أخلاق مجتمع لا قيمة له ولا وزن ، وصدق الشاعر حيث قال :

إنما الأمم الأخلاق مابقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وحيث قال :

إذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

وإذا كانت الأخلاق الفاضلة تنبع من الدين ، فإن أى مساس بها وإهانة لها يعد بالتالى مساساً بالدين وتقويضاً للمجتمع . وإن الرذائل إذا لم تجد من يقطع جذورها ، تفشت فى المجتمع ، وتفاقم خطرها وأبعدت الناس عن دينهم ، وإن الأمة الإسلامية ـ اليوم ـ أحوج ما تكون إلى البناء الأخلاقى المتين .

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد ، والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة وهو حديث صحيح (الجامع الصغير جـ ١ ص١٧٧) .

حفظ الإسلام لكرامة الإنسان

ويرسل القارىء : ياسر عبده فريد عبد الظاهر دشلوط - ديروط - أسيوط .

يقول :

منذ ظهور الإسلام ونزول التشريع السماوى ، وهو يحافظ على كرامة الإنسان ، ويحافظ على المجتمع ، وهو ما نراه فى قوله تعالى :

﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ﴾

(الأنعام : ١٥١)

وذلك حفظا لحق الفرد فى الحياة ، كذلك حرم الإسلام شرب الخمر ؛ حفظا لكرامة الإنسان وصحته ، فالخمر كما تبدد صحة الفرد ، تذهب بعقله ، وأين كرامة إنسان يتنازل طواعية عن عقله أو يضيعه ؟ !

كما حرم الإسلام الزنا فى قوله - تعالى :

﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾

(الإسراء : ٣٢)

وفى ذلك حفظ أمن المجتمع فالزنا يؤدى إلى التنازع والتقاتل ، كما يؤدى إلى اختلاط الأنساب . كما حرم الله - تعالى - السرقة ؛ حفظا لقوت الفرد وممتلكاته ، ولو أننا أطلقنا لأنفسنا العنان لم يكفنا للحديث عن ذلك مجلدات ومجلدات ، غير أننا نستطيع أن نوجز القول : إن السبيل إلى حفظ كرامة الإنسان هو التمسك بشرع الله - تعالى - ونبذ كل ما هو دخيل غريب عن مجتمعنا وإسلامنا .

قناعة المؤمن

ومن القارىء عبد الهادى محمد سليم - منشأة الجمال - مركز طامية - الفيوم .

وردت هذه الرسالة التى تحمل كلمات عن القناعة .

يقول :

إن ما يجعل بعض الناس يسخط على غيره ويحقد عليهم هو عدم الرضا بالمقسوم من الرزق . ولو علم هؤلاء الساخطون بأن الله هو المعطى وأن كل شىء عنده بمقدار ، ماسخطوا على أحد بل كانوا من أهل القناعة الذين ينظرون دائما إلى من هو دونهم ولا ينظرون إلى من علاهم . والقناعة من الكنوز المدفونة فى هذه الأيام ، ومن السهل التنقيب عنها ، والحصول عليها وذلك بمجاهدة النفس ، وإلزامها الرضا بما قسم الله . وكنز القناعة دون غيره من الكنوز لا يفنى ولا يزول بالإنفاق منه ، وصدق رسولنا الكريم - ﷺ - حينما قال : « القناعة كنز لا يفنى » رواه القضاعى عن أنس . والقانع من صفاته دوام الشكر لله لأنه

◆

يحس بنعمة الله وبما أعطاه من هذا الكنز الذى لايفنى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال - ﷺ - « كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قانعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا .. » رواه البيهقى فى الشعب .

وقد روى الإمام القشيرى فى رسالته القشيرية الكثير من أقوال السادة العلماء عن القناعة منها ما قاله سيدنا بشر الحافى رضى الله عنه : « القناعة ملك لا يسكن إلا فى قلب مؤمن » . ومنها قول محمد بن على الترمذى : القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق » ومن صفات القانعين أنهم لا ينظرون إلى شىء لا يستطيعون نواله لفقدانهم السبب المؤدى إلى نيله . فيروى القشيرى - أيضا - أن أبا حازم رضى الله عنه - مر بقصاب (أى جزار) معه لحم سمين . فقال : خذ يا أبا حازم فإنه سمين . فقال : ليس معى درهم . فقال : أنظرك ، أى : (أمهلك السداد) فقال : نفسى أحسن نظرة لى منك . فهذا قانع بحاله الذى قسمه الله له دون النظر إلى من علاه ، فلم يسخط على أحد من خلق الله ولم يعترض على حكم الله بأن أفقده المال الذى يستطيع أن يشترى به اللحم . بل صبر نفسه وألزمها التقوى والرضا .

وأورد القشيرى - أيضا - فى رسالته أنه قيل : لما نطق موسى - عليه السلام - بذكر الطمع ، فقال : ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ قال الخضر له : ﴿ هذا فراق بينى وبينك ﴾ . وقيل فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾

(الانفطار : ١٣)

هو القناعة . وقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾

(الانفطار : ١٤)

هو الحرص على الدنيا . فبعد هذه التعاليم الإسلامية وأقوال السلف الصالح وأحوالهم لا ينبغى علينا إلا أن نقنع بما قسمه الله لنا ونرضى بعطائه وننظر إلى من هو دوننا دائما ولا ننظر لمن قد علانا حتى نكون من القانعين الحامدين الشاكرين .

التسامح

ومن القارىء / نافع السيد على - أسيوط - أبو المدر . وردت تلك الكلمة عن « التسامح » .

يقول فيها :

الإسلام دين الرحمة والتسامح - وفى هذا القول الكريم إشارة إلى طبيعة الرسول الخيرة الرحيمة المعدة لأن تتجمع عليها القلوب وتتألف حولها

النفوس وقد وجه الله تعالى نبيه - ﷺ - كثيرا إلى خلق التسامح والرفق فى مثل قوله تعالى :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت : ٣٤)

وقوله تعالى :

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾

(الحجر : ٨٥)

وقوله :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف : ١٩٩)

وطبق النبى ﷺ - مبدأ التسامح فى جميع علاقاته مع المشركين وغيرهم فى السلم والحرب . ولا شك أن أبرز ما يكون التسامح عند الانتصار ، ولذلك فعندما فتح الله عليه مكة قال لقريش : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال الرسول الكريم : أقول لكم ما قاله أخى يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم اذهبوا فأنتم الطلقاء . والتسامح الذى يدعو إليه الإسلام لا يتفق مع فرض الوصاية على الآخرين ، ولا مع الإكراه والعنف والتشدد ؛ لأن التسامح حب ورحمة ووحدة أما العنف فقسوة وغلظة وتفرق وضعف . هذا ولا يسمح الإسلام بالتسامح مع الشر والأشرار لأن مثل هذا التسامح يوسع دائرة الشر ويفتح الباب للإضرار بالناس وبالمقدسات والحرمات .

جمع الشمل

القارىء / عبد الرحمن محمد عبد الشافى أسوان - كوم امبو - عزبة حجاجى .

لاحظ القارىء وجود عدد من كتب التراث تم تحقيقها بواسطة أكثر من محقق ، فى حين مازالت كتب أخرى يكسوها النسيان فكتب إلينا هذه الكلمة التى يقول فيها :

ألم يأن الأوان أن نجمع الشمل ونوحد الجبهة فى إزاحة ستائر التراب عن عيون أمهات الكتب ، ألم يأن الأوان فى تضافر الجهود وتوحيد الصفوف فى استخراج كنوز التراث الإسلامى ، إنه لمن عجب العجاب أنه يصدر الكتاب الواحد عن أكثر من دار نشر وتوزيع ويقوم بتحقيقه أكثر من عالم من علمائنا الأجلاء (كل على حدة) .

ونحن نعلم لثقتنا بهم أنهم أنفقوا فيه الوقت العظيم ، واستفرغوا فيه الجهد الجهيد لأن غايتهم القربة إلى الله تعالى .

ومثال ذلك أن يصدر كتاب « التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة » عن أربع دور نشر فى وقت واحد وبتحقيق خمسة علماء ، كان يمكن أن يكون هذا الكتاب اثنين أو ثلاثة ، لو أن هناك تنسيقا

بين دور النشر المعنية باستخراج ونشر أمهات الكتب الإسلامية وهم :

١ - دار الكتاب العربي ..... تحقيق : فواز أحمد زمرلي

٢ - دار المنار ..... تحقيق : الشحات أحمد الطحان .

٣ - دار العلوم العربية ..... تحقيق أبو عبد الله سيد توفيق

٤ - مكتبة الإيمان ..... تحقيق عبد الله الشاوي .... محمد بيومي .

وإن أقترح أن يتولى مجمع البحوث الإسلامية ، أمر التنسيق بين دور النشر المعنية بإخراج كتب التراث ، ولا يسمح بنشر كتاب حقق ونشر ، وإن كان في التحقيق المتأخر إضافة علمية عن التحقيق المتقدم ، ويوضع التحقيقان جنبا إلى جنب في هامش طبعة واحدة عند تجديد الطبعة ، أو يتولى مجمع البحوث نشرها في كتيب حتى يستطيع مقتني الكتاب الاستفادة من التحقيق المتأخر ، ولا يتكبد الأموال الطائلة ، وحتى تدخر جهد علمائنا في إخراج نفائس أخرى في انتظار من يخرجها إلى النور .

من أقوال محمد ابن واسع

يرسل القارىء / شحاتة أحمد أبو بكر - بني سويف - ببا .. الشريف .

يقول :

كان محمد بن واسع من الزهاد ومن أقواله :

« ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعوججت قومني ، وصلاة في جماعة يُحمل عني سهوها وأفوز بفضلها ، وقوت ليس لأحد عليَّ فيه مِنّة ، ولا لله عليَّ فيه تبعة »[1] .

القارىء الأستاذ / جمال إسماعيل عبد الفتاح إسماعيل - سوهاج - بلصفورة

حتى الآن لم يرد القرار الوزاري بضم المبنى حتى يمكن اتخاذ اللازم لاستصدار قرار تعيين العاملين .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٨١) .

من إبداعات القراء

وردت إلينا هذه القصيدة من السيدة / هانم النبوية ابنة فضيلة الشيخ محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية ، تعبر من خلالها عن مشاعرها الفياضة تجاه رحيل أبيها « الرائد » إلى الرفيق الأعلى ، وهى قصيدة تفيض بمشاعر البنوة البارة الصادقة ، فتقول تحت عنوان :

دمعة حائرة

ياحبيب القلوب أنت الجليل ... ياحبيب القلوب حان الرحيل
أنت فينا معزز وكريم ... ونصير لجمعنا مأمول
ياحبيب القلوب ياحِب طه ... أنت فينا لكل حى خليل
كنت للدين فى حياتك حِبا ... وعن الحق دائما لا تميل
الكتاب الكريم كنت حِماهُ ... لا ترى فيه غير نور بطول
كنت روحى ومنبقى وحياتى ... ونصيرى وكنت نعم النبيل
لا يرى بعدك النصير لمثل ... يا أبى والحياة فيها الأفول
أنت من أنت أنت لمحة صدق ... مرت كالسحاب وهى تقول
لأحبائك الكرام توخَّوا ... كل خير فإنه المقبول
كم بكتك العيون منا دماء ... بدل الدمع يوم حان الرحيل
سوف يبقى الفؤاد منا حزينا ... طيلة العمر والدموع تسيل
ياحبيبى لقد رحلت لنبقى ... فى حمانا حبا وأنت الخليل
كنت ذخراً وكنت عونا كريما ... وصفيا وأنت حِبٌّ جميل
فعليك السلام مادمت أحيا ... أيها الراحل الأبى الجليل

ابنتك / هانم النبوية محمد زكى إبراهيم

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ : عمر البسطويسى

«بحث المسيرة التعليمية بالمعاهد الأزهرية»

● فى لقاء موسع مع رؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية عقد بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف يوم ٢٧ من شهر جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ الموافق ١٨ / ١٠ / ١٩٩٨ برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وتمت مناقشة ما يتعلق بالمسيرة التعليمية بالمعاهد الأزهرية ووضع الأسس التى تؤدى إلى استقرارها .

فبخصوص تسليم الكتب الدراسية للطلاب أكد السادة رؤساء ومديرو المناطق أنه تم تسليمها لجميع الطلاب ، الكتب الدينية واللغوية والثقافية واللغات .

وبخصوص هيئة التدريس بالمعاهد الأزهرية فإنها تقوم بدورها كاملا فى الارتقاء بالعملية التعليمية .

وبخصوص استكمال العجز فى مدرسى بعض المواد مثل اللغة الإنجليزية والفرنسية ومحفظى القرآن الكريم فسيتم اختيار أفضل العناصر وذلك فى المسابقة التى تجرى الآن .

وقد تم توجيه السادة علماء ووعاظ الأزهر الشريف للاستعانة بهم فى تحفيظ القرآن الكريم بالمعاهد الأزهرية وخاصة فى المرحلة الابتدائية ، وأيضاً سد العجز فى بعض المواد اللغوية والشرعية إذا احتاج الأمر إلى ذلك بالسادة الوعاظ .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على الالتزام بالتعليمات التى أصدرها قطاع المعاهد الأزهرية حول ضرورة تواجد شيوخ المعاهد الأزهرية الابتدائية والإعدادية والثانوية طوال اليوم الدراسى حتى تتم متابعة الدراسة على الوجه الأكمل .

كما أكد فضيلته على التزام جميع المعاهد بالمظهر الحسن داخل مقار المعاهد بالنسبة للطلاب وللمدرسين لتحقيق الوقار المطلوب ، وضرب أمثلة طيبة لملابس طلاب معاهد الشيخ خالد بشبرا الخيمة ، وبمحافظة البحر الأحمر حيث يلتزم الطلاب وكثير من المدرسين بلبس الزى الأزهرى كاملاً .

كما أكد فضيلته على تكثيف الدورات التفتيشية على جميع المعاهد الأزهرية وذلك للتأكد من أن المسئولين بالمعاهد يقومون بتأدية واجباتهم والالتزام بالخطة والمنهج المقررين وخاصة فى حفظ القرآن

الكريم الذى يميز الطالب الأزهرى عن غيره من الطلاب .

وبخصوص المعاهد الأزهرية المضارة بالزلزال والمعاهد التى تحتاج إلى ترميم أو إحلال ولم يتم الانتهاء منها أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن هذه مسئولية رؤساء المناطق فى متابعة أعمال الشركات المسند إليها هذه الأعمال حتى يتم الانتهاء منها .

حضر هذا الاجتماع فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والأستاذ محمد جلال عبد ربه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ورؤساء ومديرو عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية ، والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

«استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر»

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بإدارة الأزهر يوم ٢٧ من شهر جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ الموافق ١٨ / ١٠ / ١٩٩٨ معالى السيد/ جان لون توران وزير خارجية الفاتيكان والوفد المرافق لسيادته ، وقد أبلغ السيد السفير تحيات وتقدير قداسة بابا الفاتيكان إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر الضوء على نشأة الأزهر الشريف وتطوره منذ نشأته وحتى الآن منذ أكثر من ألف عام موضحاً أن الدراسة بالأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والتطرف المقيت ، وأن الدراسة به تقوم على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة سواء فى الداخل أو الخارج عن طريق البعثات التى يقوم الأزهر بإرسالها إلى معظم دول العالم من رجال الأزهر الشريف ، وقد أوضح فضيلته أننا حين نلتقى كرجال دين فإنما نجتمع من أجل خدمة الحق ، ونشر الفضائل ونصرة المظلوم وهذه فضائل تقرها جميع الأديان وتدعو إليها .

وحول سؤال عن أهمية الحوار بين الأديان قال فضيلته : إن الأديان السماوية إنما أنزلها الله - سبحانه وتعالى - لسعادة البشرية لا لشقائها ، والحوار بين الأديان يؤدى دورا هاما إذا كان يؤكد على الفضائل ويعين المظلوم ، وينشر العدل ، ويعطى كل ذى حق حقه ، ونحن بذلك نؤيده ونقره وندعو إليه ، وفى الوقت نفسه نحن نرفض كل الأعمال التى تجرى فى القدس الشريف لتهويدها وطرد سكانها الأصليين منها ، لأن القدس الشريف لها وضع خاص بالنسبة لجميع الأديان ، ولها فى نفوس المسلمين كل تقدير واحترام يفدونها بالنفس والنفيس وواجب رجال الدين جميعا أن يتضافروا ويتعاونوا ويتكاتفوا لإحقاق الحق وإبطال الباطل وينظروا إلى المستقبل على أن الحضارات تتعاون مع بعضها البعض لنشر السلام والأمان لا كما يقول البعض بأن الحضارات تتصارع وتختلف .

وحمل فضيلة الإمام الأكبر معالى وزير خارجية الفاتيكان إبلاغ شكره وتقديره لقداسة البابا بولس السادس بابا الفاتيكان على موقفه بالنسبة للقدس الشريف وتنشيطه للجنة الحوار الدائم بين الأديان .

وقدم السيد السفير شكره وتقديره وامتنانه لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إتاحة

الفرصة لزيارة الأزهر الشريف معقل الإسلام والعلم والمعرفة ، وأوضح أن الفاتيكان فى لقاء مستمر وتعاون دائم مع المؤسسات الإسلامية فى مصر ، وأننا نتسق ونتعاون معا من خلال لجنة الحوار بين الأديان ، وقد أيد بابا الفاتيكان موقف الأزهر الشريف فى رفضه لما يجرى فى القدس من عدوان مستمر لطرد السكان الأصليين والاعتداء عليهم وهدم مساكنهم والاعتداء على المقدسات بها .

وقال : إن مهمتنا هى توضيح الصورة الحقيقية لما يجرى هناك وشرح كل ما يوضح ذلك فى العالم أجمع لتنشيط المؤسسات الإسلامية والمسيحية لتشكيل رأى عام لصالح القضية الفلسطينية .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ورئيس لجنة الحوار بين الأديان ، وفضيلة الأستاذ أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بين الأديان ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بإدارة الأزهر وفد رؤساء تحرير الصحف الفرنسية الإقليمية الذى يزور القاهرة حاليا برئاسة البروفسور جون بودان يرافقهم الأستاذ/ على القاضى المستشار الإعلامى بباريس .

وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول دور الأزهر الشريف والمؤسسات الإسلامية فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية من خلال بعثاته التى يرسل فيها علماءه إلى معظم دول العالم ، وكذلك المنح الدراسية التى يقدمها الأزهر ومؤسساته لأبناء المسلمين فى العالم أجمع للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ، وكل ذلك من أجل الرد على الشبهات وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام ، وإظهار سماحة الإسلام ويسره ، ونبذه للتطرف والإرهاب بكل صوره ، ونبذه للتعصب الأعمى ، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة كما جاءت بذلك شريعة الإسلام .

كما أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول رأى الإسلام فى الختان ، وفى الإجهاض وتحديد النسل إلى غير ذلك من الأسئلة التى شرح فيها فضيلته حكم الشرع الحنيف فيها .

وحول ما يثار عن الأعمال الإرهابية التى ترتكب باسم الإسلام .

أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : إن الإسلام برىء من هذه الأعمال الإرهابية فهو ضد قتل الأبرياء ظلما وعدوانا ويقف بجانب الحق والعدل ونصرة المظلوم ، وضد اغتصاب حقوق الناس .

وحول العلاقة بين المسلمين والمسيحيين أكد فضيلة الإمام الأكبر على قوة العلاقة المتينة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ، وأنهم نسيج واحد قوى متماسك لا فرق بين مسلم أو مسيحى فى الحقوق والواجبات ، وأن هذه العلاقات تقوم على قواعد الحب والتسامح والعدل التى أمر بها الإسلام وشريعته الغراء ، ومصر والحمد لله وطن واحد وأمة واحدة والكل أبناء مصر منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

وعن علاقة مصر بفرنسا أوضح فضيلته : إنها علاقة ممتازة وقوية ومتينة وهناك تبادل ثقافى وتبادل تجارى وفى كل المجالات ، وكثير من علماء ومشايخ الأزهر الشريف درسوا بجامعات فرنسا وحصلوا منها على أعلى الدرجات العلمية .

وفى نهاية اللقاء : قدم رئيس الوفد والوفد

شكره لفضيلة الإمام الأكبر لإتاحة هذه الفرصة الطيبة للقائهم وتوضيح الأمور التى كانت تدور بأذهانهم ، وتوضيح صورة الإسلام السمحة ومفاهيمه الصحيحة ، وأيد الوفد استنكاره لما يردده المغرضون الذين يريدون تشويه وجه مصر الناصع فى الخارج بادعاءاتهم التى ثبت كذبها ، وافتراؤها حول اضطهاد المسيحيين فى مصر وأنهم لمسوا بأنفسهم من خلال هذا اللقاء ولقاءات أخرى مدى التسامح والأمن والسلام الذى تعيشه مصر بمسلميها ومسيحييها ، وقد وجه رئيس الوفد الدعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لزيارة فرنسا .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ، والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

« افتتاح معهد فتيات مصر الجديدة »

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معهد فتيات مصر الجديدة الابتدائى الإعدادى الثانوى الأزهرى فى يوم ١١ من شهر رجب ١٤١٩ هـ الموافق ٣١/١٠/١٩٩٨ بجوار مسجد الخلفاء الراشدين حيث قامت « مؤسسة المودة فى القربى » بعملية إنشاء المبنى برئاسة المهندس / محمد هيبة رئيس الجمعية ، ويحتوى المعهد على ٥٨ فصلا تعليميا يضم ٢٥٠٠ طالبة بكثافة ٤٠ طالبة بالفصل ، والدراسة بالمعهد فترة صباحية ، كما تقوم مؤسسة المودة فى القربى برعاية الطالبات اليتيمات وأسرهن ولها خدمات فى معظم محافظات مصر فى أنحاء الجمهورية . ويشتمل المبنى أيضا على مكتبة بها كتب قيمة ، ووحدة صحية بها لرعاية الطالبات صحيا ، وقاعة محاضرات فسيحة ، ومصلى تسع عددا كبيرا من المصلين ، وحجرة خاصة للحاسب الآلى والكمبيوتر لتعليم الطالبات كيفية استخدامه والاستفادة منه فى تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وتعليم أمور الدين الحنيف ، وحجرة للنشاط الرياضى ، وورشة صيانة وقد تكلف المبنى وتأثيثه حوالى ٩٠٠ ألف جنيه مصرى ويقع على مساحة ألف متر مربع .
وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر بهذا العمل العظيم الذى هو خدمة جليلة لتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم وعلومه ، والسنة النبوية المطهرة ، وعلوم الفقه والعلوم الشرعية واللغوية والعلوم الحديثة وقال : إننا نشجع هذا العمل وندعو الله أن يكون ثوابه عند الله فى ميزان حسنات القائمين به يوم القيامة .

حضر الافتتاح الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والشيخ عبد العزيز ندا وكيل قطاع المعاهد الأزهرية والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر ولفيف من العلماء والسادة المسئولين بالمعهد .

« تخريج الدفعة ٤٢ وبدء الدفعة ٤٣ لدعاة وأئمة العالم الإسلامى فى الدورة العالمية التدريبية »

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الحفل الختامى لتخريج الدفعة ٤٢ لدعاة ووعاظ وأئمة العالم الإسلامى فى الدورة العالمية التدريبية

بمدينة البعوث الإسلامية ١١ من شهر رجب ١٤١٩ هـ الموافق ٣١/١٠/٩٨ وقد شارك فى هذه الدورة وفود من دول زنزبار ، وبورما ، ونيجيريا ، ومالى ، ورواندا ، وقد وجههم فضيلته إلى المحافظة على حفظ القرآن الكريم ومداومة دراسته قراءة وفهما وتفسيرا لأنه هو الأساس الذى تقوم عليه العلوم الشرعية واللغوية وكذلك الأحاديث النبوية المطهرة التى تعين المسلم على فهم الإسلام فهما صحيحا ، لقوله - ﷺ - « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى » ، كما أوصاهم إلى الاعتصام بحبل الله المتين ، وأن تكون دعوتهم إلى الله تعالى بالحسنى وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يكونوا قدوة طيبة لغيرهم ، ومثلا أعلى لرجل الدين ، كما أمرهم أن يبتعدوا فى فتاواهم عن المسائل الخلافية ، وأن ييسروا على الناس أمور دينهم فالدين يسر لا عسر ، حتى لا يقع الناس فى الحرج ، وأن يبتعدوا عن التعصب الأعمى وأن يحاربوا التطرف بكل صوره وأشكاله .

وقام فضيلته بتوزيع شهادات التقدير عليهم وإهداء كل إمام مكتبة إسلامية بها كتب قيمة وذلك للاستعانة بها فى الاطلاع والفتوى والرجوع إليها دائما فحياة العلم مذاكرته .

● كما قام فضيلته بافتتاح الدورة التدريبية الثالثة والأربعين لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى وعددهم ثلاثون من دول أوغندة ، مدغشقر ، تايلاند ، سنغافورة ، البوسنة والهرسك ، أذربيجان ، ألبانيا،حضر الحفل فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى رئيس الإدارة المركزية المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية والشيخ سيد أبو الوفا أمين عام اللجنة العليا للدعوة ، والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام وأساتذة الجامعة والأزهر الذين يقومون بالتدريس لهذه الدورات ، وسعادة السفيرة نائب مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية العامة والدينية بوزارة الخارجية والسادة السفراء للدول المشاركون علماؤها فى الدورة .

« مشاركة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى جلسات المجلس الأعلى العالمى للمساجد»

شارك فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فى جلسات المجلس الأعلى العالمى للمساجد فى دورته الثامنة عشرة والذى تنظمه رابطة العالم الإسلامى خلال الفترة من ٢٢ إلى ٢٦ أكتوبر سنة ٩٨ بمكة المكرمة ويرأسها د . عبد الله صالح العبيد أمين عام رابطة العالم الإسلامى بالمملكة العربية السعودية وكانت تدور حول بناء المساجد فى بلدان العالم المختلفة فى قارة آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا واستراليا ، وكذلك ترميم المساجد التى تحتاج إلى إصلاح وترميم ، واتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك ، وأيضا دراسة أحوال الدعاة والعلماء واحتياجات المساجد من هؤلاء العلماء ، وقد أعلن فضيلة الإمام الأكبر أثناء مشاركته فى أعمال هذه الدورة أن مسئوليات الرابطة مسئوليات ضخمة وهى تقوم بها على الوجه الأكمل إرضاء لله ولنشر دينه وعلينا جميعا أن نتكاتف ونتعاون على إرسال قيم الدين والعدالة كل فى مؤسسته وإذا كان غيرنا يتجمع لنصرة الباطل فأولى بنا أن نجتمع لنصرة الحق والعدل كما أمرنا بذلك ديننا الحنيف .

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة : ٢)

كما أعلن فضيلته أننا نحارب الإرهاب بكل صوره وأشكاله لأنه عدوان على الأنفس والأموال والأعراض وأن الإرهاب فى طريقه إلى الانحدار والاندثار .

وفيما يخص الأزمة التركية السورية قال فضيلته : إن الأزهر الشريف قدم خالص الشكر للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك على الجهود التى بذلها من أجل تقريب وجهات النظر وإزالة حدة الخلاف بينهما وكانت هناك اتصالات ولقاءات مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز .

وحول التوتر بين إيران وأفغانستان أوضح فضيلته أن البلدين المسلمين يجب أن يعملا على حل خلافاتهما ومشاكلهما بالحوار الهادىء والمناقشة الودية التى تؤدى إلى تقريب وجهات النظر وإزالة حدة الخلاف بينهما .

كما أعلن فضيلته أنه يثق فى قدرة الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات على مجابهة رئيس الوزراء الإسرائيلى وكذلك قدرة الشعب الفلسطينى من ورائه على تحمل الصعاب حتى يحقق الله لهم النصر والتأييد .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج : ٤٠)

« رسالة من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى ندوة رابطة الجامعات الإسلامية »

فى رسالة وجهها فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف إلى المشاركين فى ندوة رابطة الجامعات الإسلامية التى بدأت أعمالها بفرع جامعة قناة السويس بالعريش فى يوم ١ من شهر رجب سنة ١٤١٩ الموافق ٩٨/١٠/٢١ طالب الباحثين بأن تتسم بحوثهم بالأصالة ، التى تشهد بأن الثقافة الإسلامية فى شتى صورها وألوانها كفيلة بأن تنجب جيلا من الشباب المسلم الذى يهتم بالعلم النافع المستمد من شريعة الإسلام التى تبنى ولا تهدم وتعمر ولا تخرب ، وتدعو إلى الفضائل وتنبذ الرذائل ، وتحق الحق وتبطل الباطل كما أعرب عن شكره وتقديره لرابطة الجامعات الإسلامية لإقامة الندوة عن « دور التنشئة الاجتماعية فى مواجهة التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية فى القرن المقبل » وللاهتمام بأن تكون تربية النشء فى العالم العربى والإسلامى نابعة من تعاليم الإسلام وفق أصوله التى تتفق مع الفطرة الإنسانية التى فطر الله الناس عليها .

« الموسم الثقافى لمشيخة الأزهر بقاعة الإمام محمد عبده »

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وبحضوره تقيم مشيخة الأزهر الشريف موسمها الثقافى بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف بالدراسة ، حيث يلقى كبار العلماء محاضرات كل يوم ثلاثاء فى الساعة السابعة مساء اعتبارا من يوم ١٩٩٨/١١/٣ وحتى ١٩٩٨/١٢/١٥ .

وقد بدأ الموسم الثقافى بمحاضرة لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة سابقا والأستاذ بجامعة الأزهر فرع المنصورة وعضو مجمع البحوث الإسلامية وموضوع المحاضرة : « حرية التفكير فى الأزهر الحديث » كما يشارك فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة والقانون سابقا ورئيس قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر القاهرة بمحاضرة موضوعها : « المرأة والقضاء » ، ويشارك فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد المعطى بيومى عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة . بمحاضرة موضوعها : « ثقافتنا عن المرأة مقال فى المنهج » . كما يلقى فضيلة الأستاذ الدكتور / سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية جامعة الأزهر القاهرة محاضرة موضوعها : « العرب ومستقبل الثقافة فى القرن القادم » كما يلقى فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عمارة المفكر الإسلامى محاضرة موضوعها : « الإمام محمد عبده وتجديد الفكر الإسلامى » ، كما يلقى الأستاذ الدكتور / عبد الغفار حامد هلال عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بمدينة السادات جامعة الأزهر محاضرة موضوعها : « سماحة الإسلام » كما يلقى الأستاذ الدكتور عبد الله مبروك النجار الأستاذ بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة محاضرة موضوعها : « الضوابط الفقهية والقانونية لحق النشر » .

يحضر هذه الندوات فضيلة أ . د . محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ، وفضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف ، وفضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، ونواب رئيس الجامعة وعمداء وأساتذة الجامعة ، وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، وطلاب مدينة البعوث الذين يدرسون بالأزهر والعلماء الدعاة الذين يحضرون دورات تدريبية ، وطلاب الجامعات والمعاهد الأزهرية ورجال الصحافة والإعلام .

« سفر فضيلة وكيل الأزهر إلى جوهانسبرج »

صدر قرار صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بسفر فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر الشريف إلى « جوهانسبرج » بجنوب أفريقيا لمدة سبعة أيام تبدأ من تاريخ السفر لحضور اجتماع لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة المقرر انعقاده فى جوهانسبرج بجنوب أفريقيا فى الفترة من ١٣ ـ ١٦ /١١/٩٨ بناء على كتاب السيد الأستاذ الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى شأن الدعوة الموجهة إلى فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف لحضور هذا الاجتماع وقد سافر فضيلته فجر الثلاثاء ٢١ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ١٠/١١/٩٨ يرافقه السيد الأستاذ توفيق الشريف المدير العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة لحضور اجتماع لجنة التعليم والدعوة .

« محافظة البحر الأحمر وجهود المستثمرين بها لرعاية طلاب الأزهر والأزهر الشريف »

وجه السيد اللواء / سعد أبو ريدة محافظ البحر الأحمر ، ورجل الأعمال الحاج / صالح محمود عوض الله رجل الخير والبر دعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وذلك لتسليم الزى الأزهرى كاملا « العمامة والكاكولا » لجميع طلاب الأزهر الإعدادى والثانوى فى « محافظة البحر الأحمر » .

وقد أناب فضيلة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ / فرحات السعيد المنجى « رئيس الإدارة المركزية » والمشرف العام على مدينة البعوث ، وفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى على « المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف » للقيام بهذه المهمة .

وفى حفل كبير أقيم بقاعة الاجتماعات الكبرى بالمحافظة ـ حضره بعض رجال الأعمال كما حضره مدير عام منطقة البحر الأحمر الأزهرية ، والسادة العلماء شيوخ المعاهد الدينية ، وعلماء الوعظ بالأزهر ، وبعض الطلبة وهم يرتدون الزى الأزهرى الجميل بمنظر سر الناظرين ، ولفيف من المجالس الشعبية والمحلية بالمحافظة ، ورجال الأعمال .

وقد تحدث فضيلة الشيخ / فرحات السعيد المنجى عن فضل هذا العمل الجليل الذى قام به رجل الأعمال الحاج صالح الذى يبتغى به وجه الله سبحانه وتعالى ـ فهو محب للأزهر ولعلمائه ، لما يقومون به من نشر للإسلام وللفضائل ، ولتربية النشء تربية إسلامية تحميهم من الزلل .

وتحدث الحاج صالح فقال : سيكون هذا النشء فى المستقبل هم علماء الأمة وقوادها وبذلك يشعر أنه قد شارك مشاركة فعالة فى أن يكون مظهر الطالب مظهراً كريما مشرفا وهذا أقل مايجب القيام به نحو هؤلاء الطلاب وهو واجب دينى .

وتحدث السيد المحافظ فشكر رجل الخير والبر على هذا الصنيع الطيب وشكر شيخ الأزهر الشريف لحضور نائبين عن فضيلته ، ورحب بضيوف الأزهر الشريف أيما ترحيب . وقال : إن الأزهر الذى يدرس صحيح الدين وصحيح الإسلام بعيداً عن الغلو والتطرف يجب علينا جميعا أن نقف معه نسانده ونساعد طلابه وعلماءه ، ونشد على أيديهم لأنهم الذين يضيئون لنا الطريق ، ويسيرون بنا إلى الصراط المستقيم ، لذا يجب علينا أن نقدم لهم كل الوسائل التى تساعدهم على أداء عملهم ونهيىء لهم السبل والوسائل التى تعينهم على أداء واجبهم ، ومن أجل ذلك تبرع السيد المحافظ بمبلغ خمسين ألف جنيه « لصندوق رعاية الطلاب الأزهريين » .

وتبرع رجل الخير والبر الحاج / محمد عبد المقصود عضو مجلس الشعب بمبلغ عشرين ألف جنيه لصالح « الصندوق » أيضا ووعد آخرون بالتبرع لصالح صندوق رعاية الطلاب .

كما تبرع المهندس / على خليل بإنشاء معهد أزهرى كامل الأرض والمبانى والتأثيث .

وأيضا تبرع السيد المستشار / وحيد رحمى ببناء معهد أزهرى على أرض تتبرع بها المحافظة وتخصصها للأزهر الشريف .

كما أعلن الحاج / صالح محمود عوض الله تبرعه بشراء زى للفتيات فى الإعدادى والثانوى والابتدائى بنين وبنات .

كما أعلن رجل الخير والبر المهندس / سرور البزاوى إنشاء « دورة مياه » خاصة بالفتيات بمعهد « سفاجا » وطلاء المعهد كله حتى يظهر بشكل جميل .

pardonne et se montre conciliant, Allah saura le récompenser.]

[Celui qui endure et pardonne, voilà bien là, le propre d'une âme résolue.]

L'Islam en veillant à former des êtres vertueux a aussi accordé une importance égale à la formation d'une société saine où règnent l'amour, la cordialité et l'entente. Les Musulmans doivent éprouver de la sollicitude les uns envers les autres, s'entr'aider et être solidaires dans le bien et la piété. Allah-Gloire à Lui- a dit: **[Entraidez -vous dans le bien et la piété, et ne vous entraidez pas dans le péché et la transgression.]**

Surate 6 "Al-Ma'idah" (La Table Servie) V.2.

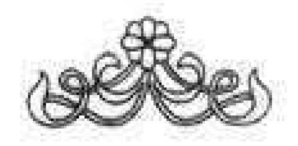
Aussi le Prophète-b.s- a dit:***"Le vrai Musulman est celui dont les fidèles n'ont rien à redouter ni la main, ni la langue."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il a dit également:***"Nul n'est vraiment croyant que s'il aime pour son frère ce qu'il aime pour lui-même et déteste pour lui, ce qu'il déteste pour lui-même."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

À suivre





Lorsqu'Allah-Gloire à Lui- a prohibé le meurtre, Il a interdit les injures, les blasphèmes, les sobriquets outrageants, l'espionnage et les soupçons douteux qui y mènent.

Lorsqu'Allah-Gloire à Lui-a prohibé les boissons alcooliques, Il ne s'est pas limité à la malédiction du consommateur, mais encore, Il a maudit celui qui le prépare, celui qui le vend, celui qui le transporte et celui qui se tient en compagnie des consommateurs des boissons alcooliques.

Malgré tout cela, Allah-Gloire à Lui- S'est montré Miséricordieux envers l'homme parcequ'Il sait que l'homme est en proie à des désirs et asservi par les passions: Il lui pardonne les péchés véniels, à condition d'éviter les grands péchés.

Il a dit: **[Si vous évitez les grands péchés qu'on vous a prohibés, Nous expierons vos méfaits et Nous vous ferons entrer comme invité d'honneur.]**

Surate 4 "Al-Nissà" (Les femmes) V.31.

Allah-Gloire à Lui-a dit également: **[Quant à ceux qui évitent les plus grands péchés ainsi que les turpitudes- sauf ceux qui sont commis accidentellement - Ton Seigneur est plein de large pardon.]**

Surate 53 "An-Nagm" (L'Etoile) V.32.

Aussi, Allah-Gloire à Lui- a ouvert la porte du repentir à celui qui s'est laissé glisser sur la pente des grands péchés. Il a dit: **[Quiconque a mal agit ou s'est fait du tort à lui- même puis, qui implore d'Allah le pardon, trouvera Allah Pardonneur et Miséricordieux.]**

Surate 4 "Al-Nissa" (Les Femmes) V.110.

Le Prohète-b.s-incita les gens à se repentir en disant: ***"Tous les fils d'Adam sont pécheurs et les meilleurs pécheurs sont ceux qui répentent."***

Hadith rapporté par Al-Termizie.

Tout ceci concerne les droits d'Allah-Gloire à Lui- mais, pour ce qui concerne les droits d'autrui Allah-Gloire à Lui- exhorte les gens au pardon de l'offense, à la tolérence et à l'indulgence, Il a dit:

[Fais-toi conciliant, ordonne ce qui est bon et détourne-toi des ignorants.]

Surate 7 "Al-Araf"V.199.

[Et ceux qui dominent leur rage et pardonnent à autrui.]

Surate 3 "Al-Imran" (La Famille D'Imran) V. 134.

Dans la surate 42 Al-Choura **(La Délibération) V.40 et 43, Il a dit: [Celui qui**



Les objectifs de la jurisprudence islamique

Traduction de : Hoda Hussein Chaâraoui

L'objectif principal de l'Islam est de former l'homme vertueux dont la vertu se révèle par une conduite qui ne vise que le bien et évite le mal. Toutes les pratiques religieuses ne sont qu'un moyen visant la noblesse de caractère, de même les ordres et les interdictions permettent de distinguer le licite de l'illicite, ce qui est permis et ce qui est prohibé; tout en sachant que le principe vital de toute oeuvre est l'intention à partir de laquelle Allah-Gloire à Lui- rétribue ou châtie.

Cette intention est un secret entre Allah et Son serviteur de façon que même l'Ange le plus proche ne peut la connaître pour l'inscrire, ni Satan le lapidé ne peut la connaître et l'altérer.

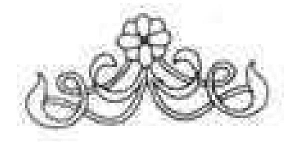
Aussi, un des objectifs de l'Islam est d'enraciner dans l'âme de l'individu qu'Allah voit, entend et sait parfaitement ce qui est caché dans les coeurs, ce qui fera naître dans l'âme du Musulman un ressort religieux ainsi qu'une conscience éveillée et vigilante qui préviennent la chute du Musulman dans les grands péchés et les turpitudes.

C'est ce que les moralistes de nos jours appellent: l'autodiscipline.

Allah-Gloire à Lui- avec Sa sagesse infinie a prévu ce qui préserve le Musulman des turpitudes en installant autour d'elles des barrières et en bouchant toutes les issues qui y mènent. Citons comme exemple, l'adultère: lorsqu'Allah-Gloire à Lui- l'a prohibée, Il a ordonné de baisser les regards, de ne pas entrer dans les maisons d'autrui sans leur permission, de cacher les secrets intimes. Il a ordonné aux femmes de ne pas exhiber leurs atours et de tenir un langage décent. Il a ordonné également d'empêcher la mixité qui aboutit à la débauche; Il a interdit de se tenir à huis -clos avec une femme, exception faite pour les femmes "maharim" (celles que le Coran a interdit à l'homme d'épouser).

Il est donc hautement recommandé de passer cette nuit bénie en prières et en invocations et de jeûner le jour de la mi-Cha'ban.

Fêtons donc cette nuit sainte en multipliant les invocations et les actes de dévotion afin d'être parmi ceux dont le repentir sera agréé par la grâce d'Allah et Sa miséricorde.



vers la Mosquée Sacrée. Où que vous soyez, tournez vos visages vers elle] (Sour. "Al Baqara", v 144) C'est ainsi que fut fixée l'orientation (Al Qibla) de toutes les prières -prescrites et surérogatoires- des musulmans et c'est ainsi vers la Ka'ba qu'ils se dirigent pour faire le Pèlerinage et la Visite pieuse (Al 'Omra), affirmant par là l'unité de leur foi et l'u nicité d'Allah.

A ceux qui veulent semer le doute dans le cœur des croyants, le Coran donne cette réponse: [C'est à Allah qu'appartiennent l'Orient et l'Occident] (Sour. "Al Baqara" v 142).

L'orientation des croyants vers le Temple de Jérusalem était une épreuve pour connaître la fermeté de leur foi avant de leur ordonner de se tourner vers la Ka'ba qui était la Qibla de leurs ancêtres.

De multiples Hadiths du Prophète -b.s.- vantent les vertus de la nuit de la mi-Cha'ban surnommée aussi "la nuit où les invocations sont exaucées.

D'après Abu Imama : "Il y a cinqnuits où aucune demande n'est refusée: la première nuit de Ragab, la nuit de la mi-Cha'ban, la nuit du vendredi et la veille des deux Fêtes". Elle est aussi surnommée "la nuit de la fête des anges", car il est dit que les anges fêtent deux nuits dans le ciel qui, pour eux, sont une fête : la nuit de la mi'Cha'ban et la nuit du Destin (Laylat Al Qadr).

On appelle aussi la veille de la mi-Cha'ban "la nuit de l'intercession", "du salut" et "de la rédemption".

Selon l'Imam Ahmad, "Allah - gloire à Lui - se penche vers Ses serviteurs, alors Il pardonne aux habitants de la Terre à l'éxeption du polythéiste et du rebelle.



La nuit de la mi–Cha'aban où les Prières sont exaucées

par Dr. Rokeya Gabr

Le mois de Cha'ban est un mois privilégié où Allah a imposé le jeûne pour les musulmans. La nuit de la mi-Cha'ban est une nuit bénie où il est souhaitable de multiplier les actes de dévotion et les invocations qui nous rapprochent d'Allah et de jeûner ce jour-là. En ces jours saints eut lieu le changement d'orientation de la prière pour les musulmans (la Qibla) du Temple de Jérusalem vers la Ka'ba à la Mecque.

L'événement du changement d'orientation de la Qibla n'était pas un incident ordinaire dans l'histoire de la nation islamique. Cet événement fut à l'origine d'un changement total qui marquait l'indépendance de la nation musulmane en assurant que sa force réside principalement dans la soumission totale et absolue aux ordres d'Allah, sans délai et pour toujours.

L'Islam est une religion qui unit tous les musulmans autour d'une seule direction (Qibla) car ils croient tous en un Dieu unique : Allah. Durant la nuit de l'Ascension Nocturne (Al Isra' wal Mi'rag) fut imposée la Prière pour les musulmans: cinq prières durant le jour et la nuit mais qui sont rétribuées autant que cinquante prières. C'est par la suite que l'orientation des musulmans durant ces prières fut dirigée vers le lieu où leur Prophète Mohammad -b.s.- reçut la Révélation, vers le centre du monde, vers l'enceinte sacrée de la Mecque, comme le dit la Parole divine: [Nous te faisons donc orienter vers une direction qui te plaît. Tourne donc ton visage

REVUE
AL AZHAR

Sha'ban 1419H. Dec. 1998 Vol. 71 Part VIII

Section Francaise

LET ME GO

by: Hadeer Abo El-Nagah

On behalf of all the children in the areas of wars. On behalf of the children of Bosnia, Kashmir, Palestine, Albania and Korsovo. On behalf of all those homeless children who were deprived from the right of the respectful homes and healthy life. On behalf of all those who have no hope in their future and lost the meaning in their present I wrote this poem hoping that one day there would not be such children in the world. May be tomorrow we as adults can guarantee a better life for them.

Untie my heart, and let me go
Let me start, let me glow
Think only once and let me show
All the world, what they need to know
Souls in despair, dreams to share
Blood is every where, and protection was never there
I can't feel the excitement of tomorrow
all what I feel, is pain and sorrow
Yet, what I need, is a chance to be
to plant my own seed, to be only me
to reach the land behind that sea
to be able to breath
to have more reasons to live not to die
to discover my soul and reach the sky
to own my land up and beneath
to experience laughter without having to cry
to build my temple and worship my Lord
out of love not out of fear
to control my body and be able to stand
give the right of creation to my little hand
let me go, let me go.

---

*This poem is the winner of the semi final level at the National Competition of Poetry USA 1997. It was selected for **The Sound** of Poetry Contest as one of the most musical poems of 1997 USA.

The Cruilty of Psychological Injury :

No doubt that psychological injury is worse than physical injury for a human being. Allah prohibited all ways that can be used to harm others which include harming people inside their homes. This harm might occur when a guest bothers the inhabitants bitterly by looking right and left in order to steal a mean look. He might stretch his hand to touch something in the house like books for example. He might even borrow a book and would not return it pretending to have lost it . He might also go on asking questions about the items in the house.

A visitor has to sit properly in a polite manner without pride. He should not trouble his host by asking many things. He has to speak quietly and nicely. He should not be rough or hard hearted.

It is also painful that a visitor takes his little children with him to see somebody regularly to reach some purpose in his mind. He might also make his visits at unsuitable times which offends the inmates. It is as well harmful that an ill person who suffers from an infectuous disease would go and impose himself and his illness on others and causes pain to them inside their homes where they settle, feel secure and enjoy peace of mind. He would not accept such harmful calamity for himself . A Muslim does not harm other Muslims whether by his tongue or hand. Allah prohibited the act of harming people. He says :

"And those who annoy believing men and believing women underservedly they bear the guilt of slander and manifest sin ."

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾

(Al Ahzab 58)

The faithful people have to lower their gaze whenever they go. Allah says :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

"The response of the believers when they are invited to Allah and His Messenger that He may judge between them, is only that they say : We hear and we obey, And these it is that are successful"

(Al Nour 51)



(Al Mulk 22)

A faithful person is chaste so an ignorant man believes he is rich. He looks after his soul and pushes it to do what refines it. Bravery, resolution and chastity are what make a human being not his appearance and his height. Sound belief, the right behaviour, a clear mind and a pure soul make a human being May Allah have mercy on the poet who said :

You who serve your body,
How much do you want for that ?
Do you want a profit from what loses ?
Turn to your soul and perfect its virtues .
You are a human being with your soul,
Not with your body .

To perfect the virtues of the soul is better and purer than defilement, meanness and intrudence. The poet says :

The soul is like a child if you leave him.
He will go on sucking.
And if you wean him he will stop.

Some people used to enter the Prophet's houses without asking permission. The Qur'an then taught them that the etiquette of asking permission and prohibited them from looking forward to and waiting when the meals are prepared and cooked. The Qur'an told those people to enter and have their meals if they were invited and to go away after they finish. They should not stay for long which offends the Prophet (Prayers and Peace of Allah Be Upon Him) and gives him trouble.

Allah sent his Messenger with a Qur'an that is to be recited to guide those who go astray. It awakens neglegent people so as people everywhere would know that etiquette of visiting people. They have to put into consideration the right occasion and time for a visit. If they have a meal, they should go away and disperse after they finish and leave the houses for their inhabitants.

When those visitors at the time of the Prophet (M P B U H) listened to his words, they settled down and stayed longer in his house. This offended him but he used to forbear from them. He was too shy to tell them but endured and resorted to patience. So Allah made things easier for his Messenger and put those people to their limits.

A lesson of Refinement and Reproach :

Allah says in the Chapter of "Al Ahzab"

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا
دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي
مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ
وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ
عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾

" O you who believe, enter not the houses of the Prophet (M.P.B.U.H) unless permission is given to you for a meal, not waiting for its cooking being finished--- but when you are invited, enter, and when you have taken food, disperse- not seeking to listen to talk. Surely this gives the Prophet trouble, but he forbears from you, and Allah forbears not from the truth. And when you ask of them any goods, ask of them from behind a curtain. This is purer for your hearts and their hearts. And it behaves you not to give trouble to the Messenger of Allah, nor to marry his wives after him ever. Surely this is grievous in the sight of Allah"

(Al Ahzab 53)

This is an educational lesson, a divine way of refinement and a way of directing Muslims depending on the Qur'an which is revealed to Allah's bountiful Messenger in order to refine and elevate feelings in people's hearts so that honour takes its right.

Man has no value without dignity that makes him a human being in appearance and an angel concerning his reputation when his soul and morals thus are high and elevated so he becomes strong without violence, lenient but not weak and lives in a straightforward manner while walking steadily on a straight path. Allah says :

"Is then he who goes prone upon his face better guided or he who walks upright on a straight path".

Allah says : "O you who believe, let those whom your right hands possess and those of you who have not attained to puberty ask permission of you three times : Before the morning prayer and when you put off your clothes for the heat of noon, and after the prayer of night . These are three times of privacy for you, besides these it is no sin for you not for them--- some of you go round about (waiting) upon others. Thus does Allah make clear to you the messge. And Allah is Knowing Wise ."

This is an ideal way of bringing up the children of Muslims . It is shown in the two honourable verses mentioned which drive at elevation and modesty in the awkward sensitive times which are called in the Qur'an "three times of privacy". such times people resort to rest and relaxation . They tend to put on light clothes such as at noon and at other bed times. No one should come and see the parents then even if it were a child who did not attain puberty.

The times discussed above are :

1 - Before the morning prayer.
2 - At noon when one takes off his clothes.
3 - After the night prayer.

Parents do not like their children or anybody else's children to enter upon them at these times. Bringing up children should be based on such everlasting rules of the Qur'an. So, children should be directed by their parents and family to learn to ask permission in the light of these Islamic directives which cope with the pure human instinct. Have you ever seen a system like that accurate system of Islam which preserves chastity and dignity for mankind ?

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

"And this is a Book We have revealed full of blessings, so follow it and keep your duty that mercy may be shown to you".

﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (Al Anam 56)

﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾

This verse was revealed because Abu Bakr (May Allah Be Pleased with (Him) said when the verse preceding was revealed "O Messenger of Allah what can be done concerning those traders of Quraish who come from Mecca, Medina, Jerusalim and Syria ? They have certain well known places on the way . How can they ask permission while there is no one living in such trading spots ? Hence the verse mentioned was revealed.

When Allah says "wherein you have your necessities". He is describing such uninhabitted places. He is explaining the reason for negating any restrictions on anyone who enters such buildings without asking permission. They are for everybody to make use of and there is no tightening in religion. Religion, is not for making things tight and difficult but it is all ease in legislation. The verse ends by Allah Glory be to Him saying "And Allah knows what you do openly and what you hide".

Deeds are judged according to intentions. Nothing whatsoever is concealed from Allah. He knows when an eye blinks. He knows what the hearts hide and knows the evil actions with their evil intentions though they might seem good. Allah has knowledge of everything inside the hearts.

Children Must Ask Permission :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم
ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث
عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك
يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (٥٨) وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما
استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾

owner is not there. He pretends to be loyal and friendly, then soon his cunning nature, his bad intentions and his meanness are revealed. The intrudence of that person upon others and his meanness might lead runing the life in that house.

Woe to anyone who is blind concerning this point. In the Hereafter he will be blind too and astray . Allah says :

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾

"And he whom Allah leaves in error, has no friend after Him. And thou will see the iniquitous, when they see the chastisement, saying : is there any way of return ?"

(Al Shura 44)

Nothing on earth or in Heaven is concealed from Allah . However people who possess corrupted consciences, no perception and eyes which are too blind to see truth, are overcome by their own miseries. They have no bravery, manhood, no feelings and no courtesy to pay attention to how others feel regarding general ethics which include the etiquette of visiting others shown in the Qur'an and the Sunna of the faithful Prophet (M.P.B.U.H).

Buildings Not to Live In :

People who go into public places without asking permission are not committing any fault. These places are not made to live in and are only built for general use and benefit of people. For example, trade centres where selling and buying takes place, or industrial and agricultural places which are always open to the public who need the. Such buildings also include markets, hotels, public baths, clinics and hospitals (except when they are inside a private building). These areas also include public parks, restaurants, cafes, clubs and so on as regards public not private spots.

Allah says in the verses mentioned at the beginning "It is no sin for you to enter uninhabitted houses wherein you have your necessities. And Allah knows what you do openly and what you hide " . (Al Nour 29)

The Etiquette of Asking Permission and Human Dignity

Part II

By Sheikh Mohammed Suliman

Translated by : Hanan Abdou El Tahtawy

The Most Favourable Visit :

A relative might enter a house without permission and stays for a long time . This makes the people in Taht house too tired even if that person were a kin by marriage or among uterine relations who do not believe in asking permission enjoined on them. People who do not believe in that point say that asking permission is only enjoined to prevent gazing at prohibited things, and they do not do that. Gazing here means that the visitor gets to know what the people in the house hate him to know.

Don't you see that asking permission is imposed on a blind person as he might realize with his feelings and surmise (guess) what does not cross the mind of any normal person ? May be in a house there are some private matters that a visitor should not know. So, we must respect other people's feelings and do as we are told in the Qur'an which provides happiness in this life and the Hereafter.

Have you read about the tragic and humiliating accidents and moral problems published in the papers ? They happen as a result of deviation from Allah's laws and following the steps of the devil who is an enemy to man. Accordingly, Allah the Almighty says "Allah is knower of what you do" in the mentioned verses of Surat Al Nour. This is a comment and warning against imitating those who follow their desires without sticking to any rules as they have no restriction or control to make them feel afraid or to impede their injustice. They will be allured by their deeds.

It is grieving to see a person frequently goes to someone's house while the

26 - There are twenty eight suras, out of the 114 suras in the Qur'an that are coded suras, starting with lerrers of the Alphabet of the arabic language the coded suras deal with ancient biblical storis.

27 - Islam is built as a creed and the manifestation of the creed of Islam is in the follwwing:

1 - The belief in the oneness of God and that Prophet Muhammad (P.B.U.H) is His messenger.

2 - The observation of the daily prayers. the prayers in Islam have a great significance in that Muslims can spiritually ascend to Allah's merciful presence, which was explained to Prophet Muhammad (P.B.U.H) in the ascent to heaven during the night journey. it signifies to the Muslims absolution and acceptance back in heaven. It also means, once Allah Almighty extended His mercy that He, Glory be to Him, is granting guidance and protection to the Muslims.

3 - The fast of ramadan. Which is great with with Allah, it is not merely fasting from food, it is fasting from everthing evil, vile or cruel. Fasting is restraining oneself, to reach for the spiriual, and the sublime.

4 - The paying of the purification dues, where Muslim actually compete to give to the poor.

5 - The pilgrimmage to Mecca is at the heart of every Muslim, and Muslims are ready to endure anything to the pilgrimmage. Mecca is where Abraham prayed: My God make this land safe. (what I pray for me. And my sons country too.

Mecca is where Prophet Muhammad (P.B.U.H) was born in the house of Ishmael son of Abraham, and it is for mecca that holy city, in the holy land of Saudi Arabia, that Prophet Muhammad, (P.B.U.H) who was not a fighter, fought and abolished idolatory, and secured it for the world to behold the glory of the Islamic faith and of Allah's congregation.

It is also where Abraham was true to Allah but Allah, Glory Be to Him, the forgiving, exalted is He in His mercy, absolved Abraham and His son and made Abraham to offer a sheep instead, Praise to Allah. Mecca is where Prophet Muhammad (P.B.U.H) was when the ascent to heaven in the night journey took place. Allah wants us to love our sons. our families , our people and each other, and to have faith as Muslims. Allah in His mercy loves the Muslims.

A Book we have sent down to you that you may bring footh the people from obscurity to light. (14:1). Abraham.

الرٓ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ

knowledge and rationality, includes the perfection of All morality and the best guidance for human happinessl. The Qur'an seeks to help Muslims attain the truth of their lives in this world and in the spiritual and in the hereafter with as much knowledge as possible and with the least complicated symbols of ancient times. it is to make sense in our lives, and in connecting with the universe that we live in. That is how Allah, Glory to Him, wants us to read the Qur'an; to make sense of what we read, to know what were reading, what are we to learn from our reading, to make a whole and to understand from the reiterated examples and lessons what Allah Almighty stands for, what is He trying to convey to, over and over all through the Qur'an He wants us to always take the best of meanings. it is a test of faith; when what is good, what is evil, what is tyranny and what is justice are glaring at us all over the Qur'an. There should be no doubt whatsoever as to what Allah, Glory to Him means, He wants whatsoever as to what Allah, Glory to Him means, He wants faith to guide us, not fail us, that is what sight, hearing, minds and hearts are for.

The word of Allah is guiding the people to differentiate between what is good and what is evil, to follow what is good, what is better for humans to achieve the sublime, the harmony and the happiness that is fit for humans.

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

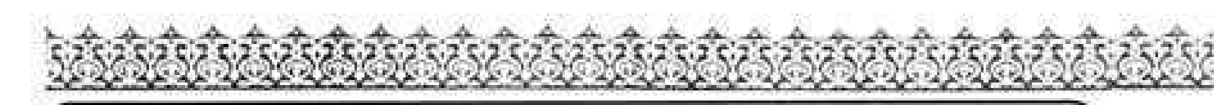
Those who hearken the word then follow the best of it, such are they whom God has guided, and such as they are the possessors of acumen. (39:18) the hordes.

24 - This differentiation between good and evil is to be applied where marriage for Muslims is concerned, Allah has made it clear that divorce is the most hated yet licit action with Allah. Furthermoer, Allah says that men cannot act fairly between their women because he has only one heart, hence one wife only is better.

But if you fear that you cannot act fairly, then one only. (4:3) women.

وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ٣

25 - because of the magnieloquence of the Qur'an sometimes the sentences are thought of as verses, which is not right. Every sentence, and every word are meted out in perfectton and measured in meanings. It is a miracle in its whole.



وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾

Who a void the major sins and indecencies, and when they are angry they forgive. «(42:37) councel.

وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾

O you who believe, a void much surmise, for some surmise is indeed sin, and spy not, nor backbite one another. «(49:12) the chambers.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ
بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

And if two parties of the believers fight one another, reconcile between them. (49:9) The chambers.

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي
تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

O you who believe let no people jeer at another people. (49:11) The chambers.

Nor vilify one another. (49:11) the chamers.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ
خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

But God purifies whom he Wills and God is hearing, knowing. (24:21) the light.

۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

23 - The Qur'an which is called the light, among other things, because it takes the people from darkness to the light; from ignorance and obscurity to

Islam and the great Qur'an
More messages of the Qur'an

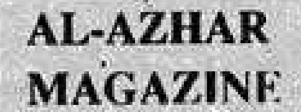
By : Ambassador Maha Fahmy

22 - In the Qur'an the Most important rules of morality are first that all sins can be forgiven by true repentance to Allah, then by avoiding the major sins and indecencies. Avoiding everything that is cruel or mean or indecent ; no alcohol, no gambling, no abomination or lewdness, no adultery or perversion . Slander and calumny are grievious with Allah . A Muslim must be someone who never tells alie, never bears false witness, someone who when passing by idle chatter passes with grace . Muslims walk in modesty, and when the ignorant address them or try to provoke them, they say peace or pass with grace . A muslim must try when angry to forgive, to speak softly, and to respect others at all times. Muslims must deal with each other with mutual respect, and to preserve the dignity of the senior of the family, in the mosque or at work . Muslim and Arab gallantry and hospitality are famous all over the world. Chivalrous and generous. The Muslims make a fuss of their guests, and even if a guest is an enemy but visited the muslim, the guest is safe in the Muslim's house . These are very well known Muslim and Arab ethics and they make life wonderful . The Muslims, urged by the Qur'an and blessed by Allah , the Muslims have very strong and warm family ties. They chat all their problems away, to usually genuinly very sympathetic ears, and are famous for their humour . Musllim men and women have very happy and healthy atttitudes towards each other.

"Are They who walk in modesty, and if the ignorant Address them, they say peace ". (25 :63) Al Furqan.



And they who do not bear false witness and when they pass by idle chatter, they pass with grace. (25:72) al furqan.



AL-AZHAR MAGAZINE

Sha'ban 1419H. Dec. 1998



ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part VIII

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation

AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine.

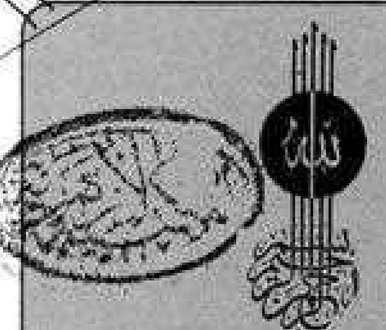
الفهرس

خميلة الشعر
إعداد : الأستاذ محمد عبدالوهاب

القسم الفرنساوى

القسم الانجليزى







الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

رمضان

شهر النفحات الربانية

الحمد لله ، وأصلي وأسلم على أسعد خلقه ، سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الكرام البررة ، وعلينا معهم برحمتك وكرمك ومنك يارب العالمين .

أما بعد

فشهر رمضان شهر عظيم ، شهر مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير ، أو أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن ، فمن أفطر فيه صائما ، كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له

مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، وهو شهر أوله رحمة ، ووسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له ، وأعتقه من النار » .

وإذا كان هذا شأن رمضان وهذه نفحاته فعلينا أن نستكثر فيه من خصال أربع : خصلتان ترضون بها ربكم ، وخصلتان لاغنى لكم عنها ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بها ربكم ، فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه ، وأما اللتان لاغنى لكم عنها : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار » .

ومن أشبع فيه صائمًا سقاه الله ـ تعالى ـ من حوض نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ شربة لايظمأ بعدها أبداً .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إذا كان رمضان ، فتحت له أبواب الجنة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين »[1] .

وعن أبي هريرة ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، مردة الجن ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، ومناد ينادى : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة »[2] .

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه »[3] .

ورمضان شهر رضوان ومحاباة وضيافة وألفة ، ونور ، ونوال ، وكرامة للأولياء والأبرار ، وقيل : مثل شهر رمضان فى الشهور ، كمثل القلب فى الصدور ، وكالأنبياء فى الأنام ، وكالحرم فى البلاد ، فالحرم يمنع فيه الدجال اللعين ، وشهر رمضان تصفد فيه مردة الشياطين ، وتكون الأنبياء شفعاء للمجرمين ، وشهر رمضان شفيع للصائمين ، والقلب مزين بنور المعرفة والإيمان ، وشهر رمضان مزين بنور تلاوة القرآن ، فمن لم يغفر له فى شهر رمضان ، ففى أى شهر يغفر له ، فليتب العبد إلى الله ـ عز وجل ـ قبل أن تغلق أبواب التوبة ، وليتب إليه ـ عز وجل ـ قبل أن يفوت وقت الإنابة ، وليبك قبل أن ينقضى وقت البكاء والرحمة ، وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن أمتى لم تخز ما أقاموا شهر رمضان ، فقال رجل : يانبى الله وما خزيهم ؟ قال : « من انتهك فيه محرما ، أو

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٧٩) [٢] فى الصيام . والبيهقى (٣٠٣/٤)
(٢) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (٢٢٢/٨) إسناده قوى والترمذى (٦٨٢) .
(٣) البخارى (٣٨) فى الإيمان / باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان . والنسائى (١٥٧/٤) .

عمل سيئة ، أو شرب خمرا ، أو زنى لم يقبل منه رمضان ، ولعنه الله وملائكته ، وأهل السموات إلى مثله من الحول ، وإن مات فيا بينه وبين رمضان ، فليس له عند الله حسنة »[1] .

إخوانى أمة محمد اعلموا أن شهر رمضان إنما هو شهر الصفا ، وشهر الوفا ، وشهر الذاكرين ، وشهر الصابرين ، وشهر الصادقين ، وتذكروا أن صيامه حفيظ لصاحبه من الضلال فى الدنيا ، ومن عذاب النار فى الآخرة ، وأنه عبادة خاصة بالله تعالى لم يعبد غيره به ، ومطيب لرائحة الفم عند الله ، ومفرح لصاحبه فى الدنيا والآخرة ، ورافع لذكره على رءوس الأشهاد ، ومصحح للجسم من الأسقام ، ومعظم للأجر ، ومقرب من الله تعالى . وفى الحديث « أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبل ، أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، ينظر الله ـ عز وجل ـ إليهم ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية : فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة ، وأما الرابعة : فإن الله ـ عز وجل ـ يأمر جنته فيقول لها : استعدى وتزينى لعبادى ، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى . وأما الخامسة : فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا ، فقال رجل من القوم : أهى ليلة القدر يارسول الله ؟ فقال : لا ، ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم »[2] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إنى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه »[3] .

وفى رواية : « كل عمل ابن آدم يضاعف . الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله ـ عز وجل ـ إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى »[4] .

وعن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قلت : يا رسول الله مرنى بأمر ينفعنى الله به ، قال : « عليك بالصيام فإنه لا مثل له »[5] .

---

(١) الطبرانى الصغير (٢٤٨/١) ومجمع الزوائد للهيثمى (١٤٤/٣) وجمع الجوامع (١٢٧٨) والكنز (٢٣٧٢٤) .
(٢) رواه البيهقى وأحمد والبزار .
(٣) رواه الخمسة : التاج الجامع للأصول (٤٦/٢ - ٤٧) .
(٤) المرجع السابق (٤٧/٢) .
(٥) رواه النسائى والحاكم وصححه (التاج ٥٠/٢) .

أخى المسلم : أخلص النية واجتهد فى العبادة ، وصل وقتك بالطاعة ، فما أكثر الفيوضات الربانية فى هذا الشهر الفضيل ، لاتضيع وقتك هباء ، وأكثر من تلاوة القرآن فيه بالتدبر ، واعلم أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل ، فشفعنى فيه ، قال : فيشفعان .

وكان من هدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شهر رمضان : الإكثار من أنواع العبادات ، فكان جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ يدارسه القرآن فى رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود الناس ، وأجود ما يكون فى رمضان [1] ، يكثر فيه من الصدقة والإحسان ، وتلاوة القرآن ، والصلاة والذكر والاعتكاف .

وكان يخص رمضان من العبادة بما لايخص غيره به من الشهور ، حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانا ، ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة ، وكان ينهى أصحابه عن الوصال ، فيقولون له : إنك توصل ، فيقول : « لست كهيئتكم إنى أبيت » وفى رواية : « إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى » [2] .

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيوانى ، ولاسيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه الذى قد قرت عينه بمحبوبه ، وتنعم بقربه ، والرضى عنه ، وألطاف محبوبه وهداياه ، وتحفه تصل إليه كل وقت ، ومحبوبه حفى به ، معتن بأمره ، مكرم له غاية الإكرام مع المحبة التامة له ، أفليس فى هذا أعظم غذاء لهذا المحب ؟ فكيف بالحبيب الذى لاشىء أجل منه ، ولا أعظم ، ولا أجمل ولا أكمل ، ولا أعظم إحسانا إذا امتلأ قلب المحب بحبه ، وملك حبه جميع أجزاء قلبه وجوارحه ، وتمكن حبه منه أعظم تمكن ، وهذا حاله مع حبيبه ، أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ؟ .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد المئزر وأحيا الليل وأيقظ أهله ، وكان يجتهد فيها مالا يجتهد فى غيرها ، تحريا لليلة القدر ، ليلة السلام والتحية ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ (القدر : ٤) الذى هو جبريل ـ عليه السلام ـ ومعه سبعون ألف ملك ، وهو أمير عليهم ، فجبريل ـ عليه السلام ـ يسلم على من كان قاعدا ، والملائكة تسلم على من كان نائما ، والبارى سبحانه وتعالى يسلم على عباده من كان قائما ، كما جاز أن يسلم الله ـ عز وجل ـ على عباده المؤمنين من أهل الجنة فى الجنة بقوله :

﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (يس : ٥٨)

---

(١) أخرجه البخارى وغيره فى الصوم (١٩٠٢)

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٤/١٨٢٢) ومالك فى موطئه فى الصيام (٦٧١) باب (١٣) النهى عن الوصال

فجاز أن يسلم على عباده الأبرار فى الدنيا الذين سبقت لهم منا الحسنى ، والعناية والسعادة فى الأزل ، الغائبين عن الخلق الباقين بالرب المطمئنين إلى الحق ، فلا يبقى فى ليلة القدر بقعة إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، ولايزالون يدعون ليلتهم تلك للمؤمنين والمؤمنات ، وأما جبريل - عليه السلام - فلا يدع أحدا من المؤمنين والمؤمنات إلا يسلم عليه ويصافحه ويقول له : إن كنت فى الطاعة فسلام عليك بالقبول والإحسان ، وإن كنت فى المعصية فسلام عليك بالغفران ، وإن كنت فى النوم فسلام عليك بالرضوان ، وإن كنت فى القبر فسلام عليك بالروح والريحان نهى قوله عز وجل :

﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ ﴾ (القدر : ٤ ، ٥)

وقيل : إن الملائكة تسلم على أهل الطاعات ولا تسلم على أهل العصيان فمنهم الظلمة ، ليس لهم نصيب فى سلام الملائكة ، وأكل الحرام أو وقاطع الرحم ، والنمام ، وأكل أموال اليتامى ، فهؤلاء ليس لهم نصيب فى سلام الملائكة ، فأى مصيبة أعظم من هذه المصيبة ؟ يمضى شهرا أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، ولايكون ذلك حظ فى سلام ملائكة رب العصاة والأبرار ، فهل كان ذلك إلا لبعدك من الرحمن ، وكونك من أهل الطغيان وموافق الشيطان ، وتحليك بحلية سالكى سبيل النيران ؟ ولبعدك وتجافيك عن سالكى سبيل الجنان وهجرانك لطاعة من بيده الضرر والإحسان ، فشهر رمضان شهر الصفا ، فإذا لم يؤثر فى إصلاح قلبك ؟ فأى خير يرجى فيك ؟ وأى بقية بقيت فيك ؟ وأى فلاح يترقب منك ؟ فتنبه يامسكين لما حل بك ، واستيقظ من رقدتك وغفلتك ، وانظر إلى الذى دهاك ، وشيع بقية شهرك بالتوبة والإنابة وتمتع فيها بالاستغفار والطاعة لعلك تكون ممن تناله الرحمة والرأفة ، وتودعها بإسبال العبرات ، وابك على نفسك المشئومة بالعويل والويل والنياحات ، فكم من صائم لايصوم غيره أبدا ، وكم من قائم لايقوم بعده أبدا ، والعامل يعطى أجره عند فراغه من عمله وقد فرغنا من العمل ، فليت شعرى أمقبول صيامنا وقيامنا أم مضروبة بها وجوهنا ؟ ياليت شعرى من المقبول منا فنهنيه ؟ ومن المردود منا فنعزيه ؟

وأخيرا : السلام عليك يا شهر الصيام ، السلام عليك يا شهر القيام ، السلام عليك يا شهر الإيمان ، السلام عليك يا شهر القرآن ، السلام عليك يا شهر الأنوار ، السلام عليك يا شهر المغفرة والغفران .

اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامهم وصلاتهم ، ونور بصائرنا بنور قرآنك .

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك يارب ، آمين

وكل عام وأنتم بخير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ١١٠ : ١١٢)

بعد أن أمر القرآن المؤمنين فى الآية السابقة بالعفو والصفح عن أعدائهم لأن الحكمة تجعل العفو والصفح خيرا من العقوبة والتأنيب ، انتقل بعد ذلك إلى أمرهم بالمحافظة على الشعائر التى تطهر قلوبهم ، وتزكى نفوسهم فقال - تعالى - :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(البقرة : ١١٠)

فقد أمرهم - سبحانه - فى هذه الآية بالمواظبة على عمودى الإسلام ، وهما العبادة البدنية التى تؤكد حسن صلة العبد بخالقه وهى الصلاة والعبادة المالية التى تؤلف بين قلوب الموسرين والمعسرين وهى الزكاة .

وجاءت جملة ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾

بعد ذلك ، لترغبهم فى فعل الخير على وجه عام ، ولتحثهم على التزود من الأعمال الصالحة

سواء أكانت فرضاً أم نفلا . وقال ﴿ لِأَنفُسِكُم ﴾ للإشعار بأن ما يقدمه المؤمن من خير إنما يعود نفعه إليه ، وأنه سيجد عند الله نظير ذلك الثواب الجزيل ، والأجر العظيم ، وفى قوله ، عند الله ، إشارة إلى ضخامة الثواب ، لأنه صادر من الغنى الحميد .

وجاءت جملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

لتأكيد ذلك الوعد ، فقد دلت على أن الله ـ تعالى ـ لايخفى عليه عمل عامل قليلا كان أو كثيراً . وإذا كان عالماً محيطاً بكل عمل يصدر من الإنسان ، كانت الأعمال محفوظة عنده ـ تعالى ـ فلا يضيع منها عمل دون أن يلقى العامل جزاءه يوم الدين .

وفى إعادة ذكر اسم الجلالة فى هذه الجملة مع تقدم ذكره فى قوله : ﴿ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

إشعار باستقلال هذه الجملة ، وبشدة الاهتمام بالمعنى الذى تضمنته .

كذلك من فوائد إظهار اسم الجلالة فى مقام يجوز فيه الإضمار ، أن تكون الجملة كحكمة تقال عند كل مناسبة ، بخلاف ما لو أتى بدل الاسم الظاهر بالضمير فإن إلقاءه عند المناسبة يستدعى أن تذكر الجملة السابقة معها حتى يعرف المراد من الضمير .

ثم حكى القرآن لونا من ألوان المزاعم الباطلة التى درج عليها أهل الكتاب ، ورد عليها بما يبطلها فقال :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

الضمير فى « وَقَالُوا » يعود على أهل الكتاب من الفريقين .

والهود : جمع هائد أى : متبع اليهودية وقدمهم القرآن الكريم على النصارى لتقدمهم فى الزمان .

والمعنى : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخلها إلا من كان نصرانياً ، إلا أن الآية الكريمة سلكت فى طريق الإخبار عما زعموه مسلك الإيجاز ، فحكت القولين فى جملة واحدة ، وعطفت أحد الفريقين على الآخر بحرف « أو » ثقة بفهم السامع ، وأمنا من اللبس ، لما عرف من التعادى بين الفريقين ، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ، ونظير هذه الآية قوله تعالى حكاية عنهم :

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا ﴾

(البقرة : ١٣٥)

أى : قالت اليهود : كونوا هودا تهتدوا ، وقالت النصارى : كونوا نصارى تهتدوا .

ولذا قال الإمام ابن جرير : « فإن قال قائل : وكيف جمع اليهود والنصارى فى هذا الخبر مع اختلاف مقالة الفريقين ، واليهود تدفع النصارى عن أن يكون لها فى ثواب الله نصيب ، والنصارى تدفع اليهود عن مثل ذلك ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذى ذهبت إليه ، وإنما عنى به وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا النصارى ، ولكن معنى الكلام لما كان مفهوما عند المخاطبين به جمع الفريقان فى الخبر عنهما فقيل :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ (١)

(البقرة : ١١١)

وقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾

جملة معترضة قصد بها بيان أن ما يدعونه من أن الجنة خاصة بهم ، ماهو إلا أمانى منهم يتمنونها على الله بغير حق ولا برهان . سولتها لهم أنفسهم التى استحوذ عليها الشيطان فخدعها بالأباطيل والأكاذيب .

واسم الإشارة ﴿ تلك ﴾ مشار به إلى ما تضمنه قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

وهو يتضمن أمانى كثيرة : منها ، أن اليهود أمنيتهم أنه لن يدخل الجنة غيرهم ، والنصارى كذلك أمنيتهم أنهم هم وحدهم أصحاب الجنة ، وكلا الفريقين يعتقد أن المسلمين ليسوا أهلا لها ، ولهذا جاء خبر اسم الإشارة جمعا فقال تعالى :

﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ .

ويرى صاحب الكشاف أن المشار إليه أمور قد تعددت لفظا وحكاها القرآن عنهم فى قوله :

﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة : ١٠٥)

وفى قوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾

(البقرة : ١٠٩)

وفى قوله : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

وعبارته :

فإن قلت : لم قيل :

﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة ؟ قلت : أشير بها إلى الأمانى المذكورة وهو أمنيتهم أن لاينزل على المؤمنين خير من ربهم ، وأمنيتهم أن يردوهم كفاراً ، وأمنيتهم ألا يدخل الجنة غيرهم . أى : تلك الأمانى الباطلة أمانيهم (٢) .

ويرى صاحب الانتصاف : أن المشار إليه واحد وهو قولهم :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

وجمع لإفادة أن تلك الأمنية قد تمكنت من نفوسهم وأشربتها قلوبهم . فقال : والجواب القريب أنهم لشدة تمنيهم لهذه الأمنية ، ومعاودتهم لها ، وتأكدها فى نفوسهم جمعت ليفيد جمعها أنها متأكدة فى قلوبهم بالغة منهم كل مبلغ ، والجمع يفيد ذلك ، وإن كان مؤداه واحداً ونظيره قولهم : معى جياع ، فجمعوا الصفة ومؤداها واحد ، لأن موصوفها واحد ، تأكيداً لثبوتها وتمكنها ، وهذا المعنى أحد ما روى فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ (الشعراء : ٥٤)

فإنه جمع « قليلا » وقد كان الأصل إفراده فيقال « لشرذمة قليلة » كقوله تعالى :

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ ﴾ (البقرة : ٢٤٩)

لولا ما قصد إليه من تأكيد القلة بجمعها ، ووجه إفادة الجمع فى مثل هذا التأكيد ، أن الجمع

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٩١ .

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٣٠ .

يفيد بوضعه الزيادة فى الآحاد فتقل إلى تأكيد الواحد ، وإبانته زيادة على نظرائه ، نقلا مجازياً بديعاً فتدبر هذا الفصل فإنه من نفائس صناعة البيان والله الموفق »[1] .

ثم أمر الله ـ تعالى ـ رسوله ـ ﷺ ـ أن يطالبهم بالدليل على صحة ما يدعون ، فقال تعالى :

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

أى : قل ـ يامحمد ـ لهؤلاء الزاعمين أن الجنة لهم خاصة من دون الناس ، هاتوا حجتكم على خلوص الجنة لكم ، إن كنتم صادقين فى دعواكم ؛ لأنه لما كانت دعواهم الاختصاص بدخول الجنة لاتثبت إلا بوحى من الله وليس لمجرد التمنى ، أمر الله ـ تعالى ـ نبيه ـ ﷺ ـ أن يطالبهم بالدليل من كتبهم على صحة دعواهم ، وهذه المطالبة من قبيل التعجيز لأن كتبهم خالية مما يدل على صحتها .

قال الإمام ابن جرير : « وهذا الكلام وإن كان ظاهره دعاء القائلين :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

إلى إحضار حجة على دعواهم ، فإنه بمعنى التكذيب من الله لهم فى دعواهم وقيلهم ، لأنهم ليسوا بقادرين على إحضار برهان على دعواهم تلك أبداً »[2] .

هذا ، ويؤخذ من الآية الكريمة بطلان التقليد فى أمور الدين ، وهو قبول قول الغير مجرداً من الدليل ، فلا ينبغى للإنسان أن يقرر رأيا فى الدين إلا أن يسنده إلى دليل ، كما أنه لا يقبل من غيره قولا إلا أن يكون مؤيداً بدليل .

أما عدم صحة التقليد فى أصول الدين : أى فيما يرجع إلى حقيقة الإيمان فالأمر فيه جلى ، لأنه يكتفى فى إيمان الشخص بأى دليل ينشرح به صدره للإسلام ، وتحصل له به الطمأنينة ، كأن يستمد إيمانه بالله من التنبه لحكمة الله فى إتقان المخلوقات ، أو فى رعاية اللطف والرفق بالإنسان ، ويستمد إيمانه بصدق الرسول ـ ﷺ ـ من الاستماع إلى القرآن الكريم ، أو من سيرته التى لم يظهر بمثلها أو بما يقرب منها بشر غير رسول ، والقصد أن لا يكون إسلامه لمجرد أنه فى بيئة إسلامية أو ولد من أب وأم مسلمين .

وأما التقليد فى الفروع أى فى الأحكام العملية ، فالناس بالنظر إلى القدرة على تمييز الخطأ من الصواب درجات ، فمن له قدرة على فهم الأدلة ومعرفة الراجح من الأحكام ، لايجوز أن يتلقى الحكم من غيره إلا مقروناً بدليل ، وإن كان قاصراً عن هذه الدرجة أخذ بما يفتيه به العالم المشهود له بالرسوخ فى علم الشريعة ، والمعروف بالمحافظة على لباس التقوى ما استطاع »[3] .

ثم أبطل القرآن الكريم مدعاهم بطريق آخر وهو إيراد قاعدة كلية رتبت دخول الجنة على الإيمان والعمل الصالح بلا محاباة لأمة أو لجنس أو لطائفة فقال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(البقرة : ١١٢)

---

(١) هامش تفسير الكشاف جـ١ ص ٣٣٠ .

(٢) تفسير ابن جرير جـ١ ص ٦٤٩ .

(٣) تفسير الآية الكريمة للمرحوم الشيخ محمد الخضر حسين : مجلة لواء الإسلام ، السنة الثالثة ، العدد الخامس ص ٧ .

﴿ بَلَىٰ ﴾ حرف يذكر فى الجواب لإثبات المنفى فى كلام سابق ، وقد صدرت الآية التى معنا بحرف « بلى » لإثبات مانفوه وهو دخول غيرهم الجنة ممن لم يكن لا من اليهود ولا من النصارى ، مادام قد أسلم وجهه لله وهو محسن .

وقوله تعالى :

﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾ المراد به اتجه إليه ، وأذعن لأمره ، وأخلص له العبادة ، وأصل معناه الاستسلام والخضوع .

وخص الله ـ تعالى ـ الوجه دون سائر الجوارح بذلك ، لأنه أكرم الأعضاء وأعظمها حرمة ، فإذا خضع الوجه الذى هو أكرم أعضاء الجسد فغيره من أجزاء الجسد أكثر خضوعاً .

وقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ من الإحسان ، هو أداء العمل على وجه حسن أى : مطابق للصواب وهو ما جاء به الشرع الشريف .

والمعنى : ليس الحق فيما زعمه كل فريق منكم يا معشر اليهود والنصارى من أن الجنة لكم دون غيركم ، وإنما الحق أن كل من أخلص نفسه لله ، وأتى بالعمل الصالح على وجه حسن ، فإنه يدخل الجنة ، كما قال تعالى :

﴿ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

وقد أفادت الآية الكريمة ما يأتى :

(أ) إثبات ما نفوه من دخول غيرهم الجنة .

(ب) بيان أنهم ليسوا من أهل الجنة ، إلا إذا أسلموا وجوههم لله ، وأحسنوا له العمل فيكون ذلك ترغيبا لهم فى الإسلام ، وبياناً لمفارقة حالهم لحال من يدخل الجنة ، لكى يقلعوا عما هم عليه ، ويعدلوا عن طريقتهم المعوجة .

(جـ) بيان أن العمل المقبول عند الله ـ تعالى ـ يجب أن يتوافر فيه أمران :

أولهما : أن يكون خالصاً لله وحده .

ثانيهما : أن يكون مطابقاً للشريعة التى ارتضاها الله تعالى وهى شريعة الإسلام .

قال الإمام ابن كثير : « فمتى كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل ، ولهذا قال رسول الله ـ ﷺ ـ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » فعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعاً للرسول ـ ﷺ ـ المبعوث فيهم وإلى الناس كافة ، وفى أمثالهم قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾

(الفرقان : ٢٣)

وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة فى الصورة الظاهرة ، ولكن لم يخلص عامله القصد لله ، فهو أيضاً مردود على فاعله ، وهذا حال المرائين والمنافقين ولهذا قال ـ تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١)

(الكهف : ١١٠)

وبذلك تكون الآيتان الكريمتان قد أبطلتا دعوى اليهود أن الجنة لهم دون غيرهم ، وأثبتتا أن مزاعمهم هذه ما هى إلا من قبيل الأمانى والأوهام وكذبتهم فى أن يكون عندهم أى برهان أو دليل على ما يدعون ثم أصدرتا حكما عاما ، وهو أن الجنة ليست خاصة لطائفة دون أخرى ، وإنما هى لكل من أسلم وجهه لله وهو محسن .

« يتبع »

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٥٤ .

قبس من أنوار النبوة

مَعَ القرآنِ في رمضانْ

موسم الغفران

لفضيلة الشيخ : علي حامد عبد الرحيم

عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني من النار ، قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله ـ تعالى ـ عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة[1] ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم تلا :

﴿ تَتَجَافَىٰ[2] جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(السجدة ـ ١٦ : ١٧)

ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يارسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك[3] ذلك كله ؟ قلت : بلى يارسول الله ، فأخذ بلسانه ثم قال : كف عليك هذا ، قلت : يارسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك[4] ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم[5] »[6] .

---

(١) الصوم جنة : أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات .

(٢) تتجافى : ترتفع وتتنحى للعبادة عن الفرش التي يضطجع عليها .

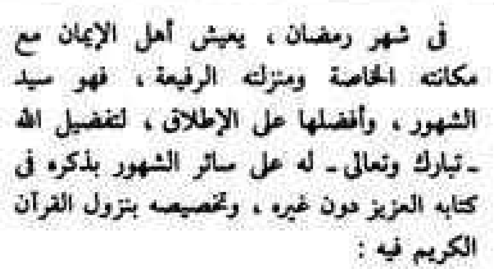
(٣) ملاك الأمر : قوامه الذي يملك به .

(٤) ثكلتك أمك : فقدتك ، وهي من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ، ولا يراد بها الدعاء .

(٥) حصائد ألسنتهم : أي ما تجنيه عليهم ألسنتهم من الشر .

(٦) رواه الترمذي .

في شهر رمضان ، يعيش أهل الإيمان مع مكانته الخاصة ومنزلته الرفيعة ، فهو سيد الشهور ، وأفضلها على الإطلاق ، لتفضيل الله ـ تبارك وتعالى ـ له على سائر الشهور بذكره في كتابه العزيز دون غيره ، وتخصيصه بنزول القرآن الكريم فيه :



﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾

(سورة البقرة : ١٨٥) .

وحيث جعله الله شهر الصيام والتقوى والعبادة ـ بصفة خاصة ـ طريقا للسعى إلى الجنة بخطى حثيثة ، وحيث يتنافس فيه إلى كل عمل صالح كل من يوفقه الله .

فقد جاء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ـ فيما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ متحدثا عن منزلة رمضان : « جاءكم شهر رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم فيه فيباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله » .

ورمضان ركن من أركان هذا الدين الذى هدانا الله إليه وأكمله ، حيث يقول :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣) .

وهو دعامة من دعائم الإسلام التى بنى عليها ، فعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان[٧] » .

في طلب معاذ ـ رضى الله عنه ـ من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدله على عمل يدخله الجنة ، ويبعده عن النار ، يدل على حرص صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ما يوصلهم إلى السعادة الكبرى والنعيم المقيم ، وكما هو كذلك مطلوب من كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة .

ولقد كان في إجابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا الصحابى الجليل : إنك سألت عن أمر عظيم ، ويسير على من يسره الله ـ تعالى ـ عليه ، ووفقه للقيام به على الوجه الأكمل ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تعبد الله لا تشرك به شيئا » ، ففى مسند الإمام أحمد والنسائى عن معاوية بن حيدة قال : قلت يارسول الله بالذى بعثك بالحق ماالذى بعثك الله به ؟ قال : الإسلام . قلت وما الإسلام ؟ قال : أن تسلم قلبك لله ـ تعالى ـ وأن توجه وجهك لله ، وأن تصلى الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة .. الخ .

وكما جاء في الصحيحين عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن أعرابيا قال : يارسول الله : « دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : والذى بعثك بالحق لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه ، فلما ولى قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » ، ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمعاذ : « ألا أدلك على أبواب الخير » ـ أى من النوافل ـ فإن أحب العباد إلى الله الذين

(٧) رواه البخارى ومسلم .

يتقربون إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض ، فقال : « الصوم جنة » أى حصن حصين من النار ، فالصوم يقى صاحبه من المعاصى فى الدنيا ، كما قال الله ـ عز وجل ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣) .

فإذا كان له جنة من المعاصى كان له فى الآخرة جنة من النار .

ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » فعن أنس ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن صدقة السر تطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء[٨] » .

ومما يطفىء الخطيئة كالصدقة « وصلاة الرجل فى جوف الليل » .

وفى ذلك يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل » .

وروى الترمذى من حديث بلال عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله ـ عز وجل ـ ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد ، ثم تلا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول الله تعالى :

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (سورة السجدة ـ ١٦ : ١٧) .

« وأقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر[٩] » .

ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ موجها ومعلما للأمة فى شخص معاذ : « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، قلت بلى يارسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، رأس الأمر الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وإن قوام هذا الأمر إقام الصلاة ، حيث جعلت الصلاة كعمود الفسطاط ـ الخيمة ـ الذى لا يقوم الفسطاط إلا به ، ولا يثبت الفسطاط إلا به ، ومن أقامها أقام الدين بل هى فرق ما بين المسلم والكافر ، وهى أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة ، فإذا صلحت فاز ونجح ، وإذا فسدت خاب وخسر ، وأفضل الأعمال بعد الفرائض الجهاد فى سبيل الله

ثم أخبر ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : « أمسك عليك هذا وأشار إلى لسانه » .

ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم » ، إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب .

قال ابن المبارك عن فضالة عن يونس بن عبيد ـ رحمهم الله ـ : « لا تجد شيئا من البر واحد يتبعه البر كله غير اللسان ، فإنك تجد الرجل يصوم النهار ويفطر على حرام ، ويقوم الليل ويشهد الزور بالنهار ، وذكر أشياء ، ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق فيخالف ذلك عمله أبدا .

وقال عباس ـ وقد أخذ بلسانه ـ ويحك قل خيرا تسلم وأمسك عن شر تسلم وإلا فاعلم أنك ستندم .

(٨) رواه الترمذى وابن حبان .

(٩) رواه الترمذى .



(١)

يوم النصر العظيم

للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى

فى بدر ، وفى رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وقف الرسول الأكرم صباح النصر العظيم يحف به أصحابه - صلى الله عليه وسلم - كما تحف النجوم بالقمر والأضواء بالشمس ، ومن حولهم أشلاء وجثث ممزقة لسبعين قتيلا ، كلهم من وجوه قريش وسادتها ، وبين الأشلاء جرحى الهزيمة من القرشيين المكين ، وجوههم معفرة ذليلة ، أصابها الخوف والفزع ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يحفرون لقتلى المشركين قليبا - أى بئرا ، ويدفنهم فى جوفه ، ثم يقف ومن معه على حافة القليب ، شاكراً لله هذا النصر المبين ، وهو يقول : ياأهل القليب : ياعتبة بن ربيعة ياشيبة بن ربيعة ياأمية بن خلف ، ياأبا جهل بن هشام ، وعدد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسماء رؤوس الشرك الذين أذلهم الله وقتلهم ، ممن رمى بهم فى القليب ، ثم قال - صلوات الله عليه - : « ياأهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » .

ياأهل القليب ، بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس .

ولما أخذ جثمان عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب ، نظر رسول الله إلى ابنه المسلم أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، فإذا وجهه كئيب ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ياأبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء فقال : لا والله يارسول الله ، ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، وكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر ، بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك .

وينادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

على شاعر المسلمين ، وبطلهم ، عبدالله بن رواحة ، وعلى بطل الحرب متبنى رسول الله ـ ﷺ ـ زيد ابن حارثة ، فيبعثها بشيرين بهذا النصر المبين ، والفوز العظيم إلى المدينة .

ثم ينفض رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه عنهم غبار المعركة ، ويسير من بدر وخلفه الأسرى من المشركين سبعون أسيراً ، ويسير الموكب النبيل ، موكب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة ، فلما وصل الموكب إلى الروحاء ، وهى على نحو نصف الطريق من بدر إلى المدينة إذا وفود أهل المدينة مقبلة جاءت من المدينة تهنىء رسول الله ـ ﷺ ـ بما فتحه الله على المسلمين من هذا النصر المبين .

وقدم رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة قبل الأسرى بيوم ، وفى المسجد النبوى مسجد رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ أدى لله سجدة الشكر .. على نعمة النصر العظيم .

ووزع رسول الله ـ ﷺ ـ الأسرى على أصحابه وقال لهم : « استوصوا بالأسرى خيرا » .

ـ ٢ ـ

هذا جانب من صورة هذا المشهد الكبير ، وفى الجانب الآخر صورة عربى خزاعى من أهل مكة قادم من بدر إلى بلد الله الحرام بأسوأ خبر سمعه القرشيون ، طيلة حياتهم ، قال لهم : لقد قتلت أفلاذ أكبادكم فى بدر ، قتل أبو جهل ، وعتبة ، وشيبة ، ابنا ربيعة ، وأمية بن خلف ، وغيرهم من سادة القرشيين وقادتهم ، وكبرائهم . كان أبو لهب قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه إلى أرض المعركة فى بدر : العاصى بن هشام بن المغيرة . فلما سمع بمقتل أشراف قومه ، مات حزنا وكمدا . وأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وذهب إلى غضب الله وعذابه ، وناحت قريش على قتلاها ، ثم قال بعضهم لبعض : لا تنوحوا على قتلاكم ، فيشمت محمد وأصحابه ، وباتوا بهم دائم وحزن مقيم ، وأخذوا يبعثون فى فداء الأسرى ، ومن لم يبعث أهله فى فدائه كان فداؤه تعليم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة ، ووجد المسلمون فى مكة فى أنفسهم عزا وقوة ، وشعر المسلمون فى المدينة بالأمن والطمأنينة .

وجاء رجل من مكة إلى المدينة مسرعا لا يلوى على شيء ولا يستريح من كلال ويمم صوب المسجد النبوى ووقف على مجلس رسول الله ـ ﷺ ـ ووضع فى يده قلادة ، وهو يقول : إن ابنتك زينب بنت محمد بعثت بهذه القلادة إليك ، فدية لزوجها الأسير أبى العاص بن عبدالعزى بن عبد شمس بن مناف بن الربيع بعد النصر وتقول : اطلقوا سراحه وهذه فديته ، وكان أبو العاص ابن هالة أخت خديجة أم المؤمنين ، وكانت القلادة هدية خديجة لابنتها يوم زفافها واستقرت القلادة فى يد رسول الله ـ ﷺ ـ ودمعت عيناه ، ثم قال لأصحابه :

إن رأيتم أن تطلقوا لهذه أسيرها وتردوا عليها مالها .. وسمع أبطال النصر ذلك ، فبادر عبدالله ابن جبير بن نعمان الأنصارى الذى أسر أبا العاص فى بدر إلى السعى نحو بيته ، حيث فك أسر أبى العاص زوج زينب بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وكان قد أكره على الخروج إلى بدر ، وأصبح أبو العاص حرا ، وعادت قلادة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ إلى يدى أبى العاص زوجها وأخذ رسول الله ـ ﷺ ـ العهد على أبى العاص سرا أن يخلى سبيل ابنته

زينب لتهاجر إلى أبيها رسول الله - ﷺ - فى المدينة ، ولتقيم فى دار الإسلام مع المسلمين .
وقبل هجرة رسول الله - ﷺ - إلى المدينة كانت قريش قد مشت إلى أبى العاص يقولون له : فارق زوجك وصاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت . فرد عليهم ردا عنيفا ، وقال : لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش ، فمشت قريش إلى عتبة بن أبى لهب ، تقول له : إنك قد فرغت محمدا من همه ، طلق ابنته التى عندك وهى زوجته أم كلثوم وردها إلى أبيها ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ، وكان لم يدخل بأم كلثوم بعد ، فقال لهم : أفارقها على أن تزوجونى بنت سعيد بن العاص ، قالوا له : نعم فطلقها وأخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له ، وتزوجها بعده عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وعادت زينب إلى أبيها - صلوات الله عليه - وتوفيت فى المدينة فى العام الثامن للهجرة ، وتوفيت بعدها بشهر أختها أم كلثوم بنت رسول الله - رضى الله عنهما أجمعين .

- ٣ -

لقد كان النصر الأكبر الذى ناله المسلمون فى بدر نهاية لأحداث طويلة دامية مريرة ، وفيه يقول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

(الأنفال ١١ ، ١٢) .

ولقد كانت غزوة بدر الكبرى حدث الأحداث فى تاريخ العالم القديم ، فقد أنهت نظرية سيادة قريش على الجزيرة العربية وأسطورة أنها لا تغلب .

وأنهت كذلك معركة بدر الكبرى عهدا من الاضطهاد الوثنى للرسالات السماوية وأتباعها ، ووضعت نهاية لأفكار الجاهلية فى الحجر على الحريات الدينية . وقررت حقيقة جديدة وهى أن الجزيرة العربية قد أصبح للإسلام والمسلمين فيها مكان روحى وسياسى كبير لا يمكن تجاهله ، وجعلت كذلك معركة بدر قريشاً تفكر ألف مرة ومرة فى مصير قوافلها التجارية الكثيرة الذاهبة إلى الشام ، حتى أنها غيرت طريق هذه القوافل فصارت تمر بطريق طويل وَعْر . فى قلب نجد حتى تستطيع الذهاب للشام ، والإفلات من قبضة المسلمين . وفى هذه المعركة هزمت قريش شر هزيمة ، قتل منهم سبعون وأسر سبعون ، وهرب وفقد الباقون ، وأما المسلمون فقد استشهد منهم أربعة عشر مجاهدا : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وبعد المعركة برزت بين القوى السياسية المختلفة فى المنطقة دولة إسلامية قوية هى دولة الإسلام فى المدينة وما حواليها .

وترجع أسباب هذه المعركة الخالدة إلى اضطهاد قريش للمسلمين سواء منهم المهاجرون إلى المدينة ، أو الذين ظلوا مقيمين فى مكة ، وإلى مصادرتها لأموالهم وتجاراتهم وديارهم . وإلى مؤامراتهم الدنيئة الدائمة ضد الإسلام ورسوله والمؤمنين به .

- ٤ -

وقد بدأت الأحداث بإرسال الرسول سرية من المسلمين ؛ لاعتراض القافلة التجارية الكبيرة التى عاد بها أبو سفيان من الشام ، وكانت تقدر أموالها

بنحو خمسين ألف دينار ، وفيها ألف بعير محملة بالأموال ، إذ أنه لم يبق أحد من قريش ، رجالا ونساء ولم يسهم فيها بحظ ، حسب ماله ومكانته ، وكان يتولى حراستها أربعون قرشيا منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل ، وكان الرسول قد فكر فى اعتراضها وهى ذاهبة إلى الشام إلا أنها كانت قد أسرعت وأفلتت من أيدى المسلمين فى طريقها إلى الشام ، وصارت نتائج غزوة العشيرة محدودة حيث لم تثمر الثمرة المطلوبة .

واستعمل أبو سفيان فى عودته ذكاءه فى معرفة الأخبار ، وما انتواه محمد وأصحابه ، حيال قافلته الكبيرة . ولما علم أن الرسول قد ندب المسلمين لمهاجمة قافلته بمن فيها وما فيها حذر أبو سفيان حذرا شديدا ، وبعث رجلا إلى مكة ليأتى قريشا فى أنديتها ، ويستنفرهم ، للدفاع عن أموالهم وتجارتهم ، ولينبئهم أن جيش محمد فى طريقه إلى اعتراض القافلة والاستيلاء على كل أموالها ، ولما وصل الرجل إلى مكة أخذ يصرخ بأعلى صوته ببطن الوادى ، وهو يقول : يامعشر قريش أموالكم مع أبى سفيان ، قد عرض لها محمد فى أصحابه ولا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

وأسرع الناس بالخروج دفاعا عن تجارتهم وأموالهم ، ولم يتخلف من سادة قريش إلا أبو لهب ، الذى بعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة ، وكان عدد الذين خرجوا من مكة تسعمائة وخمسين رجلا ، أكثرهم من قريش ، ومعهم مائتا فرس يقودونها ، وعدد كبير من الإبل ، وليس لهم قيادة موحدة ، ولا تنظيم عسكرى مخطط له : واحتاط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للأمر ، فخرج هو والمسلمون من المدينة يوم الاثنين لثمانى ليال مضت من رمضان ، من العام الثانى للهجرة ، لمساندة السرية التى كان قد بعث بها لمهاجمة قافلة أبى سفيان وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وخمسة مجاهدين من المهاجرين والأنصار ، ومعهم فرسان وسبعون بعيرا ، وكان نصيب رسول الله - ﷺ - وعلى بن أبى طالب ، ومرثد الغنوى بعيرا واحدا يتناوبون الركوب عليه ، فقال على ومرثد لرسول الله : يارسول الله ، نحن نمشى عنك ، فقال لهما : ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما .

وبعث رسول الله دوريات للاستطلاع فى مقدمة الجيش ، وسار خلفها قلب الجيش المؤلف من كتيبتين : واحدة من الأنصار بقيادة سعد بن معاذ ، وأخرى من المهاجرين بقيادة على بن أبى طالب . . ويلى ذلك مؤخرة الجيش بقيادة قيس بن أبى صعصعة .

وعلم رسول الله - ﷺ - بخروج قريش للدفاع عن أموالها ، وحينئذ صار الأمر أكبر من تهديد قريش فى تجارتها وطريق قوافلها ، وصار احتمال الصدام الحربى قويا ، وبعد أن كان خروج رسول الله ذا هدف واحد هو الحصار الاقتصادى لتجارة قريش ، إذ أن رسول الله - ﷺ - لما ندب المسلمين فى المدينة للخروج قال لهم : هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها ، أى يجعلها لكم غنيمة ، أصبح الأمر حينئذ أمر مواجهة عسكرية محتومة .

وعندئذ عقد رسول الله - ﷺ - مجلسا حربياً ، حيث عرض القضية على أصحابه من أولى الرأى والجهاد فى الإسلام .

فقام أبو بكر فقال وأحسن .

وقام عمر فقال وأحسن .

ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يارسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى :

﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ (المائدة ٢٤) .

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فقال له رسول الله خيرا ، ودعا له به .

ثم التفت رسول الله ـ ﷺ ـ ناحية الأنصار ، وقال : أشيروا على أيها الناس ، إذ أنه كان يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا إذا دهمه فى قلب المدينة عدوه . فقال سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله .. قال ـ صلوات الله عليه ـ . أجل ، قال سعد :

لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يارسول الله لما أردت ، فنحن معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، وإنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

فسر رسول الله بما يقول سعد ، وقال :

سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى وعدنى إحدى الطائفتين ـ أى قريشا أو أموالها ـ والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم .

وحينئذ أصبح الأمر واضحا ، وأن قرارا قد اتخذ بالحرب ، وكان لابد من أن تسير الأمور إلى غايتها المحتومة .

وبعدئذ جمعت سرايا الاستطلاع كل ما أراد الرسول الأعظم معرفته عن قريش ، وأنهم بين التسعمائة والألف ، وأن فيهم أشراف قريش : عتبة وشيبة وأبا جهل ، وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وسواهم .

وفى تلك الأثناء كان أبو سفيان قد سلك بقافلته طريق ساحل البحر ، وبعد عن بدر كثيرا ونجا هو ومن معه وما معه من خطر المواجهة .

وبعث أبو سفيان بذلك إلى وجوه قريش يقول لهم : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم ورجالكم فقد نجاها الله فارجعوا إلى بلدكم .

فقال أبو جهل : لا والله لانرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليها ثلاثا ، تنحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ـ أى المغنيات ـ وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها .

وكان فى صف دعاة السلام والدعوة إلى تجنب الحرب من جيش أبى جهل الأخنس الثقفى ، وحكيم بن حزام ، وعدد قليل ، ولكن الأكثرية والغالبية العظمى كانت فى صف الحرب ، وسارت الأمور إلى نهايتها .

وفى بدر التقى الجمعان .

رسول الله فى العدوة الدنيا على بئر ماء ، والآبار الأخرى قد جعلها المسلمون لا يستقى منها ، والمشركون فى العدوة القصوى بلا ماء .

سعد بن معاذ والمسلمون يبنون لرسول الله عريشا ـ أو مقر قيادة ـ وسط أرض المعركة ، فى موضع مشرف على أرض القتال ، وكلمة التعارف بين المسلمين أحد أحد .

وبدأ القتال ، مقر للقيادة وسيطرة للقائد الأعظم على المعركة ، وطاعة تامة من المسلمين لقائدهم ، وتضحية وإقدام من جانب المسلمين ، تنظيم كامل لجيش المسلمين على أساس جديد معروف وهو حرب الصف .

أما المشركون فأسلوبهم فى القتال أسلوب الكر والفر ، وليس لهم قيادة منظمة ولا قائد واحد معروف ، وليس لأحد منهم سيطرة على المعركة وما يجرى فيها ، وهم يقاتلون كأفراد ، أما المسلمون فيقاتلون صفوفا :

ودارت المعركة وهزم فيها المشركون هزيمة منكرة ، وكان النصر لرسول الله وللإسلام ، وأعز الله بهذا النصر الإسلام والمسلمين .



ليس من قبيل المصادفة أن يكون شهر رمضان المعظم ظرفا لوقوع العديد من المعارك التى كتب الله فيها النصر لعباده المؤمنين .

وحين نقلب صفحات التاريخ الإسلامى ، ومصادر التشريع فى الإسلام نجد أن الجهاد بمعناه الشامل سمة أساسية من سمات الإسلام ، وصفة بارزة من صفات المؤمنين به ، حتى إنك لتجد المؤمن الصادق فى جهاد متواصل ، لا يفتر ، ولا يخلد إلى الكسل ، والخمول فهو يجاهد نفسه الأمارة بالسوء ليلزمها سلوك الطريق المستقيم ، ويدفعها نحو الجد فى عمل الصالحات ، والمسارعة فى الخيرات ، ويحفظها من الوقوع فى المعاصى والمنكرات .

وهو يجاهد هواه خوفا من الله حتى لا يضله الهوى عن سبيل الله ، ولكى يحظى برضوان الله إيمانا وتصديقا بقول الله سبحانه :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات : ٤٠ : ٤١) .

والمؤمن يجاهد هواه إدراكا منه أن اتباع الهوى يسقط الهيبة ويذهب بالكرامة ، ويؤدى بصاحبه إلى السقوط فى مهاوى الذلة والمهانة ، ويفقده القدرة على السمو وعلو المكانة ، ولأن الهوى مدخل من مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان ، ليؤثر فيه ويغويه ويصده عن ذكر الله وعن الصلاة ، فيقع فريسة للشيطان يتلاعب به كيف يشاء ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۝ ﴾

(الأعراف : ١٧٥ : ١٧٧) .

والمؤمن يجاهد الشيطان ويقاوم كيده ، ويفضح مكره ويحذر الوقوع فى شراكه وشره ، وذلك لإيمانه الكامل بأنه عدوه المبين الذى يزين له الشر

ليوقعه فيه ويبغض إليه الخير ليصرفه عنه ، يريد بذلك أن يفسد عليه دنياه وآخرته ، وأن يكون معه من أهل النار ، يقول الله - تعالى - :

﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ۝ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ (فاطر : ٥ : ٦) .

تلك بعض الميادين التى يجاهد فيها المؤمنون ، وهم على يقين أن انتصارهم فى تلك الميادين شرط لابد منه لانتصارهم على أعداء الله ، من جند الشيطان ، الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون .

ولأن مواجهة هؤلاء المفسدين وكسر شوكتهم ، وتحطيم قوتهم هو الضمان الوحيد ، لاستقرار الحق والعدل فى الأرض ، وهو الشرط الأكيد لإقامة السلام الذى ترنو إليه البشرية ولا تستطيع الوصول إليه ، ولأن الأمة الإسلامية هى التى آل إليها أمر القيام بتلك الرسالة ، وقد حملها الله أمانة الحفاظ على تراث جميع الأنبياء والمرسلين الذى يقول الله عنه : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴾

(الحديد : ٢٥) .

لذلك كله فرض الله الجهاد على هذه الأمة وجعله ماضيا إلى يوم القيامة ، وقد اختار الله هذه الأمة لكى تفوز بهذا الشرف ، وقال - سبحانه - :

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾

(الحج : ٧٨) .

وعلى هذا الأساس صدر الأمر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتال أعداء الله ، كما صدر بذلك الأمر إلى الأمة كلها ، يقول الله - تعالى - :

﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾

(التوبة : ٧٣ والتحريم : ٩) .

ويقول - عز وجل - :

﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ﴾

(النساء : ٨٤) .

ويقول - سبحانه - :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾

(التوبة : ١٢٣) .

والصيغة الواردة فى هذه الآيات تدل على أن قتال أعداء الله فريضة ، كالصلاة والزكاة والصيام ، وقد تأكد هذا الحكم صراحة يقول الله - تعالى - :

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

(البقرة : ٢١٦) .

وهذا القتال الذى فرضه الله على هذه الأمة ليس هدفه العدوان على أحد ولا التحكم فى

مصالح المخالفين فى الدين ولا التسلط على الآخرين ، ولكنه الرد العمل والمنطقى على موقف الأعداء من هذا الدين وأهله ، وهو موقف معروف ومعلن يؤكده الواقع ، وقد ثبت أن الكفار لا يقفون من المؤمنين موقفا مسالما ولا يقبلون أن يتركوهم وشأنهم يحققون مقتضيات إيمانهم فى حياتهم أو يبلغون رسالة الله إلى خلقه ، وإنما يقفون منهم موقف العداء السافر ويصدون عن سبيل الله بكل الوسائل ، وهذا ما أخبرنا الله به ونحن له مصدقون وبه مؤمنون ، يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ (البقرة : ٢١٧) .

إننا حين ننظر فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ . . . ولا يزالون . . . ﴾ ندرك بداهة أن العدوان طبيعة متأصلة فيهم ، وليس نزعة عارضة أو نزوة طارئة ، وهذا ما يظهر بوضوح أيضا من قول الله ـ تعالى ـ :
﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة : ١٠٥) .
ومن قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

هذا هو مسلك الكفار وهدفهم على اختلاف مشاربهم ومللهم ، وهو كذلك هدف المنافقين وغايتهم حيث يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾
(النساء : ٨٩) .

ومن أجل الوصول إلى تلك الأهداف فإن الأعداء يتبعون جميع الوسائل ، ويسلكون جميع السبل ، ويحشدون كل ما لديهم من إمكانات ، يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

(الأنفال : ٣٦ : ٣٧) .

وفى الآيتين بشرى بأن الله سيرد كيد الأعداء إلى نحورهم ، وأنه سينصر أولياءه وسيخذل أعداءه مهما كانت قوتهم ، ومهما جمعوا من مال أو أعدوا من عدة .

ومادام الأمر كذلك فإن جهاد الأعداء يصبح فرضا محتوما على المؤمنين ، وضرورة لازمة للحفاظ على بذرة الإيمان فى قلوب أصحابها ، وإيصال دعوة الله إلى جميع خلقه كى يسعد بها كل الناس ، وحتى يعم النور ربوع الأرض .

ولما كانت مواجهة أعداء الله ومقارعتهم بالسلاح ضرورة حتمية وفريضة لازمة لكبح عدوانهم وطغيانهم كان لابد من إعداد العدة لذلك تنفيذا لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

ولما كان العنصر الحاسم الذى ترجح به كفة

المؤمنين على كفة الأعداء ويتحقق النصر هو مدى قوة إيمان المؤمنين وارتباطهم بالله وتوكلهم عليه وثقتهم فى وعده وقوة تحملهم للشدائد وصبرهم وثباتهم عند المواجهة ومراقبتهم الدائمة لله وتقواهم له ـ سبحانه ـ فى كل قول وعمل مصداقا لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران : ٢٠٠) .

لهذا كان لابد من تدريب المؤمنين وتربيتهم وإعدادهم ليكونوا على هذا المستوى الذى يستأهلون به نصر الله وتأييده .

ولهذه الغاية أقيمت المدارس وأعدت لها المناهج ، وكان على رأس هذه المدارس مدرسة الصيام التى يتخرج فيها المتقون وينشأ فيها الصابرون ، وبالتقوى والصبر يحصل المؤمن على معية الله له ويستحق نصره وتأييده ، وفى هذا يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

(آل عمران : ١٢٠) .

ومعلوم أن الصبر من أهم أسباب النصر ، إذ به ترجح كفة المؤمن ، وبدونه تطيش كفة الكافر ويصبح وزن الرجل المؤمن الصابر أعظم قدرا من وزن عشرة من الكافرين ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

(الأنفال : ٦٥) .

والصيام هو المدرسة التى يربى فيها المؤمن على الصبر وقوة التحمل ومضاء العزيمة وقوة الإرادة وكبح جماح شهوات النفس ، وكلها عناصر لازمة لتحقيق النصر ، وقد ربط رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين النصر وبين الصبر فى قوله : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »[1] .

كما بين الله ـ سبحانه ـ الحكمة من فرض الصيام على المؤمنين ، فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة : ١٨٣) .

فالهدف المقصود من الصيام هو حصول المؤمنين على صفة التقوى ، وأن يندرجوا فى سلك المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب ، وهم من الساعة مشفقون ، وهؤلاء يحظون بمعية الله ـ سبحانه ـ ويستحقون نصره وتأييده ، يقول الله ـ تعالى ـ :

---

(١) رواه الطبرانى .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة : ١٢٣) .

ومن هنا تظهر علاقة الصوم بالنصر فلا نصر إلا بالتقوى والصبر ، ولا يتحقق ذلك إلا بتربية ومجاهدة للنفس والهوى والشيطان .

إن تحقيق النصر على الأعداء لابد أن يسبقه نجاح فى ميادين الجهاد الأخرى بمعنى أنه لابد من تحقق الجهاد بمعناه الشامل ، وقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « الجهاد حقيقته الاجتهاد فى حصول ما يحبه الله من الإيمان ، والعمل الصالح ، ودفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان[1] » .

ومن هنا يظهر بوضوح لماذا كان شهر رمضان المعظم ظرفا للعديد من المعارك التى كتب الله فيها النصر لأوليائه ، والهزيمة لأعدائه ، إنه الشهر الذى يتربى فيه المسلمون على كيفية تحقيق الانتصار على أنفسهم وأهوائهم وشهواتهم ، والتغلب على كيد الشيطان ، ولما تربوا على ذلك فى مدرسة الصيام ونجحوا فى ذلك صاروا مستأهلين لنصر الله وتأييده .

فلا عجب أن كان انتصار بدر فى شهر رمضان ، وأن كان فتح مكة فى شهر رمضان ، وأن كان انتصار المسلمين فى عين جالوت على جموع التتار فى شهر رمضان .

ولا عجب أن كانت أول هزيمة تلحق باليهود فى العصر الحديث فى العاشر من شهر رمضان .

إن الله - تبارك وتعالى - حين يفعل بنا ذلك إنما يرشدنا إلى طريق النصر والتمكين لكى نسلكه ، ويحقق لنا وعده ، والله لا يخلف الميعاد .

« عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » . رواه مسلم .

« عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قال : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » متفق عليه .

---

(١) العبودية ص ١٠٤ .



شهر الخيرات والنفحات والبركات إنه خير كله

لفضيلة الشيخ :
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أهل رمضان يقول : « لو يعلم العباد ماق رمضان لتمنت أمتى أن تكون السنة كلها رمضان »[1] .. إن شهر رمضان هو شهر النور والضياء ، شهر الصفاء والنقاء ، شهر الصيام والقيام ، ومدارسة العلم ، وتلاوة القرآن ، شهر الجود والبر والإحسان ، ترى الأمة الإسلامية يمن الطالع فى قدومه ، وتبصر بشائر العز فى نوره ، وتلمح دلائل السعادة فى ضيائه ، وتتذوق لذة القرب من الله فى زمانه ..

عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ؛ فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل »[2] .. فى شهر رمضان يفتح الله أبواب الخير لطلابه ، ويتجلى بالعفو والإحسان على أحبابه ..

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « إن لله ـ تبارك وتعالى ـ عتقاء (أى من النار) فى كل يوم وليلة ؛ يعنى فى رمضان ، وإن لكل مسلم فى كل يوم وليلة دعوة مستجابة »[3] : ولهذا يستحب للصائم طوال شهر رمضان أن يشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى

(١) رواه ابن خزيمة والبيهقى ..
(٢) رواه البيهقى والطبرانى ..
(٣) أخرجه الحافظ البزار ..

الطاعة ، المقرونة بالإخلاص والضراعة ، وأن يكثر من الدعاء .

عن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد »[1] .. وفى هذا إخبار من النبى ـ ﷺ ـ بأن الله ـ تعالى ـ تكرم على الصائم ، فأعطاه عند إتمام صومه دعوة لا يردها عليه ، بل يقبلها منه ، فضلا منه تعالى وكرما ، وفى هذا بيان لرفعة منزلة الصائمين عند الله تعالى ، بل جاء فى صحيح السنة ما يفيد زيادة فضل الله على الصائم ، حيث جعل دعاءه كله مستجابا إلى وقت إفطاره .

فقد روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » :[2] .. شرع الله ـ عز وجل ـ صيام رمضان ، لحكم عظيمة ، وأسرار كثيرة ، وفوائد جمة ، تسمو بالبشرية إلى درجات الرشد والاستقامة ، فالصوم خير علاج لعلة النفس ، وغلبة الهوى ، إذ يبعث فى الإنسان روح التقوى ، وروح الخوف والخشية ، ويربى فيه ملكة الصبر ، وقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، وتحمل الشدائد ، والوفاء بالعهد ، كما يربى فيه ملكة المراقبة لله تعالى ، ويغرس فى النفس نوعا من الأمانة هو أسمى ما عرفه الناس من أنواعها ، وهى الأمانة الممحصة للخير ، الخالصة لوجه الله ..

للصوم جمال تتذوقه الأرواح ، وللصوم سر تعرفه القلوب ، وللصوم نفحات ترفع العبد إلى أعلى الدرجات ، فالصوم يصفى الفكر ، ويوقد العزيمة ، وينير البصيرة ، ويهذب النفس البشرية لتلقى الفيوضات القدسية والاشراقات الربانية ـ ولكى يحظى الصائم برضوان الله ومغفرته ، وحسن مثوبته ينبغى له أن يقوم بإحياء ليالى شهر رمضان ، بصلاة القيام عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن الله تبارك وتعالى : فرض صيام رمضان ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[3] .. وفى رواية أخرى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « من صام رمضان وقامه إيمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »[4]

وقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ : يجتهد فى ليالى رمضان بالإقبال على كثير من الطاعات ، ويعمل فى العشر الأواخر منه أعمالا لا يعملها فى سائر الليالى ، التماسا لليلة القدر ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجد ، وشد المئزر »[5] وشد المئزر : كناية عن الاجتهاد فى العبادة .

ولهذا كان رسول الله ـ ﷺ ـ : يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام ، وفى العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين يوما ؛ زيادة فى عمل الخير فى

(١) أخرجه ابن ماجه ..
(٢) أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن خزيمة ..
(٣) أخرجه النسائى فى سننه
(٤) أخرجه البخارى وابن ماجه والترمذى ..
(٥) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى

أواخر حياته ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان النبي ـ ﷺ ـ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما »(١) . .

في شهر رمضان تسخو النفوس بالبذل ، وتفيض الأيدي بالعطاء ، ويتعاطف المسلمون تعاطفا كريما ، فيعيشون في هناء تحت مظلة السماحة والكرم ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال : « كان النبي ـ ﷺ ـ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله ـ ﷺ ـ حين يلقاه جبريل : أجود بالخير من الريح المرسلة » . . فالصوم : رياضة للنفس يعودها الفضائل ، ويبعدها عن الرذائل ، ويدعوها إلى طيب العشرة ، والحلم والشفقة ، والعطف والرحمة ، والعفو عن المسيء ، ومراعاة حقوق الجوار ، ومعونة ذوي القربى ، والصدقة في السر والعلانية ؛ فهو عبادة روحية ترقق العواطف والمشاعر ، وسمو بالإنسان إلى الصفاء النفسي الذي يحمله على بذل المعروف ، وإطعام الطعام ، وجبر خاطر المساكين والأيتام ، وكم يتألم الغني ذو النفس الطيبة ، والأحاسيس النبيلة ، عندما تذكره آلام الجوع والعطش في الصيام ، بما يكابده الفقراء والأيتام من البؤس وشظف العيش ، لا شك أنه بهذا يعطي السائل والمحروم ، ويحض على إطعام المسكين ، فضلا عما تجود به نفسه . .

ولقد درج بعض الأغنياء منذ أمد بعيد على مظاهر طيبة في هذا الشهر الكريم من أفضلها : بذل الصدقات ، وإطعام الطعام ، ومد الموائد للفقراء عند الإفطار من كل ما لذ وطاب ، يبتغون بذلك وجه الله تعالى .

فالصوم : حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخضوع لله وخشوع ، يعلم الشفقة ، ويحض على الصدقة ، فالغني إذا ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات تذكر من هو جائع في جميع الأوقات ، ودفعته إنسانيته إلى الإشفاق عليه ، فيسارع إلى مواساته بالإحسان إليه ، ويمسح بيد جوده دمع عينيه . .

ولهذا يستحب الإكثار من بذل الصدقات على الفقراء والمساكين في شهر رمضان ، ولنا في رسول الله ـ ﷺ ـ أسوة حسنة ، فقد كان أجود الناس ، وكان يضاعف هذا الجود في شهر رمضان ، كان جوده قبل أن يبعث كرما إنسانيا ، فلما أكرمه ربه بالرسالة أصبح جوده كرما ربانيا ، ومن أولى من رسول الله ـ ﷺ ـ بأن يتخلق بأخلاق مولاه ، فإذا جاء شهر التنزيل فمن دونه البحر فيضا وصفاء ، ومن دونه الريح انطلاقا ، ورخاء . . وإنما كان رسول الله ـ ﷺ ـ : أجود ما يكون في رمضان ؛ لأن الفقير أحوج ما يكون فيه إلى تعهده بالعطف والرعاية ، فقد لا يتيسر له أن يلم بفطوره وسحوره ، وأما أنه كذلك حين يلقاه جبريل ـ عليه السلام ـ فيدارسه القرآن ، فلأجل : ما في القرآن الكريم من آيات بينات تفجر ينابيع العطف والرحمة على الفقير والمسكين .

ومن جوده ـ ﷺ ـ بالخير : تعليم الجاهلين ، وهداية الضالين ، وإخراج النفوس من ظلماتها ، وإحياء القلوب بعد موتها ، وذلك من آثار فضل

---

(١) أخرجه البخاري وأبو داود . .

الله تعالى عليه ورحمته ، لاسيما فى هذا الشهر الكريم ..

إن شهر رمضان شهر التدريب الروحى والبدنى ، لتخريج النماذج الربانية الصلبة فى إرادتها ، الشفافة فى صفاء روحها ، القوية التى تتغلب على نزواتها ، الأبية التى لا تستكين لأعدائها ، ولا تعطى الدنية فى دينها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا »[1] ..

فالصوم : يضبط النفس ، ويطفىء شهوتها ، ويكبح جماحها ، ويوقفها عند حدها ، فهو وسيلة تربوية لتهذيب الخلق ، ورفع مستوى الإنسان ، إلى مكارم الأخلاق ، والبعد عن القبائح .. والصحة فى هذا الحديث : تطوى تحتها سلامة الجسم ، وسلامة العقل ، وسلامة الروح ، وسلامة المجتمع ، فالصوم يعطى الجسم صحة يقدر معها على السعى والحركة ، ويهب العقل صحة تساعده على الفهم والتفكير ، وسلامة التدبير ، ويمنح الروح صحة تطهرها من الأدران والرذائل ، وتطبقها على المكارم والفضائل ، ويكسب المجتمع صحة : تحفظ بنيانه ، وتصون أركانه ، وتوطد سلطانه ، ومن هنا كان الصوم مصحاً للبدن ، مهذبا للنفس ، مربيا للروح ، مقوما للخلق ، وحسب المجتمع بعد ذلك أن يعتمد على أفراد صحاح الأجسام والعقول والأرواح ، وأن يعتمد على جماعات سلمت أذواقهم ، وعلى أفراد صح تفكيرهم ، وقويت عزائمهم ..

ولهذا كان شهر رمضان : على مر التاريخ شهر العروبة والإسلام ، بأمجاده وانتصاراته العظيمة ، ففى الصوم تمرين للنفس على تحمل متاعب الحياة ، وعلى مقاومة الأحداث فيها ، وقد أظهرت أزمات الحياة كثيرا من الصفات المجيدة فى الإنسان ، ولا جدال فى أن أمجدها وأشرفها قوة الاحتمال التى يتحلى بها أفراد وهبهم الله قلوبا كبيرة ، ونفوسا عظيمة يبذلون كل ما فى وسعهم من جهد ونشاط فى تشييد صروح أوطانهم والذود عنها ، ومن هنا تقوى النفوس ، وتترقى الإرادات ، ويتسامى المجتمع ، ويستقر على دعائم ثابتة من الخير والفلاح ، والأمم دائما تحتاج إلى النفوس القوية ، والعزائم الفتية ، والإرادات المرتجاة فى مجال الأمن والسلام ، حاجتها إلى العتاد الكثير فى ميدان الحروب ، والصوم يعتبر من أكبر الوسائل فى تخفيف حدة النهم ، وذلك مما يدعو إلى راحة المعدة ، وصحة الجسم .

والإسلام بمبادئه القويمة يشحذ العزائم ، وينمى المواهب ، ويزكى طاقات الطموح ، وذلك أس عظيم من أسس بناء الحضارة ، وقاعدة فى خلق الشعوب القوية ، ومن أجل ذلك أمر بدوام الإنتاج الذى يعود على البشرية بالنفع ، وملاءمة التطورات الزمنية ، كما جاء فى الحديث الصحيح : « أنتم أعلم بشئون دنياكم »[2] ..

ولاعجب أن يكون شهر رمضان هو شهر الكفاح والعمل ، لاشهر البطالة والكسل ، بما يبعثه فى النفوس من قوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، فهو بهذا شهر الجد والنشاط فى شتى الميادين ، التى من شأنها أن تنهض بالأمة ، لكى تتبوأ مكانتها اللائقة بها بين الأمم .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ..

(٢) رواه مسلم فى صحيحه ..

سلوكيات المسلم



للأستاذ الدكتور:
محمد إبراهيم الجيوشى

يعيش المسلمون فى رمضان فى ظل أخلاق وسلوكيات تنتظم حياتهم، وتربطهم برباط واحد، مظهرا أحسن ما تنطوى عليه النفس الإنسانية من حب للخير ورحمة وإيثار ورغبة صادقة فى القرب من الله - سبحانه - والسعى إلى الفوز برضاه، تدفع هذه الرغبة المسلم إلى الحرص على صدق الحديث وسلامة القلب، والتسامح، وتقديم العون لمن يحتاج إليه من ضعيف ومحتاج.

وفى هذا المسلك ترجمة عملية لما يدعو إليه الإسلام من مكارم الأخلاق، ونقاء القلوب، وصفاء النفوس، وتعاون أفراد المجتمع على ما يجلب الخير لهم،

ويدفع الأذى والضر عنهم، فيبدون وكأنهم أسرة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ويتحقق فيهم قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

ومثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »[1] وهذا المظهر النبيل والمسلك السامى يتحقق بأجلى معانيه فى هؤلاء الذين يأخذون أنفسهم بالوقوف عند ما أحل الله من قول وعمل ، والبعد عما حرم الله من تصرف وسلوك وتعامل ، فكأنهم كما قال الله ـ تعالى ـ

﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(التحريم : ٦)

ولا غرو فى ذلك ، فالصوم جنة ، أى وقاية وحماية كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ولايفسق وإذا سابه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم »[2] ، والرفث الكلم الجارح للحياء ، الخارج عن حد اللياقة ، والفسوق الخروج عما أمر الله من العمل بالطاعات ، والبعد عن الإقدام عما نهى عنه من المحرمات ، وفى هذا مافيه من تعويد النفس على مكارم الأخلاق ، وعفة اللسان ، وطيب الكلام ، وهو من صفات المؤمنين ، وقد مدح الله عباده المؤمنين لما يتميزون به من القول الطيب فقال سبحانه :

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

(الحج : ٢٤)

ومن سلوكيات رمضان أنك ترى المساجد عامرة بالليل والنهار ، والإقبال على القرآن الكريم قراءة وترتيلا وفهما ودراسة وعملا به ، ووقوفا عند أوامره ، واجتنابا لنواهيه ، ولعلنا ندرك ، على ضوء هذا السلوك ما يشير إليه حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أن الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة ، : « يقول الصيام يارب منعته الطعام والشراب فشفعنى فيه » . ومن السلوكيات الملحوظة فى رمضان بذل الطعام للمحتاج والرغبة فى أن تجتمع أعداد من المسلمين على طعام واحد ، فى بيت أحدهم ، وفى هذا ما فيه من الألفة وتأكيد المودة ، وسيادة روح الجماعة التى تؤلف القلوب وتوحد الأهداف ، والغايات ، والمسلمون فى حاجة ماسة إلى استمرار هذه الأخلاق والعمل بمقتضاها فى رمضان وغير رمضان ، فيتخذون من رمضان منطلقا يؤكدون به الترابط ، ويجمعون به الكلمة ، ويجبرون به النقص ، ويعوضون به ما فات ، وبذلك ينتفعون برمضان . وما يوحيه إلى النفوس من معانى الخير والوئام والود ، وقد أكد كل ذلك حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يقول : « الأعمال عند الله عز وجل سبع : عملان موجبان ، وعملان بأمثالها ، وعمل بعشر أمثاله ، وعمل بسبعمائة . وعمل لايعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل . فأما الموجبان فمن لقى الله يعبده مخلصا لايشرك به شيئا وجبت له الجنة ، ومن لقى الله قد أشرك به ، وجبت له النار ، ومن عمل سيئة جزى بها ، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزى مثلها ، ومن عمل حسنة جزى عشرا ، ومن أنفق ماله فى سبيل الله ، ضعفت له

---

(١) حديث متفق عليه

(٢) حديث متفق عليه

نفقته الدرهم بسبعمائة ، والدينار بسبعمائة ، والصيام لله ـ عز وجل ـ لايعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل »[1] .

ومن خصوصيات شهر رمضان أنه شهر القرآن ، لأن القرآن الكريم نزل فيه وهذا شرف لايدانيه شرف ، وفى هذا يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٥)

والقرآن هو النعمة العظمى التى نزلت من الله على عباده ، « هو الفصل ليس بالهزل ، وهو حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم ، من حكم به عدل ، ومن أخذ به هدى إلى صراط مستقيم » . وما أبدع وصف الله ـ سبحانه ـ له فى سورة الإسراء بقوله :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء : ٩)

والمسلمون فى رمضان يعكفون على كتاب الله يتلونه آناء الليل وأطراف النهار تأسياً برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان يعرض القرآن على جبريل مرة كل عام فى رمضان ، وفى العام الذى لحق فيه بالرفيق الأعلى عرضه مرتين ، وقد أخذ المسلمون أنفسهم بهذه السنة الطيبة على مدى العصور تعرضا للخير الذى جعله الله فى رمضان ، والمغفرة التى تتنزل على التالين لكتاب الله والدارسين له . كما أخبر ، بذلك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »[2] .

وأى مسلم يرى ذلك الخير يساق إلى دارس القرآن وتاليه فلا يتوانى فى تعلمه وقراءته ، لعله يناله جانب من رحمة الله ، ويشرف بأن يذكره الله فيمن عنده .

وقد جاء فى الأحاديث أن تالى القرآن الكريم يثاب عن كل حرف عشر حسنات ، كما ورد ذلك مصرحا به فى حديث عبدالله بن مسعود الذى يرويه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه لايزيغ فيستعتب ، ولايعوج فيقوم ، ولاتنقضى عجائبه ولايخلق من كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أما إنى لا أقول : ا ، ل ، م حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف » . [3]

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى راجع الترغيب والترهيب حـ ٢ صـ ١٢ .

(٢) جاء الحديث فى شرح السنة للبغوى مع اختلاف فى الألفاظ حـ ٤ صـ ٦٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـ ١ صـ ٥ .

والذى يداوم على قراءة القرآن ، وتفهمه يمنحه الله نقاء القلب ، وحسن الخلق ، وصفاء النفس ، واستقامة السلوك ، ويشيع الخير فى كل مكان يحل فيه ، وينتفع به كل جماعة يصحبهم أو يعاشرهم . وقد صور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أثر القرآن فى سلوك الناس وأخلاقهم فى واحد من أحاديثه ، فقال : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة (فاكهة مثل التفاحة) ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لاريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » .

ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شىء أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يصبك من شراره أصابك من دخانه »[1] .

ومن أجل هذا الخير العميم الذى يناله المسلم من قراءة القرآن وتدارسه له حث النبى - صلى الله عليه وسلم - : على قراءة القرآن فقال : « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه .

اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان[2] أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما ، اقرءوا البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولايستطيعها البطلة »[3] .

وحينما أخذ المسلمون أنفسهم بتعاليم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وعكفوا على القرآن يحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويتبعون تعاليمه كانوا أمة ذات سيادة وقيادة علموا الدنيا معانى الخير والحق ، وأقاموا صرح الحضارة التى أهدت إلى الإنسانية معانى الرحمة والاستقامة والنور ، وكانوا جديرين بقول الله - تعالى -

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران : ١١٠)

ومازال الطريق مفتوحا أمام المسلمين إن أرادوا أن تكون لهم القيادة فى الحياة والنجاة فى الآخرة ، وخير ما نقدمه لأجيالنا الجديدة أن توجههم إلى القرآن الكريم ، وتربط قلوبهم به ، وتشجعهم على الأخذ بمبادئه ، والسير على تعاليمه ، حينئذ نكون قد أدينا الأمانة ، وساعدنا على سيادة المبادىء العليا والأخلاق السامية ، وإقامة مجتمع تسود فيه المصلحة العامة على حب الذات والله يقول :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

(طه : ١١٢)

---

(١) الحديث متفق عليه .
(٢) الغيايتان مثنى غياية والغياية كل شىء أظل الإنسان فوق رأسه .
(٣) راجع شرح السنة للبغوى جـ ٤ صـ ٤٥٦ وقال أخرجه مسلم .



توازن بين المادية والروحية

للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الفيومى

تنزع رسالة الإسلام إلى تقوية الشعور بالمساواة ، والتضامن والإخاء ، وكثيراً ما قصد بالعبادات الدينية : الزكاة والصوم وصلاة الجماعة والحج أن تزيد من أواصر الوحدة الروحية بين أبناء الأمة الواحدة ، قوة ووثوقاً وبناء أمة منظمة متضامنة قوية مزدهرة ، وهو أساس الأخلاق الإسلامية ، وكل مايحول دون انسجامها أو يضعف من تماسكها يصدم بهذه الأخلاق الصادقة وهكذا كان القصد من عبادة الصوم قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣)

افترقت الفلسفات فى نظرتها إلى علاقة الإنسان بالعالم ، فمنها من يركز على النظرة الروحية ، التى تخلع الإنسان من إهابه المادى ، وتبنت الفلسفة الروحية ذلك الاتجاه ، ومنها من ينظر إلى الإنسان على أنه كائن مادى أى شىء من الأشياء ، وتخلعه من روحيته ، وتبنت الفلسفة المادية ذلك الاتجاه المادى وترتب على تلك النظرتين إلى الإنسان أن غدا الإنسان وفق النظرة المادية وجوداً ناقصاً : كذلك وجوده ناقص مع الفلسفات الروحية .

من هنا تميزت نظرة الإسلام إلى الإنسان بالتكاملية الجامعة بين المادة والروح ، فالإسلام هو الاسم الذى يطلق على الوحدة بين الروح والمادة وهو الصيغة الأسمى للإنسان نفسه ، ووفق

نظرة الإسلام إلى الإنسان تكتمل الحياة الإنسانية ، وذلك عندما تشتمل على كل الرغبات الحسية والأشواق الروحية للكائن البشرى .

من هنا سمت نظرة الإسلام على ماعداه من نظريات الفلسفة الروحية أو المادية ، إذ لايمكن للإنسان أن يحيا منكرا للاحتياجات البيولوجية والحياة المادية أو منكرا لتطلعاته الروحية .

فحياة الإنسان الحقيقية هى ما كانت وفق السنن الإلهية ، التى تحكم قانون التوازن بهذا يكون الإسلام تسمية لمنهج أكثر من كونه حلاً جاهزاً ، ويعنى : المركب الذى يؤلف بين المبادىء المتعارضة ، وهذا يعنى (وسطية الإسلام). من أجل ذلك مستقبل الإنسانية مع الإسلام لعنايته بالدعوة إلى خلق إنسان متسق مع روحه وبدنه ، ومجتمع تحافظ قوانينه ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية على هذا الاتساق ، ولاتنتهكه ، فهذا هو هدف الإسلام البحث الدائم عبر التاريخ ، عن حالة التوازن بين ماهو مادى وما هو روحى وهذا واجبه التاريخى المقدر له .

ووفق نظرة الإسلام المتكاملة إلى الإنسان يطلب منه أن يتحمل مسئولياته كاملة ، وأن يحيا حياة كاملة ، والحياة الكاملة يحكمها عاملان متكاملان : أحدهما : الرغبة الطبيعية فى السعادة والقوة .

والثانى : الكمال الأخلاقى ، والنتيجة هى : اتساق الإنسان مع نفسه ، اتساق الإنسان مع رغباته المادية والاجتماعية والفكرية .

لقد استبان لنا أن الأساس الفلسفى للأخلاق الإسلامية يقوم على مطلبى الروح والجسد ، وذلك على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة ولنضرب مثالاً لتوضيح الوحدة بين الجانبين من خلال عبادة الصوم فى شهر رمضان .

قد أشارت الآية التى ذكرناها فى صدر المقال إلى قضيتين :

إنه عبادة قديمة .

إنه تقوى ورجاء وتوجيه إلى الله .

فهو أولاً قاعدة من قواعد النظافة والصحة البدنية ، وهو إقلال من الطعام ورياضة على الاحتمال ولو طبق تطبيقاً صحيحاً لكانت له أفضل النتائج على جانب الإنسان المادى (بدن الإنسان) وقد مارسته الشعوب لغرض دينى وصحى ومازال الناس يمارسونه لأغراض طبية وأفرد له الطب الحديث مكاناً أوسع فى ترسانة العلاج الحديث الذى يحد من الإفراط والشراهة فى الطعام .

ثم هو أى : الصوم مدرسة للتعليم والرياضة الأخلاقية ، لأن فترة الصيام لن يكون لها معنى إذا لم تكن مقترنة بمجاهدة الإنسان لنفسه لا بتنمية قوة شخصيته ، بل كذلك بالإمساك عن كل فعل أو فكر لايتفق مع جماع الأخلاق الدينية ، ثم مدرسة تضامن اجتماعى بما يثبته من العمل فى تعاون متبادل فردى أو جماعى ، وذلك بما يضفيه على الإنسان من شعور السمو الذى يكسبه كل واحد إذ يصير حلقة فى سلسلة واسعة من الناس ، قد اتحدوا فى آلامهم وأفراحهم ووحدة مصيرهم .

وهو أخيراً أنسب مدرسة للرياضة الروحية ليس فقط عن طريق اللقاءات المتعددة بين الرجال فى المساجد أو فى الحلقات ، أو فى السهرات العائلية وما يرتبط بها من أعمال البر التى تحرر النفس وترفع الروح فى سعيها إلى الاتصال بالله ، نجد أنه ينبغى على المسلم عن طريق تربية أخلاقية ودينية ، ملائمة وزكية ، أن يفهم كل ما يمكن أن يمثله بالنسبة له هذا الشهر المعظم ، الذى قصد به أن يغمرهم بالتربية الروحية ، ولقاء النفس مع الله .



للأستاذ الدكتور:
مبروك عطية أبو زيد

جلس صاحبنا القديم أمام داره على عادته قبيل المغرب، ينتظر قدوم بعض ولده مصطحباً ماشيته من الحقل البعيد، وزوجته وبنته الوحيدة تصنعان طعام العشاء فى بطء نار (الكانون) القديم ـ وما أشهى طعامه! ـ وأصوات المرة المتتابعة التى تعلن عن ظهور رائحة الطبخ اللذيذ ـ لم تحرك فيه رغبة، ولم تفرج من تجاعيد وجهه التعيسة، ولم تجعله يحث المرأة وابنتها على السرعة كما يفعل دائماً، فقد كان الشيخ غاضباً؛ حيث وقعت بينه وبين جاره فى الحقل منازعة: أيها أحق باستعمال الساقية فى رى حقله أولاً، وانتهت إلى خصومة.

وحين غابت الشمس، وناداه منادى الصلاة سعى إلى المسجد فى حزن كبير، وهم ثقيل، فسأله بعض المصلين عن حاله، وعرفوا ما حدث، وهموا بالصلح بين الرجلين، فاصطحبوا جاره واتجهوا إليه، فرحب بهم على مضض، وأخذت كل عبارة من عبارات الصلح تصل إلى سمع صاحبنا وترتد خائبة، لم تجد عبارة منهن طريقاً إلى قلبه غير عبارة واحدة، هى: «نحن على أبواب رمضان، وكل عام وأنتم بخير» كانت هذه العبارة السهلة الرقيقة سحراً حلالاً مذاباً وصل إلى قلب صاحبنا بسلام فاستراح، وهدأت ثورته، وأعلن أمام القوم أنه مخطىء، وأن الحق عليه وليس له، وهب يصافح جاره، ورغب كبير القوم فى أن تختتم الجلسة بفاتحة الكتاب تيمناً وبركة، وعهداً أن يسامح كل منها أخاه، وأن يظلا حبيبين متعاونين، فنحن مقبلون على أيام رمضان المباركة.

وشهر رمضان هو شهر الوجدان، والوجدان آية من آيات هذا الدين الحنيف، الذى شرفنا الله ـ عز وجل ـ بالانتماء إليه، ومنَّ علينا ـ سبحانه ـ بأن هدانا إليه:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الحجرات: ١٧).

فقد لانت قلوب بإسلامها بعد أن كانت كالحجارة أو أشد قسوة ، ودمعت أعين بعد إسلامها دمعات رحمة ، ما كانت لتعرف إلى تلك الرحمة سبيلاً لولا أن هداها الله إلى الإسلام ، وامتدت أيد بالسلام بعد إسلامها ولطالما امتدت بالنبال والسهام في جاهليتها ، وأفنت عمرها في حروب عاتية ، ولوثت صدورها بأحقاد طاغية ، لأسباب واهية ما كان أيسر علاجها بكلمة يسيرة عابرة ، تمر بسلام على قوم كرام ، يسمعون فيطيعون ، ويتدبرون فيفهمون ، لكنهم كانوا لا يعقلون ، وذلك أنهم كانوا في انغلاق قلوبهم لا يبصرون ، وصدق الله العظيم القائل :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج : ٤٦) .

والوجدان أسمى ما يتحلى به المسلم الذى يسمو به إلى درجة الإيمان ، أرأيت قول ربنا - عز من قائل - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٢ ، ٣ ، ٤) .

وهذا الترتيب الوارد فى آيات الأنفال بدأه النظم الجليل بالوجدان ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فهذا دليل على حياة تلك القلوب فمتى وجلت كانت حية نابضة متدفقة شاعرة ، ومتى سكنت كانت ميتة صخرية جامدة ، وهى توجل لذكر الله وعظمته ، واستشعار الخشية منه ، والرغبة فى رضاه ، والخوف من عذابه ، وهذا الشعور الذى هو الوجدان أمارة الإيمان بدليل قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ أى : أن الإيمان قد حصل بهذا الشعور القلبى ، الذى نشأ بسبب ذكر الله الواحد ، ثم يأتى التوكل على الله ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق من رزق الله ، وسائر الأعمال والعبادات - كل ذلك - مبنياً على هذا الوجدان ، فالمتوكل على الله ذو قلب حى ، أدرك بحياة قلبه أن الله وحده هو الذى يملك الملك ، وبيده الخير ، وأنه لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، فكيف لا يتوكل عليه وحده !

وكذلك الذى قام يصلى ، إنما يصلى وقلبه حى نابض لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ، وهو يزيد قلبه حياة بقيامه وتلاوته ، وركوعه وسجوده ، وامتثاله بين يدى الحق - جل وعلا - فى أوقات الصلاة المحددة ، لا يلهو عنها ولا يسهو ، وكذلك من يتصدق إنما يدفع عن رضاً ، ويبذل عن يقين ؛ لأن فيه قلباً حياً يعلم أن الله يخلفه خيراً ، وزائده رزقاً ، وموسع عليه فضلاً وأجراً .

والصيام منتهى الوجدان ؛ لأن فيه الرضا بالحرمان مادام هذا الحرمان مشروعاً ، فمن الذى شرعه غير الله ! ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣) .

وهل للتقوى مكان غير القلب ؟! وهل تحل التقوى فى قلب ميت قاسٍ لا يلين ؟! أليس النداء فى أول الآية للمؤمنين ، والمؤمنون - كما جاء فى الأنفال - هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليه آياته زادتهم إيماناً .

وأهل الوجدان - فى رمضان - يسعدون بأن وجدانهم ليس قصيدة شعرية قد يكون كاتبها صاحب بيان ، يجيد استخدام علوم البلاغة ، فيقطر قصيده وجداناً يسيل على قلوب القارئين ، ويعجب العالمين الناقدين ، ومع ذلك قد يكون

◄

شاعرنا على منأى من قصيده ، فالبون شاسع بين قلبه وقلمه ، تتمنى حين تقرأ شعره أن تراه ، فإن رأيته رددت فى نفسك قول العرب : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » ، إن وجدان الصائم قائم على الصدق ، صدق المسلم مع نفسه ، حيث إنه لا رقيب عليه فى صومه غير خالقه الذى كلفه بهذا الصيام ، إنه يصوم لا ليقال : صائم ، فمن فعل الخير ليقال : قد فعله فقد نال بهذا الذى قيل جزاءه وثوابه ، ولا أجر له عند الله .

روى أبو هريرة - رضى الله عنه - عن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت .

قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه ، حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، لقد تعلمت العلم ؛ ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ؛ ليقال : جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه ، ثم ألقى فى النار »[1] .

من أجل ذلك كان الصوم للرحمن ، وهو يجزى به ؛ لأنه العبادة التى لا يطلع عليها غيره ، فالصائم فى بيته قد يكون وحيدا منفرداً ، لا يراه أحد من الناس ، فلو أكل فى نهاره وشرب ، وخرج على الناس فى إمساكه ، ليس فى فمه شىء ، وقال : إنى صائم ، فأى الناس يملك تكذيبه ، ويحتج عليه !

وإذا كان الصائم قد امتثل أمر ربه ، فامتنع عن شهوتى البطن والفرج الحلال فأولى به أن يمتثل أمر ربه فى الامتناع عن شهوتى البطن والفرج الحرام ، ولو أمسك المسلم عن الطعام الحرام ، ونأى عن الفاحشة ، فلم يقربها لكان صاحب وجدان نقى طاهر ، يسلمه إلى أن يكون مستجاب الدعوة ، وما أشد حاجتنا إلى تلك الاستجابة فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الخطوب ومن أهمها طمس معالم هذا الوجدان ، وانصراف الهمم إلى المادية المحضة ، وهذا خطب عظيم ، فالله - عز وعلا - يخاطب رسوله - صلى الله عليه وسلم - بقوله : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

ومعنى ذلك أنه - صلى الله عليه وسلم - لين الجانب ، رقيق الحاشية ، رحيم القلب ، طاهر اللسان ، وتلك دلائل الوجدان الذى أنعم الله به عليه ، والذى لولاه لتفرق الناس من حوله ، ولما قامت لهذا الدين قائمة ، فلعل رمضان شهر الوجدان يكون بداية تتجدد فى حياة المسلمين ليرحم بعضهم بعضاً ، ويصافح بعضهم بعضاً ، ويعفو بعضهم عن بعض ، لتجتمع كلمتنا ، ويتحد رأينا ، وتظلنا دار الإسلام بدفء المودة والسلام ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير الأنام ، وعلى آله وصحبه ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم لا يقال فيه إلا صواب الكلام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب « من قاتل للرياء والسمعة استحق النار » .





٢

منهج الدعوة فى سورة القصص :

تمهد سورة القصص الصراع بين الحق والباطل ، والحق هو الله ، وهو هديه المتمثل فى الرسل ودعواتهم وهو الإسلام فى البداية والنهاية ، والباطل هو الكفر والشرك وهو الصدود والظلم وهو التطاول والكبر ، وهو التحدى للحق ومناهضته والإعراض والاستكبار ، وهو أقوام الأنبياء ، وقيادات الشرك والكفر فى كل زمان ومكان .

وتؤكد على انتصار الحق مهما استكبر الباطل ، وحشد من عدة وعدد ، ومهما احتمى بقوته واعتمد على مالديه من ماله وسلطة غاشمة وحقد أسود ، وتربص مقيت حاول أن يحجب إشراقة الحق ونبضته ويمنع إطلالته أن تصل إلى عباد الله .

وقد ركزت السورة على :ـ

أولا : إن نهاية الذين أعرضوا عن الله وكفروا وأشركوا واستكبروا كانت نهاية فاجعة .

ثانيا : ذكرت مشركى قريش بنهايات فرعون وقومه والقرون الأولى وأصحاب القرية التى بطرت معيشتها وقارون الذى اغتر بماله وأدبر واستكبر .

ثالثا : أعطت رسول الله والمسلمين المستضعفين معه جرعة كبيرة من الثقة والتفاؤل فى المستقبل .

وقد بدأت السورة بداية سعيدة حيث قدمت بشريات النصر ونتيجة صراع الحق والباطل على قصص الصراع ذاته وما جاشت به من أحداث وعظات .

فقد حملت بداية سورة القصص بشائر الخلاص للذين استضعفوا فى الأرض بما تحمله من

◆

دلالات من خلال معالجة قرآنية لقصة موسى وفرعون .

﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ۞ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ۞ ونمكن لهم في الأرض ﴾ (القصص - ٤ : ٦)

ومهدت لذلك بمبررات بنى إسرائيل المستضعفين لفرعون وقومه وما حدث من اعتداد فرعون على قوته المادية الهائلة وعلى ما كان لديه :

﴿ كم تركوا من جنات وعيون ۞ وزروع ومقام كريم ۞ ونعمة كانوا فيها فاكهين ۞ كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴾ (الدخان - ٢٥ : ٢٨)

لقد أراد فرعون أن ينجو من موسى واعتمد على قوته وظنها تمنع إرادة الله فما نفعه ذلك ، لقد حكم بالإعدام على كل طفل إسرائيلى يولد فما نفعه خوفه ولا حذره من قضاء الله .

لقد ولد موسى ، وحماه الله ورباه فى قصر فرعون ليكون له عدوا وحزنا ، وصورت الآيات قلب الأم وخوفها على وليدها ، وكيف أوحى الله إليها أن ترضعه ثم تضعه فى صندوق وتلقيه فى اليم ، وكيف وهى الخائفة عليه تلقيه بنفسها فى اليم استجابة لأمر الله ، ونهاها عن الخوف والحزن وبشرها بعودته ورسالته .

وقد ركزت الآيات على ظروف مولد موسى فى شريط حى مؤثر ، بالغ التأثير وفى صورة إنسانية رائعة لم تحفل بها سورة فى القرآن .

وتابعت السورة نشأة موسى وما حدث له مما استوجب خروجه إلى « مدين » خائفا يترقب طالبا من ربه النجاة ، وكيف لقى فى طريقه ابنتى شعيب على ماء فى البئر تستسقيان وكيف قام نحوهما بواجب السقى لهما ، وكان ما كان من زواجه بإحدى البنتين وكيف وفى موسى الأجل الأكبر ، وكيف كان شعيب معه لطيف المودة حسن المعشر .

وقضى موسى الأجل ورجع بأهله عائدا ، وبينما هو فى طريق عودته بشره الله باختياره نبيا ورسولا ، وتحققت البشارتان اللتان بشر الله بهما أمه ، ووعد الله لا يتخلف وأيده الله بالآيات الباهرة على صدقه ، وأرسله إلى فرعون وقومه ، ولكنه خاف أن يقتلوه فأيده الله بأخيه هارون وشد عضده به وعصمهما ومنعهما من قوة فرعون ، وجعلهما الغالبين ، ثم كان ما كان من استكبار فرعون بغير الحق وكيف كانت عاقبته :

﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾

(القصص ٤٠)

وقدم القرآن البرهان على نبوة محمد ، حيث أخبر بالغيب الماضى فى صدق كأنه رأى وسمع وشاهد ، مع أميته المعلومة ونشأته التى لا يجهلونها .

﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ۞ ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ۞ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ۞ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت



﴿ أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ۝ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون ۝ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ۝ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ۝ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ۝ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ۝ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ (القصص : ٤٤ : ٥٣)

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يكن مشاهدا ما حدث لموسى فى الطور ولا فى مدين ، ولا رأى ما كان بينه وبين فرعون وقومه ، ولكن الله أخبره رحمة به وبمن أرسل إليهم ليقيم الحجة ويقطع العذر إذا حل عذاب الله بهم بسبب كفرهم .

وكشف القرآن ما كان من قريش بعد أن جاءهم الرسول بالحق ، لقد قالوا على وجه التعنت لولا أيده الله بالحجج القاهرة والآيات الباهرة كما أيد موسى باليد والعصا وغيرهما ، وقد رد القرآن عليهم ادعاءهم

﴿ أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون ﴾ (القصص : ٤٨)

وطلب منهم رسول الله أن يأتوا بكتاب من عند الله أدل على الهداية من التوراة والقرآن .

ثم كانت النتيجة وكانت العظة .

﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم ﴾ (القصص : ٥٠)

إنهم لا دليل لديهم وإنما هو الهوى والغرض ومن اتبع هواه ضال ومضل ، ولقد بلغهم الله بما كان وبما صنع مع الأمم السابقة ، لعله تتحرك مواهبهم فى الهداية والتذكر ، ونبهت الآيات إلى أن أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن .

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ﴾

(البقرة : ١٢١)

﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ﴾ (آل عمران : ١٩٩)

وبعد عرض هذا القصص ، وبعد هذا الحوار المقنع الذى كشف زيف ادعاءات كفار مكة التفتت الآيات إلى رسول الله - ﷺ - لتقول له إن أمر الهداية موكول إلى الله ، ليست مرتبطة بمن تحب ، فلا عذر لمقتدر فى عدم اتباع الهدى والخوف من الأذى والمحاربة من العرب ، فاعتذارهم كاذب لأن الله هو الذى كفل أمنهم بأمان حرمه منذ وضعه مثابة للناس وأمنا .

﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ۝ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾

(القصص : ٥٦ : ٥٧)

وذكرهم القرآن بماكان من تدمير قرى الذين كفروا بنعم الله ، وما كان الله ليعذبهم حتى يبعث لهم رسولا فلا تعتمدوا على ما أتاكم الله ، فما عند الله أبقى .

ثم ذكرهم بلقاء الله وما يكون فيه من توبيخ وعذاب للمشركين ، والله يعلم ما ضمت صدورهم ، فالله هو الذى خلق الليل والنهار

رحمة منه بالناس لتسكنوا فى الليل وتعملوا بالنهار ، منة منه وفضلا ، وهو سبحانه سوف يستجوبهم على صحة ما ادعوا من أن لله شركاء وقصت الآيات قصة قارون الذى اعتمد على ماله وتجبر وقال :

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾

(القصص : ٧٨)

ثم لما كفر بنعمة الله جازاه الله :

﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾

(القصص : ٨٢)

والنتيجة لهذا كله أن المشركين المستكبرين والمفسدين ليس لهم مكان فى رحمة الله ، وإن العاقبة للتقوى والجزاء من جنس العمل ، فمن عمل صالحا فله جزاء الحسنى ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار .

ثم اختتمت السورة بجرعة من التفاؤل لرسول الله - ﷺ - كما ابتدأت ، فلقد بشره الله بأنه سوف يفتح مكة معقل الشرك والمشركين ونهاه أن يطيع المشركين

﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾

(الفرقان : ٥٢)

وأن لا يكون معينا لهم ، وأن لا يصده أحد عن آيات الله فإن الله سيعلى كلمته .

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص : ٨٥ : ٨٨)

ونلاحظ أن القرآن قدم بشارة الفتح وإعلاء كلمة الله وأكد على نهى الرسول عن الشرك

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (القصص : ٨٦)

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (القصص : ٨٧)

وأمره بأن يدعو إلى ربه ﴿ وادع إلى ربك ﴾ ونهاه أن لا يدعو مع الله إلهاً آخر .

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ (القصص : ٨٨)

خامسا : منهج الدعوة فى سورة يونس

استعرضت سورة يونس القضايا المثارة بين قريش ورسول الله - ﷺ - ووضعتها على مائدة الحوار ، وناقشتها مناقشة ثرية خصبة ، وحاورت المشركين فى كل ما قالوه وما لم يقولوه ، وما استقر فى وجداناتهم وأخفوه ، وعرضت وجهة نظرهم فى كل ما هو مثار ، كما هى عندهم أو كما تصوروها واستيقنوها ، بلا تزييف ولا تدخل ، وردت عليها ، وبين لهم خطأها ودحضت افتراءاتهم وتزيدهم .

والقضايا التى آثاروها تتلخص فى :

أولا : استنكارهم أن يكون محمد ﷺ - رسولا .
ثانيا : وحدانية الله ودلائل وجوده .
ثالثا : الإيمان باليوم الآخر والبعث والحساب .
رابعا : إنكارهم - نسبة القرآن إلى الله .
خامسا : عالمية الدعوة .

وقد استعرضت السورة هذه القضايا جميعا ،

وبينت مواقفهم من الله ورسوله واليوم الآخر ، والقرآن ، وكيف تشابهت هذه المواقف مع مواقف الأقوام السابقين .

ثم كان التوجيه الإلهي لرسوله أن يبقى على الحق وأن يدعو هو إليه وأن يقيم وجهه للدين حنيفا ، وأن أمر الهداية مرهون بتوفيق الله وما عليه إلا أن يتبع ما يوحى إليه ويصبر .

أما تفصيل ذلك ، فقد بدأت باستنكار موقف القرشيين من الدعوة والداعية :

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (يونس : ٢)

وسجلت من أول وهلة موقف الكافرين .

﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾

(يونس : ٢)

وموقفهم هذا يشبه مواقف السابقين حيث قالوا :

﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ (التغابن : ٦)

﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾

(ص : ٥)

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾

(الأعراف : ٦٣)

وقد قدمت الآية الإنذار على التبشير ، لأن المقام يقتضى ذلك .

ثانيا : وحدانية الله :

ولقد عرض القرآن رأيهم فى القضية عرضا صريحا صادقا :

١ - حيث جعلوا لله ولدا .

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

(يونس ٦٨ : ٦٩)

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾

(النحل : ٥٧)

٢ - وتارة يعرض القرآن عليهم القضية عرضا ملموسا ، عندما يقدم إليهم المحسوسات والمسلمات المقنعة التى تسلم إلى الإيمان بالله .

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾

(يونس ـ ٣١ : ٣٢)

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (يونس ٣٤ : ٣٦)

٣ - وتارة يعرض عليهم القضية من خلال معايشة صادقة للآيات والدلائل المبثوثة فى الكون ، التى يرونها فى غدوهم ورواحهم ، ومسائهم وصباحهم ، وتقع فى محيط حاجاتهم اليومية ومشاهداتهم التى يحسونها ويلمسونها ويرونها رأى العين .

﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يونس : ٥٦)

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (يونس : ٢٢)

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾

(يونس : ٦٦)

﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾

(يونس : ٦٧)

﴿ ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾

(يونس : ٥٥)

٤ ـ وتارة عن طريق إثارة بعض الظواهر الكونية التى تدل على آثار الله وقدرته ، وتهدى العقل عن طريق التدبر والتفكر والعلم إلى لطف الله وعظمته ، وملكوته وتدبيره للكون بنظام بديع غير مسبوق ، ليكون ذلك وسيلة راقية هادية إلى العلماء لمعرفة الله والتلاقى بين العقل والعلم ، وبين القرآن كون الله المنثور ، والكون قرآن الله المنظور ، وحق يبقى دليل علو وهداية ، ومنهج حياة وعقل ، وأسلوبا أبديا للمعرفة والتعليم ، ودليلا لأولى الألباب .

(١) قال تعالى :

﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ۝ إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا ﴾

(يونس : ٣ ، ٤)

٢ ـ ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ۝ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾

(يونس : ٥ ، ٦)

٣ ـ ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (يونس : ٢٤)

٤ ـ وتارة يحث القرآن على النظر فى ملكوت الله ففيه الغناء عن كل دليل .

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾

(يونس : ١٠١)

ثالثا : البعث والحساب :

وكان القرشيون لا يصدقون أن الله سيبعث الموتى من القبور .

﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾

(يونس : ٤٨)

١ ـ ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ۝ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾

(يس : ٧٨ ـ ٧٩)

﴿ هو يحيي ويميت وإليه ترجعون ﴾ (يونس : ٥٦)

٢ ـ ﴿ إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ (يونس : ٤)

﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق ﴾ (يونس : ٥٤)

٣ ـ ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ۝ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ (يونس : ٤٤ : ٤٥)

﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ۝ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۝ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ۝ فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ۝ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ (يونس : ٢٦ : ٣٠)

لقد استعرض القرآن آراءهم فى القضية وإنكارهم لها ، ودلل على إمكانها من أبسط السبل ، فالذى أنشأها قادر على إعادتها ، وهو الذى يحيى وهو الذى يميت وإليه المرجع ، إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ، حتى يكون هناك حساب على ما كان فى الدنيا ، وحتى لا تنقلب البشرية إلى غابة يأكل قويها ضعيفها ويميت إحساسه ويغتال حياته ، وتنتشر الأدواء الاجتماعية والأخلاقية ، ويستشرى الفساد فى الأرض ، بما كسبت أيدى الناس ، لابد لهذه الغرائز الجامحة من أن تضبط ويكبح جماحها حتى لا تكون الحياة فوضى بلا ضابط ، فلابد من البعث ولابد من الحساب ، وهى قضية منطقية ، والله لا يظلم الناس شيئا ، وخسر من كذب بلقائه ، وفاز من أحسن العمل واتقى ، ثم عرض القرآن أنهم سوف يعرضون مع آلهتهم التى كانوا يزعمون ، وأن آلهتهم سوف تتبرأ منهم ومن عبادتهم ، وهناك سيجازى كل بما عمل .

٥ - ﴿ قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ۝ أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ۝ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ﴾
(يونس : ٥٠ : ٥٢)

رابعا : نسبة القرآن إلى الله :

وهذه قضية خطيرة ، لأنهم أرادوا أن ينفوا عن طريق إثباتها الرسالة والرسول معا .

وقد عرض القرآن فى هذه السورة مزاعمهم وفندها تفنيدا ودحض شبهاتهم التى أوردوها .

وقد صورت الآيات موقفهم من القرآن تصويرا ينم عن خبثهم وسوء قصدهم ، فهم إذا تليت عليهم آياته طالبوا بقرآن غيره ، أو تبديله :

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۝ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ۝ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ﴾ (يونس ١٥ : ١٧)

٢ - ومرة أخرى يدعون أن الرسول - ﷺ - افتراه واختلقه من عند نفسه .

﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ۝ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ۝ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ۝ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين ﴾ (يونس : ٣٧ : ٤٠)

لقد طلبوا تبديل القرآن ، ورد الرسول بأنه ليس له أن يبدله ، وأنه متبع لوحى الله مطيع ربه ويخاف عصيانه ، فالله هو الذى أمره بتبليغه

إليهم ، وقد لبث فيهم زمانا من قبله ، ولقد كنت صادقا باعترافكم ولا يسوغ اتهامكم لى بالكذب والافتراء .

ثم تحداهم أن يأتوا بأقصر سورة منه ، وأن يدعوا من استطاعوا ، وإذا ثبت عدم قدرتهم ثبت كذبهم ، وسقط اتهامهم . وأنهم كذبوا بما لم يعرفوا قدره .

وأكدت الآيات على الافتراء وعاقبته .

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(يونس : ٦٠)

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

(يونس : ٦٩)

ونبهت الآيات إلى أن قومك يامحمد لم يكونوا بدعا فى الأقوام ، حيث أعرضوا وكذبوا وعارضوا الحق ، واتهموه وافتروا عليه ، وحاولوا أن يوقعوا برسلهم كل ضيم وإيذاء .

فمن قبلهم قوم فرعون ، لما جاءهم موسى بالحق ، وصفوا آيته بالسحر ، والحق بالخداع ، وواجهوا موسى مواجهة المنكر المتكبر ، وقلبوا الآيات .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس : ٧٦ : ٧٨)

ونلاحظ مقدار إصرارهم على العناد والمكابرة فى تأكيدهم فى دعواهم السحر

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (يونس : ٧٦)

وقلبهم للحقائق حين جعلوا الحق سحرا ، والسحر هو تخيل غير الحقيقة واتهامهم لموسى بأنه جاءهم بهذا الدين بقصد العلو والرغبة فى الوجاهة

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾

(يونس : ٧٨)

ثم نلمح مرة ثانية إصرارهم على عدم الإيمان

﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾

ثم كانت قصة موسى مع السحرة وإبطال الله لما فعلوا من السحر

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(يونس : ٨١)

ثم كانت النتيجة العامة وهى إحقاق الحق على رغم المجرمين

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾

(يونس : ٨٢)

ونلاحظ أن المؤمنين بنوح وموسى كانوا قلة يقول الله تعالى عن قوم نوح :

﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود : ٤٠)

ويقول عن قوم موسى :

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ (يونس : ٨٣)

كما نلاحظ التأكيد على وصف قوم فرعون بالمجرمين .

وكما قال نوح :

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس : ٧٢)

يقول موسى لقومه :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (يونس : ٨٤ : ٨٦)

ثم كان دعاء موسى على فرعون وملئه فكان غرقهم ، ولكنا نلاحظ هذا الفرعون الجبار المتكبر عندما أدركه الغرق

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ (يونس : ٩٠ : ٩٢)

فقد أدرك فرعون قيمة الحق واعترف به ولكن ساعة لا ينفع الاعتراف .

﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ (الأنعام : ١٥٨)

إنه إيمان تحت السيف والقهر ، وهذا لا يرضاه الإسلام لأنه ليس عن اقتناع واعتقاد صحيحين ، وهو لم يؤمن إيمانا صحيحا دل على ذلك قوله :

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

(يونس : ٩٠)

ولم يقل آمنت بالله ، وهذا فيه حرص على بقايا تكبر .

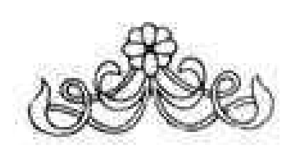
وتلحظ اعترافه بالإسلام

﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس : ٩٠)

ثم يدل القرآن على قضية القضايا في المجتمعات الحضارية ، وهي أن العلم عادة ما يكون وسيلة لقاء وتحضر ، ولكن بني إسرائيل كان العلم سبب اختلافهم بعد أن مكن الله لهم ورزقهم من الطيبات

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ (يونس : ٩٣)

« يتبع »



القرآن الكريم

هو المعجزة الكبرى الخالدة

لفضيلة الشيخ :
محمد حافظ سليمان

يقول الله تعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

وهو كتاب الله المنزل على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه ، والله يقول :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة : ٢٣ - ٢٥) .

وقد جعله ربنا محفوظا ثابتا ، لا يتبدل ولا يتغير ، لكيلا يتبدل الناس ولا يتغيروا ، ولكيلا يجهلوا سبل الهداية إذا ماالتوى عليهم ماكان مستقيما والتبس الحق بالباطل ، وتبدلت الأخلاق غير الأخلاق ، واتبع أكثر الناس أهواءهم وسلكوا غير سبيل المؤمنين ، وعندئذ يقول الله تعالى لعباده لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ، يقول له جل جلاله :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء : ٩) .

وفى القرآن الكريم هداية الحائرين وإنصاف المظلومين ورشد الضالين وقوام أخلاق المعوجين وفيه الهدى لمن شاء أن يستقيم .

ثم ماهى المعجزة ؟

المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة تأييدا له ، وإثباتا لدعواه الرسالة فهى برهان من الله ـ تعالى ـ على صدق الرسول ، فهى بمنزلة قوله :

(صدق عبدى فى كل ما أخبر به عنى)

والمعجزة دلالة قطعية يشهد بها الوجدان والعقل السليم كنزول القرآن من عند الله لا ريب ، والله يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال : ٢) .

ذلك لأن القرآن هو ذلك الكتاب المبين الذى

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة : ٢)

وهو الذى نزل به الروح الأمين بلسان عربى مبين على قلب خاتم المرسلين المبعوث رحمة للعالمين ، فبدل الله به ظلام الحياة نورا وذل الأميين عزا ، بعد أن كان الناس فى جاهليتهم قد ضلوا الطريق إلى الله .

ومن البداءة قولهم : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، وقال سفهاؤهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ولكن الله قال لهم : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ فما فعلوا .. والدليل على ذلك أنه لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل : ٩٠) .

قال : « والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر » سمع أعرابى رجلا يقرأ :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (الحجر : ٩٤) .

فسجد وقال سجدت لفصاحته ، وسمع أعرابى آخر رجلا يقرأ :

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (يوسف : ٨٠) .

فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام !!!

وحكى الأصمعى أنه سمع كلام جارية فصيحة ، فقال لها : ما أفصحك ، فقالت : أيعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص : ٧) .

فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

ولقد أراد جماعة أن يعارضوه فافتضحوا وخابوا وكذبوا وضلوا عن سواء السبيل :

﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ (هود : ٦) .

فعجزوا .

وجوه إعجازه

منها ما اشتمل عليه من أسلوب عجيب ونظم غريب مخالف لكلام العرب فى فواصله ومقاطعه ومطالعه فنوره ساطع وبيانه واضح ومشرق ، مما يدل على نزوله من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، فهو :



﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت : ٤٢) .

ومن أوجه إعجاز القرآن أنه فى قمة البلاغة كإفادة المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة فإن من تتبع القرآن وجد بلاغته لا نظير لها فى كلام البشر ، فقد اشتمل على نظم بليغ ، جمع فنون البلاغة بأسرها من المعانى والبيان والبديع ، ومن التمثيل والاستعارة والوصل والفصل والتقديم والتأخير اللائق بالمقام مع خلوه من كل لفظ ركيك خارج عن القياس الذى يعرفه أهل النقد من علماء العرب وفصحائهم .

وقيل إن من أوجه إعجازه إخباره عن أنباء الغيب التى لم تكن معروفة عند القوم .

شريعة القرآن خالدة

جاء القرآن من عند الله ليكون شرعة للناس ، ومنهاجا ، فهو الوحى المحمدى والقانون الإلهى الذى يصلح الله به أمور الناس فى دينهم ودنياهم لو اتبعوه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٩٠) .

إن حياة الناس لا تستقيم بغير الإيمان بالله فهو راحة الأرواح وسبيل النجاح والفلاح الذى كتبه الله للمؤمنين ، فقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون : ١)

ومن رحمة الله بالناس أن أرسل إليهم الرسل ، وأنزل إليهم الكتب ليسعد الناس بهداية ربهم ، وليرقى المؤمن إلى المستوى الرفيع يمشى فى الحياة إلى مرضاة الله بخطوات مسددة موفقة ، فلا يزل ولا يضل ولا يشقى ولا يخزى :

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك : ٢٢)

ولن تسود الفتن ما ظهر منها وما بطن بين الأفراد والأمم إلا إذا أقفرت النفوس من الإيمان بالله الذى يوقظ الضمائر ويطهر السرائر ، وذلك لأن أعمال الناس صورة لما فى قلوبهم فيتلون سلوكهم بلون ما فى نفوسهم من خير أو شر ، ولولا هداية الله لضل الناس عن سواء السبيل ، فقد ينسلخ الإنسان عن إنسانيته إلى وحشية ضارية قاتلة فاتكة تسبب الحروب والكروب والإيذاء والذنوب !!!

القرآن هدية الله للبشرية

وذلك لأنه يهدى الحائر ويؤلف النافر :

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : ٢) .

والقرآن من قال به صدق ، ومن حكم به عدل : فهو يبنى الفرد ويبنى الأمة ، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ويدعى أن الأمة هى كل أفرادها .

خير أمة

وقديما صنع الإسلام بالقرآن أمة ، وأسس دولة قال لها ربنا : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١١٠)

وأنه كون من بين رعاة الإبل والغنم قادة الشعوب والأمم ، وقد صنع من بين سكان الصحراء والبيداء أئمة الفضائل وأساتذة الأخلاق ، فكان منهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لقد علمهم الإسلام أن التواد والتعاطف والتراحم أصل كريم من أصول الحياة ، لينتفع كل فرد فيها بصاحبه وأخيه في الله ، لأن المؤمنين إخوة ، فلا غل ولا ضغينة ، ولا خبث ولا دسيسة ، ولا لؤم ولا قطيعة ، ولا رياء ولا التواء ، لكنه الإخلاص والوفاء والإخاء .

ويل للقاسية قلوبهم

﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

(الزمر : ٢٢ ; ٢٣) .

ولو نظرت إلى ما في القرآن من المعجزات الباهرات لوجدت أنه جاء بشرائع تطهر النفوس من النزوات الطائشة والشهوات الجامحة ، ومن الوساوس والهواجس ، ليصبح الإنسان ملكا بروحه إنسانا بجسده ، وشريعة القرآن يعجز الزمان عن الإتيان بمثلها في إصلاح الأفراد والمجتمعات في كل العصور والدهور ، ولا أقول إنها صالحة لكل زمان ومكان ، لكن أقول إنها شريعة الله خالق الأكوان وصانع الإنسان ، فهي شريعة خالدة بخلود القرآن والله يقول :

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٣ : ١٤) .

الإخبار بالغيب معجزة قرآنية صادقة

يقول الله تعالى في سورة هود بعد قصة نوح عليه السلام : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ (هود : ٤٩) .

ومن الإخبار بالمغيبات التي جاءت على نحو ما أخبر به ولم يتخلف منها شيء من ذلك قوله تعالى ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم : ٢ ; ٦) .

فانظر ماذا ترى في هذه الآيات من المعجزات فقد ذكر الله الوعد على سبيل الجزم وأكده بقوله : ﴿ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ وذكر أنه سيكون في بضع سنين ، وهذا إخبار عن أمتين كبيرتين لا يعلم حالها ومآلها إلا من أنزل هذا القرآن المبين المنزل على المبعوث رحمة للعالمين .

وقد وعد الله الذين استضعفوا في الأرض وهم يومئذ أذلة قليلون يخافون أن يتخطفهم الناس . . وعدهم بأن يستخلفهم في الأرض ، فكانوا أعزاء أقوياء عظماء خلفاء ، والله يقول :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور : ٥٥) .

وقال الله عز وجل :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾ (آل عمران : ١٢)

فغلبوا فعلا كما أخبرهم بهذا ، كما قال :

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر : ٤٥) .

وقال : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ (آل عمران : ١٥١)

وقال الله لرسوله الكريم :

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص : ٨٥)

فرده الله إلى مكة فى عام الفتح :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (النصر : ١ ـ ٣) .

فقد تحقق ذلك إذ عبر بإذا التى هى للتحقق ، وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله الأمين :

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة : ٦٧) .

وقد حماه ورعاه كما تولاه من قبل ورباه ، وشرح صدره ورفع قدره وأعلى شأنه صلوات الله وسلامه عليه .

بعث الله رسوله بالقرآن ليتمم مكارم الأخلاق

إنه ما ارتفع شأن أمة من أمم الأرض فى شتى العصور والدهور إلا برقى أخلاقها وصيانة أوقاتها من العبث والضياع ، لأن الوقت هو عمر الإنسان وليس بعد انتهاء الأجل من عمل يحقق الأمل « خيركم من طال عمره وحسن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله » .

والإنسان مسئول عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ، والله يقول ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧ ـ ٨) .

وكان هدف الرسالات الإلهية كلها تخليص النوع الإنسانى من مخالب الشرور وغرس مكارم الأخلاق فى أعماق النفوس ومراقبة الله سرا وعلانية : « اتق الله حيثما كنت » .

ونبينا خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله هو صاحب الخلق العظيم فهو الأسوة الحسنة لكل مسلم ، وهو القدوة لمن شاء أن يستقيم وأن يسلك سبيل المؤمنين المهتدين .

وهو القدوة لمن شاء أن يستقيم وأن يسلك سبيل المؤمنين المهتدين .

ونقول لذوى العقول السليمة والقلوب الرحيمة أرأيتم كيف سارع الناس للدخول فى دين الله أفواجا فى أيام الإسلام الأولى دون حاجة لخوارق كونية لكنهم عرفوا فضل القرآن ونعمة الإسلام ، فشرح الله صدورهم لتدبر آياته والانتفاع بعظاته فاكتسبوا من دين الله العزة والعفة ، وبالإيمان السليم والخلق القويم أصبح من المسلمين السادة والقادة والزعماء والعظماء والعلماء والحكماء ، وهذا برهان ساطع على إعجاز القرآن وصدق صاحب الرسالة المحمدية عليه الصلاة والسلام ، فالقرآن كان منهاجهم ، والرسول قدوتهم ، ومن كان هذا شأنه فإن الله يسانده ويؤيده ، فمن حفظ الله حفظه الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل ١٢٨)





رحمة ونعمة

لفضيلة الشيخ :
أحمد بن محمد طاحون

مع رسول الله - ﷺ - :

كان رسول الله - ﷺ - أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وأعظمهم تأثيراً فى النفوس والقلوب .
كان إذا قرأ خشعت النفوس ، وسكتت الأصوات ، وذرفت العيون بالدموع ، ووجلت القلوب ؛ مخافة غضب الله - عز وجل - وذلك حين يقرأ - ﷺ - بصوته الحبيب الرخيم آيات الوعيد ، فيبكى ويُبكى المستمعين ، وتكاد القلوب تتصدع خشية ورهبة

وإذا قرأ آيات الوعد والرحمة والبشرى لأهل الصلاح والتقوى استنارت الوجوه ، واستبشرت القلوب ، وعظم الرجاء فى رحمة الله وعفوه وإحسانه ، وذلك بفضل ما آتاه الله من حلاوة الصوت ، وما حباه به من فصاحة اللسان ، ورزقه من رقة القلب ، وسكينة النفس ، فإذا قرأ - ﷺ - سكن من حوله وخشع حتى ولو كان المستمع غير مسلم .

عداوتهم له ـ ﷺ ـ وحبهم لقراءته

وقد كان عُتاة المشركين يعملون على تفريق الناس عن رسول الله ـ ﷺ ـ إذا جهر بالقرآن ، وهو يصلى ، لما كانوا يرون من شدة خشوعهم ، واضطراب قلوبهم عند سماعه ، فكان الرجل إذا شده الشوق للاستماع من رسول الله ـ ﷺ ـ ذهب سرا وجلس قريباً منه يسترق السمع ، وهو على خوف من قومه ، ولا يترك مكانه إلا إذا تيقن أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ، فيذهب بعيداً خشية أذاهم .

لقد عاداه من عاداه ؛ كِبْراً وحسدا وعُتُوًّا مع إيمانهم بصدقه وأمانته ، وبأن ما يتلوه ليس من كلام البشر ، وقد نقل ابن إسحاق عن الزهرى : أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يصلى من الليل فى بيته ـ وذلك على الرغم من شدة إظهار عداوتهم له ، وتفريقهم الناس عنه ، وهو يصلى فى المسجد الحرام .

ثم قال الزهرى : فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فيأتون فيستمعون له ـ أى : وهم مستترون بشدة ظلام الليل ـ حتى إذا طلع الفجر تفرقوا .

قال الزهرى : ـ وفى هذه الليلة ـ جمعهم الطريق ـ أى صدفة ـ فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا .

ويقصدون بالسفهاء : صغارهم والضعفاء منهم ، فإذا علموا بأن قادتهم تشدهم تلاوة القرآن من الفم ، الذى يخرج منه النور ، ولا يطيقون أن يحرموا أنفسهم من الاستماع ، فإنهم سيكونون أكثر إقبالا ، ويتمردون على هذه القيادات ، التى تعلم الحق ، وتأبى الانقياد له ، وهذا مما ويخهم القرآن الكريم به ، كقوله ـ سبحانه ـ من سورة الأنعام :

﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾

(الأنعام : ٣٣)

ونعود إلى قصة الزهرى قال : حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ـ أى : متخفيا فى الظلام ظانا أن زميله لن يعود ـ حسبما اتفقوا ـ فباتوا يستمعون حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا كما تلاوموا أول مرة وتعاهدوا على عدم الرجوع ، ثم انصرفوا .

وذكر الزهرى أنهم عادوا فى الليلة الثالثة يشدهم الشوق إلى حلاوة القرآن وحسن ترتيله من الفم الطاهر ، واللسان الصادق والقلب النقى ، الذى كان إذا تحدث خرج النور من بين ثناياه ـ ﷺ ـ وما منعهم من الإيمان به إلا الكبر وعصبية الجاهلية إلا من عصم الله فعاد إليه رشده وهدى الله قلبه ، ومات المخذولون منهم بخزى الدنيا إلى عذاب الآخرة وبئس المصير .

وأبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه

وكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ رجلا أسيفا رقيقا عذب الصوت حلو النبرات فيه تخشّع وتمسكُنٌ ولين ، فلو كان للحديد قلب لخشع ولان

من حلاوة قراءته ، وحسن صوته ، وخشوع نفسه ، وبكاء عينه ، فلقى من عتاة المشركين تضييقا عظيما .

لما رأى أبو بكر ما يلقى أهل الإيمان من شدة الأذى والضيق فى مكة المكرمة استأذن رسول الله ـ ﷺ ـ فى الهجرة ، فأذن له .

وحين بدأ المسير للخروج من مكة لقيه أحد السادة المرموقين ، وهو مالك بن الدغنة فسأله : إلى أين يا أبا بكر؟ قال : أخرجنى قومى ، وآذونى ، وضيقوا علىّ ، فعظم على نفس ابن الدغنة أن يخرج الرجل العظيم الكريم النافع من بين أهله وعشيرته ويترك مكة بلده ، فطلب منه العودة إلى مكة .

وفى مكة قام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش إنى قد أجرت ابن أبى قحافة ـ أى صار فى جوارى وحمايتى ـ فلا يعرضن له أحد إلا بخير ، قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعن أبيها : فكفوا عنه

خوف المشركين
من جهر أبى بكر بالقراءة :

قالت عائشة : وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جُمح ، فكان يصلى فيه ، وكان رجلا رقيقا ، إذا قرأ القرآن استبكى .

قالت : فيجتمع الصبيان والعبيد والنساء ، يعجبون لما يرون من هيئته ـ أى : خشوعه وبكائه وحلو قراءته .

قالت عائشة : فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة وقالوا له : إنك لم تُجر هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكى ، وكانت له هيئة ونحو ـ أى صارت له حالة وصوت حسن مما يعظم تأثيره فى النفوس .

لذا قالوا : فنحن نتخوف على صبياننا ، ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم ، فأته ، فمره يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء .

فنقل ابن الدغنة شكوى القوم ، وطلب إليه أن يدخل بيته ، ويصلى فيه ، حتى لا يسمع الناس قرءاته ، أو يرد عليه جواره .

فرضى أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بجوار الله ـ عز وجل ـ ورد على ابن الدغنة جواره .

فتأمل حلاوة القراءة إذا صدرت من قلب خاشع ، ونفس مطمئنة ، كيف تصل إلى القلوب فتهزها هزاً وتدفعها إلى حب الخير دفعا .

الطفيل بن عمرو الدوسى
(الشاعر الاريب)

حدّث عن نفسه وهو الشاعر الاريب والقائد الحكيم لقبيلته فقال : إن جماعة من قريش قالوا له حين دخل مكة : « إنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمن محمداً ، ولا تسمعن منه شيئا » .

قال : فحشوت فى أذنى كرسفا ـ قطنا ـ حين دخلت المسجد الحرام ، لأنى لا أريد أن أسمعه ، خوفا من أن يبلغنى شىء من قوله ، فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله ـ ﷺ ـ قائم عند الكعبة قال : فقمت قريبا منه ، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله .

قال الطفيل : فسمعت كلاما حسنا .

ثم قال : وتبعته حتى دخلت معه بيته ، وتلا

علىّ القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرًا أعدل منه ، قال : فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق .

إن من أسباب رحمة الله بالعبد أنه إذا سمع القرآن أنصت وتدبر وخشع وفكر فيما يدعو إليه وفيما ينهى عنه وفيما يشوق النفوس إليه مما يُرضى رب العالمين ، ويحث على طهارة النفس ونظافة القلب من أدران المادة الفانية ، وعلى شفائه من الأمراض النفسية المدمرة كالشّبه والشكوك والحقد والحسد والكبر والغل وإضمار السوء للناس .

وحماية حديثه وذكريات مع الشيخ محمد رفعت

قرأت قبل خمسين عاما فى مجلة الاثنين التى كانت تصدر عن « دار الهلال » بالقاهرة ما مضمونه : أن رجلا أوروبيا وهو يحرك ذات يوم مؤشر الراديو سمع صوتا هز كيانه ، فتوقف عن تحريك المؤشر وأخذ يسمع وهو يشعر بخشوع شديد ، وسكنت نفسه . وجال بفكره يسأل :

ما هذا الصوت ؟ وماذا يقول ؟ ثم دقق حتى عرف أن الصوت صادر من إذاعة القاهرة : فسجل الوقت والتاريخ ، وقرر السفر إلى القاهرة .

وفى القاهرة قابل رئيس الإذاعة وقص عليه قصته ، وراجع الرجل الوقت والتاريخ فعرفوا أنه الوقت المحدد للشيخ محمد رفعت طيب الله ثراه بفضله وإحسانه .

فأعادوا على سمعه التلاوة ، والرجل الأوروبى يزداد خشوعاً ويبكى لحلاوة الصوت ومافيه من أمارات الخشوع وحسن الترتيل ومن إعجاز إلهى، فهو سبحانه يعطى ماشاء لمن شاء

﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾

(فاطر : ١)

وشرحوا له الأمر ، وحققوا له أولى أمانيه وهو اللقاء بصاحب هذا الصوت ، وزار الشيخ محمد رفعت فى منزله المتواضع مع رفيق من الإذاعة واستمع الرجل منه ما زاده خشوعا ولين قلب .

ثم صحبوه إلى لقاء مع فضيلة شيخ الأزهر فى ذلك الوقت ، حيث أجابه فضيلته عن أسئلته وبين له ما جاء به الإسلام لخير الناس ، وأنه خاتم الرسالات السماوية ، وترجم له المترجمون ما سمعوه ، وعاد الرجل إلى بلاده مسلما يعبد الله وحده ، ويؤمن بنبيه محمد - ﷺ - مع الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين والكتب السماوية التى أنزلت على الأنبياء قبل القرآن الكريم .

من أعاجيب القدرة الكاملة

إن صوت الشيخ محمد رفعت كان ومازال من أعاجيب القدرة الكاملة ، له حلاوته ، ووقعه الجميل على النفوس والقلوب ، ويشد القلب والنفس شدًا ، ولا يستطيع العقل أن يعطى له وصفا ، أو يضع له حدا ، وإنما هو حلو حسن جميل خاشع قوى التأثير عظيم الوقع على النفس ، يوقظ العقل ، ويهز الوجدان فسبحان الخالق العظيم .

ومن الذكريات

في أوائل العقد الخامس من القرن العشرين الميلادي كنت أذهب بعض أيام الجمع إلى مسجد فاضل الذي يقع بجوار المدرسة الثانوية الخديوية «بدرب الجماميز» بالسيدة زينب، وكان الشيخ رفعت يقرأ القرآن يوم الجمعة قبل الصلاة، ولم تكن مكبرات الصوت عرفت في ذاك الوقت.

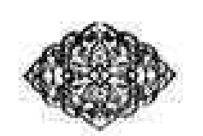
وكان لابد لمن يريد أن يسمع الشيخ محمد رفعت أن يبادر لأخذ مكان له قريبا من «دكة الشيخ» قبل الصلاة بثلاث ساعات أو أكثر لأن الصوت الندى المبارك لم يكن جهوريا، وإن كان يسرى كما يسرى الضوء في حنان ورفق ليستقر في القلب والوجدان، وكان أكثر المبادرين إلى هذا المسجد يوم الجمعة من حفظة القرآن والقراء يجلسون حِلَقًا حِلَقًا حول «دكة الشيخ» ينتظرون وصوله، فيقرأ الشيخ رفعت، وتخشع النفوس والقلوب حتى يظهر الإمام، فتعتدل الحلقات ويجلس الناس صفوفا متجهين إلى القبلة.

مدرسة الشيخ رفعت

لا شك أن للشيخ رفعت ـ رحمه الله ـ مدرسة، بدأها الشيخ أبو العينين شعيشع، وكان قارئا ممتعا ولكنه كان يؤثر الطربوش على العمامة، أما التفاوت في الصوت والأداء فأمر قدرى، والتمايز لابد منه، فصوت الشيخ رفعت هبة فريدة من الصعب وصفها وصفا يحدها، كما أن لصوت الشيخ شعيشع حلاوته وتأثيره.

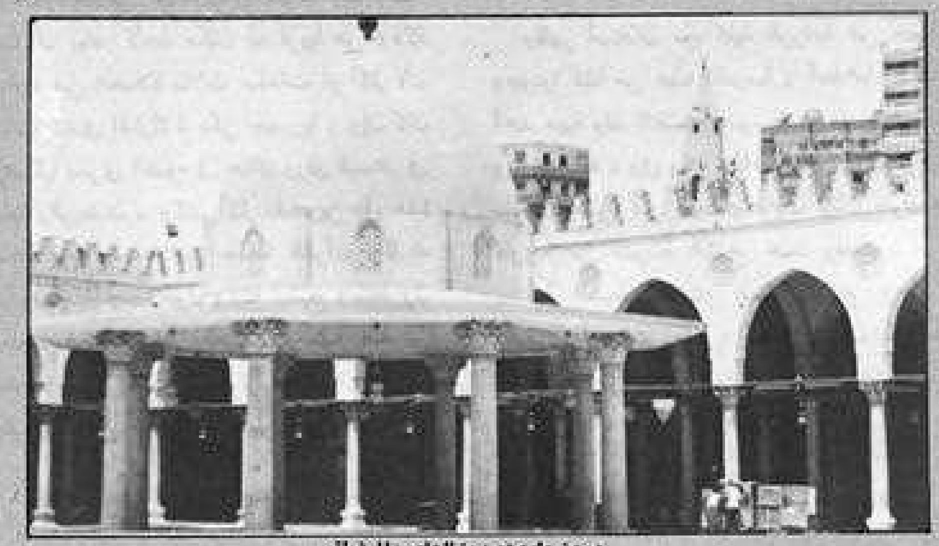
وظهر أستاذان من كلية الزراعة ممن حفظوا وجودوا كانا من هذه المدرسة، أحدهما الدكتور أحمد هيبة وقد التقيت به وسمعت منه يرحمه الله ويطيب ثراه، وفي وقتنا الحاضر ـ طبيب فاضل إذا سمعت صوته من بعيد أو قريب فإنك تقول هو قارىء من مدرسة الشيخ محمد رفعت.

أما الشيخ رفعت نفسه فنسيج وحده، وعبقرى أصوات زمانه، نسأل الله أن يكثر من أمثاله، ولكل قارىء ـ والحمد لله ـ ميزات لصوته وحسن أدائه، وما أكثرهم والحمد لله.



تاج الجوامع

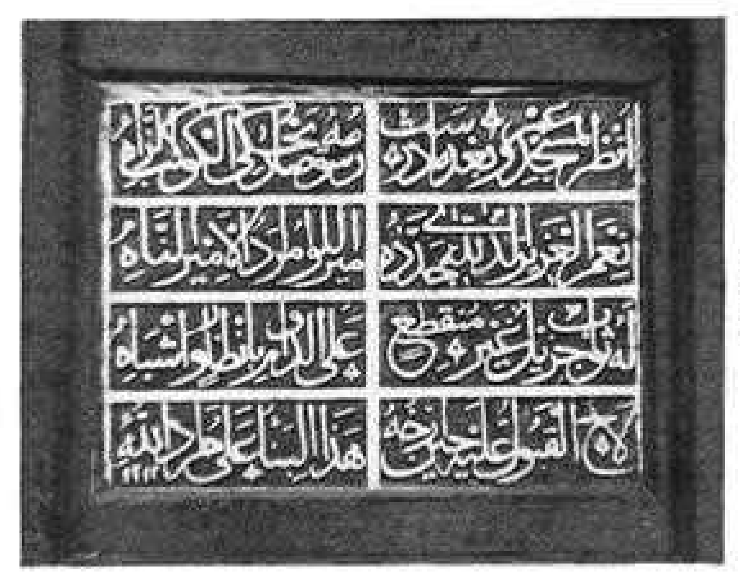
أول جامع في أفريقية


صحن جامع عمرو بن العاص والميضأة

دكتور عبد العزيز صلاح سالم (*)

جامع عمرو بن العاص أول جامع أنشىء فى مصر وفى أفريقيا كلها ، زاره العديد من الرحالة والمؤرخين وأطنبوا فى وصفه ، وأطلقوا عليه العديد من الأسماء ، منها : جامع الفتح ، وجامع عمرو ، والجامع العتيق ، وتاج الجوامع ، ومطلع الأنوار اللوامع وغيرها ، وكان أول بقعة فى أفريقيا يدخلها الإسلام ومنها انتشر فى أنحاء عديدة من العالم .

(*) مدرس الآثار والفنون الإسلامية ـ بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة .



التاريخ بحساب الجمل بجامع عمرو بن العاص

وقد قام جامع عمرو بن العاص بالعديد من الوظائف ، فلم يقتصر دوره على أداء الفرائض الدينية فحسب ، بل تعداها فكان جامعة تعقد فيه حلقات الدرس مع كبار العلماء والفقهاء ، فهو بذلك قد سبق الجامع الأزهر فى وظيفة التدريس بأربعة قرون ، وفى الوقت الذى كانت الدروس بجامع عمرو بن العاص تعطى تطوعا وتبرعا ، كانت الدروس فى الجامع الأزهر بتكليف من الدولة ، فيما يشبه المدارس والمعاهد النظامية ، وقد قام الإمام الشافعى بالتدريس بجامع عمرو بن العاص ، وعرفت فيه دروسه بزاوية الإمام الشافعى ، حيث أوقف السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبى لها أوقافا بناحية « سنديس » ، ولم يزل يتولى التدريس بها أعيان الفقهاء والعلماء حتى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى .

ومن وظائف جامع عمرو - كذلك - أنه كان مكانا لجلوس القضاة ، فقد كانت فيه محكمة لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وأيضا كان بجامع عمرو بن العاص بيت مال المسلمين ، وكان عبارة عن قبة عليها أبواب من حديد ، كما يصف المقريزى كيف كان تتم فى ساحات جامع عمرو الصفقات التجارية الكبرى .

واختص جامع عمرو بن العاص دون غيره من مساجد مصر بأنه الجامع الوحيد الذى كان الخلفاء والسلاطين والولاة والأمراء يصلون فيه الجمعة الأخيرة من شهر رمضان ، وقد نشأ هذا التقليد منذ عهد الدولة الفاطمية ، فقد كان الخليفة الفاطمى يركب للاحتفال برؤية شهر رمضان أول جمعة منه ، فإذا كانت الجمعة الثانية أداها فى الجامع الحاكم ، فإذا كانت

الجمعة الثالثة أداها فى الجامع الأزهر ، فإذا كانت الجمعة الرابعة صدرت الأوامر بأدائها فى جامع عمرو بن العاص ، فيقوم أهالى القاهرة بعمل الزينات حتى جامع عمرو ، وبعد أداء فريضة الجمعة يعود الخليفة إلى القصر ، فيصدر السجل ، ولما أتم مراد بك إصلاح الجامع فى النصف الثانى من شهر رمضان سنة ١٢١٢هـ أقيمت فيه آخر جمعة من رمضان ، فاتخذت عادة حتى سنة ١٩٥٢م .

نبذة عن جامع عمرو بن العاص من الناحية الأثرية

كانت مساحة جامع عمرو أو تاج الجوامع فى أول أمره ٥٠ ذراعا طولا فى ٣٠ ذراعا عرضا [٣٧,٥ فى ٢٢,٥م] ، وكان الطريق يحيط به من كل جانب ، وجعل له عمرو بابين يقابلان داره ، وبابين فى بحريه ، وبابين فى غربيه ، وكان سقفه منخفضا جدا ، ولا صحن له ، فإذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية .

التجديد والإضافة :

مر تاج الجوامع بإضافات وتجديدات عديدة لدرجة تجعلنا نقول أنه لم يتبق الآن من جامع عمرو بن العاص أو تاج الجوامع سوى قطعة الأرض التى بنى عليها الجامع ، وسوف نرى أن أقدم جزء فى الجامع يعود إلى سنة ٢١٢هـ فى إمارة عبد الله بن طاهر ، من قبل الخليفة المأمون ، ويمكن تلخيص التجديدات والإضافات بالجامع على النحو التالى :

- فى العصر العباسى زاد صالح بن على والى مصر من قبل أبى العباس السفاح سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م حيث أدخل فى الجامع دار ابن الزبير وباب الكحل من هذه الزيادة .
- فى سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م فى خلافة هارون الرشيد زاد والى مصر موسى بن عيسى الرحبة التى فى آخر المسجد .
- فى سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م أمر عبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل الخليفة المأمون بالزيادة فى المسجد الجامع فزيد فيه من غربيه ، وبذلك أصبحت مساحته ١١٢,٥ متر فى ١٢٠,٥ متر وهى مساحته الحالية ، ويمكنك عزيزى القارىء معرفة تلك الزيادة عن طريق رسم خط يبدأ من منتصف فتحة الباب الأوسط وينتهى عند حائط القبلة بجانب المحراب الكبير الحالى ، وهذا الخط يقسم المسجد إلى قسمين متساويين تقريبا ، الجنوبى هو زيادة ابن طاهر ، والشمالى المسجد الأصلى ، والإضافات قبل عبد الله بن طاهر .
- وفى العصر الطولونى احترقت زيادة عبد الله بن طاهر ، فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارة الجامع ، وأنفق ستة آلاف وأربعمائة دينار على إصلاحه .
- وفى العصر الإخشيدى زخرف المسجد ونقشت أعمدته حتى كان المسجد بالغا حده من الزخرفة من التذهيب والنقش ، وقد زاره فى ذلك الوقت الرحالة المقدسى عبد الله المقدسى وقال عنه : « إنه أحسن بناء ، وفى

حيطانه زخرفة الفسيفساء ، ويقوم على أعمدة رخام ، وهو أكبر من جامع دمشق وهو أعمر موضع بمصر » .

- وفى العصر الفاطمى حظى تاج الجوامع بالكثير من العناية والرعاية من الخلفاء الفاطميين ، فقام الخليفة العزيز بالله ثانى خلفاء الدولة الفاطمية بزيادة فوارة تحت بيت المال ، ويعتبر أول من عمل فوارة ، كما جدد بياض المسجد ، ثم فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أنزل من القصر إلى تاج الجوامع ألفا ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ماهو مكتوب كله بالذهب ، ومكن الناس من القراءة فيها ، كما أرسل الخليفة الحاكم بأمر الله إلى الجامع تنورا[1] من الفضة تبلغ قيمته مائة ألف درهم فضة ، فاجتمع الناس ولم يمكن إدخاله بالمسجد إلا بعد أن نزعت عتبتا الباب ووسع حتى أدخل به .

وقد أفاض كثير من الرحالة الذين وفدوا على الدولة الفاطمية فى ذكر ووصف جامع عمرو بن العاص « تاج الجوامع » نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى زار مصر سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧ م .

ولما احترقت الفسطاط سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م واستمرت النيران مشتعلة ٥٤ يوما تهدمت مدينة الفسطاط وتخربت مبانيها وتشعث جامع عمرو ، فلما استقل صلاح الدين الأيوبى بحكم مصر ، كان من أهم الأعمال المعمارية التى اهتم بها عمارة جامع عمرو بن العاص .

وقد توالت يد الإصلاح والتعمير والتجديد طوال العصر المملوكى مثل : عمارة الظاهر بيبرس البندقدارى[2] سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م ، ثم عمارة المنصور قلاوون ، وعمارة الأمير بيبرس الجاشنكير[3] سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م ، ثم عمارة الأمير سلار فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م . وكذلك العمارة التى قام بها رئيس التجار بديار مصر برهان الدين إبراهيم بن عمر بن المحلى سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م - وأيضا - عمارة الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ، وأهم الإصلاحات التى أقيمت فى العصر المملوكى التى قام بها الأمير مراد بك ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م ، ويحدثنا المؤرخ الكبير الجبرتى الذى عاصر هذا التجديد فى جامع عمرو بن العاص على يد مراد بك فيقول : « أن الأمير مراد بك المدفون بسوهاج

---

(١) ورد هذا اللفظ فى كتابات المؤرخين بمعنى « شمعدان » كوسيلة إضاءة .

(٢) بندقدار : كلمة فارسية مكونة من مقطعين ، « بندق » وهى كرات مستديرة تستخدم فى الصيد ، و « دار » لاحقة بمعنى ممسك ، والكلمة على ذلك تعنى : القائم على رمى البندق للصيد أو للقتال .

(٣) الجاشنكير : وهو المسئول عن تذوق الطعام قبل أن يتناوله السلطان .

لما رأى خراب جامع عمرو بن العاص ، وسقوط سقوفه وميل شقه الأيمن خطر بباله تجديده ، فأنفق عليه أموالا عظيمة فأقام أركانه وشيد بنيانه ونصب أعمدته وبنى به منارتين (هما الباقيتان للآن) وجدد جميع سقفه من الخشب السرو ، وبيض جميعه فتم على أحسن ما يكون وفرشه جميعه بالحصر الفيومى وعلق به قناديل » .

حساب الجمل بتاج الجوامع

من الأشياء الجديرة بالذكر أن تاريخ تجديد الأمير مراد بك للجامع قد ظهر فى عدة مواضع من المسجد بطريقة حساب الجمل ، وملخص هذه الطريقة أن كل حرف من الحروف العربية يقابله رقم حسابى ، فكان يستعاض فى تاريخ المساجد والبيوت الأثرية بكتابة أبيات من الشعر تتضمن تاريخ الإنشاء .

وحتى يمكنك التعرف على هذه الطريقة التى توجد فى العديد من الآثار الإسلامية ينبغى لك فى البداية معرفة الأبجدية العربية « أبجدهوز حطى كلمن . . . . » حيث يقابل كل حرف رقم حسابى ، ويمكنك تحديد التاريخ فى الكلمات التالية بعد كلمة « أرخ أو يؤرخ أو تاريخ أو مؤرخه أو أرخه » ، ثم تقوم بتحويل الحروف إلى أرقام حسابية وبعدها تقوم بعملية الجمع لتلك الأرقام حتى تصل فى النهاية إلى التاريخ الصحيح للأثر أو التحفة .

والأبجدية ، ما يقابلها من أرقام على النحو التالى :

أ=١ ، ب=٢ ، ج=٣ ، د=٤ ، هـ=٥ ، و=٦ ، ز=٧ ، ح=٨ ، ط=٩ ، ى=١٠ ، ك=٢٠ ، ل=٣٠ ، م=٤٠ ، ن=٥٠ ، ص=٦٠ ، ع=٧٠ ، ف=٨٠ ، س=٩٠ ، ق=١٠٠ ، ر=٢٠٠ ، ش=٣٠٠ ، ت ٤٠٠ ، ث=٥٠٠ ، خ=٦٠٠ ، ذ=٧٠٠ ، ض=٨٠٠ ، ظ=٩٠٠ ، غ=١٠٠٠ .

ويمكن تطبيق هذا عمليا على أبيات الشعر التى وردت على حوائط تاج الجوامع وأولها أبيات فوق المحراب الرخامى الكبير حيث كتب على لوح من الرخام الأبيات التالية(*) :

انظر لمسجد عمرو بعد مادرست
رسومه صار يحكى الكوكب الزاهى
نعم العزيز الذى لله جدده
أمير اللوا مراد الأمير الناهى
له ثواب جزيل غير منقطع
على الدوام بأنظار وأشباه
لاح القبول عليه حين أرخه
هذا البنا على مراد الله

والملاحظ هنا أن التاريخ يبدأ بعد كلمة أرخه ويمكن التأكد من ذلك بحساب الحروف وفقا للقاعدة المذكورة على النحو التالى :

هذا = ٥+ ٧٠٠+ ١ = ٧٠٦

(*) أوردنا هذه الأبيات على مابها حتى لا نمس أثرا تاريخيا ، ويمكن الرجوع إلى صورة اللوح المنشورة مع المقال .

البنا = ١ + ٣٠ + ٢ + ٥٠ + ١ = ٨٤

على = ٧٠ + ٣٠ + ١٠ = ١١٠

مراد = ٤٠ + ٢٠٠ + ١ + ٤ = ٢٤٥

الله = ١ + ٣٠ + ٣٠ + ٥ = ٦٦

المجموع = ١٢١١ وهو تاريخيا تاريخ التجديد لجامع عمرو على يد الأمير مراد بك فى سنة ١٢١١ م.

كما يوجد التاريخ بحساب الجمل على المدخل الرئيسى فى الأبيات التالية (*)

أحيا لنا ربنا بيتا لطاعته
وكان من قبل مصباح فطفى
وانقض بنيانه والمسلمون غدوا
من أجله قاصرين الباع فى أسف
لأنه من بقايا فرقة ظهرت
أميرها عمرو السهمى غير خفى
ومنذ أراد تعالى بالعمارة له
أنشاه مولى جواد بالمراد يفى
فصار يحكى البنا إحسانه أبدا
وإنما يعمر الآيات فى الصحف
ونشوة العز قد قالت مؤرخه
يسموا عزيز مراد جامع الشرف

ويلاحظ أن تاريخ التجديد بحساب الجمل فى البيت الأخير بعد كلمة مؤرخه ، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى :

يسموا : ى = ١٠ + س = ٩٠ + م = ٤٠ + و = ٦ + أ = ١ = ١٤٧

عزيز : ع = ٧٠ + ز = ٧ + ى = ١٠ + ز = ٧ = ٩٤

مراد : م = ٤٠ + ر = ٢٠٠ + أ = ١ + د = ٤ = ٢٤٥

جامع : ج = ٣ + أ = ١ + م = ٤٠ + ع = ٧٠ = ١١٤

الشرف : أ = ١ + ل = ٣٠ + ش = ٣٠٠ + ر = ٢٠٠ + ف = ٨٠ = ٦١١

المجموع = ١٢١١ ، وهو تاريخ تجديد الجامع فى سنة ١٢١١م على يد الأمير مراد بك .

وبذلك فقد كان جامع عمرو بن العاص مركز الحركة العلمية والدينية والقضائية والمالية والتجارية ، وكان ملتقى العلماء والفقهاء والأئمة ، وإليه يلجأ الناس للاستفتاء ، وإليه يفد الطلاب لتلقى العلوم ، ومنه يتخرج خيرة العلماء والفقهاء[1] .

(*) أوردنا هذه الأبيات كما هى ، على مابها ، وذلك حتى لا نمس أثرا تاريخيا .

(١) راجع : حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، القاهرة ١٩٤٦م ، وعبد الرحمن زكى ، الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، وعلى باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ج ١ ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، وسعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ١ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٧١م .



لفضيلة الشيخ :
محمد عبد الرحمن صان الدين

حينما أتعرض لهذه الآية الجليلة من كتاب الله المكنون ، الصغيرة فى مبناها ، الكبيرة الهائلة فى معناها ، لا أطمع فى بلوغ مداها ، والوصول إلى كل الحقائق الباهرة المذهلة الكامنة فيها ، على وجه اليقين ، إذ أننى أومن إيمانا راسخا ، بأن ذخائر القرآن الكريم لاتنكشف أمام العقول ـ مهما بلغت من قوة البصيرة ، وحدة النفاذ ـ فى عصر واحد ، أو عصور متعددة ، بل إنها تظل تعطى كل عصر شيئا جديدا ، يلائم مدارك الإنسان فيه ، ويلفته إلى أسرار هذا الكون العجيب ، بقدر ما تتطلبه كل مرحلة من مراحل الحياة الدنيا ، إلى أن يأذن الله بقيام الساعة ، إلا أن قارىء القرآن المتأمل ، فى لحظة من لحظات الصفاء الروحى والفكرى ، ودون مقدمات وأسباب ، يجد نفسه مقيدا عند آية من الآيات ، منجذبا إليها بقوة خفية ، شاخصا إليها ، باحثا عن شىء خفى مبهم فيها ، يحس به فى أعماق نفسه دون أن يدرك حقيقته وأبعاده ، ويظل ماثلا أمامها مفكرا ، أو يطوف حولها بكل حواسه .

تلك هى حالى أمام كثير من آيات كتاب الله المعجز ، ومنها الآية التى نحن فى ظلالها اليوم ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ (الانشقاق : ٤)

وكما هو شأنى ـ عندما أريد أن أحلق بفكرى وقلمى حول آية تستوقفنى أو أريد ارتياد دروبها ـ فإنى أمسك فى يدى أربعة مصابيح هى :ـ

(١) معاجم اللغة العربية ، لأستوثق من مدلولات الألفاظ التى وضعت من أجلها ، والتى تخرج فيها عن معانيها الأصلية ، إلى معان أخرى ، لتؤدى غرضا هاما مقصودا مع القرائن التى تعين المراد .

(٢) تفاسير الأئمة الأعلام ـ رضى الله عنهم ـ

حتى لايفوتني ما غاب عن علمي وإدراكي ، قدر جهدي ولأثبت من مواضع قدمي ، اتقاء الزلل .

(٣) معطيات العصر التي شاهدتها أو استخدمتها ، أو وصلت إليَّ أنباؤها ، والتي لم تكن تخطر على بال .

(٤) مراقبة الله - تعالى - ومحاسبة النفس عند كتابة كل كلمة تتعلق بكلام الله المقدس ، مرددا تلك العبارة المشهورة : (أي أرض تقلني ، أي سماء تظلني ، إن قلت على الله ما لا أعلم) .

●●●

ومع ذلك فإني أقرر أن ما أكتبه أويكتبه أي باحث مما يعين له من تأملاته في آيات القرآن الكريم إن هو إلا خواطر عقول محدودة الإدراك ، خافتة الشعاع ، فيما يستبين لها من أسرار الآيات ، والمفردات المكونة لها - إن صحت الرؤية - ليس إلا جزءا من الحقيقة الكبرى التي تحتويها . من منطلق ماتقدم ، أقف على استحياء ، ووجل أمام الآية : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ متلقيا في يقظة ما ترسله إلى عقلي كلماتها من إشارات ، وإرهاصات ، وكما وقفت من قبل أمام

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ (الطور : ٦)

و ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾

(التكاثر : ٥ - ٦)

في مقالين نشرا في مجلة الأزهر منذ حين ، وما أوقفني عند آية اليوم - فيما أظن - إلا واقع الحياة المعاصرة ، الذى تتسابق فيه العقول والجهود ، لاكتشاف ماتوارى في الطبيعة من أسرار ، وعجائب ، وما تنطوى عليه المادة من قوى رهيبة ، وطاقات مذهلة لتحقيق مطامح الإنسان ، أو مطامعه ، ولكي أبرز بقدر إمكاناتي المتواضعة عظمة القرآن الكريم وأنه كتاب كوني يحوى بين دفتيه وقائع الكون في الماضي والحاضر والمستقبل ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾

(الأنعام : ٣٨)

ولكن كل شيء عنده بمقدار .

والآن هيا بنا أيها القارىء الكريم ، لنقف عند مشارف الآية الجليلة ، نستوحى مفرداتها ، وجملتها بعض معانيها ، التي ترسل في الحس والخاطر إشارات ملفتة تقول للقارىء المتأمل : قف ، فأنت أمام كنوز وأسرار لم يفطن إليها أحد من قبل ، وتنتظر من يطرق بابها ، بعين اليقين ، لا بالحدس والتخمين لعله يظفر منها بما يرد للبشرية وعيها الشارد ، وحسها المخدر ، فترى في أى طريق هي تسير ، وإلى أية أهوال تسرع ؟!

●●●

الحديث في الآية التي نحن بصددها عن الأرض ، في معرض الأخبار عما يعتريها ، وتكون عليه حالها وهيئتها يوم الانقلاب والهول الأعظم ، يوم تنسف الجبال نسفا ، وتمد الأرض مدا ، وتصير قاعا صفصفا لاترى فيه عوجا ولا أمتا ، وتنشق السماء ، وتكور الشمس ، وتنكدر النجوم ، فالسياق كله تصوير لما يحدث في ذلك اليوم الرهيب المذهل ، ولا يغيب عن بالنا أن ذلك اليوم ، ليس كأيام الدنيا التي نعرفها ، الناشئة عن تقلب الليل والنهار ، أو الأعوام بحركة الأرض حول الشمس ، ولكنه شيء آخر - لست أدرى ، ولا يدرى أحد على وجه اليقين ، ما إذا كانت الدنيا قد وصلت إلى بدايته ، أم لا ، إنه يوم يكون في طول خمسين ألف سنة من السنين التي نعرفها ، ونعدها .

◆

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(المعارج : ٤)

وفى هذا المناخ ، وفى ظل تلك الحقيقة ، ننظر فى مفردات الآية ، وفى جملتها ، فنجد أن كلمة (ألقت) معناها . طرحت ونبذت بعيدا عنها ، أى أن الأرض تطرح ما فى جوفها بعيدا ، ويؤكد هذا كلمة (وتخلت) سواء كانت من الخلو والتفرغ ، أو من التخلى بمعنى الابتعاد والترك ، وعلى هذا فإن الأرض تطرح ما فى جوفها وتنبذه بعيدا عنها ، متخلية منفصلة عنه ، وإنه لشىء كثير هائل ، بعضه معلوم لنا ، وأكثره مجهول ، لايعلمه إلا خالقه الذى اقتضت حكمته أن لا يكشفه لخلقه إلا بمقدار لكل زمان .

ومن المعلوم لنا ما قذفته وتقذفه البراكين من حمم ومعادن وصخور ذائبة من باطن الأرض لايلبث حتى يتجمد على ظهرها ، ويكوّن بعض معالم سطح الأرض ، وما قيل من أن أجسام الموتى مما تلقيه ، وأحسب أن أجسام الموتى من آدم إلى تقوم الساعة لاتتعدى أن تكون فى الطبقة السطحية من القشرة الأرضية ، والذى يتضاءل أمام ما يقذف من الأعماق البعيدة إلى السطح ، وعلى أية حال ، كائنا ما كان ذلك الخارج من باطن الأرض بفعل البراكين أو باستخراجه من المناجم ، كالصخور والفحم والحديد وغير ذلك ، فإنه قائم على ظهرها - أى الأرض - مترسب على سطحها ، فهو ملتصق بها ، لم ينفصل عنها ، فلم تنبذه ، ولم تتخل عنه ، فهو مادة الأرض وكيانها ، فقط قد انتقل من مكان إلى مكان ، فلا يتحقق بحركته هذه المعنى الدقيق ، لكلمتى (ألقت وتخلت) .

وهنا يتبادر إلى الخاطر السؤال الآتى - الذى يبعثه فيه الواقع المشاهد المحسوس - أين تذهب ملايين البلايين من أطنان الفحم والبترول والغازات المستخرجة من باطن الأرض ؟ ولو بقيت على ظهر الأرض لأغرقتها ، ولغطى الفحم جل أرجائها ، ولكنها تختفى وتتلاشى ، فأين تذهب ؟ وقد يقول قائل : إنها تحترق ، وبالاحتراق تتلاشى ، فلا يبقى لها أثر يذكر أو يعتد به ، وتقول الحقائق العلمية : إن المادة لاتفنى ، ولكنها تتحول من شىء إلى شىء آخر ، يختلف قواما وكثافة ، ومظهرا وأثرا ، فالبترول والفحم والغازات القابلة للاشتعال ، تتحول بالاحتراق إلى غازات تتصاعد فى طبقات الجو ، لها خصائصها ، السامة الخانقة للحياة ، والتى من أهمها غاز (ثانى أكسيد الكربون) فإذا زاد على نسبته الكائنة فى الجو ، والتى تناسب الحياة ، وتحفظها للأحياء ، فإنها حينئذ تكون قاتلة ، فلا يبقى على وجه الأرض حى ، فما القول فى الكم الهائل الرهيب الذى تنفثه كل لحظة تلك الآلات المتوحشة التى تتحرك فوق الأرض بالاحتراق ، ومع ذلك فإن الحياة لاتزال باقية ، حتى وإن أصابها شىء من الوهن . ويقول قائل : إن الطبيعة قادرة على إيجاد التوازن فى عناصرها ، والانتفاع بما يزيد فى أى عنصر من العناصر ، فثانى أكسيد الكربون تستنفذه النباتات والغابات فى تكوين الأخشاب ، ويذوب بعضه فى مياه المحيطات ، فلا يتبقى شىء فى الجو يكون ضاراً . ولكن هذا القول يصطدم مع حقيقة أن النبات والغابات والأجسام كانت من قديم الزمان وعناصر الجو متوازنة ، بل إنها كانت فى الماضى أكثر انتشارا على سطح الأرض منها الآن فى حين

أن الكربون وغيره من الغازات قد تضاعف آلاف المرات ، ولو أن النباتات هى التى تمتص وتستنفد الزائد لغطت وجه البسيطة ، فلا تجد شبرا من غير شجرة قائمة عليه ، والحياة لاتزال هى الحياة ، وإن كان علماء البيئة يدقون نواقيس الخطر .

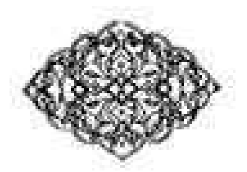
●●●

لقد قرأت منذ سنوات فى صحيفة الأهرام القاهرية ما يلى : ـ « غادرت (شيلى) أمس مجموعة تضم عشرة من العلماء على متن طائرة تم تجهيزها لاستخدامها كمعمل طائر فى طريقها إلى القارة القطبية الجنوبية ، للتأكد مما إذا كان قد حدث ثقب فى طبقة (الأوزون) التى تحمى الأرض من الأشعة الشمسية الضارة » ، وتوالت الأنباء بعد ذلك بأن السور (الأوزون) المحيط بالأرض لحمايتها قد احترق وثقب ، بفعل الغازات المنبعثة من الأرض بالاحتراق ، وأيضا بغازات أخرى أهمها (الفريون) وعن طريق هذا الثقب تصبح الأرض غرضا سهلا للأشعة الكونية القاتلة .

وإزاء ماتقدم ، فإنى أتوجه إلى علماء الطبيعة والكيمياء ، والفلك ، وخبراء البيئة ، وأعنى بالبيئة هنا المجال الجوى الذى تتعامل معه الأرض بمختلف أقطارها وأركانها ، أتوجه إلى هؤلاء جميعا ، ومعهم علماء الشريعة الإسلامية ، والتفسير ، بالسؤال الآتى : ـ هل يمكن للغازات المتصاعدة من سطح الأرض أن تنفذ ـ ولو بسلطان العلم ـ إلى الفضاء الخارجى وتنفصل عن الأرض ، كما تنفذ مركبات الفضاء بمن ، وما فيها وكما تنفذ الأصوات والأشعة خروجا من المجال المغناطيسى الأرضى ، وأيضا كما تنفذ الأشعة والأضواء والنيازك والمركبات والصواريخ إلى الأرض ، دخولا ؟

فإذا كان الجواب بالإيجاب ـ وما أظنه إلا كذلك ـ فإننا حينئذ نكون أمام انكشاف سر من أسرار كتاب الله المكنون (القرآن الكريم) ، وأمام معجزة باهرة من معجزاته التى لا تنفد ، والتى يكون منها إلقاء الأرض ما فيها بعيدا عنها ، والتخلى عنه ، وبذلك يكون الواقع قد صدق المعنى الأصلى لألفاظ الآية وجملتها ، والذى غاب عن عقول الفحول فى العصور الخوالى .

أما إذا كان الجواب بالنفى ، فإنى ألتمس من السادة العلماء والخبراء ، أن يتفضلوا ببيان شاف مقنع مبنى على أسس علمية مقطوع بصحتها ، عن مصير سحب الغازات المختلفة الهائلة ، المتصاعدة من الأرض بشكل رهيب ، وأيضا عن حقيقة طبقة(الأوزون) وعوامل تحللها واختراقها ، واضعين نصب أعينهم ، وقرائحهم ، الآية الجليلة ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (الانشقاق : ٤) .





لفضيلة الشيخ :
معوض عوض إبراهيم

الإسلام رباني المصدر إنساني الغاية . فما فرضه الله تعالى فيه على عباده من أمر أو نهاهم عن آخر إلا وهو يرعى طاقتهم ووسعهم :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤) .

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه »[1] ، والمسلم ينتهي من صلاته فيجد إخوانه عن يمينه وشماله ، ومن بين يديه ومن خلفه ، إخوانا له يتواصى وإياهم بالحق ، ويتعاونون على البر والتقوى ، أو هكذا ينبغي أن يكونوا فيا تحاذت منهم المناكب ، ولا تلاصقت الأجسام إلا لشد العرى وإحكام وثاق الأخوة ، وهكذا نلحظ الصيام وما يفعل ، والزكاة وما تصنع ، والحج وهو المؤتمر الأكبر الذي يلتقي فيه المسلمون عربا وعجما ، بيضا وسودا ، وحمرا وصفرا مستعرضين أمور المسلمين في شتى أقطارهم ، مجتمعين على حل مشكلاتهم ، فالإسلام دين الجماعة في الصلاة وسائر التكاليف .

إنه دين الجماعة حتى في طعامهم وشرابهم يلحظ ذلك من يقرأ قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (الأنبياء : ٩٢) .

ومن يقرأون مثل قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم »[2] ، كذلك صنع الإسلام منذ لحظته الأولى :

---

(١) أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

(٢) أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر .

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٦٣) .

ولقد كان يروع أعداء الإسلام أن يروا المسلمين فى صفوف الصلاة منذ علم المسلمون أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، ثم يكون للمسلمين تجمع أكبر فى عيد الأسبوع فى صلاة الجمعة ، ثم يكون التجمع الأكبر والأكبر فى صلاة العيدين ، وفى موقف الجميع فوق عرفات ، لا يذكرون إلا رب الأرض والسموات .

والأعياد فى الإسلام هى يوما الفطر والأضحى ، وأيام ثلاثة بعد عيد الأضحى ، ويوم الجمعة ، يقول الإمام ابن حزم فى كتابه الجامع « المحلى » إن الله ـ عز وجل ـ لم يجعل للمسلمين إلا هذين العيدين ، وما جعل رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيرهما للمسلمين منذ هاجر إلى المدينة ، وقام المسلمون فى عاصمة الإسلام الأولى بما يجب عليهم من تأمين الدولة ، وتحصين منافذها ، وألقى الله تعالى بهم الرعب فى قلوب المشركين فى مكة والمنافقين واليهود فى المدينة .

ولقد رأى الرسول أهل المدينة يحتفلون بعيد لهم ، وسأل النبى الصحابة ما الذى يفعل القوم فلما أخبروه بأنهم فى عيد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : « لقد أبدلكم الله خيرا من عيدهم عيد الفطر وعيد الأضحى » ، إنها أيام تبرز جوانب الإنسانية فى دين الله ، فإن المسلمين الذين قضوا شهرهم صائمين ، صائنين جوارحهم عن مساخط الله ـ عز وجل ـ بعد أن أفادهم الصوم التقوى التى تعنى الإرادة الخيرة المسيطرة على المؤمن الصائم ، كانوا فى ليلهم كذلك قائمين لله بطاعات وعبادات تقترن بهذا الشهر فلا يراهم الله إلا مصلين تارة ، وتالين كتابه تارات ، ودارسين ما فيه من عبر وعظات ، معاهدين الله على أن يأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه وزواجره ، هؤلاء الذين عمر الإيمان قلوبهم ، ورطب القرآن ألسنتهم ، وحرك التدبر والنظر فى كتاب الله خواطرهم وأذهانهم ، ولانت بالبذل والسخاء أيديهم اقتداء بنبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى كان يعطى القرآن فى رمضان أضعاف أضعاف ماكان يعطيه فى غيره من الشهور والأيام ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة .

يلقى المسلمون بانقضاء شهرهم يوم الجائزة بعد ليلة يقول فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى ليلة العاشر من ذى الحجة ـ عيد الأضحى ـ : « من أحيا ليلتى العيد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب »[1] ، وإحياء هاتين الليلتين قد يكون بإعداد الجديد من الثياب والشهى من الطعام ، والكثير من النفقة ، وقد يكون تخطيطا لما ينبغى أن نكون عليه فى أعياد الإسلام من صلة الأرحام ، والارتفاع على دواعى القطيعة والخصام ، والتفكير فى أولئك الضعفاء واليتامى

(١) أخرجه ابن ماجه بسنده عن أبى أمامة .

الذين لا يجدون من حولهم ما يسد حاجتهم ويطارد فاقتهم ويشعرهم أنهم والمسلمين جميعا بنعمة الله إخوان .

هذه ملامح من إنسانية الإسلام فى أعياده وهى مع ذلك مظاهر عزة وقوة ومنعة ، ألا ترى المسلمين وهم يخرجون إلى مصلى العيد رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل ، والحمد لله الذى أعانهم فصاموا ، ورزقهم فأفطروا ، وأطل بهم فى يوم الجائزة على ذلك البشر وهذا السرور الذى يطبع مجتمعهم كله ، وهم فيه يتبادلون التهانى ويتقارضون الأمانى ، ويدعون الله ـ عز وجل ـ وهم يلحظون معنى العود من العيد أن يعيد الله هذه الأيام المباركة على أمة الإسلام وقد قوى من روابطها ما وهى ، وصلح من أمورها ما فسد ، واجتمعت قلوبها من جديد بعد أن سول لها أعداؤها ووسوس لها خصومها بما يفت منهم العضد ويبدى الوهن ، أجل . . يدعو المسلمون ربهم فى أعيادهم أن يعزهم بالإسلام وأن ينير بالقرآن مسالك حياتهم ، وأن يوحد منهم الصف ، ويشد عرى أخوتهم ، إن هذا وغيره يؤكد إنسانية الأعياد فى الدين الخاتم ، فهل نأخذ من الإسلام معطياته فى الأعياد وفى غيرها حتى نرى رضا الله علينا مرة أخرى ؟ ونحن حالا ومآلا كما أرادنا فى قوله :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

(آل عمران : ١١٠) .

وكم تكون إضافة نافعة أن تشع إنسانية الإسلام أمام أعيننا وفى واقع حياتنا ، ونحن نذكر أيام الخير التى مرت بأمتنا فى أمثال نصر بدر وفتح مكة والظفر بالأعداء والخصوم فى عين جالوت ويوم حطين وغيرها من المواقع التى أذاقنا الله فيها نعمة الظفر بالخصوم والقهر لأعداء أمة التوحيد ، وغيرها من الأمم التى أذكر منها نصر الله للروم وهم أهل كتاب على الفرس بعد بضع سنين من ظفر الفرس بالروم ، وأوحى الله فى ذلك إلى مصطفاه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ الم ۝ غلبت الروم ۝ فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ۝ فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ۝ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ۝ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ ﴾

(الروم : ١ ـ ٦) .

إلى احتفاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصيام يومى الاثنين والخميس ، شكرا لله ـ عز وجل ـ على أنعمه التى نرجو أن تدوم وتتصل حتى نكون شاكرين ذاكرين حامدين لله ماحيينا ، مستنجزين خير الله ، الذى يذكر من يذكره ، ويشكر من يشكره ، ويتولى الصالحين ، فإن الخير يلد الخير ، ويثمر الإحسان ، وحاشا لله أن يظلم الناس مثقال ذرة من خير أو معروف فى حياة يشرق بالمعروف وجهها ، ويسعد الناس فيها مواجهتهم للمعروف من غيرهم ، بالمعروف الذى أسدوه لهم ، فصنع المعروف للجميع فرص الصفو والعافية والأمن والرفاهية ، وهل تكون الأعياد إلا هكذا ؟

صفوا يحيط الجميع ورفاهية يغريان بالتآلف والتعارف والتناجى بالبر والتقوى والتعاون على مزيد من دواعى التآخى الذى لا يرغد الحياة سواه مع الإيمان بالله الذى بيده الخير وله الأمر وإليه المصير .



٦

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

وحدث أن طلب المغيرة بن شعبة أمير الكوفة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يسمح لغلامه (فيروز) وكنيته (أبو لؤلؤة) بدخول المدينة ، فقد كان الخليفة قد منع من احتلم من المجوس وسبى القتال من دخول مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورغب المغيرة أمير المؤمنين فى ذلك بأن أبا لؤلؤة رجل ماهر ، يجيد عددا من الصناعات ، فهو نجار ، وحداد ، ونقاش ، فأذن له عمر .

وكان أبو لؤلؤة مجوسيا ، يضمر الحقد على الإسلام والمسلمين ، وكان إذا نظر إلى السبى الصغار يأتى يقول : « أكل عمر كبدى » .

وكان أبو لؤلؤة يصنع الأرحاء ، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم ، فلقى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إن المغيرة قد أثقل علىّ فكلمه ، فقال : أحسن إلى مولاك - ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه - فغضب ، وقال : يسع الناس كلهم عدله غيرى ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجرا ، وشحذه وسمه ، وكان عمر يقول « أقيموا صفوفكم » قبل أن يكبر ، فجاء فقام حذاءه فى الصف وضربه فى كتفه وفى خاصرته فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلا معه ، فمات منهم ستة ، وحمل عمر إلى أهله ، وكادت الشمس تطلع ، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين ، وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه

فلم يتبين ، فسقوه لبنا فخرج من جرحه ، فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت ، فجعل الناس يثنون عليه ، ويقولون : كنت وكنت ، فقال : « أما والله لوددت أن خرجت منها كفافا ، لا علي ولا لي ، وإن صحبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سلمت لي ، وأثنى عليه ابن عباس[1] .

عمر يعين أمراء الشورى

ويروى الإمام أحمد : أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال حين قيل له : أوص يا أمير المؤمنين : « إن أدركني أجلي ، وأبو عبيدة بن الجراح حي استخلفته ، فإن سألني ربي قلت : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إن لكل نبي أمينا ، وأميني أبو عبيدة بن الجراح » ، فإن أدركني أجلي ـ وقد توفي أبو عبيدة ـ استخلفت معاذ بن جبل ، فإن سألني ربي : لم استخلفته ؟ قلت : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة » ، وفي المسند عن أبي رافع : أنه قيل لعمر عند موته في الاستخلاف : فقال : « قد رأيت من أصحابي حرصا سيئا ، ولو أدركني أحد رجلين ، ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبو عبيدة بن الجراح » .

ثم قال أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ : « ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ، الذي توفي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو عنهم راض » . . وقد جعلتها شورى في عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد » . . وقال : « يشهد عبد الله بن عمر معهم ، وليس له من الأمر شيء ، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة[2] » .

الرقباء على أمراء الشورى

ووكل عمر بأمراء الشورى خمسين رجلا من المسلمين ، وجعل عليهم مستحثا : أبا طلحة الأنصاري والمقداد بن الأسود الكندي ، وصهيب الذي قال له عمر : « صل بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل عليا ، وعثمان ، والزبير ، وسعدا ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ـ إن قدم ـ وأحضر عبد الله بن عمر ، ولا شيء له من الأمر ، وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد ، فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم ، وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فإن رضي ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس[3] .

عبد الرحمن بن عوف يمسك الزمام[4] .

فلما مات عمر في نهاية ذي الحجة لعام ٢٣هـ ، وأحضرت جنازته تبادر إليها علي وعثمان أيهما يصلي عليه ، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف : « لستما من هذا في شيء ، إنما هذا إلى صهيب الذي أمره عمر أن يصلي بالناس ، فتقدم صهيب وصلى عليه ، فلما فرغوا من دفن أمير المؤمنين جمع المقداد

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص (١٢٥ ، ١٢٦) ط دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت .
(٢) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص (١٢٦) .
(٣) الطبري (٥/ ٣٤ : ٣٧) ، ابن الأثير (٣/ ٣٠ : ٣١) .
(٤) ابن كثير « البداية والنهاية » ، (٧/ ١٥٩ : ١٦١) .

ابن الأسود أمراء الشورى فى بيت يتشاورون فى أمرهم ، فكثر القول وعلت الأصوات .

وقال أبو طلحة : إنى كنت أظن أن تدفعوها ، ولم أكن أظن أن تنافسوها ، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم مالهم فى ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علىّ ، وفوض سعد ما له فى ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقه إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلىّ وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه ؟ والله عليه والإسلام ليولين أفضل الرجلين الباقين فسكت الشيخان علىّ وعثمان ، فقال عبد الرحمن : إنى أترك حقى من ذلك ، والله علىّ والإسلام أن أجتهد فأولى أولاكما بالحق ، فقالا : نعم ! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن ، ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن ، فقال كل منهما : نعم ! ثم تفرقوا .

ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ، ليجتهد للمسلمين فى أفضلهم ليوليه ، فيذكر : أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى ، وغيرهم فلا يشير إلا بعثمان بن عفان ، حتى إنه قال لعلى : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به علىّ ؟ قال : بعثمان ، وقال لعثمان : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به ؟ قال : بعلى بن أبى طالب ، والظاهر أن هذا كان قبل أن ينحصر الأمر فى ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل ، والله عليه والإسلام ليجتهدن فى أفضل الرجلين فيوليه ، ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يستشير الناس فيهما ، ويجمع رأى المسلمين برأى رؤوس الناس وأقيادهم جميعا وأشتاتا ، مثنى وفرادى ، ومجتمعين ، سرا وجهرا ، حتى خلص إلى النساء المخدرات فى حجابهن ، وحتى سأل الولدان فى المكاتب ، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة ، وفى مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان فى تقدم عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلى بن أبى طالب ، ثم بايعا مع الناس على ما سنذكره .

فسعى فى ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها ، لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاء واستخارة ، وسؤالا من ذوى الرأى عنهم ، فلم يجد أحدا يعدل بعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ، فلما كانت الليلة يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب ، جاء إلى منزل ابن أخته المسور بن مخرمة ، فقال : أنائم يامسور ؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادفع إلى عليا وعثمان ، قال المسور : فقلت بأيهما أبدأ ؟ فقال : بأيهما شئت ، قال : فذهبت إلى علىّ ، فقلت : أجب خالى ، فقال : أمرك أن تدعو معى أحدا ؟ قلت : نعم ! قال : من ؟ قلت : عثمان ابن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟ قلت : لم يأمرنى بذلك ، بل قال : ادع لى أيهما شئت أولا ، فجئت إليك ، قال : فخرج معى ، فلما مررنا بدار عثمان ابن عفان جلس علىّ حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر ، فقال لى كما قال لى علىّ سواء ، ثم خرج فدخلت بهما على خالى وهو قائم يصلى ، فلما انصرف أقبل على علىّ وعثمان فقال : إنى قد سألت الناس عنكما فلم أجد أحدا يعدل بكما أحدا ، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضا ، لئن ولاه ليعدلن ، ولئن ولىّ عليه ليسمعن وليطيعن .

البقية ص ١٤٧٧



استفتاءات القراء

يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ:

السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد / محمود إسماعيل من الغربية يقول :

هل تعد النية من أركان الصيام بحيث لا يصح الصيام إلا بالنية ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد :

فنفيد بأن النية فى الصيام ركن من أركانه لا يصح بدونها . لقوله - ﷺ - : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » . وتكفى لشهر رمضان كله نية واحدة ولكنه يستحب تجديدها كل ليلة من ليالى رمضان ، وتصح النية فى أى جزء من أجزاء الليل ، وليس المقصود هو التلفظ بالنية لأنها عمل قلبى ، وحقيقتها القصد إلى الفعل امتثالا لأمر الله - تعالى - وطلبا لوجهه الكريم ، ومن تسحر بالليل قاصدا الصيام فهوناو للصيام ، ومن عزم أثناء الليل على الكف عن المفطرات أثناء النهار مخلصا لله - تعالى - فهو ناو للصيام كذلك وإن لم يتسحر هذا وبالله التوفيق والله أعلم ؟

السؤال مقدم من السيد / طه الجندى من الدقهلية يقول : كيف نصوم رمضان إيمانا واحتسابا ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد :

فنفيد بأن رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يقول : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا

غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فصيام رمضان يكفر خطايا الإنسان كما ورد فى الحديث ، ومعنى أن يصوم إيمانا واحتسابا أن يكون الصيام موجها له فى كل سلوكه فيتعلم من الصيام مراقبة الله فى أعماله ، والإخلاص له وعندئذ يحترز عن الخطايا والمنكرات ويكون ممن انتفع من الصيام ولا حرج على فضل الله الذى يغفر الذنوب ويقبل التوبة عن عابده ، ويعفو عن السيئات . ولقد اشترط رسول الله ـ ﷺ ـ فى مغفرة الذنوب أن يكون الصوم إيمانا واحتسابا ، وشرط الصيام إيمانا واحتسابا : أن يبدأ الإنسان فيه بالتوبة الخالصة النصوح ، فإذا كانت كذلك فإنها تثمر التقوى فإذا ما أثمرت التقوى كان الإنسان فى رضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الدنيا والآخرة والله تعالى أعلم :

السؤال مقدم من السيد / د . منير عثمان من القاهرة يقول :

ما حكم من مات وعليه صيام ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد

فنفيد بأن العبادات فى الإسلام تنقسم إلى ثلاثة أقسام : بدنية محضة ؛ كالصلاة والصوم لا دخل للمال فيهما .

ومالية محضة : كالزكاة والصدقة فإن القصد منها نفع المتصدق عليهم بالمال .

ومركبة منهما : كالحج فإن فيه الخضوع لله ـ تعالى ـ بالطواف والسعى وغيرهما من الأعمال ، وفيه أيضا إنفاق المال فى هذا السبيل . أما القسم الأول فلا يقبل النيابة فيه مطلقا فلا يجوز للمرء أن يستنيب من يصلى عنه أو يصوم ولو فعل ذلك لاينفعه حيا ولا ميتا ، وأما القسم الثانى فيقبل النيابة فيجوز لمالك المال أن يوكل من يخرج عنه زكاة ماله ، أو يدفع صدقة للغير .

وكذلك الحج يقبل النيابة فيه ، وإن كان المالكية قد خالفوا فى ذلك وقالوا : إن الحج لا يقبل النيابة والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / حسن طه يقول فيه :

أنا مريض بالربو ووصف لى الطبيب أن استعمل « البخاخة » المعروفة وهى عبارة عن جهاز من المطاط بداخله دواء يساعد على التنفس وقت الحاجة فهل استعمالها فى الصوم يفسده ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد :

فنفيد بأن مثل هذا المريض غير مكلف بالصوم فى وقت مرضه ، ثم إن كان موسراً أخرج عن كل يوم يفطره نصف صاع من بر أو قيمته والكيلة بالكيل المصرى تكفيه عن ستة أيام والشهر يكفيه خمس كيلات أو ما يساوى ثمنها ، أو يطعم مسكينا كل يوم بمقدار إفطاره وسحوره فقط والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / الشحلوط الاديب يقول فيه :

عندى عملية بالحالب ، ونصحنى الطبيب بعدم الصيام تحاشيا لعودة المرض فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد

فنفيد بأن هذا السائل يعتبر معذوراً شرعا فى فطره ، وحيث إنه معرض لمثل هذا المرض لو صام فإن الواجب عليه فى كل عام أن يفطر وأن يخرج الفدية . وهى أن يطعم عن كل يوما مسكينا ، ومقدار الإطعام غداء وعشاء مشبعان من متوسط طعامه ، أو يعطى كل مسكين ثمن أكلتين ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السـؤال مقـدم من السيـد / عبد الرحيم فضل الله من المنيا يقول :

متى يفطر المسافر ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد :

فنفيد بأن جهور الفقهاء على أن المسافر الذى يجوز له الفطر فى رمضان لابد أن يطلع عليه الفجر وهو مسافر ، وأن يكون سفره طويلا (حوالى ثمانين كيلو مترا تقريبا) حتى لو كان السفر مريحا ـ كالسفر بالطائرة ـ فيجوز له الفطر ، فإذا كان قصيرا فلا يجوز له الفطر ، وإذا طلع عليه الفجر وهو غير مسافر وسافر بعده فلا يجوز له الفطر عند جمهور الفقهاء ، وأجاز أحمد ابن حنبل الفطر للمسافر مطلقا حتى لو كان السفر بعد الزوال ـ ولا مانع من تقليد هذا المذهب إذا كان فى الصوم مشقة ـ ثم قال العلماء : إذا بيت النية للصيام فى السفر يجوز له الفطر ولا إثم عليه وعليه القضاء وهو مذهب الشافعية والحنابلة ـ ومنعه المالكية وأوجبوا عليه القضاء والكفارة إذا أفطر ـ كما منعه الحنفية وأوجبوا عليه القضاء دون الكفارة ، وقال الحنابلة : يسن له الفطر ويكره الصوم ولو لم يجد مشقة وذلك لحديث الرسول ـ ﷺ ـ : « ليس من البر الصيام فى السفر » والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيدة / فاطمة رضوان تقول فيه :

متى تجب زكاة الفطر وهل يجوز تعجيلها عن وقت وجوبها ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد

فنفيد بأن العلماء اتفقوا على أن زكاة الفطر تجب عقب غروب شمس آخر يوم من رمضان قبل طلوع فجر يوم العيد والأرجح أنها تجب فى آخر رمضان ، وأجاز العلماء تعجيل صدقة الفطر بيوم أو بيومين ، وأجاز الشافعى تقديمها من أول الشهر وهو ما نميل إليه ، بل هو الرأى الراجح لإعطاء الفرصة للفقير للتصرف فيها قبل حلول العيد .

ولا يجوز تأخيرها عن وقت صلاة العيد فقد جاء في الحديث : « من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » .

كما اتفق الأئمة على أن زكاة الفطر لا تسقط بالتأخير بل تصير دينا في الذمة ، وجاء في السنة أن صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر ، هذا إذا كان الحال كما ذكر في السؤال والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / هانى السيد يقول فيه :

على من تجب زكاة الفطر وما مقدارها ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد

فنفيد بأن زكاة الفطر تجب على الحر المسلم المالك لمقدار صاع (حوالى قدح ونصف) بالكيل المصرى يزيد على قوته وقوت عياله يوم العيد وليلة العيد وتجب على الفرد عن نفسه وعمن تلزمه نفقتهم الذين يتولى أمورهم ويقوم بالإنفاق عليهم كزوجته وأبنائه وخدمه إلى آخره .

ومقدارها صاع من القمح أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الأرز أو الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر قوتا ، فالكيلة توزع على ستة أفراد (قدح ونصف) تقريبا أو الكيلة توزع على أربعة أفراد (قدحان) تقريبا ... وأجاز أبو حنيفة إخراج القيمة وهذا ما نميل إليه في هذه الأيام كى ينتفع الفقير بهذه السيولة النقدية ويشترى ما يحتاج إليه .

السؤال مقدم من السيد / المرسى المرسى الجندى يقول فيه :

لمن تصرف زكاة الفطر وما هو المكان المفضل للصرف ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد

فنفيد بأن مصرف زكاة الفطر هو مصرف الزكاة وهم الأصناف الثمانية الوارد ذكرهم في كتاب الله :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٠)

وأولى الأصناف بها هم : الفقراء لأن الهدف من الزكاة في كل وقت هو سد حاجة الفقير وما شرعت الصدقات إلا للفقراء لقوله ـ ﷺ ـ : « أغنوهم عن طواف هذا اليوم » وفي رواية أخرى « عن المسألة » .

والأفضل في صرف الزكاة في نفس بلدها ولفقرائها وإعطاء الزكاة للقريب أفضل لأنها صدقة وصلة ، وكذلك إذا لم يوجد من يستحق الزكاة في المكان الذى وجبت فيه فإنه يجوز نقلها إلى مكان آخر يوجد فيه المحتاجون للزكاة والله تعالى أعلم .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

تحقيق القول فى ليلة القدر

لفضيلة الإمام الدكتور الشيخ:

عبد الرحمن تاج الدين

إعداد وتقديم:

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فى ليلة من ليالى هذا الشهر الكريم ارتجت الأرض، وتنزلت الملائكة من السماء، وأشرقت بنور ربها، وتهيأ الكون كله ليستقبل أول آية من القرآن الكريم، تنزلت على قلب نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ولتكون أول آية من هذا الكتاب الخالد تنزل من عالم الغيب إلى عالم الشهود، ومن مكنون اللوح إلى ظاهر الوجود.

ولقد استحقت هذه الليلة الكريمة التى نزل فيها القرآن أن تكون «ليلة القدر»، ليلة الشرف والعزة والكرامة والحرية والعدالة والمساواة، لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر يحمل هذه المعانى كلها التى بلغها محمد - صلى الله عليه وسلم - للناس وجاهد من أجلها، وكافح فى سبيلها، حتى كانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله. ولحكمة أرادها الله - سبحانه وتعالى - أن فضل بعض الناس على بعض، وميز بعض الأماكن على بعض، وفضل بعض القرون على بعض، وكذا بعض الأيام على بعض، وتجلت فى هذا قدرته وعظمته بتفضيل شهر رمضان على جميع الشهور، وليلة القدر فيه على سائر لياليه، حيث هى الليلة المباركة كما سماها القرآن الكريم: ففيها أنزل الله القرآن، وفيها تتنزل ملائكة الرحمن تروح وتغدو بإذن الله، وهى الليلة العظيمة الشأن فيها يفرق كل أمر حكيم. فيها يسود السلام، ويكثر الخير، ويعم الأمن والأمان، ويتحقق الاطمئنان.

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ (القدر - ٥).



ويسعدنا أن نقدم للقارىء الكريم هذا البحث القيم فى تحقيق القول فى ليلة القدر لفضيلة الإمام الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج ـ رحمه الله ـ والذى نشر فى عام ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م المجلد الرابع والعشرون .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذه كلمات قصدت بها تحرير القول فى معنى ليلة القدر وبيان المراد بها أخذا مما تفيده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتحدث عن هذه الليلة فى معرض حديثها عن نزول القرآن الكريم .

والذى دعانى للكتابة فى هذا الموضوع أن كثيرا من الكتاب والخطباء فى أوقاتنا الحاضرة قد انتحوا بهذه الليلة فى مقالاتهم وخطبهم ناحية قد تعتبر ـ فى بادىء الرأى ـ من التجديد الشائق فى تفسير آيات الكتاب العزيز .

فأردت بهذه الكلمات أن أبين أن هذا الذى ذهبوا إليه فى تفسير سورة القدر ، وفى تعيين المعنى الذى اختاروه لليلة القدر ليس جديدا ، وإنما هو رأى قديم غير مشهور وأن السر فى أنه لم يسعد بالشهرة عند العلماء ، ومن يعنيهم أمر القرآن ممن تخصصوا فى تفسيره ، وكانوا أهدى من غيرهم فى فهم نصوصه هو أنه رأى ضعيف لا تنهض به حجة قوية ، ولا يساعد عليه أسلوب الآيات القرآنية نفسها فى حديثها عن هذه الليلة .

وقد ضمنت هذه الكلمات الأبحاث الآتية :

معنى ليلة القدر ـ ليلة القدر ونزول القرآن ـ شرف ليلة القدر وجلالة شأنها ـ هل هى ليلة واحدة فى عمر الدنيا أو تتكرر بتكرر الأعوام ؟ موقعها من ليالى السنة . والله الموفق والهادى إلى الصواب وحسن السداد .

ليلة القدر:

جاء فى القاموس ولسان العرب وغيرهما من كتب اللغة « القدر » بسكون الدال يطلق على معان : منها الشرف وعظم الشأن ورفعة المكانة .

ومنها التعظيم والتبجيل ورفع المكانة .
ومنها تقدير الشيء وتحديده وضبط صفاته وأحواله .
فمن الأول قولك : فلان له قدر أى له شرف وعلو شأن .

ويصح أن يكون منه ، ومن الثانى قولك : المسلمون يقدرون الرسول قدره ، أى يعرفون له سمو المكانة أو يعظمونه حق التعظيم ، ومن ذلك أيضا قوله -تعالى- فى المشركين :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (الأنعام ٩١)

أى ما عظموه حق عظمته وما قدسوه حق تقديسه .

ومن الثالث قولك : قدر الله الأجال والأرزاق قدرا ، بمعنى كتبها وحددها وضبط مقاديرها ومواقيتها وسائر أحوالها . ومن هذا القبيل قولك : قدر فلان القذة بالقذة إذا ضبط الأولى بالثانية وحدد بها مقدارها فأتت على وفقها مساوية لها .

وبسبب اختلاف معنى القدر لغة وتنوعه على النحو الذى ذكرنا فقد اختلف علماء السلف فى معنى القدر الذى نسبت إليه الليلة فى كلمة « ليلة القدر » .

فمنهم من قال : إن الشرف والسمو وعظم الشأن ورفعة المكانة . فليلة القدر هى ليلة الشرف والشأن العظيم وهى ليلة البر والخير والسلام والبركة .

ومنهم من قال : إن القدر معناه تقدير الأشياء وتدبيرها وضبط صفاتها وأحوالها .

فهذان قولان يدور عليهما الاختيار فى تحديد معنى ليلة القدر ، ولا حاجة بنا للتعرض لغيرهما من الأقوال فإنه مما لا يكاد يعول عليه . غير أنه ينبغى أن يوقف عند كل من هذين القولين ليسأل :

أولاً : إذا كان القدر معناه الشرف والعظم ورفعة الشأن فبماذا كان شرف ليلة القدر ؟ وهل هى ليلة لها مميزات سابقة على الرسالة وعلى نزول القرآن ، ولها وجود يمكن أن تميز معه باسم « ليلة القدر » حتى مع عدم مراعاة أنها الليلة التى نزل فيها القرآن ؟

وثانياً : إذا كان القدر معناه التقدير فما المراد بهذا التقدير ؟ وما هى الأشياء التى تقدر فى تلك الليلة ؟ هل هى خصوص أحكام الشريعة وقواعد الدين أو هى جميع ما أراد الله أن يجريه على العباد والأكوان مما سبق به علمه المحيط ؟

وأما عن الأول ، فقد صرح القرآن فى سورة القدر تصريحا لا يقبل الشك أن القرآن أنزل فى هذه الليلة ، وأنها ليلة كلها خير وسلام من أولها حتى مطلع الفجر ، وأنها خير من ألف شهر :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ① وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ② لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ⑤ ﴾

(سورة القدر) .

ليلة القدر

وقال ـ تعالى ـ فى سورة الدخان :

﴿ حمٓ ① وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ ﴾ (الدخان ـ ١ : ٣)

ولكن هل ما امتازت به هذه الليلة من الخير والبركة والسلام والأمن ، وما وصفت به من الشرف والسمو ورفعة الشأن قد اكتسبته من نزول القرآن فيها فحسب ، وأنه لولا ذلك ما كان ليثبت لها شىء من هذه المزايا ، وما كان يطلق عليها اسم « ليلة القدر » ؟ أو أنها ليلة قدر وشرف ، لها من قبل الرسالة ونزول القرآن خصائصها وميزاتها ، ولها اسمها وسمو مكانتها ، وأنها من أجل فضلها وشرفها اختارها من بين الليالى لينزل فيها ما نزل من القرآن .

قد مال إلى الوجه الأول الشيخ محمد عبده ، عليه سحائب الرحمة ، ولم ير أن لليلة القدر فضلا ولا شرفا ، ومزية إلا من أجل أن الله تعالى « قد أعلى فيها منزلة نبيه » ، وشرفه وعظمه بالرسالة ، وأوحى إليه بما أوحى من القرآن الذى هو كتاب الهداية والسعادة والخير والبر والبركة » .

اختار ـ رحمه الله ـ هذا الوجه متابعا فيه بعض من تقدم من العلماء ثم تبعه عليه كثير من أهل العلم فى عصرنا الحاضر .

وقد يكون لهذا الوجه ـ فى بادىء النظر ـ شىء من الوجاهة ، ولكنا نرى فى الوجه الثانى ـ عند التحقيق ـ أجود الرأى وأوجهه وأحقه بالنصرة والتأييد ، وذلك للمعانى التالية :

« الأول » : أن قوله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ① ﴾ (القدر ـ ١) .



إعلام من الله سبحانه وتعالى لنبيه بعد ما أوحى إليه فى تلك الليلة بما أوحى من القرآن الكريم ـ أنه كرمه بهذا الوحى فى ليلة القدر والشرف العظيم ، وأن هذه الليلة لها من الخصائص والمزايا ما جلاه الله لنبيه فى هذه السورة والشرف والعظيم ، وأن هذه الليلة لها من الخصائص والمزايا وخصائص الشرف التى أريد إعلام النبى بها ـ مقصورا على ما كان فى ليلة الوحى ؛ فإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعلم حق العلم أنه قد أكرم فيها بنزول القرآن ، وأنها من أجل ذلك ليلة مباركة كلها خير وسلام ويعلم حق العلم أنه قد جاء فيها الروح الأمين أمين الوحى ؛ ولابد أن يكون له علم كذلك بمن تنزل فيها من ملائكة الله . وعلى هذا يكون بعيدا جدا أن يكون المقصود إعلامه بشىء من ذلك الذى هو به جد عليم . وهل يكون مستقيما ـ بعد ما عرف فضل هذه الليلة بنزول القرآن ، وعرف تنزل الملائكة فيها ورأى الروح الأمين رؤية العيان ـ أن يقال له : إنا أنزلنا القرآن فى الليلة التى اكتسبت الفضل والشرف بنزوله وبما تنزل فيها من الروح والملائكة ؟ أليس يكون ذلك إعلاما بما هو معلوم ؟

ومهما بذلت الجهود فى تلمس الوجوه لاستقامة هذا الإخبار فإنه على ذلك المعنى الأول الذى سار عليه الشيخ محمد عبده غير مستقيم .

والذى نراه أن قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① ﴾ (القدر ـ ١) .

ظاهر جداً فى أن القدر والشرف وجلالة الشأن ثابتة لليلة القدر من قبل أن ينزل القرآن ، وأنها ليلة معروفة بذلك الاسم عند الله وعند من أطلعهم الله عليه من عباده وصفوة خلقه ، وأن هذا التعبير :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① ﴾ (القدر ـ ١) .

من قبيل قولك : قدم فلان فى ليلة العيد أو ليلة الصوم أو ليلة كذا وكذا من الليالى المشهورة بمعنى من المعانى . فليلة القدر معروفة ـ كما قدمنا ـ بذلك الاسم الذى صار علماً عليها لما اختصت به من المزية والشرف . وهذه الليلة المعروفة بذلك الاسم والمخصوصة بتلك المزية وذلك الشرف من بين ليالى السنة ، أراد الله أن يعلم نبيه أنها هى الليلة التى اختارها لينزل فيها أول ما نزل من القرآن فيتناسب بذلك شرف الكتاب العظيم مع شرف الزمن الذى نزل فيه .

« الثانى » أن قوله تعالى :

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ (القدر ـ ٤) .

ظاهر فى أن ليلة القدر يتكرر كونها ، ويتجدد مجيئها ، فليست ليلة واحدة فى الدهر كله كما يقتضيه القول بأنها خصوص الليلة التى بدىء فيها بإنزال القرآن ، فإن الأصل فى صيغة المضارع أنها تدل على حصول معناها فى المستقبل ، ولو كانت هى الليلة التى نزل فيها القرآن وحدها لقيل : (تنزلت الملائكة والروح فيها) .

من حيث إن الحديث عنها حديث عن أمر وقع فى الماضى . وهذا شىء معلوم يعرفه جميع أهل العربية .

فإذا راعينا ـ مع ما تدل عليه صيغة المضارعة من معنى الاستقبال ـ أن الليلة التى أنزل فيها القرآن وفيها تنزلت الملائكة والروح معها قد أطلق عليها اسم « ليلة القدر » علمنا أن تنزل الملائكة والروح الأمين من خصائص هذه الليلة وأنه يتكرر بتكررها ، ويتجدد كلما تجددت .

غير أنه قد يقال : إنه كثيراً ما يعبر فى القرآن عن الأمر الماضى بصيغة المضارعة لاعتبارات تختلف وتتنوع باختلاف المواطن وتنوعها ، والاعتبار فى الموطن الذى نحن بصدده قد يكون إرادة استحضار صورة ذلك الماضى وافتراضه حاصلا ساعة الحديث عنه قصدا إلى كشف المعنى للسامع ، وتجليته أقوى تجلية ، وذلك من المقاصد البلاغية الرائعة التى يعرفها أيضا أهل العربية ، فإن الحديث عن الشىء ساعة حصوله أقوى وآكد وأوقع فى النفس من الإخبار عنه بعد ما يحصل ويمر زمنه .

والجواب : أن ذلك لايقدح فيما قلنا من أن الأصل فى المضارع هو دلالته على الشىء يكون فى المستقبل ، فإطلاقه على ما كان فى الماضى خلاف الأصل ، لا يصار إليه ولا يدعى أنه المراد إلا إذا كان هناك دليل يصرفه عن ذلك الأصل ثم يجىء الاعتبار البلاغى كالاستحضار ونحوه مصححا ومسوغا إطلاق المضارع على المعنى الماضى .

ولايصلح الاعتبار وحده دليلا على أن المراد من المضارع هو المعنى الماضى ، اللهم إلا إذا ثبت أن المتكلم أراد ذلك الاعتبار ، وقصد ـ فى مثل مسألتنا ـ إلى معنى الاستحضار ، وهذا ما لاسبيل إليه ، وليس الكلام قاطعا ولا ظاهرا فيه ، بل اللجأ إلى دعواه هو عين ما يسمى بالمصادرة كما يعرف ذلك أهل العلم .

وبعد . . فأنت ترى أننا ـ فى هذا الوجه الثانى من الاستدلال ـ قد اقتصرنا على ما تفيده صيغة المضارع ، ولم نتعلق بما تدل عليه صيغة « التفعل » من معنى التكرار والتجدد ، فإنه إذا كانت هذه الصيغة التى جاءت على نهجها كلمة « تنزل الملائكة » تدل على تجدد نزول الملائكة وحصوله مرة بعد مرة فليست نصا فى أن ذلك التجدد يحصل فى أكثر من ليلة ، لأنه يصح أن يكون نزول الملائكة

متتابعا وعلى دفعات كثيرة فى ليلة واحدة ، تنزل طائفة منهم وتتبعها طائفة وطائفة ، وهكذا حتى مطلع الفجر . وحينئذ لا يكون فى التعلق بحديث التجدد وتكرر الحصول الذى تدل عليه صيغة « تنزل » إثبات للمطلوب الذى هو تجدد الليلة وتكررها بتكرر الأعوام .

« الثالث » : أن قوله تعالى فى سورة الدخان ـ :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ (الدخان ـ ٤) .

يدل على أن ليلة القدر تتكرر وتتجدد ، وليست ليلة واحدة على ما يقضى به القول أنها الليلة الماضية التى نزل فيها القرآن ، وذلك لمجىء « يفرق » بصيغة المضارعة التى تدل بأصلها على أن فرق الأمر الحكيم وبيانه وتفصيله يكون فى المستقبل كما قدمنا الكلام على ذلك فى قوله تعالى :

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ (القدر ـ ٤) .

وأنه إذا كانت ليلة نزول القرآن التى سميت ليلة القدر قد فرق فيها الأمر الحكيم ، فذلك لأن شأن ليلة القدر ذلك : فرق فيها دائما كل أمر حكيم ، فيكون الحديث عن ذلك مقصودا به الإعلام بأن نزول القرآن قد كان فى الليلة التى من خواصها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم .

« الرابع » : أن قوله تعالى:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ (الدخان ـ ٤) .

معناه أنه يبين فى الليلة المباركة ويفصل كل أمر موافق للحكمة والصواب متقن لاخلل فيه ولا اضطراب ، وذلك يفيد أنها ليلة تتكرر وتتجدد ، وليست هى خصوص الليلة التى بدأ فيها الوحى بشىء من آيات القرآن فإن ما نزل فى تلك الليلة ـ وإن كان أمراً حكيما من غير شك ولا امتراء ـ لايمكن أن يقال فيه إنه هو كل أمر حكيم . وسنعود قريبا إلى هذا بمزيد من التفصيل .

« الخامس » : ما ورد فى صحاح الأحاديث من أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتحرى ليلة القدر ، وأنه أمر الناس بالتماسها وتحريها فى العشر الأواخر من رمضان :

١ ـ فقد روى البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان .

٢ ـ وروى البخارى أيضاً عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » .

٣ ـ وروى كذلك عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

٤ ـ وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فيما رواه البخارى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان : ليلة القدر ؛ فى تاسعة تبقى ؛ فى سابعة تبقى ؛ فى خامسة تبقى » .

٥ ـ وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور فى رمضان العشر التى فى وسط الشهر ، فإذا كان حين يمسى من عشرين ليلة تمضى ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه ، وأنه أقام فى شهر جاور فيه الليلة التى كان يرجع فيها ، فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله ، ثم قال : كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لى أن أجاور هذه العشر الأواخر [1] فمن كان اعتكف معى فليثبت فى معتكفه ، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فابتغوها فى العشر الأواخر ، وابتغوها فى كل وتر ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين ، فاستهلت السماء فى تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد فى مصلى النبى ـ ﷺ ـ ليلة إحدى وعشرين فبصرت عينى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلء طينا وماء » .

٦ ـ وروى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : « خرج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرا لكم ، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » .

ففى هذا كله دلالات واضحة على أن ليلة القدر لها فضلها وشرفها ، ولها مزيتها وراء ما ثبت لها بنزول القرآن فيها ، وأنها تتكرر وتتجدد ، وأن مظنة موافقتها هى العشر الأواخر من شهر رمضان ؛ فإنها لو كانت خصوص الليلة التى نزل فيها القرآن لما كان هناك معنى لتحريها ولا الأمر به بعدما انقضت تلك الليلة ومرت .

ولايصح أن يقال إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقصد بأمره بتحرى ليلة القدر ولا باعتكافه العشر الأوسط أو الأخير إلا إحياء ذكرى الليلة التى نزل عليه فيها القرآن وتكريمها ؛ لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن لتخفى عليه هذه الليلة العظيمة فيجهل موقعها من الشهر الذى كانت هى

---

(١) وقد ورد فيما روى عن أبى سعيد الخدرى أن جبريل قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعتكف العشر الأوسط إن الذى تطلب أمامك ، يريد ليلة القدر .

إحدى لياليه حتى يتحراها باعتكاف العشر الأخير من رمضان ويأمر بتحريها فى ذلك من يريد إحياء ذكراها فى كل عام . هذا بعيد غاية البعد ، وإذاً لايستقيم ما يقوله بعض الناس اليوم ارتكانا إلى ما اختاره المرحوم الشيخ محمد عبده من أنه ليست هناك ليلة تسمى ليلة القدر غير تلك الليلة التى نزل فيها القرآن ، وهى ليلة واحدة لاتتكرر ، وأنه لامعنى للاحتفال بها فى كل سنة إلا أن يكون المقصود من ذلك إحياء ذكرى تلك الليلة كما نحيى ذكرى العظماء وذكرى الليالى والأيام التى اشتهرت بوقائع وحوادث لها خطر وشأن .

وإذا لم يكن لاحتفال الناس بليلة القدر معنى سوى إحياء ذكراها فماذا يقال فى تحرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الليلة وأمره الناس بتحريها ؟ .

هنا نجد الأستاذ الإمام عليه الرحمة يعمد إلى الأحاديث الواردة فى ذلك فيضرب عليها بكلمة ويرى أنه بذلك قد خلص منها :

يقول : إن تلك الأحاديث رواياتها مضطربة ، وأغلبها ضعيف ، والكثير منها موضوع ومثل ذلك لايصح الأخذ به فى باب العقائد .

ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يقل لنا أى هذه الأحاديث موضوع وأيها ضعيف وبماذا كان ضعف هذا الضعيف ، ولم يكشف كذلك عن الاضطراب الذى يصح معه أن يضرب صفحاً عن أحاديث أخرجها البخارى وغيره عن جماعة من الصحابة يروى أحدهم عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » .

ويروى آخر أنه قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر فى العشر الأواخر من رمضان » .

ويروى ثالث قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ، ليلة القدر فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى » .

فهل هذا هو الاضطراب الذى يأبى معه قبول الأحاديث ؟

نحن لا نجد بين ما أوردناه من أحاديث الأمر بالتحرى شيئاً من الاضطراب فى السند أو المتن بحيث يقدح فى صحتها ويوجب طرحها ، وكل ما فيها إنما هو اختلاف بالإجمال والتفصيل أو بوضع لفظ مكان مرادفه . وإذا كان جميع الناس ـ إلا من لا يعتد برأيه فى هذا المقام ـ على أنه يجوز رواية الأحاديث بالمعنى ما دام ذلك لا يخل بما قصد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إفادته من المعنى فالاختلاف الذى أشرنا إليه لا يضر فى شىء ولا يصح معه دعوى الاضطراب الذى تطرح من أجله الأحاديث .

وبعد . . فقد تبين مما قدمناه من الكلام على المعنى الأول لكلمة « القدر » أنه الفضل والشرف وعلو المنزلة ، وأن ليلة القدر لها شرف وفضل بنزول القرآن فيها من غير شك ، لكن لها ـ وراء

ذلك ـ شرفا وفضلا بما خصها الله به مما سنعرض للكلام عنه فيما يلى ، وأنه من أجل ذلك قد اختارها ـ الله تعالى ـ لتكون ليلة افتتاح الوحى ونزول أول ما أنزل من القرآن .

وأما عن المعنى الثانى وهو « التقدير » فقد اختار الشيخ الإمام فيه أيضا خلاف ما جرى عليه جمهور المتقدمين من العلماء :

قال ـ رحمة الله عليه : « سميت الليلة ليلة القدر إما بمعنى ليلة بالتقدير ، لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه فى دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه » .

فهو يحمل التقدير على خصوص ما يكون بالقرآن من الإرشاد والبيان وتحديد طريق السعادة والفصل بينها وبين طرائق الشقاوة والضلال ، ويقول أن هذا هو المراد مما ورد فى سورة الدخان من فرق الأمر الحكيم فى تلك الليلة « فالأمر الحكيم إنما هو أمر الرسالة والأوامر والأحكام لا شىء آخر سواها » ، هذا هو ما يرتضيه من معنى التقدير ومعنى فرق الأمر الحكيم .

وغريب جداً أن يحمل التقدير على ذلك المعنى الذى لا يخرج عما يتعلق بالوحى والرسالة وتحديد الدين أحكام الشريعة .

ونحن إذا كنا نتساهل فنقبل تأويل المرحوم الشيخ محمد عبده لهذا التقدير والتحديد ونقول : إنه ليس بلازم فى تسمية الليلة ليلة التقدير أن تقدر فيها جميع أصول الدين وتحدد جميع أحكام الشريعة بل يكفى أن يكون بدء ذلك كله فى تلك الليلة ـ إذا كنا نتساهل فنقبل هذا التأويل فليس من السهل أن يقبل ما يؤدى إليه مما يضيع معه معنى الإخبار فى ـ قوله تعالى ـ :

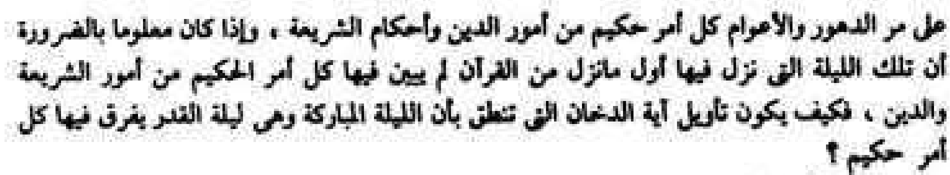
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ ﴾ (القدر ـ ١) .

أليس يكون معناه حينئذ : « إنا أنزلنا القرآن ـ أى ابتدأنا إنزاله فى الليلة التى بدأنا فيها بإرسال الوحى بالرسالة وبتحديد الشريعة وأحكام الدين ؟ وإذاً يكون حاصل المعنى : إنا ابتدأنا إنزال القرآن فى الليلة التى ابتدأنا فيها بإنزال القرآن ، وهذا شىء لا يقبله عاقل ولا يصح أن يتنزل على مثله كلام عوام الناس فما بالك بكلام رب العالمين ؟

وكذلك الحال فى آية الدخان :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ (الدخان ـ ٤) .

فإنه متى كان هذا الأمر الحكيم هو ما يختص بالرسالة والوحى والأوامر والأحكام ـ كما يقول الأستاذ الإمام ـ كان المعنى أنه يفرق ويبين ويفصل فى تلك الليلة الوحيدة التى لا تتكرر ولا تتجدد



على مر الدهور والأعوام كل أمر حكيم من أمور الدين وأحكام الشريعة ، وإذا كان معلوما بالضرورة أن تلك الليلة التى نزل فيها أول مانزل من القرآن لم يبين فيها كل أمر الحكيم من أمور الشريعة والدين ، فكيف يكون تأويل آية الدخان التى تنطق بأن الليلة المباركة وهى ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم ؟

نحن نوقن أن الأستاذ الإمام ـ عليه سحائب الرحمة ـ شعر ببعض الحرج فى تأويل الآية على النحو الذى يوافق ما يرمى إليه من المعنى فأراد أن يخلص من هذا الحرج بتقرير : أن ابتداء نزول القرآن كان فرقا بين الحق والباطل وكل ما جاء منه كان كذلك ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى بما هو من نوع ما نزل فيها كما قال :

﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (الدخان ـ ٥ : ٦) .

فصح أن ينسب إليها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم ، لأن كل ما جاء فيها كان أمراً حكيما فرق به بين الحق والباطل وبداية لما يكون بعده من مثله ، كما صدق قوله :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾

(البقرة : ١٨٥) .

مع أنه لا يكون بينة وفارقا بين الحق والباطل إلا ما ظهر للناس منه وهو مانزل وبلغ إليهم بالفعل أو كان بسبيل أن يبلغ ، فليس الأمر الحكيم الذى يفرق فى الليلة المباركة إلا أمر الدين والأحكام إهـ .

فهو يقول : إن ما نزل من القرآن فى الليلة الأولى التى جاء فيها الوحى أمر حكيم فرق به بين الحق والباطل ، وهو بداية لكل أمر حكيم جاء به القرآن بعد ذلك وفرق به بين الحق والباطل ، فكأن كل أمر حكيم جاء به القرآن من أوله إلى آخره قد كان فى ليلة الوحى الأولى .

ونحن نقول : إن هذا شىء فى غاية التكلف لا ينبغى أن يلجأ إليه فى تفهم آيات القرآن الكريم .

يقرر الأستاذ الإمام أن كل ما جاء فى تلك الليلة كان أمرا حكيما . وهذا حق لا مرية فيه .

ويقرر أن ما جاء فيها كان بداية لما جاء بعده من الأمر الحكيم . وذلك حق أيضاً لا ينازع فيه منازع .

ولكن ذلك كله لا يسوغ أن يقال : إن بيان كل أمر حكيم قد كان فى تلك الليلة .

وليس من هذا القبيل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ ﴾ . فإنه إذا كان القرآن ـ كما يقول الأستاذ الإمام ـ يطلق على جميع الكتاب العزيز وعلى أى جملة منه وكان كله هداية وفى كل جملة

منه هداية صح أن يقال : إن القرآن نزل فى شهر رمضان ما دام قد نزل جزء منه فى هذا الشهر ، ولاسيما أن هذه الآية لم تقل إن شهر رمضان قد أنزل فيه القرآن كله كما جاء فى آية الدخان :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ .

ثم إن فرقا كبيرا بين أن يقال : إن ما نزل فى تلك الليلة كان كله أمرا حكيما وأن يقال : إن كل أمر حكيم نزل فى تلك الليلة ، فلا يصح الخلط بين هاتين القضيتين ولا التخطى من إحداهما إلى الأخرى بدون وسيلة صالحة .

ولهذا لا يسعنا إلا أن نسير فى معنى « ليلة القدر والتقدير » على ما جرى عليه المتقدمون من العلماء .

فليلة القدر على هذا هى الليلة التى تقدر فيها الآجال والأرزاق والأقوات ، وتضبط فيها شئون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها .

غير أنه ينبغى أن يعلم أنه ليس المراد من تقدير هذه الأشياء فى ليلة القدر بدء تقديرها وإنشاء تحديد مواقيتها وضبط شئونها وأحوالها ؛ فإن ذلك أزلى سبق به علم الله وإرادته منذ القدم ، وإنما معنى ذلك إظهار هذه الأمور للملائكة وكشفها لهم ليضبطوها فى صحفهم ويقوموا فيها بما أمرهم الله .

وهذا هو ما اختاره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى وحرر القول فيه قبله الإمام النووى الذى اعتمد فيه على ما قرره الأئمة الأعلام .

قال النووى : قال العلماء : سميت ليلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار لقوله تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ ؛ ورواه عبدالرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم وقال التوربشتى : « إنما جاء القدر بسكون الدال وإن كان الشائع فى القدر الذى هو مؤاخى القضاء فتح الدال ليعلم أنه لم يرد به ذلك : وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء وإظهاره وتحديده فى تلك السنة لتحصيل ما يلقى إليهم فيها مقدارا بمقدار » إ.هـ .

أى فالقدر بفتح الدال هو تقدير الأشياء وتحديدها فى الأزل ؛ وهذا ليس الكلام فيه ، وأما القدر بسكون الدال فهو تحديد ذلك للملائكة وضبطه وإظهاره لهم فى الليلة التى تسمى ليلة القدر من ليالى كل سنة .

وخلاصة القول فى هذا أنه إذا أخذت كلمة « القدر » ؛ بمعنى التقدير فلا يصح أن يقصر هذا التقدير على تقدير أمر الرسالة وتحديد أحكام الشريعة ، وإنما هو تقدير كل شىء أراد الله إعلام الملائكة به وإطلاعهم عليه ليقوم كل منهم بما وكل إليه من ذلك . وهذا هو معنى فرق الأمر الحكيم . فالأمر الحكيم ليس هو خصوص أمر الرسالة والقرآن ؛ وإنما هو كل أمر اشتمل على الحكمة ووافق الواقع واقتضت الإرادة الإلهية نفاذه فى الكون من شئون الدين والدنيا ؛ يطلع الملائكة منه فى ليلة القدر كل سنة على ما أراد كونه فيها .

وهذا هو الشرف وعظم الشأن الذى خص الله به ليلة القدر .

ويتلخص مما قدمناه أن ليلة القدر هى ليلة من كل سنة ، فتتكرر بتكرر الأعوام ، وإن الأحاديث الصحيحة قد طلبت تحريها والتماسها رجاء موافقتها بالعبادة وعمل الخير ، فإن الجزاء على ما يكون من ذلك فى ليلة القدر خير من الجزاء على ما يكون منه فى ألف شهر .

ولكن أى ليلة هى من ليالى السنة ؟ وهل هى ليلة معينة فى ذاتها لا تنتقل فى أشهر السنة أو أنها تنتقل فيها أو فى شهر رمضان خاصة فى لياليه كلها أو فى العشر الوسط منه أو فى العشر الأواخر ؟

قد اختلف العلماء فى ذلك اختلافا كبيرا . والذى رجحه ابن رشد فى مقدمات « المدونة » أنها تنتقل باختلاف الأعوام ، ولكن فى شهر رمضان خاصة . قال : « وهذا هو الذى ذهب إليه مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأكثر أهل العلم » وهو أصح الأقاويل ، وأولاها بالصواب .

ويرى ابن رشد أنها تختص فى تنقلها ـ فى الأغلب من حالها ـ بالعشر الوسط وبالعشر الأواخر من رمضان ، وأن هذا القول هو الذى يتمشى مع جميع الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الشأن .

ويقول : إن الأغلب أنها تكون من العشر الوسط ليلة سبع عشرة وليلة تسع عشرة ومن العشر الأواخر فى الأوتار منها .

ويقرر ابن حجر فى « فتح البارى » أن أرجح أقوال العلماء فى ليلة القدر أنها فى وتر من العشر الأخير ، وأنها تنتقل فى أوتار هذا العشر .

وقال ابن القيم فى « زاد المعاد » فى بيان هدى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى اعتكافه ـ أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ـ عز وجل ـ واعتكف مرة فى العشر الأول ثم الأوسط ثم العشرة الأخيرة يتلمس ليلة القدر ، ثم تبين له أنها فى العشر الأخير فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه ـ عز وجل إهـ .

ويمكن أن يستخلص من هذا كله أن أرجح الأقوال فى ليلة القدر أنها تنتقل فى أوقات الثلث الأخير من رمضان .

وكذلك اختلف العلماء فى أنه هل لليلة القدر علامات تظهر لمن وفقت له ؟

والذى اختاره الطبرى أنه ليس لها شىء من العلامات ، وأنه لا يلزم فيها رؤية شىء أو سماعه . أما العلامة التى حدث عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى ـ أنه عليه الصلاة والسلام ـ رأى فى منامه أنه يسجد فى ماء وطين وأن ذلك قد تحقق صبيحة ليلة إحدى وعشرين من رمضان فهى لا تدل على أن علامة ليلة القدر فى كل سنة أن ينزل فيها المطر أو يشتد ، كما لا يدل ذلك على أن ليلة القدر تكون دائما ليلة إحدى وعشرين من رمضان . وإنما كان ذلك علامة على ليلة القدر فى تلك السنة لا غير . قال ابن جرير : وذلك أنا شهدنا سنين كثيرة ينقضى فيها رمضان دون مطر مع اعتقادنا أنه لا يخلو رمضان من ليلة القدر .

ذخائر النفائس

في شهر الصيام

للأستاذ: أحمد مصطفى حافظ

اختصّ شهر الصيام ، من بين سائر الشهور ، بنزول القرآن الكريم فيه ، بقوله تعالى :

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾

(البقرة الآية : ١٨٥)

ثم تُبيِّنُ الليلة التي أنزل فيها القرآن ، بقوله - عز من قائل - في سورة القدر :

﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ۝ وما أدراك ما ليلة القدر ۝ ليلة القدر خير من ألف شهر ۝ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ۝ سلام هي حتى مطلع الفجر ۝ ﴾ (القدر - ١ : ٥)

وكانت أولى الآيات التي أنزلت فيه ، حينما كان رسول الله - ﷺ - ، يتعبد ذات ليلة في غار حراء ، وأقبل الوحي الأمين جبريل ، سفير رب العالمين ، يقول له : « اقرأ » فأجاب الرسول - ﷺ - : « ما أنا بقارىء » (أي لا أحسن القراءة ، أو يستفهم عما يقرأه) .

فأخذ جبريل النبيّ وضغط عليه تنبيها له على تحمل أعباء النبوة ، حتى أحس النبي - ﷺ - بالتعب . وأرسله جبريل وقال له مرة أخرى : « اقرأ » . فكان جوابه - ﷺ - كما سبق : ما أنا بقارىء . ففعل جبريل ما فعل في المرة السابقة ، ثم تكرر ذلك مرة ثالثة ، ثم قال جبريل :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ۝ خلق الإنسان من علق ۝ اقرأ وربك الأكرم ۝ الذي علم بالقلم ۝ علم الإنسان ما لم يعلم ۝ ﴾

(العلق - ١ : ٥)



ومن إلهام هذه الآيات البينات ، يقول كاتب هذه السطور ، في قصيدة له :

(اقرأ) الآية الشريفة كانت :
مبدأ الوحي في ثنايا الغار .

●●●

وفي ضوء ما قدمناه ، نستقبل هذا الشهر الكريم ، بالتعظيم والترحاب ، فقد جاء عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال ـ وقد حضر شهر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه (أي يحيطكم بمغفرته) فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء . ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل »[1] .

وفي رواية للنسائي ، عن قدر الصيام عامة يقول : « أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت : ـ يارسول الله ، مرني بأمر ينفعني الله به ، قال : ـ عليك بالصيام ، فإنه لا مثيل له » . وزاد ابن حبان في صحيحه : « فكان (أبو إمامة) لا يرى في بيته الدخان نهارا ، إلا إذا أتاه ضيف » .

ومن خصوصيات الصيام ، أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد اختص الصائمين بالدخول إلى الجنة من باب خاص بهم ، هم وحدهم ، يسمى : الريان ، وقد اشتق اسمه من (الرِّيّ) ، وهو نقيض الظمأ . . فقد روى سهل بن سعد عن النبي ـ ﷺ ـ ، قوله : « إن في الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد » . رواه الشيخان والنسائي ، وزاد الترمذي : « ومن دخله لا يظمأ أبدا » .

ويقول إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة الآية : ١٨٣)

« يلاحظ هنا دقة العطاء في اللفظ القرآني ، وخصوصية الأداء في اختيار الكلمة في مقامها : لماذا لم يقل : كتبتُ أو كتب الله ، ولكن يقول : (كُتب) وبناؤه للمجهول ، مع إنه لمعروف من الذي كتب : . . الله . ما العلة في أنه عدل عن ذلك المبني للمعلوم ، وبناه للمجهول ؟ هذه العلة يجب أن يلتفت إليها الذهن . . لماذا ؟ لأن قضية الإيمان عقد ، وعقد بين المؤمن والمؤمن به . . فالله لم يكلف من لم يؤمن به ، إنما كلف من آمن به ، إذن . . فحين دخلت للإيمان بالله ، دخلت عن طواعية ، وآمنت به ، إذن . . فأنت شريك في كل التزام تقنيني يصدر عن ذلك الإله »[1] إلى أن يقول : « ومن اللحظة التي يقول فيها : (كُتب) ، فأنت شريك في هذه العملية ، لو لم تؤمن به لما كتبت ، يعني أنك عندما دخلت ، كنت معي في هذه الكتابة ، أي في إجراء صيغة العقد »[2] .

●●●

وما أصدق وأدق قول الرافعي ، في تعريف الصوم ، بأنه : « فقر إجباري ، يراد به إشعار النفس الإنسانية ـ بطريقة عملية واضحة كل الوضوح ـ أن الحياة الصحيحة ، وراء الحياة لا فيها ، وأنها إنما تكون على أتمها ، حين يتساوى الناس في الشعور ، لا حين يختلفون ، وحين يتعاطفون بإحساس الألم الواحد ، لا حين

---

(١) رواه الطبراني ، وقال المنذري : رواته ثقات .

(٢) انظر كتابه (هذا هو الإسلام) ـ ط ثانية ـ نوفمبر ١٩٨٥ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

يتنازعون ، بإحساس الأهواء المتعددة »(١) إلى أن يقول : « شهر .. هو أيام قليلة فى الزمن ، متى أشرقت على الدنيا ، قال الزمن لأهله : هذه أيام من أنفسكم لا من أيامى ، ومن طبيعتكم ، لا من طبيعتى .. فيقبل العالم كله على حالة نفسية بالغة السمو ، يتعهد فيها النفس ، برياضتها على معالى الأمور ، ومكارم الأخلاق ، وإنها والله طريقة عملية لرسوخ فكرة الخير والحق فى النفس »(٢)

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا الفقر الإجبارى ـ على حد تعبير الرافعى ـ الذى يصحبه الجوع والظمأ ، بطبيعة الحال ، هو الذى يجعل الإنسان أكثر شهية وتذوقا للطعام ، عند الإفطار ، وكذلك الشأن بالنسبة للارتواء بعد الظمأ ..

وليس يطرب صوت الماء مندفقا
كما ترى وقعه .. فى سمع ظمآن !

●●●

وقد تبارى شعراء الأدب العربى ، فى القديم والحديث ، فى تبيان فضائل شهر رمضان ، منذ عصر صدر الإسلام ، وحتى يومنا هذا ، حتى تجمع لدينا من قصائدهم ، تراث ضخم ، وزاد رفيع .. ومنه قول القائل :

من نـالـه داء ـ بفـرط ذنـوبـه
فليأت من رمضان : بـاب طبيبه
فخلوف هذا الصوم ياقوم .. اعلموا
أشهى من المسك السحيق وطيبه
أو ليس هذا القول قول مليككم :
الصوم لى ، وأنا الذى أجزى به

وقول الآخر :

أدم الصيام ، مع القيام ، تعبدا
فكـلاهـمـا عـمـلان مـقـبـولان
قم فى الدجى ، واتل (الكتاب) ولا تنم
إلا كـنـومـة حـائـر ولـهـان
فـلـربـما تـأتى المـنـيـة بـغـتـة
فتـسـاق مـن فـرش إلى .. أكفـان
يـاحـبـذا عـيـنـان فى غسق الـدجى
من خـشـيـة الـرحمن بـاكـيـتـان

وفى أبيات شعرية موجزة ، يقول شاعر آخر :

لـقـد صمت عن لذات دهرى كلهـا
ويـوم لـقـاكـم : ذاك فـطـر صـيـامـى

ولكاتب هذه السطور خلجات وخطرات وجدانية ، يقول فى بعض أبياتها :

يـانفس جاءك شهـر الصوم ، فابتهلى
وطهرى الثوب : ثوب الرجز والخطل
سبعون عاما مضت ، والشعر خاطرتى
وكم صدحت به ، فى وجـد مبتهـل
شهـر الشهـور أتى بـالخـيـر أجمعـه
من سابغ العفـو والغفران لم يحـل
يانفس ـ بل يانفوس الناس أجمعهم ـ
منى إليكم نـداء ، غـيـر مبتـذل :
بـالأمس كـنـا صغـارا فى مـدارجـنـا
نلهـو ونمـرح فى فيض من الجـذل
واليوم صرنا ، مع الأيام ، فى كبـد
فى البر والبحر ، فى حل ومرتحل
.. غدا تغيب عن الأكوان هيئتنا
تمضى كطيف سرى ، كالحلم فى المقل
هيـا نشمـر للتـقـوى سـواعـدنـا
للمكرمـات ، قبيل الفوت والأجـل

(١) انظر كتابه (وحى قلم) ، ص ٢ ط ١٩٤١ ، ص ٧٣ .
(٢) انظر المصدر السابق ص ٧٧ .

من نصراء الفصحى في العصر الحديث ٢

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد (*)

والواقع أن مقالات « زكى مبارك » بشأن تدعيم وحدة اللغة ـ رغم ما فرض عليها من رقابة وقيود ـ أسفرت عن خلق مناخ صالح لتقبل التغيير ، وهو أمر يتفق مع نتائج الدراسات الإعلامية التى تذهب إلى أن « أجهزة الإعلام تستطيع أن تؤثر فى الاتجاهات التى لا يشتد التمسك بها ، وتوجه الاتجاهات القومية توجيها طفيفا نحو الغاية المرجوة »(١) ، فقد تحقق جزء من دعوة « مبارك » عام (١٩٣٩) ، فعمق هذا النجاح إيمانه باللغة ، وقال : « من(٢) مغانم السنة الماضية أن تصير اللغة العربية لغة الدرس فى كلية العلوم ، وهى دعوة عانيت فيها من الشقاء ما عانيت ، فمن قال إنه دعا إلى هذه الفكرة مرة أو مرتين ، فأنا جعلتها حلما أعتف به فى يقظتى ومنامى خمس عشرة سنة » ، وهكذا نصر « مبارك » اللغة العربية فى وقت عز فيه النصير .

وعندما شاع فى أوائل الثلاثينيات « أن الوحدة العربية تساوى إضافة صفر إلى أصفار ليتكون المجموع صفرا » ، وشاعت ـ أيضاً ـ الدعوات إلى العامية للقضاء على الفصحى ، وإلى الشعبية لينصرف كل شعب إلى إلهه ، وتقل الإيجابية بين أبناء العرب فيتباعدوا ويتباغضوا(٣) ، وقف « مبارك » وسط هذه التيارات داعيا من دعاة وحدة العرب ، ومدافعا عن ثقافتهم ورابطا أمته العربية بأواصر وحدة اللغة .

وغنى عن البيان ما تسفر عنه وحدة اللغة إذا ما تحقق تعميمها فى التعليم الجامعى من الإثراء الفكرى وخلق قوى جديدة تدفعنا إلى الترجمة والتأليف ، وترفع عنا وصمة الفقر فى المكتبات ، ففى الممالك المستقلة بين الإنسان فى الأحياء

(*) الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

(١) ويلبور شرام : (ترجمة محمد فتحى) : أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية ـ القاهرة ـ ص ١٨٤ .

(٢) الرسالة : ٨ يناير ١٩٤٠ .

(٣) الدكتور على محمد الفقى : أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة ـ القاهرة ـ ص ١٢٤ .

الجامعية مكتبة خاصة بالطب ومكتبة خاصة بالعلوم ، وأخرى بالفلسفة أو الطيران ، وهكذا ، أما فى مصر فلا يجرؤ أحد من الناشرين على إنشاء مكتبة خاصة بعلم من العلوم »[١] .

ويؤكد الدكتور إبراهيم إمام ـ كرائد من رواد هذه الدعوة ـ قدرة اللغة العربية ونجاحها فى التعبير عن الفكر الحديث ، ويقول : « إن استخدامها فى ميادين العلم الحديث وخاصة فى الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية الحديثة ، يدفع إلى الإثراء الفكرى والتقارب فى مستوياتها المختلفة ، ولا ينبغى أن ننتظر حتى تقنن المصطلحات ونقف مكتوفى الأيدى بمعزل عن الحضارة»[٢] .

وتذهب أهمية هذه الدراسة عنده إلى أننا « ما لم نستعمل اللغة فعلا فإننا نحكم على أنفسنا بالعزلة والتخلف ، فاللغة والفكر وجهان لشىء واحد كالعملة تماما ، ولكى تساير اللغة العربية الحضارة الحديثة لابد أن تعبر عن الفكر الجديد »[٣] .

ومن أجل تثبيت مقومات اللغة فى التعليم الجامعى ، ينتقل « مبارك » إلى « لغة الرسائل » التى تقدم لامتحان « الماجستير والدكتوراة » ـ مناديا بأن تكون باللغة القومية ، مستخدما فى ذلك إثارة الهمم الوطنية ، فيقول : « ففى جامعة باريس مثلا لا تقبل الرسالة الأساسية بغير اللغة الفرنسية ، ولو كانت فى موضوع متصل بإحدى اللغات الأجنبية ، أما فى مصر فالأمر بالعكس ، تقدم الرسالة إلى الجامعة المصرية بأى لغة أجنبية بدون اعتراض ، ولو كانت فى صميم الآداب العربية ، أو الشريعة الإسلامية ، وهى حين تقدم بالعربية يجب أن تكون مصحوبة بخلاصة فرنسية أو إنجليزية ، ولو كان أعضاء الامتحان جميعاً مصريين »[٤] .

والحقيقة أنه فى أوائل عام (١٩٣٠) قاوم هذه البدعة فى مقالاته بجريدة البلاغ ، ودعا إلى تعديل هذه الفقرة من لوائح الجامعة المصرية ، وأوصى بجعل اللغة العربية لغة الرسائل العلمية والأدبية والتشريعية التى تقدم لنيل الدرجات الجامعية .

ويظهر مما سبق ذكره أن اقتراح « مبارك » لا يجنح إلى الشطط ، خاصة أن تقديم الرسالة إلى الجامعة المصرية بلغة أجنبية يشبه إلى حد كبير صحافة الدولة التى تعتمد كلية على الوكالات الأجنبية ، فتقيد حرية الإعلام والرأى العام فيها بقيود لها أثرها الخطير ، « إذ أن القراء فى هذه الحالة يكونون آراءهم عن الحوادث الدولية من وجهة نظر إنجليزية أو فرنسية أو سوفيتية أو أمريكية »[*] ، بعيدا عن وجهة النظر القومية ، ولابد من منع هذا الخطر أو تفاديه بقدر الإمكان ، والواضح أن وجه الشبه بينهما هو التبعية لثقافة الغرب .

ونحن ننسى أننا قد نكون فى أمس الحاجة إلى هذه التبعية ما إذا كانت لغتنا عاجزة أو قاصرة ، وكيف تعجز وما من لغة من اللغات الحية على وجه الأرض اكتسبت من الفخر مثل اللغة

(١) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ ص ١٦ .

(٢) الإعلام والاتصال بالجماهير ـ مرجع سبق ـ صفحات ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) الإعلام والاتصال بالجماهير ـ مرجع سبق ـ صفحات ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ ص ٢٤ .

(*) الدكتور خليل صابات : الصحافة مهنة ورسالة ـ دار المعارف ـ كتابك ـ العدد ٣٧ ـ ص ٢٣ .

العربية ، فهى اللغة الرسمية لدين الله الحق ، وليس ثمة ضمان أقوى وأكبر لخلود هذه اللغة وتهيئتها للانتشار من هذا الازدواج الوظيفى لها ، فهى لغة الأرض والسماء معا ، فضلا على أن « اللغة العربية تنطوى على عدة عوامل ذاتية تؤهلها للبقاء والانتشار ، من بينها :[1] .

(١) أنها لغة رسمية فى هيئة الأمم المتحدة .

(٢) قابليتها لمسايرة تقدم الزمن .

(٣) تحدث الملايين من غير العرب بها .

إلى غير ذلك من خصائص اللغة التى تجعل من اقتراح « مبارك » أمرا ميسورا ، وعلى كل فإنه قد رُهن بتعريب لغة الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والاجتماعية الحديثة ، وإضافتها إلى اللغة القومية .

فهو ينص على إيمانه بقوة اللغة والثقافة العربية التى تربط مصر بكل المتعاطفين معها ، ولو خرجوا عن حدود الوطن العربى ، كما ينص على عدم التعارض بين القومية العربية والقومية الإسلامية ـ أو الإخوة الإسلامية على حد تعبيره ـ غير أنه رأى فى القومية العربية البسط والعموم ، لذا دعا إليها وآمن بها ، وكان فى ذلك على جانب عظيم من الأمانة والصدق ، وهنا تعقيب للباحث يرد فى حينه[2] .

ويرى « أنور الجندى » أن حادثين هامين فى حياة « مبارك » قد عمقا إيمانه بالقومية العربية :[3] .

الأول : زيارته لمراكش عام ١٩٣٢ ـ بعد انتهاء إقامته فى باريس ـ واتصاله بالوطنيين العرب ، فى هذا الجزء النابض بالحياة من الوطن العربى ، الذى كان واقعا ـ آنذاك ـ تحت سيطرة الاستعمار الفرنسى .

الثانى : ذهابه إلى بغداد عام ١٩٣٨ ، وفيها صورة عهد الرشيد ومرسم الحياة العربية فى ازدهارها ، حيث كانت الترجمة والتأليف ومدارس العلم والحضارة ، وبذلك جمع بين عظمة الأمة العربية فى أقصى طرفيها « بغداد ومراكش » ، المدينتين اللتين تحملان أعظم مظاهر الحضارة فى الأمة العربية .

والحق أنه استنباط لا سبيل إلى إنكاره ، خاصة أن « مبارك » من الشخصيات « الديناميه » التى تمتعت بالحركة وأولعت بالأسفار والتنقل بين الأماكن المختلفة ، وتلك من أهم سمات الشخصية العنصرية كما يراها « ليرنو »[4] ، فإلى جانب الأعوام السبعة التى قضاها فى « باريس » وما انطبع فى نفسه عن إنكار الغرب لفضل العرب على الحضارة ـ والعام الذى قضاه فى العراق ، كانت له عدة جولات فى أقطار العالم العربى مثل المغرب ودمشق والقدس وبيروت وغيرها ، من بيئات عربية آمنت بقوميتها ، مما أتاح له أن يرى ويسمع ويتحدث عن الأمة العربية ، وكانت النتيجة هى :

(١) حدة بصره لأبعاد فكر الغرب ، ومقاومة طغيانه .

---

(١) المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية : الدعوة إلى الإسلام ـ سبتمبر (١٩٧٢) ص ٢٩٠ .

(٢) نفس الفصل ص ٧٣ .

(٣) أنور الجندى : زكى مبارك دراسة لحياته ـ مرجع سبق ـ بتصرف ـ ص ٩٩ .

(4) Lerner, D., The passing of traditional society.,1958.

الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ـ مرجع سبق ـ ص ٤٠٥ .

(٢) تعميق فهمه للقومية العربية ، وتبنيه لفكرتها .

(٣) مضاعفة أمانته للفكر العربي .

ولعل تلك النتيجة التي خرج بها من جولاته ، كانت وراء مقاومته لسيطرة أوروبا على العالم العربي في العلوم والآداب والفنون ، وحتى لا يساء فهم غرضه القومي ، يقول : « ما أدعو إلى غض أبصارنا عما في أوروبا من آثار العقول ، فهذا كلام لا يقوله رجل متخرج في السربون ، إنما يجب أن تروض أبناءنا على الشعور بأن لهم أدبا وعلما وفنا ، يجب أن تروض أبناءنا على الشعور بأن لنا عقولا وأذواقا وأحاسيس ، إننا صالحون لبناء مجدنا الأدبي والعلمي بأيدينا »[١] .

والواقع أن « مبارك » لا ينظر إلى هذا الموضوع من ناحية الغيرة على الاستقلال العلمي فحسب ، بل يستهدف أيضاً تدعيم العزة القومية بتراث الأمة العربية وحضارتها وخاصة أن طغيان الغرب الفكري واللهث وراءه والاعتماد عليه هو اعتراف خطير بأن حضارتنا واهية ولغتنا عاجزة ، ونحن فقراء ، ويبدو أنه يتفق مع « شكيب أرسلان » في أسس النهضة العلمية للأمة ، وفي ذلك يقول « شكيب » : « أن[٢] التجاريب من قديم الدهر أثبتت أن التربية العلمية لا تنهض بالأمة نهوضا حقيقيا إلا إذا حصلت ضمن دائرة لغتها وتاريخها وعقيدتها ومشربها ، فهو يربط بين النهضة العلمية للأمن وبين إطار لغتها وتاريخها وعقيدتها وشخصيتها ، كما يربط « مبارك » بين الأمة وبين دعمها بمجدها الأدبي والعلمي ، ذاهبا من وراء هذا التدعيم إلى تعميق القيم النضالية والاستقلالية في جماهير الوحدة العربية ، وهذا يؤكد أنه كان في أغلب أحواله خادما أمينا لقومية العرب ، بل من طليعة المجاهدين لأجل هذه القضية .

زكي مبارك والثقافة العربية :

وحتى تكتمل الصورة الكبرى التي يريدها « مبارك » لتأصيل الثقافة العربية ، نراه حريصا على تمجيدها من خلال اهتمامه بذخائر الأدب العربي وولائه لها ، وعندما رجع إلى القاهرة من باريس في مارس (١٩٣١) أخذ ينشر في جريدة البلاغ « مقالات عن ذخائر الآداب العربية ، حتى أن « الدكتور إبراهيم ناجي ضاق صدره بتلك المقالات »[٣] ، فقد كان ينتظر منه أن يكتب مقالاته عن الأدب الفرنسي ، وقد أشار « مبارك » إلى أهمية إحياء أمجاد العرب وثقافتهم لقدرتها على التئام شمل العروبة ، إذ أن « العرب لا يزالون أقوياء يخشى شرهم ، وذكرياتهم الأدبية والعلمية والتشريعية مقرونة بالإسلام ، وكل إحياء لذكريات العرب خليق بأن يثير الزهو والكبرياء في نفوس الأمم الإسلامية »[٤] .

وقد دفعه إيمانه بأصالة الثقافة العربية إلى النظر إلى من اعتبروا العرب نقلة مقلدين لليونان والفرس ، على أنهم هم « الشعوبية » ، أعداء الأمة العربية ، وذلك لما تتميز بها ثقافة العرب عن غيرها من الثقافات « فآثار العرب ترجع في صميمها إلى التشريع ، وهو من المعاني الجافة التي لا يقبل عليها غير أهل الجد من كبار الباحثين

(١) الدكتور زكي مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ ص ١٩ .

(٢) الفتح : ٢٤ ربيع الأول (١٣٥١) ، الدكتور أحمد الشرباصي : شكيب أرسلان ـ القاهرة ـ ص ١٢٥ .

(٣) الدكتور زكي مبارك : ديوان ألحان الخلود ـ القاهرة ـ ص ٧ .

(٤) البلاغ : ١٥ يناير (١٩٣١) ، البدائع ـ القاهرة جـ ٢ ص ١٦٥ .

ولاكذلك آثار اليونان ، فإن معظمها يرجع فى جوهره إلى الأدب الصريح الذى يثير الشهوات ويهيج الأهواء[1].

وعندما حمل « طه حسين » لواء الدعوة إلى « النزعة اليونانية » منذ عام (١٩٢٥) أنكر عليه « مبارك » مسايرته لباحثى أوروبا فى تمجيد ثقافة اليونان ومشايعته لمن كتبوا فى ذلك[2]، « ومبارك » لا يريد بدفاعه عن العرب وثقافتهم ومدنيتهم أن يزعم لهم أمجادا مكذوبة ، أو يدعى لهم ما ليس بحقيقة ، بل هو يتقيد فى تمجيدهم بالحق والواقع ، ويحارب الادعاء الباطل عليهم ، لذلك يعود فيقول : « وأنا لا أسوق هذه المؤاخذة تعصبا لبلادى ، فاليونانيون أنفسهم يعترفون بأنهم تلاميذ المصريين ، وكانت زيارة مصر واجبة على كل يونانى يريد التفقه فى أسرار الوجود » ، كما يؤكد أن أستاذية مصر الفرعونية لليونانية الوثنية ليست أسطورة من الأساطير بل هى حقيقة من الحقائق[3].

ولا يطيق « مبارك » أن يسكت على صديق أو غير صديق يحاول الغض من ثقافة العرب وحضارتهم ، حتى لو كان غضه فى سياق الخيال ، أو من قبيل التعبيرات الشعرية التى لا تلتزم بحدود العبارة العلمية ، فعندما نشر « أحمد زكى أبو شادى » مقالا بمجلة « أدبى » عام (١٩٣٦) لخص فيه آراء « فرويد » ، ووصفه بأنه « الرسول الجديد »[4] ، وقف « مبارك » منه ـ وهو صديقه ـ موقفا حاسما ، وقال :[5] « قرأت مقال الدكتور أبو شادى عن (فرويد) فلم يرضنى . . وما أحب له أن يتورط فى مسائل تفسح المجال أمام الدساسين ، وما أحب له أن يفتح أعيننا على مأساة جديدة فى عالم الأخلاق » ، وأخذ « مبارك » يحاسبه بأقسى ما يكون من العنف مفندا مزاعمه وأبعادها ، من أجل تنقية ثقافة العرب ودينهم من غبار الغرب وآثاره ، ورد عليه خصمه بقوله :

« لا يجوز حمل تعابيرى الشعرية فى مقال عن « فرويد » على المحمل الذى ذهبت إليه ، إذ ليس من المعقول أخذها على حرفيتها ، ولولا الجو الذى خلقه حب الكيد لى لما رأى أحد فيها شيئاً »[6].

وفضلا عن حب الكيد أسند إلى « مبارك » تهمة « الجمود » و « الرجعية » ، لكن « مبارك » فى سبيل تنقية الفكر العربى لم يبال باتهاماته ، لأن حزب الباطل أضعف من أن يحسب له حساب ،

كما تشدد فى محاسبة « سلامة موسى » ، رغم أنه ـ أيضاً ـ « صديق عزيز »[7] ، وذلك عندما نشر بمجلة « اللطائف »[8] مقالا عن بعض أدباء مصر ، « طه حسين والعقاد والزيات وزكى مبارك » ، جاء فيه « أنهم فى حقيقتهم وشعورهم متفرجون مستمتعون لأنهم يعالجون العادات العربية التى تدرس للذة والاستمتاع ، وليس للمغزى والكفاح » ، فهل يسكت « مبارك » لأن قائل هذا صديق حميم ؟ ، وكيف وقد تجنى على أدب العرب بتجريده من العمق والمغزى وإلحاقه إلى اللذة والمتعة ، وقد راع « مبارك » أن هذا كلام قد يزيغ بصائر القارئين لما ينطوى عليه من أبعاد خطيرة ، فمضى ينقض ما ذهب إليه « سلامة موسى » ، قبل أن يفعل فعله فى القلوب

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١٦٦ .

(٢) راجع نزاليه « النزعة اليونانية » فى معاركه الأدبية .

(٣) الرسالة : ١٥ نوفمبر (١٩٤٣) .

(٤) راجع نزاليه (بين التجديد والتخريب) فى معاركه الأدبية .

(٥) البلاغ : ٢٣ أغسطس (١٩٣٦) .

(٦) البلاغ : ٣ سبتمبر (١٩٣٦) .

(٧) الرسالة : ١٩ أغسطس (١٩٤٠) ، الحديث ذو شجون ـ مرجع سبق ـ ص ٧٩ .

(٨) اللطائف المصورة : ٩ سبتمبر ١٩٤٠ .

والعقول ،[1] وفى مجال حث الكتاب والقاصين على التمسك بالفصحى ، مدح « المازنى » لالتزامه بها قائلاً : « وأفصح من كتب القصة فى هذا العصر الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، فهو الكاتب الوحيد الذى استطاع أن يحول تعابير العامة إلى تعابير فصيحة لا قلق فيها ولا اضطراب »[2] ، وفى نفس الوقت قدح « محمود تيمور » لتوشية قصصه باللغة العامية ، فقال : « صديقنا (تيمور) مفتون بالمستشرقين .. وهؤلاء الصبيان من المستشرقين يسرهم أن يسجلوا أن أول من كتب العامية بحروفها النطقية هو فلان ، والأستاذ محمود تيمور يسره أن يكون ذلك الفلان »[3] .

وفى ضوء هذا الفهم يبدو لنا « زكى مبارك » نسيجا وحده فى مجال تنقية الثقافة العربية من تيار « التغريب » وهو التيار الذى سار فيه كثيرون من بينهم « طه حسين وسلامة موسى وأحمد زكى أبو شادى ، ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ولطفى السيد وإسماعيل أدهم ، وعبدالعزيز فهمى »[4] ، وقد شايعوه وروجوا له ، فكان « مبارك » أصدق إيمانا وأقرب إلى الحق وأبعد عن الانحراف ، عندما قاوم اللغة العامية دفاعا عن لغة العرب ، وعندما تصدى للدعوات الإقليمية كالفرعونية أو الشعوبية ، وعندما نفى عن العرب تهمة التخلف العقلى ، وعندما عارض النزعة اليونانية ، وعندما حذر من أخطار الثقافات الأجنبية ، ونادى بالاستقلال لغة ودينا وتقاليد .

وفى مجال تأكيده على صمود الثقافة العربية كتب تحت عنوان « حياة مصر الأدبية فى عهد الاحتلال » يصور كيف حاولت بريطانيا جعل تعليمنا يعمل لإخراج الموظفين فلم تفلح ، وكيف حاولت فرض الثقافة البريطانية فلم تفلح ، وكيف عمدت إلى جعل الجامعة مباءة للإلحاد فلم تفلح ، وكيف حاولت محاربة اللغة العربية فلم تفلح[5] ، والواقع أن « مبارك » كان مؤمنا بصمود الثقافة العربية وحيويتها ، ومن ثم فقد تصدى لمن أراد النيل منها .

وترجع أهمية محاربته للانحراف فى الفكر العربى المعاصر إلى تهيئة المناخ اللازم لتنقية الثقافة واستقرارها فى الأمة ، وبذلك يساعد الاتصال الجماهيرى فى تحقيق وظائفه الإعلامية من تفسير وإرشاد وتوجيه وتثقيف ، إلى غير ذلك ، « فالاتصال الجماهيرى هو فى أساسه تجسيد لثقافة الأمة وحضارتها ، ولا يمكن أن يكتب له أى نجاح يذكر ما لم يكن انعكاسا صادقا لهذه الثقافة أو الحضارة »[6] ، وكأن « مبارك » كان مدركا بأن الاتصال الجماهيرى لن يكون له انعكاس صادق لثقافة تتسم بالبلبلة والاضطراب وفقدان الثقة ، فأخذ يسهم فى استقرار الثقافة ووحدتها .

ويظهر مما سبق أن « مبارك » كان من أوائل الداعين إلى تمجيد الثقافة العربية ، كما كان من العاملين على النهوض بها والذود عنها إيمانا بقدرتها على تعبئة المشاعر والأفكار والوجدان الجماعى ، ولعله أول من دعا ـ أيضاً ـ إلى تكوين « شخصية للأدب العربى »[7] تأخذ بالأصالة والتجديد ـ بلا محاكاة أو تقليد ـ وتجمع حولها عقول العرب وقلوبهم ، وتستقل بطابعها العربى التام عن هذا الدوى الهائل الذى تدفع به إلينا ـ كل يوم ـ ثقافة الغرب .

---

(1) راجع تزاليه « ماهية الأدب » فى معاركه الأدبية .
(2) البلاغ : ١٦ أكتوبر (١٩٣٣) .
(3) الرسالة : ١٥ ديسمبر (١٩٤١) . زكى مبارك ناقدا ـ القاهرة ـ ص ١٤١ .
(4) أنور الجندى : المعارك الأدبية ـ القاهرة ـ ص ٥ .
(5) البلاغ : أول يولية (١٩٣٢) .
(6) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ـ مرجع سبق ـ ص ١٩٩ .
(7) البلاغ : ٢٦ أكتوبر (١٩٣٠) ، البدائع ـ جـ ٢ ص ٥٥ .



طرائف .. ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حملة القرآن

قال الحسن : حملة القرآن ثلاثة نفر : رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس ، ورجل حفظ حروفه ، وضيع حدوده ، واستدر به الولاة ، واستطال به على أهل بلده ، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن الكريم - لا أكثرهم الله - عز وجل - ! ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه ، فسهر ليله ، واستشعر الحزن ، وتسربل الخشوع ، وارتدى الوقار ، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن ، أقل من الكبريت الأحمر ، بهم يسقى الله الغيث ، وينزل النصر ، ويدفع الأعداء .

حقائق

أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره ، وأقواهم من قوى على غضبه ، وأصبرهم من ستر فاقته ، وأغناهم من قنع بما تيسر له .

حب الدنيا

من لهج قلبه بحب الدنيا التاط(1) قلبه منها بثلاث : هم لا يغبه(2) ، وحرص لا يتركه ، وأمل لا يدركه .

(1) التاط : التصق .

(2) هم لا يغبه : ملازم له .

العلم والتقوى

قالوا فلان عالم فاضل
فأكرموه مثل ما يقتضى
فقلت مالم يكن ذا تقى
تعارض المانع والمقتضى

الطعام حار

جلس أشعب مع قوم يأكلون فبكى ، فقالوا له : لماذا تبكى ؟ فقال : الطعام حار ! قالوا له : دعه حتى يبرد ، فقال أشعب : ولكنكم لا تدعونه !!

العشيرة

قال الأحنف بن قيس سيد بنى حنيفة ، وهو الذى قيل فيه : إذا غضب غضب له مائة ألف سيف ، لا يسألونه مم غضبت .

قال : من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فلا مساغ له ، ومن خانه ثقاته فقد أتى فى مأمنه ، قال الشاعر :

كنت من كربتى أفر إليهم
فهم كربتى فأين الفرار

وقال آخر فى هذا المعنى :

إلى الماء يسعى من يغص بريقه
فقل أين يسعى من يغص بماء

أخى

لست بسابق أجلك ، ولا ببالغ أملك ، ولا بمغلوب على رزقك ، ولا بمرزوق ماليس لك ، فعلام تقتل نفسك ؟!

حقا

سيكون الذى قضى
غضب المرء أم رضى

قلة الكرام

قال أبو تمام :

ولقد يكون ولا كريم تناله
حتى تخوض إليه ألف لئيم

وقال ابن أبى حازم :

وقالوا لو مدحت فتى كريما
فقلت : وكيف لى بفتى كريم
بلوت ومر بى خمسون حولا
وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يُعد ليوم هول
ولا أحد يعود على عديم

دعاء

اللهم إنى أعوذ بك أن أفتقر فى غناك ، أو أضل فى هداك ، أو أضام فى سلطانك ، أو أضطهد والأمر لك !!

من أعلام الأزهر

الدكتور علي العمّاري[1] في بحوثه العلمية

للأستاذ الدكتور:
محمد رجب البيومي

لا أعرف في زملائنا المتأدبين ، من هو أشد شكيمة ، وأصلب عودا من الدكتور علي محمد حسن العماري ، وقد قصدت بلفظ المتأدبين أن أرجع إلى عهد الصبا الناضر حين كان العماري طالبا بالأزهر ، يقرأ دروسه باعتناء ويصل إلى الدرجات الكبرى في الامتحان ، ثم هو في القسم الثانوي يكتب في الأهرام وفي السياسة الأسبوعية بحوثا ذات ابتكار وينشر قصائد ذات بريق ، وله غيرة على الحق تجعله مهيبا أمام أساتذته حيث يناقش المدرس بطلاقة واعتداد ، ومعه دليله وحجته ، وهو مع الزملاء أشد حية ، وأقوى نضالا وهذا إذا اعتقد أن الحق معه ، فإذا بدا له في تشقق الجدل ما يضعف حجته ابتسم وسلم عن محبة وإخلاص ، أما غيرته على مقدسات الإسلام ونصوص الشريعة ، كغيرة أسد هصور ، وهو في بعض الأحيان يخرج عما يعده الناس مداراة وكياسة حتى ليأتي بما يوقعه موقع التحقيق ، وكلنا يذكر غضبته لرسول الله - ﷺ - في مجلس الأستاذ الزيات بإدارة « مجلة الأزهر » ، حين سمع بعض المتسرعين ينطق بما يجب أن يتحرز المسلم عن قوله ، فبادره بالصفع واللكم وقام الزيات ورمى بنفسه على القائل المتسرع ، ليحميه من أذى قد يودي به فتحل المسئولية على علي ، وأذكر أني قلت لعلي بعد أيام من وقوع الحادث المشتهر ، كان الزجر باللسان كافيا يا أخي ، فقال وعينه تخطف ببريق حاد : ما هذا يافلان ، الموقف موقف رسول الله فهل أبالي عاقبة ما ! وكان الرجل صادقا كعهدي به .

(١) ولد - رحمه الله - في ١٩١٢/٤/٣ وانتقل إلى جوار ربه في ١٩٩٨/٧/٢٧



وقد تعلم ناشئا بمعهد الإسكندرية ثم بكلية اللغة العربية ، وعمل مدرسا بالأزهر حتى نال الدكتوراة فى البلاغة والنقد فالتحق بالجامعة ، وتهادته البلاد العربية مبعوثا علميا فى معاهدها وجامعاتها ، ولم يكن يترك القلم مادام معاقى صحيحا ، حيث امتلأت المجلات الأدبية والعلمية ببحوثه الضافية ، وأكثرها جديد مبتكر لأنه لم يكن يخوض فى المعاد المردد ، بل يعمد إلى العويص من مسائل العلم وبخاصة مسائل النقد والبلاغة فيأتى بالجديد حقا ، وأنا أعجب لأناس سار ذكرهم فى البحث العلمى ، وأحرزوا شهرة لم ينلها الدكتور العمارى وهم دونه بمراحل ، وأحار فى تعليل ذلك ، ويخيل إلى أن عمق البحث ، وجدة الموضوع ، وإيجاز الأسلوب مما باعد بين نفر من القراء وبين بحوث العمارى ، ولكن الصفوة من الدارسين يعرفون العمارى وينزلونه النزل المطمئن بين الباحثين ، على أنه لم يجمع أكثر ما كتب ، فظلت مقالاته الجيدة بعيدة عن الأيدى فى مطاوى مجلات الأزهر والرسالة والتضامن الإسلامى ورسالة الإسلام ونور الإسلام ! وقد جمع فى عهد الطلب بالقسم الثانوى ديوانا شعريا ، كان باكورة طيبة من ناشىء يطمح إلى الأوج ، وقد هزته أريحية المراهق المتوثب فقال عن ديوانه :

قد قلت شعرا لو بعثت بدره
للخلد لاستبقت إليه الحور
كم عز أبدوه على طلابه
وكم ابتغاه متوج وأمير
لم تنش أحرفه اللغات وإنما
صنع الجمال حروفه والنور

وأذكر أنى منذ عهد قريب قلت له : ياعلى ، ألا تزال الحور مشوقات إلى ديوانك ، فابتسم قائلا : يا أخى أنت لا تنسى الحق ولا الباطل . وكأنه يعد ما قال باطلا وعلىّ أن أنساه ، وأعجب ما كان يروعنى من الدكتور العمارى أنه يبدع فى البحوث الدينية إبداعه فى البحوث الأدبية حتى كأنهما فرسا رهان ! وصفحات « مجلة الأزهر » تسجل على مدى خمسة وأربعين عاما نقدات صائبة ممتازة وجهها لكتب منحرفة ، فأماط اللثام عن دوافعها ومطاويها ، وكان صريحا لا يحجم ، ولكنه كان كثيرا مايتجاهل اسم المنقود الدعى ، فلا يشير إليه ، بل يواجه القضايا ، مكتفيا بالمقول عن القائل ، ووجهة نظره فى ذلك أنه لحظ أن هؤلاء الخائضين فى دين الله بما لا يعرفون يسرهم أن تشتهر أسماؤهم ويعدون ذلك كسبا أدبيا يروج به ماطبعوه وسودوه ، فإغفال أسمائهم أشد ألما وأبعد نكالا ، وما أخطأ الرجل فى فهمه ، لأن هذا هو الواقع الأليم .

وهذه الصفحات المحدودة لا تتسع للاتجاهات المختلفة فى آثار العمارى ، وقد رأيت أن أخص الناحيتين النقدية والبلاغية بما ألقى من ضوء ، لأن الفقيد أستاذ و تخصص فى البلاغة والنقد ، وادى واجب العلم فيما برع فيه ، فجادل وناقش ، وعارض وعورض ، وسار له ذكر طيب بين الخاصة من الدارسين فى هذا المجال ، وهو بذلك قد يسر لنا القول دون إرهاق .

لقد كانت أيام الثلاثينيات وماتلاها من أرقى أزمنة النهضة الأدبية بالقاهرة ، حيث كان للمحاضرات الأدبية مواسم آهلة تجمع شباب الجامعتين الأزهرية والمصرية ، إذ لا كرة قدم تشغل ، ولا شاشة تليفزيونية تلهى ، وكان الجمهور يعرف من المعقبين على هذه المحاضرات شابين معممين بارعين ، هما أحمد الشرباصى وعلى العمارى ، أما الشرباصى فيبهر بأسلوبه الخطابى الرقيق ، وبهدوئه المتزن ، وأما العمارى فيروع بالحجة البالغة ، والعلم الشامل ، وأذكر للعمارى موقفا كان السبب فى معركة أدبية حامية دارت على صفحات الرسالة بين الدكتور زكى مبارك والأستاذ الساعى البيومى ، حيث ألقى الساعى بمدرج دار العلوم محاضرة علمية قيمة عن المبرد صاحب الكامل ، وقد تعرض لشرح الكامل الذى كتبه العلامة سيد بن على المرصفى تعرضا متسرعا إذ نال من مكانة الشيخ بما كان الأحرى به أن يبتعد عنه ، وكان العمارى من حضور هذا الحفل الحاشد ، فتقدم إلى المنصة ليسأل الأستاذ الساعى أربعة أسئلة علمية ، هى فى الوقت نفسه رد حاسم على كل ما قاله عن المرصفى ، واضطر المحاضر إلى الإجابة ، فتورط فى رمى المرصفى بالجهل والادعاء ، وذاع الأمر فى بريد الرسالة ، فتحمس الدكتور زكى مبارك وهو من تلاميذ المرصفى للدفاع عنه ، وهاجم الساعى بعبارات قاسية فقامت معركة أدبية بين الأديبين الكبيرين ، ومن العجب أن المعركة فى بعض أسبابها قد دارت حول المقامات الأدبية ، ومن كان السابق فى إنشائها من الأدباء ، وادعى مبارك أنه السابق إلى معرفة المنشىء الأول للمقامات وهو أبو بكر بن دريد ، كما ذكر أن الساعى قد أخذ منه اكتشافه الأدبى دون أن يشير إليه وعدّ ذلك سرقة ، وتبرأ الساعى مما قاله مبارك ، ولم ينتهيا معا إلى رأى حاسم ، ولكن العمارى بعد أن هدأ النقاش ، أخذ يبحث المسألة فى هدوء ، ورجع إلى مصادر شتى ، حتى اهتدى إلى أديب لم يذكره أحد ممن أرخوا نشأة المقامات على أنه المبدع الأول . وإن ذكره مؤرخوه على أنه أديب قاص ، هذا الأديب هو أبو المطهر الأزدى محمد بن أحمد ، وقد سبق وجوده البديع الهمذانى بأكثر من سبعين عاما ، وبين أدبه وأدب بديع الزمان الهمذانى من التشابه ما ليس بين أدب ابن دريد وبديع الزمان ، فهوإذن مبتدع المقامات يقول العمارى[1] :

« شخصية أبى القاسم البغدادى [راوية الأزدى] وشخصية أبى الفتح الإسكندرى [راوية بديع الزمان الهمذانى] متشابهتان حتى فى التسمية ، وهما خرافيتان وكل منهما جمع أدوات النصب والاحتيال والنفاق ، فترى الواحد منهما يدارى أهل المجلس وينافقهم ، فيلبس ثوب التقى والصلاح ، حتى إذا رآهم على استعداد للهزل انقلب لاعبا متمردا عارفا بغرائب الخلاعة والمجون ، وقد وصف كل منهما الحياة الاجتماعية

---

(١) دراسات ادبية للدكتور محمد رجب البيومى

فى عصره ، فحكاية أبى القاسم وصف لحياة بغداد وما فيها من خلاعة ولهو ، وتدوين لكثير من عادات أهلها ، وإذ دون مظاهر الحياة فى عصره ، وكذلك فعل البديع فى مقاماته ، وكما دونا كثيرا من العادات ، دونا كثيرا من الألفاظ الجارية على الألسنة ، وينتقل أبو المطهر من فن إلى فن فى دعابة وظرف ، وحكايته كلها فى مجلس واحد ، وكذلك ترى البديع ينتقل من حال إلى حال .

لقد جاء العمارى بفصل الخطاب فى أمر تعارك حوله الأديبان الكبيران ، ولم يصلا إلى شىء ، ولا أدرى لماذا لم يحرص العمارى على نشر هذا التحقيق فى كتاب مستقل مع ما يشابهه من بحوثه كى يعم صداه الأدبى ، إذ اكتفى بنشر بحثه بمجلة الأزهر بالمجلد السادس عشر ص (١٣٥) وما بعدها ، وإليه رجعت الآن ، ولم أر من احتذاه فيما بعد ممن أرخوا لنشأة المقامات مع أنه عين الصواب غيرى فقد أيدته فى كتاب لى .

هذا مشهد من مشاهد العمارى فى أندية البحث الأدبى بالقاهرة ، وأذكر له مشهداً آخر كنت حاضره حينئذ حيث إن قاعة المحاضرات بدار الحكمة فى سنة ١٩٤٧ قد دأبت على إذاعة محاضرات رائعة فى التفسير القرآنى أسبوعيا يقوم بها نفر من أعلام الباحثين كالأساتذة محمود شلتوت وعبد الوهاب خلاف وعبد الوهاب عزام ، وعبد الوهاب حمودة ، وكان فيما تعرض له الأستاذ الكبير عبد الوهاب خلاف مسألة دوران الأرض حول نفسها إذ قال إن القرآن صريح فى ذلك ، إذ يقول الله عز وجل :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النمل : ٨٨)

هذا ما قاله الأستاذ خلاف ، وكان العمارى بين الحضور ، فصمم على أن يرد على الأستاذ ، واتجه إلى المنصة ، فوجد الشيخ يهم بالخروج ، وكأنه كان متعبا لفرط ما أجهد نفسه ، إذ حرص على جدة الأداء ورونق الأسلوب معا فى ارتجال بارع يعرفه الناس عن الأستاذ الكبير ، فأسرع العمارى إليه واستوقفه للنقاش فلم يستجب ، ورأى العمارى أن ينشر نقده على صفحات الرسالة[1] بعد أن حيل بينه وبين ما يريد ، فكتب مقالا موجزا قال فيه بعد أن ذكر ملابسات الموضوع إن الآية الكريمة فى سورة النمل تصور حالة من أحوال القيامة :

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝ ﴾ (القارعة : ٤ ، ٥)

وكما قال تعالى فى سورة الكهف :

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ ﴾ (الكهف : ٤٧)

وكذلك قوله تعالى :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (النمل : ٨٨)

وقد احتاط العمارى فذكر رأيا للزمخشرى يجيز رأى الأستاذ خلاف ، ولكنه لا يراه ، وأنا مع العمارى فى اتجاهه ، لأن الله ـ عز وجل ـ يقول قبل الآية الكريمة :

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۝ ﴾ (النمل : ٨٧)

(١) مجلة الرسالة : ١٩٤٧/٣/٣١ .

هذه الحمية للرأى الذى يعتقده العمارى تغلب عليه فى كل مجلس علمى يشهده ، أذكر أننا كنا نحضر مناقشة رسالة من رسائل الدكتوراة فى موضوع نحوى دقيق ، فلمس العمارى من أسئلة بعض المناقشين ما ينبىء عن تورطه فى أخطاء ما كان له أن يقع فيها ، واحمر وجه العمارى ، ولكن قانون المناقشات الجامعية لايجيز لأحد من الحضور أن يتدخل فى النقاش ، وهذا ما يعرفه العمارى جيدا ، فرأيته يمسك بالقلم ويدون ملاحظاته ، حتى إذا انتهت المناقشة وتهيأ القوم للانصراف ، عجل العمارى فالتحق بالمناقش ، وعرض عليه رأيه فيما أبداه ، وكان الحق مع العمارى صريحا غير مجمجم ، فسكت الأستاذ على مضض ، وقد أدركت العمارى فقلت له : وما نتيجة ما صنعت لقد انتهى المجلس . وأخذ الطالب دون ما يستحق فى رأيك ، فقال متعجبا أتنتظر منى أن أسكت ؟ لابد أن يعرف المخطىء خطأه !

ومع اشتغال العمارى بالتأليف المدرسى للمعاهد الأزهرية فى سنوات عدة تشمل مقررات البلاغة والنقد ، فإن ذلك لم يمنعه من اليقظة الدائمة لما يحدث فى الساحة الأدبية من عراك فكرى يتجه حينا إلى قضية القديم والجديد ، وحينا إلى قضية الشكل والمضمون ، وحينا إلى ما يسمى بقصيدة النثر ، إذ كان من أقوى معارضيها ، وقد درس كتب التجديد المعاصر ووقف منها موقف المحايد المنصف ، فخالف ووافق وجهر بالحق فى مسائل يعتبرها المجددون قضايا مسلمة لا مجال للخلاف فيها ، ولعل الأستاذ ميخائيل نعيمة كان أكثر الناقدين استيلاء على فكر العمارى ، إذ عارضه فى أكثر ما كتبه فى مؤلفه (الغربال) وهو كتاب نال تقدير الصفوة من الناقدين وفى طليعتهم الأستاذ عباس محمود العقاد الذى كتب مقدمة الكتاب وأثنى على صاحبه بما يستحق ، والخلاف النقدى لا يمنع الثناء الصادق إذا صادف موقعه الصحيح ، كما لا يمنع النقد النزيه إذا اتفسح مجاله دون افتعال ، وعلى ذكر الأستاذ العقاد أشير إلى محاورات عدة وقعت بين العمارى والناقد الكبير . حيث عقب علىَّ على العقاد فى عدة مواقف تعقيبا مهذبا صادف ارتياح العقاد وقبوله ، فأجاب بما أوضح وجهة نظره فى هدوء يلتزمه العقاد مع من يلمح فى نقده صدق اللهجة ، ورغبة الوصول إلى الحق ، وأمثل لذلك بما عقب به العمارى على رأى العقاد فى تفضيل القصة على الشعر ، حيث كان هذا التفضيل مجال نقد لخصهالعمارى فى تفنيد صريح لقول العقاد إن القصة كثيرة الأداء قليلة المحصول ، والطبقة التى تروج بينها القصة لا ترتقى فى الثقافة والذوق مرتقى الطبقة التى يروج لديها الشعر فقال العمارى بصدد ذلك إن القياس الأول ، قد تحدث عنه علماء البلاغة حين قرروا أن خير الكلام وأبلغه ما جمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، وهذا المقياس لا يصلح للموازنة بين القصة والقصيدة ، ولكنه يصلح للموازنة بين عبارة وعبارة ، أو بيت وبيت لأن فائدة القصة ليست مقصورة على الغرض الأساسى الذى وضعت من أجله ، فهناك التصوير الرائع والوصف الدقيق لحركات الأحياء ونوازع النفوس ، أما المقياس الثانى فليس فاصلا فى رأى العمارى لأن الطبقات الدنيا فى الثقافة والأخلاق لا تروج عندها القصة الفنية الجديرة بهذا الوصف بل تروج عندها أنواع رخيصة من مبتذل القول ومنحدره ، على أن العامة تحب الشعر السهل كما تحب القصة سواء

سواء ! هذان النقدان واجههما العقاد برد يوضح مذهبه وقد نشر رده فى مجموعة « يسألونك للعقاد » ما بين ص ٢٦٦ وص ٢٧٣ ، ويطول القول لو حاولت تلخيص رد العقاد ، وقد أشرت إلى موضعه ليرجع إليه القارىء الفاحص إذا أراد ، وأنا بهذا أؤكد يقظة العمارى ، ومواجهته المهذبة لناقد كبير عرف بالشموخ والاستعلاء ! وهى مواجهة تكررت مرات أخرى ، أهمها دفاع العمارى عن المديح فى شعر شوقى مواجها رأى العقاد افتعال المدائح الشوقية وصدورها عن غير تجربة حقيقية ، وقد رد عليه العقاد بمجلة منبر الإسلام الصادرة فى صفر سنة ١٣٨٢ هـ ردا قال فيه :

« ولهذا لا نلوم بعض الفضلاء الذين تعجلوا ففهموا مما نكتبه فى هذا المعنى ، أننا ندافع عن شعر المديح بعد أن هاجمناه ، ومن هؤلاء الأفاضل صاحب الفضيلة الشيخ على محمد حسن العمارى الذى يقول إننا نرى العقاد يدافع عن شعر المديح بعدما قضى ردحا طويلا من الزمن يهاجمه كى يهدم شوقى » وتقى العقاد ما اتجه إليه فكر العمارى بأدلة من واقع نقده ، وخلاصة ذلك كله هى أن العمارى يصدع دائما بكلمة الحق من وجهة نظره أيا كان مخالفه ، وقد حدث للعقاد هدوءه الحليم فى هذه المواجهة على غير عهده فيما يتصل بشوقى ومؤيديه .

ويجب ألا ننسى ما كتبه العمارى « بمجلة الأزهر » فى سلسلة متصلة من البحوث الأدبية تحت عنوان : (مناقشات أدبية) حيث فتح بابا للجدل المدعم حول شخصيات أدبية ذات وضع قلق فى التاريخ الأدبى ، ومن بينها شخصية « تأبط شرا » ، وشخصية مالك بن الريب التميمى ، أما تأبط شرا فقد جمع الأستاذ عدة روايات عنه تضارب وتناقض وجعل من هذا التضارب سببا للحكم بأن « تأبط شرا » شخصية خيالية لم يعرفها التاريخ ، وأظننى على غير هذا الرأى ، لأن تضارب الأخبار كما يوهم اختلاقها ، فإنه يوهم أيضا اختلاق بعضها ، مع صحة بعضها الآخر ، فإذا أنكرنا مما قيل عن تأبط شرا من أنه تزوج جنية فى الصحراء ، وتنازل السعلاة فلا نستطيع أن ننكر وجود لص فاتك عاش فى الصحراء ناهبا سالبا كغيره من ذؤبان العرب ، والشعر المروى على لسانه جيد لا افتعال فيه ، وما أظن أحدا يقدر على نظمه ثم يهبه سواه ! أما مالك بن الريب فقد أكد العمارى وجوده ، وأكد بعض ما روى من شعره ، ولكنه وقف من قصيدته فى رثاء نفسه موقف الرافض ، وقد اتخذ من النقد الداخلى دليلا على افتعال الأبيات واضطرابها فى المعنى بدءا وخاتمة ، وتلك وجهة نظر مقبولة ، ولكنها لا تنفى وجود أصل للقصيدة فى أبيات عدة تجاوزت خمسة عشر بيتا هى من أصدق الشعر وأروعه ، ثم بدا لبعض الرواة أن يزيدوا فى الأبيات زيادة أخلت بالمضمون حين جعلته يتناقض بدءا وخاتمة ، ولقد كان من الأوفق أن يقتصر العمارى على الحكم بزيادة بعض الأبيات لا أن يسارع بالقول الجازم بانتحال القصيدة ، وعزيز علىّ شخصيا أن تفقد هذه المرثية الرائعة نسبتها إلى أب معين ، وفيها من حرارة العاطفة ، وصدق الواقع ، وقوة الإيحاء ما لا نجده فى كثير من المراثى ، وهى بهذا الصدق الأمين أصيلة أصيلة زيد عليها بما لم يطمس بريقها الأخاذ .

« يتبع »



العلوم الكونية

قراءة إيمانية فى كتاب الكون من البداية إلى النهاية

للأستاذ الدكتور:
أحمد فؤاد باشا

البداية

قال الله تعالى : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون ﴾ (الأنبياء : ٣٠)

وقد جاء فى التفسير أن السموات والأرض (كانتا رتقا) أى شيئا واحداً متصلا ، وهذا يدل على أنها من عناصر واحدة ، (ففتقناهما) أى فصل الله بينها فانتثرتا فى الفضاء أجزاء حيث شاء الخبير العليم . والرتق لغة يعنى : الضم والالتحام ، وهو عكس الفتق ، يقال : رتقت الشىء فارتق أى التأم .

ولما كان من معانى الإعجاز فى اللغة العربية الفوت والسبق ، فإن القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة ينفرد بالسبق المعجز إلى تقرير حقيقة كونية عن أصل الكون تمثل تحديا مستمرا للعلم البشرى مهما تطور وتقدم ، ذلك لأن قضية أصل الكون ونشأته تعتبر من أمور الغيب التى يعلم الله وحده حقيقتها الكاملة مصداقا لقوله ـ جل شأنه ـ :

﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ (الكهف : ٥١)

لكن غيبية هذه القضية لم تمنع العلماء بحكم تعاليم الإسلام - أن يواصلوا البحث والتنقيب عن آيات الله في الكون ليزداد الإنسان إيمانا بقدرة الخالق المبدع ووحدانيته . قال تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾

(العنكبوت : ٢٠)

ولقد حقق العلم الحديث نجاحا محدوداً على طريق البحث عن أصل الكون فاستعان العلماء بتقنيات متقدمة في الرصد والقياس لدراسة مسائل عديدة تتصل بتطور النجوم وخصائص موجات الراديو (اللاسلكي) وطبيعة الأشعة الكونية وغيرها .

واستطاع الفلكي « أدوين هابل » Edwin Hubble أثناء تحليله للضوء المنبعث من المجرات البعيدة ، أن يكتشف تباعد جميع المجرات الممكن رصدها عن بعضها البعض ، وكان هذا أول مفتاح على الطريق للكشف عن أسرار تاريخ الكون . فإذا كانت المجرات تتباعد الآن عن بعضها البعض ، فلابد إذن من أنها كانت في الماضي السحيق متحدة ، مما يدل على أن للكون بداية .

وفي عام ١٩٤٨ م طرح الفيزيائي « جورج جامو » G . Gamow نظرية الانفجار الكبير Big Bang ، وهي من أكثر النظريات العلمية المقبولة عقلا فيما يتعلق بتفسير نشأة الكون المادي كله . إذ تصور هذه النظرية أن المادة الكونية الأولى كانت محتواة في حيز لا يكاد حجمه يعادل شيئا . وكانت هذه « البيضة الكونية الأولى » Cosmic egg كما يسميها العلماء ، في حالة انضغاط شديد رفع من كثافتها ودرجة حرارتها إلى حد كبير جدا ، وجعلها في حالة مواتية لجميع التفاعلات النووية . حينئذ حدث الانفجار الكوني الكبير في لحظة محددة من الزمن يرجع تاريخها - حسب أرجح التقديرات العلمية - إلى ما بين ١٢ و ٢٠ مليار سنة . ونتج عن ذلك تباعد المجرات وتخلخل الكثافة ونقصان درجة الحرارة تدريجيا حتى أصبحت هذه الخصائص من أهم الوسائل التي يستعين بدراستها العلماء على فهم طبيعة الكون .

وقد أوضح « جامو » أن عمليات التمدد والتبريد تؤدي إلى تشتت وهج خافت من الإشعاع الأساسي بشكل منتظم في جميع أرجاء الكون . وتأكدت صحة هذا الرأي عمليا في عام ١٩٦٥ م عندما اكتشف العلماء بمحض الصدفة ، وباستخدام جهاز ضخم لالتقاط الموجات الدقيقة Microwaves إشعاعا ضعيفا منبعثا من الفضاء ، وأثبتوا أنه بقية من الإشعاع الأصلي الناتج من الانفجار الكبير .

الاتزان الكوني :

قال - تعالى - :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾

(الرعد : ٢)

تشير هذه الآية القرآنية الكريمة إلى بعض الظواهر الكونية التي أخبر بها الله - سبحانه وتعالى - لتدل على كمال قدرته وبالغ حكمته ، ومنها أنه خلق السموات مرتفعات بغير عمد ، أي دعائم ، يمكن رؤيتها بالبصر . وقد جاء في تفسير ذلك عن ابن عباس ومجاهد والحسن أنهم قالوا : لها عمد ولكن لا ترى . ولو قيل (بغير عمد) فحسب لكان ذلك نفيا مطلقا للعمد ، مرئية وغير مرئية . والنفي المطلق يخالف الواقع الذي أودع الله تعالى فيه سننه ونواميسه وآياته التي وعد - سبحانه - بإظهارها مستقبلا على أيدي من



يشاء من عباده . وبهذا يكون المعنى العام أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق السموات ورفعها وربط بين أجزائها وحفظ اتزانها فى مواقعها التى قدرها لها من غير دعائم مرئية ، لأن هذه الدعائم من شأنها وطبيعتها التى أوجدها الله عليها أنها لا ترى أصلا .

ويمكن تصور هذه الدعائم غير المرئية ـ من منظور العلم الحديث ـ بأنها من نوع القوى المجالية التى تعمل وفق قانون محدد من أجل حفظ الاتزان الكونى والإمساك بالأجرام السماوية فى أفلاكها ومنعها من الانفراط فى الفضاء أو الوقوع على بعضها البعض . ذلك أن الأجرام السماوية تتحرك تحت تأثير قوى جاذبة للربط بينها وقوى رافعة لحفظها من السقوط .

وحيث إن قوى التجاذب الرابطة من شأنها أن تقرب وتجمع بين الأجرام ، فى حين تعمل طاقة حركتها (المكتسبة من القوى الرافعة) على انطلاقها بعيدا فى أعماق الفضاء طبقا لخصائص تأثير القوى فى الأجسام ، فإن تقرير حفظ هذه الأجرام من السقوط على بعضها البعض واستمرار دورانها فى أفلاك ثابتة يستلزم بالضرورة العقلية أن يكون تأثير قوى التجاذب مساويا ومضادا (أى معادلا) لتأثير طاقة الحركة ، وتصير الأجرام بذلك على أبعاد ثابتة فى مجموعاتها التى تنتمى إليها ، أى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد عادل وساوى بين تأثير قوى التجاذب الرابطة للأجرام السماوية وتأثير حركاتها المكتسبة من قوى الخلق والرفع ، فحفظها بذلك من السقوط بتأثير القوى الرابطة ، كما حفظها من التفرق بتأثير القوى الرافعة ، وهكذا انتظمت مكونات الكون الهائل فى نظام بديع يحكم حركتها ويمنع تصادمها رغم كثرتها ويحفظ اتزانها واستقرارها فى أفلاكها إلى ما شاء الله .

قال تعالى :

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(يس : ٤٠)

ولم يتوصل العلم إلى إظهار هذه الحقيقة الكونية عن اتزان الأجرام السماوية إلا بعد نزول القرآن الكريم بأكثر من ألف عام ، وذلك عندما اكتشف العالم الإنجليزى « اسحق نيوتن » فى عام ١٦٦٧ م قانون الجذب الكونى بين جميع الكتل المادية لتفسير حركة الكواكب حول الشمس ، وحركة الأقمار حول الكواكب ، ثم أثبتت التجارب العملية صحة هذا القانون فى عالم القياسات العادية ، وقام على أساسه الكثير من الكشوف والاختراعات التى أفادت منها البشرية فى مختلف المجالات ، وخاصة فى مجال تطوير أبحاث الفضاء وإطلاق الأقمار الصناعية التى تدور حول الأرض فى مدارات مختلفة بحسب الأغراض التى صنعت من أجلها .

النهاية :

قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۝ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾

(النازعات – ٤٢ : ٤٥)

تؤكد هذه الآيات الكريمة حقيقة القيامة وانتهاء الحياة الدنيا ، كما تؤكد فى الوقت نفسه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد استأثر بعلم الساعة ، فإليه وحده منتهاها . وليس هذا بالأمر الغريب ، فالإنسان يعلم حقيقة الموت ولكنه يجهل موعد حدوثه .

ويؤكد القرآن الكريم فى آيات أخرى حقيقة فناء الكون وحدوث القيامة والبعث ، وإفراد البقاء

والدوام لله الواحد ذى الجلال والإكرام ، وذلك فى مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

(الرحمن – ٢٦ : ٢٨)

وقوله ـ جل شأنه ـ :

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص : ٨٨)

ولقد توصل العلم الحديث إلى عدة حقائق هامة توافق اهتمام القرآن الكريم وإخباره بمشاهد القيامة وعلاماتها فى آيات كريمة متعددة منها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحج : ٦٥)

وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر : ٤١)

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى خلق هذا الكون وجعله على أعلى درجة من الترتيب والاتزان والجمال ، وهيأه لخدمة الإنسان المكلف بإعمار الحياة على الأرض وفق السنن الإلهية التى لا تتغير ولا تتبدل . قال تعالى ـ :

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

(فاطر : ٤٣)

ويخبرنا الحق ـ عز وجل ـ بأن نهاية العالم عندما تحين الساعة ستكون بإيقاف هذه السنن والنواميس والقوانين التى اهتدى الإنسان إلى معرفة بعضها ، من ذلك مثلا أن تعطيل قوانين الحركة والجاذبية بأمر من الله من شأنه أن يحدث انشقاقا واختلالا فى توازن النظام الكونى يتبعه اضطراب فى حركة الأجرام السماوية بعد انقطاع خيط الجاذبية الكونية الذى كان يربط بينها . ولا يمكن للعلم البشرى أن يحيط بكل حقائق هذا اليوم العصيب ، ولا يملك أن يزيد شيئا إلا من خلال ما توحى إليه النصوص القرآنية فى ضوء ما يتوصل إليه العلماء من حقائق علمية . فمن المقبول عقلا أن يؤدى انفراط عقد الأجرام السماوية إلى تناثرها وتصادمها مصداقا لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾

(الانفطار – ١ : ٢)

وقوله ـ سبحانه ـ :

﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ ﴾ (القيامة : ٩)

كذلك من المقبول عقلا أن يؤدى الاضطراب فى نظام الكون إلى حدوث زلزال شديد وارتجاج هائل تنهار معه كل الجبال وتتبدد صلابتها ، كما تدك معه الأرض وتخرج ما فى باطنها من أثقال ، مصداقا لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴾ (الواقعة – ٤ : ٦)

وقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾

(المزمل : ١٤)

وقوله تعالى :

﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾

(الحاقة : ١٤)

وقوله سبحانه :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾

(الزلزلة — ١ : ٥)

ويؤكد القرآن الكريم فى مواضع كثيرة على أن هذا الكون بمجراته ونجومه وكواكبه وأقماره ، زمامه فى يد خالقه ، ونواميس الحركة والحياة فيه من تدبير هذا الخالق الواحد الذى يقول للشىء كن فيكون . كذلك يؤكد كتاب الإسلام أن القيامة سوف تحدث بغتة بإذن الله ، وأن حضارة الإنسان على الأرض سوف تذهب بها رجفة من رجفات الاضطراب الكونى يوم الدمار الأكبر لكل شىء إلا ما شاء الله . قال - تعالى -

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ (الأنعام : ٣١)

وقال - سبحانه - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس : ٢٤)

ومن عجب ألا يؤمن الكفار بالآخرة ، ويعتقدون فقط فى الحياة الدنيا دون بعث :

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾

(المؤمنون : ٣٧)

وكان الحياة فى نظرهم مجرد أرحام تدفع وأرض تبلع ولا خلود ولا جزاء . لكن هذا الاعتقاد يتنافى مع حقيقة العالم الآخر الراسخة فى الضمير البشرى لأنها ترضى الجانب النفسى والأخلاقى للإنسان . ومن هنا فإن دعوة الإسلام إلى الإيمان بحقيقة الآخرة تحقق الاتزان النفسى للإنسان فى مقابل إيمانه بحتمية الموت فى الدنيا : قال تعالى :

﴿ الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ﴾

(البقرة — ١ : ٤)

أهم المراجع :

● محمد أحمد الغمراوى ، الإسلام فى عصر العلم » .
دار الإنسان ، الطبعة الرابعة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م
● د . منصور حسب النبى ، « القرآن الكريم والعلم الحديث » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١ م .

بُشريات

للأستاذ:
مجدى عبد الحميد بشير

ما أجمل أن يتفيأ المسلمون ظلال البشريات الطيبة، والأماني الحلوة، في شهر رمضان المعظم، الذي يسبح الصائم فيه في بحر زاخر من العطاءات الربانية، والمواهب الإلهية، والرحمات السماوية. وتزداد هذه النبرة الحميمة إشراقاً، ويسطع بريقها حينما يفوح شذا الأمال بعطر العافية وألق الشباب المنبعث من قلب سليم، وجسم صحيح، وعقل متفتح يصبو دائما إلى أن يكون الغد أكثر إشراقا، وأنصع بهاء.

وسبيلنا إلى ذلك آلاء الله المتجددة، ونعمه التي تترى، والتي يحلو الحديث عنها، وقد زاد مغزاه، وأكسبه عمقا أضواء ألقاها جماعة من أفذاذ العلماء، أثلجت الصدور بشاراتهم الوضيئة. وسجلتها لهم مجلة Parade الأمريكية في تنبؤ يكاد يكون غير مسبوق في مستقبل زاهر للبشرية.

فمنذ بضعة عقود توصل العلماء لعلاجات حاسمة، لكثير من الأمراض الأساسية، التي كانت تصيب الناس.

فقد تمت السيطرة - ولله الفضل والمنة - على السل الرئوى والدرن والجدرى.

كما ساعدت الأساليب الجراحية المتقدمة، والعقاقير المؤثرة، في التغلب على أنواع أخرى من الآلام، كارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب والسكر والصرع.

بل إن العلماء ليتوقعون أن يحدث من التقدم في الخمسين عاما المقبلة ما يزيدنا فهما، ليس فقط للطرق التي تعمل على أساسها الصبغيات والمورثات، التي تتحكم في الجسم البشرى، بل أيضا تلك التي تعمل بها كيمياء المخ.

وتعميماً للفائدة هاك ما أدلى به جمع من العلماء الحائزين على جائزة نوبل في الطب.

ويبلغ عددهم خمسة عشر طبيبا يقدمون الأمل للإنسانية في صراعها الطويل، لقهر التحديات



التى تواجهها وهى على أعتاب مئوية جديدة فى مسيرها الممتد .

« مشروع الجينوم البشرى » :

بحلول عام ٢٠٠٥ يتوقع العلماء لمشروع أسموه « الجينوم البشرى » وهو مشروع يهدف إلى عمل مسح شامل ودقيق لخريطة المورثات والصبغيات التى يعمل بمقتضاها الجسم يتوقع العلماء لهذا المشروع أن يتم ويكتمل ومعرفة لوحة المفاتيح هذه ستمكن الباحثين من إيجاد عقاقير جديدة ، لعلاج أمراض كثيرة ويقول دكتور / فرانديز هيل المدير السابق للمعاهد القومية للصحة والذى يعمل حاليا بجامعة أوهايو بأمريكا يقول :

إن دراسة خريطة الصبغيات والمورثات والتى تعد بمثابة لوحة المفاتيح للكائن البشرى إذ تتحكم فى كل حركاته وسكناته هذه الدراسة والمعرفة الموسوعية لها لن تترك أى مرض تقريبا دون أن تجد له علاجا . ودراسة الكيفية التى يتوارث بها أبناؤنا وأحفادنا بعض صفاتنا أدت إلى اكتشافات باهرة . فعلى سبيل المثال :

اكتشف العلماء فى العشرة أعوام الماضية مورثات تحد وتمنع من انتشار الخلايا السرطانية فى الإنسان والحيوان والتى وجد أنها قد تتفشى فى كل أعضاء الجسم وتسمى هذه المورثات Oncogenes ومن ثم فإن العلماء بصدد إيجاد عقاقير تحد من ضرر هذه المورثات عندما تنشط وتتحفز للهجوم .

ويشرح ستيفن موكرن نائب مدير المعهد القومى للقلب والرئة والدم نقطة جوهرية فيقول :

إن هناك مايتراوح من ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ مرض ينشأ كل منها عن نقص أحد المورثات بالذات وهذه الأمراض - ولله الحمد والشكر - نادرة لكنها معاً تمثل عبئا ثقيلا على الصحة العامة .

هذا وقد تحسنت فى العقد السابق القدرة على معالجة مشاكل الصحة العقلية عن طريق جيل جديد من العقاقير ذات التأثير الفعال . ومثال ذلك العقاقير التى تؤثر على كيمياء المخ والتى ساعدت على شفاء ما يتراوح بين ٦٠٪ إلى ٨٥٪ من مرضى الخلل العقلى ونوبات الإثارة والانفعال والخلل القهرى والاكتئاب وغيره .

وأما د . هيربرت ميردز عميد كلية الأطباء والجراحين بجامعة كولومبيا فيقول :

لقد بدأنا فهم العلاقة المتداخلة بين علوم الحياة والسلوكيات ، إذ منذ بضع سنين لم أكن لأصدق أن جزيئا ما بالمخ يمكن أن يكون له تأثير فى إقدام الشخص على الانتحار ، لكن الآن ثبت لنا بالدليل القاطع أن تلك هى الحقيقة[1] .

وأما مرضا الرعاش وباركنسون وهما اثنان من الأمراض السيئة والأكثر شيوعا فى إصابة العقل بالخلل والارتباك فسوف يتم التحكم فيهما خلال السنوات القليلة القادمة وتواصل مجلة Parade تقديم باقة البشريات والنعم السابغة فتقول أن الدكتور كلود لانفانت مدير المعهد القومى للقلب والرئة والدم متفائل حيث سيتمكن العلماء من إيقاف أمراض القلب والحد من فشل القلب فى أداء مهمته فى القريب العاجل ويبشر مرضى انسداد الشرايين بإيجاد تقنيات جديدة تعيد سريان الدم عبر الشرايين والأوردة إلى حالته الطبيعية المعتادة ويوضح أن العقاقير التى تؤدى إلى انخفاض ضغط الدم وتقوى القلب تتطور يوما بعد يوم ويقدم العلم بشرى نرى أنها مغرقة فى التفاؤل لكننا نسوقها لمجرد العلم بها .

فالعلماء بسبيلهم إلى إيجاد قلب صناعى ذى

---

(١) ولا يعنى هذا أن المنتحر يعفى من مسئولية هذه الجريمة

مضخات وصمامات وعون كهربى ، كل ذلك داخل الجسم بهدف الاستغناء كليا عن القلب البشرى وهى هبة ربانية لا أظن الإنسان بقادر على العيش بدونها .

وحيث إن أخطر ما يصيب الإنسان هو النوبات القلبية ، والسكتات الدماغية ، حين يتسرب الدم للمخ ، فيقتل الملايين من الخلايا ، ويحرم المخ من نصيبه المعتاد من الأكسجين فإن د . دينيس باربوت الذى يقوم بإدارة برنامج لمعالجة النوبات بمستشفى نيويورك يزف البشرى باستحداث ثلاثين عقاراً لمعالجة هذه الأمراض الفتاكة .

بل إنه يؤكد أن وسائل جديدة استخدمت فى تصوير المخ ستجعل من السهل على الأطباء رؤية آثار النوبة قبل حدوثها بوقت مبكر مما يساعد على الحد من أضرارها .

ومرضى السكر ينحصر علاجهم ـ غالبا ـ فى تنظيم الوجبات الغذائية ، وأداء التمرينات الرياضية ، كما أن جرعات الأنسولين اليومية مطلوبة للبعض الآخر . والبشريات التى يسوقها العلم الحديث لهؤلاء الناس كثيرة منها أن بإمكانهم تقليل الضرر ، الذى يصيب الكلى ، والعيون بالتنظيم الصارم لمستويات السكر فى الدم والهندسة الوراثية فى القرن القادم ستؤدى إلى علاج شاف للنوع الأول من السكر وهو النوع الذى لا يعالج إلا بالأنسولين والمسئول عن ١٠٪ من حالات مرضى السكر .

ويبين د . فرانك فينيكور رئيس الجمعية الأمريكية لأمراض السكر هذه النقطة فيقول :

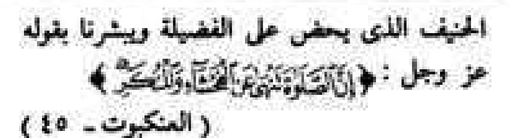
إنه بقياس المستويات غير العادية فى الجهاز المناعى ، والمورثات فى الأطفال الرضع يمكننا توقع من سيصاب بالنوع الأول من السكر وهى خطوة عظيمة إلى الأمام لكن القضاء على مرض السكر سيستغرق من العلماء على الأقل عقداً من الزمان .

أما الفيروس HIV والذى يتسبب فى مرض نقص المناعة المكتسبة « الإيدز » فمن غير المتوقع إيجاد لقاح ، أو علاج له فى القريب العاجل .

والسبب أن ذلك الفيروس يهاجم خلايا الدم البيضاء فى الجهاز المناعى مما يجعل مهمة ذلك الجهاز فى تعقب ذلك الفيروس والقضاء عليه أشد صعوبة ، وهذا الفيروس يشبه تماما فيروس الأنفلونزا ، وهو فيروس ذو قدرة هائلة على التمويه ، والتبدل والتغير واتخاذ أكثر من شكل فى كل عام ، فهو دائب التغير ، وعديم الثبات على حال واحدة .

ومع هذا فإن جهود العلماء لا تتوقف ، والأمل فى الله كبير فى إيجاد لقاح ذى تأثير فعال ، وهو أمر يتطلب من العلماء دمج من ٥ : ١٠ أنواع مختلفة من فيروس HIV المسبب للإيدز حتى تكون النتيجة معقولة .

ويحذر د . ديفيد بالتيمور أستاذ علم الأحياء فى معهد ماساشوستز للتكنولوجيا فيقول : إن علينا سلوك سبيل آخر لعلاج هذا المرض ، إذ ثبت لنا أن كل العلاجات التى أوجدناها تقتل ٩٩٪ من الفيروس فى الأشخاص المصابين به ، ثم سرعان ما يعود الفيروس بمستويات عالية . ولذا فإن الإيدز أو السيدا كما ينطقه الفرنسيون يعتبر من العلل القليلة التى لم يتقدم العلم فى علاجها كثيرا ، وبعد استعراض العلاجات الكثيرة بالعقاقير للإيدز ، والتى لا جدوى من الخوض فى تفاصيلها ينتهى العالم إلى الرأى ، الذى قال به الإسلام منذ أكثر من ١٤ قرنا ، والثابت فى قاعدة الوقاية خير من العلاج فما بالك بديننا الإسلامى

الحنيف الذى يحض على الفضيلة ويبشرنا بقوله عز وجل : ﴿ 

﴾

(العنكبوت - ٤٥)

أما تورستين ويزل رئيس جامعة روكفلر - فيرى أن العلماء اليوم مهتمون بأنواع جديدة قاتلة من البكتيريا التى تبدى مقاومة ضارية للمضادات الحيوية ويبين أن الكميات الضخمة التى يتم إنتاجها واستعمالها من هذه المضادات دون تصاريح أو إشراف طبى كالأدوية المستخدمة فى المزروعات والعلاجات البيطرية كلها لم تؤد إلا إلى إيجاد جراثيم شديدة المقاومة للمضادات مستمسكة بحقها فى البقاء ويعطى تورستين أمثلة على ذلك كمرضى السل والدرن والذين كان من السهل اليسير علاجهم على مدى أربعين عاما مضت لكن المرض الآن يقاوم بضراوة المضادات الحيوية وكذلك البنسلين الذى كان بمقدوره إيقاف أنواع من المرض لم يعد ذا تأثير فعال فى هذا المجال وينهى ملاحظاته بالقول :

إن السيطرة التامة على انتشار هذه الأنواع الجديدة من البكتيريا ، أمر حيوى للصحة العامة ، فى الأيام المقبلة ، ومعظم العلماء على قناعة بأن المورثات التالفة تؤدى بالخلايا السرطانية إلى السعار والشراهة ، والسبب هو المواد الملوثة للبيئة ، وبعض الأطعمة والعقاقير ، وحتى تصل أبحاث المورثات إلى حلول أكثر حسما فستعالج السرطانات بنفس الطرق التقليدية كالعلاج بالكيماويات والعقاقير والإشعاع والجراحة ، لكن كلام العلماء لا يخلو من بشارة تؤكد أن بعض أنواع السرطان ستتم هزيمتها هزيمة منكرة إن شاء الله قريبا .

ويقدم العلماء أحد سرطانات الجلد ، وهو أكثرها فتكاً ، وأسرعها انتشاراً ، كمثال على ذلك ، مؤكدين أن الباحثين فى جامعة كلورادو طوروا نوعا من العلاج بالجينات ، الذى أثبت فاعلية فى التجارب المعملية على وقف انتشار المرض بفضل الله وعونه .

وفيما يخص علاج أكثر مشاكل الجلد شيوعاً كالصدفية مثلا فإن د . البرت كليجمان أستاذ علم الجلد بجامعة بنسلفانيا يؤكد أننا بإمكاننا مساعدة المرضى ، بيد أننا لم نحرز تقدما ذا بال فى هذا المجال لكنه يشيع الأمل والرجاء عندما يؤكد أنه قد تم تطوير تقنيات جديدة للعلاج من أحدثها الأسلوب المعروف بعلم التكهن بأمراض الجلد ويوضح العالم الكبير مفهوم ذلك العلم الجديد فيقول :

أنه إذا تمكنت أسرة المريض بمرض جلدى ما ، من الاحتفاظ بتاريخ مسجل ومدون ، لهذا المرض ، فإن بإمكان الأطباء القيام بإجراء اختبار للجلد فى عملية بسيطة ، لا يحس معها الجلد بنية المهاجمة ، أو الغزو ، والاختراق .

والهدف من وراء ذلك كله هو التنبؤ بتحديد أى الأمراض ، التى يمكن أن يهاجم الجسم فى معركة استباقية فاصلة والأمل معقود على أنه كلما كان التدخل مبكراً كانت الفرصة مهيأة أكثر لمنع أسوأ الأعراض حدوثا .

وبعد فإن البشرى محققة بالخير الجزيل والتوفيق المنشود لمن وطن نفسه على الاعتدال فى كل شئ .

ويلخص لنا د . هيل المسألة بقوله إن للجينات والكروموزمات دوراً كبيرا فى تحديد قابلية الشخص للإصابة بالمرض لكن اتباع الأساليب الصحية فى الحياة لا يقل أهمية عن ذلك .

وصدق من قال إن ديننا الإسلامى الحنيف جمع الطب والدواء فى نصف آية من كتاب الله الكريم فقال : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ فما أعنانا بهذه البشريات وما أسعد الممتثلين لأوامر الله المتبعين سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب

أن رمضان .. فابتهج العباد ورف على الورى - جزلا - وداد
فأد حقوقه عملا وقولا لتدخل فى الألى بالفوز عادوا
فمن وضع البذور بغير ريٍّ فلن يلقاه - للأبد - الحصاد !

تقدم خميلة الشعر اليوم ، فى شرف استقبال شهر رمضان المعظم ، أحلى ما وصلها ، تحية لهذا الشهر ، الذى كرمه الله بأن جعله بداية لوحيه . ومقرا لليلة القدر ، كما نصر فيه عبده محمداً - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين معه فى غزوة بدر الكبرى ، فالخميلة اليوم تسجع بحلو النشيد ، معبرة عن مدى سرورها ، لأيام رمضان الخيرة ، ولياليه الساهرة ، والعامرة بذكر الله - عز وجل - ونسأل الله - سبحانه - أن يعيده على أمتنا الإسلامية والعربية ، وقد عاد المسجد الأقصى إلى أحضانه ، بعد أن طال أمد الأسر به .

ونستهل قصائد هذا العدد الجميل بقصيدة : (بشير النصر) للشاعر الكبير / السيد صديق حافظ ، الذى يعبر عن ترحيبه بالشهر الكريم بأسلوبه الرصين النابض بالإيمان .

أما قصيدتنا التالية فهى : (من بشائر النصر فى غزوة بدر) للشاعر خالد محمود إبراهيم سالم ، الذى يعيد إلى القلوب المؤمنة ذكريات النصر العظيم بغزوة بدر الكبرى .

ثم قصيدة تحمل عنوان : (سبحان الله) لشاعر يسعدنى أن أقدمه إلى قرائنا الأعزاء لأول مرة ، فقد أعجبنى أسلوبه فى النظم ، وكذا فى معانيه الموحية ، ذلكم هو الشاعر / محمد محمد عبد الرحمن .

وقصيدتنا الأخيرة : إلى الهائمة بآل البيت (بنت الشاطىء) للأستاذ محمد إبراهيم العرابى .

ونرجو بعد ذلك أن نصل إلى رضاء قرائنا الأعزاء ، والله هو الموفق .



للأستاذ : السيد صديق حافظ

تعود فتخضر الحياة ، وتورق ... وتزهر فالأجواء تزهو وتعبق
وتثمر فالأيام يومان : مونق ... وآخر بالخيرات يهمى ، ويغدق
لياليك يا شهر المبرة والرضا ... حسان لهن الطهر تاج منمق

•••

هل علينا ذكريات مجيدة ... ترف بآفاق العلا ، وتحلق
تنزل فيك الوحى نورا ورحمة ... وفى يوم (بدر) عز لله فيلق
و (مكة) بالفتح المبين تألقت ... وهذا رسول الله فى (البيت) يشرق
يسبح لله الذى جاء نصره ... ويعفو عن القوم الجناة ويطلق

•••

ولله يوم صائم متبتل ... ورايا تنا فى خط (بارليف) تخفق
تولى عدو الله والذل ظله ... فلا هو يستأنى ، ولا الذل يسبق
ومن فوقه نار ، ومن تحته لظى ... تحاصره ، والموت أحمر يبرق

•••

ومازال فيها بيننا (القدس) ديننا ... وقبلتنا الأولى .. لها نتشوق
نطهرها من كاذب خاب وافترى ... وخاب الذى يدعو له ويصدق
لقد ساء ظن المرجفين بربهم ... بما بدلوا .. والعهد بالشر يزهق

•••

ألم يك مسرى النور (والقدس) موثقا ... فجند من حلوا الوثاق واعتقوا ؟
وعاث الصليبيون ما شاء مكرهم ... فزالوا عن البيت الطهور ومزقوا !
وكانوا لئاما .. أغرقوا أرضنا دما ! ... ولكن صلاح الدين يعفو ويرفق

•••

(فلسطين) يفديها بنوها وإنهم ... لأهل لأن ينفوا الغزاة ويسحقوا
ومن ظن بالله الظنون فقد عدا ... وجاوز حدا لا يواتيه منطق !
هو الله يحيى الأرض من بعد موتها ... ويبطل كيد المفسدين ويمحق !

من بشائر النصر في غزوة بدر

للأستاذ: خالد محمود إبراهيم سالم

إن طال ليلك أو غابت ثرياه ... فارفع يديك وقل رحماك رباه
وإن تجاوز خصم حده وبغى ... فالجأ إلى الله يحمى ظهرك الله
واسلك سبيل الألى اعتزوا بدينهم ... خاضوا الحياة فما ضلوا وما تاهوا
خاضوا الحياة وفي أيمانهم صحف ... فيها اليقين وفيها العز والجاه
خاضوا الحياة وكل منهمو بطل ... حر تحصنه في الساح تقواه
بر بإخوانه مدرار مرحمة ... شهم شديد على الأعداء تياه
والله أيدهم روحا وأمكنهم ... من كل طاغية غرته دنياه

●●●

واذكر غداة التقى الجمعان حيث غدا ... يوما له مجده فينا وذكراه

في يوم بدر وقد دان العدو لهم ... بمنطق لغة الأسباب تأباه
حين استحرت لظى واستحكمت وغدا ... كل تحت به غيظا هباه
هذا حميته لله خالصة ... فالدين دولته والحق دعواه
وذاك يدفعه الشيطان في صلف ... والظلم ديدنه والغدر سيماه
حيث استغاث رسول الله مبتهلا ... رباه نصرا عزيزا أنت مولاه
على العصابة إن تهلك يضع أبدا ... دين قويم زكى النبع ترضاه
واستنصر الله خير الرسل خاتمهم ... محمد فرأى البشرى برؤياه
فأرسل الله من أجناده مددا ... ترنو لصولته الدنيا وتخشاه
أوحى إلى الملأ الأعلى وقد نزلوا ... هيا لأمر عظيم قد قدرناه
فالساح فيها رجال ليس بينهمو ... إلا أبي شديد البأس تياه
فثبتوهم وخوضوها ولا تهنوا ... فالنصر منا وإنا قد أردناه
ومن يؤازره المولى وينصره ... يحظى ببغيته فيما توخاه
قل لي بربك من أردى خصومهمو ... يوم اللقاء عظيما في عطاياه
من ذا الذي أوهن الأعداء من عدد ... وعدة ليحق الحق إلاه
وأيد ربك لا أسباب تقهرها ... من ذا الذي يغلب القهار حاشاه
كل النواميس من آثار قدرته ... محكومة بنظام لا تخطاه

●●●

فإن أرابك أمر فاستعن أبدا ... بمالك الأمر مجراه ومرساه
واسأله نعماه رزقا ومغفرة ... فضلا تعمك في الدارين سماه
فلن يخيب مع التواب مدكر ... ولن يضيع مع الوهاب أواه

سبحان الله

للأستاذ: محمد محمد عبد الرحمن

باسم العلى أصوغ الدر .. أغلاه   فى سلسل من جمان الشعر .. أصفاه
رب العطايا .. عظيم المن فى سعة   لم يعجز الله شىء .. قد تولاه
بكل حرف من التنزيل نبصره   بكل سطرٍ سنى اللفظ أضفاه

•••

سبحان ربى تجلى فى صنيعته   إن شاء ، ألق الفق ، أو شاء أبقاه
أو شاء جمّعه ، أو شاء فرّقه   أو شاء أضحكه ، أو شاء أبكاه
له الجلال له التقديس نعبده   له الخضوع ، وكل الخلق ناجاه

•••

رب السموات ، رب العرش والناس   وكل شىء بهذا الكون أحصاه
من أبدع القمر الزاهى ونوّره   من أبدع الكون .. بالأضواء حلّاه
والنيل بين ضفاف الخير عنبره   بالموج يجرى .. وباسم الله مجراه
لا تملك النفس إلا ما رجوناه   يارب حقق لداعٍ .. ما تمنّاه

•••

الحمد لله نعبده ونخشاه   من أى فعل ردىء القصد نأباه
الحمد لله ماسارت بنا قدم   وما خطونا .. بحب جل معناه
غصن السلام إذا كنا غرسناه   هل تزهو الأرض إلا ماغرسناه
والقلب إن سار نحو النور يؤنسه   وإن مشى فى ظلام البغى أعماه
وكل نفسٍ لكأس الموت ذائقةٌ   وكل حى له حين سيلقاه

•••

الله أكبر .. مادامت عطاياه   الله أكبر .. ما بالحق أملاه
الله أكبر .. ماأمست ليالينا   ونام كل امرىء والليل مأواه
وأشرق الصبح بعد الموتة الصغرى   فى رحلة العمر والبارى قصدناه

•••

يا أيها الناس أوفوا بالعهود ولا   تبددوا العهد إن العهد نرعاه
تبارك الله هذا الكون فى يده   بالحول والطول .. قدوسا رجوناه
وليس إلا الهدى نجوى سرائرنا   ولا أمان لشعب .. لو فقدناه



إلى الهائمة بآل البيت

بنت الشاطئ

للأستاذ: محمد إبراهيم العزازي

درجت على الشط الذى مرآه ... يحيى موات النفس إذ تلقاه
ولقد تبناها فعاشت عمرها ... تهوى ركوب البحر لاتنساه
ركبت سفين الصعب لاتلوى على ... مرض إلى أن يشتها نجواه
تعب السفين وما لبنت الشط من ... شغف سوى علم يطل نداه
كم أبحرت كم سافرت مشغولة ... وكتابها بيمينها ترعاه
هامت بآل البيت تهدى حبها ... عطرا يعم الكون نعم شذاه
باتت على حب الرسول وآله ... واستيقظت تهدى لنا أحلاه
ركبت سفين النور تقصد شطها ... والحمل نور والشرع جلاه
ولقد أتى التاريخ يخطب ودها ... فتعانقا وروت لنا مسراه
عبق تألق يرتوى من ريقها ... شهدا تغلى فاستعاد سناه
فأتى يباكى تشهد العصر الذى ... صنعت فكان الحق ما أعلاه
سير لأبطال تعالى قدرهم ... لم يذكروا والمرء ما أنساه
شهدت فأحيت ذكرهم والعالمين ... تذكروا والذكر ما أغلاه
ولقد أجادت فن غوص كله ... علم وجاد العلم ما أثراه
قالوا لقد ماتت وهذا نعيها ... والنعش محمول ونحن نراه
فلعلها إن يصدقوا قولهم ... هي فرحة بحبيبها تلقاه
بجواره يحلو المقام حلاوة ... يحظى بها كل الذى يخشاه
هذى النمارق صفها خدم لها ... قالوا لها عودى فذا مرساه
بنت زرابى الجنان حفاوة ... فى قصر عائشة كما تهواه
لكن فقدنا بدرنا وظلامنا ... داج وما ندرى لأين مداه
ولقد حرمنا لفظها منظومة ... أنغامه كالشعر عز رواه
لله ما أعطى. له ما يسلب ... وإليه مرجعنا وجل علاه



على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ، ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر



مسيرة العالم الطويلة إلى التشريع الإسلامى

تأليف دكتور/ حافظ يوسف

● عزيزى القارىء إن لم يكن هذا الباب شعاعا خالصا ينير ظلمة الحائرين ويفتح لهم طاقات المعرفة فلا فائدة من هذا الغرض .

لأننا نطرح أهم القضايا التى تهم الجميع كى تبين لهم أن الإسلام دين الحضارات والإعجاز العلمى .

● واليوم نطرح على صفحات مجلتنا الغراء موضوعا يكاد يكون من أهم الموضوعات ، التى طرحت حتى الآن ليس من باب القراءةفحسب لكن من باب المعاملات الحياتية على بنى البشر بعامة وإن الإسلام يتميز على كل العقائد الدينية بأنه يتحمل العرض العلمى والمعالجة العلمية ، وعلى ذلك فلا يحق لإنسان العالم الحديث أن يصدر قراراً بشأن الإسلام من بعيد ، بل عليه أن يقبل ليفهم محتفظا بحقه فى أن يدبر إذا شاء .

قديما قالوا : إن القرآن عندما نزل كان التحدى فى اللغة ، ولكن الآن أصبح التحدى أكثر عمقا وشدة ، فمن أين يأتى من يقبل التحدى بالإضافة إلى اللغة بفكر يتجدد به التحدى ، فى كل جانب من جوانب الحياة ، مع مضى الزمن ، ولو نظرنا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ كيف نشأ لوجدناه نشأ فى بيئة جافة من رمال ، وجبال جرداء ، تبعث على اليأس ، الماء والخضرة فيها استثناء ، وكان يتيما أميا فى مجتمع لا يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك فقد جاءنا بعلوم القرآن فى التاريخ والفلك والطب والنبات والسلوكيات ، والتربية ، والعلاقات الاجتماعية ، والجنس ، والفلسفة ، والسياسة والحكمة والتشريع الاجتماعى ، والجنائى ، وأتى بصور بلاغية ثرية معجزة ، وفن قصصى متطور ، ووصف أحوال البحر ولم يركبه ، كما أتى بشمائر لدين متكاملة ، ثم إنه أول من وضع الديانات السماوية الأخرى فى موقعها الحقيقى ، وجاء بنظرية اقتصادية عجزت أمامها النظريات التى تعانى من الأزمات والاندثار ، وظلت شامخة ، كل هذا إلى جانب فكر لما وراء الطبيعة ، يتصف بالجدة والاتساع ، وليس هذا فحسب بل إنه عاش حياة بشرية عادية رغم إنه مارس القيادة الفكرية واللغوية والسياسية والعسكرية ، وحقق فى حياته كل ما تنبأ بأن يقع فيها رغم أن حياته كانت دائما معرضة لخطر القضاء عليها فى مواقف كثيرة .

وفى هذا الكتاب نجد على صفحاته مسائل كثيرة وعميقة ، فى الأمور الخاصة والعامة ، بحياة البشر .

● ففى الفصل الأول تحدث عن الزواج والطلاق . فى : الديانة اليهودية ، والمسيحية من استقرار القرن الثانى عشر الميلادى وحتى الآن .

● وتحدث عن الطلاق فى فرنسا ، وإيطاليا ، والاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة ، والصين ، والهند ، واليابان .

● ثم انتقل إلى مرحلة وضع المرأة الاقتصادى حيث أشار : أن الإسلام يفصل بين الذمة المالية للزوجة والزوج منذ ١٤٠٠ سنة دون أن يكون للزوج أى سلطان على أموال وأملاك الزوجة إلا ما تقدمه طائعة مختارة ، وعن طيب نفس ، ولكن العالم الغربى توصل إلى فصل الذمة المالية للزوجة فقط ، فى أواخر القرن العشرين مع إتاحة الفرصة لها لكى تحتفظ باسمها قبل الزواج .

● أيضا أشار إلى الأحوال الشخصية لغير المسلمين فى مصر ، وتعدد الزوجات .

● أما فى الفصل الثانى فتحدث المؤلف عن : نظام المواريث ، والأساسيات فى نظام المواريث الإسلامى .

● ثم نظام المواريث فى انجلترا وتاريخها ، وفى فرنسا ، وأسبانيا وإيطاليا ، والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى والصين والهند .

● ثم انتقل فى الفصل الثالث إلى التأمين الاجتماعى ، ثم على من تجب الزكاة وشروط النصاب ومتى تجب .

● أما فى الفصل الرابع فوضح المؤلف الاقتصاد والملكية فى الإسلام فتعرض لأهم الموضوعات التى تهم المجتمع منها الربا والاحتكار . واحترام الملكية والمحافظة عليها وصك الدين ومال اليتيم والاقتصاد المتوازن والسلوكيات والتربية فى الإسلام تحدث عن السلوك الحضارى الإسلامى والسلوك الصحى .

● والفصل السادس كان موضوعه الحرب والسياسة والتميز العنصرى والسياسة ونظام الحكم فى الإسلام والسلوكيات فى الحرب والتميز العنصرى .

ومن أهم الموضوعات التى تعرض لها المؤلف :

الخمر والميسر ، وتأثير الخمر على الإنسان ، والتعاطى المزمن للكحوليات Clsoholirm وهو

تعبير يطلق على اضطراب السلوك الناتج عن تعاطى الخمور إلى الدرجة التى تؤثر فى الحالة الصحية والذهنية للمتعاطى .

● ثم تحدث عن التجربة التشريعية الأمريكية فى منع الخمور .

وفى الفصل الثامن أشار المؤلف إلى حد السرقة ، وفيه ثلاثة أركان الأخذ خفية ، والمال المأخوذ مملوك للغير والقصد الجنائى .

● أما القصاص فكان للمؤلف معه وقفة سريعة حتى قام بشرح بواقٍ للزنى والقرب منه وجرائمه وحدوده .

● وفى الفصل التاسع تعرض المؤلف إلى أنواع من الحكمة فى القرآن حتى انتهى فى الفصل العاشر إلى أسلوب التشريع فى القرآن .

● وأخيراً عزيزى القارىء هذه هى المسائل ، التى أشار إليها المؤلف ، موضحا بالدليل العقلى ، والنقلى صحة هذه المسائل ، والخوض فيها ، ومعالجتها حتى يكتشف الناس أن القوانين الوضعية أعجز من أن تشكل علاقة دائمة سليمة بين الناس .

يقول روفائيل إسرائيل مؤلف كتاب « الإسلام فى الصين » أن الدارس لانتشار الإسلام على مدى التاريخ يكتشف أنه على الرغم من أن التاريخ الدينى والسياسى والاقتصادى للإسلام موقعه الشرق الأوسط إلا أن أكبر التكتلات الإسلامية من حيث العدد تقع هناك بعيداً فى شرق آسيا فى مناطق لم تطأها الجيوش الإسلامية .

● هذا هو الإسلام الذى طرحنا من خلاله كيف يعيش الفرد والمجتمع فى سلام ، وحب ، وطمأنينة ، ويحيا حياة كريمة وصادقة .

● وهكذا عزيزى القارىء نقدم لك كل ماهو جديد على ساحتنا الإسلامية ، لتعيش مطمئنا تاركا الحيرة والغفلة .

« رحلات ابن بطوطة »

● إن التراث يمثل أهمية كبرى للشعوب ، ففيه من الذخائر والتجارب ما يستوجب معرفته والاستناد إليه فى تطلعاتنا الحاضرة ، كما أن فقه هذا التراث يساعدنا على تبين نقاط الضعف ومواطن القوة فى حياتنا .

● فالتحقق من معرفة الماضى شرط أساسى لصياغة المستقبل .

وانطلاقاً من تقديرنا للثقافة العربية الإسلامية والإبداع الذى حققته فى مختلف مجالات المعرفة لغة وأدباً وعلماً وفنا وفلسفة ، فإننى أقوم بتحقيق ونشر أسفار (رحلات ابن بطوطة) المسماة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » للشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد إبراهيم اللواتى الطنجى المعروف بابن بطوطة ، وهو من أشهر الرحالة المسلمين .

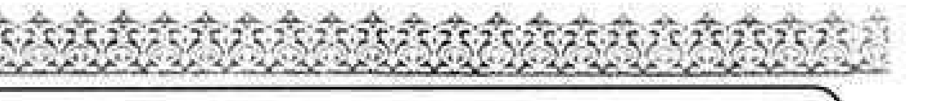
● ورحلاته من روائع بواكير أدب الرحلات العربى .

فى البداية اشتهر العرب بأنهم قوم رحل مأخوذون بالحركة والشغف بالأسفار فطرة لديهم ورثوها عن أجدادهم الأوائل ، وخلال العصور الوسطى تألقت الرسالة المحمدية فى القرن السابع الميلادى ، وكانت بداية القدر التاريخى للعرب أجمعين ، ومع التزايد الديموجرافى للعرب فى عصر بزوغ الإسلام، والرغبة فى الحياة الأفضل بالفتوحات ، اندفع المسلمون كالسيول فى شرايين العالم وراء صيحة « الله أكبر » ، فانتشر الإسلام



ودخل بلاداً جديدة ومع امتداد فتوحات المسلمين وماساد الرقعة الواسعة لهذا العالم الإسلامى من وحدة دينية كان المسلمون هم أكثر أهل الأرض تنقلاً ، فى البلاد وجوباً للآفاق . ثم انتقل بنا الباحث إلى أنه من ميسرات الارتحال سهولة التفاهم ، فقد انتشرت اللغة العربية انتشاراً سريعاً ، وصارت اللغة الرسمية ولغة الدين والعلم فى العالم الإسلامى كله بل لغة التفاهم بين الشعوب فى كل دول الخلافة حتى وصل المحقق إلى تصنيف الرحلات ، منها الدينية كالحج والرحلات الزيارية ، أما الرحلات العلمية ، وهى ما كان هدفه السعى لطلب العلم .

● وقسمت إلى رحلات إسناد الأحاديث ، والتحقيق منها ، وأيضا الرحلات الفهرسية والمقصود منها : الرحلة التى يقتصر صاحبها فى



تدوينها على ذكر الشيوخ والعلماء الذين سمع منهم والكتب التي درسها عليهم .

● ثم الرحلات المعرفية وهى نمط من الرحلات العلمية الاستكشافية ، ودراسة الأماكن التى ورد ذكرها فى القرآن وكتب الحديث .

● ثم الرحلات السفارية والتجارية والجغرافية بعد ذلك وصل بنا إلى الرّحالة المسلمون ، وذكر منهم المسعودى وابن حوقل ، والمقدسى والبيرونى ، وياقوت الحموى والبكرى الأندلسى وابن جبير والعبدرى وتناول سيرهم .

● ثم انتقل إلى تدوين الرحلات ، وكانت الأولى من ٧٢٥ إلى ٧٥٠ هـ قضى ابن بطوطة فيها أربعة وعشرين عاماً ، خرج من مدينة طنجة مسقط رأسه ، وأنهاها فى مدينة فاس ، أما الرحلة الثانية فهى من ٧٥١ ـ ٧٦٢ هـ فلم يمكث بمدينة فاس طويلاً ، فقد وجد فى نفسه نزوعاً للسفر إلى الأندلس ، أما الرحلة الثالثة فهى من ٧٥٣ ـ ٧٥٤ هـ وهى إلى أنحاء السودان الغربى بقصد إتمام مهمة رسمية كلف بها من قبل السلطان أبى عنان .

● ثم تحدث عن الخلفيات فى عصر ابن بطوطة منها : الخلفية التاريخية ، والخلفية الفكرية ، والخلفية الاجتماعية .

● وشرح الباحث الأهمية الأدبية لرحلات ابن بطوطة ، وتاريخ طباعة ونشر رحلات ابن بطوطة .

● أما منهج التحقيق الذى استند إليه المحقق أنه قد وجد فى أنحاء متفرقة من العالم ثلاث نسخ خطية من رحلات ابن بطوطة هى : ـ مخطوطة مكتبة باريس الوطنية ، ثم مخطوطة فى مكتبة بلدية مانشستر بانجلترا .

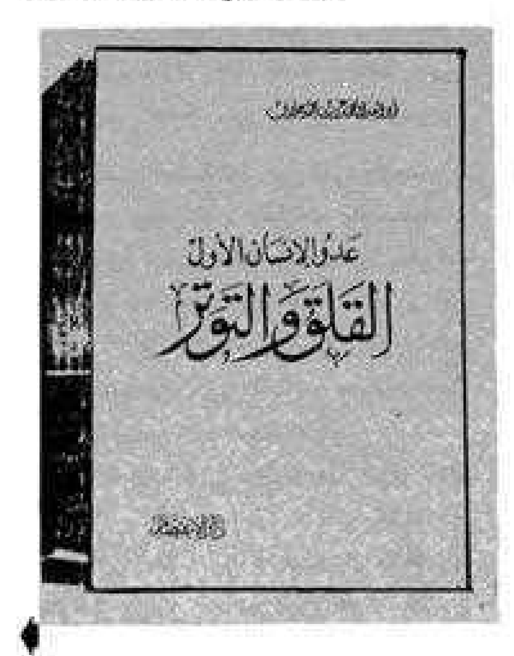
● وأخيراً مخطوطة مكتبة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب ، وقد اتخذ المحقق النسخة المطبوعة فى باريس أصلاً فى التحقيق ثم المصادر التى اعتمد عليها الباحث ، ثم تحقيق خط سير ابن بطوطة وارتحالاته ، وتحقيق الأماكن الجغرافية .

● وأخيرا النص الأصلى لرحلة ابن بطوطة .

هذه هى الدراسة التى قام بتحقيقها الباحث حسام الدين نور فى وضوح ، وأدلة علمية ثابتة .

القلق والتوتر
عدو الإنسان الأول

تأليف / أبو الفضل محمد عزت



● عزيزى القارىء ، القلق هو أكثر أمراض العصر وأوسعها انتشاراً ، فهو لا يقتصر على الجانب النفسى بل يتعداه إلى أن يكون سببا فى كثير من الأمراض البدنية الخطيرة .

أنا عصبى ، هو متوتر هى قلقة ، كلمات يومية تصاحبنا أينما كنا ، من أشخاص يتفاوتون فى التعليم والثقافة ، وفى المزاج الشخصى ، وفى الحالة الاجتماعية .

إذاً نحن المسئولون عن توترنا ، وعن قلقنا ، وعن عصبيتنا ، وقليل من التنظيم يشفينا ، ولا يجعلنا عرضة للأمراض النفسية المدمرة .

● هذه هى الدنيا عزيزى القارىء لا تستحق أن نحزن عليها ، أو منها أو نتهافت على متاعها وزخرفها الفانى ، ومتاعها الزائف .

وصدق الشاعر حين يقول :

لا الأمر أمرى ، ولا التدبير تدبيرى
ولا الشئون التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل بى
أحاط بى علمه من قبل تصويرى

● فالأمراض النفسية تؤثر على الفرد والمجتمع ، فى تفكيره ، وتصرفاته ، وعلاقاته واقتصادياته ، من أجل حياة سعيدة هانئة ، تنعم فيها بالخيرات الوفيرة ، ونطرد همومنا وأتراحنا . وتذمرنا فإنى أقدم لكم أعزائى القراء هذا الكتاب لكى نعالج أنفسنا بأنفسنا من التوتر والقلق ، وضغوط الحياة بأنواعها ، ونحيا حياة سعيدة هنية .

● فى بداية كتابنا يقول المؤلف جملة تحوى الكثير من الأشياء ، التى تصيبنا ، وتقضى علينا هى أعصابك هى أسلاك أنوارك حيث يمثل الأعصاب بالسلك الكهربائى ومرور التيار فيه ، فإذا ما انقطع هذا السلك أو احترق فإن المصباح لا يضىء .

● كما قال (كارنيجى) فى كتابه « كيف تكسب الثروة والنجاح والقيادة » لو علم المرء مدى العلاقة بين أعصابه وأعضاء جسمه ووظائفها المختلفة لعمل على الاحتفاظ بهدوء أعصابه ؛ ليعيش سليما معافى . . الخ .

وذكر المؤلف الأمراض التى تصيب الإنسان من وراء أعصابه ، التى تحتاج كأى عضو فى الجسم لمقويات تعينها على مقاومة كهرباء الجسم العجيبة ، منها ما هو نفسى ، ومنها ما هو عضوى .

● أما مكبوتات النفس البشرية وتوتر الأعصاب .

فالحب بإطلاقه هو حب كل شىء جميل ، وحب كل فعل خير ، ولكن المطلق يقيد كالحرية هى حق لكل إنسان فى الدنيا ، ولكن لابد لها من ضوابط خلقية ، فليست حرية الجنس ، وحرية الكلمة ، وحرية الاعتقاد ، أن تباح الأعراض ، وتمارس الرذيلة على قارعة الطريق وغيره ، أو يقول الإنسان ما يسىء إلى خالقه سبحانه وتعالى ، أو يعتقد ما يشاء من كفر وزندقة ، هذه ليست حرية ، بل إباحية ومن ثم لابد من تقييد هذه الحرية ؛ لأنها تحرر من القيم والأخلاق ، والعقل ، هكذا الحب .

ومن خطوات السعادة ملؤها الحب وراحة البال

١ ـ حدد من أنت ؟ ٢ ـ ما من قلق إلا وله أسباب . جدد حياتك بالسفر ورؤية عالم جديد .

هل تكتئب بسرعة ؟ وطرح المؤلف ستة أسئلة هامة ، وعليك بالرد عليها .

● بعد ذلك انتقل المؤلف إلى أخطار القلق ، يقول هنرى وورد بنيشر: العمل لا يقتل البشر إنما القلق هو الذى يقتلهم . فالعمل صحى .. والقلق صدأ يعترى المدية .

● وعرض أسباب القلق العصبى : منها ألم البطن ، يتركز فى الغالب فى الجهة اليسرى ، يشكو المريض فى بعض الأحيان من الإمساك وصلابة البراز ، ثم انتفاخ فى البطن بعد الوجبات الغذائية .

القلق عدو الجمال عنوان موضوع هام بدأ بسؤال هل منا أحد لا ينظر للمرآة .

● يقول [الدكتور بيتر كلار] أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا بأمريكا .

● إن القلق يفقد الإنسان بهجة الحياة ، مما يجعل الإنسان يصاب باليأس ، فلا يهتم بصحته ، مما يجلب على نفسه الشيخوخة المبكرة .

وسئل رجل معمر تجاوز ١٢٠ سنة ، ومازال قوياً . كله حيوية ونشاط .

● ما سر شبابك ياعجوز ؟!

فقال سر تفوق فى ثلاث ١ ـ لا أحمل هما لغد . ٢ ـ لا أحمل بغضا لأحد . ٣ ـ لا أحمل لنفسى نكداً .

● وهكذا عزيزى رجل الأعمال إذا أردت أن تستريح ، وتعيش مطمئنا ، فعليك بقراءة هذا الباب جيداً ، فإن فيه ما ينفعك ويرضيك ، إن معالى الأمور لا يبلغها إلا أصحاب الهمم والعزائم القوية ، الذين يضعون أمامهم أملاً كبيراً وطموحا عظيماً .

لا أرق بعد اليوم-الأرق من لوازم القلق . لأن الإنسان المتوتر لا يهدأ فى فكره ، ولا فى أعصابه ومن ثم كيف يأتيه النوم وهو فى خضم دوامات الفكر التى أغرقته فى الهم والحزن .

● روشتة لك عزيزى الطالب عنوان موضوع جديد تطرق إليه المؤلف فى معايشة ووضوح مع الطالب .

● ثم وضح المؤلف الهدوء وأنه طريق الفكر الناجح فالهدوء الهدوء .. لا تفكر إلا بالهدوء اكتم عليك أفكارك وقراراتك وأسرارك . وابدأ يومك بهدوء واختمه بهدوء ، وسترى عجباً من التوفيق والنجاح ، وخطوات من التقدم الرزين نحو طموحاتك وآمالك فى طريق الثراء ، وكل طريق نحو العلا والفلاح .

● ويشرح المؤلف بعض التمارين لكى يتعود الإنسان على الهدوء والاسترخاء من اليد اليسرى حتى عضلات الوجه .

● أما النظام فكان للمؤلف معه وقفة ثابتة قائلاً حاول فى كل صباح عندما تستيقظ من النوم أن تقول لنفسك « سأقضى اليوم سعيداً » إن السعادة تنبع من أعماق النفس ، والمرء يغدو سعيداً بالقدر الذى يعتزم به أن يجعل نفسه راضياً بكل ما يكون .

خصص لنفسك كل يوم نصف ساعة تخلو فيها إلى نفسك وتقضيها فى هدوء واسترخاء متأملا فى قدرة الله ومعدداً نعمه التى أسبغها عليك ، فهذه الفترات تجلو بصيرتك وتزيدك فهماً لحقائق الحياة .

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى شخصية الإنسان

وكيف تصبح قوية محدداً أن قوة الشخصية لا تخضع لقوة المادة فكم من أثرياء وحكام مع ما يملكون من قوة المادة الاقتصادية والسياسية تراهم ضعاف الشخصية سذجاً بلهاء .

● أما عامل الناس على قدر عقولهم فكان من النقاط الهامة التى تعرض لها المؤلف ضارباً عدة أمثال منها قول (ريتشارد وايتل) فى كتابه « العميل يدير الشركة » الحرص على العميل فى إطار مصلحته بما يتوافق مع المصلحة العامة .

الاستفادة من الخبرات بما يواكب حركة العصر والتقنية الحديثة .

القياس والموازنة المستمرة ، تحطيم معوقات كسب رضا العميل ، تحويل الأقوال إلى أفعال ويقول أحد الحكماء :

ما وجدت راحة مثلها أعامل الناس بما جبلت عليه نفوسهم وبما يريحهم مما يجعلهم يريحوننى ويحبوننى .

● ثم أشار المؤلف إلى التفريط فى الحساسية وعدم الندم على فعل المعروف يقول أرسطو « إن الرجل المثالى يجد متعة فى تقديم المعروف وخدمة الآخرين ولكنه يخجل أن يتلقى عوناً من أحد ويرى من النبل والرفعة أن يصنع المعروف للناس لوجه الله .

● أما موضوع لا تدع فى حياتك قط مشكلة معلقة أبداً يقول المؤلف حدد ما هى المشكلة أولاً ؟ وما هى أسبابها من البداية .

أمسك بورقة وقلم وابحث فى كل زوايا المشكلة عن الحل .

واجه المشكلة بكل شجاعة . ضع نفسك دائماً مكان الغريم .

● وتعرض المؤلف إلى موضوع الضحك عندما ينسى القلق وينسفه حتى وصل بنا إلى كيف تقضى على التعب ؟ بالابتعاد عن الشيطان . والتنعم فى رياض الله .

● ثم طرح علاج التوتر الروحانى والاجتماعى ونصائح ذهبية لتقوية الأعصاب ، فهو ينصح بأكل البندق مع الزبيب ويدهن الجسم بزيت الزيتون المخلوط بالمسك .

● ثم العنبر من أعظم المقويات للأعصاب ، ثم المداومة على أكل العجوة ، والكثير والكثير .

● عزيزى القارىء لقد أصبح القلق والتوتر من سمات العصر والانفعال والغضب من طبائع الناس ، ولم ينج من ذلك كله إلا من رحم ربك من ذلك الصنف الذى واجه صراع الحياة .

فتذرع بالصبر وتحل بالحلم وآمن بالقضاء خيره وشره ، وبأن لهذا الكون إلها يصرف أموره ويدبر شئونه ، ويحكم فيه قبضته وسلطانه فلا يكون إلا ماحكم وأمر ولا يقع إلا ما قضى وقدر .

● هذا المنهج هو ما خلص إليه المؤلف لإيمانه بمنهج دينه ، وصدق دعوته وسلامة مقصده ، لقد ذخر الكتاب بحقائق علمية وفوائد صحية ونصائح دينية وتوجيهات رشيدة تفيد البشرية .

بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

فى رمضان كانت البداية

يأتى رمضان من كل عام ليذكرنا ببداية استقبال الأرض منهاج الحياة، الذى ارتضاه الله لعباده، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ففى رمضان نزل الوحى بالقرآن العظيم، وفيه تنزلت رحمات ربنا، لتعانق البشرية التى طال اشتياقها لمن يمحو عنها الظلم، بعد أن أنهكتها الخلافات والأهواء، والشهوات، وأذلها الجور والبغى والطغيان.

فى رمضان نزل الأمين جبريل - عليه السلام - بقول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

﴿ العلق ١ : ٥ ﴾

كان الأمر من الله - تعالى - لرسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - أن يقرأ، ومازال الأمر الكريم لأتباع هذا الدين القويم، أن يقرءوا - وبخاصة - آى الذكر الحكيم فى هذا الشهر الكريم الذى تتضاعف فيه الأعمال، وتزداد فيه الحسنات، وهاهى الفرصة التى يجب أن يغتنمها كل مسلم، ليطهر نفسه وروحه ويوقظ ضميره، وينعم بذكر الله، ويظفر ببعض فيوضات الله فى تدبر آيات كتابه الكريم. فاللهم وفقنا إلى صوم الشهر الكريم، وارزقنا تلاوة كتابك العظيم آناء الليل وأطراف النهار، واجعله شفيعا لنا فى الدنيا والآخرة، وألهمنا العمل به، وكل عمل يرضيك وترضاه لنا إنك سميع قريب مجيب.

وبهذه المناسبة الكريمة أرسل القارىء/ مصدق مطاوع عيسى من دمياط كفر المياسرة - الزرقا تحت عنوان: «غزوة بدر الكبرى». يقول:



غزوة بدر الكبرى

خرج المسلمون بقيادة سيد الخلق - صلى الله عليه وسلم - فى شهر رمضان ، من السنة الثانية للهجرة للاستيلاء على قافلة قريش التجارية لعل فى حصولهم على هذه الأموال ما يعوضهم بعض ما استولت عليه قريش من أموال تركوها وراء ظهورهم فارين بدينهم ، ولكن الفرصة فاتت ولم يبق للمسلمين إلا أن يثبتوا أمام العدو ، الذى أجمع على محاربتهم بعدما علموا بخروج النبى - صلى الله عليه وسلم - وصحبه لاعتراض قافلة تجارتهم ، بقى ان يثبت المسلمون - على الرغم من الفارق العددى الكبير لصالح الأعداء - حتى يحافظوا على كيانهم ودينهم من عتاة قريش .

ونزل النبى - صلى الله عليه وسلم - وصحابته عند ماء بدر ، وكتب الله النصر للفئة القليلة ، وهنا موضع لوقفة إعجاب بصدق وفاء المسلمين وعظيم محبتهم للرسول الكريم ، وإيمانهم برسالته ، ولعلنا نخلص من هذا النصر بعدة نقاط يجب ألا تفارقنا كلما هل شهر رمضان ، شهر النصر والصبر من هذه النقاط :

★ حق الفرد فى النصح للقائد مادام على علم تام بالقضية المطروحة ، وأن يكون ذلك فى أدب واحترام .

★ الثقة الدائمة فى عناية الله وعدم اليأس .

★ التخطيط الدقيق يوصل إلى النصر الكامل .

★ الإيمان القوى بالله أولاً ، ثم الثقة بالنفس بدون تكبر أو غرور .

★ تحديد الهدف سلاح أساسى للتغلب على العوائق التى تقف فى الطريق ، أو تعرقل إتمام المهام .

وبعد ، فقد عاش المسلمون قادة وسادة وتربعوا على القمة ، وجنوا ثمار عدلهم ، وصفاء روحهم ، وقدموا للبشرية أنصع المثل فى الحكم والتعامل مع الآخرين .

الجهاد : صمام الأمان للأمة

وترسل القارئة : عبير محمد نصار - دمنهور هذه الكلمة حول الجهاد تقول :

إن واقع الأمة الإسلامية لا يخفى على ذى بصيرة ، والمتأمل لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدرك - بدون عناء - الداء والدواء ؛ إذ يقول - صلوات الله وسلامه عليه - فيما أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر - رضى الله عنهما - : « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم .. وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، أدخل الله تعالى عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

وكيف لا ، والجهاد إحدى شعائر الدين الكبرى ، التى حفظت للأمة كيانها ومجدها ، ولم لا .. وهو ذروة سنام الدين . وأن كل منصف وكل ذى بصيرة يعلم تماما أن ما آلت إليه أمتنا من سوء حال ، إنما هو نتيجة حتمية لبعدنا عن أوامر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التى فيها عزنا وسعادتنا فى الدنيا والآخرة .

وهنا يجب التنبيه على أن المقصود من الجهاد هو الجهاد كما أراده رسول الله - وليس الإرهاب ،

الصدق شيمة المؤمنين

ويرسل القارىء : ياسر فكرى السيد سالم ميت خاقان ـ شبين الكوم :

يقول : إن الإسلام دين الله الذى ارتضاه لعباده ، وهو منهاج حياتهم ، أمرهم الله ـ سبحانه ـ أن يبنوا حياتهم تبعاً لتعاليمه ومبادئه ، ومن أهم هذه المبادىء : الصدق .

قال تعالى ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (المائدة : ١١٩) .

ولنعلم : أن الصدق ينجى صاحبه من كل سوء حتى إن ظن أن فى الصدق هلاكه ، فهو النجاة الحقيقية له .

والكذب صفة رذيلة تدل على سوء خلق صاحبها ، ولا عذر لمن يكذب ويتخذ الكذب أسلوباً لحياته ، يتعامل به سواء اضطر للكذب أم لا .

ولقد ذم الله الكذابين ، فقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (الزمر : ٦٠) .

ونهانا رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الكذب وأوضح أنه يهدى إلى الفجور ، وأن الفجور يهدى إلى النار .

وسئل الرسول صلى الله عليه وسلم : « أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم . قيل : أيكون بخيلاً ؟ قال : نعم . قيل : أيكون كذاباً ؟ قال : لا » . راجع الطيالسى/ كتاب الكلام باب/ ١٩ .

وصدق الشاعر حين قال :

لى حيلة فيمن يحيف ∴ وليس فى الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول ∴ فحيلتى فيه قليلة

وأخيراً ينبغى علينا أن نربى أبناءنا على الصدق ، وأن نعودهم عليه ؛ حتى نخرج للدنيا جيلا نفخر به ، ويحقق ما نصبو إليه .

فالإسلام دين سمح لا يدعو إلا إلى كل خير .

ومن الجهاد جهاد النفس : فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » أخرجه الترمذى .

ومن الجهاد ـ أيضاً ـ حسن تبعل المرأة لزوجها ، ورعاية بيتها وأولادها وحجها .

وكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عندما يعودون من غزواتهم يقولون : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، يقصدون « جهاد النفس » .

ولو أن كل مسلم جاهد نفسه وروضها على الخير لصلح حال هذه الأمة ، ولم لا ؟ أليس من الجهاد تحرى الرجل الحلال فى مشربه ، وطعامه ، وفى مسكنه وكسائه ؟ أليس الجهاد فى مقاومة هوى النفس وشهواتها ؟

أجل .. إذا تمسك كل مسلم ومسلمة بهذا الواجب لظفرت الأمة الإسلامية ، بحياة دائمة ـ بإذن الله تعالى ـ من شر كل طامع ، ولظفرت كل أسرة براحة البال ، وحياة هانئة .

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يعزنا بهذا الدين القيم ويعز الإسلام بنا .

متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

وردت هذه الكلمة عن المتحف الإسلامى بالقاهرة من القارىء/ عبد الوهاب عبد الغفار عمر - كلية التربية - جامعة الأزهر يقول :

لمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تاريخ يقارب اليوم مائة وعشرين سنة ، ففى عام ١٨٦٩ اقترح المهندس « سالزمان » على الخديوى إسماعيل - حاكم مصر آنئذ - أن ينشىء متحفاً للآثار الإسلامية فكلف الخديوى « يوليوس فرانتز باشا » مدير القسم الفنى فى إدارة الأوقاف بأن يخصص بناءً حكومياً ، يضم التحف التى يستطيع جمعها من الجوامع والدور القديمة ، ولكن هذه الفكرة لم تنفذ إلا عام ١٨٨٠ م - ١٢٩٧ هـ ، حينما طلب الخديوى توفيق من « فرانتز باشا » بأن يجمع التحف الأثرية من الأماكن التاريخية التى يرجع



القارىء : ن . ع . د بنى سويف وصلتنا رسالتك بعنوان « فاسألوا أهل الذكر » وأهل الذكر فى مثل حالتك إنما هم الأطباء فعليك استشارة الطبيب المختص ، ولا تتردد بعد ذلك .

●●●

القارىء : عبد الحميد جبارى - تلمسان - الجزائر نأمل أن تسمح الظروف مستقبلا بتلبية طلبك .

●●●

القارىء : عبد السلام محمد على القاهرة - شبرا

يمكنك إرسال إنتاجك مع دعائنا لك بالتوفيق .

عهدها إلى العصر الإسلامي ليحفظها من الضياع والتلف ، فجمعت من الإيوان الشرقي من جامع الحاكم بأمر الله . وقد أطلق على هذا الإيوان - الجزء الذي حفظت فيه الآثار « دار الآثار العربية » ، وهناك كتب المهندس « هرتس بك » أول دليل لمحتويات المتحف في سنة ١٨٩٥ م - ١٣١٣ هـ ، وكان هذا الدليل باللغة الفرنسية .

وقد اختارت « لجنة حفظ الآثار العربية » التي أنشئت عام ١٨٨١ م « هرتس بك » أول مدير ومشرف على « دار الآثار العربية » ، وقد أشار الرجل في دليله المكتوب بالفرنسية إلى أن مكان الدار في جامع الحاكم بأمر الله مكان غير صالح . فتقرر تشييد دار الآثار الإسلامية بباب الخلق (ميدان أحمد ماهر اليوم) وهو المكان الموجود فيه المتحف حاليا .

وقد وضع الحجر الأساسي للمتحف سنة ١٨٩٩ م . واكتمل البناء سنة ١٩٠٢ م ، وتم نقل التحف إليه في نهاية عام ١٩٠٣ م . ومازالت التحف إلى اليوم ، حيث تعرض مجموعته النادرة بأسلوب علمي أنيق .

مصادر محتويات المتحف

قام المتحف بالتنقيب سنة ١٩٢٠ بجهة « درنكة » جنوبي غرب أسيوط في صعيد مصر ، فكشفت هذه التقنيات عن مجموعة من المنسوجات . فلما تولى إدارة المتحف العلامة « علي بهجت بك » زاد في محتويات المتحف كثيرا عن طريق الشراء ، ومما عثر عليه في حفائر مدينة الفسطاط (مصر القديمة الآن) من قطع الخزف والفخار ، والمنسوجات ، والزجاج والقطع الخشبية ، والعملة والأدوات المعدنية .

وقد نمت مجموعة التحف الأثرية بسرعة نادرة ، وساعد على ذلك - أيضاً - ما قدمه الهواة للمتحف .

وقد وصل عدد التحف المعروضة بالمتحف عام ١٩٥٢ إلى ١٦٥٢٤ قطعة ، تجاوز سبعين ألف قطعة عام ١٩٧٧ م .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ : عمر البسطويسى

● **استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر** بمكتبه / صباح يوم ٩ من شعبان سماحة الشيخ محمد رشيد الميقاتى أمين عام كلية الشريعة الإسلامية فى طرابلس ـ لبنان عضو المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وقد رحب فضيلته بالضيف وتمت مناقشة أوضاع المسلمين فى لبنان .

وقد طلب سماحته من فضيلة الإمام الأكبر إعادة البعثة الأزهرية من علماء الأزهر إلى لبنان على نفقة لبنان على أن يتم اختيارهم حسب التخصصات المطلوبة ، وقد وعده فضيلته بالاستجابة إلى طلبه مؤكدا على أن الأزهر الشريف على استعداد دائم لتلبية كل طلبات المسلمين فى أى مكان فى العالم خدمة للإسلام والمسلمين ، كما طلب سماحته إمداد كلية الشريعة بلبنان بالكتب والمراجع القيمة العلمية للاستفادة منها فى الدراسة للطلبة وللرجوع إليها فى المسائل والقضايا الهامة وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على طلبه وتم تسليمه الكتب والمراجع المطلوبة فورا .

● كما استقبل فضيلته الدكتور الأمين محمد عثمان الأمين العام لمنظمة الدعوة الإسلامية بالسودان نائبا عن السيد المشير سوار الذهب نائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وقد دار الحديث حول أوضاع المسلمين فى السودان الشقيق ، وتمت دراسة ما تقوم به منظمة الدعوة الإسلامية بالسودان من أنشطة لخدمة المسلمين فى السودان دينيا وثقافيا واجتماعيا ، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن العلاقة بين الشعب المصرى والشعب السودانى علاقة أزلية وتربطهما روابط متينة منذ زمن طويل وأن الأزهر الشريف لايألو جهدا فى تقديم علمه ومعارفه إلى إخوانه فى السودان فضلا عن دور مصر الرائد مع شعب السودان الشقيق .

وقد طلب الضيف منحا دراسية للطلاب المسلمين بجنوب السودان للتعليم بالأزهر الشريف وقد وعده فضيلة الإمام الأكبر بدراسة طلباته تمهيدا لتلبيتها ، وفى نهاية اللقاء قدم الضيف الشكر للأزهر الشريف على دوره الرائد فى العالم أجمع فضلا عن السودان .

● **استقبل فضيلة الإمام الأكبر** وفدا إعلاميا من جمهورية إيران يضم عددا من رؤساء التحرير ومحررى الصحف والمجلات الإيرانية ومؤسسات الدعاية والنشر وقد رحب بهم فضيلته وأجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم وأكد على أن الأزهر الشريف جامعا وجامعة وعلماء مع الحوار البناء الذى يؤدى فى النهاية إلى تقارب وجهات النظر فى القضايا التى تهم الأمة الإسلامية وأن الأزهر الشريف يزداد قربا والتصاقا مع كل المسلمين بصفة عامة ومع إيران بصفة خاصة ، فكلنا أمة واحدة وقبلتنا واحدة ونستقى ديننا من أصول واحدة ، وقال : إن الشريعة الإسلامية دعت إلى الحوار البناء وإن آيات القرآن الكريم تحتوى على حوارات عديدة بين الأنبياء وأممهم وبين العقلاء والسفهاء .

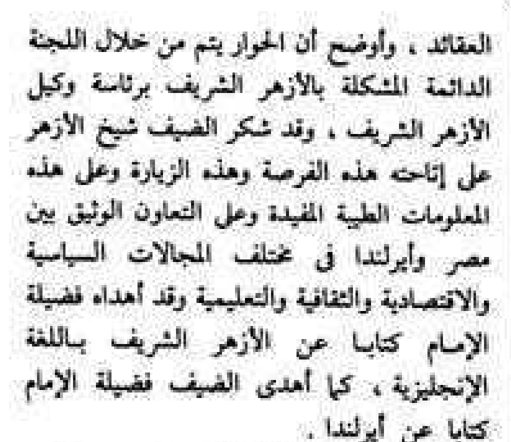
كما أكد على أن شريعة الإسلام سوت بين الرجال والنساء فى أمور كثيرة منها أصل الخلقة والتكاليف الشرعية والعبادات وطلب العلم ، وقال : إن عندنا فى جامعة الأزهر عشرات الآلاف من الطالبات يدرسن حتى مرحلة الدكتوراه ، وهذه المساواة لاتمنع أن للمرأة خصائص وللرجال خصائص .

وحول سؤال : هل الإصلاح يأتى من الفرد أولا أم من المجتمع أو العكس أجاب فضيلته : الذى أميل إليه شخصيا أن الإصلاح يبدأ أولا من الفرد فى البيت فإذا تم إصلاحه جاء إصلاح المجتمع فى المدرسة والمعاهد العلمية ووسائل الإعلام .

وحول سؤال هل يمكن الإصلاح دون الخوض فى السياسة أجاب فضيلته : أن الإسلام لايفرق بين الدين والسياسة والنظام عندنا فى مصر نظام مؤسسات والأمور الشرعية مؤسستها الأزهر الشريف وكل مؤسسة تتعاون مع الأخرى .

وحول سؤال عن دور الأزهر فى نشر هذه الأفكار فى المؤتمرات العالمية أجاب فضيلته : لقد حضرت مؤتمرات كثيرة فى بلاد كثيرة وقلت فيها نفس الكلام بشرح وتوضيح ، وفى نهاية اللقاء شكر أعضاء الوفد شيخ الأزهر على هذا اللقاء الطيب المثمر المفيد معربين عن سرورهم بزيارة مصر والأزهر الذى هو أحد قلاع الإسلام المضيئة .

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه يوم ١٣ من شعبان سنة ١٩ ١٤ هـ الموافق ١٩٩٨/١٢/٢ السيد (بيتر جيق) سفير إيرلندا بالقاهرة ، بمناسبة تعيينه سفيرا جديدا لبلاده بالقاهرة وقد رحب فضيلته بالضيف وألقى الضوء على دور الأزهر الشريف منذ إنشائه وحتى الآن فى التعليم والدعوة ونشر الثقافة الإسلامية من خلال المعاهد الأزهرية والكليات الجامعية الأزهرية والرسالة السامية التى يقوم بها نحو المسلمين فى شتى أنحاء العالم حيث يفد إليه الطلاب من دول كثيرة من أنحاء العالم لتلقى العلم بالأزهر الشريف ، كما يقوم الأزهر بإرسال علمائه إلى المراكز الإسلامية فى معظم دول العالم ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بعيدا عن التطرف والغلو ، لأن الدراسة فى الأزهر تقوم على الوسطية وتدرس جميع المذاهب الفقهية ، وتناول علاقة الأزهر مع دول العالم ومع الديانات والمذاهب المختلفة . وأنها مبنية على الحوار البناء النافع الهادف الذى يحق الحق ويبطل الباطل وينصر المظلوم بعيدا عن



العقائد ، وأوضح أن الحوار يتم من خلال اللجنة الدائمة المشكلة بالأزهر الشريف برئاسة وكيل الأزهر الشريف ، وقد شكر الضيف شيخ الأزهر على إتاحته هذه الفرصة وهذه الزيارة وعلى هذه المعلومات الطيبة المفيدة وعلى التعاون الوثيق بين مصر وأيرلندا فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية وقد أهداه فضيلة الإمام كتابا عن الأزهر الشريف باللغة الإنجليزية ، كما أهدى الضيف فضيلة الإمام كتابا عن أيرلندا .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه يوم ٦ من شعبان ١٤١٩ الموافق ٩٨/١١/٢٥ معالى الشيخ / أحمد خالد الكليب وزير الأوقاف والعدل والشئون الإسلامية بدولة الكويت الشقيقة يرافقه السيد / عبد القادر العجيل مدير عام بيت الزكاة الكويتى والسيد / عبد العزيز المطوع نائب رئيس بيت الزكاة الكويتى ومعالى الشيخ / مشعل الصباح مدير إدارة الفتوى والسيد المستشار / عبد الرحمن الهادى مدير عام بيت الزكاة بالقاهرة يرافقهم المستشار محمد المطوع القائم بأعمال سفارة الكويت بالقاهرة .

وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء عن دور الأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع وفى دولة الكويت بصفة خاصة والدور الرائد لمصر بقيادة الرئيس / محمد حسنى مبارك والتعاون الوثيق بين وزارة الأوقاف بالكويت والأزهر الشريف .

وتأتى هذه الزيارة فى إطار اجتماعات المجلس التنفيذى لوزراء الأوقاف العرب واجتماعات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وتم أثناء اللقاء الاتفاق على افتتاح بعض المشاريع الخيرية التى يقيمها بيت الزكاة الكويتى بمصر بحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة د / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة د / نصر فريد واصل مفتى الجمهورية ، والسيد المستشار ماهر الجندى محافظ الجيزة وعلماء الأزهر والأوقاف .

خمسون معهدا أزهريا جديدا

● فى يوم الجمعة الموافق ٨ من شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/١١/٢٧ تم افتتاح مجمع ورثة الحميدى الإسلامى (مسجد ومستوصف) بمدينة ٦ أكتوبر بالجيزة بتكلفة قدرها ٤٨٠ ألف جنيه ، وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر خطبة الجمعة وتحدث فيها عن عمارة المساجد وعن نعمة التعاون على البر والتقوى ، وعن الأخوة الصادقة .

ثم وضع حجر الأساس لمعهد التحرير الابتدائى الأزهرى بمدينة التحرير بإمبابة ويتكون من ثلاثة طوابق ، ويحتوى على ٢٢ فصلا دراسيا وملحقات إدارية ويتكلف ٥٥٠ ألف جنيه شاملة الفرش والتجهيز ، كما تم افتتاح مجمع المرحومة عائشة محمد عبدالمحسن الدعيج بالبراجيل الجيزة ويحتوى على دار مناسبات ، ومشغل للفتيات مجهز ، ومكتب تحفيظ قرآن كريم ، ومسجد يسع ٧٠٠ مصل ومصلى سيدات يسع ٣٠٠ مصل .

هذا ومن المنتظر البدء فى إنشاء خمسين معهدا أزهريا جديدا بتمويل من دولة الكويت الشقيقة فى إطار التعاون القائم بينها وبين الأزهر الشريف إيمانا بالدور الذى يضطلع به فى نشر الوعى الإسلامى ومساهمة فى رسالته السامية وسيتم البدء فى تنفيذ ١٠ معاهد كمرحلة أولى .

على هامش اجتماعات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

● برئاسة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر د / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، تم اجتماع الدورة العاشرة للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بالقاهرة فى الفترة من ٧ ـ ٨ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٦ ، ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٩٨ ، وقد افتتح فضيلته الجلسة بكلمة رحب فيها بالسادة الضيوف حيث قال : إن هذه الاجتماعات واللقاءات المقصود بها خدمة ديننا وأمتنا الإسلامية ، وإذا كان أهل الباطل يتجمعون حول باطلهم فأولى بأهل الحق أن يتجمعوا وأن يتناصروا من أجل إحقاق الحق ونصرة المظلوم ، ونشر الفضائل ، وإعلاء كلمة الله ، وأيضا من أجل تقديم العون إلى كل من يحتاج إليه وهذا أمرحنا عليه ديننا الحنيف ، وهذا المجلس بلجانه المتنوعة إنما يجتمع للتنسيق الكامل لخدمة المسلمين فى كل مكان ، وحيا فضيلته السيد الرئيس محمد حسنى مبارك على دعمه الدائم للمجلس

ثم تحدث السيد المشير سوار الذهب نائب الرئيس حيث قال : إن المسلمين يواجهون تحديات تفوق الجهد فبعد عامين يدخل عالمنا العربى والإسلامى القرن الحادى والعشرين وهو يواجه متغيرات وتحديات متعددة شديدة التداخل والتعقيد على كافة المستويات .

وأبرز ما يزعجنا حقا ويؤرق مضاجعنا انطلاق موجات متتالية واسعة فى الأوساط الدولية تعمل على تشويه الإسلام وإدانته والتخويف منه وتصويره للرأى العام أنه خطر على العالم ومعاد للتطور والديمقراطية ويقيد الحريات وحقوق الإنسان والمرأة والأقليات ، ويمثل دعوة للعنف والتطرف ، كما أكد على الأخطر من ذلك حملات الضرر الفكرى بقصد طمس الهوية الإسلامية وجرنا إلى قبول مفاهيم جديدة فاسدة وضحت فى مؤتمراتهم كالأسرة والسكان والمرأة وأخيراً محاولتهم المفضوحة عبر الإنترنت إلى تحريف القرآن الكريم ، وكل هذا يدعونا إلى ضرورة التفكير الجاد والمبادرة للتصدى للحملة الإعلامية المغرضة ، ولذلك لابد من وقفة صارمة ضد هذه الحملة الشرسة وبيان وجه الإسلام الصحيح ، وأعرب عن تقديره للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك الذى يبذل قصارى جهده فى لم شمل العرب ومساندة قضايا الأمة الإسلامية ، كما يسعى بإخلاص لتضامنها ووحدتها .

ثم تحدث الأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس فحيا جمهورية مصر العربية فى شخص السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية وحكومته الموقرة والشعب المصرى النبيل لدعمهم لهذا المجلس وإحاطته بالعناية والرعاية ، وأكد على أن وجود مقر المجلس فى القاهرة العاصمة الإسلامية التاريخية وصلته الرفيعة بالأزهر الشريف هذه القلعة الإسلامية العربية يشكل رأس مال معنويا كبيرا ومكانة مرموقة أعانت المجلس ليصل إلى ما وصل إليه الآن وقال إن أوضاع المسلمين ومشكلاتهم تحتاج منا الكثير والكثير وأول مشكلة تواجه المسلمين أنهم يعانون الإحباط فى مجالات مختلفة والمنظمات الشعبية الإسلامية تستطيع أن تكون منطلقا للأمل ومبعثا للرجاء بما فيها من عناصر مؤمنة .

كما تحدث الدكتور عز الدين العراقى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى فقال : إنه من أجل التنسيق بين كل الجهود فقد أنشأت منظمة المؤتمر الإسلامى لجنة تنسيق العمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة التى ينطوى تحتها عدد من المنظمات والهيئات الحكومية وغير الحكومية العاملة فى هذا المجال تحت المنظمة - بغية تجنب تداخل الجهود وقد عقدت عدة اجتماعات فى عدد من الدول الإسلامية المختلفة بقصد الارتقاء بالتعاون من أجل التصدى للمحاولات التى تستهدف العقيدة والهوية الدينية والثقافية ونشر الصورة الصحيحة للإسلام وعقيدته وتعاليمه ودعوته الإنسانية المبنية على الاعتدال وترك الغلو والتشدد والشطط والتعنت .

وعلى مدى يومين تم عقد لقاءات واجتماعات وجلسات عمل قدمت فيها تقارير أصحاب السعادة والمعالى والفضيلة رؤساء اللجان المتخصصة : (لجنة الإغاثة العامة ، لجنة التعليم والدعوة ، لجنة المعلومات والمتابعة ، لجنة التمويل والاستثمار ، لجنة النشر ، لجنة الإعلام ، لجنة الأقليات الإسلامية ، لجنة الشباب ، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل ، اللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان) ، كما نوقشت القضايا الإسلامية ، القدس الشريف ، كوسوفا ، كشمير ، تركستان الشرقية ، البوسنة والهرسك ، الشيشان ، القانون الأمريكى للاضطهاد الدينى ، كتاب محمد للمستشرق (رودنسون) وقضايا أخرى ، ثم صدرت القرارات والتوصيات التى أسفرت عنها المناقشات :

١ - دعوة الأمانة العامة لمواصلة جهودها بالطرق الفعالة والمناسبة فى تقويم السلوك الإعلامى للفضائيات ووضع ضوابط قيمية وأخلاقية عند إنشاء مثل هذه الفضائيات ، والتأكيد على دور الفضائيات فى المجالين الإعلامى والاتصال ، والإفادة منها فى خدمة القضايا الإسلامية .

٢ - توفير الدعاة الأكفاء وإرسالهم إلى منطقة جنوب صحراء أفريقيا لمواجهة الأنشطة الهدامة ونشر صحيح الإسلام وتوضيح صورته السمحة .

٣ - العمل على توسيع قاعدة المنظمات النسائية للمشاركة فى إعداد ميثاق المرأة والطفل ووضع خطة للعمل على تنفيذ المشروعات التى تفيد المرأة والطفل .

٤ - الاهتمام بدعم صندوق الطلبة المبعوثين لتمكينه من تقديم المساعدة الملائمة والممكنة لتسهيل عودة الطلبة الخريجين إلى بلادهم .

٥ - التأكيد على دور المدارس القرآنية الأهلية المنتشرة فى العالم ودعمها فنيا وماديا وبشريا .

٦ - حث الاجتماع الهيئات والمنظمات الإغاثية للقيام بدورها الإنسانى فى إغاثة الشعب العراقى وتخفيف معاناته بسبب الحصار المفروض عليه .

٧ - كما أقرت الهيئة الحوار بين الحضارات (الأديان) على أن يكون تحت رعاية وإشراف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رئيس المجلس ضمانا للتقيد بالأحكام الشرعية ، واحتراما للقيم الدينية .

٨ - أقرت الهيئة دعوة الأمم المتحدة ومجلس الأمن للضغط القوى على إسرائيل للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ، وتسليم كامل التراب الوطنى الفلسطينى إلى الحكومة الفلسطينية .

٩ - وافق الاجتماع على انضمام المركز العام

للشبان المسلمين بالقاهرة عضوا بالمجلس ، واعتماد المنظمة الإسلامية لأمريكا اللاتينية كعضو بالمجلس أيضاً .

١٠ ـ التأكيد على خطة العمل الهادفة إلى توحيد جهود الأقليات وتحقيق اتفاقها العام على المبادىء الإسلامية الأساسية وإمكانية قيام قيادة موحدة لهذه الأقليات .

ترقيات

صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يعين فى وظيفة وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بدرجة مدير عام بالأزهر لمدة سنة أو حتى بلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيها أقرب الشيوخ الآتى أسماؤهم بعد : ـ

١ ـ عبدالرحيم أحمد أحمد أبو الوفا عابدين
٢ ـ قاسم عبدالصمد السيد الدسوقى
٣ ـ محمد حسن محمد محمد الشيخ
٤ ـ جابر مصطفى محمد الفرجارى
٥ ـ أبوالحمد حسين أحمد ربيع
٦ ـ عبدالمنعم عبدالرحمن إبراهيم حساتين
٧ ـ محمد على أحمد خليل
٨ ـ على عبدالله محمد فرج
٩ ـ محمد محمد عبدالقادر على

كما يعين فى الوظيفة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر لمدة سنة أو حتى بلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيها أقرب كل من : ـ

١ ـ الأستاذ / محمد نديم رمضان عطية ، وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بالدقهلية .

٢ ـ الشيخ / محمد عبدالحميد مرسى الغرباوى ، مدير عام منطقة أزهرية (ب) بالوادى الجديد .

٣ ـ الشيخ / محمد سيد أبوالعلا عزيز ، مدير عام التعليم النوعى .

٤ ـ السيد / رشاد شعبان عبدالسلام زين ، مدير عام الشئون المالية .

٥ ـ السيدة / نبيلة إبراهيم حسن زاهر ، مدير عام الإدارة العامة لنشاط الفتيات .

٦ ـ السيد / شريف محمد إبراهيم ندا ، مدير عام شئون الطلبة والخدمات بمدينة البعوث .

صدر برئاسة مجلس الوزراء فى ١٧ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٦ ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : بأن يسند إلى فضيلة الشيخ : طوسون إبراهيم أحمد هواش مدير عام مكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ـ بالإضافة إلى عمله ـ القيام بعمل وظيفة الأمين المساعد للبحوث الإسلامية لحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ٩١ ولائحته التنفيذية صدر فى ١٢ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ١ ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

● كما صدر قرار فضيلته بالموافقة على سفر كل من :

١ ـ فضيلة الشيخ / عبدالفتاح سيد جمعان مدير عام الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم بالأزهر الشريف .

٢ ـ فضيلة الشيخ / عبدالرحمن شمس الدين محمود مستشار العلوم الدينية بالأزهر الشريف إلى دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية فى شهر رمضان المعظم عام ١٤١٩ هـ . صدر فى ١٦ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٥ من ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

● كما صدر قرار فضيلته بالموافقة على سفر السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى الجهات المبينة قرين اسم كل منهم للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية خلال شهر رمضان المعظم سنة ١٤١٩ هـ على أن يتحمل الأزهر تذاكر السفر وبدل السفر المقرر قانونا .

م	الاســم	الوظيفة	الجهة الموفد إليها
١	دسوقى فهيم إسماعيل على	موجه بمنطقة الشرقية	مسجد وادى الأنتلوب بلوس أنجلوس بأمريكا
٢	السيد أحمد هلال السيد	موجه شئون قرآن بمنطقة الشرقية	مسجد ريفر صايد بسان فرانسيسكو بأمريكا
٣	مصطفى صبرى بربرى توفلان	موجه بمنطقة قنا	مسجد فرزنو بولاية كاليفورنيا بأمريكا
٤	أنس عبدالفتاح أبو شادى	مدرس الفقه المقارن بطب الأزهر	المركز الإسلامى بمدينة سادل بالك بأمريكا
٥	السيد إبراهيم محمد القعصى	شيخ معهد فتيات المحلة	المركز الإسلامى بولاية هيوستن بأمريكا
٦	عبدالله محمد فرج جبل	رئيس قسم بمنطقة أسيوط	المركز الإسلامى بولاية هيوستن بأمريكا
٧	إسماعيل فوزى صادق أحمد	موجه بمنطقة قنا	بمجلس رعاية الجالية بمدينة جرنفيل بولاية كارولينا بأمريكا
٨	حسين محمد أبو عليو	موجه بمنطقة أسيوط	مسجد الصديق بمدينة ويكو (دلس) بأمريكا
٩	محمد منير أحمد نافع	واعظ بمنطقة الجيزة	مسجد النور بمدينة ساكرمنتو ـ كاليفورنيا
١٠	محمد عبدالعزيز عليوة	موجه بمنطقة الغربية	مركز الجالية الإسلامية بأونتاريو بمدينة تورنتو بكندا
١١	أحمد عبدالفتاح محمد عطاالله	موجه شئون قرآن بمنطقة طنطا الأزهرية	المركز الإسلامى بجنوب مونتريال بكندا
١٢	يحيى محمد محمد السيد	موجه بمنطقة الشرقية	المركز الإسلامى للثقافة والإعلام مسجد أبوبكر الصديق بمدينة فيسخن بهولندا
١٣	محمد حسن عبادى عوض الله	موجه بمنطقة قنا	مسجد المحسنين بلاهاى هولندا
١٤	عبدالفتاح أحمد سليمان الشال	مدير التعليم الثانوى بالغربية	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بهولندا
١٥	محمد أحمد حماد على	مدير إدارة قنا	
١٦	محمد محمد محمد جعفر شحاتة	مفتش وعظ بالمنوفية	
١٧	عبدالرحيم محمد إبراهيم ربيعة	موجه بمنطقة الغربية	
١٨	محمد إبراهيم إبراهيم سلام	شيخ معهد فتيات طنطا	المركز الإسلامى الثقافى ببروكسل ببلجيكا
١٩	عبدالوكيل محمد عبدالدايم خميس	رئيس أقسام بمنطقة طنطا	دار الإفتاء بصوفيا ـ بلغاريا
٢٠	محمد بيومى محمود مهنى	موجه بمنطقة الغربية	دار الإفتاء بصوفيا ـ بلغاريا
٢١	محمد محمد على شحاتة	موجه بمنطقة بنى سويف	المكتب الثقافى المصرى بفيينا ـ النمسا
٢٢	مصطفى عبدالحميد مصطفى	مفتش وعظ بالقوات المسلحة	المركز الإسلامى العام باستراليا
٢٣	عزت إبراهيم إسماعيل سرحان	وكيل أول منطقة الأقصر	المركز الثقافى الإسلامى باستراليا
٢٤	السيد أحمد على محمد صديق	موجه شئون قرآن بالشرقية	الجمعية الإسلامية المصرية باستراليا
٢٥	عبدالحكم محمد السيد الفيومى	مدير تعليم منطقة دمياط	الرابطة الإسلامية بليما ـ بيرو
٢٦	عنتر محمد صابر الصيرق	موجه بمنطقة المنصورة	المركز الإسلامى الخيرى فى التيجرى بفنزويلا
٢٧	على محمد جاهد عبدالله	موجه بمنطقة قنا	المركز الإسلامى بمدينة كرنيتشيرش نيوزيلاندا
٢٨	صلاح عبدالجليل عبدالحكيم حسن	موجه شئون قرآن بالمنيا	جمهورية الشيشان
٢٩	عبدالمنعم ربيع حسانين صالح	موجه شئون قرآن بقنا	جمهورية الشيشان
٣٠	أحمد عبدالباسط أحمد محمد	موجه شئون قرآن بقنا	الداغستان

م	الاسم	الوظيفة	الجهة الموفد إليها
٣١	سيد عبدالرازق عبدالعليم	مفتش وعظ القاهرة	نيبال
٣٢	محمد بيومي حسين	موجه بمنطقة الزقازيق	مدغشقر
٣٣	حرزالله عبدالله عبدالمولى	موجه بمنطقة قنا	اريتريا
٣٤	أحمد محمد جاب الله يوسف	مدير تفتيش وعظ المنوفية	مركز الدعوة الإسلامية استكهولم السويد
	صدر في ١٧ من شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٧ من ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .		
٣٥	محمد أحمد سيد أحمد الواعظ	منطقة وعظ الشرقية	ألمانيا الاتحادية
٣٦	الأباصيري عبدالهادي الخطيب	مفتش وعظ بمنطقة كفر الشيخ	مركز دار الإيمان الثقافي الإسلامي بمدينة أرلنجتون
	صدر في ٢٠ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .		

من قادة الخلفاء الراشدين ـ بقية ـ

ثم خرج بها إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي عمّمه بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقلد سيفا ، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونودى في الناس عامة : الصلاة جامعة ، فامتلأ المسجد بالناس حتى غص بالناس ، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس فيه إلا في أخريات الناس ـ وكان رجلا حييا رضي الله عنه ـ ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوقف وقوفا طويلا ، ودعا دعاء طويلا ، لم يسمعه الناس ، ثم تكلم فقال : أيها الناس ، إنى سألتكم سرا وجهرا عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين ، إما علىّ وإما عثمان ، فقم إلىّ ياعلىّ ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده ، فقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا . ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى ، قال : فأرسل يده وقال : قم إلىّ ياعثمان ، فأخذ بيده وقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفعل أبى بكر وعمر : قال : « اللهم نعم » ! قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده فى يد عثمان وقال : اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إنى قد جعلت مافى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان » .

قال : وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال : فقعد عبد الرحمن مقعد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبايعونه ، وبايعه على بن أبى طالب أولا ، ويقال آخرا ، وما يذكره كثير من المؤرخين ، كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون ، أن عليا قال لعبد الرحمن خدعتنى ، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم فى شأنه ، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (الحج : ١٠)

« يتبع »



أخبار العالم الإسلامى

يحررها الدكتور :
حسن على محمد

كل عام وأنتم بخير - عزيزى القارىء - والأمة الإسلامية كلها شرقاً وغرباً . . ، ويأتى رمضان . . فى ظل عواصف وأنواء تحيط بالأمة الإسلامية ، يأتى شهر رمضان . . وأمة الإسلام متفرقة متحاربة غافلة عما يحاك لها بليل من شياطين الإنس . . . !!

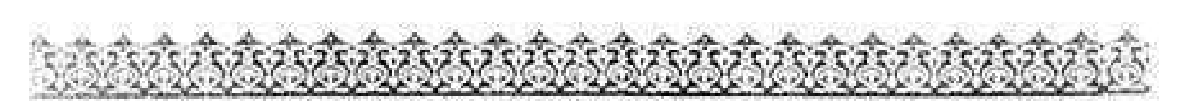
● لقد تنبه الغرب إلى البترول العربى الإسلامى باعتباره سلاحاً وثروة ، فراح ينسج المكائد لإشعال الفتن ونهب الثروات حتى أمسى سعر برميل البترول الآن ١٠ دولارات وقد كان فى أعقاب نصر العاشر من رمضان / أكتوبر ١٩٧٣ حوالى ٤٠ دولارا . . !!

● وتنبه الغرب إلى ضعف إسرائيل وعدم قدرتها على حماية مصالحه ، فراح يضعف العرب جميعاً بحروب حدودية وفتن عرقية وأخرى طائفية ليشغل الجميع ويتم استنزاف الأموال فيما لا يرفع مستوى معيشة ولا ينشر رخاء .

● وتنبه الغرب إلى وحدة الصف العربى التى أرغمت أوربا وأمريكا على احترام المصالح الوطنية للأمة العربية ، فراح يفرق بين أبناء الأمة . . يفرض الحصار ، ويوقع العقوبات ، فى ظل شرعية دولية عرجاء وصمت عربى مريب .

● أيها الأعزاء . . كل عام وأنتم بخير وأمة الإسلام بخير وليكن العاشر من رمضان شعلة مضيئة فى ظلامات وظلمات المجتمع الدولى .

وآن لأمة الإسلام أن تتفيق وليس ذلك على الله ببعيد .



○ القاهرة المنامة ○.

الإمام الأكبر شيخ الأزهر يحضر اجتماعات مجمع الفقه الإسلامى بالبحرين

شارك فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى اجتماعات الدورة الحادية عشرة لمجلس مجمع الفقه الإسلامى الدولى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى بمشاركة عدد من كبار العلماء والفقهاء من مختلف أنحاء العالم .

وقد بحث المجلس عدداً من القضايا الشرعية ، من بينها : بيع الدين والمضاربات والفتاوى وعقود الصيانة ، كما بحث المؤتمر موضوع الحداثة والعلمنة والوحدة الإسلامية .

الأزهر يدعم مؤسسات الدعوة فى جامبيا

● جامبيا : وكالات الأنباء :

أفادت مصادر وزارة الشئون الدينية فى جامبيا أن الأزهر الشريف يدعم مؤسسات الدعوة والتعليم الدينى عن طريق توسيع دائرة المنح الدراسية المخصصة لأبناء المسلمين لدراسة علوم الدين واللغة العربية ، الجدير بالذكر أن المسلمين فى جامبيا ٩٨٪ من السكان .

حماية الأسرة من سلبيات التكنولوجيا فى جامعة الأزهر

نقلاً عن جريدة « الوفد » :

يدرس مركز البحوث السكانية بجامعة الأزهر إنشاء لجنة من أساتذة كلية الطب وعلماء الإسلام مهمتها حماية المرأة المسلمة وأسرتها من سلبيات التكنولوجيا المتقدمة ومن عشوائية البحوث ، ووضع ضوابط أخلاقية يلتزم بها الأطباء من بحوث التكاثر البشرى بما يتلاءم مع الثقافة والقيم الإسلامية .

إحياء التراث الطبى العربى - الإسلامى

القاهرة - عن جريدة « أخبار المسلمين » :

تم التوقيع على اتفاقية لإحياء التراث الطبى العربى بين المركز العربى للوثائق والمطبوعات التابع لجامعة الدولة العربية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

وتنص الاتفاقية على التعاون المشترك فى مجال نشر الثقافة الإسلامية وإحياء التراث الطبى بفروعه المختلفة ، وتشجيع الباحثين العرب والمسلمين فى حقول الصحة والطب ونشر أبحاثهم والتعريف بتطور العلوم الطبية عند العرب والمسلمين وبيان موقف الإسلام من التقنيات الطبية المعاصرة .



صفوت الشريف يوصى بزيادة نسبة البرامج الدينية فى الإذاعة والتليفزيون

شهدت المحطات والقنوات التليفزيونية فى مصر زيادة ملحوظة فى عدد البرامج الدينية لتأكيد الهوية الإسلامية والعربية لمصر مع الاهتمام بتفسير القرآن الكريم والرد على أسئلة المستمعين والمشاهدين .

وقد علم محرر « الأزهر » أن هذه الزيادة تأتى استجابة لتوصية وزير الإعلام بزيادة ساعات البرامج الدينية .

هيئة الأوقاف تنفى عرض أى أثر تاريخى للبيع

القاهرة : عن جريدة « الأهرام » :

اكدت هيئة الاوقاف انه لم يسبق لها ان عرضت اى اثر تاريخى للبيع سواء ما يقع منها تحت إدارتها أو ضمن الأوقاف الأهلية والخيرية وأكد رئيس هيئة الأوقاف أن تعليمات وزير الأوقاف تقضى بالاهتمام إلى أقصى حد بالآثار التى تحت إدارتها والالتزام الكامل بقرارات اللجنة المشكلة من الآثار والأوقاف ومحافظة القاهرة من أجل تفريغ السكان الشاغلين للآثار وكذلك المحال التجارية .

معرض زراعى صناعى للدول الإسلامية فى القاهرة

القاهرة ـ لمحرر « الأزهر » :

صرح السيد كامل الشريف لمحرر الأزهر بأنه تم عقد اجتماع بين لجنة التمويل والاستثمار ولجنة الإعلام بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة حضره رؤساء اللجان وعدد كبير من ممثلى وزارات الأوقاف والمؤسسات الإسلامية الأعضاء بالمجلس .

وقد تقرر تشكيل لجان لجمع التبرعات لدعم مشروعات الدعوة والإغاثة فى بلدان العالم الإسلامى .

كما تقرر إقامة معرض زراعى صناعى للدول الإسلامية فى مدينة القاهرة ـ وإقامة معهد لتدريب رجال الدعوة على أعمال الإغاثة .

وزير الأوقاف : ضرورة الاهتمام بتحقيق المخطوطات الإسلامية

القاهرة : عن جريدة « أخبار المسلمين »

أكد الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف على الدور الذى يقوم به المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة فى نشر التراث الإسلامى المتمثل فى المخطوطات الإسلامية الوفيرة التى تزخر بها المكتبات الإسلامية المصرية .

لأول مرة ٦٠٠٠

إمام وخطيب بالأوقاف

بنظام المسابقة

القاهرة : خاص لمحرر « الأزهر » :

لأول مرة يتم اختيار الأئمة الجدد وعددهم ٦٠٠٠ خريج من كليات الدعوة وأصول الدين والشريعة والدراسات الإسلامية بنظام المسابقة وليس بالتكليف .

وصرح السيد وزير الأوقاف أن وظيفة (باحث دعوة) انتهت من سجلات الوزارة ومساجدها للأبد ، وأنه لن يحول أى إمام إلى وظيفة إدارية ، وطالب الوزير الدعاة بالتركيز على منهج الإسلام فى الدعوة إلى الله .

تعاون مصرى ماليزى

لنشر الثقافة الإسلامية

وقع الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف اتفاقية للتعاون والتنسيق فى مجالات الدعوة والتعليم والثقافة الإسلامية بين مصر وماليزيا .

وتنص بنود الاتفاق الذى وقعه وزير الشئون المالية الماليزى على توحيد الجهود للحفاظ على التراث الإسلامى وتبادل الدراسات والبحوث وتبادل الوفود لدعم مسيرة العمل الإسلامى .

○ صنعاء ○

أقدم نسخة من المصحف

الشريف بخط الإمام على

رضى الله عنه .

علم محرر « الأزهر » أنه تم العثور على مجموعة من المصاحف فى خزانة الجامع الكبير فى صنعاء ، يعود تاريخ كتابتها إلى عام ٣٠ هـ .

ومن هذه المصاحف نسخة بخط الإمام على بن أبى طالب ، ونسخة أخرى بخط الصحابى الجليل سلمان الفارسى ، ونسخة ثالثة بخط زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وقد قامت وزارة الشئون الدينية فى اليمن بتصوير هذه المصاحف لإهدائها إلى المؤسسات الإسلامية فى العالم .

تركيا

تسجيل الترجمات الشفوية

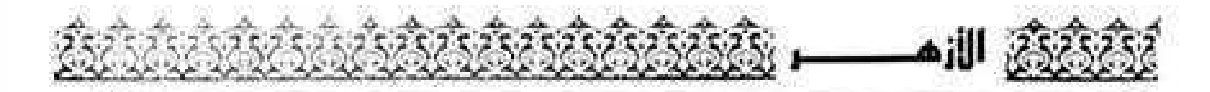
لمعانى القرآن الكريم

فى شهر رمضان

أسطنبول ـ وكالات الأنباء :

تم الاتفاق بين مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول والمراكز الإسلامية فى أفريقيا لتسجيل معانى القرآن الكريم باللغات الأفريقية من خلال تفسير القرآن الكريم التى تعقد بالمساجد الكبرى بالدول الأفريقية .

وأشارت مصادر مركز الأبحاث التركى أن المركز قد اتفق على تسجيل ترجمة معانى القرآن الكريم بلغة « الولوف » وبلغة (التهاشق) و (الصنغاى) .



Un jour, on exposa devant le Prophète-b.s- un cas de vol d'une tunique. Le plaignant saisit de compassion envers le voleur, voulut lui pardonner. Le Prophète-b.s-lui dit:*"Pourquoi ne lui as tu pas pardonné avant de me l'amener?".*

Hadith rapporté par Abu Dawud.

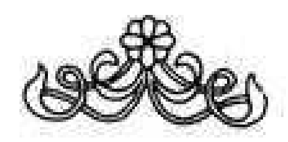
Il a dit également:" *Quiconque intecède pour arrêter l'application de la loi divine, agit à l'encontre de la volonté d'Allah."*

Hadith rapporté par Abu Dawud.

2- L'intercession dans l'application de la loi du talion est permise, car ceci est un droit de l'individu et l'ayant-droit a le droit de pardonner mais sous certaines conditions qui seront expliquées plus loin.

3- L'intercession dans "Al-Tà zir" est possible. "Al-Tà zir" (c'est la peine laissée à l'arbitraire du juge, cela relève du ressort des autorités et non des particuliers).

Il est permis au juge de pardonner, sauf si la peine infligée aux coupables sert à les reformer, dans ce cas, il doit appliquer la peine pour combattre la corruption de crainte qu'elle ne se propage, car le but visée est de proscrire le mal et d'apporter quelque utilité; c'est dans ce but que le juge doit statuer les affaires.



strictement fixées pour certaines crimes. Ces sanctions fixées sont un droit d'Allah, elles sont immuables, et ne peuvent faire l'objet d'aucune modification ni en augmentation ni en diminution, de même, elles ne doivent pas être supprimées ni par le gouverneur ni par ceux qui sont gouvernés.

Quant aux transgressions qui sont moindres et dont le danger n'est pas aussi grave que ceux qui exigent le "Qiças" ou le "Hadd", l'Islam a établi pour ceux-là un châtiment moins sévère: "Al-Tâ zir"[3]

" Al Tâ zir" c'est une correction qui commence par le blâme, les réprimandes et progresse en intensité jusqu'à la flagellation[4], la mise à l'écart, la prison et l'exil.

La jurisprudence islamique a mentionné quelques transgressions telles que l'usure, le blasphème, le pot de vin, la traîtrise et n'a pas fixé les peines légales à infliger à leurs auteurs, mais a laissé au gouverneur, aux autorités et aux jurisconsultes la liberté de fixer les transgressions qui nécessitent une punition (Al-Tâ zir). Ces punitions diffèrent d'une contrée à l'autre et d'une époque à l'autre. Cela leur a permis également de fixer la correction en fonction de chaque cas séparément.

Il existe en autre des principes fondamentaux qu'il ne faut jamais transgresser, tels que la justice, l'égalité de tous devant la loi, etc...dont les plus importants sont les suivants:

1- Il n'est point licite que le juge accepte l'intercession de qui que ce soit en ce qui concerne l'appliquation d'une loi d'Allah (Hadd).

De même, il est illicite que quiconque intercède en faveur d'une personne méritant la sanction pénale (Hadd) à partir du moment où l'affaire est portée devant le juge.

Mais, avant que l'affaire ne soit portée devant le juge, non seulement l'intercession est permise, mais aussi le pardon en ce qui concerne les droits des individus. Le Prophète-b.s- a dit: ***"Intercédez en faveur des autres tant que l'affaire n'est pas portée au juge, mais une fois que celle-ci parvient au juge même si le plaignant pardonne, Allah-Gloire à Lui- ne pardonna pas."***

Hadith rapporté par Al-Darqatany.

De même d'après, ce qui fut rapporté de l'histoire de Fatima fille de Assad et de l'intercession de Ossama Ibn Zaid en sa faveur après qu'elle eut volé, le Prophète-b.s- dit à Ossama: ***" Comment oses-tu intercéder à l'encontre d'une loi divine Ô Ossama?[5]"***.

Hadith rapporté par Muslim.

---

[3]Toute transgression pour lequel aucun châtiment légal n'a été prévu doit être corrigé, mais l'évaluation de la peine dans ce cas est laissée au juge.

[4]S'il s'agit de flagellation, celle-ci ne doit pas dépasser dix coups.
Le Prophète-b.s- a dit: ***"On ne doit pas dépasser dix coups comme correction, sauf pour le "Hadd" prescrit par Allah"*** **Hadith rapporté par Al-Bokhary et Muslim.**

[5]Ossama Ibn Zaid-A.s.l.-un des notables compagnons, nommé le bien-aimé du Prophète-b.s-. Sa tribu le pria d'intercéder en faveur d'une voleuse pour ne pas amputer sa main. Ce qu'il fit et supplia le Prophète-b.s-de la pardonner. Le Prophète-b.s-refusa l'intercession et ordonna d'amputer la main de la femme.

LES OBJECTIFS DE LA JURISPRUDENCE ISLAMIQUE (SUITE)

par : MME HODA HUSSEIN CHAARAWY

En veillant à la formation de l'homme vertueux et à l'établissement d'une société vertueuse, l'Islam vise essentiellement à préserver pour les gens toutes les nécessités vitales dont la perte ou le manque amène le déséquilibre, le désordre et la corruption. Ces nécessités peuvent être cernées autour des cinq principes fondamentaux suivants:

1- La religion.
2- L'âme.
3- Les biens.
4- La raison.
5- La progéniture.

Si ces nécessités sont respectées, sauvegardées grâce à une auto-discipline continue qui va de pair avec la conscience morale de la personne d'une part, et les vertus d'une société qui se plie aux ordres d'Allah d'autre part, les gens pourront vivre en sécurité dans un climat favorable à une vie honorable, à la prospérité, la paix, la sécurité et la tranquillité.

Or, comme le mal existe dans l'humanité depuis sa création et comme les gens ont des natures différentes semblables aux métaux, parmi lesquels se trouvent ceux qui sont précieux et ceux qui sont bas; il fallait affronter les crimes que l'Islam juge dangereux, et qui peuvent porter atteinte aux nécessités vitales des gens, et cela au moyen de sanctions dissuassives et répressives qui varient en sévérité selon le degré du tort qu'elles causent.

L'Islam a établi la loi du talion (qiças) et la rançon du rachat (Dyia)[1] sur les délits commis envers la personne par le meurtre, la blessure ou la privation d'un membre.

L'islam a aussi établi des sanctions pénales"Hadd"[2]. Ces sanctions Allah les a

[1] Al Dyia c'est un dédommagement versé comme "prix du sang" de la victime aux ayants droit.
[2] C'est le fait d'infliger à l'auteur d'une action interdite par Allah une peine corporelle.

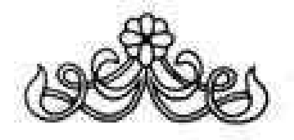


Premièrement: quand le Messager -b.s.- apprit que la tribu de Qoraïch était sortie pour repoussser leur attaque, il prit la décision de les affronter. Toutefois, il consulta ses compagnons à ce sujet. Abou Bakr puis Omar l'approuvèrent; ensuite Amr parla et dit : "Ô Messager d'Allah, poursuis ce qu'Allah t'a indiqué, nous sommes avec toi. Par Allah, nous ne ferons point comme le peuple d'Israël qui dit à Moïse: "***Pars toi avec ton Seigneur et combattez; quant à nous, nous restons là***". Nous te disons plutôt : "***Pars toi avec ton Seigneur et nous sommes tous à combattre à tes côtés***".

Alors le Prophète -b.s.-invoqua son Seigneur pour obtenir Sa bénédiction, puis il dit : "***Ô vous les Ançars, prêtez-moi conseil***", car ces derniers lui avaient prêté serment d'allégeance à Al 'Aqaba qu'ils le défendraient contre son ennemi quand celui-ci arriverait à Médine. Il craignit que les Ançars ne le soutiennement qu'uniquement contre ceux qui l'attaquent à Médine. Alors Sa'd Ibn Mo'az, l'un des Ançars prit la parole: "***Par Allah, as-tu besoin de nous, ô Messager d'Allah- Oui certes***", répondit Mohammad. Sa'd dit alors: "***Nous avons cru en toi***".

Ceci est un exemple de la consultation telle que la pratiquaient le Prophète et les Sages Califes après lui.

Dr. Rokeya GABR



A l'occasion du mois de Ramadan Le mérite du jeûne

Dr. Rokeya Gabr

Selon Abu Horaïra - qu'Allah soit satisfait de lui - le Messager d'Allah - à lui bénédiction et salut - a dit: "Toute œuvre du fils d'Adam est multipliée : chaque bonne action est décuplée et même peut même être multipliée sept cent fois. Allah - qu'Il soit glorifié et exalté - a dit: ***"A l'exception du jeûne : il m'appartient et c'est Moi qui en accorde la récompense. Le jeûneur se prive de ses désirs et de sa nourriture pour Moi. Le jeûneur éprouve deux joies : la joie de la rupture de son jeûne et la joie de rencontrer son Seigneur. L'haleine du jeûneur est, pour Allah, bien plus agréable que le parfum du musc"***.

Hadith rapporté par Muslim

Sahl Ibn Sa'd - qu'Allah soit satisfait de lui - a rapporté que le Messager d'Allah - à lui bénédiction er salut - a dit: ***"Dans le Paradis, il y a une porte qu'on appelle "Al Rayyân" et par laquelle entrent les jeûneurs le Jour du Jugement Dernier; personne n'y entrera avec eux. On dira: "Où sont les jeûneurs?" Ils entreront alors par cette porte puis, lorsque le dernier d'entre eux sera entré, on fermera cette porte et personne n'entrera après cela"***.

Hadith rapporté par Muslim.

Ces deux hadiths, parmi tant d'autres qui rapportent les paroles du Prophète Mohammad - à lui bénédiction et salut - montrent au musulman les mérites du jeûne.

La bataille de Badr durant le mois de jeûne

Le combat de Badr renferme bien des leçons et des exemples à suivre; mais nous allons ici mettre en valeur trois situations qui tournent autour du principe de la consultation en Islam.

REVUE
AL AZHAR

Ramadan 1419 H. Jan. 1999 Vol. 71 Part IX

Section Francaise

him) narrated that the Messenger of Allah (P.B.U.H) said: "Whoever sends a prayed to me Allah sends ten to him". He also advised his daughter Fatima Al Zahraa when her hands became rough after working on the millstone for long and so she wanted a servant to say (Subhana Allah thirty three times, Allahu Akbar thirty three times and La illaha illa Allah to make a hundred) before going to sleep and this will be better for her than to have a servant.

It is also important to mention the Prophet's (p & P B U H) advice to the poor Muhajerin, to say Subhana Allah Alhamdu Lilla, La illaha illa Allah and Allahu Akbar after every prayer. The relation between the remembrance of Allah and the number thirty three is something essential.

Science proved that the vertebrae in the spine of the human body are thirty three. So, it is a though whoever says the words of prayers is actually saying (O Allah You are the support for my back). Accordingly all of these supplications are related to counting and calculation in a serious kind of work with something fruitful in this life and the hereafter. It is a divine revelation that strickes hard at the materialistic nonsense, and raises the human being high even while doing something that is not considered as valuable as it really is. This work raises the person high in bright skies. But it is really rejected foolishness to leave a person to count whatever he wishes just to waste time and life.

Opposite Intentions :

This means that the person means something and then would do something different in order to bring about sleep. Those who stand for this kind of treatment suggest that people who suffer from lack of sleep have to stay awake during the night without taking any kind of medicine or caffeine. Scientific experts proved that when those people who could not sleep were asked to remain attentive for half an hour the majority of them went to sleep at once. On the contrary, when those people were told (by telephone) that they could go to sleep, a lot of them woke up and could not go back to sleep again. Meanwhile, a famous psychologist succeeded in developing a kind of treatment which he called (Controlling Sleep through an Insentive).

This method treats those for whom sleeplessness is related to staying in bed. The treatment requires that they leave their beds so long as they do not feel ready to sleep. This means that they should not do anything other than sleep while being in bed (like watching television or reading a book). Only a few acts were exempted.

If someone could not sleep after going to bed and spending ten minutes there, he has to leave the bed and go to another room until he feels the desire to sleep. He should repeat this until he sleeps. He also has to get up at the usual time for him if he was to sleep early without taking any naps in the afternoons. No attention should be given to the side effects like being tired or suffering from unbalanced performance.

to be followed

on imagining crows flying and hovering round about each other. Then you will see how such materialistic persons play with the minds of people. Their evidence herein is that modern science proved that the human brain is divided into two hemispheres with different functions each. The right section of the brain is mainly concerned with visual images while the function of the left side is speaking, counting, and calculating. This is a scientific fact.

It is indisputable that counting and imagination make both sides of the brain in contineous work. They provide for the brain a refuge to be able to flee from cares, worries and other trouble which consequently allow sleep to creep into our subconscience. All of this can not be reached through trivial imagination which fill modern clinics of slumber medicine.

Another method similar to that of counting the sheep is to imagine writing the numbers from one to one hundred on an imaginary blackboard. But to move away from that worthless nonsense, let's mention some methods of treatment set by the Prophet (Prayers and Peace Be Upon Him). Such methods aim at comforting the conscience and the mind as well. Accordingly, we can get a quiet sleep and consequently we become prepared for a new blessed day.

Al-Bara bin Azib Narrated : The Prophet (Prayers and Peace of Allah Be Upon Him) told me, "Whenever you go to bed perform ablution like that for Salat) (prayed), lie on your right side and say (O Allah I surender to You and entrust all my affairs to you and depend upon You for your Blessings, both with hope and fear of You: O Allah ! I believe in Your Book (the Qur'an) which You have revealed and in Your Prophet Muhammad (Prayers and Peace of Allah Be Upon Him) whom You have sent). Then if you die in that very night, you will die with faith i.e. on the religion of Islam. Let the aforesaid words be your last utterance before sleep".

The Hadith shows us that the best and most important condition to get ready for a quiet sleep is to enjoy spiritual and senseous purity, to direct oneself completely to the Creator of all powers and fate, as well as to submit to Him in every worth and worthless matter, If it is necessary to count something to bring about sleep, this should not be illusions or lies. It should be something good that can be useful for the person in this world and the Hereafter.

Sleep is exactly as wakefulness. Both are two kinds of behaviour that should aim at gaining a reward from Allah. Here are some prayers and supplications (Duaa) which are related to counting and which can be practissed either by day or by night :

Narrated Abu Ayub Al Ansari. The Prophet (P.B.U.H) said that "Whoever says Subhan Allahu wa bihamdihi one hundred times a day, , will be forgiven all his sins even if they were as much as the foam of the sea. The duaa means to say : Glorified be Allah, the Most Great ! Glorified be Allah and praised be He.

The Perophet (P.B.U.H) advised Muslims to send prayers to him a lot by saying (Allahuma sali wa salim ala Muhammad). Accordingly, Abdullah bin Amr (May Allah be pleased with

Definition of Insomnia :

Most researchers define insomnia as the unability to sleep at night which has its harmful effects that cause deficiency in performing the jobs which could be done by day only. The effective factor here (to speak more specifically) is not the span of time we spend in bed whether short or long. If we count on that you can be classified as one of those who suffer from sleeplessness. This point is not at all important. Allah described his faithful slaves saying :

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ ﴾

"They used to sleep but little at night. (77) and in the morning they asked (Divine) protection. (18).

(Al Dhariyat)

But inspite of that those faithful people were religious by night and as cavaliers (heroes) by day.

What matters is the quality, the efficiency and the extent of wakefulness (you enjoy while doing your job). Although some people do not sleep more than three or four hours every night, they are perseverent and perform well while doing their jobs during the day. Perhaps one of those people might complain of the pressing need for sleep. Then he might only be affected by what we used to repeat in our childhood that we must have no less than eight hours sleep. But this rule can not be applied to all people in all cases.

Edison,the inventor, who had rarely got enough sleep every night, had an excelent performance including a few naps in the middles specially when he used to solve some problems. But, the right path has to be followed as we can not all be like Edison. Besides, chronic insomnia might be destructive. The person affected by this illness is aware of the most effective way of torture. He can explain why sleeping pills next to aspiring is most widely used in some countries like the U.S.A.

The Americans in the U.S.A swallow about thirty million tapes of aspirin (millions of aspirin tablets) every night. This has an opposite effect because aspirin turned to be one of the main causes of sleepessness, together with a number of bad habits. The most dangerous of such habits are taking drugs and drinking alcohol.

Methods of Treatment :

It is satisfactory to know that there is not much difference between the most advanced scientific methods to bring about sleep and to get rid of insomnia, and the methods which have already been applied-and proved to be effective. Modern experts of sleep medicine suggest improving sanitary conditions when going to sleep. This has got just a little sigg.ficance because a lot of nonsense entered into this theory.

The Superstitious Idea of "Counting the Sheep"

Take for example this old tradition which depends on a methods called "Counting the Sheep" used in order to treat insomnia and bring about sleep. This method might also depend

Methods to Treat Insomnia Between the Nonsense of Materialists and the Guidance of Islam

By : Mr. Abdul Hamid Beshir
Translated by : Hanan Abdou El Tahtawy

Islam endeavours greatly to spread out the spirit of tranquility and peacefulness among people. The remembrance of Allah in all situations is its magical effect in this respect. Allah says ;

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

"Those who believe and whose hearts find rest in the remembrance of Allah. Now surely in Allah's remembreance do hearts find rest"

(Al Rad 28)

In this way Islam encounters face to face an enemy that for long has robbed a lot of people of rest and has made the beds of those arrogant ones too rough for them to be able to sleep along the days.

Napoleon Bonaparte could not get rid of that enemy and Winston Churchil suffered a lot. As for Dickens and Kafka (the two famous novelists), they were obliged to change some of their habits to overcome that enemy, but in vain. Some people would not believe that a Brithish Prime Minister had to resign and give up his high position because he could not conquer that enemy and get enough rest. His performance had been disordered. Even Thomas Edison (the renowned inventor) could not beat that enemy except from time to time.

Well, what were those famous people together with millions of other human beings looking for ? They were greatly perplexed. The matter is difficult and even unattainable (impossib). It is simply the natural behaviour enjoyed by people of sound consciences and piety even if they could not get much. It is to be able to sleep at night and to have some rest.

To be deprived of this blessing a person falls a prey to insomnia (sleeplessness) which is a kind of pain as old as history. The causes of insomnia are not understood even nowadays and after decades of contineous research and hard work trying to find out the nature of that illness.

And say : «O my Lord I seek refuge with Thee from the suggestions of the Evil Omes; «And I seek refuge with Thee, O my Lord lest they should come near me.»

The Muslim home is a place which disobey the devils and contradicts its whisperings The main guide line of that home is Alla's obedience and love to His Messenger, peace be upon him.

A home with strong relationships

The Muslim home is very unique in its and caring relationships. The members of the Muslim family are gathered and controlled by their love and obedience first to Allah then to each other and to the community around them. The most important bond between the husband and his wife is love and mercy which eventually will be transferred to the children and then to the whole world It is a home in which the Islamic character is built and flourished under the merciful rules of Islam.



﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

And among His Signs is this, that He created for you mates from among yourselves, that ye may dwell in tranquillity with them, and He has put love and mercy between your (hearts): verily in that are Signs for those who reflect.

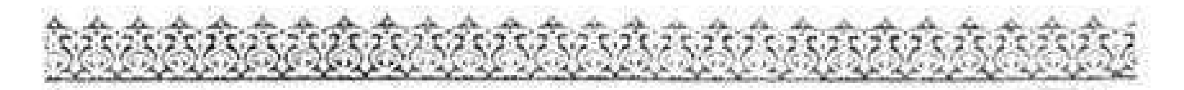
(Ar-Rum 21)

A home with message and responsibility

The Muslim home is a home of Dawa (propagation of Islam). The goal of everyone who lives in that home is to propagate Islam and spread the Message within the Muslims and the non Muslims as well. They should do so by setting an example and by spreading the Islamic information within the extended family and the neighborhood as well. The Muslim home is always opened and ready for help, care and support for its community and for the Islamic world as a whole.

Finally, I like to add that the Muslim home should also be unique in its furniture and decoration for it should represent the religious spirit of the people who live in it. It also should not contain in a way or another any pictures or figures which contradict with the Islamic rules and believes.

Then I pray to Allah Almighty to help us build our homes on piety, godfearing and love for Him and His Messenger.



A home based on knowledge

The Muslim home is a home based on knowledge. Every member in the family is encouraged to learn and seek knowledge. As Muslims we are encouraged to learn in the different areas of knowledge but it is more important to learn the rules of our faith and the basic specific jurist information that the person should know in order to worship Allah in the right way.

The Muslim woman unlike any other woman at time of the Prophet, peace be upon him, was encouraged to learn the rules of her faith in order to know both her rights and duties. As Al-Bukhari narrated in his authentic book of the Prophetic tradition that the Prophet, peace be upon him, said that the best women were the women of Al-Ansar because shyness did not stop them from learning their faith.

The Muslim home is observed by the angles :

It is a home that is lightened by the recitation of the Qur'an and the practice of the prophetic tradition. In the model Muslim home the prophetic style of life is a style that is brought into life through practice and adaptation. It is narrated by Abi Mosa Al-Ashari that the Prophet, peace be upon him, said :

The differance between the house where the name of Allah has been mentioned and the house where Allah had not been mentioned is like the difference between the alive and the dead person.

(narrated by both Al-Bukhari & Muslim)

Here the Prophet, peace be upon him, is creating a similarity between the house where Allah is mentioned and the living person but the house it which Allah is not mentioned is like the dead person. Allah's mentioning here is meant to be through prayers, recitation of the Qur'an and the other types of dhikr (means of mentioning the glory of Allah). Members of the Muslim family always remember Allah not only in their prayers but also in their daily practices. Whenever the Muslim mentions Allah's name there is an angle writing what he is saying thus through dhikr the Muslim family will be able to be observed by the angles continuously.

The Muslim home has no room for the devil (Shytan)

The Muslim home has no room for the devils because it is protected by Allah and His words. Muslims always gain Allah's protection as we are asked to do that through different means, for example: the recitation of the Aya of the Throne (Aya 255, Sura Al-Baqarah) because it protects the person especially while he is sleeping. In this great Aya of the throne Allah is describing some of His characteristics which provide and mentain life for all beings because His life is the source and constant support of all derived forms of life. Allah's protection can also be gained from the recitation of the last two Ayas of Sura Al-Baqarah.

According to Allah's orders His protection against the devil can be gained from the recitation of the other Ayas like the two Ayas of Surah Almouminoun (The believers):



﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾

The Muslim Home

by : Hadeer Refat Abo El-Nagah

While the western civilization is presenting to the world an increasing number of broken homes and unsuccessful marriages, the Islamic civilization is providing the model of the right and fruitful relationship between man and woman within the holly bond of marriage. This model should be presented to the coming generations who are in an urgent need to establish their relationships on solid foundations. The rightful and deep relationships provided through the Islamic marriage which is based on the Islamic rules provide the couples and their offspring with a quiet and respectful place which they can call home.

Here I am presenting some of the main elements which characterize the Muslim home:

A home built on the love for Allah and His Messenger :

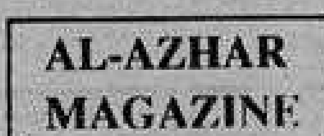
While every thing around us is materialistically centered the human soul is looking for a spiritual authority to fill in the huge hole and emptiness which the modern human beings feel. Islam provides the humanity with the spiritual power to contact with The Creator. Islam-not like any other religion-exceeds the walls of the worshipping place (the masjid) to be part of the Muslims everyday life. It regulates all and every detail of the marital relationship before, during and even after the marriage.

The Muslim home is not built on two conflicting powers trying to control each other it is rather built on two believing hearts who are trying to work together to serve Allah through their marriage. The supremacy in the Muslim home is not to a dictator husband who tries to force his rules no matter what they are, nor to a proud arrogant wife who cares only about herself. But the supremacy here is to Allah. He is the only authority which can draw the guide lines for the Muslim family as He says in the Qur'an:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى
اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

Ye who believe, obey Allah, and obey the Messenger, and those charged with authority among you. If ye differ in anything among yourselves, refer it to Allah and His Messenger, if ye do believe in Allah and the Last Day: that is best, and most suitable for final determination.

(S,4. A,59)



AL-AZHAR MAGAZINE

Ramadan 1419 H. Jan. 1999



ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part IX

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.



الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

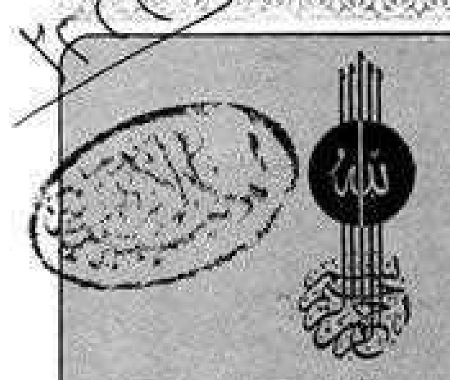
المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة



يوم الجائزة

أحمد المولى تبارك وتعالى وأصلي وأسلم على أسعد الخلق رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام البررة، وسلم.

وبعد

فقد مضى شهر القرآن، شهر الصفاء والوفاء، شهر رمضان، وجاء يوم الجائزة للفائزين الذين اهتدوا بهدى رسول الله فيه، وأدوا حقوقه وواجباته، وفازوا فيه بالرضا والغفران والقبول. قيل: إنما سمي العيد عيدا، لأنه يقال للمؤمنين فيه: عودوا إلى منازلكم مغفورا لكم، وسميت ليلة الفطر بليلة الجائزة لأنه إذا كان غداة الفطر بث الله ملائكته في كل البلاد فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه

شوال ١٤١٩ هـ - فبراير ١٩٩٩م - الجزء العاشر - السنة الحادية والسبعون

السمك ويناجون بصوت يسمعه كل من خلق الله - تعالى - إلا الجن والإنس فيقولون : ياأمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم ، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله لملائكته : ياملائكتي فيقولون لبيك وسعديك فيقول لهم : ماجزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون : إلهنا وسيدنا ومولانا توفيه أجره ، قال فيقول الجليل - جل جلاله - أشهدكم ياملائكتي أني قد جعلت ثواب صيامهم من شهر رمضان ، وقيامهم رضائي ومغفرتي ، ثم يقول : ياعبادي سلوني ، فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم في جمعكم هذا شيئا لآخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم ، وعزتي وجلالي لأسترن عليكم عثراتكم ماراقبتموني ، ولا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود ، انصرفوا مغفورا لكم ، قد أرضيتموني ، ورضيت عنكم ، قال : فتفرح الملائكة وتستبشر بما يعطي الله - عز وجل - هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان .

أحبابي : ليس العيد بلبس الناعمات ، وأكل الطيبات ، والتمتع باللذات والشهوات ، لكن العيد بظهور علامة القبول للطاعات ، وتكفير الذنوب والخطيئات وتبديل السيئات بالحسنات ، والبشارة بارتفاع الدرجات ، والخلع والظرف والهبات ، والكرامات . وانشراح الصدر بنور الإيمان وسكون القلب بقوة اليقين ، وما ظهر عليه من العلامات .

قيل : إن رجلا دخل على عليّ - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - في يوم عيد ، وهو يأكل الخبز الخُشْكار[1] ، فقال له : اليوم يوم العيد ، وأنت تأكل الخبز الخشكار ؟ فقال : اليوم عيد لمن قبل صومه ، وشكر سعيه ، وغفر ذنبه ، اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد ، فينبغي لكل عاقل أن يترك النظر إلى الظاهر ، ولا يتقيد به ، بل يكون نظره في يوم العيد نظر التفكر والاعتبار .

وعلى العاقل أن يتخلق بوصف الذل والانكسار والفاقة فلا يرى له شفوف نفس على أحد من المسلمين ، وأن يكثر الملازمة والوقوف في المواكب الإلهية ليلا ونهارا ، وأن يكون صادق الالتجاء إلى الله في كل وقت وكل حين ، وأن يكف جوارحه الظاهرة والباطنة عن كل محرم ومكروه وخلاف الأولى ، أو خطور ذلك على باله ، وعلى العاقل أن يتفقد قلبه صباحا ومساء من دخول الصفات الرذيلة ، وهذا من أكبر نعم الله - تبارك وتعالى - على عباده ، وأن يعرف الصفات التي تتوارد على قلبه حتى يشكر الله أو يستغفره ، فيتوارد على قلوب العلماء العاملين - رضي الله عنهم - خمسة أشياء : العلم والحلم والحكمة والخشية والكرم ، ويتوارد على قلوب الأولياء - رضي الله عنهم - خمسة أشياء : الصمت والذكر والفكر والنور ، وزيادة العقل ، وعمدة هذه الصفات تحصل من الجوع ومن قيام الليل ، ويتوارد على قلوب الغافلين خمسة أشياء : الغفلة والسهو والضحك والراحة والنوم ، ويتوارد على قلوب المنافقين خمسة أشياء : الهوى ، والبغض للعبادة ، والخبث ، والمكر ، والنفاق ، هذه

---

(١) الخبز الخشكار : الخبز الأسمر غير النقي (فارسي) المعجم الوسيط (٢٣٥/١) .

أمهات الصفات ، وكان سيدى على الشاذلى - رضى الله عنه - يقول : تفقدوا بيت ربكم ، وهو القلب ، وانظروا ما نقص من صفاته ، وأركانه وأبوابه ، فإن الله - تعالى - جعل أرضه من المعرفة ، وسماءه من الإيمان ، وشمسه من الشوق ، وقمره من المحبة ، وبابه من الهمة ، ورعده من الخوف ، وسحابه من الوفاء ، ثمرته من الحكمة ، وبهاءه من العلم ، وبرقه من الرجاء ، وضياءه من الفضل ، ومطره من الرحمة ، ونهاره من الطاعة ، وليله من المعصية ، فمن لم يكن فى زيادة تفقد كل وقت لهذه الصفات فهو مغرور ، وأما أركانه فهى أربعة : الأنس والتوكل واليقين والصدق ،وكذلك أبوابه أربعة : العلم والحلم واليقين والمعرفة ، وقد قفل الله - تعالى - على القلب بقفل ولا يفتحه إلا هو يوم القيامة .

وبالجملة : فمن لم يكن بوابا لقلبه يعرف ما يدخل وما يخرج فهو فى خسران[2] .

وعلى العاقل أن يداوم على عبادة ربه بهمة ونشاط كما كان فى رمضان حتى يلقى الله وهو فى طاعة دائمة ، وسعادة ربانية ، وأن يقتدى بسيد الخلق بصوم ستة أيام من شوال ، لأن النفوس عقب رمضان أرغب فى الطعام وما تشتهيه ، فإذا عادت للصيام بأمر الله - تعالى - كان شاقا عليها ، فكان أجره عظيما ، لهذا كان صومها مستحبا ، ومن صامها فكأنه صام الدهر ، لأن اليوم بعشرة أيام :

﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾ (الأنعام : ١٦٠) .

فرمضان بعشرة شهور ، والست بشهرين ، وقد صرحت بذلك رواية النسائى ، ولو فرقها أو صامها فى النصف الثانى كفى ، ولكن الأفضل أن تكون متوالية وعقب يوم العيد ، فعن أبى أيوب الأنصارى - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر »[3] .

ثم يحرص المسلم على صيام ثلاثة أيام الليالى البيض بنور القمر من كل شهر وهى : الثالث عشر واللذين بعده ، وكان هذا عادة الجمهور سلفا وخلفا ، فعن ملحان القيسى - رضى الله عنه - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرنا أن نصوم البيض ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ، قال : « هن كهيئة الدهر »[4] .

ثم إنه لما كان يوما الاثنين والخميس يومين عظيمين ، لما وقع فيهما ولأن الأعمال فيهما تعرض على الله تعالى ، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرص على صومهما ، عن أبى قتادة - رضى الله عنه - قال : سئل النبى - صلى الله عليه وسلم - عن صوم يوم الاثنين والخميس ، قال : « فيه ولدت ، وفيه أنزل علىَّ القرآن »[5] .

---

(٢) لطائف المنن والأخلاق للشعرانى ص (٢٣٢ ، ٢٣٣) عالم الفكر .
(٣) رواه الخمسة إلا البخارى .
(٤) رواه أصحاب السنن بسند حسن .
(٥) رواه أبو داود ومسلم .

كما سئل عن ذلك ، فقال : إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس ، فأحب أن يعرض عملي ، وأنا صائم »[6] .

وهذا لحكم يعلمها الله ، ولعل منها ظهور فضل الآدميين في الملأ الأعلى ، ومنها : الخوف من ذلك العرض ، كما عليه أن يديم فعل الخير في غير رمضان ، وهي كثيرة بينها سيد الخلق في الحديث الذي رواه أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس » قيل : يارسول الله ومن أين لنا صدقة نتصدق بها ؟ فقال : « إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتميط الأذى عن الطريق ، وتسمع الأصم ، وتهدي الأعمى ، وتدل المستدل على حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك »[7] .

وعن جابر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كل معروف صدقة »[8] .

وقالت أم المؤمنين : عائشة ـ رضي الله عنها ـ إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « خلق الله كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل ، فمن كبر الله وحمده ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل عظما عن طريق الناس ، وعزل حجرا عن طريقهم ، وأمر بمعروف ، ونهى عن منكر ، عدد تلك الستين والثلاث مائة ، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار »[9] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كل سلامى من الناس عليه صدقة : كل يوم تطلع عليه الشمس ، يعدل بين اثنين ، ويعين الرجل في دابته ، ويحمله عليها ، ويرفع له عليها متاعه ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة »[10] .

وينبغي لكل متعبد وعارف أن يحذر في جميع أحواله من الرياء ، ورؤية الخلق ، والعجب ، فإن النفس خبيثة ، وهي منشأ الأهوية المضلة والشهوات المردية ، واللذات الحائلة بين العبد وبين الحق ـ عز وجل ـ لا طريق إلى الأمن من غوائلها مادام الروح في جسد ابن آدم .

اللهم طهر ألسنتنا من الكذب ، وقلوبنا من النفاق ، وعملنا من الرياء ، وبصرنا من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وحبب إلينا يارب حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(6) رواه أصحاب السنن ، بسند حسن .
(7) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (8/171) برقم (3377) إسناده صحيح على شرط مسلم والجامع الكبير (2/613) .
(8) إسناده صحيح وأخرجه البخاري في الأدب (6021) .
(9) إسناده صحيح أخرجه مسلم (1007) في الزكاة .
(10) البخاري (2707) في الصلح ، ومسلم (1009) في الزكاة .

احتفال مصر بليلة القدر

تأكيداً لدور مصر الريادى فى المحافظة على القرآن الكريم ، وفى مثل هذا اليوم من كل عام ، وفى ليلة مباركة نزل فيها القرآن الكريم ، يتجدد لقاء السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ـ رئيس الجمهورية بأبنائه حفظة كتاب الله ـ تعالى ـ .

ومما لاشك فيه أن التمسك بالقرآن الكريم ، والعمل بما جاء به يحفظ على الأمة وحدتها ، ويخلق من أبنائها جيلاً جديداً يبنى ولا يهدم ، يعمر ولا يخرب ، يجمع ولا يفرق ، يصلح ولا يفسد ، فلا تلعب به الأهواء ، ولا يزيغ عن جادة الحق والهدى .

وقد كرم السيد رئيس الجمهورية حفظة كتاب الله من الفائزين فى المسابقة العالمية والتى شارك فيها ٦٨ متسابقاً يمثلون ٦٠ دولة من أنحاء العالم .

والمسابقة المحلية شارك فيها نحو ٢٠٠ ألف شاب وفتاة وطفل ، وبلغت جوائز المسابقتين نحو ١,٥ مليون جنيه ، وقد فازت مصر بالمراكز الأولى فى حفظ وتلاوة وتجويد وتفسير القرآن الكريم فى فروع المسابقة العالمية الأربعة .

كما كرم السيد رئيس الجمهورية محافظة سوهاج بجائزة قدرها ١٠٠ ألف جنيه لتميزها فى نشر الكتاتيب والاهتمام بالقرآن الكريم .

فى احتفال مصر بليلة القدر

خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

- الإمام الأكبر شيخ الأزهر ..
- العلماء الأجلاء ..
- الإخوة والأخوات الأعزاء ..

فى هذه الليلة المباركة ، ليلة القرآن الذى انزله الله على رسوله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

يتوجه ملايين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى الحق سبحانه وتعالى بالدعاء والصلاة من قلوب ملأها اليقين والإيمان ، ونفوس طهرها الصيام والقيام ، مستبشرين بالإجابة وقبول الدعاء ، فى ليلة عظيمة هى عند الله خير من ألف شهر وهى - على الدنيا كلها - سلام حتى مطلع الفجر .

وقفة مع النفس :

وقد اعتدنا فى احتفالنا بهذه الليلة العظيمة أن تكون لنا وقفة مع أنفسنا ، نراجع معاً ما حققناه خلال العام الذى مضى ، ونتعاهد فيها من جديد على مواصلة العمل ، ومواجهة التحديات ، وفاء بحق رسالة الإسلام العظيمة التى أكرمنا بها الله ، وجعلنا - بسببها - شهداء على الدنيا كلها بقيم الخير والعدل والحق والسلام ، وهى القيم التى دعت إليها وبشرت بها رسالات السماء .

- السادة العلماء
- الإخوة والأخوات . .

وتتزامن وقفتنا مع النفس هذا العام مع أحداث عالمية جسام ، كما تتزامن هنا فى مصر مع إنجازات كبيرة

حققناها ، ومازلنا نتطلع إلى المزيد منها ، وأخيرا تقف أمتنا الإسلامية مع شعوب الدنيا كلها على مشارف قرن جديد لا يعلم إلا الله ماسوف يحمله لتلك الشعوب من أسباب الأمن والاستقرار والرخاء ، أو نذر من القلق والظلم والصراع .

فأما على صعيدنا المحلى هنا فى مصر ، فقد شهد عامنا الذى مضى جهودا ذاتية حثيثة ، قامت بدور الريادة فيها عقول أبناء مصر من العلماء والفنيين والخبراء ، وحققتها على أرض الواقع سواعد المصريين الذين اعتادوا على البذل والعطاء وتخطى العقبات ، وتوجهت هذه الجهود كلها وجهتين أساسيتين متكاملتين :

الوجهة الأولى : استكمال تطوير البنية الأساسية للمجتمع ، باعتبار تلك البنية حجر الأساس ونقطة الانطلاق لكل نهضة زراعية أو صناعية أو خدمية .

والثانية هى : الخروج بالحياة والعمران من الوادى الضيق حول مجرى النيل إلى مناطق شاسعة ظلت طويلا تنتظر يد البناء والتعمير ، لتفيء بعد ذلك على الشعب كله رخاء وثروة ، وقد مرت بكثير من الباحثين والمحللين لحظات تشككوا فيها فى إمكان تحقيق هذه المشروعات العملاقة فى المستقبل القريب ، بسبب ضخامة الجهد المطلوب ، وضخامة التكلفة التى تتطلبها إقامة تلك المشروعات ، إلا أن روح التحدى والإصرار على النجاح قد استطاعت أن تتغلب وأن تنتصر ، وأن تدفع هذه المشروعات إلى أبعد مما كنا نرجو ونتوقع ، فبدأت معالم النماء وبراعم الازدهار تتفتح فى جنبات الوادى ، مؤذنة بعهد جديد فى حياة مصر ، يمتد فيه العمران وتنتشر الحضارة إلى مناطق وربوع بعيدة عن الوادى ، كان مجرد الوصول إليها أمرا يستبعده كثيرون .

وعلى الصعيد المحلى كذلك ، اكتملت أكثر حلقات الإصلاح الاقتصادى ، وتحررت المشروعات الاقتصادية من معظم القيود التى أحاطت بها فى مراحل سابقة من تاريخنا ، وبدأ القطاع الخاص يشارك مشاركة فعالة ، من خلال جهود متميزة بكل المعايير فى بناء النهضة التى توفر لتلك المشروعات إطارا قانونيا واضح المعالم ، كفيلا بتحقيق أهداف النشاط الاقتصادى فى جو من المنافسة الحرة والمفتوحة ، وغنى عن الذكر أن إنجاز هذه المشروعات الكبرى من شأنه أن يعجل برفع مستوى المعيشة للفئات الكادحة محدودة الدخل ، وهى الفئات التى تحتل الجانب الأكبر من اهتمامنا فى هذه المرحلة ، بعد أن طال حرمانها من الفرصة المتكافئة للعيش فى مستوى إنسانى كريم ، يرتفع فوق حد تلبية الضرورات والحاجات الأساسية ، ولعل أهم مانفخر به ونعتز أن إنجاز هذه المشروعات الكبرى وما صاحبها من جهود هائلة على المستويين التشريعى والتنفيذى قد تحقق كله دون مساس بالحقوق الشخصية والحريات العامة للمواطنين ، إيمانا بأن المواطن الحر الكريم هو وحده القادر على البناء والمستعد للعطاء ، انطلاقا من مشاركته الحرة فى العمل الوطنى ، ومن إحساسه الصادق بالانتماء لمجتمعه .

تطورات جذرية هامة :

- السادة العلماء . .
- أيها الإخوة والأخوات . .

إن العالم يمر فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخه بتطورات جذرية هامة ، كفيلة بأن تترك آثارا لا يمكن تجنبها أو تجاوزها طوال القرن الذى أصبحنا على أبوابه ، وليس أمام الشعوب الإسلامية بديل سوى أن تسهم بفعالية فى صياغة القيم والقواعد التى تحكم حركة المجتمع الدولى فى هذه الفترة الحرجة ، وفى إرساء تقاليد جديدة ، تقوم على تحقيق العدالة وتكافؤ الفرص ، والعمل على تضييق الفجوة القائمة بين الدول النامية التى تنحت فى الصخر لكى تلحق بركب التنمية والتقدم ، وتلك التى حققت تقدما صناعيا وتكنولوجيا هائلا ، مستفيدة من الظروف التى سادت المجتمع العالمى قرونا طويلة ، وأفرزت ثورة صناعية ضخمة فى القارة الأوروبية ، حققت لدولها مركزا مرموقا متميزا على سائر الأقطار فى شتى القارات .

ليس أمامنا بديل سوى السعى بكل الوسائل إلى تعويض مافاتنا فى تلك الحقبة الطويلة والتزود بعوامل القوة التى تمكننا من القيام بدورنا والدفاع عن حقوقنا ومصالحنا وسط هذه الأنواء التى يشهدها العالم فى فترة الانتقال من النظام القديم إلى نظم وأوضاع جديدة ، تتغير فيها الموازين وتستحدث المعايير ، وتتطور القيم والأسس التى تحكم التحول وتضبط حركة التعامل بين الدول .

حث الإسلام على العلم:

وليس هناك من هو أجدر من المسلمين بالاهتمام بالعلم والتركيز على تحصيله ونشره ، لأن الإسلام حض على العلم ، ورفعه مع العمل إلى مصاف العبادات ، فقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر:٢٨)

والرسول الأمين ينصحنا بأن نسعى إلى تحصيل العلم فى كل بقاع الأرض ، والعلم يمتد إلى كل ما ينفع الناس فى الدنيا والآخرة ، وما يرفع شأن المسلمين ويعزز قدرتهم على الخلق والإبداع ، والإسهام فى الارتقاء بنوعية الحياة على هذا الكوكب ، لأن هذا هو الاختبار الحقيقى لمعادن الشعوب وقيمها وعقائدها .

وجدير بالمسلمين كذلك أن يعمقوا فى مجتمعاتهم وفى تعاملهم مع غيرهم مفاهيم التسامح والإخاء ، وينأوا عن التعصب والتطرف لأن الإسلام يقوم على التسليم بوحدة المجتمع الإسلامى ، وعلى قبول التعدد وتحكيم العقل وترويج العمل الصالح . .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات ١٣)

فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، ولا تفرقة بين الناس على أساس العرق أو الدين أو الثقافة أو اللون ، ولا بغضاء أو كراهية ، ولا حقد ولا ضغينة ، بل محبة فى الله وسعى إلى تقواه وسير على صراطه .

صيانة القيم والمبادىء :

وإذا كنا مطالبين بأن نصون تلك القيم الرفيعة والمبادىء القويمة فى سلوكنا مع غيرنا ، فإننا ملزمون فى المقام الأول بأن نراعيها فى نطاق الأمة الإسلامية ، بحيث نضرب لغيرنا المثل والقدوة ونجعل أفعالنا وأقوالنا ترجمة صحيحة لمعتقداتنا ومبادئنا ، ونرسى فى تعاملنا داخل الأسرة الإسلامية الواحدة تقاليد رفيعة ترتفع فوق الخلافات والرؤى الضيقة ، وتتنزه عن الغلو والإسفاف والشطط ، وتتجنب الافتراء والجور ، وتحترم الحق وتصون الواجب ، وتعلى كل مايحفظ كيان الأمة وكرامة شعوبها ، وترفض كل ما يؤدى إلى ترويج الباطل وتزييف الحقائق ونشر الأكاذيب لأن هذا السلوك لا يمكن أن يحقق فائدة أو يدفع ضررا ، وكل ما يترتب عليه هو تعطيل مسيرة الأمة ، وتشويه صورتها والإساءة إلى تاريخها .

مصر الكنانة :

والحق أن مصر الكنانة ـ التى خصها الله بالذكر والتكريم فى كتابه الحكيم ـ هى أول من يلتزم بهذه المبادىء السامية والقيم الرفيعة ، فهى بلاد الأزهر الشريف ومنارة العلوم الإسلامية ، ومعقل الاعتدال والوسطية ، وعرين المؤمنين الصادقين ، الذين يحفظون عهد الله والوطن ، ويصونون الوعد والقسم ، لا يتنكرون لحق ، ولا يفرطون فى واجب ، ولا يتخلفون عن نجدة الشقيق والرفيق ، بل يظلون دائما كراما حافظين إلى يوم الدين .

كان هذا عهدنا وسيظل ، كان هذا التزامنا الأسمى الذى لا نفرط فيه ولا نتهاون ، ويظل أساس تعاملنا مع البعيد والقريب ، والخصم والحليف ، والكبير والصغير ، لأننا لا نصدر عن الهوى ولا نميل لغرض ، بل إننا نلتزم بالحق والمبدأ ، ونعلى شرع الله وتعاليمه ، ونسير على صراطه فى السر والعلن ، لا نظهر غير ما نبطن ، ولا نقول ما لا نفعل .

نظرة إلى أوضاع أمتنا الإسلامية :

إننا ننظر إلى أوضاع أمتنا الإسلامية هذه الأيام وتتدبر أحوالها ، ونشعر بالرضا عما نلمسه من يقظة للتحديات التى تواجهها ، وإدراك للمتطلبات التى يتعين عليها أن توفرها لكفاحها فى هذا العصر الجديد ، غير أننا نشعر إلى جانب هذا بالأسى لما نراه من فرقة وتعميق للخلافات والمنازعات بين بعض دولها ، ولما تتعرض له الشعوب من المآسى والمحن ، وما تقاسيه من المعاناة والألم ، فى الوقت الذى تتسابق فيه الشعوب الأخرى للوصول إلى مشارف جديدة للتقدم والرفاهية .

إننا نشعر بكثير من الحزن والأسى للأوضاع التى يمر بها شعب العراق الشقيق ، والظروف الصعبة المتردية التى يعيش تحت وطأتها طوال الأعوام الماضية ، بدلا من توجيه موارده وقدراته للتغلب على أحزان الماضى وتراكماته ، والإعداد لمواجهة تحديات الحاضر وتأمين المستقبل ، واستئناف دوره فى تعزيز التضامن العربى ، وتدعيم الأمن والاستقرار فى منطقة تحظى باهتمام كبير فى الوطن العربى ، وعلى الصعيدين الإقليمى والدولى .

نحن نساند حق الشعب العراقى فى تحسين أحواله المعيشية والتخفيف من معاناته ، والحفاظ على وحدته الإقليمية والوطنية ، ونعارض أى انتهاك لسيادته أو تدخل فى شئونه الداخلية ، فتلك هى الخطوط التى تتفق مع مبادئنا وسياستنا ، والثوابت التى لا نحيد عنها مهما حاول المرجفون والمكابرون أن يروجوه من الأكاذيب التى لا تنطلى على أحد ، لأن الحق بيّن والباطل بيّن ، ولن يضيع الحق بين الله والناس ولو كره الجاحدون .

ونساند حق الشعب الفلسطينى الشقيق فى استكمال حلقات السلام العادل المتكافىء الذى يقوم على احترام الحقوق والوفاء بالالتزامات ، والحفاظ على حرمة المقدسات وعدم الإخلال بما تم التوصل إليه من اتفاقيات فتلك هى أسس المعاملات الدولية . وهذا هو الشرط الأساسى للحفاظ على التوجه نحو السلام ، وتأمين الشعوب من الأخطار التى تهدد أمنها وتبدد سلامها واستقرارها ، وتجهض أحلامها فى مستقبل أسعد .

ديننا الحنيف والمحافظة على قيمه الأساسية :

وسنظل أوفياء لهذه المبادىء ، حافظين لتلك التعاليم المستمدة من شرائع الله والقيم الأساسية لدينه الحنيف ، لأن المجتمع الدولى - شأنه فى هذا شأن المجتمع فى كل دولة - لا يصلح ولا تستقيم أوضاعه إلا إذا كان قائما على التمسك الصارم بالمبادىء ، والحفاظ على الحقوق ، والصلابة فى مواجهة التحدى ، ورفض الإخلال بالواجبات والتنصل من الالتزامات والتسليم بالمساواة بين الجميع أمام القانون ، لأن الحياة لا تستقيم إلا بالخضوع لتلك الأحكام الآمرة القاطعة .

صلاح البيت :

وقبل ذلك كله ، علينا جميعا أن ندرك أنه لا أمل لأمتنا الإسلامية فى اللحاق بالآخرين ، أو فى حماية مصالحها الكبرى فى مواجهتهم ، إلا إذا كانت نقطة البدء هى « إصلاح البيت » وتغيير صورة الحياة داخل الدول والمجتمعات المسلمة ، تحررا من الفكر الجامد المنعزل ، وتخلصا من أنماط السلوك وألوان التقاليد التى فقد كثير منها مبرر وجوده واستمراره ، إحياءا لقيم العلم النافع ، والعمل المنتج ، والإبداع الخلاق الذى يفتح للأمة طريق المستقبل ، إلا بدعوة جيل الشباب أن يصححوا فهمهم للإسلام ، وأن يتعرفوا من جديد على مقاصده الكبرى وأهدافه النبيلة ، ونظرته للكون وللناس ، مدركين أنه ليس مجرد نصوص جامدة يرفعها الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وإنما هو دعوة إنسانية لتعمير الكون ، وإحياء النفوس ، وتحريك العقول ، وهداية مسيرة الناس ، وإصلاح ذات البين بين الأفراد والشعب مسئولية علماء الإسلام وكل صاحب رأى .

ولن يستطيع أن يحمل هذه الأمانة وأن يزود جيل الشباب بهذا الفهم السليم للإسلام ورسالته الخالدة إلا أنتم ياعلماء الإسلام ، الذين أعلى الله قدركم ، وجعلكم ـ بما تحملونه من العلم الصحيح النافع ـ ورثة لأنبيائه ، تسألون يوم القيامة عما يسأل عنه هؤلاء الأنبياء ، ويحمل هذه الأمانة معكم كل صاحب رأى فى الأمة ، مصداقا لقوله تعالى مخاطبا نبيه ـ ﷺ ـ :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ (الزخرف:٤٤)

رجاء وأمل :

وأسأل الله تعالى ونحن نقف بين يديه لكى نحتفل بهذه الليلة المباركة العظيمة ، ونلتمس الخير فى رحابها ، أن يكون مع أبناء شعبنا المصرى الباسل المجاهد ، ومع أمتنا العربية والإسلامية وهى تخوض بصبر وشجاعة معاركها ضد التخلف والفرقة والتمزق . . وضد العدوان على حقوقها المشروعة ومصالحها الحيوية .

كما نسأله ـ سبحانه ـ أن يجعل أعمالنا جميعا خالصة لوجهه ، نافعة لعباده . . إنه سبحانه أكرم مسئول ، وخير عون للمؤمنين الصالحين . .

وكل عام وأنتم وأمتنا كلها بخير . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . ■



كلمة فضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

وألقى فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ كلمة قال فيها : إن الرسول الكريم علمنا أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، لكن شريعة الإسلام تقول مرحبا .. ومرحبا .. ومرحبا للقوى العادلة .. العاقلة .. الحكيمة التى تقف إلى جانب الحق حتى ينتصر .. وتقف فى وجه الباطل حتى يندحر .

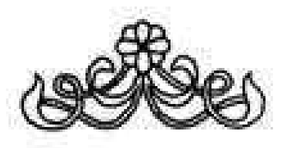
وشريعة الإسلام تقول : سحقا .. وسحقا .. وسحقا للقوى الغادرة .. للقوى المعتدية .. للقوى التى لا تفى بالعهود .. للقوى التى أصحابها يأكلون معك فى أول الليل ويغدرون بك آخره ، هنا يقول القرآن سحقا لهذه القوة لأنها قوة فاجرة .. وقوة غادرة .. وقوة لا تعرف معنى الوفاء بالعهد ولا تعرف الشرف ولا تعرف معنى الكرامة .

القوة التى يحبها الإسلام هى القوة التى تقف إلى جانب الحق تدافع عن المظلوم .. تقف إلى جانب أصحاب الفضائل تقف إلى جانب الفضائل التى أمرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ باعتناقها ، أما الذين يملكون شيئا من القوة فيغدرون ويكذبون باسم الإسلام .. فالإسلام برىء منهم ..

القوة مرحبا بها . . لكن أية قوة هى التى نرحب بها القوة العاقلة . . القوة الرشيدة . . القوة التى تنصر الحق وتفى بالعهود والمواثيق .

وقال الإمام الأكبر : ياسيادة الرئيس بإيماننا الذى تتزلزل معه الجبال ولا يتزلزل بأن القرآن قد أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، لإيماننا بذلك إيمانا عميقا نحرص فى الأزهر حرصا تاما فى المراحل الابتدائية وفى المراحل الإعدادية ، وفى المراحل الثانوية ، وفى المراحل الجامعية نحرص كل الحرص ، ونبذل كل ما نستطيع من بذل ، والدولة أكرمها الله تعيننا على ذلك وتساعدنا على ذلك وتقدم لنا الميزانية التى نريدها لهذا الحرص فإننا نهتم بتحفيظ القرآن الكريم لأبنائنا ولبناتنا فى الأزهر الشريف ونتعاون أيضاً لأن الإسلام يأمرنا بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالى والأوقاف ومع كل المؤسسات التى تخدم القرآن الكريم وتخدم العلم النافع .

إننا فى هذه الليلة المباركة نتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يوفق الرئيس محمد حسنى مبارك وأن يوفقنا جميعا معه لما يحبه ويرضاه .



فى احتفال مصر بليلة القدر

كلمة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

وقد أشاد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بالإنجازات الكبيرة التى تحققت فى عهد الرئيس حسنى مبارك فى قطاع وزارة الأوقاف وقال - إن قطاع وزارة الأوقاف يأتى فى مقدمة القطاعات التى شهدت فى عهد الرئيس مبارك تطورا بالغ الأهمية ، ومن حق الرئيس علينا أن يعرف المواطنون ما قدمه لقطاع الدعوة الإسلامية أثناء فترة رياسته مما لا مجال لمقارنته بما شهدته الدعوة الإسلامية فى مصر عبر تاريخها الطويل .

● لقد كانت ميزانية وزارة الأوقاف عام (٨١ - ٨٢) حوالى ٣٨ مليونا من الجنيهات وقد تضاعفت هذه الميزانية فى عهدكم - ياسيادة الرئيس - أكثر من ست عشرة مرة حتى وصلت إلى ٦١٦ مليونا من الجنيهات .

● كان عدد المساجد التابعة لوزارة الأوقاف عام (٨٢/٨١) ٥٦٠٠ مسجد فقط ، واليوم وصل عددها إلى واحد وأربعين ألف مسجد وأربعمائة من بينها عشرون ألف مسجد تم ضمها إلى الوزارة خلال السنوات الثلاث الماضية فقط بالإضافة إلى ضم ثلاثة آلاف زاوية تتكفل الوزارة بكل نفقاتها واحتياجاتها .. ويعنى ضم المسجد الواحد إتاحة أربع فرص عمل أمام المواطنين .

● أصبح للدعاة فى عهدكم مستشفى يعد صرحا طبيا رائعا بطاقة مائة وستين سريرا ، ويعد مفخرة من مفاخر الطب بين أرقى المستشفيات فى مصر ، وقد تفضلتم بوضع حجر الأساس لهذا المستشفى الكبير ، وتفضل الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء بافتتاحه بصفة رسمية بمناسبة الاحتفال بليلة القدر .

● تم فى عهدكم تجديد تاريخى للجامع الأزهر ، وتجديد شامل لمسجد الإمام الحسين ، ويتم حاليا تطوير وتوسيع مسجد السيدة زينب بمساحة تعادل مساحته الحالية ، كما يتم توسيع مسجد السيدة نفيسة وغيرها من المساجد الكبيرة ، وتم إحلال وتجديد المئات من المساجد فى جميع أنحاء الجمهورية .

● صدرت فى عهدكم أربع ترجمات لمعانى القرآن الكريم باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية ، ويجرى الآن إعداد الترجمة الأسبانية ، وتقوم الوزارة بإرسال هذه الترجمات مجانا إلى المسلمين فى كل أنحاء العالم .

● تم فى عهدكم - ياسيادة الرئيس - عقد عشرة مؤتمرات إسلامية عالمية لمناقشة « قضايا الإسلام » « ومشاكل العصر » ، وارتياد الطريق إلى المستقبل أمام المسلمين ، وقد أكدت هذه المؤتمرات ريادة مصر الفكرية فى العالم الإسلامى .

● ومن منطلق مسئولية وزارة الأوقاف فى مجال التوعية الدينية السليمة فى الداخل والخارج زاد فى عهدكم عدد المنح التى تقدمها لأبناء العالم الإسلامى للدراسة فى الأزهر الشريف من ٨٩ منحة عام ٨٢/٨١ إلى ٦٨٥ منحة عام ١٩٩٨ م . كما تضاعف عدد المبعوثين الدائمين والمؤقتين من علماء الأوقاف إلى كل القارات أكثر من عشر مرات .

● ومن منطلق مسئولية مصر التاريخية بوصفها بلد الأزهر الشريف وقبلة المسلمين فى العلوم الإسلامية تجرى الوزارة تحت رعايتكم الكريمة المسابقة العالمية للقرآن الكريم وتشجيعا للأجيال المسلمة على الاهتمام بالقرآن الكريم حفظا وفهما وسلوكا بعيدا عن كل شكل من أشكال التطرف أو الانحراف .

● وانطلاقا من دعوتكم - ياسيادة الرئيس - إلى الخروج من الوادى الضيق إلى الصحراء لزراعتها وبناء حضارة جديدة فيها ، اتجهت « هيئة الأوقاف المصرية » إلى استثمار جزء من أموالها - التى أوقفها الواقفون على أعمال الخير - فى الإسهام فى المشروعات القومية الكبرى . فقد تم تخصيص عشرين ألف فدان لهيئة الأوقاف فى « شرق العوينات » ، وثلاثين ألف فدان أخرى فى « منطقة توشكى » ، وستعمل الهيئة جاهدة على الإسراع فى استزراع هذه المناطق وتوفير أراض وفرص عمل للشباب والمزارعين تشجيعا لهم على المشاركة فى بناء مصر الحبيبة .

وهكذا تستمر مسيرة الخير بقيادتكم الرشيدة ، وتوجيهاتكم الحكيمة نحو مزيد من التقدم والرخاء والازدهار لشعب مصر الذى يعتز بكم كل الاعتزاز . ■

المؤسسات الدينية تبايع مبارك لفترة رياسة قادمة

أعلنت المؤسسات الدينية في مصر مبايعتها للرئيس مبارك لفترة رياسة جديدة.

جاء ذلك في احتفال المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين وحضره فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين بمصر.

قال شيخ الأزهر: إننا نجدد البيعة لرجل أعطاه الله عقلاً راجحاً وحرصاً على وطنه واستقامة في العمل: نبايعه بقلوبنا وأرواحنا قبل ألسنتنا، لأننا عهدنا فيه الصدق في الكلمة، وحب مصر، وحب من يحب مصر، يصلح ولا يفسد، يجمع ولا يفرق، يبني ولا يهدم. قال الدكتور زقزوق: إننا نبايع الرئيس مبارك لإنجازاته الكبرى الماثلة للعيان، فعلى المستوى الشخصي والمحلى والعربي والدولي جعل لمصر مكانتها ووزنها وثقلها فلم يعد لمصر أعداء في أى مكان، كما خرج إلى الصحراء لتعميرها وبنائها حتى يمكن لأجيالنا أن يجدوا العمل والغذاء في المستقبل، إننا نبايع الرئيس مبارك ليس مجاملة له فهو ليس في حاجة إلى مجاملة، وليس دعاية له فهو غني عن ذلك فأعماله تتحدث عنه، وأخلاقه تصنع له الدعاية وسياسته تجعله أهلاً للريادة والقيادة.

وقال الدكتور نصر فريد واصل إننا نعلن مبايعتنا وتأييدنا الكامل للرئيس مبارك من أجل دعم مسيرة الرخاء والاستقرار والوقوف بجانب الحق والشرعية، فهو قائد سفينة السلام الوطنية والعالمية، ومن ينكر ذلك فهو منكر لنعمة الله.

وقال الدكتور إسماعيل الدفتار الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجلس الشورى تبايع الرئيس مبارك مبايعة المحبين الذين يصدق فيهم قول رسولنا الكريم «خير أمتي الذين تحبونهم ويحبونكم وتدعون لهم ويدعون لكم».

وللرئيس مبارك رصيده العظيم الذى جعل الشعب المصرى يلتف حوله ورسولنا الكريم يقول: «من صنع فيكم معروفاً فكافئوه».

وإعلاننا عن مبايعتنا وثقتنا بالرئيس مبارك هو أداء لواجب ديني ووطني.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا
اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ
وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ (117) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

(البقرة : ١١٣ - ١١٨) .

بيّن القرآن أن أهل الكتاب قد دأبوا على تضليل بعضهم البعض ، وأن الخلاف بينهم قد أدى إلى التنازع والتخاصم فقال :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(البقرة : ١١٣)

فالآية الكريمة معطوفة على قوله ـ تعالى ـ قبل ذلك :



﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

(البقرة : ١١١)

إلخ ، لزيادة بيان طبيعة أهل الكتاب ، المعوجة ، وأن رمى المخالف لهم بأنه ضال شنشنة فيهم .

والشيء : يطلق على الموجود ، أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه ، وقد ينفى مبالغة فى عدم الاعتداد به واليهود كفرت عيسى ـ عليه السلام ـ ومازالوا يزعمون أن المسيح المبشر به فى التوراة لم يأت ، وسيأتى بعد ، فهم يعتقدون أن النصارى باتباعهم له ليسوا على أمر حقيقى من التدين ، والنصارى تكفر اليهود لعدم إيمانهم بالمسيح الذى جاء لإتمام شريعتهم ، ونشأ عن هذا النزاع عداوة اشتدت بها الأهواء والتعصب حتى صار كل فريق منهم يطعن فى دين الآخر ، وينفى عنه أن يكون له أصل من الحق .

وجملة ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾

(البقرة : ١١٣)

حالية ، والكتاب للجنس .

أى : قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب ، إذ اليهود يقرءون التوراة والنصارى يقرءون الإنجيل ، وحق من حمل التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله وآمن به ألا يكفر بالباقى ، لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثانى ، شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها البعض .

وقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾

(البقرة : ١١٣)

معناه : كما أن أهل الكتاب قد قال كل فريق منهم فيمن خالفه إنه ليس على شيء من الدين الحق . فكذلك قال الذين لايعلمون ، وهم مشركو العرب ، فى شأن المسلمين : إنهم ليسوا على شيء من الدين الحق ، فتشابهت قلوب هؤلاء وقلوب أولئك فى الزيغ والضلال .

والهدف الذى ترمى إليه هذه الجملة ، هو أن إنكار اليهود والنصارى لرسالة محمد ـ ﷺ ـ لاينبغى أن يثير شبهة على عدم صحتها ، حيث يسبق إلى أذهان الضعفاء من الناس أن تلاوتهم للكتاب تجعلهم أعرف بالنبوة الصادقة من غيرها . فكأن القرآن يقول : إن تلاوتهم للكتاب وحدها لاينبغى أن تكون شبهة .

ألا ترون اليهود والنصارى وهم يتلون الكتاب كيف أنكر كل فريق منهما أن يكون الآخر على شيء حقيقى من التدين ، فسبيلهم فى إنكار دين الإسلام كسبيل المشركين الذين أنكروه عن جهالة به .

وفى هذه الجملة توبيخ شديد لأهل الكتاب ، حيث نظموا أنفسهم ـ مع علمهم ـ فى سلك من لايعلم .

وقوله :

﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(البقرة : ١١٣) .

صدر بالفاء ، لأن التوعد بالحكم بينهم يوم القيامة ، وإظهار ما أكنته ضمائرهم من الهوى والضلال ، متفرع عن هذه المقالات ومسبب عنها ، وهو خبر المقصود منه التوبيخ والوعيد .

والضمير المجرور بإضافة بين إليه راجع إلى

الفرق الثلاث ، وما كانوا فيه يختلفون يعم ما ذكر وغيره وقيل الضمير يعود على اليهود والنصارى .

والاختلاف : تقابل رأيين فيا ينبغى انفراد الرأى فيه .

ولم تصرح الآية الكريمة بماذا يحكم الله بينهم ، لأنه من المعلوم أن من مظاهر حكم الله يوم القيامة إثابة من كان على حق ، وعقاب من كان على باطل .

وبذلك تكون الآية الكريمة قد فضحت أهل الكتاب ، حيث بينت كيف أن كل فريق منهم قد رمى صاحبه بالضلال ، وفى هذا تثبيت للمؤمنين ونهى لهم عن أن ينهجوا نهجهم .

ثم تحدث القرآن عن سوء عاقبة من يسعى فى خراب بيوت الله ، فقال :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(البقرة : ١١٤)

ويرى بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت فى شأن الرومانيين الذين غزوا بيت المقدس وخربوه . ويرى آخرون أنها نزلت فى كفار قريش حين منعوا رسول الله ـ ﷺ ـ أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية .

وكيفما كان سبب النزول ، فالآية تشمل بذمها ووعيدها ، كل من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها .

ومن اسم استفهام يراد منه النفى ، أى : لا أظلم . والمساجد : جمع مسجد ، وهو المكان الخاص للعبادة ، مأخوذ من السجود ، وهو وضع الجبهة على الأرض خضوعاً لله وتعظيماً .

والظلم : الاعتداء على حق الغير ، بالتصرف فيه بمالا يرضى به ، ويطلق على وضع الشىء فى غير ما يستحق أن يوضع فيه ، والمعنيان واضحان هنا .

وذكر اسم الله كناية عما يؤدى فيها من العبادات ، إذ لاتكاد عبادة تخلو من ذكر اسمه ـ تعالى ـ :

والسعى فى الأصل : المشى بسرعه فى معنى الطلب والعمل .

والخراب : ضد التعمير ، ويستعمل لمعنى تعطيل المكان وخلوه مما وضع له .

قال القرطبى : « وخراب المساجد قد يكون حقيقياً ، كتخريب بختنصر والرومان لبيت المقدس حيث قذفوا فيه القاذورات وهدموه . ويكون مجازاً كمنع المشركين حين صدوا رسول الله ـ ﷺ ـ عن المسجد الحرام ، وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة وإظهار شعائر الإسلام فيها خراب لها »[1] .

والمعنى : لا أحد أظلم ممن حال بين المساجد وبين أن يعبد فيها الله ، وعمل فى خرابها بالهدم كما فعل الرومان وغيرهم ببيت المقدس . أو بتعطيلها عن العبادة كما فعل كفار قريش ، فهو مفرط فى الظلم بالغ فيه أقصى غاية .

قال صاحب الكشاف : « فإن قلت : فكيف قيل مساجد الله ، وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد هو بيت المقدس أو المسجد الحرام ؟ قلت : لا بأس أن يجىء الحكم عاماً ، وإن كان

(١) تفسير القرطبى جـ٢ ص٧٧ .

السبب خاصاً ، كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً : ومن أظلم ممن آذى الصالحين ، كما قال - عز وجل - : ﴿ ويل لكل همزة ﴾ (الهمزة : ١) والمنزول فيه هو الأخنس بن شريق »[٢] .

وقوله - تعالى - :

﴿ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾

(البقرة : ١١٤)

معناه : ما ينبغى لأولئك الذين يحولون بين المساجد وذكر الله ويسعون فى خرابها أن يدخلوها إلا خائفين من الله - تعالى - لمكانها من الشرف والكرامة بإضافتها إليه - تعالى - أو إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم ، فضلا عن أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها .

قال ابن كثير : « وفى هذا بشارة من الله للمسلمين بأنه سيظهرهم على المسجد الحرام ، ويذل لهم المشركين حتى لايدخل المسجد الحرام واحد منهم إلا خائفاً يخاف أن يؤخذ فيعاقب ، أو يقتل إن لم يسلم ، وقد أنجز الله هذا الوعد فمنع المشركين من دخول المسجد الحرام ، وذلك أنه بعد أن تم فتح مكة للمسلمين أمر النبى - ﷺ - من العام القابل منادياً ينادى برحاب منى « ألا لايحجن بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان له أجل فأجله إلى مدته » .

وعندما حج النبى - ﷺ - عام حجة الوداع لم يجترىء أحد من المشركين أن يحج أو أن يدخل المسجد الحرام . وهذا هو الخزى فى الدنيا لهم ، المشار إليه بقوله - تعالى - :

﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ (البقرة : ١١٤) .

لأن الجزاء من جنس العمل[٣] .

ثم ختمت الآية الكريمة بيان عاقبة هؤلاء الساعين فى خراب مساجد الله فقال - تعالى - :

﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(البقرة : ١١٤) .

أى : لهم فى الدنيا هوان وذلة بسبب ظلمهم وبغيهم ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم يخلدون معه فى النار . وليس هناك أشقى ممن يعيش دنياه فى هوان وذلة ، ثم ينتقل إلى أخراه فيجد مصيره العذاب الأليم الذى لايموت فيه ولايحيا .

ثم أخذ القرآن فى تسلية المسلمين الذين أخرجوا من مكة وفارقوا المسجد الحرام ، مبينا لهم أن الجهات كلها لله - تعالى - فقال :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة : ١١٥) .

المشرق والمغرب : مكان شروق الشمس وغروبها ، والمراد بها هنا جميع جهات الأرض .

واللام فى قوله : « ولله » تفيد معنى الملك .

والتولية : التوجه من جهة إلى أخرى .

و(ثم) اسم إشارة للمكان .

والوجه : الجهة ، فوجه الله الجهة التى ارتضاها وأمر بالتوجه إليها وهى القبلة .

والمعنى : أن جميع الأرض ملك لله وحده ، ففى أى مكان من المشرق والمغرب توليتم شطر القبلة التى أمركم الله بها ورضيها لكم ، فهناك جهته - سبحانه - التى أمرتم بها ، والتى تبرأ ذممكم باستقبالها .

ومعنى هذا : الإذن بإقامة الصلاة فى أى مكان من الأرض دون أن تختص بها المساجد ، ففى

---

(٢) تفسير الكشاف جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠٨ .

الحديث الشريف : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » .

وكأن الآية تومى ، إلى أن سعى أولئك الظالمين فى منع المساجد من ذكره - تعالى - وتخريبها ، لايمنع من أداء العبادة لله - تعالى - : لأن له المشرق والمغرب وما بينهما ، فأينما حل الإنسان وتحرى القبلة المأمور بالتوجه إليها فهناك جهة الله المطلوب منه استقبالها .

وذيلت الآية بقوله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ١١٥)

لإفادة سعة ملكه أو سعة تيسيره على عباده فى أمر الدين . أى : إن الله يسع خلقه جميعاً برحمته وتيسيره وجوده وهو عليم بأعمالهم لايخفى عليه عمل عامل أينما كان وكيفما كان .

ثم حكى القرآن بعض الأقاويل الباطلة التى افتراها أصحاب القلوب المريضة فقال - تعالى - :

﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (البقرة : ١١٦ ، ١١٧) .

قوله - تعالى - :

﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ (البقرة : ١١٦) .

معطوف على قوله - تعالى - قبل ذلك «وقالت اليهود ليست النصارى على شىء إلخ » .

واتخذ : من الاتخاذ وهو الصنع والجعل والعمل .

والولد : يطلق على الذكر والأنثى ، والواحد والجمع .

والذين قالوا اتخذ الله ولدا هم اليهود والنصارى والمشركون ، فقد حكى الله عن اليهود أنهم قالوا : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ وحكى عن النصارى أنهم قالوا : ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ وحكى عن المشركين أنهم قالوا « الملائكة بنات الله » فيصح أن يكون الضمير فى قالوا عائداً على الفرق الثلاث أو على بعضهم . فمن المعروف أن القرآن يجرى على الأسلوب المعروف فى المخاطبات حيث يسند إلى القوم ما صدر من بعضهم فحين قال :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة : ٣٠) .

أصبح من السائغ فى صحة المعنى أن يكون هذا القول قد صدر من طائفة منهم :

وقوله﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾: تنزيه له عما هو نقص فى حقه ومحال عليه من اتخاذ الولد ، لاقتضاء الوالدية : النوعية والجنسية والتناسل والافتقار ، والتشبيه والحدوث وفى الصحيحين عن رسول الله - ﷺ - أنه قال :

« لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً ، وهو يرزقهم ويعافيهم » .

وسبحان : مصدر لسبح بمعنى نزه ، وهو منصوب بفعل لم يسمع من العرب التصريح به معه ، والأصل : أسبحه سبحانه ، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ، وأضيف إلى ضمير المنزه .

وقوله :

﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ١١٦) .

إضراب عن مقالاتهم التى نسبوا بها إلى الله اتخاذ الولد ، وشروع فى الاستدلال على بطلانها .

واللام فى قوله : ﴿ لَّهُۥ ﴾ للاختصاص الكامل وهو الملك الحقيقى ، و (ما) اسم موصول يراد

منه الكائنات : ما يعقل وما لا يعقل ومن جملة هذه الكائنات من ادعوا أنه ولد الله .

والمقصود إثبات أن قولهم

﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ (البقرة : ١١٦) .

زعم باطل ، فإن جميع ما احتوت عليه السموات والأرض مملوك لله يتصرف فيه كيف يشاء ، فلا حاجة إلى اتخاذ الولد ، إذ الولد إنما يسعى إليه الوالد ، أو يرغب فيه ليعتز به أو ليحيى ذكره ، أو ليستعين به على القيام بأعباء الحياة . والله ـ تعالى ـ منزه عن أمثال هذه الأغراض التى لاتليق إلا بمن خلق ضعيفاً كالإنسان ، ثم إن الحكمة من التوالد بقاء النوع محفوظاً بتوارد أمثال الوالد حيث لاسبيل إلى بقائه بعينه ، أما الخالق ـ تعالى ـ فهو الواحد فى ذاته وصفاته ، والباقى على الدوام ، كما قال تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن : ٢٦ ، ٢٧) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ (البقرة : ١١٦) .

معناه : كل له مطيعون طاعة تسخير وانقياد ، خاضعون لايستعصى منهم شىء على مشيئته وإرادته : شاهدون بلسان الحال والمقال على وحدانيته من القنوت وهو لزوم الطاعة مع الخضوع ، وإنما جاء ﴿ قَٰنِتُونَ ﴾ بجمع المذكر المختص بالعقلاء ، مع أن الخضوع لله يكون من العقلاء وغيرهم تغليباً للعقلاء على غيرهم ، لأنهم أهل القنوت عن إرادة وبصيرة ، ولأن ظهوره فيهم أكمل من ظهوره فى غيرهم .

وفصلت جملة

﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ (البقرة : ١١٦)

عن سابقتها ، لقصد استقلالها بالاستدلال على نفى أن يكون لله ولد ، حتى لايظن السامع أنها مكملة للدليل المسوق له قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ١١٦)

ثم بين ـ سبحانه ـ بعض مظاهر قدرته فقال :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ١١٧) .

أى : مبدعها ومنشئها بلا احتذاء ولا اقتداء . وبلا آلة ولا مادة ، وبديع صفة مشبهة من أبدع ، والذى ابتدعها من غير أصل ولا مثال هو الله ـ تعالى ـ وخص السموات والأرض بالإبداع ، لأنها أعظم ما يشاهد من المخلوقات .

قال القرطبى : « قوله ـ تعالى ـ :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ١١٧) .

فعيل للمبالغة . وارتفع على أنه خبر ابتداء محذوف ، واسم الفاعل مبدع كبصير من مبصر . أبدعت الشىء لا عن مثال ، فالله ـ تعالى ـ بديع السموات والأرض ، أى منشئها وموجدهما ، ومخترعها ، على غير حد ولا مثال ، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبدع ، ومنه أصحاب البدع ، وسميت البدعة بدعة لأن قائلها ابتدعها من غير فعل أو مقال إمام . . . »[1] .

وقوله :

﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (البقرة : ١١٧)

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٨٦ .

معناه : وإذا أراد - سبحانه - إحداث أمر من الأمور حدث فوراً . و ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ فعلان من الكون بمعنى الحدوث . ويرى كثير من أهل السنة أن الجملة واردة على وجه التمثيل ، لحدوث ما تتعلق به إرادته - سبحانه - بلا مهلة وبلا توقف . وليس المراد أنه إذا أراد إحداث أمر أتى بالكاف والنون ، ففى الكلام استعارة تمثيلية .

ويرى آخرون أن الأمر يكن محمول على حقيقته ، وأنه - تعالى - أجرى سنته فى تكوين الأشياء أن يكونها بكلمة كن أزلا .

وبذلك ترى أن الآيتين الكريمتين قد حكتا بعض الشبهات الباطلة التى أوردها الضالون حول وحدانية الله ، وردت عليها بما يدحضها ويثبت كذبها .

ثم أورد القرآن بعد ذلك الشبهات التى أثاروها حول نبوة محمد - ﷺ - وأجاب عنها بما يبطلها فقال تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: ١١٨) .

عن ابن عباس قال : قال رافع بن حريملة اليهودى لرسول الله - ﷺ - يا محمد ، إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله يكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله هذه الآية [1] .

فالآية الكريمة معطوفة على قوله :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (البقرة : ١١٦) .

ومعنى الآية الكريمة .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

علماً نافعاً أمثال هؤلاء اليهود الذين طالبوك بالمطالب المتعنتة - يا محمد -

﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

إما مشافهة ، أو بواسطة الوحى إلينا لا إليك ، أو يرينا حجة تقوم على صدق رسالتك ، قالوا هذا على وجه العناد والجحود أن تكون الآيات التى أقامها الله على صدق رسالته آيات حقاً .

وقد رد الله تعالى عليهم بقوله :

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾

(البقرة : ١١٨) .

أى : مثل هذا القول المتعنت ، قال الجاحدون من أسلافهم الذين أرسل الله إليهم الرسل ليخرجوهم من الظلمات إلى النور وفى هذه الجملة تسلية للرسول - ﷺ - بأن ما لاقاه من قومه مثل ما لقيه الرسل من قبله .

﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

أى تشابهت قلوب هؤلاء وأولئك فى العناد والضلال .

﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

أى : جعلناها بينة واضحة فى ذاتها لمن شأنهم الإخلاص فى طلب الحق أينما كان ، فيتجهون إليه عن طريق الأدلة الصحيحة بقلوب نقية من الأهواء موقنة بجلال الحق ووجوب الطاعة .

قال الإمام الرازى : وتقرير شبهتهم أن الحكيم إذا أراد تحصيل شىء ، اختار أقرب الطرق إليه ، وبما أن الله قد كلم موسى وكلمك يا محمد فلم

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٦١ .

لايكلمنا مشافهة ، أو يخصك بمعجزة يتجلى من ورائها صدق نبوتك ، وهذا متهم طعن فى أن القرآن معجزة ، لأنهم لو أقروا بذلك لاستحال أن يقولوا ما قالوه .

فأجابهم الله عن هذه الشبهة بقوله :

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

وحاصل هذا الجواب : أنا قد أيدنا قول محمد بالمعجزات ، وبينا صحة قوله بالقرآن وسائر الحجج ، فكان طلب هذه الزوائد من باب التعنت . وعليه فلن تجاب مطالبكم لوجوه منها :

١ ـ لو كان فى معلوم الله أنهم يؤمنون عند إنزال هذه الآيات لفعلها ولكنه علم أنه لو أعطاهم ما سألوه لازدادوا لجاجاً .

٢ ـ إن حصول الدلالة الواحدة تمكن المكلف من الوصول إلى المطلوب ، فإذا لم يكتف بها ، كان طلبه من باب المعاندة .

٣ ـ ربما كانت كثرة المعجزات وتعاقبها تقدح فى كونها معجزة لأن الخوارق متى توالت كان انخراق العادة عادة . فثبت أن عدم إسعافهم بهذه الآيات لايقدح فى النبوة [1] .

هذا ، وبعض المفسرين يرى أن المراد « بالذين لايعلمون » اليهود ، وبعضهم يرى أن المراد بهم مشركو العرب وبعضهم يرى أن المراد بهم النصارى ، ونحن نرى أن اللفظ صالح لأن يندرج تحته جميع هذ الطوائف قضاء لحق الموصول المفيد للتعميم ، ولكنا نختار أن اليهود هم المقصودون قصداً أولياً من هذه الآية للأسباب الآتية :

١ ـ الآية ضمن سلسلة طويلة من الآيات السابقة عليها واللاحقة لها ، وكلها تتحدث عن بنى إسرائيل وأحوالهم وأخلاقهم .

٢ ـ جملة :

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾

(البقرة : ١١٨) .

قرينة على أن المقصود بالذين لايعلمون هم اليهود المعاصرون للعهد النبوى ، حيث كان أجدادهم يطلبون من موسى مثل هذه المطالب ، لقد قالوا له :

﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾

(البقرة : ٥٥) .

وقالوا :

﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (النساء : ١٥٣) .

وطلبوا منه كثيرا من المطالب المتعنتة .

٣ ـ الآية مدنية ومن سورة البقرة التى هى من أوائل ما نزل على الرسول ـ ﷺ ـ بالمدينة ، ومن المعروف أن حديث القرآن المدنى عن أهل الكتاب بصفة عامة ، وعن اليهود بصفة خاصة ، أكثر من حديثه عن مشركى العرب ، لأن البيئة المدنية صلتها بأهل الكتاب أشد وألصق .

---

(١) تفسير الرازى جـ ١ ص ٤١٦ .

٤ - سبب نزول الآية الذى ذكرناه يؤيد أن اليهود مقصودون قصداً أولياً فى هذه الآية .

٥ - القائلون بأن المراد بالذين لايعلمون مشركو العرب ، دعموا قولهم بأن آيات القرآن التى تحكى عنهم أمثال هذه المقترحات مستفيضة . وكأنهم يستبعدون أن تصدر مثل هذه الأسئلة عن اليهود .

وردنا عليهم أن القرآن قد حكى عن اليهود أمثال هذه الأسئلة بدليل قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾

(النساء : ١٣٥) .

٦ - الإمام ابن جرير رجح أن المراد « بالذين لايعلمون » النصارى ، مستدلا بأن ذلك فى سياق خبر الله عنهم ، فالآية السابقة على هذه الآية تقول :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾

(البقرة : ١١٦) .

والنصارى هم الذين قالوا ذلك .

وهذا الاستدلال لانوافقه عليه لما يأتى :

(أ) لأن الآية ليست فى سياق خبر الله عن النصارى ، وإنما هى فى سياق خبر الله عن اليهود ، الذين زخرت سورة البقرة ببيان مواقفهم وحجاجهم وأخلاقهم فى أكثر من مائة آية سابقة ولاحقة من هذه السورة .

(ب) ليس النصارى وحدهم هم الذين قالوا اتخذ الله ولداً وإنما اليهود أيضاً قالوا ذلك ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾

(التوبة : ٣٠) .

(جـ) لم يأت الإمام ابن جرير بدليل واحد ينقض به رأى القائلين بأن المراد بالذين لايعلمون اليهود ، ولم يتعرض للنص الذى أورده ابن عباس فى سبب نزول الآية بالتضعيف أو الإعلال ، مع أنه انتقد رأى القائلين بأن المراد بهم مشركو العرب (بأنه قول لا برهان على حقيقته فى ظاهر الكتاب) .

هذا وبعد تلك الأدلة على ما ذهبنا إليه نعود فنقول مرة أخرى : إننا لانمانع فى أن يكون المراد بالذين لايعلمون جميع الطوائف المشركة ولكننا نرجح أن اليهود هم المقصودون قصداً أولياً مهما دخل غيرهم معهم فى السياق ، وإن الآية قد نزلت للرد على مطالبهم المتعنتة واقتراحاتهم التى لا خير من ورائها ، ومحاولاتهم الطعن فى نبوة النبى - ﷺ - .

• يتبع •

قبس من أنوار النبوة

رعاية الإسلام للحرمات

لفضيلة الشيخ
على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من اطلع في بيت قوم من غير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه ». (رواه الشيخان)

٢ ـ وعن معاوية ـ رضى الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم ». (رواه أبو داود)

إن الله ـ عز وجل ـ خلق النفوس فسواها ، وألهمها فجورها وتقواها وهو الذى يعلم ظواهرها وخفاياها ، وسرها ونجواها ، أمر عباده أن يكون خلقهم مستقيما ، وسلوكهم قويما ، يحافظ على كرامة الفرد والمجتمع ويحمى الإنسان من كل جوانبه ، ويحوطه بالعناية والرعاية من كل ما يؤذيه . وهو عندما يحرم على الإنسان أمرا من الأمور فهو كذلك يحرمه على غيره حتى لا يؤذى غيره ولا يؤذيه الغير .

والإسلام عندما يحرم عليك إيذاء غيرك فهو يحرم على غيرك أن يؤذيك ، وعندما يحرم تتبع عورات الناس والبحث عن عيوبهم فهو كذلك يحرم هذا على الناس جميعا .

وإن نظرة فى تعاليم الإسلام تدلنا فى جلاء ووضوح أن الله ـ تبارك وتعالى ـ ينفى الإيمان الكامل عن أولئك الذين يتتبعون العورات وينتهكون الحرمات ، ويشيعون عنهم ما هم منه

براه أو يحبونه لهم إن الله يتوعدهم بأليم العذاب وشديد العقاب فى الدنيا والآخرة . قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النور : ١٩)

ولقد كرم الله الإنسان وفضله على سائر المخلوقات ، وحافظ على كرامته وشرفه ودعا إلى رعاية حرماته وحرم انتهاكها ، بل توعد من اجترأ على غيره . ولقد صعد الرسول ـ ﷺ ـ المنبر ونادى بصوت رفيع ، فقال ـ فيما رواه الترمذى ـ : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوارهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » .

لقد نظر عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ إلى الكعبة المشرفة واستحضر فى ذهنه تكريم الله ـ سبحانه ـ وتعظيمه لمكانتها حيث وضعها الله فى الأرض لعبادته وتقديسه وقال عنها :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

(آل عمران : ٩٦ ، ٩٧)

وحيث قال :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾

(البقرة ١٢٥)

حين استحضر عبد الله بن عمر تلك الحرمات التى أحاط الله بها الكعبة قفزت إلى ذهنه صورة أخرى هى صورة الكيان الكامل لتكريم الشخصية الإسلامية فقال : فيما أخرجه الترمذى ـ وهو ينظر إلى الكعبة : « ما أعظمك ! وما أعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » .

إن شأن المؤمن الابتعاد عن كل ما يؤذى الناس حتى يحفظه الله من أذى الناس وإن المسلم مأمور بالحفاظ على الحرمات . لتحفظ حرماته .

روى عن عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ أنه دخل عليه رجل فذكر عنده وشاية ودما فى آخر ، فقال له عمر : إن شئت حققنا هذا الأمر الذى تقول فيه ، فنظرنا فيما تنسبه إليه ؛ فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

(الحجرات : ٦)

وإن كنت صادقا فأنت :

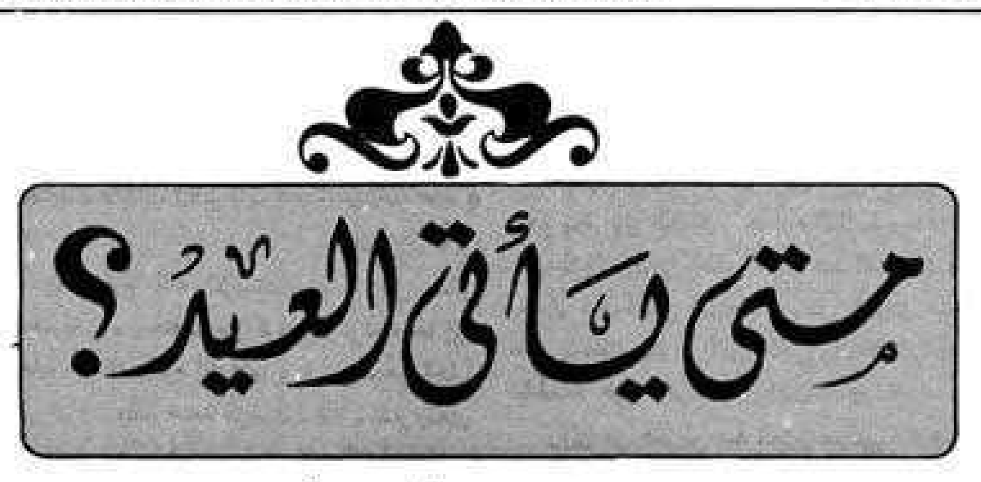
﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (القلم : ١١)

وإن شئت عفونا عنك ، فقال الرجل : العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود إلى ذلك أبدا .

وفى الإسلام الحنيف تثبيت لحقوق الإنسان على أخيه الإنسان وفى مراعاة هذه الأخلاق والحقوق تسمو النفوس وترقى الهمم وتيقظ الضمائر وتستنير البصائر وتحفظ الحرمات وتسود المودة بين المسلمين ، ويتعاون المؤمنون على البر والتقوى ، وليس على الإثم والعدوان وليت المسلمين يدركون أن المؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا سباب ولا نمام ولا مغتاب .

ويعلم ويوقن أن كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه وماله وعرضه ، وبحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المؤمن .





لفضيلة الشـيخ:
السـيد عبد المقصود عسـكر

لقد ارتبطت الأعياد فى الإسلام بعبادات وشعائر يتقرب بها المسلم إلى الله ـ عز وجل ـ طامعا فى ثوابه راغبا فى رضاه .

كما أنها ارتبطت بذكريات حبيبة إلى قلوبنا ، عزيزة على نفوسنا ، يؤدى تذكرها وإحياؤها فى مناسباتها إلى إيقاظ وعى الأمة وحثها على العمل لاستعادة أمجادها وأيام عزها وسيادتها .

وارتباط الأعياد الإسلامية بعبادات وشعائر تخصها يجعل المسلمين ذاكرين لله فى كل أوقاتهم وجميع أحوالهم ويحفظ المسلمين من الانزلاق فى طريق الفساد والمجون والانحلال والفجور .

إن الأعياد فى الإسلام فرصة جديدة لمزيد من الطاعة والتقرب إلى الله بصالح الأعمال ، ومد يد العون والمساعدة للمحتاجين من عباد الله كى يعم الفرح والسرور ربوع الأرض التى تستظل براية الإسلام فلا يكون هنا أو هنالك بائس ولا مكلوم ولا فقير ولا محروم ولا مضطهد ولا مظلوم .

فى الأعياد نصل أرحامنا ونبر أهلنا وأقاربنا ونحسن إلى فقرائنا ونعود مرضانا وندخل السرور على أولادنا حتى يفيض الخير ويعم البر وتشيع البهجة والفرحة .

وإن فى أعيادنا فرحا لا طيش فيه ، ولهوا لا مجون فيه ، وسرورا لا تهريج فيه ، ولعبا لا فجور فيه .

عن عائشة ـ رضى الله عنها قالت : « دخل علىّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش

وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمارة الشيطان عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « دعهما » فلما غفل غمزتهما فخرجتا ، وفي رواية أنه قال : « دعهما ياأبابكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا[1] » .

وفي رواية أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يومئذ : « لتعلم يهود أن في ديننا فسحة . إني أرسلت بحنيفية سمحة[2] » .

ومعنى تغنيان بغناء بعاث أي تغنيان بما قالته الأنصار من أشعار في الفخر والشجاعة ، وما جرى في المعركة التي جرت في الجاهلية بين الأوس والخزرج عند الحصن المسمى بعاث ، وقد وقعت في تلك المعركة مقتلة عظيمة بين الفريقين وانتصر فيها الأوس على الخزرج فلما جاء الإسلام وهداهم الله للدخول فيه ألف الله بين قلوبهم وأصبحوا بنعمة الله إخواناً .

إننا في عيد الفطر المبارك نفرح لأن الله وفقنا لطاعته في شهر رمضان وأكملنا عدته صياما لنهاره ، وقياما لليله ، وذلك من فضل الله علينا ، وحقيق بمن تفضل الله عليه بهذا الخير أن يفرح وأن يكون له عيد .

وقد وفقنا الله لمصاحبة القرآن في شهر رمضان قراءة وتدبرا وفهما والتزاما بأحكامه ، وتلك نعمة كبرى من نعم الله نسأله - سبحانه - أن يديمها علينا بعد رمضان وهذه النعمة تستدعى الفرح والسرور . . ولهذا فقد جعل الله تلك المناسبة عيدا للمسلمين .

وقد وفقنا الله لإحياء سنة الاعتكاف وتعظيم شعائر الله في شهر رمضان فازددنا بذلك قربا من الله وصلة به وتوكلا عليه واعتزازا بعبوديتنا له .

وحقيق بمن وفقهم الله لهذا الخير أن يفرحوا به وأن يكون لهم عيد يعلنون فيه عن فرحهم وسرورهم بفضل الله عليهم .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ ﴾

(يونس : ٥٧ - ٥٨) .

وقد شرع الله لنا صدقة الفطر نختم بها رمضان ونستقبل بها هلال العيد حتى يكون الفرح عاما والسرور شاملا بعد أن أغنينا الفقراء عن ذل السؤال في يوم العيد .

وفي أول عيد للفطر في الإسلام في السنة الثانية من الهجرة النبوية احتفل المسلمون كذلك بعيد النصر عيد انتصار الحق على الباطل في غزوة بدر الكبرى التي أعز الله فيها المسلمين مع قلتهم وأذل الكافرين مع كثرتهم وذلك يعني أن عيد الفطر كان - أيضاً - عيدا للنصر على النفس الأمارة بالسوء بعد أن ألزمها المسلمون بطاعة الله والبعد عن معاصيه ومراقبته في السر والعلن . وكان عيدا

(١) متفق عليه وهذا لفظ البخاري

(٢) مسند الإمام أحمد

للنصر على الضعف البشرى بتقوية الإرادة وشحذ العزيمة فى مدرسة الصيام . وكان عيدا للنصر على الشيطان الذى يقعد للناس بكل سبيل ويصدهم عن ذكر الله ويصرفهم عن طاعته .

لما انتصر المسلمون الأولون على نفوسهم الأمارة بالسوء وانتصروا على ضعفهم وهواهم مستعينين بالله ، وانتصروا على شياطينهم ومضوا على طريق الجهاد لإعلاء كلمة الله باذلين النفس والنفيس استحقوا بذلك نصر الله .

لقد كانوا قلة فى العدد لكنهم كانوا كثرة بالإيمان الذى جعلهم أهلاً لعون الله ومدده :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(آل عمران : ١٢٣)

لقد كانوا فقراء فى السلاح ولكنهم كانوا أغنياء بالهداية والفلاح ولذلك استحقوا نصر الله :

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(البقرة : ٢٤٩) .

إن سر هزيمة المسلمين اليوم أنهم انهزموا أولا فى ميادين جهاد النفس والهوى والشيطان ، وأنهم فرطوا فى أمر الله وبارزوه بالمعاصى وتعلقوا بالدنيا واغتروا بزينتها فتصارعوا فى طلبها وتكالبوا على متاعها الفانى ورغبوا عن الآخرة ونعيمها الباقى فأورثهم ذلك خوفا وجبنا وامتلأوا هلعا ووهنا وأصبحوا يخافون الأعداء بعد أن كانوا يخيفونهم .

وهذه الحال السيئة التى وصل إليها المسلمون صورها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين أسبابها ووصف العلاج منها فقال : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت[1] » .

إننا نتمنى أن يأتى إلينا العيد الذى يفرح فيه كل المسلمين ننتظر العيد الذى يفرح فيه المسلمون المحاصرون فى فلسطين والمطرودون منها ومن غيرها من بلاد المسلمين .

إننا ننتظر عيدا نفرح فيه جميعا بنصر الله والفتح المبين واسترداد المقدسات وتحرير المسجد الأقصى الأسير ، فمتى يأتى هذا العيد ؟

إننا حين ننظر فى أحوالنا نجد أن أمتنا متفرقة ، ونرى المؤامرة ضد الإسلام قد كشرت عن أنيابها وجاهرت بأهدافها دون مواربة أو حياء .

ونرى دماء المسلمين مهدرة وأعراضهم مستباحة ومقدساتهم مدنسة ومسلوبة وثرواتهم مغصوبة ومنهوبة .

حين ننظر حولنا ونرى ذلك كله يتملكنا الأسى ويستبد بنا الحزن ونتساءل : متى يأتى العيد ؟

ولولا بقية من أمل نستمدها من إيماننا بالله وثقتنا فى وعده إذ يقول وهو أصدق القائلين :

---

(١) رواه أبو داود فى سننه ورواه الإمام أحمد فى المسند مع اختلاف يسير فى بعض ألفاظه.

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٣) .

لولا هذا الأمل لتملكنا اليأس بدلا من الأسى واستبد بنا القنوط بدلا من الحزن .

إننا موقنون بوعد الله مدركون لسنته في خلقه ونعلم علم اليقين أن النصر لا يأتي إلا مع الصبر ، وأن المنح تكون في طيات المحن ، وأن الكرب حين يشتد يأتي الفرج مصداقا لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم (.... واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا »[1] .

إن الطريق إلى النصر يبدأ بالصلح مع الله وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ونبذ أسباب الفرقة والخصام والعمل على تحقيق المحبة والوئام .

وحين تتوثق صلتنا بالله - تعالى - يكون في عوننا فيلم شملنا ويجبر كسرنا ويقوى ضعفنا وندعوه فيستجيب لنا وينصرنا على أعدائنا .

والمؤمنون يعلمون أن الدعاء من أقوى أسلحة النصر ، وقد قيل لإبراهيم بن أدهم : مالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟

قال : لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به ، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا ، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس[2] .

هذه هي الآفات التي شاعت وانتشرت وكانت سببا لما نحن فيه .

إننا مازلنا - والحمد لله - نحفظ ونفهم ونعي قول الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾

(الأحزاب : ٢٢) .

ونعلم كذلك أن عاقبة الإيمان الصادق الذي يزيد مع المحن قوة ومع الشدائد متانة هي النصر المرتقب ، مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾

(الأحزاب : ٢٥ - ٢٧) .

إننا لم نهزم إلا من جهة أنفسنا وسوء تصرفنا ، فإذا أصلحنا أنفسنا واستقمنا على أمر الله فإن نصر الله قريب ووعده أكيد وهو سبحانه سميع مجيب ولا يخلف الميعاد . وعندها سيأتي العيد الذي ننتظره . ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا .

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) من كتاب الشكر لابن أبي الدنيا.

الإسلام في معترك التحدي

لمنهج السماء

للأستاذ الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي

-١٠-

لم يعد هناك مجال للحاقدين على الإسلام ، والمنكرين للحقيقة الخالدة ، وأنه دين سماوي ، ووحي إلهي ، ورسالة عامة إلى البشرية كافة ، نزل بها القرآن الكريم ، وبشّر بها نبي الإسلام ، محمد - عليه الصلاة والسلام - في دعوة واضحة لأصولها ومبادئها ، ولمنهجها في العقيدة والفكر ، والسلوك ، والعمل ، وصنع الحاضر والمستقبل للإنسان .

رسالة جمعت كل أسباب التقدم والرقي ، في عناق دائم لفطرة الإنسان ، مع روح الإيمان ، ومع السمو بالعقل والفكر ، وبالحياة نفسها ، ليصبح هذا المخلوق المتمرد أهلا ، لأن يندمج في الوجود الإنساني وفي الكون الكبير ، ويصير خليفة لله في الأرض ، يزرع الخير والرخاء ويبقى السلام والإخاء ، بين البشر على السواء .

يقول بعض المضللين أن شريعة الإسلام نزلت لأمة الصحراء ، في فترة تاريخية معينة ، وكذبوا في افتراءاتهم وأضاليلهم ، فالإسلام ورسالته ممتدان إلى نهاية الحياة ، وشريعته مستمرة إلى نهاية الزمان ، وهي صالحة لكل زمان ومكان .

لقد كرّم الإسلام الإنسان وفجّر فيه طاقات البناء والعمل ، وهو نداء إلهي كريم لوجدان الإنسان وعقله وروحه ، ليعمل دائما من أجل تقدم البشرية ، وازدهار الحضارة ، ونهضة الشعوب ، وسعادة الإنسان ، وهو الدين الإلهي الذي يقف اليوم شامخا في معركة التحدي ، لمنهج السماء ، ولكل المذاهب الضّالة ، من علمانية ، ووجودية ، ومادية جدلية ، وغيرها .

ولم تسعد الإنسانية بحضارة كحضارة الإسلام التي غرست المحبة بين البشر جميعا ، وإذا كانت أثينا وروما في غابر الزمان ، قد شرعتا للغرب القديم حضارته ، فإن مبادئها الوثنية لا تزال هي مصدر حضارة أوروبا إلى اليوم بما تشتمل عليه من حب للسيطرة ، ومن تطهير عنصري ، ومن الاغتصاب الجماعي ، والانحلال الأسري والخلقي ، وإبادة للشعوب .. وفي امتداد الإسلام التاريخي لم يضطهد أمة أو شعبا ، أو عنصرا ، أو دينا ، بينما استأصل الغزاة الأوروبيون من هنود أمريكا ما يقارب الستين مليونا ، ومن الأفارقة أكثر من مائة مليون خلال حملة اصطياد العبيد السود ، لنقلهم إلى مراكز العمل

الجبرى فى أوروبا وأمريكا ، كما يقول جارودى فى كتابه « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية » - الصفحة ١٤١ .. وفى عصر الاستعمار الأوروبى للشرق لا تسأل عن أعداد الضحايا والقتلى ، لأن عددهم يفوق كل إحصاء ، وكل تخيل .

وأمامنا مثل كريم من الإسلام ، الإمام جعفر الصادق كان له صديق حميم ، فسمعه مرة يقول لبوذى وثنى : يا ابن الفاجرة ، فغضب جعفر ، وقال لصديقه : أتتهمه فى أمه ؟ فقال الصديق : إنه بوذى وثنى ، فردّ عليه الإمام أليس هو أخ لك فى الإنسانية ؟ وترك صداقته ومجالسته .

هذا هو الإسلام فى مبادئه وإنسانيته ، وفى دعوته إلى الإيمان ، والعمل الصالح ، وفى عناقه الدائم للحق والعدل ، والخير والسلام ، وبناء الذات بالطهارة الروحية والفكرية والجسدية ، مما جعل الإنسان يصيح بملء فمه : أنا الإنسان ، وأنا خليفة الله فى الأرض .

لقد فجر الإسلام عظمة الإنسان الذاتية ، ودعا إلى إيقاظه من نومه إن كان نائما ، وإلى بعث إدراكه لمعنى الحياة ، وما من دين استطاع أن يزرع فى أتباعه شعورا بالعزة كدين الإسلام ، الدين الذى محا جميع الفروق بين الناس كافة ، بينما نجد فى عصرنا : أن الصليب الأحمر - وهو هيئة إنسانية عالمية - يفرق فى المعاملة بين المسلم ، وغير المسلم فكان فى أثناء أحداث فلسطين يهمل الجرحى المسلمين ، ويميز عليهم جرحى اليهود ، دون مبالاة ، أو اعتذار ، كما ذكر ذلك أيضا جارودى فى كتابه « الأساطير » .

-٢-

إن الإنسان المسلم مطالب دائما بأن يعيش حياته مع القرآن الكريم ، مع منهج السماء ، ودين الفطرة ، وعقيدة التوحيد ، وشريعة العدل .. ومن الفخر له أن يردد فى كبرياء ونشوة : أنا مسلم ، وإذن أنا موجود وما أكرم ما قالت عائشة عن رسول الله - ﷺ - كان خلقه القرآن[1] .

لقد وعد الله المسلم بأن يستخلفه فى الأرض :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ (النور : ٥٥)

وفى تحرير الإسلام لأرض الشام من استعباد الروم خرج هرقل منها مهزوما مدحورا ، ووصل أنطاكية وأقبلت فلول جيشه ذليلة محطمة ، فجمع كبار قواده وقال لهم : أخبرونى عن هؤلاء الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرا مثلكم ؟ فردُّوا عليه : بلى ، نحن أكثر منهم أضعافا مضاعفة فى كل موطن ، فقال لهم : فما بالكم تنهزمون فسكتوا وقال قائد منهم : أيها الملك لقد انتصروا وهزمنا من أجل أنهم يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أننا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونظلم ، ونأمر بالمنكر وننهى عما يرضى الله ، ونفسد فى الأرض .

وفى غزو المسلمين لفارس جلس رسول المسلمين فى مجلس امبراطور الفرس « يزدجرد » ، وأقبل عليه الإمبراطور يسأله : من تكونون ؟ وماذا تريدون ؟ فرد عليه رسول المسلمين : « إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل السماء » .

ويقول برناردشو : « الإسلام الدين الوحيد الذى له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة ، وهو صالح لكل العصور » ، وقال عن رسول الإسلام : إنه يجب أن يسمى منقذ الإنسانية ، وأعتقد أنه لو أتيح

---

(١) مسند أحمد ٩١/٦ ، ١٩٣ ، والبيهقى فى السنن ٤٩٩/٢ ، والخلاق النبى رقم ٢٩ .

لرجل مثله أن يحكم العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حل جميع مشكلاته بأسلوب يؤدى إلى السلام والسعادة اللذين يفتقر العالم إليهما كثيرا .

إن الإيمان بالإسلام أمر يوجبه العقل ومسيرة التاريخ وحتمية انتصار الإنسان والحضارة .. يقول شكسبير فى مسرحية « العاصفة » : إذا عشت فى ما ضيك جعلت منه مقدمة لمستقبلك ، ويقول المفكر الأمريكى سانتيانا : لقد حكم على الذين ينسون الماضى أن يتابعوا العيش بين أحضانه .. وهذا أبلغ كلام يقال للمنحرفين عن منهج السماء والإسلام .

ـ ٣ ـ

إن المستقبل القريب يحمل لنا تحديات لابد لنا من مواجهتها ، والاستعداد لملاقاتها ، وليس كمبادىء الإسلام سلاحا فى نضالنا الدائم فى معترك التحدى لمنهج السماء ، والثقافة دائما هى الأساس الأول فى كل بناء ، فإذا آمن الشباب بثقافات الإسلام كان من الحتم أن ينتصروا فى كل معارك التحدى ، أما المناهج الغربية فى الفكر والسلوك فهى بعيدة عن أن تصل بها إلى شىء ، وما أوسع الفروق الجوهرية بيننا وبين الغرب . وليس التنوير الذى يدعوننا إليه إلا تعبيرا عن مرحلة عصر النهضة وهو عصر معركة ماضية ، دارت رحاها فى أرض غير أرضنا ، ولأغراض ليست هى التى تمثل أمامنا اليوم فى أرض الواقع المعاش .

وهؤلاء التنويريون ، ومثلهم الحداثيون ، ومن شابههم قد أصبحوا يؤمنون بالغيبيات ، التى كانوا يرفضونها ويكفرون بها ، كإيمانهم بحتمية التقدم ، وبما يسمونه « تيار التاريخ » ، وشأنهم فى ذلك شأن العلمانيين وكل أصحاب الفلسفات المعاصرة التى تكفر بالغيبيات ، وبنظام الأسرة وبالسلوك الإنسانى المستقيم ، وما أكثر ما يدعون إليه من « المجتمع المدنى » الذى لا يعنى شيئا إلا الخروج على منهج السماء ، وهو ليس إلا وصفا للسوق الرأسمالية لا أكثر ولا أقل ، وأبسط تعريف لهذا المصطلح أنه حق وعمل الجماهير فى دعم ماهو قائم من القواعد أو تغييرها وفق ماتحب وتشاء[1] .

إن الصهيونية التى تتنمرّ اليوم للسلام ، ولحق الشعب الفلسطينى فى أرضه ، وللمسجد الأقصى ، الذى هو شعار الإسلام على طول الزمان والذى كان إليه مسرى رسولنا الكريم ، محمد ـ ﷺ ـ ومنه كان معراجه إلى السماء ، لابدّ لهذه الفلسفة المتمردة على شرائع الحق والعدل والسماء أن تقف ، وتكف عن السير فى طريقها المشئوم ، لتعرف ما تجهله دائما من أن الحق فوق القوة ، وأن شريعة الغاب لا يسندها حق ولاشريعة ولا قانون .

وهذه الأقليات الإسلامية التى تلقى فى كل مكان شر العدوان والقتل والتشريد لابد أن يحميها القانون الدولى الذى لا يبيح العدوان الصارخ على النفس أو العرض أو المال ، أو الموطن ، ولا يجيز التعرض للطفل والمرأة والمريض والشيخ الهرم .. ومصير هؤلاء العدوانيين الوبال والنكال بإذن الله ـ تعالى ـ

إن روح الحقد والكراهية والتعصب ضد الإسلام ، وضد كل ما هو إسلامى ، يجب أن تقف ، وأن تحترم حق الإنسان المطلق ، فى الحياة ، والعقيدة وفى النفس والمال والعرض . والإسلام لن يهزم أبدا فى صدور المؤمنين به ، ولن يغيّر وجه التاريخ نعيق اليغاوريين الحاقدين على منهج السماء ، والكافرين بكل قيم الإسلام ، بل ولكل القيم الإنسانية النبيلة التى لن ينطفىء نورها أبدا بإذن الله .

إن استقبال القرن الجديد ، يجب أن يصاحبه تغيير شامل فى الفكر والسلوك والعمل فى عقول الذين يزعمون حضارة الغرب اليوم ، ولهم فى الإسلام ومبادئه ومنهجه القدوة الحسنة الطيبة دائما وأبدا بفضل الله .

---

(١) راجع ص٤٣ مجلة التمويل والتنمية ـ عدد سبتمبر ١٩٩٨

من مكارم السلوك والأدب في الإسلام

السخاء

المستشار : محمد عزت الطهطاوى

الإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق فى سبيل الخير ، ولذلك حبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخية وأكفهم ندية ، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعى الإحسان ووجوه البر وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم خصوصا إذا كان لديهم من المال ما يفى بالحاجة ويفيض بالزيادة .

ذلك أن السخاء خلق من أخلاق الأنبياء ، وهو أصل من أصول النجاة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ، ولجاهل سخى أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل) [1] وقال أيضا (إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولايصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بها) [2] .

(١) رواه الترمذى والبيهقى والطبرانى هكذا ورد فى كتاب التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول المجلد الخامس كتاب البر والأخلاق تأليف الشيخ منصور على ناصف الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

(٢) أورده الطبرانى فى المعجم الكبير . هكذا ذكره الإمام جلال الدين السيوطى فى جمع الجوامع العدد / ١٢ من الجزء الأول فى السنن القولية المجلد الثانى .

والسخاء صور كثيرة فمنها :.

أولا : سخاء الإنسان على نفسه

فتعاليم الإسلام توصى بأن يكرم المرء نفسه وذلك بأن يشبع نهمتها من الحلال فيصدها بذلك عن الحرام كما يصونها عن مظاهر الفاقة التى تخدش مكانتها فى المجتمع ، وتهبط بها دون المستوى الواجب لعزة المسلم ، وذلك كله فى نطاق القصد الذى لا إسراف فيه ولا شطط (٣) .

عن جابر قال : جاء رجل بمثل بيضة من ذهب فقال يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهى صدقة ما أملك غيرها ، فأعرض عنه فأتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك ، فأعرض عنه فأتاه من قبل ركنه الأيسر فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من خلفه فقال مثل ذلك فأخذها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته وقال يأتى أحدكم بجميع ما يملك فيقول هذه صدقة ، ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى) (٤) .

ثانيا : سعة الإنسان فى نفقته على أهله وولده

ليس من الدين أن يدع المرء زوجته أو بنيه وبناته فى حال فاقه من الاحتياج والضيق ثم ينفق ماله فى مصرف آخر مهما كان خطره ، فروابط الأسرة أولى بالعناية وأحق بالسعة من غيرها قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك) (٥) .

والإسلام بهذا الإرشاد الدقيق يريد أن يرتب النفقات المشروعة الترتيب المثمر الصالح فإن الأسرة قوام المجتمع الكبير والخلية الحية التى تكون بناءه الضخم ، فتوجيه العناية إليها أولاً أجدى على الأمة كلها من حرمانها حقها ،

ثم إن فى هذا الإرشاد زجراً لأولئك الذين يجنحون إلى السرف خارج بيوتهم وبين أصدقائهم فإذا خلوا إلى أهلهم كانوا أمثلة سيئة للتقتير والعسف .

ثالثا : حق القرابة فى عطاء المسلم

إن أقرباء المسلم أجدر الناس بالإفادة من فضول ماله ، ومن حقهم أن ينصرف إليهم عطاؤه الذى يجود به يده ، فهم أولى بالخير من آخر قصى لأن ذلك قد يزرع الضغينة فى

---

(٣) كتاب خلق المسلم تأليف الشيخ محمد الغزالى .

(٤) أخرجه أبو داود هكذا جاء فى كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول الجزء الثالث للمحدث عبد الرحمن بن على الشيبانى .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جزء ٧ كما رواه الترمذى وأحمد . جاء ذلك فى كتاب التاج الجامع للأصول المجلد الثانى تأليف الشيخ منصور على ناصف المرجع السابق .

قلوبهم ويشعرهم بأن إهمالهم متعمد للنكاية بهم والازراء عليهم . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق لايقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم ، والذى نفسى بيده لاينظر الله إليه يوم القيامة)[6] . وفى حديث آخر يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (الصدقة على المسكين صدقة وعلى القريب صدقتان صدقة وصلة)[7] واللفظ لابن خزيمة .

رابعا: بذل الخير إلى الغير من الفقراء

إذا كان من الواجب على المسلم أن يقتصد فى مطالب نفسه وأهله حتى لاتستنفد ماله كله ، فإن عليه أن يشرك غيره فيما آتاه الله من فضله وأن يجعل فى ماله متسعا يسعف به المنكوبين ويريح المتعبين وإلى هذا يشير رسول الله ـ ﷺ ـ فى قوله : (يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى)[8] وفى حديث آخر يقول رسول الله ـ ﷺ ـ : إن فى المال لحقا سوى الزكاة ثم تلا[9] .

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾

(البقرة ـ ١٧٧)

وفى حق القرابة وحق الغير من الفقراء والمساكين فى جود المسلم يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾

(الإسراء ـ ١٦)

خامسا : من السخاء أداء المسلم للزكاة وبذل الصدقات

١ ـ إن نجاح المرء فى إزاحة عوائق البخل التى تعترض مشاعر الخير فيه حتى يؤدى ما عليه من زكاة وصدقة هو فى نظر الإسلام فضيلة كاملة ، إذ المعروف أن الإنسان يشتد أمله فى

---

(٦) رواه الطبرانى فى الاوسط هكذا ورد فى مجمع الزوائد الجزء الثالث باب الصدقة على الاقارب تأليف الحافظ نور الدين الهيثمى وهو جزء من حديث طويل .

(٧) صحيح ابن خزيمة وكذا صحيح الترمذى والشيخين والنسائى وإن اختلف اللفظ كما جاء فى كتاب التاج الجامع للأصول المرجع السابق .

(٨) رواه مسلم جاء ذلك فى كتاب رياض الصالحين تأليف الإمام محيى الدين النووى الشافعى.

(٩) رواه الترمذى جاء ذلك فى كتاب التاج الجامع للأصول المجلد الثانى المرجع السابق الاشارة إليه صـ ٤٢ .

الحياة عندما يكون صحيح البدن طامحا فى المستقبل قد ضاعف من ثروته ، فإذا غالب تلك العوامل كلها وبسط كفه فى ماله ينفق منه عن سعة فى وجوه البر كان من يفعل الخير العظيم ، ذلك أن الإسلام يعد البخل من النزعات الخبيثة التى يجب أن تخاصم بعنف وأن تقاوم دسائسها بيقظة ونشاط ، ويبين أن الفوز بخيرى الدنيا والآخرة لايحرزه إلا من نجح فى قمع دوافع البخل فى نفسه حتى عودها البذل والسخاء قال الله ـ تعالى ـ

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾

(التغابن ـ ١٦)

٢ ـ والأموال التى يبذلها المسلم على اختلاف صنوفها من زكاة وصدقة ونفقة وما شابه ذلك جليلة الخطر فى معاش الإنسان ومعاده . قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر)[١٠] وقال أيضا : (حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع)[١١] .

٣ ـ وما من شىء أشق على الشيطان وأبطل لكيده وأقتل لوساوسه من إخراج الصدقات ولذلك يقذف فى النفوس الوهن حتى يثبطها عن البذل قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾

(البقرة ـ ٢٦٨)

وفى الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ قوله : (لايخرج رجل شيئا من الصدقة حتى يفك عنها لحى سبعين شيطانا كلهم ينهى عنها)[١٢] .

الإيثار أعلى درجات السخاء :

فهو جود بالمال مع الحاجة إليه وليس بعده درجة وقد أثنى الله على صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ بهذا الوصف الكريم فقال ـ جل وعلا ـ :

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾

(الحشر ـ ٩)

---

(١٠) رواه الطبرانى فى الكبير ذكر ذلك الحافظ المنذرى فى الجزء الثانى من كتابه الترغيب والترهيب عن صدقة السر طبعة دار الفكر سنة ١٣٩٩ هـ سنة ١٩٧٩ م .

(١١) رواه أبوداود فى المراسيل ورواه الطبرانى والبيهقى عن جماعة من الصحابة مرفوعا كما جاء فى كتاب الترغيب والترهيب الجزء الثانى المرجع السابق .

(١٢) مسند أحمد والبزار والطبرانى وابن خزيمة والحاكم والبيهقى جاء ذلك فى كتاب الترغيب والترهيب المرجع السابق .

ذلك أنهم تشبهوا برائدهم ومعلمهم النبي - ﷺ - إذ كان الإيثار من أخلاقه السامية يشير إلى ذلك قول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - : (ما شبع رسول الله - ﷺ - ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا)[١٣] .

السخاء على أهل الذمة من صدقات التطوع

لاجناح على المسلم أن يعطى غير المسلم الفقير من أهل الذمة ما يتطوع به من الصدقات رعاية للرابطة الإنسانية ولحرمة العهد الذى بينهم وبين المسلمين ، وكفرهم بالإسلام لايمنع من البر بهم والإحسان إليهم ماداموا غير محاربين للمسلمين قال تعالى :

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة ـ ٨)

ويؤيد هذا الرأى الإمام أبوالفداء إسماعيل ابن كثير فى تفسيره إذ يقول عن تفسير قوله - تعالى -

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة ـ ٢٧٢)

إن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله ولا عليه فى نفس الأمر لمن أصاب : البر أو فاجر ؟ أو مستحق أو غيره ، وهو مثاب على قصده ومستند هذا تمام الآية

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(البقرة ـ ٢٧٢)

وقد مدح الله الأبرار من عباده بقوله

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾

(الإنسان ـ ٨)

وقد كان الأسرى حينئذ من أهل الشرك كما جاء عن الحسن وغيره فيما أورده ابن أبى شيبة فى مصنفه[١٤] .

السخاء من صدقة الفطر على أهل الذمة :

وقريب من صدقة التطوع صدقة الفطر ، والكفارات والنذور فقد أجاز أبو حنيفة ومحمد بن الحسن وبعض الفقهاء صرفها إلى أهل الذمة لعموم الأدلة مثل قوله - تعالى - فى الصدقات :

﴾

---

(١٣) رواه الشيخان بهذا المعنى وإن اختلف اللفظ جاء ذلك فى كتاب رياض الصالحين باب فضل الجوع وخشونة العيش .
(١٤) نقلا عن كتاب فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوى جـ٢ صـ ٧١٠ ومختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد على الصابونى .

﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم ﴾

(البقرة ـ ٢٧١)

من غير فصل بين فقير وفقير ، ومثل قوله ـ تعالى ـ في الكفارات .

﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾

(المائدة ـ ٨٩)

وقوله ـ جل جلاله ـ :

﴿ فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ﴾

(المجادلة ـ ٤)

من غير فصل بين مسكين ومسكين ولأن هذا من باب ايصال البر إليهم وما نهينا عنه .

ومع ذلك قالوا : إن صرف هذه الأشياء إلى فقراء المسلمين أفضل بلا ريب لما فيه من إعانة المسلم على طاعة الله ، كما اشترط أبو حنيفة ألا يكون غير المسلم عدوا محاربا للمسلمين لأن الصرف إليه حينئذ يقع إعانة له على قتال أهل الإسلام وهذا لايجوز [١٥] .

لفتة إنسانية عن روح الإسلام السمح:

وروى ابن أبي شيبة عن أبي ميسرة أنه كان يعطي الرهبان صدقة الفطر ، وعن عمرو بن ميمون وعمرو بن شرحبيل ومرة الهمذاني أنهم كانوا يعطون منها الرهبان ، وهي لفته إنسانية كريمة تنبيء عن روح الإسلام السمح الذي لاينهى عن البر بمخالفيه الذين لم يقاطعوا أهله ويعادوهم فلاغرو أن تشمل مسرة العد كل من يعيش في كنف المسلمين ولو كانوا من الكفار في نظره ، على أن هذا إنما يكون بعد أن يستغنى فقراء المسلمين أولا [١٦] .

امثلة عن بعض الأسخياء:

١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان النبي ـ ﷺ ـ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ـ ﷺ ـ القرآن ، وفي رواية فيدارسه القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة [١٧] .

٢ ـ ولما مرض الصحابي الجليل قيس ابن سعد بن عبادة استبطأ إخوانه ، فقيل له إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين . فقال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديا فنادى : من كان عليه لقيس بن

---

(١٥) كتاب فقه الزكاة المرجع السابق ص ٧١٠ .

(١٦) كتاب فقه الزكاة المرجع السابق ص ٩٦٢ .

(١٧) رواه الشيخان

المجلد الثاني المرجع السابق الإشارة إليه .

سعد حق فهو منه برىء قال : فانكسرت درجته بالمشى لكثرة من زاره وعاده .

٣ ـ واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التى فى السوق بتسعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله : ماهؤلاء ؟ قالوا : يبكون لدارهم : فقال : ياغلام ائتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعا .

٤ ـ وحكى أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال : والله لأعلمن الشيطان أنى عدوه ، فعال محاويجهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلى نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته [18] .

وبعد

فإن السخاء سبب النماء ، والكرم طريق السعة وأن الذى يجعل يده ممرا لعطاء الله يظل مبسوط اليد بالنعمة مكفول اليوم والغد بالنصيب الوافر من رحمة الله وكرمه تصل عليه الملائكة ، ويرتقب له المزيد من الفضل . ففى الحديث القدسى عن الله تبارك وتعالى :

(يابن آدم أنفق أُنفق عليك ، يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار)[19] ذلك أنه من الأمور المسلم بها فى تعاليم الإسلام أن ماأنفق فى سبيل الله لا يعتبر من الأشياء المعدومة بل هو من المدخرات الباقية .

قال الله تعالى :

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (النحل ـ ٩٦)

وقال جل وعلا ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (القصص ـ ٦٠) .

---

(١٨) كتاب إحياء علوم الدين الجزء العاشر للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى .

(١٩) رواه البخارى ومسلم هكذا ورد بكتاب الأحاديث القدسية الجزء الأول طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة القرآن والحديث ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ هـ ـ يناير سنة ١٩٨٦ .



الإسراء والمعراج

منعطف فى تاريخ الدعوة

(٣)

للأستاذ الدكتور :
سعد ظلام

٣ - وراثة الرسالات السابقة :

المؤمنون فى كل الرسالات وفى كل العصور ، وحتى إن بدوا قلة يخاف عليهم ، لكنهم هم الذين يبقون بعد هلاك المفسدين من أقوامهم ، وهم الوارثون للأرض والمال والدين .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ ﴾ (يونس : ٧٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس : ١٣ - ١٤) .

وقاعدة التوازن البيئى تقضى بذلك ، لأن هؤلاء الأقوام الذين لم يؤمنوا ليسوا أصحاء ، إنهم مفسدون ، ومعتدون وظالمون ومجرمون ، ومشركون وكافرون ، ومعرضون ، أى أنهم مرضى ، والأصحاء عادة هم الذين يبقون بعد أن يفنى المرضى ويسدل عليهم الستار .

وهذا ما يؤكد القرآن عليه فى كثير من قصصه لرسول الله حتى يطمئن على مستقبل المستضعفين المؤمنين به .

والمجتمع المريض لابد أن يبيد انطلاقا من هذه القاعدة ، قاعدة التوازن البيئى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور : ٦٣) .

وكثيرا ما نلمح الأنبياء يزجون إلى أقوامهم تلك القاعدة حتى يفيئوا إلى أمر الله وإنها لنصيحة غالية .

قالها هود لقومه :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ﴾ (هود : ٥٧) .

وقالها موسى لقومه :

﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٢٩) .

وقالها الله لكل أمم الأرض وأزجاها نصيحة غالية ليفيئوا إلى أمر الله : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ (الأنعام : ١٣٣) .

ولما كانت الأمة المحمدية آخر الأمم ، ورسولها خاتم الرسل فقد وعد الله الذين آمنوا بالاستخلاف فى الأرض :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾

(النور : ٥٥) .

وفى كل الأحوال : « والباقيات الصالحات » فالمسلمون وارثو الأمم والأنبياء والرسالات والأرض ، ومكن لهم دينهم وبدلهم بعد خوفهم أمنا ، لأنهم كما قال ربهم :

﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (النور : ٥٥) .

ثالثا :

إقرار أصحاب الديانات السابقة بصدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى ـ وبعد أن حكى ما حدث لموسى وهارون مع قومها ، وكيف أن الله رزقهم الطيبات وأمدهم بالعلم فكان سبب اختلافهم ، قال سبحانه :

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس : ٩٤) .

تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم موجودة فى الكتب المتقدمة التى بأيدى أهل الكتاب . قال تعالى . ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف : ١٥٧) .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (البقرة : ١٤٦ ـ ١٤٧) .

ورؤساء المسيحية يقلبون الحقائق فى هذه الآية يزعمون أن الله نصب من أهل الكتاب مستشارين لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويستدلون بقوله تعالى :

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾ (يونس : ٩٤) .

ويقفون عند هذا الحد الذى يوافق زعمهم ، ولو أنهم أكملوا الآية لأقروا إقرارا يقينيا برسالته لأنها تكذبهم فى زعمهم وتدحض دعواهم ﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ .. ﴾ أى أنهم يقرون بذلك .

رابعا: توجيه الدعوة إلى الناس كافة:

وهذا خروج بالدعوة من نطاق المحلية الضيقة التى كانت محصورة فيها فى مكة، وقد أشارت إليه السورة لأول مرة بعد الإسراء، إلماحا إلى انتقالها إلى الآفاق العالمية.

وتلمح هذا فى سورة يونس بشارة للدعوة والداعية بالتمكين وعالمية الرسالة.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس: ٥٧ ـ ٥٨).

والآيتان تدخلان على النفوس من أبوابها، وتدعوان كل الحراص على الفضائل فى كل زمان ومكان والمرضى فى كل الأمم والديانات والحيارى، والظمأى وطلاب الرحمة أن يستقوا من نبع القرآن ليشفوا ويهتدوا ويسموا ويعتبروا ويرحموا: فليفرحوا بفضل الله ورحمته، فالقرآن خير مما يجمعون من حطام الدنيا، أو فالفرح بفضل الله ورحمته خير من كل ما جمعت أيديهم من زهرة الحياة.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس: ١٠٤ ـ ١٠٦).

أى إن كنتم فى شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحق، فأنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولكن أعبد الله وحده، لا شريك له، وقد أمره الله بعبادته وحده، ونهاه أن يكون مع المشركين وألا لا يدعو من دون الله ما لا ينفع ولا يضر، فهذا هو الظلم.

٣ ـ وفى جهارة وهتاف بالحق يوجه الله نبيه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (يونس: ١٠٨ ـ ١٠٩).

قضية الناس والدعوة:

منذ فجر التاريخ ودعوات الإصلاح لا تجد الاستجابة الرشيدة، والإقبال الواعى من الجماهير، ومرجع ذلك إلى أسباب كثيرة:

(أ) منها حرص بعض القيادات على مراكزهم، وقد وجدنا مصداقا لذلك قول قوم موسى: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٧٨).

(ب) التمسك بدين الآباء كما قال قوم شعيب: ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ (هود: ٨٧).

لقد اعتبروا دعوة شعيب لهم بالإصلاح تدخلا فى عبادتهم وفى شئونهم الخاصة وحرصهم على المال وجلبه من أى طريق.

والاستكبار، وهو حرص يصيب غير المهديين بهداية الله، إنهم يعطلون أحاسيسهم أن تتفتح على ضياء الله وتشرب من حبه وحقه، وتحكى الآيات عن استكبار كل الأقوام، وأن قيادات المستكبرين تنصب نفسها لتمنع الضعفاء أن يهتدوا ويرشدوا.

وقد تنوع الاستكبار ، فهناك استكبار عن النبي ، وعن الحق الذى جاء به ، وعن الله ، وآيات الله وعن العبادة .

وسبب الاستكبار التكذيب والتعالى والكفر وحجب هداية الله والعتو والتبعية والوقوف عند ميراث الآباء ، وهو أقلها شأنا .

ويتدرج هذا الاستكبار تدرجا طبيعيا بين الإعراض ، وطلب الآيات والدلائل إلى الإصرار وإلى الإنكار والمكر السيء .

وقريش أعرضت لطلب الآيات :

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ (يونس : ٢٠) .

ولقد عرضت سورة يونس موقف قريش من الدعوة عرضا جيلا ، فمرة طالبوا رسول الله بالآيات ، ومرة أخرى اتبعوا الظن ، وكذبوا .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

(يونس : ٣٦) .

وقد أبرزت السورة هذه القضية إبرازا شديدا من خلال منطلقات كثيرة ـ فمرة عن طريق تلاقى الرسل والرسالات ، ومرة عن طريق وراثة الإسلام للرسالات السابقة ، ومرة ثالثة عن طريق إقرار أصحاب الديانات السابقة بصدق الرسول ، ومرة رابعة بتوجيه الدعوة إلى كافة الناس ، وهذا ملحظ جديد ، ربما نلمسه لأول مرة بعد الإسراء .

تلاقى الرسالات والرسل:

وقد عرض القرآن ماحدث لنوح وموسى مع أقوامها من خلال مشاهد التكذيب والاستكبار والإعراض وسوء العاقبة ، وأن الغاية من إرسال الرسل ، وإنزال الكتب غاية واحدة فى جميع العصور ، وهى إحقاق الحق بكلمات الله ، وأن الإقبال على الهداية أو الإيمان بالرسل يكون فى كل الرسالات وفى كل الظروف قليلا ضئيلا .

قال تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾

(يونس : ٧١ ـ ٧٣)

ونود أن نؤكد هنا على بعض النقاط :

أ ـ مقدار حرص نوح على قومه على الرغم من تهديدهم وتعذيبهم إياه : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (يونس : (٧١) .

وقد ورد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال عندما علم بخروج قريش لملاقاته عندما علموا بمجيئه معتمرا فى الحديبية قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ياويح قريش قد أكلتهم الحروب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوا كان الذى أرادوا ، وأن أظهرنى الله عليهم دخلوا الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، ولما علم بحرصهم على صده عن البيت قال أيضا فى الحديبية : « لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها »[1] .

ب ـ إن الدين عند الله الإسلام ، وهذا ما قاله نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس : ٧٢) .

ج ـ إن تكذيب الأقوام لرسلهم كان بدين الجميع ويبدو كما يقول القرآن أنهم قد ﴿ تواصلوا به ﴾ ، ولكن الله ناصر نبيه والمؤمنين به ، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾ ، وكان المؤمنون به وارثين للدين والأرض ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ ﴾ .

د ـ ثقة الرسول فى نصر الله :

﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾

(سورة يونس : ٧٣) .

هـ ـ تشابه أقوال اللاحقين للسابقين فى التكذيب .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(يونس : ٧٤) .

وكذبوا بالقرآن عن جهل :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

(يونس : ٣٩) .

وذكرت السورة أن بعضهم آمن وبعضهم لم يؤمن : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس : ٤٠) .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(يونس : ٤٢ ـ ٤٤) .

ولقد عكفوا على ما وجدوا عليه آباءهم ضيقا منهم بعدم الإقبال على الجديد ، وجهلا وتخلفا ، ولقد افتروا على الله وعلى رسوله الكذب حتى اتهموا الرسول بافتراء القرآن :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

(يونس : ٦٩) .

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(يونس : ٦٠) .

ولم تكن قريشا بدعا فى الأمم .

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾

(يونس : ١٩) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود : ١١٨ ـ ١١٩) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (يونس : ٩٩ ـ ١٠٠) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

(يونس : ٩٦ ـ ٩٧) .

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس : ٤١) .

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾

(يونس : ١٠٩) .

قضية النفوس القلقة :

وقد عرضت سورة يونس بعض النفوس القلقة إزاء الأحداث العوارض ، فهى لا تستقر إلا حيث تتحول ، ولا تتحول إلا حيث تستقر .

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾

(يونس : ١٢) .

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (يونس ٢١ – ٢٣) .

وهذه النفوس الزئبقية هلامية الرأى والتفكير ، لا تحمد للصبح أن يشرف ، ولا للحديقة أن تثمر ، ولا للحياة أن تبتسم لأنها تتحول بتحول المصلحة ، وتنقلب بانقلاب المنفعة ، ولا تؤمن إلا بما يجيء لها هى بالنفع الشخصى ، وهى فى كل مجتمع وملة وبيئة وأمة ، تمكر بالصدق والحق أما ملا الكون وصوا وجه الحياة ويبغون فى الأرض بغير الحق ، ونعمة الله فوق شغلهم .

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

(الأنفال : ٣٠) .

والتاريخ يحكى عن بنى إسرائيل أنهم بعد نعمة الله عليهم أنجاهم من فرعون وعبر بهم إلى سيناء :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾

(الأعراف : ١٣٨) .

لقد أعطت السورة معراجا للدعوة ، ومنطلقا جديدا إلى آفاق أرحب وأشمل وأوسع وأنها ستخرج من نطاقها المحل الضيق المحاصر فى مكة وأنها ستنتصر وأنها ستشمل الإنسانية على اتساعها والنطاق الإنسانى على امتداده ، وأعطت للرسول منهجا جديدا فى الدعوة يتلاءم مع طبيعة المرحلة الجديدة ، وعرضت القضايا التى أثارتها قريش وناقشتها وردت عليها ودحضتها ، وبشرت بمنهج عالمى رشيد للدعوة تمثل فى تلاقى الرسالات ووراثة النبوات وتصديق أهل الكتب السابقة بصدق رسالة الرسول وتوجيه الدعوة إلى الناس كافة ، وهذا مالم نجده قبل الإسراء والمعراج .

وما تأكد فى سورة هود وهى السورة التالية فى النزول لسورة يونس ، وماتتامى بعدهما فى السور المكية الباقية فى العهد المكى ثم فى سور العهد المدنى .

وقد زامن ذلك إستراتيجية جديدة للدعوة تمثلت فى بيعتى العقبة ، ثم فى الهجرة وماصاحبها وترتب عليها من قيام الدولة الإسلامية فى ظل الدعوة ، أو نمو الدعوة الإسلامية فى ظل الدولة .

ولهذا كله نرى أننا فى حاجة إلى منهج قرآنى للدعوة يصاحب نزول القرآن صعودا وترتيبا ، حتى نتبين كيف تطور هذا المنهج وما مراحله ؟ وخطواته ؟ ومعراجه ؟ وما العقبات التى اعترضت طريقه ، وكيف تغلب عليها ؟ ثم قبل ذلك وبعده نحن فى حاجة إلى أن نتعلم أسلوبى الدعوة والداعية ، وكيف يستقيان ؟ وكيف يزاملان الأحداث صعودا إلى مدارج السمو ، مرورا بمراحل التأزم والصراع ، وكيف خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المآزق وتخطى به العقبات ، وكيف جرت باسم الله مجريها ومرساها .

ونأمل ألا ننسى القدس والأقصى مسرى رسول الله فى خضم الأحداث .

هذا وبالله التوفيق .



للأستاذ الدكتور : عامر النجار

- ٢ -

الزهد والتصوف :

يتحدث ابن خلدون فى مقدمته عن نشأة الزهد فى الإسلام وعلاقته الوثيقة بالتصوف ، فيقول : « هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة الملة ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق بالخلوة والعبادة . وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف . فلما فشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى الهجرى ، وما بعده ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[1] .

فالزهد .. كان المدخل الطبيعى إلى التصوف فى الإسلام ، ولقد وجد الصوفية الأوائل فى نماذج الزهاد السابقين صورة صادقة ، ومثلا للحياة الروحية فى الإسلام ، ووجدوا فى أهل الصفة ضوءا ودليلا على زهدهم ، وأهل الصفة - كما ذكرنا - كانوا من صحابة رسول الله - ﷺ - من فقراء المسلمين الذين كانوا يرابطون فى مسجد رسول الله - ﷺ - فى المدينة .

وقال الإمام أبو القاسم القشيرى - رحمه الله : - اختلف الناس فى الزهد من حيث متعلق حكمه ، فمنهم من قال : « الزهد فى الحرام ، لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى .. ومنهم من قال الزهد فى الحرام واجب ، وفى الحلال فضيلة ، فإن إقلال المال - والعبد صابر فى حاله ، راض بما قسم الله تعالى له ، قانع بما يعطيه - أتم من توسعه ، وتبسطه فى الدنيا ، فإن الله تعالى زهد الخلق فى الدنيا بقوله :

﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾

(النساء : ٧٧) .

---

(١) ابن خلدون . المقدمة . ص ٣٩٨ .

ومنهم من قال : إذا أنفق العبد ماله فى الطاعة ، وعلم من حاله الصبر ، وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه فى حال العسر ، فحينئذ يكون زهده فى المال الحلال أتم .

ومنهم من قال : ينبغى للعبد ألا يختار ترك الحلال بتكلفة ، ولا طلب الفضل مما لا يحتاج إليه ، ويراعى القسمة ، فإن رزقه الله ، ـ سبحانه وتعالى ـ ، مالا من حلال شكره ، وإن وقفه الله تعالى ، على حد الكفاف لم يتكلف فى طلب ما هو فضول المال ، فالصبر أحسن بصاحب الفقر ، والشكر أليق بصاحب المال الحلال »[1] .

وأهل الزهد على معان شتى فى نظر أبى سعيد الخراز ، فمنهم «من زهد لفراغ القلب من الشغل ، وجعل همه فى طاعة الله تعالى وذكره فكفاه الله عند ذلك ، ومنهم من زهد لخفة الظهر ، وسرعة الممر على الصراط ، إذا حبس أصحاب الأثقال للسؤال ، ومنهم من زهد رغبة فى الجنة واشتياقا إليها .. وأعلى درجات الذين زهدوا فى الدنيا ، هم الذين وافقوا الله تعالى فى محبته ، فكانوا عبيدا عقلاء عن الله ـ عز وجل ـ : أكياسا ، سمعوا الله ـ جل ذكره ـ ذم الدنيا ووضع من قدرها ، ولم يرضها داراً لأوليائه ، فاستحيوا من الله ـ عز وجل ـ أن يراهم راكنين إلى شىء ذمه ولم يرضه . وجعلوا ذلك على أنفسهم فرضا ، لم يبتغوا عليه من الله ـ عز وجل ـ جزاء ولكن وافقوا الله فى محبته كرما منه ـ سبحانه وتعالى ـ فأهل الموافقة ـ لله تعالى فى الأمور : هم أعقل العبيد وأرفعهم عند الله قدراً »[2] .

وكما يقول الطوسى فى اللمع : «من لم يحكم أساسه فى الزهد لم يصح له شىء مما بعده ، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد فى الدنيا رأس كل خير وطاعة »[3] .

والحقيقة أنه يكاد يكون الزهد سمة عامة وملمحاً أساسياً من ملامح التصوف الإنسانى فى كل العصور ، فعن طريق الزهد يستطيع الصوفى أن يسيطر على نوازع نفسه ورغباتها ، كما يمكنه أن يقهر شهواته الدنية ويهزم لذاته الرخيصة .

وقد سئل ابوعبد الله الحارث بن أسد المحاسبى عن الزهد فى الدنيا : أفرض أم نفل ؟ فقال : «فرض الله تعالى على العباد الزهد فى حرامه ، ونفلهم الزهد فى حبس حلاله ، لموضع الفضل ، وأمرهم بالرغبة فيما فيه رغبهم ، وبالزهد فيما فيه زهدهم .

فإذا كان الرجل يحسن التمييز بين الفرض والنفل لم يقدم على الحرام ، ولم يزهد فى الحلال . إلا أن الله تعالى لم يغفل أن يزهد الإنسان فى حلاله »[4] وذلك لفهم المحاسبى جيدا لقول الله تعالى :

---

(1) القشيرى ، الرسالة ، جـ ١ ، ص ٣٦٦ .
(2) الخراز ، أبو سعيد ، الطريق إلى الله أو الصدق ، تحقيق د . عبدالحليم محمود ، نشر دار الإنسان بالقاهرة ، ١٩٧٢ ، من ص ٧٥ إلى ص ٨٠ ، باختصار .
(3) الطوسى ، أبو نصر السراج ، اللمع ، تحقيق : عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى سرور ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ، ط دار الكتب الحديثة بمصر ، والمثنى ببغداد ، ص ٧٢ .
(4) المحاسبى ، المسائل فى الزهد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، مكتبة التراث الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٤ .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

(الأعراف : ٣٢) .

فواجب الإنسان أن لا يحبس ماله الحلال عن الإنفاق فى أوجه الخير المختلفة وفى سبيل الله . . فالإنسان كما يرى المحاسبى إن أعطى الدنيا « لم يمنعه حلول النعمة عن أداء شكرها ، وإن منع لم يمنعه نزول البلية عن النظر إلى موضع الخيرة »[1] أى الاختيار .

ويقول المحاسبى : « لرب مقل قد ظهر الزهد على ظاهر بدنه ، وقلبه مشغول بالرغبة ، فقد استقل كل ما صار إليه من الدنيا ، وإن كان فى العدد كثيرا ، ويستكثر ما بيد غيره ، وإن كان فى العدد قليلا . . أما الزاهد فقد طهر قلبه من الدنيا ، واستراح من ضيق الرغبة ، فعلاه الوقار ، وصار من الراحة إلى ما صار ، فمن علم عاقبة الزهد ، هان عليه فى الابتداء مؤنة الشدة ، ومن خلع الهوى ، جانب عيش الدنيا إذا وزن الأشياء بمعيار العدل »[2] .

وكان الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) سيد التابعين ، زاهدا من كبار الزهاد . تأثر تأثراً بالغا بكلمات الله فى قرآنه المجيد . ويقال إنه كان إذا قرأ الآية الشريفة :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

آل عمران : ١٠٦ .

أخذ فى البكاء بكاء شديدا . وكان يعظ فى مجلسه دائما بذكر قول الله تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾

(الشورى : ٢٠)

إن الزهد الحقيقى عندنا هو ترك كل ما يشغل القلب والعقل عن الله تعالى ، فيكون مع الله فى سائر سكناته وحركاته .

ويفهم بعض الناس خطأ أن الزهد يعنى تجنب المال بالكلية ، إنما الزهد الحقيقى أن يتساوى عندك وجود المال وعدمه ، وألا يشغل قلبك المال وحب الدنيا « فالدنيا لا تذم لذاتها فإنها مزرعة الآخرة ، فمن أخذ منها مراعيا للقوانين الشرعية أعانته على آخرته ، ومن ثمة قيل : لا تركن إلى الدنيا ، فإنها لا تبقى على أحد ، ولا تتركها فإن الآخرة لا تنال إلا بها »[3] .

وليس الزهد خمولا وكسلا وتواكلا ، وإنما هو قوة إيمان ورضا بعطاء الله فى حالة بسطه أو قبضه . وليس الزهد حرمانا من الطعام والشراب ، ولكن الزاهد يهتدى بهدى رسول الله - ﷺ - فى الطعام . يقول رسول الله - ﷺ - : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » [الترمذى] .

وهنا لابد لنا من وقفة ، فلا زهد فيما أحله الله سبحانه وتعالى من طيبات ، فللزاهد أن يأخذ منها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ ، ٣١ .
(٣) المناوى ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، طبع مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ، ١٣٥٦ هـ ، ص ٥٤٥٠ .

دون إسراف ، وليس له أن يحرم نفسه فيضعف جسده مما قد يؤدى إلى عجزه عن السعى على نفسه أو من يعول . والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ (النساء : ٢٩) .

ويقول أيضاً : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥) فلا زهد من ترك مطعم ولا مشرب ، وتاركه قاتل لنفسه ومن يعول ، وهو من أهل النار ، والمقلل منه على وجه يضعف به بدنه ويعجز عن القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعى على نفسه أو على من يعول ، مخالفا لما أمر الله به وأرشد إليه »[1] .

وليس الزهد فى أن يحرم الإنسان نفسه من متعة حلال كالنكاح ورسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « النكاح من سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » [رواه ابن ماجه] .

يقول الإمام أحمد بن حنبل : « ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شىء . . لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا . وقد كان النبى ـ ﷺ ـ يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل ، فمن رغب عن فعل النبى ـ ﷺ ـ فهو على غير الحق »[2] .

إن الزاهد الحقيقى قلبه معلق بربه ولا يتعلق به سواه ، وهذا هو زهد خاصة الخاصة ، فالزهد على مراتب ثلاث كما قال ابن عجيبة : « فزهد العامة : ترك ما فضل عن الحاجة فى كل شىء ، وزهد الخاصة : ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله فى كل حال ، وزهد خاصة الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله فى جميع الأوقات »[3] .

والزهد ليس انهزاما ولا ضعفا ولا سلبية فى الحياة ، وإنما هو قوة روحية عظيمة ، وإيمان صادق ، وما أحوج إنسان هذا العصر الذى يعيش فى مادية محضة أن يتنسم عبق الحياة الروحية ، فيتعرف على الإيثار ، ويلوذ بالإيمان ، ويتدثر بالأخلاق ، وتطمئن نفسه القلقة حين يدرك ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (النجم : ٤٢) .

وإن حياة الزهاد الأوائل قطعة ناصعة من تاريخنا الإسلامى العظيم . فهم كوكبة نيرة أضاءوا الحضارة الإسلامية وصنعوا مجد الإسلام بزهدهم وجهادهم العظيم . إنهم أسماء نابهة أشرقت فى سماء الإسلام لتصنع أمة عظيمة كان أبرز خصائصها إعلاء شأن الروح . لقد صنعوا أسمى العلاقات الإنسانية والسمو الروحى الصادق ، وضربوا أروع المثل الإنسانية العالية ، وارتفعوا بالإنسان على أدران المادية الزائلة . هذه الكوكبة الخالدة العظيمة من الزهاد الأوائل ، منهم أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى ، وأبو هريرة ، والزبير بن العوام ، وأبو الدرداء ، وحذيفة بن اليمان ، ومعاذ بن جبل ، وأبو عبيدة ◆

---

(١) الشوكانى . زبدة التفسير من فتح القدير . اختصار محمد سليمان الأشقر . ط الكويت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
(٢) ابن الجوزى . أبو الفرج . تلبيس إبليس . طبعة المنيرية . ١٣٦٨ هـ . ص ٢٩٤ .
(٣) ابن عجيبة . معراج التشوف إلى حقائق التصوف . مطبعة الاعتدال . ١٣٥٥ هـ . ص ٧ .

ابن الجراح ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ، والأحنف بن قيس ، ووهب بن منبه ، وطاووس بن كيسان ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد بن جبير ، وعطاء بن رباح ، وسعيد بن جبير ، وأويس القرنى ، وسفيان الثورى ، وعاصم بن هبيرة ، والحسن البصرى ، وأبوحنيفة النعمان وأبوسليمان الدارانى ، وسهل التسترى وأحمد بن أبى الحوارى ، وعمر بن عبدالعزيز ، والأوزاعى ، وأبومسلم الخولانى ، والسرى السقطى ، ومعروف الكرخى ، والجنيد ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وإبراهيم بن أدهم ، وعبدالله بن المبارك ، والفضيل بن عياض ، وأبوعثمان الحيرى النيسابورى ، والمحاسبى ، والحكيم الترمذى .. ومئات من الزهاد العظام الذين أثروا الإنسانية بأروع نفحات روحهم الزكية الطاهرة المباركة ، وتركوا لنا تراثا روحيا نابضا بالحياة ، تشهد لهم بأن الزهد لم يكن انهزاما فى الحياة ولا سلبية وخمولا . بل كان ارتفاعا بالإنسان ، وسموقا بالمبادىء والمثل الإنسانية الرفيعة .

ولقد ساعد العصر الذى عاش فيه أبى سعيد ابن الأعرابى على ظهور الزهد كرد فعل لحياة الترف التى عاشها العباسيون فقد ماجت الخلافة الإسلامية ببغداد ببذخ لا حد له وعاش الولاة والخلفاء والأمراء وعمالهم فى بحبوحة من العيش والسرف البالغ . فلقد تدفقت على خزائن الدولة ملايين الدنانير من كل حدب وصوب نتيجة لازدهار التجارة والزراعة آنذاك . فخراسان مثلا كانت تصنع «عشرين ألف ثوب فى السنة ، وطبرستان ونهاوند ستمائة قطعة من الفرش ومائتين من الأكسية ، يضاف إلى هذا ألوف القناطير من الزيت والعسل والتمر من سائر أنحاء المملكة»[1] .

ومن أعلام الصوفية الزهاد فى الإسلام : عبدالله بن المبارك وإبراهيم بن أدهم وأبوسليمان الدارانى .

١ ـ عبدالله بن المبارك

من أبرز زهاد القرن الثانى الهجرى ، عبدالله ابن المبارك [١١٨ ـ ١٨١ هـ] . كان تاجرا صالحا وعالما ورعا ، وكان محبا للترحال طلبا للعلم والتجارة .

وقد تلقى العلم عن كثير من العلماء ، منهم «يحيى بن سعيد الأنصارى ، والأوزاعى ، وروى الموطأ عن مالك بن أنس»[2] . ولم يكن أشد منه حبا لحديث رسول الله ـ ﷺ ـ ، وكان أبوسلمة يقول عنه : ابن المبارك فى الحديث مثل أمير المؤمنين فى الناس»[3] .

فابن المبارك أحد المحدثين الثقات ، وعلم من أعلام الرواية فى الحديث النبوى ، وحافظ من حفاظ وقته للحديث الشريف . ويعد عبد الله بن المبارك ، نموذجا رائعاً للزهاد المجاهدين العظام ، فقد عرف عنه أنه كان يحج عاما ، ويغزو عاما . وقد شارك بنفسه فى غزو الروم ، كما كان ينفث فى

---

(١) ابن خلدون . المقدمة . ص ١٥٧ .

(٢) اليافعى . مرآة الجنان . ص ٣٧٩ .

(٣) البغدادى . تاريخ بغداد . ج ١٠ . ص ١٥٦ .

روع المجاهدين روح القتال ، ويعظهم ويدعوهم للشهادة فى سبيل الله تعالى . وكان يكسب مالا كثيرا من تجارته ينفقه كله فى سبيل الله وعلى فقراء المسلمين وطلبة العلم .

ويؤكد عبدالله بن المبارك على أهمية الاعتكاف عن الناس من وقت لآخر ، فينبغى على المؤمن الصادق أن يقسم وقته بين الخلق وخالقهم ، قيل له مرة : ما دواء القلب ؟ فقال : قلة الملاقاة للناس . وقيل : إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، آنسه بالوحدة ، وأغناه بالقناعة ، وبصره بعيوب نفسه ، فمن أعطى ذلك ، فقد أعطى خير الدنيا والآخرة »[1] .

وكان يرى أن الجهاد من أعظم القربات إلى الله ، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون كما قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ ﴾ (آل عمران : ١٦٩) .

فكان يرفع من شأن الجهاد عن أى عبادة من العبادات .

ومن خلال حياة ابن المبارك يستطيع أى باحث أن يستشف بسهولة كيف كان الرجل إيجابيا فى الحياة ، يعيش فى قلب الحياة ، لا ينفصل عنها ، فقد كان تاجرا ، وكان عالما ، وزاهدا من كبار الزهاد ، وضع كل ثروته فى خدمة العلم ، وطلبته ، وأنفق ماله كله على فقراء المسلمين وذوى الخصاصة والحاجة .

ومن سلوكه العملى الرائد استطاع أن يصحح المقولة الخاطئة حول الزهد فى الإسلام بأنه خمول وسلبية وبعد عن المجتمع ، والجهاد فى سبيل الله . فقد كان يحج عاما ويغزو عاما . ويدعو بسلوكه العظيم إلى فهم الحياة الروحية فى الإسلام فهما صحيحا ، فكان إلى جانب زهده العظيم ، وورعه المعروف ، وكثرة انقطاعه للخلوة والعبادة ، كان يعرق ويعمل بالتجارة . قال له الزاهد الكبير الفضيل بن عياض مرة ، يا ابن المبارك : أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ، ونراك تأتى بالبضائع من بلاد خراسان إلى البيت الحرام وكيف ذاك ؟ فقال : إنما أفعل ذلك لأصون ماء وجهى ، وأكرم به عرضى ، وأستعين به على طاعة ربى . لا أرى لله حقا إلا سارعت إليه حتى أقوم به . فقال الفضيل : يا ابن المبارك ، ما أحسن ذا إن تم ذا »[2] .

ولهذا ليس غريبا أن يقول إسماعيل بن عياش : « ما على وجه الأرض مثل عبدالله بن المبارك »[3] وأن يقول فيه سفيان الثورى . « لو جهدت جهدى أن أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر »[4] .

(١) القشيرى ، الرسالة القشيرية ، ص ٥٥ .
(٢) البغدادى ، تاريخ بغداد ، جـ ١٠ ، ص ١٦٠ .
(٣) مرجع سابق ، جـ ١٠ ، ص ١٥٧ .
(٤) الأصبهانى ، حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ١٦٣ .

٢- إبراهيم بن أدهم

إبراهيم بن أدهم [ت سنة ١٦٢ هـ] ، كان أميرا من أمراء بلخ ، ولكنه شعر أن زخارف الدنيا لا تساوى شيئاً عند الله ، وأن الآخرة هي المقام فزهد في الإمارة والحكم ، وارتحل إلى بلاد الشام ، وعمل بيده في أعمال مختلفة .

وقد سئل ابن أدهم مرة : لم هجرت الناس ؟ فقال : « أمسكت بديني ، وبين صدري ، وبرزت من بلد إلى بلد ، أرض ترفعني ، وأرض تضعني ، أفعل ذلك لعلى أصون ديني من وساوس الشيطان وأمر بإيماني سالما من باب الموت »[١] .

يقول إبراهيم بن أدهم في إحدى مواعظه محذرا من الدنيا ، وداعيا إلى الزهد فيها : « تريدون أن تجاوروا الله في داره ، وتحطوا رحالكم بقربه بين أوليائه وأصفيائه وأهل ولايته ، وأنتم غرقى في بحار الدنيا ، حيارى ترتعون في زهواتها وتتمتعون في لذاتها ، وتتنافسون في غمراتها . فمن جمعها ما تشيمون ومن التنافس فيها ما تملون . كذبتم والله أنفسكم ، وغرتكم ومنتكم الأماني ، وعللتكم بالتواني . . أما تعلمون أنه لا تنال جنته إلا بطاعته ، ولا تنال ولايته إلا بمحبته ، ولا تنال مرضاته إلا بترك معصيته . فإن الله تعالى قد أعد المغفرة للأوابين ، وأعد الجنة للخائفين »[٢] .

وإبراهيم بن أدهم نموذج للزاهد المجاهد ، فقد كان يعمل ويعرق ليأكل ، ومات وهو يغزو في بلاد الروم .

ومن أبرز تلاميذ ابن أدهم شقيق ابن إبراهيم البلخي (ت ١٩٤ هـ) وله كلام طيب في الزهد والزاهدين . قال : « الزاهد هو الذي يقيم زهده بفعله ، والمتزهد هو الذي يقيم زهده بلسانه »[٣] .

٣- أبو سليمان الداراني

أبو سليمان الداراني [ت ٢١٥ هـ] ، أصله من أهل واسط بالعراق ، ولكنه ارتحل إلى بلاد الشام ، واستوطن منطقة « داريا » التي تقع غربي مدينة دمشق وإليها ينتسب .

يقول الداراني عن حقيقة الزهد : « لا يزهد في شهوات هذه الدنيا ، إلا من وضع الله في قلبه نورا يشغله دائما بأمور الآخرة »[٤] .

ويقول محذرا من غرور الدنيا وضرورة الزهد فيها : « من ترك الدنيا للآخرة ربحهما ، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما ، وكل أم يتبعها بنوها ، وبنو الدنيا تسلمهم إلى خزى شديد ، ومقامع من حديد ، وشراب الصديد ، وبنو الآخرة تسلمهم إلى عيش رغد ونعيم ، في ظل ممدود ، وماء مسكوب ، وأنهار تجرى بغير أخدود . . من نظر إلى الدنيا مولية صح عنده غرورها ، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب في قلبه حبها »[٥] .

رحم الله الداراني ، فقد كان مثلا صادقا للزاهد الحق .

---

(١) نيكولسن . في التصوف الإسلامي وتاريخه . تعريب وتعليق : الدكتور أبو العلا عفيفي . ص ٤٨ .
(٢) الأصبهاني . حلية الأولياء . جـ ٨ . ص ٢٤ .
(٣) القشيري . الرسالة . ص ١٦ ، ١٧ .
(٤) فريد الدين العطار . تذكرة الأولياء . جـ ١ . ص ٢٣٢ .
(٥) الأصبهاني . حلية الأولياء . جـ ٩ . ص ٢٧٨ .

الاستغفار

في القرآن الكريم

للأستاذ: محمد عبد العظيم الجوهري

إذا أردنا أن نختار سورة من القرآن الكريم يشيع فيها الاستغفار من أولها إلى آخرها فسوف نجد ذلك في سورة نوح ـ عليه السلام ـ .

ففي أولها : نقرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم (١) قال يا قوم إني لكم نذير مبين (٢) أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون (٣) يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾

(الآيات ـ ١ : ٤) .

وفي وسطها نقرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا (١٠) يرسل السماء عليكم مدرارا (١١) ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾

(الآيات ـ ١٠ : ١٢) .

وفي آخرها نقرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا (٢٨) ﴾

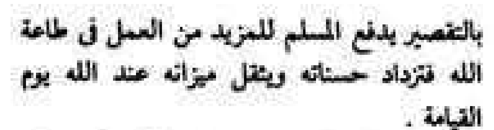
(الآية ـ ٢٨) .

إن سورة نوح عبارة عن صدور أمر من الله إلى نوح بالرسالة وإبلاغها إلى قومه بأنه نذير من الله لكي يعبدوه ويطيعوا رسوله فإذا استجابوا لدعوته بشرهم بغفران ذنوبهم . والسورة تتضمن ـ أيضا ـ تقريرا من نوح عليه السلام ـ بأنه قال لقومه : استغفروا ربكم فهو غفار للذنوب ، ودعاء منه عليه السلام بطلب المغفرة من الله ، له ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات في كل زمان ومكان .

والاستغفار .. يدفع عن النفس الشعور بالكبر والزهو بالنفس ، والعجب بأعماله وكذا بعباداته ، ويورثها الإحساس بالتقصير ، وهذا الإحساس

بالتقصير يدفع المسلم للمزيد من العمل فى طاعة الله فتزداد حسناته ويثقل ميزانه عند الله يوم القيامة .

وتدبر قول الله ـ عز وجل ـ للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد أن فتح الله على المسلمين مكة ودخل الناس بعدها فى دين الله أفواجا :



﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

(سورة النصر) .

فإن حكمة الله بالغة فى هذا التوجيه الوارد فى السورة حتى لايتيه المسلمون عجباً بهذا الفتح وهذا النصر فهو نصر الله ومن الله فلا يتجبرون فى الأرض على من نصرهم الله عليهم دون قتال .

وتدبر أيضا حكمة الاستغفار دبر كل صلاة كما علمنا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى هذا الدعاء المأثور : « أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه » حتى لايعجب المسلم بصلاته وعبادته ويتألى بها على الله كما تألى بعض الأعراب على الله ومنوا على الرسول ـ ﷺ ـ بإسلامهم ، وسجل الله ـ تعالى ـ عليهم ذلك فى كتابه العزيز وأوحى لرسوله بماذا يرد عليهم :

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الآية ١٧ ـ الحجرات) .

ولذلك كان من التوجيهات الأولى من الله لرسوله قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾

(٦/المدثر) .

وقد أوصى الرسول ـ ﷺ ـ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بلزوم الاستغفار فقال فيما رواه عنه ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لايحتسب » رواه أبو داود .

وكان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسوة وقدوة لأصحابه فى ذلك فعندما أوصاهم بأن يكثروا من الاستغفار قال لهم فيما رواه عنه أبو هريرة : « والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخارى .

على الرغم من أن الله ـ تعالى ـ بشره بقوله :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾

(الآية ١ ، ٢ ـ الفتح) .

والاستغفار .. هو دعاء الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين منذ آدم ـ عليه السلام ـ حتى خاتم الأنبياء والمرسلين ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإلى أن تقوم الساعة .

ولنصحب المستغفرين وآيات استغفارهم فى القرآن الكريم .. ونسأل الله أن نكون منهم .

١ ـ استغفار آدم وحواء :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(الآية ٢٣ ـ الأعراف) .

٢ ـ دعاء نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾

(الآية ٢٨ ـ نوح) .

٣ ـ دعاء إبراهيم عليه السلام :

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

(الآية ٤٠ ، ٤١ ـ إبراهيم) .

وكذلك فى ضراعته إلى الله :

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾

(الآيات ٧٨ : ٨٢ ـ الشعراء) .

٤ ـ دعاء موسى ـ عليه السلام ـ :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الآية ١٦ ـ القصص) .

٥ ـ دعاء الملائكة حملة العرش :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾

(الآية ٧ ـ غافر)

٦ ـ دعاء الصالحين ـ رضوان الله عليهم ـ :

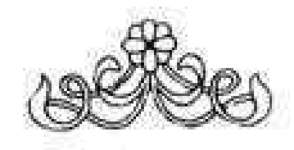
﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(الآية ١٠ ـ الحشر) .

٧ ـ دعاء الاستغفار الذى علمه الله لكل مستغفر : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

(٢٨٦ ـ البقرة) .

٨ ـ دعاء سيد الاستغفار الذى علمه لنا الرسول . . . ـ عليه الصلاة والسلام ـ :
« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ماصنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخارى عن شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ .





والدلالات لعلامات الوقف في المصحف الشريف

للدكتور : جمال عبد العزيز أحمد

فى المصحف الشريف علامات للوقف مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمعانى النحوية ، والمعانى الدلالية ، وكلها يدور حول مراعاة تمام المعنى وصحته ، ودفع اللبس ، والتمييز بين المعانى المتداخلة وجهات الكلام .

وسوف نورد ـ فيما يأتى ـ تعريفاً بكل رمز من رموز الوقف ، ونعقبه بدراسة نحوية لكل منها :

أولا : الوقف اللازم ورمزه « مـ »

وهو الوقف على كلمة لو وصلت بما بعدها لأوهم وصلها معنى غير المراد ، ويكون هذا الوقف فى وسط الآية ، وفى آخرها . وسمى الوقف على هذه المواضع وماشاكلها لازما ؛ للزومه وتحتمه ، من أجل سلامة المعنى ، وحسن التلاوة وإحكام الأداء[1] .

ويأتى هذا الوقف للتمييز بين أشكال الكلام المختلفة ، ولإزالة اللبس بينها ، والفصل بين جهات الكلام ، كالتمييز بين كلام الله ـ عز وجل ـ وكلام الكفار ، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (البقرة : ٢٦) .

فالوقف اللازم على « مثلا » ليفصل بين كلام الكفار ، وكلام الله ـ عز وجل ـ ، وتكون جملة

---

(١) شرح طيبة النشر فى القراءات العشر لأبى القاسم النويرى ١/ ٢٣٤ .

« يضل به كثيراً » جملة مستأنفة . ولو وصل الكلام لكانت صفة لـ « مثلاً » ، ولأفادت أنه من كلام الكفار ، وهو غير صحيح[2] .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾

(المائدة : ٧٣) .

فالوقف اللازم على « ثلاثة » يميز بين قول النصارى القائلين بالتثليث ، وقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ رداً لقولهم ، ولو وصل الكلام لأوهم أن يكون ذلك من كلامهم ، فيؤدى إلى التناقض ، والواو على الوقف اللازم تشعر بالاستدراك ؛ لأن ما بعدها عكس حكم ما قبلها .

● ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

(سورة الأنعام : ١٢٤) .

فالوقف اللازم على « رسل الله » يفصل بين كلامين : كلام الكافرين (كفار قريش) ، وكلام الله ـ عز وجل ـ ، وجملة « الله أعلم حيث يجعل رسالته » تعد ابتدائية ، ولو وصل الكلام لكان هذا من تتمة قولهم ، فيؤدى إلى فساد المعنى ، وهو الجمع بين ما يدل على الكفر ، وما يدل على الإيمان .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(سورة يونس : ٦٥) .

فالوقف اللازم على « قولهم » يدفع إيهام أن ما بعده من قولهم ، وإنما الصحيح أنه من قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، وعليه فجملة إن العزة لله جميعاً ابتدائية ، ولو وصل الكلام لكانت الجملة فى محل نصب مفعول به للقول ، فيترتب عليه الجمع بين متناقضين وهما الكفر والإيمان[3] .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (سورة آل عمران : ٧) .

فالوقف اللازم على لفظ الجلالة « الله » يمنع وهم ـ أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويله ، وهو رأى الجمهور[4] ، وعليه فالواو استئنافية ؛ « الراسخون » مبتدأ ، مخبر عنه بـ « يقولون » ، وعلى الوصل تكون الواو عاطفة ، و « الراسخون » معطوفاً على لفظ الجلالة ، وجملة « يقولون » حالاً منهم ، وقد ذهب إلى هذا قلة من أهل العلم[5] .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (سورة المائدة : ٥) .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

---

(٢) الفريد فى إعراب القرآن المجيد ١/٢٥٩ ، والبيان فى غريب إعراب القرآن ١/٤٤ .

(٣) انظر البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١/٣٤٥ ، ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

(٤) البحر المحيط ٢/٣٨٤ ، والكشاف ١/٤١٢ ، ومعانى الفراء ١/١٩١ ، والقطع لابن النحاس ٢١ ـ ٢١٢ ، والطبرى ٣/١٢٢

(٥) منهم محمد بن جعفر بن الزبير والربيع بن أنس وعلى بن سليمان : انظر القطع ٢٢٥ ، والطبرى ٣/١٢٢ والبرهان ١/٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، وتفسير مجاهد ١/١٢٢ .

فالوقف اللازم ـ فى بعض طبعات المصحف ـ يمنع اللبس الواقع من عطف « المحصنات » على « طعامكم » لأنه يؤدى إلى مخالفة الحكم الشرعى ، وهو تحليل المحصنات من المؤمنات لأهل الكتاب ، ولكن الوقف يجعل الجملة مستأنفة ، ويكون خبر « والمحصنات » محذوفاً تقديره « حل لكم كذلك إذ آتيتموهن أجورهن . . » أو يكون قوله : « والمحصنات » معطوفاً على قوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ، وتكون جملة « وطعامكم حل لهم » مقحمة بين المتعاطفين وقيل : « المحصنات » معطوف على « الطيبات » ، فهو من عطف المفردات ، من عطف الخاص على العام ، وهو وجه حسن أيضاً[6] .

● ومن الوقف اللازم أيضاً واللبس فيه واقع فى حرف مثل الواو ، فلا يتميز كونها استئنافية أو عاطفة إلا به قوله ـ تعالى ـ :

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (سورة البقرة : ٢١٢) .

فاللبس واقع فى الواو ، حيث يتطرق إلى القارىء وهم أنها عاطفة إذا وصلها ، ويؤدى إلى فساد المعنى بتقييد سخرية الكافرين من الذين آمنوا والذين اتقوا بالحال « فوقهم » وبالظرف « يوم القيامة » ، وليس هذا هو المراد ، بل المراد أنهم يسخرون منهم فى الحياة الدنيا ، وأن الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، فالوقف اللازم على « الذين آمنوا » يترتب عليه أن تكون الواو استئنافية لا عاطفة[7] .

● وقد يكون الوقف اللازم لإزالة اللبس ، ودفع الوهم الحاصل فى موقع الجملة ، ففى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

(سورة النساء : ١٧١) .

الوقف اللازم على « ولد » يمنع إيهام أن الولد الذى نزه عنه ـ عز وجل ـ موصوف بأن له ما فى السموات وما فى الأرض ، ويثبت أن هذه الصفة لله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده ، والجملة على هذا استئنافية لا محل لها من الإعراب ، ولو وصل الكلام لكانت الجملة فى محل رفع لـ « ولد » ، ويؤول هذا إلى اختلال المعنى ، ووقوع اللبس ، وإثبات ولد ليس له ما فى السموات وما فى الأرض[8] .

● وقد يكون الوقف اللازم اللبس الحاصل فى الفاعل ، فمن ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(سورة العنكبوت : ٢٦) .

فالوقف اللازم على « لوط » يزيل اللبس فى الفاعل بين « آمن » و « قال » ، فيجعل لكل فعل فاعلاً مستقلا ، فالذى « آمن » هو « لوط » ، والذى قال : « إنى مهاجر إلى ربى » هو إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، والوصل يوهم أن الفاعل

---

(٦) التبيان للعكبرى ٤٢٠/١ .
(٧) البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات بن الأنبارى ١٤٩/١ .
(٨) انظر منار الهدى للأشمونى ١١٣ ، والقطع ٢٧٩ .

واحد ، وخاصة أن الفاعل فى قال ضمير مستتر ، والأصل أن « الضمير يعود على أقرب مذكور » .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ﴾ (سورة الأنعام : ٣٦) .

فالوقف اللازم على « يسمعون » يدفع وهم أن الواو بعده عاطفة ، لأن هذا يؤدى إلى التناقض وهو التسوية بين الأحياء والموتى فى الاستجابة ، أما الوقف فيجعل الواو استئنافية ، ويكون « الموتى » مبتدأ مخبرا عنه بقوله : « يبعثهم الله » ، وهو المراد(٩) .

● وقد يكون اللبس فى التركيب واقعا فى صيغة الفعل ، فيختلط على القارىء كونه للأمر أو للمضارع ، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (سورة المائدة : ٢) .

فالوقف على « تعتدوا » يدفع إيهام عطف فعل الأمر « تعاونوا » على المضارع « تعتدوا » ، بل هو معطوف على النهى المتقدم فى صدر الآية .

● وقد يكون اللبس واقعا فى الجملة بين كونها صفة ، وكونها استئنافية ، كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾ (سورة هود : ٢٠) .

فالوقف اللازم على « أولياء » يمنع إيهام أن جملة « يضاعف لهم العذاب » صفة لقوله : « أولياء » ، ويفيد نفى الأولياء مطلقاً ، وأن جملة « يضاعف لهم العذاب » استئنافية مستقلة عما قبلها .

وهكذا يتبين أن الوقف اللازم يميز بين المعانى الملتبسة ، والصور المتداخلة ، كما أنه يحقق سلامة المعنى وحسن الأداء ، وهو مرتبط فى كل ذلك بالمعانى النحوية ، والتوجيهات الإعرابية .

ثانياً : الوقف الممتنع أو القبيح ، ورمزه « لا » .

ويعنى الوقف الذى لا يفهم السامع منه معنى ، ولا يستفيد منه فائدة يحسن سكوته عليها لشدة تعلقه بما بعده من جهتى اللفظ والمعنى معاً .

ويلاحظ أن هذا الرمز « لا » يأتى غالباً فى المواضع التى تكون فيها الجمل مكتملة الأركان من حيث الظاهر ، ولكنها ليست فى الحقيقة مستقلة فى المعنى ، وإنما متعلقة بما بعدها ، ومن ثم يأتى هذا الوقف لمنع الفصل بين القسم وجوابه ـ مثلاً ـ كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾ (سورة البقرة : ١٤٥) .

فلا يجوز الوقف على « العلم » ، لأنه يؤدى إلى الفصل بين القسم وجوابه ، فهذا من نوع الوقف القبيح ، وإنما نص العلماء على هذه الكلمة دون غيرها ؛ لأن القارىء قد يستسيغ الوقف هنا لطول

(٩) انظر : شرح طيبة النشر ٣٣١/١ ، ومنار الهدى ١٣٠ ، والقطع ٣٠٤ ، والبرهان ٣٥٢/١ ، والفريد ١٤٤/٢ ، والبيان ٣٢٠/١ .

التركيب ، أو لاستيفاء الجملة الصغرى أركانها النحوية ، فيأتى هذا الرمز بمثابة التنبيه له إلى مراعاة عدم الوقف .

● ومنه قوله - تعالى - :

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾

(سورة المائدة : ٥٣) .

فلا يجوز الوقف على « أيمانهم » لمجىء جواب القسم بعده ، وإنما كان الرمز على هذه الكلمة بالذات لأن التركيب قد طال عندها مما يشعر القارىء للوهلة الأولى أن الكلام قد تم ، فيأتى هذا الرمز تنبيها له إلى عدم تمامه .

● ومنه قوله - تعالى - :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾

(سورة النحل : ٣٨) .

فالرمز « لا » على « أيمانهم » ينبه القارىء إلى مجىء الجواب بعده .

● وقد يكون الرمز « لا » موضوعاً لمنع الفصل بين الصفة والموصوف ، كما فى قوله - تعالى - :

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ (سورة الأعراف : ١٦٤) .

فإن الرمز « لا » يشير إلى منع الوقف على « قوماً » لئلا يفصل بين الصفة وهى جملة « الله مهلكهم » والموصوف وهو « قوماً » ، ولأن ذلك يؤدى إلى فساد المعنى ، وهو أنهم عوتبوا لأنهم يعظون قوما ، وليس هذا هو المراد ، بل المراد أنهم عوتبوا لأنهم وعظوا قوماً لارجاء منهم .

● وقد يكون الرمز « لا » موضوعاً لمنع الفصل بين المبتدأ والخبر كما فى قوله - تعالى - :

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(سورة الأعراف : ١٥٧) .

فالرمز « لا » موضوع عند « معه » ، وذلك لأنه مظنة الوقف ، نظرا لطول التركيب ، وهو أمر غير جائز لمجىء خبر المبتدأ بعده ، وهو « أولئك » .

● وقد يوضع الرمز « لا » لمنع الفصل بين الحال وصاحبها ، كما فى قوله - تعالى - :

﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة النحل : ٧٦) .

فإن الرمز « لا » يشير إلى منع الوقف على « بالعدل » لئلا يترتب عليه الفصل بين الحال وصاحبها ، وهو « من يأمر بالعدل » ولأنه به تتم المعادلة أو التسوية بين الرجلين ، فالأبكم لا يقدر على شىء ، وهو كَلٌّ على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير ، والآخر يأمر بالعدل ، وهو على صراط مستقيم ، فقد أسند إلى الرجل الأول وصفان : أنه لا يقدر على شىء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، وأسند إلى الرجل الثانى وصفان مقابلان للسابقين وهما : أنه يأمر بالعدل ، وهذه تقابل وصف الأبكم بأنه لا يقدر على شىء ، والثانى أنه على صراط مستقيم ، وهى تقابل وصف الأبكم بأنه كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، أى أنه مشتت غير مستقيم .

● أو يكون عدم الوقف لمنع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه كما فى قوله - تعالى - :

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۞ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ (سورة الأنفال :٥٢ و ٥٤) .

فالرمز « لا » على « فرعون » يشير إلى منع الفصل بين المعطوف وهو « الذين من قبلهم » والمعطوف عليه ، وهو « آل فرعون » حتى يتوجه الإخبار بالفعل « كفروا » إليهم جميعاً ، أما الوقف على « فرعون » فيفيد توجه هذا الإخبار إلى « الذين من قبلهم » فقط .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(سورة الأنفال : ٥٣) .

فالرمز «لا» على « بأنفسهم » يشير إلى منع الفصل بين المعطوف وهو « أن الله سميع عليم » ، والمعطوف عليه ، وهو « أن الله لم يك مغيراً نعمة .. » ، وهو أيضاً يشعر بتمام الكلام ، لأن الجملة عنده قد طالت ، وتم معناها إلا أن لها تعلقا بما بعدها ، فلذلك حسن الوصل ولم يحسن الابتداء بما بعده ، لأن « أن » المفتوحة لا تأتى فى أول الكلام .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾ (سورة المائدة : ١٠٦) .

فالوقف الممنوع عند « قربى » ، وهو يشير إلى منع الفصل بين المعطوف عليه ، وهو « لا نشترى به ثمناً » ، والمعطوف وهو « نكتم شهادة الله » ؛ وإنما احتيج إلى التنبيه على ذلك لإقحام الجملة الشرطية بينها ، وهى « إن ارتبتم لا نشترى به ثمناً .. » .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾

(سورة التوبة : ٣) .

فالرمز « لا » على « المشركين » يشير إلى منع الفصل بين المعطوف عليه وهو الضمير المستتر فى « برىء » ، أو محل « أن » واسمها من جهة ، والمعطوف وهو « رسوله » من جهة أخرى ، أما الوقف فإنه يؤدى إلى أن يكون المبتدأ « رسوله » خالياً عن الخبر[١٠] .

● وقد يكون لمنع الفصل بين البدل والمبدل منه ، كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ (سورة التوبة : ٢٥) .

فالرمز « لا » على « حنين » يشير إلى منع الفصل بين البدل « إذ » ، والمبدل منه وهو « يوم حنين » ، وذلك لأنها مترابطان فى المعنى ، أما الوقف فإنه لا يفيد سبب تخصيص « يوم حنين » بالنصر ، إنما تأتى هذه الفائدة من مجىء البدل بعده ووصل الكلام[١١] .

● أو لمنع الفصل بين الفعل وفاعله ، ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾

(سورة الأنفال : ٥٠) .

فالرمز « لا » يشير إلى منع الوقف لئلا يفصل

---

(١٠) وقد ذهب إلى هذا بعضهم ، وهو ضعيف . (منار الهدى ١٦٢ ، والقطع ٣٥٨ ـ ٣٥٩) .

(١١) ولذلك كسرت « إن » . (التبيان فى إعراب القرآن ٢/٦٦٥)

بين الفعل وفاعله ، ولو ابتدىء بالملائكة لعاد الضمير من « وجوههم وأدبارهم » على غير عائد فالكلام متصل بما قبله .

● أو يكون لمنع الفصل بين الفعل والمفعول به ، كما في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(سورة النور : ٦) .

فالرمز « لا » على « بالله » يشير إلى منع الفصل بين جملة « إنه لمن الصادقين » ، وعاملها وهو « شهادات » أو « شهادة » ؛ لأنها مفعول لـ « شهادات » علق عنه باللام في الخبرة[١٣] . ومثله قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

(سورة النور : ٩) .

ويكون كذلك لمنع الفصل بين المستدرك والمستدرك عليه ، ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾

(سورة الأنفال : ٤٢) .

فالرمز على « الميعاد » لمنع الفصل بين جملة « ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً » ، وبين ما استدرك به عليه ، وهو قوله : « ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد » ، فهو من تتمة الكلام .

● وهكذا يتضح أن علماء الوقف قد وضعوا هذا الرمز لتأكيد اتصال الكلام بعضه ببعض ، وخاصة في المواضع التي يتوهم أن الكلام قد تم عندها ، أو يسوغ الوقف فيها لطول التركيب أو لضيق النفس ونحو ذلك .

ثالثاً : الوقف الجائز ورمزه « ج »

وهو علامة للوقف الجائز جوازاً مستوى الطرفين ، ويلاحظ أن موضع الوقف عند هذا الرمز يكون محتملاً للوقف والوصل على السواء ؛ وذلك لأن التعلق النحوي فيه يكون متوسطاً من جهة اللفظ والمعنى بما بعده ، فليس هذا بالتعلق القوى لفظاً بحيث يكون الوصل أولى ، فإن هذا هو محل الوقف الجائز مع كون الوصل أولى ، والذي يرمز له بالرمز « صلى » ، ولا هو بالتعلق الضعيف بحيث يكون الوقف أولى ، وهو الذي يرمز له بالرمز « قلى » .

وحين نتتبع مواضع هذا الرمز نجد أن الجمل التي تأتي بعده تكون مستقلة عما قبلها استقلالاً نحوياً لفظاً ومعنى ، ولكن بينها وبين ما قبلها تعلق من جهة المعنى العام ، كما نرى في الآيات الآتية :

● قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(سورة البقرة : ١١٥) .

ففي هذه الآية نجد أن جملة « ولله المشرق والمغرب » تامة نحويا ، والجملة التي بعدها مستقلة عنها ، والفاء استئنافية فيها ، لكنها من جهة المعنى العام مرتبطة بها ؛ لأنه إذا كان لله

المشرق والمغرب فيستوى حينئذ أن يتوجه الإنسان إلى أى جهة منها ، وكذلك قوله ـ تعالى ـ : « فثم وجه الله » . جملة اسمية مكتملة نحويا بمبتدئها وخبرها ، والجملة التى بعدها مستقلة عنها نحواً ودلالة ، لكنها تأتى بمثابة التوضيح لما قبلها ، أو إضافة معنى جديد يتعلق بالمضمون العام لسياق الآيات .

● وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(سورة الأنعام : ١٥٩) .

نجد أن جملة « إنما أمرهم إلى الله » جملة ابتدائية ، ولذلك بدأت بـ « إن » المكسورة الهمزة ، والجملة التى قبلها مستقلة عنها نحواً ، لكنهما متصلتان من جهة المعنى العام .

● وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(سورة الأنعام : ١٦٤) .

فالوقفات هنا عند جمل تامة نحواً ودلالة ، ولكنها مرتبطة بما بعدها من حيث المعنى العام ، وقد تبدأ بعد هذا الرمز (ج) « بواو ، وفاء ، وثم » ، ولكنها من قبيل عطف الجمل أو الاستئناف .

● وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾

(سورة الكهف : ١٨) .

فالواو فى « ونقلبهم » تحتمل أن تكون استئنافية ، وأن تكون عاطفة .

● وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾

(سورة الكهف : ٢٣ ـ ٢٤) .

فالواو فى « واذكر » تحتمل العطف والاستئناف ، فالعطف يقتضى الوصل ، والاستئناف يقتضى القطع .

● وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾

(سورة الكهف : ٣٣) .

فالواو فى « وفجرنا » محتملة للعطف والاستئناف .

● ومن ذلك قوله تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾

(سورة البقرة : ٤٩) .

وذلك أن جملة « يذبحون » يحتمل فيها أن تكون فى محل نصب حال من فاعل « يسومونكم » ، وأن تكون استئنافية لا موضع لها من الإعراب ، وقعت جواباً عن سؤال نشأ من جملة « يسومونكم » ، ولا مرجع لأحد هذين الوجهين على الآخر ، بل هما سواء .

● ومن أمثلة أيضاً الوقف على كلمة « حسيبها »

من قوله - تعالى - :

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾

(سورة الأنبياء : ١٠٢) .

لأن جملة « وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون » يحتمل أن تكون فى محل نصب على الحال من فاعل « يسمعون » ، وأن تكون استئنافية لا موضع لها من الإعراب .

● وكذلك قوله - تعالى - :

﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة : ٢٨٠) .

ويلاحظ أن الانقطاع بين الجمل فى الوقف الجائز يكون على درجة أقل من الوقوف السابقة كالوقف اللازم والكافى ، ويكون الاتصال فيه أقوى من غيره من الوقوف .

● وقد تكون الصلة بين ما بعده وما قبله صلة خبر بمخبر عنه أو حال بصاحبها ، أو معطوف بمعطوف عليه ، أو جواباً لقسم أو سؤال ، أو بقية كلام أو قصة .

فمثال ما يكون خبراً قوله - تعالى - :

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾

(سورة الكهف : ٢٦) .

فجملة « له غيب السموات والأرض » خبر للفظ الجلالة ثانٍ فى محل رفع .

● وكذلك قوله - تعالى - :

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾ (سورة الكهف : ٥٨) .

فجملة « لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب » خبر ثالث لـ « ربك » .

● ولكن ينبغى التنبيه إلى أن جملة الخبر فى مثل هذا الوقف لا تكون خبراً أول ؛ لأن الخبر الأول يكون شديد الاتصال بالمخبر عنه ، فلا يحسن الوقف قبله .

● ومثال الحال قوله - تعالى - :

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ﴾

(سورة الكهف : ١٨) .

فجملة « وكلبهم باسط ... » حال من الضمير « نقلبهم » ولذلك حسن الوصل ، كما يمكن أن تكون جملة مستأنفة فيجوز الوقف .

● ومثال الجملة المعطوفة على ما قبلها قوله - تعالى - :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾

(سورة الكهف : ٢٨) .

هنا نجد أن الوقف موجود عند موضع العطف ، والعطف يقتضى المشاركة .

● ومنه أيضاً قوله - تعالى - :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(سورة الكهف : ٤٦) .

فالوقف الحسن هنا كائن قبل حرف العطف لاكتمال أركان الجملة نحويا غير أن الواو بعدها عاطفة والجملة بعدها معطوفة على ما قبلها ومن ثم حسن الوصل كذلك .

● ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾

(سورة الكهف : ٥٦) .

فجملة « واتخذوا » معطوفة على ما قبلها ، ومتفقة معها فى الخبرية .

● ومثال جواب القسم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾

(سورة الكهف : ١٤) .

فجملة « لقد قلنا . . . » هو جواب قسم محذوف ، والتقدير : « والله لقد قلنا إذاً شططاً » ، وهى متصلة فى المعنى بما قبلها ؛ لأنها بمثابة الرد على ما يفهم من سياق الكلام السابق ، كأنهم قالوا : لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططاً ، فلأجل هذه الصلة كان الوقف على « إلها » حسنا ، وكان وصل بما بعده أولى .

● ومثال جواب السؤال قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾

(سورة الكهف : ٨٣) .

فلأجل الصلة بين السؤال والجواب كان الوصل أولى .

● ومثال كون ما بعد هذا الوقف من بقية كلام سابق أو بقية قصة سابقة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾

(سورة الكهف : ٢٢) .

فجملة « ويقولون سبعة » هى من تتمة كلامهم .

● وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾

(سورة الكهف : ٩٨) .

فجملة « فإذا جاء . . . » هى من تتمة كلام ذى القرنين ، ولذلك كان الوصل أولى ، فنجد أن هذا النوع من الوقف يأتى بين الجمل التى لها صلة بما قبلها فى الوقت الذى يكون ما قبلها مكتفياً بنفسه من حيث المعنى .

● والحاصل أن هذا الوقف يأتى فى المواضع التى يكون ما قبلها متعلقاً بما بعدها لفظياً ومعنويا إلا أن التعلق اللفظى ليس بين الأركان النحوية الأساسية ، وإنما بين الجمل ومكملاتها ، أو التوابع ومتبوعاتها ، أو الجمل التى تحتاج إلى توضيح أو تفسير أو تعليل ، وأكثر ما يكون ذلك فى أثناء الآيات وخاصة المدنية منها .

يتبع



للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

لما بايع أهل الشورى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ خرج وهو أشدهم كآبة ، فأتى منبر النبى ـ ﷺ ـ فخطب الناس فحمد الله ، وأثنى عليه وصلى على النبى ـ ﷺ ـ وقال : (1) « إنكم فى دار قلعة وفى بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (فاطر : ٥) .

واعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولاتغفلوا فإنه لايغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ، ومتعوا بها طويلا ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب لها مثلا بالذى هو خير ، فقال تعالى :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(الكهف : ٤٥ ، ٤٦) .

(1) ابن كثير ـ البداية والنهاية ٧/١٦١ ، ١٦٢ .

أوامر الخليفة إلى القادة والرعية :

ثم عكف عثمان على رسم السياسة العامة للدولة فضمنها خمسة كتب تحدد ملامح هذه السياسة وأبعادها وأهدافها : (١)

كتب عثمان إلى عماله :

« أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ، ولم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ، ولايكونوا رعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم ، فتعطوهم مالهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدو الذى تنتابون ، فاستفتحوا عليهم بالوفاء » .

وكتب إلى أمراء الأجناد :

« أما بعد فإنكم حماة المسلمين وذادتهم ، وقد وضع لكم عمر مالم يغب عنا ، بل كان على ملأ منا ، ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ، ولاتبديل ، فيغير الله مابكم ، ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون ، فإنى أنظر فيما أكرمنى الله النظر فيه والقيام عليه .

وكتب إلى العمال على الخراج :

« أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق ، فلا يقبل إلا الحق ، خذوا الحق وأعطوا الحق به ، والأمانة الأمانة قوموا عليها ، ولاتكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم ، والوفاء الوفاء ، لاتظلموا اليتيم ، ولا المعاهد ، فإن الله خصم لمن ظلمهم » .

وكتب إلى عامة الرعية :

« أما بعد فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاثة فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فإن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : الكفر فى العجمة ، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا » .

وكتب إلى أهل الأمصار :

« أما بعد فإنى آخذ العمال لموافاتى فى كل موسم ، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلا يرفع على شىء ولا على أحد من عمالى إلا أعطيته ، وليس لى ولعيالى حق قبل الرعية إلا متروك لهم ، وقد رفع إلىّ أهل المدينة أن أقواما يشتمون ، وآخرين يضربون ، فيا من ضُرب وشُتم سرا ، ومن ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم ، فليأخذ بحقه حيث كان منى أو من عمالى أو تصدقوا فإن الله يجزى المتصدقين » .

وكان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قد أوصى أن تقر عماله سنة ، فلما ولى عثمان أقر العمال على أعمالهم سنة (٢) .

وكان العمال على الأمصار :

فى مكة : نافع بن عبد الحارث الخزاعى .

فى الطائف : سفيان بن عبد الله الثقفى .

(١) انظر الطبرى جـ ٥ أحداث عام ٢٣ هـ ، ٢٤ هـ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٦٣/٧ .
(٢) البداية والنهاية ١٦٣/٧ .

في صنعاء : يعلى بن منبه حليف بني نوفل بن عبد مناف .
في جند : عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي .
في الكوفة : المغيرة بن شعبة الثقفي .
في البصرة : أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري .
في الشام : معاوية بن أبي سفيان الأموي .
في حمص : عمير بن سعد .
في مصر : عمرو بن العاص السهمي .
في البحرين : عثمان بن أبي العاص الثقفي .

سعد بن أبي وقاص :

كان المغيرة بن شعبة هو أول عامل لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يعزله عثمان بن عفان وكان واليا على البصرة ، حيث استعمل الخليفة بدلا منه سعد بن أبي وقاص الذي كان بدوره أول عامل يعينه عثمان في خلافته ، وكان ذلك عام ٢٤ هـ ، وكان عمر بن الخطاب قد قال في وصيته : « فإن أصابت الإمرة سعدا فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ولي ، فإني لم أعزله عن عجز ولاخيانة » فاستعمله عثمان سنة وبعض أخرى [1] ثم عزله ، وكان سبب العزل أن سعدا اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال ، فلما تقاضاه ابن مسعود ولم يتيسر قضاؤه تقاولا ، وجرت بينهما خصومة شديدة فغضب عليهما عثمان فعزل سعدا ، واستعمل بدلا منه ، الوليد بن عقبة [2] .

قادة الفتوحات في المشرق[3] :

حبيب بن مسلمة الفهري :

وفي خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ نقضت أرمينيا عهدها مع المسلمين ، مستغلة قلة عدد ما بها من جند المسلمين فكتب عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان والي الشام والجزيرة وثغورها يأمره بإعادة إخضاع أرمينيا ، فأنفذ معاوية جيشا قوامه ستة آلاف يقودهم حبيب بن مسلمة الفهري الذي سار بالجيش حتى وصل إلى أولى مدن أرمينيا (قاليقلا) سنة ٢٦ هـ فضرب عليها الحصار حتى اضطر أهلها إلى طلب الصلح على أن يؤدوا الجزية فأمنهم حبيب بن مسلمة وأجابهم إلى الصلح .

ثم علم حبيب أن (موريان) بطريق أرمينيا قد جمع جموعا عظيمة ، فكتب إلى عثمان يسأله المدد ، فكتب عثمان إلى معاوية الذي وجه ألفي رجل إلى حبيب .

وكتب عثمان أيضا إلى سعيد بن العاص أمير الكوفة يأمره بأن يمد حبيب بن مسلمة بجيش عليه سلمان بن ربيعة الباهلي الذي خرج على رأس ستة آلاف من جند الكوفة .

أما حبيب بن مسلمة فلم ينتظر وصول المدد حيث هاجم بمن معه جموع الروم بغتة فاجتاحهم وقتل قائدهم (موريان) .

سلمان بن ربيعة الباهلي :

كان الخليفة قد أرسله على رأس جيش لنجدة حبيب بن مسلمة في (قاليقلا) فوصلها ليجد حبيبا قد ظفر بها فأراد أن يؤمر نفسه عليه ومن معه ، فرفض حبيب ذلك فافترقا على أن يواصلا الفتح حبيب في غرب أرمينيا ، وسلمان في شرقها .

سار سلمان إلى إقليم (أرّان) ففتح (البيلقان) صلحا بعدما قبل أهلها بدفع الجزية ثم استولى على (ثوثر) بعد أن صالحه أهلها كذلك على الجزية ثم وجه خيله إلى سائر أنحاء الإقليم ،

---

(١) ابن كثير . البداية والنهاية ١٦٣/٧ .
(٢) البداية والنهاية ١٦٥/٧ .
(٣) البلاذري . فتوح البلدان : ٤٣٢ : ٤١٠ . ابن كثير . البداية والنهاية ١٦٣/٧ . ١٦٤ .

وكتب إلى أكراد (البوسنجان) إلى الإسلام فقاتلوه أول الأمر ثم أقروا بعد ذلك بالجزية بعدما ظفر بهم سلمان .

أما حبيب فقد سار من (قاليقلا) قاصدا (خلاط) أحد أشهر مدن أرمينيا فأتاه بطريقها بكتاب عياض بن غنم الذى كان قد أمنه وقومه على نفسه وماله وبلاده لقاء الجزية زمن الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فأقره حبيب على ما فى كتابه ولم يقبل منه ما قدمه له من مال وهدايا ، ثم واصل السير فى بلاد غرب أرمينية بجيوشه المظفرة فاضطر الجميع لطلب الصلح ، فقد أتاه بطريق (دبيل) فصالحه عنها وكتب له :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة الفهرى لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها ، شاهدهم وغائبهم ، أنى أمنتكم على أنفسكم وأموالكم ، وكنائسكم وبيعكم ، وسور مدينتكم ، فأنتم آمنون ، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم وأديتم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيدا » .

وأتاه رسول بطريق (جرزان) حاملا الهدايا طالبا الصلح فأجابه إليه حبيب ، وكتب له : « أما بعد : فإن نقل رسولكم قدم على وعلى الذين معى من المؤمنين ، فذكر عنكم أننا أمة أكرمنا الله وفضلنا ، وكذلك فعل الله ، وله الحمد كثيرا وصلى الله على محمد نبيه،خيرته من خلقه وعليه السلام ، وذكرتم أنكم أحببتم سلمنا ، وقد قومت هديتكم وحسبتها فى جزيتكم وكتبت لكم أمانا واشترطت فيه شروطا فإن قبلتم ووفيتم به وإلا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، والسلام على من اتبع الهدى » .

وطلب الصلح كذلك أهل (تفليس)فأجابهم حبيب وكتب لهم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل (تفليس) من (منجليس) من (حرزان القرمز) بالأمان على أنفسهم ، وبيعهم ، وصوامعهم ، وصلواتهم ، ودينهم على إقرار بالصغار ، والجزية على أهل كل بيت دينار ، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوت تخفيفا للجزية ، ولا لنا أن نفرقهم استكثارا منها ، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله ـ ﷺ ـ وقرى المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب ، وإن انقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه إلى أدنى فئة من المسلمين إلا أن يحال دونهم ، وإن أنبتم وأقمتم الصلاة فإخواننا فى الدين ، وإلا فالجزية عليكم ، وإن عرض المسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم ، هذا لكم ، وهذا عليكم ، شهد الله وكفى بالله شهيدا »

وواصل حبيب بن مسلمة إخضاع أرمينية حتى بلاد القوقاز شمالى أرمينيا فوقف محاذيا لجيش سلمان الذى كان قد توقف عند بحر الخزر .

عبدالله بن عامر قائد فتوح فارس [1] :

وحدث أن انتقضت آمد وبلاد الأكراد وخلعت عصا الطاعة ، فعزم والى البصرة أبوموسى الأشعرى على الخروج إليهم ولكن أهل البصرة كانوا قد تألبوا عليه ، وسار وفد منهم إلى الخليفة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنهم ـ وطلبوا عزله من الولاية عليهم ، فعزله عثمان ، وولى مكانه

(١) الطبرى . تاريخ الأمم والملوك . أحداث ٣١ هـ .

عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة القرشى ابن خاله وكان ابن خمس وعشرين سنة ، وجمع له جند أبي موسى ، وجند عثمان بن أبي العاص من عمان والبحرين ، فصرف عبيد الله بن معمر عن خراسان وبعثه إلى فارس ، وولى على خراسان مكانه عمير بن عثمان بن سعد فأثخن فيها حتى بلغ فرغانة ولم يدع كورة إلا أصلحها ، ثم ولى عليها في السنة الثالثة أمين بن أحمر اليشكرى ، وعلى كرمان عبد الرحمن بن عبيس ، واستعمل على سجستان عبد الله بن عمير الليثى فأثخن فيها إلى كابل ثم عمران بن الفضيل البرجمى ، وعلى مكران عبيد الله بن معمر ، فأثخن فيها حتى بلغ النهر .

وثار أهل فارس على عبيد الله بن معمر ، الذى خرج إليهم والتقى بهم عند اصطخر فهزم وقتل ، فلما بلغ الخبر عبد الله بن عامر استنفر أهل البصرة وسار بهم إلى فارس على مقدمته عثمان بن أبي العاص ، وعلى مجنبتيه أبو برزة الأسلمى ومعقل بن يسار ، وعلى الخيل عمران بن حصين وأوقع الهزيمة بجموع الفرس في (اصطخر) فهزمهم شر هزيمة ودخل المدينة عنوة ، ثم سار إلى (دار أبجرد) ثم إلى (جور) وكان يحاصرها هرم بن حيان فما أن وصلها ابن عامر حتى سقطت ، ثم علم بأن (اصطخر) خلعت عصا الطاعة ثانية فسار إليها وضرب عليها الحصار ورماها بالمنجنيق وافتتحها عنوة وأذل أهلها إذلالا شديدا ، وكتب إلى عثمان بن عفان يعلمهُ بالنصر ، فكتب إليه عثمان بأن يستعمل على بلاد فارس هرم بن حسان اليشكرى ، وهرم بن حيان العبدى ، والخريت بن راشد ، والمنجاب بن راشد ، والترجمان الهجيمى ، وأمره أن يفرق كور خراسان في جماعة ، فيجعل الأحنف بن قيس على المروين ، وحبيب بن قرة اليربوعى على بلخ ، وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة ، وأمين بن أحمر على طوس ، وقيس بن هبيرة المسلمى على نيسابور .

الأحنف بن قيس :

ولما رجع ابن عامر إلى البصرة بلغه نقض أهل خراسان للذمة ونكثهم للعهد فتجهز للسير لهم ، واستعمل على حرب سجستان الربيع بن زياد الحارثى ، وعلى كرمان مجاشع بن مسعود السلمى ، وتقدم هو إلى نيسابور وجعل على مقدمته الأحنف بن قيس فأتى (الطبسين) وهما حصنان بخراسان ففتحها عنوة ، ثم سير أمراءه إلى أعمال نيسابور ففتحوا (زام) (قهستان) و(بيهق) و (بشت) وواصل المسير حتى فتح (نيسابور) وكل أعمالها و (طوس) و (هراة) وكل أعمالها .

ووجه ابن عامر الأحنف بن قيس إلى (طخارستان) فأتى سوا نجرد فصالحه أهلها على ثلاثمائة ألف درهم ، ومضى إلى (مرو) و (الروه) فقاتله أهلها فلما أوشكوا على الهزيمة طلبوا الصلح فأجابهم الأحنف إليه .

واستولى الأحنف على (رستاق) فاحتشد لقتاله أهل (الجوزجان) و(الطالقان) والفارياب) و(الطاغتيان) فقاتلهم الأحنف قتالا شديدا حتى أوقع بهم الهزيمة ، ثم سار قاصدا بلخ حاضرة طخارستان ففتحها ، ومنها اتجه إلى خوارزم ولكنها استعصت عليه فعاد إلى بلخ .

• يتبع •

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء



لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ:
السيد العراقي شمس الدين

السؤال من السيد / حمدى السعيد إدريس يقول :
ما حكم صيام الستة أيام من شوال ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد . . فنفيد بأن صيام الستة أيام من شوال مندوب مستحب وليس واجبا وقد ورد فى ذلك قول النبى ـ ﷺ ـ « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر » رواه مسلم. كما جاء فى فضلها حديث رواه الطبرانى « من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . ومعنى صيام الدهر صيام العام . وجاء بيان ذلك فى حديث النبى ـ ﷺ ـ فى عدة روايات لابن ماجه وابن خذيمة فى صحيحه والنسائى ومؤداها أن الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضان بعشرة أشهر والأيام الستة من شوال بستين يوما أى بشهرين ، وهذا تمام السنة اثنى عشر شهرا .

وهذا الفضل لمن يصومها فى شوال سواء كان الصيام فى أوله أم فى وسطه أم فى آخره ، وسواء كانت الأيام متصلة أم متفرقة وإن كان الأفضل أن تكون من أول الشهر وأن تكون متصلة ، وهى تفوت بفوات شوال . والله أعلم .



السؤال مقدم من م٠م٠م٠ح

تقدم شاب لخطبتى وبعد فترة فسخ الخطبة بعد أن قدم لى شبكة من الذهب فهل من حقى أخذ الشبكة أم أردها إليه ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ .

وبعد .. فنفيد بأنه إذا كان الفسخ والعدول من جهة الخاطب فإن الشبكة من حق المخطوبة ؛ وإذا كان الفسخ والعدول من جهة المخطوبة فإن الشبكة ترد إلى الخاطب والله أعلم .

●●●

السؤال من السيد/ حسن عبدالباسط عبدالعال يقول فيه :

ما هى مدة الحضانة الشرعية للطفل الصغير وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فنفيد بأن مذهب محمد هو الذى عليه الفتوى وقد أخذ قانون المحاكم الشرعية مراعاة كلا التقديرين كما راعى ذلك فى الغلام : فجعل التسع حدا أدنى وجعل الأحدى عشرة حدا أعلى سنة قمرية وللقاضى أن يحكم بانتهاء الحضانة فيما بين ذلك حسبما يرى من المصلحة للصغير غير أن المادة عشرون من القانون المعدل رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ م جعلت انتهاء حضانة النساء ببلوغ سن الصغير من العاشرة وبلوغ الصغيرة اثنى عشرة سنة . ويجوز للقاضى بعد هذه السن إبقاء الصغير حتى سن الخامسة عشرة،، والصغيرة حتى تتزوج فى يد الحاضنة دون أجر حضانة إذا تبين أن مصلحتها تقتضى ذلك والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال مقدم من م٠ح٠ج٠

توفى رجل وعليه ديون من مؤخر صداق ونفقة وغيره وترك زوجة وأولادا من زوجتين فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد .. فنفيد بأن جميع الديون من نفقة ومؤخر صداق وغيره تسدد أولا ، وما تبقى يعتبر تركة للمتوفى يقسم على ورثته الشرعيين هم : الزوجة ولها الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولاده من زوجتيه تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى هذا والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ م.ع.خ.

قلت لزوجتى لو خرجت من باب الشقة تكونى محرمة علىّ وأقصد منعها من الخروج فقط ولم أعمن طلاقها . وخرجت .

ومرة ثانية قلت لها : تحرمى علىّ لو خرجت بدون إذنى بقصد منعها فقط ولم أقصد طلاقها . وخرجت .

ومرة ثالثة قلت لها : أنت طالق طالق وكان ذلك منذ عشرة أيام تقريبا وأريد مراجعتها ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد : فإن اليمين الأولى واليمين الثانية يمينان معلقتان لم يقصد بها الحالف طلاق زوجته فلا تحسبان بيمين طلاق ، وإنما يكفر عنها الحالف بإطعام عشرة مساكين فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام عن كل يمين ؛ أما اليمين الأخيرة فهى يمين طلاق وتعتبر طلقة أولى رجعية وقد راجع الزوج زوجته أمام اللجنة وتبقى الزوجة فى عصمة زوجها على طلقتين فقط والله أعلم .

●●●

السؤال من السيد/ يسرى حافظ على يقول فيه.

توفيت امرأة عن أربع بنات ، أخ شقيق ، أخت شقيقة ، بنت أخ شقيق / فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن للبنات الأربع الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخ والأخت الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ولا شىء لبنت الأخ لأنها من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « آتى باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك » رواه مسلم .



من أعلام الأزهر

على العمارى

فى بحوثه العلمية (٢)

للدكتور : محمد رجب البيومى

شغل العمارى نفسه بالبلاغة العربية ، وكتبها التراثية ، وتياراتها التجديدية بما لا أعرف أن أستاذاً أزهرياً غيره قد كابد فى هذا السبيل ما كابد ، نعم أعرف أن رسائل جامعية عديدة كتبت فى البحوث البلاغية ، وأن كتبا كثيرة عالجت مسائل البلاغة لجماعة من الفضلاء ، ولكن العمارى (مع أنه كتب رسالة جامعية ممتازة عن قضية اللفظ والمعنى نال بها درجة الدكتوراة ، كما ألف كتباً قيمة للترقية فى مادة البلاغة والنقد فشارك زملاءه الأكاديميين فيما سطروه) مع ذلك الذى شارك فيه سواه فقد امتاز امتيازاً منفردا بمواصلة الكتابة النقدية فى المجلات العلمية عن شجون من الفن البلاغى شغلت أذهان الباحثين ، ورأى فى بعض ما يكتب ما يدعو للنقاش المتواصل ، فلم يتوان قلمه عن تتبع ما يقع فى يده من البحوث تأييداً وتفنيدا وكأنه يرى فريضة عليه أن يرصد كل تجديد بلاغى ليبدى رأيه فيه عن حياد لايعرف التعصب ، وإن ظن قوم أنه ينحاز ولايحايد . لأنهم يريدون من يؤيد ويصفق لا من يزن القول بالميزان الدقيق ، ولو أتيح له أن يجمع ماتفرق من هذه البحوث فى مجلتى « الرسالة والأزهر » وحدهما لأمكن لأبناء الجيل المعاصر أن يقفوا على جهد دءوب لم تبطىء به قدم عن المسير .

---

(١) المجلد السادس عشر [مجلة الأزهر] ص ٢٧٧.



د . على العمارى

ولعل من أوائل ما خاض به حلبة الصيالة فى هذا النطاق مانشره بمجلة الأزهر (المجلد السادس عشر) تحت عنوان (البلاغة وعلم النفس) حيث اتجه إلى مناقشة أستاذ كبير له آثاره الممتازة فى فروع كثيرة من فروع المعرفة ، ومن بينها البلاغة العربية حيث كتب رسالة موجزة تحت عنوان (البلاغة وعلم النفس) نعى فيها على الأسلاف أنهم لم يربطوا بين البلاغة وعلم النفس مع أن هذا الربط ضرورى لفهم الإعجاز القرآنى وتفسيره ، إذ لايتم ذلك الفهم إلا بإدراك ما استخدم القرآن من الظواهر النفسية ، والنواميس الروحية ، مستدلا وهاديا ، ومقنعا ومجادلا ، ومثيراً ومهددا ، فليس يصح أن تعلل عبارة من عباراته أو يجنح للفظ فى آية من آياته ، أو يستشهد لأسلوب من أساليبه إلا بموقعه كله من النفس ، وبما كشف العلم عن هذا الموقع ، فبالأمور النفسية لاغير يعلل إيجازه وإطنابه وتوكيده وإشاراته وإجماله وتفصيله ، وتكراره وإطالته ، وما قام من تعليل هذه الأشياء وغيرها على ذلك الأصل ، فهو الدقيق المنضبط ، وماجاوز ذلك فهو الادعاء والتمحل أو هو شبيه شىء به ، هذا الباب ما اتجه إليه الأستاذ أمين الخولى فى رسالة (البلاغة وعلم النفس)وقد قرأ العمارى الرسالة فأشار إلى مبالغة تخللتها حين جزم الأستاذ بأن كل تعليل لأسلوب القرآن لايقوم على أساس نفسى هو ادعاء وتمحل ، فأراد العمارى أن يعارض هذه الوجهة ، فاتجه إلى المثالين الوحيدين اللذين ذكرهما الخولى فى مجال الاستشهاد تأييداً لدعواه ليبين موقف القدماء منهما ، وهل وقعوا على غير الصواب ! هذان المثالان هما ما يعرف بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وما قيل من أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، فنقل العمارى عن الأقدمين ما ذكروه فى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وكيف التفتوا إلى العلة النفسية التى افتقدها الأستاذ الخولى فيما زعم ، ونقل من (المطول) ما يدل على التعليل النفسى ، أما أن التعليل لتفوق المجاز على الحقيقة بأنه كدعوى الشىء بالبينة ، فليس وحده التعليل كما أراد الأستاذ الخولى أن يقرر ، إذ نقل الأستاذ العمارى تعليلات كثيرة ، أهمها ما كتبه عبد القاهر فى أسرار البلاغة عن تأثير التمثيل البيانى فى النفس ! وبذلك يكون العمارى قد أكد التفات القدماء إلى العامل النفسى ، مما ينفى تقرير الأستاذ الخولى ، ولعلى أكون مقاربا للحقيقة حين أقول إن الأستاذ الخولى أراد أن يجعل العامل النفسى أهم العوامل فاندفع به القلم إلى جحود كل عامل سواه ، كما اندفع إلى الحكم على الأقدمين جميعاً بإهمال هذا العامل ، ولو قال أنهم

لم يجعلوه فى مقدمة العوامل لتلاقت الوجهتان .

ولم يكد ينشر هذا المقال وتمر عليه بضعة أشهر حتى وقعت فى يد العمارى كراسة لطالب بكلية الآداب تضم بعض ما ألقى الأستاذ الخولى من محاضرات بلاغية ، وفيها ما يعرف العمارى وما ينكر ، فشمر لنقدها فى مقالات متوالية تتابعت بمجلة الرسالة فى السنة الرابعة عشرة ! وفيها الحديث عن الأثر النفسى المشار إليه من قبل ، كما تضمنت نقدات لبعض أبواب البلاغة كالفصل والوصل وغيرها فاتسع المجال للعمارى كى يركض فى ميدان فتحت له الرسالة صدرها على أوسع مراميه ، ومما لاحظته أن العمارى قد اشتط فى أسلوبه النقدى ، وكان فى الاعتدال الهادىء مايقربه لنفس القارىء المحايد ، لاسيما أن الكلمة الأخيرة فى هذه المسائل لايمكن أن تقال على وجه التأكيد ، وأنا أعلم جيدا أن الأستاذ الكبير أمين الخولى يعرف كل النقول التى سردها العمارى عن القدماء ، فقد هضم البلاغة القديمة هضماً لا شبهة فيه ، ولكن ما يرجوه أبعد منالا ، وأوسع همة مما وقف عنده السابقون ! لذلك وجد العمارى من ينازعه القول على صفحات الرسالة وهو المرحوم الأستاذ كامل السيد شاهين صهره وصديقه ، ولا أكتم القارىء أنى وقد كنت أقرأ هذه المعركة بعيداً عن المشاركة فيها قد ارتحت كثيرا إلى تقابل الآراء وتعارضها بين الصديقين ، لأن البلاغة فن من الفنون وليست علما جامدا تتعبد بمصطلحاته ، وماتحجرت مسائل البلاغة إلا حين تسورت بأساليب المنطق ، ومقررات الفلسفة ، وهذا ما دعا إلى اجتنابه الأستاذان أمين الخولى وعلى العمارى . نعم ، دعا العمارى إلى التجديد البلاغى كما دعا به قبله الأستاذ الخولى ، ولكن دعوة الخولى كانت عالية الصوت ، شديدة الملامة ، وكأنها تقريع وتوبيخ ، أما دعوة العمارى فقد كانت دعوة هادئة وادعة ، تلتمس الأعذار بها وتقدر الملابسات والأحوال ، ثم تطب للداء ملتمسة وسائل الدواء ، ومن أشهر ماكتبه فى ذلك بحثه المنشور بمجلة الأزهر تحت عنوان (البلاغة العربية وحاجتها إلى التجديد) فقد ابتدأه بإيضاح أن البلاغة فى حاجة إلى من يجدد أخلاقها ، ويجلو صدأها ، ولكنها لاتظفر إلا بالدعاوى الكاذبة ، فمن الكاتبين من يدعى التأليف البلاغى وهو قانع بجمع الأشتات ، وإضافة النماذج ، ووضوح العرض ، ومنهم من يكتب ليهدم لاليبنى ، إذ تنتظر ما ينهض بعد الهدم من جدار مائل فلا تكاد تجد ، وبعد إفاضة فى مناهج الدراسة الراهنة بالمدارس والجامعات ، وعرض أمثلة لما أثقلت به شروح التلخيص من مماحكات وتأويلات ، تعرض إلى طريقة عبد القاهر وسابقيه فى المنحى البلاغى ثم طريقة السكاكى وخالفيه فى المنحى المخالف ، ورأى بعد ذلك أن نأخذ من الناحيتين معا ما يفيد ، على أن تهذب الطريقة الثانية وهى طريقة السكاكى ومن تلاه ، فتحذف منها البحوث المنطقية ، والقضايا الفلسفية ، وتستغنى عن بحث الدلالات وعن الجامع العقلى والوهمى والخيالى ، وإيجاز التعاريف مع إخراج محترزاتها ، والخلاف فى الاستعارة أهى مجاز عقلى أم مجاز لغوى إلى آخر ما ينحاز إلى هذا الجانب من السفسطات ! وتخيل أن العمارى بذلك قد قضى كل القضاء على مدرسة

---

(١) مجلة الأزهر - المجلد الثامن عشر سنة ١٣٦٦ هـ ص ٨٣٨ .

السكاكي وأثر مدرسة عبد القاهر وسابقيه ، فلماذا لايعلن ذلك صراحة ، ولماذا لايقول إن لدينا طريقة واحدة هي التجديد البلاغي على منهج المدرسة البيانية التي بدأت بالجاحظ ، وكان عبد القاهر فارسها المعلم ، ثم لماذا لم يشر إلى ضرورة الانتفاع بما جد من العلوم الحديثة التي أشار الأستاذ الخولي إلى بعضها ، وكان صاحب صواب فيما اتجه إليه لعل العماري وقد حمل لواء الدفاع عن السابقين من أصحاب البلاغة الكلامية حيناً من الدهر ، قد رأى من الوفاء أن نعترف بجهودهم فترجع إلى مؤلفاتهم ولكن بعد أن نجردها من سماتها الواضحة ! ونحن إذا فعلنا ذلك لم نبق بها شيئا ذا بال ، على أن ما التفت إليه العماري التفاتاً حسنا هو الاهتمام بتاريخ البلاغيين لأن كثيرا منهم قد غابوا في غياهب الزمن دون تاريخ جامع لحيواتهم ، وقد بدأ بنفسه فكتب مقالات شافية عن السيد التفتازاني والسيد الجرجاني وعضد الدين الإيجي ومن شابههم من أصحاب المدرسة الكلامية ، ولا أقول الأعجمية كما يقول بعض المؤرخين ، لأن الزمخشري وعبد القاهر من صميم العجم جغرافيا ، ولكنهما من أعيان المدرسة البيانية تأليفاً وأسلوباً ، ولعل العماري ترك التأريخ لأمثال الجاحظ وابن سنان وعبد القاهر وابن رشيق وابن الأمير لكثرة ما كتب عنهم ، إذ كان مغرما بإضافة الجديد .

وقد يظن القارىء أني قد شطحت في هذا الفهم ، حين أحاول أن أعلن أن العماري قد أشار إلى المدرسة الكلامية وقاة وحية ، لا إيمانا واعتقادا ولكنى أضع أمامه الدليل القاطع على ماذهبت إليه إذ هو في نقداته البلاغية التي كان يوالي نشرها في المجلات ، كان يتجه إلى طريقة الكلاميين فينسفها نسفا ، ومن أوضح ما كتبه في ذلك بحثه الجيد المنشور تحت عنوان (قواعد بلا شواهد)[1] وفي بعضه طفيف لعبد القاهر ، ولكنه مما يرد عليه في غير مشقة ! أما النقد الجوهري فهو ما اتجه به إلى هؤلاء حين قال ببعض التصرف :

« إن عبد القاهر كان أقرب البلاغيين إلى المنهج السليم ، ولو أن كل الباحثين من بعده جعلوا منهجهم منهجه لكانت البلاغة الآن من الدراسات الممتعة ، ولكن الذي حدث أن السكاكي أراد أن يستخرج للبلاغة قواعد من كلام البلاغيين لا من كلام العرب ، وهذا مفتاح المسألة فكان يرسم صورة لقاعدة ثم يضيف إليها ما يمكن أن يفترضه العقل ، ومالت به الطريق كثيرا في التعليلات ، إذ استخرجها من منطقه ولم يستخرجها من أساليب الكلام ، وجاء العلماء من بعده فجعلوا من أكبر همهم شرح هذه التعليلات والزيادة عليها ، ولم يكن كلام العرب أكبر همهم ، بل كان النظر المنطقي ، والتقسيم العقلي هو الموجه ، وكان من نتيجة ذلك ما أظن [ولماذا يظن ولا يتأكد] أنه السبب في ضعف علوم البلاغة » ، ثم قال بعد أن ذكر خطر الأمثلة التي تضرب للقاعدة دون الرجوع إلى شاهد من كلام العرب :

« لو أن العلماء كلهم حاولوا أن يستخرجوا قواعد البلاغة من كلام العرب ، فلا تذكر قاعدة إلا بشاهدها ، ولا يناقش تعليل من التعليلات إلا في ضوء الكلام الفصيح ، لو كان الأمر كذلك

(١) مجلة الأزهر - المجلد العشرون سنة ١٣٦٨ ص٨٢٨ .

لكانت علوم البلاغة من أمتع العلوم وأحبها للنفوس ، وليس أدل على ذلك من أن هذه العلوم بصورتها الراهنة ثقيلة الظل ، خشنة الملمس محشوة بالأمثلة التى تفسد الذوق ، وتسمج على الطبع ، فترى نفسك فى جفاف أدبى ، فإذا أخذت فى الأسلوب رأيت المنطق والفلسفة وما شئت من ركاكة وتعقيد » .

وقد أطيل القول إذا اتجهت إلى تلخيص كل ما أتى به العمارى فى هذا المجال ، ولكن ما سطرته يوضح اتجاهه البلاغى - وقد تخصص فيه - بما لامزيد عليه ، والحق أنه بذل من الجهد ما أقنع وأمتع أما تراثه النقدى فيملأ عدة أجزاء إذا جمع وحُقق ، وعلى أنه نشر جزءاً منه تحت عنوان (الصراع الأدبى بين القديم والجديد) . وهو يحتاج إلى بحث مستقل ومن فصوله [١] التجديد غير التبديد ، ويضم مباحث شتى تتحدث عن تجديد الألفاظ ، والاستهانة بالقواعد المقررة ، وموقف المدارس الحديثة تجاه الأدب القديم [٢] عبر التاريخ ، ويشمل موقف اللغويين والرواة من الجديد منذ عهد التدوين ، ورأى ابن خلدون فى تفضيل الإسلاميين على الجاهليين والرد عليه ، وإن كنت لا أزال أميل إلى رأى ابن خلدون مع ما أبداه العمارى من ملحوظات [٣] أما باب إنصاف الجديد فهو فى نظرى أهم فصول الكتاب لأنه أفاض إفاضة شافية فى إنصاف الجديد كما عبر عنه الجاحظ وابن خلدون كما بسط قضية التجديد فى شعر أبى تمام راجعاً بها إلى العباسية والأموية ، ومن بحوثه الطريفة ما كتبه تحت عنوان (الشعر الحديث ومناسبته للساقط من شعر أبى تمام) وقد نازل الشعر الحر منازلة منطقية تستند إلى البراهين الدالة ، وتحدث عن قصيدة النثر وكأنه يتحدث اليوم عن آفاتها القاتلة التى يشيعها بعض الأغرار فى الصحف والمجلات ، مع أن الكتاب قد صدر فى مارس سنة ١٩٦٥ أى منذ أكثر من ثلاثين عاما ! وتتوالى فصول الكتاب متحدثة عن الدعوة العامية وأسرارها ، وعن رواد النهضة المعاصرة ، وعن مستقبل الشعر وتقليد الأدب الغربى ، ولعل خير ما يذكر عن هذا السفر القيم هو ماذكره الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات فى مقدمته الوافية حيث قال بعد عرض شاف [١] :

« أما الضلال والانحلال والتعسف والشطط والشعوبية التى تجافى اللغة ، والشيوعية التى تنافى الدين ، والإقليمية التى تحاصر الأدب فقد كفانى أمرها الأستاذ الصديق على العمارى فى هذا الكتاب الذى عرض قضية الصراع الأدبى فى خلال القرون منذ تجهم النقاد الأولون لشعر عدى ابن زيد إلى أن نشبت فى العهد الأخير معركة الديوان ، ثم تكلم على نزعات التجديد فى القدامى والمحدثين وكشف عن الاعتدال والقصد ، أو الإسراف والغلو فى أولئك وهؤلاء ، وأبان عن الزيغ والزيف فى أقوال المنحرفين الذين أضلهم الله على علم » .

وقال الزيات بعد عرض دقيق وعلى الجملة فقد عالج فى الوقت المناسب ، وبالرأى الصائب ، وجوه الصراع الأدبى الذى يتجدد على تعاقب العصور ، ويتولد من اختلاف الظروف ، ويقف

---

(١) مقدمة (الصراع الأدبى) للدكتور العمارى ص ١٣ - ١٤ .

الناس منه موقف الجامد الذى يعارض ولايتغير ، والمعتدل الذى يقبل ولايسرف ، والمتطرف الذى يميع ولايتماسك ، ويحتاج هؤلاء جميعاً إلى كتاب كهذا الكتاب ليبعث الحركة فى الجامد والقوة فى المعتدل والبصيرة فى المتطرف » .

وفى الأستاذ العمارى بطولة أحمده عليها ، فهو لايجامل صديقا فى تحليل أثر علمى مهما كان وثيق الارتباط به ، وإذا لم يشأ أن يغضب هذا الصديق فإنه يسكته سكوتا تاما عن الكتابة عن مؤلفه مهما ألح وألحف ، وقد تعرض لمجافاة بعض الزملاء لأنه قال الحق فى بعض مؤلفاته شفويا فى أحد مجالس العلم ، ولم يعلن رأيه فى صحيفة ، فضرب العمارى كفا بكف ، وقال معى براهينى العلمية ، فماذ يصنع إن نقدته فى صحيفة سيارة إذا ضج من حديث عابر ! وأذكر فى هذا المنحى أن العالم الكبير والمؤرخ الثقة الأستاذ صادق إبراهيم عرجون قد أهداه كتابه عن عثمان بن عفان ليكتب عنه وابتسم العمارى قائلا إنه سيكتب رأيه الصريح دون مواراة ، فرحب عرجون بما قال صاحبه ، وإذا كان الكتاب من الجودة والإخلاص والحمية بحيث أصبح فريداً فى بابه ، فإن العمارى قد أثنى على حسناته الأسلوبية ، وأفكاره الدقيقة وتعليلاته التاريخية ثناء المعجب ، ولكنه مهد بذلك ليتحدث عما يراه من المآخذ الواضحة فأعلن فى إخلاص ، أن المؤلف قد جعل مدار الحكم على عثمان هو ما عرف من أخلاقه الشخصية ، وأحواله الإنسانية ، فكان بذلك متجها إلى تبرير كل ما صدر عن الخليفة الثالث من أعمال مع التماس الصواب ولو كان بعيدا ، والعمارى يقول بصدد ذلك [1] وهذا وإن أرضانا كمسلمين فإنه لايمكن أن يرضينا كباحثين متطلعين لوجه الحق فى أحداث التاريخ وإنه ليسر كل مسلم ألا يجد مطعنا فى أعمال صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن كيف ، وليس أحد معصوماً إلا الأنبياء » .

وبناء على ذلك فقد سرد العمارى مواقف تاريخية كانت ذات مأخذ صريح يتعلق بأعمال الخليفة الشهيد ، ولا أحب أن أعيدها ، ولكنه بذلك قد عبر عن إخلاص للحقيقة دون أن يتزحزح عن حب الخليفة الشهيد ، وهذا هو شعورنا جميعا ! كما أزعم .

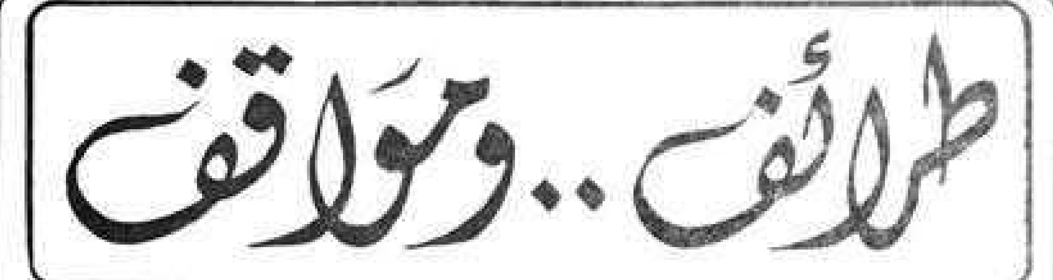
وقد كان العمارى شاعرا ، وله قصائد منثورة فى الصحف ، وديوان من شعر الصبا ، ولم ينس الشعر فى آخر لحظات حياته حيث ودع الدنيا بقصيدة باكية قال فيها :

ثمانون مرت مسرعات وأربع	وليس لغير الله فى القلب موضع
فإن كنت فى سمت الطريق فرحة	وإن جارت الأهواء فالعفو أوسع
وداعاً بنى الدنيا وداع مفارق	إلى الأبد الأسنى الذى لايودع

رحمه الله ، وأجزل مثوبته فى عالم البقاء .

---

(١) مجلة الرسالة ١٩٤٧/٨/١١ .



للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ذكر المـوت

على العاقل أن يذكر الموت فى كل يوم وليلة مرارا ، ذكرا يباشر به القلوب ، ويقدع[1] الطماح فإن فى كثرة ذكر الموت عصمة من الأشر[2] ، وأمانا ـ بإذن الله ـ من الهلع[3] .

سرعة الجواب

اجتمع رجل يقال له : يموت بن المزرع ، وآخر يقال له : سهل بن صدقة فقال الثانى للأول : ضربك الله باسمك[4] فأجابه الثانى : وأنت أحوجك الله إلى اسم أبيك[5] .

الثقيل لا يهضم

سقط الثقيل من السفينة فى الدجى
فبكى عليه رفاقه وترحموا
حتى إذا طلع الصباح أتت به
نحو السفينة موجة تتقدم
قالت خذوه كما أتانى سالما
لم أبتلعه لأنه لا يهضم

ما مدحتك

مدح رجل هشام بن عبد الملك ، فقال : ياهذا إنه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه ، فقال : ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك ، لتجدد شكرا .

فقال هشام : هذا أحسن من المدح فوصله وأكرمه .

---

(١) يكف النفس عن الاسترسال فى الشهوات.
(٢) البطر والتعاظم .
(٣) الخوف الشديد .
(٤) أى رزقك الموت [لأن اسمه يموت]
(٥) أى لحوجه إلى الصدقة لأن اسمه سهل بن صدقة ، وهو غاية فى الاستحقار .

طلب العلم حتى الممات

سئل عبد الله بن المبارك :
لو أن الله أوحى إليك ، أنك تموت العشية فماذا أنت صانع ؟
فقال : أقوم وأطلب العلم حتى يأتي الممات .

قوة الذكاء

دخل رجل فقير ذكي على رجل موسر فقال له : لقد وعدتني وعدا فأنجزه لي ، فقال الغني : ما أذكر هذا الوعد !! فقال الفقير : صدقت ؛ أنت لا تذكره لأن من تعد مثلي كثير ، وأنا لا أنسى لأن من أسأله مثلك قليل .
فقال الغني : أحسنت بجوابك ثم قضى حاجته وحمد الله .

دعوة المظلوم

قال ابن خالد البرمكي لأبيه وهم في القيود ، ولبس الصوف والحبس : ياأبتاه بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة ؛ أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس ، فقال له أبوه : يابني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ، ولم يغفل الله عنها ثم أنشد يقول :

رب أقوام غدوا في نعمة
زمنا والدهر ريان غدق
سكت الدهر زمانا عنهم
ثم أبكاهم دما حين نطق

نصيحة

لاتمنعن يد المعروف عن أحد
مادمت مقتدرا والعيش جنات
قد مات قوم وماماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات

●●●

الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والنهار مضيء فلا تكدره بآثامك .

كلمات أربع

إذا كنت في الصلاة فاحفظ قلبك ، وإذا كنت عند الناس فاحفظ عينيك ، وإذا كنت في المجلس فاحفظ لسانك ، وإذا كنت على الطعام فاحفظ بطنك .

قالوا..

إذا عظمت الذنب فقد عظمت حق الله ، وإذا صغرته فقد صغرت حق الله ، وما من ذنب عظمته إلا صغر عند الله ، وما من ذنب صغرته إلا عظم عند الله .

دعاء

اللهم إني أبرأ إليك من حولي وقوتي ، وألجأ إلى حولك وقوتك ، أحمدك إذ أوجدتنا من العدم وفضلتنا على كثير من الأمم .

علماء من مصر

شرف الدين الدمياطى

لفضيلة الشيخ:
عبد الحفيظ فرغلى القرنى

فى أثناء سيرى استرعى انتباهى بعض الكتب المعروضة على قارعة الطريق ، فوقفت أتأملها فإذا بينها كتاب ضخم يحمل عنوان « المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح » ، فتقدمت إليه والتقطته واشتريته ضمن مجموعة أخرى من الكتب والتى .

وحين وصلت إلى المنزل أخذت أتصفح الكتاب فوجدته كنزا من كنوز الحديث ، يتناول أبوابا من السنة تدور حول الأعمال الصالحة والثواب عليها ، وعلمت أن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد أنفق فى جمعها جهدا كبيرا ، واستهدف بها ثوابا عظيما .

كان هذا الكتاب لعالم مصرى جليل عاش خلال القرن السابع الهجرى هو الإمام الحافظ أبو محمد شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف الدمياطى المتوفى سنة ٧٠٥ هـ .

العصر والنشأة :

نشأ الدمياطى خلال القرن السابع الهجرى حيث ولد سنة ٦١٣ هـ فى قرية تسمى « تونة » فى جزيرة بحيرة المنزلة من أعمال مدينة تنيس .

وانتقل إلى مدينة دمياط وهى أحد ثغور الإسلام فى مصر .

وكان العصر الذى نشأ فيه يموج بكثير من الأحداث الجسام ، فقد شهد القرن السابع الهجرى الصدام الهائل بين التتار والمسلمين ، وكيف اجتاح التتار بغداد سنة ٦٥٦ هـ وأسقطوا الخلافة العباسية ، فلجأ آخر الخلفاء العباسيين إلى مصر التى استطاعت أن تحفظ للخلافة العباسية بقاءها واستمرارها إلى حين من الزمن .

وبدأ التتار يتحفزون لغزو الشام ثم مصر ، وصاحب ذلك أو سبق العدوان الصليبى الذى استشرى فى بلاد الشام ثم مصر ، وتصدت مصر

هذه الحملات التتارية والصليبية واستطاعت أن تقهر العدوانين في صراع دام طويل ، ولكنه أثمر ثمارا يانعة من البطولة والتضحية ، إلى جانب ثمار أخرى تمثلت في طائفة من العلماء العظام من أمثال العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ المنذرى ، وابن دقيق العيد ، وتقى الدين السبكى ، وغيرهم ممن ملأوا الآفاق علماً ومعرفة ونورا ، إلى جانب دورهم البطولى في الجهاد ضد أعداء الدين والأمة .

طريقه العلمى :

تلقى الدمياطى العلم على بعض علماء دمياط في أول أمره ، وكانت دمياط في ذلك الوقت مركزا من مراكز العلم في مصر .

وفي دمياط تفقه في مذهب الشافعى ، وقرأ القراءات والحديث على أخوين شقيقين هما الإمامان أبو المكارم عبد الله ، وأبوعبدالله ابنا منصور السعدى .

وسمع الحديث أيضا فيها على الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى النعمان ، وهو الذى حبب إليه طلب الحديث والإقبال عليه ، بعد أن كان في أول أمره منصرفا إلى طلب الفقه وأصوله على مذهب الإمام الشافعى .

ولم تقف همة شرف الدين الدمياطى عند حدود دمياط ، ولكنه رحل إلى الإسكندرية في سنة ست وثلاثين وستمائة ، ولقى فيها نخبة من العلماء الأفاضل وتلقى عليهم .

ثم قدم القاهرة بعد ذلك وصحب إمام الحديث بها وهو الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى صاحب كتاب « الترغيب والترهيب » وغيره من المؤلفات الفريدة . يقول السيوطى منوها به : حين حججت شربت من زمزم على نية أن يجعلنى الله في الحديث مثل الحافظ عبد العظيم المنذرى قال : وأجاب الله دعائى .

ويعرف التلميذ بأستاذه كما يعرف الأستاذ بتلاميذه .

لزم الدمياطى المنذرى فترة من الزمن ، وكان كلما رحل إلى مكان عاد إلى المنذرى ليجدد العهد معه . . وقد استفاد من المنذرى فائدة عظيمة .

وكان المنذرى غاية في الورع والصلاح يعمل بما يعلم ـ وهذا هو ميزان العلماء ـ ومن عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم .

يحكى الدمياطى عن شيخه المنذرى قائلا : خرج المنذرى يوما من الحمام وقد أخذ منه حرها فما أمكنه المشى ، فاستلقى في الطريق إلى جانب حانوت .

فقال له الدمياطى : ياسيدى أنا أقعدك على مصطبة الحانوت ، وكان الحانوت مغلقا .

فقال المنذرى وهو في هذه الشدة : أأجلس بغير إذن صاحبه ؟ كيف يكون ذلك ؟ ورفض الجلوس .

ويعلق راوى القصة قائلا : فكر في هذا الحادث أيها القارىء ، شيخ يمتنع أن يجلس أمام الحانوت على المصطبة ليستريح من تعبه ، لأن صاحبه لم يأذن له ، مع أن الحانوت مغلق ، ولم يعطل أى حركة تجارية أو مصلحية ، لاتعجب فإن في هذا نصوص العلم وتعاليم الرسول ـ ﷺ ـ .

رحلة إلى خارج مصر :

وفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة رحل الدمياطى إلى الحرمين الشريفين ، والتقى هناك بمن شاء من العلماء .

ثم ارتحل بعد ذلك بعامين إلى الشام ثم إلى الجزيرة والعراق ، وأخذ من علماء هذه البلاد ، وما أكثرهم ! وما أجلهم !

وأقام كثيرا فى دمشق حتى أصبحت له فيها شعبية كبيرة ، ولكن القاهرة كانت دائما هى موئله الأول والأخير ، وفيها انتشر علمه الواسع وألف مؤلفاته العديدة النافعة . . إلا أن صيته فى دمشق كان ذائعا .

ثناء العلماء عليه :

قال عنه السبكى فى الطبقات الكبرى : هو حافظ زمانه وأستاذ الأستاذين فى معرفة الأنساب ، وإمام أهل الحديث المجمع على جلالته ، الجامع بين الدراية والرواية بالسند العالى القدر .

وقال عنه صلاح الدين بن شاكر الكتبى فى كتابه « فوات الوفيات » : هو الإمام البارع الحافظ النابه المجرد الحجة علم المحدثين عمدة النقاد .

وقال عنه الحافظ المزى : ما رأيت أحفظ منه .

وقال عنه الذهبى فى معجمه : هو العلامة الحافظ الحجة أحد الأئمة الأعلام وبقية نقاد الحديث .

ووصفه أبوحيان الأندلسى بحافظ المشرق والمغرب .

وقال عنه السيوطى فى كتاب « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » : هو العلامة الحافظ الحجة الفقيه النسابة شيخ المحدثين ، تفقه وبرع وطلب الحديث فرحل وجمع فأوعى ، وتخرج بالمنذرى ، وألف ، وكان واسع الفقه رأسا فى النسب ، جيد العربية غزير اللغة .

تلاميذه :

وللدمياطى تلاميذ ناجحون يشيرون إلى تقدم أستاذهم وفضله منهم تقى الدين السبكى الذى كان أكثر تلاميذه ملازمة له ، وقد توفى السبكى سنة ٧٥٦ هـ والصاحب كمال الدين بن العديم ، والشيخ أثير الدين أبوحيان النحوى ، ومحيى الدين النواوى وغيرهم من أصحاب العلم والفضل . ذكر ذلك الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش فى مقدمة تحقيقه لكتاب : المتجر الرابح للدمياطى .

مـــؤلفـــاتـــه :

وللدمياطى مؤلفات عدة تدل على علو كعبه فى الحديث وغيره . ومن ذلك الكتاب الذى أشرت إليه وهو « المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح » وهو يعتمد على ما يقرب من ألف باب تدور كلها حول الأعمال الصالحة وثوابها ، موثقة بالأحاديث الصحيحة المعتمدة ، ومشيدة بآيات القرآن الكريم . وهو يضم ألفين ومائة وأربعة وعشرين حديثا ، بدأت « بأبواب العلم » ، واختتمت « بأبواب الزهد والأدب » .

وقال الدمياطى فى مقدمة كتابه : « رب فاحمد نفسك عنا لنفسك ، كما ينبغى لجلال وجهك

وكمال قدسك ، فإنا عن القيام بحق حمدك عاجزون ، ولعظمة جبروتك خاضعون ، وإليك فيما منحت أهل قربك راغبون ، فجد علينا من خزائن جودك بما تعلقت به الآمال ، فإنك واسع العطاء جزيل النوال » .

وهو كتاب جليل الفائدة عظيم المنفعة لاغنى عنه لطالب علم ولا لمغتنم أجر وله غير هذا الكتاب مؤلفات كثيرة منها :

● الأربعون الحلبية فى الأحكام النبوية .

● الأربعون فى الجهاد .

● الأربعون المتباينة بالإسناد المخرجة على الصحيح من حديث أهل بغداد .

● التسلى والاغتباط بثواب من تقدم من الأفراط .

● ذكر أزواج النبى - ﷺ - وأولاده وأسلافه .

● كتاب فى السيرة النبوية ، ولعله كتاب : مختصر فى سيرة سيد البشر .

● معجم شيوخ الدمياطى . يوجد الجزء الثالث منه بالمكتبة الأزهرية وله غير ذلك .

المناصب التى تقلدها :

وقد تقلد الدمياطى عدة مناصب علمية ، فقد كان شيخا للمدرسة المنصورية ، وشيخا أيضا للمدرسة الظاهرية .

ويبدو أنه كان عازفا عن المناصب مشغولا بالعلم والتأليف والتدريس عن المزاحمة فى تقلد المناصب .

وكان على يسار فى حياته . قد وسع الله له فى الرزق ، كما منحه هيئة جميلة وجاها ، وحسن خلق ، وتحلى بالفصاحة وجودة العبارة ، وكان مهيب الطلعة يحبه ويقبل عليه كل من يراه .

وقد ظل الدمياطى يؤلف ويدرس طول حياته حتى حانت وفاته فجأة دون مرض سابق ، لقد صلى العصر - كما يقول ابن تغرى بردى - ثم غشى عليه فى موضعه فحمل إلى منزله فمات من ساعته .

وكان ذلك فى يوم الأحد الخامس عشر من ذى القعدة سنة ٧٠٥ هـ ودفن فى مقابر باب النصر بالقاهرة .

وصلى عليه فى دمشق صلاة الغائب .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عما قدم للإسلام والعلم وأهلها أفضل الجزاء .

عن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله - ﷺ - : « أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » رواه مسلم .



الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ

مناط القدوة، وأسرار النبوغ

للأستاذ : نبيل محمد رشاد

لقد ظلت الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » - رحمها الله تعالى - ملء السمع والبصر والفؤاد على امتداد ثلثى قرن من الزمان ، تعمل بهمة لا تعرف الفتور فى شتى المجالات الفكرية والأدبية والدينية .

ولست أستطيع فى هذا المقال أن أحيط بنتاج الدكتورة الثر فى كل هاتيك الميادين ، وحسبى أن أشير - فى إيجاز - إلى ثلاثة عوامل رئيسية فى حياة الدكتورة عائشة قد مكنتها من أن تتبوأ مكانتها الرفيعة فى هذا المجال :

أما العامل الأول : فيتعلق بأصل النشأة حيث تربت فى بيت علم ودين ، وفضل وتصوف ، فقد كان والدها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على عبد الرحمن عالماً أزهريا ، وكانت له خزانة كتب كبيرة تضم أمهات كتب التراث العربى والإسلامى فى اللغة والأدب ، والنحو والتصريف ، والتوحيد والفلسفة والمنطق ، والتفسير والحديث ، والفقه والأصول ، وقد نهلت الدكتورة عائشة من هذه



الخزانة ما نهلت ، وقرأت على أبيها ما قرأت ، وأخذت عليه العهد ، وأوصاها أن تصبر على لأواء البحث ، وأن تحتسب ما تنفق فيه من وقت وجهد فى سبيل الله مع ملازمة الطاعة بالغداة والعشى ، وابتغاء وجه الله فى كل ما تأتى وما تذر ، وهو فى هذا التوجيه ، وهذه التربية قد لفت نظرها - منذ نعومة أظفارها - إلى ارتباط العلم بالتقوى فى شريعة الإسلام ، وبما يدل على هذا من بعض الوجوه قولها فى حزن وأسى « يرحل آباؤنا وشيوخنا - رضى الله عنهم - وقد زودونا عند الرحيل بوصاياهم ، وعهدوا إلينا أن نحمل من بعدهم أمانة الجهاد فى سبيل ما تفانوا له دفاعا عن شرف الإنسان ، وتحقيقا لوعد نبينا المصطفى - عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التحية - « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم - وفى رواية من خذلهم - حتى يأتى أمر الله وهم كذلك »[1] .

روانى هذا الحديث فى صحيح مسلم فضيلة والدى ، العالم القدوة قبيل رحيله إلى رحاب الله تعالى

وأمرنى - رضى الله عنه - فتلوت الآية المحكمة :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

(الكهف : ٢٨)[2] .

العامل الثانى : إنها تخرجت فى كلية الآداب بعد أن حصلت على ليسانس اللغة العربية عام ١٩٣٩ م ، وفى كلية الآداب تلقت العلم على أيدى جهابذة العلماء والمفكرين والأدباء والفلاسفة الذين لانزال نذكرهم ونذكر أعمالهم الأدبية والعلمية بالإجلال ونأسى بذكرها على ماآل إليه أمر الدراسات الأدبية العليا وطلابها فى هذا الزمان من ضعف وهوان .

تلقت الدكتورة عائشة علومها ومعارفها على أيدى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين ، والأستاذ البحاثة أحمد أمين ، والمفكر الإسلامى والأديب ، وفيلسوف الأخلاق الدكتور عبد الوهاب عزام ، والأستاذ مصطفى السقا الذى أعفاها من حضور دروسه فى اللغة والنحو نظراً لارتفاع مستواها عن مستوى زملائها وزميلاتها[3] ، والدكتور حسن إبراهيم حسن

(١) رواه أحمد والشيخان - صحيح الجامع الصغير (٧٢٩٠) ، المسند ٥/٢٦٩ .

(٢) د . عائشة عبد الرحمن : نص من سلسلة مقالاتها عن « الدين والإنسان : واقع وآفاق » نشرتها جريدة الأهرام فى موسم رمضان ١٤١٠ هـ - أبريل ١٩٩٠ م .

(٣) د . عائشة عبد الرحمن : على الجسر (أسطورة الزمان) سيرة ذاتية نشرتها دار الهلال بمصر دون تاريخ ص ٧٠ .

الذى كان يدرس التاريخ الإسلامى ، وغيرهم من إخوان هذا الطراز .

ولقد تابعت الدكتورة بنت الشاطئ دراساتها العليا بكلية الآداب بعد تخرجها تحت إشراف الدكتور طه حسين فحصلت على درجة الماجستير عام ١٩٤١ م ببحثها عن « الحياة الإنسانية فى أدب أبى العلاء » ، ثم حصلت على درجة الدكتوراة عام ١٩٥٠ م ببحثها « الغفران : دراسة نقدية » مع تحقيق نص رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى[٤] .

ودراستها لشعر أبى العلاء ونثره فى هذه المرحلة الباكرة من حياتها قد أسهم ـ بلاشك ـ مع ما قرأت فى مكتبة أبيها ، وما سمعت من أفواه أساتذتها فى إعطائها تلك الخصوصية اللغوية والأسلوبية التى تميزت بها .

العامل الثالث : التقاؤها بالشيخ أمين الخولى .

ولقد كان الشيخ أمين الخولى عالما ذائع الصيت فى ذلك الزمان ، وكان يتصف بسعة العلم ، وحدة الذكاء ، والحرص على الدقة العلمية والمنهجية ، وكان له أثره فى تلامذته بعامة وفى الدكتورة عائشة بخاصة ، وهاهى تتحدث عن أثره البالغ فى توجيهها فتقول : « ظل لدى ثلث قرن يقود خطاى على الطريق الشاق ، ويحميني من عثرة الرأى ، ومزالق التأويل وسطحية النظر ، ويأخذنى بضوابط منهجه الدقيق الصارم الذى لا يجيز لنا أن نفسر كلمة من كلمات الله تعالى دون استقراء لمواضع ورودها بمختلف صيغها فى الكتاب المحكم ، ولا أن نتناول موضوعا قرآنياً أو ظاهرة من ظواهره الأسلوبية ـ دون استيعاب لنظائرها ، وتدبر سياقها الخاص فى الآية والسورة ، وسياقها العام فى القرآن كله »[٥] .

كان الشيخ أمين الخولى يدرس علوم القرآن عام ١٩٣٦ لطلبة كلية الآداب ، وكانت عائشة عبد الرحمن من الطالبات اللاتى يستمعن لدرس الأستاذ ، واقترح الشيخ الخولى على الطلاب أن يقوموا بعمل أبحاث فى موضوعات بعينها حددها لهم فى علوم القرآن ، وتعجلت عائشة واختارت موضوع نزول القرآن مزهوة مغرورة بما حصّلت على يد أبيها ، وفى مكتبته الزاخرة من العلم حتى أنها لم تطلب لإتمام إنجازه إلا يوما ، أو بعض يوم ، وكانت المواجهة ، وكان اللقاء الذى كفكف فيه الشيخ من غلواء غرورها ، ووضع فيه خطاها على أول الطريق الصحيح ، طريق القراءة المنهجية الواعية التى تفرق بين مصادر الموضوع ومراجعه ، وتعرف كيف تستطيع أن تستخدم هذه وتلك فى خدمة موضوعها تقول الدكتورة عائشة :

ـ قال فى نبرة إشفاق وتحذير :

ـ كذا . . فكرى مليا ، فربما بدا لك أنك فى حاجة إلى مزيد من الوقت .

ـ رأيت أن أتراجع .

ـ ولماذا أتراجع ومبلغ علمى أن المادة مبذولة جاهزة ، ومصادرها الأصيلة فى متناول يدى ،

(٤) ابو العلاء المعرى : رسالة الغفران تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن . المقدمة ص ٧٣ سلسلة ذخائر العرب . دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٩٠ م .

(٥) د . عائشة عبد الرحمن : الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق : دراسة قرآنية لغوية وبيانية . الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر ١٩٨٧ م . ص ١١ .



فلن يحتاج الأمر معى إلى أكثر من بضع ساعات للمراجعة، وبضع ساعات أخرى التنسيق والكتابة ؟

ولم يفتنى أن الأستاذ يرانى تورطت فى هذا التعجل فكأنى خشيت أن يأخذ عنى فكرة خاطئة فقلت أسأله مدلة بما أملك من ذخائر مادته.

- هل يكفى أن أراجع فى موضوعى كتابى الإتقان واللباب للسيوطى، وكتاب البرهان للزركشى، مع الاستئناس بالسيرة لابن هشام، وتفسير ابن جرير الطبرى ؟

أجاب :

- كتاب واحد منها يكفى الآن لو أنك عرفت - حقا - كيف تقرئين.

وكان هذا آخر ما توقعت أن أسمع.

ألمثل يقال ذلك وما من كتاب من أصول العربية والإسلام يعييني أن أقرأه ؟

وكبحت غضبى وأنا ألتمس للأستاذ العذر، فلعله يتصور أنى كغيرى من الطلاب وفيهم - حقا - من لا يعرف كيف يقرأ.

وقلت مستدركة عليه فى نبرة متحدية :

- ما ذكرت هذه الكتب إلا لأنى قرأتها، واستوعبت ما فيها، وإنما كان سؤالى عن مصادر أجنبية ظننت أن الأستاذ قد يضيفها إلى مراجعى.

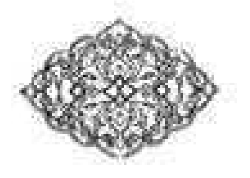
فما زاد على أن قال :

- لو أدركت الفرق بين المصادر والمراجع لما تورطت فى مثل هذا السؤال المنكر.

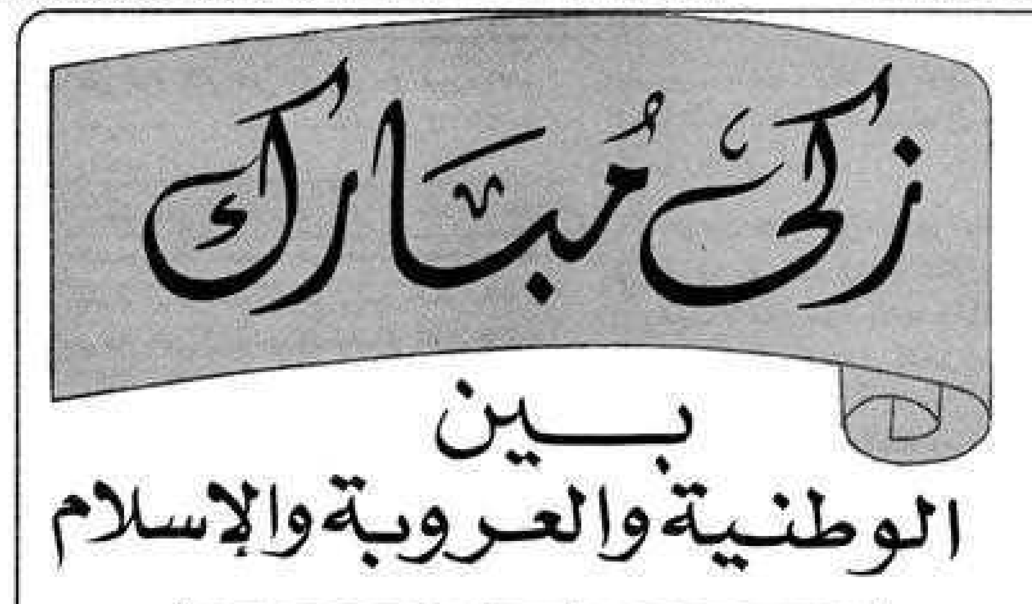
وتحيرت لا أملك سؤالا ولا ردا، فما كنت حتى تلك اللحظة قد فكرت فى التمييز بين المصدر والمرجع.

وتابعت الإصغاء إلى الأستاذ وهو يلقى علينا مبادىء منهجه حريصة على ألا تفوتنى كلمة واحدة مما يقول، ومن ذلك اللقاء الأول ارتبطت به نفسيا وعقليا، وكأنى قطعت العمر كله أبحث عنه فى متاهة الدنيا، وخضم المجهول[6].

هذه هى العوامل الثلاثة التى استطاعت بها الدكتورة بنت الشاطىء أن تنمى ما عندها من استعداد طبيعى للتفوق والنبوغ، وأن تصقل ماحباها الله به من مواهب أدبية وفنية، وأن تشق طريقها فى ميدان البحث العلمى فى الدراسات العربية بعامة، والقرآنية بخاصة.



(٦) د. عائشة عبد الرحمن : على الجسر. مرجع سابق. ص١٠٢ ـ ص١٠٣.



زكي مبارك بين الوطنية والعروبة والإسلام

للدكتور: محمد عبد الحكيم محمد (*)

فى غضون النصف الأول من القرن العشرين استطاع الدكاترة «زكى مبارك» بمؤلفاته ومقالاته أن يشكل له وجوداً ملحوظاً، وقد بدأت صلتى بذلك الكاتب والمؤلف الفذ منذ قراءتى جانباً من نزالياته الصحفية مع كتاب عصره حول مفاهيم «الثقافة والأدب واللغة والقومية والعروبة والإسلام».

أيقنت أن الرجل جدير بالدراسة لما اتصف به أسلوبه الأدبى وفنه الصحفى من مظاهر القوة، ولعل من أهم هذه المظاهر:

(١) تحدثه فى الصحافة إلى عقل القارىء مباشرة فى وضوح ويسر.

(٢) إيثاره للأساليب العربية التى يفهمها العامة ولا ينفر منها الخاصة.

(٣) مناوشته للخصوم وحملهم على منازلته فى سبيل ما يراه حقاً.

(٤) معالجته الأمينة لقومية العرب وآدابهم ولغتهم ودينهم. ولعل من مظاهر قوة هذا الكاتب ـ أيضاً ـ أنه كاتب حلو المودة، مرّ العداوة، يخاصم فى سبيل الحق ولايعادى، يبرم وينقض، يؤيد ويعارض، وبعض الناس تغلب عليهم السذاجة فلا يؤيدون ولا يعارضون، وقد تماسك الرجل فى أزمات كثيرة، وعرف كيف يقارع الحوادث والخطوب حتى أصبح رجلاً يحسب له حساب فى الرأى والفكر.

(*) الكاتب: مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة.

وفيها يلي نعرض جانبا من مواقفه تجاه الوطن المصرى ، والعربى ، والإسلامى ، وتأصيل الثقافة العربية والإسلامية .

زكى مبارك ووحدة الوطن :

لعل من أبرز سمات « زكى مبارك » : ولاؤه لوطنه ، وقد نشأ معه ذلك الولاء منذ ارتباطه بقريته ـ سنتريس ـ (بمحافظة المنوفية فى مصر) أو وطنه الأدنى ، حتى بلغ الولاء به أعلى مراتبه مع وطنه الأعلى « إذ أن الوطن بيت كبير والأمة أسرة واسعة »[(1)] ، كما أن حب الوطن له مدارجه ، فالإنسان يحب بيته ثم قريته ثم إقليمه ثم وطنه ثم أمته ، وهى كلها بيئات انتسب لها « مبارك » ونعم بخيراتها ونطق بلغتها وخضع لنظمها واحتمى بقومها وتشرب ثقافتها واشترك فى المشاعر مع أهلها ، وأخذ منها وأعطى فأصبح منها وهى منه ، « فوحدة الآلام والآمال ووحدة الثقافة ، مما يجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى »[(2)] .

وفى ضوء هذا الفهم كانت وحدة الوطن إحدى الدعائم التى أقام عليها « مبارك » صرح القومية العربية ، وهى وحدة تستدعى النظر إلى مصريته ثم عروبته :

(أ) ارتباطه بالوطن المصرى :

لا ريب أن الوطن المصرى ـ كوحدة جغرافية مستقلة ـ يمثل ركنا طبيعيا هاما من الوحدة العربية فى البيئة الكبرى لما بينها من تشابه فى كثير من الخصائص كما يذهب إلى ذلك « رمزى موير » بقوله : « إن الإقامة فى بقعة جغرافية ذات معالم مقصورة عليها هى فى الغالب معدودة بين الروابط التى لابد منها لتكوين الأمة . . يرجع الفضل فى قوميتها إلى تلك الوحدة ولذلك الحب الذى يشعرون به للتربة التى درجوا عليها »[(3)] .

ويبدو أن أول من عبر عن الشعور بالمصرية ومعانى الوطنية هو « رفاعة الطهطاوى » ، الذى كان أحد رواد النهضة فى هذه الفترة ، ثم تبعه آخرون فى ذلك كأديب إسحق ، الذى نقل إلى المصريين شيئاً من بذور الثورة الفرنسية ، كما نقل تفسيرا لكلمات الوطن والوطنية ، وكذلك « على مبارك » فى كثير من مؤلفاته [(4)]، وكذلك « أحمد لطفى السيد » الذى اشتهر بفكرة القومية المصرية[(5)] ، حتى كان العهد بزكى مبارك .

ولعلى لا أبتعد عن الحقيقة إن ذهبت إلى أنه كان من أشد كتاب عصره إيمانا بالوطنية وأكثرهم ترجمة لمشاعره عنها وأغيرهم على استقلال وطنه ، ربما لأنه أكثرهم ارتباطا به « فالوطنية هى ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن »[(6)] .

ومن أبرز دلائل هذا الولاء ، مشاركته الفعالة فى ثورة ١٩١٩ ـ منذ فجر شبابه ـ وعدم تنازله عن وطنيته رغم مالاقاه من اضطهاد واعتقال[(7)] .

---

(1) ميشيل عفلق : فى سبيل البعث ـ القاهرة ـ ص ٣١ .

(2) ساطع الحصرى : ما هى القومية ـ القاهرة ـ ٢٥٢ .

(3) العقاد : ساعات بين الكتب ـ القاهرة ـ ص ٢١٠ .

(4) الدكتور عبداللطيف حمزة : مستقبل الصحافة ـ القاهرة ـ جـ ١ ص ١٧٥ .

(5) الدكتور عبداللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ـ القاهرة ـ جـ ٦ ص ٢١٨ .

(6) ساطع الحصرى : آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ـ مطبعة الرسالة ـ القاهرة (١٩٤٤) . ص ٧ .

(7) راجع الجامعة الإنسانية ، الاتجاه السياسى .

ومما يؤكد انتماءه لوطنه وولاءه لاستقلاله موقفه من « مشروع ملنر » ، ففى عام (١٩٢٠) نظم « أحمد شوقى » قصيدة فى الدعوة إلى قبول « مشروع ملنر » ، وقرأها « مبارك » وهو فى غياهب الاعتقال ، وقد صور وقعها عليه بقوله « ثار غضبى عليه وصممت على إيذائه حين أجد السبيل إلى تنسم هواء الحرية »[١] ، وعندما خرج من الاعتقال فى خريف سنة (١٩٢٠) كان أول ما كتب مقالة تحت عنوان « مقاصد الشعراء »[٢] حمل فيها بالنقد الساخر على موقف « شوقى » من مشروع « ملنر » ودعاه ـ متهكما ـ إلى ضرورة التفرقة بين « الحكم على صفاء الكأس ، وحلاوة العين ، ورشاقة القد » وبين الحكم على آمال أمة تختلف أطماعها باختلاف عقول أبنائها من العلماء والحكماء ، كما دعا إلى عدم الاقتداء به ، إذ أن شعره ليس شريعة عامة للشعب ، فهو بدلا من أن يتعالى إلى أبكار الأمانى ، يتسفل إلى ثنيات النوازع ، كما يدعو الناهضين إلى السقوط ولا يحض الساقطين على النهوض » .

ومن ثم فقد كشف موقفه الثورى سنة (١٩١٩) عن آماله فى وطنه وآلامه التى استعذبها فيه ، يعبر عن ذلك بقوله : « أحبك ياوطنى وأستعذب عذابى فيك لأنك فى عنق وقلبى غاية فى روعة الجمال ، فلم يعان أحد من الظلم فى وطنه ما عانيت فما زادنى ذلك الظلم الأثيم إلا عرفانا بجمال وطنى ، وهل رأيتم جميلا غير ظلام »[٣] ، وفى مجال الفخر بوطنه والتنبؤ بمستقبله المشرق ، يقول : « لن تضام مصر ولن يضام أهلها ولن تجف أقلامها ولن يكون لها بين المظلومين مكان ... لا أقول إن مصر باقية ما بقى النيل ولكن أقول إنها باقية ما بقى الوجود ، وهى التى شرعت لجميع الأمم مذاهب الرأى والفكر »[٤] .

مقاومة أعداء العروبة والإسلام :

كما يمكن النظر إلى مقاومته لأعداء العروبة والإسلام على أنها من أول الدلائل على صدق وطنيته ، فقد أدرك أبعاد المخططات الاستعمارية وما تستهدفه من تفكك الوحدة الوطنية ، فكان إذا ذكر أهل الغرب ألقى الضوء على مساوئهم ، وهذا فى حد ذاته نوع من التوجيه الوطنى التنويرى ، من ذلك قوله : « إن أهل الغرب لئام تطغيهم القدرة وتعميهم النعمة ، ولن تكون هذه المبتدعات فى أيديهم إلا وسائل فناء وإهلاك وتخريب »[٥] ، وهو يسعى هنا إلى إثارة الشكوك حولهم وإيقاظ الشعب لأهدافهم ، وإثارة السخط عليهم والكراهية لهم حتى لا ينخدع بهم كاتب أو قارىء .

وينجح الإعلامى عادة فى إثارة الكراهية عندما يقدم معلومات جديدة يشعل بها النار ، أو يزيد الشرارة الملتهبة اشتعالا ، وتفعل أجهزة الإعلام ذلك لإثارة الشك نحو الأجانب غير المرغوب

---

(١) الدكتور زكى مبارك : الأسمار والأحاديث ـ القاهرة ـ ص ١٦٢ .

(٢) جريدة المحروسة : ٢٣ أكتوبر (١٩٢٠) ، الدكتور زكى مبارك : أحمد شوقى ـ القاهرة ـ ٢٤٥ .

(٣) الرسالة : ٣٠ سبتمبر (١٩٤٠) ، الحديث ذو شجون ـ ص ١١٩ .

(٤) الرسالة : ٣٠ سبتمبر (١٩٤٠) ، الحديث ذو شجون ـ ص ١١٩ .

(٥) الاثنين والدنيا : ٦ مايو (١٩٤٢) .

فيهم[1] ، ومن ثم فقد اشتد « مبارك » في وصف المستعمرين ولجأ إلى وصمهم بصفات المنافقين في سبيل التنفير منهم ، فقال عنهم : « لا يوفون إذا عاهدوا ولا يصدقون إذا وعدوا ، ولا يبرون إذا أقسموا ، فهم مغرمون بنقض العهود وتمزيق المواثيق ، ولست في حاجة إلى تذكير قرائي بالسبعين وعدا التي ظفرنا بها من الساسة الإنجليز »[2] ، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك عندما رأى أن « كل من يمت إلى الغرب بصلة قريبة أو بعيدة إنما هو خادع ماكر خبيث لا عهد له ولا أمان »[3] .

وليس من شك أن العلاقة قوية بين الوطنية وإعلان الحرب على دعاة التغريب فيا استمد نجاح مقاومته إلا من وطنيته وعروبته ، وطالما فخر « مبارك » بأنه مصري عربي ، وردده يملأ بها فمه أو يشغل بها قلمه ، كما تغنى بعروبة وطنه الذي ينتسب إليه سياسيا ، يقول : « أنا عربي والمصريون عرب في أقوالهم وأفعالهم وسجاياهم ودينهم ومذاهبهم »[4] .

زكي مبارك وزعامة مصر :

و « مبارك » مولع بتمجيد زعامة مصر ، وفي ذلك يقول : « مصر اليوم هي دولة الفكر والرأي وإليها المرجع في الفصل بين الحقائق والأباطيل »[5] ، وهو مغرم - أيضاً - بتأكيد صمودها ، ومن ذلك قوله : « فيا طمع فيها طامع إلا قصمت ظهره ، ولا دخلها غاصب إلا كانت وبالا عليه ، ولو استفتيت التاريخ لأفتاك ثم أفتاك »[6] ، وقد أشار بإعزاز إلى قول « مصطفى كامل » : « لو لم أكن مصريا لتمنيت أن أكون مصرياً » ، معلقا على عبارته بقوله : « إنها أصدق من الصدق وأصوب من الصواب »[7] ، وفي موضع آخر يبالغ في انتيائه لوطنه بقوله : « ولو أني أستغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب على ذنوب »[8] ، ولعله لم يبتعد عن الحقيقة عندما وصف نفسه بصفات إحداها : « الوطنية الصادقة التي يعرفها جميع الناس »[9] .

ويظهر مما سبق أن « مبارك » كان وطنيا بكل ما تحمله الكلمة من صدق ، وإذا عُدَّ الوطنيون المخلصون فهو في الرعيل الأول ، شرّق وغرّب وأفصح وأعرب وهو في كل حالاته ونزعاته مصري عربي .

(ب) ارتباطه بالوطن العربي :

تأسيساً على أن « وظيفة الإعلام ليست دعم الاتجاهات فقط ، إنما قد تحدث التغيير



(1) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير - ص 97 .
(2) الاثنين والدنيا : المرجع السابق .
(3) أنور الجندي : زكي مبارك ودراسة تحليلية - ص 103 .
(4) الرسالة : 12 يولية 1943 . الحديث ذو شجون - مرجع سبق - ص 436 .
(5) الرسالة : 12 يولية 1943 . الحديث ذو شجون - مرجع سبق - ص 436 .
(6) الرسالة : 27 يولية 1942 . الحديث ذو شجون - مرجع سبق ص 290 .
(7) الرسالة : 27 يولية 1942 . الحديث ذو شجون - مرجع سبق ص 290 .
(8) الرسالة : 30 سبتمبر 1940 .
(9) مسامرات الحبيب : 30 أكتوبر 1949 .

أيضاً »[١] ، فإنه يمكن النظر إلى منهج « زكى مبارك » فى اتجاه وحدة الوطن العربى على أنه تغيير للمناخ العربى ، وأعنى به التغيير الذى يقوم ـ عند بعض الباحثين ـ على « التقمص الوجدانى الذى يميز انتقال المجتمع من الشكل التقليدى إلى الشكل الحديث ، فيحفز بذلك الأفراد للعمل فى حرية وتعاون كاملين »[٢] لتحقيق المثل التى يرجوها من خلال استراتيجيته القومية التى يستهدف بها صالح وطنه وعروبته ، فهو يدعو « أبناء العرب فى المشرق والمغرب إلى حب جميع البلاد العربية حبا يصيرها فى عيونهم وقلوبهم ملاعب حبيبة ، أدعوهم إلى التآخى الصادق المتين ، أدعوهم إلى « التصوف فى الأخوة » بحيث يصبح كل رجل وهو مسئول عن حياة أخيه فى المحضر والمغيب »[٣] .

زكى مبارك والقضية الفلسطينية :

والواقع أن « مبارك » الذى جاهد أصدق الجهاد فى نقل الغرر من آيات الأدب الفرنسى الحديث ، هو عينه « مبارك » الذى قاوم خصوم العروبة ومن آزرهم بأسلوب يشهد أنه مجروح القلب من أزمات جيله ، يتضح ذلك من شدته على من تعاون مع خصوم العرب ، وهو مخدوع أو غير مخدوع ، فيقول : « الدنيا كلها تجتمع ، ونحن نفترق ، مع أننا أحوج من سائر العالمين إلى الائتلاف ، والعرب والمسلمون فى جميع بقاع الأرض يرون مصر مشرق الأنوار العربية والإسلامية »[٤] .

ولقد توسل « مبارك » بلسانه وبيانه وسائر جهوده لحراسة أمجاد العرب والمسلمين والدفاع عن قضاياهم حيثما كانت ، فعلى سبيل المثال تراه يتعاطف مع قضية فلسطين ويفرد لها فصلا بأحد مؤلفاته[٥] ، يصور فيه نبضاتها وأزماتها ، ولم يخف على المستشرقين حبه لها وحسرته عليها ، فأغراه « كانير » ـ من مستشرقى فرنسا ـ بقضاء شهر رمضان فى « فلسطين » ـ قبل محنة عام (١٩٤٨) ـ لإلقاء عدة محاضرات عن « الديموقراطية فى الإسلام »[٦] بحجة أن أهل « فلسطين » يحبون رؤية وجهه وكان رد زكى مبارك عليه : « إذا كنت تظن أنك تستطيع أن تشتريني وتشترى قلمى لحساب الحكومة البريطانية ، فيؤسفنى أن أرفض طلبك من أوله لآخره ، ولست على استعداد لأن ألقى هذه المحاضرات إلا إذا قبلتم أن أشن فيها الحرب على المستعمر الإنجليزى »[٧] ، فقال له « كانير » بإعجاب بالغ : « إذا كنت قد أسفت لأنك رفضت هذه المحاضرات ، فإنى قد سعدت جداً بأن أقابل وطنيا يضع مصلحة وطنه فوق كل شىء »[٨] .

وينطوى هذا الموقف على ولائه لأهل

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ـ مرجع سبق ـ ص ١٥٦ .

(2) Daniel Lerner, the passing of traditional Society : modernizing the middle East. Illinois., (1964) pp. 47-48.

(٣) الرسالة : ١٩ أغسطس (١٩٤٠) ـ الدكتور زكى مبارك : الحديث ذو شجون ـ مرجع سبق ـ صفحات ٨٢ ـ ٨٤ .

(٤) الرسالة : ١٩ أغسطس (١٩٤٠) ـ الدكتور زكى مبارك : الحديث ذو شجون ـ مرجع سبق ـ صفحات ٨٢ ـ ٨٤ .

(٥) ليلى المريضة فى العراق ـ القاهرة ـ جـ ٢ ص ١٢٠ .

(٦) الصباح : ٦ مايو (١٩٤٣) .

(٧) الصباح : ٦ مايو (١٩٤٣) .

(٨) الصباح : ٦ مايو (١٩٤٣) .

فلسطين ، حيث رفض زيارتهم عن طريق الدعاية البريطانية ، كما يعكس ـ أيضاً ـ يقظته لكل ما استحدث الاستعمار من أساليب وأحابيل ، مما يؤيد ذلك أنه أثناء الحرب العالمية الثانية اشترت الدعاية البريطانية أقلام بعض الكتاب والخطباء العرب ، ولكنها عجزت عن شراء ضمير الدكتور زكى مبارك ، رغم أنه كان يعانى فى تلك الفترة ضائقة مالية ، واضطهاد ظالم فى عمله بوزارة المعارف[1] .

زكى مبارك وموازرة العراق :

والواقع أن موقفه القومى من « فلسطين » لا يقل عن مؤازرته للعراق ، أوضح ذلك بقوله : « وكيف لا أصدق فى حب وطن كاد ينسيق وطنى ، ولو عبرت عن نفسى تعبيرا صحيحا لقلت إنى لم أستطع التوهم بأن مصر والعراق وطنان مختلفان »[2] ، هذا فضلا عن توجيهه لحياة العراق الأدبية والاجتماعية ، ودفعها على طريق العروبة ، أثناء إيجاته هناك ، وقد أعانه إخوانه العراقيون ـ على حد قوله ـ « على تحقيق هذا الغرض الشريف ، فهم الذين دعونى إلى الاشتراك بأنديتهم الأدبية والعلمية ، وحضونى على المشاركة فى توجيه الرأى العام بالمقالات والمحاضرات »[3] .

ولعل هذا ما أتاح لأهدافه القومية أن تثمر « بلا مشقة ولا عناء »[4] ، لذلك عندما أنهى مهمته ببغداد أصدرت جريدة « الهدف » البغدادية عددا خاصا تقديرا لجهوده وتكريما له كصديق للعراق ، وتحت عنوان « وإذا حييتم بتحية »[5] أشار « مبارك » إلى هذا التكريم وقال : « ليس فى مقدورى أن أرد تحية جريدة الهدف ، فذلك امتحان لا أتقدم إليه وأنا طائع لشعورى بالعجز عن وفاء هذا الدين النفيس ويبدو أن « مبارك » ارتبط بالعراق ارتباطا قويا على اعتبار أنه ظل رمزا لحضارة العرب فى أكثر عصوره ، ومن ثم فقد بالغ فى حجم الصلة بينهما بقوله : « سيسأل قوم عن زكى مبارك وجسمى مدفون بصحراء صباه ، فإن سألوا عنى ففى مصر مرقدى وفوق ثرى بغداد تمرح أهوائى »[6] .

ويرى « فهمى شلبى » أن من دلائل ولائه للعراق أنه سجل خواطره معها واستوحى أعماقها من عبق التاريخ ، وقد استدل على ذلك بمجلداته التى عاد بها ، وأصبح من خلالها رائدا على درب القومية العربية[7] .

ولعل لا أبتعد عن الحقيقة إن ذهبت إلى أن كتابه « ليلى المريضة فى العراق » هو أقرب هذه المجلدات إلى روح القومية العربية ، إذ صورت مقالاته فيه بعض المعضلات التى تعانيها فلسطين وسورية ولبنان ومصر والعراق ، تصويرا كشف عن عمق إدراكه لسرائر هذه البلاد .

---

(1) محمد محمود رضوان : صفحات مجهولة ـ القاهرة ـ ص ١١٢ .

(2) الرسالة : ٢٣ سبتمبر (١٩٤٠) ، الحديث ذو شجون ـ القاهرة ـ صفحات ١١٢ ـ ١١٣ .

(3) الرسالة : ٢٣ سبتمبر ١٩٤٠ ، الحديث ذو شجون ـ مرجع سبق ـ ص ١١٢ .

(4) المرجع السابق .

(5) المرجع السابق .

(6) الرسالة : ١٨ مايو ١٩٤٢ .

(7) مجلة الهلال : أول أغسطس ١٩٨١ ـ مقال ، زكى مبارك مصارع الأنباء .

وهكذا فإن موقفه القومى من فلسطين والعراق لا يقل عن موقفه من بقية الأقطار العربية ، وعندما اعتزم « الزيات » إصدار أعداد خاصة بالأقطار العربية للتنويه بشأنها والتعريف بأهلها »[1] ، كتب « مبارك » مقالته تحت عنوان « فى سبيل الوحدة العربية »[2] ، يعرب فيها عن تجنيده لتلك المهام القومية فى سبيل العروبة وآدابها ، فقال « وأنا بمشيئة الله حاضر لمساعدته . . » فإن استطاعت « الرسالة » أن تصدر عددا خاصا بكل قطر من أقطار العروبة ، فستؤدى للأدب الحديث خدمة معدومة النظير والمثيل »[3] .

زكى مبارك والإعلام الصحفى :

وقد توسل « مبارك » بفن الإعلام الصحفى للتأثير فى أفكار الشعب وآرائه ومعتقداته وحمله على سلوك الإخاء والتضامن عن طريق تفسير الأحداث بطرق شتى تحفزهم على تحسين التفاهم ومقاومة الانقسام وفى سبيل تحقيق (وحدة العرب) فى خطته القومية الشاملة حاول أن يكون « التخطيط الإعلامى متشابكا ومتفاعلا مع الخطط الأخرى المكونة للخطة القومية العليا[4] » ، ومن ثم فقد آلى على نفسه بمقاومة ما يؤثر فى إرادة الأمة وقدرتها على التآلف القومى ، ومقاومة ما يدمر روحها المعنوية ، ومن ثم فعندما تعالت صيحات مناهضة لفكرة القومية العربية بحجة أنها دعوة رجعية منافية للإنسانية ، وكانت القومية عندهم هى الوقوف عند حدود الوطن واللغة والدين ، فقد تبارى « مبارك » للرد عليهم وإخماد صيحتهم .

وتحت عنوان « بين القومية والإنسانية »[5] :

زكى مبارك والأخوة الإسلامية :

قال : « إن حجتنا هى الصحيحة وهى الأساس لكل إصلاح ، وهى أن تبدأ بنفسك ، والذى يعجز عن إقامة بيت فى القاهرة لا يستطيع إقامة عش فى فيافى اليابان ، وقد حدثناكم ألف مرة أن لمصر قومية عربية توجب عليها أن تنظر بعين الأخوة إلى من يفهم عنها وتفهم عنه ولو كان سكنه فى الصين ، حدثناكم أيضاً أن مصر لن تصم آذانها عمن يدعوها باسم الأخوة الإسلامية ، ولو كان من سكان المريخ ، (فيافلان) الذى ينفر مصر من العواطف العربية والإسلامية باسم الغيرة على الإنسانية ، مكانك مكانك ، فلن يقبل الله لك عملاً » .

(يتبع)

---

(1) الدكتور زكى مبارك : الحديث ذو شجون ـ مرجع سبق ـ ص ٢٤٠ .
(2) المرجع السابق .
(3) المرجع السابق .
(4) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال ـ مرجع سبق ـ ص ٣١١ ـ ٣١٦ .
(5) الرسالة : ١٨ مايو ١٩٤٢ ، الحديث ذو شجون ـ مرجع سبق ـ ص ٢٤٠ .

دور العقاد

فى الحياة الأدبية والنقدية

للأستاذ الدكتور:
السيد مرسى أبو ذكرى

تقديم:

عباس محمود العقاد ١٨٨٩ - ١٩٦٤ ، من ألمع الكتاب المعاصرين ، خالط الأوروبيين فى آدابهم وفنونهم وعلومهم وفلسفاتهم ، فأخذ عنهم وأعطى ما استقر فى وجدانه من أصالة ، دون أن يذوب فى عالم التغريب . له العديد من الآثار ، فى مختلف فروع الأدب والعلم والفن ، والفلسفة والاجتماع والتاريخ والدين ، بخلاف الكثير من المقالات الأدبية بمجلات : الهلال والرسالة ، والكتاب والأزهر ومنبر الإسلام . وما هى أهم آثاره .

ابن الرومى : حياته من شعره:

احتل العقاد منزلة سامية فى مجال الدراسات الأدبية ، لما قدم فيها من آثار ، مثل كتابه « ابن الرومى حياته من شعره » الذى قال عنه فى أول سطوره : « هذه ترجمة وليست بترجمة ، لأن الترجمة يغلب أن تكون قصة حياة ، وأما هذه فأحرى بها أن تسمى صورة حياة »[1] والكتاب ترجمة وصورة حياة معا .

عنى العقاد فيه بإبراز طبيعة ابن الرومى الفنية المتميزة ، ورد عبقريته الفنية إلى حب الحياة والطبيعة ، وإلى إحساسه العميق ، وخلال حديثه عن فلسفته ، فسر إدراكه الدقيق للحياة منذ صغره ، موضحا أنه ظل ينشد اللذة ، ويهرب من الألم .

وختم دراسته بالحديث عن صناعة ابن الرومى ، وما يتميز به من خصائص فنية ، مؤكدا أن حياته وفنه شىء واحد ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، وأنه لم يكن شاعر مواسم ومناسبات .

(١) راجع : العدد ٢١٤ من مجلة الهلال الخاص بالعقاد . الصادر فى يناير ١٩٦٩ .



وأنهى الحديث عنه بذكر طائفة من أشعاره تمثل شاعريته فى مختلف جوانبها النفسية .

شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى :

نشره العقاد ١٩٣٧ ، اهتم فيه ببيئات الشعراء وصداها فى أشعارهم ، واعتمد فى ترجماته لهم على سرد الأخبار ، لا على ترتيب السنوات ، ليرسم صورا تبرز ملكاتهم الشعرية . لذا نراه يقدم شاعرا على آخر سبقه فى الزمن ، مثل حافظ إبراهيم الذى قدمه على البارودى ، وعبد الله النديم وغيرهما ، وكشف الدوافع النفسية التى قربت بين حافظ والبارودى ، مثل الجندية ، والصياغة الجزلة ، ورغبتهما فى الثورة ، بجانب اتخاذهما الشيخ المرصفى قدوة فى تذوق الكلام .

وبذا كشف النقاب عن مكانة حافظ فى الشعر المصرى الحديث ، ثم أتبعه بالحديث عن حفنى ناصف، فإسماعيل صبرى ، فمحمد عبد المطلب ، فتوفيق البكرى ، فعبد الله فكرى ، فعبد الله النديم ، فعلى الليثى ، فمحمد عثمان جلال ، فمحمود سامى البارودى ، فعائشة التيمورية ، فأحمد شوقى . وهم الشعراء الذين برزوا على مسرح الحياة الأدبية ، ولا صلة بينهم سوى اللغة العربية أداة القول فيما يجيدون من فنون .

شاعر الغزل :

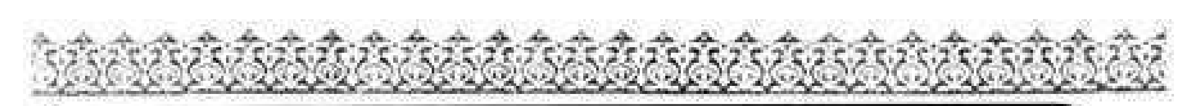
فى ١٩٤٣ أفرد العقاد كتابا للشاعر المكى عمر ابن أبى ربيعة ، سماه « شاعر الغزل » ضمنه ملامحه من واقع أخباره وعصره وأشعاره ، موضحا أنه ظاهرة أدبية ونفسية فريدة فى أدبنا ، يتميز بهبة الفن وصدق التعبير .

لاحظ العقاد خلو شعره من بيت يدل على سطوة رجل روعه جمال أنثى ، وأبرز أنه إمام مدرسة فى صناعة القصيد ، أحدثتها بيئة الحجاز التى شاع فيها عقد المجالس وتبادل الهوى .

جميل بثينة :

فى ١٩٤٤ قدم العقاد دراسة عن جميل بثينة شاعر البادية العذرى ـ معاصر ابن أبى ربيعة ـ فرد لهذا العذرى إنسانيته المادية ، وكشف عن صدق عشقه لبثينة ، ونفذ منه إلى خلائقه ، حيث لا يخلو الهوى العذرى من نزعات جسدية .. ورأى أن الغزل الحسى هو « التعبير الصادق عن الحب الذى يتناول الغرائز النوعية والطبائع الكونية ، ويفضى للغبطة والمرح والانتشاء .

وخلال حديثه عن مكانة جميل فى صناعة الشعر ، اعترف بإجادته وأستاذيته فيه حتى بعد عصره ، وخلص إلى أن شعره أقوى من شعر ابن أبى ربيعة ، وأنه لا يدنو إليه أحد شعراء عصره .



وفى النهاية سرد بعض أخباره ، وسجل نماذج من شعره .

أبو نواس الحسن بن هانىء :

فى ١٩٥٣ نشر العقاد آخر دراسة أدبية له ، عنوانها «أبو نواس الحسن بن هانىء» دراسة فى التحليل النفسانى والنقد التاريخى . اهتم فيها بالتحليل النفسى لشذوذ أبى نواس وتعليله ، موضحا أن ديوانه يعبر عن دخائل نفسه ، وبواطن حياته .

اتخذ العقاد التحليل النفسى فى تفسير نرجسية أبى نواس ، وما تراكم على شخصيته طوال العصور ، وأرجع نرجسيته إلى مجاهرته بشرب الخمر ، وفجوره وفحشه ، وإباحيته وشذوذه[١] وانتهى إلى أنه لا يعد من الملحدين والمتزندقين ، رغم مافى شعره من إلحاد وزندقة . وليست أشعار الزهد لديه صادرة عن إيمان صحيح ، فى حين نجده فزع إلى الشعر فى لحظات سمت نفسه فيها ، فوقف واعظا وأعلن توبته .

حاول العقاد التخفيف من حدة التفسير النرجسى لشخصيته وطبيعته ، فقال : «ولئن كان حبه مشوبا بشهواته ، لقد كان لمحاسن الدنيا حب مطبوع فى وجدانه وذوقه ، وكان له فى تلك المحاسن وصف يكسو الحياة زينة ، ويصقل ما اخشوشن من شدائدها وأكدارها على نفوس الأحياء»[٢] .

العقاد والعبقريات :

اتجه العقاد لدراسة شخصيات الإسلام ، فترجم لطائفة منهم ، وابتغى منها أن يقتدى الشباب بهم فى دينهم وعروبتهم . والعظماء الذين تحدث عن عبقرياتهم هم : سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد ، والشيخ محمد عبده ، وترتيبهم حسب تواريخ ظهورها .

عبقرية محمد :

صدرت عبقرية محمد ١٩٤٢ ، وافتتح العقاد كتابه بقوله : «إنما الكتاب تقدير لعبقرية محمد بالمقدار الذى يدين به كل إنسان ، ولايدين به المسلم وكفى . . . لأنه قدوة المقتدين فى المناقب التى يتمناها المخلصون لجميع الناس ، عظيم لأنه على خلق عظيم[٣]» .

اعتمد العقاد على التاريخ فى تصوير شخصية سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - الدينية والقدسية ، وتجنب الخوارق التى رافقت ميلاده ، وركز على واقع محمد النبى الداعى ، بكل مافيه من أخلاق وخلق فحقق تبليغ الدعوة بالعقل المدبر ، واللسان الفصيح ، فكانت عبقريته فى شجاعته وحروبه وملكاته ، وفى رحمته وبره ، وعطفه ونزاهته ، حيث حقق أسمى مبادىء

---

(١) النرجسية : نسبة إلى زهرة النرجس النحيل الذى يقضى الدهر مطلا على الماء ، كأنما اعجب بجسمه وصورته .

(٢) راجع : خاتمة كتاب «أبو نواس الحسن بن هانىء» للعقاد . طبعة الأنجلو المصرية بدون تاريخ .

(٣) راجع : عبقرية محمد ص ٨ . عباس محمود العقاد . طبعة المكتبة التجارية ببيروت بدون تاريخ .



الخلق الاجتماعي والإنساني . وبهذه الملكات العظيمة رد العقاد على تخرصات خصوم الإسلام حول تعدد أزواجه ، وحمل السلاح دفاعا عن نفسه ودعوته .

عبقرية عمر :

فى ١٩٤٢ كذلك كانت « عبقرية عمر » اهتم خلالها بشخصية عمر وما تحلى به من مثل عليا ، مما حداه إلى القول فى مقدمة دراسته عنه : « كتابى هذا ليس بسيرة لعمر ، ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التى تقصد بها الحوادث والأنباء ، ولكنه وصف له ودراسة لأطواره ، ودلالة على خصائص عظمته ، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة »[1] .

رأى العقاد أن عظمة عمر ، تجمع بين القوة والعدل ، والرحمة والحزم ، وتابع درس خصاله وأفعاله . حتى عثر على مفتاح شخصيته المتمثلة فى الشجاعة والصراحة ، والغيرة والنخوة ، والنظام والطاعة ، وحب الإنجاز فى حدود التبعات والمسئوليات . وبهذا كشف العقاد شخصية عمر بكل أعماله ، ومختلف علاقاته ، ووجوه عظمته .

عبقرية خالد:

فى ١٩٤٤ كانت « عبقرية خالد » ، صور العقاد فيها ما يتميز خالد به ، من شجاعة وجلد ويقظة فى ميدان القتال ، بجانب حضور بديهته ، وسرعة ملاحظته ، وقوة تأثيره ، ووضع الخطة الدقيقة عند الحاجة . وجعل مفتاح شخصيته ـ طبيعة الجندى ـ هو نفس مفتاح شخصية عمر ، لأنهما جنديان مثاليان ، لكنهما يختلفان فى النفسية والأخلاق ، حيث كان ابن الخطاب جنديا فى أخلاقه الوازعة الحاكمة ، وكان ابن الوليد جنديا فى أخلاقه الدافعة المهاجمة .

عبقرية الإمام :

فى ١٩٤٩ نشر العقاد « عبقرية الإمام » بدأها بالحديث عن الشيم الرفيعة للإمام على بن أبى طالب ، ولم يلبث أن عثر على مفتاح شخصيته ، ممثلا فى آداب الفروسية التى تجمعها كلمة « النخوة » ، وما تحمله من معانى الأنفة والشرف ، لم ينسه أنه « على » قط ، حتى كأنه جزء من فطرته ، ويعيش وفق مبادئه يراعيها ، فى جميع أعماله وعلاقاته ، دون اهتمام بمصلحة شخصية أو إيثار مأرب دنيوى زائل .

عبقرية الصديق :

فى ١٩٥١ نشر العقاد كتابه « عبقرية الصديق » وقرر فيه أن هالة الجلال التى تحيط بأبى بكر ، نشأت من التوقير لا من التجميل الذى يؤول إلى التزييف ، فقال : « . . . فهذا هو التوقير الذى لا يخل بالصورة ، ولا يعاب على المصور ، وليس هو بالتجميل المصطنع الذى يضلل الناظر عن الحقيقة . فكل فضيلة أثبتناها لأبى بكر فى هذه الصفحات فهى فضيلة لانزاع فيها ، وكل عمل استطاعه ووصفناه بقدرته ، فقد استطاعه بغير جلال ، وما من عمل لم يعمله قلنا إنه قد عمله ،

---

(١) راجع : عبقرية عمر ص ٦ . عباس محمود العقاد . دار المعارف ١٩٧٦ .

ولا من قدرة لم تظهر منه جعلتاها من صنوف قدرته »[1] .

وجسم العقاد مثالية أبي بكر ، في ألفه وحسن عشرته ، وتواضعه ولينه ومروءته ، وظل يتابع إبراز ملامح الصديق ، حتى اهتدى إلى مفتاحها الدقيق ، وهو الإعجاب بالبطولة ، مما جعله رائد المقتدين بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأول المهتدين به عن إيمان عميق ، ووعي صادق .

محمد عبده :

في ١٩٦١ نشر العقاد كتابا عن « محمد عبده » ، رسم فيه عبقريته في الإصلاح والتعليم ، وقدم صورة نفسية له ، استمدها من جهاده في سبيل الوطن ، وإصلاح الأزهر ، وخدماته التعليمية والاجتماعية ، مع الاستفادة من مذهبه الفلسفي . وبذا نجح العقاد في رسم عبقرية الأستاذ الإمام ، على غرار عبقرياته السابقة ، من إبراز القدوة تحت أعين الجيل ، حتى ينهجوا نهجه في حمل أمانة العقيدة ، ويترسموا خطى الحق والخير والجمال ، في مختلف أعمالهم .

العقاد والشخصيات النادرة :

كما اهتم العقاد بطائفة من الشخصيات النادرة في تاريخنا ، من أمثال : عمرو بن العاص ، وعثمان بن عفان ، وبلال بن رباح ، ومعاوية بن أبي سفيان . واهتم خلال الحديث عنها بالتحليل النفسي ، الذي قاده إلى الوصول لأحكام صائبة .

إيمان العقاد بالعرب والعروبة ، جعله يكثر الحديث عن المتنبي وأبي العلاء في مجاميع مقالاته الأولى . وألف كتابه « رجعة أبي العلاء » . واتجه إلى فلاسفة العرب ، فكتب عن ابن سينا باسم « الشيخ الرئيس » ١٩٤٦ ، وعن « ابن رشد » ووضح في الحديث عنها أصالة الفكر الفلسفي العربي . واختار من دعاة الإصلاح المحدثين عبد الرحمن الكواكبي ، وسماه « الرحالة : جاك » ونشره ١٩٥٩ ، وضمنه نضال العرب من أجل النزعة التحررية القومية .

والمعروف أن العقاد وقف منذ مطلع حياته الأدبية ، على الفلسفات والآداب والفنون الغربية ، وبعد أن تمثلها أخضعها لسلطان عقله ، مكونا صورا فيها لنفسه ، ظل ينشرها في مقالاته تارة ، وفي مؤلفاته أخرى .

فكانت كتبه عن « فرنسيس بيكون » ١٩٤٤ مؤسس العلم التجريبي ، عرض فيه عصره وحياته ، وفلسفته ومكانته الأدبية . و « برنارد شو » ١٩٥٠ ، الذي تناول فيه عصره ونشأته ، ومؤلفاته ونظراته في العلم والفن . وكتابه « بنجامين فرانكلين » ١٩٥٧ الذي ضمنه جوانبه العلمية والأدبية ، والفلسفية والإنسانية . و « التعريف بشكسبير » ١٩٥٨ الذي سجل فيه أحداث عصره بجانب حياته وشخصيته وفنه ومسرحياته وشعره ومنزلته العالمية . وتحدث في كتابه « شاعر أندلسي وجائزة عالمية » ١٩٦٠ ، عن الأدب الأسبان والشاعر المعاصر « خيمنيز » وكتابه عن حماره « بلاتيرو » وتأملاته معه في مظاهر الحياة .

(١) راجع : عبقرية الصديق ص ٩ ـ ١٠ عباس محمود العقاد ، المطبعة العصرية ببيروت بدون تاريخ .



متفرقات من آثاره :

بجانب ما ذكرناه توجد للعقاد متفرقات من آثاره الخالدة ، مثل : « عالم السدود والقيود » الذى ضمنه مشاعره ومشاهداته فى عالم السجون والمعتقلات لمدة تسعة شهور ، مع وصف بارع لبعض منها ، حيث يقول :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر
فها أنا فى ساحة الخلد أولد
عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما
سيعهدنى كل كما كان يعهد

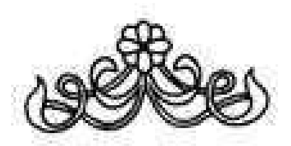
ومنها « جحا الضاحك المضحك » ١٩٥٦ الذى تحدث فيه عن فلسفة الضحك والفكاهة ، وجحا ونوادره . ومنها « رجال عرفتهم » ١٩٦٣ الذى حفل بتعليقات متفرقة على سيرة نفر من الأعلام الذين برزوا فى الثلث الأول من القرن الحالى . والكتاب حافل بالمعلومات التى توضح صلات العقاد بهم .

توجيه العقاد للحياة الأدبية والنقدية :

بهذا كان للعقاد دوره فى توجيه الحياة الأدبية والنقدية المعاصرة ، بما خلف من آثار أدبية ، توضح منهجه النقدى وآراءه فى الأدب والفنون ، حدد محمد خليفة التونسى ١٩١٥ ـ ١٩٨٨ منهج العقاد فى الدراسة الأدبية ، فقال : « إن هذا المنهج قائم على مايؤمن به العقاد من أدب الأديب . . . إنما هو صورة نفس صاحبه وتاريخ حياته الباطنية ، وأن عمل الناقد هو البحث عن الأديب فى أدبه ، واستخراج صورته النفسية من هذا الأدب ، إذ أن الشاعر الذى لا تعرفه بشعره لا يستحق أن يعرف ، وهذا هو المنهج الذى استخدمه العقاد فى دراسته عن ابن الرومى ، كما يشهد باسم كتابه نفسه وهو « ابن الرومى حياته من شعره » على حين نرى الدكتور طه حسين لا يهتم بالشاعر وحياته ، إلا بالقدر اللازم لفهم شعره ، وتذوقه على نحو ما فعل فى كتابه « مع المتنبى »[1] .

والعقاد فى دراسته الأدبية ، يعتمد على التحليل والتفسير ، ونراه يؤثر الشعراء الذين ينطبق عليهم منهجه الأدبى ، وفلسفته المتصلة بالحياة . ولذا اختار أبا نواس وابن الرومى ، والمتنبى وأبا العلاء ، حيث يتميزون بوضوح شخصياتهم فى شعرهم ، ولم يخرج واحد منهم عن إطار عمود الشعر وقوالبه الأصيلة .

والحمد لله أولا وآخرا



(١) راجع : فصول من النقد عند العقاد ص ٥٦ وما بعدها . محمد خليفة التونسى . الكويت بدون تاريخ .



إعداد وتقديم الأستاذ:

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

جاء الإسلام وخفقت أعلامه فى كل مكان ، وانطلق هداته ودعاته فى كل قطر ، يبشرون الإنسانية بهدى الله ، ويحررون العقول من جمود التقليد والجهل والخرافات ؛ ويبطلون ما تعارفت عليه الأجيال من آراء زائفة ، وأفكار باطلة ، وتقاليد ضالة .

فليس الحاكم ظل الله فى الأرض ، وليست هناك وصاية على أمة ، ولا حجر على جماعة ؛ العدالة والإنصاف والمساواة والإخاء والحرية حق لكل إنسان فى الحياة ، وحتى نستطيع أن نفهم الإسلام فهما صحيحا ، لابد أولا وقبل كل شىء أن يكون هناك تجاوب قلبى وعقلى بيننا وبينه ، ونتنقل نحن بقلوبنا وعقولنا ونفوسنا إلى بيئته الأولى فنحبها ونعيش فيها ، وهذا أمر ميسور ولا يحتاج إلا أن نريد ونعزم ، وأن نجد المتعة والارتياح فى هذه الإرادة وهذا العزم .

ولمزيد من الطريق إلى فهم الإسلام فهما صحيحا يقول الكاتب - رحمه الله - .

تلقت المجلة فى هذا الشهر رسالة من «شاب مسلم مثقف» يذكر فيها أنه يريد أن يفهم دينه فهما صحيحا، غير أنه فى حيرة من أمره فى اختيار الكتب التى تعينه على هذا الفهم. ويقترح علينا أن نفتح بابا فى «مجلة الأزهر» بعنوان «مكتبة المسلم» نذكر فيه الكتب القيمة التى يجب أن يقتنيها المسلم، مع توجيهات فى هذا الموضوع.

والمسألة - أيها الشاب المسلم المثقف - ليست مسألة الكتب التى تقتنى، فالكتب أكثر من أن تحصى فى مجلة، والذين يقتنون الكتب يتفاوتون فيما يحتاجون إليه منها. ولقد شرح الله صدرى للتحدث معك فى هذا الموضوع، لأن هذا الدور مر على كثيرين من شباب الإسلام، ولعلى كنت واحداً منهم، وقد تبين لى أن فهم الإسلام كما يتوقف على جودة الكتب التى يرجع إليها المسلم فى فهم دينه، يتوقف كذلك - بل قبل ذلك - على التجاوب القلبى والعقلى بين الإسلام والمسلم. فأول ما أنصح لك به أن تعد نفسك - أولا - لهذا التجاوب، وأن تكون لك نظرة إجمالية صائبة إلى الإسلام فى جملته تدمجك فى بيئته الأولى، وبدلا من أن تنقل (العلم) بالإسلام من الكتب إلى عقلك وقلبك ونفسك، تنتقل أنت بعقلك وقلبك ونفسك إلى بيئة الإسلام الأولى: فتحبه وتحبها، وتعيش فى جوه وجوها، وتتحرى (العمل) بما تدفعك هذه المحبة إلى (العلم) به من رسالة الإسلام وسيرة أهله الأولين، فالعلم بذلك - مهما قل - فهو كثير إذا كان الغرض منه العمل به، والتخلق بما يهدى إليه من أخلاق، والتطبع بما يرشد إليه من سجايا، والاستنارة بما يدل عليه من سنن، حتى تكون منه فى طريق أهله الأولين كأنك واحد منهم. ولم لا؟ وهذا أمر ميسور لك، ولا يتوقف إلا على أن تريد وتعزم وأن تجد المتعة والارتياح فى هذه الإرادة وهذا العزم.

إن القرآن - كتاب الله - هو المرجع الأول للمسلم فى فهم الإسلام، وكانت طريقة الصحابة فى تعليمه لتلاميذهم من التابعين أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات أو نحوها لم يجاوزوها إلى غيرها حتى ينتهوا من حفظها، ويقيموا ألسنتهم بعربيتها، ويحسنوا تلاوتها، ويعرفوا ما فيها من أحكام، وأخلاق، وتوجيه اجتماعى. ثم أن (يعملوا) بذلك فى أنفسهم، وفيما لهم عليه سلطان من بيئتهم.

وقد فهمنا ذلك مما رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمى تلميذ أميرى المؤمنين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وأضرابهما من علماء الصحابة كعبد الله ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبى بن كعب.

فالعلم بالقرآن كان للعمل به ، ولولا ذلك لكان القرآن حجة على من يتلوه ، ورب تال يلعنه القرآن .

وإذا اخترت لنفسك عشر آيات من القرآن وأردت أن تدرسها على طريقة الصحابة والتابعين فاذهب إلى تفسيرها فى (جامع البيان) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ،

فإنه سيستعرض لك مذاهب الصحابة والتابعين وأهل القرون الثلاثة الأولى فيما فهموه من هذه الآيات ، وقد تظن فى مذاهبهم الكثيرة معنى الاختلاف ، وما هو من الاختلاف فى شىء ، لأنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد . وإن مثل القرآن فى هدايته كمثل الشمس فى إنارتها ، فهى تنير بما

لا يحصى من أشعتها المرسلة إلى دنيانا من جميع أطرافها : فكلها نور ، كما أن مفهوم القرآن كله هداية ، ولذلك كان رسالة الله العامة إلى الإنسانية فى كل زمان ومكان ، وإذا أردت المزيد فاذهب إلى تفسير هذه الآيات العشر نفسها فى (الجامع لأحكام القرآن) لأبى عبد الله القرطبى الأنصارى . واقرأ مع ذلك تفسيرهن فى تفسير الحافظ ابن كثير واختم دراستك إن شئت بما ورد عن تفسير تلك الآيات فى تفسير المنار ، فهو تفسير عصرى جيد جامع لكثير من المزايا وستخرج بعد ذلك

بعلم نافع إن شاء الله . ولن يكون نافعا إلا إذا عملت بما علمت منه كما كان يصنع الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان ولا تستكثر على هذه الآيات العشر أن تقرأ لها كل هذه الكتب ، وأن تمضى فى تدبرها كل هذا الوقت ، فإن القرآن أنزله الله لذلك :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾

(ص : ٢٩)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾

(النساء : ٨٢)

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾

(المؤمنون : ٦٨)

قال أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكى : عرضت المصحف على ابن عباس ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها .

وروى مالك بن أنس أن عبد الله بن عمر ابن الخطاب أقام على حفظ سورة البقرة عدة سنين ، قيل ثمانى سنين . فالرعيل الأول من المسلمين كانوا لا يعنون بالإكثار من العلم إلا بعد إتقان ما يتعلمونه منه .

وإلذ طريقة لفهم الإسلام فى بيئته الأولى تتبع تراجم الصحابة من كتبها : كالإصابة للحافظ ابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير ،

والاستيعاب لابن عبد البر، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الإسلام للذهبي، وتاريخ دمشق لابن عساكر. وقد نفعني الله كثيرا بدراسة حياة الصحابي الواحد من أمثال هذه الكتب، فأرتب أخباره بحسب تسلسلها التاريخي من بدء حياته إلى نهايتها. وإذا عرض لى فى هذه الأخبار اسم بلد ذهبت إلى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فتصورت منها موقع ذلك البلد وحالته كأنى ساكن فيه، وإذا وقفت فى حياة ذلك الصحابي على ذكر واقعة من وقائع التاريخ رجعت فى تفاصيلها إلى تاريخ أبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى وأمثاله، وإذا وقعت للصحابي أحداث أو أحاديث مع شخصيات أخرى معاصرة له أبادر إلى معرفتها من مظانها حتى أكون كأنى معها فى أوطانها وميادين نشاطها. وهكذا كنت كأنى أرى ما يفعل هؤلاء البررة الأخيار، وأسمع ما يقولون،

وأراقب نشاطهم، وأصغى إلى أمانيهم، وأتألم لآلامهم، وأتعلم ما تعلموه من معلم الناس الخير - ﷺ - وقد أتوسع فى ذلك فأذهب إلى مسند الإمام أحمد فأتدبر ما رواه التابعون عن هذا الصحابي من سنة رسول الله - ﷺ - وبذلك أعيش مع الإسلام فى بيئته الأولى كما كان يعيش فيها رجاله الأولون، وما أسهل ذلك وألذه وأنفعه. ولولا التجاوب العقلى والقلبى بين المسلم والإسلام فى بيئته الأولى لكنا محرومين لذة العيش مع أهل الصدر الأول، وكنا نكون تائهين فى بنيات الطريق، منحرفين عن الطريق الأعظم الذى بعث الله به خاتم رسله بأكمل رسالاته.

كما أن الإنسان عدو ما جهل فإنه صديق ما يعلم، وحرصنا على معرفة الصحابة كأننا معاصرون لهم وسائرون فى قافلتهم، يغرس محبتهم فى قلوبنا، ويجعلنا على طريقتهم فى الدين والمعرفة والأخلاق والأهداف، ومتى تم لك ذلك أيها الشاب المسلم المثقف فإنك لن

تحتاج إلىَّ ولا إلى «مجلة الأزهر» فى أن تدلك على الكتب التى يجب أن تقتنيها، بل ستعرف ذلك من نفسك، وستعرف أئمة الإسلام الذين يدلونك على الإسلام، وستعرف قيمة مؤلفاتهم وعلومهم وتوجيهاتهم. واعلم أن كل

ما تستطيع أن تأخذه عن إمام قديم من الموثوق بعلمهم ودينهم، فذلك خير لك من أن تأخذه عمن بعده، لأن الماء كلما قرب من ينابيعه الأولى كان أصفى وأطهر وأروى. ومع ذلك فإن من الأمثال التى تتداولها ألسنة العلماء قولهم «لا يغنى كتاب عن كتاب». فطالب العلم بعد أن يعرف معالم الطريق الذى هداه الله إليه، وبعد أن تملأ محبة الإسلام وأهله الأولين شغاف قلبه، فإنه لن يضره أن يقرأ كل

شيء ، وأن يطلع على كل كتاب ، وأن يعرف مذهب كل صاحب مذهب . ولولا أنى كنت أقتنى كتب البهائية - وهى أحدث ما وقع للبشر من كفر وضلال - ما استطعت أن أعرف قرائى بهذا الكفر والضلال ليتقوا شره ويجتنبوا مخادعة دعاته . غير أن ذلك لا يجوز إلا بعد أن يعرف الشاب المسلم المثقف معالم إسلامه ليستطيع الرجوع إليها ويلجأ فى دينه إلى قلاعها . ولذلك كان أول ما يجب أن يبدأ به الشاب المسلم المثقف أن يحب الإسلام وبيئته الأولى والصدر الأول من دعاته وهداته ومجاهديه حتى كأنه يعيش معهم ، وبذلك يتم له الأنس بما أكرمهم الله به من إقامة الحق وتعميم الخير والتعاون عليه ، فيكون ذلك خلقا من أخلاقه كما كان خلقا من أخلاقهم ،

ويعرف به دين الله الذى اختاره لخير أمة أخرجت للناس ، ويوشك أن يكرمه الله بأن يجعله منهم ، وأن يكثر فى هذا الجيل من أمثاله فيكون ذلك بداية للبعث الإسلامى المرتجى ، وما ذلك على الله بعزيز .

المجلد السادس والعشرون رمضان ١٣٧٤ هـ
أبريل ١٩٥٥ م

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سأل رجل رسول ﷺ : أى المسلمين خير؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده ! رواه مسلم

وعن جابر قال : « سمعت النبى ﷺ يقول : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » . رواه مسلم

وعن أبي موسى قال : قلت : « يارسول الله أى الإسلام أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » . رواه مسلم



الجديد في العلم والتقنية

للدكتورة: نجوى السيد أحمد(*)

أصغر قمر صناعي عالمي:

يقوم أحد المراكز الفرنسية للدراسات الفضائية ببناء أصغر قمر صناعي عالمي ولن يخضع لأية دولة من دول العالم، وسوف يتم إطلاقه مع بداية القرن الواحد والعشرين، ويظل في الفضاء فترة تمتد إلى عدة قرون قادمة، وسيحمل صورا ومعلومات ورسائل عن كل ما يتعلق بالحضارة البشرية الماضية، وذلك بهدف تعريف الحضارات البشرية المقبلة على تاريخ الأجيال التي سبقتها، وسيكون هذا القمر الصناعي مستقلا ويدور بشكل ذاتي دون أي تدخل أو تحكم خارجي.

رصد تفاصيل تحرك مفاجيء للطاقة داخل الشمس:

ذكرت وكالة الفضاء الأمريكية أن مركبة الاستكشاف الأمريكية المخصصة لدراسة الطبقات العليا لفضاء الشمس نقلت صورها الأولى التي تكشف عن تفاصيل تحرك مفاجيء للطاقة داخل الشمس ناجم عن تصادم بين إعصارين مغناطيسيين حيث تنتج كميات هائلة من الطاقة تتسبب في ثوران شمسي يمكن أن يؤثر في الاتصالات عبر الأقمار الصناعية ويلحق أضرارا في الأنظمة الكهربائية للمركبات الفضائية وفي بعض المنشآت الأرضية.

جهاز لفحص العدسات اللاصقة:

أنتجت شركة أوروبية في مجال صناعة الأجهزة الطبية جهازا يختبر أسطح العدسات اللاصقة ومدى قوتها وصلاحيتها، الجهاز يقوم بتكبير المنظر الذي يظهر من خلال العدسة ثم يعكسه على شاشة مما يؤدي إلى سهولة فحص العدسات بواسطة طبيب العيون ومعرفة سبب العطب بالعدسة سواء أكان مرجعه إلى سوء استخدام أو أن العدسة تحتاج إلى تنظيفها.

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث - الدقي.

سيارة إليكترونية حديثة :

وضعت شركة ألمانية لصناعة السيارات تصميما لسيارة القرن القادم ، حيث تم الاستغناء عن عجلة القيادة والدواسة ويتم تشغيلها ببطاقة ممغنطة ، وتنطلق السيارة إلى اليمين أو الشمال وإلى الخلف والأمام ويمكن تقليل سرعتها أو زيادتها بواسطة الضغط على مفاتيح جهاز إلكترونى صغير خاص بالسيارة .

ماكينة لعلاج تصدعات الطرق :

صممت شركة فرنسية ماكينة حديثة للقضاء على تصدعات الطرق ، حيث تقوم بحفر شقوق عرضية على مسافات متساوية ومدروسة بطول الطريق ، وأثناء الحفر تقوم الماكينة بحقن هذه الشقوق بتركيبة من القار لإغلاق الشقوق نتيجة تماسكها السريع وصلابتها مما يؤدى إلى تقوية وتدعيم الطريق .

مخلفات الرماد لإنتاج زجاج البازلت :

تجرى مجموعة من العلماء الفرنسيين تجاربها لاختيار عدد من الابتكارات الجديدة فى مجال تحويل الرماد المتطاير عند حرق مخلفات الاستهلاك والصناعة إلى زجاج البازلت للحفاظ على البيئة من التلوث ، ويعتمد هذا الأسلوب على تسخين الرماد المتطاير إلى درجات حرارة عالية فتنتج عنه صخور صلبة تشبه البازلت .

جهاز تصوير لإنزيمات المخ :

ابتكر العلماء اليابانيون جهاز تصوير حديثا نجح فى تصوير إنزيمات المخ للكشف عن مرض « الزهايمر » . والجهاز تمت تجربته على عدد من المرضى وتنجح فى التقاط صورة لإنزيمات المخ يمكن تحليلها بالحاسب الآلى ، حيث ثبت أن انخفاض هذه الإنزيمات يعتبر مؤشرا للإصابة بمرض « الزهايمر » .

طريقة جديدة لعلاج السرطان :

تجرى مجموعة من العلماء البريطانيين أبحاثا عديدة لإيجاد طرق جديدة لوقف انتشار مرض السرطان عن طريق إعطاء المريض مادة كيميائية غير ضارة تجعل الخلية السرطانية تنتج إشارة كيميائية تساعد جهاز المناعة فى الجسم على ملاحظة وجودها ، فيعمل الجهاز المناعى عندئذ على رفضها والقضاء عليها فى الجسم .

الاستفادة من الفوارغ الزجاجية والبلاستيكية :

تم إنشاء عدد من المصانع فى اليابان للاستفادة من الفوارغ الزجاجية والبلاستيكية وإعادة تصنيعها واستخدامها فى منتجات جديدة مثل : إنتاج الملابس والخيام وبدل عرق يجرى تسويقها فى اليابان ، وتصنيع مادة عازلة للصوت ، أيضاً تم استخدام هذه الفوارغ فى صناعة الأحذية الخفيفة ، والورق المقوى وكأوعية لمواد التنظيف .



للأستاذ الدكتور :
أحمد فؤاد باشا

إذا كان العلماء يكرمون عادة بنسبة آراء أو نظريات علمية إليهم ، فإن الحسن بن الهيثم ينسب إليه علم بأكمله هو علم « البصريات الهندسية » Geometrical Optics وهو أحد فروع علم الفيزياء الذى يعنى بدراسة نظرية الضوء وخواصه وظواهره وتطبيقاته بما فيها الأجهزة البصرية بمختلف أنواعها . ولقد استطاع ابن الهيثم أن يحيط بكل ماتفرق من أبحاث السابقين فى هذا المجال ويضيف إليها أبحاثا جديدة جمع معظمها فى كتابه « المناظر » الذى نهل منه علماء الغرب ، ولا يزال المنصفون يشيرون إليه بالبنان كلما تحدثوا عن علم البصريات أوصنفوا فيه الكتب والمراجع .

مؤلف المناظر

هو أبو على الحسن بن الهيثم (٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م - ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م) أحد عباقرة الحضارة الإسلامية الذين أسهموا فى دفع مسيرة العلم والتقنية وخلفوا مؤلفات كثيرة فى مختلف فروع المعرفة ، منها بعض الشروح على كتب المتقدمين أو تلخيصات لها ، ومنها ما يعتبر ابتكاراً أصيلا غير مسبوق .

ولد ابن الهيثم فى البصرة ، وعمل كاتبا لبعض ولاتها ، ولكن العمل فى الدولة لم يشاكل طبعه فآثر الانقطاع إلى الاستزادة من العلم وإلى

التأليف ، وكان كثير الأسفار : زار الأهواز تكسبا وزار بغداد مرارا . اشتهر بمعرفة العلوم والفلسفة وبرع فى الهندسة قبل أن يجاوز الشباب حتى لقب بالمهندس . يؤثر عنه قوله : لو كنت فى مصر لعملت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته ، أى فى السيطرة على تصريف مياه الفيضان . وبلغ ذلك إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى تولى الحكم فى مصر سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦ م) فاستقدم ابن الهيثم وأكرمه ثم عهد إليه بتنفيذ ما كان يقوله . ودرس ابن الهيثم مجرى النيل حتى وصل إلى أسوان فوجد أن المصريين القدماء قد قاموا بكل ما كان هو يفكر به ، وعلى نمط أتم ، فاعتذر إلى الحاكم بخطئه فى التقدير ، فعذره الحاكم ثم استمر فى إكرامه . وكانت وفاة ابن الهيثم فى مصر سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م) أو بعدها بقليل .

محتويات كتاب المناظر:

كتاب المناظر لابن الهيثم من أكثر الكتب التراثية استيفاء لبحوث الضوء ، بل إنه لا يقل مادة وتبويبا عن الكتب الحديثة ، إن لم يفق بعضها . وقد أوضح المؤلف منهجه وغايته من تأليف الكتاب بقوله :

« إن المتقدمين من أهل النظر قد أنعموا البحث عن كيفية إحساس البصر وأعملوا فيه أفكارهم وبذلوا فيه اجتهادهم ، ثم انتهوا منه إلى الحد الذى وصل النظر إليه ، ووقفوا منه على ما وقفهم البحث والتمييز عليه ، ومع هذه الحال فآراؤهم فى حقيقة الإبصار مختلفة ، ومذاهبهم فى هيئة الإحساس غير متفقة . فالحيرة غير متوجهة ، واليقين متعذر ، والمطلوب غير موثوق بالوصول إليه . وما أوسع العذر مع جميع ذلك فى التباس الحق ، وأوضح الحجة فى تعذر اليقين ، فالحقائق غامضة والغايات خفية والشبهات كثيرة والأفهام كدرة والمقاييس مختلفة ، والمقدمات ملتقطة من الحواس ، والحواس - التى هى العدة - غير مأمونة الغلط . فطريق النظر معفى الأثر ، والمجتهد غير معصوم من الزلل . ولذلك تكثر الحيرة عند المباحث اللطيفة وتتشتت الآراء وتتفرق الظنون وتختلف النتائج ويتعذر اليقين .

ثم يقول : « وقد بحث المحققون للعلوم الطبيعية بحسب صناعتهم فاستقرت آراء المحصلين منهم على أن الإبصار إنما يكون من صورة ترد من المبصر إلى البصر ومنها يدرك البصر صورة المبصر . أما أصحاب التعاليم فإنهم متفقون بالجملة على أن الإبصار إنما يكون بشعاع يخرج من البصر إلى المبصر . . . وهذان المعنيان - أعنى رأى أصحاب الطبيعة ورأى أصحاب التعاليم - متباعدان إذا أخذا على ظاهرهما . . . ولما كان ذلك كذلك . . رأينا أن نصرف الاهتمام إلى هذا المعنى » ، بقصد تأليف كتاب المناظر .

ويواصل ابن الهيثم شرح منهجه فى بحث القضايا التى عرض لدراستها بقوله : « . . . رأينا أن نصرف الاهتمام إلى هذا المعنى بغاية الإمكان ، ونخلص العناية به ونوقع الجد فى البحث عن حقيقته ونستأنف النظر فى مبادئه ومقدماته ، ونبتدىء باستقراء الموجودات ، وتصفح أحوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط



باستقراء مايخص البصر فى حال الإبصار ، وما هو مطرد لا يتغير ، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس .. ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والترتيب ، مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننقده طلب الحق لا الميل مع الآراء .. فلعلنا ننتهى بهذه الطريق إلى الحق الذى به يثلج الصدر ، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التى عندها يقع اليقين ، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف وتنحسم بها مواد الشبهات .. وما نحن ، من جميع ذلك ، براء مما هو فى طبيعة الإنسان من كدر البشرية ، ولكننا نجتهد بقدر مالنا من القوة الإنسانية ، ومن الله نستمد العون فى جميع الأمور ..

ويوضح هذا النص بما لا يدع مجالا للشك أن القواعد العامة التى وضعها ابن الهيثم لمنهج الاستقراء تتميز عن قواعد المنهج الذى وضعه « فرنسيس بيكون » بعد ذلك بعدة قرون ، بأنها ليست مجموعة من التعليمات والإرشادات التى تلتزم ترتيبا محددا لا ينبغى تجاوزه ، مما يضفى عليها قدرا كافيا من المرونة يحول دون جمودها أمام حركة العلم وتطوره . كذلك تعكس عبارات ابن الهيثم كثيرا من خصائص العلم التجريبى ومقومات نجاح البحث العلمى التى افتقدها كل من « المنطق الأرسطى » و « المنهج البيكونى » ، وتوضح المقارنة أن التجريبية كانت خطوة مقصودة فى أسلوب البحث العلمى عند علماء الحضارة الإسلامية .

ويقع كتاب المناظر فى سبع مقالات جعلها ابن الهيثم فصولا على النحو التالى :

المقالة الأولى : فى كيفية الإبصار بالجملة ، وهى ثمانية فصول : الأول صدر الكتاب ، والثانى فى البحث عن خواص البصر ، والثالث فى البحث عن خواص الأضواء ، وعن كيفية إشراق الأضواء ، والرابع فيما يعرض بين البصر والضوء ، والخامس فى هيئة البصر والسادس فى كيفية الإبصار ، والسابع فى منافع آلات البصر ، والثامن فى علل المعانى التى لا يتم الإبصار إلا بها وباجتماعها .

المقالة الثانية : فى تفصيل المعانى التى يدركها البصر وعللها وكيفية إدراكها ، وهى أربعة فصول : الأول صدر المقالة ، والثانى فى تمييز خطوط الشعاع ، والثالث فى كيفية إدراك كل واحد من المعانى الجزئية التى تدرك بحاسة البصر ، والرابع فى تمييز إدراك البصر للمبصرات .

المقالة الثالثة : فى أغلاط البصر فى ما يدركه على استقامة ، وعللها ، وهى سبعة فصول :

الأول صدر المقالة ، والثانى فى تبين ما يجب تقديمه على الكلام فى أغلاط البصر ، والثالث فى العلل التى من أجلها يعرض الغلط للبصر ، والرابع فى تمييز أغلاط البصر ، والخامس فى كيفية أغلاط البصر التى تكون بمجرد الحس ، والسادس فى كيفية أغلاط البصر التى تكون فى المعرفة ، والسابع فى كيفية أغلاط البصر التى تكون فى القياس .

المقالة الرابعة : فى كيفية إدراك البصر بالانعكاس عن الأجسام الصقيلة ، وهى خمسة فصول : الأول صدر المقالة ، والثانى فى صور المبصرات التى تنعكس عن الأجسام الصقيلة ، والثالث فى كيفية انعكاس الصور عن الأجسام الصقيلة ، والرابع فى ما يدركه البصر فى الأجسام الصقيلة وهو إدراك بالانعكاس ، والخامس فى كيفية إدراك البصر للمبصرات بالانعكاس .

المقالة الخامسة : فى مواضع الخيالات ، وهى الصور التى ترى فى الأجسام الصقيلة ، وهى فصلان : الأول صدر المقالة ، والثانى فى القول فى الخيال .

المقالة السادسة : فى أغلاط البصر فى ما يدركه بالانعكاس ، وعللها ، وهى تسعة فصول : الأول صدر المقالة ، والثانى فى أغلاط البصر التى تعرض من أجل الانعكاس ، والثالث فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا المسطحة ، والرابع فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا الكروية المحدبة ، والخامس فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا الأسطوانية المحدبة ، والسادس فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا المخروطية المحدبة ، والسابع فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا الكروية المقعرة ، والثامن فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا الأسطوانية والتاسع فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا المخروطية المقعرة .

المقالة السابعة : فى كيفية إدراك البصر بالانعطاف من وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيف لشفيف الهواء . وهى سبعة فصول : الأول صدر المقالة ، والثانى فى أن الضوء ينفذ فى الأجسام المشفة على سموت خطوط مستقيمة وينعطف إذا صادف جسماً يخالف الشفيف لشفيف الجسم الذى هو فيه ، والثالث فى كيفية انعطاف الأضواء فى الأجسام المشفة ، والرابع فى أن ما يدركها البصر من وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيف لشفيف الجسم الذين فيه البصر إذا كان مائلا عن الأعمدة القائمة على سطوحها هو إدراك بالانعطاف ، والخامس فى الخيال ، والسادس فى كيفية إدراك البصر للمبصرات بالانعطاف ، والسابع فى أغلاط البصر التى تعرض من أجل الانعطاف .

وكما هو واضح من عرض محتويات كتاب « المناظر » لابن الهيثم ، فإنه يتعرض بالتفصيل لكل الموضوعات التى يعنى بها اليوم علم « البصريات الهندسية » . بل إنه تحدث لأول مرة فى تاريخ العلوم عن فلسفة علم المناظر (البصريات) وعلاقته بالعلوم الأخرى . ويمكن لأى باحث مدقق أن يتناول نصوص كتاب « المناظر » بالتحليل والاستقصاء ، فيخلص منها بنتائج هامة تؤكد سبق الحسن بن الهيثم إلى وضع القواعد المنهجية لعلم جديد مارسه بحثا وتأليفا وتطبيقا . كذلك يمكن التعرف بسهولة على سمات العقلية العلمية الإسلامية ذات الحس النقدى السليم والقادرة على بلوغ الحكم الصائب بالاستقراء والاستنباط فى كنف عقيدة إسلامية راسخة تستمد من الله العون فى جميع الأمور ، وتتحرى طلب الحق فى سائر ما تميزه وتنتقده ، وتنشد استعمال العدل فى كل ما تستقرئه وتتصفحه .

■



للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

مهما كان الكلام حول هذه المخلوقات رقيق العبارات، جميل الأسلوب، فستجد من الناس من يحس فيه غير ذلك، فهذه الكائنات مدرجة - شئنا أم أبينا - على قائمة أعداء الإنسان، بل إن بعض الحيوانات كالقردة حديثة الولادة، سرعان ما تتقوقع على نفسها، إن رأت صورة أى من تلك الكائنات.

ومع هذا كله فهل هناك أحد من الآدميين يحمل للثعابين قدرا من المحبة والود؟ بالطبع يوجد ذلك الإنسان، إنه (هارى جرين) أستاذ البيولوجيا بجامعة (كاليفورنيا)، وهو فى العقد السادس من العمر، ويؤمن إيمانا جازما بأن تلك الكائنات طالما أسىء إليها، وظُنَّ بها السوء، ومن ثم فقد كرس حياته لشن حرب لا هوادة فيها على ما أسماه (الأوفيديوفوبيا) أى الخوف من الثعابين، وهو أمر لم يعتده بسهولة.

ويؤكد العالم الكبير أن الثعابين تستحق سمعة أفضل من ذلك، فقد أولع باقتنائها، وجمعها منذ كان فى السابعة من عمره، وذلك فى المناطق الريفية بولاية (تكساس)، وهو يرى أن هذه المخلوقات ليست مجرد حيوانات ذات أسنان متشعبة وأنياب فتاكة، ولكنها حيوانات لولبية المشية، لها أنياب إبرية تختفى تحت الجلد، وتخرج من السم الزعاف ما تستطيع به فى لدغة واحدة أن تقتل مائتى ألف من الجرذان.

ويرى الأستاذ (هارى) أن لهذه المخلوقات ميزتين عظيمتين، لم يتنبه لهما كثير من العلماء.

الأولى : ميزة تشريحية حيوية.

والثانية : وهى لا تقل أهمية ما تمتاز به من مناظر خلابة، وتركيب جمالى ذى آيات معجزة باهرة.

وقد أوضحت دراساته العميقة السبب فيما يقول، حيث يرى أن الثعابين تمثل ألغازا وأسرارا تحدى بها الخالق - عز وجل - وهى توحى للمرء بالتفكر والتدبر كما أوضح ذلك فى كتابه المعنون بـ (الثعابين .. تطور السر الغامض) الصادر عن جامعة (كاليفورنيا).

والكتاب ينطوى على فائدة مؤداها الحفاظ على هذه المخلوقات النادرة، يقول المؤلف : « إنه بدلا من الانخراط فى صيد الثعابين والإسراف فى ذلك إلى حد يؤدى بهذه المخلوقات إلى حافة الانقراض

ـ تقريبا ـ كما هو الحال فى كثير من أنواعها ، فإن علينا اعتبارها مخلوقات جديرة بالاحترام ، ومؤهلة لأن تعيش بيننا لما لها من فوائد جمة » ويتحقق ذلك بخطوات منها ما قدمه المؤلف بقوله : « إن علينا أن نحد ونقلل من ولعنا الطبيعى بالحيوانات ذات الفراء ، وشغفنا بالأخرى ذات الريش ، ومن ثم نعطى شيئا من الأهمية والتقدير للثعابين ، ولجمالها المتفرد ، وغموضها الذى لا يضاهى وما حظيت به دون سواها من قدرة فائقة تركزت فى حاسة الشم ، والجسم اللدن والمرن ذى الألوان الزاهية والأخاذة ، وما أترعت به أجسام هذه المخلوقات من سم قاتل فتاك ، وترياق غريب يمكن أن يكون نموذجا لعقاقير مستقبلية عجيبة .

ويشرح (جرين) وجهة نظره وهو ينتزع بيده أحد الثعابين الذى بلغ طوله أكثر من ياردة ، وينتزعه من قفصه وهو يقول لأحد المشاهدين فى لهجة مهذبة : المس جلد هذا الثعبان ! أو مر بيدك على جسمه ! إنها مخلوقات تمثل مقطوعات من الفن الجميل المبدع » .

ويتولى العالم بنفسه إرشاد الزائرين الذين تملكهم الشك وسيطر عليهم الخوف ، وهم يرون هذه الكائنات خلف الأبواب ذات الأرتاج المزدوجة لحجرات الثعابين السامة بمتحف (بركلى) فى حديقة الحيوانات الفقارية التى يعمل فيها السيد (جرين) مشرفا على قسم الزواحف .

وأعظم إنجازات الثعابين فى رأى العالم الكبير قدرتها على التكيف مع شتى البيئات المختلفة التى استوطنتها .

والثعابين ـ كحيوانات القرش تماما بتمام ـ نالها من الذم والحيف ما نالها لكن كان لها القدرة على ولوج المكامن البيئية البكر ، إذا استثنينا من ذلك المناطق القطبية ، إذ لم تترك الثعابين مكانا لم يطأه الإنسان إلا وطئته ، بدءا بالغابات المطيرة ومرورا بالصحارى وانتهاء بالبحار ، وتنحدر الثعابين من جنس السحالى عديمة الأطراف والتى عاشت فى عصر الديناصورات منذ أكثر من ٩٠ مليون سنة ، وتربو أصناف الثعابين على ٢٧٠٠ نوع تتراوح فى أحجامها وأطوالها بين ثعابين الخيوط الأفريقية التى لا يزيد طول الواحد منها على طول القلم الرصاص ، حتى تصل إلى الثعابين العملاقة ، المعروفة بالأفاعى ، والتى يبلغ طول الواحد منها عشرين قدما ، وهى مهولة الضخامة لدرجة تمكنها من ابتلاع أى إنسان ، وهى تقوم بلفلفة جسمها بشكل اسطوانى مربع مكن العلماء من اكتشاف أحشائها ذات التركيب العبقرى المتغير ، والذى احتوى أعضاء تتقلص وتتمدد ، وقد رص بعضها فوق بعض .

وأما ذكور الثعابين فأعضاؤها الذكرية مزدوجة ، ويسمى كل عضو منها بشطر العضو أو نصفه ، وهو مختبىء فى أصل الذيل ، ومن ثم فهى تستغل هذه الميزة ـ ميزة العضو الذكرى المزدوج ـ فى مجامعة إناثها ، ومعاشرتهن أكثر من مرة ، خصوصا الثعابين المعروفة باسم : « ثعابين الملك » .

وعندما تتناسل ثعابين البحر المعروفة بـ (ثعابين بروناى) وهى ذات شفاه حمر أو

صغر ، فإن حوالى نصف دستة من الذكور تتكالب متكبة على أنثى واحدة فقط ، وموسم التزاوج قصير عادة ، ويمكن أن يستمر أكثر من يوم واحد للثعابين الغربية المعروفة باسم : (الثعابين ذات الظهور الماسية) ، وذلك لتقليل تعرض الأنثى الواحدة للمنافسين الآخرين من الذكور .

وأما إناث الثعابين فإن لها أساليبها الماكرة وطرقها المخادعة فى التناسل أيضا .

فعلى سبيل المثال : يقوم ثعبان أمريكا الشمالية بتخزين الحيوانات المنوية لفترة تتجاوز عدة أشهر حتى تخبره غريزته بأن درجتى الحرارة والدفء صارتا مناسبتين للإخصاب .

والثعابين وهى حيوانات ذوات دماء باردة تشبه الطيور ، ومعظم أجناسها من واضعات البيض ، كما أن بعضها الآخر يلد مخلوقات صغارا تامة التكوين ، كما أن بعض فقس هذه الأنواع يبدى ويظهر استراتيجيات وحيلا للبقاء ، تفوق فى أفانينها العقول الصغيرة التى حبى الله بها تلك الزواحف والثعابين الغربية التى تشبه أنوفها أنوف الخنازير تتظاهر بالموت إذا أحست بالخطر والتهديد ، ولكن ترى هل هى على وعى بالخطر ودراية به ، أو كما يقول البروفيسور (جرين) : « هل للحية تأملات ومقاصد ؟ » .

ولمعرفة الكثير عن سلوكيات الثعابين فإن الأستاذ (جرين) وزملاءه قاموا بوضع مجسات داخل أجسام الثعابين حديثة الولادة ، ويبرر الأستاذ ذلك بقوله : « إن أجهزة البث تلك ستجعل من السهل اليسير علينا التجوال بحرية ودقة لمعرفة ما يدور داخل جسم الثعبان » .

وأما ما يلفت انتباه (جرين) ويثير دهشته فهو ما تتمتع به هذه المخلوقات من حواس حادة كقوة الشم واللمس ، والقدرة الفائقة للتنبؤ بالحرارة ، وهى تعوض بذلك مالم تعطه من آذان خارجية ، ورؤية بصرية محدودة .

ويشذ عن هذه القاعدة الثعابين الليلية التى وُهبت أعيناً حادة البصر تشبه أعين القطط .

أما ألسنة الثعابين فعريضة مدببة ، وهى توفر لها المعادل الكيماوى للرؤية الثاقبة ، ومن ثم فالثعبان يستجيب للأعداء النسبية من الروائح التى تمده بها ذوائب على جانبى اللسان ، تمكن الثعبان من الظفر بفريسته الحقيقية سواء كانت هذه الفريسة عشيرا يجامعه ، أو عدوا يفوز به .

والحيات بدورها مزودة بأجهزة حساسة وقرون استشعار ومجسات امتلأت بالأشعة تحت الحمراء وتميزت بالحدة ، وهى توجد بالقرب من خياشيمها لدرجة أنها لو أصيبت بالعمى فإن بمقدورها الإمساك بفأر حى ولو كان على بعد عدة أقدام منها ، والسبب ببساطة أنها تتبع ما يصدر عن جسم ذلك الفأر من حرارة وإشعاع .

هذا وقد ألف الأستاذ (جرين) كتابه المذكور عن الثعابين ردا على تحدٍ من كاتب سابق هو (نورمان ماكلين) والذى لام (جرين) وأخذ عليه اهتمامه المفرط بهذه المخلوقات الجهنمية ، ومع ذلك الشغف ، فإن (جرين) لايلتمس الأعذار للثعابين ، ونجد ذلك واضحا فى قوله : « إنها تقتل أكثر من عشرين ألف آدمى سنويا كما يعترف أن معظمهم من المزارعين فى الغابات

البقية ص ١٦٣٢



للأستاذ: محمد عبد الوهاب

لقد صعد الصيام، وفى يديه كتاب فيه أعمال العباد
وعاد لربه يروى حديثاً ترتله الملائك بالوداد
وجاء العيد بالبشرى بهياً ورفرفت الطفولة فى البلاد

إن حاسة التذوق الفنى ، قد جعلها الله مركوزة فى النفس الإنسانية ، ولكنها تأخذ أنماطاً متباينة من إنسان لآخر ، وبذلك اختلفت الأذواق ، وتعددت فنون التعبير ، ويبرز العمل الفنى الأصيل ، إذا تلقته حاسة تذوق واعية ، تستطيع اكتشاف كنه الجمال الأسر فيه ، وتغوص إلى أبعد أعماقه ، باحثة عن أسراره الإبداعية ، حتى تصل فى النهاية إلى أدق مراميه .

من هنا نرى أن القصيدة ، ترفض الصياغة المباشرة والسطحية ، أو الجرس العالى والخطابية الرنانة ، ذلك لأنها تولد فى وجدان الشاعر ، فيمررها على واعيته وثقافته ، فينضجها ، ثم يهذبها بخبراته الفنية ، وتجاربه الشعورية ، لتخرج إلى النور ، كائنا حيا ينبض ويتنفس ويعبر .

والقصيدة بهذا المعنى هى خلق جديد يتجه الشاعر المبدع بأسلوبه الفنى الخاص به ، مضيفا إلى إيقاعه الموسيقى خيالا محلقا ، وصولا إلى آفاق بكر ، لم يسبقه إليها أحد ، ومقدرة الشاعر تكمن فى مدى تمكنه من صياغة مشاعره وأفكاره فى إطار الأسس الأصيلة للشعر ، غير مبتعد عن اللغة الفصيحة شعرة واحدة .

وعلى دربنا لرفع مستوى ما نقدمه لقراء خميلتنا الأعزاء ، فإننا نهيب بالسادة الشعراء الذين يبعثون إلينا بنتاجهم أن يتوخوا اختيار ما يتوافق مع ماذكرناه آنفا من نتاجهم ليناسب ذلك أعلى منبر إسلامى فى العالم ، ونعنى به : مجلة الأزهر الغراء .

إشراقة العيد

للأستاذ: أحمد مصطفى حافظ

إشراقة النور المطل أعيدى
للقلب بهجته ... بيوم العيد

فلأنت مصباح الطريق بدا لنا
متلألئا .. ملء القرى والبيد

كم بدد الظلمات بعد غشاوة
وأذاب -فى دأب- ركام جليد

بل أنت (جائزة) الصيام، عبيرها
قد فاق نفح زنابق وورود

***

يبدو كشلال الضياء .. نميره
يسقى العطاش بحوضه المورود

والعيد -حق العيد- بهجة أمة
قد أخرجت للناس .. بالتوحيد

للعيد للدنيا شموخ .. مبادىء
كانت قلادة عقدنا المنضود

***

أرض الكنانة قدمت إشعاعها
بالخير .. فى أقصى المدى .. للجود

هي في رباط للقيامة خصها
رب الوجود.. ببذل خير جهود

نحو السلام تعاقبت خطواتنا
ليعم صفو العيش كل صعيد

اول حضارات الورى.. بربوعنا
آثارها ممهورة بخلود

وحضارة الإسلام كانت ذروة
نهفو لها.. لتسنم وصعود

***

علماؤنا الأعلام كانوا قدوة
ظفروا طوال الدهر بالتمجيد

وعلوم أوروبا استقت من فيضهم
بعصورها الوسطى.. أجل رصيد

(طب ابن سينا) كان أس طموحهم
لتقدم، بل كان بيت قصيد

و(ابن النفيس) بدورة دموية
كان اكتشافا باهرا.. لعهود

واليوم.. قمنا نسترد مكانة
ونعيد مجد أوائل وجدود

نبني مآثرنا ببأس عزائم
نخطو بها.. بتلاحم منشود

***

ياعيد قد أقسمت قبل بالملق
لتبلت عهد البث والتمهيد

الفجر آت، لامراء لأفقنا
لترف بسمته... بثغر وليد

استغفار

للأستاذ: محمد فتحى نصار

أتيت أسأل -ياغفار- غفرانا   لما تعبت ، وضج العمر عصيانا
أتيت مستغفرا -ربى- ومعترفا   فهل ترد عن الأبواب ظمآنا ؟!
ظمئت -ياخالقى- للعفو ، فانطلقت   يدى إليك ، وجاء الضعف إنسانا
غرقت فى لجج الآثام ، وامتلأت   جوانحى من سعير الذنب نيرانا
فقدت فى تيهها ماكان يعصمنى   ولم أجد لسفين الشوق شطآنا
وهمت فى غلمق الحيرى ، تقاذفنى   أيدى الغواية ، تسقى القلب أحزانا
وضاقت الأرض عن حزنى ، وعن ندمى   وضجت الروح من وهمى الذى كانا
فقمت أبحث عن مرسى يؤمننى   يستقبل الأمل المجروح حيرانا
أدق باب الهدى ظمآن مرتعشا   أدعو بكل لسان فى فمى لانا
واطلب العفو مضطرا ومحتسبا   واقرأ التوبة الغراء إذعانا
وبالحواميم أدعو ، لا أمل دعا   والعصر ، مستصرخا نفسى : أما آنا ؟!
قد آن -يارب- أن ارتاح من قلقى   واطفىء النار عاثت فى عمرانا !!
واخلع الثوب تدميق مخاوفه   وأرتدى الثوب يكسو الروح إيمانا
فاقبل -إلهى- عبدا جاء ذا ثقة   وتب عليه وأعظم -رب- غفرانا

أغنية للوحدة العربية

للأستاذ: إبراهيم صالح

يازهرة أريجها فاح وعطر المدى
يابسمة على ثرانا الحر طابت مولدا
يانغمة طار بها طير المنى وغردا
ياوحدة يخاف من وقع سهامها العدا
توحدت على مرابع الهدى غاياتنا
وأقبلت تختال فى ركب العلا رايتنا
وأشرقت بالنور والخير هنا جناتنا
وهللت وكبرت فوق الذرا صلاتنا

سيرى على كل الدروب سيرى
ياوحدتى فى صبحك المنير
لعرسنا الكبير
من الخليج العربى
وأذن فى المغرب
لوحدة المسير والمصير
لوحدة المسير والمصير



وطني

للأستاذ: عبد الرحمن محمد أحمد

وطني حماه الله من كيد العدا   نفسي الفداء له متى رام الفدا
مثواي مصر ومصر قبلة مهجتي   وعلى ثراها عشت عمري سيدا
يامصر فيك صبابتي وتولهي   ولقد أتيتك بالقصيدة منشدا
في حضنها ولد الكليم ويوسف   لما أتى وجد العزيز الوالدا
وبجندها أوصى النبي محمد   والدهر يشدو بالفضائل شاهدا
إنا بنو مصر الكرامة والتقى   عون لمن بالسلم مد لنا اليدا
من شاءنا حربا عليه فويله   ولسوف ينصر في المعارك ماردا
قسما بمن جعل الكنانة موطني   لاذيق ذلا من تجبرا واعتدى
فأنا ابن من لاتنكرون جهاده   أسقى العدا كأس الندامة والردى
صغنا من الحجر الأصم قلائدا   الكون يبهر ثم يرحل حامدا
الدهر يشهد لليهود بخسة   فالشر كان طريقهم والمقصدا
سلبوا عزيزا من أراضينا التي   كانت منار الناس ينبوع الهدى
ظنوا حصونهم سترهب جندنا   والأسد لاتخشى ظلوما جاحدا
إنا جنود الحق أقوى عدة   من كل ما جمع اليهود وشيدا
قامت ليوث الله تشدو باسمه   الله أكبر فوق كل من اعتدى
فإذا هم أسرى وصرعى بيننا   والعار يلبسهم ثيابا خالدا
ياثالث الحرمين وجهك في دمي   يهدي الخطى لتدك أسراب العدا
مهما يطول بك الزمان سنلتقي   حتما فخيل الله تنتظر الندا
مصر الحضارة مصر سنبلة الورى   وفم الزمان لها بسبق قد شدا
فهي التي تهب السلام ولم تهن   وهي التي تعطي وماقبضت يدا
لاتسألون كم أحب وكم لها   فأنا لها كلي متى طلبت فدا





على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائي والتطور المتلاحق في الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافي، ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق في نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما في المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

تأليف: عبد الرحمن الجبرتي

دراسة وتحقيق:

عبد الرازق عبد الرازق عيسى

عماد أحمد هلال

● عزيزي القارىء إن تاريخ الأمة قاموس يجب أن يدون فيه كل حرف بأمانة وصدق، ليكون مرجعاً، وعملا بطوليا يحتذ به، كل جيل من أجيال هذه الأمة، لأن وطنا بلا تاريخ هو أمة بلا هوية.

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

عبد الرحمن الجبرتي

● وتاريخ مصرنا الحبيبة ملىء بالمواقف البطولية والتواريخ المنسية لأجيال عصرنا الحديث ، إذ نحن نرفع هذه الأتربة عن هذه الصفحات التاريخية ، لنضىء المستقبل بحضارة الماضى ، ليرى أبناء الأجيال بأعينهم ويلمسوا بأيديهم ما فعله الآباء والأجداد ، دفاعاً عن هذا الوطن ، وكيف عانوا من قسوة المحتل ، وفداحة العقوبات ، التى أنزلها بهم من قتل وسجن وغرامات ومصادرات .

● وتقدم هذا الكتاب لهذه الأجيال ربما يسهم فى تشكيل جزء من وعيهم التاريخى ؛ ليكون لهم موقف وكلمة ودور تجاه وطنهم الحبيب .

● وفى الفترة الحالية ثار نزاع بين المؤرخين بسبب الحملة الفرنسية التى تمثل مرحلة فاصلة فى تاريخ مصر الحديث ، ومن حولها انقسم المؤرخون والمثقفون فمنهم المؤيدون لكل ما جاءت به الحملة ، ويعتبرونها بداية التحديث فى مصر الحديثة . أما الفريق الآخر فهم على النقيض تماماً حيث يرون أن الحملة الفرنسية لم تكن بداية الحداثة ، بل كان هناك داخل المجتمع المصرى بذور وجذور لنهضة داخلية ذاتية وثار هذا النزاع بين المؤرخين بمناسبة مرور مائتى عام على مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر ونحن إذ نبرز إلى الوجود كتابا يعد وثيقة تاريخية بارزة وليس الهدف من ذلك تأييد أحد الاتجاهين ، أو الاشتراك فى النزاع الفكرى ، وإنما الهدف هو الإسهام فى توضيح الصورة ، وإزالة الالتباس من خلال هذا الكتاب والجهد الذى بذله الباحثون فى التاريخ المصرى الحديث .

● بدأ الباحثان تحقيقها بالمؤرخ عبد الرحمن الجبرتى وعصره الذى عاش فيه فتحدثا عن ضعف الدولة العثمانية وأثره على مصر ثم أزمة الفكر والحضارة ثم تدهور علم التاريخ .

● أما المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى الذى يبدو وسط مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى عملاقاً بين أقزام .

● ووالده الجبرتى هو من « إقليم جبرت » ببلاد الحبشة ، ثم استقرت عائلته فى مصر ، وتولى الشيخ حسن الجبرتى رئاسة رواق الجبرت فى الأزهر الشريف .

وكان عالما يشار إليه بالبنان ، وبخاصة فى العلوم الرياضية والفلكية ، وترك لنا العديد من المؤلفات .

● ولد عبد الرحمن الجبرتى فى هذه البيئة بالإضافة إلى الثراء المادى بجانب الثراء العلمى ، وكان لهذه البيئة أكبر الأثر فى تنشئة مؤرخنا ، فهى من ناحية غرست فيه حب العلم ، ومعاشرة ومصاحبة العلماء ، وطلاب العلم الذين كان يكتظ بهم بيت والده .

● فى هذه البيئة ولد عبد الرحمن الجبرتى عام ١١٦٧ هـ / ١٧٥٤ م وكان الشيوخ من أصدقاء وتلاميذ والده يعلمونه القراءة والكتابة ويحفظونه القرآن الكريم .

● ثم تناول المحققان بعد ذلك حياة الجبرتى العلمية والتاريخية .

أما الكتاب فالموجود من « مظهر التقديس » أربع نسخ ، منها ثلاث بدار الكتب المصرية ، والرابعة بسوهاج .

● أما عنوان الكتاب : فقد سجل فى فهارس دار الكتب تحت اسم مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، والنسخة (ب) عنوانها . مظهر

التقديس بخروج دولة الفرنسيس ، أما النسختان (جـ ، د) فلا عنوان لها ، أما عنوان : « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » فلا شك هو العنوان الذى قصيدة المؤلف .

● ثم تحدثنا عن الأسلوب واللغة ، ومنهج الكتابة ، والإملاء والطبعات السابقة ، ودراسة مقارنة بين مظهر التقديس وعجائب الآثار .

● أما مقدمة المؤلف فتحدثت عن الشريعة المطهرة ثم الرسول الكريم - ﷺ - ثم تولى أبى بكر لخلافة المسلمين ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، حتى وصل فى مقدمته إلى المماليك والعثمانيين ثم تاريخ الدول .

● أما يوميات سنة ١٢١٣ فتحدثت فيها فى فصول عن دخول الفرنسيين وسيطرتهم على الإقليم المصرى وسرد أحداثهم فى المدن والقرى والنجوع من خلال شهور المحرم وربيع الأول وربيع الثانى وجمادى الأولى والثانية .

● ثم تحدث عن ثورة القاهرة الأولى ، ومجمل حوادث شهور جمادى الآخرة ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذى القعدة ، ومجمل يومياته ، وذى الحجة ، ومجمل حوادثه ، ثم مجمل حوادث سنة ١٢١٣ هـ .

وكان من أعظم الحوادث امتناع سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة وذلك من أشنع الحوادث التى لم يتفق نظيرها فى دولة آل عثمان أبداً .

أما الجزء الثانى من الكتاب : فكانت بدايته عن يوميات سنة ١٢١٤ هـ .

استهل المؤلف « المحرم » بيوم الأربعاء فيه حضر جماعة من الفرنسيس إلى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم .

وذكر فى حصار عكا قصيدة الأديب السيد على الصيرفى الرشيدى ، المكونة من ٧٨ بيتا من الشعر ، ثم تعليق على القصيدة ، شارحاً فيها المعاناة والظلم ، الذى وقع عليهم من الجند ومقاومتهم له .

ثم ذكر المؤلف شهر صفر وماحدث فيه .

وشهر شعبان ، والشروط ، التى تمت فى عقد الصلح مع الفرنسيين بـ٢٢ شرطا وما تم فى الأشهر حتى شهر ذى الحجة .

ثم مجمل أشهر سنة ١٢١٤ هـ ما حدث بأقاليم مصر والشام والروم والبيت الحرام فمنها وهو أعظمها تعطيل الثغور ومنع المسافرين براً وبحراً .

ووقوف الإنجليز بثغر الإسكندرية ودمياط . يمنعون الصادر والوارد ، وتخطوا بمراكبهم أيضاً إلى بحر القلزم ، ومنها انقطاع الحج فى هذا العام .

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى مجمل يوميات سنة ١٢١٥ هـ منها توالى الهدم و الخراب وتغيير المعالم وتنويع المظالم ، وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والحروبى فهدموا تلك الجهات والأخطاط والحارات والدروب والقصور المزخرفة وجامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر وما به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان ومنها تخريب دار الأزبكية وردمها بالأتربة وتبديل أوضاعها .

● ثم يوميات سنة ١٢١٦ هـ والتى انتهت فى شهر شعبان سنة ١٢١٦ هـ .

● وانتهى بخاتمة ، ثم ملاحق منها ملحق (١) أسباب فشل نابليون فى فتح عكا وذكر فى ثلاثة عشر بنداً .

● ثم ملحق رقم (٢) وهو احتفالات شهرى : ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة ١٢١٤ هـ وفقاً لمظهر التقديس ، وعجائب الآثار ، والتوقيقات الإلهامية ، أما ملحق رقم (٣) ومعاهدات صلح بين كليبر ومراد بك ،

فهيا تتعلق بالاتفاق الذى تم بين مراد بك محمد ، وبين الجيش الفرنسى ذاكراً منه عشرة بنود .

● وملحق رقم (٤) وهو منشور نابليون إلى الجنود قبل رسو الأسطول الفرنسى فى الإسكندرية ثم ذكر كشاف الشخصيات والأماكن من حرف الألف إلى حرف الياء .

● هذا الكتاب هو وثيقة تاريخية نادرة ينبغى الحفاظ عليها بنصها وروحها ، كما أنه يحتوى على عدد من المنشورات والنصوص الرسمية التى نشرها الفرنسيون إبان فترة وجودهم فى مصر وهذه المنشورات ما كان لأحد أن يحصل عليها لولا الجبرتى ، ولاحق فى مخطوطات الحربية الفرنسية ، فالجبرتى احتفظ بتلك المنشورات بنسختها العربية وهى تختلف كثيراً عن النصوص الفرنسية لتلك المنشورات ، حيث إن النصوص العربية تحتوى على عبارات لم تدون فى الأصل الفرنسى .

● وأخيراً عزيزى القارىء هذا هو الكتاب الذى يتكون من جزءين كبيرين شرح فيهما الباحثان أسلوب المؤرخ الكبير الجبرتى ، بشكل يشبه الشكل القصصى ، ما قام به الفرنسيون داخل وطننا لتعلم الأجيال القادمة هذا التاريخ الوطنى ، دون حذف أو تضليل .

أدعوك إلى ضمه ضمن مكتبتك الثقافية ؛ ليكون لك مرجعا تاريخيا ، فى بيان هويتك الوطنية .

المرأة وولاية القضاء

تأليف /

أحمد بن حسين الموجان السعدى



عزيزى القارىء .. المرأة هى نصف المجتمع وكرمها الإسلام وميزها عن المرأة فى الديانات الأخرى ، ومن الأمور الهامة التى حث عليها العلم ، والعمل وأبوابه وسبله ومناهجه لا يستطيع المرء أن يجمعها فى بوتقة واحدة أو فن واحد . هذه الأمور هى محل الاهتمام بالمرأة ومكانتها فى الإسلام ، حيث رفع قدرها وأعلى من شأنها ، وجعلها شقيقة للرجل لها ما لهم وعليها ما عليهم .

● والمؤلف عرض عدة مقاصد هامة وهى شروط القاضى ومكانة المرأة فى الإسلام وحكم تولى المرأة منصب القضاء ، وهناك تطبيقات عملية لمنع تولية

المرأة القضاء وعرضها بطريقة علمية صحيحة ، مؤيدة بالأدلة وموضحاً فيها وجهات النظر المختلفة مع الترجيح .

● وقدم للكتاب الدكتور جابر بن على مهدى الطيب ، وتحدث عن العلم ، وفوائده ، ومكانة المرأة فى الإسلام .

● ثم تقريظ لفضيلة الشيخ السيد سابق تحدث فيه عن العدل ، وأنه قيمة من القيم الإسلامية العليا ، وأول من تولى القضاء ومقاصد المؤلف ثم تقديم ـ أيضا ـ للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلى رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه بجامعة دمشق ، ووضح فى مقدمته موضوعات الكتاب حيث أشاد بأنها محققة للغاية المنشودة ، ومنسجمة مع أحكام الشريعة الإسلامية الثابتة فى ضوء الاجتهادات الصحيحة ، والاستنباط السديد .

● وأخيراً مقدمة المؤلف التى بين فيها أن الإسلام ليس ديناً يتعبد به المسلمون داخل مساجدهم فحسب ، كما يزعم بعض الجاهلين ، بل الحقيقة أنه دين ودولة ، وعقيدة وشريعة وعبادة وخلافة ، وبين أن القضاء ركن من أركان الدولة ، وعمودها الفقرى ، ولايمكن إقامة المجتمع الآمن ، وحماية الأعراض ، والأنفس ورعاية الحقوق إلا بالقضاء .

فالدولة التى لاتحمى هذه الأمور لاتعد دولة معتبرة ولايمكن للأمور أن تستقر فيها .

● والمؤلف قسم كتابه هذا إلى أربعة فصول ، وخاتمة .

● ففى المبحث الأول تحدث عن مكانة المرأة فى النظم السابقة على الإسلام ، شارحاً فيه المرأة فى المجتمع اليونانى ، ثم فى شريعة حورابى ، والمرأة عند الهنود ـ والمرأة عند اليهود ، والمرأة عند النصارى ، ثم المرأة عند العرب .

● أما فى المبحث الثانى فكان عن مكانة المرأة فى الشريعة الإسلامية وإن الإسلام قرر المساواة ، والتكافؤ بين الجنسين بصورة كاملة ، مع ملاحظة الخصائص ، التى جبل وفطر عليها كل منهما .

● ويبين المؤلف فى هذا المبحث أن الإسلام حرم وأدها ، وقتلها ، خشية الفقر أو العار ، والرسول ـ ﷺ ـ حث على العطف على البنت ، وأرشد إلى تعليمها وتربيتها .

وأمر الله عز وجل باحترام الزوجات ، ومعاشرتهن بالمعروف ، ثم ذكر القرآن الكريم الإحسان إلى الوالدين .

● ثم شرح حق المرأة فى العمل ، والتفريق فى الأعباء المالية ، والقوامة على الأسرة ثم الطلاق بيد الرجل ، لابيد المرأة ، والتفرقة بين الرجل والمرأة فى الشهادة .

● أما فى المبحث الثالث فقد وضح المؤلف مظاهر تكريم الإسلام للمرأة ، منها حرية المرأة وحرمتها واستقلالها ، وحق المرأة المسلمة فى الملكية الفردية واحترام حقوقها الإنسانية ، والتعامل معها بالمعروف وتبادل التعامل الودى ، وتقاسم الحقوق والواجبات بين الزوجين أما فى المبحث الرابع فى قضية امرأة فى مصر تطلب القضاء فتمنع منه ولكن بدون قاعدة توضح عدم صلاحيتها فقد وضح المؤلف هذه القضية .

● أما الفصل الثانى فبين فيه المؤلف تعريف القضاء ، ومشروعيته وأهميته وحكم توليه وقسمه إلى ستة مباحث هامة .

● وفى الفصل الثالث تناول المؤلف أهلية القضاء .

أما فى مسألة حكم تولى المرأة ، منصب القضاء والخلاف فيه وبيان الراجح من الأقوال ، فقد شرح اختلاف المذاهب الثلاثة فى حكم تولى المرأة القضاء وهذا هو الفصل الرابع والأخير وطرح أيضا أدلة القائلين بالمنع ثم بيان أدلة القائلين بالجواز فى حال دون حال وهم مذهب الحنفية .

● ثم بيان أدلة القائلين بجواز تولية المرأة القضاء مطلقاً .

● ثم بيان القول الراجح من هذه المذاهب .

● وأخيراً رأى مجلس الدولة وبيان صلاحية المرأة فى غير القضاء وطرح المؤلف تجارب فاشلة فى تولى المرأة لمنصب القضاء فى أوروبا .

● عزيزى القارىء : من هنا أثبت لنا المؤلف أن القضاء مشروع بالكتاب والسنة والإجماع وهو أفضل من الجهاد ، وله أهمية كبرى فى حياة الفرد والمجتمع ، ولم يثبت على مر السنين أن امرأة تولت هذا المنصب الخطير حتى يومنا هذا فى معظم البلاد الإسلامية ، جرت العادة على الاكتفاء بالراجح فقط أن المرأة لايجوز لها أن تتولى منصب القضاء .

● ومن هذا أعزائى القراء ، فقد ناقش المؤلف موضوعا هاما جداً ، احتارت فيه أقوال كثيرة واختلفت فيه جهات متعددة ، فقد بذل فيه جهداً كبيراً وتوصل إلى نتائج هامة ومسائل فقهية صادقة وراجحة .

● وبهذا نكون اخترنا لكم ما يحيركم فتزيل هذه الحيرة ونصل معكم إلى رأى صائب وعادل فى هذه المسألة .

الخلافة الإسلامية

حقيقتها وأصولها الاعتقادية
وحتمية عودتها

● **تأليف الدكتور/**
فاروق أحمد الدسوقى

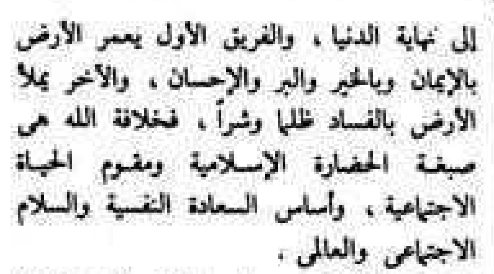
الخلافة الإسلامية

دكتور
فاروق أحمد الدسوقى

عزيزى القارىء فى الأعداد السابقة قمنا بعرض موضوعات وقضايا تهم جموع المسلمين فى كل مكان ، والآن نطرح قضية هامة تتعلق بالمجتمع الإسلامى من حيث تأسيس الدولة الإسلامية والبقاء عليها .

فقد استخلف الله تعالى الإنسان فى الأرض ليبتليه بما استخلفه فيه ، فيصبح بالخلافة الابتلائية فريقين : خلفاء الرحمن عز وجل ، وخلفاء الشيطان لعنه الله .

والصراع لايخمد بين الفريقين منذ الجيل الأول



إلى نهاية الدنيا ، والفريق الأول يعمر الأرض بالإيمان وبالخير والبر والإحسان ، والآخر يملأ الأرض بالفساد ظلما وشراً ، فخلافة الله هي صبغة الحضارة الإسلامية ومقوم الحياة الاجتماعية ، وأساس السعادة النفسية والسلام الاجتماعي والعالمي .

● وفي هذا الكتاب : يشرح المؤلف آيات الخلافة وموضعها في السياق القرآني ثم إنباء الله تعالى ملائكته باستخلاف الإنسان في الأرض وتعجبهم من ذلك وذكر ابن الجوزي في هذه المسألة قولين وهو اختلاف المفسرين حول المقصود بالملائكة ، هل هم جميع الملائكة أو هم جماعة منهم لهم شأن واختصاص بالأرض دون غيرهم ؟!

● ثم انتقل المؤلف إلى سجود الملائكة لآدم ومغزاه الوجودي من حيث علاقة السجود بالاستخلاف ورفض إبليس السجود لآدم وصلته بالخلافة .

● ثم الخلافة والجنة ، وعودة لمفهوم الأرض ، ثم الخلافة والتفسير الإسلامي للتاريخ .

● أما من هو الخليفة ومن هو المستخلف ؟ فهذا هو الفصل السادس الذي طرحه المؤلف .

● ثم الفروق اللغوية بين الخلافة وبين ألفاظ العناصر الداخلة فيها ، والخلافة في اللغة العربية وعناصرها ومشتقاتها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

● وطرح المؤلف أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستخلاف ، ومذهبه فيه ، ثم أدلته على تحريم تفسير الاستخلاف بالنيابة لله تعالى ونقضها ويشرح فيه خمسة أدلة .

● ثم مفهوم الخلافة في العقائد الشركية ، ثم خصائص الربوبية ومنها الخلق والحفظ .

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الخلافة ، والجانب الإلهي من التوحيد الإسلامي .

● أما في الفصل الرابع عشر : فتعرض المؤلف للخلافة والذات الإنسانية ، وتناول الخلافة يكون رئيسيا في الذات الإنسانية ، الخلافة والفطرة والخلافة وتقلب الذات الإنسانية والخلافة والابتلاء ،جدلية الخلافة الابتلائية بين القدر الإلهي والفاعلية الإنسانية .

● ثم أشار إلى حقيقة الخلافة كخلافة الإنسان والأدلة الشرعية على صحة نسبة السيادة للإنسان .

● وأخيرا تحدث المؤلف عن الإنسان بين خلافة الرحمن وخلافة الشيطان .

● وهكذا عزيزي القارىء تناول المؤلف كل موضوعات الخلافة والمسائل التي قيلت فيها بالأدلة العقلية والنقلية حتى يعلم القارىء ما يلتبس عليه من أصحاب الأفكار المتطرفة عن حتمية هذه الخلافة والخوض فيها .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعا » . رواه مسلم .

بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل خفاجة

بين فرحة العيد وفراق رمضان

لقد رحل شهر كريم ، أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، شهر اختصه الله بليلة خير من ألف شهر .

وعن فضله قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبل :

أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً ، وأما الثانية : فإن خُلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة ، وأما الرابعة : فإن الله تعالى يأمر جنته فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي ، وأما الخامسة : فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر ؟ قال : لا ، ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا وفوا أجورهم »[1] .

نعم . . لقد رحل شهر كريم فضيل ، وإنا لفراقه لآسفون .

ولكن رحمة الله واسعة يبسطها ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ على المؤمنين ليمحو عنهم لوعة الفراق ويعوضهم بفرحة العيد ، ويمنحهم الجائزة .

فعن سعيد بن أوس الأنصاري عن أبيه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إذا كان يوم عيد الفطر

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٣ / ١٤٠ وقال رواه أحمد والبزار .

وقفت الملائكة على أبواب الطريق ، فنادوا اغدوا يامعشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلوا نادى منادٍ ، ألا إن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة [٢] .

فاللهم كما وفقتنا لطاعتك فى ذلك الشهر الكريم ، أعنا ووفقنا إلى ما يرضيك ما أحييتنا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا .

« الدعاء »

القارىء : محمود الطاهر الصاق / عضو رابطة الأدب الإسلامى وعضو اتحاد الكتاب المصرى . فيكتوريا ـ المنتزه ـ الإسكندرية

أرسل هذه الكلمة الطيبة عن الدعاء يقول :

يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الذاريات : ٥٦)

ويقول النبى ـ ﷺ ـ : « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى فالجن والإنس مخلوقون ليعبدوا الله سبحانه وأصل عبادتهم لله ـ سبحانه ـ هو الدعاء الذى هو تجميع قوة العاطفة الطاهرة النقية المملوءة بالحب وتوجيهها إلى الله ـ سبحانه ـ وفى هذا الاتجاه توحيد لوجهة التأثرات العصبية وهذا هو معنى : « من وحّد همّه كفاه الله سائر همومه » وفى هذا من الفوائد الروحية والجسمية ما يعرفه أطباء النفس لأن المخ هو الذى يصدر التأثر العاطفى ويتأثر به ، فإذا تواردت عليه معانى الدعاء وزّع على الأعصاب تيارات من الثقة والاطمئنان تعصمها من الإضطرابات والصدمات ؛ لهذا ترى الدعاء هو كرّة النجاة لأنبياء الله ـ عليهم السلام ـ وأيضاً لرجال من المؤمنين إذا تكاثفت عليهم ظُلَم الكروب ، وإنك لتجد الذين يدعون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم هم أكثر الناس ثباتاً وصبراً وتسليماً لله ـ عز وجل ـ فلا يجزعون .

وأدب الدعاء الإسلامى هو أعلى عبقريات الأدب جميعها وأقرب طريق إلى معونة الحق سبحانه ومدده ، ولو أن أمة تخلقت بأدب الدعاء لكانت أرقى الأمم عقولاً وقلوباً وعلوماً وأنقاها من أمراض الحياة النفسية والجسمية .

وختاماً فلنتأمل هذا الدعاء لأحد أولياء الله الصالحين : [٣]

« اللهم ياقدوس قدسنى من العيوب والآفات وطهرنى من الذنوب والسيئات ، واكشف عن قلبى حجب الغفلة والظلمات ونوره بنورك الذى نورت به قلوب عبادك أهل القلوب الطاهرات ولا تجعلنى يا الله ممن يُغشى قلوبهم بظلام الغفلات اللهم اجعلنى من المتقين واجعلنى من عبادك المحبين المحبوبين وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد أول العابدين وعلى آله وذريته أجمعين » .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٣) المنحة الإلهية ، للإمام محمد بن الهاشمى من علماء المغرب

الإفطار على التمر

القارىء : أحمد عبد الغفار عمر / شبراخيت أرسل هذه الكلمة التي نذكر منها قوله :

التمر هو ثمرة النخيل ، وحتى يتم نضج هذه الثمرة تمر بعدة أطوار يكون أولها الطلع ثم الخلال ثم البلح ثم البسر ثم الرطب ثم التمر واكتمال الشيء عند نهايته ، فالتمر هو أجلها جميعاً .

ذكر القرآن لفظة النخل والنخيل عشرين مرة .

أثره على صحة الجسد : ـ

البلح يحتوى على البروتينات التي تقوم بعملية البناء ، فهى التي تبنى خلايا الجسم وتجدد ما يبلى منها ، كما يحوى نسبة عالية من السكريات .

ويحتوى التمر على معادن كثيرة مهمة . ويحتوى البلح على فيتامين « أ » وهو موجود بنسبة عالية . وللبلح أهمية خاصة لتكوين أجسام الأطفال وخصوصاً العظام ـ لما يحتويه من نسبة عالية من الفسفور .

أثره على الصحة النفسية : ـ

أثبتت الدراسات أن البلح يضفى السكينة والهدوء على النفوس القلقة والمضطربة ، وكذلك المزاج العصبى الناجم عن نشاط الغدة الدرقية .

الحجاج وسكرات الموت

أما القارىء : إبراهيم خلف عبد اللطيف السمان العسيرات ـ جزيرة أولاد حمزة ـ نجع القلماية .

فيرسل كلمة عن الحجاج حين وافته المنية ، يقول :

لما حضرت الوفاة الحجاج بن يوسف الثقفى وأيقن بالموت قال : اسندونى ، وأذن للناس بالدخول عليه فدخلوا ، فتذكر الموت وكربه ، واللحد ووحشته ، والدنيا وزوالها ، والآخرة وأهوالها ، وكثرة ذنوبه ، وكان ممن دخلوا عليه أبو المنذر (يَعْلَى بن مَخْلَد) فقال : كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته ؟ قال : ياعلى غماً شديداً ، وجهداً جهيداً وألما مضيضاً ، ونزعاً جريضاً ، وزاداً قليلا ، فويل ، ويل إن لم يرحمنى الجبار فقال له : يا حجاج .. إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء ، أولى الرحمة والرأفة والعطف على عباده .

□



أما القارىء : حازم محمد أحمد عراقى معهد أسامة بن زيد الأزهرى / بالعريش فيرسل هذا الإسهام من قراءاته فى كتب السنة « عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال :

جاء رجل إلى النبى - ﷺ - فقال :

يارسول الله أحدنا يذنب ؟

قال : « يكتب عليه »

قال : ثم يستغفر منه ويتوب .

قال : يغفر له ويُتاب عليه .

قال : فيعود يذنب ؟

قال : يكتب عليه .

فقال : ثم يستغفر منه ويتوب ؟

قال : يغفر الله له ، ويتوب عليه ، ولا يمل حتى تملوا » .

رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بإسناد حسن

جائــزة الشعـراء

أما القارىء : محمد أحمد عبد الرحمن - قليوب .

فيرسل هذه الطرفة تحت عنوان : جائزة الشعراء .

نظر طفيل إلى قوم ذاهبين فلم يشك أنهم ذاهبون فى دعوة إلى وليمة ، تقام وتبعهم ، فإذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم ، فلما أنشد كل واحد منهم شعره وأخذ جائزته ، لم يبق إلا الطفيل وهو جالس ساكت . فقال له السلطان : أنشد شعرك . فقال : لست بشاعر فقال فمن أنت ؟ قال : من الغاوين الذين قال الله - تعالى فى حقهم .

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٤)

فضحك السلطان وأمر له بجائزة الشعراء .

من إبداعات القراء

يا الله

ما فى الوجود سواك ربٌ يُعبدُ
كلا .. ولا مولى سواك فنقصد
يا من له عنت الوجوه بأسرها
ذلا .. وكل الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الفرد الذى
كل القلوب له تقر وتشهد
يا من تفرد بالبهاء والثنا
مِنْ غيره .. وله البقاء السرمد
يا من له وجب الكمال بذاته
فلذاك يُشْقى من يشاء ويُسْعد
إنى بجاه المصطفى متوكل
فاغفر ذنوبى أنت أنت المقصد
فعليه صل الله ما سرت الصَّبا
وسرى الهزاز على الغصون يغرد

شعر : محمد حسن عونى

ردود سريعـــة

● القارىء : بركات إبراهيم إبراهيم بركات ـ أبوحماد شرقية رسالتك عن الإسراء والمعراج وصلت متأخرة ، عليك ملاحظة ذلك مستقبلاً ، ومراعاة قواعد النشر .

● القارىء : جمال محمد محمود ـ الأردن ـ الزرقاء نأمل أن تسمح الظروف مستقبلاً بتلبية طلبك ولك منا خالص الدعاء أن يوفقكم الله ـ تعالى ـ .

● القارىء : أيمن محمد أبو السعود ـ دسوق نشكر لكم مشاعركم الطيبة ، ويسعدنا تلقى إسهاماتكم التى تعضد وتقوى أركان ذلك الباب .

● القارئة : س ـ أ ـ ع
قلين / مركز قلين / كفر الشيخ

نرجو لك التوفيق ـ وعليك الاهتمام بدروسك أما عن هذه الفترة من العمر ، والتى يطلق عليها مرحلة المراهقة ، فإن أحاسيس الشباب فيها غالبا ما تتغير بعد الوصول إلى مرحلة النضوج الفكرى وكثيرا ما يتراجع الشخص عن الكثير من آرائه ، حيث يتبين له أن الأفضل تركها .

كلام خفيف ـ بقية

الاستوائية والذين يتعرضون بالصدفة للدغ من الحيات رغم ما يلبسون من أحذية ذات رقبة طويلة ، ورغم ما يتناولونه من مضادات سم الثعابين ، وهى عقاقير قللت من الخطر المحدق بهم فى السنوات الأخيرة .

وفى أمريكا حيث تلدغ الثعابين من ألف إلى ألفى شخص فى كل عام ، كما بينت ذلك الإحصائيات المدونة .

فإن أقل من ١٠٪ من حالات اللدغ هذه ينتهى بالوفاة ، ويقول (جرين) : « إن معظم الضحايا من الصغار تحت سن العشرين والذين يتعاملون مع الثعابين السامة بإهمال وعدم عناية » .

وينهى (هارى جرين) بحثه القيم بقوله : « إن خوف الثعابين منا نحن بنى البشر يفوق خوفنا منها ، فهى لاتعض أحدا أو تلدغه إلا إذا أدركت وتحققت من التهديد بالخطر .

وطبيعى أن نتوقع سماع ذلك الكلام من عالم لايخاف الثعابين ، وازداد حبه لها لدرجة اتخذ معها من اسم جنس الثعابين علامة ورمزا لعنوان البريد الإلكترونى الخاص به .



يرجى من السادة الآتية أسماؤهم الاتصال بإدارة حسابات مجمع البحوث الإسلامية «بمدينة نصر» ـ لصرف مستحقاتهم عما نشر لهم «بمجلة الأزهر» .
حيث إن المدة القانونية لهذه المستحقات أوشكت على النفاد والله الموفق .

مسلسل	الاســـم	ملحوظـــة
١	د . رقية محمود جبر	
٢	الأستاذ/ محمد عبد الوهاب عبد اللطيف	
٣	الأستاذ/ محمد عبد الرحمن دياب	
٤	الأستاذ/ إسلام عبد الرءوف محمد	
٥	الأستاذ/ إبراهيم محمد عيسى	أكثر من مكافأة
٦	الأستاذ/ لطفى محمد متولى	
٧	الأستاذ/ نبيل صلاح محمود	أكثر من مكافأة
٨	الأستاذة/ نجاة شاور ربيع	أكثر من مكافأة
٩	الأستاذ/ محمد فتحى عبد الصادق	
١٠	الأستاذة/ مها يسرى التاجورى	أكثر من مكافأة
١١	الأستاذ/ حمودة محمد شرف الدين	
١٢	الأستاذ/ أحمد السيد عطية	
١٣	د/ رمضان حافظ الأسيوطى	
١٤	د/ جعفر عبد السلام على	
١٥	الأستاذ/ عبد الفتاح إبراهيم سلامة	أكثر من مكافأة
١٦	الأستاذ/ محسن فخر الدين	
١٧	الأستاذ/ محمد سعيد محمد الأنصارى	
١٨	الأستاذ/ عمر عبد التواب عليان	
١٩	ورثة الشاعر/ أحمد محرم	
٢٠	فضيلة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز	
٢١	الأستاذ/ محسن فريد عبد الخالق	
٢٢	الأستاذ/ خالد محمود إبراهيم سالم	

مسلسل	الاسم	ملحوظة
٢٣	الأستاذ/ محمد عبد المحسن النقادي	
٢٤	الأستاذ/ عبد الفتاح أبو ستة	
٢٥	الأستاذ/ محمد الخضري حسين	
٢٦	الأستاذ/ عصام الغزالي محمد	
٢٧	الأستاذ/ ربيع محمد حماد علي	
٢٨	الأستاذ/ محمد رياض السيد كريم	
٢٩	الأستاذ/ أبو يحيى زكريا سعيد	أكثر من مكافأة
٣٠	الأستاذ/ عبد الرحيم سعد عبد الرحيم	
٣١	الأستاذ/ سيد محمد خضر	
٣٢	الأستاذ/ عبد الملك علي الكليب	
٣٣	الأستاذ/ عبد الغني سيد أحمد	
٣٤	ورثة/ عزت شندي	
٣٥	الأستاذ/ إسماعيل قراجام	
٣٦	الأستاذ/ يحيى عبد الله المعلمي	أكثر من مكافأة
٣٧	الأستاذ/ محمد نعمان جلال	
٣٨	الأستاذة/ نور محمد نافع	
٣٩	ورثة الدكتور توفيق محمد شاهين	أكثر من مكافأة
٤٠	الأستاذ/ محمد أحمد بكر	
٤١	الأستاذ/ سليم عبد القادر	
٤٢	الأستاذ/ السيد صديق حافظ	أكثر من مكافأة
٤٣	الأستاذ/ شريف السيد محمد	
٤٤	الأستاذة/ رانيا نبيل محمود	
٤٥	د./ مسلم أحمد مسلم	أكثر من مكافأة
٤٦	الأستاذ/ البيومي محمد البيومي	
٤٧	د./ عبد الوهاب عبد الوهاب فايد	
٤٨	الأستاذ/ محمود محمد عبد العال	
٤٩	د./ حسن علي محمد	
٥٠	الأستاذ/ محمود محمد سالم	
٥١	الأستاذ/ السيد محمد سليمان	



مسلسل	الاســـم	ملحوظـــة
٥٢	الأستاذ/ مناع خليل القطان	
٥٣	الأستاذ/ عبد العزيز محمد نعمان	
٥٤	د ./ يوسف الكتانى	
٥٥	الأستاذ/ محمد محمد جاد	
٥٦	د ./ على جمعة محمد	
٥٧	الأستاذ/ محمد مصطفى بسيونى	
٥٨	الأستاذ/ أشرف ناجى	
٥٩	الأستاذ/ عبد الحق شحاتة كريم	
٦٠	الأستاذ/ محمد يوسف خليل	
٦١	د ./ زيد محمد الرومانى	
٦٢	الأستاذ/ التيجانى يوسف بشر	
٦٣	الأستاذ/ أحمد منصور على	
٦٤	الأستاذ/ إبراهيم عبد الحميد عيسى	
٦٥	الأستاذة/ مها عبد الفتاح فهمى	أكثر من مكافأة
٦٦	الأستاذ/ أحمد شحاتة الألفى	
٦٧	الأستاذ/ محمد عبد الحليم القاضى	
٦٨	د ./ عبد الفتاح محمد أحمد خضر	
٦٩	الأستاذ/ محمد حسن داود	
٧٠	الأستاذ/ ثروت السيد العراقى	
٧١	الأستاذ/ محمود حسين عونى	
٧٢	الأستاذ/ أسامة كامل الخريبى	
٧٣	الأستاذ/ مصطفى محمد	
٧٤	الأستاذ/ أحمد إبراهيم هلال	أكثر من مكافأة
٧٥	الأستاذ/ محمد إبراهيم العشماوى	
٧٦	الأستاذ/ عبد الحكيم السيد عثمان	
٧٧	الأستاذ/ محمد التهامى	
٧٨	الأستاذ/ محمد فتحى نصار	
٧٩	د ./ السيد مرسى أبو ذكرى	
٨٠	الأستاذ/ حامد إبراهيم	



أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف

إعـداد الأسـتاذ : عـمـر البسطويسى

الرئيس مبارك يستقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر:

استقبل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف ـ يوم ١٩ من رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/١/٧ بمكتبه.

وصرح فضيلته عقب اللقاء بأنه تركز حول عدة موضوعات منها : مشروع تطوير الأزهر من حيث الأبنية ونظام الدراسة به ، وحول مبنى مشيخة الأزهر الجديد والذى أقيم بحديقة الخالدين بالدراسة وتكلف حتى الآن أكثر من أربعين مليونا من الجنيهات ولم يتم الانتهاء منه ، وقال فضيلته إن السيد الرئيس وافق على افتتاح المبنى الجديد لمشيخة الأزهر بعد الانتهاء منه كما أوضح أن المبنى القديم لمشيخة الأزهر سيترك أمره للخبراء والمختصين الذين سيقررون فى ضوء المصلحة العامة الإبقاء على المبنى أو إزالته .

وأشار إلى أن فضيلته طلب من السيد الرئيس منحة أخرى جديدة للأزهر من أجل ترميم المعاهد الأزهرية التى أضيرت بالزلزال وقد وافق السيد الرئيس على ذلك وأصدر توجيهاته للمسئولين بتلبية ذلك الطلب موضحا أن المنحة التى حصل عليها الأزهر فى العام الماضى كانت ٤٠ مليونا من الجنيهات بالإضافة إلى الميزانية المخصصة للأزهر .

وأعرب فضيلته عن أمله ألا تقل منحة هذا العام عن العام الماضى،وأشار إلى أن هناك أكثر من مليون طالب وطالبة يدرسون بهذه المعاهد ، كما صرح فضيلته بأن السيد الرئيس سيشهد الاحتفال بليلة القدر ويكرم حفظة القرآن الكريم من مصر والدول الإسلامية والعربية ورجال الدعوة الإسلامية من القيادات .

واجب المسلمين الوقوف مع الشعب العراقى

صرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأننا ضد أى عدوان على الشعب العراقى لأنه شعب عربى مسلم ونحن معه نفديه بأرواحنا ومشاعرنا وأموالنا وكل ما نملك ، وكل عدوان على الشعب العراقى نحن ضده ونستنكره أيا كان مصدر هذا العدوان ، ومن قتل من إخواننا من الشعب العراقى فهو شهيد . وواجب المسلمين أن يقفوا صفا واحدا مع الشعب العراقى الشقيق ومصر رئيسا وحكومة وشعبا وأزهرا ورجالا ونساء تقف بجانب الشعب العراقى تدافع عنه بكل ما تملك من وسائل الدفاع ، ولا يمكن أن تتخلى عنه بأى حال من الأحوال .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم بدولة النيجر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه يوم ١٣/١٢/١٩٩٨ السيدة كوستا مؤمن نائب رئيس الوزراء ووزيرة التعليم بدولة النيجر والوفد المرافق لسيادتها ، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بسيادتها والوفد المرافق فى الأزهر الشريف وألقى الضوء على دور الأزهر ونوعية الدراسة به ودوره فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية واستعداده للتعاون مع دولة النيجر الشقيقة .

قدمت الوزيرة شكرها لفضيلته على دعوتها لزيارة الأزهر الشريف قلعة الإسلام فى العالم وأبلغت فضيلته شكر وتحية وتقدير رئيس دولة النيجر وحكومة وشعب النيجر على ما يقدمه الأزهر لأبناء النيجر من منح تعليمية وكتب دراسية وأعربت عن حرص دولة النيجر على توثيق التعاون بين دولة النيجر ودولة مصر للأزهر الشريف لأن مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وسياسته الحكيمة تقدم كل تعاون فى كل المجالات لدولة النيجر ، كما أشادت بدور البعثة الأزهرية التى تنشر الإسلام فى دولة النيجر وتقوم بتعليم أبنائها القرآن والدين بل فى أفريقيا عموما .

وقد طلبت إنشاء معهد أزهرى للفتيات فى النيجر على غرار المعهد الأزهرى للبنين الذى أقيم فى النيجر حيث إنه يوجد أكثر من أربعة آلاف كتاب لتحفيظ القرآن الكريم لذلك فالرغبة ملحة فى إنشاء معهد أزهرى آخر ، وقد وعدها فضيلة الإمام الأكبر بتلبية طلبها . كما وافق شيخ الأزهر على زيادة المنح لطلاب النيجر .

وتم عقد جلسات مباحثات مع فضيلة وكيل الأزهر بعدها .

تم توقيع اتفاقية تعاون مشترك فى المجالات العلمية والثقافية بين الأزهر الشريف ودولة النيجر ، وتم التوقيع على الترخيص بإنشاء معهد أزهرى جديد بدولة النيجر وكما أعربت الوزيرة عن شكرها وشكر بلادها لتوقيع هاتين الاتفاقيتين فى يوم ١٦/١٢/١٩٩٨ حضر اللقاء والجلسات وتوقيع الاتفاقيات سعادة سفير النيجر بالقاهرة وأعضاء السفارة وفضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .



فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل الأمين العام السابق للأمم المتحدة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمبنى المشيخة الجديد بحديقة الخالدين الأستاذ الدكتور بطرس غالى الأمين العام السابق للأمم المتحدة ، والأمين العام الحالى للفرانكفونية الدولية وذلك فى إطار زيارته لجمهورية مصر العربية وللسيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، وقد رحب فضيلة الإمام بسيادته ، وقد أعلن سيادته أنه حريص كل الحرص على مقابلة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أثناء زيارته لمصر للسلام والتحية والتهنئة بشهر رمضان المبارك ، والتهنئة بهذا المبنى الفخم الجديد للمشيخة ، وقد تناولت المقابلة بحث عدد من القضايا الدولية الموجودة على الساحتين العربية والدولية .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل وفد المجلس البابوى بالفاتيكان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد المجلس البابوى بالفاتيكان برئاسة الكاردينال ألفونسو لوبوس يشروجيلو فى ٩٨/١٢/٢٨ وقد رحب فضيلته بالوفد مؤكدا على أن الأديان السماوية تدعو إلى التراحم بين الناس وإلى مساعدة المحتاج ونصرة المظلوم وإعطاء كل ذى حق حقه ،كما أنها تنبذ العنف والتطرف والعصبية المقيتة ، كما أكد على تقارب الأفكار بين الأزهر والكنيسة الكاثوليكية فيما يتعلق بحماية الأسرة التى تقوم على الطهارة والعفاف والقيم الدينية الصحيحة ، وأضاف فضيلته أنه توجد لجنة رسمية من الأزهر الشريف ودولة الفاتيكان برئاسة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وعضوية المتخصصين تجتمع دوريا ، ووظيفتها مناقشة الموضوعات المتنوعة التى تعمل على نشر الفضائل ومحاربة الرذائل وحماية الأسرة ورعاية الطفولة .

وقد أعرب رئيس الوفد عن سعادته بوجوده فى الأزهر الشريف القلعة التى يعرفها الناس جميعا فى كل دول العالم مشيرا إلى أن بابا الفاتيكان يعمل من أجل السلام ومن أجل الأسرة وأيضا يشكر موقف الدول الإسلامية والمسلمين والأزهر لمساندتهم للقيم الروحية وإعلاء قيم الأسرة فى التراحم والحب وتربية الأبناء والأطفال .

وقال رئيس الوفد إن الهدف من زيارة الوفد للأزهر هو التعاون والالتقاء فى كل مايخص الأسرة من حيث الإنجاب والسكان وتنظيم النسل وسياسة الأسرة من الناحية الطبية والعلوم الحديثة وخاطب فضيلة شيخ الأزهر أعضاء الوفد مشيدا بمواقفهم وأفكارهم المشيرة الخاصة بنصرة المظلوم والعطف على المساكين ومساعدة المحتاجين وهو ما يتحد مع مواقف الكنيسة الكاثوليكية ، كما أكد فضيلته على رفضه البناء على الأرض المغتصبة والوقوف إلى جانب إخواننا الفلسطينيين الذين ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق ، وناشد المجتمع الدولى الوقوف بحزم مع الفلسطينيين وضد المغتصبين حتى يحصل الفلسطينيون على حقوقهم المشروعة .

وطلب رئيس الوفد أن يعقد مؤتمر على مستوى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عن الأسرة سنة ٢٠٠٠ حيث إن هذه الفكرة طرحها بابا الفاتيكان فى خطابه السنوى ، ويكون هذا المؤتمر عن الطفل بصفة خاصة ورغب فى مشاركة الأزهر الشريف فى

هذا المؤتمر لتعتبر فرصة لدعوة أساتذة كبار عالميين متخصصين من الأزهر يشرحون ويتكلمون عن حقوق الطفل فى الأسرة وفى المجتمع .

وتدخل فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الذى حضر اللقاء فقال : لقد تمت مناقشة موضوع حقوق الطفل فى الأسرة والمجتمع فى وجود الكاردينال أرينز وهو أحد المسئولين فى الفاتيكان .

وقال شيخ الأزهر نحن نؤيد عقد هذا المؤتمر لصالح الطفل والأسرة وعندما يتم التجهيز لهذا المؤتمر ويوضع البرنامج الخاص به ويصل للأزهر تتم دراسته تمهيدا للموافقة عليه بإذن الله تعالى .

نقل بعض إدارات إدارة الأزهر إلى المقر الجديد لمبنى مشيخة الأزهر بحديقة الخالدين

تم نقل بعض إدارات إدارة الأزهر الشريف بالحسين إلى المقر الجديد لمبنى مشيخة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة بجوار دار الإفتاء المصرية وباقى الإدارات مازال بالمبنى القديم حتى يتم الانتهاء من بعض التجهيزات فى المبنى الجديد ، ويتكون المبنى الجديد من سبعة طوابق بالإضافة إلى طابقين تحت الأرض إلى جانب طابقين يعدان لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى واجهة المبنى ، والمبنى يؤثث تأثيثا كاملا وقد بلغت تكاليف المبنى الجديد مايقرب من أربعين مليونا من الجنيهات حتى الآن ولم يستكمل بعد .

افتتاح المجمع الشامل للتعليم الأزهرى فى مدينة العاشر من رمضان

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يوم الثلاثاء ٩٩/١/٥ المجمع الشامل للتعليم الأزهرى فى مدينة العاشر من رمضان وقد أنشأ المجمع السيد المهندس محمد فريد خميس رجل الأعمال ورجل الخير والبر ، ويضم معاهد للتعليم الابتدائى والإعدادى للبنين والبنات وأطلق عليه فضيلة الإمام الأكبر اسم والد المتبرع تكريما له ، وقال فضيلته فى كلمة الافتتاح : إن هذا عمل يرضى الله عنه وعن صاحبه ويكتب له به جزاء صدقة جارية كما فى حديث سيدنا رسول الله - ﷺ - ولو أن كل رجال الأعمال أقاموا مثل هذه المنشآت النافعة المفيدة لأبناء الوطن لكانوا أقرب إلى السلف الصالح من المسلمين الأوائل وكانت لهم فى ميزان حسناتهم يوم القيامة :

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ الشعراء ٨٨

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ الانفطار ١٩

وقدم الطلاب عرضا مسرحيا دينيا ، وإنشادا دينيا أثر فى قلوب الحاضرين .

افتتاح عدة منشآت هامة بمدينة البعوث الإسلامية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى يوم الاثنين ٩٨/١٢/١٤ بزيارة لمدينة البعوث

الإسلامية بالدراسة ، بافتتاح عدة منشآت هامة تخدم العملية التعليمية لطلاب أكبر مدينة تعليمية تضم خيرة أبناء العالم الإسلامى حيث لم تحدث مثل هذه الإنشاءات منذ إنشاء مدينة البعوث وكان فى استقبال فضيلته الشيخ فرحات السعيد المنجى رئيس الإدارة المركزية والمشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية والسادة العاملين بالمدينة والطلاب .

كما قد افتتح المطبخ الآلى الذى أقيم على أحدث النظم العالمية ، والمطعم الخاص بالمدينة والذى صمم ليستوعب جميع الطلاب فى المدينة دفعة واحدة وقد بلغت تكاليف إنشاء المطبخ الآلى والمطعم بمعداتها سبعة ملايين من الجنيهات ، كما قام فضيلته بوضع حجر أساس عمارتين سكنيتين كبيرتين لإقامة الطلاب ، تسع العمارة الواحدة ثلاثمائة طالب ، وكذا عمارتين أخريين تحت الإنشاء على نفقة رجال الأعمال من أهل الخير والبر تصل تكاليفهما ثمانية ملايين من الجنيهات كما تم ترميم المبنى الإدارى العام للمدينة ملحقا به مبنى آخر يخص وحدة استخراج الجوازات ونقطة الشرطة وأيضا تم ترميم قاعة المحاضرات الكبرى بالمدينة وهناك قاعة أخرى تحت الإنشاء الآن لخدمة الطلاب كما تم تجديد وتحديث خزان المياه الرئيسى الذى يسع حوالى ٤٠٠٠ أربعة آلاف متر مكعب من المياه الصالحة للشرب ، وأنشأ بوابتين جديدتين للمدينة بتكاليف بلغت ٢٥٠٠٠٠ مائتين وخمسين ألفا من الجنيهات ويجرى الآن الانتهاء من أعمال المبانى لقاعة اجتماعات كبرى وجراج ودورات مياه وحمامات مزودة بالسخانات الشمسية خدمة لأبناء طلاب العالم الإسلامى الدارسين بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ، وأيضا يتم ترميم وتجديد وتحديث سور المدينة من الخارج وتم هذا العمل تحت رعاية صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وبإشراف وتوجيه الشيخ فرحات السعيد المنجى المشرف العام على المدينة .

حضر حفل الافتتاح فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، وفضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسيدة نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم بدولة النيجر والسادة سفراء الدول الإسلامية والسادة علماء الأزهر وقياداته ورجال الأعمال والطلاب .

افتتاح المسابقة العالمية السادسة لحفظ القرآن الكريم

فى افتتاح أعمال المسابقة العالمية السادسة لحفظ القرآن الكريم التى تشارك فيها سبعون دولة من دول العالم وذلك بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف فى ١٧ من رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٥ من يناير سنة ١٩٩٩ والتى تنظمها وزارة الأوقاف كل عام تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية ، ألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف كلمة أكد فيها على أن مصر الأزهر تعد الاهتمام بحفظ وتلاوة القرآن الكريم منهج حياة يجب أن نسير عليه جميعا وأن نعمل على تحفيظه لكل أبنائنا وبناتنا وأن نحفظه نحن قبلهم ونعمل بما فيه وإذا قصرنا فى ذلك سيحاسبنا الله سبحانه وتعالى ـ ودور الأزهر

الشريف يعمل على تحفيظ القرآن الكريم ليس للمصريين فقط وإنما للمسلمين كافة ، وإن من يحفظ القرآن الكريم ويستوعبه ويعمل بما فيه يعد أزهريا ومن لم يحفظه ولا يعمل به لا يعد منتسبا للأزهر الشريف كما أكد فضيلته على أن الأزهر الشريف يعاهد الله على أن يبقى حفظاً للقرآن حفظا وتفسيرا .

وألقى فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف كلمة نيابة عن الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء قال فيها إن مصر كالعهد بها دائما ترعى العلم الإسلامى والقرآن الكريم الذى يعد أساسا لكل علم إسلامى ، وتتحمل مسئوليتها الإسلامية من منطلق ريادتها العلمية فى العالم الإسلامى بوصفها بلد الأزهر الشريف الذى يعد قبلة المسلمين فى العلوم الإسلامية منذ أكثر من ألف عام وسيظل كذلك بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والمسابقات التى تتم فى حفظ القرآن الكريم بين جميع فئات الشعب المعروف بتدينه لها أثرها العظيم فى حفز الكثيرين على التنافس فى هذا المجال بشكل ملحوظ ، ودفع العديد من كافة الأعمار إلى الإقبال على حفظ كتاب الله الذى هو منهج حياة المسلمين ، وإذا كانت بعض الجهات المغرضة فى عالمنا المعاصر قد حاولت فى الفترة الأخيرة أن تدس على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) سورا مزعومة لتزييف حقائق الدين فإن هذه المحاولات الصبيانية لن يكون لها أى تأثير على القرآن العظيم الذى تكفل ـ الله سبحانه وتعالى ـ بحفظه ، فهى محاولات مفضوحة يسير أصحابها على نهج مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة فى صدر الإسلام ، واخترع لنفسه سورا مزيفة ركيكة الأسلوب ممجوجة المعنى ، ومحاولات اليوم ما هى إلا امتداد لمحاولات الأمس ، وإذا كانت المحاولات القديمة قد باءت بالفشل فإن المحاولات الجديدة محكوم عليها بالفشل أيضا .

وقال إن الرد الصحيح على هذه المحاولات لا يكون بالشجب والإدانة والاستنكار إنما يكون بتقرير الحقائق الإسلامية والتعريف بها بأسلوب علمى سليم ، وبث سور القرآن الكريم جميعها على شبكة المعلومات الدولية ، ليطلع عليها كل من لديه الرغبة فى التعرف على القرآن العظيم وعلى ما تشتمل عليه من تعاليم ، وإن مصر تقيم اليوم المسابقة العالمية السادسة للقرآن الكريم تأكيدا لدورها الإسلامى وتشجيعا للمسلمين فى كل مكان للإقبال على حفظ كتاب الله ليكون المنارة التى تهديه فى طريق حياتهم وتوجيههم إلى الصراط المستقيم ، وقال الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف . إن التعاون بين المؤسسات الإسلامية فى مصر لخدمة الإسلام والقرآن الكريم ليس عربيا فحسب بل عالميا أيضا ، وأن مهمتنا هى الرد على الافتراءات والدفاع عن الإسلام والمسلمين بفكر واحد وعقل واحد ، وقال إن المسابقات الإسلامية لحفظ القرآن الكريم هى دعوة للتنافس وتدبر ما جاء بكتاب الله تعالى حتى تتخرج الأجيال التى ترعى الله فى عملها ودينها وأمنها .

حضر الاحتفال فضيلة مفتى الجمهورية الدكتور نصر فريد واصل وعلماء الأزهر الشريف وعلماء الأوقاف وسفراء الدول المشاركة فى الاحتفال وأساتذة الجامعات والطلاب .



مد خدمة فضيلة وكيل الأزهر الشريف

● أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية قرارا بمد خدمة فضيلة الشيخ فوزى فاضل إبراهيم الزفزاف وكيلا للأزهر الشريف لمدة سنة وذلك بناء على طلب السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف صدر فى ٤ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٩٨ .

● صدر قرار السيد الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء بمد خدمة السيد / رمضان التيجانى رمضان الجندى الموجه بإدارة المعاهد الأزهرية حتى نهاية ١٩٩٩/٦/٣٠ بناء على طلب السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ـ صدر فى غرة رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

قرارات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف القرار التالى : ـ

يسند إلى السادة الآتية أسماؤهم بعد القيام بأعمال الوظائف المبينة قرين اسم كل منهم بقطاع المعاهد الأزهرية اعتبارا من ١٩٩٩/١/١ وذلك لحين شغل هذه الوظائف ممن تتوافر فيهم شروط شغلها وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية وهم :

١ ـ الشيخ عبد العزيز أحمد إبراهيم ندا قائم بعمل وكيل القطاع للخدمات للقيام بعمل وكيل القطاع لشئون المناطق .

٢ ـ الشيخ أحمد حمدى محمد موسى طنطاوى مدير عام التعليم الثانوى للقيام بعمل وكيل القطاع لشئون الخدمات .

٣ ـ الشيخ محمد حسنى إبراهيم حجازى وكيل منطقة البحيرة الأزهرية للقيام بعمل رئيس الإدارة المركزية لمنطقة البحيرة .

٤ ـ الشيخ عبد المطلب عبده محمد أحمد شريف مدير عام منطقة أسوان الأزهرية للقيام بعمل رئيس الإدارة المركزية لمنطقة قنا .

٥ ـ الشيخ شوقى حسن نويجى مدير التوجيه الفنى بالثانوى للقيام بعمل مدير عام التعليم الثانوى .

٦ ـ الشيخ محمد إبراهيم الغرباوى مدير التعليم الثانوى بمنطقة مطروح للقيام بعمل وكيل أول منطقة البحيرة الأزهرية .

٧ ـ الشيخ عبد الفتاح إبراهيم مجاهد الطوانسى وكيل أول منطقة الشرقية الأزهرية القيام بعمل مدير عام منطقة الشرقية الأزهرية .

٨ ـ الشيخ على الدين عبد الحميد سليمان محمد وكيل أول منطقة أسوان القيام بعمل مدير عام منطقة أسوان الأزهرية .

٩ ـ الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن حمودة مستشار بقطاع المعاهد الأزهرية القيام بعمل مدير عام منطقة الجيزة الأزهرية .

صدر فى ١٦ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٤ من يناير سنة ١٩٩٩ م .

كما صدر قرار شيخ الأزهر بناء على ما عرضه فضيلة الشيخ وكيل الأزهر بالموافقة على إقامة الدورة العالمية التدريبية الرابعة والأربعين لتدريب الدعاة والوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف ولمدة ثلاثة شهور اعتبارا من ٩٩/٢/١ وذلك للسادة الواردة أسماؤهم وعددهم ٢٧ سبعة وعشرون إماما وواعظا وتتحمل موازنة الأزهر

الشريف تذاكر السفر ذهابا وإيابا لهؤلاء الدارسين بالإضافة إلى نفقات الإقامة لهم بمدينة البعوث الإسلامية وهم : -

وفد بورما :

١ - مولانا محمد يوسف مؤتل
٢ - الحافظ المولوى محمد يونس أبو شامة
٣ - الحافظ مولانا محمد يحيى مؤتل بن شمس الضحى
٤ - محبوب شريف بن جعفر على
٥ - مولانا مصطفى كمال بن الحافظ زين العابدين
٦ - نين مور ظافر أحمد .

وفد اليمن :

١ - محمد الخضرى على العبادى
٢ - صالح حسين جار الله
٣ - زيد أحمد سعيد بن زيد
٤ - نصر محمد عبد الله سميح
٥ - محمد صالح باعيون

وفد باكستان :

١ - محمد حسين ازاد بن الحاج حكيم
٢ - محمد نعيم بن آن بن حافظ
٣ - غلام محمد قمر بن محمد نزير
٤ - محمد مختار الحسن بن محمد

وفد سيرلانكا :

١ - محمد ناصر بن أبى صالح
٢ - محمد معاذ بن محمد صديق
٣ - محمد فائز بن محمود سليم
٤ - محمد فيروز بن عبد الشاق
٥ - رافع الدين بن شمس الدين
٦ - سيد علوى صالح مولانا

وفد ساحل العاج :

١ - عبد الله سانوغو
٢ - دنار سويا إبراهيم
٣ - عثمان كارابون
٤ - سيبى ماما دو

وفد النيجر :

١ - غربا سليمان أبوبكر
٢ - عبد الله أبو بكر

صدر القرار فى ٧ من رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

كما صدر قرار فضيلة شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على سفر السادة علماء الأزهر الآتية أسماؤهم بعد إلى دولة تشاد لإقامة أول دورة تدريبية للدعاة والخطباء فى دولة تشاد لمدة ثلاثة شهور وهم :

١ - فضيلة الشيخ / على نور الدين محمد على الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر
٢ - فضيلة الشيخ / السيد محمد محمد عبد العاطى عضو المكتب الفنى للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر
٣ - فضيلة الشيخ / محرز عبد العزيز جاب الله مدير تفتيش الوعظ بمنطقة القاهرة وتتحمل موازنة الأزهر نفقات السفر وبدل السفر المقرر قانونا .

صدر فى ٢٣ من شعبان ١٤١٩ الموافق ١٢ ديسمبر سنة ١٩٩٨ م

كما صدر قرار فضيلة شيخ الأزهر بإيفاد السيد / منصور بدر على بدر الموظف بالإدارة العامة للبعوث الإسلامية سكرتيرا لبعثة الأزهر بجنوب أفريقيا لمدة عامين ٩٩/٢٠٠٠ على نفقة الأزهر

صدر فى ٣ رمضان سنة ١٤١٩ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .





اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف

اجتمع المجلس الأعلى للأزهر الشريف برئاسة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وتمت الموافقة على الآتى :

١ ـ الموافقة على اعتماد مشروع اللائحة الداخلية لوحدة أبحاث الراغبين فى الزواج بمستشفى الزهراء الجامعى جامعة الأزهر الشريف .

٢ ـ الموافقة على اعتماد مشروع اللائحة الداخلية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا ، والإبقاء على هذا الاسم للكلية ، أن تكون الدراسات العليا ـ ماجستير ودكتوراه قاصرة على القراءات وعلومها على اعتبار أن الكلية متخصصة .

٣ ـ الموافقة على تعديل خطة الدراسة لشعبة الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع بكليات التربية ، وشعبة الخدمة الاجتماعية بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط ـ نظام الفصلين الدراسيين بمرحلة الإجازة العالية على أن يطبق هذا التعديل على جميع الفرق الدراسية اعتبارا من العام الجامعى ٩٩/٩٨ م .

٤ ـ الموافقة على اعتماد خطة الدراسة لشعبة الجيولوجيا نظام الفصلين الدراسيين لمرحلة الإجازة العالية بكلية العلوم بنين بأسيوط على أن تطبق اعتبارا من العام الجامعى ٩٩/٩٨ وكذا اعتماد خطة الدراسة لشعبة العلوم البيولوجية نظام الفصلين الدراسيين لمرحلة الأجازة العالية بكلية العلوم بنين بالقاهرة على أن تطبق اعتبارا من العام الجامعى ٢٠٠٠/٩٩ م .

٥ ـ الموافقة على تطبيق اللائحة الداخلية لكلية طب الأسنان للبنين جامعة الأزهر بالقاهرة على شعبة طب الأسنان بكلية طب البنات .

٦ ـ الموافقة على الدرجات العلمية التى تمنحها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة فى إحدى الشعب الآتية اللغة العربية ـ الشريعة الإسلامية ـ أصول الدين .

٧ ـ الموافقة على إضافة درجة المستوى الرفيع فى مادة اللغة الإنجليزية إلى درجة المستوى العادى مع احتسابها فى المجموع الكلى عند إعداد كشوف الترشيح للكليات التى تطلب هذا التخصص بالنسبة لطلبة وطالبات المعاهد الثانوية الأزهرية .

٨ ـ الموافقة على استمرار بقاء امتحان الدور الثانى فى مادة استظهار القرآن الكريم بجميع كليات الجامعة كما كان مطبقا من قبل .

٩ ـ الموافقة على تعديل خطة الدراسة نظام الفصلين الدراسيين لمرحلة الإجازة العالية بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة .

١٠ ـ الموافقة على إعادة تعيين عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر الشريف الذى سبق إنهاء خدمته للاستقالة أو الانقطاع ـ عضوا غير متفرغ بكليات جامعة الأزهر الشريف .

١١ ـ الموافقة على امتحان القرآن الكريم على أن يكون الشفوى درجة النجاح فيه ٢٥٪ ودرجة النجاح فى الامتحان التحريرى ٧٥٪ .

حضر الاجتماع معالى وزير الأوقاف وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ونواب رئيس الجامعة والسادة الأعضاء .



من المحرر

متى يصحو العرب ؟ !

أثبتت الضربات الأمريكية للشعب العراقي أن الأمة العربية لا تزال نائمة أو غائبة أو مغيبة لا تدري بما يدور حولها ويبدو ذلك واضحا في رد الفعل العربي تجاه ضرب العراق بأحدث ما في ترسانة أمريكا وبريطانيا .

إن الدليل الأكبر على أن العرب لازالوا في نوم عميق هو عجزهم عن عقد قمة طارئة تحدد ماذا هم فاعلون، إن الله سوف يحاسبنا جميعا نحن العرب.. أعطانا كل شيء يلزم القوة ولم نستثمر أي شيء إننا جميعا نحاسب على التقصير في الأخذ بأسباب القوة قال ـ تعالى ـ

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال : ٦٠)

بغداد

في سابقة دولية خطيرة ، انتهكت الولايات المتحدة سيادة شعب العراق ، وتابعتها على نفس النحو انجلترا ، فيما يعد « بلطجة » دولية ، وقد تم قصف العراق من البحر من خلال حاملات الطائرات ومن الجو من خلال الطائرات القاذفة الثقيلة بعيدة المدى — (B - 25)

وتعتبر الولايات المتحدة ضرب العراق أشبه بمناورة عسكرية لعدم التكافؤ بين الدولتين ، ولهذا تم القصف المركز على مدار أربعة أيام دون خسائر تذكر فى الجانب المعتدى . .

وعلى الجانب الآخر ، تسبب القصف العدوانى الغاشم فى تدمير البنية الأساسية للدولة ومراكز الاتصالات .

وتعد الضربة الأمريكية هى الأعنف منذ العدوان الأول فى حرب تحرير الكويت .

ويقدر الخبراء القوة التدميرية للمتفجرات الملقاة على العراق فى الأيام الأربعة الماضية بحوالى ٥٠ قنبلة نووية صغيرة .

القاهرة

ردود أفعال عالمية وعربية تدين العدوان على الشعب العراقى

- أدان الشعب المصرى بجميع فئاته العدوان الأمريكى الغاشم على الشعب العراقى ..
- شيخ الأزهر: تدين العدوان ونقف مع الحق والعدل
- مفتى الديار المصرية: الهجوم الأمريكى إفساد فى الأرض وتخريب

فى اجتماع حاشد بالجامع الأزهر ، أمّ الإمام الأكبر شيخ الأزهر المصلين وخطب فيهم منددا بالظلم الواقع على الشعب العراقى وقال : إننا مع شعب العراق فى أزمته وندين العدوان ونقف مع الحق والعدل وندافع عن مقدساتنا بالمال والنفس وكل عزيز لحماية مقدساتنا .

وفى ملتقى الفكر الإسلامى بالحسين الذى تقيمه وزارة الأوقاف قال المفتى : إن العدوان الأمريكى على شعب العراق إفساد فى الأرض وتخريب للنفوس ويشابه الحرب التترية .

المجلس الاسلامى العالمى يشيد بدور مصر فى وقف العدوان على شعب العراق

أشادت الأمانة العامة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بالقاهرة بالدور الذى قامت به مصر لوقف العدوان الأمريكى ، ودعا المجلس فى بيانه إلى قيام جهد إسلامى مشترك لاحتواء الأزمات .

وطالب البيان العرب والمسلمين بضرورة التعاون والتضامن ، وأن يقوم كل بدوره من أجل التضامن الإسلامى والعربى لمواجهة الأخطار والتحديات الدولية .

اجتياز الامتحان شرط لشغل وظيفة مدرس تحفيظ القرآن

● القاهرة : عن جريدة « الأهرام »

تلقى مجلس الشعب من الحكومة مشروع قانون بتعديل القانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٦٥ فى شأن تعيين مدرس تحفيظ القرآن الكريم ،

ويقضى التعديل بأن يعين جميع العاملين بالمعاهد ومدارس تحفيظ القرآن الكريم التى ضمت أو تضم إلى الأزهر فى الوظائف التى تتوافر فيهم شروط شغلها المدرجة بميزانية الأزهر ، وذلك بشرط اجتيازهم بنجاح الامتحان المقرر لشغل هذه الوظائف وفقا للقواعد والإجراءات التى يصدر بتحديدها قرار من شيخ الأزهر .

● وحدة للحوار بين الأديان بوزارة الخارجية

القاهرة ـ أ . ش . أ

قرر السيد عمرو موسى وزير الخارجية إنشاء وحدة جديدة للحوار بين الثقافات والأديان بوزارة الخارجية .

يأتى ذلك فى إطار الإعداد لمشاركة مصر فى الحوار المشترك بين العالم الإسلامى والغرب الذى اقترحه الرئيس الألمانى تحت رعاية ملوك ورؤساء مصر وألمانيا والنرويج وأسبانيا وفنلندا وإيطاليا والمغرب والأردن وماليزيا .

موقع على الانترنت للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية

● أكد الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن موازنة المجلس الأعلى قد زادت من ٣,١١٢ مليون جنيه عام ١٩٨١ إلى ٩,٢١ مليون جنيه عام ١٩٩٨ ، وأن المجلس قد حجز موقعا على شبكة الإنترنت العالمية بتكلفة نصف مليون جنيه لرصد ما يبث على الشبكة عن الإسلام والرد على مايثار من شبهات .

سفير مصر فى واشنطن يرد على مزاعم الكونجرس الأمريكى : خطابكم عن الأقباط فى مصر لا أساس له من الصحة

بعث السفير المصرى أحمد ماهر برسالة إلى الكونجرس الأمريكى ناقش فيها الاتهامات الموجهة إلى مصر باضطهاد الأقباط ، وقد رفض السفير المصرى هذه الاتهامات ، وطالب بمناقشة القضية بشكل موضوعى حفاظا على العلاقات الثنائية بين البلدين .

واستنكر السفير المعلومات الخاطئة المنشورة فى هذا الصدد ، وأنها مغرضة تهدف إلى إثارة القلاقل .. !!



تطلب تشديد العقوبات على ليبيا فى حالة عدم تسليم المشتبه فيهما .

أكدت الخارجية الأمريكية أنه آن الأوان لقيام ليبيا بتسليم المشتبه فيها ، وأن الولايات المتحدة تحذر ليبيا من المماطلة وأنها تعطى الجماهيرية مهلة حتى فبراير القادم .. !!

وليبيا تطالب بتسليمها تاتشر وريجان مقابل محاكمة المتهمين الليبيين . ◆

لندن

ذكر تقرير بريطانى أن ليبيا طلبت تسليم رئيسة الوزراء البريطانية السابقة والرئيس الأمريكى ريجان لمحاكمتهما كمجرمى حرب فى مقابل تسليم المشتبه فيهما .

وأوضح التقرير أن الهجوم البريطانى الأمريكى على شعب العراق قد يؤخر عملية التسليم .

باريس

من أجل عيون إسرائيل ٦ شهور حبس لجارودى

أصدرت محكمة استئناف باريس حكما بالحبس ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ على المفكر المسلم « روجيه جارودى » لاتهامه بالحض على التفرقة العنصرية ، ونفى اضطهاد اليهود ، كما أيدت المحكمة حكماً سابقا بالتعويض قدره عشرة آلاف فرنك تعويضا بالحق المدنى .

باكستان

مخاوف من اندلاع حرب نووية بين الهند وباكستان

حذر تقرير أمريكى من احتمالات وقوع حرب نووية بين الهند وباكستان فى حالة عدم التوصل إلى حل بشأن قضية كشمير ، ناشد التقرير الذى أعده معهد أمريكى للدراسات الاستراتيجية كلا من نيودلهى وإسلام أباد بوضع قيود فورية على البرامج النووية لكل منهما لضمان تحقيق الاستقرار والأمن فى المنطقة .

الصومال

١٠ آلاف صومالى يلجئون لأثيوبيا بسبب الجفاف

أديس أبابا ـ آ ش أ : أعلن المكتب الإقليمى لمنع الكوارث فى إقليم أوجادين الأثيوبى الذى تسكنه أغلبية صومالية أن أكثر من عشرة آلاف صومالى نزحوا إلى أثيوبيا هربا من القحط والجفاف الذى أصاب الصومال .

المعروف أن أثيوبيا تؤوى أكثر من ٢٠٧٥ لاجئا صوماليا منذ اندلاع الحرب الأهلية فى الصومال عام ١٩٩١ .

أيرلندا

افتتاح مسجد جديد ومركز للثقافة الاسلامية

فى شهر رمضان الماضى تم افتتاح واحد من أكبر المساجد فى أوروبا بالعاصمة الأيرلندية

(دبلن) حيث تمت إقامته على مساحة خمسة آلاف متر مربع ، ملحقا به مركز للثقافة الإسلامية وقاعة للاحتفالات ومكتبة إسلامية .

بلغت التكلفة الإجمالية للمسجد والمنشآت الأخرى ٥ ملايين جنيه استرليني وهي كلها تبرعات من أهل الخير في بعض دول الخليج والدول الإسلامية .

الجدير بالذكر أنه يوجد في (أيرلندا) حوالى ٥ آلاف مسلم ، معظمهم من باكستان وماليزيا وتضم أيرلندا حتى الآن حوالى ٥ مساجد .

الشيشان

قدامى الحرب يعودون لمكافحة الجريمة

ذكرت السلطات الشيشانية أنه توجد استجابة قوية للمرسوم الذى أصدره الرئيس أصلان الذى يأمر الجنود القدماء من أيام حرب الاستقلال ضد روسيا بالالتحاق مرة أخرى بالجيش لمكافحة الجرائم المدنية .

لبنان

- المقاومة اللبنانية تطلق ٣٢ صاروخا على إسرائيل
- إصابة ١٢ يهوديا وشكوى عاجلة من لبنان إلى مجلس الأمن.

بيروت ـ وكالات الأنباء :

ذكرت وكالات الأنباء أن المقاومة الوطنية اللبنانية أطلقت على شمال إسرائيل ٣٢ صاروخا من طراز كاتيوشا انتقاما لقتل سيدة لبنانية وأطفالها الستة .

وقد أعلن حزب الله مسئوليته عن القصف الصاروخى وذلك في بيان هدد بشن المزيد من الهجمات لردع إسرائيل عن ضرب الأبرياء .

وذكر راديو إسرائيل أنه تم إعلان حالة التأهب في سلاح الجو اليهودى تمهيدا لاحتمال شن غارات جوية على مواقع حزب الله .

وأعلن سليم الحص رئيس وزراء لبنان أن حكومته تقدمت بشكوى عاجلة إلى مجلس الأمن حول الاعتداءات الوحشية اليهودية ضد المدنيين اللبنانيين .

السودان

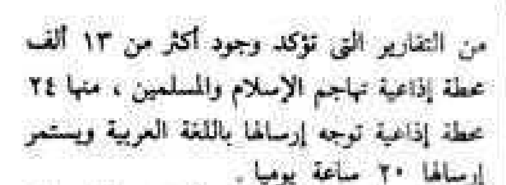
يسعى لتحسين العلاقات مع مصر

أكد وزير رئاسة مجلس الوزراء السودانى رغبة بلاده في تحسين العلاقات مع مصر ، مشيراً إلى وجود مؤشرات تدل على عودة العلاقات بين البلدين .

١٣ ألف محطة إذاعية تهاجم الاسلام

جدة ـ نقلا عن جريدة « أخبار المسلمين » :

توفرت لدى منظمة المؤتمر الإسلامى مجموعة



من التقارير التى تؤكد وجود أكثر من ١٣ ألف محطة إذاعية تهاجم الإسلام والمسلمين ، منها ٢٤ محطة إذاعية توجه إرسالها باللغة العربية ويستمر إرسالها ٢٠ ساعة يوميا .

وأوضحت منظمة المؤتمر الإسلامى أن هناك ١٢ ألفا و ٥٠٠ محطة إذاعية تبث برامجها باللغات الأجنبية واللغات المحلية السائدة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وأن هناك ٦٠٠ مؤسسة إذاعية أخرى تهاجم المسلمين والإسلام .

مظاهرات غاضبة فى تركيا احتجاجا على منع ارتداء الحجاب

اسطنبول ـ أ . ف . ب .

اندلعت المظاهرات الغاضبة فى العاصمة التركية احتجاجا على منع ارتداء الحجاب فى الجامعات التركية ، وقد وقعت اشتباكات بين المتظاهرين ورجال الشرطة ، وسط مدينة اسطنبول .

أسفرت المظاهرات عن إصابة عدد من رجال الشرطة والمتظاهرين ، المعروف أن ٥٠ جامعة تركية كانوا قد أصدروا قرارات بمنع ارتداء الحجاب داخل الجامعات التركية .

كلينتون ـ مراوغا ـ : أمريكا ليست فى حرب ضد الاسلام

نيويورك ـ مراسل « الأهرام » .

أكد الرئيس الأمريكى بيل كلينتون أنه لا يوجد صراع بين الإسلام والغرب ، وأن الولايات المتحدة ليست فى حرب ضد المسلمين ، والدليل على ذلك أن الإسلام من أكثر الديانات انتشاراً فى الولايات المتحدة ، وأشار كلينتون إلى وجود أكثر من ١٢٠٠ مسجد فى الولايات المتحدة ، كما دعا كلينتون إلى عدم الربط بين الإسلام والإرهاب .

احراق مركزين للشرطة واشتباكات مع قوات الأمن فى إندونيسيا

جاكرتا ـ وكالات الأنباء

تجددت أعمال العنف فى بلدة (ليوا) بجزيرة سومطرة ، وذكر شهود العيان أن نحو ألفى شخص هاجموا مراكز الشرطة الأندونيسية واشتبكوا مع قوات الأمن عقب وفاة شاب فى الحجز بأحد أقسام الشرطة وقد تعهد وزير الدفاع بأن يلتزم الجيش الحياد فى الانتخابات العامة .

عمان

وكالات الأنباء

الاتحاد البرلمانى العربى

د . سرور رئيس الاتحاد :

نطالب باتخاذ موقف عربى موحد لرفع الحصار عن العراق

دعا الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس الاتحاد البرلمانى العربى إلى اتخاذ موقف عربى موحد من أجل رفع الحصار الظالم المخالف للمواثيق الدولية ضد العراق ، وقال إن مصر تدين الاعتداءات العسكرية ، وأن الاتحاد البرلمانى العربى يدين الاعتداءات البربرية لبريطانيا وأمريكا .

وقال د . سرور : إن للعراق المطالبة بالتعويض الكامل عن الخسائر التى لحقت به من جراء عدوان يفتقد إلى الشرعية .

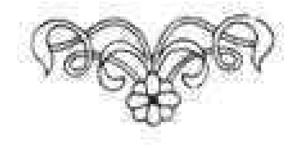


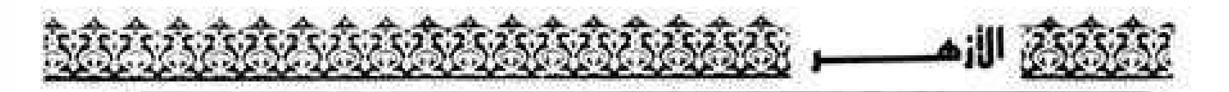
lui, si nous avions usé de sa jeunesse, (en lui imposant de payer le tribut) pour le négliger dans sa vieillesse."

Voici un autre exemple:

Un homme écrit à Omar Ibn El-Aziz lui disant: *"Comment permets-tu que les gouverneurs laissent les gens du Livre consommer de l'alcool, manger le porc et faire du porc leur sujet de commerce?"* Omar lui répondit: *"Le Prophète -b.s- nous a ordonné de laisser aux gens du Livre leurs croyances, nous sommes toi et moi des disciples qui suivent et non pas des innovateurs."*

Un gouverneur lui écrivit un jour: *"Le revenu du trésor public s'amoindrit de jour en jour et cela est dû à la quantité de gens du Livre qui se convertissent. Il me semble bon de ne pas les dispenser du tribut même après leur conversion à l'Islam."* Sur ce, Omar lui répondit:*"Quel mauvais conseil tu me proposes! Mohammed-b.s- a été envoyé comme "Prédicateur" et non pas comme percepteur"*.





2- Les sujets non musulmans qui vivent dans un Etat musulman ont tous les droits des musulmans par ordre d'Allah et Son Messager. Ils sont appelés"Ahl-El-Zemmah" parce que ce sont des gens à qui Allah a offert asile à l'intérieur de la communauté musulmane.

Les "Ahl-El-Zemmah" jouissent de tous les droits huumains comme celui de la résidence permanente; ils profitent de tous les services publiques, peuvent exercer le commerce, l'agriculture, l'industrie etc... Ils se marient et jouissent d'une sécurité sociale: chacun d'eux est assuré sur son bien, sa famille, ses enfants, son honneur, tout en étant libre de professer n'importe quelle religion, de célébrer ses rites, de consommer le porc, de boire le vin et tout ce que sa religion lui permet sans toutefois l'afficher[2] publiquement ni semer la corruption sur terre. De plus, il n'est pas contraint à porter les armes pour défendre l'Etat islamique et, en revanche, il est tenu de payer un tribut ou "Djiziah".[3]

Le tribut est calculé proportionnellement au revenu de sa fortune, à son gain et à ses moyens matériels.

S'il advient que le non-musulman vieillit ou s'appauvrit ou que le gain de son travail s'arrête, sa subsistance et celle de ses enfants incombent au trésor public des musulmans.

3-En vertu des traités qui visent à conclure avec les musulmans un pacte de bon voisinage, ou de non-agression, ou d'échange d'intérêt, ou de voyage réciproque des gens pour favoriser le tourisme ou le commerce, leurs biens, leur honneur sont sauvegardés tant qu'ils respectent leurs engagements, comme l'Islam l'a ordonné et comme le Prophète-b.s-l'a signalé en disant: ***"Celui qui lèse un protégé, ou lui rabaisse son dû, ou le surcharge de ce qu'il ne peut supporter, ou encore le prive d'une chose sans son consentement, je serai moi-même son adversaire le Jour du Jugement Dernier."*** **Hadith rapporté par Abu-Dawud.**

Les compagnons et les intendants suivirent cette ligne de conduite; nous citons à titre d'exemple:

Un jour, Omar passa devant des gens et vit un vieil homme juif frappé de cécité qui mendiait. Omar s'approcha de lui, lui tapa sur l'épaule et lui demanda: *"Qu'est ce qui t'a poussé à la mendicité?"*. Le vieil homme répondit: *"Je cherche à me procurer de quoi payer le tribut "Al- Djiziah", car je suis vieux et dans le besoin."* Alors, Omar ordonna de le dispenser du tribut; ainsi que tous ceux qui pouvaient se trouver dans une situation analogue parmi les gens du Livre. Ensuite, il ordonna de lui verser une pension du Trésor public (Bait El Mal) afin de lui assurer sa subsistance et celle de sa famille. Puis, Omar dit: *" Nous serions injustes envers*



La jurisprudence islamique vis à vis des musulmans étrangers et des gens du Livre.

Hoda Hussein Chaâraoui.

Les étrangers dans toutes les nations, durant les siècles antérieurs et jusqu'au début du moyen âge, n'avaient aucun droit; ce qui fit naître l'esclavage, favorisa le commerce des humains et l'asservissement de l'homme par son frère. Ceci dura jusqu'à l'arrivée de l'Islam lorsque le Coran appe la ainsi avec les paroles d'Allah-Gloire à Lui- les hommes: **[Ô vous, les gens! Nous vous avons créés d'un mâle et d'une femelle et Nous vous avons constitués en nations et en tribus pour que vous vous connaissiez. Le plus digne d'entre vous auprès d'Allah est le plus pieux.]** [1] **Surate 49 "Al-Hujurates" (Les Appartements) V.13.**

L'Islam invite les hommes à se réunir en nations et en tribus et leur interdit de se haïr ou de guerroyer.

Le Prophète-b.s-nous exhorte en ces termes: ***"Les gens sont égaux devant leur Créateur-comme les dents du peigne, aucun arabe n'est supérieur à un non arabe, pas de discrimination raciale entre blanc et noir entre rouge et jaune, sinon par la piété. Vous êtes tous issus d'Adam... Et Adam est créé d'argile."***

Hadith rapporté par Al-Kurtuby.

Ce principe a été mis en pratique durant le siècle du Prophète-b.s-de sorte qu'on voyait parmi ses compagnons celui qui était arabe, Korachite, éthiopien, byzantin, persan, libre ou esclave. Ils jouissaient tous d'une même justice dans les droits et les devoirs.L'Islam a institué les droits des musulmans étrangers et des gens du Livre de la manière suivante:

1- Les citoyens musulmans des pays et ceux des différents états étrangers sont égaux devant la loi et ont tous les droits humains, civils et politiques car, en adhérant l'Islam, ils sont devenus membres de la société musulmane, ont obtenu les mêmes droits et sont redevables des mêmes obligations.

[1] L'Islam rompt avec la nationalité basée sur la communauté de race et abolit complètement l'apartheid.

parole et ses actes car il est pour le commun un fruit de la religion. Si le fruit est mûr, il est désiré. Si le missionaire dévie, sa parole et ses actes seront douteux. Le plus important est l'éducation de la conscience religieuse chez les jeunes aussi bien dans leur cadre propre que dans celui de la famille, des collèges et des universités. L'homme de religion doit être patient et doit voir loin dans le dialogue avec les jeunes. S'il est rebuté par des déviances, qu'il considère cela comme une chose naturelle et essaye de mener le discours dans la voie juste. Qu'il sache qu'il influence davantage par son comportement que par les preuves qu'il avance. Il doit s'éloigner au début des textes et ne doit les présenter qu'après avoir convaincu son auditeur d'une manière rationnelle de la justesse de sa direction. Le texte religieux doit être un moyen de confirmation.

Le dialogue avec les jeunes ne peut s'établir qu'après une étude de leurs conditions psychologiques, sociales et culturelles. Ces dernières sont aujourd'hui dans une situation de décadence et d'incertitude qui appelle à un sursaut religieux urgent. Il faut que les jeunes aient un regard critique sur tout ce qu'ils voient dans la société. Qu'ils aient leur propre opinion sur les films et les pièces de théâtre décadents, sur la presse pornographique et sur les appels à la débauche qui sont si nombreux dans les pays dominants tellement que la plupart des tendances médiatiques charrient aujourd'hui un mal rampant.

C'est dans cette direction que s'élèvera un dialogue avec les jeunes. Je suis obligé d'être bref car l'espace qui m'est dévolu ne me permet pas d'élargir l'analyse.

Ces brèves remarques pourraient, peut-être, devenir bientôt des points précis qui demanderaient d'être étayés.





et par l'hérédité et qu'il agit en fonction de ces deux facteurs. Il ne ferait que mener un combat au-dessus de ses forces s'il cherchait à s'en détacher. L'influence de la société et de l'hérédité est indéniable dans son cadre naturel lorsqu'une bonne éducation est un facteur d'élévation pour l'homme et lorsque la déchéance n'est pas un destin fatal auquel on ne peut échapper. Que fait le jeune dissolu lorsqu'il trouve une justification à sa dissolution dans ce que prétendent ses professeurs de ces déterminismes ? Il commettra un crime et dira qu'il n'était pas responsable et se détournera des gens de religion lorsqu'ils appelleront au bien et interdiront l'acte repréhensible.

En économie, les opinions sont partagées entre le communisme et le capitalisme. Que la religion soit la balance pour déterminer la vérité et qu'elle appelle à la solidarité et à l'entr'aide, cela ne peut se perpétuer, selon eux, à l'époque des luttes et des rivalité où le puissants écrase le faible même si de telles valeurs avaient existé jadis.

En politique, ils estiment que les théories qui justifient des moyens ignobles pour atteindre des objectifs qui ne sont que des convoitises ne sont pas blâmables. Les livres de Machiavel et de ses semblables sont devenus la référence et on concrétise leurs théories. L'affaire est devenue plus grave car cette politique a trouvé un écho chez les grandes puissances qui pillent et convoitent les richesses d'autrui. Tout ceci est combattu par la religion.

Il faut donc instaurer un dialogue avec les jeunes. Que les résultats précités des sciences soient exposés d'une manière critique et avec des arguments clairs qui dévoilent l'erreur d'opinions qui ont conduit le comportement humain au ruisseau.

Beaucoup de jeunes pensent aujourd'hui que la religion s'oppose à la raison et qu'elle est remplie de fables et de légendes. Ils n'ont pas étudié de la religion ce qui leur aurait permis d'avoir un jugement juste. Tous ceux qui ont lu les livres sacrés connaissent leur invitation à la sagesse, à la réflexion et à la circonspection. Il faut aussi que ceux qui ont pour tâche d'appeler à la religion facilitent la voie et en exposent les principes d'une façon claire et sans obscurité. Qu'ils avancent l'argument rationnel, clair dans le prologue et juste dans le résultat avant d'exposer le texte afin que leur discours soit convaincant et attrayant pour l'esprit et l'âme. De même, il faut que l'homme de religion soit un exemple dans sa

vertus humaines prônées par les religions monothéistes et qui ne suscitent aucun désaccord d'une religion à l'autre. Aucune religion digne de ce nom ne permet le vice que ce soit la chose illicite, le sang répandu, les biens pillés, l'incitation à l'hostilité et à la haine ou tout ce qui repréhensible. le respect au culte particulier à chaque religion n'empêche pas le travail commun pour l'établissement des vertus et pour combattre le vice. Il est répugnant de croire naïvement que le triomphe de sa propre religion passe par l'attaque des croyances des autres. Ce fut une calamité qui a fait endurer à l'humanité des affres incommensurables. Combien de sang versé, inspiré par un fanatisme abominable et que Dieu ne voulait pas. Peut-être que la marche de l'humanité vers un avenir radieux fera que ces crimes seront perçus comme des maux honteux qu'on fera tout pour qu'ils ne se répètent jamais.

Après ce mot bref au sujet de l'utilité du dialogue interreligieux entre des penseurs à l'esprit éclairé, nous passons à la nécessité d'un dialogue semblable avec la jeunesse plongée dans des illusions trompeuses et qui a été induite en erreur par des moyens tentateurs et puissants qui l'ont poussée à aimer les instincts. Il est nécessaire d'instaurer un dialogue avec la jeunesse lors de conférences et d'écouter ses revendications et ses doutes afin qu'elle rejoigne le monde de la foi lorsqu'elle en verra le bénéfice et saura distinguer la voie droite de l'erreur. Elle est le pilier de l'avenir et l'espoir de demain.

Nous voyons aujourd'hui beaucoup de jeunes diplômés des universités et des écoles supérieurs qui proclament ouvertement leur athéisme et disent en se vantant que le temps des religions est révolu à l'heure de l'époque des sciences. La raison en est que leurs maîtres en psychologie, en sociologie, en économie et en politique construisent des théories qui détruisent les fondements de la religion à partir d'illusions qui ne reposent sur aucune vérité. En psychologie, un groupe de professeurs décident que les bas instincts ont nécessairement un rôle de par la constitution du corps. La déviance et la perversion seraient les résultats inéluctables de l'oeuvre de ces instincts et vouloir s'en débarasser serait une douleur qu'endurerait l nomme. Bien plus, ils décident que les vertus humaines telles la générosité et le martyre n'ont d'autre motif que l'amour de l'apparat et la vanité. Ainsi, le vice devient une nécessité qu'on ne peut éviter et la vertu un vice. Tout cela n'est que pour détruire l'enseignement religieux qui appelle aux valeurs nobles, voire pour l'attaquer en son essence.

En sociologie, on nous dit que l'homme est déterminé par son environnement





La jeunesse et le dialogue interreligieux

par le Dr. Mohamed Ragab Al-Bayoumi, membre de l'Institut d'études islamiques, ex-doyen de la Faculté de langue arabe d'Al Azhar.

C'est une bénédiction de Dieu qu'un dialogue serein, honnête et sérieux s'instaure dans un respect mutuel entre les religions. Ainsi disparaît la discorde entre des croyants qui doivent faire face ensemble aux courants opposés II n'est pas étonnant que ceux qui appellent à Dieu se rassemblent dans une voie droite; ce le serait,au contraire, qu'ils soient éparpillés en factions et groupes. Et ce serait encore plus étonnant qu'ils se combattent au lieu de s'entraider tous pour le bien, l'oeuvre morale et pour la concrétisation des nobles valeurs humaines.

Un dialogue sérieux et honnête s'est instauré entre les têtes pensantes. Chaque groupe a écouté les propos des autres et tous sont d'accord sur le respect de l'opinion contraire car cela n'empêche pas le droit de s'accorder sur les principes essentiels en religion :la reconnaissance de l'existence d'un dieu créateur que dirige le monde et garde les hommes; la croyance en la rétribution dans l'au-delà, le jour où l'homme de bien trouvera sa récompense et celui qui a fait le mal goûtera son châtiment. Le sens et les raisons de cette foi qui ne peut souffrir le secret sont établis et authentiques. C'est cette foi qui appelle à une société morale car elle ne peut être réelle dans le coeur du croyant et tendre par la suite vers le vice en rejetant la vertu. La conscience est le censeur du croyant : elle le pousse vers le bien et l'éloigne du mal. Si les crimes sont nombreux parmi les gens de foi, c'est que ceux-ci ont fait taire dans les plis du coeur cette voix criante et qu'ils se sont bouché les oreilles. L'éveil de la conscience éradique le mal, induit à l'entente et supprime la division corruptrice.

Le dialogue entre les penseurs des religions a conduit à l'existence d'un terrain solide commun à tous les croyants. Le but en était le rassemblement autour des

soit accomplie en assemblée ou individuellement, dans la mosquée, en plein air ou dans la maison. D'autre part, celui qui a raté la prière en commun le jour de la Fête, doit accomplir seul une prière de deux rak'as.

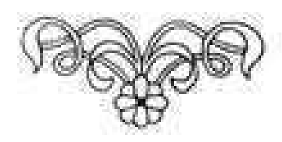
Quant à la participation des femmes à cette prière, on rapporte à ce sujet le Hadith suivant de Ibn 'Abbas: "***Je suis sorti avec le Prophète - à lui bénédiction et salut- le jour de la rupture du jeûne; il fit la Khutba puis se rendit auprès des femmes, les admonesta, leur rappela (les enseignements de l'Islam) et leur recommanda de faire l'aumône***". Hadith rapporté par Al Bokhari.

Selon Ibn 'Abbas, le Messager d'Allah - à lui bénédiction er salut - emmenait ses femmes et ses filles avec lui les jours des deux Fêtes" (Hadith rapporté par Ibn Maguih).

Les trois Imams, Abu Hanifa, Al Chafi'i et Ibn Hanbal, sont unanimes à reconnaître que la condition essentielle pour la validité de la prière de la femme c'est qu'elle soit vêtue décemment et que ses vêtements ne laissent voir que son visage et ses mains.

Toutefois, les ulémas hanéfites jugent préférable pour la femme d'accomplir la prière dans son foyer car la prière en commun dans la mosquée n'a pas été prescrite pour les femmes.

Rappelons enfin que, dans les pays islamiques, la prière en assemblée durant les deux Fêtes est un des aspects de l'union des musulmans autour d'une foi en un Dieu unique et en Son Messager, Mohamad - à lui bénédiction et salut.





"Salat Al'Id " ou la Prière de la Fête

par Dr. Rokeya Gabr

La prière est la clé du Paradis et c'est l'un des fondements de l'Islam tels que les a pescrits Allah - Gloiré à Lui- pour tout musulman et toute musulmane.

La prière est un entretien intime entre le croyant et son créateur à qui il s'adresse en aspirant à obtenir Sa grâce, Son pardon et Sa miséricorde. Au cours de cet entretien accordé par le Seigneur à Son servireur, Allah pardonne au musulman ses péchés présents et passés. C'est ce que certifie le Hadith du Prophète - à lui bénédiction et salut-; "***Lorsque le serviteur d'Allah se lève pour prier, il se rend à la prière en portant sur la tête et su.· les épaules tous ses péchés; chaque fois qu'il s'agenouille ou se prosterne, ses péchés tombent.***" (Hadith rapporté par Al Tabarani).

La Prière d'Al 'Id (de la Fête) fait partie des prière accomplies par les musulmans suivant la Tradition certifiée ou Sunna. Le Messager d'Allah - à lui bénédiction et salut- avait coutume d'accomplir la prière des deux fêtes (celle du Sacrifice et celle de la Rupture du Jeûne) et recommandait aux musulmans de suivre son exemple. Ainsi, dès l'an I de l'Hégire les musulmans prirent l'habitude de se rendre à la mosquée pour accomplir la Prière de la Fête.

Selon certains jurisconsultes il est préférable d'accomplir cette prière dans la mosquée alors que d'autres ulémas optent pour l'avis qui recommande de l'accomplir en plein air, en dehors de la mosquée.

Selon Al Bokhari la Prière de la Fête est exigée aussi bien des hommes que ds femmes et des jeunes garçons, qu'ils soient résidents ou en voyage, que cette prière

REVUE
AL AZHAR

Shaw'wal 1419 H. Feb. 1999 Vol. 71 Part X.

Section Francaise



♦

Consume not the orphan's property with oppressiveness,
Pass your hand on his head with tenderness,
Be generouds and rid yourself of niggardliness,
Clothe the nude and feed the hungry to attain Allah's nearness,
Overecome your atrocity and harshness,
Anomg the true believer's traits are leniency and soft-heartedness,
Weep over your sins and repent with rsoultion and firmness,
Adam sinned, repented and Allah granted him His forgiveness,
The doctorine of the Original Sin has no correctness,
Adam's progeny will not bear their father's sinfulness,
Carry out Allah's commands with complete submissiveness.
Allah seals the hearts of those who insist on wrong-doing and aggressiveness,
In the Hereafter, your organs will bear witness against your wickedness,
Avoide pride and haughtiness,
Modesty is a sign of greatness,
Live and let others live in peacefulness,
This life is not for rest; it is for struggle and strenuousness,
The faithful face afflictions with patience and stubbornness,
Read to widen the scope of your religious consciousness,
Good helps your spiritual brightness, while evil retards that brightness,
Do good and shun evil to live in permanent happiness.



Do Good and Shun Evil

By Inspector /

Kamal Abdul Rahman Hammam M.A

The bones have become weak and you are at the door of death,

Your book of deeds is a fact not a myth,

On the Day of judgment, you'll be questioned about your health and wealth,

Purify your heart of envy, animosity and filth,

Suppress evil tendencies and sow good seeds in your tilth,

Keep in touch with the Divine Spirit till your last breath,

Be obedient to the creator of life and death.

You were created with pure nature and sinlessness,
Of all creatures, you are endowed with free will and uniqueness,
Allah's fore-knowledge causes you harmlessness,
Committing sins is the reason for your wretchedness,
Such sins are the product of obeying the satan's seductiveness,
Resist his temptations with might and steadfastness,
Following the devil's footsteps is foolishness,
On the faithful, Satan has no effectiveness,
Fortify yourself with piety and righteousness,
Keeping up prayer is a fort against devilishness,
Be chaste and approach not lewdness,
Earn your food through Lawfulness,
Your business dealings and profits should be based on justice and truthfulness,
Cheaters, exploiters and monopolizers are deprived of humaneness,
Adorn yourself with trustworthiness and clean-handedness,
Vie with others but with honourable competitiveness,
Co-operate with others on the basis of goodness and devoutness,
Be dutiful to your parents and treat them with kindness,



Inspite of the difference from one person to another, it is exciting to know that the effect of noise is reduced if it became a part of the person's dream. It is a mercy from Allah (Glory be to Him) that a mother who cannot be awakened by the striking of thunder and lightening, can wake up alarmed by the voice of her baby as he starts to cry even if his sobbing was low. So, (Glory be to Allah) who creates, then makes complete and who measures, then guides.

To conclude we mention a belief which might have its origin in religious legislation. It is that sleep comes if the head is turned towards the north to cope with the magnetic field. There is also a belief that one can get good sleep if the head is turned towards the east to keep up with the rotation of the earth. It was explained before that a person should face the kibla but science did not prove the importance of the place where the body lies, how the spine bends or even the location of the bed. It has not been proved that any of these things have any significance concerning the amount or the quality of sleep.

It was related that the french writer Alexander Demmis, the well known novelist had been advised by his doctor to eat an apple under the Arch de triumph in pa'ris every morning at seven o'clock. No one realized that his actual problem of insomnia is due to pricking of the conscience (compunction) or a little punisiment from Allah who delays punishment but does not forget it. This shameless person had five hundred illigitemate chilaren so, how patient Allah is with mankind.

There is no need to practise too many physical exercises as they do not have an important effect in bringing sleep.

Commenting on lack of sleep, the mother of British nurses florence Nightingale said: Insomnia is caused by excitement and too much happiness. There for, we should avoid all sorts of excitement whether emotional or mental before sleep.

If reading is prefered by you before sleep, you should not read what increases the impulse and the pumping of blood as well as Adreoalin.

You should not for example revise accounts concerning your income taxes. You should not think too much about problems and cares. If you feel bored or depressed say the following duaa Allahuma rabu Al Shaiatin wama dalat, wal aradin wama akalat wal samawat wama athalat, kon li garan min sharu khalkak If means that you are asking protection of Allah from all evil things. But to be involved in endless activities is a great disastor. and you won't be able to get away from alarming dreams.

Thers is only one way for a happy life and a deep comfortable sleep which is to fear Allah, to have a clear and an alert conscience and to submit to Allah in all matters. A poet said:

let fate be as it might be And spend the night care free Allah changes a situation to another Between the wink of an eye And before the other.

In a poem by sayeda nafisa (May Allah Be Pleased with ner) she said:

There are eyes that went to Sleep and eyes that remained awake for worthy and worthless matters.

So as much as you can put cares aside As to carry them is madness Allah who kept you from what happened yesterday will surely save you from what will happen tomorrow.

The relation between sleep and food :

Foods has long been related to bad dreams and disturbed sleep. So, those who have their dinner at a late hour or eat too much before going to sleep suffer from alarming dreams nightmares and perhaps they would die. But though this is partially correct, the idea here is nonsense. Allah decreed the end of everyone's life. We have only to avoid what harms us. But as to believe that a certain kind of food causes death, this is to be trifling with the minds. At any rate, modern researchers agreed upon the preferance of having a light meal before sleep than to sleep in hunger. (The worst sleep when one is hungry).

It was proved that mice used for experiments in labs had very little sleep when they were deprived of food. In the meantime, a strict diet goes side be side with having very little sleep.

Among wonders as regards bringing about sleep and overcoming insomnia is that eating cooked onions is considered helpful. Then , where is this compared to the call for the use of (Swak) which purifies the mouth and pleases Allah.

The Messenger of Allah (P & P B U H) did not **Like** people who eat garlic or onions to be with the group or pray in the same mosque.

A lot of people call for avoiding caffeine and other stimulants. Caffeine is a substance that is found in coffee, tea and chocolate and helps to make on allurt.

A lot of the commonly used pain killers should also be avoided because it has been proved that they have an alarming effect on those who pretend not to be affected by them. What has been mentioned regarding caffeine is to be repeated as regards nicotine. One should avoid all such harms. Allah says :

"....and cost not yourselves to perdition...."

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (Al Baqara 195)

Then come to the worst **falsehood**and the greatest wickedness which is drinking wine and alcohol. Then the false assumption of any one who says that he drinks to forget about himself, or to sleep, is to be refuted. Drinking wine is prohibited whether one drinks little or much. Its dangers can not be counted. It cancels the existence of dreams in the sleep of a human being and when he stops drinking, dreams come back as frightening nightmare.

Sleep and Temperature :

Saying that nightmares increase **according** to the decrease in the temperature of the room, needs a proof. A very hot room might be more dangerous. A cat can sleep in a 72° (Fahrenheit) room while a human being would become dizzy and turn around himself feeling tired and would not have a refreshing sleep if the temperature of the room reached 75° (Fahrenheit).

Noise :

Scientists devoted many studies to find out the effects of noise as regards disturbing somebody sleeping. In general, it was revealed that women and aged people wake up easily.



The Story of "Melatonin"

Another method of treatment from insomnia which became well known and widely spread is drinking a glass of milk directly before sleep. Scientists lately discovered that milk contains a substance (called Tritovan) connected chemically with another substance in the brain called (melatonin). It was revealed that this substance increases in the brains of those animals which are fast asleep. After injecting the brains of some wakeful animals with this substance, they went in a deep sleep like the others. Some people differ with this opinion and say that one glass of milk does not provide enough amount of the mentioned substance.

Those people who go on raising doubts about this experiment add that one needs to drink six glasses of milk at least to get the sufficient amount. This might have an opposite effect as the person might wake up six hours later than the set time for an unclear reason. So, there is obviously a defect in following this materialistic method of treating matters. We all know that the stomach is the home of diseases and to go on a diet is the best medicine. So, should we treat the symptoms with more murderous and destructive symptoms ?

Treatment by Herbs :

Herbs are used as drinks for bringing about sleep. The most important kind of Herbs used is Dyer's Camomile (Anthemis tinctonial) which has yellow flowers. It is used like some other sorts of herbs to bring about sleep and prevent nightmares. But, is it reasonable or scientifically correct to believe that there is any connection between tying up dried roots of a certain plant ? (called Faonia) round the neck to drive away nightmares (which are called the devils of dreams) ? Of course this is no more than a stupid superstition of those English experts of herbs in the seventeenth century.

In those dark ages, some illusious filled the minds including the belief that nightmares are caused by (jin and afreets or the ghoul) or something similar to those. People believed that those were wicked creatures which crouch on the chest of a sleeping person and threaten to kill by strangling him. What is even worse was that they used to tell a person to smell his socks after taking them off and before going to bed. I swear that a human being would prefer to die than to follow that terrible and mean habit.

Where do those superstitions stand if compared with Islam's urge for cleanliness and its direction to the Muslim to be nice looking, smelling nicely and as clear as a mole (beauty spot) among people, following the example of the Messanger of Allah Muhammad (Prayers and Peace Be Upon Him). His servant Anas described him by saying "I have never touched any silk that is softer than the palm of the Messenger of Allah (P & P B U H). And I have never smelled a scent sweater than his smell. Why not be clean? The prespiration of the Muslims in paradise is perfume and musk. The plants there are stems of musk.

Methods to Treat Insomnia Between the Nonsense of Materialists and the Guidance of Islam

By : Mr. Abdul Hamid Beshir
Translated by : Hanan Abdou El Tahtawy

If someone could not sleep after going to bed and spending ten minutes there, he has to leave the bed and go to another room until he feels the desire to sleep. He should repeat this until he sleeps. He also has to get up at the usual time for him if he was to sleep early without taking any naps in the afternoons. No attention should be given to the side effects like being tired or suffering from unbalanced performance.

Islam finds aas these methods misleading They are made to efface reality and punish oneself for some things out of its will power. Why should intentions be opposing each other ?Our forefathers taught us that they were used to learning to have some intention before doing something exactly as we are now learning how to do things. Islam also shows that by performing the obligatory prayers together with a bit of (night prayer) during the night as well as taking some rest or having a nap in the afternoon, all of which is a kind of treatment that copes with the natural instinct and disposition of the human being.

A human being has to satisfy all his needs. He is not an animal that eats, drinks and works without weariness. He is not an angel who never stops praying. He is a mixture of body and soul. He is a mixture of talents, characteristics, skills, and all that which makes life.

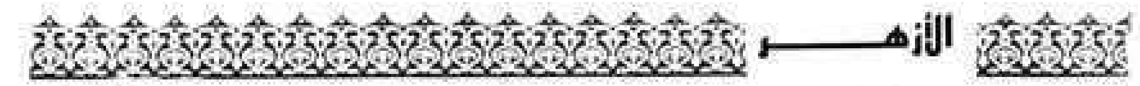
The proof to show that materialistic thinking is nonsense (if it is right to considered it a kind of thinking at all) is that the results of that experiment of leaving the bed for several times were awe some and alarming. An ill person who suffered from sleeplessness used to leave his bed more than ten times every night. After a few weeks, his tendency to leave his bed went away gradually. It was also said that those who were deprived of rest and sleep for many years could sleep after six weeks.



Speaking about Eid Al-Fitr which is the beginning of the month of Shawal I must mention the blessing of fasting any six days of that honorable month followed the celebration of the Eid. Abi Ayoub (may Allah be pleased with him) narrated the Prophetic Hadith in which the Prophet (p.b.u.h) said that whoever fasts the month of Ramadan followed by six days of Shawal he is considered as if he fasted all his lifetime.

Finally I pray to Allah to accept all our efforts and support our faith. I pray to Allah to support Islam and Muslims in these holy days. I supplicate to Him to help the oppressed Muslims in all the world and to guide us to help them and to remember them in our prayers. I ask Allah to give us the victory over the non believers. Ameen.





Prophetic Hadith encourages the Muslims to finish their month with the spiritual farewell. As authorized by Ibn Magah he said that the Prophet (p.b.u.h) said what meant that whoever elevates the Eid nights with worshipping Allah, he will elevate his heart on the day when all the hearts are to be dead.

There are many Prophetic traditions (Sunan) which have to be followed in celebrating the Eid :

1 - It is obligatory to pray Eid prayer for it is narrated that the Prophet and his companions never ceased doing it. They even gathered the people for it including the women who were having their menses, the children, and the elderly.

2 - Dress in the best clothes we have as it was narrated that Ibn Omar used to do that along with other companions of the Prophet (p.b.u.h) .

3 - Eat dates before leaving for Eid prayed in Eid Al-fitr and eat after prayer in Eid Al-Adha.

4 - Say Takbeer (Allah's Glorification) Loudly for it was natrrated that the Prophet (p.b.u.h) used to say Takbeer until he finished the prayer.

5 - Pray in uncovered places rather than in the mosque.

6 - There is neither Athan nor Iquama for Eid prayer.

7 - No prayer is to be performed before or after Eid prayer for it was narrated by Ibn Abbas that the Prophet did not pray before nor after the Eid prayer.

8 - Take a path when going to prayer and a different path when returning from it following the Prophetic tradition.

9 - It is permitted to sing songs (Without music) o Eid day especially for the children.

10 - It is obligatory to pay Zakat Al-Fitr (paying charity) before going to Eid prayer for it was narrate that the Prophet (p.b.u.h) made it incumbent on every Muslim to pay Zakat Al-Fitr at the end of Ramadan. It has to be handed out in food (commodity), the type which is common to the area.



represents our unity even in the festivities as Allah mentioned in His Honorable Book at Sura Al-Anbiyaa :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾

Verily, this brotherhood of yours is a single Brotherhood, and I'm your Lord and Cherisher : therefore serve Me (and no other).

The Eid celebration brings the hearts of the Muslims together . It is an occasion of forgiveness and conciliation. We are asked to desert our differences and start with fresh hearts and souls after washing all the previous disagreements. Unifying the hearts is essential in bringing together the thoughts, resources and strengths of the Muslims. Allah Mentioned in His Book in Sura Al Anfal Aya 63 :


﴿ وَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

And (moreover) He hath put affection between their hearts : not if thou hadst spent all that is in the earth, couldst thou have produced that affection, but Allah hath done it : for He is Exalted in might, Wise.

The Muslim unity is always the aim and target of our Creator. It is resembled in a smaller scale in the Friday prayers. When the Muslims are obliged to pray together in the mosque of the community to meet with each other and discuss the different issues and concerns . On Eid the Muslim unity is also targeted but on a larger scale. The Muslims meet in an open place to perform the early morning congregational prayers followed by the speech. Then the celebration begins as an expression of happiness for finishing a month long observance of spiritual and physical purification and selfdiscipline. The Eid celebration includes new clothes and enjoying different kinds of special foods. It also includes visiting family members and friends. The Prophet (p.b.u.h) encouraged the Muslims to spend the nights before the two Eids in prayers and Allah's remembrance for most probably people would be busy on those two nights with many other things. The

Eid Al-Fitr

'The Feast of the Fast - Breaking'

By : Hadeer Refat Abo Al-Nagah

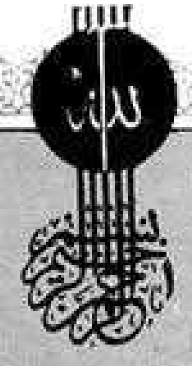
First of all I like to congratulate the Muslim world for the occasion of Eid Al Fitr. May Allah Almighty accepts our prayers and fasting in Ramadan and allows us to join the Prophet (p.b.u.h) and His companions in Al-Janah through His mercy and forgiveness .

Our honorable visitor has just left leaving us with a storage of piety and spiritual power to push the wheels of our lives . The celebration of Eid is the prize given by Allah to the Muslims who completed the task of fasting the obligatory month. Our happiness in receiving the Eid is relative to our hard work during the month. The harder we tried to gain Allah's acceptance to our works during Ramadan the happier we will be in receiving the Eid.

Eid Al Fitr (or the Break - Fasting) is the first of the only two Eids authorized by the Prophet (p.b.u.h) after he established the Muslim nation at Al Madinah. The other Muslim feast is Eid Al Adha (or the feast of Sacrifice). Both of them are celebrating the victory of the Muslim well and strength over the desires of soul and the power of the Shaytan.

When the Prophet (p.b.u.h) came to Al Madinah the companions used to celebrate two feasts before Islam then he, told them that Allah had replaced these feasts with the two Muslim fests Al Fitr and Al Adha as narrated by Ibn Hazm in his **Al Mohala.** Celebrating the Eid is a symbol of the Muslim unity, because all the Muslims in the world are celebrating the same occasion at the same time. It

AL-AZHAR MAGAZINE
Shaw'wal 1419 H.



ENGLISH SECTION
Vol. 71 Part X.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

*" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."*

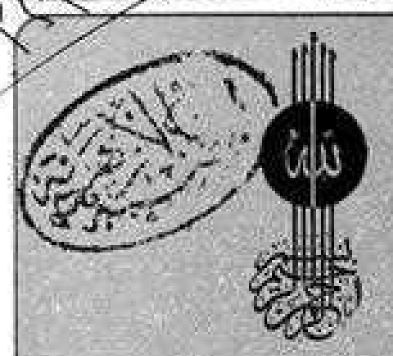
(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA. M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

الحج حِكَم وأسرار

أحمد المولى - تبارك وتعالى - وأصلى وأسلم على أسعد خلق الله ، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الكرام البررة ، وعلينا معهم برحمتك وكرمك ومنّك وفضلك ، يارب العالمين .

« أما بعد » . .

فإن رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ، لأداء المناسك إنما هى رحلة طيبة مباركة ، مبعثها الإيمان العميق ، واليقين الصادق ، والحب والشوق والحنين إلى الرحاب الطاهرة ، التى تهفو إليها قلوب المؤمنين الصادقين ، حيث الكعبة المشرفة ، والطواف بالبيت العتيق ليشهدوا منافع لهم ، ثم إلى زيارة مسجد الحبيب الغالى سيدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليتمتعوا بالقرب منه والمجاورة له فى الروضة المطهرة .

◄

ذو القعدة ١٤١٩هـ - مارس ١٩٩٩م - الجزء الحادى عشر - السنة الحادية والسبعون

هذه الرحلة الروحية المباركة ، وهذه الضيافة الربانية الميمونة تتطلب من المسلم الذي يريد الحج والعمرة أن يكون على أحسن حال من الصفاء والطهارة والإخلاص ، والحب والشوق والحنين ، حتى تؤتى هذه الرحلة ثمرتها المرجوة . وليعلم المسلم أنه ليس كل مسافر حاجاً ولا كل زاد يوصل ولا كل جبل عرفات ، بل علينا أن نخلص النية وأن نتأدب بالآداب الشرعية ، وأن نتوب إلى الله من جميع المعاصي والمكروهات بشروطها المعروفة التي هي الندم والإقلاع عنها حالا ، وأن نعزم على عدم العود إليها مرة أخرى ، وأن نخرج من مظالم خلق الله ونرد الودائع إلى أهلها ، وأن نستحل كل من كان بيننا وبينه معاملة في شيء ، وأن نعد النفقة لكل من تلزمنا نفقته إلى وقت الرجوع ، ثم نكتب الوصية ، اقتداء بسلفنا الصالح حيث كانوا يكتبون وصاياهم ويضعونها تحت الوسادة[1] .

وإذا كان الأبوان أحياء فليجتهد في إرضائهما ، وكذا من يتوجب بره وطاعته ، وليحرص أن يكون ماله حلالا خالصا ، لا شبهة فيه . وأن يستكثر من الزاد والنفقة لمواساة المحتاجين ، عن طيب خاطر ، ليكون أقرب إلى القبول . وأن يترك المشاحة فيما يعامل فيه ، مما يتعلق بعباده ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ « إن الله ـ تعالى ـ يحب سمح البيع ، سمح الشراء ، سمح القضاء »[2] .

ويجب على من يريد الحج أو العمرة أن يتعلم الكيفية الشرعية لأدائها ، وهذا فرض عين ، حيث لا تصح العبادة ممن لا يعرفها . وأن يستصحب معه كتابا جامعا للمناسك ويداوم على مطالعته ، وأن يطلب له رفيقا صالحا ، راغبا في الخير ، معينا عليه ، كارها للشر ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن جبن شجعه ، وإن عجز قواه ، وإن ضاق صدره صبره ، وليحرص على رضا رفيقه في جميع طريقه ، وليحتمل كل واحد منهما الآخر ، ويرى لصاحبه عليه فضلا وحرمة لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لخفاف بن ندبة : « ياخفاف ابتغ الرفيق قبل الطريق ، فإن عرض لك أمر نصرك ، وإن احتجت إليه رفدك »[3] .

وينبغي عليه تصحيح الإخلاص في حجه ، وأن يريد به وجه الله ـ تبارك وتعالى ـ لا ينتظر من وراء هذا لقبا ولا سمعة ولا شهرة ، وأن يودع أهله وجيرانه وأصدقاءه ، وأن يطلب منهم العفو إن كان قد بدر منه شيء في حقهم ، وأن يودعوه قائلين : استودع الله دينك وأمانتك ، وخواتيم عملك ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ويسر لك الخير حيث كنت[4] .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لمن أراد السفر : « في حفظ الله وكنفه ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ووجهك للخير أينما كنت »[5] .

---

(1) إحياء علوم الدين للغزالي (٢٤٧/١) وحاشية ابن حجر الهيثمي (٣٣)
(2) انظر : الفتح الكبير (٣٥٦/١) ورواه الترمذي والحاكم في المستدرك .
(3) رواه ابن عبد البر وغيره وإحياء علوم الدين للغزالي (٢٤٨/١) .
(4) حاشية ابن حجر الهيثمي (٤٥) .
(5) الإحياء للغزالي (٢٤٨/١) .

وليتأدب بآداب السفر وأذكاره ، ويتجنب فى حله وترحاله المخاصمة والمشاحنة ، ومزاحمة الناس فى الطريق ، وموارد الماء ما أمكن ، ويصون لسانه من الشتم والغيبة والنميمة وكافة الألفاظ القبيحة ، وليتذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[1] .

وأن يرفق بالسائل والضعيف ولا ينهرهما ، ولا يوبخهما على خروجهما بلا زاد ولا راحلة ، بل يواسيهما ، وإلا ردهما ردا جميلا ، ودعا لهما بالمعونة مصداقا للحديث الشريف : « إن الله - تعالى - يبغض الفاحش المتفحش »[2] وقوله : « من قضى نسكهُ وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه »[3] .

وأن يكثر من الدعاء فى جميع السفر لنفسه ، ولوالديه ، ولأحبائه وللمسلمين والمسلمات لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن : دعوة الوالد على ولده ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم »[4] .

وليتذكر أخى الحاج والمعتمر أنه بالتزامه لهذه الآداب الإسلامية وغيرها يكون حجه مبروراً وذنبه مغفوراً . قيل للحسن : ما الحج المبرور ؟ قال : أن ترجع زاهدا فى الدنيا ، راغباً فى الآخرة . وليعلم الحاج أنه من حين خروجه من بيته أنه فى ضيافة الرحمن ، وأن الحج من أعظم القربات والطاعات لرب العالمين ، إذ هو شعار أنبياء الله ، وسائر عباده الصالحين ، وأن من حج البيت أو اعتمره لا يزال يزداد هيبة وتعظيماً وبرا .

وروى : « إن الله يبعث من هذا الحرم كله سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا ، وجوههم كالقمر ليلة البدر » قال أبو بكر : ومن هم يارسول الله ؟ قال : « هم الغرباء »[5] .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج »[6] .

ثم إن الله قد أكرم المسلمين بالحج ، حيث جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمناً ، والطواف حوله حجابا بينهم وبين العذاب ، كما جعل الوقوف بعرفة تكفيرا للذنوب ، لكثرة نزول الرحمة فى هذا اليوم العظيم[7] .

أخى ضيف الرحمن : إذا خرجت من بيتك كنت فى حرز الله ، وإن مت قبل أن تقضى نسكك

◆

---

(1) رواه أحمد ، والبخارى والنسائى وابن ماجه .
(2) رواه أحمد فى المسند .
(3) الفتح الكبير (٢٢٨/٣) .
(4) الفتح الكبير (٤٤/٢) وإحياء علوم الدين (٢٤٨/١) .
(5) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى (٢٠٢)
(6) الفتاوى الكبرى للهيثمى (١٢٢/٢) .
(7) إعلام الساجد (١١٠) .

غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وأنه يكتب لك أجر الحاج إلى يوم القيامة . وأن الله يدخل بالحجة الواحدة ثلاثة نفر الجنة : الميت والحاج عنه والمنفذ لها[1] .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كنا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمنى إذ أقبلت طائفة من اليمن ، فقالوا : فداك الأمهات والآباء : أخبرنا بفضائل الحج ، قال : « بلى . أى رجل خرج من منزله حاجا أو معتمرا ، فكلما رفع قدما ، ووضع قدما ، تناثرت الذنوب من بدنه ، كما يتناثر الورق من الشجر ، فإذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام ، صافحته الملائكة بالسلام ، فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل ، طهره الله من الذنوب ، وإذا لبس ثوبين جديدين ، جدد الله له من الحسنات ، وإذا قال : لبيك اللهم لبيك ، أجابه الرب ـ عز وجل ـ لبيك وسعديك ، أسمع كلامك وأنظر إليك ، فإذا حل مكة وطاف ، وسعى بين الصفا والمروة ، وصل الله له الخيرات ، فإذا وقفوا بعرفات ، وضجت الأصوات بالحاجات باهى الله بهم ملائكة سبع سموات ، ويقول : ملائكتى ، وسكان سماواتى ، أما ترون إلى عبادى أتونى من كل فج عميق ، شُعثا غُبرا قد أنفقوا الأموال ، وأتعبوا الأبدان ، فوعزتى وجلالى وكرمى لأهبن مسيئهم بمحسنهم ، ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم ، فإذا رموا الجمار وحلقوا الرءوس ، وزاروا البيت ، نادى مناد من بطنان العرش : ارجعوا مغفورا لكم ، واستأنفوا العمل .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا أو أمة من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ فيقولون : ياربنا يريدون العفو والمغفرة فيقول الله ـ تعالى ـ ياملائكتى أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، وعفوت عنهم »[2] .

أخى ضيف الرحمن : الحج المبرور يغفر الذنوب صغائرها وكبائرها حتى التبعات . وفى الحديث : وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله ـ تعالى ـ يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة فيقول : عبادى جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتى ، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا مغفورا لكم » . ولا غرابة فالحجاج والعمار وفد الله إن سألوه أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم ، وإن دعوه استجاب لهم »[3] .

أخى الحاج : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يختم على عملك بطابع من نور ، فإياك أن تفك ذلك الختم بمعصية الله ـ عز وجل ـ وفى الحديث : « إذا مات المحرم فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا »[4] .

وقال حجة الإسلام الغزالى : أنعم الله ـ عز وجل ـ على هذه الأمة بالحج وشرف بيته العتيق بالإضافة إلى نفسه ـ تعالى : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ (الحج : ٢٦)

ونصبه مقصد العبادة ، وجعل ما حواليه حرما لبيته ؛ تفخيما لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على

(١) الفتح الكبير (٣٥٧/١) .
(٢) الفتح الكبير (١٢٤/٣) رواه مسلم والنسائى .
(٣) ابن ماجه (٩٦٦/٢) وفتاوى الرملى (٨١/٢)
(٤) ابن ماجه (١٠٣٠/٢) .

فناء حوضه ، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده ووضعه على مثال حضرة الملوك ، ويقصده الزوار من كل فج عميق ، ومن كل أوب سحيق ، شعثا غبرا ، متواضعين لرب البيت ، مستكنين له خضوعا لجلاله ، واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم ، وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك فرض عليهم فيها أعمالا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول ، كرمى الجمار بالأحجار ، والسعى بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية .

أخى الحاج : تذكر أنه فى أثناء وجودك بالمسجد أن الله ـ تبارك وتعالى ـ ينزل على أهل هذا المسجد ـ مسجد مكة ـ فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفين ، وأربعين للمصلين ، وعشرين للناظرين[1] وفى الحديث : « النظر إلى الكعبة عبادة » رواه أبو الشيخ عن عائشة وروى البيهقى فى « شعب الإيمان » عن عائشة : « أن الملائكة تصافح ركاب الحجاج ، وتعتنق المشاة[2] وأن الناس ليحجون ويعتمرون ويغرسون النخل بعد خروج يأجوج ومأجوج[3] .

وفى الحديث : وأما طوافك بالبيت فأن تطوف ولا ذنب عليك ، يأتى ملك فيضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك فيما مضى . وإن الكعبة تشفع للحجاج فتقول : يارب عبادك المذنبون الذين وفدوا إلىّ من كل فج عميق ، شعثا غبرا ، تركوا الأهل والأولاد والأحباب ، وخرجوا شوقا إلىّ ، زائرين مسلمين طائعين ، حتى قضوا مناسكهم كما أمرتهم ، فأسألك أن تشفعنى فيهم ، وتؤمنهم من الفزع الأكبر وتجمعهم حولى

يارب أسألك الشفاعة فى المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والأوزار حتى وجبت لهم النار فيقول الله ـ تعالى ـ قد شفعتك فيهم ، وأعطيتك سؤلك ، فينادى ملك من جو السماء : ألا من زار كعبة الله فليعتزل عن الناس فيعتزلون فيجعلهم الله ـ تعالى ـ حول البيت الحرام ، بيض الوجوه آمنين من النار ، يطوفون ويلبون ، ثم ينادى ملك من جو السماء : ألا ياكعبة الله سيرى فتقول الكعبة لبيك اللهم لبيك ، والخير كله بيديك ، لبيك لا شريك لك ، لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك[4] .

وروى أن الكعبة تحشر كالعروس المزفة ومن حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة[6] .

اللهم اجعل حجنا مبروراً وذنبنا مغفوراً وعودنا حميداً ووفقنا لكل خير .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) حاشية ابن حجر الهيتمى على مناسك النووى (١١٤ ـ ١١٥)
(٢) الفتح الكبير (١/ ٣٦٨)
(٣) الفتح الكبير (١/ ٣٧٢)
(٤) فتاوى الرملى (٢/ ٨٢)
(٥) الروض الفائق فى المواعظ والرقائق .
(٦) إعلام الساجد (٢٠٠)

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهـــر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴿١١٩﴾ ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم
بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير ﴿١٢٠﴾ الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون
﴿١٢١﴾ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين
﴿١٢٢﴾ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون ﴿١٢٣﴾ • وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس
إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴿١٢٤﴾ ﴾ (الآيات ١١٩/١٢٤)

قوله : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ﴾ معناه : إنا أرسلناك يا محمد بالدين الصحيح المشتمل على الأحكام الصادقة ، لتبشر بالثواب من آمن وعمل صالحاً ، وتنذر بالعقاب من كفر وعصى .

وصدرت الآية الكريمة بحرف التأكيد ، لمزيد الاهتمام بهذا الخبر ، وللتنويه بشأن الرسول ﷺ .

وجيء بالمسند إليه ضمير الجلالة ، تشريفاً للنبى ﷺ فكأن الله ـ تعالى ـ يشافهه بهذا الكلام بدون واسطة ، ولذا لم يقل له إن الله أرسلك .

وقوله : ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ متعلق بأرسلناك . والحق : مأخوذ من حق الشيء ، أى : وجب وثبت ، ويطلق الحق على الحكم الصادق المطابق للواقع ، ويسمى الدين الصحيح حقاً لاشتماله على الأحكام الصادقة .

وقوله : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ حالان ، والبشير : المبشر ، وهو المخبر بالأمر السار للمخبر به الذى لم يسبق له علم به . والنذير : المنذر ، وهو المخبر بالأمر المخوف ليحذر منه .

وجملة ﴿ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ معطوف على جملة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ .

والجحيم : المتأجج من النار . وأصحابها : الملازمون لها . والسؤال : كناية عن المؤاخذة واللوم .

والمعنى : لا تذهب نفسك عليهم حسرات يامحمد ، فإن وظيفتك أن تبشر وتنذر ولست بعد ذلك مؤاخذا ببقاء الكافرين على كفرهم ، ولست مسئولا عن عدم اهتدائهم ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (الرعد : ٤٠) .

وفى وصفهم بأنهم أصحاب الجحيم ، إشعار بأنهم قد طبع على قلوبهم ، فصاروا لا يرجى منها الرجوع عن الكفر .

وفى هذه الجملة مع قوله : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ تسلية للرسول ﷺ حيث لم يؤمن به أولئك الجاحدون المتعنتون .

ثم بين القرآن موقف أهل الكتاب من الدعوة الإسلامية فقال : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ .

الملة : الطريقة المسلوكة ، ثم جعلت اسما لما شرعه الله لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا إلى السعادة الدائمة ، وقد تطلق على ما ليس حقا من الأديان المنحرفة أو الباطلة ، كما حكى القرآن عن يوسف عليه السلام ـ أنه قال :

﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (يوسف : ٣٧) .

وأفرد القرآن الملة فقال ـ تعالى ـ ﴿ مِلَّتَهُمْ ﴾ مع أن لكل من اليهود والنصارى ملة خاصة ، لأن الملتين بالنظر إلى مخالفتها لدين الإسلام وما طرأ عليهما من التحريف بمنزلة واحدة ، فاتباع إحداهما كاتباع الأخرى فى قلة الانتفاع به .

ومعنى الغاية فى قوله : ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ الكناية عن اليأس من اتباع أهل الكتاب لشريعة الإسلام ، لأنهم لما كانوا لا يرضون إلا باتباعه ﷺ ملتهم وكان اتباع النبى ﷺ لملتهم مستحيلا ، فقد صار

رضاهم عنه كذلك مستحيلا ، فالجملة الكريمة مبالغة فى الإقناط من إسلامهم ، وتنبيه على أنه لا يرضيهم إلا ما لا يجوز وقوعه منه .

ثم لقن الله - تعالى - نبيه - ﷺ - الجواب فقال : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ .

وهدى الله : دينه ، والهدى ، بمعنى الهادى إلى طريق الفلاح فى الدنيا والآخرة . أى : ما أنت عليه يامحمد من هدى الله الحق الذى يضعه فى قلب من يشاء هو الهدى الحقيقى لا ما يدعيه هؤلاء من الأهواء .

وإيراد الهدى معرفاً بأل مع اقترانه بضمير الفصل « هو » يفيد قصر الهداية على دين الله ، وينفى أن يكون فى دين غير دين الله هدى . وإذا كانت الهداية مقصورة على الدين الذى جاء به محمد ﷺ فكيف يطمع أهل الكتاب فى أن يتبع ملتهم ؟

ثم حذر القرآن من اتباع أهل الكتاب فقال : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .

اللام فى قوله ﴿ وَلَئِنِ ﴾ تشعر بأن فى الجملة قسما مقدرا روعى فى صدرها ليفيد تأكيد ما تضمنته من أن متبع أهواء أهل الكتاب لا يجد من الله ولياً ولا نصيراً .

والأهواء : جمع هوى ، والمراد بها آراؤهم المنحرفة عن الحق الصادرة من شهوات فى أنفسهم . والعلم : الدين : سمى علماً لأنه يعلم بالأدلة القاطعة .

والولى : القريب والحليف . والنصير : كل من يعين غيره على من يناوئه ويبسط إليه يده بسوء .

والمعنى : ولئن اتبعت - يامحمد - آراءهم الزائفة ، بعد الذى جاءك من العلم بأن دين الله هو الإسلام ، أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة ، مالك من الله من ولى يلى أمرك ولا نصير يدفع عنك عقابه .

وإنما أوثر خطابه ﷺ بذلك ليدخل دخولا أوليا من اتبع أهواءهم بعد الإسلام من المنافقين تمسكا بولايتهم ، وطمعا فى نصرهم .

وبعد أن ذكر القرآن فى الآيات السابقة أحوال الكافرين من أهل الكتاب أخذ فى بيان حال المؤمنين ، فقال :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ .

أى : يقرءونه قراءة حقة ، مصحوبة بضبط لفظه ، وتدبر معانيه ، ولاشك أن ضبط لفظه يقتضى عدم تحريف ما لا يوافق أهواء أهل الكتاب ، كالجمل الواردة فى نعت رسول الله ﷺ وأن تدبره يستدعى اتباعه والعمل به .

وجملة : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ حال من الضمير (هم) أو من الكتاب وهذه الحال من قبيل الأحوال

التى تلابس صاحبها بعد وقوع عاملها ، فإنهم إنما يتلون الكتاب بعد أن يؤتوه . وهى التى تسمى بالحال المقدرة أى : مقدرا وقوعها بعد وقوع عاملها .

والمراد بالذين أوتوا الكتاب ، مؤمنو أهل الكتاب . والمراد بالكتاب التوراة والإنجيل . أو هم أصحاب النبى ﷺ والكتاب : القرآن .

وأجاز بعضهم أن تكون الآية سيقت مدحا لمن آمن من أهل الكتاب بالقرآن ، فيكون الضمير فى يتلونه القرآن .

وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ خبر عن قوله ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ .

وفى ذكر الإشارة ووضعه فى صدر الجملة المخبر بها ، زيادة تأكيد لإثبات إيمانهم .

وفى هذه الجملة تعريض بأولئك المعاندين الذين كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ، فكأن الآية التى معنا تقول : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ وكان من حالهم أن قرءوه حق قراءته ، يؤمنون به إيماناً لا ريبة فيه ، بخلاف المعاندين المحرفين للكلم عن مواضعه .

ثم بين ـ سبحانه ـ عاقبة الكافرين بكتبه فقال : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

والكفر بالكتاب يتحقق بتحريفه ، وإنكار بعض ما جاء فيه ، أى : ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون فى الدنيا حيث لا يعيشون فيها عيش المؤمنين وهم الخاسرون فى الآخرة ، إذ سيفوتهم ما أعده الله لعباده من نعيم دائم ، ومقام كريم .

وكما بدأ القرآن حديثه مع اليهود بندائهم بأحب أسمائهم إليهم ، فقد اختمه ـ أيضاً ـ بهذا النداء فقال :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة : ١٢٢ ـ ١٢٣) .

ففى هاتين الآيتين تكرير لتذكير بنى إسرائيل بما سبق أن ذكروا به فى صدر الحديث معهم فى هذه السورة ، وذلك لأهمية ما ناداهم من أجله وأهمية الشىء تقتضى تكرار الأمر به إبلاغا فى الحجة وتأكيداً للتذكرة .

قال القاضى : ولما صدر القرآن قصة بنى إسرائيل بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من إضاعتها ، والخوف من الساعة وأهوالها ، كرر ذلك وختم به الكلام معهم ، مبالغا فى النصح وإيذاناً بأنه فذلكة القضية ، والمقصود من القصة .

هذا وبعد أن ذكر الله ـ تعالى ـ فى الآيات السابقة نعمه على بنى إسرائيل ، وبين كيف كانوا يقابلون النعم بكفر وعناد ، ويأتون منكرات فى الأقوال والأعمال ، وختم الحديث معهم بإنذار بالغ ، وتذكير بيوم

لا يخفى فيه أحد عن أحد شيئا ، بعد كل ذلك واصل القرآن حديثه عن قصة إبراهيم - عليه السلام - لأنهم هم والمشركون ينتمون إليه ويقرون بفضله ، فقال - تعالى - :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : ١٢٤) .

والابتلاء : الاختبار . أي . اختبره ربه - تعالى - بما كلفه به من الأوامر والنواهي ، ومعنى اختبار الله - تعالى - لعبده ، أن يعامله معاملة المختبر مجازاً ، إذ حقيقة الاختبار محالة عليه - تعالى - لعلمه المحيط بالأشياء والله - تعالى - تارة يختبر عباده بالضراء ليصبروا . وتارة بالسراء ليشكروا ، وفي كلتا الحالتين تبدو النفس البشرية على حقيقتها .

وفي إسناد الابتلاء إلى الرب إشعار للتالي أو للسامع بأنه ابتلاء بما ابتلاه به تربية له ، وتقوية لعزمه ، حتى يستطيع النهوض بعظائم الأمور .

وقد اختلف المفسرون في تعيين المراد بالكلمات التي اختبر الله بها نبيه إبراهيم - عليه السلام - على أقوال كثيرة .

قال ابن جرير : « ولا يجوز الجزم بشيء مما ذكروه ، منها : أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع . قال : ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له ، ولعل أرجح الآراء في المراد بهذه الكلمات ، أنها الأوامر التي كلفه الله بها ، فأتى بها على أتم وجه » .

وقوله : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ أي : أتى بهن على الوجه الأكمل ، وأداهن أداء تاما يليق به - عليه السلام - ولذا مدحه الله بقوله : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ (النجم : ٣٧) .

وجيء بالفاء في ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ للدلالة على الفور والامتثال . وذلك من شدة العزم ، وقوة اليقين .
وفي إجمال القرآن لتلك الكلمات التي امتحن الله بها إبراهيم ، وفي وصفه له بأنه أتمهن ، إشعار بأنها من الأعمال التي لا ينهض بها إلا ذو عزم قوي يتلقى أوامر ربه بحسن الطاعة وسرعة الامتثال .

وقدم المفعول وهو لفظ إبراهيم ، لأن المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم الرب إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز ، فلذلك لم يقل وإذ ابتلى الله إبراهيم ، وجملة ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ مستأنفة لبيان ما من الله به على إبراهيم من الكرامة ورفعة المقام ، بعد أن ذكر - سبحانه - أنه عامله معاملة المختبر له ، إذ كلفه بأمور شاقة فأحسن القيام بها .

جاعلك : من جعل ، بمعنى صير . والإمام : القدوة الذي يؤتم به في أقواله وأفعاله . والمراد بالإمامة هنا : الرسالة والنبوة ، فإنها أكمل أنواع الإمامة ، والرسول أكمل أفراد هذا النوع ، وقد كان إبراهيم - عليه السلام - رسولا يقتدى به الناس في أصول الدين ومكارم الأخلاق .

وقال : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ولم يقل : « إني جاعلك للناس رسولا » ليكون ذلك دالا على أن

رسالته تنفع الأمة المرسل إليها بطريق التبليغ ، وتنفع غيرهم من الأمم بطريق الاقتداء ، فإن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد رحل إلى آفاق كثيرة ، فانتقل من بلاد الكلدان إلى العراق ، وإلى الشام ، وإلى الحجاز ، وإلى مصر وكان فى جميع منازله أسوة حسنة لغيره .

وقد مدح القرآن إبراهيم فى كثير من آياته ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النحل : ١٢٣) .

وجملة ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ واقعة موقع الجواب عما من شأنه أن يخطر فى نفس السامع ، فكأنه قال : وماذا كان من إبراهيم عندما تلقى من ربه تلك البشارة العظمى ؟ فكان الجواب أن إبراهيم قد التمس الإمامة لبعض ذريته أيضا .

أى : قال إبراهيم : واجعل يارب من ذريتى أئمة يقتدى بهم .

وقد رد الله ـ تعالى ـ على قول إبراهيم بقوله : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

وإنما قال إبراهيم ومن ذريتى ولم يقل وذريتى ، لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يقتدى بهم،فلم يسأل ما هو غير مألوف عادة ، لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء .

أى : قال الله لإبراهيم : قد أجبتك وعاهدتك بأن أحسن إلى ذريتك لكن لا يصيب عهدى الذى عهدته إليك بالإمامة الذين ظلموا منهم ، فالعهد هنا بمعنى الإمامة المشار إليها فى قوله : ﴿ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ .

وفى هذه الجملة الكريمة إيجاز بديع : إذ المراد منها إجابة طلب إبراهيم من الإنعام على بعض ذريته بالإمامة كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ (العنكبوت : ٢٧) ولكنها تدل صراحة على أن الظالمين من ذريته ليسوا أهلا لأن يكونوا أئمة يقتدى بهم ، وتشير إلى أن غير الظالمين منهم قد تنالهم النبوة ، وقد نالت من ذريته إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم من الأنبياء .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (الصافات : ١١٣) .

(يتبع)

قبس من أنوار النبوة

وأحسنوا إن الله يحب المحسنين

لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم

١ ـ سأل جبريل ـ عليه السلام ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإحسان ؟ فقال له : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

« رواه البخارى » .

٢ ـ قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

رواه مسلم وأحمد وغيرهما ـ عن شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ .

الإحسان له معان مختلفة : فقد يراد به الإجادة : فى الأعمال ، وقد يطلق على : بسط اليد بالبر والمعروف ، وقد يطلق على التصدق .

والإحسان ينقسم إلى قسمين : أولهما : الإحسان بمعنى التفضل والإنعام فإذا فعل الإنسان الواجب عليه نحو ربه وبنى جنسه وزاد عليه كان ذا فضل عظيم على نفسه حيث أنصفها وأحسن إليها بالإخلاص والقيام بالعمل ، قال الله تعالى :

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت : ٤٦) .

وثانيها : إحسان الشىء بمعنى : إتقانه ، وذلك بأن يقوم الإنسان بأداء ما فرض الله عليه من حقوق وواجبات بإتقان مع مراقبة الله وخشيته فى السر والعلن .

قال بعض العلماء ـ يزيد بن الحارث ـ : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف ، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور .

والإحسان فى قول الله فى سورة النحل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل : ٩٠) .

فوق العدل ، وذلك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ماله ، والإحسان : أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ، فالإحسان زائد عليه ، وتحرى العدل واجب ، وتحرى الإحسان ندب

وتطوع ، ولذلك عظم الله ثواب أهل الإحسان حين قال - سبحانه - :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٥) .

فالإحسان في الإسلام من أعظم منازل العبودية، لأنه لب الإيمان وروحه وكماله ، ولهذا جاء ذكره في القرآن تارة مقرونا بالإيمان كما في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة : ٩٣) .

وتارة يأتي مقرونا بالإسلام في قوله :

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان : ٢٢) .

وتارة يقرن بالتقوى ، كما في قوله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس : ٢٦) .

جاء في صحيح مسلم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة ، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان ، لأن الإحسان هو : أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حالة عبادته،فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عيانا في الآخرة .

والإحسان هو : استحضار عظمة الله وقربه ، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، كما جاء في رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - : « أن تخشى الله كأنك تراه » ، وذلك يوجب النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها ، كما جاء في حديث حارثة : « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : ياحارثة كيف أصبحت ؟ قال ، أصبحت مؤمنا حقا ، قال : انظر ما تقول ، فإن لكل قول حقيقة ، قال : يارسول الله عزفت - أي زهدت - نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتزاورون ، وكأني أنظر إلى أهل النار في النار كيف يتعاوون فيها ، قال : أبصرت فالزم » .

قال القاضي عياض - رحمه الله - في حديث الإحسان : « إنه اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه » .

وقال القسطلاني : « الإحسان : عبادتك الله حال كونك في عبادتك مثل كونك رائيا له » .

وهذا ما يعرف بمقام المراقبة ، قال سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق : ١٦) .

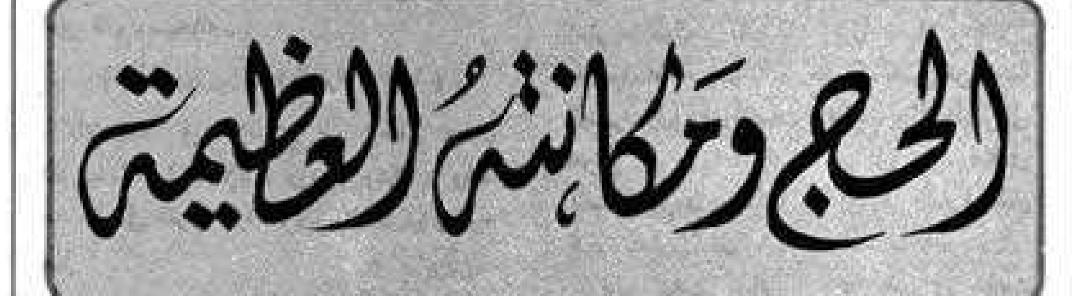
وقال عز من قائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة : ٧) .

قال أهل الحكمة :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

والإحسان كما يكون في العبادات يكون أيضا

البقية ص ١٧١٥



في الإســلام

لفضيلة الشــيخ :
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

من أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال ـ : خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « أيها الناس : قد فرض الله عليكم الحج ، فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم ، بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء : فدعوه »(1) .

الحج : قصد البيت العتيق للزيارة والنسك ، على وجه التعظيم ، بأفعال مخصوصة في أشهر معلومة ، هي شوال وذو القعدة وثلاثة عشر يوما من ذي الحجة ، استجابة لأمر الله تعالى ، وابتغاء مرضاته ، وطمعا في مغفرته وحسن مثوبته ، قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾
(آل عمران : ٩٧)

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه ..

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : « سئل النبي صلى الله عليه وسلم : « أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور »[2] .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة »[3] .

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من حج لله فلم يرفث ، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »[4] .

وسببه : البيت الحرام ، لأنه يضاف إليه ، ولهذا لا يجب في العمر إلا مرة واحدة ، لعدم تكرار السبب ، إلا أن ينذره المرء ، فيجب عليه الوفاء بالنذر ، ومازاد فهو تطوع ؛ لما روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : « خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « يأيها الناس كتب عليكم الحج ، فقام الأقرع ابن حابس فقال : أفي كل عام يارسول الله ؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا ، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها . الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع »[5] .

حكمه : الحج فرض عين على كل مكلف حر مسلم بالغ مستطيع ، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة التي بني عليها ديننا الحنيف . . وفريضة محكمة ، يكفر جاحدها ، وهو عبادة تنتظم من الإنسان قلبه وبدنه وماله ، وتعود عليه بخيري الدنيا والآخرة ، وفرضه الله ـ عز وجل ـ ليصل بالإنسان إلى ذروة الكمال الروحي ، والصفاء النفسي ، فهو رياضة الوجدان على طاعة الرحمن ، إلى خير البلدان ، يؤديها القادر المستطيع بإيمان وخشوع ، وهيبة وخضوع ، كيف لا ، وللحج أسرار عظيمة ، وفضائل روحية شريفة ، وآثار اجتماعية قدسية ، فمن ذلك تعظيم البيت العتيق وعمارته ، وزيارة الأرض المقدسة التي احتضنت الحنيفية السمحة إلى أن ترعرعت وقويت وقضت على الشرك والوثنية ، فهو عبادة يتقرب بها المسلمون إلى خالقهم ، فتصفو نفوسهم ، وتشف قلوبهم في مشارق الفيوضات ، وترفرف أرواحهم مع نسمات الرضا والنفحات .

قال الله تعالى :

﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ۝ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ۝ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾

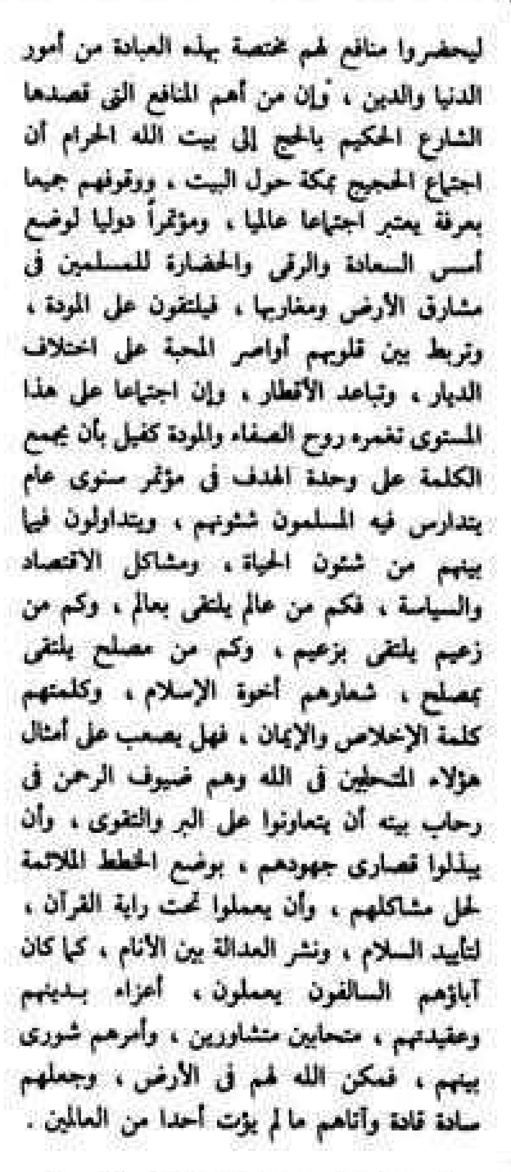
(الحج : ٢٧ ـ ٢٩)

١ـ المنافع التي تعود على حجاج بيت الله الحرام :

فقوله تعالى : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ : أي

---

(٢) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري .
(٣) رواه الترمذي في سننه .
(٤) رواه البخاري .
(٥) رواه أبو داود والنسائي وأحمد .



ليحضروا منافع لهم مختصة بهذه العبادة من أمور الدنيا والدين ، وإن من أهم المنافع التى قصدها الشارع الحكيم بالحج إلى بيت الله الحرام أن اجتماع الحجيج بمكة حول البيت ، ووقوفهم جميعا بعرفة يعتبر اجتماعا عالميا ، ومؤتمراً دوليا لوضع أسس السعادة والرقى والحضارة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فيلتقون على المودة ، وتربط بين قلوبهم أواصر المحبة على اختلاف الديار ، وتباعد الأقطار ، وإن اجتماعا على هذا المستوى تغمره روح الصفاء والمودة كفيل بأن يجمع الكلمة على وحدة الهدف فى مؤتمر سنوى عام يتدارس فيه المسلمون شئونهم ، ويتداولون فيما بينهم من شئون الحياة ، ومشاكل الاقتصاد والسياسة ، فكم من عالم يلتقى بعالم ، وكم من زعيم يلتقى بزعيم ، وكم من مصلح يلتقى بمصلح ، شعارهم أخوة الإسلام ، وكلمتهم كلمة الإخلاص والإيمان ، فهل يصعب على أمثال هؤلاء المتحابين فى الله وهم ضيوف الرحمن فى رحاب بيته أن يتعاونوا على البر والتقوى ، وأن يبذلوا قصارى جهودهم ، بوضع الخطط الملائمة لحل مشاكلهم ، وأن يعملوا تحت راية القرآن ، لتأييد السلام ، ونشر العدالة بين الأنام ، كما كان آباؤهم السالفون يعملون ، أعزاء بدينهم وعقيدتهم ، متحابين متشاورين ، وأمرهم شورى بينهم ، فمكن الله لهم فى الأرض ، وجعلهم سادة قادة وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين .

نعم إن الحج هو المؤتمر الأكبر الذى يضم شتات المسلمين ، من كل فج عميق ، يجتمعون فى أيام معلومات يطلبون الهداية من الله ، ويطهرون أنفسهم من أدران المادة ، ومتع الحياة ، ويستلهمون معانى العزة والقوة ، يشهدون منافع لهم دون غيرهم ، منافع عامة ليست خاصة ، منافع كثيرة تعود عليهم بخيرى الدنيا والآخرة ، حقا والله إنها منافع ، لا يقدرها حق قدرها ، ولا يعرف كنهها إلا الله تعالى والراسخون فى العلم .. ومن المنافع الشخصية : التواضع ، ونكران الذات ، وعدم الاغترار بالمظاهر ، وفيه إلى جانب ذلك : ثقافة واطلاع وفكر واعتبار ، فضلا عن المنافع التجارية .

قال تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

(البقرة : ١٩٨)

وذكر الله على البهائم يكون عند ذبحها قربانا لله تعالى .

قال جل شأنه :

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(الحج : ٣٦) .

وقت فرضيته :

اختلف فى وقت فرضية الحج فقيل : سنة ست من الهجرة ، لأنه نزل فيها قول الله تعالى :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

(البقرة : ١٩٦)

وقيل : سنة تسع .

وهل هو واجب بالنسبة للقادر المستطيع على الفور أو على التراخي ؟ قال أبو حنيفة وأحمد وأبو يوسف وبعض أصحاب الشافعي والمزني هو على الفور لما روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «من أراد الحج فليتعجل ، فإنه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة وتكون الحاجة»[1] .

وقال الشافعي والثوري والأوزاعي وبعض المالكية ومحمد بن الحسن : أنه على التراخي ، فيؤدى في أي وقت من العمر ، ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره ، متى أداه قبل مماته ، وإن كان يستحب تعجيله والمبادرة إليه ، متى استطاع الإنسان أداءه عملا بقول الله تعالى :

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

(البقرة : ١٤٨) .

فقد ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : لم يحج سوى حجة واحدة هي حجة الوداع ، وذلك في السنة العاشرة من الهجرة ، وكان معه أزواجه أمهات المؤمنين وكثير من أصحابه ، مع أن إيجابه كان سنة ست أو تسع من الهجرة ، ولإجماع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج إذا أخره عاما أو أكثر ، وأنه إذا حج بعد مضي عدة أعوام من حين استطاعته فقد أدى الحج الواجب عليه في وقته ، اللهم إلا أن ينتهي إلى حال يظن فواته لو أخره عنها ، فحينئذ يجب عليه التعجيل بأدائه .

الإحرام وأنواعه :

من أراد الإحرام يكون مخيرا بين أحد الأنواع الثلاثة وهي :

(١) الإفراد (٢) القران (٣) التمتع :

الإفراد : هو أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج ويقول في التلبية : لبيك اللهم بحج ، اللهم يسره لي وتقبله مني ، ويبقى على إحرامه حتى تنتهي أعمال الحج .. ثم يعتمر بعد ذلك إن شاء ، ولا يجب عليه هدى .

والقران : هو أن يحرم من عند الميقات بالحج والعمرة معا ، ويقول عند التلبية : لبيك اللهم بحج وعمرة ، اللهم تقبلها مني ويسرهما لي ، وهذا يقتضي بقاءه على صفة الإحرام إلى أن يفرغ من أعمال الحج والعمرة .

والتمتع : هو أن يحرم من الميقات بالعمرة وحدها ، ويقول عند التلبية : لبيك اللهم بعمرة ، وهذا يقتضي البقاء على صفة الإحرام ، حتى يصل مكة ، فيطوف حول الكعبة ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ثم يحلق شعره أو يقصر ويتحلل ، فيخلع ثياب الإحرام ؛ ويلبس ثيابه المعتادة إلى أن يجيء يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة ، فيحرم من مكة بالحج ، ويمضي في أداء مناسكه ، وعلى القارن والمتمتع هدى وأقله شاة ..

(١) أخرجه أحمد والبيهقي والأصبهاني .

الطواف حول الكعبة وأنواعه وشروطه :

أنواع الطواف أربعة :

الأول : طواف القدوم .

الثانى : طواف التطوع .

الثالث : طواف الإفاضة .. وهو ركن من أركان الحج ، وأن الحاج إن لم يفعله بطل حجه .

قال الله تعالى :

﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

(الحج : ٢٩) .

والرابع : طواف الوداع ، وسمى بهذا الاسم ، لأنه لتوديع البيت ، ويطلق عليه طواف الصدر ، لأنه يكون عند صدور الناس من مكة .

عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال : « آخر النسك الطواف بالبيت »[١] . وهو غير مطلوب من المكى والحائض ، ولا يلزم بتركه شىء .

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : « رُخِّص للحائض أن تنفر إذا حاضت » .. واختلف الفقهاء فى حكمه فقال مالك : إنه سنة ، ولا يجب بتركه شىء .. وهو قول الشافعى .. وقالت الأحناف والحنابلة ، ورواية عن الشافعى : إنه واجب ، ويلزم بتركه شاة .

ويشترط للطواف عدة شروط :

الأول : الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر ، والنظافة من النجاسة ، لما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « الطواف صلاة ، إلا أن الله تعالى : أحل فيه الكلام ، فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير[٢] ..

الثانى : ستر العورة . عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان »[٣] .

الثالث : أن يكون سبعة أشواط ..

الرابع : أن يبدأ الطواف من الحجر الأسود وينتهى إليه .

الخامس : أن يكون البيت عن يسار الطائف .

السادس : أن يكون الطواف خارج البيت ، فلو طاف فى الحجر لا يصح طوافه ، فإن الحجر والشاذروان من البيت (الشاذروان : البناء الملاصق لأساس الكعبة الذى توضع به حلق الكسوة) .

السابع : موالاة السعى عند مالك وأحمد ، وذهب الحنفية والشافعية إلى أن الموالاة سنة .

الحكمة من تقبيل الحجر الأسود :

أن الحجر الأسود شعيرة من شعائر الحج ، حيث يُبْتَدَىءُ الطواف من محاذاته ، وهو أشبه ما يكون بسجل الزيارات الذى يكون فى قصور الملوك والعظماء ؛ لكى يدون فيه الزوار أسماءهم ، وبالتالى فإن تقبيله أو استلامه يعتبر من

---

(١) رواه الإمام مالك فى الموطأ ..

(٢) رواه الترمذى والدارقطنى والحاكم وابن خزيمة .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

العوامل النفسية التي تقوى ربطه بربه كعهد مع الله ـ عز وجل ـ أن يطيعه ولا يعصيه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إن الحجر الأسود يمين الله يصافح بها خلقه »[1] .

وهذا بطبيعة الحال على سبيل المجاز ، وإذا كان في بعض شعائر الحج ما تخفى حكمته ، وإن العبودية الخالصة لله تعالى تقتضي الثقة بحكمته .

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال وهو يلبي : « لبيك بحجة حقا ، تعبداً ورقاً »[2] . . ويوضحه ما روى عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : « وهو يقبل الحجر : والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أن رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقبلك ماقبلتك[3] .

محظورات الإحرام :

يحرم على المحرم بالحج أو بالعمرة أو بهما معا عدة أمور :

١ ـ الجماع ودواعيه : كالتقبيل واللمس بشهوة . .

٢ ـ اقتراف المعاصي وارتكاب المنهيات التي تخرج الإنسان عن طاعة الله .

٣ ـ المخاصمة والشحناء والجدال مع الزملاء .

٤ ـ لبس المخيط كالقميص والقفطان .

٥ ـ لبس المحيط : كالعمامة والطربوش .

٦ ـ عقد النكاح لنفسه أو لغيره .

٧ ـ تقليم الأظافر .

٨ ـ إزالة الشعر بالحلق أو التقصير .

٩ ـ التطيب في الثوب أو في البدن .

١٠ ـ التعرض لصيد البر . .

١١ ـ لبس ثوب مصبوغ له رائحة طيبة . . إلا أن يغسل بحيث لا تظهر له رائحة . . ومن كان له عذر واحتاج إلى ارتكاب محظور من محظورات الإحرام غير الجماع كحلق الشعر ، أو لبس المخيط ، اتقاء لحرٍّ أو بردٍ شديدين أو نحو ذلك لزمه أن يذبح شاة ، أو يطعم ستة مساكين كل مسكين أكلتين مشبعتين من الأكل الوسط .

ولا يبطل الحج أو العمرة بارتكاب شيء من المحظورات سوى الجماع ويمضي في فاسده ، وعليه القضاء من قابل .

المباحات بالنسبة للمحرم :

يباح للمحرم أن يباشر عدة أشياء دون أن يكون لها تأثير على إحرامه :

(١) الاغتسال . .

(٢) استعمال الصابون ونحوه من كل مايزيل الأوساخ .

---

(١) رواه أحمد وابن خزيمة .
(٢) رواه البزار والدارقطني
(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٣) نقض الشعر وامتشاطه بحيث لا ينتف شعرا ، ولكن يكره الامتشاط إلا لعذر .

(٤) حمل متاعه على رأسه ، إذا كانت هناك ضرورة تستدعى ذلك .

(٥) لبس الخفين للمرأة دون الرجل .
(٦) نزع الضرس وفقء الدمامل .
(٧) حكُّ الرأس والجلد .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها سئلت عن المحرم يحك جسده؟ قالت : نعم ، فليحكه وليشدُد »[1] .

(٨) النظر فى المرآة وشم الريحان .
عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « المحرم يشم الريحان ، وينظر فى المرآة ، ويتداوى بأكل الزيت والسمن »[2] .

(٩) الســـواك .
(١٠) الاكتحال ، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « يكتحل المحرم بأى كحل إذا رمد ما لم يكتحل بطيب ومن غير رمد » .

(١١) شدُّ الهميان فى وسط المحرم ليحفظ فيه نقوده ، ونقود غيره .

(١٢) تظلل المحرم بمظلة أو خيمة أو سقف ونحو ذلك .

(١٣) قتل الذباب والقراد والنمل ، فعن عطاء ـ رضى الله عنه ـ : « أن رجلا سأله عن القرادة والنملة تدب عليه وهو محرم ؟ فقال : ألق عنك ما ليس منك » .

(١٤) قتل الفواسق الخمس وكل ما يؤذى ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « خمس من الدواب كلهن فواسق يُقتَلْن فى الحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور »[3] ، وفى رواية بزيادة « والحية » ويستثنى غراب الزرع ، وهو الغراب الصغير الذى يأكل الحب . .

(١٥) أن يدفع عن نفسه مايؤذيه من الآدميين والبهائم وغيرها جهد استطاعته .

العمرة : شروطها ، وأركانها ، وحكمها ..

العمرة : هى زيارة البيت الحرام للنسك .

شروطها : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والاستطاعة .

أركانها : الإحرام ، والطواف ، والسعى بين الصفا والمروة ، والحلق أو التقصير ، زاد الشافعية : والترتيب بين هذه الأركان .

حكمها : اختلف الفقهاء فى حكمها ، فذهب أحمد والشافعى فى أحد قوليه : إلى أنها فرض عين على القادر المستطيع ، لقول الله تعالى :

---

(١) رواه البخارى ..
(٢) رواه البخارى ..
(٣) رواه مسلم والبخارى ..

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

(البقرة : ١٩٦)

وقد عطفت على الحج وهو فرض ، فهي فرض كذلك ، وبما روى عن معمر عن قتادة أنه كان يحدث أنه لما نزلت :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران : ٩٧)

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : باثنتين حجة وعمرة ، فمن قضاهما فقد قضى الفريضة »[1] .

وعن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « الحج والعمرة فريضتان : لا يضرك بأيها بدأت » .

وذهب الحنفية والمالكية إلى أنها سنة مؤكدة في العمر مرة واحدة لما روى عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : « سأل رجل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العمرة أواجبة هي ؟ قال : لا ، ولأن تعتمر خير لك » .

وماروى عن أبي صالح الحنفي ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحج واجب ، والعمرة تطوع »[2] . .

وأما قول الله تعالى :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

(البقرة : ١٩٦)

فهو أمر للإتمام بعد الشروع ، والعبادة متى شرع فيها ينبغي إتمامها ولو كانت نفلا ، فلا يدل على الفريضة وهو الراجح . .

وفي فضل كل من الحج والعمرة ماروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت (أي يقصده) من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رَدَّه : رَدَّه بأجر وغنيمة »[3] .

وعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[4] . . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق . .
(٢) رواه ابن ماجه في سننه
(٣) رواه ابن جريج بإسناد حسن
(٤) رواه الإمام مالك والبخاري ومسلم وابن ماجه .



وبعد ظهور الدعوة إليه

للمستشار : محمد عزت الطهطاوى

تعارف الناس فى عصورهم الأولى على ما يشير إلى الحج ، ولم يكن يعنى فى نظرهم سوى زيارة أمكنة مخصوصة تقربا إلى إلههم المعبود ، وقد اتخذها الشعوب والقبائل رمزا لإجلال معبوداتها وتقديسها .

كما كانت تتخذ فى حجها من الصور والأعمال ما تصور به تخيلها لعظمة معبودها ، وقد استمر الحال على ذلك دون أن ينزل وحى من السماء بهذا النوع من العبادة لا فى أصله ولا فى تنظيمه فترة من الزمان على هذه الأرض .

إبراهيم ـ عليه السلام ـ أول نبى أمره الله بدعوة الناس للحج

لما هيأ الله الأمر لنبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بتقرير فريضة الحج كلفه ببناء الكعبة ورفع القواعد من بيته الحرام بمكة المكرمة فقام بما كلف به واستعان فى ذلك بمساعدة ولده إسماعيل ـ عليه السلام ـ ثم أمره الله بدعوة الناس إلى القيام بحج هذا البيت فأذن هناك بالحج ، ومن هذا الوقت وجد الحج فى رسالات السماء وبذلك كانت الكعبة المشرفة هى أول بيت وضع للناس فى الأرض لعبادة الله وحده .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج ٢٦ ، ٢٧)

وقال ـ جل وعلا ـ :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا

﴿ وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾

(آل عمران ٩٦ ، ٩٧)

كيف كان الحج فى الجاهلية ؟

ومنذ عهد إبراهيم ـ عليه السلام نشأ العرب على تعظيم البيت الحرام وحجه وعبادة الله فيه وخصوصا أنه ترك فيهم ولده إسماعيل ـ عليه السلام ـ فكانت من ذريته قبيلة قريش يقومون بخدمة البيت العتيق ، فهم سدنة البيت وحماته والقائمون على أمره وخدمة زواره من الحجيج .

لكن بامتداد الزمان وتطاول القرون ضعفت فى العرب روح المحافظة على العهد الربانى ونسوا تعاليم التوحيد الخالص فأشركوا بالله الأصنام ورفعوا تلك الأوثان على ظهر البيت الحرام وضربوا حوله نطاقا منها وتوجهوا إليها واستعانوا بها واتخذوها شفعاء عند الله وذبحوا لها وبذلك بعدوا عن الإبراهيمية الحنيفية السمحة .

كما أحدثوا فى كيفية الحج ومظاهره تقاليد غريبة لا تتفق مع استقامة العقيدة ولا تنسجم مع الفطر السليمة ، فطاف بعض الناس بالبيت الحرام عرايا ، وترفع فريق منهم عن الوقوف مع الناس بجبل عرفة والإفاضة منه ولو كانوا فى موقف العبادة لله الذى يستوى أمام سلطانه وقهره جميع الناس اعتقادا منهم أنهم فوق الناس فلا ينبغى أن ينزلوا إلى مستواهم[1] .

محاولة خبيثة لصرف الناس عن بيت الله الحرام

يروى أن أبرهة الأشرم وكان حاكما على اليمن من قبل نجاشى الحبشة التى كانت تحتل تلك البلاد . بنى كنيسة هائلة بصنعاء عالية البناء مزخرفة الأرجاء سمتها العرب (القليس) لارتفاعها لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها ، وعزم أبرهة على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك فى مملكته لكن العرب لم يستجيبوا له وقصدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها فأحدث فيها وكر راجعا فلما رأى سدنة الكنيسة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له : إنما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذى ضاهيت هذا به !

فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجرا حجرا فسار إليها فى جيش كثيف ، واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة ، فلما انتهى إلى المغمس وهو مكان قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وكان



(١) كتاب من توجيهات الإسلام تأليف الأستاذ الإمام محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق

فيها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم سيد قريش وقتئذ ، ثم بعث أبرهة رجلا يقال له حناطة الحميدى إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف رجل من قريش بعد أن يخبره بأن الملك لم يجىء لقتالهم إلا إذا صدوه عن البيت الحرام .

فلما وصل حناطة دلوه على عبد المطلب بن هاشم ، فبلغه ما قاله له أبرهة فرد عليه عبد المطلب بقوله والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه فو الله ما عندنا دفع عنه ، ثم ذهب به حناطة إلى أبرهة فلما رآه أجله ، وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسن المنظر ثم سأله أبرهة عن طريق ترجمانه ما حاجته فرد عليه عبد المطلب بقوله : (إن حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى) . فقال أبرهة : (لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى عن مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ؟) . فقال له عبد المطلب : (إنى أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه) قال أبرهة : ما كان ليمتنع منى . فرد عليه عبد المطلب بقوله أنت وذاك)[2] .

ولما رجع عبد المطلب إلى قريش أمرهم بالخروج من مكة والتحصن فى رءوس الجبال ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه ويقول فيما يروى من الشعر عنه :

لاهم[3] إن المرء يمنع ... رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب ... وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم أبدا محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا ... فأمر ما بدا لك

فلما أصبح أبرهة وهيأ جيشه لدخول مكة وجهوا الفيل إليها لكنه برك وضربوه ليقوم فأبى ، ولما وجهوه راجعا إلى اليمن قام يهرول وكذلك الحال عندما وجهوه إلى الشام ، ولما أعادوا فى توجيهه إلى مكة مرة أخرى برك ، وعندئذ أرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لا يصيب أحداً منهم إلا هلك فخرج أفراد الجيش هاربين يبتدرون الطريق والطيور بأحجارها فى أثرهم حتى أهلكتهم ، وأصيب أبرهة منها فى جسده وخرج فارا مع الفارين تساقط أنامله حتى وصل صنعاء فمات فيها[4] .

هذا الحادث سجله القرآن الكريم فى قول الله تعالى :

---

(٢) المجلد الثالث من مختصر ، تفسير ابن كثير ، للقرآن الكريم ، تفسير سورة الفيل اختصار وتحقيق الأستاذ محمد على الصابونى أستاذ التفسير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز .

(٣) الأصل : اللهم وحذفت الألف واللام تخفيفا لضرورة الشعر . جاء ذلك فى كتاب السيرة النبوية فى القرآن الكريم للدكتور عبد الصبور مرزوق .

(٤) المجلد الثالث من مختصر تفسير ابن كثير المرجع السابق .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾

(الفيل)

اليهود كانوا يوقرون الكعبة قبل ظهور الإسلام

جاء فى كتاب محمد واليهود والذى تنشره الهيئة المصرية العامة للكتاب أن اليهود قبل الإسلام كانوا يوقرون الكعبة ، وأنهم كانوا يخلعون نعالهم حين يصلون إلى حدود الحرم(*) .

الرسالة المحمدية تجدد دعوة إبراهيم - عليه السلام.

لما نادى رسول الله محمد - ﷺ - بعقيدة التوحيد كان فى الحقيقة مجدداً لملة إبراهيم - عليه السلام - وموقظا لدعوة الحق فى الألوهية وهى دعوة التوحيد النقية الصافية والمساواة بين الناس قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام ١٦١ ، ١٦٣)

وقال - جل وعلا - :

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

(آخر سورة الحج)

كيف طهر الإسلام مناسك الحج مما علق بها من تقاليد الجاهلية ؟

لما قضى الله للمسلمين بالرجوع إلى مكة المكرمة واستخلاصها من حوزة المشركين هيأ لهم وسائل فتحها وكان ذلك فى السنة الثامنة للهجرة ، فدخلوا المسجد الحرام وأعلنوا فيه كلمة التوحيد وطهروه من الأصنام والأزلام حتى يكون معداً لتغطية فريضة الحج وهى الركن الخامس من أركان الإسلام بعد ركن التوحيد وركن الصلاة وركن الزكاة وركن صيام شهر رمضان . وفى

(*) كتاب « محمد واليهود » نظرة جديدة تأليف دكتور بركات أحمد ترجمة محمود على مراد .

السنة التاسعة للهجرة أمّر النبى - ﷺ - أبا بكر الصديق على جماعة المسلمين لأول مرة يخرجون فيها بصفة جماعية لأداء فريضة الحج ، فخرج بهم الصديق قاصدا مكة ولم يمض على ذلك سوى قليل من الزمن إذ نزل الوحى الأعلى بسورة التوبة وقد تضمنت فى أوائلها أربعة أحكام :

أولا : لا يدخل الجنة كافر .
ثانيا : لا يحج بعد هذا العام مشرك .
ثالثا : لا يطوف أحد بالبيت عريانا .
رابعا : من كان له عند رسول الله - ﷺ - عهد فهو إلى مدته ، فأرسل النبى - ﷺ - ابن عمه على بن أبى طالب لتبليغ هذه الأحكام وإعلانها على الناس يوم الحج الأكبر[٦] .

خروج النبى - ﷺ - إلى الحج فى السنة العاشرة من الهجرة

لما حل موسم الحج من العام العاشر للهجرة كان المسجد الحرام قد تخلص نهائيا من شوائب الشرك وأرجاسه فتجهز رسول الله - ﷺ - لأداء فريضة الحج ، وهى حجة الإسلام الأولى فى حياته ، وقد شاء الله أن تكون الأخيرة أيضا ، ومن أجل ذلك سميت حجة الوداع ، وقد سرت الأنباء بعزمه - ﷺ - على الحج فى أنحاء الجزيرة العربية ، فتجمعت فى تلك الحجة القبائل العربية من كل حدب وصوب حتى لقد بلغت عدة المسلمين فيها مائة ألف أو يزيدون جاءوا يتسابقون ركضا لينالوا شرف الحج معه وليروا عن كثب مناسك الحج كما يؤديها الرائد الأكبر صلوات الله وسلامه عليه .

وهناك على جبل عرفات وقف وألقى على المسلمين خطبته الجامعة التى بين فيها أصول الدين وفروعه ومبادئه وآدابه[٧] .

بعض ما جاء فى تلك الخطبة النبوية الجامعة

قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله - ﷺ - على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم وخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أولا : (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها) .

ثانيا : (كل ربا موضوع ، لكن لكم رءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون ، قضى الله أنه لا ربا وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله) .

---

(٦) كتاب « من توجيهات الإسلام » المرجع السابق .
(٧) كتاب « سيرة الرسول » للدكتور محمد الطيب النجار .

ثالثا : (كل دم فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتله هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية) .

رابعا : (إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم) .

خامسا : (إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) .

سادسا : (إن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة) .

سابعا : (استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان[٨] ، لا يملكون لأنفسهن شيئا وإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله) .

ثامنا : (تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينًا ، كتاب الله وسنة نبيه) .

تاسعا : (كل مسلم أخ للمسلم ، وإن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم) .

عاشرا : (إن الله أدى إلى كل ذى حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث) .

حادى عشر : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) .

ثانى عشر : (من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) .

ثالث عشر : (إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟) (اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

ثم قضى رسول الله ـ ﷺ ـ الحج وقد أرى الناس مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل الله لهم من حجهم وما حرم عليهم .

ولذلك كانت حجة الوداع حجة البلاغ أيضا[٩] .

---

(٨) عوان تعنى أسيرات .

(٩) كتاب « السيرة النبوية » لابن هشام أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هـ الجزء الرابع .
وكتاب سيرة الرسول للأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق .



للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى

ما يكاد رمضان تودع أيامه ولياليه المسلمين ، ويقبل العيد تعبيرا عن الفرحة بتوفيق الله لعباده المؤمنين أن قاموا بواجباتهم خلال أيام الشهر الكريم ولياليه ، حتى يستبد الشوق والحنين بقلوب الملايين من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تطلعا إلى زيارة البيت الحرام ، وتلهفا إلى لقائه ، وحط عصا الترحال فى رحابه ، يروون غلة الشوق إلى البيت المعظم ، الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، ويستشعرون الطمأنينة والأمان فى تلك الرحاب التى شرفها الله . بخطوات أبى الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - ونشأة خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - وكفاحه وتضحياته فى تلك البقاع المقدسة ، وجوار الكعبة المشرفة ، التى رفع أبو الأنبياء وابنه إسماعيل قواعدها ، ودعوا الله أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة ، وأن يبعث فيها رسولا ، وأن يجعل قلوب الناس تهفو إلى تلك البقاع الكريمة على الله سبحانه كما سجل كل ذلك القرآن الكريم فى سورتى البقرة وإبراهيم حيث يقول فى سورة البقرة :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١)

(١) سورة البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

وفى سورة إبراهيم حيث يقول أبو الأنبياء داعيا ربه أن يجعل البلد آمنا ويرزق أهله من الثمرات ، ويجعل الأفئدة تهفو إلى تلك البقاع المطهرة :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٢)

وليس عجيبا أن يشتد الشوق إلى البيت الحرام فى قلوب المؤمنين كلما بدأت أشهر الحج ، لأن فى ذلك استجابة لدعاء أبى الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، فهذا الشوق ، وذلك الحنين الذى يعتلج فى قلوب الملايين كلما أقبلت أشهر الحج رجاء أن يكتب الله لهم زيارة بيته المحرم ، وحط الرحال فى جنباته ، الذين نرى آثارهم فى الحركة الدائبة ، التى تسوق أصحاب هذه القلوب إلى أم القرى ، إنما هو ترجمة واقعية عن تحقيق الله سبحانه لدعوة أبى الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ .

ومعلوم أن القلوب تتطلع إلى الأماكن ذات الحدائق والمروج والأشجار والثمار والنسمات العليلة المنعشة . تنشد الراحة وتهفو إلى جمال الطبيعة ، وترى فيها آثار قدرة الله فى الزرع والضرع والماء والنعمة والرخاء ؛ ولكن أن تهفو القلوب إلى مكان لا زرع فيه ولا ماء ولا حدائق ولا أفياء فهذه هى المعجزة الإلهية الكبرى والدليل العملى على أن القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء .

ولا شك أن المسلم حينما يسعد بالتواجد فى هذا الجو المعبق بروائح النبوات ، وإرث الأنبياء يجد من معانى السمو الروحى ، والصفاء النفسى ما يجعله يشعر أنه قد انطلق إلى عالم آخر غير الذى كان يتقلب فيه ، فى ذلك العالم الجديد يحس بأن آفاق السماء تفتح له أبوابها ، وأن رحمة الله منه قريب ، وأنه قد ألقى بأثقال الحياة جانبا ، فيشرق النور فى قلبه ، ويسبح بمشاعره وأحاسيسه فى جو من الصفاء والنقاء والضياء والشفافية لا يدرك آثارها الطيبة إلا من عاش تلك التجربة ، ومنحه الله القبول .

وتشرف الأمور بمقاصدها ، وسمو أهدافها ، وكل عمل أو سعى أو قول يعود على الأفراد والجماعات بالنفع والرخاء ، والسمو الخلقى ، والصفاء النفسى يكتسب عند الأمم والشعوب احتراما وتقديرا ومكانة عليا ، وتزداد قيمة هذه النتائج الطيبة حينما ترتبط بمعنى دينى وتكون استجابة لأمر إلهى ، يرق بالإنسانية ومشاعرها وأحاسيسها ، إلى درجة تجعل الفرد يستشعر حقوق الآخرين عليه فرضا لازما لايمكن الفكاك منه ، وواجباته نحو الجماعة أمرا يجرى فى ضمائر الأفراد مجرى الدم فى العروق ، ويمتزج بها امتزاج الأجسام بالأرواح ، عند ذلك تهون التضحية ، وتعلو قيمة الإيثار ، ومصلحة الجماعة ، وتتوارى نزعات النفس وأهواؤها ، ليحل محلها الحق والواجب ، ومسئولية كل فرد نحو من يخالطهم ويعيش معهم ، فلا ترى فى الحياة إلا المعنى الجميل ، والمسعى النبيل ، ومكارم الأخلاق والحج وسيلة لتعويد اللسان على العفة والتزام

(٢) سورة إبراهيم : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

الاستقامة فى السلوك ، وأخذ النفس بمعالى الأمور ، والترفع عن سفسافها ، والتمرين على الصبر على الشدائد ، وتحمل المشاق ، وتطهير القلب من شهوات الدنيا ومغرياتها ، رغبة فى القرب من الله والتعرض لرضوانه ، لأنه - جل وعلا يقول - :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٣)

والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »(٤) .

وقد أتاح الله هذه الفريضة كل عام لتهىء للمسلم تلك الفرصة التى يعود فيها لسانه على العفة ، وخلقه على السمو ، وقلبه على الصفاء والنقاء حتى يصير ذلك له سجية وطبيعة ، فتعتاد النفس الإنسانية على هذا النمط العالى من السلوك الإنسانى ، الذى ترقى به الأمم ، وتأخذ المجتمعات بأسباب التقدم ومعالى الأمور حتى تنال رضى الله ومحبته ؛ لأن الله سبحانه يحب معالى الأمور ويكره سفسافها .

والحاج الذى يعد نفسه لهذه الرحلة المقدسة مضحيا بالجهد والوقت والراحة والأنس بالأهل والأولاد ، مستهينا بالمتاعب والمصاعب والمشقات ، التى لم يألفها من قبل إنما يفعل ذلك راجيا ماعند الله من ثواب جزيل ، وعيش رخى فى الدنيا والآخرة ، وحينما يقدم الإنسان على التضحية بالمال والراحة والوقت فى سبيل استجلاب رضى الله - عز وجل - ، إنما يعود نفسه على خصال الخير ، ويروضها على استعمال المال فيما يعود نفعه عليه وعلى إخوانه المسلمين ؛ لأن هذه الرحلة التى يقصد بها وجه الله تقوى فى نفسه الإحساس بالأخوة ، والشعور بالوحدة ، والانتماء إلى الجماعة ، وارتباط مصيره بمصيرهم ، فإن تعرض لموقف يحتاج إلى البذل قدم ما فى يديه راضيا مطمئنا ، وإن شارك مجموعة فى سفر أو إقامة نما فى وجدانه الإحساس بالمصير المشترك ، والانتماء إلى الجماعة ، فيقدم العون لمن يحتاجه ، ويسارع بالمساعدة لمن يقع فى شدة ، ويعلم أن ما بيده غير دائم . وإنما يدوم أثره الطيب وذكره الحسن حينما ينفقه فى مرضاة الله ، ومصالح عباده ، فإن ما عند الله لا ينفد :

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥)

وخير الناس أنفعهم للناس .

وإذا ما عاد الحاج من رحلة الحج ، وقد اكتسب طهارة القلب ، وعفة اللسان ، وصيانة الجوارح عن الوقوع فيما يغضب الله سبحانه ، واستقامة السلوك ، وسمو الأخلاق والتزود بالتقوى ، والقرب من الله سبحانه ، إذا ما عاد بهذه الحصيلة الوفيرة من القيم والأخلاق ، ومراقبة الله فى السر والعلن فقد عاد بالخير الكثير ، والنعمة السابغة ويكون ممن ظفروا بالحج المبرور الذى ثوابه الجنة .

والحج المبرور هو الذى لم يخالطه إثم ، ولم تشب نفقاته شائبة .

---

(٣) سورة البقرة : ١٩٧ .
(٤) رواه أحمد والبخارى والنسائى وابن ماجه .
(٥) النحل : ٩٦ .



للأستاذ الدكتور :
محمد عبد المنعم خفاجى

-١-

الجن والإنس عباد الله :

الأولون خلق لا نراهم ، والإيمان بوجودهم من أمور الغيب التى أمرنا بالإيمان بها .

والآخرون : نحن منهم وهم منا ، وهم جميعا آدم - عليه السلام - وذريته إلى يوم القيامة .

الأولون : أول من خلقه الله تعالى منهم إبليس .

والآخرون : هم من خلقهم الله تعالى ، ومنهم آدم - عليه السلام - .

والفريقان الجن والإنس عاشا معا فى جنات الأرض .

ويذكر القرآن الكريم قصة خلق ادم وأمر الله - عز وجل - للملائكة والجن بالسجود لآدم فسجدوا جميعا إلا إبليس أبى واستكبر وعاند وعصى أمر الله ، وصار يهذى بقياس فاسد

﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝ ﴾

(الأعراف : ١٢) .

فطرده الله من الجنة والنعيم الذى كان فيه ، وبقى آدم فى جنة الله فى أرضه ، ومعه زوجته حواء التى خلقها الله بعد أن خلق آدم ، ليسكن آدم إليها وتسكن إليه ، وتعمر بهما الأرض والحياة ، وجاء أمر الله لآدم وحواء بألا يأكلا من شجرة حرمها الله عليهما ، فجاءهما الشيطان وهو إبليس

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ﴾

(البقرة : ٣٤) .

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ (طه : ١٢٠) .

يوسوس لهما بالأكل منها ، ويحتج لهما بقياس فاسد أيضاً

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾

(الأعراف : ٢٠)

فأكلا منها ، فعاقبهما الله ـ عز وجل ـ على ما اقترفا من ذنب ، بدت لهما سوآتهما ـ أى عوراتهما ـ وطفقا يخصفان ـ أى يضعان عليهما من ورق الجنة ، ورأى آدم عاقبة ذنبه فتاب إلى الله ، وقبل الله توبته ، وأخرجه وحواء من الجنة والنعيم الذى كانا فيه ، حيث يشقيان ويعملان ويكدحان فى الأرض من أجل الحياة .

هذه القصة ذكرت فى كتاب الله ـ عز وجل ـ ست مرات :

- فى البقرة من آية ٣٠ حتى آية ٣٩ .
- وفى الأعراف من آية ١١ حتى آية ٢٥ .
- وفى الحجر من آية ٢٦ حتى آية ٤٤ .
- وفى الإسراء من آية ٦١ حتى آية ٦٥ .
- وفى طه من آية ١١٥ حتى آية ١٢٦ .
- وفى ص من آية ٧٧ حتى آية ٨٨ .

كما ذكر الله ـ عز وجل ـ فى كتابه الحكيم آدم ٢٥ مرة وذكر إبليس إحدى عشرة مرة ، وذكر الشيطان سبعين مرة ، والشياطين ثمانى عشرة مرة ، وذكر الجن اثنين وعشرين مرة .

يقول الحسن البصرى : إن إبليس لم يكن من الملائكة .

ويقول شهر بن حوشب : كان من الجن .

وحين خلق الله ـ عز وجل ـ آدم ونفخ فيه الروح .

قال تعالى للملائكة(1) اسجدوا لآدم تكريما لخلق الله ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾

(الحجر: ٢٨ ـ ٣٣) .

وقال ـ عز وجل ـ :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

(الأعراف : ١٢) .

وقد خلق الله حواء ، وعرف آدم أن الله ـ عز وجل ـ خلقها من أجله ، لعمارة الكون .

وحول تحديد تاريخ ظهور آدم وحواء يرى الدكتور عبدالهادى مصباح فى كتابه : [آدم وحواء فى الجنة إلى أفريقيا] إن آدم بعد أن أخرجه الله من الجنة قد مضى إلى أفريقيا ، وأن الأبحاث أثبتت أن البشر جميعا من امرأة واحدة هى حواء ، نشأت فى أفريقيا منذ ما يقرب من ١٥٠ إلى ٢٠٠

(1) أى للملائكة الذين شهدوا معجزة خلق الله لهم من تراب . لا جميع ملائكة الله وإن كان البعض يذهب إلى أنهم جميع الملائكة .

ألف عام ، ومنها ظهرت شجرة العائلة البشرية إلى يومنا هذا .

وفى بعض المصادر أن إبراهيم الخليل توفى عام ١٨٢٠ ق م ، وأن إسماعيل توفى عام ١٧٧٣ ق م ، وأن كعب بن لؤى الجد السابع لرسول الله ـ ﷺ ـ توفى عام ٥٠ م ، حيث ذكر أبو هلال العسكرى فى كتابه « الأوائل » ـ ص ١٢٢ ـ أن بين عام الفيل وموت كعب بن لؤى ٥٢٠ عاما .

ويضرب الله ـ عز وجل ـ بخلق آدم من تراب المثل ، فيقول ـ عز وجل ـ :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ ﴾

(آل عمران : ٥٩) .

وإبليس بمعصيته لله ـ عز وجل ـ ومخالفته لأمر الخالق الأعلى له ، وامتناعه عن السجود لآدم ، وإصراره على المخالفة ، وتقديمه العقل على الوحى بهذا القياس الفاسد الذى لجأ إليه ، ثم بعدم ندمه على مخالفته للأمر الإلهى ، وتركه إعلان التوبة ، استحق بذلك غضب الله عليه ، فأخرجه من جنته ، وجعله نموذجا للشر وداعية له هو وذريته إلى يوم القيامة .

ولكن آدم أبا البشر حين عصى الله ، واستمع إلى إبليس الذى حبذ إليه تقديم العقل على الوحى ، بادر بالندم وبإعلان التوبة ، فأخرجه الله من جنته لمعصيته التى وقع فيها ، وجعله فى الحياة موضعا للابتلاء والامتحان ، وأنزل إلى ذريته الرسل ، وكتب السماء هادية ومرشدة ، فللمطيع الثواب وللعاصى العقاب ، يوم الحساب الأكبر فى يوم الآخرة العظيم .

ولعظمة معجزة خلق آدم أبى البشر من تراب هو وذريته اختاره الله خليفة ، وقال لملائكته :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾

(البقرة : ٣٠) .

هذا والجنة التى كان فيها آدم قبل المعصية هى جنة فى الأرض ، ويؤيد هذا قول الله ـ عز وجل ـ فى كتابه الحكيم

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ ﴾

(القلم : ١٧) .

أى البستان أو الحديقة .

وفى رأى ابن كثير فى كتابه « قصص الأنبياء » [ص ١٩ ـ دار نهر النيل عام ١٩٨١] : إن الجنة التى أسكنها الله ـ عز وجل ـ آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الأرض من حولها .

والهبوط فى قصة آدم معناه الخروج من النعيم إلى الشقاء والكدح فى الأرض ، وهو كقول الله تعالى لنوح عليه السلام :

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾

(هود : ٤٨) .

ـ ٢ ـ

وفى حياة آدم على الأرض وكدحه فيها ، علمه الله ـ عز وجل ـ الأسماء كلها ، وبدأت اللغة

الأولى للبشرية بإلهام ووحي من الله تعالى ، للتفاهم بها في حياة البشر . وكانت هذه معجزة ثانية جعلها الله لملائكته فضلا لآدم ، وسرا من أسرار اختياره خليفة له في الأرض . يقول الله - عز وجل - :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ ﴾

(البقرة : ٣١ - ٣٣) .

وكان لابد للبشرية - من آدم وذريته - من هدى من السماء ، من الله - عز وجل - فبعث الله تعالى إليهم رسلا مبشرين ومنذرين ، يأمرونهم بالإيمان ، وينهونهم عن الكفر والفسوق والعصيان ، ويحذرونهم من حساب الله وجزائه في الآخرة ، كما بعث إلى الجن من ذرية إبليس كذلك بالرسل مبشرين ومنذرين .

فالجن والإنس يحاسبان يوم القيامة على أعمالها ، ويلقيان الجزاء العادل إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، الجنة لمن قدم الخير وصالح العمل ، والنار لمن قدم الشر وكان من العاصين ، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة .

معصية إبليس بتركه السجود لآدم ، وامتناعه عن الامتثال لأمر السماء ، وأمر الله - عز وجل - ، ثم عدم توبته مما اقترف من معصية ، وبتقديمه العقل على الوحي . . وآدم وإن كان قد عصى الله - عز وجل - ، واستمع إلى إغراء الشيطان ووسوسته بأكله من الشجرة التي نهاه الله - عز وجل - عن الأكل منها وحواء امرأته ، إلا أنه بادر بإعلان الندم وبالتوبة مما اقترف من إثم ومعصية ، وبإعلانه الطاعة والامتثال لأمر الخالق الأعظم .

وهذه الشجرة التي نهاه الله - عز وجل - عن الأكل منها ، هل هي ثمرة من ثمار الدنيا ، أو هي كما أرى كناية عن التمتع بزوجته وقطف ثمار عاطفته نحوها إلا بعد أن يأذن الله له بذلك ويشرعه له .

وهكذا فكما أن من ذرية آدم من امتثل لأمر الله وأطاع وآمن ، ومنهم من عصى ولج في العصيان ، فكذلك من ذرية الشيطان إبليس ، منهم من امتثل وأطاع ، وعمل بما أمر الله ، ومنهم من عصى وكفر بما أنزل الله من كتاب وهدى ونور .

من آمن من الجن والإنس فله في الآخرة النعيم ، ومن كفر فله عذاب جهنم وبئس المصير .

إن الله - عز وجل - قد بعث إلى الإنس رسلا منهم ، كما بعث إلى الجن رسلا منهم ، وهداة يدعونهم إلى الإيمان .

قال تعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ۝ ﴾ (الأنعام : ١٣٠) .

وقال تعالى :

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ ﴾

(الأعراف : ٣٥ : ٣٦)

وقال تعالى على لسان الجن ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ (١) فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝ ﴾

(الجن : ١٣ : ١٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝ ﴾ (طه ١١١ : ١١٢) .

إن الله ـ عز وجل ـ يحاسب فى الآخرة يوم الحساب الأكبر الجن كما يحاسب الإنس ، على ما صنعوا وعملوا فى الدنيا من خير أو شر ، يقول الله ـ عز وجل ـ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا (٢) لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝ ﴾

(الأعراف : ١٧٩) .

ويقول تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۝ ﴾ (الأنعام : ١٣٠) .

ـ ٣ ـ

وهكذا بدأت الحياة ، وهكذا تسير الدنيا ويسير البشر ، ويعيش الجن والإنس فى ملك الله العظيم : الجن لا يراهم بعينه بشر ، والإنس ظاهرون فى الأرض بأمر الله ـ عز وجل ـ .

والجن لهم رسلهم ، والإنس لهم رسلهم وكل من الجن والإنس منهم مؤمنون ومنهم الكافرون والجميع يحاسبون يوم القيامة ، ويلقون جزاء أعمالهم فى الحياة ، فللمؤمنين الجنة ، وللكافرين النار

وهذه من سنة الله فى الأرض ، وخلقه فيها ، وعدله بين الإنس والجن فى الآخرة فى يوم الحساب الأكبر ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، وعلت كلمته ، وعزت قدرته فى الحياة والكون ، وفى الخلق والناس والجن أجمعين .

ويؤخذ من ذلك كله :

١ ـ ضرورة الإيمان والطاعة والامتثال لأمر الله والتصديق بكتبه ورسالاته ، وجزاء ذلك الجنة .

٢ ـ العصيان والتمرد جزاؤهما النار وبئس القرار .

٣ ـ الوحى قبل العقل فلا عمل للعقل فيما جاء به الوحى .

٤ ـ جزاء الله العادل سوف يلقاه كل إنسان أو جان يوم الحساب .

٥ ـ الرسالات والكتب السماوية توجيه إلهى للإنسان والإيمان بها فرض ، وكما جاءت الرسالات لبنى البشر ، جاءت رسالات أخرى لبنى الجن ، وعلم ذلك عند الله .

٦ ـ لا فرق بين الإنس والجن فى التكليف الإلهى ، ووجوب الامتثال التام والإذعان الكامل .

٧ ـ عندما خلق الله الخلق خلق الفريقين : الإنس والجن ، وألزمهما جميعا بالإيمان والامتثال والطاعة ، وأرسل إليهما الرسل ، وأنزل الكتب السماوية توجيها وتحذيرا وإنذارا وإرشادا من الله رب العالمين ، وخالق الخلق أجمعين .

وبالله التوفيق ، وهو أعلم العالمين .

---

(١) المراد الظالمون .

(٢) أى خلقنا .

عالمية الإسلام وعالمية الحرب ضده

لفضيلة الشيخ:
السيد عبد المقصود عسكر

عالمية دين الإسلام الذى بعث به محمد - ﷺ - معلومة من الدين بالضرورة ، يدل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والواقع التاريخى الذى يعد تطبيقا لتعاليم الإسلام .

أما الدليل من كتاب الله - عز وجل - فيتمثل فيما يأتى :

١ - يقول الله تعالى :

﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾

(الأعراف : ١٥٨)

٢ - ويقول الله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

(سبأ : ٢٨)

٣ - ويقول الله - تعالى - :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

(الأنبياء : ١٠٧)

وأما الدليل من السنة فيتمثل فيما يأتى .

١ - عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :

(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد

قبل ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة)[1] .

٢ ـ وعن أبي موسى الأشعري ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

(أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى بعثت إلى الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى وأعطيت الشفاعة وإنه ليس نبى قبلى إلا قد سأل شفاعته وإنى ادخرت شفاعتى ثم جعلتها لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا)[2] .

٣ ـ وعن أبي موسى الأشعري ـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

(والذى نفسى بيده لا يسمع بى رجل من هذه الأمة يهودى أو نصرانى لا يؤمن بى إلا دخل النار[3] .

ومن المعلوم أن الذين دعاهم رسول الله إلى الإيمان به واستجابوا لدعوته منذ البداية كانوا خليطا من العرب والروم والفرس والحبش ، ثم إنه ـ ﷺ ـ بعث بالكتب والرسل إلى الأمراء والملوك فى زمنه يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام ويحذرهم من البقاء على الكفر ، وكان يضمن كتبه هذه العبارة (أسلم تسلم) كما كان يضمن بعض كتبه هذه الآية :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران : ٦٤)

والواقع التاريخى يشهد بأن أمما وأجناسا شتى دخلوا فى الإسلام واستجابوا لدعوته وجاهدوا فى سبيله وتحت رايته ، وإن كثيرين من الفرس الذين كانوا مجوسا دخلوا فى الإسلام وتمسكوا به وعملوا من أجل نصرته ، وكثيرون من الروم الذين كانوا نصارى دخلوا فى الإسلام كذلك ، وكثيرون من الهنود البوذيين دخلوا فى الإسلام وكثيرون من الصينيين والروس وغيرهم دخلوا فى الإسلام بل إن التتار الذين حاربوا الإسلام بشراسة ،منقطعة النظير انتهى الأمر بهم إلى الدخول فى الإسلام وعملوا لنصرته ، ومازال الناس من كل الملل والأجناس يدخلون فى الإسلام حتى هذه الساعة رغم ما عليه حال المسلمين أنفسهم من ضعف وتفرق ، ذلك لأنه سبحانه يريد أن يثبت عمليا ـ وبلا تدخل من البشر ـ عالمية دينه وأنه ينتصر بقوته الذاتية وأنه ينتشر بمبادئه السامية ، وأن وعد الله بإظهار دينه على الدين كله لن يتخلف حيث يقول الله ـ سبحانه ـ :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾

(الفتح : ٢٨)

ومن امارات ذلك أن كثيرين من الذين جاهدوا فى سبيل الله وقاتلوا تحت راية الإسلام

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الإمام أحمد والطبرانى .
(٣) رواه مسلم .

وحموا دولته ونشروا دعوته كانوا من غير العرب .

وهذا الدين وحده هو الصالح لأن يكون عالميا وذلك لما يتضمنه من المبادىء والأحكام التى لا وجود لها فى غيره ، وتتمثل هذه المبادىء فيما يأتى :

١ ـ الأخوة الإنسانية الشاملة ، بمعنى أن الناس جميعا ينتسبون إلى أب واحد وأم واحدة فهم جميعا إخوة لأن الله تعالى يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء : ١)

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ خطبهم وهو على راحلته فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : يأيها الناس إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها فالناس رجلان ، رجل بر تقى كريم على الله تعالى ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى . إن الله ـ عز وجل ـ يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات : ١٣)

ثم قال : أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم(٤) .

وعلى هذا فإن الإسلام يرفض رفضا باتا تقسيم الناس على أساس طبقى أو عنصرى أو وطنى أو فئوى ، وبالتالى فإن الإسلام لا يسمح بأن تسود طبقة على طبقة أو يتحكم جنس فى جنس أو تعلو فئة على فئة أخرى ، كما يرفض الإسلام تقسيم الناس إلى أولاد حرة وأولاد جارية ، فالناس سواسية كأسنان المشط .

٢ ـ إقرار العدل بين الناس بلا تفرقة ولا تمييز تنفيذا لقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(المائدة : ٨)

٣ ـ ضمان حرية الاعتقاد لكل الناس على اختلاف مللهم وأديانهم والدفاع عن هذه الحرية ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾

(الحج : ٤٠)

وعلى هذا الأساس فإنه لا يجوز إكراه أحد على الدخول فى الدين لأن الله خلق الناس أحرارا يختارون مايشاءون من عقيدة ويتحملون نتيجة اختيارهم . يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة : ٢٥٦)

---

(٤) رواه ابن أبي حاتم وعبد بن حميد .

ويقول ـ عز وجل ـ :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف : ٢٩)

ويقول الله لرسوله ـ ﷺ ـ :

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾

(الغاشية : ٢١ ـ ٢٦)

مهمة رسول الله نشر النور فى الأرض

والمتأمل فى كتاب الله ـ عز وجل ـ يجد أن الله قد وصف الكتاب المنزل على محمد ـ ﷺ ـ بأنه نور . وذلك فى كثير من الآيات .

١ ـ منها قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الأعراف : ١٥٧)

٢ ـ ومنها قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾

(التغابن : ٨)

٣ ـ ومنها قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الشورى : ٥٢)

وقد اكتسب محمد النورانية هبة من الله مصدر النور كله واكتسبها من القرآن الذى حمله ليبلغه إلى الناس ، ومن الرسالة التى كلفه الله بأدائها ، ولذلك وصفه الله سبحانه فى كتابه الكريم بأنه سراج منير فقال ـ عز من قائل :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾

(الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦)

وبما أن القرآن نور وبما أن حامله ـ ﷺ ـ سراج منير فقد وضحت المهمة وبان الهدف ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

(إبراهيم : ١)

فمهمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما توضحها هذه الآية ـ هى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الآية تدل أيضا على عالمية الإسلام لأن المطلوب من محمد ـ ﷺ ـ أن ينشر النور الذى جاء به فى ربوع الأرض ليشمل الناس كل الناس ، فليس هذا النور خاصا بأهل مكة ولا بالعرب وإنما هو نور عام بعث الله به محمدا ـ ﷺ ـ ليستضىء به الناس جميعا وليهتدى به كل خلق الله . يقول الله تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة : ١٨٥)

نور ونور :

ومع أن الأنبياء السابقين كانوا أئمة هداية وحملة نور فإن هدايتهم كانت خاصة بأقوامهم والنور الذى كانوا يحملونه كان كذلك خاصا ومحصوراً فى أقوامهم ، ودليل ذلك قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (إبراهيم : ٥)

أى أن مهمة موسى ـ عليه السلام ـ هى إخراج قومه من الظلمات إلى النور . وهكذا كان كل نبى من السابقين ، أما محمد ـ ﷺ ـ فإن مهمته هى إخراج الناس جميعا من الظلمات إلى النور .

فغاية الأنبياء جميعا واحدة وهى نشر النور والقضاء على الظلام ، سواء أكان ذلك محدوداً كما هو الحال مع الأنبياء السابقين أم كان عاما يشمل الأرض كلها والخلق جميعا كما هو الحال مع محمد ـ ﷺ ـ .

وقد تصرف كل نبى فى حدود ما كلفه الله به حيث قام كل نبى من السابقين بنشر النور فى بقعة مخصوصة فى زمن معين وبين قوم مخصوصين ، أما محمد ـ ﷺ ـ فهو مكلف بنشر النور العام فى كل بقاع الأرض وبين كل سكان الأرض فى زمنه وبعد زمنه إلى يوم القيامة ومكلف بمطاردة الظلام ومحاربته والقضاء عليه أينما وجد .

سبب الصراع :

ولأن مهمة الأنبياء تتلخص فى نشر النور والقضاء على الظلام سواء أكان ذلك فى نطاق محدود ، أو على وجه العموم فإن الذين آمنوا بالأنبياء واتبعوهم واهتدوا بهداهم اختاروا أن يعيشوا فى نور الإيمان وأن يهتدوا بهدى الرحمن ، وأما الذين كفروا بالأنبياء وكذبوا برسالتهم فقد آثروا حياة الظلام واشتروا الضلالة بالهدى وسبب كراهيتهم للنور وحبهم للظلام أن فى بقاء الظلام استمراراً للظلم والاستبداد والطغيان ، وفى ذلك تحقيق لمصالحهم الذاتية .

ولهذا دار الصراع بين الذين آمنوا واتبعوا النور وبين الذين كفروا وآثروا الظلام لما بين الفريقين من تناقض فى الغايات والوسائل .

وعلى هذا فإن التنويريين حقا هم المؤمنون ، والظلاميين حقا هم الكافرون يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾

(النساء : ٧٦)

صراع محلى وصراع عالمى :

وعلى قدر اتساع الدعوة إلى الهدى والنور يكون اتساع دائرة الصراع وبالمنطق والاستقراء والأدلة التاريخية والواقعية نؤكد أنه لم يحارب أى دين سابق على نطاق عالمى ، ولم يحدث أن تجمعت جماعات شتى من كل أنحاء العالم لمحاربة دين سابق ، وإنما حدث ذلك فقط مع الدين الذى بعث به محمد ـ ﷺ ـ .

ذلك لأن محدودية رسالة التنوير التى حملها الأنبياء السابقون أثارت جماعة الظلاميين التى تحارب هذا النور المحدود ، فكان الصراع محدوداً والحرب محصورة بين القوم الذين بعث فيهم النبى ، أى بين الذين آمنوا من قومه وبين الذين كفروا من قومه وليس للآخرين نصيب فى هذا الصراع ولا شأن لهم به .

وها هو القرآن الكريم يشهد بذلك حين يحكى لنا قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم .

فهذا نوح ـ عليه السلام ـ ارسله الله إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله وحده والدخول فى دائرة الإيمان والعيش فى نور الهداية فآمن به نفر قليل وكفر به الملأ من قومه ، وكان الصراع بين هؤلاء وأولئك فقط حتى انتهى الأمر بهلاك الكافرين عشاق الظلام الكارهين للنور وطهر الله الأرض منهم ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ (الأعراف : ٦٤)

ولم يخرج الصراع عن هذا الإطار ولم يتجاوز حدود قوم نوح ـ عليه السلام ـ وها هو هود ـ عليه السلام ـ أرسله الله إلى قومه عاد فدعاهم إلى النور المتمثل فى عبادة الله وحده فآمن به بعضهم وكذب به عشاق الظلام من قومه وقالوا له ما حكاه القرآن الكريم فى قول الله ـ تعالى ـ

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (الأعراف : ٦٦ ـ ٦٨)

وانتهى ذلك الصراع كما انتهى مع من سبقوهم من قوم نوح . يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف : ٧٢)

ولم يخرج الصراع عن هذا الإطار حيث بقى محصورا فى حدود القوم الذين بعث فيهم هود ـ عليه السلام ـ .

وهذا صالح ـ عليه السلام ـ أرسله الله إلى قومه ثمود فدعاهم إلى النور المتمثل فى عبادة الله وحده ، فأحب النور وآمن به المستضعفون من قومه ، وكره النور عشاق الظلام من قومه وكفروا به ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٧٥ ـ ٧٨)

وهكذا بدأ الصراع وانتهى فى حدود قومه فقط ولم يتجاوزه إلى غيرهم ، ومثل ذلك حدث مع شعيب ـ عليه السلام ـ وقومه ، ومضت المسيرة

على هذا النحو صراع محدود بين دعاة النور ومحبيه من المؤمنين وبين عشاق الظلام ومريديه من الكافرين فى حدود كل قوم بعث فيهم رسول ، ولم تتحول أى من هذه المعارك إلى صراع عالمى . حتى وصلت مسيرة التاريخ إلى عيسى - عليه السلام - آخر أنبياء بنى إسرائيل وهو النبى السابق لبعثة محمد مباشرة ، فإذا بنا نرى أيضاً أنه - عليه السلام - يحمل نور الهداية إلى قومه خاصة فدعاهم إلى النور المتمثل فى عبادة الله وحده :

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾

(آل عمران : ٥١)

عالمية الحرب ضد الإسلام :

هكذا كان الحال مع جميع الأنبياء السابقين،ظل الصراع بين فريقى النور والظلام محدوداً فى حدود القوم الذين بعث فيهم النبى . لكن الأمر اختلف مع محمد - ﷺ - فقد صار الصراع بين المؤمنين بدعوته وبين المكذبين صراعاً عالمياً . وذلك لأن مهمته هى العمل على نشر النور فى كل الأرض ليعيش فيه كل الناس ويسعد به كل الخلق وتلك المهمة لا ترضى الظلاميين الكارهين للنور المستفيدين من بقاء الظلام ، وهؤلاء موجودون فى كل بقاع الأرض ولهم أتباع وأنصار وقد زين لهم الشيطان أعمالهم وحرضهم على الشر وجمعهم ليقاتلوا تحت لوائه محاولين محو النور وإزالته من الوجود كى يعم الظلام والظلم والفساد والطغيان ربوع الأرض ، وقد كشف الله سبحانه حقيقة أهدافهم التى يسعون لتحقيقها فقال - عز وجل - :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(التوبة : ٣٢)

ونور الله الذى يحاولون إطفاءه هو دين الإسلام الذى بعث الله به محمداً - ﷺ - وهو دين عالمى ، ولذا كانت الحرب الموجهة ضده عالمية أيضاً يقول الله - تعالى - :

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

(البقرة : ٢١٧)

ويقول - عز وجل - : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (البقرة : ١٠٩)

وكما بدأت دعوة الإسلام عالمية منذ الأيام الأولى فإن الحرب ضد هذه الدعوة والمؤمنين بها كانت أيضاً عالمية منذ البداية واستمرت كذلك إلى يومنا هذا .

وإلا فما هو السر وراء تحالف اليهود - وهم أهل كتاب - مع المشركين من أهل مكة - وهم عبدة أصنام - حتى كونوا فيما بينهم جبهة واحدة لمحاربة الإسلام فى الصدر الأول ؟

وما هو السر وراء إشعال الفتن والحروب فى أفريقيا وبخاصة فى الدول الإسلامية أو على حدودها ؟

وما هو السر وراء فرض الحصار الظالم على كثير من الدول الإسلامية دون سواها تنفيذاً لما يسمى بالشرعية الدولية التى تتحدى المسلمين دون غيرهم ؟

ألا إنها الحرب العالمية ضد الإسلام وهى حرب مشتعلة منذ ظهور الإسلام ومستمرة إلى يومنا هذا وستبقى كذلك بسبب تناقض الأهداف وتعارض الغايات ، إن المعركة فى حقيقتها صراع بين النور العالمى وبين الظلام العالمى ، والتاريخ القديم والحديث يشهد أن أتباع النور لا يعتدون على أحد ويكرهون العدوان ولكن أتباع الظلام هم الطغاة المستبدون ، والبادئون دائما بالعدوان . وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾

(النساء : ٧٦)

قبس من أنوار النبوة - بقية -

فى الأمور الدنيوية من زراعة وصناعة وتجارة فيكسبها بالإتقان حسنا ونضارة . ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة – ٧)

فالصانع إذا أتقن صناعته وأجاد عمله فإنه ينفع نفسه وينفع الناس ، والتاجر الذى يتقن العمل فى تجارته ويراقب الله تعالى فلا يكذب ولا يغش فإنه بذلك يخدم نفسه ويخدم المجتمع .

ومن معانى الإحسان : الجود والسخاء ، قال الشاعر صالح بن عبد القدوس :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

وأكمل الناس أخلاقا هم الذين يحسنون ، ويحسنون حتى إلى من أساء إليهم ، ويأتى الإحسان بمعنى عام شامل لكل بر وخير ، سواء أكان ذلك عائدا على الفاعل نفسه أم على غيره ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (الإسراء – ٢٣) .

وإن تحسنوا إلى أنفسكم وأولادكم وأزواجكم وأقاربكم وأبناء وطنكم وإلى الناس أجمعين ، إن تحسنوا إلى كل أولئك وتتقوا يرضى عنكم خالقكم ويبارك لكم فى أعماركم وأرزاقكم ويمددكم بأموال وبنين ويجعلكم من الأبرار الذين يسعدون فى الدنيا والآخرة .

والإحسان مطلوب فى كل شىء حتى فى حالة ما إذا أراد الإنسان أن يذبح ذبيحة فإنه لا ينبغى له أن يتخلى عن فضيلة الإحسان ، وعليه أن يسوقها إلى الموت سوقا رفيقا ، ويحد السكين ليجهز عليها فى سرعة فيريحها ويخفف آلامها .

جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم وأولئك هم أولو الألباب .



الاجتهاد وأهميته فى العصر الحديث

لسماحة السيد على بن السيد عبد الرحمن الهاشم (*)

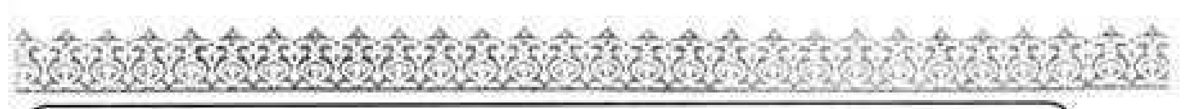
الاجتهاد :

هو كما عرفه القاضى البيضاوى) (استفراغ الجهد فى درك الأحكام الشرعية) . . وهذا معناه أن الاجتهاد هو بذل الجهد والطاقة لإدراك الأحكام على سبيل القطع أو الظن ، سواء أكان أمرا واقعيا أم فرضيا ، ولا يكون الاجتهاد معتبراً ما لم يعتمد على أدلة شرعية وإلا أصبح قولا بالهوى أو رأياً ذاتياً لا يعتد به ، ولا ينسحب عليه مفهوم الاجتهاد بالمعنى الاصطلاحى . وبعبارة مختصرة : الاجتهاد هو بذل أقصى غاية الجهد ؛ لاستنباط الحكم من الدليل الشرعى على سبيل القطع أو الظن .

وقد نقل المزنى فى مختصره عن الإمام الشافعى - رضى الله عنه : (إنه نهى عن تقليده وتقليد غيره) ، ولا يمكن نهى الخلق كلهم عن التقليد ، لأن العوام يجوز لهم التقليد بالإجماع ، وإنما نهى الشافعى عن ذلك حتى لا يجمع أهل العصر كلهم على التقليد ؛ لأن فيه تعطيل فرض من فروض الكفايات ، وهو الاجتهاد ، فحث على الاجتهاد ؛ ليكون فى كل عصر من يقوم بهذا الفرض .

وقال الإمام الماوردى فى الجزء السابع من كتابه (الحاوى الكبير) : فإن قيل : لم نهى الشافعى عن تقليده وتقليد غيره ؟ وتقليده جائز لمن استفتاه من العامة ؟ . . . قيل : التقليد مختلف باختلاف أحوال الناس بما فيهم من آلة اجتهاد المؤدى إليه أو

(*) مستشار الشئون القضائية والدينية لرئيس دولة الإمارات العربية المتحدة .



عدمه ؛ لأن طلب العلم من فروض الكفاية ولو منع جميع الناس من التقليد ، وكلفوا الاجتهاد ، لتعين فرض العلم على الكافة ، وفي هذا اختلال نظام وفساد[1] .. فلو كان يجمعهم التقليد لبطل الاجتهاد وسقط فرض العلم ، وفي هذا تعطيل الشريعة وذهاب العلم ، فلذلك وجب الاجتهاد على من تقع به كفاية ، ليكون الباقون تبعا ومقلدين ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة : ١٢٢)

فلم يسقط الاجتهاد عن جميعهم . ولا أمر به كافتهم .

وقد ذكرت مادة (فقه) في عشرين موضعا من القرآن الكريم تسعة عشر منها تدل على أن المراد به نوع خاص من دقة الفهم والتعمق في معرفة الغايات البعيدة .

قال الروياني في كتابه البحر : إنما نهى الإمام الشافعي عن التقليد ليقتصر طالب العلم في تعرف وجوه الأحكام ودلائلها ، ثم ينظر فيها لدينه ويحتاط لنفسه .

وقال الإمام البغوي في كتابه التهذيب : (العلم فرض عين وفرض كفاية) .. وبعد أن تكلم على فرض العين قال : وفرض الكفاية : هو أن يتعلم ما يبلغ رتبة الاجتهاد ، ومحل الفتوى والقضاء ، ويخرج من عداد المقلدين ، فعلى كافة الناس القيام بتعلمه ، غير أنه إذا أقام من كل



السيد علي بن السيد عبدالرحمن الهاشم

ناحية واحد أو اثنان سقط الفرض عن الباقين ، فإذا قعد الكل عن تعلمه عصوا جميعا لما فيه من تعطيل أحكام الشرع .

وقال الإمام ابن سراقة في كتابه إعجاز القرآن : لو كان القرآن جميعه جليا محكما لعدم الثواب على الاستنباط ، وسقط حكم الاجتهاد المؤدى إلى شرف المنزلة ، وعظم المروءة ؛ ولهذا المعنى لم يتضمن الكتاب المبين على حكم جميع الحوادث مفصلا ، بل أبان بعضها ، وذكر أشياء في الجملة ووكل بيانها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فأبان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ منها ، ووكل ما يطرأ منها على العلماء بعده ، وجعلهم ورثته ، في إرشاد أمته إلى حكم التأويل ، ولو كان جميع العلم جليا لا يحتاج إلى

(١) لعله يقصد به فساد الاستدلال .

بحث واجتهاد ، ولا إلى نظر واستنباط لكان في ذلك إبطال الشريعة .

وقال ابن سراقة - أيضاً - في أحكام الموطأ : إن طريق أقسام الفقه وحدوده ودلائله وتفريعه طريق استنباط ، وذلك يختلف في الناس على حسب ما أراده الله من تفضيل بعضهم على بعض بقوة الاستنباط وصحة الاجتهاد .

وقال الإمام الغزالى فى كتابه البسيط : أما سفر الولد للحج بعد الوجوب فإنه لا يتوقف على إذن الوالدين ؛ لأنه واجب متعين ، وأما سفر طلب العلم فإن كان متعينا لما يحتاج إليه فلا يحتاج إلى إذن ، بل أولى من الحج ؛ لأنه على الفور ، وكذلك إذا كان يطلب رتبة المجتهدين حيث شغر البلد عن المجتهدين ، فلا يشترط الإذن كالحج بل أولى ؛ لأنه على الفور ، وإن كان يطلب رتبة الفتوى وفى البلد مفتون ففيه وجهان ، والظاهر أنه يجوز بغير إذن .

وقال جلال السيوطى تعليقا على هذا : انظر كيف جعل رتبة الاجتهاد فرضا وجعله على الفور مقدما على الحج حيث شغر البلد عن المجتهد .

وقال ابن القصار فى كتابه المقدمة . وهو من أئمة المالكية : أفتى أصحابنا بأن العلم على قسمين : فرض عين ، وفرض كفاية وتكلم على فرض العين ثم قال : أما فرض الكفاية فهو العلم الذى لا يتعلق بحالة الإنسان ، فيجب على الأمة أن تكون منهم طائفة يتفقهون فى الدين ليكونوا قدوة المسلمين ، حفظا للشرع من الضياع ، والذى يتعين لهذا من الناس من جاد حفظه ، وحسن إدراكه ، وطابت سجيته .

أما أئمة الحنفية ، والحنابلة فقد نقل ابن الحاجب فى مختصره ، وابن الساعاتى فى كتابه البديع أنهم قالوا : لا يجوز خلو العصر من مجتهد ؛ لأن الاجتهاد فرض كفاية ، والخلو منه يستلزم اتفاق الأمة على الباطل .

وقال الإمام الجلال السيوطى : نص العلماء على أن الدهر لا يخلو من مجتهد ، وأنه لا يجوز خلو العصر منه .

وذهبت الحنابلة إلى أنه لا يجوز خلو الزمان من مجتهد لقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله)[1] .. قالوا : لأن الاجتهاد فرض كفاية فيستلزم انتفاؤه اتفاق المسلمين على الباطل ، وذلك محال لعصمة الأمة من اجتماع على الباطل .

وقال الإمام الزركشى فى البحر : لم ينفرد بذلك الحنابلة بل جزم به - أيضاً - جماعة من الشافعية منهم الأستاذ أبو إسحق فقد قال : وتحت قول الفقهاء لا يخلى الله زمانا من قائم الله بالحجة ، سر عظيم . وكأن الله - تعالى - ألهمهم ذلك ، ومعناه : أن الله - تعالى - لو أخلى زمانا من قائم بالحجة لزال التكليف ، إذ التكليف لا يثبت إلا بالحجة الظاهرة ، وإذا زال التكليف بطلت أحكام الشريعة . ومنهم الزبيدى فقد قال فى المسكت : (لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة فى كل وقت وعهد وزمان) : لأنه لو فقد المجتهدون لم تقم الفرائض كلها ، ولو بطلت الفرائض لحلت النقمة بذلك فى الخلق ، كما جاء فى الخبر (لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس) .

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما .

وقد نقل هذه العبارة الزركشي في المحيط وقال : إن وجه ذلك أن الخلو من مجتهد يلزم منه اجتماع الأمة على الخطأ ، وهو ترك الاجتهاد الذي هو فرض كفاية .

وعلق الجلال السيوطي على عبارة الأستاذ أبي إسحق السابقة فقال : قول الأستاذ أبي إسحق : كان الله الملهم ذلك ، يشعر بأنه لم يقف له على مستند من الحديث مع أن له مستندا : أخرج أبو نعيم في الحلية عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : (إن الله أجل على خلقه من أن يخلي الأرض من قائم له بحجة ، إما ظاهرا مشهورا وإما باطنا مستورا ؛ لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عددا ، الأعظمون عند الله قدرا) . وهذا موقوف ، له حكم الرفع ؛ لأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي .

وقال إمام الحرمين في البرهان : إذا خلا الزمان من مجتهد صار كزمان الفترة ، أي فتتعطل أحكام الشريعة ويبطل التكليف .

ونقل ابن عرفة عن ابن عبدالسلام وهما من أئمة المالكية : لا يخلو الزمان من مجتهد إلى زمن انقطاع العلم ، كما أخبر به - صلى الله عليه وآله وسلم - وإلا كانت الأمة مجمعة على الخطأ .

وقال الجلال السيوطي : أقام الله في الأعصار ، قائما لله بالحجة من العلماء الأحبار ، وضمن حفظ شريعة نبيه المختار ، بطائفة من أمته موعودين بالنصر والإظهار ، وخص شريعة رسول محمد بالاستمرار ، كما خص أمته ببقاء المجتهدين فيها على مرور الأعصار ، ولقد غلب على الناس الجهل ، فاستعظموا دعوى الاجتهاد ، وعدوه منكرا بين العباد ، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات في كل عصر ، وواجب على أهل كل زمان أن تقوم به طائفة في كل قطر .

وقد نقل ابن عرفة عن الفخر الرازي أنه قال في المحصول : لو بقي من المجتهدين واحد - والعياذ بالله تعالى - كان قوله حجة .

قال الجلال السيوطي : فاستعاذتهم تدل على بقاء المجتهدين في عصرهم . والفخر الرازي توفي سنة ٦٠٦ هـ .

وقال التبريزي في تنقيح المحصول : لا يعتبر في المجمعين عدد التواتر ، فلو انتهوا - والعياذ بالله تعالى - إلى ثلاثة ، كان إجماعهم حجة ، ولو لم يبق إلا واحد كان قوله حجة ؛ لأنه كل الأمة ، وإن كان ينبو عنه لفظ الإجماع .

وقال الزركشي في البحر :

قال الأستاذ أبو إسحق : يجوز أن لا يبقى في الدهر إلا مجتهد واحد ، ولو اتفق ذلك فقوله حجة كالإجماع ، ويجوز أن يقال للواحد أمة كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

(النحل : ١٢٠)

ونقله الهندي عن الأكثرين ، وبه جزم ابن شريح في كتاب الودائع فقال : (وحقيقة الإجماع هو القول بالحق ، فإذا حصل القول بالحق من واحد فهو إجماع) .

ورأيت إمام الحرمين في النهاية فقال : (يقوم الشرع بالمجتهدين ، ويجب أن يكون في كل قطر من يراجع أحكام الله تعالى) .... وقد قال

الفقهاء : يجب أن يعتبر فى هذا مسافة القصر ، فإذا سكن مجتهد بقعة استقل به من هو على مسافة القصر منه فى الجوانب .

وقال الزركشى فى القواعد والبحر : لابد أن يكون وجود المجتهد من فروض الكفاية ، ولابد أن يكون فى كل قطر من تقوم به الكفاية ، ولهذا قالوا : إن الاجتهاد من فروض الكفاية .

وقال العلامة محمد بن الحسن الحجوى : أصول الفقه كملت فى العهد النبوى ، والفروع لا تنتهى أبدا ، لذلك شرع الاجتهاد .

وقال ابن برهان : قد جعل الله المذاهب دولا ، والآراء نوبا ، ولذلك المعنى يحدث فى كل زمان مذهب تصغى إليه الأفئدة ، وتميل نحوه الأنفس .

والاجتهاد هو بذل الجهد فى الوصول إلى الحقيقة أمر سنه الإسلام ، لأن الإيمان الصحيح هو ما كان منبعثا عن يقين واقتناع لا عن تقليد واتباع . وبذلك قضى الإسلام على القواعد التى كان يسير عليها التدين فى كثير من الأمم من قبله ، وهى قواعد التقليد والاتباع وإهمال النظر والتفكير الحر ، وأهاب بالناس أن يجعلوا عمادهم فى عقائدهم ، ونشر دينهم ، الدليل العقلى والمنطق السليم ، ودعا إلى النظر والتفكير ، وحث على رفض ما لا يؤيده علم ، ولا يعززه دليل - ومن ثم ذهب بعض علماء التوحيد إلى أن إيمان المقلد غير صحيح ، وقد نعى المولى - جل جلاله - على المشركين تقليدهم الأعمى لآبائهم ، وإغفالهم جانب النظر والتفكير ، قال تعالى :

﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾

(المائدة : ١٠٤)

ويقول الإمام الشيخ محمد عبده : (إن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين . وإن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . فمن رُبِّى على التسليم بغير عقل وعلى العمل - ولو صالحا - بغير فقه ، فهو غير مؤمن[1] . . فليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير ؛ لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله ، ويترك الشر ؛ لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته) . .

ومن هذا فقد اتفق جمهور علماء الإسلام على الاجتهاد فى فروع الشريعة لكل قادر عليه ، وهو المتمكن من الكتاب والسنة واللغة العربية وقواعد الاستنباط . فيباح لكل مسلم توافرت فيه هذه الشروط أن يجتهد ويستنبط الأحكام من أصولها وأدلتها ، ويعمل بما يراه ، ويجهر بما انتهى إليه رأيه . والإسلام يكفل له حرية الرأى ، ويحمى حريته ، ويحترم رأيه حتى لو كان خاطئا فى نظر

(١) يعنى به غير كامل الإيمان .

غيره ، أو كان مجانبا للصواب . فمن المقرر في الشريعة الإسلامية أن المجتهد مشكور ومأجور في حالتي صوابه وخطئه : فإن الخطأ فله أجر ، وإن أصاب فله أجران .

ويرى كثير من العلماء أنه يجب على من توافرت فيه شروط الاجتهاد أن يجتهد ولا يجوز له التقليد ، فالإسلام في نظر هؤلاء لا يقتصر في هذا الصدد على إباحة حرية الرأى ، بل يوجب العمل بها إيجابا على كل قادر ، ولا يجيز له أن يتخلى عن حقه فيها .

وإلى ذلك ذهب كثير من أئمة المذاهب الأربعة وفقهائها ، وغيرهم : فذهب إليه كثير من فقهاء الحنفية على رأسهم العلامة أبوزيد الدبوسي (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) وقد أبان عن وجهة نظره هذه في كتابه (تقويم الأدلة) إذ يقول : (أصل التقليد باطل لأن الله - تعالى - رد على الكفرة احتجاجهم باتباع الآباء .. من غير نظر واستدلال .. والمقلد في حاصل أمره ملحق نفسه بالبهائم في اتباع الأولاد الأمهات على منهجها بدون تمييز . فإن ألحق نفسه بها لفقد آلة التمييز فمعذور .. وإن ألحق نفسه بها ومعه آلة التمييز فالسيف أولى به ، حتى يقبل على الآلة فيستخدمها ، ويجيب خطاب الله المفترض طاعته ، وقد ذم الله تعالى الكفرة على قولهم :

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ (الأحزاب : ٦٧)

ويقول في موضع آخر من هذا الكتاب : (وكان الناس في الصدر الأول أعنى : الصحابة والتابعين والصالحين - رضوان الله عليهم - يبنون أمرهم على الحجة ، فكانوا يأخذون بالكتاب ، ثم بالسنة ، ثم بأقوال من بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ما يصح بالحجة . فكان الرجل يأخذ بقول عمر - رضى الله عنه - في مسألة ثم يخالفه بقول على - رضى الله عنه - في مسألة أخرى . وقد ظهر من أصحاب أبي حنيفة - رحمهم الله - أنهم وافقوه مرة وخالفوه أخرى على حسب ما تتضح لهم الحجة . ولم يكن المذهب في الشريعة عمريا ولا علويا ، بل النسبة كانت إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم) .

وذهب إلى ذلك كثير من فقهاء المالكية ومنهم الإمام القراف نفسه ، فقد نقل عنه صاحب إرشاد الفحول ، أنه قال : (إن مذهب مالك وجمهور العلماء : وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد) ، ويعنى بذلك من يقدر على الاجتهاد وتتوافر له وسائله .

وذهب إلى ذلك - أيضاً - كثير من فقهاء الشافعية وعلى رأسهم الإمام الغزالي في كتابه (المستصفى) فبعد أن أورد في كتابه هذا بعض الآراء في موضوع التقليد ، أبان عما يرتضيه هو فقال : (إن القادر على تحصيل العلم والظن ، ينبغى أن يطلب الحق بنفسه .. فكيف يبنى الأمر على عماية كالعميان وهو بصير؟!) .. ثم استدل على ما ذهب إليه من وجوب الاجتهاد على القادر بآيات من كتاب الله كقوله - عز شأنه - :

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (الحشر : ٢)

وقوله ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾

(النساء : ٨٢)

وقوله ـ عز وجل ـ :

﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾

(النساء : ٥٩)

وقوله ـ جل شأنه ـ :

﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾

(الشورى : ١٠) .

وذهب إلى ذلك معظم أئمة الحنابلة وعلى رأسهم العلامة ابن القيم فى كتابه (أعلام الموقعين) . وذهب إلى ذلك كثير من الظاهرية وعلى رأسهم العلامة ابن حزم ، بل لقد ذهب ابن حزم إلى أن الإجماع قد انعقد على هذا المذهب .

وذهب إلى ذلك الشيعة الإمامية ، فهم يوجبون الاجتهاد على كل قادر عليه . ولا يزال لديهم إلى الوقت الحاضر أئمة مجتهدون فى النجف الأشرف وطهران وغيرهما .

وعلى هذا المبدأ سار الصحابة والتابعون ـ رضوان الله عليهم ـ . فكان كل منهم يعتمد على اجتهاده الخاص متى كان قادرا على ذلك ، ويبيح لغيره الاجتهاد ، ويحترم رأى غيره متى كان قائما على دليل من الكتاب أو السنة ، بل يرجع عن رأيه ويأخذ برأى غيره إذا تبين له رجحان هذا عن ذلك . ومواقفهم هذه ـ رضوان الله عليهم ـ كثيرة مشهورة قد زخرت بها كتب التاريخ الإسلامى ، مسجلة لهم أسمى مبدأ فى حرية الرأى والحث على الاجتهاد .

وبهذا فقد ثبت إجماع الأمة على مشروعيته ، وممارسته بالفعل ، وكان من ثمراته هذه الثروة الفقهية العريضة .

فلابد من الاجتهاد ، لبيان الحكم الشرعى بوجه من وجوه الاستدلال ، إذ أن الشريعة حاكمة على جميع أفعال العباد ، وذلك لا يكون إلا بطريق الاجتهاد ، وقد جعل الله الإسلام خاتم الأديان ، وجعل شريعته صالحة لكل زمان وكل مكان . (ونصوص الشريعة من الكتاب والسنة محدودة ، وحوادث الناس ووسائلهم إلى مقاصدهم متجددة وغير محدودة ، ولا يمكن أن تفى النصوص المحدودة بأحكام الحوادث المتجددة والجزئيات التى لا حصر لها ، إلا إذا كان هناك مجال لتعرف أحكام الحوادث الطارئة بالاجتهاد فى قياسها على نظائرها ، أو توجيهها إلى تحقيق المصالح التى ترمى إليها الشريعة) . « يتبع »

مدرسة النقل في التفسير

للأستاذ الدكتور:
محمد إبراهيم الفيومي

لم يأت القرآن ليسقط الناس على تفسيره كل ما بدا لهم من خرافات وأساطير محفوفة بالأسرار وتصورات الخيال، ذلك ما فزع منه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فيروى أن رجلا يقال له: ابن صبيغ[1] قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه الخليفة - المعروف بأنه صاحب الدرة[2] وضربه بوجهين من النخل حتى ترك ظهر دبره، ثم تركه حتى برئ».

ثم عاد، وبعد أن كرر ذلك للمرة الثالثة دعا به ليعود، فقال ابن صبيغ ضارعا: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، أو ردني إلى أرضي بالبصرة فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين[3].

ورفض عبيدة بن قيس الكوفي المتوفى ٧٢ هـ من أصحاب عبد الله بن مسعود أن يذكر شيئا عن أسباب النزول إذ يقول: «عليك باتقاء الله، والسداد، فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن»[4].

رسمت تلك الإنذارات، علامات التحذير والخوف من الانزلاق في التفسير. وكأن الوعي الجاد لن يتراجع دون مزاولة في مهادنة ونفور.

روى أن الإمام اللغوي الكبير: الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ ابتعد عن تفسير القرآن بسبب التقوى والورع.

(١) الإتقان - النوع الثالث والاربعون والخبر مسند الدارمي.
(٢) استعملها مع كعب الأحبار من أجل نقل التوراة. الإحياء للغزالي جـ ٤ ص ٣٨٢ واستعملها في تأديب من يضربون الحيوان. ابن سعد جـ ٧ ص ٩٢.
(٣) لوائح الأنوار البهية (شرح عقيدة السفاريني الحنبلي).
(٤) ابن سعد جـ ٦ ص ٦٤.

وكان الإمام ابن حنبل يرى أن ثلاثة لا أصل لها : « التفسير ، والملاحم ، والمغازى[1] . »

وظل هذا الحذر حتى عهد متقدم من القرن الثانى للهجرة على أن الاشتغال بالتفسير كان منظورا إليه بعين الارتياب .

ما معنى التحذير من الاشتغال بالتفسير :

إن التفسير المراد اجتنابه والباعث على اجتنابه ؛ هو التفسير الذى يقترن بالأساطير والتصورات الخيالية والملىء بالأسرار والرمزيات والمرفوض من التوراة ، ذلك حين بدأ هذا النزوع إلى القصص والأساطير فى دائرة خاصة . فقد وجدت طائفة من علماء الكتاب الذين كانوا على صلة بالكتب القديمة من اليهود والنصارى ، وأتوا ما تلقوه عنهم من القصص التى كثيرا ما رددوها عن سوء فهم لها ، بنتاج خيالهم الخاص وأرسلوا كل ذلك على أنه تفسير للقرآن . رجال من طابع مقاتل بن سليمان المتوفى ١٥٠ هـ الذى قال عنه ابن خلكان[2] أنه استمد علمه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعله موافقا لما فى كتبهم .

روى عن مقاتل هذا أنه وجد فى الآية ٥٨ من سورة الإسراء :

﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا﴾

« إشارة إلى فتح القسطنطينية ذات يوم وإلى تدمير الأندلس »[3] .

ولقد أسرفت طبقة مقاتل بن سليمان التى لم تتقيد بنظام معين ووسعوا أيضا نطاق المغازى حتى صارت تشمل مستقبل الآمال الإسلامية فى الفتوح وأقحموا تأويل تحققها فى القرآن على أثر من قبيل التنبؤ بالغيب وازداد الناس إسرافا شديدا فى تصوير أحوال اليوم الآخر وما استمدوه عن ذلك من مصادر الأخبار الأجنبية ، أو ما أضافوه من ابتداع خيالهم وأصدروا ذلك على أنه تفسير موثوق به للقرآن . وإلى هذا الاتجاه المغرق فى النقل بما لا يتحمله المعنى التفسيرى للآية أشار الرسول - ﷺ - :

أنه يخشى على مستقبل أمته من ثلاث ؛ منها :

ظهور رجال يفسرون القرآن بما لا يقتضيه التفسير الصحيح : « رجال يتأولون القرآن على غير تأويل »[4] .

أدى عدم الترابط بين التفسير المعتمد على الأساطير والإغراق فى النقل من المصادر الإخبارية الأجنبية ، وبين معانى التفسير المستندة إلى أصولها الصحيحة من روايات صحيحة ونصوص الشعر القديمة .. الخ ، إلى معارضة بعض الصحابة .

روى عبد الله بن مسعود أنه أعلن معارضة ، إذ هو يحارب المفسرين الصادرين عن الرأى ، والذين لا يريدون أن يتواضعوا فيجيبوا على أشياء لا يدرى أحد عنها شيئا بأن يقولوا : الله أعلم[5] .

والرأى هنا الذى يقصده ابن مسعود أى التفسير الذى يصدر عن الرأى الذاتى والميل إلى الهوى . ويماثل هؤلاء الذين يجنحون إلى الأساطير لينتقوا منها ما يؤيد أهواءهم وميولهم وتزين لهم ثقافتهم ما يحملوا تفسيرهم للقرآن

(١) يا قوت جـ ٣ ص ٢٢ .
(٢) « التهذيب » ص ٥٧٤ النووى .
(٣) البدء والتاريخ جـ ٤ ص ١٠٢ المقدسى .
(٤) « مراسيل أبى داود » ص ٥٥ .
(٥) « الطبرى » جـ ١٧ ص ٧٣ .

عليه ، ولكى لا يلحق مدرسة النقل أذى من تلك المعارضة الشديدة من أهل الورع رأت أن تحدد نفسها باسم « التفسير المأثور » : بعدما ظهر علماء الحديث ومنهجهم النقدى لتحقيق الحديث وتمحيصهم للروايات المتعددة متنا وسندا ورجالا ، تجريحا وتعديلا وتدليسا .. أصبح قالب الحديث منهجيا يعتد به فى نطاق العلوم الدينية ، وفى إقامة وزن أيضا للتفسير على وجه الخصوص . فالتفسير النقل المشهود بصوابه ، أى المؤسس على قواعد علم الحديث هو الذى يمكن إثبات أن النبى نفسه أو صحابته الذين ينتمون إلى دائرة تعليمه قد صرحوا به فى بيان معنى القرآن ودلالته هو « التفسير بالمأثور » . فالتفسير بالمأثور غير التفسير بالنقل وأضيق دائرة منه ، وهو ما أثر عن الرسول - ﷺ - وما نقل عن الصحابة من وجوه التفسير وجاء على قواعد المحدثين . لأن الرسول لم يفسر تلك الآيات من عنده ، بل تلقى تفسيرها ، وكان ابن عباس هو الإمام فى التفسير وصفه تلميذه مجاهد : كان إذا فسر آية من القرآن رأيت على وجهه النور[1] .

وصفه ابن قيس الرقيات : حبر الله الذى يستضاء بعلمه إذا عىّ العلماء بالبيان الصحيح[2] .

والثقة بابن عباس مرجعها :

● اتصاله الوثيق بالرسول - ﷺ - وكان فى سن تسمح له بالتخزين ١٠ - ١٣ .

● كان يراجع من هم أهل الثقة من العلماء مثل أبو الجلد - غيلان بن غروة الأزدى الذى كان يثنى عليه بأنه قرأ « الكتب »[3] .

● وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام .

● اعتماده على الشعر القديم للتعبيرات شديدة الندرة إذا تعاجم شىء من القرآن فكان يقول :

انظروا فى الشعر فإن الشعر عربى ، وهذا ما دفع الزعيم الخارجى نافع بن الأزرق إلى أن يسأل ابن عباس عن عدد كبير من مفردات القرآن ، طالبا إليه أن يستشهد على معانيها من الشعر القديم .

● معارفه الكثيرة الدينية والفقهية وكان حجة فيها ، روى أنه عقب الجلسة يقوم المستمعون من عنده وقد غمرتهم نشوة الفرح والسرور فيقبلون رأس الإمام الحكيم[4] .

ومن تفسيره لبعض مشكلات القرآن قوله فى تفسير الآيات ٢٢ - ٢٩ موسى فى مدين ، عند البئر ، فى بيت شعيب ، زواجه فلما سئل عن المراد من ذلك الأجل ؟ هل قضى موسى ثمانى سنين ؟ أو قضى الأجل الأوفى ؟

أجاب : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبى إذا وعد لم يخلف . نلاحظ أنه صرف التفسير على نحو يحفظ للأنبياء آدابهم وعلى ما يناسب الأخلاق الكريمة التى تليق بهم .

على هذا النحو كانت الرغبة فى تقديم ابن عباس إذا أريد ذكر تفسير جدير أن يوثق به لكلمة أو جملة من القرآن مشكوك فى معناها أوكثيرة الاحتمالات .

ومما ذكر يتضح مدى صحبة ابن عباس فى التفسير المأثور .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، اعلام الموقعين ص ٢٢ ، .

(٢) ديوانه : وابو الفضل وابنه الحبر عبد الله .. إن عىّ يقرى الفقهاء .

(٣) التصحيف والتحريف .

(٤) الطبرى جـ ١٨ ص ٧٤ .

قضايا قرآنية

قضية الرسم العثمانى

ما يراه البعض تناقضا ورد العلماء عليه

٤

للأستاذ : صديق بكر على عيطة

تحت عنوان « التناقض الموجود فى رسم المصحف » قال الأستاذ صاحب كتاب « الفرقان » : « كيف يقرأ المتلقى للقرآن قوله تعالى : ﴿ لأذبحنه ﴾ وقد وردت بأداتى توكيد : لام القسم ، ونون التوكيد الثقيلة » .

« كيف يقرؤها القارىء ، وهى مرسومة أمامه هكذا ﴿ لا اذبحنه ﴾ ؟ بصورة نفى الذبح لا تأكيده » .

« هذا مع أن قوله تعالى : ﴿ لأعذبنه ﴾ فى نفس السورة ، وفى نفس الصفحة ، بل وفى السطر عينه ، مرسومة حسب النطق تماما ، بأداتى توكيدها » .

« فما السبب فى اختلاف هذين الرسمين ، وتناقض هاتين الكلمتين ؟ وما حجة القراء ، والمتمسكين بالرسم القديم فى هذا ؟ » .

ومما ذكره أيضا ما جاء فى سورة فاطر : ﴿ يدعوا حزبه ﴾ بإثبات ألف أمام الواو ، مع أنها ليست بواو جماعة ، ولا داعى لزيادتها ، مهما انتحلنا لها من أعذار ، و تمحلنا لها من علل » .

« هذا فى حين أنها قد وردت كثيرا بصيغة الجمع بدون ألف ، كقوله تعالى : ﴿ وباءوا بغضب من الله ﴾ ، وقوله جل شأنه : ﴿ وجاءوا بسحر عظيم ﴾ .

« فقد رسمتا فى المصحف ـ رغم أنف علماء الرسم ، والتهجئة ، وذوى العقول ـ بدون ألف ، هكذا : ﴿ جاءو ﴾ و ﴿ باءو ﴾ .

وغير ذلك الكثير ، مما أورده المؤلف ، لكنه لا يخرج عن هذا الإطار . . ولا داعى هنا للإطالة بسرده، فقليله يغنى عن كثيره .

غير أنه فى صفحة ٨٢ ، وبعد ذكر أحد الأمثلة ، يقول : « وهنا فقط نكون فى حل من أن

نقول لهم [أى القراء] : رحماكم معشر القراء فى كلام مولاكم . رحماكم ، ونعيد على مسامعكم قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء : ٨٢) .

ثم يقول : « وأنا أول المؤمنين بأن هذا القرآن من عند الله ، وأنه تعالى برىء مما تنسبونه له من التناقض والاختلاف » ، ا . هـ كلام الأستاذ ، وفى مناقشتنا له نرد عليه قائلين :

أولا : إن ما تدعيه من أن الاختلاف فى الرسم العثمانى ، عن الرسم الإملائى الحديث ، لا داعى له ولا سند ، وإن دل فإنما يدل على عدم صبر فى البحث والتنقيب فى أمهات كتب التراث ، فقد كتب الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ، فى كتابه القيم « البرهان فى علوم القرآن » ، فصلا كاملا تحت عنوان « النوع الخامس والعشرون ، علم مرسوم الخط » ، وقد استغرق هذا الفصل من صفحة ٣٧٦ إلى صفحة ٤٣١ بالجزء الأول .

فمما جاء فى هذا النوع ، قول الزركشى : « القسم الأول : زيادة الألف .. وهى إما أن تزاد من أول الكلمة أو من آخرها ، أو من وسطها » .

« فالأول : تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله فى الوجود مثل : ﴿ لاأذبحنه ﴾ ، و﴿ ولا أوضعوا خلالكم ﴾ زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد فى الوجود من المقدم عليه لفظا ؛ فالذبح أشد من العذاب ، والإيضاع أشد إفسادا من زيادة الخبال ، واختلفت المصاحف فى حرفين : ﴿ لا إلى الجحيم ﴾ ، و﴿ لا إلى الله تحشرون ﴾ ، فمن رأى أن مرجعهم إلى الجحيم أشد من أكل الزقوم وشرب الحميم ، وأن حشرهم إلى الله أشد عليهم من موتهم أو قتلهم فى الدنيا ، أثبت الألف ، ومن لم ير ذلك لأنه غيب عنا ، فلم يستو القسمان فى العلم بهما لم يثبته وهو أولى » .

« وكذلك : ﴿ لاتأيئسوا من روح الله إنه لا يأيئس ﴾ ، ﴿ أفلم يأيئس ﴾ لأن الصبر وانتظار الفرج أخف من الإياس ، والإياس لا يكون فى الوجود إلا بعد الصبر والانتظار » .

« والثانى : يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة يحصل فى الوجود لزيادتها بعد الواو فى الأفعال ، نحو « يرجوا » ، و « يدعوا » وذلك لأن الفعل أثقل من الاسم ، لأنه يستلزم فاعلا ، فهو جملة ، والاسم مفرد لا يستلزم غيره ، فالفعل أزيد من الاسم فى الوجود ، والواو أثقل حروف المد واللين ، والضمة أثقل الحركات ، والمتحرك أثقل من الساكن ، فزيدت الألف تنبيها على ثقل الجملة . . » .

« والثالث : تكون لمعنى فى نفس الكلمة ظاهر ، مثل : ﴿ وجاىء يومئذ بجهنم ﴾ زيدت الألف دليلا على أن هذا المجىء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجىء ، وقد عبر عنه بالماضى ، ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله ، فيستوى فى علمنا ملكها وملكوتها فى ذلك المجىء ، ويدل عليه قوله ـ تعالى ـ فى موضع آخر : ﴿ وبرزت الجحيم ﴾ ، وقوله : ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ﴾ ، هذا بخلاف حال : ﴿ وجىء بالنبيين والشهداء ﴾ ؛ حيث لم تكتب الألف ، لأنه على المعروف فى الدنيا وفى تأوله بمعنى البروز فى المحشر لتعظيم جناب الحق أثبت الألف فيه أيضا » .

ويستمر الإمام الزركشى فى تفسير ما أطلق عليه المؤلف « تناقضا » فى رسم المصحف سواء بالحذف أو بالزيادة ، أو بإبدال حرف بحرف ؛ مما يبرز تماما جهل أولئك الذين يصمون الرسم العثمانى بالخطأ ، ويدعون إلى تغييره وكتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث .

وللسيوطى فى « الإتقان » فصل جيد فى « مرسوم الخط وآداب كتابته » نحيل القارىء عليه إن هو أراد المزيد .

ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ـ رحمه الله ـ فى كتابه « إعجاز القرآن » ص ٥٦ : « إن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ اجتهدوا فى الرسم على حسب ما عرفوا من لغات القراءة ، فكتبوا : ﴿ الصراط ﴾ مثلا فى قوله تعالى : ﴿اهدنا الصراط المستقيم ﴾ بالصاد المبدلة من السين ، وعدلوا عن السين التى هى الأصل ، لتكون قراءة السين (السراط) إن خالفت الرسم من وجه ، فقد أتت على الأصل اللغوى المعروف فيعتدلان ، وتكون قراءة الإشمام محتملة لذلك » ، ثم يعلق ـ رحمه الله ورضى عنه ـ على ذلك فى ذيل الصفحة ذاتها من الكتاب قائلا : « فى رسم المصحف كلام طويل ، فقد أحصى علماء القراءة كل مافيه من نحو ما مثلنا به ، واعتلوا له بوجوه حسنة ، فى القراءات ، وإنما حملهم على النظر فى ذلك والاستقصاء له أن الرسم من وضع زيد بن ثابت ، وهو كان أمين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكأنما كتب بتوفيق كالتوقيف » .

ثانيا : ماذا يعنى اختيار المؤلف لقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

(النساء : ٨٢) .

والاستشهاد به فى هذا الموضع بالذات ؟ لقد ذكر المؤلف عدة أمثلة ، زعم أن فيها اختلافا وتناقضا .. إذن فى رأى الأستاذ هناك تناقض ، واختلاف ، فماذا يعنى تعقيبه بهذه الآية ؟ ألا يعد ذلك تلميحا بأن هذا القرآن ليس من عند الله ؟ وحاشا لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

والمؤلف نفسه يستشعر ـ كعادته عقب كل قول ـ خطورة موقفه ، ولذا نراه هنا يقول عقب ذلك : « وأنا أول المؤمنين بأن هذا القرآن من عند الله » ، وحتى لا يتهمه أحد بالكفر أو بالزندقة على الأقل ، غير أننا ندعوه لأن يطمئن بالا ؛ لأننا لن نتهمه بشىء من ذلك ، حيث إن موقفنا هنا هو موقف القاضى ، الذى يفضل أن يحكم بالبراءة لعشرة من المذنبين ، خيرا من أن يحكم بمعاقبة برىء واحد على ذنب لم يرتكبه ؛ فالموقف هنا يستلزم الحيطة التامة التى لا ينبغى أن ترسل فيها الأحكام إرسالا ، ودون تثبت .. ولن يقدم حكمنا عليه شيئا أو يؤخره ، وأمره متروك لحكم الله تعالى فيه يحكم بما يشاء سبحانه !!

ثالثا : إن قضية الرسم الإملائى هذه ، لا تستحق هذه الضجة الكبرى ، والحملة الشنعاء على الرسم العثمانى ، إذ لا مشكلة إطلاقا ناجمة عن هذا الاختلاف ، ويتضح ذلك فى عدة أمور .

١ ـ إننا نحن ـ العرب ـ لا نأخذ خطنا ، ورسمنا الإملائى عن المصحف ، لأننا نعرف جيدا منذ أن كنا أطفالا ، أنه مختلف لا يقاس عليه ؛ غير أن قدسية الخط مستمدة من قدسية محتواه ، ومكانة كتابه الأوائل ، الذين يقتعدون من نفوسنا مكانة الإجلال والإكبار ، هذا قبل أن نعرف تلك اللطائف التى تشير إليها هذه الاختلافات فى الرسم ، فإذا ما أضفنا هذه إلى

تلك أدركنا أن هؤلاء الصحابة الأبرار إنما كانوا يكتبون آيات الله البينات ، وقد أحاطهم الله تبارك وتعالى بتوفيق هو كالتوقيف .

٢ ـ إن ما يقول عنه المؤلف إنه خطأ ، لنا عليه ردود :

(أ) خطأ بمنطق عصرنا ؟ هب أننا أصلحناه ، كما يدعو الأستاذ إلى ذلك ، ثم تغير الرسم بعد مائة سنة أو أكثر ، أليس من حق من يجيئون بعدنا يومئذ أن يغيروا ، ولم يكن من حق أحد ان ينكر عليهم ذلك ؟ وهكذا . . من يضمن إذن عدم تحريف المصحف ؟

(ب) طوال ما مر من الزمن ، والقرآن يتلى ، ويتم حفظه ، وفي جميع الأعمار ، من الطفولة ، حتى الصبا ، ثم الشباب والشيب ، لم تجد ولم نسمع أن الرسم وقف حجر عثرة في طريق التلاوة الصحيحة ، وهذه معجزة ينفرد بها القرآن الكريم .

(جـ) الاختلاف البادى في رسم بعض الكلمات ، ليس هو الاختلاف القاتل ؛ وإنما هو معروف ومستوعب ، وفي عصرنا ما يماثله ، من قطر عربي إلى آخر ، ودون سبب معروف . . حتى في طبع الكتاب الواحد أحيانا ، فمثلا : كثيرا ما نرى الكلمة تأتي وقد رسمت على صورتين مختلفتين : مثل (لجأوا) وجدناها (لجئوا) ، و (شئون) جاءت (شؤون) ، و (رؤوس) ، وردت (رءوس) . . وهكذا ، هذا كله في عصرنا نحن الذي يراه المؤلف خير العصور .

٣ ـ يدعو المؤلف لكتابة المصحف بالرسم الإملائي الحديث . ألم يكن يذكر ـ رحمه الله ـ أنه قد قامت في البدايات المبكرة لعصر النهضة ، وقد كان على مرمى حجر من عصر المؤلف ـ دعوة لإحلال الأحرف اللاتينية محل الأحرف العربية ؟ ولما لم تفلح هذه جاء من ينادى بإحلال اللهجات المحلية مكان اللهجة العربية الفصحى ، وكان أصحاب هذه الدعوات يحتلون مراكز حساسة في ساحة النهضة الاجتماعية والأدبية والسياسية ، ولقد تأكد لطف الله تعالى بهذه الأمة ، فلم تقم لأي من هذه الدعوات قائمة . . أقول للمؤلف ، ومن هم على شاكلته ، ومن قد يغترون بحجته ، ومنطقه : لو قدر ، وكانت إحدى هذه الدعوات قد نجحت ، ولو نجاحا جزئيا ، سواء في تتريك اللغة ، أو جعلها محلية ، أو جعلها بحروف لاتينية ، وكان من الممكن أن تمهد أكثر من دعوة طريقها إلى حيز التنفيذ ؟ فماذا يكون الموقف عندئذ ؟ وما اللغة التي يختارها المؤلف ؟ وما الحروف التي تكتب بها ؟ التركية ؟ أم العربية ؟ أم اللاتينية ؟ ومن حق الفارسية أيضا أن ترفع راية الاحتجاج ، وكذلك الأردية . وهلم جرا !!

أرى أن تطبق القاعدة الشرعية هنا وبكل قوة وحزم : درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، هذا إن كانت هناك مصلحة ترجى !!

يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ الدكتور :
أحمد عبد الرحيم السايح

الإسلام هو الدين الوحيد الذى احتوى بين دفتيه منهجا متكاملا ، لديه القدرة الكاملة ، والشاملة على إتيان النفوس ، من أبوابها الطبيعية ، والتغلغل فيها من طريق مؤثراتها الفطرية ، التى لا تجد النفس السوية معها مناصا إذا مستها إشراقات الحق والخير ، من التسليم إليها ، والاستجابة لها .

لقد كان الإسلام - ولايزال - دين الفطرة النقية ، والتشريع السمح الذى يتسم بالسهولة واليسر ، والبعد عن التشدد والتعقيد ، فى كل مناحيه ، ومقاصده ومراميه .

راعى الله فى الإسلام ما تقتضيه النفوس ، وما جبل عليه الخلق ، فجعل تكاليفه غير زائدة على قدرتهم ، بل إنه من أجل ما يحمله من عناصر البقاء والعموم ، لجميع البشرية ترك الآصار والأغلال ، التى ضربها على بنى إسرائيل ، جزاء ظلمهم وعدوانهم ، قال الله - سبحانه وتعالى - فى ذلك . ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الأعراف : ١٥٧)

وذلك اليسر والسهولة فى أحكامه واضح ، لكل من تتبع الشريعة فى أصولها وفروعها ، وقد زخر كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - بالنصوص

التى تدل على ذلك وتؤيده قال تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

(الحج الآية : ٧٨)

وقال تعالى :

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(المائدة الآية : ٦)

وقال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة الآية : ١٨٥)

وقال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾

(النساء الآية : ٢٨)

فهذه الآيات ـ وغيرها كثير ـ تنطق بنفى الحرج فى مسائل الدين كلها ، وتدل بوضوح على أن الله أراد أن تكون مبنية على أساس من السعة والتيسير والسماحة .(١)

وإذا تصفحنا كتب السنة وجدناها تحمل وقائع كثيرة من أفعال النبى ـ ﷺ ـ : « وأحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » .(٢)

وأخرج الإمام أحمد : أنه ـ ﷺ قال : « إن خير دينكم أيسره »(٣) وأن الصحابة رضى الله عنهم سألوه عن أشياء تحرجوا منها ، فقال لهم : « إن دين الله ـ عز وجل ـ فى يسر ثلاثا »(٤) .

وكان فى ذروة وصاياه ـ ﷺ ـ لقواد الجند ، وأمراء الولايات : أن يعملوا على أساس من اليسر ودفع الحرج ، وتجنب التشديد ، وكل ما كان من شأنه إعنات الناس ، والتشديد عليهم(٥) .

وروى أن النبى ـ ﷺ ـ قال لمعاذ وأبى موسى الأشعرى ـ حينما بعثهما إلى اليمن ـ : « يسروا ولاتعسروا ، وبشروا ولاتنفروا »(٦) .

ولقد فهم المسلمون الأولون هذا ، فدرجوا فى مسالك الكمال ، وصعدوا فى مراقى العلا ، يشمل الصفاء كل نواحيهم ، ويعمهم الحب

---

(١) د . عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة ، صور من سماحة الإسلام ص ١٠ ـ ١١ ط : دار المطبوعات الحديثة بجدة سنة ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م .

(٢)رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ج ١ ص ٩٣ .

(٣) رواه أحمد فى مسنده ، ج ٥ ص ٣٢ ، ج ٤ ص ٣٣٨ ورواه الطبرانى ، فى المعجم الصغير ج ٢ ص ١٠٧ ، ط : الثانية ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٨٦ م .

(٤) رواه أحمد فى مسنده ج ٥ ص ٦٩ ، من حديث عروة الفقيمى .

(٥) د / عبد العزيز الربيعة صور من سماحة الإسلام ص ١١ .

(٦) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب العلم ، باب ما كان النبى يتخولهم بالموعظة كى لاينفروا ج ١ ص ١٦٣ وفى كتاب الأدب ، باب قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، يسروا ولا تعسروا ، ج ٢٠ ص ٥٢٤ . ورواه مسلم فى صحيحه بشرح النووى ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ج ١٢ ص٤٢ .

والتفاهم فى تلاقيهم ، فقد وجدوا فى كنف دينهم السمح حياة هادئة مستقرة ، فسعدوا بظلالها الوارفة ، ونعموا بأنوارها الهادية .

لقد وجدوا فى هذا الدين ضالتهم المنشودة ، وجدوا فيه منهاجا بارا ، حانيا ، عطوفا ، يقدم لهم كل ما يطمئنهم ويثلج صدورهم ، ويبعد عنهم كل ما يسوءهم ويحزنهم .

لقد شرع الله هذا الدين لعباده ، فجعله سهلا سمحا واسعا ، ولم يجعله ضيقا حرجا ، لتتفتح النفس البشرية من خلال مناهجه ، وتنمو وتزدهر ، وقد أشربت حب عقيدته ، وتعاليمه ، واحترام مبادئه وآدابه ، والإلتزام بأخلاقه وسلوكياته ، بعد أن رأت فيه الوجه الأصيل ، للفطرة النقية التى فطر الله الناس عليها ، من السهولة ووضوح القصد ، والبعد عن كل ما من شأنه تكليف الإنسان من أمره عسرا ، ووضعه فى دائرة الضيق والحرج ، إذ يريد الله ـ تعالى ـ بنا اليسر ، ولايريد بنا العسر ، الأمر الذى يبعث النفوس على الأمل ، ويحفز الهمم للنشاط والعمل .

قال الله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(البقرة الآية : ٢٨٦)

إنه على قدر الجهد يكون العمل ، وعلى قدر الوسع والطاقة يكون التكليف ، وعلى قدر العمل والإنتاج يكون الجزاء ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ لطيف بعباده ، ورحيم بمخلوقاته ، لم يكلف البشر فوق طاقتهم ، أو يفرض عليهم ماليس فى استطاعتهم ، شفقة عليهم ، ورأفة بهم ، ورفقا وإحسانا ، وتفضلا منه عليهم ، كما أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يحاسب العبد إلا بناء على الواقع الفعلى ، لما اقترفت يداه أو تلفظ به لسانه ، أو ما اكتسبته جوارحه عن حرية واختيار .

أما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس الأمارة بالسوء وهمساتها بالشرور والآثام ، وما قد يعزم العبد عليه ، دون أن ينفذ ما عزم عليه ، فإن الله لايحاسب الإنسان على مثل هذه الأشياء تكرما منه ، وشفقة على عباده ، من حيث إنه لم يكلفهم مالا يطيقون ولم يؤاخذهم بما لايعلمون ، قال تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(البقرة الآية : ٢٨٦) .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ لايكلف عباده إلا ما يستطيعون تأديته ، والقيام به ، ولذلك كان كل مكلف مجزيا بعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

ويقول ابن كثير : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لايكلف أحدا فوق طاقته ، وهذا من لطفه ـ تعالى ـ بخلقه ، ورأفته ، وإحسانه

إليهم (٧) . . . فالله لايكلف نفسا إلا وسعها ولايحملها إلا ماتسعه وتطيقه ولاتعجز عنه (٨) .

فالإسلام ـ كما ترى ـ دين السماحة واليسر ، جاء بالحنيفية السمحة ، التى كانت منهجا لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وسائر الأنبياء .

﴿ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (الأنعام الآية : ١٦١)

لقد خلق الله الإنسان وعلم ضعفه ، ومدى طاقته واحتماله ، فشرع له بالقدر الميسر الذى يستطيعه ، ولايشق عليه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك الآية : ١٤)

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء الآية : ٢٨) .

يقول الفخر الرازى : « وهذا عام فى كل أحكام الشرع ، وفى جميع ما يسره لنا وسهله علينا ، إحسانا منه إلينا ، ولم يثقل التكليف ، كما ثقل على بنى إسرائيل » (٩) .

وإرادة التخفيف عن المسلمين ـ فيما أخذهم الله به من أحكام : هى من حكمة الله ورحمته ، ليس لأحد أن ينازع الله فى حكمته ، أو يمسك عن عباده رحمته ، لأنه لا متعلق لأحد بهذه الإرادة ولا مطلوب فيها لأحد ، إنها خالصة من الله بعباده (١٠) .

ولايفوت الباحث : أن يعرف أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد هيأ نبيه محمدا ـ ﷺ ـ وأعده على نحو خاص ، يتواكب دائما مع روح الإسلام ومنهاجه ، فى اليسر ، والسماحة ، والتخفيف ، ورفع الحرج ، فكان خير نبى بعث بخير رسالة ، لخير أمة أخرجت للناس ، قال تعالى :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الأعلى الآيات : ٦ ـ ٨)

التى يسهل على النفوس قبولها ، ولايصعب على العقول فهمها ، وقد جعلت الآية الإنسان هو الميسر للفعل ، وليس الفعل هو الميسر للإنسان ، من قبل أن الفعل لايحصل إلا إذا وجدت العزيمة الصادقة والإرادة النافذة لإيجاده ، مع التوفيق لسلوك أقوم الطرق ، التى توصل إليه (١١) .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الشريعة التى دعا إليها الرسول ـ ﷺ ـ إلا ليكون مصدر إشعاع ومنار هداية ، وموئل رحمة منه ـ سبحانه وتعالى ـ إلى عباده ، تشع من جوانبه السماحة واليسر ، قال تعالى : ﴿ طه ۝ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ (طه الآيات : ١ ـ ٣)

فالإسلام دين لاتكلف فيه ولا إعنات ، ولاتنطع ، ولاتشدد ، ولقد نعى النبى ـ ﷺ ـ على المتنطعين ، والمترمتين ، ووضح أن عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ تقوم على الالتزام بأوامره ، واجتناب نواهيه ، وطاعته بالقدر الميسور الملائم لطبيعة البشر ، فلا تجاوز أو تقصير فى حق الفرد ، وحقوق الآخرين عليه .

---

(٧) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ٥٠٨ .
(٨) القاسمى ، محاسن التأويل ج ٣ ص ٧٣٤ .
(٩) الفخر الرازى ، التفسير الكبير ، ج ٥ ص ٧٠ .
(١٠) عبد الكريم الخطيب ، التفسير القرآنى للقرآن ج ٥ ص ٧٦٥ ، ط : دار الفكر العربى ، بمصر .
(١١) القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ١٠٩ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - قال : « إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة »(١٢) .

وعن أبي مسعود رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا (١٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - ﷺ - يسألون عن عبادة النبي - ﷺ - فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبي - ﷺ - وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال أحدهم : وأما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله - ﷺ - إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي ، وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » (١٤) .

لقد نهى الإسلام عن الغلو في الدين ، من غير مراعاة لحق النفس ، وحقوق الآخرين قال رسول الله - ﷺ - : « لاتغلوا في دينكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بغلوهم في دينهم » (١٥) .

وقال ﷺ - : « الإسلام متين ، فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

ومن سماحة الإسلام ويسره : إباحة طعام أهل الكتاب (١٦) ومشروعية الرفق بأهل الذمة (١٧) والرحمة العامة بالناس كلهم ، قال رسول الله - ﷺ - : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » (١٨) . . . وقال : « من لايرحم لايرحم » (١٩) .

لقد جاء الإسلام حكيما في توجيهاته ، شريفا في وسائله ومقاصده ، نبيلا في أهدافه وغاياته ، كريما عندما قدر ضعف الإنسان ، وراعى ظروفه ، لأنه أدرى بالمصلح له من المفسد ، فتعامل معه برفق وحنان ، كما يتعامل الطبيب الماهر مع مريضه على النحو الذي يكفل له السلامة ، ويضمن له الصحة والعافية .

والباحث في صفحات يسر الإسلام وسماحته ، يجد جوانب متعددة ، وريا متجددا وزادا لاينفد .

فالإسلام على يسر في كافة أحوال المسلمين وسائر شئونهم ، ليظفروا بمرضاة الله ، ولتزدهر بهم شجرة الحياة ، لأن كل ما فوق الوسع والطاقة ، لايكلف الله به عباده ، حتى لايتطرق إليهم الملل ، ولايشيع فيهم السأم ، مصداقا

---

(١٢) مصطفى المراغي . تفسير القرآن ج ٣٠ ص ١٢٤ .
(١٣) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري . كتاب الإيمان . باب الدين يسر ج ١ ص ٩٣ .
(١٤) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي . كتاب العلم . باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ج ١٦ ص ٢٢٠ .
(١٥) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري . كتاب النكاح . باب الترغيب في النكاح ج ٩ ص ١٠٤ .
(١٦) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٢١٥ ، ص ٣٤٧ .
(١٧) ابن قدامة . المغني ج ٩ ص ٣٩٠ تحقيق محمود عبد الوهاب فايد ، وعبد القادر أحمد عطا . ط : مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
(١٨) د / يوسف القرضاوي . غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٩ - ص ٣٠ . ط : مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
(١٩) رواه أحمد في مسنده . ج ٢ ص ١٦٠ .

لقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٢٠] (البقرة الآية : ٢٨٦) .

لقد راعى الله ظروف الإنسان العارضة ، وقدر أحواله الطارئة التى تخرج عن إرادته ، فنظر إلى ذلك نظرة اليسر والتسامح والتخفيف ، رفعا للإثم ، ودفعا للحرج ، فأباح التيمم لعباده عند المرض ، أو السفر الذى يمنع من استعمال الماء ، أو عند فقدانه توسعة منه على عباده ، ورحمة بهم ، وذلك بالصعيد الطيب ، فالله ـ تعالى ـ غنى عن عباده ولايشرع لهم إلا ما فيه الخير والنفع لهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة الآية : ٦).

فالإسلام دين السماحة ، يريد للمنتسبين إليه اليسر ، ولا يريد بهم العسر فلقد رخص الشارع للمريض الذى يضره استعمال الماء ، أو المسافر الذى ليس لديه من الماء ما يكفيه لطهارته ، أو المنقطع فى مكان ليس به ماء : أن يتيمم صعيدا طيبا ، تيسيرا من الله ورحمة بعباده . فالله ـ سبحانه وتعالى ـ ما يريد ليجعل على المسلمين فيما شرعه حرجا ما ، ولا أدنى ضيق ، وأقل مشقة [٢١] .

فلهذا سهل الله على المسلمين ، ويسر ولم يعسر ، بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء ، توسعة عليهم ، ورحمة بهم [٢٢] .

لقد أراد الله لعباده اليسر والتخفيف ، فأمرهم بالصلاة بالقدر الذى يتيسر لهم ، وتتحمله قواهم البدنية ، حتى لايسأم الناس ، فيملوا الطاعة ، والناس منهم المريض ، والمسافر والمجاهد ، الذى لايستطيع ذلك ، فخفف الله عن الجميع تفضلا منه وتيسيرا على عباده .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المزمل الآية : ٢٠)

فالله يعلم أنكم لن تحصوا ساعات الليل إحصاء تاما ، فإذا زدتم على المفروض ثقل ذلك عليكم ، وكلفتم ماليس بفرض ، وإن نقصتم شق هذا عليكم ، فتاب عليكم ، ورجع بكم من تثقيل إلى تخفيف ومن عسر إلى يسر ، وطلب منكم أن تصلوا ماتيسر بالليل [٢٣] .

فلاتتجاوزوا ما قدره لكم رحمة بأنفسكم [٢٤] ◄

---

(٢٠) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ج ١٠ ص ٤٣٦ .
(٢١) مصطفى المراغى ، تفسير القرآن ج ٦ ص ٦٤ .
(٢٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٥ .
(٢٣) مصطفى المراغى ، تفسير القرآن ، ج ٢٩، ص ١٢٠ .
(٢٤) القاسمى ، محاسن التأويل ج ١٦ ص ٥٩٦٣ .

ويقول تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (النساء آية : ١٠١)

فالسفر يفرض على صاحبه أن يسير فى برنامج غير برنامجه الذى استمرأ سلوكه فى حال الإقامة ، كما أنه يفرض عليه تجشم المصاعب من الإدلاج ، والسهر ، والتعرض للبرد ، أو الحر ، أو إعواز الماء ، وخوف الانقطاع ، فهو حينئذ ليس بمطمئن البال ، ولا بمستريح الجسم ، ومن أجل ذلك كان السفر مظنة للمشقة والعناء ، فكان جديرا بأن يحظى بنوع من اليسر والسهولة فى التكاليف ، كى يستطيع المسافر القيام بها ، دون إدخال له فى الحرج (٢٥) ولهذا ليس على المسلمين جناح أن يخففوا من كمية الصلاة ، بأن تجعل الرباعية ثنائية (٢٦) .

ومن يسر الإسلام وسماحته فى الصلاة أنه قد يطرأ على الإنسان ما يجعله لايستطيع أداء الصلاة المكتوبة قائما ، كما هو الحال فى الظروف العادية المألوفة ، كأن يكون فى حالة خوف من عدو متربص ، أو وحش مترقب ، إنه فى هذه الحالة يصلى كيفما تيسر له ، راجلا أو راكبا ، حيثما توجه ولاتسقط بحال . هذا إذا كان منفردا ، أما إذا كانت جماعة : فلها أحكام مبسوطة فى كتب الفقه . قال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة الآية : ٢٣٩) .

يقول القرطبى : فكما أمر الله تعالى بالقيام له فى الصلاة بحال القنوت ، وهو : الوقار ، والسكينة ، وهدوء الجوارح ، وهذا على الحالة الغالبة من الأمن والطمأنينة ، ذكر حالة الخوف الطارئة أحيانا ، وبين أن هذه العبادة لاتسقط عن العبد بحال ، ورخص لعباده فى الصلاة رجالا على الأقدام ، وركبانا على الخيل والإبل ونحوهما ، إيماء وإشارة بالرأس حيثما توجه . هذا قول العلماء وهذه هى صلاة الفذ ، الذى قد ضايقه الخوف على نفسه ، من سبع يطلبه أو من عدو يتبعه أو سيل يحمله وبالجملة فكل أمر يخاف منه على روحه فهو مبيح ماتضمنته هذه الآية (٢٧).

فإن خاف المسلمون أى ضرر من القيام قانتين لله ، صلوا كيفما تيسر لهم راجلين أو راكبين ، وفى هذا تأكيد للمحافظة على الصلاة ، وبيان أنها لاتسقط بحال ، إلا حال الخوف على النفس أو المال أو العرض مظنة العذر فى تركها ، كما يكون السفر عذرا فى ترك الصيام ، والسبب فى عدم سقوطها على المكلف فى كل حال ، أنها عمل مذكر بسلطان الله - سبحانه وتعالى - المستولى علينا ، وعلى العالم كله ، وما الأعمال الظاهرة إلا مساعدة على العمل القلبى المقصود بالذات ، إذ من شأن الإنسان أنه إذا أراد عملا قلبيا ، يحتاج إلى جمع الفكر ، وحضور القلب ، أن يستعين على ذلك ببعض ما يناسبه من قول وعمل .

فإذا تعذر بعض الأعمال البدنية فلا تسقط العبادة القلبية ، وهى : الإقبال على الله ، مع الإشارة إلى تلك الأعمال بقدر المستطاع ، ويكون

---

(٢٥) د/ عبد العزيز الربيعة . صور من سماحة الإسلام ص ٤٠ .
(٢٦) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤٧ .
(٢٧) القرطبى . الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٠٣١ .

ذلك حين قتال العدو ، أو الفرار من أسد ، فيصلى المكلف راجلا أو راكبا إن حانت الصلاة ، لايمنعه من ذلك الكر والفر ، والطعن والضرب ، ويأتى من أقوال الصلاة وأفعالها بما يستطاع من ركوع وسجود ، ولايلتزم التوجه للقبلة [28] .

فالصلاة لما كانت خير ذكر ، قصر أمر الله بها المؤمن ، وكلفه بأدائها على أى وجه استطاعه ، والمؤمن من يجب عليه أن يذكر الله فى كل أحيانه ، كما كان يفعل النبى ـ ﷺ ـ لأنه بذكر الله تطمئن القلوب ، وبالتفكير فى ملكوته وآلائه يرسخ الإيمان ، والصلاة من الذكر ، فإن صلى الإنسان وكان مريضا يشق عليه القيام ، صلى قاعدا ، فإن لم يستطع فعلى جنبه ، يومىء إيماء ، فما جعل الله على المسلمين فى الدين من حرج .

قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران الآية : ١٩١)

وإذا كانت الآية فى الصلاة ففقهها : أن الإنسان يصلى قائما ، فإذا لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنبه [29]

ما أعظم رحمة الله بعباده ، وما أجلها من رحمة ، وما أيسر تشريعاته التى شملت الدين كله ، فقد جمع الله فى تشريعاته السمحة بين خيرى الدنيا والآخرة ، فأمر عباده بالضرب فى الأرض ، إما سعيا على العيش ، وإما جهادا لنشر دينه وإعلاء كلمته ، مع تيسير العبادة لهم فى السفر صلاة وصوما حسب حالهم وطاقتهم .

والنبى ـ ﷺ ـ كان مثالا يحتذى لأمته فى عدم التضييق والتشديد ، فلقد كانت صلاته وخطبه ومواعظه ، لا بالقصيرة المخلة ، ولا بالطويلة المملة ، وكذلك تعلم منه ، واقتدى به أتباعه ـ ﷺ ـ عن عمران بن الحصين ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب » [30] .

وعن المغيرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « صل بصلاة أضعف القوم » [31] .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن النبى ـ ﷺ ـ دخل عليها وعندها امرأة ، قال : « من هذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها قال : « مه عليكم بما تطيقون . . . فوالله لايمل حتى تملوا » [32] .

فالإسلام ـ كما ترى ـ : هو المنبع الصافى ، الذى يستقى منه المسلم ما يصلح حاله فى الدنيا والآخرة ، مع التيسير عليه ، حتى يتمكن من أداء ما كلف به على خير وجه .

« يتبع »

(٢٨) مصطفى المراغى ، تفسير القرآن ج ٢ ص ٢١٣ .
(٢٩) القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٠٥٣ .
(٣٠) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب تقصير الصلاة ، باب إذا لم تطق قاعدا فعلى جنب ج ٢ ص ٥٨٧ .
(٣١) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ـ كتاب الآذان ، باب من شكى إمامه إذا طول ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٣٢) (لايمل) أى يعطى الثواب ، ولايعجز ، ولايعرض عن العبد ، ولايقطع عنه الإقبال عليه بالرحمة والإحسان . (حتى تملوا) أى تقصروا فى طاعة الله ، وتعرضوا عن عبادته بعد الدخول فيها ، لملالة النفس ، ابن حجر ، فتح البارى كتاب الإيمان ، باب أحب الدين إلى الله أدومه ج ١ ص ١٠٢ .

الداعية الإسلامي

وأهمية القدرة على الفهم والإفهام

للأستاذ الدكتور: محمد محمد البادى (*)

تجمع الدعوة الإسلامية بين الدين والدنيا فى تكامل وثيق، وتتطلب أن يكون هذا التكامل الوثيق متمثلا فى دعاتها، وأن يكون كل داعية قادرا على نقل هذا التكامل الوثيق إلى الآخرين، بالكيفية التى يستطيعون بها ترجمته إلى سلوكيات معبرة، سواء فى مواجهة أنفسهم، أو فى مواجهة أقرانهم، أو فى مواجهة مجتمعهم وعالمهم.

وقد تمثلت هذه الحقيقة واضحة جلية فى أولئك الرسل الذين أرسلهم النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى القبائل والأمصار. كما تمثلت بوضوح وجلاء فى أولئك المسلمين الأوائل الذين حملوا الدعوة الإسلامية إلى بقاع الأرض المترامية، فكانت إطارا لحركتهم فى مواجهة الشعوب الأخرى، وكانت أساسا لفكرهم وعلاقاتهم ووحدتهم.

ولئن كان لهذه الحقيقة أهميتها عند قيام الدعوة الإسلامية وانتشارها، فإنها تكون أكثر أهمية وإلحاحا فى مواجهة المحافظة عليها ودعمها فى هذا العصر الذى تراكمت فيه التحديات الحضارية والعلمية والثقافية، فأثقلت خطى الدعوة الإسلامية، بل وفجرت فى مواجهتها هستيريا الخوف منها وصرخات الدعوة إلى مقاومتها من مجتمعات تربعت على قمة التقدم وملكت عناصر القوة بكل مفاهيم هذا العصر.

وفى تقديرنا، أن المدخل إلى إحداث هذا التكامل الوثيق بين الدين والدنيا، كأساس مستمر للدعوة الإسلامية فى هذا العصر، يكمن فى توفير خاصية القدرة على الفهم والإفهام عند الداعية الإسلامى. فالدعوة الإسلامية فى ذاتها

(*) أستاذ ورئيس قسم الصحافة بكلية الآداب - جامعة المنصورة.

قوية ، ويجتمع لها بالفعل هذا التكامل الوثيق بين الدين والدنيا ، لكن بعض دعاتها ، كصفة عامة يتقصهم هذا التكامل الوثيق بين الدين والدنيا ، لأنهم لا تتوفر فيهم القدرة على الفهم والإفهام بالمعنى المقصود هنا ، وبدرجة واضحة وملموسة .

فما هو المقصود بهذه القدرة على الفهم والإفهام على ضوء ظروف هذا العصر وتحدياته ، وعلى ضوء ظروف المجتمعات الإسلامية ومشكلاتها ، وداخل إطار المفاهيم والنتائج التى انتهت إليها علوم الإقناع الحديثة ، والتى جاءت وليدة لتطورات هذا العصر ولمواجهة تحدياته ؟ وكيف نستطيع توفيرها للداعية الإسلامى بالدرجة التى نطمئن عندها على أنه قادر على حمل الرسالة وحفظ الأمانة ونشر الدعوة ، وبالكيفية التى تحدث تكاملا فى نفوس وعقول من يستمع إليه أو يقرأ له ، وتنعكس بالتالى على سلوكياتهم وعلاقاتهم ؟ ذلك لأنه إذا لم تكن للدعوة آثار واقعية على حياة الناس ، فإننا لا نستطيع القول أنها حققت أهدافها .

وبادىء ذى بدء نقول : إن العصر الذى نعيشه يعج بالتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتقنية والإعلامية ، عصر تتفاعل داخله متغيرات ومشكلات وتحديات لكل المجتمعات المعاصرة بصفة عامة ، ولكل مجتمع منها بصفة خاصة .

لقد تهاوت نظم سياسية بأكملها ، واهتزت نظم سياسية ، وبرزت إلى الوجود نظم سياسية ، وعلت نظم سياسية ، وهوت نظم سياسية أخرى . وتحول الصراع السياسى بين فلسفات متعارضة ومتصادمة إلى صراع على البقاء والمكانة .

وأصبح الاقتصاد عصبا للحياة السياسية ، وقاعدة للبقاء والمكانة ، ووقودا للصراع السياسى بين الدول المعاصرة ، حتى إن الخبراء الدوليين يؤكدون على أن الصراع السياسى القديم خلال القرن العشرين الميلادى ، سوف يتحول إلى صراع اقتصادى خلال القرن الواحد والعشرين الميلادى . ولعل مانشأ خلال هذه السنوات العشر الأخيرة يؤكد هذا الاستنتاج ويدعمه .

ويقود هذا الصراع الاقتصادى إلى تطور علمى وتقنى هائل ومذهل . ولسوف تستمر قوة هذا التطور فى تعاظمها خلال السنوات القادمة . ولسوف يؤدى هذا التطور المتعاظم إلى توسيع الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية . وهذا يعنى ، فى رأى الخبراء الغربيين أن القوى سوف يزداد قوة ، وأن الضعيف سوف يزداد ضعفا .

ولئن كانت الشواهد الحالية تؤكد صحة استنتاجات هؤلاء الخبراء الغربيين ، إلا أن المستقبل فى علم الله - تعالى - ويخلق الله مالا نعلم . ومن ثم ، فإن هذه التنبؤات إن دلت على شىء ، فإنما تدل على مدى حدة هذا الصراع الاقتصادى القائم على التفوق العلمى والتقنى ، سواء فى الحاضر أو فى المستقبل . وإن كنا لا نستطيع أن نجزم بنتيجة هذا الصراع .

ولقد اقترنت بهذه التغيرات العلمية والتقنية

والاقتصادية والسياسية الهائلة ، تغيرات اجتماعية متعددة وسريعة أيضا ، ونتجت عن هذه التغيرات مشكلات اجتماعية حادة وخطيرة فى المجتمعات المتقدمة ، أدت إلى مواقف ضاغطة على حياة الفرد العقلية والعصبية والنفسية ، لعدم قدرته على التوافق والتكيف مع ما يحدث حوله من تغيرات تقنية واجتماعية ، بكل سرعتها ومشكلاتها وتعقيداتها .

ومع تزايد هذه التطورات والتغيرات والمشكلات والضغوط فى المجتمعات المتقدمة ، أسرعت عوامل الهدم للعلاقات الاجتماعية والشخصية ، بدون أن تحل محلها علاقات أخرى منظمة وأكثر ملاءمة ، وبدون أن يفهم الفرد أو يستوعب ما يجرى حوله ، وبدون أن تتقدم الدراسات الاجتماعية والدينية لتجعل هذا التحول أو التغير السريع أكثر أمانا واتزانا ولعل ما يحدث للروابط الأسرية والاجتماعية فى هذه المجتمعات يعطى أدلة وشواهد واقعية مؤكدة . وهذه كلها مشكلات اجتماعية معقدة .

وتؤكد إحدى الدراسات العلمية الأمريكية أن الفرد فى هذه المجتمعات المتقدمة أصبح يشعر بعدم القدرة على التكيف مع بيئته ومجتمعه بصفة عامة . فهو يحس بعدم الرضا عن النفس ، ويعيش فريسة لعوامل القلق والاضطراب والتمزق ، وتنتشر مظاهر الملل والسأم بدرجة أصبح معها كثير من الأفراد على استعداد للتخلى عن حرياتهم فهم يشعرون أن الحياة أصبحت أكثر تعقيدا ، ومن الصعب أن يكونوا أمناء عليها وعلى أنفسهم . وتضيف دراسة علمية أمريكية أخرى ، أن هذه الحياة الاجتماعية المعقدة والمضطربة تواجه الناس بأمراض نفسية وعصبية ، يمكن أن تفقدهم القدرة على التعامل المتزن مع البيئة التى يعيشون فيها ، ويمكن أيضا أن تفقدهم وجهتهم فى الحياة .

أما المجتمعات النامية ، ونحن نعرف أن كل المجتمعات الإسلامية محسوبة من بينها ، فإنها خضعت لسنوات طويلة للاستعمار الغربى الذى حاول أن يفقدها هويتها وأصالتها ، وأن يقضى على ثقافتها وعناصر قوتها ، والذى زرع فيها قبل رحيله بذور تقاليده وعاداته وثقافته ولغته . وجاءت ظروفها المتخلفة التى ورثتها بعد استقلالها لتزيد كل هذه العوامل عمقا وتأثيرا .

وعلى الرغم من أن هناك دراسات علمية دولية انتهت إلى أنسب الوسائل والأساليب لتنمية هذه المجتمعات ، إلا أن صراع المصالح الدولية أضعف حجم المساعدات المادية والتقنية المتاحة لها . كما أن هذه المجتمعات اختلفت فيما بينها فى وضع أولويات لمشكلاتها ، وفشلت فى وضع خطط متكاملة للتنمية ، واختلفت كذلك فى المنهج الذى اختارته لمواجهة مشكلاتها . وحدثت كل هذه الاختلافات وأوجه القصور داخل إطار من الإمكانيات المادية والفنية الضعيفة والمحدودة ، وفى مواجهة ظروف ومشكلات محلية ودولية بالغة التعقيد ، فكان لابد أن تحدث فجوة بين حجم الآمال والتوقعات وما أمكن تحقيقه بالفعل ، وأصبحت هذه الفجوة تزداد اتساعا بمرور الوقت تحت ضغط المشكلات والتحديات التى تتولد وتتكاثر وتتنوع .

ولعل أخطر هذه المشكلات والتحديات وأكثرها تأثيرا على حاضرها ومستقبلها ، هو أن هذه المجتمعات لم تأخذ بالتنمية المتوازنة بين الفرد والبيئة . لقد ركزت على عناصر التقدم المادى للبيئة على حساب التوازن النفسى والعقلى للفرد ، مما أفقده قدرته على التوافق بين متطلبات التقدم والإسهام فى صنعه . فكانت النتيجة بعض التقدم المادى للبيئة ، وكثيرا من التمزق النفسى والعقلى للفرد داخل هذه البيئة .

ولقد حدثت كل هذه التطورات والتغيرات والمشكلات فى المجتمعات المتقدمة والنامية ، فى الوقت الذى حدثت فيه ثورة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ، فزادت وسائل الاتصال الجماهيرى اتساعا وتنوعا ، وزادت وسائلها المساعدة كفاءة وتقدما ، وظهرت وسائل لم تكن معروفة من قبل كأقمار الاتصال والفيديو ، وتأكدت وتعاظمت الوسائل التقليدية المعروفة كالصحف والمجلات والراديو والتليفزيون والسينما ، وتعاظم حجم الإنتاج الفنى لهذه الوسائل على حساب نوعيتها . وانتهت هذه الثورة إلى ربط العالم بكل مجتمعاته المتقدمة والنامية بشبكة من الاتصالات التى فتحت الحدود وقربت المسافات وغزت البيوت والنفوس والعقول ، حتى إنهم ليقولون إن العالم أصبح قرية اتصالية صغيرة . فما يحدث فى مكان ما ، تنتقل أخباره إلى كل الأماكن فى نفس لحظة حدوثه .

ولئن كان لكل هذه التطورات العلمية والتقنية فى مجال الاتصال الجماهيرى والدولى مغزاها وإيجابياتها ، فإن لها أيضا سلبياتها . فلقد حدثت فى الوقت الذى كان فيه إخلال بالتوازن الدولى فى مجال المعلومات لصالح الدول المتقدمة وعلى حساب الدول النامية ، كما حدثت فى الوقت الذى لم تتخل فيه الدول المتقدمة عن أحلام الهيمنة والسيطرة ، سواء منها المادية أو الثقافية ، والتى مارستها على أرض الواقع أيام الاستعمار العسكرى ، وتمارسها الآن على أرض الواقع من خلال غزوها الثقافى للمجتمعات النامية .

المجتمع الإسلامى
بين الواقع والآمال

ولقد انقشع ضباب كل هذه التطورات والتغيرات والمشكلات التى تحدث فى العالم قليلا ، ليكشف عن حقائق تسطع بوضوح بين الأكمة المترامية والكثيفة . فالدين الإسلامى لا يزال صحيحا معافى ومحفوظا فى النفوس والعقول والصدور وداخل مصادره الأساسية ، هذا من ناحية ، لكن المجتمعات الإسلامية ، كجزء من المجتمعات النامية بصفة خاصة ، ومن العالم الذى تعيش فيه بصفة عامة ، تعانى من مشكلات التخلف وتحديات العصر إلى جانب الادعاءات الكاذبة والأباطيل المفتراة ، وهذا من ناحية ثانية . ولعل ما يحدث فى البوسنة وكوسوفو والشيشان وأفغانستان وغيرها يمثل قمة الصدام وذروة التحدى للإسلام والمسلمين ، كما أن مايحدث داخل هذه الدول الإسلامية من جرى وراء التقليد لقيم وتقاليد وسلوكيات شائعة فى هذه المجتمعات



المتقدمة ، داخل إطار ما يسمونه بفنون السينما والمسرح والتليفزيون والصحافة ، يبين بوضوح إلى أى مدى حقق الغزو الثقافى أغراضه فى هذه المجتمعات الإسلامية ، خاصة أن هذه الممارسات الفنية انعكست بوضوح على سلوكيات كثير من الأسر .

ويأتى التساؤل الذى أثرناه فى بداية هذا المقال حول ما يقصد بالقدرة على الفهم والإفهام كأساس لإحداث التكامل الوثيق بين الدين والدنيا عند الداعية الإسلامى ، وسط كل هذه الظروف العصرية ومشكلاتها الاجتماعية وتحدياتها الثقافية ، ولنحاول هنا أن نجد له إجابة واضحة .

فماذا يفهم الداعية الإسلامى ؟ إن الإجابة لا تحتاج إلى عناء كبير فالدعوة الإسلامية التى تجمع بين الدين والدنيا فى تكامل وثيق ، لا تستطيع أن تتجاهل ما يحدث فى العالم من حولها وداخل المجتمعات التى تحتضنها . ومن ثم ، يكون على من يحمل مسئوليتها ، أن يفهموا كل ما يحدث فى العصر من تقدم علمى وتقنى ومن تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ، وانعكاساتها على مجتمعاتهم النامية وسكانها إن هذا الفهم يعنى فهما للمناخ العصرى المحيط بالدعوة الإسلامية داخل المجتمعات الإسلامية وحولها ، ويعنى أيضا فهما لمغزى مايحدث داخله من تغيرات ومشكلات وتحديات وانعكاساته على أساليب التفسير فى مواجهة الأفراد والجماعات ، سواء داخل المجتمعات الإسلامية أو خارجها على مستوى العالم كله .

وفى تقديرى ، أنه إذا كانت المعاهد والكليات الأزهرية فى مصر أدخلت علوم العصر إلى مناهجها ، فإن الهدف هنا هو مساعدة الطلبة الدارسين للدين الإسلامى على أن يتطوروا مع العصر . لكن هذا لا يكفى ، لأن الاستمرار فى المتابعة والتحصيل يصبح أكثر أهمية ، لأن ما يحدث اليوم يتغير غدا ويتعقد بعد غد . وما لم يواصل الداعية الإسلامية قراءاته ومطالعاته لاستيعاب كل جديد يحدث فى الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، فسوف يقف فكره ويتجمد عند حدود ضيقة ومتخلفة .

وننتقل إلى النقطة الثانية ، وهى : كيف يفهم ؟ ليكن واضحا أن الداعية الإسلامى لا يقرأ ويطالع لكى تزداد معارفه فقط ، وإنما ليفهم الكيفية التى تصبح بها دعوته مستجابة ومؤثرة . ومن ثم ، فإن قراءاته توفر له فهما واضحا للظروف المحيطة بدعوته وتأثيرها على مستمعيه وقرائه وعلى الكيفية التى يتحدث بها أو يكتب بها . ويكون الربط بين مفهوم الدعوة ومضمونها وظروفها مدخلا أساسيا للوصول إلى التأثير المطلوب على إنسان يتمزق بين ما يسمع ويرى فى حياته الدينية والدنيوية .

وإذا نجح الداعية الإسلامى فى تحقيق ذلك ، نستطيع القول أنه ملك القدرة على الفهم أما القدرة على الإفهام ، فإنها لا تتحقق إلا إذا ملك هذا الداعية الإسلامى صفات شخصية تمكنه من تبسيط ما فهم واستوعب واستنتج ، بالدرجة التى يتمكن بها الفرد العادى بكل مستوياته العقلية وتعقيداته النفسية وظروفه المادية ومشكلات مجتمعه وظروف عصره ، أن يفهم الكيفية التى

يتكامل بها دينيا ودنيويا ، وأن يترجم هذا الفهم إلى سلوكيات لفظية وفعلية معبرة فى حياته اليومية .

وهذه الحقائق جميعها تعنى أنه على الداعية الإسلامى أن يكون ذا عقل ناضج وفكر ثاقب وخيال خصب وفصاحة واسعة ، وأن يملك القدرة على التأثير ، وأن تدعمه القدوة الحسنة فى المجتمع ، وأن يسانده إطار اجتماعى له فلسفته التربوية الإسلامية .

وتعنى أنه إذا كانت هذه الصفات الشخصية متوافرة فى بعض الناس ، وليست متوافرة فى بعضهم الآخر ، فإن على المعاهد والكليات التى تعد الدعاة الإسلاميين أن تحسن اختيارهم وأن تعد لهم المناهج الدراسية التى تمكنهم من اكتشاف الطريق السليم نحو تمثل التكامل بين الدين والدنيا داخل إطار هذا العصر وظروف المجتمعات التى يعملون فيها والبشر الذين يتعاملون معهم .

وتعنى أيضا ، أن الداعية الإسلامى يحتاج إلى مكتبات إسلامية متطورة فى كل مدينة يعمل بها ، تجمع ما بين متطلبات الدين ومتطلبات الدنيا معا على ضوء تغيرات العصر وتحدياته وظروف المجتمع ومشكلاته . وإذا كانت العواصم تحتكر الفكر والثقافة فى المجتمعات الإسلامية النامية ، فقد حان الوقت لكسر هذا الاحتكار . فليس معقولا أن تطلب من كل داعية أن يسافر عشرات أو مئات الكيلو مترات لكى يتثقف ويستوعب . وإنما المعقول أن تنتقل المكتبة العصرية إليه حيثما يوجد وأينما يمارس رسالته .

وتعنى هذه الحقائق كذلك ، أن الداعية الإسلامى يحتاج إلى تدريب عمل مستمر ومتجدد ، حتى تتأكد قدراته على الإفهام ، وحتى تتأكد الجهات المسئولة عن الدعوة الإسلامية أن الأمور تسير فى الطريق الصحيح ، وأن الدعوة تحقق غاياتها على أرض الواقع . وهنا تكون الدراسات الميدانية واجبا آخر تتأكد به هذه الجهات المسئولة من حدوث النتائج بالكيفية المستهدفة ، وتستطيع من خلاله أن تغير وتجدد فى برامج التدريب العملى .

وأخيرا ، إذا أردنا داعية إسلاميا يتفرغ بعقله وقلبه لعلمه ورسالته بالكيفية التى تفرضها ظروف عصره وتحدياتها وتغيرات مجتمعه ومشكلاتها ، فلا بد أن نوفر له ظروفا معيشية مريحة . إننا لا نستطيع أن نطلب منه عمق الفهم والإصرار فى المتابعة والاستنتاج ، وجزء من عقله ونفسه مشغول بمشكلات مادية ومعيشية شخصية وعائلية .

وخلاصة القول هنا أن الدعوة الإسلامية لا تعمل فى فراغ ، وإنما تعمل فى وسط اجتماعى وعالمى ، وهى تتفاعل مع ظروف مجتمعها وعصرها . وهذا الوضع يفرض وجود داعية إسلامى له مواصفات طبيعية وثقافية ومادية معينة ومحددة ، إذا أردنا دعوة قوية وداعية فاعلاً ومؤثراً .



للأستاذ الدكتور :
مسلم شلتوت

قوم عاد هم نسل عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح ، وكانوا يقطنون فى أرض الأحقاف ، فى شمال حضرموت وعُمان ، وكان مُلكهم يمتد من « رمل عالج » باليمن إلى « صحار » بسلطنة عُمان (الأحقاف ـ جمع حقف ـ وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء ـ وهو الكثبان الرملية)

والأحقاف الآن ـ رمال هشة ـ شديدة النعومة ـ يقال إنها تبتلع كل من يقع فوقها ، ويسمونها منطقة الرمال المتحركة بالرّبع الخالى من المملكة العربية السعودية ، وكان لقوم عاد حضارة كبيرة وزرع وبساتين .

ولقد ثبت من دراسات الاستشعار عن بعد وخاصة باستخدام الرادار أن هذه الكثبان الرملية تتميز بوجود أودية جافة قديمة أسفلها ، تكونت فى العصور المطيرة عندما كانت الأمطار تهطل بكثرة ، وكان البشر يعيشون فى جنة وارفة الظلال فى أودية تعج بالماء والحياة ، ثم حدث تغير فى المناخ فانقطع المطر ، وجف الزرع ، وماتت الحياة .. هذه الأودية الجافة القديمة تحت الكثبان الرملية لا يمكن رؤيتها إلا عن طريق الاستشعار عن بعد بالرادار ، لذلك تسمى مجازياً « أنهار الرادار » *Radar Rivers* وتحت هذه الأودية القديمة توجد خزانات مياه جوفية .

وقد أعلن فى المؤتمر الذى نظمته هيئة اليونسكو فى القاهرة فى مايو ١٩٩٦ حول (التراكمات الرملية والمياه الجوفية فى الصحارى) « *Sand accu-*

mulation and under ground water in the Sahara » بأن منطقة صحار بسلطنة عُمان توجد بها مياه جوفية تحت الكثبان الرملية .

وقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار فى كتابه (قصص الأنبياء) أن السيد عبد الله بن أحمد بن عم بن يحيى العلوى من أهل حضرموت قال إنه ذهب لمنطقة الأحقاف شمال حضرموت ونقب وعثر على بعض الآنية الجميلة المصنوعة من المرمر الجيد عليها كتابة بالخط المسمارى ثم ترك التنقيب لمضايقة البدو له ـ وعدم قدرته المالية .

وكما هو معلوم فإن جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام بكثير كانت بلاد حضارات ، وبرع أهلها فى بناء وتشييد العمائر العالية ، وكان لى الحظ أن أرى هذه الأبراج العالية كالأعمدة الشاهقة لعنان السماء فى جنوب سلطنة عُمان فى أبريل ١٩٩٦ بعد انتهاء مؤتمر كبار الخبراء العرب فى الطاقة الشمسية والذى عقدته جامعة السلطان قابوس بالتعاون مع اليونسكو ، وكان هذا النظام من العمائر منتشراً فى جنوب الجزيرة العربية فى بلاد الحضارات القديمة والتى عاشت فى رغد من العيش ، وكان منها :

﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ ﴾

(الفجر : ٧ ، ٨) .

وكانت هذه المدن تقع دائماً على دروب السفر للتجارة والتى تصل ما بين جنوب الجزيرة وشمالها .

لقد انقطع المطر ثلاث سنوات متتالية على إرم ذات العماد ، وفى يوم ما أصبح قوم عاد فى ديارهم وقد ساق الله عليهم السحابة السوداء التى اختارها ودخلت عليهم من واد يقال له : المغيث ، فلما رأوها ـ فرحوا واستبشروا وظنوها سحابة ممطرة ، تروى زرعهم ، وتسقى أنعامهم ، وتنقذهم من الهلاك الذى هم فيه إلا أن الله أرسل إليهم هذه الريح المهلكة ، لشركهم به وعصيانهم لنبيهم هود .

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ ﴾

(الحاقة : ٦ ، ٧) .

والريح الصرصر العاتية كما ورد فى كتب التراث هى تلك الريح الحلزونية العاصفة ، والتى تسمى علمياً *Tropical Cyclones* (الأعاصير المدارية) لأنها تقع داخل المنطقة المحصورة ما بين مدارى الجدى والسرطان على الأرض (أى ما بين خطى عرض ٢٣،٥ شمالاً وجنوباً على الكرة الأرضية) ، وهذه الأعاصير المدارية تأخذ أسماء مختلفة فى العالم ، فالبعض يسميها : هرقل كما فى الولايات المتحدة الأمريكية إذا كانت غاية فى العنف أو ترنادو إذا كانت أقل عنفاً .

وفى حالة الأعاصير المدارية العنيفة قد تزيد سرعة دورانها عن مائتى كيلومتر فى الساعة فى بعض الأحيان ، كما يبلغ قطر الدائرة التى تدور فيها خمسين كيلو مترا أحياناً وهى قادرة على حمل الإنسان والحيوان لارتفاعات عالية ثم إسقاطهم على الأرض ويسميها العرب ريح حسومات وهذا ما حدث تماماً لقوم عاد ، ولكن بريح حسومات ، غاية فى العنف والقوة . وهذه الأعاصير المدارية لا تكون إلا فوق المحيطات عند خطوط عرض ١٥° تقريباً ، ثم تتحرك فى اتجاه الشواطىء المطلة

على المحيطات ، وجنوب جزيرة العرب يطل على المحيط الهندى والأحقاف تقع على خط عرض ٢٠° شمالاً تقريبا وهذه الأعاصير لا يمكن أن تصل لشمال الجزيرة العربية أو مصر .

هذه الريح هى التى أهلكت قوم عاد . وهذه رغم حركتها الدورانية الحلزونية فإنها تتحرك حركة أفقية أيضاً ، وقد تقطع فيها آلاف الكيلومترات فى أكثر من أسبوع كتلك التى تقطع جنوب الولايات المتحدة الأمريكية .

من هنا يتبين أن قوم عاد الساميين بجنوب الجزيرة العربية (الربع الخالى) لم يكن لهم أدنى علاقة بالمصريين القدماء الحاميين سكان وادى النيل بشمال أفريقية وهذا يدحض ادعاء أن قوم عاد هم الذين بنوا أهرامات الجيزة ، حيث إن الأهرامات مشيدة عند خط عرض ٣٠° شمالاً وخط طول ٣٠° شرقا .

ونود أن نذكر أن القرآن الكريم لم يذكر صراحة أن طول قوم عاد كان بين الخمسة عشر مترا والعشرين ، ولكن هذا الطول كان تفسيرا فقط لقوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾ (الأعراف : ٦٩) .

ولم يثبت علمياً وجود مخلوقات عملاقة على اليابسة بهذا الشكل .. اللهم إلا بعض أنواع الديناصورات .. وحسب علم الأنثروبولجى فإن الإنسان الحالى لم يتغير فى هيئته ، أو أبعاده كثيراً عن إنسان ما قبل التاريخ .

ولقد زرت متاحف التاريخ الطبيعى فى كل من برلين وبون بألمانيا ، لندن ، باريس ، مدينة دنفر عاصمة ولاية كولورادو الأمريكية . ومتحف الأنثروبولوجيا بلوس أنجلوس بكاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وفيينا بالنمسا ، وملبورن بولاية فيكتوريا بجنوب شرق أستراليا ، وبودابست بالمجر وتتفق جميعا فى أن أجداد الإنسان الحالى *Homo Sapiens* والذين عاشوا منذ حوالى مائتى ألف عام لم يطرأ عليهم تغيير كبير لا فى الهيكل العظمى أو أبعاد الجمجمة عن إنسان العصر الحالى .

أليس ذلك إعجازا علميا كبيرا أن يقص علينا القرآن الكريم بأن هذه الكثبان الرملية الخالية من الزرع ، وتلك الصحراء القاحلة الممتدة ، والتى تذوى فيها الرياح يوجد تحتها آثار حضارة لقوم من العرب البائدة .. الذين أعطاهم الله كل شىء ، ولكنهم عصوه ولم يطيعوا نبيه فيهم هود .

ثم يأتى الاستشعار عن بعد والتصوير الرادارى فى نهاية القرن العشرين ليؤكد وجود وديان قديمة تحت هذه الرمال كانت تعج بالمياه وبالزرع والبساتين بعد مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على نزول الوحى على سيدنا محمد - ﷺ - .

وصدق الله العظيم فى قوله الكريم :

﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ٥)

وأيضاً فى قوله الكريم :

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

(الرحمن : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .



للأستاذ : أحمد السيد تقي الدين

مجاشع بن مسعود السلمي[1]

وجهه عبد الله بن عامر ، والي البصرة إلى (كرمان) ، فحاصر مدنها وفتحها واحدة تلو الأخرى حتى هرب كثير من أهلها إلى (مكران) فأقطعت العرب أرضهم .

الربيع بن زياد الحارثي[2] :

سيره والي البصرة عبد الله بن عامر بتوجيه من الخليفة لفتح (سجستان) فاستولى على حصن (زالق) بعد أن أسر (دهقانة) فافتدى منه وصالحه على صلح أهل فارس ثم فتح (كركويه) و (روشت) و (زرنج) ووادي (سناروذ) ثم عاد الربيع إلى البصرة بعد أن استخلف عليها عاملا من قبله .

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب[3] :

ثم عادت بعض مدن (سجستان) للتمرد من جديد ، وطرد أهل (زرنج عامل الربيع بن زياد ، فولى عبد الله بن عامر ، عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب على سجستان فخرج إليها وحاصر (زرنج) فصالحه مرزبانها على ألفي ألف ◄

(١) البلاذري ، « فتوح البلدان » ، ص ٣٩٦ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

درهم وسار بعد ذلك من (زرنج) إلى (الكش) ناحية بلاد الهند حتى انتهى إلى جبل (الزوز) وهو جبل يضم معبداً به صنم ، عيناه ياقوتتان وجسمه من الذهب المرصع بالجوهر ويقال لهذا الصنم (زوز) ، فقطع عبد الرحمن يدى الصنم وأخذ الياقوتتين وقال للمرزبان : « دونك الذهب والجوهر ، وإنما أردت أن أعلمك أنه لايضر ولا ينفع .

وواصل عبد الرحمن المسير ، وفتح (كابل) و(غزنة) ، ثم عاد إلى (زرنج) فأقام بها حتى مقتل عثمان - رضى الله عنه - فاستخلف عليها (أمين بن أحمد) وانصرف .

ولما تم لعبد الله بن عامر هذا الفتح العظيم ، قيل له : « لم يفتح لأحد ما فتح عليك » فقال : « لأجعلن شكرى لله أن أخرج محرما من موقفى هذا » فأحرم بعمرة من نيسابور ، واستخلف على (خراسان) قيس بن الهيثم .

عمرو بن العاص :

وفى سنة ٢٥ هـ نقض أهل الإسكندرية عهدهم مع المسلمين ، بعد أن كتبوا إلى امبراطور الروم يغرونه بغزو مصر من الإسكندرية ، فبعث إليهم (منويل الخصى) فى قطع من الأسطول البيزنطى ، تحمل جيش الروم ، الذى نزل شواطىء الإسكندرية ، وأغار على ماجاورها من البلاد ، وسار الروم فى أرجاء مصر السفلى تنهب الغلال والأموال .

وعندما أشار خارجة بن حذافة قائد جند حصن بابليون على عمرو بن العاص والى مصر بأن يخرج لمناجزة الروم قبل أن ييأس أهل مصر منهم ، فينضموا إلى الروم فتسوء العاقبة ، ولكن ابن العاص أجابه قائلا : « دعهم يسيروا إلىّ فإنهم يصيبون من مروا به فيخزى بعضهم ببعض » .

وعندما اقترب الروم من (نقيوس) خرج لهم عمرو بن العاص من حصن (بابليون) على رأس خمسة عشر ألفا ، والتقى الجيشان تحت أسوار حصن نقيوس على شاطىء نهر النيل ، وأبلى قائد جيش المسلمين بلاء عظيما فى القتال ولم يرهبه سقوط فرسه من تحته صريعا ، وتضعضعت جموع المسلمين ، وولى بعضهم الفرار ، فازداد عمرو عزما وإقداما على النصر أو الشهادة ، وعجز أى من الطرفين على حسم الأمر لصالحه ، حتى خرج من بين صفوف الروم من يطلب المبارزة ، فأجابه رجل يقال له (حومل) فاقتتلا طويلا برمحين فلم يغلب أحدهما الآخر ، فألقى كل منهما بالرمح وجردا سيفيهما ، ووقف الجيشان يشهدان النزال الذى انتهى بمقتل الفارس الرومى وإصابة (حومل) بجراحات توفى متأثرا بها بعد ذلك .

وتأثرت الجموع بالمبارزة ، وأراد كل رجل من المسلمين أن يصنع صنيع حومل ، واندفعوا يطلبون الشهادة فتراجع الروم وولوا الأدبار إزاء إقدام المسلمين وانسحبوا تجاه الإسكندرية للاحتماء بحصونها يحطمون ويدمرون كل ما صادفهم من ممتلكات المصريين .

وواصل عمرو مطاردة فلول المنهزمين ، فضرب الحصار حول أسوار الإسكندرية ، ومالبث أن اقتحمها ، وتتبع جنود الروم بالقتل أينما وجدوا ،

وكان (معويل الخصى) قائد الجيوش البيزنطية الغازية ضمن القتل .

وهكذا أعاد عمرو بن العاص فتح الإسكندرية ، وفي هذه المرة لم يدع عمرو أسوار الإسكندرية كما فعل في المرة الأولى ، وإنما سواها بالتراب ، حيث كانت تلك الأسوار هي النقطة الحصينة ، التي تجمع خلفها الروم يعبثون قوائمهم بعد تزوهم الإسكندرية ، وهو نفس الموقع ، الذي حاولوا الامتناع به بعد هزيمتهم في نقيوس[1] .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح :

وأراد الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أن يقتصر عمل عمرو بن العاص في مصر على قيادة الجند بها ، فأسند إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح الولاية على خراج مصر ، ورفض عمرو قرار الخليفة قائلا : « أنا إذاً كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها »[2] ويبدو أن الخليفة رأى أن الحالة التي أوجدها الغزو البيزنطي لمصر وتحالف بعض العناصر المصرية مع هذا الغزو يستوجب تفرغ عمرو تماما لمجابهة هذا الخطر ، لكن الأخير رفض لإحساسه بأن هذا القرار ينطوي على تعريض بأمانته ، فجمع عثمان ولاية مصر لعبد الله بن سعد بن أبي سرح .

وبدأ عبد الله بن سعد ولايته على مصر بأن بعث المسلمين في جرائد الخيل ، فيصيبون من أطراف إفريقية ويغنمون [3] ، وكان يكتب إلى الخليفة عثمان يخبره بما نال المسلمون من عدوهم ، وقربهم من حوز المسلمين[4] ويستأذنه في غزو إفريقية ، وعرض الخليفة الأمر على الصحابة .

المسور بن مخرمة :

يورد المالكي في رياض النفوس رواية للزهري ، عن المسور بن مخرمة ، قال : « خرجت من منزلي بليل طويل ، أريد المسجد ، فإذا عثمان ـ رضي الله عنه ـ عند مصلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي ، فصليت خلفه ، ثم جلس فدعا ليلاً طويلاً حتى أذن المؤذنون ، ثم قام منصرفا إلى بيته ، فقمت في وجهه ، فسلمت عليه ، فقال : ياابن مخرمة ، واتكأ على يدي ، إني استخرت الله في ليلتي هذه في بعث الجيوش إلى إفريقية ، وقد كتب إلى عبد الله بن سعد يخبر بخبره مع المشركين ، وغلبهم وقرب حوزهم من المسلمين ، فقلت : خار الله لأمير المسلمين ، قال : فما رأيك يا ابن مخرمة ؟ قلت : اغزوهم . قال : اجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستشرهم ، فما أجمعوا

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٣ .
(2) المالكي ، كتاب ، رياض النفوس ، ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس جـ ١ ص ٨ القاهرة ١٩٥١ . البلاذري ، ، فتوح البلدان ، ص ٢٦٧ .
(3) المالكي ، كتاب رياض النفوس جـ١ ص٨ .
(4) ابن عبد الحكم ، ، فتوح افريقية والاندلس ، ص ٤٢ .

عليه فعلته ، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته ، ولكن أنت رسولى إليهم ، واحضر معهم »[1] .

سعيد بن زيد :

وفى مجلس الشورى رفض سعيد بن زيد غزو إفريقية متمسكا برأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ الذى كان قد نهى عمرو بن العاص عن غزو إفريقية بقوله : « لا إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها ، لايغزوها أحد ما بقيت »[2] .

الصحابة يلبون النداء :

على أن الصحابة فى النهاية استقروا على غزو إفريقية ، فاستنفر الخليفة المسلمين وندبهم للخروج للجهاد ، فتوافدت عليه الجموع ، وكان الصحابة فى المقدمة ، منهم : معبد بن العباس ابن عبد المطلب ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص ، والحارث بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير ، والمسور بن مخرمة بن نوفل ، وعبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وعاصم بن عمر ، وعبيد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وبسر بن أرطاة بن عويمر العامرى ، وأبو ذؤيب : خويلد بن خالد الهذلى[3] ، وجعل عثمان قيادة الجموع التى توافدت عليه للحارث بن الحكم حتى يصلوا إلى مصر ؛ لتجتمع قيادة الجيوش كلها لعبد الله بن سعد بن أبى سرح .

ووقف عثمان بن عفان خطيبا فى جموع المتطوعين للجهاد : « قد استعملت عليكم الحارث بن الحكم حتى تصلوا إلى عبد الله بن سعد ، وقد قدمت عليكم عبد الله بن سعد لما علمت من ثقته ودينه ، وحسن رأيه وشجاعته ، وأخذت عليه العهد والميثاق أن يحسن لمحسنكم ، ويتجاوز عن مسيئكم ، ولا يحمله غرض الدنيا على هلاك رجل واحد منكم ، وأرجو لعبد الله أن يقف عند عهدى وأمرى ، وأوصيكم وإياه ألا تهولنكم كثرة العدو ، وقد علمتم ما أنزل الله عليكم ، حيث يقول

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

(البقرة آية : ٢٤٩) .

أما علمتم أن أول هذه الأمة مانصروا إلا بكثرة الصبر ، وقوة اليقين ؟! ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أستودعكم الله وهو خير الحافظين ، سيروا على بركة الله ، وعليه فتوكلوا ، وبه ثقوا »[1] .

---

(١) المالكى ، رياض النفوس ، ص ٨ ، ٩ .
(٢) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب فى أخبار المغرب ، تحقيق ليفى بروفنسال جـ ١ ص ٢ / ط ـ / بيروت .
(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٢٦٧ .
(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ٩/١ .

وسار جيش المدد بقيادة الحارث بن الحكم حتى وصل إلى مصر ؛ لينضوى تحت لواء عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وبلغ عدد الجيش عشرين ألفا [1] .

وخرج ابن سعد على رأس الجيش بعد أن استخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى حتى بلغ برقة حيث كان عقبة بن نافع الفهرى ؛ مرابطا فيها فيمن معه من المسلمين [2] ومن برقة واصل الجيش زحفه تجاه إفريقية ، وبلغ طرابلس حيث كان أهلها قد تحصنوا داخل أسوارهم ، فلما استعصى على المسلمين اقتحامها عدلوا عن محاولة فتحها ؛ ليواصلوا المسير نحو هدفهم الأساسى .

وبلغ الجيش فى زحفه (قابس) فوجدوا الروم قد تحصنوا داخل أسوارها ، فأثر عبد الله بن سعد أن يبث السرايا فى آفاق إفريقية ؛ لمهاجمة تجمعات الروم حيثما وجدوا ، فاضطر (جرجير) ملك إفريقية إلى الخروج من (سبيطلة) حاضرة ملكه لملاقاة جيوش المسلمين على رأس جيش قوامه مائة وعشرون ألف مقاتل[3]

والتقى الجيشان بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة ، فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم ، وراسل عبد الله بن سعد (جرجير) يدعوه إلى الإسلام ، أو الجزية فامتنع منهما ، وتكبر عن قبول أحدهما ، بل ووعد من يقتل عبد الله بن سعد بن أبى سرح بمكافأة مائة ألف دينار ، وأن يزوجه ابنته (ابنة جرجير) فأمر عبد الله بن سعد مناديا ، فنادى بأن من يقتل جرجير له مائة ألف دينار ، وابنة جرجير ، وأن يكون واليا على أفريقية .

عبد الله بن الزبير :

ورأى عبد الله بن الزبير أن المعركة قد طالت بلا نتيجة حاسمة ، فأشار على عبد الله بن سعد بقوله : « إن أمرنا يطول مع هؤلاء ، وهم فى أمداد متصلة ، وبلاد هى لهم ، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم ، وقد رأيت أن نترك غدا جماعة صالحة من أبطال المسلمين فى خيامهم متأهبين ، ونقاتل نحن الروم فى باقى العسكر ، إلى أن يضجروا ويملوا ، فإذا رجعوا إلى خيامهم ، ورجع المسلمون ، ركب من كان فى الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال ، وهم مستريحون ، ونقصدهم على غرة ، فلعل الله ينصرنا عليهم » .

فأحضر عبد الله بن سعد جماعة من أعيان الصحابة ، واستشارهم ، فوافقوه على ذلك ، فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه ، وأقام جميع شجعان المسلمين فى خيامهم ، وخيولهم عندهم مسرجة ، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالا شديدا ، فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة ، فلم يمكنهم ابن الزبير ، وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم .

« يتبع »

---

(١) المالكى ، « رياض النفوس » ص ١٠ .

(٢) ابن الأثير ، « الكامل فى التاريخ » ٤٣/٣ .

(٣) المصدر السابق

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء



لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ:

السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد/ سامى فهمى أبو عجور :

ماهو الميقات الزمنى الذى يمكن للإنسان فيه أن يحرم بالحج ؟



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ، فنفيد بأن الله تعالى قال فى كتابه الكريم :

﴿ يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾

(البقرة : ١٨٩) .

وقال تعالى :

﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ﴾

(البقرة : ١٩٧) .

الحج عبادة كالصلاة والصوم ، فهو ركن من أركان الإسلام الخمسة له ميقات يؤدى فيه ، ولا يصلح قبله ولا بعده ، وقد أجمع العلماء على أن المراد بأشهر الحج : شوال ـ وذو القعدة ـ واختلفوا فى ذى الحجة هل هو بكماله من أشهر الحج ، أو عشرة منه فقط ، والصحيح أن الشهر كله من أشهر الحج ، لأن رمى الجمرات فى منى يكون بعد العشر ، وكذلك طواف الإفاضة يمكن أن يؤدى فى الشهر كله بلا خلاف . ولو أحرم الإنسان بالحج قبل دخول شهر شوال ، لا يصح حجه . قال بذلك ابن عباس رضى الله عنهما وكذا قال به ابن عمر وجابر . هذا فى الحج أما فى العمرة فليس لها ميقات زمنى معين فكل أشهر السنة ميقات لها . هذا والله أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ ن . ع :

رجل حج فى العام الماضى وكانت عليه ديون كثيرة ولم يسددها فقيل له : إن حجك باطل ، فهل بطل هذا الحج فعلا ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد ، فنفيد بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد فرض الحج على المسلمين لمن استطاع إليه سبيلا ، والاستطاعة تشمل الصحة والمال وأمن الطريق ، فإذا توافرت هذه الشروط فقد وجب الحج ، والرجل الذى عليه ديون مالية فإن عليه سدادها قبل تأدية الحج إن كان الدين حالا ، فإذا كان مؤجلا لابد من استئذان صاحب الدين إن كان المدين عنده رصيد يكفى لسداد الدين ، وإن لم يتبق معه شىء فلا حج عليه ، لأنه أصبح غير مستطيع ، لأن سداد الديون مقدم على تأدية فريضة الحج ، لأن الدين يجب سداده ، ومادام قد أدى هذا الرجل الفريضة فإنها سقطت عنه ، ولا يبطل الحج ، ويجب على هذا الرجل المسارعة بسداد دينه حتى يتقبل الله منه ، والله أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ محمد إسماعيل :

من الله علىّ بالحج فى العام الماضى ، وأرغب فى الحج عن والدى الذى توفاه الله قبل أن يؤدى الفريضة ، فهل يجوز ذلك شرعا وهل يصل ثواب الحج إلى والدى ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد ، فنفيد بأنه لا مانع شرعا من أن تؤدى فريضة الحج إنابة عن والدك الذى توفى قبل أن يؤديها ، وخاصة أنك قد أديت الفريضة أولا عن نفسك حيث ذهب رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : يارسول الله والدى توفى ولم يحج أفأحج عنه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أرأيت إن كان عليه دين أكنت مسدده ؟ قال : نعم : قال : فحج عنه فإن دين الله احق بالقضاء . هذا وإن ثواب تأدية هذه الفريضة التى هى من أركان الإسلام تصل إلى روح والدك إن شاء الله ، والله أعلم .

السؤال مقدم من السيد/ الحاج منير خويصات :

بعد ثلاثة أشواط فى الطواف تعبت فجلست للراحة ثم أكملت الطواف ، فهل يصح ذلك ؟ أم لابد من استئنافه من الأول ؟ وما الحكم إذا انتقض الوضوء أثناء الطواف .. هل يبطل مافات .. أم يجوز أن يبنى عليه لو تطهر ؟

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وبعد .

فنفيد بأن موالاة السعى بين الأشواط فى الطواف شرط لصحته عند مالك وأحمد ، فإذا كان هناك فاصل يسير لغير عذر فلا يضر ، وإن كان كبيرا فإن كان بعذر فلا يضر ، أما إن كان بغير عذر بطل الطواف ، أما الموالاة عند الحنفية والشافعية فهى سنة ، فلو كان هناك فاصل طويل بغير عذر لا يبطل الطواف ، ويبنى على ما فات ويدل عليه ما رواه سعيد بن منصور عن حميد بن زيد قال : رأيت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، طاف بالبيت ثلاثة أشواط أو أربعة ثم جلس يستريح ، فقام فبنى على ما مضى من طوافه ، ومما يؤكد أن الفصل بين أشواط الطواف لا يضر أن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أيضا ـ كان يطوف بالبيت فأقيمت الصلاة فصلى مع القوم ، ثم قام فبنى على ما مضى من طوافه ، ولم يعارضه أحد من الصحابة .

ومن المعلوم أن من شروط صحة الطواف الطهارة ، فلو أحدث فى أثناء الطواف خرج وتوضأ ثم يدخل إلى دائرة المطاف ويبنى على ما فات ليكمل الطواف ـ والله أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ حيدر الأصفهانى :

رجل له رأس مال يتجر فيه يكفى حاجته وحاجة من تلزمه نفقته ولا يفضل منه شىء إذا حج به فهل يجب عليه الحج ؟

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وبعد .

فنفيد بأن رأس المال الذى يفى حاجتك وحاجة من تلزمك نفقتهم لا يجوز إنفاقه كله فى أداء فريضة الحج ، فإن ذلك سيترتب عليه ضرر كبير لك ولمن تلزمك نفقتهم ، فمثل هذه الحالة تدخل فى عدم الاستطاعة ، فأنت مسئول عن نفسك وعن أهلك ، والتقصير فى ذلك منهى عنه ، واشترط الإمام أحمد بن حنبل أن يكون الفاضل من هذا المال بعد نفقة الحج ما يكفيك وأهلك على الدوام ، وعليه فلا يجوز لك أن تنفق رأس مالك فى تأدية فريضة الحج وتعود معدما فإن هذا لا يتفق مع روح الشريعة الإسلامية التى لا تحب لأهلها أن يعيشوا فقراء ضعافا ، فأين هذا من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن لربك عليك حقا ، ولبدنك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه » ، وقوله : « إن

الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » ، وقوله : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول » ، والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ إبراهيم موسى النمر :

هل الزوج ملزم بأن يدفع تكاليف أداء زوجته لفريضة الحج ؟ وهل للزوج أن يأخذ من مال زوجته ليؤدى فريضة الحج ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ، فنفيد بأنه لا يلزم الزوج لزوجته إلا بنفقتها من مأكل وكسوة ومسكن ، أما أن يدفع تكاليف حجها فليس بواجب عليه ، فالحج فرض على القادر المستطيع ، فإن كانت الزوجة تملك مالا يكفى للحج وجب عليها الحج من مالها هى ، ولا يلزم الزوج بدفع أى شىء لها ، ولا يعاقب على التقصير ، أما إن تبرع بذلك فهو خير له ، وله ثواب على هذا إن شاء الله ، كما أنه لا يجوز للزوج أن يحج من مال زوجته إذا كان لها مال خاص بها ورثته عن أهلها ، أو ملكته من أى جهة كانت ، فهو حق خالص لها ، ويجب عليها الحج منه ، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئا منه ليحج إلا بإذنها ورضاها ، قال تعالى :

﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾

(النساء : ٤) .

ولو استعان الزوج بمال زوجته على سبيل الهبة أو القرض ليحج فلا مانع منه ، ولها ثواب مساعدتها لزوجها على الحج والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال من السيد/ م . ع . ح :

ما الذى يضحى به من الأنعام وهل يشترط السن فيما يضحى به ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأنه يجوز أن تضحى من الأنعام والإبل والبقر والغنم فإذا ضحى من الإبل والبقر تجزىء الأضحية عن سبعة أفراد والشاة عن فرد واحد .

أما من حيث السن للبقر والإبل لا يقل عمرها عن سنتين بشروطها .

وبالنسبة للأغنام لا يقل عمرها عن سنة بشروطها والله تعالى أعلم .



للأستاذ الدكتور :
محمد رجب البيومى

طلب منى أخى الأستاذ عبد المعز الجزار رئيس تحرير مجلة الأزهر ألا أخلى هذا الباب من حديث عن الراحل الكريم الشيخ الجليل العلامة محمد زكى إبراهيم « رائد العشيرة المحمدية »[1] .

فقد انتقل إلى جوار ربه بعد حياة حافلة بالعلم والفضل ، والدعوة إلى الله على هدى وبصيرة ، وقد صادف اقتراح أخى الأستاذ عبد المعز الجزار هوى فى نفسى لأنى تتبعت ما قيل عنه فى الصحف الدينية واليومية فلم أجد من أشار إلى نشأته الأدبية بحديث ما ، وهى مما يجدر تدوينه فى السيرة الكريمة لذاته ، وقد ظهر أثرها فى نتاجه العلمى بحيث شفت عن رقة أسلوبية وسلاسة تعبيرية لا تجدها عند كثير من الدعاة الفضلاء .

التحق الأستاذ بالأزهر حتى نال أعلى درجات التخصص القديم فى التاريخ والأخلاق ، قبل أن ينشأ تخصص المادة ، وقد امتاز عن زملائه بدراسة لغتين أوروبيتين دراسة أهلته إلى الترجمة عنهما ترجمة دقيقة حازت ثناء المتخصصين ! كما كان مترجما بمصلحة المساحة قبل أن يزاول التعليم فى المدارس مدرساً ومفتشاً ! هذه الثقافة الممتدة دفعته إلى قراءة ما كتب عن الإسلام فى الغرب ، فعلم مقدار ما ارتطم فيه غلاتهم من تأويل سيىء يحتاج إلى تصحيح ، وأكاد أجزم أن ما اطلع عليه من هذه الانحرافات كان دافعه الصريح إلى التعمق فى البحوث الإسلامية ، واستكناه مضامينها منها ، وإذا كان هؤلاء قد أسرفوا إسرافا

(١) انتقل إلى رحمة الله ـ تعالى ـ يوم الأربعاء ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٩ الموافق ٧/١٠/١٩٩٨م .

لاغيا فى الحديث عن التصوف الإسلامى بما لا يتفق مع الحقيقة، حين جعلوه أمشاجا متضاربة لفقت من الديانات الهندية والفارسية وبعض الفلسفات الأوروبية، فإن ولوع الأستاذ بكشف هذه الأباطيل، قد دفعه إلى قراءة تاريخ التصوف فى سير رجاله، ثم فى مؤلفاتهم الخالدة، راجعا إلى الأصول الإسلامية الأولى من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، حتى اقتنع عن يقين بأن التصرف الصحيح هو سبيل الخلاص من وضر الحياة ولغوها الباطل، وانقلب الدارس الفاحص داعية غيورا للتصوف بعد أن ملىء علما به، وأصبح حجة فى موضوعه، وإذا كان ميراثه الروحى من أبيه ووالدته قد عمل فى نفسه عمله الكريم، فإن ذلك التأثير الوجدانى الخالص قد صحبه تأثير عقل مكين، فاندفع إلى التصوف بسلاحين، سلاح الوجدان المؤمن، وسلاح الفكرة العاقلة الواعية وهذا مالا يتهيأ لغير القليلين.

ولا أسوق الكلام هنا جزافا دون تدليل، ولكنى أقدم أول عمل علمى قام به الشيخ الكريم فى هذا المضمار ليكون البرهان الناطق لهذه الدراسة الأدبية الفاحصة، فقد أتيح له أن يقرأ كتاب (السيادة العربية، والشيعة والإسرائيليات، فى عهد بنى أمية) للعلامة المستشرق (فان فلوتن)، فرأى فى النص الفرنسى الخطأ ممزوجا بالصواب، وعلم أن الكتاب قد ترجم إلى عدة لغات، وأصبح له ذكر بعيد المدى فى الدوائر الاستشراقية غربا، والعربية شرقا، فأصر على ترجمته مشفوعة بتعليقات كثيرة بين ما تورط فيه المؤلف من



الشيخ / محمد زكى إبراهيم

أخطاء، وكان الدكتور حسن إبراهيم حسن المؤرخ المصرى الشهير أستاذا له بقسم التخصص بالأزهر فعرض عليه ما ترجم ليراجعه، ولكن الدكتور الفاضل كعهده مع تلاميذه فى غير هذا الكتاب رأى أن يكون مشاركا فى الترجمة بإضافات يسيرة، فقبل الأستاذ عن سماحة نفس، وخرج الكتاب سنة ١٩٣٤ فشغل الدارسين وقتا طويلا، وأذكر أن أستاذنا الدكتور محمد مهدى علام كتب عنه تنويها جيدا بالعدد الثانى من صحيفة دار العلوم (أكتوبر سنة ١٩٣٤) قال فيه[١].

« ألف هذا الكتاب العلامة « فان فلوتن » وترجم عن الفرنسية صديقنا وزميلنا الدكتور حسن إبراهيم حسن الأستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية، وصديقنا وتلميذنا النابه الأستاذ محمد زكى إبراهيم الحائز لإجازة

(١) مجلة دار العلوم (أكتوبر سنة ١٩٣٤) ص ١٤٤.

التاريخ والأخلاق من كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية والمترجم بمصلحة المساحة ، وليست قيمة الكتاب الذى بأيدينا راجعة إلى عظمة مؤلفه « فان فلوتن » فحسب ، بل هى راجعة كذلك إلى المترجين الفاضلين ، وما لهما من خبرة ودراية بالموضوع المترجم ، فالدكتور حسن إبراهيم حسن يعد من كبار المؤرخين الإسلاميين فى مصر بما له من الدرجات الرفيعة فى تلك الدراسة ، وبحكم عمله بالجامعة المصرية ، وزميله وتلميذه الأستاذ محمد زكى إبراهيم شيخ من شيوخ الأزهر الذين تذوقوا الثقافة الأوروبية ، وتخصصوا فى دراسة التاريخ الإسلامى ، لذلك كان للتعليقات التى كتباها على الترجمة ، من نقد وتصويب وترجيح لآراء المؤلف قيمة عظيمة فى كشف كثير من الحقائق التى يكتب عنها بعض المستشرقين كتابة غامضة أو مغرضة ، وقد أحسن المؤلفان بوضع الفهرس الأبجدى الألمانى كما وضعه المؤلف كما أضاف إليه فهرسا أبجديا عربيا » .

هذه الثقافة المتشعبة الواعية كانت ذات عطاء أدبى ماثل فى النقد الأدبى فى أوائل الثلاثينيات ، فقد كان للشيخ زكى إبراهيم مقالات هادفة تنشرها المجلات الأدبية حينئذ ، تارة تكون صريحة باسمه ، وتارة تكون بتوقيع « زكى ـ قايتباى » وقد خص مجلة الرسالة ، وكانت فى سنتها الأولى حينئذ بنقدات هامة ، منها أنها تهتم بكبار الكتاب ولا تلتفت إلى من دونهم من الناشئة ، وأنها تهامل أبناء الأقطار العربية كسوريا والعراق فتفسح لهم من صدرها ماتضيق به أمام النتاج المصرى للشبان ! وإنا أخالف الأستاذ الناقد فيما اتجه إليه لأن الرسالة قد حفلت بنتاج الشباب جوار نتاج الشيوخ ، وإذا كانت قد اهتمت بنتاج شعراء الأقطار العربية فهذا بعض رسالتها فى تأكيد الصلة بين أبناء اللغة الواحدة مشرقا ومغربا ، وأذكر أنه خص الشاعر السورى (أنور العطار) ببعض الملاحظات وليس هنا مجال التعقيب ، ولكنى أقرر بهذا أن الشيخ العالم الشاب كان فى عنفوانه الأدبى جذوة ملتهبة ، تشتعل حمية وصدقا ، ولو أتيح له أن يقتصر الأدب شعرا ونقدا لكان اليوم من كبار أعلامه !

ذكرت الشعر فيما ذكرت ، لأن الأستاذ الشاب كان ينظم الشعر الوجدانى والاجتماعى بإفاضة ، وقد حفلت مجلة (أبوللو) التى كان يصدرها الدكتور أحمد زكى أبو شادى بنماذج ممتازة من شعره ، وهى تحتاج إلى دراسة متأنية يقوم بها باحث متخصص ، وإذا كان شعراء « أبوللو » قد اتجهوا إلى الغزل الحسى فى كثير مما أبدعوه ، فإن الشاعر محمد زكى إبراهيم قد حمل على صفحات المجلة نفسها حملات صادقة على من يترجمون عن أوروبا هذه الأحاسيس البعيدة عن مرامى الفضيلة ، كما حمل على أدعياء الشعر ومن يلوذون بهم من زعماء الأدب كى يصفقوا فيطيلوا التصفيق ، فقد نشر قصيدة فى ستة وتسعين بيتا تحت عنوان (ظلال الضنى) حمل فيها على المتشاعرين دون سليقة ، وعلى المصفقين فى ندوات النفاق ، وعلى من يتخذون شعراء أوروبا مثالهم الأدبى الأعلى ، فكان مما قال[1] :

---

(٣) مجلة أبوللو (يونية سنة ١٩٣٤) ص ١٠٢٧ .

إيه ياشعر كم يلذ بك الوحى ... فصور لنا من الإمعات

كل فسل يعود أفقك بالشرق ... ومصر من الشجى فى اللهاة

رجع الغرب بين جنبيه صوتا ... أبيض الوقع أسود المشتهاة

إن من يجتر الوراثة فيه ... مات بالذل قبل يوم الممات

أنت يامن حملت مصحف (هيبى) ... مقبلا مدبرا بغير أناة

يلتوى بالكلام فوك فيا تد ... رى الذى لكته من الكلمات

ولعمرى إن الذى يرسل القصيدة تناهز أبياتها المائة فى ضحى عمره الأدبى لجدير أن يكون علما فى ميدان القصيد ! لو جعله شغله الأوحد ، ولكن الرجل قد اتجه إلى الدعوة المحمدية ، والإرشاد الصوفى ، فكان الشعر إحدى وسائله ، إذ كان يرد حوضه حينا بعد حين .

لقد كان الأديب الناقد الشاعر محمد زكى إبراهيم فى الثلاثينيات متفتح النظر إلى ما حوله ، فكان إنتاجه فى هذه الفترة أدبيا خالصا ، ثم راعه أن بحوثا تقدمت للجامعة خاصة بالتصوف الإسلامى ، لأن كتبا استشراقية عن التصوف قد ترجمت للعربية ، وأخرى ألفت تأليفا فى هذا المنحى ، وكلها تصف التصوف الإسلامى بما ليس فيه ، فالاتحاد والحلول ووحدة الوجود أصبحت لدى هؤلاء الباحثين من صميم التصوف الإسلامى ، وضاعت معانى الألوهية والوحدانية وكل صفات الله التى نزل بها القرآن وشرحها الرسول ، ولهؤلاء الدارسين مباهاة واستطالة بأسماء المستشرقين ، وكأنهم كل شيء فى الدراسات الإسلامية ، وفيهم من غلا غلوا فاحشا جعل الصوفى فوق النبى ! ونسب ذلك إلى أصول القرآن عن طريق التأويل المتعسف فشرع الباحث اليقظ يرد على هؤلاء فى الصحف فكانت تنشر ردوده مقتضبة ، وأحيانا لا تنشر أصلا ، فقام فى ذهنه أن ينشىء مجلة خاصة بالتصوف ، وأخذ يعد العدة لذلك ، ثم نظر فى الجهة المقابلة فرأى قوما ينتسبون إلى الطرق الصوفية يأتون من البدع ما ينكره الإسلام ، حين يقومون بمظاهر شاذة هى إلى الشعوذة أقرب منها إلى شيء آخر ، وقد توالت مواكبهم الراقصة المزمرة الضاربة بالدفوف ، وحفلاتهم التى تختلط فيها الرجال ببعض المجذوبات من النساء ، وكلهم فى نظر السذج من بسطاء الريف من أولياء الله الصالحين ، فصاغ لهم الكرامات المزيفة ، وتختلق لهم الخوارق ، وهؤلاء لا تفلح المجلة فى إنقاذهم ، لأن أكثرهم لا يقرأ ، وهنا تذكر صوفية والده السيد التقى إبراهيم الخليل ، وصوفية والدته الشريفة فاطمة النبوية بنت العارف بالله إلى عليان الشاذلى ! إن دماءه لتصرخ فى أعماقه هاتفة به أن يعيد للتصوف كرامته المغتصبة من فريقين ، فريق ينتسب إلى الثقافة فينزع بالتصوف إلى ما لا يعرفه الإسلام من ألفاظ الحلول والشهود والاتحاد ووحدة الوجود ، وفريق جاهل لا يكاد يقرأ ويكتب ، يتخذ الشعوذة والرقص والطبل بابا من أبواب التصوف .. وإذن فلابد من التأليف العلمى لأدعياء الثقافة ، كما لابد من إنشاء طريقة صوفية نقية تكون مثالا عمليا للتصوف الصحيح ، تقدم

النموذج لأصحاب البيارق والدفوف والصاجات ! ثم لابد من إعداد نفر من الدعاة يطوفون المدن والأقاليم ليفهم الناس عن طريقهم معنى التصوف الصحيح ، فوفقه الله لإنشاء معهد الدعاة ، فكان تاليا لما أنشىء من قبل على يد السيد محمد رشيد رضا والشيخ محمود خطاب السبكى ، وقد قرأت من أرخ لهذا المعهد فجعله سابقا غير لاحق ، والحق أولى أن يدون ، لأن الفضل مشترك بين الفضلاء ، ولن يضيق فاضل بكفاح أخيه ، ولعل اقتصار معهد الشيخ زكى مبدئيا على الدعوة إلى إصلاح الطرق الصوفية كان مرجع هذه الأولية لمن تحدثوا عنها ، وقد كان لهذا المعهد صداه ، فعملت وزارة الأوقاف على ضمه إليها ، ليكون نواة لمثل هذا العمل المبرور ، ثم أنشئت العشيرة المحمدية بكفاح الشيخ وجهاده فكانت عملا رائدا حقا لأنها لم تقتصر على الدعوة الكلامية فى القاهرة ، بل امتدت فروعها إلى الأقاليم ، واتجهت إلى العمل الاجتماعى فأوجدت المستشفيات والأندية الثقافية ودور الحضانة ومدارس تحفيظ القرآن فى ساحة المساجد ، وكلها كانت مثالا يحتذى ، حيث انتشر هذا المنهج الاجتماعى لدى جمعيات تتدافع إلى الخير وتشترك فيه تحت راية الإسلام .

أما مفهوم التصوف لدى العشيرة فهو المفهوم المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ، وهو أيضا المفهوم المتعارف فى الأمة المصرية ، لأن من يقرأ تاريخ الصوفية فى مصر يجدهم جميعا من المدرسة الغزالية التى تلتزم بالشريعة وترى الفقه الإسلامى أول درجات الحقيقة الخالصة ، وقد تأصل هذا الاتجاه فى مصر على يد الطريقة الشاذلية وأبطالها من أمثال أبى العباس المرسى ، وابن عطاء الله السكندرى ، وعبد الرحيم القنائى ، وأبى الحسن الصباغ ، والسيد البدوى والسيد إبراهيم الدسوقى ! هذا التصوف المصرى منذ وجد يبرأ كل البراءة من معانى التصوف النظرى إذ لا نعلم صوفيا مصريا هتف به ، وما وجد من أقوال ابن الفارض العارف بالله المصرى الكثير منتميا إلى مذاهب الفلسفة العقدية مدسوس عليه ، كما أوضحت ذلك فى مقال كاشف نشرته فى مجلة التصوف الإسلامى منذ حين ، وكذلك ما نسب إلى عبد الوهاب الشعرانى من هذا الاتجاه مدسوس عليه ، وقد نقلت عنه أقوال صريحة تثبت أنه برىء مما زيد فى كتبه من أقوال لا يعلم عنها شيئا ، فإذا كانت هذه الأباطيل قد نسبت إلى الشعرانى فى حياته ، وعلى مسمع ومرأى منه ، فكيف بما نسب إلى ابن الفارض وذى النون المصرى بعد رحيلهما إلى عالم الخلود !

لقد آن لنا أن نعلم أن البيئة المصرية بيئة شريعة وسنة ، وأن كتاب الله يسيطر على اتجاه من ينتسبون إلى العلم بها من صوفية وفقهاء ! ولا ننكر أن أدعياء التصوف بمصر قد ألصقوا به ماليس فيه ، ولكن هذا شىء معهود فى كل مناحى الحياة ! ومهمة الباحث أن يميز الطيب من الخبيث ، وأن ينفى الزبد ليذهب جفاء ، ويبقى بعده ما ينفع الناس !

وإذا كان الأستاذ محمد زكى إبراهيم قد انتخب رائدا للعشيرة المحمدية ، فإن شيخنا الصوفى الكبير الدكتور عبد الحليم محمود كان شريكه الوفى فى العشيرة إذ كان وكيلا لها ، وقد هم الأستاذ زكى بالتنازل له عن الريادة ، وكان من المكاشفات الروحية العجيبة أن الشيخ

عبد الحليم قد فطن إلى ذلك قبل أن يهم الأستاذ بالتنفيذ ، فصافحه فى حب ، وقال له لن أبرح مكانى ، ودع ما جال بخاطرك ، ومن صفاء الشيخ عبد الحليم وبركة إيمانه أنه قرأ كلمات للأستاذ محمد زكى إبراهيم عن الطبعة الخامسة من كتاب « المنقذ من الضلال » الذى نشره محققا ومقدما بتمهيد صوفى رائع ، فأصر على أن تكون افتتاحيته للطبعة السادسة من الكتاب وفرح بها كثيرا ، وأنت تقرأ ما كتبه الشيخ محمد زكى إبراهيم عن الدكتور عبد الحليم فتشعر أنه يتحدث عن المثل الرائع للصوفى المخلص كما يتصوره ، يقول الأستاذ الرائد فى المقدمة[1] .

قارىء الدكتور عبد الحليم أو سامعه لا يحس الصنعة فيما يقرأ له أو يسمع منه ، ولكنه يحس القلب والعاطفة والعقل والإيمان ويبصر الأدب والفضل والتواضع والثقة بلا حدود ، كل ذلك ينقدح فى ومضات ولمحات ولفتات .. أما أنا فأقرأ له أو أسمعه ، كأنما أقرأ ما كتبته أو أسمع ما أتحدث به .

إن إخائى بالدكتور عبد الحليم من نوع فريد فقد نلتقى بعد غياب جسدى طويل ، فلا يحدث أحدنا الآخر بأكثر مما يتحدث به زميله الذى لا يفارق ظله ظله ، وفى إيجاز قد يصل إلى الاقتضاب ثم يقنعنا هذا ويكفينا ، ونحصل منه على معانٍ شتى ، وأغراض أكثر يضيق عنها النطق وتعيا بها العبارة وتظل قلوبنا تتناجى فى حرارة ، وتتواصى فى خفة ، كما كانت قبل هذا اللقاء الجسمانى ، ثم بما تحصله هذه القلوب تكتفى وتشتفى إلى أن تجمعنا الصدفة ، أو القصد مرة أخرى وعندها أعود فأحس كأننا لم نفترق » .

هذه السطور تدفع إلى تأمل مستفيض لأنها تصور حلاوة التناجى على البعد لدى أبناء الطريق ، وتلغى حدود الزمان والمكان بحيث يصير القاصى دانيا ، كما تبطل معانى الثرثرة اللفظية حين يكون النظر بالعين فاتحة لكتاب من المعانى تتلاحق عباراته ، وينهل فيضه غامرا جائشا ، وقد كنا نقرأ مثل ذلك عن أمثال الجنيد والشبلى ، فها نحن أولاء نقرؤه عن عبد الحليم وزكى إبراهيم » .

« يتبع »

---

(١) مقدمة (المنقذ من الضلال) الطبعة السادسة .



للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ما أجد مزيدًا

قال الحجاج بن يوسف لخريم الناعم : ما النعمة ؟ قال : الأمن ، فإن رأيت الخائف لا ينتفع بعيش ، قال له : زدنى ، قال : فالصحة فإن رأيت المريض لا ينتفع بعيش ، قال له : زدنى ، قال : الغنى ، فإن رأيت الفقير لا ينتفع بعيش ، قال له : زدنى قال : فالشباب فإن رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش ، قال له : زدنى ، قال : ما أجد مزيدا .

حجة بالغة

طلب صديق من الأصمعى قرضا ، فقال له : حباً وكرامة ، ولكن سكن قلبى برهن ..!! فقال له الرجل : ألا تثق فىّ ؟ فأجاب الأصمعى : بلى .. وإن خليل الله إبراهيم - عليه السلام - كان واثقاً بربه وهو يقول له : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

(البقرة : ٢٦٠)

لا تخبر أحدًا

كان الحجاج بن يوسف الثقفى يستحم فى الخليج الفارسى ، فأشرف على الغرق ، فأنقذه أحد المسلمين وعندما حمله إلى البر ، قال له : اطلب ما تشاء فطلبك مجاب .

قال له : ومن أنت حتى تجيب لى أى طلب ؟

قال : أنا الحجاج بن يوسف الثقفى .

قال له : طلبى ألا تخبر أحدا أنى أنقذتك !!

بادروا بتأديب الأطفال

قال الشاعر :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الخشب
قد ينفع الأدب الأحداث فى صغر
وليس ينفع عند الشيبة الأدب

حقا

من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ؛ فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ووجبت أخوته .

عبد الرحمن بن عوف

قال أبو عمر :

لما حضرته الوفاة بكى بكاءً شديدا ، فسئل عن بكائه ، فقال : إن مصعب بن عمير كان خيرا منى توفى على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكن له ما يكفن فيه ، وإن حمزة بن عبدالمطلب كان خيرا منى توفى على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يجد له كفنا ، وإنى أخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته فى حياته الدنيا ، وأخاف أن أحبس عن أصحابي لكثرة مالى .

بين الفضيل والرشيد

كان الخليفة العباسى الرشيد ، يحب أن يستمع إلى عظات الفضيل بن عياض ـ العابد الزاهد ـ فقال له الفضيل يوما :

يا أمير المؤمنين ، انظر إلى رعيتك فإن الله ـ تعالى ـ لم يجعل أحدا منهم فوقك فى الدنيا فاجهد لنفسك ألا يكون أحد منهم فوقك فى الآخرة .

فبكى الرشيد حتى اخضلت لحيته من دموعه .

أنا

طرق رجل الباب على الجاحظ ، فقال الجاحظ : من الطارق ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال الجاحظ : أنت والباب سواء .

حلم .. وغدر

قال رجل للمبرد : أسمعنى فلان فى نفسى فاحتملته ، وأسمعنى فيك فاحتملته ، فقال المبرد : احتمالك فى نفسك حلم ، واحتمالك فى صديقك غدر .

دعاء

اللهم أعطنى من الحلم أجمعه ، ومن العلم أنفعه ، ومن الرزق أوسعه . واجعلنى من عبادك الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

الثقافة والأدب

في خواطر الإمام الشعراوي

لفضيلة الشيخ :
عبد الحفيظ فرغلي على القرني

تحدث العلماء عن الأدب ومفهومه فقالوا : هو ذلك الفن الرفيع الذي يصدر جماله عن طبع الكاتب والشاعر في الكلمة التي يرسلها ، والقصيدة التي ينظمها ، فتقع على مواضع الحس من النفس فتثيرها حماسة ونجدة ، وتذيبها حنانا ورقة ، وتهزها أريحية وكرما .

وتحدثوا عن اشتقاق هذه الكلمة فقالوا : هو من الأدب بسكون الدال بمعنى الدعاء ، ومن المأدبة للصنيع يدعى إليه الناس ، يقال :

أدب القوم يأدبهم أدبا إذا دعاهم إلى تناول الطعام ، والفاعل منه آداب ، قال طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى   لا ترى الآدب فينا ينتقر

والأدب ـ بفتح الدال ـ جاء في حديث « أدبني ربي فأحسن تأديبي »[1] .

وشاعت هذه الكلمة في عهد بني أمية واستعملت في المعنى الخلقي الذي هو طهارة النفس واتصافها بالكمال ، ويرى بعض الباحثين أن هذا المعنى بدأ استعماله منذ بدأ العهد الإسلامي وقد وردت في شعر بعض الشعراء كقول الشاعر :

لم يمنع الناس مني ما أردت ولا   أعطيهم ما أرادوا حسن ذا أدبا

(وحسن) بسكون السين أصلها حسن بضم السين ثم نقلت ضمة السين إلى الحاء ثم سكنت السين لمراعاة الوزن والتخفيف .. ذكر ذلك البغدادي في خزانة الأدب .

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ج ١ ص ١٤ عن ابن مسعود .

ورأى بعض النقاد أن الأدب يعنى الثقافة العامة وهى الأخذ من كل فن بطرف .

وقال الجواليقى فى شرح أدب الكاتب : واصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على أن يسمو العالم بالنحو والشعر وعلوم الأدب أديبا ، ويسمو هذه العلوم الأدب ، وذلك كله مولد لأن هذه العلوم ظهرت فى الإسلام .

وجاءت هذه الكلمة بالمعنى الخلقى مثل قول الشاعر :

ولى على ما كان من عنجهيق ولوثة أعرابيتى لأديب

وقال بعضهم :

كذاك أدبت حتى صار من خلقى

أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

وعرف ابن خلدون معنى كلمة الأدب فقال : هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل فن بطرف . وقال ابن قتيبة : من أراد أن يكون عالما فليلزم فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم .

وأراد أبان بن عبد الحميد اللاحقى أن يبرهن على شخصيته الأدبية فكتب للبرامكة يقول :

أنا من بغية الأمير وكنز من كنوز الأمير ذو أرباح

كاتب حاسب خطيب أديب ناصح زائد على النصاح

شاعر مفلق أخف من الريشة مما يكون تحت الجناح

لى فى النحو فطنة وانتقاد أنا منه قلادة بوشاح

ثم أروى من ابن سيرين للعلم بقول منور الإفصاح

وظريف الحديث فى كل فن وبصير بترهات الملاح

واللاحقى وهو أديب عباسى يعرض نفسه على البرامكة يستميح عطفهم ويطلب رفدهم ويزكى نفسه أمامهم .. ولم يكن كاذبا فيما قال ، فقد اختبر ونجح فى الاختبار .

وقد سقنا أبياته على سبيل الاستدلال على أن الأدب هو الإحاطة بمختلف الجوانب العلمية والأدبية والفنية مع الاستعداد الطبع للتعبير عن مكنون النفس ومستودع العقل نثرا وشعرا .. وقد كان الشعراوى ـ رحمه الله ـ كذلك .

فقد كان ـ رحمه الله ـ موسوعة علمية فائقة ، اتسع ذهنه لكل علم ، واستجاب طبعه لكثير من الفنون والآداب ، ووهبه الله ذوقا رفيعا وقدرة فائقة على الاستنباط وسرعة الاستشهاد .. وتمكن من أن يستولى على ألباب سامعيه بما يقدمه لهم فى أحاديثه وخواطره من عرض سخى حافل بالمعانى والمعارف فى أسلوب أدبى رائع خال من التكلف والتزويق مطرز بألوان من الحكمة والاستشهادات غير المتكلفة التى تدل على مذخور وافر من الأدب ورصيد كثيف من المعرفة .

أمثلة من حسن عرضه :

ولنستعرض بعض ما جاء فى خواطره لندرك كيف استطاع بأسلوبه الأدبى الرائع أن يقنع السامع مهما كان مستواه بما يريد أن يقدمه من أفكار .

جاء عند تفسير قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

(الأنعام آية : ١٥٤) .

قال : نحن إذا سمعنا كلمة « ثم » نعلم أنها من حروف العطف ، وحروف العطف كثيرة ، وكل حرف له معنى يؤديه .

وهنا ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾ وإيتاء موسى الكتاب قبل أن يأتى قوله :

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾

(الأنعام آية : ١٥١) .

فالتوراة جاءت ثم الإنجيل ثم القرآن ككتاب خاتم ، فكيف جاءت العبارة هنا بـ (ثم) مع أن إتيان موسى الكتاب جاء قبل مجىء ، قوله الحق :

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾

(الأنعام : ١٥١) .

ونقول لأصحاب هذا الفهم : أنت أخذت « ثم » لترتيب أفعال وأحداث ، ونسيت أن « ثم » قد تأتى لترتيب أخبار ، فقد يأتى من يقول لك :

لماذا لا تسأل عن فلان ولا تؤدى الحق الواجب عليك له ، كحق القرابة مثلا ؟

فتقول : كيف لقد فعلت معه كذا ، ثم أنا فعلت مع أبيه كذا ، ثم أنا فعلت مع جده كذا .

إذن فأنت تقوم بترتيب أخبار وتتصاعد فيها ، وتترقى ، ولذلك قال الشاعر :

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

فالسيادة جاءت أولا للجد ، ثم جاءت للأب ثم انتقلت للابن ، ثم فى هذه الحالة ليست لترتيب الأحداث وإنما جاءت للترتيب الإخبارى ، أى يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنها ، لابحسب زمان وقوع الحدث على أحدهما ، فالمراد الترقى فى الإخبار بالأحداث .

فانظر كيف تم الإقناع بهذا العرض الأدبى السهل الخالى من التعقيد ، المشيد بالشاهد الشعرى الذى جاء ليؤكد مضمون ما يريد دون تكلف .

والاستشهاد يشير إلى اطلاعه الواسع على الآثار الأدبية القديمة . والتى لايقبل عليها إلا كل مهتم بالأدب مقبل على التزود من التراث الذى تركه لنا الأقدمون من شعراء وأدباء .

ومن أمثلة استشهاداته :

جاء عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين ﴾

(آل عمران : ١٤٥)

استشهد بقول شوقى :

كل امرىء رهن بطى كتابه فى الموت ما أعيا وفى أسبابه

عند اللقاء كمن يموت بنابه أسد لعمرك من يموت بظفره

أو لم ينم فالطب من أذنابه إن نام عنك فكل طب نافع

وهو يريد أن يدلل على أن الأجل هو حارس الإنسان من الموت ، فما دام هناك أجل باق فلا شىء يميت الإنسان مهما كثرت أسباب الموت وإن انتهى الأجل فأى شىء يميت الإنسان مهما كان تافها .



ويذكرنا ذلك بعبد الله بن الزبير الذى كان يلقى أعداءه حاسرا غير دارع ، فقيل له فى ذلك فقال : حارسى أجل .. ويلقى الشيخ الشعراوى الضوء على أبيات شوقى فيقول :

إن الكتاب إذا انطوى فقد انتهى الأمر ، حتى عندما يلتقى الإنسان بأسد فيستوى الموت بالناب كالموت بظفر الأسد ، فإن نام الموت عن الإنسان فقد يشفيه من أمراضه قرص دواء أو جرعة ماء . أما إن استيقظ الموت فالطب والعلاج قد يكون ذنباً أو أداة للموت .

حاسة نقدية سليمة :

والشيخ الشعراوى حين يقبل على قراءة التراث الأدبى يقبل عليه بعقلية ناقد حصيف ، لايحفظ لمجرد الحفظ ، ولكنه يقرأ ويلحظ فيما يقرأ مقدار الجودة وعدمها ، وكثيرا ما كان يقول لو أن هذا الشعر كان كذا بدلا من كذا لكان أوفق وأجود .

وهو يعرض علينا فى خواطره لونا من ذلك قال عند تفسيره لقوله تعالى :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(المائدة : ٣٨)

كلمة (حكيم) لها فى حياتنا قصة ، كنا ونحن فى مقتبل حياتنا التعليمية نحب الأدب والشعر والشعراء ، وبعد أن قرأنا للمعرى وجدنا عنده بعضا من الشعر يؤول إلى الإلحاد ، فزهدنا فيه وخصوصا عندما قرأنا قوله فى قصيدته :

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لايعاد له سبك

وأخذنا من ذلك القول أنه ينكر البعث ، فقلنا يغنينا الله عنه .

ولكن صديقنا الشيخ فهمى عبد اللطيف ـ رحمه الله ـ رأى المعرى فى الرؤيا ، وكان مولعا بالمعرى ، فجاء إلى ذات صباح ونحن فى الزقازيق وقال لى : يا شيخ لقد رأيت المعرى الليلة فى الرؤيا وهو غاضب منك أنت لأنك جفوته .

فقلت : أنا جفوته لكذا وكذا ، وأنت تعلم السبب فى ذلك .

وقال الشيخ فهمى عبد اللطيف : هذا ما حصل .

وقلت لنفسى : يجب أن أعيد حسابى مع المعرى ، وجئنا بدواوين : « سقط الزند ولزوم ما

لايلزم ، ووجدنا أن للرجل عذرا في أن يعتب علينا ، لأن آفة الناس الذين يسجلون خواطرهم عن أصحاب الفكر أنهم لاينظرون إلى تاريخ مقولاتهم .

وقد قال المعرى قوله الذى أنكره عليه وقت أن كان شابا مفتونا بفكره ، وعندما نضج قال عكسه ، وكثير من المفكرين يمرون بذلك مثل : طه حسين والعقاد ، بدأ كل منهما الحياة بكلام قد يؤول إلى الإلحاد ، ولكنهما كتبا بعد النضج ما يحمل عطر الإيمان الصحيح ، لذلك لايصح لمن يحكم عليهم أن يأخذ بأوليات خواطرهم التى بدءوا بها بالشك حتى يصلوا إلى اليقين .

وجلست أبحث فى المعرى الذى قال :

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لايعاد له سبك

فوجدته نفسه الذى قال بعد أن ذهبت عنه المراهقة الفكرية :

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجساد قلت : إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالخسار عليكما

كأنه عاد إلى حظيرة الإيمان . كذلك قال المعرى :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت فى ربع دينار ؟

وقال بعد ذلك :

تناقض مالنا إلا السكوت له
وأن نعوذ بمولانا من النار

وقلت للشيخ فهمى عبد اللطيف : للمعرى حق فى العتاب وسأحاول أن أعاود قراءة شعره والأبيات التى أرى فيها خروجا سأعدلها قليلا ، وعندما جئت إلى ذلك البيت قلت لو أنه قال : وأنا أستأذنه :

لحكمة مالنا إلا الرضاء بها وأن نعوذ بمولانا من النار

كان أفضل .

فهذه القصة التى ذكرها لنا فى خواطره والتى جاءت فى الجزء الخامس من تفسيره تشير إلى ملكته النقدية ، وأنه كان يقرأ الأدب بروح ناقد . فإذا اجتمعت ملكة النقد مع ملكة الشعر كان صاحبها أديبا متقنا .

براعة الاستشهاد :

وبراعة الاستشهاد ملكة أخرى لا يجيدها كل الناس ويزيدها قوة حين تأتى بداهة دون تلبث ، وهذه من خصائص الشيخ الشعراوى ، كان يتحدث عن تملك حب النفس من الإنسان فإذا به يستشهد بقول المتنبى فورا :

أرى كلنا يهوى الحياة لنفسه حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورثه التقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا

ومعنى التقى فى البيت :الخوف من الموت والبعد عن طريقه ، وورود الشجاع الحرب مع ما فيها من إتلاف النفس الذى ينافى حبها ، أن الحرب طريقه إلى إثبات وجوده وانتزاع الثناء عليه ، وفى هذا حب لنفسه .

فانظر إلى الشاهد كيف أسعفه بسرعة فى أن يشيد كلامه بالدليل القاطع من أقوال حكيم الشعراء المتنبى ، ويدل ذلك على حفظه لديوان هذا الشاعر المبدع الذى كان يفخر بنفسه ويتحدى بشعره فحول الشعراء .

براعة الاستطراد :

والاستطراد سمة من سمات الشيخ فى عرض خواطره ، ولم يكن فى استطراده يخرج عن الموضوع الذى يتحدث فيه ، ولكنه كان يمت بأقوى صلة له .

نستشهد لذلك بمثل مما جاء فى تفسيره . كان يشرح قوله ـ تعالى ـ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

(المائدة : ١١)

وتحدث عن معنى « هم » والهم فى الآية حديث النفس فإذا ما خرج إلى أول خطا النزوع فذلك هو القصد ، فاستطرد الشيخ فى خواطره إلى معانى الهم الأخرى .

قال الهم هو : الأمر الذى لايبارح النفس حديثا ويسبب الغم ، فالهم هو العدو الذى لايقدر أن يقهره أحد ، لأنه يتسرب إلى القلب ، أما أى عدو آخر فالإنسان قد يدفعه .

ثم استطرد إلى قصة عن سيدنا الإمام على تؤكد شراسة الهم وأنه عدو غير مقهور فقال : ونعرف عن سيدنا الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ أنه كان مشهورا بأنه المفتى ، فهو يستفتى فى الشىء فيجيب عليه لدرجة أن سيدنا عمر نفسه يقول : « قضية ولا أبا حسن لها » أى أنها تكون قضية معضلة إذ لم يوجد أبوحسن لها فيحلها .

وكان سيدنا عمر يستعيذ من أن يوجد بمكان لايوجد به سيدنا على ، وعندما عرف الناس عنه ذلك تساءلوا : من أين يأتى بهذا الكلام ؟

فجاءوا بلغز وانتظروا كيف يخرج منه ، فقالوا : إن الكون متسع وفيه أشياء أقوى من كل الأشياء ، وقوى تتسلط على قوى ، وحاولوا الاتفاق على شىء أقوى من كل الأشياء ، فقال واحد : الجبل هو أقوى الأشياء ، وقال الآخر :

لكننا نقطع منه الأحجار بالحديد ، وبينما هم يسلسلون هذه السلسلة جاء سيدنا على فقالوا له :

يا أبا الحسن ما أشد جنود الله ؟

فأجاب سيدنا على ـ كرم الله وجهه ـ كأنه يقرأ من كتاب بدليل أنه عرف جنود الله وعرف الأقوى وحصر عددهم ، وقال سيدنا على : أشد جنود الله عشرة ، وكأنه انشغل بهذه المسألة من قبل ودرسها :

قال الجبال الرواسى ، والحديد يقطع الجبال ، والنار تذيب الحديد ، والماء يطفىء النار ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء ، والريح يقطع السحاب ، وابن آدم يغلب الريح يستتر بالثوب أو الشىء ويمضى لحاجته ، والسكر يغلب ابن آدم والنوم يغلب السكر والهم يغلب النوم ، فأشد جنود الله الهم .

هذا استطراد ولكنه لم يجىء عبثا بل قصد منه استقصاء معانى الهم ، وقد علل لهذا الاستطراد ، وكأنه أمر مقصود منه فقال :

« ولا يمكننا أن نمر على كلمة « الهم » فى القرآن دون أن نستعرض مواقعها فى كتاب الله ، وأهم موقع من مواقعها تتعرض له من أسئلة الكثيرين فى رسائلهم وفى لقاءاتنا معهم هو مسألة يوسف ـ عليه السلام ـ حينما قال الحق ـ سبحانه وتعالى ـ بخصوص مراودة امرأة العزيز له :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

(يوسف : ٢٤)

ثم تحدث عن معنى ذلك . . .

براعة الاستشهاد والاستطراد تدلان على اتساع الثقافة :

لاتسعف المتحدث ذاكرته بشاهد إلا إذا كان واسع الثقافة قارئا مجيدا للقراءة فاهما لما يقرأ ، وهذا استعداد نفسى موهوب ، وليس كل قارىء قادرا على استيعاب ما يقرأ ، وليس كل قارىء قادرا على الاحتفاظ بما يقرأ ، فهناك ذاكرة كالغربال لاتمسك شيئا على الرغم من كثرة ما يصب فيها من معلومات . وقد وهب الله شيخنا الشعراوى ـ رحمه الله ـ حافظة قوية وذاكرة أقوى تمده بما يريد حين يريد ، وتقدم له الشاهد تلو الشاهد دون تكلف أو تعقيد ، فما سمعناه مرة يتردد فى شاهد أو يتعثر فى الإدلاء به حين يلقيه . وإنما هو ذهن حاضر وأداء قوى وهذه هبة من الله تعالى يؤيد بها من يشاء ممن وضعهم الله للناس هداة ، ومرشدين وحكماء ومعلمين .

والاستطراد كذلك دليل على الثقافة من حيث إنه يستطرد إلى ما يفيد وإلى ما يعين على تقوية المعنى المقصود ، فليس الاستطراد بغرض الاستطراد ولكنه بغرض الإفادة والتقوية .

ومفهوم الثقافة كما سبقت الإشارة وكما جاء فى مفردات « الراغب الأصفهانى » : الثقف : الحاذق فى إدراك الشىء وفعله ، يقال رمح مثقف أى مقوم ، ثقفته بالتشديد أى أقمت المعوج منه .

والثقافة فى اللغة مأخوذة من مادة ثقف ككرم وفرح ، ويقال : ثقف ثقافة أى صار حاذقا فطنا ويقال : رجل لقن ثقف أى ذو فطنة وذكاء ، ولها معان غير ذلك منها أن المثقف هو ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ، وجاء فى « الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية » للدكتورة فاطمة المحجوب : ثقافة الإسلام هى أفضل ثقافة فى العالم : كما أن الدين الإسلامى هو أفضل الأديان بين العالم ، وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »[1] .

وقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[2] .

والثقافة تطلق الآن ويراد بها التراث الحضارى والفكرى فى جميع جوانبه النظرية والعملية التى

---

(١) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ج ١ ص ١٤ عن ابن مسعود .

(٢) الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور ج١ ص ١٥٥

تمتاز بها الأمة . وقد كان الإمام الشعراوى ـ رحمه الله ـ خير ممثل للثقافة الإسلامية بخصائصها المتميزة العميقة .. المؤثرة التى تشهد لصاحبها بالتفرد والإبداع .

جاء عند تفسير قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾

(النساء : ١٧٥) .

قال : ما معنى الاعتصام ؟

قديما كان الرجل عندما يقع فى هوة يصرخ ليجذبه إنسان خارج الهوة بيده ، وهذا هو الأصل فى الاعتصام ، أى يستمسك الإنسان بمن ينقذه من هاوية أو كارثة ، والحق يعطى الأسباب فإذا جاءت الشمس وسار فيها إنسان فقد أعطاه الله الشجرة ليستظل بها ، وإذا ما نزل المطر فيمكن أن يستظل بمظلة ، وإذا عطش فالله يعطيه سببا ليأخذ كوب ماء ، والعاقل هو الذى يذكر عند كل سبب من أوجد السبب .

ثم يقول : إياك أيها المؤمن أن تغتر بالأسباب ، لأن عدم الاغترار بالأسباب يحمى الإنسان فعندما تأتيه أمور فى ظاهرها شر فما دام مجريها عليك هو الله فهى خير بالتأكيد لكنك لا تعلم ، وما أضل علم الإنسان فى كثير من المسائل !

إننا نجد من يقول : إنى أدعو الله بكذا ولايستجيب لى ، ويقول : أنك تدعو بأشياء تظنها الخير لك لكن الله يعلم أن هذه الأشياء ليست هى الخير لك لذلك لايعطيها لك ، فإن كنت مؤمناً ومعتصماً بالله فأنت تهمس لنفسك : ألى فى هذا الأمر مدخل أم لا مدخل لى فيه ؟

فإن كان فيه مدخل فاللوم على نفسك ، وإن كان أجراه الله عليك فهو خير لك ، ولله حكمته فى ذلك . ثم يستشهد بقول الشاعر وما أروعه من استشهاد :

وحظى فى الدنيا سواه لأننى	رضيت بحكم الله فى العسر واليسر
فإن أثلت كان الجزاء على النجا	وإن أدبرت كان الجزاء على الصبر

إلمامه بمختلف النظريات العلمية :

ولم يكن الشعراوى ـ رحمه الله ـ بمعزل عن أحدث النظريات العلمية التى ظهرت .. وهو يناقشها مناقشة العالم المستنير البصير بها .. ولنقرأ ما قاله حول نظرية دارون ، وجاء ذلك منشورا فى « صحيفة الأهرام » بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٢٠ وقالت الصحيفة : نظرية دارون فى التطور يأخذ بها ويطمئن إليها كثير من العلماء والباحثين ، لكن الشيخ الشعراوى له رأى آخر ، وهذا الرأى مشفوع بتبريرات ومسوغات منطقية تكاد تهدم هذه النظرية من أصلها : فما رأى الشيخ فى ذلك ؟

يقول الشيخ : إنها نظرية استقبلها الناس كحقيقة وهذا خطأ ، وإذا كان التابعون لدارون أولاً : هم الذين فندوا نظريته . ثانياً : فلماذا نتعب نحن أنفسنا فى هذا الموضوع تعبا أقل ما يوصف به أننا نجعل دارون فى كفة وما قاله الله تعالى وآمنا به فى كفة أخرى ؟

وحسبنا من هذا البحث ذلك الضلال .

إن الرد البسيط أن تقول لمن يفتن بهذه النظرية : أين العوامل التى أثرت فى القرد الأول ليصبح إنسانا ؟ لماذا تركت بقية إخوته على حالهم وعلى قرديتهم ؟ ولماذا لم نلحظ قردا آخر يصيبه هذا الدور من الارتقاء حتى يصير إنسانا ؟

وهب أننا سلسلنا الإنسان إلى قرد فالقرد عن ماذا ؟ وماذا عن ماذا ؟

إذن لابد أن يوجد شىء عن شىء وستصل إلى شىء والشىء الأول عن أى شىء ؟ ثم إن الأجناس الأخرى من الحيوان ألها أصل تعود إليه بحيث تجمعها سلسلة واحدة ؟

والنباتات وهى الكائن الحى الأدنى ألها سلسلة أيضا بحيث تستطيع أن تنظمها فى سلك بحيث تنتهى إلى أوليتها وارتقت إلى حلقات ؟

فإن كان ذلك فلماذا لانرى حلقة من حلقات الحيوان أو حلقة من حلقات النبات ترتقى أمام أعيننا إلى النوع الآخر ؟

وقديماً قيل مثل هذا الكلام ولكن بغير هذا الفهم ، على أن آخر شىء فى النبات أول شىء فى الحيوان وهو الإحساس ولكن يظل النبات نباتاً والحيوان حيوانا .

فكذلك الحيوانات قد ترتقى فى بعض خصائصها فتأخذ شيئا من خواص الإنسان وهى القدرة على التقليد ، ولكن تظل حيوانات فلا ترتقى إلى إنسان ، والدليل على ذلك أننا حين تعلم القرد أى عمل فقد يفعله فعلا بدائيا ولكن لايستطيع أن يعلمه لغيره .

إنه لم يكتف بمعرفة هذه النظرية ، بل ناقشها مناقشة العالم الخبير ، وهذه هى الثقافة الإسلامية الواسعة التى لاتقف أمام المستجدات الحديثة موقف الذى لا يأبه ، أو موقف الغافل العاجز ، أو موقف السلبى الذى يقف مكتوف الأيدى كأن الأمر لا يهمه أو يعنيه .

إن واجبه الدينى والعلمى والأدبى والثقافى كان يفرض عليه أن يكون له دور إيجابى من كل هذه المستجدات والقضايا العلمية والفكرية التى تظهر فى مختلف الساعات .

ويطول بنا المقام لو أخذنا نستعرض فى خواطره أمثلة هذا الحضور العلمى والثقافى الذى كان يزود به السامعين والمشاهدين والذى يشهد له بأنه كان على دراية كاملة فى مختلف العلوم الحديثة لا نستثنى من ذلك علوم الفضاء أو غيرها .

لمحات أدبية :

وقد أشرنا إلى أنه كان يستشهد بالشعر وله تعليقات على ما يستشهد به .

تعرض فى خواطره إلى قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾

(النساء : ١٢٥) .

إلى مقام الخلة التى تفرد بها إبراهيم - عليه السلام - ، وفرق الشيخ بين الخليل والحبيب فقال : اتخذ الله إبراهيم خليلا . أى اصطفاه الحق اصطفاءً خاصاً . والحب قد يشارك فيه فهو سبحانه يحب واحدا وآخر وثالثا ورابعا وكل

المؤمنين ، لكنه اصطفى إبراهيم خليلا أى لا مشاركة لأحد فى مكانته . . الحب يعم ولكن الخلة لا مشاركة فيها .

وإسماعيل صبرى الشاعر المصرى الذى كان أسبق من أحمد شوقى ، وكان شيخاً للقضاة التقط هذا المعنى من القرآن ومن الألفاظ التى دارت عليه فى القرآن ويقول :

ولما التقينا قرب الشوق جهده خليلين ذابا لوعة وعتابا
كأن خليلا فى خلال خليله تسرب أثناء العناق وغابا

وشاعر آخر يقول :

فضمنا ضمة نبقى بها واحدا

ولكن إسماعيل صبرى قال فى هذا المعنى : لقد تخللنا لأن بعضنا قد ذاب فى البعض الآخر .

وتعرض عند قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾

(النساء : ١١٩) .

لظاهرة استرجال المرأة وتخنث الرجل ، واختلاط الأمر بين الذكر والأنثى حتى أدى ذلك إلى الفساد . . واستشهد الشيخ فى ذلك بقول المرحوم الشاعر الدكتور حسن جاد :

من حيرتى من اللذين اللاتى حرت بين الفتى وبين الفتاة

وعلق قائلا :

الشاعر يعلن حيرته لأنه لايتعرف على الفارق بين الفتى والفتاة ، ففى بعض الأحيان صارا من اللذين واللاتى معا لأن الفتى يتشبه بالفتاة والفتاة تتشبه بالفتى على الرغم من احتفاظ كل منهما بخصائص نوعه وبما يميزه عن النوع الآخر .

براعة الأسلوب الأدبى

ثم يستطرد شارحا هذه القضية معلقا عليها بأسلوبه الأدبى الرائع ويقول :

لقد سمعنا أن أنف كليوباترا لو كان قصيرا بعض الشىء لتغير وجه التاريخ ، والحق سبحانه كما وزع الأمزجة على العباد وزع أيضا أسلوب الخلق بما يغطى هذه الأمزجة ، ألا ترى فى الحياة اليومية شابا يتقدم لخطبة فتاة فلا تعجبه أو لا يعجبها ، ويأتى آخر فيعجب بالفتاة نفسها وتعجب الفتاة به . هو سبحانه الذى أنشأ السيال العاطفى ليتوائم الخلق بهذا السيال وقد تحاول فتاة أن تغير من خلق الله فتسبب بذلك فسادا للسيال العاطفى .

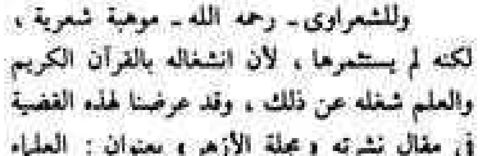
كلمات مضيئة له :

وللشيخ الشعراوى كلمات مضيئة تشير إلى مكانته الأدبية وعبقريته الفكرية منها ما جاء فى مجلة « اللواء الإسلامى » والتى كما يقول جامعها الأستاذ عبد المعطى عمران : تصلح أن تكون منهجاً ودستوراً للحياة قال :

إذا أردنا أن تكون كلمتنا من رأسنا فلابد أن تكون لقمتنا من فأسنا » .

وإلى جانب روعة المعنى الذى تحمله . فانظر إلى حسن الأسلوب الأدبى الذى عرضت به وإلى الموسيقى اللفظية التى طرزته .

وقال : كل صانع يصنع لصنعته برنامج عملها وقانون صيانتها ، والإنسان صنعة الله فلا يصلحه إلا منهج خالقه .



وقال : إذا هزم المسلمون فى معركة فاعلم أنهم فقدوا شرطاً من شروط الخيرية لله تعالى .

انهزم المسلمون فى أحد لأنهم خالفوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فكيف ينصرنا الله ونحن نخالف أوامره كل ساعة ؟

وقال : افتقاد الإنسانية لصفة الإيثار جعل رجالاً يعيشون بلا أرض وأرضاً واسعة بلا رجال .

وقال : الله وزع المواهب على خلقه ليكون كل فرد فى المجتمع بحاجة إلى الآخر .

وقال : منهج الإسلام يقيم مجتمع الأمانة والعدالة ، لأن كل فرد فيه يحترم أوامر الله .

وقال : الإنسان لايعرف قيمة النعمة إلا إذا فقدها ، لأن رتابة النعمة قد تلهى عن المنعم .

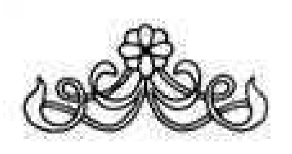
من شعره :

وللشعراوى - رحمه الله - موهبة شعرية ، لكنه لم يستثمرها ، لأن انشغاله بالقرآن الكريم والعلم شغله عن ذلك ، وقد عرضنا لهذه القضية فى مقال نشرته « مجلة الأزهر » بعنوان : العلماء والشعر .

ويكفى للاستشهاد على شاعريته قوله فى مدح النبى فى قصيدة الإسراء والمعراج :

الله فضله على كل الورى ... أهداه خير العقل والآراء
هو سيد الثقلين طه المصطفى ... يس أكمل من على البطحاء
هو شبل عبد الله فى أقوامه ... هو سبط مطلب حيا الصحراء
هو زهرة من آل هاشم نفحها ... نور الهدى هو دعوة استجداء
مضر نضارة خلقه ثم اصطفى ... منها كنانته بلا إرجاء
ثم اصطفى منها قريشاً واصطفى ... الهادى فأشرق صفوة الآباء
فهو الخيار من الخيار من الملا ... قاصى المفاخر أيما إقصاء

رحم الله شيخنا الشعراوى رحمة واسعة ، وجزاه عما قدم للإسلام والمسلمين خير جزاء .





وتأصيل الثقافة الإسلامية

للدكتور: محمد عبد الحكيم محمد

يظهر مما سبق أن الدكاترة «زكي مبارك» كان من أوائل الداعين إلى تمجيد الثقافة العربية، كما كان من العاملين على النهوض بها والذود عنها إيمانا بقدرتها على تعبئة المشاعر والأفكار والوجدان الجماعي، تماما كما دعا إلى تكوين شخصية للأدب العربي تأخذ بالأصالة والتجديد[1] بلا محاكاة أوتقليد، وتجمع حولها عقول العرب وقلوبهم بحيث تستقل بطابعها استقلالا تاما عما تدفع به إلينا كل يوم ثقافة الغرب.

وليس من شك أن وحدة الثقافة في الأمة العربية ترتبط ارتباطا وثيقا بالإسلام، فهو الذي وسع نطاقها وفجر ينابيع القوة والحيوية، وأصبحت به مفخرة لكل عربي يعتز بعروبته وتراثا مجيدا للمسلمين والنصارى على السواء.

● الكاتب: مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة.

(1) جريدة البلاغ: ٢٦ أكتوبر (١٩٣٠)، والبدائع جـ٢ ص٥٥.

ويبدو أن « زكي مبارك » كان مدركا لتلك الحقيقة لأنه كان يعاني من سوء تقليد الشرق للغرب بلا تمييز ، فقد اتضح ذلك من قوله : « فليست الثقافة أن تعرف أوهام الغرب ، إنما الثقافة أن تعرف ما يجب أن يعرف ، وقد آن أن يفهم الغافلون أن الأمة التي يحفظ أطفالها القرآن الكريم هي أهدى من أمثال الأمة التي يحفظ أطفالها أقاصيص لافونتين [١] .

وزكي مبارك لا يسوق هذا الرأي عن تعصب لثقافة العرب الإسلامية ـ وهو تعصب شريف ـ إنما يسوقه إقرارا لحقيقة لا يجهر بها كثيرون غيره خوفا من أن يتهموا بالرجعية ، وهو اتهام لا يقيم له « مبارك » وزنا وخاصة أنه آمن « أن القرآن ليس ملكا للمسلمين فقط ، إنما هو ملك للإنسانية جمعاء [٢] ، وهو بهذا يستدل على أن الإسلام جسر متين يربط بين الثقافة العربية من جهة وبعناصر القومية العربية من جهة أخرى ، وتلك ظاهرة هامة تقتضي التعرف على موقف « مبارك » من قومية الإسلام .

القومية الإسلامية :

نظر « مبارك » إلى القومية الإسلامية على أنها من أهم دعائم القومية العربية ، وذلك لوثيق العلاقة بينهما ، فالعروبة وعاء الإسلام والإسلام روح القومية ، ومن ثم فإن دين الإسلام « ثروة قومية روحية إنسانية يجب أن يحرص على قيمتها ساسة الشعوب » [٣] .

والواقع أن حياة « مبارك » في مجموعها تمثل عدة جهود مبذولة في خدمة دين الإسلام ، فهو يرى أن الدين عامل مهم في التقريب بين الجموع وبناء الإخاء ، حتى أن « الناس لا يستطيعون التعاون على بناء الوطن إلا إن استطاعوا التعاون على بناء الإخاء الديني [٤] والإخاء الديني الذي يصبو إليه « مبارك » هو الذي صوره الرسول الكريم بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » [٥] والذي صوره « شوقي » بقوله :

مقدونيا والمسلمون عشيرة
كيف الخؤولة فيك والأعمام [٦]

كما يرى أنه إذا اجتمعت الوطنية الصادقة مع الدين كان الإخاء بين الجموع أقوى وأبقى [٧] ويرجع أهمية العنصر الديني عنده كما يؤكد « محمد علي عبد العال » إلى أن الدين

---

(١) انظر عقيقة : المدائح النبوية ـ ص١٣ .
(٢) المدائح النبوية ـ مرجع سبق ـ ص١٣ .
(٣) الهلال : أول أغسطس (١٩٨١) مرجع سبق ـ ص٨٨ .
(٤) الدكتور زكي مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ صفحات ٥٤ ـ ٦٠ .
(٥) الدكتور زكي مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٤ ـ ٦٠ .
(٦) الدكتور زكي مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٤ ـ ٦٠ .
(٧) الدكتور زكي مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٤ ـ ٦٠ .

« فكر يغوص فى جوهر الأشياء ، وإذا تغلغل فى القلوب فسوف يمنع كثيرا من المجازر البشرية (١) » ، وعلى حد قوله : ولو كان للدين سلطان على أرواح الناس لما رأينا شهود الزور يضللون القضاء بلا حياء(٢) » ، فهو يدرك أهمية دين الإسلام فى بناء القومية ، وفى نفس الوقت يستبعد أن ينفرد الدين بهذا البناء ، يتضح ذلك من قوله:« الدين ثروة قومية ، وهو عماد من عمد الاستقلال ، لأنه يصحح ضمير الفرد ، والفرد الصحيح الخلق ليس إلا حجرا سليما فى بناء القومية(٣) » ، وهو على جانب كبير من الصواب فى هذا الاستبعاد لأن القومية لا تستطيع أن تنهض على أساس من الدين وحده ، كما لا تنهض باستبعاد الدين نهائيا ، ولم يستطع « رمزى موير » وهو من كبار الباحثين فى الوطنية والقومية أن ينكر أثر الدين فى بناء القومية ، وفى ذلك يقول : « لقد عدت وحدة الدين أحيانا عاملا من عوامل القومية ، ورأينا أحوالا لا شك أن الدين كان فيها أحد العوامل القومية القوية »(٤) .

ولا يرى « مبارك » تعارضا ولا تصادما بين العروبة والقومية الإسلامية ، بل هو فوق ذلك يؤمن بأن « القرآن رسالة الإنسانية جمعاء »(٥) ، لذلك فهو يؤكد لقرائه من غير المسلمين « ألا يسيئهم هذا القول ، فليس القرآن ملكا للمسلمين وحدهم ، وفى هذا الضوء يبدو أن « مبارك » لم يبتعد عن الحقيقة عندما رأى أن المسلم والمسيحى فى الوطن العربى أخوان متساندان يتبادلان المحبة والمودة والتعاطف ، بهذا التراث الروحى المشترك ، ويشتركان فى مقومات العروبة كلها ، ويستهدف « مبارك » من هذا المنطلق إثارة غيرة الشرقى وبث حماسه وتكتيل الجهود لمواجهة الغرب الذى صنع ما صنع من أجل تفتيت وحدة العرب والمسلمين ، من خلال « وأد اللغة العربية والعقيدة الإسلامية »(٦) ، ولن ينهض الشرق عند « مبارك » إلا بتماسك قوة الشرق الروحية ، ممثلة فى دين الإسلام ، « وسيعلم المعتدون على الشرق كيف تنهزم قواتهم المادية أمام قوته الروحية فى أمد أقرب مما يظنون »(٧) ، وهو يدرك ـ بلا شك ـ أن وطنه

---

(١) الهلال - المرجع السابق .
(٢) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ ص ٤٠ .
(٣) المرجع السابق ـ ص ٥٥ .
(٤) الدكتور أحمد محمد الحوفى : القومية العربية ـ مرجع سبق ـ ٣١٥ .
(٥) الدكتور زكى مبارك : المدائح النبوية ـ مرجع سبق ـ ص ١٤ .
(٦) الرسالة : أكتوبر (١٩٤٣) .
(٧) الرسالة : ٩ سبتمبر (١٩٤٠) .

العربي الكبير يضم مسلمين ومسيحيين ، وأن الجميع كما يتشاركون في خيرات بلادهم عليهم أن ينهضوا بتبعاتها وحقوقها ، لذلك عندما حث الهمم على النهوض في مواجهة الغرب دعا الجميع بقوله : « واجبنا . . . ذلك الواجب لا يحتاج إلى تعريف جديد ، فهو مسطور الملامح في كل قلب ، وله جذور في كل نفس ، وله سلطان على كل ضمير ، ولا خوف من غياهب المستقبل إذا صحت العقائد والقلوب »[1]، مما يدل على إيمانه بأن الدين الإسلامي دعامة من دعائم القومية ، وأنه وشيجة قوية من الوشائج التي تربط العرب ـ مسلمين ونصارى ـ وتقوى صلات بعضهم ببعض ، هذا بعكس ما ذهب إليه بعض الأفاضل المخلصين من الدارسين للقومية العربية ، مثل « الدكتور عبد الرحمن البزاز »[2] و « ساطع الحصري »[3] ، فليس الدين ولا الدولة ولا الحياة الاقتصادية ولا الرقعة الجغرافية تدخل في رأيهما بين مقومات القومية الأساسية ، فكلاهما رأى أن التراث الروحي ليس من دعائم القومية العربية ، وهكذا يظهر لنا أن القومية الإسلامية عند « مبارك » كانت تسير جنبا إلى جنب من الدعائم الأخرى في استراتيجية القومية ، بل أقرب إلى الحق أن يقال أن « مبارك » كان يقدم القومية الإسلامية على الدعائم الأخرى سعيا في تأكيد أواصر القومية العربية .

زكي مبارك وزعماء الإصلاح :

والواقع أن « مبارك » قد احتذى ـ فيما ذهب إليه ـ حذو المفكرين العظام في النصف الثاني للقرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، مثل « جمال الدين الأفغاني » و « الإمام محمد عبده » ، « شكيب أرسلان » وغيرهم ممن استخدموا الصحافة استخداما قويا في محاربة الفساد وتنبيه الوعي القومي والدعوة إلى التضامن الإسلامي ، وربما كان أقرب إلى « محمد عبده » في مجال الإصلاح الديني والعمل على تقوية الجبهة الداخلية ، فقد عكست آراؤه ريادته في هذا المجال ، فكما أيقظ « الإمام » الشعور الديني « وأشعر المسلمين[4] بأنهم يجب أن يهبوا من رقدتهم

(١) الرسالة : ٩ سبتمبر (١٩٤٠) .
(٢) الدكتور أحمد محمد الحوفي : القومية العربية ـ مرجع سبق ـ ص ٣١١ .
(٣) ساطع الحصري : ما هي القومية ـ مرجع سبق ـ صفحات ٢٥١ ـ ٢٥٢ .
(٤) مجلة الهلال : أول أغسطس (١٩٨١) ـ مقال « دور الإمام في التضامن الإسلامي » ص ١٩ .

لإصلاح نفوسهم وبناء حاضرهم وإعلاء مستقبلهم » ، كذلك فعل « مبارك » فى سبيل إصلاح النفوس ، كما أنه أولى اهتماما خاصا بمكارم الأخلاق مثل : الصدق والإخاء والسماحة ، وبيان أهميتها فى تماسك الأمة وسلامة وحدتها ، ولم يكن ليغفل عن اجتناب المسالب ، مثل « الرياء والضغائن والنمائم والوشايات وشهادات الزور ، إلى غير ذلك مما سماه « مبارك » « بالأخلاق الدينية »[1] ، وجعلها من أقوى أسلحة الدفاع عن النفس فى جسم الأمة ، « فإن الأمة[2] حين تصح فى دينها تظل قوية متينة ، لا يفد عليها واغل إلا دفعته عنها بقوة وجبروت » ، كما تذهب أهمية « الأخلاق الدينية » عند « مبارك » إلى أن من شأنها تأليف القلوب ومحاربة الفرقة وصون الوحدة القومية ، يتضح ذلك من قوله : « لن يكون[3] الدين من مقومات الاستقلال إلا حين يصون الوحدة القومية من التفكك والانحلال .

زكى مبارك والإمام محمد عبده :

ويبدو أنه من أبرز المزايا التى اشترك فيها « زكى مبارك » مع « محمد عبده » ، أنه كان فى قلب بلاد الشرق ، بلاد الخوف والرهبة ـ إن صح هذا التعبير ـ جرىء الفؤاد حر الضمير يجاهر برأيه ويثبت عليه ، وقد جرَّ عليه ذلك كثيرا من الأهوال والمحن ، كما أن كليهما كان مجروح القلب من زعزعة الإيمان فى عصره .

تعليق للباحث :

الواقع أن الاتجاه القومى لزكى مبارك ، قد تناول القومية العربية مدعمة بقومية إسلامية ، ولكن أى القوميتين أجدر بأن تدعم بالأخرى ؟ يظهر مما سبق ذكره أن « مبارك » جاهد جهادا عظيما فى تدعيم الوحدة العربية بأخوة إسلامية ، فجعل بذلك القومية الإسلامية من دعائم الأمة العربية ، ونحن نخالفه فيما ذهب إليه ونرى أنه لو عكس أصاب ، وذلك لشمول القومية الإسلامية وعمومها ، وفضلا عن أن القومية الإسلامية أسبق فى التكوين من القومية العربية ، إذ أن المكون الحقيقى للقومية العربية بجميع أنواعها وفروعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية هو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وباستقراء التاريخ نعلم

(١) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٨ ـ ٦٤ .
(٢) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٨ ـ ٦٥ .
(٣) الرسالة : المجلس (١٩٣٩) ـ مقال : « الحمد لله على نعمة الإسلام » ، الدوحة : أكتوبر (١٩٨٢) ـ ص ١٤٣ .

أنه الذى جاء بالقرآن ، ودعا إلى الحق ، حتى كانت الهجرة ، فأسست أول مدينة إسلامية تكونت فيها النواة الإسلامية للقومية العربية ، وهى مدينة « يثرب » ، ولم ينتقل النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى جوار ربه إلا وقد تمت وحدة الجزيرة العربية ، ووجدت قومية عربية منظمة لها قانونها وهو القرآن ، ولها نظامها السياسى القائم على تعاليمه ، من عدل ومساواة ، بعد ذلك نهض خلفاؤه (رضى الله عنهم) من بعده بها ، فتجاوزت القومية العربية الجزيرة العربية إلى الفرس وإلى مصر وإلى شمال أفريقيا وإلى أسبانيا وغيرها .

يتضح من ذلك أن القومية الإسلامية هى التى كوّنت تلك الأمة العربية وقوميتها ، وأنها انطلقت من الجزيرة إلى بلاد فتحتها بالإسلام ، وامتزج فيها العرب بغيرهم من سكان البلاد الأصلية .

والمادة المعروضة عن هذا الموضوع تبرز أسبقية وشمول القومية الإسلامية ، عن القومية العربية ، وذلك لائتلاف القومية الإسلامية من أجناس عربية وغير عربية ، ويمكن الاعتذار عن « مبارك » بأنه اعتمد على رأى الجمهور الذى ينادى « بقومية عربية مدعمة بأخوة إسلامية »[1] .

وعلى كل فإن الآراء التى خلفها « زكى مبارك » فى مجال القومية العربية ودعائمها تشكل مدرسة قوية الأثر واضحة المعالم ، تدين له فيها بالفضل ، خاصة أنه ليس موصوفاً بهوى ، ولا متهما بغرض ، ولا منسوبا إلى بدعة محظورة ، ولم يحص عليه رأى يحمل أمانته للغرب ، فجزاه الله - تعالى - خير ما جازى به عالما أمينا عن علمه ودينه وأمانته وبصيرته .

وعن جابر - رضى الله عنه - قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبى - ﷺ - فقال لهم : « بلغنى أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يارسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم . فقالوا مايسرنا إنا كنا تحولنا » . رواه مسلم وروى البخارى معناه من رواية أنس .

---

(١) محمد أمين هلال : مع القوميتين - الإسلامية والعربية - سلسلة البحوث الإسلامية - العدد ٧١ (١٩٧٤) ص ٨٨ .

خميلة الشعر

للأستاذ: محمد عبد الوهاب

الحج رحلة مقدسة ، يهاجر فيها المسلم إلى ربه جل شأنه ، تاركا وطنه وأهله وماله ، فى زمان بعينه إلى مكان بعينه ، فالزمان هو شهر الله الحرام ذو الحجة ، والمكان هو بيت الله العتيق بمكة ، فاجتمع للمسلم حرمان فى آن واحد ، حرم زمنى هو شهر ذى الحجة ، وحرم مكانى هو البيت الحرام ، مما يضفى على روحه ونفسه وجسمه تجليات وأنوارا ربانية تطهره من أدرانه وأوصابه .

فالإحرام ، والطواف ، بالكعبة المشرفة ، والسعى بين الصفا والمروة ، ثم الوقوف بعرفة ، ورمى الجمرات .. إلى غير ذلك من شروط وواجبات وسنن الحج ، كل هذه المناسك العظيمة ترفع من درجات العبد المسلم عند ربه ، حتى إذا أتمها وأداها حق أدائها ، عاد إلى وطنه وقد فاز بالغفران ، وكتب له ربه حجا مبرورا .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من حجاج بيته الحرام وزوار رسوله الكريم فى قابل أعوامنا .. بإذن الله .. آمين .

هذا وخميلة الشعر تتوجه بالتهنئة إلى كل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بهذه المناسبة العظيمة ،راجية لمن عقدوا النية للحج هذا العام حجا مبرورا وذنبا مغفورا وذهابا ميمونا وعودا محمودا بإذن الله ، وقد تم اختيار عدة قصائد ، تتغنى بذكريات الحج الجميلة ومنافعه الجليلة ، وكيف أن قلوب كل المسلمين تحن إليه أعظم الحنين ، ونستهل عددنا اليوم بقصيدة بعنوان (من أجل يمناك الطهور) وفيها يتغنى الشاعر بالمنجزات العظيمة لقائد الأمة الرئيس محمد حسنى مبارك ، بأسلوب عذب ورصين ، وبعد ذلك تقدم قصيدة : (إلى البيت الحرام) للشاعر الكبير/ أحمد عبد الهادى التى يتوجه من خلالها إلى الحجيج بالتهنئة بأبياته المعبرة والموحية بأعظم المعانى .

والقصيدة الثالثة بعنوان : (خواطر وشاعر) للشاعر الكبير/مصطفى محمود مصطفى ، الذى يقص علينا ذكرياته عن الحج والزيارة بأبياته الوجدانية الصادقة ، وأسلوبه الرصين ، وقصيدتنا التالية هى : (مناسك وأشواق) ويقدم لنا فيها الشاعر الرقيق محمد حسن داود ، ومضات نورانية صافية تنبع من قلب يفيض بالإيمان .

أما الشاعر المهندس عبد العاطى موسى عبد العاطى ، فيعبر عن أشواقه إلى بيت الله ، وعن أمله فى أن يعفو الله عنه ، بعد أن قدم بين يديه سبحانه توبته الصادقة ، من خلال أبياته الموحية الجميلة ، وكل عام وأنتم بخير .



للأستاذ
حامد الجوجرى

من أجل قبرة تغرد فى الرياض الناضرة
من أجل لحن سابح فوق الشفاه الشاعرة
من أجل بسمة ظامىء للأمنيات العاطرة
من أجل زنبقة ترف على الغصون الزاهرة
من أجل كل الحب كل النبل من أجل الرخاء
أختار يمناك الطهور سقاء أيامى الظماء

●●●

من أجل يوم كنت فيه لمصر فجر ظلامها
نسرا يمد جناحه نورا على أيامها
من بعد أن غشى الدجى من خلفها وأمامها
وسرى حريق اليأس بين جلودها وعظامها
فوثبت تطلع بالغد المأمول من أحلامها
من أجل كل العز يوم النصر من أجل الوفاء
أختار يمناك الطهور سقاء أيامى الظماء

●●●

من أجل ما جمعت حولى من حشاشات العرب
وأعدت خفقات الصدور تدق فى ود وحب
وأزلت من أفق العروبة ما تلبد من سحب
ومضيت تدعو للوئام بلا أناة أو نصب
من أجل مد الشرق نبض الحب بين الأوفياء
أختار يمناك الطهور سقاء أيامى الظماء

●●●

من أجل تلك المنجزات المعجزات بكل وادى
دنيا من الرغد العزيز تطوف صبحا فى بلادى
صبحا ندى الخطو حلو اللمح منضور الأيادى
فيه رؤى غدى الطموح وراء أحلامى الصوادى
من أجل كف لا تكف عن البناء أو العطاء
أختار يمناك الطهور سقاء أيامى الظماء

إلى البيت الحرام

شعر: أحمد عبد الهادى

يازائر البيت الحرام سلام ... واهنأ فزاتك لست بعد تضام
ناداك ربك فاتجهت لبيته ... ولديك للبيت العتيق هيام
لبيت ربك فاستضأت بنوره ... وعلاك بين الزائرين وسام
أعلى من الرتب التى يزهى بها ... أهل العلا والجاه، والحكام

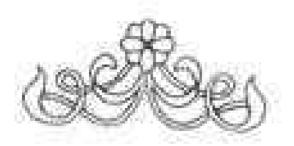
لبيك ياربـاه قلت مرددا ... بين الجموع فزالت الآلام
وتلوت آيات الثناء مسبحا ... لله لما حققت الأحلام
كم قد تمنيت الزيارة والطوا ... ف فهاك تسعى والصلاة تقام
فى حجر إسماعيل جد المصطفى ... من ظهر إبراهيم وهو إمام
بل أمة هو قانت ومهاجر ... فى الله لم يحجبه عنه ظلام
وقد استلمت الركن بعد تشوق ... وأخذت تبكى والدموع سجام
وتلوت آيات الكتاب تزلفا ... لله منها قاف والأنعام

ثم اتجهت إلى الصفا فى زمرة ... ترجو الإله وحبها الإسلام
وسعيت منه لمروة وكما سعى ... خير الأنام ونصت الأحكام
تسعى وتذكر هاجر أم ... الذبيح تضم إسماعيل وهو غلام
ومضت تهرول كى ترى ماء له ... لكن بلا جدوى فكل الهام
فتفجر الماء الطهور بقدرة ... من تحته فابتلت الأقدام
فأتت تزم الماء فى لهف لكى ... يروى ابنها من فوره فينام

وسعيت أنت مع الحجيج إلى منى ... سعي المشوق ومن لديه غرام
وأقمت فيها الخمس فاتعشت بها ... عيناك حتى زال عنك سقام
وترقب الصبح الحجيج فجاءهم ... ليسير للجبل الأشم أنام
الله أكبر قلتها وأعدتها ... فتناقلتها البيد والأعلام
وذهبت تلتقط الجمار لترجم الـ ... شيطان وهو المفسد الهدام
ولتذكر الشيخ الجليل يجر فلـ ... ذته الذبيح كما قضى العلام
فيسد إبليس اللعين طريقه ... ليزجه فيفر وهو ملام
ويظل يرجمه الخليل فيختفي ... بتلاحق الجمرات وهي سهام

يازائر البيت الحرام تحية ... ماطوف الحجاج فيه وحاموا
بيت أقيم بمكة لعبادة الـ ... ـحول الكريم، وتبت الأصنام
لا رب إلا الله خير عقيدة ... فيها نجاة للورى وسلام
لا رب إلا الله قد رددتها ... عند الطواف وزينك الإحرام
طوفت بالبيت المطهر قادما ... وكذا الإفاضة للحجيج ختام

أما زيارة قبر طه المصطفى ... فرغيبة ومحبة وذمام
من حج ثم سعى لرؤية قبره ... أضحى له عند الشفيع مقام
صلى عليه الله ربي كلما ... هب النسيم ودارت الأجرام
أسدى لأمته أجل فضيلة ... تتلو بها أمما لها إقدام
أما الفضيلة تلك فهي جهاده ... في الله لا خوف ولا إحجام
حتى استقام الدين وارتفعت به ... هاماتنا واختالت الأعلام
صلى عليه الله دوما كلما ... غنى على أيك الرياض حمام



خواطر ومشاعر

للشاعر :
مصطفى محمود مصطفى

شددت الرحل للبيت الحرام ... إليه أطير مشبوب الغرام
وتعلوني ثيابي البيض رمزا ... على صفو، ونبذ للخصام
وسرت لروضة المختار شوقا ... تأجج في الجوانح كالضرام
أناجيه حبيبا، هام قلبي ... به حبا، وأمعن في الهيام
وأسأله الشفاعة يوم حشر ... بها أنجو من الكرب الجسام
وبالبيت العتيق أطوف إني ... لتواق إليه لدى الزحام
وألثم صفحة الحجر التهابا ... وأشرف بالسجود لدى المقام
وأسعى بين (مروة والصفا) في ... نشاط فائق، مثل الهيام

★★★

إلى عرفات أصعد في سرور ... وددت بها البقاء على الدوام
وقد وقف الحجيج بها خشوعا ... وقد حسروا الرءوس بلا لثام
وكم ضج الحجيج بها دعاء ... وكم لجوا حشودا في انتظام
وقد أوجعت إبليسا برجم ... تساقط فوقه، مثل السهام
وزمزم قد رشفت الماء فيها ... ألذ إليّ من رشف المدام
وودعت (العتيق) بفيض دمع ... كأنه قد تفجر من غمام
أشرت إليه تعظيما وحبا ... له أرجو الزيارة كل عام
وأبت مؤملا غفران ذنبي ... من المولى، فأظفر بالمرام

مناسك وأشواق

للشاعر:
محمد حسن داود

لمس الصفاء مشاعرى وكيانى ... وأفقت بعد تردد وتوان
قد كنت أرتاد الحياة مجاهدا ... متخوفا من سطوة الشيطان
سلمت للأيام دفة زورقى ... فانساب نحو شواطىء الإيمان
أهفو إلى داعى التقى فى رهبة ... ويلين من آلائها وجدانى
وأحن للبيت العتيق وقدسه ... فيفيض دمعى فى دجى أشجانى

●●●

وأضىء شمعة خافقى من نوره ... فظلام نفسى للهلاك رمانى
وأتوق أن أسمى بأطهر بقعة ... موصولة بجلالها النورانى
وأشم مسك الخالدين وزحفهم ... بعقيدة تدعو لخير معانى
لبيك ربى.. قد غدت أنشودتى ... وترنمت شفتى بها وجنانى
تهتز كل عواطفى بجلالها ... وكأنها تيار سحر حانى
وأقبل الأركان إن أبصرتها ... بتلهفى ومشاعر الظمآن

●●●

المحرمون إذا تجمع حشدهم ... فى الكعبة الغراء كم أشجانى
خلعوا الحياة وطلقوها ساعة ... وتفرغوا للواحد الديان
متبتلين وخاشعين وركعا ... ونسائم الرحمات فى فيضان
وتقر عينى بالتدبر فى منى ... وأذود شر عواصف العصيان
وأعيش مغتبطاً فقد نلت الرضى ... متدثرا بمشاعر الإنسان
عرف السلام طريقه لعواطفى ... فنذرتها لمحبة الرحمن

رجاء ورحمة

للشاعر:
عبد العاطى موسى عبد العاطى

رباه هذه جبهتى وصحائفى ... وذنوب عمرى جمة ومواقفى
صرح من الزلات يثقل كاهلى ... والدمع ليس لما أحس بمسعفى
رباه إنى قد تركت عشيرتى ... وبريق معسول الحياة الزائف
وأتيت بابك يا إلهى تائبا ... فلنور وجهك مقصدى وتلهفى
جئنا نكفر بالصحاف ذنوبنا ... جئنا نطهر كل فعل مسرف
جئنا لنشهد للجميع منافعا ... جئنا نفوز بوحدة وتعارف
وصنيع إسماعيل والصبر الذى ... بين الخليل ونجله لا يختفى
وسنا المدينة والسكينة حولنا ... والروضة الغراء والفيض الوفى
سيل من الرحمات ينزل بالهدى ... كرما وآلاف الملائك تحتفى
بالكعبة الرحمن ضمى خافقى ... أغرقت عينى بالدموع فكفكفى
فمتى نعود إلى رحاب أحبتى ... لرسولنا المختار والجمع الصفى

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

التقوى فى القرآن الكريم

لفضيلة الإمام الشيخ : محمود شلتوت

إعـداد : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

اشتدت عناية القرآن الكريم بالتقوى ، وأكثر من الأمر بها ، وتوجيه النفوس إليها ؛ وكانت له فى ذلك أساليب مختلفة ، ووجوه متعددة ؛ كما كان للسلف فى التعبير عن التقوى عبارات كثيرة ، غير أنه مهما اختلفت الأجوبة ، وتعددت المشارب فإنه لو عرضت جميع العبارات المأثورة عنهم عليهم جميعا لكانت محل اتفاق بينهم ، ولما أنكر أحدهم ما نزع إليه صاحبه من بيان ، وتصوير ، أو إرشاد وتوجيه ولتلاقت جميع العبارات وجميع الجزئيات عند حدها المشترك ، وهو حصانة النفس عما يضر ويؤذى ، وعما يحول بينها وبين الكمال .

قال الكاتب ـ رحمه الله :

ذكر القرآن التقوى فى معرض اتباع الهداية الإلهية ، وأنها تحمل الإنسان فى أمن من الخوف والحزن ، وبذلك يطمئن إلى الحياة ، ويسكن قلبه ، فيفكر ويعمل ويؤمل :

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(سورة الأعراف : ٣٥) .

وفى معرض الانتفاع بالقرآن الكريم ، والحصول به على الهدى والفلاح :

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(سورة البقرة : ٥) .

وفى معرض البر العام ، والصدق فى الإيمان :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

(سورة البقرة : ١٧٧) .

وفى معرض النصر والتأييد :

﴿ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾

(سورة آل عمران : ١٢٥)

وفى معرض ولاية الله وأنها للمتقين من عباده خاصة ، وليس شيء منها لمن فسدت فطرهم وانحرفوا عن طريق الحق والصواب ، فأشركوا بالله ، وتجبروا على عباد الله ، وأسرفوا بنعم الله :

﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾

(سورة الأنفال : ٣٤) .

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

(سورة يونس : ٦٢ ، ٦٣)

وذكرها فى معرض تحصين النفس من نزغات الشيطان والهوى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾

(سورة الأعراف : ٢٠١) .

وفى معرض تفريج الأزمات وحل المشكلات :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

(سورة الطلاق : ٢ ، ٣) .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾

(سورة الطلاق : ٤) .

وفى معرض الرحمة الخاصة :

﴿ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(سورة الأعراف : ١٥٦) .

ويذكرها فى معرض السلامة من الفتن التى يعم الأمة ضررها ، ويؤخذ فيها المجرم وغير المجرم ، يؤخذ فيها المجرم بإجرامه وغير المجرم بسكوته ، وهى فتن التفرق فى الحكم والسلطان ، والتفرق بالمذاهب والآراء ، والتفرق بإهمال واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ورد الأمة إلى وحدتها ، والاعتصام بما يجمعها من رباط مقدس :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

(سورة الأنفال : ٢٥) .

ويذكرها فى معرض التيسير للخير :

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (سورة الليل : ٤ ، ٧) .

وفى معرض التمتع ببركات السماء والأرض عن طريق الإلهام بوسائل استخراج الكنوز والإحاطة بالأسرار والانتفاع بها فى الحياة .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

(سورة الأعراف : ٩٦) .

وفى معرض الثواب العظيم ، والنعيم المقيم .

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾

(سورة الرعد : ٣٥) .

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

(سورة مريم : ٧١ ، ٧٢) .

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾

(سورة مريم : ٦٣) .

ويذكرها بعد ذلك كله فى معرض المعيَّة الإلهية بالنصر والتأييد ، والعطف والرحمة :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(سورة البقرة : ١٩٤) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(سورة النحل : ١٢٨) .

وهكذا ذكر القرآن التقوى فى معرض الطهر من كل نقص ، والصلاح من كل خلل ، والسلامة من كل شر . ذكرها فى معرض الأمن والسكينة ، والاطمئنان والاستقرار ، فى معرض الحصول على خيرى الدنيا والآخرة .

ومن هنا اشتدت عناية القرآن بالتقوى وأكثر من الأمر بها ، وتوجيه النفوس إليها ، وكانت له فى ذلك أساليب مختلفة ، ووجوه متعددة : أمر بتقوى الله ، هكذا بصفة الألوهية التى تقضى بالتوجه إليه وحده فى العبادة والتقديس ، وبصفة الربوبية التى توحى بنعمة الخلق والإيجاد ، والهيمنة والتنمية ، ونعمة التربية المادية والروحية ، وبصفة أنه مصدر الإمداد بما يتمتعون به من مال وبنين وخيل وحرث . وأمر بتقوى عذابه ، وبتقوى يوم الحساب والجزاء :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (سورة البقرة : ١٩٤)

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ (سورة النساء : ١)

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة الشعراء : ١٣٢)

﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (سورة البقرة : ٤١) .

﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (سورة النحل : ٢) .

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾

(سورة البقرة : ٢٨١) .

وتقوى الله تنتظم تقوى ماياباه جلاله وجماله من الشرك والبنوة ، والاتحاد والحلول ، وتقوى ماتأباه حكمته من مجاوزة حدوده ، والخروج عن شرائعه وأحكامه . وتقوى إهمال سننه الكونية التى أحكم بها نظام العالم ، وربط المسببات فيه بالأسباب . وفى تقوى ذلك كله ، تقوى عذاب الله وعقابه ، والعقاب منه أخروى ، ينزل بالأفراد نتيجة تقصيرهم وعدم تقواهم فى التكاليف الإلهية الخاصة ، ومنه دنيوى ، ينزل بالأمم كما ينزل بالأفراد نتيجة الإعراض عن الأخذ بالأسباب الكونية ، والإعراض عمّا توجبه روابط الرحم الإنسانى ، والإيمان بمبدع الكون ومنظمه .

وقد كان للسلف فى التعبير عن التقوى عبارات ؛ فمن قائل : التقوى ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة . ومن قائل : التقوى ألا تختار على الله سوى الله ، وأن تعلم أن الأمور كلها بيد الله . ومن قائل : ألا يجد الخلق فى لسانك عيباً ، ولا الملائكة فى أفعالك عيبا ، ولا ملك العرش فى سرك عيبا . ومن قائل : التقوى أن تزين سرك للحق كما تزين ظاهرك للخلق . ومن قائل : التقوى ألا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك . ومن قائل : المتقى من سلك سبيل المصطفى ، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وكلف نفسه الإخلاص والوفا ، واجتنب الحرام والجفا .

كان لهم فى التعبير عن التقوى هذه العبارات وأمثالها ، وللتقوى منازل ، وللقلوب أحوال ، ولخلق الله نزعات ، وقد كان من سنة القوم فى الإرشاد إلى معانى الخير وأسس الفضيلة والتنبيه إلى الجوانب التى يتسرب منها النقص الخلقى أو الروحى إلى الإنسان ، كان من سنتهم فى ذلك أن يقصدوا إلى إبراز الجزئيات ، والنواحى التى تأثرت بها ، وغلبت على أحوالهم ، وشعروا منها بالكمال الذى تطمئن إليه نفوسهم ، والروح الذى تسكن به قلوبهم ، أو الجزئيات التى يرونها توقظ وعيا فى سائل ، أو تحيى عاطفة فى مريد ؛ فيقدمون له العلاج الخاص بذلك الوعى فيتيقظ ، أو بتلك العاطفة فتحيا . ويرون أن التخصيص هكذا فى مقام العلاج أنجع فائدة ، وأعظم أثرا ، وأقرب فى الحصول على الهدف المقصود ، وسد ناحية التقصير أو القصور ، مما إذا قدم العلاج بالعنوان العام ، والمعنى الشامل ، الذى لا تظهر فيه العناية بجانب دون جانب ، وبذلك يقف المريد أو السائل حائرا أمام الجوانب المتعددة التى يمليها عليه العموم ، ولا يجد فيه ما يدفعه على وجه خاص إلى أن ينشط فى أخذ أهبة التكميل النفسى أو العمل فى الناحية التى هو فى حاجة إلى تكميلها والارتقاء فى سبيلها . وهذا شأن لابد من مراعاته فى أساليب التربية والتقويم حتى يكون للتربية أثرها وللتقويم فائدته .

إلى هذا المبدأ تعددت عبارات القوم واختلفت إجاباتهم عن التقوى وما إليها من المنجيات كالشكر ، والصبر . وكانت دائرة بين الإعراب عن أحوالهم القلبية واتجاهاتهم الخاصة ، والإعراب عما يرون الناس فى غفلة عنه ، وفى حاجة إليه ، غير أنه مهما اختلفت أجوبتهم وتعددت مشاربهم ، وتراءى للناظر بين العبارات والمعانى نوع من الاختلاف ، دعا إليه أحد الموقفين المذكورين ، فإنه لو عرضت فى الوقت نفسه جميع العبارات المأثورة عنهم ، عليهم جميعا ، لكانت محل اتفاق بينهم ، لما أنكر أحدهم ما نزع إليه صاحبه ، من بيان وتصوير ، أو توجيه وإرشاد ، ولتلاقت جميع العبارات ، وجميع الجزئيات عند حدها المشترك وهو حصانة النفس عما يضر ويؤذى ، وعما يحول بينها وبين الكمال . ولعل الذى حمل القوم على سلوك هذا السبيل فى التعبير عن التقوى أنهم كانوا عمليين قبل كل شىء ، ينبهون على المعدوم ليوجد ، وعلى الضعيف ليقوى ، وعلى المنحرف ليستقيم . وأن من يتتبع صحف الإرشاد النبوى ليجد كثيرا من هذا المنهج ؛ فمرة كان يوصى - ﷺ - بالحلم وترك الغضب ، وأخرى بالحياء ، وثالثة ببر الوالدين ، ويجمل ما يوصى به كل الإيمان أو كل الخير والبر .

(يتبع)

العلـــوم الكونيـــة

أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى



الجـزء الثـانى

للأستاذ الدكتور :
أحـمد فـؤاد بـاشـا

آراء ونظريات علمية :

سنعرض فيما يلى لعدد من الآراء والنظريات العلمية التى ضمنها الحسن بن الهيثم كتابه « المناظر » ، ولا تزال تحتفظ بقيمتها المعرفية حتى اليوم فى علم البصريات الحديث .

١ـ نظرية الضوء :

وضع ابن الهيثم حدا للخلافات القديمة التى لم تتوصل إلى اتفاق حول تفسير عملية الإبصار ، وانطلق من مبدأ عام هو القول بوجود العالم الخارجى وجودا مستقلا فى ذاته خارج الذهن وخارج النفس ، وأن العقل والحواس أدوات إدراكه ، ومن ثم فقد أعزى إحساس البصر إلى عامل أو مؤثر خارجى له فى ذاته وجود عينى وأسماه « الضوء » ، ولقد قاده هذا المنطلق بشكل طبيعى إلى استبعاد فكرة خروج شىء من البصر يمتد إلى الجسم المرئى ليتم الإبصار به .

وأورد ابن الهيثم تعريفين مختلفين للضوء : يقضى أحدهما بأن الضوء عبارة عن حرارة نارية

تنبعث من الأجسام المضيئة بذاتها كالشمس والنار والجسم المتوهج ، وأنه إذا أشرق على جسم كثيف أسخنه ، وإذا انعكس من مرآة مقعرة واجتمع عند نقطة واحدة ، وكان عندها جسم يقبل الاحتراق أحرقه . وهذا التعريف يتفق مع ما يقوله اليوم علم الضوء المعاصر .

أما التعريف الثانى فهو مطابق لما قال به الفلاسفة الطبيعيون ويقضى بأن الضوء عبارة عن « صورة جوهرية » فى الجسم المضىء بذاته ، و « صورة عرضية » تزول بزوال المؤثر ، ولم يرجح ابن الهيثم أيا من التعريفين إلا أن آراءه التى بنى عليها أبحاثه فى الضوء تبين أن الأضواء تنفذ فى بعض الأجسام ، وهى الشفيفة ، ولا تنفذ فى البعض الآخر ، وسماها الأجسام الكثيفة .

وقد أوضح ابن الهيثم الطبيعة الجسيمية للضوء وانتشاره فى خطوط مستقيمة قبل نظرية نيوتن بعدة قرون ، فذكر أنه (أى الضوء) جسم مادى لطيف يتألف من أشعة لها أطوال وعروض ، وماهذه الأشعة إلا حبال النور المنبعثة من الأجسام ذوات الأضواء الذاتية فحسب .. وجاء فى المقصد الأول من الفصل الثانى من كتاب المناظر ما نصه :

« نجد البصر لا يدرك شيئا إلا إذا كان بينها بعد ، فلا يدرك ما التصق بسطح البصر ، ولا يدرك أيضا بالاستقامة شيئا إلا إذا كان مقابلا له ، وكان بين كل نقطة منه وبين سطح البصر خط مستقيم متوهم غير منقطع بجسم كثيف ، لأن تلك الخطوط إذا انقطعت جميعها بكثيف استتر المبصر (أى الجسم المرئى) كله ، وإن انقطعت بعضها استتر بعضه ، ونجد هذا المعنى معلوما فى جميع المبصرات بالاستقراء ، فيدل ذلك على أن كل مبصر يدركه البصر بالاستقامة ، فإن بين كل نقطة من سطحه وبين نقطة من سطح البصر - أو أكثر - خطا مستقيما أو خطوطا مستقيمة لا يقطع شىء منها كثيف » .

ويدلل ابن الهيثم على صحة هذا « المقصد » باعتبار . « والاعتبار » اصطلاح ورد ذكره كثيرا فى كتاب المناظر يعنى به ابن الهيثم « التجربة » أو « البرهنة العملية » لإثبات ما يذهب إليه من رأى أو ما يريد أن يقرره من حقائق العلم ، كما يسمى القائم بالتجربة « المعتبر » .

وفى المقصد العشرين من كتاب المناظر (المقالة الأولى) ينبه ابن الهيثم إلى حقيقة انتشار الضوء فى خطوط مستقيمة ، ويبرهن عليها باعتبار (أى تجربة) يدرسها الطلاب فى عصرنا ويعرفونها باسم « تجربة الغرفة المظلمة » ، أو « الخزانة ذات الثقب » ، فيقول :

« إذا كان فى بيت عدة سرج فى أمكنة متفرقة ، وجميعها مقابلة لثقب واحد ، نافذ إلى مكان مظلم ، يقابله جدار ، فإن أضواء تلك السرج تظهر على الجدران متفرقة بعدة السرج ، كل منها مقابل لواحد من السرج على سمت مستقيم مار بالثقب ، وإذا ستر واحد من السرج بطل الضوء الذى كان مقابلا له فقط ، وإذا رفع الساتر عاد الضوء مكانه ، وهذا المعنى يمكن اعتباره (أى البرهنة العملية على صحته) بسهولة » .

٢ـ انعكاس الضوء وانعطافه :

قدم ابن الهيثم فى كتابه « المناظر » شرحا لقانونى الانعكاس المعروفين فى علم البصريات الحديث ، وينص القانون الأول على أن زاوية

السقوط تساوى زاوية الانعكاس ، بينما ينص القانون الثانى على أن زاويتى السقوط والانعكاس تقعان فى مستوى واحد عمودى على السطح العاكس ، وكان القانون الأول قد توصل إليه علماء اليونان على أساس نظرى ، واستخدم ابن الهيثم المفهوم الميكانيكى لارتداد الجسم المتحرك عند اصطدامه بجسم صلب ثقيل ، موضحا الفرق بين حركة الضوء وحركة كرة صغيرة صلبة بقوله : « أما الضوء فليس فيه قوة تحركه إلى جهة مخصوصة ، بل إنما خاصته أن يتحرك على الاستقامة فى جميع الجهات التى يجد السبيل إليها ، إذا كانت تلك الجهات ممتدة فى جسم مشف ، فإذا انعكس الضوء بما حصل فيه من القوة المكتسبة وصار على سمت الاستقامة التى أوجبها الانعكاس ، امتد على ذلك السمت وليس فيه قوة تحركه إلى غير ذلك السمت لأن ليس من خاصته أن يطلب جهة مخصوصة ، ولذلك لا يحيد عن سمت هذه الاستقامة بعد الانعكاس » .

كذلك قدم ابن الهيثم فى كتابه « المناظر » شرحا تفصيليا لقانونى انعطاف الضوء عند نفوذه من وسط شفاف إلى وسط شفاف آخر يختلف عنه فى الشفيف ، وأثبت أن سرعة الضوء فى المشف الألطف أعظم من سرعته فى المشف الأغلظ ، وأوضح كيف يترتب على ذلك أن ينعطف الضوء عند نفوذه من الألطف (الأقل كثافة ضوئية) إلى الأغلظ (الأكبر فى كثافته الضوئية) إلى جهة العمود المقام على السطح الفاصل بين الوسطين ، والعكس بالعكس ، أى ينحرف بعيدا عن العمود عند نفوذه من الأغلظ إلى الألطف ، ويعبر ابن الهيثم عن ذلك بأسلوبه العلمى المتميز فيقول :

« والأضواء تمتد فى الأجسام المشفة بحركة سريعة تخفى عن الحس لسرعتها ، . ومع ذلك فإن حركتها فى الأجسام اللطيفة ، أعنى الشديدة الشفيف ، أسرع من حركتها فى الأجسام الغليظة ، أعنى الأضعف شفيفا ، وذلك أن كل جسم مشف إذا نفذ فيه الضوء فإن الجسم المشف يمانع الضوء ممانعة بحسب مافيه من الغلظ ، لأن كل جسم طبيعى لابد أن يكون فيه غلظ ما لأن الصفاء والشفيف ليس له غاية فى التخيل . . والأجسام المشفة الطبيعية ليست تخلو من غلظ ما ، فالأضواء إذا نفذت فى الأجسام المشفة فهى تنفذ فيها بحسب الشفيف الذى فيها ، وتمانع الأجسام المشفة الأضواء بحسب الغلظ الذى فيها » .

٣ - نظرية الإبصار :

يعزى الفضل الأول فى وضع نظرية الإبصار السليمة التى تطور على أساسها علم البصريات الحديث إلى الحسن بن الهيثم ، وذلك بعد أن تناول النظريات القديمة بالنقد والتحليل وأبطل ما توارثته الأجيال من أفكار خاطئة عن الإبصار منذ عصر اليونان إلى عصره ، وصاغ ابن الهيثم نظريته الجديدة فى الإبصار على أساس الشروط أو « المعانى » التى لا يتم الإبصار إلا بها وهى أن يكون الجسم المرئى مضيئا بذاته أو بإشراق ضوء من غيره عليه ، وأن يكون بين الجسم المرئى والعين بعد ما ، وأن يكون الوسط الفاصل بينهما مشفا ، وأن تكون المرئيات ذات حجم وكثافة يسمحان للعين بإبصارها ، وأن تكون العين خالية من عيوب الإبصار ، ويقرر خلاصة هذه الشروط بقوله : « حاصل الجميع (أى خلاصة ما سبق) : فالأبعاد التى منها يصح أن تدرك المبصرات إنما تكون بحسب قوة البصر وبحسب

أعظامها (أى حجومها) وأضواتها وألوانها ، وهذه معان لا يتم الإبصار إلا باجتماعها فى البصر ، والمبصر ، وفيما بينهما : فأما فى البصر فأن يكون قويا ، وأما فى المبصر فالا يكون فى غاية الصغر ، ولا مظلما ، ولامشفا ، ولا كدر اللون فى الغاية ، وأما فيما بينهما فأن يكونا متقابلين ، لا يقطع الخطوط المستقيمة بينهما كثيف ، وأن يكون البعد على ما ذكر ، فهذه المعانى هى خواص البصر التى بها وباجتماعها يتم الإبصار » .

ويناقش ابن الهيثم فى كتابه المناظر عملية الإبصار بأسلوب منطقى وعملى ، فيقول : « إن البصر إذا أحس بالمبصر (الجسم المرئى) بعد أن كان لا يحس به ، فقد حدث فيه شىء ما بعد أن لم يكن ، وليس يحدث شىء بعد أن لم يكن إلا لعلة ، ونجد المبصر إذا قابل البصر أحس به البصر ، وإذا زال عن مقابلة البصر لم يحس به البصر ، وإذا عاد المبصر لمقابلة البصر عاد الإحساس ، وكذلك نجد البصر إذا أحس بالمبصر ثم أطبق أجفانه ، بطل ذلك الإحساس ، وإذا فتح أجفانه والمبصر فى مقابلته عاد ذلك الإحساس ، والعلة هى التى إذا بطلت بطل المعلول وإذا عادت عاد المعلول ، فالعلة إذن التى تحدث ذلك الشىء فى البصر هو المبصر » .

وبذلك توصل ابن الهيثم إلى أن الإبصار لا يتم إلا بتأثير الضوء الوارد إلى العين من المرئيات ، وأكمل على ذلك شرحا تفصيليا لكيفية حدوث الإبصار بواسطة العين بعد أن وصف تركيبها من الناحية التشريحية ، وبين وظيفة أعضائها ، وأفصح عن طرق إدراك العقل لها ، وفرق بين الإدراك بالمعرفة والإدراك بالقياس والتميز .

٤- آراء علمية أخرى :

تضمن كتاب المناظر لابن الهيثم آراء علمية أخرى لا يزال معظمها متفقا مع ما توصل إليه العلم الحديث ، مثال ذلك آراؤه فى التقازيح وامتزاج الألوان وتكون الظلال وإدراك الظلمة وقد اشتهرت عند الأوروبيين مسألة فى البصريات باسم « مسألة الحسن » وهى تنص على أنه « إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس ، فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منها إلى إحدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس » . وحلول هذه المسألة كثيرة ومتنوعة وهى تتراوح بين اليسر والسهولة فى الأحوال العامة ، وحينما يكون السطح العاكس مستويا ، وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كريا أو أسطوانيا أو مخروطيا ، أو حينما تعتبر حالات خاصة .

وهكذا نجد أن ابن الهيثم قد بحث فى علم البصريات بأسلوب العالم الواثق والرياضى البارع والتجريبى المدقق والموسوعى المثقف ، وصاغ أبحاثه فى كتابه « المناظر » بأسلوب علمى دقيق ، فاستحق أن يخلد الكتاب ومؤلفه ليدل كل منهما على الآخر عند التأصيل لعلم البصريات الحديث .

الساعة البيولوجية

وهم أم حقيقة ؟

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

فى سعيه الدائب لاستكناه سر الحياة ، يحاول الإنسان جاهدا فك كثير من الرموز المحيطة به ، وحل معظم الألغاز ، التى تأخذ بتلابيبه . وأحدث هذه المحاولات ، وأحراها بالتنويه ما يطلق عليه العلماء : (الساعة البيولوجية) التى أماط الباحثون اللثام عن كثير من خباياها . . وللتعريف أولاً بمصطلح (الساعة البيولوجية) ، ومن أجل تقريب معناها للأذهان ، يسوق مقال شائق بمجلة (ديسكفر DISCOVER) أو : (الكشف) الأمريكية فى عدد أكتوبر ١٩٩٨ أمثلة يؤكد فيها : أن هناك إيقاعات غامضة تحكم مسيرة الإنسان .

فقد ثبت لدى العلماء أن معظم الولادات غالبا ما تحدث إما فى وقت متأخر من الليل ، أو فى ساعات الصباح الباكر ، ويخصون بالذكر الأطفال الرضع ، أى : أولئك الذين سيعتمدون فى غذائهم على الرضاعة الطبيعية ، وليس الرضاعة الصناعية ، كما تأكد لديهم أن النوبات القلبية يزداد حدوثها عند العاشرة صباحاً .

والمثالان السابقان قد ينظر إليهما الناس العاديون بكثير من الدهشة إن لم يكن بعدم التصديق أو الاقتناع . لكن المثل الذى لا يستطيع أحد أن يمارى فيه ، هو شدة إحساسنا بالألم عند الصباح ، واعتيادنا عليه كلما أخذت ساعات النهار فى المرور . بل إن حقيقة وجود ساعة بيولوجية حيوية فى الإنسان تسطع شمسها عند مجىء العمل بالتوقيت الصيفى ، حيث يكون من الصعب على الإنسان قبول هذه العادة بسهولة داخليا وإن كانت ظروف الحياة تجبره على الانقياد لها والإذعان لمتطلباتها ، لكنه يستوعبها فقط كعادة ، وليس كحقيقة .

ومن هنا فإن (جاى دن لاب) أستاذ علم الكيمياء الحيوية يقول : « إن كل جانب من جوانب الحياة تقريباً محدد وموقت بزمن معين ، وهى حقيقة سبق إلى تأكيدها القرآن الكريم بقوله :

(القمر : ٤٩) .

فكل الحيوانات والنباتات تقريبا ، مزودة ، ومجهزة بساعات بيولوجية رُكبت فى داخلها ، تعمل تبعا لها وبإرشاد منها وتوجيه ، وهى حقيقة كان معظم أساتذة علوم الحياة حتى ربع قرن مضى لا يؤمنون بها ، ولا بوجود ساعة حيوية قائمة بذاتها داخل الكائن الحى ، وكانوا يعتبرون هذا ضربا من المبالغة ، بل كانوا يعتقدون أن الدورات البيولوجية المنتظمة ما هى إلا مفاهيم سلبية ، وأن الإنسان مدفوع للتفكير فيها بسبب أمور بيئية محيطة به كالتغير فى الضوء ، ودرجة الحرارة . لكن فريقا آخر من العلماء المؤمنين بوجود ساعة حيوية تصدوا للدفاع عن هذه الحقيقة مع علمهم بصعوبة خوض ذلك المعترك ، وما فيه من براهين معقدة كانتظام أو اختلال عمل بعض الهرمونات ، وكذا الجهاز العصبى ، وقام المدافعون عن نظرية وجود ساعة حيوية داخلية فى الإنسان بتقديم أدلة موحية مقنعة . فهم يقولون على سبيل المثال أن خلايا الجسم تقوم بتنظيم وقتها بنفسها واضعة لسلوكياتها جدولا صارما لا تحيد عنه ، ويتضح ذلك فى نشاطاتها الدورية المنتظمة التى لا تتخلف حتى ولو تم عزل تلك الخلايا فى بيئات معملية وحيل بينها وبين كل المؤثرات ، والحوافز الخارجية كضوء الشمس ودرجة الحرارة ، وإن تنوعت . وبرغم حجب الخلية عن تلك المؤثرات المذكورة فإن أحدا لا يعلم الكيفية التى تمكنت بها الخلايا من الاحتفاظ بانتظام سير العمل فيها على الوجه الأكمل .

وأخيراً تمكن العلماء من كشف سر جعلهم يجمعون على حقيقة الساعة البيولوجية ، وعلى خلاف كل التكهنات والتوقعات كانت الآلية التى يعمل بها ذلك السر مفاجئة فى بساطتها واضحة جلية فى تركيبتها . فقد أبرز العلماء فى جامعات ومعاهد علمية ومختبرات ومعامل تجريبية -لا مجال لذكر أسمائها- كثيرا من أسرار وأحاجى الساعة البيولوجية . وخرجوا على الدنيا بصورة شديدة العقلانية ، كاملة الجوانب لنظام حيوى دقيق ، يرتكز على أرض صلبة ، ويشمل بين جنباته تنويعة ثرة من المخلوقات والكائنات ، تبتدىء من الفطر الصغير الحجم ، الضئيل الجرم حتى تصل إلى حشرات ذباب الفاكهة ، وتنتهى بالثدييات من عجائب المخلوقات .

واللافت للنظر أنه رغم عبقرية ذلك النظام ، فإن التجارب العلمية ، التى أظهرته إلى حيز الوجود ، كانت تجارب عادية . فقد استطاع الباحثون ببساطة تحديد المورثات المسئولة عن كل جزء من أجزاء نظام الخلية الدورى ، وذلك بتقصى ما يحدث بداخلها من طفرات ، والسبب أن الخلية سريعة التغير ، شديدة التقلب ، سيترتب على عدم ثبوت حركتها عدم انتظام عمل جزء أو آخر من المركبات ، والمكونات ، التى تتحكم فى تسيير الساعة الحيوية . والـ D.N.A أو (الدنا) كما سماها الدكتور (أحمد مستجير) العالم المصرى ، الحائز على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم مؤخراً ، والمؤلف والمترجم المشهور لكثير من الكتب العلمية - أقول : إن (الدنا) ، أو الحمض النووى بالخلية هو الأساس الركين ، الذى ترتكز عليه هذه الساعات البيولوجية تحت المجهرية فى عملها ، وربما كانت كلمة مسار هنا

تصوير غير دقيق لعمل الساعة البيولوجية ؛ لأن الساعة الخلوية ، أو البيولوجية تشبه فى عملها - تقريبا - الساعة المائية من الطراز العتيق ، والتى تأخذ قطرات الماء فى التنقيط منها تدريجيا ، فى إناء يمتلىء شيئا فشيئا ، حتى يصل الماء إلى نقطة حساسة يفيض الماء عندها من الإناء ، حتى يفرغ كل ما بداخله من الماء مهيئا الجو لدورة عمل أخرى .

وتفصل مجلة الكشف القضية ، فتقول : « إن كل نبضة زمنية فى الخلية تبدأ أولاً فى النواة ، حيث تبادر مورثات خاصة ، موكلة بذلك بجعل نفسها فى وضع التشغيل دائما ، ثم تقوم بصنع بروتينات ، مهمتها الرئيسية تشغيل المورثات المسئولة عن الساعة البيولوجية فى منطقة أخرى من الحمض النووى بالخلية ، ومن ثم فإن المورثات المنوط بها تشغيل الساعة الحيوية تقوم بتفعيل وتنشيط عملية ينتج عنها بناء وإنشاء بروتينات مميزة فى داخل ما يُعرف بـ (مادة الحياة) داخل الخلية ، وهى المادة المعروفة بـ (السيتوبلازم) .

وبمرور الوقت فإن البروتينات المسئولة عن الساعة الحيوية تأخذ فى التراكم ، داخل السيتوبلازم تماما ، كما يملأ الماء غاطس الساعة المائية ؟ لكن ما يحدث بعد ذلك يختلف نوعا ما معتمدا على الكائن الحى .

والتصور العام لهذه القضية يمكن أن يكون كما يلى :

عندما يصل البروتين إلى تركيز وكثافة معينة فى السيتوبلازم - أى مادة الحياة تبدأ هذه البروتينات فى الارتباط على شكل أزواج أو ما يسميه العلماء بالتزاوج . ولهذه البروتينات المتزاوجة شكل يسمح لها بدخول النواة ، وهو ما يضعنا وجها لوجه مع أكثر جوانب العملية جلاء ووضوحا ، فما أن تدخل هذه البروتينات إلى داخل النواة حتى تقوم باعتراض المورثات المسئولة عن الساعة الحيوية ، والتى كانت هى بذاتها المولد لهذه الجينات فى المقام الأول .

وهنا تتوقف مورثات الساعة من العمل وتنتهى العملية بكاملها ، وكما ينسكب الماء من غاطس الساعة المائية فإن البروتينات المتراكمة تأخذ فى التسرب خارج النواة ، يدفعها إلى ذلك دفعا (إنزيم) بعينه ، وبمجرد اختفاء هذه البروتينات ، فإنها تفقد القدرة على عرقلة المورثات ، التى تقوم عندئذ بإعادة تشغيل مورثات الساعة البيولوجية ، مما يجعل سريان الدورة من جديد أمرا ميسورا . وتستغرق دورة الساعة البيولوجية وقتا يتراوح بين ٢٢ إلى ٢٦ ساعة ، وهو أمر لا مجال فيه للخطأ ، حتى وإن عُزلت الخلايا عن كل مؤثرات الليل والنهار ، وكما يتوقع الواحد منا فإن عمل هذه الساعة الخلوية يتفوق على كل العوامل الأخرى ، كنظام الحاسوب المعقد مثلا ، حتى ، وإن هيئت له نفس الظروف المشابهة لظروف الخلايا ، من تغير فى الضوء والحرارة ، لكن العلماء رغم كل هذا التقدم الهائل ، لا يزالون منهمكين فى استجلاء التفاصيل الدقيقة لهذه العملية ، وكلهم ثقة أنهم على الأقل قد أمسكوا بالخطوط الرئيسية للآلية ، التى تنظم حياة معظم الكائنات الحية .

وختاماً : فإنه يشهد لوجود ساعة بيولوجية ، ما اعتاده البعض من الاستيقاظ فى وقت معين من اليوم دون استخدام ساعات منبهة .



على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ، ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

قضايا الأدب والثقافة والفن

تأليف / أنور الجندى

الناشر / دار الفضيلة

● عزيزى القارىء : أصبحت الثقافة قضية هامة لا تختلف عن القضايا الحياتية الهامة ، لأنها غذاء للروح يسير فى العقل ، ويتطبع على هذه الثقافات شبابنا وأولادنا وأحفادنا ، خاصة بعد أن أصبحت محاولة التغريب ، والغزو الثقافى قد انطلقت أساسا من محاولة تحطيم الوحدة الجامعة ، وإقامة ثقافات منفصلة إقليمية ، مع حجم المنهج الإسلامى جملة وبناء هذه النظم على أساس القومية الاشتراكية حتى لا يمكنها بعد مرور السنوات من أن تعود مرة أخرى إلى الوحدة الإسلامية الجامعة التى صنعها الإسلام وشكلها القرآن الكريم .

● فقد أعاد التغريب إحياء كتب قد صدرت قديما مرة أخرى هذه الأيام بعد أن واجه المفكرون المسلمون هذه الدعوات المسمومة فى أيامها وكشفوا عن زيفها ، وتحول كتابها عنها .

● فى هذا الكتاب : يطرح المؤلف الأخطار التى تزحف إلينا من ثقافات التغريب من استشراق



وتبشير ، وامتداد هذا الخطر إلى الشعر الجاهلي ومستقبل الثقافة والأقلام الماركسية والعلمانية التي أعطيت الفرصة الواسعة لضرب كل القيم تحت اسم القديم والرجعية والسلفية وعزل المجتمعات الإسلامية عن عقيدة التوحيد .

● وقسم المؤلف هذه الموسوعة الثقافية إلى عدة أبواب بدءًا من مرحلة التبعية والولاء الغربي تحدث فيها عن العقبات التي تعترض تطبيق الشريعة الإسلامية ، والشبهات المثارة وقضية الحدود ، ثم رد المؤلف على التشكيك في قدرة الشريعة على العطاء والادعاء بأنها لم تطبق بعد عصر الراشدين .

● ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن الحرب على اللغة العربية ، والمؤامرات ، التي تحاول أن تمحو اللغة الفصحى ، وهي من أبرز خطوات الغزو الاستعماري .

● وأشار المؤلف إلى الاستشراق والتبشير وتطورهما ضد الصحوة الإسلامية ، وتحرير الثقافة الإسلامية من دخائل الفكر الوثني والمادي والإباحي .

● ثم عرض المؤلف حملات الغزو الفكري ، والتغريب على القرآن الكريم ، ثم مؤامرة الماركسية والعلمانية للتحرر من سلطة النص الديني .

● أما في الباب الخامس فقد شرح المؤلف أخطاء المصطلحات الأربعة : العلمانية ـ التنوير ـ الحداثة ـ الإبداع ، وتحدث إليهم في فصول أربعة بعرض وافٍ ، ثم أشار إلى الفن بشكل عام واللغة الفرانكفونية وغزوها للغة العربية وأبواب أخرى كثيرة ومتعلقة بثقافات وحياة المجتمع المسلم .

● أخيراً خاتمة شرح فيها حماية العقل المسلم من احتواء المناهج والثقافات الوافدة .

● ثم تناول مراجعة لكتاب : الإسلام الحل البديل للدكتور مراد هوفمان الألماني ، ثم تحدث عن الشيخين ومرآة الإسلام والوعد الحق ، وعن كتاب آخرين ثم نظرية ديكارت ، والفارابي ، وابن سينا ، وأشعار عمر الخيام وغيرها .

● وأخيراً جمع المؤلف مسائل كثيرة جداً قام بتوضيحها والرد عليها في كتاب كبير لا يجب الاستغناء عنه .

الاجتهاد والتجديد

فى الشريعة الاسلامية

تأليف / الخواض الشيخ العقاد

الناشر / دار الجيل

● عزيزى القارىء : الاجتهاد هو عنصر أساسى منذ فجر الإسلام ، سواء أكان اجتهادا خاصا ، أو اجتهادًا عاما ؛ لأنه المحك ، والقسطاس ، والميزان ، الذى به يعرف الطيب من الخبيث ، والزبد الذى يذهب جفاء من الذى ينفع به الناس ، فيمكث فى الأرض .

● وقد ألفت آلاف من الكتب التى تتحدث عن الاجتهاد ، سواء ما كتبه المتقدمون ، من سلف هذه الأمة فى العصور الماضية عن الفقه ، وأصوله ومعانى التجديد أو ما يكتبه المحدثون ، وهذه الكتب لهى مرجع إسلامى يرجع إليه عند الخصومة ، ويفزع إليها عند المشاحة ويحتج بما ورد فيه حال المناظرة ، ويستشهد به عند المحاضرة فأضحت هذه المؤلفات المذكورة فى موضوعاتها ، التى تعالجها أعمدة متينة ، وركائز عظيمة ، ومراجع موثوق بها .

● وهذا الكتاب : قد رأى مؤلفه أن هناك من الجديد ما يقتضى البيان والتوضيح ، وما يقال .

● وما يكتب عن التجديد والتطوير ، مما جعل كثيراً من الناس فى حيرة من أمرهم حيال الفهم لمعانى التجديد ، والفهم للموازين والقواعد ،

الاجتهاد والتجديد فى الشريعة الاسلامية

بين تأكيد الحقائق وتفنيد المزاعم

تأليف

الخواض الشيخ العقاد

دار الجيل

بيروت

والأسس ، التى على ضوئها يحصل الفهم فى الدين .

● والكتاب قسمه المؤلف إلى ثلاثة أبواب يحتوى كل باب على مجموعة فصول .

● فى الباب الأول : فى بيان معنى الاجتهاد وأنواعه ، ثم أنواع القياس ، ثم الأوجه التى تسوغ قياس حكم على حكم ، ثم تحدث فى بعض مشكلات القياس الفنية كالفرق بين السكوت عنه ، وبين البدعة المذمومة . هل كل مجتهد مصيب ؟ وكيف ؟ أم لكل مجتهد نصيب ؟ وكيف ؟

● أما الفصل الرابع : فكان فى شروط المجتهد ومراتب المجتهدين ثم تحدث المؤلف عن المقارنة بين الدرجات العلمية المعاصرة ، وشروط مؤهلات العلماء الأقدمين . ◆



● وتناول المؤلف هل يوجد فى الإسلام رجال دين ، ومن هم إن وجدوا ؟

● وهل للاجتهاد باب يفتح ويغلق ؟

● ثم فى بيان هل يصح وصف النبى - صلى الله عليه وسلم - فى بعض تشريعاته بالمجتهد وهل له - صلى الله عليه وسلم - اجتهادات فى الدين ؟

● أما فى الباب الثانى فتحدث المؤلف عن الافتاء والتقليد ، ففى القسم الأول فى بيان الإفتاء وأقسامه وبين أن الإفتاء : هو بيان الخفى ، وتوضيح المشكل ، وحل المعضل من المسائل ، والقضايا والمعانى وقدم لمحة عن تاريخ الإفتاء وتطور أساليبه عبر القرون ، ثم مقارنة بين الافتاء الفردى ، والإفتاء المجلسى ، أما القسم الثانى فهو فى بيان معنى التقليد وحقيقته وحجية العمل به وما يقع فيه المقلد من إشكالات .

● ثم باب فى هل يجوز تتبع رخص المذاهب والعمل بالتلفيق ؟ ثم متى يكون الاحتجاج بتقليد الأعلم أو الأورع غير المقلد .

● ثم شرح المؤلف معانى التجديد ومفاهيمه ، واتخذ اللغة العربية كمثال للتجديد اللغوى والتطوير البيانى والمفهوم الشرعى للتجديد .

● ثم تحدث عن الذين وصفوا بالتجديد ، وسموا بالمجددين ، ثم قضايا الفكر الإسلامى المعاصر ، وظواهر التجديد .

● وفى الفصل السابع من هذا الباب أشار المؤلف إلى الشخصيات ذوات الأثر الظاهر فى عالم الفكر الإسلامى المعاصر .

● وفى الختام خلص المؤلف إلى أن التجديد فى معناه الشرعى القويم ، لا يعنى الإتيان بالغريب المستهجن من الأفكار ، أو الأفعال ، وإنما هو إيقاظ الهمم الغافية ، وبعث الروح فى الأجساد الخاوية من المعانى السامية ، والعمل على إحياء السنة ، وإماتة البدعة .

وأخيراً : فقد حرص المؤلف بأن يضع النقط على الحروف فى المسائل الاجتهادية ، والخوض فى الدين ، ونوعية الاجتهاد ، وصفة المجتهدين ، وتناول مسائل فقهية ذات طابع قديم استطاع أن ينفض عنها غبار الزمن ، ويزيل عنها شوائب المغرضين فيقدمها ناصعة البياض ، بل واستطاع أن يضفى عليها طابع الجدة والتطور والمسايرة لقضايا العصر .

● وبهذا نستطيع أن نقدم كتابا جديداً ، وأن ننصح كل قارىء مسلم أن يضمه إلى مكتبته .

■

بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل خفاجة

إطلالة جديدة لمجلة

«صوت المعهد»

تلقينا بفيض من السعادة ، العدد الثالث من مجلة « صوت المعهد » التي يصدرها معهد علي بن أبي طالب ، بنزلة ترجم ـ أطفيح ـ التابع لمنطقة الجيزة الأزهرية .

وكان مبعث سعادتنا مابلغته المجلة من مستوى طيب ، بفضل الله ـ تعالى ـ ثم الهمم العالية لمن يتولون أمر إصدارها إلى جانب أعمالهم بالمعهد .

ونأمل أن نرى في كل معهد من معاهدنا العريقة مجلة على هذا المستوى الراقي ، لنرى إبداعاً طيباً ، وتنافساً محموداً في سبيل إظهار كلمة الحق ، في أسلوب شائق ، ونسق ممتع ، وثوب قشيب . .

وتبدأ موضوعات المجلة بكلمة لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح جمعان مدير عام شئون القرآن الكريم بالأزهر الشريف ، تحدث فيها عن فضل العلم ، يحث فيها الطلاب على طلب العلم ، والاجتهاد ، والمثابرة ، ومما ورد فيها قوله : « ألم يخبرنا ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أن موسى كليم الله ـ عليه السلام ـ قال لفتاه :

﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾

(الكهف ـ ٦٠)

أى أنه قد عزم على أن يظل سائراً أحقاباً متطاولة ، حتى يظفر بضالته ، ويلتقى بالرجل الصالح ، الذى أراد الله أن يتعلم منه ، وماذلك إلا لأن العلم أفضل من المال ، فالعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والعلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والعلم يزيد ، والمال ينقص . . »

إضافة إلى الكثير من النصائح ، التى يهتدى الطلاب بها فى مقتبل أعمارهم .

ثم تنقلنا صفحات المجلة إلى كلمة فضيلة الشيخ / محمد توفيق الأشمتق ـ شيخ المعهد ، ورئيس التحرير ـ يركز فيها على أهمية تعلم العلم ، والعمل به ، ثم تعليمه للآخرين ، وفيه يبرز ضرورة جعل القدوة أحد أسس التعليم الرئيسية ، وليس مجرد التلقين والمدارسة .

كما يطوف بنا (فى رحاب السنة) الأستاذ / شعبان أحمد رفاعى ، وتتوالى الموضوعات الصحفية الشائقة : من حوار ، وطرف ، وشعر ، وموضوعات علمية فى أسلوب شائق بديع .

أما الطالب / محمد رجب قرنى ، فعلى الرغم من البداية الفصيحة التى انتهجها فى مقطوعته الغزلية : « فلسفة رجل فقير » الواردة ص ٣٨ ، وعلى الرغم مما لاحظناه من حرصه على الكتابة بالفصحى هذه المرة ، إلا أننا وجدناه ينفلت إلى العامية فى بعض الأحايين ، ولو أنه تأنى ، لنال من الفصحى مايرجو ويتمنى . .

ومازلت أقول : إنه يتمتع بحس شعرى جميل ، لاينقصه سوى استكمال الأداة السليمة .

مرة أخرى : استخدامك للفصحى سيجعل منك شاعراً فذاً ، ونتمنى لك التوفيق .

أما قصيدة ياقدس ، فكان من اللازم التنويه إلى أنها للشاعر الفلسطينى الكبير هارون هاشم رشيد ، وأنها بلغت من الجمال حداً جعل وزارة التربية والتعليم تقررها على طلابها .

وبعـد . .

فإننا أمام قولكم :

فهذى مجلــــة الأزهــــر
تصبحـــنا وتمســـينا
فشمس الصبـــح تدفينـــا
وبدر الليـــل يسجينـــا
نظرتم فـــى مجلتنــــا
فعـــم النفــع وادينـــا
فكنتـــم خيـــر مصبـــاح
لــدرب الحـــق يهـــدينا
فهـــذا شـــوك بـــاديةٍ
بكـــم صـــارت رياحينـــا

وأمام هذه المشاعر الطيبة ، والإطراء الجميل ، فإننا نقول : إن ماقدمتم لم يكن أبداً شوك بادية بل أجمل الرياحين .

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يهدينا سواء السبيل ، ويلهمنا صالح العمل ، إنه سميع قريب مجيب . .

المولود الجديد

ومن القارىء د . نجاح عبد القادر سرور - كوم حمادة :

وردت هذه الرسالة عن التوبة ، وكيف تنقى التائب من ذنوبه وتجعله مولوداً جديداً . . يقول :

« التائب مولود جديد . . صحيفته نقية بيضاء ، وقلبه طاهر سليم . . قد محيت ذنوبه ، وغفرت خطاياه ، ألا تسمع إلى قول رسول الله - ﷺ - (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[1]

وقد عاتب الله تعالى الكفرة أنفسهم ، وندبهم إلى التوبة من شركهم ، فقال سبحانه فى أسلوب معجز يقطر رقة :

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(المائدة - ٧٤) .

ألا تحب ، وأنت الأخ المسلم الموحد، الراضى بالله - تعالى - رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد - ﷺ - نبياً ورسولاً . . ألا تحب ياأخى أن يحبك الله سبحانه ؟ ، وهل هناك أسعد من إنسان نال حب الله ورضاه ؟ . . يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

(البقرة - ٢٢٢) .

لقد غرقنا فى الذنوب جميعاً ، فكل ابن آدم خطاء ، ولكن الذين نالوا خيرية رسول الله - ﷺ - هم التوابون . . فخير الخطائين التوابون . . أمامك فرصة هائلة للتوبة الصادقة . . هذا داعى الله - تعالى - يناديك :

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(النور - ٣١) .

وهذا داعى الله - تعالى - يناديك على لسان نبيه المصطفى - ﷺ - : (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل وذلك حتى تطلع الشمس من مغربها)[2] وقد كان - ﷺ - يستغفر الله - تعالى - ويتوب إليه فى كل يوم أكثر من مائة مرة ، وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر . . أفلا نقتدى به ؟ ، فإن فعلت ، وعزمت على التوبة النصوح بالندم والعزم على الإقلاع عن سائر الذنوب ، وعدم العودة إليها أبداً ، وقمت برد المظالم إلى أهلها من مال أو عرض أو غيره فإن لك الجوائز الأربع : « حب الله تعالى ، وخيرية على لسان المصطفى - ﷺ - وولادة جديدة طاهرة نقية . . وأما الجائزة الرابعة فهى : وعد الله حين قال :

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفرقان - ٧٠)

ألا فقم الآن ، فتوضأ . . وصلِّ ركعتين توبة إلى الله . . ونسأل الله القبول وحسن الخاتمة . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .

(١) رواه ابن أبى الدنيا .

(٢) رواه مسلم .

الأزهر قلعة العلم ..

ومما أرسله القارىء : شبل رجب إسماعيل عن الأزهر قوله :

«حقيق علىّ أن أقول : إن من الإنصاف والعدل ، أن نُشيد بالقلعة الشامخة ، والأرض الراسخة ، قلعة الدين والدنيا ، صرح العلم والعلماء ، إنه الأزهر ، صرح الإسلام الذى سعى جاهداً لنشر دين الله وحفظ تراثه المكنون ، ومن ثم فلقد أمد علماءه من الدواء مايشفى ، ومن العلاج مايعالج ، ومن القدر مايكفى ، فصانوه كما صانهم ، وعظموه كما عظمهم ، فمن العلماء من فى حبه أفرطوا ، ومنهم من فى حبه فرطوا ، فلم تجد من ادعاه من فرط ، إلا وهم فى سماء أو خيال فى ماء ، أو سراب فى صحراء .

ومن ثم فلقد كانت مجلته الغراء التى تجمع ألواناً شتى من صُنوف العلم والدين والأدب ، والفتاوى ، والأثر ، وبها آراء تطرح ، وكذا مسائل تناقش ، حتى أصبحت رياضاً خصباً للعلماء والقراء ، وكذا ملتقى فكريا لكل من أفاء الله على قلبه وعقله ولسانه بنعمة البيان ، كل يدلى بدلوه ، فإذا العلماء يقولون ويبينون ، والقراء يقرءون ويسمعون ويفهمون ، القراء يسألون والعلماء اقتداءً بكتاب الله وسنة رسوله يفتون .

من هنا كان علىّ كقارىء أن أقول كلمة إنصاف للأزهر ، ورجالاته الأبرار ، وإن الحديث عن الأزهر لذو شجون ، لا يتأتى لأحد أن يحيط به ، ولكن نلقى نظرة لعل فيها مايفيد .

قرأت لك ..

القارىء : السيد سليمان السيد ـ محرم بك ـ الإسكندرية ، وهو صديق جديد ، نأمل أن تستمر مراسلته بأفكار جديدة يقول :

قال الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه متدبراً للقرآن ومستنتجاً منه : عجبت لأربع ، فكيف يغفلون عن أربع ؟ :

١ ـ عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف يغفل عن :

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران : ١٧٣)

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾

(آل عمران : ١٧٤) ..

ذكاء الإمام أبى حنيفة ـ رضى الله عنه

ويرسل القارىء : رمضان إبراهيم الأقرع هذه اللمحة التى تبين ماكان يتمتع به الإمام أبى حنيفة من ذكاء ، فيقول : جاءت امرأة إلى الإمام أبى حنيفة النعمان ـ رحمه الله تعالى ـ وهو جالس فى مجلس العلم ، يلقى درساً لتلاميذه ، فألقت عليه تفاحة حمراء ، فأخذها منها ، وطلب إحضار السكين ، وشق التفاحة نصفين ، ثم أعطاها للمرأة ، وقال : هكذا وتعجب التلاميذ وسألوه عن سر ذلك ، فقال : سألتنى عن الحيض ، ومتى تطهر ؟ فكان جوابى لها : بالتفاحة ، حين ظهر بياضها فإذا رأت البياض وانقطع الدم طهرت !

٢ - عجبت لمن ابتلى بمكر الناس به كيف يغفل عن :

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (غافر : ٤٤)

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ (غافر : ٤٥) .

٣ - عجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٣) .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾ (الأنبياء : ٨٤) .

٤ - عجبت لمن ابتلى بالغم كيف يغفل عن :

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٧) ..

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾ (الأنبياء : ٨٨) .

دعاء يونس عليه السلام

وعن الدعاء - أيضاً - وردت رسالة القارىء / حازم محمد عرابى - العريش ، يقول :

قال - ﷺ - « لقد كان دعاء أخى يونس عجباً ! ، لا إله إلا أنت - سبحانك - إنى كنت من الظالمين » ، أوله تهليل (لا إله إلا أنت) .. وأوسطه تسبيح (سبحانك) ، وآخره إقرار بالذنب (إنى كنت من الظالمين) ، ما دعا به مهموم ، ولا مغموم ، ولا مكروب ولا مديون فى يوم ثلاث مرات إلا استجيب له ..

صلة الرحم .. عبادة سريعة الثواب

القارىء : سلمى أحمد عبد الباسط - منشأة الأمراء - بنى سويف - يرسل إسهامه عن صلة الرحم ، يقول :

صلة الرحم خُلقٌ شريف ، يدل على نفس سمحة وطبيعة رحبة ، وقد أمر الله - تعالى - الناس أن يحترموا صلة الرحم ، وأن يؤدوا حقوقها ، فقال جل شأنه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١)

وقد بين لنا الرسول - ﷺ - أن صلة الرحم عبادة سريعة الثواب ، عاجلة البركة ، يرى أثرها فى الدنيا إلى جانب مايدخره الله لها فى الآخرة ، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت له اسماً من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته .. والله - سبحانه وتعالى - يضاعف أجر المعطى عندما يكون عطاؤه لذوى الرحم ؛ لأنه جمع بين صلة الرحم ، وبذل المال ، وبذلك أرضى ربه وأكرم أهله .

أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف

إعـداد الأسـتاذ : عمـر البسطويسى

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل محافظ محافظة لاناد الجنوبية بالفلبين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - بمكتب بمبنى إدارة الأزهر الجديد بحديقة الخالدين بالدراسة فى العاشر من شهر شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٧/١/٩٩ الدكتور مهيد مراتو مونيلان محافظ محافظة لاناد الجنوبية بالفلبين ، وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول الدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف فى العالم أجمع من خلال بعثاته ، وعلمائه - خاصة - فى دولة الفلبين حيث توجد بعثة أزهرية ، وتقوم بدور هام فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، وتعليم أبناء الفلبين المسلمين قواعد الإسلام الصحيحة وتعاليمه السمحة .

قدم الضيف شكره وتقديره لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه الأزهر الشريف لأبناء المسلمين عامة ولأبناء الفلبين بصفة خاصة ، وطلب زيادة المنح الدراسية للدراسة بالأزهر الشريف علاوة على الطلاب الذين يدرسون بالمعاهد الأزهرية وجامعته العريقة كما طلب زيادة عدد الأئمة والدعاة من الفلبين الذين يحضرون الدورات التدريبية العالمية للدعاة بالأزهر الشريف .

وطلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر زيارة الفلبين حيث يزداد عدد المسلمين يوما بعد يوم وقد وعده فضيلته بدراسة طلباته تمهيدا لتلبيتها وحمله إبلاغ تحياته ودعواته وتقديره لمسلمى الفلبين .

والجدير بالذكر أن الضيف قد تلقى تعليمه ودراسته بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وحصل على الدكتوراة من جامعة الأزهر الشريف .

حضر اللقاء الشيخ / عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل وفد الفرنسيسكان الكاثوليك
وفد رؤساء الأقاليم بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وفد الفرنسيسكان الكاثوليك برئاسة الأب بيتر وليمز والوفد المرافق لسيادته من رؤساء الأقاليم بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ٢٠ من شوال ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٦ . وقد رحب فضيلته بزيارة الوفد للأزهر الشريف ودار الحديث خلال هذا اللقاء حول العلاقة بين الأديان وأوجه التعاون المثمر لنشر مكارم الأخلاق والفضائل ، وبث روح الإخاء والحب ، ونشر الإسلام والرخاء والأمان ، وكل هذه الصفات الطيبة من أجل خير البشر ورفاهيتهم لأن كل بنى البشر خلقوا من أب واحد وأم واحدة لقول الله ـ تعالى ـ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) .

وكما تدعو الأديان إلى نشر الفضائل والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، ونصرة المظلوم والوقوف معه حتى يأخذ حقه فإنها تدعو إلى نبذ الحقد ومنع الاعتداء على حقوق الغير واغتصاب أراضى الغير بالقوة والاعتداء على حقوق الغير بغير حق بل عدوانا وتسلطا وقهرا ، ومحاربة كل ألوان الشرور والآثام وكل ذلك لخير البشرية جمعاء ، وأوضح فضيلته أن الحوار بين الأديان لهذه المعانى السامية أمر مطلوب ونشجعه ،

وفى نهاية اللقاء قدم الوفد شكره وتقديره وامتنانه لشيخ الأزهر على هذه المعلومات القيمة التى تنبع من روح الأديان السماوية جميعا .

وأكد فضيلته على أن كل فضيلة حث عليها الإسلام وجميع الأديان وكل رذيلة نبذها الإسلام وجميع الأديان . حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف ورئيس لجنة الحوار بين الأديان ، والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بين الأديان ، والأب صموائيل فايز الرئيس الإقليمى للفرنسيسكان بجمهورية مصر العربية والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة بالأزهر كما قام الوفد بزيارة الآثار الإسلامية بالقاهرة الفاطمية وأبدى إعجابه بها .

مؤتمر المملكة العربية السعودية فى مائة عام

حضر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر افتتاح « مؤتمر المملكة العربية السعودية فى مائة عام » ، حيث استقبل فضيلته الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة العليا لاحتفالات السعودية ، وذلك بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض حيث تم افتتاح المؤتمر الذى حضره عدد كبير من العلماء الأفاضل والباحثين ، والسياسيين ورجال الفكر والإعلام ، من مختلف أنحاء العالم فى المدة من ٩٩/١/٢١ وحتى ١٩٩٩/١/٢٤ وأعلن الأمير سلمان بن عبد العزيز الذى افتتح المؤتمر نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل السعودية ـ أن المؤتمر سيكون له الأثر الكبير فى إثراء الحاضر العربى ونبراسا يستفاد منه فى مسيرة السعودية .

تخريج الدورة ٤٣ لأئمة ودعاة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر ـ الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ـ حفل تخريج الدورة ٤٣ لأئمة ودعاة العالم الإسلامى الذين أتموا الدورة التدريبية بمدينة البعوث الإسلامية ـ وعددهم ٢٨ إماما وداعية من دول : أوغندا ، ومدغشقر ، وتايلاند ، وسنغافورة ، والبوسنة والهرسك وأذربيجان ، وألبانيا ، يوم ١٠ من شوال ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/١/٢٧ .

وقد ألقى فضيلته كلمة حث الخريجين فيها على أن يكونوا قدوة طيبة حسنة ، كما حثهم على التوسط والاعتدال فى فتاواهم ، وأن يبتعدوا عن مواطن الاختلاف والتشدد لأن الدين الإسلامى دين يسر لاعسر ، ودين يبشر ولا ينفر ، ويتميز بالاعتدال والوسطية والوضوح ، يبغض العنف والتطرف .

كما وجههم أن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو منهاج القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥)

وأن يكونوا على صلة بالأزهر الشريف وبأساتذتهم الذين انتفعوا بعلمهم وبتوجيهاتهم ، وأوضح فضيلته أن الأزهر الشريف وعلماءه فى خدمة أبناء المسلمين فى كل أنحاء العالم لأن هذه هى رسالة الأزهر أن يبلغ ما جاء فى كتاب الله وما صدر عن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليكم أنتم أن تبلغوا العلم النافع الذى تعلمتموه فإن العلم أمانة ونحن جميعا مسئولون أمام الله تعالى إن قصرنا فى ذلك لأننا بذلك نكون قد قصرنا فى حق ديننا وأوطاننا وتحدث الشيخ السيد أبو الوفا الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الذى قال أن هذا اللقاء الختامى أصبح مناسبة حضارية ليوم العلم والوفاء لأن فضل العلم على الأمم غير منكور وما تمسكت به أمة إلا رقت وما أقبل عليه فرد إلا عز وبلغ المدارج العليا لقول الله تعالى .

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

(المجادلة : ١١) .

ويوم الوفاء : وفاء الأزهر بدوره فى دعم أسباب التواصل والتعارف والمحبة والتآلف والتعاون فى نشر الدعوة الإسلامية وحين يستقبل الأزهر الأئمة والوعاظ من العالم يقصدونه طلبا للعلم ليعودوا إلى بلادهم أئمة هداة فإنهم يسيرون على منهج الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى قوله :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة : ١٢٢) .

وتحدث عن الدعاة الشيخ / محمد شعيب كبازى من دولة أوغندة فقال : نيابة عن زملائى أقدم جزيل الشكر ووافر التقدير إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لجميع التسهيلات التى قدمت لنا فى خلال هذه الدورة كما نشكره على قيامه بالتدريس لنا منذ بدأت الدورة وحتى نهايتها رغم انشغاله بمسئوليات لاحدود لها فجزاه الله خير الجزاء ، كما أشكر فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وكل الأساتذة والمشايخ

الذين قاموا بالتدريس لنا وقد استفدنا كثيرا منهم ، وأصبحنا قادرين على العمل على تحسين الحالة الروحية للإنسان المسلم ، والقدرة على التأثير على مجريات الأمور الدينية والدنيوية بما يخدم مصلحة الأمة الإسلامية فى الدنيا والآخرة وهذا بفضل ما تلقيناه من تعليمات ومعلومات أزهرية دقيقة ، وقد طلب من فضيلة الإمام الأكبر طبع المحاضرات التى تلقوها فى هذه الدورة الناجحة وعددها ٣٠٦ محاضرات لأهمية وقيمة هذه المحاضرات التى لاتقدر بثمن وذلك للاستفادة بها فى المستقبل القريب والبعيد وقدم الشكر للدكتور محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح للاقتصاد الإسلامى بالأزهر الشريف ، حيث قام بالتدريس لهم وزودهم بمحاضرات مطبوعة فى كتيبات عن المعاملات المالية والمصرفية والتى كان أساسها القرآن الكريم وسنة النبى - صلى الله عليه وسلم - كما أشار إلى أن الدعاة يواجهون التحديات الكثيرة من نظرائهم فى الأديان الأخرى ، وذلك نظرا لتدنى مستوياتهم العلمية والفكرية مما يحول دون القدرة على الدفاع عن معتقداتهم الدينية والفكرية ، ولذلك يرجو التكرم بالعمل على ما فيه الكفاية ، لتحسين مستواهم وتزويدهم بما يؤهلهم للدفاع عن أنفسهم فى جميع المجالات ، وتمنى أن يكون الأزهر هو الرائد فى هذا الأمر . وفى نهاية الحفل قام فضيلة شيخ الأزهر بتوزيع شهادات التخرج والجوائز على الخريجين كما أهدى مكتبة إسلامية لكل خريج لتكون مرجعا هاما له .

افتتاح الدورة الرابعة والأربعين لأئمة ودعاة العالم الإسلامى

كما قام فضيلته بافتتاح الدورة الرابعة والأربعين لأئمة ودعاة العالم الإسلامى لعدد ٢٧ إماما وواعظا من دول بورما ، واليمن ، وباكستان ، وسيرلانكا ، وساحل العاج ، والنيجر ، والدورة تستمر ثلاثة أشهر .

حضر الحفل فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية رئيس الإدارة المركزية والسادة سفراء الدول المشاركة فى الحفل والسيدة السفيرة نائب مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافية والشئون الدينية والأستاذ الدكتور / محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح للاقتصاد الإسلامى بالأزهر الشريف والسادة علماء الأزهر ، ورجال الصحافة والإعلام والشيخ / عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر والشيخ عبد الفتاح الزيات مدير اللجنة العليا للدعوة .

افتتاح مجمع المعاهد النموذجية بمدينة العاشر من رمضان

قام فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - بافتتاح مجمع المعاهد النموذجية بمدينة العاشر من رمضان والذى تكفل ببنائه السيد / محمد فريد خميس رجل الأعمال ، رجل البر والخير ، وقد أشاد فضيلة شيخ الأزهر فى كلمته بأصحاب المشروعات الخيرية قائلا : نعم المال الصالح للرجل

الصالح ، فهنا فى العاشر من رمضان قلوب كثيرة متفتحة للخير ولعمل الخير ، كثير من الرجال الذين يبنون ولايهدمون ويعمرون ولايخربون ويصلحون ولايفسدون ويجمعون ولايفرقون ، إنهم رجال الأعمال بمدينة العاشر من رمضان الذين نشعر معهم بالخير والسعادة وكل الامتنان لهم ، وهم بدأوا مسيرة التعمير والبناء والعطاء وقال : إن هذه المدينة باسمها تذكرنا بيوم العاشر من رمضان منذ ٢٦ سنة عندما نجح أبناء القوات المسلحة المصرية فى الدفاع عن وطنهم وكرامتهم بقيادة رجل نذكره بكل الخير والشموخ وهو الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذى يجب أن نعطيه

حقه من الوفاء لأن ديننا الإسلام يحتم علينا أن نعطى لكل ذى حق حقه حيث كان هذا الرجل قائدا مخضرما فى حرب يوم العاشر من رمضان ندعو الله سبحانه وتعالى أن يحشره مع الصديقين والشهداء لأنه من الرجال الأوفياء وعلينا أن نذكر كل من ضحوا من أجلنا ، كما نذكر قائد الضربة الجوية الأولى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك الذى قام بالضربة الجوية الأولى التى فتحت لقواتنا أبواب النصر المبين الذى رد كيد الأعداء وندعو الله أن يمتعه بالصحة والعافية وطول العمر ، وأشار فضيلته أن ما تقوم به وزارة التعمير من جهد كبير بقيادة الدكتور محمد إبراهيم سليمان نقدره

ونشعر به فالتوسعات التى تشهدها المدينة يوما بعد يوم تجلب الخير لوطنها ولكل الناس حيث إننا ومنذ أعوام قليلة لم تكن هناك كل هذه المساكن والمصانع التى تعمل ليل نهار لتزيد الخير وتفتح أبواب الرزق للناس وهذا عمل طيب ندعو الله أن يزيده ويوسعه . ودعا فضيلته أن يكون هذا العمل فى ميزان حسنات صاحبه لأن من يبنى صرحا يعود بالخير على الناس كالمعهد الأزهرى أو المستشفى أو المسجد يستحق منا الشكر والتقدير ومن الله سبحانه حسن المثوبة .

نداء إلى المجتمع الدولى

ناشد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ المجتمع الدولى أن يتخذ فورا الخطوات التى تردع الصرب المعتدين والتى تعيد إلى أبناء كوسوفو حريتهم وأمنهم ، وقال نحن مع شعب كوسوفو المسلم المظلوم الذى تنتهك حرماته وحريته من جانب الصرب المعتدين ، وأكد فضيلته على ضرورة مناصرة هذا الشعب المسلم وتقديم العون والمساعدة له حتى يعيش آمنا مطمئنا حرا كريما على أرضه ، ويجب على الدول العربية والإسلامية بصفة خاصة مناصرة أبناء كوسوفو والوقوف إلى جانبهم ، ويجب على المجتمع الدولى والإنسانى بصفة عامة أن يتخذ فورا الخطوات التى تردع المعتدين ، وتعيد إلى أبناء كوسوفو حريتهم وأمنهم ، وقال :

إننا أيضا مع الجماهيرية الليبية الشقيقة وضد محاصرتها بأى لون من ألوان المحاصرة ، وإننا ندعو العلى القدير ـ سبحانه وتعالى ـ أن يديم على الجماهيرية الليبية نعمة السلام والرفاء والاطمئنان ، كما نسأله ـ سبحانه ـ أن يوفق

المسئولين فيها لحل مشكلة لوكيربى بالطريقة التى تحفظ للجماهيرية الليبية الشقيقة حريتها وأمنها وكرامتها وعزتها .

الوقوف إلى جانب الشعب العراقى

أعلن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ أننا نقف جميعا إلى جانب الشعب العراقى ، لكننا ضد نظامه ، وأن المصائب التى أصابت الأمة الإسلامية كانت بسبب هذا النظام الذى يقوم على الغدر ، والغدر ضد مبادىء الإسلام ، مشيرا إلى أن نظام الحكم فى العراق كان سببا فى انقسام الأمة الإسلامية ودعوة الدول العربية والإسلامية إلى مقاطعة مصر بعد معاهدة السلام مع إسرائيل .

المسلمون والمسيحيون يعيشون جنبا إلى جنب

وأكد الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن المسلمين والمسيحيين يعيشون جنبا إلى جنب منذ ١٤ قرنا ، والجميع تظله سماء واحدة وتجمعنا مصالح مشتركة وأن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى فى الحقوق والواجبات ، أما العقائد فبين العبد وربه .

● وأضاف أن الذى يستحل التعامل بالربا يكون مرتدا عن الإسلام ، ويحق لزوجته طلب الطلاق ، وأشار إلى أن دفع الضرائب لايغنى عن دفع الزكاة لأن الضريبة أمر يفرضه ولى الأمر لصالح المجتمع ، أما الزكاة فهى حق الله وتعطى للمساكين والمحتاجين دون تدخل من الدولة فى ذلك .

● كما أشار إلى أن الأزهر الشريف له الرقابة الكاملة على كل ما ينشر من مطبوعات دينية وعلى رأسها القرآن الكريم ، ولكن ليس من حقه أن يصادر هذه المؤلفات ، لكن المصادرة تتم من خلال الأحكام القضائية ، مؤكدا على أن الأزهر قام بالرد على الشبهات التى ذكرت حول القرآن الكريم . جاء ذلك فى المحاضرة التى ألقاها فضيلته على طلاب الجامعات والمعاهد بمعهد إعداد القادة بحلوان فى ١٣ من شوال ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/١/٣١ .

قرارات لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ قرارا بسفر فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى محمد على الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف إلى إيطاليا لمدة أربعة أيام ، تبدأ من تاريخ السفر لحضور مؤتمر حول بيت لحم (٢٠٠٠) المقرر انعقاده فى الفترة من ١٨ ـ ١٩ فبراير ١٩٩٩ بمدينة روما ممثلا للأزهر الشريف . صدر فى ١١ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٩٩ .

● كما أصدر فضيلته قرارا بتشكيل لجنة عليا للإشراف على أعمال لجان امتحان حفظ القرآن الكريم للمتقدمين لمسابقة الابتعاث ولجان امتحان المتقدمين للإعارة إلى الخارج فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية وفى القرآن الكريم للعام الدراسى ٩٩/٢٠٠٠ برئاسة شيخ الأزهر وعضوية كل من :-

١ ـ فضيلة الشيخ وكيل الأزهر نائبا للرئيس .

٢ ـ فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية عضوا .

٣ ـ فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية عضوا .

٤ ـ فضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر عضوا .

٥ ـ فضيلة الأمين المساعد للدعوة عضوا .
٦ ـ فضيلة الأمين المساعد للبحوث الإسلامية .
٧ ـ فضيلة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون التعليم عضوا .
٨ ـ فضيلة وكيل المعاهد الأزهرية لشئون الخدمات عضوا .

ويناط بفضيلة وكيل الأزهر متابعة أعمال لجان الامتحان المنصوص عليها بالمادة التالية : ـ

المادة الثانية : يصدر بتشكيل لجان امتحان حفظ القرآن الكريم للمتقدمين لمسابقة الابتعاث ولجان امتحان المتقدمين للإعارة إلى الخارج فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية وفى القرآن الكريم للعام الدراسى ٩٩/٢٠٠٠ قرار من فضيلة الشيخ وكيل الأزهر .

المادة الثالثة : يكون مقر جميع لجان الامتحان المنصوص عليها بالمادة الثانية من هذا القرار بمبنى المعهد الابتدائى النموذجى بمجمع المعاهد النموذجية بمدينة نصر .

صدر فى ١ من شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٩٩٩ .

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ الأزهر بتشكيل لجنة من السادة الآتية أسماؤهم بعد مراجعة الكشوف الواردة من المناطق الأزهرية بأسماء المرشحين للتعيين من المتقدمين لمسابقة التعيين المعلن عنها خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر سنة ٩٨ بمراعاة الأسبقية فى الترتيب النهائى للمرشحين ، طبقا لحكم الفقرة الأخيرة من المادة ١٨ من قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة رقم ٤٧ لسنة ٧٨ وهم : ـ

١ ـ السيد الأستاذ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر رئيسا.
٢ ـ السيد الأستاذ وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق عضوا .
٣ ـ السيد الأستاذ / مدير عام شئون العاملين عضوا .
٤ ـ السيد الأستاذ / أحمد جمعة المحامى بالإدارة المركزية للشئون القانونية عضوا .
٥ ـ السيد الأستاذ / مدير إدارة التعيينات بشئون العاملين بالأزهر عضوا .

وتكون مهمة هذه اللجنة :

١ ـ تحديد موعد حضور مندوب لكل منطقة ومعه كشوف المرشحين للتعيين .
٢ ـ مراجعة الكشوف الواردة بأسماء المرشحين طبقا للقواعد المقررة وذلك فى حضور مندوب المنطقة .

المادة الثانية : يكون المختصون بكل منطقة تعليمية أزهرية مسئولين كل بحسب اختصاصه عن تحديد وتسجيل وترتيب أسماء المرشحين المتقدمين لشغل الوظائف الشاغرة المعلن عنها فى الكشوف المعدة لذلك طبقا لشروط الإعلان وحكم الفقرة الأخيرة من المادة ١٨ من قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة . صدر فى ١٥ شوال ١٤١٩ هـ الموافق أول فبراير سنة ١٩٩٩ م .

● كما أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قرارا بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ / محمد عبد العظيم إبراهيم جمعة المدير العام لمنطقة جنوب سيناء الأزهرية إلى المملكة العربية السعودية لحجز الأماكن الخاصة لإقامة الحجاج التابعين لجمعيات محافظة جنوب سيناء للعام الهجرى ١٤١٩ هـ لمدة سبعة أيام اعتبارا من تاريخ السفر على ألا يتحمل الأزهر أية نفقات مالية .

صدر فى ٢٠ من شوال ١٤١٩ الموافق ٦ فبراير سنة ١٩٩٩ .



يحررها الدكتور :
حسن على محمد

من المحرر

٢ مليار سنوياً أموال الزكاة ... أين تذهب ؟

قدرت بعض المصادر الاقتصادية العلمية أن حجم مايخرجه المسلمون فى مصر من الزكاة حوالى ٢ مليار جنيه مصرى سنوياً .. والسؤال :

أما آن الأوان - بعد - لتنظيم الزكاة فى مصر ؟
ألا يتفق أغنياء المسلمين فى مصر كل عام على تنفيذ مشروع قومى يخدم فقراء المسلمين ؟
ثم أين دور الأزهر المعمور ؟ وأين فكر جامعة الأزهر ؟ وأين دور كليات الدعوة وأصول الدين والشريعة والتجارة ؟ لماذا لايجلس علماء وأساتذة الأزهر معاً يفكرون فى طريقة مثلى يتم بها توظيف أموال الزكاة ، وكيفية استثمارها لخدمة فقراء المسلمين ؟

إن أموال الزكاة لم تجد بعد طريقها إلى مستحقيها ، ولم تجد بعد الفكرة الجريئة التى يلتف حولها المسلمون ؛ ليقدموا طائعين مختارين زكاة أموالهم .

فهل يدعو فضيلة الإمام الأكبر إلى ندوة أو لجنة .. فالأمر هام وعاجل .

●●●●

مصـــر

٢٩٠ منحة دراسية لأبناء المسلمين فى العالم للدراسة بكليات الأزهر

خصص الأزهر الشريف (٢٩٠) منحة دراسية لأبناء المسلمين فى العالم ؛ للدراسة بجميع كليات جامعة الأزهر .

◄

ومن الدول التي حظي طلبتها بالمنح الدراسية : ـ

تركيا ـ الفلبين ـ أوكرانيا ـ الشيشان ـ الصومال ـ نيجيريا ـ أوغندا ـ غانا ـ بوركينا فاسو ـ جيبوتي وإندونيسيا .

وقد أكد فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف وكيل الأزهر ، ورئيس لجنة شئون الطلاب الوافدين بأن الأزهر قد خصص خمسين منحة دراسية لأبناء أندونيسيا ، نظراً لظروفهم الاقتصادية .

●●●●

٥٠٠ ألف جنيه من أهل الخير مساعدات لطلبة ماليزيا وكفالة ١٤٠٠ طالب أندونيسي

يواجه طلاب دول جنوب شرق آسيا ـ الدارسون بالأزهر مشكلات صعبة لانهيار اقتصاد بلادهم . . ، وقد تشكلت لجنة لمساعدة طلاب الأزهر ، جمعت حتى الآن نصف مليون جنيه مصري كمرحلة أولى وكمساعدة عاجلة لطلاب ماليزيا ، وسوف يتم تخصيص مبالغ أخرى لطلاب تايلاند والفلبين كما تبرع تجار مصريون بكفالة ١٤٠٠ طالب أندونيسي .

●●●●

قطــــر

الدوحة : وكالة الأنباء الإسلامية :

١٤٥٠٠ يتيم في ٣٢ دولة ترعاهم جمعية قطر الخيرية

تكفل جمعية قطر الخيرية أكثر من (١٤٥٠٠) يتيم في حوالي ٣٢ دولة في أنحاء العالم بقارات آسيا وأفريقيا وأوربا ، وتقدم الجمعية للأيتام من سن الخامسة وحتى السادسة عشرة الرعاية الكاملة والتأهيل المهني .

الجدير بالذكر أن كفالة اليتيم حوالي ١٠٠ ـ ٢٠٠ ريال قطري شهريا .

أما بالنسبة لكفالة الأسرة الواحدة فتبلغ ٢٠٠ ريال قطري ، والجمعية تدعو أغنياء المسلمين في العالم للتبرع وإرسال مساهماته عن طريق مكاتب الجمعية .

●●●●

ســــوريا

دمشق ـ وكالات الأنباء

حذرت سوريا من توجيه ضربات عسكرية جديدة للعراق

حذرت سوريا من شن هجمات عسكرية أمريكية ضد الشعب العراقي ، وطالبت دمشق بضرورة رفع الحظر المفروض على العراق ، وحل الأزمة القائمة بين بغداد ، والأمم المتحدة بالطرق السلمية .

وقد وجه رئيس الوزراء التركي انتقادات حادة إلى سياسات الولايات المتحدة بشأن معالجة الأزمة القائمة بين بغداد والأمم المتحدة ، وانتقد القصف الأمريكي الأخير للأحياء السكنية .

●●●●

السعودية

مكة المكرمة ـ إينا :

٣٠٠ ألف ريال سعودي ثمن المتر في منطقة الحرم

تعتبر المنطقة المحيطة بالحرم المكي الشريف أغلى منطقة عقارية في العالم ، حيث بلغ سعر المتر

المربع فيها (٣٠٠) ألف ريال سعودى ، ومع ذلك فهى تتميز بكونها من أكثر المناطق التى تحقق أعلى عائد استثمارى .

ويتوقع خبراء العقار فى مكة المكرمة أن يتجاوز سعر المتر المربع حدود ٣٧٠ ألف ريال فى هذه المنطقة .

●●●●

ليبيا

طرابلس ـ أ . ف . ب :

وفد نيجيرى يخترق الحظر الجوى على ليبيا

اخترق وفد نيجيرى الحظر الجوى الذى تفرضه الأمم المتحدة على ليبيا منذ عام ١٩٩٢ م ، وصل الوفد المكون من كبار المسئولين النيجيريين إلى مطار طرابلس لتسليم رسالة من الرئيس عبد السلام أبوبكر إلى الزعيم الليبى معمر القذافى .

الجدير بالذكر أن الجماهيرية الليبية فى حالة استياء من الموقف العربى الذى لم يقف إلى جوار ليبيا فى صراعها مما حول السياسات الليبية باتجاه أفريقيا فى محاولة للإعلان عن استياء ليبيا من موقف الدول العربية من الحصار .

●●●●

أثيوبيا

نيويورك ـ وكالات الأنباء

مجلس الأمن يطالب أثيوبيا وإريتريا بإنهاء النزاع الحدودى

حث مجلس الأمن الدول كلاً من أثيوبيا وإريتريا على إنهاء النزاع الحدودى بينهما ، وأكد مجدداً دعمه لجهود الوساطة الأفريقية لحل النزاع وترحيبه بخطة السلام التى أعدتها منظمة الوحدة الأفريقية .

وقد وافق مجلس الأمن بالإجماع على قرار يدعم خطة السلام التى أعدتها المنظمة ، وأعرب المجلس عن قلقه العميق إزاء خطر اندلاع حرب بين البلدين .

●●●●

الولايات المتحدة الأمريكية

بلتيمور ـ نقلاً عن جريدة بلتيمورصن :

رئيس الجامعة العبرية اليهودى يتعمد الاساءة للنبى، صلى الله عليه وسلم.

نشرت جريدة بلتيمور صن مقالة افتتاحية تحتوى على إساءة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتبها (روبرت فريدمان) وهو يهودى ورئيس جامعة بلتيمور العبرية بالولايات المتحدة .

وقد زعم هذا اليهودى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقض عهده مع اليهود بعد أن أصبح قوياً ، وأن عرفات يقول بأن اتفاقية أوسلو تكتيكية ، ويرى الأستاذ اليهودى أن عرفات سيفعل كما فعل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

والجدير بالذكر أن مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية قد علق على هذا المقال ببيان مشيراً فيه إلى اعتبار مقال فريدمان صورة من صور الإساءة للإسلام ، وتدل على جهل الكاتب بالتاريخ الإسلامى .



chamelier conduisit la bête par la bride et nous rejoignimes l'armée à midi, alors qu'elle faisait la sieste.[2]

Tous ceux qui ont pris part à la calomnie ont couru à leur perte. Le chef de la bande fut Abdollah Ibn Obey Ibn Saloul.

Rentrée à Médine, je tombai malade. Je suis restée ainsi pendant un mois. Les gens ne faisaient que colporter les calomnies à mon sujet .

Ce qui m'intriguait, c'était le comportement du Prophète-b.s-qui n'affichait plus la prévénance dont il m'entourait auparavant quand je me trouvais malade. Il ne faisait qu'entrer saluer et dire:"Comment va celle-la". Moi, je ne me souciais de rien jusqu'au jour où je commençai à me rétablir.

Je sortis avec Om-Mistah (la tante maternelle d'Abou Bakr) pour mes besoins, hors de la ville. Nous n'y allions que de nuit, n'ayant pas de waters près de nos habitations. C'étais l'habitude des anciens arabes, ils faisaient leurs besoins à la campagne.

En marchant Om-Mistah s'empêtra dans son habit et trébucha. "Malheur à Mistah!"dit elle."Quelle abominable parole que celle que tu dis là!Tu médis un homme qui a participé à la bataille de Badr ?" lui dis-je."Petite, dit-elle, n'as-tu pas entendu ce qu'il a dit de toi?" Elle me raconta l'histoire.

Je fus encore plus malade. Je rentrai chez moi. Le Prophète-b.s-comme d'habitude vint et dit:"Comment va celle-la ". Je lui dis:"Permets-moi d'aller chez mes parents." Il me le permit. Je voulais en rendant chez eux apprendre de leurs bouches ce qu'on propageait à mon sujet. Arrivée chez eux, je demandais à ma mère ce que m'attribuaient les gens. "Ne t'affliges pas ma petite, dit elle. Par Allah! toute femme qui jouit d'une certaine beauté et qui est aimée de son mari est enviée et chicanée de ses co-épouses!" "Quoi, les gens disent cela de moi?"lui répondis-je.J'ai passé la nuit en pleurs, sans fermer les yeux et le lendemain aussi.

La révélation ayant tardé, le Prophète-b.s-demanda avis à Oussama ibn Zaïd et Ali Ibn Aboutaleb, s'il devait me répudier.

Oussama dit ce qu'il pensait de mon innocence et montra l'affection qu'il portait à la famille du Prophète-b.s-"C'est ton épouse, dit-il et je n'en pense que tu bien."

Quant à Ali, il répondit:"Allah ne t'a pas imposé de restriction en matière de mariage et les femmes sont nombreuses.D'ailleurs tu peux interroger l'esclave Barira, elle te dira la vérité".

Le Prophète-b.s-appela Barira et lui dit:"As-tu des soupçons sur Aïcha?." "Je jure,dit-elle, par Celui qui certes t'a chargé de la mission de Prophète, que je n'ai rien reprocher, sauf qu'elle est jeune et s'endort, laissant la pâte à la portée de la brebis qui vient en manger."

Le jour même, le Prophète-b.s.-monta en chaire et se plaignit d'Abdallah Ibn Saloul et dit:"Serais-je incorrect si je demande justice d'un homme dont la calomnie a nui à ma famille? Je jure par Allah! que je ne soupçonne aucune infédilité de ma femme. Les gens incriminent un homme dont je ne pense aucun mal. D'ailleurs, il ne s'introduisait chez moi qu'en ma présence."

à suivre

La calomnie sur Aïsha a.s.e.–.
Kissat-oul-Ifki.

Par: Mme Hoda Hussein Chaarawy

Voici la mésaventure rapporté par Al-Boukhary et racontée par Aïcha-a.s.e-elle même:

Elle dit: ,

Chaque fois que le Prophète-b-s-partait en voyage, il tirait au sort parmi ses femmes pour désigner celle qui avait la faveur de l'accompagner. Ce fut mon tour de partir avec lui, lors d'une campagne dans la contrée de la tribu des Beni Mostalak.

A ce moment, le port du voile était déja institué. Je voyageai donc en palanquin à dos de chameau.

La mission du Prophète -b.s- terminée, nous prîmes le chemin du retour. A l'approche de Médine, après un bivouac pendant le jour, le Prophète-b.s-ordonna la nuit de lever le camp.Pendant que les hommes faisaient leurs préparatifs de départ, je me suis éloignée pour faire mes petits besoins. Retournée à ma place, je me suis aperçu en tâtant ma poitrine, de la disparition de mon collier en onyx odoriférant. Je suis retournée sur mes pas, ce qui m'a retardée.

Les personnes chargées de mon palanquin le replacèrent sur le dos du chameau croyant que j'y étais. Les femmes d'alors étaient légères, elles mangeaient sobrement. Les hommes soulevèrent donc le palanquin-qui était vide-en pensant que j'y étais. J'étais alors jeune (elle n'avait pas encore 15ans). J'ai trouvé mon collier après leur départ. Je revins à ma place. Le camp était vide. Je me suis dit qu'ils ne manqueront pas de remarquer mon absence et de revenir pour me chercher. Je m'assis à ma place et le sommeil me gagna.

Safouane Ibn Al-Mouatal Al-Solami[1]assurait l'arrière-garde de l'armée. Il passa près de moi et remarqua une silhouette d'une personne endormie. Il se dirigea vers moi. Il poussa une exclamation et dit:"Nous sommes à Allah et nous retournerons à Lui."Je me suis reveillée, il me reconnut car il m'avait vu avant le port de voile. J'ai caché mon visage, je jure par Allah il ne me parla pas et je n'ai pas prononcé un mot. Il agenouilla son chameau et je pris place sur la monture. Le

---

[1]Le Prophète-b.s-recommandait à Safouane de rester à l'arrière-garde pour ramasser les objets oubliés après le départ de l'armée et rejoignait l'armée à la prochaine halte.

[2]A sa vue, les calomniateurs l'accusèrent d'avoir commis l'adultère avec Safouane.

un honneur et une responsabilité. Toutefois, au sein de la famille, l'épouse conserve son indépendance financière et son identité propre.

Si Allah a assigné à chacun des charges différentes et qui conviennent à sa nature, cela ne réduit en rien la dignité de la femme.

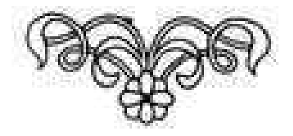
D'autre part l'Islam a institué, en règle générale, le droit de l'homme à hériter le double de la femme. Rappelons tout d'abord que la famille en Islam est un concept beaucoup plus large que dans les autres civilisations: elle s'étend aux parents, aux frères et soeurs, aux oncles et tantes, neveux etc. Ceci apparaît clairement dans les lois de l'héritage qui réservent à l'homme une part double de celle de la femme.

En effet, en Islam l'homme est légalement responsable de sa mère (veuve), de sa soeur, de sa nièce. D'autre part, c'est lui qui verse une dot quand il veut se marier. Par contre, la femme recoit une dot à son mariage et elle est libre de disposer ses biens sur lequels son époux n'a aucune autorité.

Ajoutons que l'on ne peut pas généraliser ce droit de l'homme à une part double de celle de la femme. Voici quelques cas où l'Islam a prévu une part égale de l'héritage pour l'homme et la femme : la mère hérite autant que le père, quand le légataire est leur fils, de même le frère maternel hérite du sixième comme la soeur, etc.

Si l'Islam a honoré la femme, le prophète b.s. a également recommandé d'en prendre soin tout particulièrement de la mère mais aussi de l'épouse, de la soeur, et de la fille. Il a dit: «Je vous recommande d'être bienfaisants envers les femmes» (Al Bokhari et Muslim).

Rokeya Gabr.





LA SITUATION DE LA FEMME EN ISLAM

par : Docteur Rokeya Gabr

Ce que l'islam a institué pour la femme en Islam il y a plus de quatorze siècles reste encore valable de nos jours après le développement culturel que connaît l'humanité.

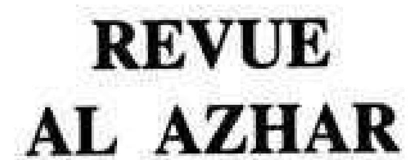
En rappelant la situation d'infériorité où se trouvait la femme avant l'islam, nous pouvons nous rendre compte des grands pas faits par la femme grâce aux enseignements de l'islam. En effet, l'islam a détruit les chaînes qui l'emprisonnaient, il l'a sauvée des agressions auxquelles elle était sujette. En lui restituant ses droits injustement usurpés, il lui a rendu sa dignité et en reconnaissant son égalité avec l'homme. Hommes et femmes ont les mêmes devoirs et les mêmes responsabilités envers Allah. On trouve dans le Saint Coran: (O vous les humains, craignez votre Seigneur qui vous a créé d'une même nature) Sourate An-Nisa, v.1

La législation islamique régit aussi bien la vie de l'homme que celle de la femme; toutefois elle fait une distinction dans le domaine du mariage où les responsabilités sont réparties à l'intérieur du couple: l'homme est chargé de l'autorité comme le montre le Hadith suivant: Selon « Omar, le prophète b.s.a dit: L'homme est un berger pour les siens et il en est responsable» (Al Bukhari et Muslim).

Il est également chargé de la dépense. Selon Djabi' le Messager d'allah b.s. a dit : « Vous devez à celles-ci les moyens de subsistance et les vêtements, selon la coutume» Muslim.

Quant à la femme, elle est chargée de veiller à ses enfants à les éduquer et à prendre soin de ses charges ménagères. Selon Ibn Omar, le Messager d'Allah b.s. a dit : «La femme prend soin de la maison de son époux».

Cette répartition des tâches n'est pas pas une preuve de l'infériorité de la femme par rapport à l'homme. Dans toute communauté il est nécesssaire d'élire un de ses membres pour veiller à ses besoins et en être le représentant. De même la famille a besoin d'un chef et le Coran a désigné l'homme pour cette fonction ce qui est à la fois



REVUE
AL AZHAR

Zu-L- Qieda 1419 H. Mar. 1999 Vol. 71 Part XI

Section Francaise



Muslims are also asked to guard against injuring the muslims by deed or tongue. They are also asked to abstain from : cutting nails, pulling out hair, using scent (whether on the clothes or on the body), killing or assisting in hunting any land game, cutting trees, plucking vegetables, or collecting a lost property. Proposing to a woman or contract a marriage and sexual intercourse are also prohibited. As for men only puttting any cover on the head or wearing any sewn garment is also prohibited during Ihram.

What should be done on Arafat day :

As Arafat is a basic pillar of Hajj. One should not miss the opportunity of spending the day in Talbiyah and Dua until sunset. Muslims should arrive at Arafat from Mena after sunrise and pray Thuhr (noon prayer) and Asr (afternoon prayer) there.

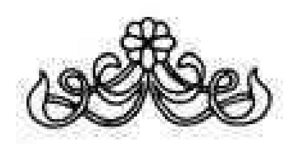
The Tawaf :

Tawaf is one of the pillars of Hajj; it should be done in certain manner to be accepted. It should be done seven times starting each round at the stone and end it at the stone (counter clockwise), besides the other conditions of Tawaf which includes: Intention, cleanness, concealment of private parts and keeping the round beyond Ismael's Hejr) since it is part of Ka'aba.

The Sa'ye :

Sa'ye between the two mountains of As-safa and Al-Marwa is an other pillar of Hajj, Seven trips are required to complete the Sa'ye, one way from As-afa to Al-Marwa is counted one trip. Descending back from Al-Marwa to As a fa is counted another trip.

Finally this was just a brief explanation of Hajj and its performance which might arouse your curiosity for further reading; may Allah bless us all with Hajj and make us amongst those He is called to perform it. Ameen.



Since then the hearts of all the believers are tied to that House out of love, sincerity and the great desire for the spiritual purity and strength Hence Hajj was obligated for its spiritual and physical importance to the faith and believe of the muslim.

The Performance of Hajj :

Hajj has certain pillars and duties for it is an obligated worship that has to be performed at certain specific time and in stated fixed manner.

The Pillars of Hajj :

Hajj has certain pillars which can not be left out for leaving out one of them renders one's Hajj incomplete. These pillars are :

1 - Ihram
2 - Standing on Arafat
3 - Tawaf (7 rounds)
4 - S'aye (between As-afa-and Al-Marwa seven times).

Duties of Hajj :

The duties of Hajj are different from it's pillars for leaving out one of it's duties must be compensated by slaughtering of an animal in Mekkah. These duties are:

1 - Ihram at its appointed points.
2 - Standing on Arafat until sunset.
3 - Spending the night in Muzdalefah.
4 - Spending the three nights succeeding Eid day in Mena.
5 - Throwing the pebbles at the jamras.
6 - Shaving or trimming the hair.
7 - Farewell Tawaf.

The Ihram:

After reaching the prescribed station (Miqat), one is asked to take a shower, use perfume and wear the special two piece garment. Women may wear any clothes as long as they do not display their adornments; they should completely cover the body except for the face and hands. Make all the intentions of performing the Hajj saying the (Talbiyah).

"Labbayk, Allahumma Labbayk. Labbayk La shareek laka labbayk. Innal-hamda wan-nimata laka walmulk. La shareeka lak"

During Ihram muslims are asked to repeat this Talbiah loudly and frequently.

Obligations during Ihram :

During Ihram mulims are asked to avoid wrong doing, quarreling, shameful speech and committing sins.

"For Hajj are the months well known. If any one undertakes that duties therein, let there be no obscenity, nor wickedness, nor wrangling in the Hajj"

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ **(S.2 A.179).**

THE IMPORTANCE OF HAJJ

By : Hadeer Abo El-nagah

All praise due to Allah who created His holly House as a direction and security to mankind. He Almighty established Hajj as a fifth pillar of Islam for those who can afford it. It is the completion of the faith and the journey of a lifetime. Also it is the forgiveness of all the sins and the purification of the soul.

"Remember We made the House a place of assembly for men and a place of safety."

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا
وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ
أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (S.2 A : 125)

* Hajj is a spiritual and a financial worship, it is a "jihad" for Allah's sake which He created for our benefit as a gift and a blessing. Hajj is a symbolic worship, for Allah Almighty is bigger and greater to be thought of as an inhabitant of certain place or house but when He asked Ibrahim (Peace and Prayers be upon Him) to build the House it was meant to be as a symbol of unity and directness to all muslims form the time it was built till the end of creation.

"Behold ! We pointed the site, to Abraham, of the (Sacred) House, (saying): "Associate not anything (in worship) with Me; and sanctify My House for those who compass it round, or stand up, or bow, or postrate themselves (therein in prayer). And proclaim the Pilgrimage among men : they will come to thee an foot and (mounted) on every camel, lean (on account of journeys) through deep and distant mauntain highways;"

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ
أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ
٢٦ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (S.22, A.26-27)

« And serve Allah and associate naught with Him, and be good to the parents ».

(The Women – 36)

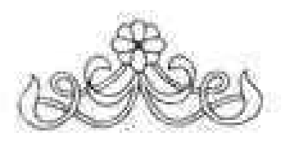
In the noble Sunnah, the great position that parents should occupy in our lives is made quite clear. Doing good to the parents is the most loved action by Allah after worshipping Him.

Narrated Ibn Masud (may Allah be pleased with him) . A man asked the Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) :

« What deeds are the best ? The Prophet (Peace and Blessings be upon Him) said To perform the Salat (prayers) at their early stated fixed times, to be good and dutiful to one's own parents, and tô participate in Jihad in Allah's cause ».

The Prophet (peace and Blessings Be Upon Him) also stated that being good to the parents can further be extended after their death. He explained to one of the Ansar that this can be done by praying for them, asking Allah to forgive them, keeping their covenants, and by being generous to their friends as well as being good to their kins. So may Allah grant us the reward for doing good to our parents.

(To be continued)



A – The commandments Concerning
● Parents ●

When Allah mentioned the treatment of the parents as already shown in the verses of the Qur'an (Surat Al An'am), He did not say do not abuse your parents but instead He said » Do good to your parents » In fact this is an exaggeration to stress the obligation as regards taking care of the parents and observing their rights. If Allah had said do not abuse your parents, it would not have been enough because to avoid doing wrong to our parents is not sufficient to give them their dues. When Allah mentions the parents immediately after the worship of the Creator Himself, this reveals how crucial that point is. Allah also says in Surat Al Isra :



﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء - ٢٣ ، ٢٤)

« And the Lord has decreed that you serve none but Him, and do good to parents. If either or both of them reach old age with thee, say not « Fie » to them, and speak to them a generous word.

And lower to them the wing of humility out of mercy, and say : My Lord have mercy on them as they brought me up (when I was) little » .

(Al Isra 23, 24)

Allah Almighty says : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان - ١٤)

« Give thanks to Me and to thy parents. To Me is the eventual coming ».

(Loqman – 14)

Allah also says : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ (النساء - ٣٦)

In Al Fatiha Allah says :

« Thee do we serve and thee do we beseech for help ».

Thus to worship Allah and to ask help from Him only are brought together.

The Qur'an warns against (Sherk) and against its terrible consequences. So, whoever ascribes a partner to the Creator, Allah will leave him to that partner who would be incapable of doing him neither good nor harm because Allah is the only Master of everything. Therefore the one who commits that sin of (Sherk) will be only blamed and abandoned as Allah is not going to give him and aid .

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾ (الإسراء - ٢٢)

« Associate not any other god with Allah, lest thou sit down despised, forsaken »

(Al Israa – 22)

The relation among human beings themselves involves two main aspects : words and Deeds. **Deeds** include the treatment of children to their parents « and do good to parents » . They also involve the treatment of parents to children : « and slay not your children for (fear of) poverty— We provide for you and for them » . They further focus on money and property « And approach not the property of the orphan except in the best manner until he attains his maturity » . Deeds are also concerned with the sacredness of the soul « and kill not the soul which Allah has made sacred except in the course of justice « They moreover include weight and measurment : « And give full measure and weight with equity – We impose not on any soul a duty except to the extent of its ability ».

Concerning **Words** , Allah says : « And when you speak be just though it be (against a relative). And fulfil Allah's covenant . This He enjoins on you that you may be mindful » .

Thus the commandments of the Qur'an are concluded with a call to bring hearts together around Allah's religion, by asking Muslims to hold on to the Qur'an and to be united by the covenant of Allah.

In Surat Al Ana' am Allah says :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام - ١٥٣)

« And (know) that this is My path, the right one, so follow it, and follow not (other) ways, for they will lead you away from His way. This He enjoins on you that you may keep your duty » .

(Al An'am 153)





legislation, words and deeds. When the disbelievers interfered in religious matters, the verses were revealed to refute what they fabricated concerning commands and prohibitions. This provided a clear evidence against their falsehood and untruthfulness as well as aginst all the doubts raised by those misled people .

These verses came to liberate the minds of polytheism (Sherk) and to free them of the fetters of idolatory worship in order to reach faith in Allah. In that way people could behave according to a sound creed and religion remains dedicated to Allah only.

The commandments of the Qur'an are divided into two sections : The first is concerned with the relation between the Creator and the human beings, while the second focusses on the relation among people themselves. The first section is based on the main foundation for the religion of Islam which is monotheism as Allah says : « Say : Come ! I will recite what your Lord has forbidden to you. Associate naught with Him » Here we find that the use of the word « your » « Lord » with the plural pronoun is to inform and remind people that Allah Almighty is their Lord and the master of all their affairs. He is the one who takes care of them and fully controls their lives so they have to obey Him and avoid all prohibitions.

When human beings are forbidden to associate any partner with Allah, then they are directed towards worshipping Him only » .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

(الكهف - ١١٠)

« So whoever hopes to meet his Lord, he should do good deeds and join no one in the service of his Lord ».

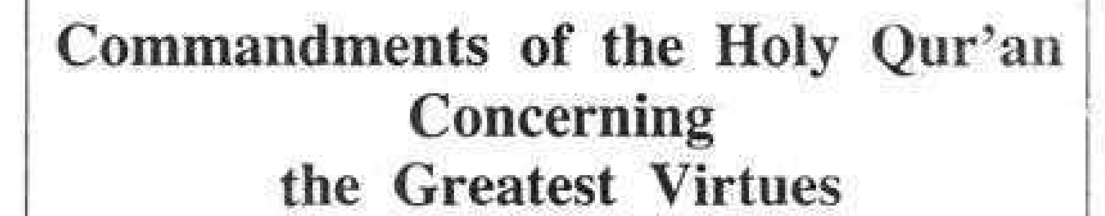
(Al Kahf – 110)

Allah does not accept a deed in which a worshipper associates a partner along with Him. In a Hadith Qudosy Allah said : « I am so self – sufficient that I am in no need of having an associate » Accordingly human beings have to worship and ask help from Him only. One should not ask anybody but : Allah.

On the authority of Ibn Abbas (may Allah be pleased with them both) he said : « One day I was behind the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and he said to me : young man I shall teach you some words of advice) Be mindful of Allah, and Allah will protect you. Be mindful of Allah and you will find Him in front of you. If you ask ask of Allah, if you seek help seek help of Allah. Know that if the Nations were to gather together to benefit you with anything, it would benefit you only with something that Allah had already prescribed for you, and that if they gather together to harm you with anything, they would harm you only with something Allah had prescribed for you. The pens have been lifted and the pages have dried. » (It was related by at –Tirmidhi who said it was a good and sound Hadith).



(الفاتحة - ٤)



Commandments of the Holy Qur'an Concerning the Greatest Virtues

By : Hanan Abdou El Tahtawy

Allah says : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا
أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ
أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام - ١٥١ - ١٥٢)

« Say : Come ! I will recite what your Lord has forbidden to you : Associate naught with Him and do good to parents and slay not your children for (fear of) poverty – We provide for you and for them – and draw not nigh to indecencies, open or secret, and kill not the souls which Allah has made sacred except in the course of justice. This He enjoins upon you that you may understand.

And approach not the property of the orphan except in the best manner until he attains his maturity. And give full measure and weight with equity – We impose not on any soul a duty except to the extent of its abillity. And when you speak be just, though it be (against) a relative. And fulfil Allah's covenant. This He enjoins on you that you may be mindful.»

(Al Ana'am 151,152)

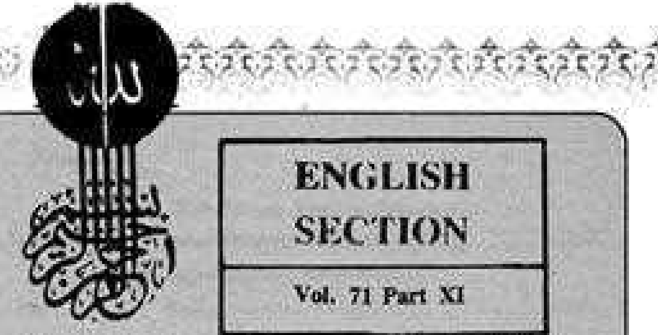
● Allah revealed the verses above to show what is lawful and what is Forbidden in creed,





AL-AZHAR MAGAZINE

Zu-L- Qieda 1419 H.



ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part XI

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

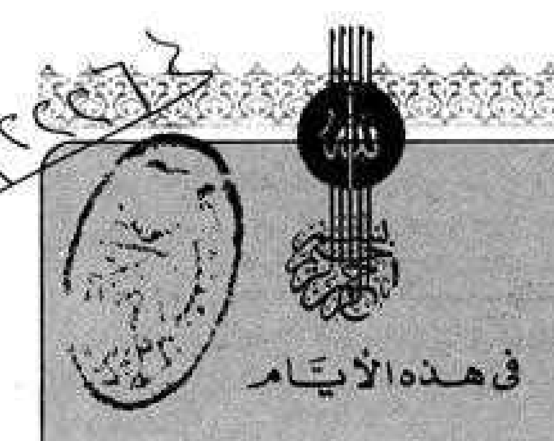
Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهـرس

القسم الفرنسي

القسم الانجليزي





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

في هذه الأيام

كثر خير الله وطاب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أسعد خلق الله ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن والاه .

وبعد

فإن لله - سبحانه وتعالى - لنفحات ، وهبات وعطايا خصها بأيام مباركات ، وساعات معلومات ، من هذه المكرمات أن أطلق على زوار بيته الحرام للحج والعمرة بأنهم وفد الله ، مصداقاً لحديث : « وفد الله ثلاثة : الحاج والمعتمر والغازي »[1] .

والوفد : هم القوم يجتمعون ، ويردون البلاد ، واحدهم وافد ، وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك[2] .



(١) حديث صحيح إسناده على شرط مسلم . وأخرجه الحاكم (٤٤١/١) وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٩/٥) .

ذو الحجة ١٤١٩هـ - أبريل ١٩٩٩م - الجزء الثاني عشر - السنة الحادية والسبعون

وفى الحديث الشريف ، عن ابن عمر : « الغازى فى سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم »[3] .

وذكر نفى الحج والعمرة ـ الذنوب ـ والفقر عن المسلم بها لحديث : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة »[4] .

والمتابعة : أى اجعلوا أحدهما تابعا للآخر ، فإذا حججتم فاعتمروا ، وإذا اعتمرتم فحجوا ، بحيث يأتى بكل واحد من النسكين عقيب الآخر بحيث لا يتخلل بينهما زمان يصح إيقاع الثانى فيه ، وهو الظاهر من لفظ المتابعة[5] .

كما أن الله ـ تعالى ـ يغفر ذنوب العبد بالحج ، الذى لا رفث فيه ولا فسوق ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كما ولدته أمه »[6] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « العمرة إلى العمرة تكفر ما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[7] .

وليس هذا فقط بل ترفع الدرجات وتكتب الحسنات وتحط السيئات بخطا الطائف حول البيت العتيق لحديث : « من طاف بالبيت سبعا لا يضع قدما ، ولا يرفع أخرى ، إلا حط الله عنه بها خطيئة ، وكتب له بها حسنة ، ورفع له بها درجة »[8] .

وعن ابن عمر ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « مسح الحجر ، والركن اليمانى يحط الخطايا حطا »[9] .

وأن العمرة فى رمضان تقوم مقام حجة لمعتمرها لحديث : « عمرة فى رمضان تعدل حجة »[10] .

---

٣ ـ ابن ماجه (٢٨٩٣) وسنده حسن فى الشواهد

(٤) إسناده حسن . وانظر : المسند (١/٣٨٧) والطبرانى الكبير (١٠٤٠٦) والحلية (٤/١١٠) .

(٥) المحب الطبرى فى « القرى » ص (٤٠) .

(٦) إسناده صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه مسلم (١٣٥٠) فى الحج . وابن ماجه (٢٨٨٩) .

(٧) الموطأ (١/٣٤٦) والبخارى (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩) والبغوى (١٨٤٣) .

(٨) أخرجه الترمذى (٩٥٩) فى الحج . والحاكم (١/٤٨٩) وقال : هذا حديث صحيح . ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٩) إسناده قوى . وعبد الرزاق فى « مصنفه » (٨٨٧٧) والمسند (٢/١١ ـ ٩٥) والطيالسى (١٨٩٩) .

(١٠) إسناده صحيح . رجاله رجال الشيخين . غير عبد الحميد بن محمد بن المستلم . فقد روى له النسائى وهو ثقة . وأخرجه أحمد (١/٢٢٩) والبخارى (١٧٨٢) فى العمرة ومسلم (١٢٥٦) فى الحج .

وأن الحج للنساء يقوم مقام الجهاد ، عن عائشة بنت طلحة ، قالت : أخبرتني عائشة أم المؤمنين أنها قالت : يارسول الله ، ألا نخرج ونجاهد معك ، فإني لا أرى عملاً في القرآن أفضل من الجهاد ؟ قال : « لا ، إن لَكُنَّ أحسن الجهاد ، حج البيت حج مبرور »[11] . وليعلم المسلم أن للحجر الأسود لسانا وشفتين ليشهد يوم القيامة لمن استلمه لحديث : « إن هذا الحجر لسانا وشفتين ، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق »[12] . وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ليبعثن الله هذا الركن يوم القيامة ، له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق »[13] . وأن الله ـ عز وجل ـ يباهي ملائكته بالحاج عند وقوفهم بعرفات ؛ لحديث عن أبي هريرة ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة أهل السماء ، فيقول : انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثا غُبْرًا »[14] .

كما أن هناك ذكر رجاء العتق من النار لمن شهد عرفات يوم عرفة ، فعن جابر ، قال رسول الله ﷺ : « ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة » . قال : فقال رجل : يارسول الله هن أفضل أم عدتهن جهادا في سبيل الله ؟ قال : « هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله ، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء ، فيقول : انظروا إلى عبادي شعثا غبرا ، ضاحين[15] ، جاءوا من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ، ولم يروا عذابي ، فلم يُرَ يومٌ أكثر عتقا من النار من يوم عرفة »[16] .

وأخرج المنذري في « الترغيب والترهيب (٢٠٣/٢) عن ابن المبارك ، عن سفيان الثوري ، عن الزبير بن عدي ، عن أنس بن مالك ، قال : وقف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعرفات ، وكادت الشمس أن تؤوب ، فقال : « يابلال ، أنْصِتْ لي الناس » فقام بلال ، فقال : « أنصتوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنصت الناس ، فقال : « معاشر الناس ، أتاني جبريل آنفا ، فأقرأني من ربي السلام ، وقال : إن الله غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر ، وضمن عنهم التبعات » فقام عمر بن الخطاب ، فقال يارسول الله ، هذا لنا خاصة ؟ قال : « هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة » فقال عمر بن الخطاب : كثر خير الله وطاب .

---

(١١) أخرجه البخاري (١٥٢٠) في الحج (١٨٦١) في جزاء الصيد و (٢٧٨٤) والجهاد وابن ماجه (٢٩٠١) .
(١٢) مسند أبي يعلى (٢٧١٩) والحاكم (٤٥٧/١) وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
(١٣) حديث صحيح أخرجه ابن خزيمة (٢٧٣٥) والترمذي (٩٦١) في الحج وقال : حديث حسن .
(١٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٦٣/٩) برقم (٣٨٥٢) إسناده صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه أحمد (٣٠٥/٢) وابن خزيمة (٢٨٣٩) والحلية (٣٠٥/٣ ـ ٣٠٦) والحاكم (٤٦٥/١) .
(١٥) ضاحين : بارزين للشمس غير مستترين منها .
(١٦) الإحسان (١٦٤/٩) برقم (٣٨٥٣) حديث صحيح ، وشرح السنة (١٩٣١) .

ثم إن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دعا بالمغفرة للمحلقين أكثر مما دعا للمقصرين ، حيث قال : « اللهم ارحم المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « اللهم ارحم المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « والمقصرين »(١٧) .

أخى المسلم : هذه الأيام المباركة عليك أن تكثر من الطاعات والعبادات فيها ، وفى الحديث الشريف : « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله ـ تعالى ـ من هذه الأيام العشر »(١٨) .

وقيل : من أكرم هذه الأيام العشرة أكرمه الله ـ تعالى ـ بعشر كرامات : البركة فى عمره ، والزيادة فى ماله ، والحفظ لعياله ، والتكفير لسيئاته ، والتضعيف لحسناته ، والتسهيل لسكراته ، والضياء لظلماته ، والتثقيل لميزانه ، والنجاة من دركاته ، والصعود على درجاته ، ومن تصدق فى هذه الأيام العشرة بصدقة على مسكين ، فكأنما تصدق على أنبيائه ورسله ، ومن عاد فيها مريضا فكأنما عاد أولياء الله وبدلاءه ، ومن شيع جنازة فكأنما شيع جنازة شهدائه ، ومن كسا مؤمناً كساه الله ـ تعالى ـ من حلله ، ومن لطف فيها بيتيم لطف الله ـ تعالى ـ به فى القيامة تحت ظل عرشه ، ومن حضر مجلسا من مجالس العلم ، فكأنما حضر مجالس أنبياء الله ورسله(١٩) .

وأخيراً أسأل الله العلى القدير أن يوفقنا إلى فعل كل خير ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل ، وأن ينور بصائرنا ، ويشرح صدورنا بنور الإيمان به ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١٧) إسناده صحيح على شرط الشيخين . وهو فى « الموطا » (١/٣٩٥) فى الحج/ باب الحلاق والبخارى (١٧٢٧) فى الحج . باب الحلق والتقصير عند الإحلال . ومسلم (١٣٠١) (٣١٧) فى الحج .
(١٨) الأذكار للنووى (٢٢٦) برقم (٥٢٣) .
(١٩) الغنية لطالبي طريق الحق للجيلاني (٢/٣٧) .

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ
إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ
يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا
وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

فى هذه الآيات يتحدث القرآن الكريم عن مكانة البيت الحرام ، وعن قصة بنائه ، وعن الدعوات الخاشعات التى كان إبراهيم يتضرع بها إلى الله عند رفعه البيت.

وقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ معطوف على قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾ .

وجعلنا : بمعنى صيرنا . والبيت : المقصود به الكعبة ، إذ غلب استعمال البيت فيها حتى صار اسما لها .

ومثابة للناس : مرجعاً للناس يرجعون إليه من كل جانب ، وهو مصدر ميمى من ثاب القوم إلى المكان رجعوا إليه ، فهم يثوبون إليه ثوبا وثوبانا ، أو معاذا لهم يلجأون إليه أو موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره .

والأمن : السلامة من الخوف ، وأمن المكان : اطمئنان أهله به ، وعدم خوفهم من أن ينالهم فيه مكروه ، فالبيت مأمن ، أى موضع أمن . وأخبر ـ سبحانه ـ بأنه جعله أمنا ليدل على كثرة ما يقع به من الأمن حتى صار كأنه نفس الأمن .

وكذلك صار البيت الحرام محفوظا بالأمن من كل ناحية ، فقد كان الناس فى الجاهلية يقتتلون ويعتدى بعضهم على بعض من حوله ، أما أهله فكانوا فى أمان واطمئنان . قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

وقد أقرت تعاليم الإسلام هذه الحرمة للبيت الحرام على وجه لا يضيع حقاً ولا يعطل حدا ، وزادت فى تكريمه وتشريفه بأن جعلت الحج إليه فريضة على كل قادر عليها .

قال الإمام ابن كثير : « ومضمون ما فسر به العلماء هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعاً وقدرا من كونه مثابة للناس . أى : جعله محلا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ولا تقضى منه وطرا ولو ترددت إليه فى كل عام استجابة من الله ـ تعالى ـ لدعاء خليله إبراهيم فى قوله تعالى :

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ ويصفه ـ تعالى ـ بأنه جعله أمناً من دخله أمن ، ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمنا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يعرض له :

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ الاتخاذ : الجعل ، تقول اتخذت فلاناً صديقاً أى : جعلته صديقا . والمقام فى اللغة : موضع القدمين من قام يقوم ، ومقام إبراهيم : هو الحجر الذى كان إبراهيم يقوم عليه عند بناء الكعبة لما ارتفع الجدار ، وهو ـ على المشهور ـ تحت المصلى المعروف الآن بهذا الاسم .

ومعنى اتخاذ مصلى منه : القصد إلى الصلاة عنده . فقد ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين » .

ومن العلماء من فسر مقام إبراهيم بالمسجد الحرام ، ومنهم من أطلقه على الكعبة لأن إبراهيم كان يقوم عندها لعبادة الله تعالى .

قال الإمام ابن كثير : « وقد كان هذا المقام - أى الحجر الذى يسمى مقام إبراهيم - ملصقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلى الحجر على يمين الداخل من الباب فى البقعة المستقلة هناك ، وكان الخليل - عليه السلام - لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة . . ثم قال : وإنما أخره عن جدار الكعبة إلى موضعه الآن عمر - رضى الله عنه - ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة[1] :

ثم قال - تعالى - : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾

عهدنا : أمرنا وأوحينا ، و﴿ أن ﴾ مفسرة المأمور به أو الموصى به المشار إليه بقوله : ﴿ عَهِدْنَآ ﴾ أى : أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى .

وأضاف - سبحانه - البيت إليه للتشريف والتكريم ومعنى تطهيره : صيانته من كل ما لا يليق ببيوت الله من الأقذار والأرجاس والأوثان وكل ما كان مظنة للشرك ، فالمقصود تطهيره من كل رجس حسى ومعنوى .

والطائفين : جمع طائف من طاف يطوف طوفا وطوافا إذا دار حول الشىء والمراد بهم : المتقربون إلى الله بالطواف حول الكعبة .

والعاكفين : جمع عاكف ، من عكف على الشىء عكوفا إذا أقام عليه ملازما له ، والمراد بهم : المقيمون فى الحرم بقصد العبادة ، ويدخل فى العبادة مدارسة العلوم الدينية وما يساعد على فهمها .
والركع السجود : الركع جمع راكع ، والسجود : جمع ساجد .

والركوع والسجود من هيئات الصلاة وأركانها ، فمعنى « والركع السجود » المصلون .
فالآية الكريمة جمعت أصناف العابدين فى البيت الحرام : وهم الطائفون وإن لم يكونوا مقيمين ، كمن يأتون لحج أو عمرة ثم ينصرفون .

والعاكفون الذين يقيمون فى الحرم بقصد الإكثار من العبادة فى المسجد الحرام . والمصلون يتقربون إلى الله بالصلوات سواء أكانت فرائض أم نوافل .
ولم يعطف السجود على الركع ، لأن الوصفين متلازمان ولو عطف لتوهم أنهما وصفان مفترقان .

ثم ساق القرآن بعد ذلك نماذج من الدعوات التى تضرع بها إبراهيم إلى ربه فقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ أى : أضرع إليك ياإلهى أن تجعل الموضع الذى فيه بيتك مكانا يأنس إليه

(1) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٧٠ .

الناس ، ويأمنون فيه من الخوف ، ويجدون فيه كل ما يرجون من أمان واطمئنان .

والمشار إليه بقوله : ﴿ هَٰذَا ﴾ مكة المكرمة . والبلد كل قطعة من الأرض عامرة أو غامرة . والمقصود بالدعاء إنما هو أمن أهله لأن الأمن والخوف لايلحقان البلد ، وإنما يلحقان أهل البلد .

قال الإمام الرازى : وإنما قال هنا ﴿ بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ على التنكير ، وقال فى سورة إبراهيم ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ على التعريف لوجهين :

الأول : إن الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلداً ، كأنه قال : اجعل هذا الوادى بلداً آمناً . والدعوة الثانية وقعت وقد جعل بلدا ، فكأنه قال : اجعل هذا المكان الذى صيرته بلدا ذا أمن وسلامة .

الثانى : أن تكون الدعوتان وقعتا بعد ما صار المكان بلدا ، فقوله : ﴿ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ تقديره : اجعل هذا البلد بلدا آمنا كقولك : كان اليوم يوما حارا ، وهذا إنما تذكره للمبالغة فى وصفه بالحرارة ، لأن التنكير يدل على المبالغة فقوله : رب اجعل هذا البلد بلدا آمنا معناه : اجعله من البلدان الكاملة فى الأمن . وأما قوله : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾ فليس فيه إلا طلب الأمن لا طلب المبالغة[٢] .

أما الدعوة الثانية التى توجه بها إبراهيم إلى ربه من أجل أهل مكة فقد حكاها القرآن فى قوله :

﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ .

أى : كما أسألك ياإلهى أن تجعل هذا البلد بلداً آمناً . أسألك كذلك أن ترزق المؤمنين من أهله من الثمرات ما يسد حاجاتهم ، ويغنيهم من الاحتياج إلى غيرك .

وقوله : « ارزق » مأخوذ من رزقه يرزقه إذا أعطاه ما ينتفع به من مأكول وغيره .

والثمرات : جمع ثمرة ، وهى ما يحمله شجر أو زرع أو غيره من النبات . وإنما طلب إبراهيم ـ عليه السلام ـ من الله أن يجعل مكة بلدا آمنا ، وأن يرزق أهلها من الثمرات بما يغنيهم لأن البلد إذا امتدت إليه ظلال الأمن ، وكانت مطالب الحياة فيه ميسرة ، أقبل أهله على طاعة الله بقلوب مطمئنة وتفرغوا لذلك بنفوس مستقرة .

وقال فى دعائه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ لأن أهل مكة قد يكون من بينهم كافرون ، فأراد تخصيص المؤمنين منهم بدعائه ، لذا اتبع قوله : ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ ﴾ بقوله : ﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم ﴾ على وجه

---

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ١ ص ٤٧٦ .

البدل فصار المعنى وارزق المؤمنين من أهله على ما تقتضيه القاعدة العربية من أن البدل وهو هنا ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ هو المقصود بطلب الرزق .

وخص إبراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم حرصاً على شيوع الإيمان بين سكان مكة ، لأنهم إذا علموا أن دعوة إبراهيم إنما هي خاصة بالمؤمنين تجنبوا ما يبعدهم عن الإيمان ، أو أنه خص المؤمنين بذلك تأدباً مع الله ـ تعالى ـ إذ سأله سؤالا أقرب إلى الإجابة ، ولعله استشعر من رد الله عليه عموم دعائه السابق إذ

قال : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ فقال : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ أن غير المؤمنين ليسوا أهلاً لإجراء رزق الله عليهم .

واقتصر على ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر في التعبير عن المؤمنين لأن الإيمان بالله واليوم الآخر لا يقع على الوجه الحق إلا إذا صاحبه الإيمان بكتب الله ورسله وملائكته .

ثم بين ـ سبحانه ـ مصير الكافرين فقال : ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

الضمير في ﴿ قَالَ ﴾ يعود إلى الله ـ تعالى ـ ومن في قوله ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ منصوب بفعل مقدر دل عليه « فَأُمَتِّعُهُ » . والمعنى : قال الله وأرزق من كفر وإيراد المتكلم قولا من عنده معطوفا على قول متكلم آخر مألوف في اللغة العربية ، ويحسن موقعه عندما يقتضي المقام إيجازا في القول ، ولولا هذا العطف لكان المعنى متطلبا لأن يقال : قال الله أرزق من آمن ومن كفر .

و﴿ أمتعه ﴾ : من التمتع وهو إعطاء ما ينتفع به . و﴿ قَلِيلًا ﴾ : وصف لمصدر محذوف في النظم ، والمعنى : أمتعه تمتيعا قليلا . ووصف التمتع في الدنيا بالقلة ، لأنه صائر إلى نفاد وانقطاع .

و﴿ أَضْطَرُّهُ ﴾ أي ألجئه وأسوقه بعد متاعه في الدنيا إلى عذاب لا يمكنه الانفكاك عنه وجملة ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ احتراس من أن يغتر الكافر بأن تخويله النعم في الدنيا يؤذن برضا الله فلذلك ذكر العذاب هنا .

﴿ وَبِئْسَ ﴾ فعل يستعمل للذم المرفوع بعده ، وهو ما يسميه النحاة بالمخصوص بالذم ، وورودت هنا للذم النار المقدرة في الجملة ، والمعنى : بئس المصير النار . أى أنها مصير سيء كما قال تعالى في آية أخرى .

﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾(٣)

---

(٣) سورة الفرقان : ٦٦ .

وقد أفادت الآية الكريمة أن الله يرزق الكافر في الدنيا كما يرزق المؤمن ، وإذا كان إمتاع المؤمن بالرزق لأنه أهل لأن ينعم عليه بكل خير ، فإمتاع الكافر بالرزق له حكم منها استدراجه المشار إليه بقوله تعالى :

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ولو خص الله المؤمنين بالتوسعة في الرزق وحرم منها الكافرين لكان هذا التخصيص سائقا للكافرين إلى الإيمان على وجه يشبه الإلجاء : وقد قضت حكمته ـ تعالى ـ أن يكون الإيمان اختيارياً حتى ينساق الإنسان من طريق النظر في أدلة عقلية يبصر بها أقوام ولا يبصر بها آخرون .

ثم حكى القرآن دعوة ثالثة تضرع بها إبراهيم إلى ربه فقال : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

القواعد : جمع قاعدة ، وهي أساس البناء الموالي للأرض ، وبها يكون ثبات البناء . ورفعها : إبرازها عن الأرض بالبناء عليها . والمراد بالبيت الكعبة .

والتقبل : القبول ، وقبول الله للعمل أن يرضاه أو يثيب عليه .

والمعنى : واذكر يا محمد ما صدر من الرسولين الكريمين إبراهيم وإسماعيل فقد كانا وهما يقومان برفع قواعد الكعبة يتضرعان إلى ويقولان : ياربنا تقبل منا أقوالنا وأعمالنا ، إنك أنت السميع العليم .

وتصدير الدعاء بندائه ـ سبحانه ـ باسم الرب المضاف إلى ضميرهما مظهر من مظاهر خضوعهما ، وإجلالهما لمقامه ، والخضوع له ـ سبحانه ـ وإجلال مقامه من أسنى الآداب التي تجعل الدعاء بمقربة من الاستجابة .

وعبر بالمضارع فقال : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ ﴾ مع أن رفع القواعد كان قبل نزول الآية ، وذلك ليخرجه في صورة الحاضر في الواقع لأهميته .

وختما دعاءهما بذكر اسمين من أسمائه الحسنى ، ليؤكدا أن رجاءهما في استجابة دعائهما وثيق ، وأن ما عملاه ابتغاء مرضاته جدير بالقبول . لأن من كان سميعا عليما بنيات الداعين وصدق ضمائرهم ، كان تفضله باستجابة دعاء المخلصين في طاعته غير بعيد .

ثم حكى القرآن جملة من الدعوات الخاشعات ، التي توجه بها إبراهيم وإسماعيل إلى الله ـ تعالى ـ فقال : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ .

مسلمين من الإسلام وهو الخضوع والإذعان ، وقد كانا خاضعين لله مذعنين في كل حال ، وإنما طلبا الثبات والدوام على ذلك ، والإسلام الذي هو الخضوع لله بحق إنما يتحقق بعقيدة التوحيد ، وتحري ما رسمه الشارع في العبادات والمعاملات ، والإخلاص في أداء ما أمر به ، واجتناب مانهى عنه .

وقوله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ معناه : واجعل ياربنا من ذريتنا أمة مخلصة وجهها إليك ، مذعنة لأوامرك ونواهيك .

ومن (من) للتبعيض ، أو للتبيين كقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾ . وإنما خص الذرية

بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة ، ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع ، ولأن صلاح الذرية مرغوب فيه طبعا ، والدعاء لهم بالصلاح مرغب فيه شرعا ، وقد حكى القرآن من دعاء الصالحين قوله ـ تعالى ـ :

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(٤)

﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أى : علمنا شرائع ديننا وأعمال حجنا ، كالطواف والسعى والوقوف . أو متعبداتنا التى تقام فيها شرائعنا ، كمنى ، وعرفات ، ونحوهما .

والمناسك : جمع منسك ـ بفتح السين وكسرها ـ بمعنى الفعل وبمعنى الموضع من النسك ـ مثلثة النون وبضمها وضم السين ـ وهو غاية العبادة والطاعة ، وشاعت تسمية أعمال الحج بالمناسك كالطواف والسعى وغيرهما .

﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ تسند التوبة إلى العبد فيقال : تاب فلان إلى الله ومعناها الندم على ما لابس من الذنب ، والإقلاع عنه ، والعزم على عدم العودة إليه ، ورد المظالم إن استطاع ، أو نية ردها إن لم يستطع وتسند إلى الله فيقال : تاب الله على فلان ، ومعناها حينئذ توفيقه إلى التوبة ، أو قبولها منه . فمعنى ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ وفقنا للتوبة أو تقبلها منا .

والتوبة تكون من الكبائر والصغائر ، وتكون من ترك ما هو أولى أو من تقصير يؤدى إلى خطأ فى الاجتهاد ، وعلى أحد هذين الوجهين ، تحمل التوبة التى يسأل الأنبياء والمرسلون ربهم قبولها أو التوفيق لها .

﴿ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ التواب : كثير القبول لتوبة المنيبين إليه ، وقبول توبتهم يقتضى عدم مؤاخذتهم بما يأتونه من سيئات ، ثم بعد تخلصهم من عقوبة الخطيئة أو المعاتبة عليها ينتظرون من رحمة الله أن تحفهم بإحسان .

وإبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ قد طلبا قبول توبتهما صراحة فى قولهما ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ ولوحا إلى طلب الرحمة بذكر اسمه الرحيم ، إذ الرحمة صفة من أثرها الإحسان ، فكأنهما قالا : تب علينا وارحمنا ، وهذا من أكمل آداب الدعاء وأرجاها للقبول عند الله تعالى .

ثم ختم إبراهيم وإسماعيل دعواتهما بتلك الدعوة التى فيها خيرهم فى الدنيا والآخرة ، فقالا ـ كما حكى القرآن عنهما :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

الضمير فى قوله : ﴿ فِيهِمْ ﴾ يعود إلى الذرية أو الأمة المسلمة فى قوله : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ ،

والرسول : من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه . وتلاوة الشىء : قراءته والمراد بقوله تعالى : ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ يقرؤها عليهم قراءة تذكير وفى هذا إيماء إلى أنه يأتيهم بكتاب فيه شرع .

---

(٤) سورة الفرقان: ٧٤.

والآيات : جمع آية ، والمراد بها ما يشهد بوحدانية الله ، ويصدق رسوله ـ ﷺ ـ فيما يبلغه عنه ، أو المراد بها آيات القرآن الكريم فهو يتلوها عليهم ليحفظوها بألفاظها كما نزلت ، ويتعبدوا بتلاوتها ، وليعرفوا من فضل بلاغتها وروعة أساليبها وجها مشرقا من وجوه إعجازها .

والكتاب : القرآن ، وتعلمه يكون ببيان معانيه وحقائقه ، ليعرفوا ما أقامه لهم من دلائل التوحيد وما اشتمل عليه من أحكام وحكم ومواعظ وآداب .

والحكمة : العلم النافع المصحوب بالعمل الواقع موقعه اللائق به . ووضعها بجانب الكتاب يرجح أن المراد بها السنة النبوية المطهرة التى تنتظم أقوال النبى ـ ﷺ ـ وأفعاله ، إذ بالكتاب وبالسنة يعرف الناس أصلح الأعمال ، وأعدل الأحكام وأسنى الآداب ، وتتفتح لهم طرق التفقه فى أسرار الدين ومقاصده .

ويزكيهم : أى يطهرهم من أرجاس الشرك ومن كل ما لا يليق التلبس به ظاهرا أو باطنا ، يقال : زكاه الله ، أى طهره وأصلحه ، ومنه زكاة المال لتطهره بها ، وأصل الزكاة ـ بالمد ـ النماء والزيادة ، يقال . زكا الزرع زكاء وزكوا ، أى نما .

والمعنى : ونسألك ياربنا أن تبعث فى الأمة المسلمة ، أو فى ذريتنا رسولا منهم يقرأ عليهم آياتك الدالة على وحدانيتك ، ويعلمهم كتابك بأن يبين لهم معانيه ، ويرشدهم إلى مافيه من حكم ومواعظ وآداب ، كما يهديهم إلى الحكمة التى تتمثل فى اتباع سنة نبيك ـ والتى بها يتم التفقه فى الدين ومعرفة أسراره وحكمه ومقاصده ، والتى يكمل بها العلم بالكتاب إنك يامولانا أنت العزيز الحكيم .

أى القادر الذى لا يغلب على أمره ، العالم الذى يدبر الأمور على وفق المصلحة ، ومن كان قادرا على كل ما يريد ، عليما بوجوه المصالح ، كانت استجابته قريبة من دعاء الخير الصادر عن إخلاص وابتهال .

وقد جاء ترتيب هذه الجمل فى أسمى درجات البلاغة والحكمة ؛ لأن أول تبليغ الرسالة يكون بتلاوة القرآن ثم بتعليم معانيه ، ثم بتعليم العلم النافع الذى تحصل به التزكية والتطهير من كل ما لا يليق التلبس به فى الظاهر ، أو الباطن .

وقد سأل إبراهيم وإسماعيل ربهما أن تكون بعثة الرسول فى ذريتهما فيكون أمر الإيمان قريبا منهم ، فإن نشأته بينهم ، ومعرفة سيرته قبل الرسالة وشهادتهم له بالصدق والأمانة ، وكل ذلك يحمل العقلاء على المبادرة إلى تصديقه فيما يبلغه عن ربه .

ولقد حقق الله تعالى دعوة هذين النبيين الكريمين ، فأرسل فى ذريتهما رسولا منهم ، وهو محمد ـ ﷺ ـ أرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا .

وقد أخبر ـ ﷺ ـ أنه دعوة إبراهيم ، فقال : (أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى بى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين يرين) .

(يتبع)

قبس من أنوار النبوة

عمل الصالحات

لفضيلة الشيخ :
على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن عمرو بن عبسة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رجل يارسول الله : ما الإسلام ؟ قال : أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك . قال : فأى الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان . قال : وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : فأى الإيمان أفضل ؟ قال : الهجرة : قال : وما الهجرة ؟ قال : أن تهجر السوء . قال : فأى الهجرة أفضل ؟ قال : الجهاد . قال : وما الجهاد ؟ قال : أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم . قال : فأى الجهاد أفضل ؟ قال : من عُقر جواده وأهريق دمه . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلها : حجة مبرورة ، أو عمرة مبرورة »[1] . رواه أحمد والطبرانى وغيرهما .

٢ ـ وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله ـ عز وجل ـ من هذه الأيام . يعنى أيام العشر قالوا يارسول الله : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء »[2] . رواه البخارى والترمذى وأبو داود .

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : مثار

(١) أخرجه أحمد ١١٤/٤ فى حديث عمرو بن عبسة رضى الله عنه . وأخرجه عبدالرزاق برقم ٢٠١٠٧ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (مسند عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ، ٢٢٤/١ وابن ماجه فى سننه برقم ١٧٢٧ والترمذى فى جامعه برقم ٧٥٤ ط دار الفكر ـ بيروت .

الهداية إلى كل خير وبر ، وداعية الهدى والرشاد والإرشاد إلى سعادة الإنسان فى دنياه وأخراه . وحامل مشعل السماء يرسل منه الضياء وإلى آفاق الدنيا ، فهو - صلى الله عليه وسلم - يحرص كل الحرص على أن يكثر فى الناس أصحاب القلوب النقية الطاهرة ، والنفوس الزكية ، والإرادة التى تغلب على نوازع الهوى ، ودوافع الشهوة حتى يرتفع أهل الإيمان إلى مستوى الأبرار الذين يصبح وجودهم مادة الحياة ، وغذاء الإنسانية الحقة ، يحبون الخير ويبادرون إليه ، ويكرهون الشر ويبتعدون عنه . يعملون الصالحات بصدق وإخلاص لله رب العالمين ، وتجرد للحق ، وإنكار للذات . يوقنون أن الصدقة لايقبلها الله إلا إذا طهرت نفس المتصدق من شوائب الهوى والغرض ، وكانت خالصة لوجه الله .

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٣)

لقد نودى احد المتصدقين المخلصين - مع أن صدقته وقعت فى يد سارق وزانية وغنى - بأن الله قد قبل صدقتك . .

جاء فى الحديث القدسى الذى يرويه النبى - صلى الله عليه وسلم - عن ربه :

« إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل بها على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس ، أكلؤه بعزتى ، وأستحفظه ملائكتى ، وأجعل له فى الظلمة نورا ، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة »(٤) البزار عن ابن عباس .

إن الدين بالنسبة للإنسان كالروح بالنسبة للجسد ، إنه الحارس الأمين لمسيرة النفس فى طريق الحياة . إن الدين كله سمو وعلو وصلاح ورحمة وهداية وعمل ، إنه عقيدة راسخة ، تحمل صاحبها على قول الحق وعمل البر . وهذه العقيدة النقية أساس لما بعدها من العبادات والمعاملات والسلوك .

والدين إذا صح فى صاحبه ولَّدَ لَدَيْهِ الحراسة الذاتية فيصبح رقيبا ومحاسبا لنفسه ، لا ينتظر حكم قانون ، ولكنه بضميره الخائف من الله المستشعر لعظمته يفعل الخير ويترك الشر أملا فيما عند الله من حسن الثواب .

وليس الدين عبادات أو طقوسا معزولة عن الحياة ، ولكنه متغلغل فى كل مرافق الحياة ، ويلازم صاحبه أينما حل أو سار ، وتوجيهاته تشمل العقيدة والعبادة والمعاملة والعلاقات الخاصة والعامة والحرب والسلم ، والحب والبغض ، والعمل والعلم والمصاحبة والمفارقة .

ولنستمع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله الذى لا يفطر نهاره ، ولا ينام ليله »(٥) .

حيث يعتبر القائم فى خدمة المواطنين لاسيما الضعفاء منهم لا يقل أجراً عن المجاهدين

---

(٣) سورة الإنسان آية : ٩ .

(٤) مجمع الزوائد للهيثمى ، ١٤٧/٢ وقال : رواه البزار . وفيه عبدالله بن واقد الحرانى ، ضعفه النسائى والبخارى وإبراهيم الجوزجانى وابن معين فى رواية ، ووثقه فى رواية ، ووثقه احمد وقال : كان يتحرى الصدق ، وانكر على من تكلم به ، وأثنى عليه خيرا ، وبقية رجاله ثقات .

(٥) أخرجه البخارى ٨٠/٧ كتاب النفقات ، عن أبى هريرة ، ومسلم فى صحيحه (كتاب الزهد والرقائق) ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ٢٢٨٦/٤ برقم ٢٩٨٢/٤١ .

العابدين . ولنسمع هدى الرسول الكريم حيث يقول :

« من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة ، وسعيا على عياله ، وتعطفا على جاره ، لقى الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر »[٦] .

فانظر أيها المؤمن لتقدير الإسلام لمن يعمر الحياة ، وطلب المعيشة وإكرام الجار ، والاستغناء عن مد اليد بمذلة .

إن فى القرآن الكريم سورة اسمها (الماعون) يقرر الله فيها أن إهانة اليتيم ، وإهمال المسكين ، من علامات التكذيب بيوم الدين ، وأن المصلى ينبغى له أن يصون صلاته بمداومة العمل الصالح وترك كل معصية . أما إذا صلى الفرض ثم أفسد فى الأرض وهتك العرض فما صلى ولا عبد ، ولاثمرة لطاعته لأن الصلاة الصحيحة قال عنها ربنا :

﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[٧]

لقد حكم الله فى سورة « الماعون » بالويل كل الويل لمن يرائى الناس بعمله ولا يؤديه ابتغاء وجه الله ، ثم الويل كل الويل لمن يمنع الماعون الذى هو كل مجالات التعاون بين الناس ، فمانعه مع القدرة عليه وعدم المضرة ممن يكذب بيوم القيامة ـ وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم .

وإن الإسلام يحث ـ فى القرآن والسنة ـ على البيع والشراء والتزوج والزراعة والصناعة والتجارة والعمل المتقن الجيد ، ويحث على جهاد الأعداء المحتلين لديار المسلمين ، ثم هو بر بالوالدين وصلة للأرحام وإكرام للجار ورحمة بالمعوزين ، وتعاون على البر والتقوى ، وإصلاح بين المتهاجرين وصبر واحتمال فى الأزمات ، وشكر وعرفان عند النعمة .

إن الإسلام فرض فرائض وأمر بأدائها ، وحد حدودا ونهى عن انتهاكها ، وبين لنا أن لله فى أيام دهرنا نفحات ودعانا أن نتعرض لها فلعل نفحة منه تصيبنا فلا نشقى بعدها أبداً .

وإذا كان حجاج بيت الله يرفلون فى نعيم العبادة والطاعة حيث يباهى بهم ملائكته ويغفر لهم الذنوب .

فإنه يدعونا أن نشاركهم الخير بأن نعمل الصالحات فى شتى صورها حتى نحظى بعظيم الثواب .

إن يوم عرفة يقول فيه الرسول الكريم : « وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ويباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول : انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى ، فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة »[٨] .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن لم يسعد برفقة الحجيج .

« صيام يوم عرفة احتسب على الله أنه يكفر ذنوب سنتين : ماضية وباقية »[٩] .

---

(٦) الحديث أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/١١٠ عن أبى هريرة وفى نفس المصدر ٨/٢١٥ وقال : غريب من حديث مكحول ، لا أعلم له راويا عنه إلا الحجاج بن فرافصة . وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ٧/١٦ ، ١٧ رقم ٢٢٢٨ .

(٧) سورة العنكبوت آية : ٤٥ .

(٨) رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/٢٥٣ عن جابر . وقال : رواه أبو يعلى . وفيه محمد بن مروان العقيلى ، وثقه ابن معين وابن حبان . وفيه بعض كلام . وبقية رجاله رجال الصحيح . ورواه البزار إلا أنه قال : « أفضل أيام الدنيا أيام العشر .... » .

(٩) أخرجه مسلم فى (كتاب الصيام) ضمن حديث طويل عن أبى قتادة ٢/٨١٨ ، ٨١٩ برقم ١٩٦/١١٦٢ وابن ماجه برقم ١٧٣٠ ، ١٧٣١ مع اختلاف يسير فى اللفظ .



الحج امتثال لأمر الله تعالى

لفضيلة الشيخ:
محمد حافظ سليمان

الحج ركن من أركان الإسلام : وهو عبادة بدنية ومالية : وهو تلبية للدعوة الإلهية يلبيها من كتب الله له أداء هذا الفرض المقدس ليزداد به إيمانا بربه وتوفيقا ، وفي الحج إشراقات نورانية يحس بها أصحاب الإيمان السليم ، والخلق القويم ، والسلوك المستقيم : وهم الذين أسلموا وجوههم لله فأمدهم ربهم بشفحات وتجليات وخير ورحمات ، تمنح للأبرار المتقين الأخيار الذين سلم دينهم وقوى يقينهم ، فامتلأت قلوبهم حبا لله ورسوله ، فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل فراقبوه سرا وعلانية :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(1).

ولقد علم المتقون أن الحج المبرور جزاؤه الجنة فاستعانوا بالله وتجردوا من كل ماسواه ، وأقبلوا عليه وذهبوا إليه تائبين عابدين مطيعين خاشعين لله رب العالمين ، تهتف ألسنتهم بصوت قوى جهورى يصعد إلى السماء ، ملبين قائلين مقبلين إلى ربهم جئناك يارب نسعى إليك ، ووقفنا ضارعين بين يديك وعفنا :

(1) سورة البينة آية : 5 .

[لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك] ، وهذه التلبية التى يهتف بها الملايين من المسلمين ترد الناس إلى فطرتهم السليمة النظيفة ، والتلبية شعار المؤمنين فى عبادتهم : لأن العبادات كلها ذات هدف واحد ، وإن اختلفت صورها وأوقاتها ومقاديرها ، فهى تلتقى عند غاية واحدة هى تحقيق معنى العبودية بالإخلاص لله وحده ، والتخلص من سلطان الحظوظ البشرية المعتمة :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾(٢) .

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٣) .

وستظل التلبية استجابة لله فى كل ما جاء به الإسلام ، وللإسلام حقوق على المسلمين هى الواجبات عليهم لدينهم ، فإذا أداها المسلمون كانوا خير أمة أخرجت للناس ، ولقد كانت التلبية شعارا مشروعا فى الحج لأهميته فى تطهير النفوس من عالم الظلم والبغى والطغيان ، والنزوع بها إلى عالم الخير والبر والإحسان ، وكأن الملبى يقول : يارب . أنا عبدك الواقف ببابك ، الخاضع لأوامرك ، المقيم على عهدك ما استطعت فأعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وتب على ياالله يا أرحم الراحمين .

البيت العتيق العريق

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٤) .

بيت الله العتيق هو البيت الذى تهوى إليه أفئدة الناس من كل فج عميق للحج والعمرة ، وهو أول بيت وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين . فهو أشرف بقعة فى أرض الله ، وهو الحرم الآمن الذى تولى الله حمايته ورعايته من قديم الزمن (ومن دخله كان آمنا) . وفى ظل بيت الله المحرم ومن حوله شاء الله أن تكون مكة البلد الأمين التى أسبغ الله عليها نعمه ظاهرة وباطنة فتجبى إليها وحول هذا الحرم الآمن ثمرات كل شىء والطيبات من الرزق ، فى واد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ، وهذا ببركة دعوة سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ (وارزق أهله من

◄

(٢) سورة الأنعام آية : ١٦٢ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٧٩ .
(٤) سورة البقرة آيات : ١٢٥ ـ ١٢٩ .

الثمرات) ، فأصبحت مكة بلدا آمنا ، وصارت ملتقى الوافدين إليها من بلاد العالم تهوى بهم القلوب إلى الله علام الغيوب ، وغفار الذنوب ليكونوا فى ضيافة الرحمن فى أيام الحج الأكبر تلبية لدعوته إلى ساحته المباركة المكرمة ليعبدوا الله مخلصين له الدين : ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق تائبين خاشعين لله رب العالمين ، ملتمسين منه العفو والغفران والرحمة والرضوان ، وفى يوم عرفات ترى الأمة الإسلامية أمة واحدة فى يوم واحد فى مكان واحد يتضرعون إلى إلههم الواحد الرحمن الرحيم ، فى يوم الصفاء والنقاء والتبتل والدعاء ، وقلوبهم يملؤها الإيمان الصادق واليقين الثابت والعبودية المخلصة لله وحده لا شريك له .

الصفا والمروة من شعائر الله

كان للعرب فى جاهليتهم صنم على الصفا يسمى « إسافا » وعلى المروة صنم يسمى « نائلة » وكانوا يستلمونها ويتمسحون بها فى أيام الجاهلية فلما جاء الإسلام وجاء معه نصر الله والفتح تحطمت الأصنام وزالت ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً وأفرادا لكن بعض المسلمين كان يرى حرجا أن يسعى عند مكان الصنمين ، فنزل قول الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ﴾(٥) .

فلا جناح ولا حرج فى السعى ، بل هو نسك من مناسك الحج ، ومن شعائره الدينية فى الحج وفى العمرة والشعائر معالم لطاعة الله وعبادته وفى أدائها امتثال لأمر الله ، وجاء فى الصحيحين أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله ، ثم جهاد فى سبيل الله ، ثم حج مبرور » .

والحج من الأركان الإسلامية التى يقوم عليها الإسلام ومن قواعده الخمس ، وللحج فى كتب الفقه تفصيل لشروط وجوبه وصحته ومحظوراته وآدابه وواجباته وسننه وترتيبات أعماله فى أوقاتها وأماكنها إلى غير ذلك لمن شاء الاستزادة العلمية .

لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج

﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ﴾(٦) .

بهذه الآية الكريمة فرض الله على المحرم أن يكون وديعا مهذبا مسالما لا يخاصم أحدا ، لأن الحاج ينتقل بجسده وروحه وقلبه وحسه ونفسه فارا إلى الله مهاجرا إلى ربه من أجل دينه ، وفى رمى الجمار مطاردة للشيطان ، يقول الله تعالى :

﴿ واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴾(٧) .

---

(٥) سورة البقرة آية : ١٥٨ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٩٧ .
(٧) سورة البقرة آية : ٢٠٣ .

والله يقول : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[8] .

الحج فريضة وطاعة وروح وطاقة

إذا كانت أعمال الحج ومناسكه التى يعرفها المسلمون هى التجرد من لبس المخيط لارتداء ملابس الإحرام من المواقيت ، والطواف حول الكعبة ، والسعى بين الصفا والمروة . والوقوف بعرفات والمشعر الحرام ورمى الجمار وذبح الهدايا والحلق أو التقصير إذا كانت أعمال الحج كذلك ، كما يعرفها الناس لكنها فى حقيقتها صور حية لمعان سامية تكمن فى صورها ، وهى معنى الحج ومقاصده وأهدافه وغايته .

الإحـرام

هو أول مناسك الحج ومعناه : التجرد من شهوات النفس وأهوائها وأنانيتها ونزواتها لتتجه إلى ربها الذى يعلم ما تكسب كل نفس فلا تفعل إلا ما يرضى الله لتسير فى سلوكها بخطوات سديدة موفقة لا تزل ولا تضل ليكون المسلم إنساناً بجسده ملكا بروحه وعمله يحترم حقوق الآخرين بأمانة ، فلا يطغى امرؤ على آخر ، ولا جماعة تبغى على جماعة ، فالناس إخوة فى الإنسانية وكلهم أبناء آدم ، ولكن الإنسان إنسان بخلقه وأدبه وسلوكه ، وإنك لتجد مظهر المحرمين مظهر المساواة فى أكمل صورها وأجمل معانيها التى جاء بها الإسلام القيم فى شرائعه الخالدة ، وفى التنسيق بينها من أجل سعادة البشر ، والمسلمون يتجمعون على الطاعة ويتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، فلا مكر ولا غدر ، ولا طمع ولا جشع ، لكنه الأمن والعدل ومراقبة الله فكم فى الحج من لقاءات ومؤتمرات طاهرة وظاهرة لا أنانية فيها ولا غرور ، ولكنها تمهيد لروح التسامح والتناصح والتعاطف ، فى ظل الأخوة الإسلامية بينهم ، وبإدراكنا لمقاصد الحج يبدو لنا أن الإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا رحماء بينهم ، دينهم واحد وأمتهم واحدة ، وقبلتهم واحدة ، وربهم واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، وهو يأبى لعباده المؤمنين أن يكونوا ضحية للغادرين المعتدين من أجل هذا قال الله للمسلمين :

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[9] .

وحسب من اتبع هداه أن الله معه .

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[10] .

وأما الطواف حول الكعبة فيعنى التفاف القلوب حول أوامر الله ذى الجلال والإكرام :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[11] .

﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[12] .

فلا إله غيره ولا رب سواه : ولا يقال لغيره ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

(8) سورة البقرة آية : 215 .
(9) سورة الأنفال آية : 46 .
(10) سورة البقرة آية : 194 .
(11) سورة الحديد آية : 4 .
(12) سورة طه آية : 7 .



لفضـيلة الشيـخ:
معـوض عـوض إبراهيـم

لقد أوتى رسول الله - ﷺ - جوامع الكلم ، ونوابغ الحكم ، علمه الله ما علمه وألهمه ما امتن به - سبحانه - عليه فقال :

﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾(١)

وقال :

﴿ وما ينطق عن الهوى ۝ إن هو إلا وحي يوحى ﴾(٢)

والناظر فى قول الرسول - ﷺ - : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»(٣) يجد أن الرسول - ﷺ - بدأ هذه الجوامع الخمسة بكلمة التوحيد وشهادة الإخلاص ، باعتبارها وما استتبعت من الشهادة لسيدنا محمد - ﷺ - بالرسالة أساس الدين ، وأصل الملة ، والمنطلق إلى ما أوجب الله على عباده ، وبما ألزمهم من أوامره أخذا وتركا ، وإلا كانت كل عبادة لا تنبثق عنها ، ولا تنطلق منها ردا على ذويها .

إن « لا إله إلا الله » نفى لما سوى الله ، وإثبات لألوهيته وحده :

﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾(٤)

---

(١) سورة النساء : ١١٣ .
(٢) سورة النجم : ٣ ، ٤ .
(٣) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .
(٤) سورة الأعراف : ٥٤ .

ورضى الله ـ عن أبي حفص عمر أمير المؤمنين ، فطالما قرأ هذا الخبر الإلهى ثم نادى : « أيها الناس ، من كان له شيء وراء هذا فليطلبه » .

وأى شيء وراء الخلق والأمر إلا الوهم ، وسوء الفهم ، والتمنى الذى لا يغنى من الحق شيئا ، وقد فطن إلى مفهوم هذا الخبر من قال :

ويقول مالى من يقول واعبدى
مه ، فالعبيد لربنا والدار

وفيها أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ـ رضى الله عنها : أن نوحا ـ عليه السلام ـ وصى أولاده فى آخر عمره بوصايا كان منها : أن « لا إله إلا الله » لو وضعت فى كفة ميزان ، ووضع مقابلها الأرضون السبع وما أقلت ، والسموات السبع وما أظلت لرجحت « لا إله إلا الله » .

ومرة أخرى فكم نجل ونعظم ونحن نشهد معها أن « محمدا رسول الله » ﷺ ـ ما ترك شيئا يقربنا من الله إلا أمرنا به ، ولا شيئا يبعدنا عن الجنة إلا حذرنا منه ونهانا عنه ، وانظر فى هذه الأركان الخمسة كيف فرضها الله ، وكشف عن غاية ما أراد من طاعته ، والقيام بحق عبادته كما قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[5]

إنه الغنى الحق فى معرفة الله .. والإمام الجليل عبد الله بن المبارك يقول :

ما يفعل المرء بعز الغنى
والعز كل العز للمتقى
من عرف الله ولم تغنه
معرفة الله فذاك الشقى

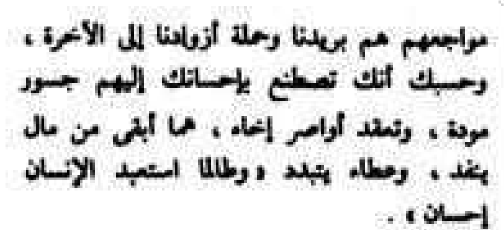
وتكاليف الصلاة « ثانية الإسلام » و « معراج المؤمن » التى يكون المرء فيها « أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد » والتى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وبدورها العامل فى شد عزاك ، وإحكام وثاقك بالذين يقومون منك عن يمين وشمال ، ومن بين يديك ومن خلفك ، والتى تجد منها راحة القلب ، وسكينة النفس كلما فزعت إليها ، إذا حزبك أمر ، أو حزنك شأن ، تأسيا برسول الله ـ ﷺ ـ فى ذلك ، والتماسا لما كان يرجوه منها وهو ينادى بلالا ـ رضى الله عنه ـ « أرحنا بها يابلال »[6] .

والذين يجدون حلاوة المناجاة فى الصلاة ، ويمضون بها صفوفا إلى ميادين العمل ، ومقتضيات الاستخلاف فى إبلاغ الحياة كمالها الممكن ، يؤدون فريضة الصوم على النحو الذى ينشط قلوبنا ومشاعرنا وخواطرنا وجوارحنا جميعا ، آخذين من كل ذلك ملكات الصبر ، والمراقبة ، والهيمنة على ألسنتنا ، فلا نقول زورا ، وعلى أيدينا وطاقاتنا الأخرى فلا نأتى فجورا ، ثقة منا بأن الصوم سر بين العبد وربه ، ولهذا استخلصه لنفسه ، ووعد بالجزاء عليه ، وكل خير منه ـ جل شأنه ..

وصوم على هذا الغرار تبسط به الأيدى بإخراج الزكاة وإعطاء الحق المعلوم ، والإنفاق فى سبيل الله ما واتت فرصة ، وأنت تستحضر أن هؤلاء الذين تكفكف مدامعهم ، وتخفف ◄

(5) سورة الذاريات : 56 ـ 58 .

(6) مجمع الزوائد : 1 ، 45 .


مواجعهم هم بريدنا وحملة أزوادنا إلى الآخرة ، وحسبك أنك تصطنع بإحسانك إليهم جسور مودة ، وتعقد أواصر إخاء ، هما أبقى من مال ينفد ، وعطاء يتبدد « وطالما استعبد الإنسان إحسان » .

ويرى المؤمن الركن الخاتم من أركان الإسلام خليقا بأن تقول معه :

﴿ ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾(٧)

فعلى قدر جلالة الصلاة ، وعظمة الصيام ، وفضل الزكاة ـ وهى طهرة للأنفس من الشح والأثرة وقبض الأيدى عن إغاثة الملهوف ، وإسداء ما تلح من ظروف الآخرين إليه من بر ومعروف ـ على قدر هذه الجلائل وتلكم التكاليف التى قد يكون السفر عذرا فى أدائها قصرا وجمعا فى الصلاة ، أو رخصة فى الترك كالإفطار فى أيام الظعن والارتحال فى بلاد الله لخير خاص أو عام يقره الإسلام ، ويشرع له بديلا من الإفطار الضرورى قضاء أيام السفر والمرض ، أو فداء من طعام مسكين عن كل يوم للرجل المسن والمرأة كذلك ، ولأصحاب الأعمال الشاقة ، قال الله فيهم :

﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾(٨)

ويكون الحج سفراً ، وتخليا عن الأولاد والأهل والأموال ومألوف العادات المشروعة ، من فراش وثير ، واستحمام ، من أداء واجبات أدبناها ، ويأخذ الحاج من الميقات المكانى والزمانى اللباس الخاص من إزار ورداء قد يعذر عنهما عذر ، ويلزم عندئذ دم ، وياله من دين يقبل الأعذار ، ويراعى ظروف المكلفين !!

إنه الحج الذى أوجبه الله على أقوام يجدون الاستطاعة المادية والبدنية والاجتماعية ، ويكون أمن الأسرة ، وأمن الطريق ، وأداء المناسك فى الاعتبار والتقدير ، وأن يرتفع الحجيج إلى الوعى لما ابتغوا من حجهم ، والارتفاع إلى مستوى :

﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾(٩)

وفى القمة من ذلك نعمة التقاء المسلمين من كل جنس ولون ولسان ، ومن كل فج عميق ، يسأل كل واحد منهم نفسه جذلان فرحا :

أبطحاء مكة هذا الذى ٠٠ أراه عيانا وهذا أنا ؟

وترجع الجبال أصواتهم وهم يقولون : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » وهم يجملون الحياة بما وسعت دبر الأذان ، وخلف الظهور ، غنى بالحظوة الكبرى فى خير البقاع وأشرف المنازل ، وأبر الدور فى البيت العتيق ، والكعبة المشرفة والبلد الآمن فى ذاته وفيما حوله ، وفيمن وفدوا إليه وأقبلوا عليه :

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ۝ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾(١٠)

وأكرم بالأمن حين يكون مناخا للمؤتمر الأكبر

---

(٧) سورة المطففين : ٢٦ .
(٨) سورة البقرة : ١٨٤ .
(٩) سورة الحج : ٢٨ .
(١٠) سورة آل عمران : ٩٦ ، ٩٧ .

الذى لا تعرف الحياة ولن تعرف دنيا الحضارة مثله فى طهره وبره ودواعيه وغاياته حين يعود ضيوف الرحمن منه ، وقد غفر الله الذنوب ، وطهر القلوب ، وألف الأرواح على الأرواح ، واستبان طريق المسلمين إلى التعاون على البر والتقوى وتبادل المنافع المادية والثقافية فى نور الإسلام ، وصادق هداياته التى تأبى السلبية ، وتنكر الفردية ، وتتوارى فيها إلى الأبد عبادة الذات والصوالح الخاصة ولغة : « أنا وبعدى الطوفان » فلا كان من عاش لنفسه فقط ، وإن هلك الناس ، ولا حج لمن لم يطهر الحج نفسه من الكبرياء والاستعلاء على الآخرين ونسيان أنه وإن علا فى مدارج الحياة مكانه وعظم سلطانه مخلوق مثلهم من ماء وطين ، وأن نسبه وإن كان من هاشم لن يغنى عنه شيئا إذا كانت النفس من باهله فإنما أصل الفتى ما قد حصل بما عملت يداه وصنعت جوارحه ، ورضى الله عن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب ، فقد قال :

لسنا وإن أحسابنا كرمت
يوما على الآباء نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

ألا ما أكثر ما نفيده من الفريضة الخالدة من دروس ونحن نتلقى السمع لمناسك الحج ابتداء من الميقات المكانى ، ومرورا بهذه المواقع التى عرفت ـ فى أقل القليل ـ سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ ولهذا ورضيعا فى مكة وفى بنى سعد ، وحتى تعاهده مولاه ـ عز وجل ـ مذ شب عن الطوق ، وبلغ الحلم ، ورعى الغنم لقومه ، وكان يتمه وحرمانه من أبويه من أنعم الله التى ترادفت عليه ، وهو ـ سبحانه ـ يمن على مصطفاه فيقول :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ ﴾(١١)

ليكون ـ صلوات الله عليه ـ أهلا لرعاية ذلك للآخرين وللدعوة إليه فيما أمره الله به من فضائل فقال :

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(١٢)

وفى خطبة الوداع فى اللحمة الواحدة التى لم تتكرر فى أعمال رسول الله ـ ﷺ ـ مبادىء الهدى وقيم الصلاح والإصلاح ، وركائز الخير جميعا ، على نحو تكمل به عقيدة التوحيد ، وتصح عبادة الله ، ويصلح السلوك الأهدى الذى لا تزكو بدونه الحياة ، فخذوا ذلك ومثله معه أيها الحجيج من هواتف منى وعرفات ، وأقيموا قواعد حياتكم على ذلك ، لتكونوا مرة أخرى :

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١٣)

﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾(١٤)

---

(١١) سورة الضحى : ٦ ـ ٨ .
(١٢) سورة الضحى : ٩ ـ ١١ .
(١٣) سورة آل عمران : ١١٠ .
(١٤) سورة محمد : ٣٥ .

بيت الله الأول في الأرض

لفضيلة الشيخ:
عبد الفتاح سيد جمعان

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾(١)

أما أول بيت لله فى السماء فهو البيت المعمور الذى أقسم الحق ـ سبحانه وتعالى ـ به على أن عذابه واقع لا محالة بالمكذبين فقال ـ عز من قائل ـ

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾(٢)

وبين البيتين السماوى والأرضى أوجه تشابه عدة فكل واحد منهما وضع لعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكل منهما تكون العبادة فيه بالطواف حوله إلا أن الطائفين بالأول من ملائكة الله المكرمين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والطائفين بالثانى من البشر الذين يتشبهون بالملائكة فى تجردهم وسموهم وصفائهم .

ومن أوجه التشابه بين البيتين أن الأرضى بإزاء السماوى لو خر خر عليه كما جاء فى الأثر وكل واحد منهما يوصف بالمعمور ، فبيت السماء تعمره الملائكة ، وبيت الأرض يعمره عباد الله الطائفون فلا يرى خاليا من الطائفين فى لحظة من لحظات الزمان ، حتى قيل : أنه لما غمر السيل المسجد الحرام طاف الناس حول البيت سابحين وراكبين فلكا صغيرة .

(*) الكاتب : مدير عام شئون القرآن الكريم بالأزهر الشريف .

(١) سورة آل عمران آية : ٦ .

(٢) سورة الطور الآيات من : ١ ـ ٨ .

والبيت الذى وضعه الله للناس فى الأرض هو الذى أمر المسلمون فى كل زمان ومكان أن يحجوه وأن يتوجهوا فى صلاتهم إليه ضمانا لتوثيق الصلة به ورمزا للتوجه إلى الله.

إنه أحب بقاع الأرض إلى الله ورسوله، ولذلك جعله مثابة للناس وأمنا وجعل ما حوله حرما آمنا

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾(٣)

ومن مظاهر حرمته وعظمته أن جعل الله الأفئدة تهوى إليه والقلوب تشتاق لزيارته والأرواح تهفو إلى ساحته الشريفة تحقيقا لدعوة أبى الأنبياء عليه السلام.

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٤)

لقد جاء فى بعض الآثار أن الملائكة أول من بنى هذا البيت ثم جدد بناءه أبو البشر آدم ـ عليه السلام ـ ثم انطمست معالمه بعد الطوفان فبين الحق ـ سبحانه ـ لسيدنا إبراهيم مكانه فقام بتجديده يعاونه فى ذلك ولده إسماعيل عليهما السلام

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾(٥)

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٦)

ولما فرغ إبراهيم من البناء أمره الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أن يؤذن فى الناس بالحج فقال ـ صلوات الله عليه ـ وكان قد جاوز المائة من عمره: «يارب وما يبلغ صوتى؟» فقال له ربه: «إنما عليك الأذان وعلىّ البلاغ». فنادى فى صوت ضعيف لا يكاد يسمعه القريب منه «أيها الناس قد بنيت لله بيتا فحجوا إليه» فأمد الله فى هذا الصوت وقواه حتى بلغ مستقر الأرواح من أصلاب الرجال وأرحام النساء فإذا بعض الأرواح تجيب من وراء الغيب «لبيك اللهم لبيك»

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(٧)

ولقد أراد الخليل ـ صلوات الله عليه ـ أن يجعل للناس معلما يبدأون الطواف منه، فطلب من ولده إسماعيل أن يأتيه بحجر متميز يختلف عن بقية الأحجار، ليكون مبدأ للطواف فمضى يبحث عن هذا الحجر وأبعد فى طلبه، فلما وجد أباه وضع الحجر الأسود مكانه فسأله من جاءك بهذا الحجر فأجابه «من لم يكلنى إليك».

روى أن جبريل ـ عليه السلام ـ أتاه به من السماء فهو الحجر السماوى الوحيد فى الأرض وهو الأثر الباقى من بناية إبراهيم إلى الآن وهو الحجر الأوحد الذى تضامت له شفتا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومال ليقبله وتبعه فى ذلك الصحب الكرام وسائر المسلمين حتى اليوم وإلى قيام الساعة مع اعتقادهم أنه حجر لا يضر ولا ينفع بذاته ولقد أحسن بعض الشعراء تصوير هذا المعنى فقال:

◆

(٣) سورة العنكبوت آية: ٦٧.
(٤) سورة إبراهيم آية: ٣٧.
(٥) سورة الحج آية: ٢٦.
(٦) سورة البقرة آية: ١٢٧.
(٧) سورة الحج آية: ٢٧.

الحجر الأسود قبلته
بشغف قلبى وكله وله
لا لاعتقادى أنه نافع
بل لهيامى بالذى قبله
محمد أطهر أنفاسه
كانت على صفحته مرسله
قبله والنور من ثغره
يشرق آيات هوى منزله
قبلت ما قبل ثغره الناطق
بالوحى ابتغاء الصله

ومنذ أن أتم إبراهيم ـ عليه السلام ـ هذا البناء المقدس ظل العرب وكثير غيرهم فى بعض الأحيان يعظمون هذا البيت ويحجون إليه حتى بعد أن حادوا عن ملة إبراهيم إلى الوثنية المقيتة وظل مقصد الناس ومثابتهم من كل جنس ولون يتوجهون إليه فى عبادتهم ويقطعون الفياق والقفار ويجتازون الأنهار والبحار لأداء النسك ومحو الذنوب والآثام وعظمت مكانة البيت فى نفوس العرب ، لأنه حرمهم الآمن ومناط عزهم وآية فخرهم .

وظلت عناية الله تكلأ هذا البيت وتحرسه على مر الدهور من كل سوء يراد به أو كيد يدبر له فعندما أراد أبرهة الأشرم أن يهدمه ليصرف الناس عن حجه ليحجوا إلى بيت بناه فى اليمن وجمع لذلك جوعه وساق الفيلة لهدمه انتقم الله منه ومزق جيشه شر ممزق بأن

﴿ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[8]

فرد الله كيد أبرهة وجيشه إلى نحوره حيث جعله الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى تضليل .

وهكذا كان مصير أبرهة وجيشه بعد أن ساقه الغرور والصلف إلى هذا العمل الكريه وظن أن الأمر لن يكلفه سوى رحلة إلى مكة يعود بعدها وقد شفى سخيمة نفسه وأفرغ حقد قلبه بهدم الكعبة المشرفة ولم لا والعزيمة مؤكدة والقوة متوافرة وما درى أن للبيت ربا يحميه .

لقد حمى رب البيت بيته ، ليظل حرماً آمنا ، وليبقى مثابة للعالمين إلى يوم يبعثون وليدوم لقريش إيلافها لرحلات الصيف والشتاء فيتسنى لهم أن يقوموا على عبادة رب البيت :

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[9]

وبعد هذا الحادث الذى كان إرهاصا لميلاد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ زاد تعلق العرب ومن جاورهم بالبيت الحرام وعظمت مكانته فى نفوسهم فعزموا على تجديد بناء الكعبة بعد أن صدعها السيل وبذلوا فى ذلك حر مالهم وخالص جهدهم متنافسين فى هذا العمل الشريف ، ووصل البناء إلى مكان الحجر الأسود فتنازعوا أيهم يكون له شرف وضع الحجر مكانه فكل بطن من بطون قريش يزعمون أنهم أفضل وأولى من غيرهم بهذا الشرف وكادت الحرب تنشب بينهم لولا أن رحمة الله ـ تعالى ـ أدركتهم فحكموا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحسم هذا النزاع فبسط رداءه ووضع الحجر بيديه الشريفتين عليه ثم جعل كل

---

(٨) سورة الفيل الآيات من : ٣ ـ ٥ .

(٩) سورة قريش الآيات من : ١ ـ ٤ .

زعيم منهم يمسك بطرف من أطراف الرداء ورفعوا الحجر وساروا به حتى وصلوا إلى مكانه من البناء فتناوله بيديه الكريمتين ووضعه مكانه .

لقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ حج هذا البيت الحرام تتويجا لعبادات الإسلام كلها فهو وإن كان أحد أركان الإسلام الخمسة إلا أنه يأتى فى ذروتها دليلا على كمال الدين وتمام النعمة ولهذا فرضه الله مرة واحدة فى العمر إذا تحققت الاستطاعة .

فالمسلم الذى حافظ على الصلاة وانتفع بأدائها وصام رمضان واكتسب منه صفة التقوى وأدى زكاة ماله إن كان ذا مال فطهر نفسه وزكاها يجد نفسه تواقة إلى زيارة الله فى بيته الأول ليؤدى واجب الذكر والشكر على هذه النعم المترادفة ليعود من ذنوبه كيوم ولدته أمه لأن الحج هو العبادة الجامعة التى تشتمل على كل عبادات الإسلام وتحوى فى مناسكها كل ما فى هذه العبادات من بر وتقوى وفضل وسمو وصفاء وخير ففى الحج من الصلاة لذة المناجاة والصلة والقرب وروعة الضراعة والخشوع والدعاء وفيه من الصوم التسامى بالنفس فوق مطالب الجسد .

وفيه من الزكاة بذل المال الذى يبقى من شح النفس وفيه من الجهاد تحمل المشقات والاغتراب من الأهل والولد والوطن .

وعلى الجملة ، فإن فى الحج تشبها بالملائكة حيث يترك الإنسان المألوف من العادات واللباس والزينة والتطيب ، ولهذا كله جعله الله قرين الهجرة وترك الكفر إلى الإسلام وجعله جهاد الكبير والضعيف والجبان والمرأة وجعل ثوابه الجنة قال عليه الصلاة والسلام : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : لكل نبى دعوة دعا بها فى أمته ، فاستجيب له ، وإنى أريد ـ إن شاء الله ـ أن أؤخر دعوتى ، شفاعة لأمتى يوم القيامة رواه مسلم .





للشيخ: مصطفى سيد عارف*

إن من أنواع العبادات التي تتقرب بها إلى الله عز وجل « الذبح ».

والذبح أنواع كثيرة منها: ذبح الهدى، والعقيقة، والنذر، والفدو، والأضحية.

والحديث هنا عن الأضحية ويشتمل على عدة مسائل.

أولا: تعريفها: هي ما يذبح من النعم يوم النحر وأيام التشريق تقربا إلى الله تعالى.

وقد أجمع العلماء على مشروعيتها لقوله تعالى:

﴿ فصل لربك وانحر ﴾(1)

ومن حديث أنس قال: ضحى رسول الله ـ ﷺ ـ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وكبر ووضع رجله على صفاحهما(2) ».

ثانيا: وقتها: اتفق العلماء على أنه لا يجوز الذبح قبل طلوع الشمس والظاهر من أحاديث البراء بن عازب، وأنس بن مالك، وجندب بن سفيان تدل على أن من ذبح قبل الصلاة فليست أضحية إنما هي لحم قدمه لأهله، ويمتد وقت الأضحية إلى غروب الشمس من آخر أيام التشريق، وهو قول الشافعي وجماعة، وذهب غيرهم إلى أن وقت الأضحية يوم النحر ويومان بعده.

من حديث جندب قال: صلى النبي ﷺ يوم النحر ثم خطب ثم ذبح، فقال: من ذبح قبل أن يصلي فليذبح أخرى مكانها، ومن لم يذبح فليذبح باسم الله(3) ».

ثالثا: الأشياء التي يضحى بها:

والأضحية لا تكون إلا من البقر والغنم والإبل

* الكاتب: إمام وخطيب ومدرس بإدارة أوقاف السادات ـ منوفية.

(1) الكوثر آية 2.

(2) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(3) أخرجه البخاري في (13) كتاب العيدين (23) باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد.

لقوله تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾[4]

وأفضل هذه الأشياء الإبل ثم البقر ثم الكباش عند الشافعي ، وأما مالك فوافق الشافعي في الهدى ، وقال بعكس ذلك في الأضحية فضل الكباش ثم البقر ثم الإبل .

رابعا : الأكل من لحوم الأضاحي :

يستحب للمضحى أن يأكل ثلثا ويتصدق بثلث ويهدى بالثلث الآخر ، وقد أصاب الناس مشقة فأراد - ﷺ - أن يطعم الأغنياء المحتاجين من لحوم الأضاحي ، فنهى أصحابه أن يأكلوا من لحومها فوق ثلاث ليال من وقت التضحية ، وكان ذلك في أول الإسلام ، ثم نسخ النهى بإباحة الأكل والادخار منها ، والنهى ليس للتحريم ولا ترك الأكل بعد الثلاث واجبا من حديث جابر ابن عبد الله - رضى الله عنهما - قال كنا لا نأكل من لحوم بدننا فوق ثلاث منى ، فرخص لنا النبي - ﷺ - فقال : « كلوا وتزودوا » فأكلنا وتزودنا[5] .

ومن حديث سلمة بن الأكوع قال ، قال النبي - ﷺ - : من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وفي بيته منه شيء ، فلما كان العام المقبل قالوا : يارسول الله نفعل كما فعلنا العام الماضي ، قال : « كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها[6] » .

خامسا : ما لا يجوز أن يضحى به :

من حديث عبيد بن فيروز قال : قلت للبراء ابن عازب حدثني بما كره أو نهى عنه رسول الله - ﷺ - من الأضاحي ، فقال قال رسول الله - ﷺ - هكذا بيده - ويدى أقصر من يده - : « أربع لا تجزىء في الأضاحي العوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها ، والعرجاء البين ظلعها ، والكسيرة التي لا تنقى ، قال فإني أكره أن يكون نقص في الأذن قال فما كرهت منه فدعه ولا تحرمه على أحد[7] » .

ومن حديث البراء بن عازب في « الموطأ » ، و « السنن » مرفوعا لا يضحى بالعرجاء بين ظلعها ، ولا العوراء بين عورها ، ولا بالمريضة بين مرضها ، ولا بالعجفاء التي لا تنقى .

قال ابن عبد البر : أما العيوب الأربعة المذكورة في هذا الحديث فمجمع عليها لا أعلم خلافا بين العلماء فيها ، ومعلوم أن ما كان في معناها داخل فيها ، فإذا كانت العلة في ذلك قائمة ألا ترى أن العوراء إذا لم تجز في الضحايا فالعمياء أحرى ألا تجوز ، وإذا لم تجز العرجاء فالمقطوعة الرجل أحرى ألا تجوز ، وكذلك ما كان مثل ذلك كله ، وكذلك لا يجزىء في الأضحية الجذع من المعز لحديث البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال : « ضحى خال لى يقال له أبو بردة قبل الصلاة فقال رسول الله - ﷺ - شاتك شاة لحم » فقال يارسول الله إن عندى داجنا جذعة من المعز[8] ،

---

(4) الحج آية ٣٤ .

(5) أخرجه البخاري في (٢٥) كتاب الحج (١٢٤) باب ما يأكل من البدن وما يتصدق .

(6) أخرجه البخاري في (٧٣) كتاب الأضاحي (١٦) باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها .

(7) صحيح (ص.جه) ، (٢٥٤٥) ، جه (٣١٤٤/ ٢/١٠٥٠) ، د (٢٧٨٥/٥٠٥/٧) ، ش (٧/٢١٤) ، ت (١٥٣٠/ ٣/٢٧) مختصرا .

(8) داجنا : أي الذي يألف البيوت ، والأمن لها معينة ، والجذعة من الماعز هو الذي لم يطعن في الثالثة .

قال : « اذبحها ولا تصلح لغيرك » ثم قال : « من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين[9] » .

سادسا : آداب ينبغي للمضحي أن يفعلها :

ينبغي للمضحي ألا يأخذ من شعره ولا أظفاره شيئا حتى يضحي .

من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « من كان له ذبح يذبحه فإذا أهل هلال ذي الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئا حتى يضحي[10] » .

قال النووي قال سعيد بن المسيب وربيعة وأحمد وإسحاق وداود وبعض أصحاب الشافعي إنه يحرم عليه أخذ شيء من شعره وأظفاره حتى يضحي في وقت الأضحية .

وقال الشافعي وأصحابه هو مكروه كراهة تنزيه وقال أبو حنيفة يكره واختلف في الرواية عن مالك .

سابعا : عن كم تجزيء البدنة (الناقة) والبقرة والشاة :

من حديث ابن عباس قال كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في سفر فحضر الأضحى فاشتركنا في الجزور عن عشرة والبقرة عن سبعة[11] » .

والشاة تجزيء عن الرجل وأهل بيته من حديث عطاء بن يسار قال : سألت أبا أيوب الأنصاري كيف كانت الضحايا فيكم على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ قال : كان الرجل في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون ثم تباهى الناس فصار كما ترى[12] » .

ثامنا : حكمها : اختلف أهل العلم بين الوجوب والندب :

أولا : ذهب الإمام أبو حنيفة ومحمد بن الحسن والأوزاعي إلى أنها واجبة على الموسر غير الحاج بمنى ، والمشهور عن أبي حنيفة إيجابها على المقيم المالك للنصاب ودليل القائلين بالوجوب .

أولا : قال رسول الله ـ ﷺ ـ من كان له سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا[13] .

ووجه الاستدلال به أنه لما نهى من كان ذا سعة عن قربان المصلى إذا لم يضح دل على أنه ترك واجبا فكأنه لا فائدة في التقرب بالصلاة للعبد مع ترك الواجب أ . هـ[14] .

ثانيا : من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من وجد سعة فلم يضح فلا يقرب مصلانا » قال ابن حجر العسقلاني في بلوغ المرام صححه الحاكم ورجح غيره من الأئمة وقفه وقال في الفتح رجاله ثقات لكن اختلف في وقفه ورفعه والموقوف أشبه بالصواب . أ . هـ[15] .

---

(9) متفق عليه . خ (٥٥٥٦/ ١٢/ ١٠) م (١٩٦١/ ١٥٥٢/ ٣) وبمعناه رواه ت (١٥٤٤/ ٣٢/ ٣) د (٢٧٨٣/ ٥٠٤/ ٧) نس (٢٢٢/ ٧) .

(10) رواه مسلم .

(11) صحيح (ص . جه) (٢٥٣٦) جه (٣١٣١/ ٢/١٠٤٧) ت (٩٠٧/ ١٩٤/ ٢) نس (٢٢٢/ ٧) .

(12) صحيح (ص . جه) (٢٥٤٦) وجه (٣١٤٧/ ٢/١٠٥١) ت (١٥٤١/ ٣١/ ٣) .

(13) حسن (ص . جه) (٢٥٣٢) جه (٣١٢٣/ ١٠٤٤/ ٢) .

(14) (الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز للشيخ عبد العظيم بدوي ص ٤٠٢ .

(15) إرشاد المسترشد في مقارن للشيخ محمد دل ابن المنذر الأنصاري ص ٤٤٣ .

ثالثا : من حديث مخنف بن سليم قال كنا وقوفا عند النبي - ﷺ - بعرفة فقال : « يا أيها الناس إن على كل أهل بيت في كل عام أضحية وعتيرة ، أتدرون ما العتيرة ؟ هي التي يسميها الناس الرجبية[١٦] » .

وقد نسخت العتيرة بقوله - ﷺ - : « لا فرع ولا عتيرة[١٧] » .

ونسخ العتيرة لا يستلزم نسخ الأضحية[١٨] .

قلت : حديث مخنف بن سليم قال عنه النووي في شرح المهذب قال الخطابي هذا الحديث ضعيف المخرج لأن أبا رملة مجهول ، وقال فيه ابن حجر في التقريب عامر أبو رملة شيخ لابن عون لا يعرف ، وقال فيه الذهبي في الميزان عامر أبو رملة شيخ لابن عوان فيه جهالة . أ . هـ[١٩] .

رابعا : من حديث جندب بن سفيان البجلي قال شهدت النبي - ﷺ - يوم النحر قال من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى ، ومن لم يذبح فليذبح[٢٠] .

وهو ظاهر في الوجوب لا سيما مع الأمر بالإعادة[٢١] .

ثانيا : ذهب أبو بكر وعمر وأبو مسعود البدري وبلال وسعيد بن المسيب وعطاء وعلقمة والأسود ومالك والشافعي وأحمد وأبو يوسف وإسحاق وأبو ثور والمزني وداود وابن المنذر إلى أنها سنة مؤكدة في حق الموسر وليس عليه شيء إن تركها .

دليل القائلين بأنها سنة مؤكدة :

أولا : من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ قال : « إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره[٢٢] » .

فجمهور العلماء يرى بأنها سنة لأن التعليق بالإرادة ينافي الوجوب . أ . هـ[٢٣] .

وقال ابن حزم : لم يصح عن أحد من الصحابة أنها واجبة أ . هـ[٢٤] .

قلت والظاهر أنها سنة مؤكدة ويكره تركها مع القدرة عليها . لحديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما[٢٥] .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد - ﷺ - .

---

(١٦) (حسن . ص . جه) (٢٥٣٣) ت (١٥٥٥/ ٣٧/ ٣) د (٢٧٧٦/ ٤٨١/ ٧) جه (٣١٢٥/ ١٠٤٥/ ٢) نس (١٦٧/ ٧) .
(١٧) متفق عليه . خ (٥٤٧٣/ ٥٩٦/ ٩) م (١٩٧٦/ ٣/١٥٦٤) د (٢٨١٤/٣٢/ ٨) ت (١٥٤٨/ ٣/٣٤) نس (٧/١٦٧) .
(١٨) الوجيز .
(١٩) رشاد المسترشد .
(٢٠) متفق عليه . خ (٥٥٦٢/ ٢٠/ ١٠) م (١٩٦٠/ ١٥٥١/ ٣) جه (٣١٥٢/ ١٠٥٣/ ٢) نس (٢٢٤/ ٧) .
(٢١) (السيل الجرار) (٧٤/ ٧٥) انظر (الوجيز) .
(٢٢) رواه مسلم .
(٢٣) اللؤلؤ والمرجان للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥ جـ ٣ .
(٢٤) (فقه السنة) للشيخ سيد سابق ص ٢٧٦ /جـ ٣ .
(٢٥) أخرجه البخاري في (٨٣) كتاب الأضاحي .

خ : صحيح البخاري .
م : صحيح مسلم .
ت : سنن الترمذي .
د : سنن أبو داود .
جه : سنن ابن ماجه .
ص جه : صحيح سنن ابن ماجه .
نس : سنن النسائي .



لفضيلة الشيخ:
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : « قدم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيها ، فقال : ماهذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى »[1] .

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، وأول شىء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس ، والناس جلوس فى صفوفهم ، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم ، وإن كان يريد أن يقطع بعثا[2] أو يأمر بشىء أمر به ، ثم ينصرف »[3] .

الأعياد ظاهرة اجتماعية بشرية ، وهى فرصة متاحة تعبر فيها الجماعات عن سرورها بحادث من الأحداث السعيدة ، كالتوفيق لإتمام شعيرة دينية أو انتصار على عدو .. والأعياد فى كثير من الأمم والشعوب مجال خصب للهو المشين ، والعبث المريب ، فمظاهر الفرح فيها تداع إلى الشراب ،

(١) رواه النسائى وابن حبان بسند صحيح .
(٢) أى يخرج من الجيش سرية إلى جهة من الجهات
(٣) رواه البخارى ومسلم واحمد .

وإلى الندوات الماجنة التى تستنزف العقول والأموال ، لذا كانت الأعياد فى كل أمة مظهرا من المظاهر التى تعبر عن شخصيتها .

والإسلام وهو دين الإنسانية بأسرها ، والحريص على خيرها وخلاصها أقر فكرة الأعياد كظاهرة اجتماعية ، فجعل للمسلمين عيدين اثنين ، ابتهاجا بالنعمة ، وإظهارا للفرحة ، فهما أشبه بواحتين جميلتين فى صحراء الحياة يجد فيهما المسلم من الظل والنعيم ، والمتعة الحلال مايملؤه بهجة ونشاطا .

إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يرض أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها فى الجاهلية قبل الإسلام ، بل جعل لهم عيدين ، شاءت المقادير الإلهية أن يرتبطا فيما بعد بعبادتين عظيمتين من أهم العبادات فى الإسلام وهما :

(١) عيد الفطر : بعد أن ينتهى المسلمون من عبادة الصوم فى شهر رمضان المعظم ، حيث يفرحون بفطرهم وعبادتهم لله ـ تبارك وتعالى ـ .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه[٤] » .

(٢) وعيد الأضحى : بعد أن يؤدى الحجاج أهم ركن فى عبادة الحج : وهو الوقوف بعرفة ، حيث يفرحون ويفرح أهلوهم بما أدوا من عبادة فى أطهر بقعة وأقدسها .

وبهذين العيدين توحدت أعياد العرب ، وأعياد المسلمين عامة ، وقضى الإسلام على تلك الأعياد المتكاثرة المتفرقة فى البلدان والقبائل والتى كانت مجالا للعبث والفجور !!

وفى هذين العيدين يلتقى فى الإسلام الدين بالدنيا فى كل مظهر من مظاهر الحياة ، يتجلى ذلك فى المسرات التى تفيض بشرا فى الوجوه وبهجة فى القلوب وبشاشة فى النفوس وسماحة فى الأخلاق ، وإظهارا لآثار نعمة الله تعالى : من ثياب جديدة ، ومآكل شهية مفيدة ، وسلاما ووئاما ، وألفة وإخاء ، وودا وصفاء ، وتناسيا للضغائن ، وبرا شاملا بالأقارب والجيران وسعادة ونعيما فى كل بيت من بيوت المسلمين .

حقا إن العيد ربيع الحياة الإنسانية ، كما أن للأرض ربيعا تذخر فيه بأنواع النبات ، صنوان وغير صنوان .

وفى ربيع الأرض تظهر ألوان الزروع على بساطها ، وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

وربيع الحياة الإنسانية هو هذه الفسحة الإلهية ، وتناسى الآلام البشرية ، والابتسام لنعم العزيز الوهاب ، وإشعال النشاط لإقتحام الصعاب ، والانتصار على الشدائد والأهوال ، وتحقيق ما تتطلبه الأمة من أسباب الكمال .

إن عيد الفطر حفل ربانى يقام بين السماء والأرض تشترك فيه الملائكة الكرام من الملأ الأعلى ، والطائعون من عباد الرحمن . . وفى هذا الحفل المبارك الذى يقام يوم العيد ، يقدم الصائمون محصول عبادتهم خلال شهر رمضان ،


(٤) رواه البخارى .

ويقدم الله ـ تبارك وتعالى ـ لهم أثناءه جائزة التوفيق فى عملهم ، فالأفراح فى الأرض ، والأفراح فى السماء .

عن سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا اغدوا يامعشر المسلمين إلى رب كريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلوا نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم ، فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى السماء « يوم الجائزة »[٥] .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ينادى الحق تبارك وتعالى ملائكته فى يوم العيد ماجزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون : إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره ، فيقول سبحانه : أشهدكم أنى جعلت ثوابهم لصيامهم وقيامهم رضائى ومغفرتى ، ثم يقول ـ سبحانه ـ وقد نظر إلى جميع المصلين للعيد نظرة رحمة وحنان : سلونى ياعبادى ، فوعزتى لا تسألون اليوم فى جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم ، قد أرضيتمونى فرضيت عنكم ، انصرفوا مغفورا لكم »[٦] .

وفى عيد الأضحى يلتقى المسلمون على مائدة الرحمن ـ عز وجل ـ فهو لذلك يوم أكل وشرب وتمتع بالطيبات التى أحلها الله ، وفيه يحتفل المسلمون ابتهاجا لتوفيقهم إلى أداء فريضة الحج ، وتحقيق آمالهم فى زيارة البيت المعظم ، وتقبيل الحجر الأسود ، والحظوة بالشرب من ماء زمزم .

ويشترك سائر المسلمين مع الحجاج فى الاحتفال بهذه المناسبة ، ويقوم القادرون منهم بذبح أضاحيهم تقربا إلى الله ـ تعالى ـ .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ماعمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم ، وإنه لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسا »[٧] .

إحياء ليلة العيد :

ويندب إحياء ليلة العيدين بالذكر والتكبير ، والدعاء والاستغفار ، كما يستحب كثرة البذل والعطاء للمحتاجين والبؤساء والفقراء .

عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من أحيا ليلة الفطر ، وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » .

أما وقت التكبير فيبتدىء من رؤية هلال شوال حتى يغدو الناس إلى المصلى ، ويصعد الإمام على المنبر لقول الله ـ تعالى ـ :[٨]

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾

---

(٥) رواه الطبرانى .
(٦) رواه ابن حبان والبيهقى .
(٧) رواه ابن ماجه والترمذى والحاكم .
(٨) البقرة : ١٨٥ .

أما فى الأضحى فوقته من فجر عرفة ويمتد إلى العصر من آخر أيام التشريق الثلاثة التى تلى يوم العيد ، لقوله - تعالى - :[٩]

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾

ويستحب التكبير فى كل وقت من هذه الأيام ، سواء أكان قبل الصلاة أم بعدها ، أو فى الطريق العام ، أو فى المجالس الخاصة . . وقد كان عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - يكبر فى قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ، ويكبر أهل السوق ، حتى ترتج منى بالتكبير . . وكان عبد الله ابن عمر - رضى الله عنه - يكبر بمنى فى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه ومجلسه وممشاه ، لأن التكبير هو شعار هذه الأيام ، ورمز بهجتها وجمالها ، وما أروع أن تملأ الكون كله بتكبير الله .

وصيغته يعرفها المسلمون جميعا ، وهى كما وردت عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وعبد الله بن مسعود : « الله أكبر . . الله أكبر . . لا إله إلا الله والله أكبر . . الله أكبر ولله الحمد » . . ولا بأس بالزيادة على هذه الصيغة بما يردده المسلمون اليوم فتهتز بها رحبات المساجد ، وجنبات الحياة ، ويخفق لها قلب الوجود ويخشع الكون كله ، إجلالا لله - عز وجل - .

ويستحب الغسل والطيب ولبس أجمل الثياب .



روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده : « أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يلبس برد حبرة فى كل عيد » . حبرة نوع من برود اليمن . .

ويسن الأكل يوم الفطر قبل الخروج إلى الصلاة ، بأن يأكل تمرات وترا ، وتأخير ذلك فى عيد الأضحى ، حتى يرجع من المصلى ، فيأكل من أضحيته ، عن أنس - رضى الله عنه - أنه قال : « كان النبى - صلى الله عليه وسلم - لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا »[١٠] .

وعن سعيد ابن المسيب : « أن الناس كانوا يؤمرون بالأكل قبل الغدو يوم الفطر[١١] ، وعن بريدة - رضى الله عنه - قال : « كان النبى - صلى الله عليه وسلم - لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل ، ولا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع »[١٢] . . وفى رواية أخرى بزيادة : « فيأكل من أضحيته »[١٣] .

صلاة العيدين وكيف تؤدى ؟

ويسن أداء صلاة العيدين فى الصحراء ، أو فى مكان فضاء ، مالم يكن هناك عذر كمطر ونحوه ، وعندئذ تؤدى فى المسجد ، روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - : « أنهم أصابهم مطر فى يوم عيد ، فصلى بهم النبى - صلى الله عليه وسلم - صلاة العيد فى المسجد »[١٤] .

---

(٩) البقرة : ٢٠٣ .
(١٠) أخرجه أحمد والبخارى .
(١١) أخرجه مالك فى الموطأ .
(١٢) أخرجه الترمذى وابن ماجه .
(١٣) أخرجه أحمد .
(١٤) أخرجه أبو داود وابن ماجه .

فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلى العيدين فى المصلى[15] ، وذلك خلافا للشافعية فإنهم قالوا : إن أداءها فى المسجد أفضل لشرفه ، إلا لعذر كضيقه ، فيكره الزحام فيه ، وحينئذ تسن فى الصحراء .

وصلاة العيدين سنة مؤكدة ، وهى ركعتان يسن فيها أن يكبر المصلى قبل القراءة فى الركعة الأولى سبع تكبيرات بعد تكبيرة الإمام برفع اليدين إلى حذو المنكبين فى كل تكبيرة ، ويسن أن يفصل بين كل تكبيرتين منها بقدر آية متوسطة ، ويستحب أن يقول فى هذا الفصل سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ويسن أن يضع يمناه على يسراه تحت صدره بين كل تكبيرتين ، ويزيد فى الركعة الثانية بعد تكبيرة القيام خمس تكبيرات ، يفصل بين كل اثنين منها ، ويضع يمناه على يسراه كما تقدم فى الركعة الأولى ، فقد روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « التكبير فى الفطر سبع فى الأولى ، وخمس فى الآخرة ، والقراءة بعدهما كلتيهما»[16] .

وفى حديث عائشة - رضى الله عنها - أنه - صلى الله عليه وسلم - كبر فى العيدين سبعا فى الأولى ، وخمسا فى الثانية ، وهذه التكبيرات سنة وتسمى هيئة ، فلو ترك شيئا منها لا يسجد للسهو ، وإن كره تركها .. وتقديمها على القراءة شرط فى الاعتداد بها فلو شرع فى القراءة ولو ناسيا ، لا يأتى بالتكبيرات لفوات محلها ، ولو دخل المأموم مع الإمام فى الركعة الثانية ، فإنه يكبر خمس تكبيرات غير تكبيرة الإحرام ، ثم يكبر فى الركعة الثانية التى يقضيها بعد سلام الإمام خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام .

والقراءة فى صلاة العيدين تكون جهرا لغير المأموم ، وأما التكبير خارج الصلاة فيسن فيه الجهر للجميع ويسن أن يقرأ بعد الفاتحة فى الركعة الأولى سورة الأعلى أو سورة الكافرون ، وفى الركعة الثانية سورة الغاشية أو سورة الإخلاص .

الخطبة بعد صلاة العيد :

إن من السنة أن تكون الخطبة بعد صلاة العيد لما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : « شهدت العيد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبى بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة[16] » . وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - يصلون العيدين قبل الخطبة[17] » .

وصلاة العيدين لا أذان لها ولا إقامة ، لما روى عن جابر بن سمرة - رضى الله عنه - قال : « صليت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - العيد غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة »[18] .

---

(15) موضع بباب المدينة الشرقى .

(16) أخرجه أبو داود والدارقطنى .

(17) رواه البخارى .

(18) أخرجه البخارى .

خروج النساء للعيدين :

يباح خروج النساء فى العيدين للمصلى من غير فرق بين البكر والثيب ، والشابة والعجوز ، والحائض ، غير متبرجات بزينة ، عن أم عطية ـ رضى الله عنها ـ قالت : « كنا نؤمر أن لا نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها ، وحتى تخرج الحيّض فيكن خلف الناس ، فيكبرن بتكبيرهم ، ويدعون بدعائهم يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته »[19] ، وفى رواية أخرى عن أم عطية ـ رضى الله عنها ـ قالت : « أمرنا أن نخرج العواتق[20] والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى »[21] .. وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخرج نساءه وبناته فى العيدين »[22] .. وفى رواية أخرى لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : « خرجت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم فطر أو أضحى فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة » .

مخالفة الطريق :

ذهب أكثر أهل العلم إلى استحباب الذهاب إلى صلاة العيد فى طريق والرجوع فى طريق آخر ، سواء أكان إماما أم مأموما ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا كان يوم عيد خالف الطريق »[23] .. وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا خرج إلى العيد يرجع فى غير الطريق الذى خرج فيه »[24] .. كما يجوز الرجوع فى الطريق الذى ذهب فيه ، فقد روى عن بكر بن بشر ـ رضى الله عنه ـ قال : « كنت أغدو على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المصلى يوم الفطر ويوم الأضحى فنسلك بطن بطحان حتى نأتى المصلى فنصلى مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم نرجع من بطن بطحان إلى بيوتنا »[25] .. (بطن بطحان: واد بالمدينة) .

إباحة الغناء واللهو فى العيد

اللعب المباح ، واللهو البرىء ، والغناء الحسن فى يومى العيدين ، رياضة للبدن ، وترويحا للنفس لا حرج فيه . عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « إن الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى يوم عيد ، فاطلعت من فوق عاتقه ، فطأطأ لى منكبيه ، فجعلت أنظر إليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت »[26] ، وجاء فى رواية أخرى لعائشة : « وكان يوم عيد يلعب السودان بالورق (أى

---

(١٩) رواه احمد ومسلم وابو داود والترمذى
(٢٠) اخرجه البخارى .
(٢١) البنات الأبكار .
(٢٢) متفق عليه .
(٢٣) رواه ابن ماجه والبيهقى .
(٢٤) اخرجه البخارى .
(٢٥) رواه احمد ومسلم والترمذى .
(٢٦) رواه احمد والشيخان .

التروس) والحراب ، فإما سألت النبى - صلى الله عليه وسلم - وإما قال : « أتشتهين تنظرين ؟ قلت : نعم ، فأقامنى وراءه ، خدى على خده ، وهو يقول : دونكم يابنى أرفدة (لقب الحبشة) حتى إذا مللت قال : حسبك (أى يكفيك) هذا القدر من مشاهدة اللعب ؟ قلت : نعم ، قال : فاذهبى[٢٧] .. وفى رواية أخرى قالت - رضى الله عنها - : « دخل على أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث ، وليستا بمغنيتين (أى ليس الغناء عادة لهما ، ولا هما معروفتان به) فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (المزمور صوت فيه صفير) ، وذلك فى يوم عيد ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ياأبا بكر إن لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا[٢٨] ، وعن أبى الزناد عن عروة عن عائشة - رضى الله عنها - أنه - صلى الله عليه وسلم - قال يومئذ : « لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة ، إنى بعثت بحنيفية سمحة » .

البر المادى وخلق الإيثار :

وإذا كان الإسلام قد رخص فى شىء من اللهو البرىء فى الأعياد استمتاعا بما فيه من لذة لا تخدش دين المسلم ولاحياءه فقد ندب إلى البر المادى لتكامل مظاهر التكافل الاجتماعى فيها ماديا وخلقيا فسن زكاة الفطر ، يوم عيد الفطر وهى قدر مخصوص من المال عينه للفقراء فى ذلك اليوم سدا لعوزهم ودعوة للمشاركة فى السرور به .

كما ندب إلى مشاركة الفقراء فى الأضحية فى عيد الأضحى ليستمتع بفضل الله ونعمه المسلمون جميعا ، حتى لا يكون من جماعتهم من يعضه ألم الجوع ، ولوعة الحرمان ، وبهذا تصبح الأعياد أعيادا اجتماعية يشترك فى الابتهاج بها الأغنياء والفقراء فى جو محتشم يسوده الحب والإيثار وتتحقق فيه رغبات الأفراد ومصلحة الجماعات .

يقول الواقدى أحد العلماء البارزين فى القرن الثانى الهجرى كان لى صديقان أحدهما هاشمى ، وكنا كنفس واحدة ، فنالتنى ضائقة شديدة وحضر العيد فقالت لى امرأتى : أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البأس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فهاذا تصنع لهم وثيابهم مهلهلة ؟ فكتبت إلى صديقى الهاشمى أسأله المعونة والتوسعة ، فوجه إلى كيسا مختوما فيه ألف درهم : فما استقر فى يدى حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صديقى الهاشمى فوجهت إليه الكيس بختمه ، ثم أخبرت امرأتى بما كان منى فأقرته راضية شاكرة ، ولم ألبث قليلا حتى وافانى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته ، ثم قال لى : ماذا فعلت بالكيس الذى وجهته إليك أصدقنى ولا تكتم على ، فأخبرته الخبر ، فقال لى الهاشمى إنك حين طلبت منى ما أعونك به من مال لم أكن أملك إلا ما بعثت به إليك ثم أرسلت إلى صديقنا الثالث أسأله المواساة فوجه إلى الكيس الذى بعثت به إليك ، قال الواقدى فتقاسمنا الألف درهم فيما بيننا ، وأخذ كل من ثلاثتنا ثلاثمائة درهم ، وأعطينا المرأة مائة درهم ، وتسرب الخبر إلى

---

(٢٧) أخرجه البخارى .
(٢٨) أخرجه مسلم .

الخليفة المأمون ، فدعاني واستفسرني فقصصت عليه الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفان وأخذت المرأة ألف دينار .

إن هذه القصة تحتوى على التعبير الصادق عن التعاون الإنسانى الذى رسمت طريقه لهؤلاء الأصدقاء الثلاثة : الرحمة والتعاطف والمحبة والإيثار .

عادات وتقاليد :

إن مما صحب أعيادنا من عادات وتقاليد إعداد أطعمة خاصة بها والتوسع فى الإنفاق عليها ، ففى رمضان تتبارى الأسر فى إعداد الكعك وفطائره وتبذل فى الإنفاق عليه ما يرهق بعضها ، ويسبب أزمات عائلية خطيرة قد تنتهى بانهيار الأسر ، وتقويض دعائمها ، ويأبى كثير من النسوة قبول الأعذار فى إعداده ، والاستدانة وبيع المتاع إحدى وسائل تغطية نفقات الكعك !!

وفى عيد الأضحى تتبارى الأسر فى عمل الفطائر والحلوى لتستكمل مظاهر العيد وتحافظ على ما ورثناه من تلك التقاليد !!

ولا شك أن تعاليم الإسلام لا تقر فى أى وقت ولا فى أى مناسبة ، والتوسط والاعتدال من أهم أصوله :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٢٩)

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(٣٠)

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝ ﴾(٣١)

وقال تعالى فى وصف عباد الرحمن :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝ ﴾(٣٢)

دخل رجل على أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ يوم عيد فوجد بين يديه خبزا خشنا ، فقال : ياأمير المؤمنين يوم عيد وخبز خشن ؟ فقال له الإمام على : اليوم عيد من قُبل بالأمس صيامه وقيامه ، عيد من غفر ذنبه ، وشكر سعيه ، وقبل عمله ، اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو لنا عيد .

وبعد فمن الواجب أن تتحد أعياد المسلمين ليكون العيد تعبيرا عن فرحة شاملة تعم العالم الإسلامى كله ، وليكون سبيل هذه الأمة التى هى خير أمة أخرجت للناس إلى الوحدة واجتماع الكلمة حسبما قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٣٣)

وقال ـ جل شأنه ـ :

﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٣٤)

وفقنا الله جميعا لما فيه خير الإسلام وعزة المسلمين .

---

(٢٩) البقرة : ٢٨٦ .
(٣٠) الإسراء : ٢٩ .
(٣١) الإسراء : ٢٦ ، ٢٧ .
(٣٢) الفرقان : ٦٧ .
(٣٣) آل عمران : ١٠٣ .
(٣٤) الأنبياء : ٩٢ .

التفسير بالمأثور :



للأستاذ الدكتور: محمد إبراهيم الفيومي

منذ القرن الثانى للهجرة ، قام العلماء المسلمون لسد الحاجة إلى وضع التفسير المأثور فى مصنفات متسلسلة من كتب التفسير . بيد أن هذه المحاولات الأولى لم تبق محفوظة لنا بعد إلى أن قام الإمام الطبرى : محمد بن جرير الطبرى من أعظم رجال العلم الإسلامى فى جميع العصور (٢٥١ هـ - ٣١٠ هـ) بوضع كتابه الضخم . هذا الكتاب دائرة معارف غزيرة الثروة من التفسير المأثور وهو لم يكن فى تفسيره حاطب ليل أو ميالا إلى الحشو من السواقط واللواقط ، إنما كان له ميزانه النقدى تجاه آراء التفسير التى تعبر عن الاستقلال والذاتية فى الترجيح أو التضعيف . ويأخذ بالروايات الصحيحة ويميل إليها على أنها الطابع الوحيد لصواب التفسير ؛ وفى هذا المعنى يرتب من آية إلى أخرى وجوه التفسير المروية عن دائرة الثقات المعتد بهم فحسب ، منسقة بعضها إلى جانب بعض حسب اختلاف الإسناد الذى رواه عن طريقه ، ولا يفصل ذلك فى مجرد سرد آلى ، بل يستخدم فى توسيع حق النقد المعمول به فى الإسلام منذ عهد مبكر ، تجاه سلاسل رجال السند ، فحيث يبدو له عدم الوثوق بالرواية ، يعبر عن ذلك بما يناسبه . حتى بإزاء رواه ابن عباس الذين نالوا درجات أقصى الاعتراف بهم ، يصطنع لنفسه هذه الحرية ، فيقول مرة عن مجاهد : إن رأيه يخالف إجماع الحجة الذين لا يمكن نسبتهم إلى الكذب «ومرة أخرى» ، وما ذكر هنا عن مجاهد لا معنى له . . وفساد رأيه لا شك فيه » ويمثل ذلك يصرح فى شأن الضحاك . ورواة آخرين عن ابن عباس .

ويتحدث الطبرى عن منهجه وطريقته فى تطبيق التفسير بقرر هذا المبدأ : ينبغى فى المرتبة الأولى مراعاة المعنى الظاهر للفظ ، الذى لا يجوز أن يتحول عن التفسير إلا أن تكون هناك مواضع أخرى من القرآن ، أو أسباب خاصة أخرى تقتضى تفسيراً آخر . وهو يفهم من هذه الأسباب الأخرى : « أقوال السلف » وعلى الأخص « أقوال الصحابة والأئمة ، أى التابعين وعلماء الأمة الإسلامية » وكان إذا أخذ من التوراة أو شيئا من الإسرائيليات أخذها عن كعب الأحبار أو وهب بن منبه . وكان يأخذ التراث النصرانى عن ابن اسحق عن أبى عتاب وهو رجل من تغلب كان نصرانيا عمرا من دهره ثم أسلم بعد فقرأ القرآن وفقه فى الدين ، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانيا أربعين سنة ثم عمر فى الإسلام أربعين سنة أخرى .

وكان من منهجه اهتمامه بطابع الجد والصرامة موقفه من ضروب التعمق الفارغ فى دقائق قليلة الغناء ، يعنى بها بعض الرواة فى أسلوب من السذاجة مثال ذلك ؛ إذا سأل سائل عن المائدة آيات ١١٢ ـ ١١٥ التى أنزلت بسؤال عيسى من السماء : هل كان عليها طعام وهل كان بها أى خبز أو . . . الخ . كان يقول « العلم بذلك غير نافع ، ولا ضار الجهل به ضارا » ويكفى الإقرار من القارىء بالآية بظاهر ما احتمله من التأويل وهل شعيب هو يثرون (يثْرون) أو الأخير ابن أخى شعيب ، كما ظن بعضهم ؟ هذا على حد سواء كان يقول مجيبا على هذا الخلاف : « هذا لا يدرك علمه إلا بخبر ، ولا خبر بذلك » .

مثل هذه الملاحظات يكررها الطبرى فى مختلف المناسبات ، بقصد الإشارة إلى عدم جدوى التكهنات التى لا يعضدها نقل موثوق به ، فليس من شأن المفسر أن يتسمع صوت التبت ، وهو يتبت .

وكان من منهجه فى التفسير الاعتداد بالاستعمال اللغوى العربى فهو عنده أوثق المراجع فى تفسير العبارات المشكوك فيها . ويبدو أنه فى كثرة استخدامه للشواهد من الشعر العربى القديم ، قد أحرز أولا قصب السبق فى مدى الاتساع متابعا فى ذلك توجيها راجعا إلى ابن عباس . ولا غرو فإنه فى علوم اللغة ، ولا سيما فى الخبرة بالشعر القديم ، لم يكن أقل امتيازا منه فى علوم الدين والتاريخ . واستطراداته اللغوية فى كتاب التفسير تشهد إلى مدى بعيد بصحة هذه الشهرة التى نالها . فإن ما اضطلع به فى تفسيره للقرآن مما يتصل بالناحية اللغوية لها ركاز لا تقدر نفاسته فى بحث مفردات اللغة . كذلك بعيدة الغاية استقصاءاته النحوية* التى يتناول فيها على وجه التفصيل بحث الظواهر اللغوية تبعا لمختلف المدارك فى مدارس النحو البصرية والكوفية ، التى يعد كتابه من أقدم المصادر لمعرفتها وقدرها حق قدرها .

ذلك أن البحث اللغوى لا يفتأ يبدو عونا مساعداً على التفسير المؤسس على العلم ، ومع احترام مبدئه القائل : وهو عدم جواز تعارضها مع ما نعلمه فى تفسير موضع قرآنى من رواية وثيقة

* حصرها أخونا الفاضل الأستاذ دكتور عبد الرءوف عثمان فى أربعة مجلدات ضخمة . وهو عمل جليل يحتاج إلى من يقوم بطبعه من دور النشر الكبيرة .

للصحابة والتابعين . فهو كذلك فى المسائل اللغوية لا يطرح بذلك مذهبه فى اعتهاد على الرواية والنقل . وإذاً فكتاب الطبرى فى التفسير هو جماع التفسير المأثور ومنتهى ذروته .

وكان منهجه فى الجدل العقدى وبعض القضايا الكلامية التى أثيرت فى العصر الأموى يقف منها موقف أهل السنة المحافظين وغير متعصب للمذهب من المذاهب أو فرقة من الفرق ، وقد يقف مع استهجان له من صحيح التفسير دون أهل السنة ، وكان كثيرا ما يصرح بالتقليل من شأن أحمد بن حنبل وأيضا كان يشيد بجراءته فى الحق ، وربما كان ذلك منه لتعصب الحنابلة عليه وكثيرا ما هيجوا الناس عليه . أما موقفه من المسائل الكلامية فكان يقضى فيها برأيه انظر مثلا مسألة : هل العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، أو هو مجبر بقضى الله عليه . بما يريد ؛ يستعمل الطبرى صيغة تكاد تتفق مع جواب ، سترى أن أهل السنة عارضوه ، وكلما ورد فى القرآن ما يفيد أن الله يضل ما يشاء ويهدى من يشاء ، لا يفتأ الطبرى يستعمل عبارات ملتوية يتبين منها أنه لا يرى أن أعمال الناس غير صادرة عن حرية واختيار ؛ بل يرى أنه ينبغى أن تفهم من هداية الله رحمة لعباده باللطف والتوفيق للعمل الصالح الذى يريده العبد حراً مختارا ، ومن إضلال الله خذلانه للعباد ، وهو يذكر ذلك فى جميع المواضع التى تذكر فيها أفعال العباد فى قالب مختصر ، أو ميسر ، أو بالسطر له . ويرى ياقوت[1] ، أنه قد أخذ على هذه الوجوه من التفسير أنها تشعر إشعاراً تاما بالميل إلى الاعتزال فلم تقف مدرسة التفسير بالمأثور بعيداً عن مسائل الخلاف العقد المتنازع عليها فى عصره .

وكانت ترجيحاته بين المعنى المجازى والمعنى الحقيقى والرجوع إلى الدلالات اللفظية وخوض فى المسائل العقدية مع تصريحه بأنه من أهل السنة وخصيم لجميع مذاهب العقدية التى تخالف مذهب السلف ومحاربته لمذهب القدريين ورفض نتائجه التى استند بها هذا المذهب من القرآن عن طريق التفسير وكل تفسير يرمى إلى إضعاف مذهب أهل السنة المحافظين يرفضها فى حسم وتصميم .

كانت هذه الاستطرادات تشعر إشعارا تاما أن الإمام الطبرى وهو إذ يؤسس علم التفسير بالمأثور ويبين مراميه وأبعاده ومناهجه . كان فى نفس الوقت يؤسس علم التفسير العقلى الذى جاء فيما بعد الإمام جاب الله الزمخشرى فرفعه على قوائمه .

والطبرى وهو المؤرخ الأعظم والمفسر الأتقى كان يتحاشى الميل إلى آراء الفرق ومذاهبها والآراء السياسية وكثيرا ما كان يلجأ إلى الأخذ بالتفسير المجازى فى كثير من التوجيهات لكنه لا يركن إليه كثيرا وخاصة مع جدل المتكلمين ، فمثلا فى مسألة سابق علم الله الشامل للمعاصى وفى مدلول الرؤية الحسية لله نراه يحارب تفسير المعتزلة المجازى بشدة دون أن يذكر تسميتهم وهو على وجه العموم يرفض طريقة التفسير المجازى المحببة إلى مدرسة أهل الرأى ، وينضم إلى رواية الثقاة من الرواة من القدماء فى فهم الأمور على وجه مطابق للفظ .

---

(١) جـ ٦ ص ٤٥٣ .



الاجتهاد وأهميته في العصر الحديث ٢

لسماحة

السيد: على بن السيد عبد الرحمن الهاشم

منزلة المجتهد :

إن من يستقريء تاريخ الاجتهاد الفقهي في حياة الأمة الإسلامية يلاحظ أن هناك علاقة وثيقة بين ازدهار هذا الاجتهاد وتقدم الأمة وقوتها ، وأن ضعف الأمة وتخلفها كان من ورائه تخلف الاجتهاد وضعفه ، وهذا يعني أن الاجتهاد مناط القوة والتقدم للأمة الإسلامية ؛ لأن مدلوله العام لا ينصرف إلى استنباط الأحكام العلمية فحسب ، ولكنه يشمل كل مجالات الحياة المختلفة من حيث إنه قوة تحرك كل الطاقات نحو العمل المتقن في شتى الميادين .

والفقيه المجتهد يدرك أن مهمته ليست محصورة في دائرة استخراج الأحكام ، وإنما تتجاوز هذا إلى العمل المستطاع في مجال توجيه الحياة البشرية نحو الالتزام الكامل بما شرعه الله لعباده من فرائض وآداب .

لذلك تظهر منزلة المجتهد العظيمة ، إنه مبلغ عن النبي - ﷺ - لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (بلغوا عني ولو آية)[1] .

شروط الاجتهاد :

الاجتهاد مهمة مقدسة ، ورسالة جليلة ، لا ينهض بها إلا من كان أهلا لها ، ولذلك اشترط العلماء في الفقيه عدة شروط حتى يكون جديرا بهذه الرسالة وتلك المهمة .

وهذه الشروط منها ما هو متفق عليه ومنها ما هو مختلف فيه وهناك شروط مكتسبة وهي ما تسمى

(١) البخاري - كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

بالشروط العامة أو شروط التكليف وهى : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل .

أما الشروط المتفق عليها فهى :

١ ـ الكتاب : فيشترط معرفة كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ بأن يكون المجتهد ملما بالعلوم التى تتعلق بكتاب الله لمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والمكى والمدنى والعام والخاص والمطلق والمقيد ، والمحكم والمتشابه .. قال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾

ولا يشترط معرفة جميع الكتاب ، بل ما يتعلق بالأحكام منه .

٢ ـ معرفة السنة النبوية :

وهى ما روى عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير ، فلا بد لمن يتصدى للاجتهاد من معرفة هذه الأنواع الثلاثة بما تتضمن من أحكام كلية ومقاصد عامة ، ومن أحكام تفصيلية ؛ ذلك لأنها المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ، وهى مفسرة لمجمله ، وموضحة لمبهمه ، ومقيدة لمطلقه ، ومخصصة لعامه .. ولم يشترط علماء الأصول العلم بجميع ما جاء فى السنة ، فهى بحر زاخر ، وإنما اشترطوا معرفة الأحاديث التى تتعلق بالأحكام ، فلا يلزمه معرفة ما يتعلق من الأحاديث بالمواعظ والقصص وأحوال الآخرة ونحوها وإن كان (الواقع يوجب على المجتهد أن يكون واسع الاطلاع على السنة كلها ، وإن وجه مزيد اهتمام إلى أحاديث الأحكام . فقد توجد أحاديث بعيدة عن مجال الأحكام فى الظاهر ، ولكن الفقيه يستنبط منها من الأحكام ما قد يفوت غيره) .. وعلى المجتهد أن يكون على علم بالعلوم التى تتعلق بالسنة النبوية كالعلم برواية الحديث ، والعلم بنقد الحديث ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ منه .

٣ ـ الإحاطة باللغة العربية وعلومها :

لابد للمجتهد أن يكون عالما بالعربية وعلومها معرفة تيسر له فهم خطاب العرب ، وذلك لأن القرآن الكريم قد نزل بلسان عربى مبين ، والسنة قد نطق بها رسول الله وهو عربى .

إذ لا بد للمجتهد من معرفة السنة القولية ، والسنة الفعلية والتقريرية . فقد نقلها أصحاب رسول الله ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وهم عرب من أهل الفصاحة والبيان ، فالمجتهد فى الشريعة لا غنى له عن بلوغ درجة المعرفة فى كلام العرب بحيث يصير فاهما لخطابهم ، مدركا لمقاصدهم ، معبرا عن مدلول اللغة العربية من غير تكلف ولا توقف ، وبهذا القدر يتمكن من فهم كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا الأمر لا يستوجب بلوغ مبلغ الخليل بن أحمد ولا سيبويه وغيرهما من علماء اللغة ، بل المهم هنا أن يحس المجتهد من نفسه أنه أصبح قادرا على تذوق كلام العرب وفهمه والغوص على معانيه ، بمثل ما كان عليه العربى الأول بسليقته

(٢) النحل ـ الآية ٨٩ .

وسلامة فطرته ، قبل أن يستعجم الناس ويفسد اللسان والذوق ، وإن لم يبلغ درجة الاجتهاد في اللغة وعلومها .

٤. العلم بأصول الفقه :

لابد منه للمجتهد حتى يتعرف على حقيقة الحكم والأدلة وشروطها ووجوه الأدلة ، ووجوه الترجيح بين الأدلة عند التعارض ، والبحث عن علل الأحكام وتتبعها في مواطنها من النصوص . . فهو يعرف الأدلة المتفق عليها والأدلة المختلف فيها ، وشروط الاستدلال بهذه الأدلة ، فيجب على المجتهد (أن يكون عالما عارفا بمدارك الأحكام الشرعية وأقسامها وطرق إثباتها ووجوه دلالتها على مدلولاتها واختلاف مراتبها ، والشروط المعتبرة فيها ، وأن يعرف جهات ترجيحها عند تعارضها وكيفية استثمار الأحكام منها ، قادرا على تحريرها وتقرير ها) . . (فإنه إذا فعل ذلك تمكن من رد الفروع إلى أصولها بأيسر عمل وإذا قصر في هذا الفن ، صعب عليه الرد ، وخبط فيه وخلط) . .

ولابد له من معرفة الأصول الكلية التى بنى عليها الشرع الإسلامى لتكون له بمثابة شهود عدل على ما يستنبطه من العلل في المواقع الجزئية .

٥. العلم بمواضع الإجماع :

ويأتى بعد ذلك العلم بمواضع الإجماع ، حتى لا يفتى بخلاف الإجماع ؛ لأنه لا اجتهاد فيما أجمع على حكمه . . قالوا : ينبغى أن تتميز عند المجتهد مواقع الإجماع حتى لا يفتى بخلافها . كما تلزمه معرفة النصوص حتى لا يفتى بخلافها .

٦. العلم بمقاصد الشريعة :

العلم بمقاصد الشريعة والتمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها ، من أهم ما ينبغى أن يفطن إليه من يتصدى للفتوى بين الناس .

٧. العرف والمتعارف عليه :

معرفة الناس والحياة ، وذلك لأن المجتهد إنما يجتهد في وقائع تنزل بالأفراد والمجتمعات من حوله ، وهؤلاء تؤثر في أفكارهم وسلوكهم تيارات وعوامل مختلفة ، نفسية وثقافية واجتماعية وبيئية واقتصادية وسياسية ، فلا بد للمجتهد أن يكون على حظ وافر من المعرفة بأحوال عصره وظروف مجتمعه ، ومشكلاته وتياراته الفكرية والسياسية والدينية ، وعلاقاته بالمجتمعات الأخرى ومدى تأثره بها وتأثيره فيها . . فقد نقل الإمام ابن القيم عن الإمام أحمد أنه قال : (لا ينبغى للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال :

أولها : أن تكون له نية ، فإن لم تكن له نية لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور . (أى يحدوه الإخلاص لخدمة شرع الله) .

الثانية : أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة .

الثالثة : أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته .

الرابعة : الكفاية وإلا مضغه الناس . (أى لاكته الناس بأفواههم وساء مقالهم فيه) .

الخامسة : معرفة الناس .

وهذا في الواقع ليس شرطا لبلوغ مرتبة

الاجتهاد ، بل ليكون الاجتهاد صحيحا فى محله ، أو هو شرط لصحة الاجتهاد واستقامته .

٨ـ العدل والتقوى :

وهو من الشروط التى اتفق عليها الأصوليون ، أن يكون المجتهد عدلا ، يتقى الله ـ تعالى :

وهذا الشرط لجواز الاعتماد على فتواه ، فمن ليس عدلا فلا تقبل فتواه ، وأما هو فى نفسه فلا يشترط له ذلك ، وبالتالى فإن هذا الشرط ليس مطلوبا لبلوغ رتبة الاجتهاد ، بل لقبول اجتهاد المجتهد وفتواه عند المسلمين ، فقد يبلغ العاصى درجة الاجتهاد إذا حصل شروطه العلمية.

وفى هذه الحال يكون اجتهاده لنفسه صحيحا ، أما لغيره فلا . فالعدالة ـ كما قال حجة الإسلام الغزالى ـ شرط القبول للفتوى وليست شرطا لصحة الاجتهاد .

مجال الاجتهاد :

حدد الإمام الغزالى (رحمه الله) مجال الاجتهاد فقال : (كل حكم شرعى ليس فيه دليل قطعى) .

فمجال الاجتهاد هو الحكم الشرعى العملى الذى لم يثبت بدليل قطعى ، فالعقل ليس مجالا للاجتهادات الفقهية كما أن ما ثبت بدليل قطعى كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ونحوها مما اتفقت عليه الأئمة من جليات الشرع ليس مجالا للاجتهاد .

واجتهاد المجتهد يكون فى ثلاثة مواضع :

الأول : تعيين المراد من النص الظنى الدلالة الذى يحتمل أكثر من معنى .

الثانى : ترجيح دليل على دليل عند التعارض أو الجمع بينهما .

الثالث : إلحاق مسكوت عنه بمنصوص عليه ، لوجود معنى مشترك بينهما . وهذا هو القياس .

وخلاصة القول : إن الاجتهاد ممكن فى كل الأماكن واستكمال شرائط الاجتهاد ليس من العسير فى شىء ، بعد تدوين العلوم المختلفة وتعدد المؤلفات وما بذله العلماء من جهود علمية عالية فى تفسير القرآن الكريم بالمأثور وغير المأثور ، وتعدد مناهج المفسرين ، واتجاهاتهم فى ربط كل العلوم بكتاب الله وبيان معانيه ، وما يتعلق به من علوم اللغة والأدب ، ومن بيان أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من الجهود العلمية المدونة حول القرآن الكريم .

وكذلك جهود علماء السنة الذين جمعوا الأحاديث الصحيحة ودونوها ودرسوا أسانيدها ورجالها وأحوالها ، ومن يقبل قولهم ومن يرد ، مما هو فى علم الجرح والتعديل وكذلك دراسات الفقهاء وبحوثهم فى الاستدلال على الأحكام ، والاجتهاد فى استنباط ما ليس فيه نص ، ومناقشاتهم ومحاوراتهم وغير ذلك من العلوم الدينية واللغوية ، بالإضافة إلى كتب التراث التى تم تحقيقها من كتب الحديث والفقه والتفسير والفقه المذهبى والفقه المقارن والأصول وغيرها ،وقد ظهرت أدوات مساعدة مثل أجهزة التصوير والنسخ والعقول الالكترونية التى تمكن العارفين بواسطتها من تصنيف وتبويب أحاديث

السنة النبوية وبذلك أصبح من السهل معرفة تخريج أى حديث .

وفى ضوء ما تقدم يصح القول بأنه قد تيسرت طرق الاجتهاد للمجتهد . . وبذلك يمكن أن تنزل الوقائع المستجدة على أحكام الكليات التى وردت بها النصوص الشرعية ، فكان لابد من إعمال الذهن فى الحوادث والوقائع ثم فى النصوص القرآنية والسنة النبوية لإدراك مناط التكليف وعلة الحكم فيها .

فالحاجة إلى الاجتهاد دائمة ؛ لأن وقائع الحياة تتجدد وأحوال المجتمع تتغير وتتطور ، وشريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان ، وهناك فى العصر الحديث مجالات حدث فيها تغير ضخم وأصبحت فى أشد الحاجة إلى الاجتهاد فى المجال الاقتصادى والمالى ومجال الطب الحديث وغير ذلك من مستجدات العصر .

وفيما ذكرناه أرجو أن يكون وافيا بالمقصود فى هذا الموضوع والله يقول الحق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع المعزو لها فى هذا البحث:

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ التفسير الوسيط د . محمد سيد طنطاوى .
٣ ـ التفسير المنير د . وهبة الزحيلى .
٤ ـ تفسير المنار السيد محمد رشيد رضا .
٥ ـ كتب السنة .
٦ ـ موطأ الإمام مالك .
٧ ـ مختصر المزنى .
٨ ـ الحاوى الكبير للماوردى .
٩ ـ البحر للرويانى .
١٠ ـ التهذيب للبغوى .
١١ ـ إعجاز القرآن لابن سراقة .
١٢ ـ البسيط للإمام الغزالى .
١٣ ـ المقدمة لابن القصار .
١٤ ـ المختصر لابن الحاجب .
١٥ ـ المسكت للزبيدى .
١٦ ـ المحيط للزركشى .
١٧ ـ البرهان ـ إمام الحرمين .
١٨ ـ المحصول للفخر الرازى .
١٩ ـ التبريزى ـ تنقيح المحصول .
٢٠ ـ البحر ـ للزركشى .
٢١ ـ الودائع ـ ابن شريح .
٢٢ ـ النهاية ـ إمام الحرمين .
٢٣ ـ تقويم الأدلة ـ الدبوسى .
٢٤ ـ الفروق ـ القرافى .
٢٥ ـ المستصفى ـ الإمام الغزالى .
٢٦ ـ أعلام الموقعين ـ ابن القيم .
٢٧ ـ المحلى ـ ابن حزم .
٢٨ ـ نهاية السول ـ شرح منهاج الوصول لجمال الدين الأفغانى .
٢٩ ـ الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية د . يوسف القرضاوى .
٣٠ ـ أصول التشريع الإسلامى د . على حسب الله .
٣١ ـ أصول الشريعة للشاطبى .
٣٢ ـ الرسالة للإمام الشافعى .
٣٣ ـ توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى د . رفعت فوزى .
٣٤ ـ إرشاد الفحول للشوكانى .
٣٥ ـ الأحكام للآمدى .
٣٦ ـ الموافقات للشاطبى .
٣٧ ـ أصول الفقه للخضرى .
٣٨ ـ الاجتهاد فى الإسلام د . نادية شريف .



المعانى النحوية والدلالات لعلامات الوقف

فى المصحف الشريف ٢

للدكتور : جمال عبد العزيز أحمد

رابعاً : الوقف الحسن ، ورمزه « صلى »

وهو رمز للوقف الحسن ، وهو ما يتعلق بما قبله لفظا ومعنًى ، وَوَصْلُه أولى من الوقف عليه ، إلا أن التعلق اللفظى والمعنوى فى هذا النوع من الوقف أقل درجة من التعلق الكائن فى الوقف الممنوع الذى يرمز إليه بالرمز « لا » .

والأصل فى هذا الوقف أن يكون التعلق فيه من جهة اللفظ ، غير أن هذا التعلق يستوجب أو يؤدى إلى التعلق المعنوى ، ولكن التعلق المعنوى اللفظى أكثر ما يكون بين الجمل أو الجملة ومكملاتها أو التوابع ومتبوعاتها ، كالتعلق بين المعطوف والمعطوف عليه ، والبدل والمبدل منه وجملة الشرط وجملة الجواب أو جملة الاستفهام ، أو القول وجواب القول ، وهذا تعلق نحوى أقل فى قوته من التعلق الكائن بين الأركان الإسنادية كالتعلق بين المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل . فإن الوقف بين شيء من هذه المتلازمات يُعد قبيحا لا حسناً ، ولكن الوقف الحسن الذى يرمز له بالرمز « صلى » تجد عنده المعنى النحوى الأصل تاماً ، لكنه متعلق بما بعده تعلق فضلةٍ أو تكملة .

● الكاتب : مدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

• ومن أمثلة ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(١)

فالتعلق هنا ليس نحويا ، وإنما هو تعلق في المعنى ، حيث إن الجملة التي بعد الرمز « صلى » مترتبة على ما قبلها ترتب استكمال لا ترتب صحة .

• ومنه أيضاً قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾(٢)

فجملة « مستهم » مستأنفة أو حالية ، وعلى كلا الوجهين ، هي ليست متعلقة بما قبلها تعلقا أصليا لكنه تعلق استكمالي .

• وفي قوله ـ تعالى ـ :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾(٣)

نجد أن الجملة بعد « صلى » معطوفة على ما قبلها ، وهذا التعلق ليس ضروريا ، وإنما هو استكمالي ، لأن الجملة التي قبلها مستقلة نحويا ؛ لأنها استوفت أجزاءها ، ومجيء الجملة المعطوفة عقب وقف « صلى » كثيرة في القرآن الكريم ، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾(٤)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾(٥)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾(٦)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ﴾(٧)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾(٨)

وقد تكون الجملة التي بعده تفسيرية كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾

وكقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾(١٠)

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٧ .
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤١ .
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤٤ .
(٨) سورة آل عمران آية : ٥٥ .
(٩) سورة آل عمران آية : ٣٨ .
(١٠) سورة آل عمران آية : ٤٩ .

وقد تكون الجملة تعليلية كقوله ـ تعالى ـ :


﴿ فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾(١١)

وكقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾(١٢)

وقد تكون جوابا لقول متقدم ، وهو كثير في الحوار في القرآن الكريم كقوله ـ عز وجل ـ :

﴿ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك ﴾(١٣)

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾(١٤)

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾(١٥)

وقد تكون الجملة خبراً ثانياً . كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾(١٦)

وهذه الجملة ـ وإن كانت خبراً ـ إلا أنها خبر بعد خبر ، فالمعنى قبله قد تم بالخبر الأول .

وقد تكون الجملة بعده شرطية مستأنفة متعلقة بما بعدها من حيث المعنى الإضافي كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾(١٧)

وهكذا يتضح لنا أن الوقف الحسن يكون أكثر ما يكون بين الجملة ومكملاتها ، أو التوابع ومتبوعاتها ، وعندما يكون المعنى النحوى الأصلى قد تم ، وحدث تعلق تكملة ، أو تعلق فضلة بحيث يعطف على ما قبلها ـ مثلا ـ ويكون ثمة تعلق في المعنى يترتب على ما قبله ترتب استكمال لا ترتب صحة ولا يكون التعلق ضروريا لاستقلال الجملة قبله نحويا ، ومن هنا رأينا أن جل التعلق يكون بين المعطوف والمعطوف عليه ،

أو البدل والمبدل منه أو جملة الشرط وجملة الجواب ، أو جملة الاستفهام ، أو القول وجوابه ، وهذا من غير شك أقل في قوته من التعلق الحاصل بين الأركان الإسنادية الأساسية في الجمل ، ومن ثم سمى وقفاً حسناً(١٨) ، ورمز إليه بالرمز « صلى » .

خامساً : الوقف الكافى ورمزه « قلى »

وهو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها من حيث اللفظ ، وتعلق بها أو بما قبلها من حيث المعنى ، ويكون هذا الوقف على رؤوس الآى وفى وسطها ، فإذا كان على رؤوس الآى استغنى عن الرمز لأنه ليس من اللازم أن يوضع على رأس الآية رمز « قلى » ، وهو لا يمنع كونه كافياً ، وإنما منعهم من وضعه أنه رأس آية ،

(١١) سورة آل عمران آية : ٣٥ .
(١٢) سورة آل عمران آية : ٣٨ .
(١٣) سورة آل عمران آية : ٤٧ .
(١٤) سورة آل عمران آية : ٥٢ .
(١٥) سورة آل عمران آية : ٣٧ .
(١٦) سورة البقرة آية : ٢٧٥ .

(١٧) سورة البقرة آية : ٢٧١ .
(١٨) وإنما سمى حسنا : لأنه في نفسه حسن ، حيث إن المعنى يكون تاما عنده ، لكنه لما كان ما بعده لا يحسن الابتداء به كان وصله بما بعده أولى (الإتقان ١/ ٢٣٧ ، وشرح طيبة النشر ١/ ٢٢٨) .

وسماه بعضهم التام الناقص ، ومثل له بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾(١٩)

وقوله ـ سبحانه ـ :

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾(٢٠)

وإنما كان هذا الوقف كافيا للاكتفاء به عما بعده ، واستغنائه عنه ، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾(٢١)

فالملاحظ فى هذه الآية أن المعنى قد تم عند قوله : ﴿ يغلبون ﴾ ، وأنه مستغن عما بعده ، وليس متعلقاً به من الناحية النحوية ، وإن تعلق به من ناحية المعنى العام الذى سبقت له الآيات ، وهو الحديث عن جزاء الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله .

ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٢)

فهنا نجد ان الجملة قد تمت عند ﴿ دينهم ﴾ ، وليست متعلقة بما بعدها من الناحية النحوية وإن تعلقت به من جهة الدلالة العامة ، فجملة ﴿ ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ﴾ جملة مستأنفة مستقلة .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٣)

نجد السمة نفسها ، وهى استقلال الجملة عند الوقف الكافى الذى يرمز إليه بالرمز « قلى » ، واستقلال الجملة التى بعده ، وهى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ وإن كان هناك ارتباط فى المعنى العام بين الفاصلة وما قبلها من الكلام من حيث إن الله ـ عز وجل ـ قد عاتبهم فى فداء الأسرى بقوله :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾(٢٤)

فتبين أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عزيز ، وأنه ينبغى عليهم أن يعملوا بمقتضى هذه العزة فى معاملة الأسرى ، وأن يعلموا أن الله ـ سبحانه ـ حكيم فيما أمرهم به .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾(٢٥)

نجد أن جملة ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ قد تمت ، واستغنت عما بعدها ، وجملة ﴿ فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهرًا ﴾ مستأنفة .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾(٢٦)

---

(١٩) سورة الكهف الآيتان : ٣ ـ ٤ .
(٢٠) سورة المؤمنون الآيتان : ٥٥ ـ ٥٦ .
(٢١) سورة الأنفال آية : ٣٦ .
(٢٢) سورة الأنفال آية : ٤٩ .
(٢٣) سورة الأنفال آية : ٦٧ .
(٢٤) سورة الأنفال آية : ٦٧ .
(٢٥) سورة الكهف آية : ٢٢ .
(٢٦) سورة الكهف آية : ٤٥ .

نجد أن جملة ﴿ فأصبح هشيما تذروه الرياح ﴾ قد استوفت أركانها ، وما بعدها مستأنف كذلك .

وهذه السمة هى الغالبة على ذلك النوع من الوقف ، وهى أن الجمل التى تأتى بعده تكون مستأنفة ، والجمل التى تأتى قبله مستقلة عما بعدها من حيث التعلق النحوى اللفظى وقد ذكر علماء الوقف أنه لا يتعين الوقف على الكلمة التى يعد الوقف عليها كافيا ، بل يجوز وصلها بما بعدها نظراً للتعلق المعنوى بينهما ، وإن كان الوقف عليها أولى من وصلها بما بعدها باعتبار تمام الكلام وعدم تعلقه بما بعدها لفظاً[٢٧] .

ومما يلاحظ بكثرة أن هذا الوقف يكثر مجيئه قبل نهاية الآيات ، فيكون بمثابة ما يشبه الفاصلة ، وهذا كثير فى الآيات الطوال ، وتكون جملة الفاصلة بعده جملة مستأنفة تقرر حكما عاما ، أو خبراً ثابتاً كما فى الأمثلة السابقة التى أوردناها وفى كثير غيرها .

العروض ، وهى تأتى فى عروض المضارع والمقتضب ، وهو أن يكون الجزء مرة « مفاعيل » ومرة « مفاعلا » . ويدل ذلك على تأثير علماء العروض فى علماء الوقف .

ويلاحظ أن هذا الوقف يؤثر فى شكل التركيب النحوى ، حيث تصبح الجملة أو الكلمة المنحصرة بين علامتى المعانقة قاسماً مشتركا بين الكلام الذى قبلها ، والكلام الذى بعدها ، فإذا كان الوقف على العلامة الأولى فهى تابعة لما بعدها ، وإذا كان الوقف على العلامة الثانية فهى تابعة لما قبلها . وهذا من عجائب القرآن وخصائصه الدالة على إعجازه ، حيث تتعدد الأوجه الإعرابية وصور التراكيب النحوية تبعا للوقفات ، ويكون لكل وقف منها معنى سائغ مستقيم .

ومن أمثلة هذا الوقف قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾[٢٩]

سادساً : وقف المعانقة ورمزه (∴ ∴) :

ويسمى وقف المراقبة ، وهو أن يجتمع فى آية كلمتان ، يصح الوقف على كل منهما ، لكنه إذا وقف على إحداهما امتنع الوقف على الأخرى .

وقد ذكر علماء الوقف أن هذا النوع من الوقف مأخوذ من المراقبة فى العروض ، قال ابن الجزرى[٢٨] : « وأول من نبه على المراقبة فى الوقف أبو الفضل الرازى ، أخذه من المراقبة فى

الكلمتان ﴿ ريب ﴾ ، و ﴿ فيه ﴾ حيث يصح الوقف على إحداهما فإذا وقف على كلمة ﴿ ريب ﴾ امتنع الوقف على كلمة ﴿ فيه ﴾ ، ويجب وصلها بما بعدها ، وإذا وقف على كلمة ﴿ فيه ﴾ امتنع الوقف على كلمة ﴿ ريب ﴾ ، ويجب وصلها بكلمة ﴿ فيه ﴾ ، والقارىء مخير بين الوقف على الأولى أو الثانية .

يقول ابن الأنبارى[٣٠] : وفى « هدى » سبعة أوجه ، الرفع بإضمار « هو » كأنك قلت : (هو

(٢٧) انظر معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء للحصرى ـ رحمه الله ـ ص ٢٩ .

(٢٨) انظر النشر فى القراءات العشر ١/٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، والبرهان للزركشى ١/٣٦٥ ، والإتقان للسيوطى ١/٢٤١ ، وانظر أيضاً شرح طيبة النشر فى القراءات العشر ١/٣٣٩ .

(٢٩) سورة البقرة آية : ٢ .

(٣٠) إيضاح الوقف والابتداء ١/١٨٧ ـ ١٩٠ .

هدى للمتقين ﴾ فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على ﴿ فيه ﴾ ، ولا يتم ؛ لأن ﴿ هدى ﴾ مع رافعه متعلقان بالأول . والوقف على الريب قبيح ؛ لأن ﴿ فيه ﴾ خبر التبرئة فهي مضطرة إلى ما قبلها .

والوجه الثاني : أن ترفع ﴿ هدى ﴾ بـ﴿ ذلك ﴾ ، فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على « الريب » ، ولا على ﴿ فيه ﴾ ؛ لأنها خبران لما قبلها ، والخبر مضطر إلى الذى خبر به عنه .

والوجه الثالث : أن ترفع ﴿ هدى ﴾ على الاتباع لموضع ﴿ لا ريب فيه ﴾ كأنك قلت : (ذلك الكتاب حق هدى) ، فعلى هذا المذهب لا يتم الوقف على « الريب » ، ولا يحسن ، ويحسن الوقف على ﴿ فيه ﴾ ؛ لأن « الهدى » ليس بخبر لما قبله .

والوجه الرابع : أن ترفع « الهدى » بـ﴿ فيه ﴾ ، فيتم الكلام على قوله : ﴿ لا ريب ﴾ ، ثم تبتدىء : ﴿ فيه هدى للمتقين ﴾ ، ويكون معنى ﴿ لا ريب ﴾ : لا شك .

والوجه الخامس : أن تنصب ﴿ هدى ﴾ على القطع من ﴿ ذلك ﴾ .

والوجه السادس : أن تنصب على القطع من « الكتاب » .

والوجه السابع : أن تنصب على القطع من الهاء فى ﴿ فيه ﴾ ، على هؤلاء الثلاثة الأوجه لا يحسن الوقف على « الريب » ، ويحسن على ﴿ فيه ﴾ ، ولا يتم ، لأن المقطوع متعلق بالمقطوع منه . والوقف على ﴿ هدى ﴾ قبيح ، لأن اللام صلته ، وهو ناقص مضطر إليها .

ففى هذا النص ما يدل على تأثير الوقف فى التوجيه النحوى ، والتمييز بين معانيه المختلفة وتأثره به ، وفيه أيضاً ما يدل على قبول الموضع الواحد من القرآن الكريم لأوجه إعرابية كثيرة .

ومن ذلك أيضاً قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣١)

حيث يصح الوقف على ﴿ التهلكة ﴾ ، ووصل ﴿ أحسنوا ﴾ بما بعدها ، ويصح الوقف على ﴿ وأحسنوا ﴾ ووصل ﴿ التهلكة ﴾ بما بعدها ، وتكون جملة ﴿ وأحسنوا ﴾ مشتركة بين الكلامين ، وكل منها جائز وحسن ، فإذا وقف على ﴿ التهلكة ﴾ فالواو فى ﴿ وأحسنوا ﴾ استئنافية وإذا وقف على ﴿ وأحسنوا ﴾ فالواو عاطفة مابعدها على ما قبلها .

ويبدو أن الوقف على الموضع الأول ـ وهو ﴿ التهلكة ﴾ أفضل ، لأنه يحقق التناسب بين الفاصلة ﴿ المحسنين ﴾ ، والجملة التى قبلها ، وهى : ﴿ وأحسنوا ﴾ من حيث اللفظ والمعنى ؛ أما اللفظ فيتمثل فى التجانس الصوتى (أو التشابه فى الجذر اللغوى) ، وأما المعنى فيتمثل فى أن جملة ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾ تعد جوابا للأمر فى ﴿ وأحسنوا ﴾ ، والجزاء من جنس العمل .

ومن وقف المعانقة أيضاً قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾(٣٢)

---

(٣١) سورة البقرة آية ١٩٥ . وانظر الإتقان ١/٢٤١ .

(٣٢) سورة المائدة آية : ٢٦ .

حيث يصح الوقف على ﴿ عليهم ﴾ ، ويبتدأ بـ ﴿ أربعين سنةً ﴾ موصولة بـ ﴿ يتيهون ﴾ ، ويصح كذلك الوقف على ﴿ سنة ﴾ ، وكل منها سائغ في المعنى ، فإذا كان الوقف على ﴿ عليهم ﴾ ، فيكون قوله : ﴿ أربعين سنة ﴾ متعلقا بـ ﴿ يتيهون ﴾ ، والمعنى أن التيه مؤقت بهذه المدة ، والتحريم مطلق ، وإذا وقف على ﴿ سنة ﴾ فالظرف متعلق بـ ﴿ محرمة ﴾ ، والتيه مطلق ، والتحريم مؤقت بهذه المدة[٣٣] .

وفي قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾[٣٤]

يصح الوقف على ﴿ قلوبهم ﴾ أو على ﴿ هادوا ﴾ ، ولا يجوز الوقف عليهما معاً ، والوقف على الموضع الأول يؤدي إلى تعلق الجار والمجرور بخبر محذوف للمبتدأ ﴿ سماعون ﴾ أما الوقف على ﴿ هادوا ﴾ فيؤدي إلى جعل الجار والمجرور معطوفاً على قوله قبلُ : « من الذين قالوا »[٣٥] وكل من المعنيين سائغ وصحيح .

ويتضح من ملاحظة هذه الأمثلة أن وقف المعانقة أو المراقبة عبارة عن تداخل بين كلامين ، واشتراكهما في جزء من التركيب ، ويصح في هذا الجزء اتباعه للكلام السابق ، أو وصله بالكلام اللاحق ، وهذا من فنون القرآن ولطائفه وهذا الوقف اختياري ، إذ لا مانع من ترك الوقف في الموضعين معاً .

سابعاً : السكت ورمزه « س »

وهو قطع الصوت زمنا دون زمن الوقف عادةً ، من غير تنفس مع قصد استئناف القراءة[٣٦] .

ويلاحظ أن المواضع التي ينبغي السكت عليها يكون لها صلة بما بعدها من حيث المعنى ، لكن من جانب آخر يكون بينها وبينه اختلاف جزئي في المعنى ، وقد يكون السكت من أجل تجنب حدوث تغير في اللفظ يترتب عليه تغير في المعنى .

أما المواضع التي يكون فيها اختلاف جزئي في المعنى من جهة ، واتفاق في المعنى العام من جهة أخرى فمنها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾[٣٧]

فيلاحظ أن ﴿ عوجاً ﴾ مفعول به لـ ﴿ يجعل ﴾ ، وهو وصف في المعنى لـ ﴿ كتاب ﴾ و ﴿ قيما ﴾ حال من ﴿ الكتاب ﴾ ، وهو في المعنى صفة له ، فالسكت يمنع إيهام أن ﴿ قيما ﴾ صفة لـ ﴿ عوجاً ﴾ وقد حكى ابن هشام : أن بعضهم سمع شيخا يعرب لتلميذه ﴿ قيما ﴾ صفة لـ ﴿ عوجاً ﴾ فقال ابن هشام . « يا هذا كيف يكون العوج قيما » قال :

---

(٣٣) انظر في ذلك : البحر المحيط ٣/٤٥٨ ، وروح المعاني للآلوسي ٦/١٠٩ ، والكشاف للزمخشري ١/٦٠٥ ، والمكتفى في الوقف والابتداء للداني ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٣٤) سورة المائدة آية : ٤١ .

(٣٥) انظر في ذلك : الإتقان ١/٢٤١ .

(٣٦) انظر الإتقان ١/٢٤٤ ، وشرح طيبة النشر ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، والنشر ٢٣٨ ـ ٢٤٣ .

(٣٧) سورة الكهف الآيتان : ١ ـ ٢ .

« وترجحت على من وقف من القراء على ألف التنوين في ﴿ عوجا ﴾ وقفة لطيفة دفعاً لهذا التوهم ، وإنما ﴿ قيما ﴾ حال ، إما من اسم محذوف هو وعامله أي « أنزله قيما » ، وإما من ﴿ الكتاب ﴾ وجملة النفي معطوفة على الأول ، ومعترضة على الثاني ، قالوا : « ولا تكون عاطفة لئلا يلزم العطف على الصلة قبل كمالها ، وإما من الضمير المجرور باللام إذا أعيد إلى الكتاب لا إلى مجرور « على » ، و « جملة النفي وقيما » حالان من ﴿ الكتاب ﴾ على أن الحال يتعدد ، وإنما لم يجب الوقف على ﴿ عوجاً ﴾ ، لأن ﴿ قيما ﴾ يفيد فائدة قبله ، وهو أنه ليس له عوج ، فهما متصلان في المعنى ، وقد قيل : إن ﴿ قيما ﴾ وجملة النفي قبله حالان من الكتاب[٣٨] .

وفي قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾[٣٩]

فالسكت على ﴿ مرقدنا ﴾ يفصل بين كلامين : كلام البشر وكلام الملائكة أو كلام الله ، وهذه السكتة تجسد لحظة الحيرة والتساؤل والغفلة التي تعتري هؤلاء القائلين ، وتأتي الجملة التي بعدها لترد عليهم في تساؤلهم هذا ، وإنما لم يجب الوقف على ﴿ مرقدنا ﴾ ، لأن الكلام متصل بما بعده من حيث إنه يمثل المشار إليه بكلمة ﴿ هذا ﴾ ، وهو حالتهم وهم مبعوثون من ﴿ مرقدهم ﴾ فالوقف يؤدي إلى الفصل بين المشار والمشار إليه ، ومن ثم كان السكت دليلاً على توسط الكلام بين الوصل التام والوقف التام[٤٠] .

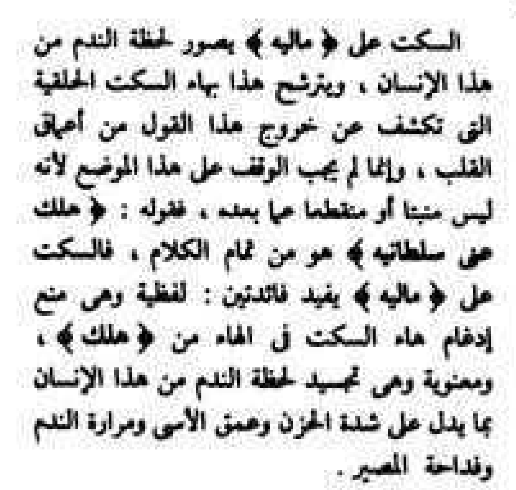
وقال الإمام الداني : « من مرقدنا » : تام ، وهو قول جميع أصحاب التمام من القراء والنحويين (كأبي حاتم والقتيبي والفراء والأخفش سعيد ويعقوب وأحمد بن موسى وأحمد بن جعفر وعيسى ابن عمر ومجاهد والحسن وقتادة) وروى عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن السلمي وحفص بن سليمان عن عاصم أنهما كانا يستحبان الوقف على ذلك . . . قال قتادة : « تكلم بأول هذه الآية أهل الضلالة وبآخرها أهل الإيمان . قال أهل الضلالة : « ياويلنا من بعثنا من مرقدنا » وقال المؤمنون : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » ، وقيل : هو من كلام الملائكة ، وقد أجاز ابن الأنباري والدينوري الوقف على ﴿ هذا ﴾ يجعلانه تابعاً للمرقد ، ثم يبتدىء : « ماوعد الرحمن » بتقدير بحتكم وعد الرحمن . . وكان حمزة يستسمج السكت على قوله : ﴿ مرقدنا هذا ﴾ ، والابتداء ﴿ ماوعد الرحمن ﴾ وقال : السكت على ﴿ الرحمن ﴾[٤١] .

وفي قوله ـ تعالى ـ :

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[٤٢]

---

(٣٨) انظر المغني ١٢٢/٢ .
(٣٩) سورة يس آية : ٥٢ .
(٤٠) انظر المكتفي ٤٧٣ ـ ٤٧٥ ، والقطع والائتناف ٥٩٩ ـ ٦٠٠ ، وزاد المسير ٣٦/٧ .
(٤١) انظر المكتفي ٤٧٣ ـ ٤٧٥ .
(٤٢) سورة الحاقة الآيتان : ٢٨ ـ ٢٩ .


السكت على ﴿ ماليه ﴾ يصور لحظة الندم من هذا الإنسان ، ويترشح هذا بهاء السكت الحلقية التى تكشف عن خروج هذا القول من أعماق القلب ، وإنما لم يجب الوقف على هذا الموضع لأنه ليس مثبتا أو منقطعا عما بعده ، فقوله : ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ هو من تمام الكلام ، فالسكت على ﴿ ماليه ﴾ يفيد فائدتين : لفظية وهى منع إدغام هاء السكت فى الهاء من ﴿ هلك ﴾ ، ومعنوية وهى تمهيد لحظة الندم من هذا الإنسان بما يدل على شدة الحزن وعمق الأسى ومرارة الندم وفداحة المصير .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٤٣)

نجد أن السكت على ﴿ بل ﴾ يمنع وقوع التغيير الصوتى للكلام ، وهو إدغام اللام فى الراء مما يؤدى إلى تغير المعنى ، فتصير الكلمة « برّان » مثنى « بر » ، ولم يجب الوقف لاتصال المعنى بما قبله .

وكذا فى قوله ـ تعالى ـ :

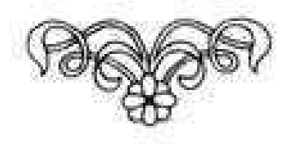
﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾(٤٤)

فإن السكت على ﴿ مَنْ ﴾ يمنع من إدغام النون فى الراء لئلا تصير ﴿ مراق ﴾ ، وهو الشديد المروق ، كما أن هذه السكتة تفيد فائدة معنوية أخرى ، وهى تمهيد لحظة التساؤل من هؤلاء القائلين ، وتنبيه الذهن إلى أهمية الوقوف عند هذه اللحظة التى تخرج فيها الروح ، وهو ينسجم مع قوله من قبلُ :

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾(٤٥)

وبهذا يتبين ارتباط هذا النوع من الوقف بالدلالة النحوية وغيرها من الجوانب اللغوية .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



(٤٣) سورة المطففين الآية : ١٤ .
(٤٤) سورة القيامة الآية : ٢٧ .
(٤٥) سورة القيامة الآية : ٢٦ .

يُسر الإسلام وسماحته

٢

للأستاذ الدكتور :
أحمد عبد الرحيم السايح

لقد راعى الإسلام السهولة واليسر والبعد عن الغلو والتشدد ، فراعى ظروف كل إنسان فى تشريعاته الرحيمة ، قوة وضعفا ، صحة ومرضا ، فصار بلا ريب دين الفطرة ، بكل ما تتسع له هذه الكلمة من مضمون ، ومدلول ، فعندما شرع الصوم راعى ظروف المسافر والمريض ، الذى يشق عليه الصوم ، والمرأة إذا كانت حاملا أو مرضعا ، والشيخ الهرم ، والذين يقومون بأعمال شاقة ، فخفف عنهم ، وجعل لهم من الأحكام الميسرة السمحة ، ما يجعلهم يشعرون بالطمأنينة والرضا ، فيقبلون على طاعة الله بقلوب راضية ونفوس مطمئنة .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٢)

فالمريض والمسافر لايصومان فى حال المرض والسفر ، لما فى ذلك من المشقة عليهما ، بل يفطران ويقضيان بعد ذلك من أيام أخر .

وصوم رمضان فى أصل مشروعيته رحمة وتيسير وفضل وإحسان ، فحينما ننظر إلى هذه العبادة فى

(٣٢) سورة البقرة الآيتان : ١٨٣ ـ ١٨٤ .

مراحلها المختلفة ، وجوانبها المتعددة ، نجد اليسر والسماحة صفة بارزة فيها ، فالأيام التي يجب صيامها قليلة جدا ، بالنسبة لأيام السنة ، قال تعالى : (٣٣) .

إن الإسلام يتسم باليسر والسماحة ، مما دفع الكثير من الناس إلى الدخول في هذا الدين ، الذي جاء بالتكاليف ، التي تتجاوب معها الفطرة ، إذ ليس في العقائد التي اعتنقتها البشرية على مدى تاريخها الطويل ، كعقيدة الإسلام السمحة ، التي انتظمت شئون الخلق دينا ودنيا ، على أحسن نظام ، وأكمل منهج ، لقد راعى الإسلام في جميع تشريعاته الضعفاء والمرضى وأصحاب الأعذار ، فلم يكلفهم فوق طاقتهم ، بل شرع ما يناسبهم من الرخصة والتيسير والتخفيف ، قال تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ
وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ
مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣٤)

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ أوجب الصوم على سبيل السهولة واليسر ، إذ أنه قد أوجبه في مدة قليلة من السنة ، ثم ذلك القليل ما أوجبه على المريض ، ولا على المسافر ، وكل ذلك رعاية لمعنى اليسر والسهولة .

وجاء في تفسير المنار ، في قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٣٥)

هذا تعليل لما قبله ، أي يريد فيما شرعه من هذه الرخصة في الصيام وسائر مايشرعه لكم من الأحكام أن يكون دينكم يسرا تاما ، لا عسر فيه ، وفي هذا التعبير ضرب من التحريض والترغيب في إتيان الرخصة ، ولاغرو ، فالله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب تؤتى عزائمه ، وذلك بأن الله لايريد إعنات الناس بأحكامه ، وإنما يريد اليسر بهم وخيرهم ومنفعتهم .

لقد بنى الإسلام تشريعاته كلها على اليسر والسماحة والرحمة ، ولم يقصد بتكاليفه ـ على وجه عام ـ عنتا ولا إرهاقا ، ولم يأمر بشيء فوق طاقة البشر ، وإنما جعل لهم رخصا ، إذا عجزوا عن القيام بالتكاليف .

وإذا كانت آية الله قد أوضحت أن الغرض من التشريع الإسلامي هو التيسير فإن سنة رسول الله ـ ﷺ ـ قد واكبت دعوة القرآن الكريم ، مما دفع الناس إلى النظر في الإسلام ، والبحث عنه ، والدخول فيه .

روى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال : خطب رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ، إلا أن الله فرض فرائض وسن سننا ، وحد حدودا وأحل حلالا ، وحرم حراما ، وشرع الدين ، فجعله سهلا ، سمحا ، واسعا ، ولم يجعله ضيقا » .

وكل ما سبق من غير شك فرائض حتمية ، لها إيحاءاتها الحيوية والمهمة والواجبة ، التي لاسبيل إلى غيرها ، مما دعا الناس إلى التفكر في الإسلام والدخول في عتبته .

---

(٣٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٠٦ .
(٣٤) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .
(٣٥) سورة البقرة الآية : ١٨٥

على أن دين الإسلام رفق كله ، لا حرج فيه ، ولاعنت ولا إصر ولا مشقة ولاتزمت ولاجمود ، إنما يسر وتخفيف وبر ورحمة واستصحاب لمصلحة الخلق واعتبار لمعاذيرهم ورعاية لأحوالهم ، فى استيعاب وشمول ، وليس على المسلم الحق من شىء بعد بذل طاقته ، وأداء وسعه ولا تكليف له مطلقا ، ولا التزام فوق هذا الوسع وهذه الطاقة .

وهذا فى ذاته من خير ما يوحى بمرونة الإسلام ، وفطرته ، ويسره وسماحته وإنسانيته ، وعدله وقسطاسه وقصده .

قال تعالى :

﴿ طه ۝ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ ﴾ (٣٦)

وقال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (٣٧)

يقول ابن كثير : « يريد الله أن يخفف عنكم فى شرائعه ، وأوامره ، ونواهيه وما يقدره لكم » .

قال الإمام أحمد بسنده إلى عروة ، قال : كنا ننظر النبى ـ ﷺ ـ فخرج يقطر رأسه من وضوء أو غسل ، فصلى ، فلما قضى الصلاة جعل الناس يسألونه : علينا حرج فى كذا ..... فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن دين الله فى يسر ، ثلاثا يقولها » .

فالإسلام يفرض على المسلم ـ وهو يمارس شعائره ـ ألا يتجاوز وسطيته ، فيشق على نفسه ، ويكلفها فوق طاقتها ، إذ أن هذا الدين متين واسع الأطراف .

وقد يؤتى المتزمت المتشدد من قبل نفسه ، فتعجز عن عونه ومساعدته ، وتنقطع به وسط الطريق على صورة قد لاتتفق ودين الله ـ عز وجل ـ قال ـ ﷺ ـ : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » (٣٨) .

وأن الباحث ليقف على سيرة الرسول ـ ﷺ ـ الأسوة الحسنة ، فيجدها فى سلوكه وعاداته وعباداته ومعاملاته ، إذ كان اليسر والتيسير والسماحة دأبه وديدنه ، الذى يلتزم به ، ويوصى به أمته وأصحابه ويحذرهم من أن يتجاوزوه ، ويبين لهم أن خير دينهم أيسره ، وأن يكون التيسير أو التبشير وتسكين النفوس ، وطمأنتهم ، وتهدئة خواطرها ، وعدم فتنها وإفزاعها وإقلاقها ، هدفا أصيلا من أهدافها ، التى تدعو إلى انتشار الإسلام .

وإذا كان ـ كما عرفنا ـ أن الإسلام خير كله ، ويسر كله ، وأن خير الدين أيسره ، فإن خير الحياة أيضا ـ أيسرها وأقربها إلى الفطرة ، وإذا كان الله ـ تعالى قد حرم على الناس أشياء ، فقد حرمها لخبثها ، بينما أحل أكل الطيبات .

فلا ينبغى للإنسان أن يشق على نفسه ، ويجنح بها إلى التضييق ، والحرج والعنت والمشقة ، ويمنعها من المباح ، (يحبس عنها الطيبات التى أحل الله) .

إن نفس الإنسان مطيته ، إذا أحسن استخدامها ، وأخذها باليسر ، وعدم إعناتها والمشقة عليها ، سلمت وبقيت له تؤدى مهامها ، المنوطة بها ، والغايات المتوخاة منها .

(٣٦) سورة طه الآيتان : ١ ـ ٣ .

(٣٧) سورة النساء الآية : ٢٨ .

(٣٨) البيهقى للسنن الكبرى ج ٣/ ١٨ كتاب الصلاة .

ما أجل الإسلام وما أعظمه من دين ، وهو يوجه الدعاة والمصلحين ، أن يحتكموا فى عملهم ، ومهمتهم إلى أدب الدعوة ومنهجها من الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتى هى أحسن ، وأن يشكل الرفق والهواد واللين ، إطارا يدور هذا المنهج الربانى فى فلكه ، ويلتزم به .

قال تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣٩) .

فهذه الآية نزلت بمكة المكرمة ، فى وقت الأمر بمهادنة قريش ، وأمره أن يدعو إلى دين الله بتلطف ولين ، دون مخاشنة وتعنيف ، وهكذا ينبغى أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة .

فالله سبحانه وتعالى ـ كما ترى ، يأمر نبيه الكريم ـ ﷺ ـ بأن تكون دعوته قائمة على المنهج ، الذى يمثل الكمال كله ، فى غرس المعارف وتربية النفوس ، ومن الدعوة بالحكمة : مراعاة مقتضى الحال ، ومخاطبة كل قوم بما يعرفون ، وأخذهم بالرفق ، والتيسير ، والسماحة ، والتلطف ، واختيار الوقت المناسب ، للموعظة التى يراد وعظهم بها ، حتى تتقبلها النفوس ، وتنتفع بما فيها من خير . . . إن الرسول ـ ﷺ ـ طبيب يحمل الدواء إلى العقول والقلوب والأرواح . ومن هنا كانت مهمته عسيرة شاقة ، يحتاج معها إلى بصيرة نافذة ، تندس إلى خفايا النفس الإنسانية ، وتضع يدها على موضع الداء ، ثم تختار من الدواء ما يشفى العلة ، ويذهب الداء .

وإذا كان منهج الدعوة ليس إلا منْ صنيع الحق ـ تبارك وتعالى ـ ومن تنزيله فلقد كان الوحى يوجه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أحكم آدابه ، وأمثل أساليبه مع المدعوين ، وذلك بأن يفتحوا لهذا الدين قلوبهم ، ويعملوا فيه عقولهم ، ويستلهموها صواب الفكر ، ورشاد الموقف ، وحيدة النفس ، فى روية وأناة ، من غير انغلاق ، ولاتحجر ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (٤٠)

وإنما طلب منهم التفكير ، وهم متفرقون اثنين اثنين ، أو واحدا واحدا ، لأن فى الازدحام تهويش الخاطر ، والمنع من إطالة التفكير وتخليط الكلام ، وقلة الإنصاف .

والآية الكريمة تكشف عن أسلوب الدعوة الإسلامية ، القائم على مواجهة العقل ودعوته بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإعطائه حقه فى طلب الدليل المقنع ، والبرهان الواضح ثم الاعتراف له بما يقتضى به بعد النظر السليم ، المجرد من الهوى ، المبرأ من التحدى والعناد .

فهذه رسالة الإسلام فى الإنسانية ، إنها تريد أولا وقبل كل شىء : أن تحرر العقل من العادات الفاسدة والمعتقدات الباطلة ، التى استولت عليه ، وشلت إرادة التفكير فيه ، فإذا تحرر العقل من هذه الآفات ، وتخلص من القيود ، فقد كسب

---

(٣٩) سورة النحل الآية : ١٢٥

(٤٠) سورة سبأ : ٤٦ .

نصف المعركة فى صراعه مع الباطل ، ثم كان عليه بعد هذا : أن يكسب النصف الآخر ، حتى يتخلص من الضلال ويخرج من عالم الظلام على عالم الهدى والنور ، وهو أن يدير عقله على هذا الوجود ، وأن ينظر فيه بعقله المتحرر ، فإنه إن فعل ، فلابد أن يهتدى إلى الله ، ويتعرف إليه ، ويؤمن به .

قال تعالى :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤١)

والمعنى ـ كما يقول الألوسى ـ : ولاتجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالتى هى أحسن ، أى بالخصلة التى هى أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم ، والمشاغبة بالنصح ، والتسرع بالأناة فلا تجادلوا من أراد الاستبصار فى الدين ، إلا باللين والرفق .

ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على تبليغ الإسلام وأحناهم على تبليغ الدعوة ، يبذل قصارى جهده فى الدعوة إلى الله ـ ونشر دينه فى الآفاق ، رغبة فى هدايتهم وإيمانهم ، وكان يتوسل إلى ذلك بشتى صنوف القول ، الذى يتفجر بالرفق ، ويفيض باللين ، ويشع بالحرص ويتألق بالرغبة الأكيدة فى هدايتهم .

فالإسلام دين اليسر والسماحة ، لايمكن أن تلمس معه حرجا ، أو مشقة فى أى جانب من جوانبه ، عقيدة وشريعة ، وعبادات ، ومعاملات ، قال تعالى :

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤٢)

فاتقوا الله فى حدود ما تحمل أنفسكم ، وماتتسع طاقتكم له ، لأن هذا الدين سهل سمح لاينتفع به إلا إذا أخذ سمحا سهلا ، تتقبله النفوس ، وتنشرح له الصدور ، شأنه فى هذا شأن الطعام ، لا يفيد منه الجسم ، إلا إذا طابت له النفس ، واشتهته ، واستساغت طعمه ، واستطابت مضغه وبلعه .

فالإسلام دين واقع ، ودين رحمة ، وعدل وإحسان وتيسير وسماحة ، لايرى إلا أنهم بشر تتحكم فيهم نوازع وعواطف ، وتعرض لهم عوارض الضعف ويلحقهم ما يلحق الكائن الحى .

فقوله تعالى :

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٤٣)

هو الميزان الذى يقيم عليه المؤمن أمر دينه كله ، وأن يتقى هذه الفتن التى تهب عليه من كل جهة يتقيها بقدر مايملك من قوة وما يتحمل من جهد ، لأن كل نفس لها طاقة من الاحتمال ، ولها قدر من القوة ، وأنه على طاقتها وقوتها تحاسب ، فتجزء بما كسبت ، وعلى ما اكتسبت .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « ما خير

(٤١) سورة العنكبوت الآية : ٤٦
(٤٢) سورة التغابن : ١٦ .
(٤٣) سورة التغابن : ١٦ .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثما ، كان أبعد الناس عنه ، وما انتقم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[44]

يقول ابن حجر فى فتح البارى : فيه الحث على ترك الأخذ بالشيء المعسر والاقتناع باليسر ، وترك الإلحاح فيما لايضطر إليه ، ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص مالم يظهر الخطأ .

ولقد كان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ القدوة فى التوجيه والتربية ، على القصد والتيسير والتوسط والاعتدال ، فما أعرض عن أمر إلا لحكمة ، تتمثل فى رغبته فى أن يرفق وييسر على أمته فى كل أمورهم .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ذرونى ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وما أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم »[45]

قال ابن حجر : قال النووى : هذا من جوامع الكلم ، وقواعد الإسلام ، ويدخل فيه كثير من الأحكام كالصلاة لمن عجز عن ركن أو شرط ، فيأتى بالمقدور ، وكذلك الوضوء ، وستر العورة ، وحفظ بعض الفاتحة ، وإخراج بعض زكاة الفطر لمن لم يقدر على الكل .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرا ما يركز على أن خير الطاعة ، وأكثرها قبولا ، ما كانت يسيرة ، سهلة ، سمحة ، لا حرج فيها ولامشقة ، ولاتزمت وإن القصد والتوسط ينبغى أن يكون هدف المسلم ، وغايته . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن خير دينكم أيسره »[46] .

وبعد هذا الذى عرضنا له فى إيجاز : نجد أن مجالات السماحة واليسر فى الإسلام تتصل بكل أمورنا ، وفى جميع ما يتصل بنا : فى الدين ، والدعوة والعادة والعبادة ، والحكم والعمل ، والنفس والأسرة والمجتمع والسلم والحرب ، وغير ذلك مما له بنا اتصال .

حقا إن الإسلام دين السماحة واليسر ، لايشق على الناس ، ولايكلفهم من أمرهم عسرا ، فى مطعمهم ومشربهم ، وعباداتهم ، وسائر أساليب حياتهم . . . إنه ـ دائما ـ يضفى على الداخلين فيه هالة ، قوامها النبل ، والسمو والترفع ، والعطاء والتسامح واليسر والرحمة . . . . وأن تكون نفوسهم فى الذرا ، وأيديهم فى العليا يرتقون عراهم بمجتمعهم ، وينقلون على متون سلوكهم وواقعيتهم موارث دينهم ، وتبعات تكاليفهم ، ومقاليد ما بين أيديهم من أمانة الحق ، إلى من خلفهم حتى تظل كلمة الله موصولة فى البشر .

---

(44) رواه البخارى .
(45) مسلم ٢/٩٧٥ .
(46) رواه أحمد ٣/٤٧٩ .



واجب ديني

للأستاذ الدكتور:

محمد السيد علي بلاسي

وضعت اللغات لدى شعوب الأرض لإقدارها على التفاهم والتواصل ، وحملت اللغات رسالات السماء إلى الأرض ، وتمكن الخلق بواسطتها من تنظيم فكره وتطويره .

واللغة العربية حملت آخر تلك الرسالات ، وأريد لها أن تكون لسان الوحي ، وقدر لها أن تستوعب دليل نبوة الإسلام ، واختزال مضامين الرسالات السابقة ، والانطواء على المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدين[1] .

« وقد كانت دراسة اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطة بالعامل الديني ، ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق فقد خلفت لنا العصور الأدبية على امتداد التاريخ اهتماماً كبيراً بلغة القرآن ، سواء فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر ، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها ، وتسجيل أوابدها وغرائبها في المعجمات والقواميس اللغوية ، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التي تُعنى بسلامتها ، والمحافظة على أصولها الموروثة ، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتناه أسرارها ، والكشف عن خصائصها ومميزاتها »[2] .

---

(١) العلم باللغة العربية .. ضرورة عقيدية : للدكتور عباس ارحيله ، ص ٨٢ - بتصرف يسير - . (مقال منشور بمجلة منار الإسلام : عدد المحرم ١٤١٥ هـ) .

(٢) مقالات وآراء في اللغة العربية : للدكتور حمد بن ناصر الدخيل ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، الطبعة الأولى - دار الشبل بالرياض ، سنة ١٤١٥ هـ .

ويقرر هذا أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ)، إذ يقول: «من أحب الله - تعالى - أحب رسوله محمداً - ﷺ -، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه؛ اعتقد أن محمداً - ﷺ - خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء، والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة التبصر في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بها فضلاً، يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره»[٣].

فاللغة العربية ليست مادة لفظية وأصواتا مسموعة فحسب، لكنها - إلى جانب ذلك - طاقة فكرية وعلمية وشعورية تحمل في مضمونها فعاليات النشاط الإنساني والحضاري بأبعاده وألوانه.

والعالم بدوله وشعوبه لن يفهم العرب حتى الفهم، ولن يدرك الإسلام وحضارته تمام الإدراك إلا بواسطة اللغة العربية، ذلك المفتاح السحري القادر على إزاحة الستار الحديدي أمام العالم لفهم حقيقة العرب والمسلمين[٤].

وجوب تعلم اللغة العربية:

والعربية ليست كأية لغة من اللغات الأخرى؛ بل هي فريدة من نوعها؛ اصطفاها الله من بين اللغات جميعا لتكون وعاء لكتابه الخالد: (القرآن الكريم)، كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين؛ لذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها؛ حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»[٥].

وأرجع شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - الخلط في الدين - عند أهل البدع - إلى قلة فهم اللغة العربية؛ فيقول: «ولابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه. ومعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك ضلال

(٣) فقه اللغة العربية وسر العربية: للثعالبي. (المقدمة). بتحقيق السقا والغرين. ط. الحلبي سنة ١٣٩٢ هـ.

(٤) مقالات وآراء في اللغة العربية: ص ٥٨ بتصرف يسير.

(٥) الرسالة: للإمام الشافعي. تحقيق أحمد محمد شاكر.

أهل البدع كان لهذا السبب ، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك »[6] .

ويؤكد هذه الحقيقة الجاحظ (١٥٩ - ٢٥٥ هـ) ؛ إذ يقول : « للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإراداتهم .. فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل ، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك »[7] .

من هنا ؛ أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية على المسلم تعلم اللغة ، فقال : « إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب ، وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب »[8] .

ولعل هذا هو ما دفع العلامة أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) إلى إفراد باب في كتابه (الصاحبي) تحت عنوان : « باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية » ، يقول فيه : « إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب ؛ حتى لا غناء بأحد منهم عنه ، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ، ورسول الله - ﷺ - عربي . فمن أراد معرفة ما في كتاب الله - جل وعز - وما في سنة رسول الله - ﷺ - من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب ، لم يجد من العلم باللغة بدا »[9] .

وغاية القول : إن فهم النصوص هو منطلق البحث عن الأدلة الشرعية ، والفهم موكول إلى المعرفة الدقيقة باللغة ، وبتصاريف القول فيها : إذ لا يتأتى استنباط حكم لا تقتضيه طبيعة اللغة .

فالمعنى الشرعي يؤخذ من الدليل اللفظي . وقد يستدل عليه بغير اللفظ ، ولكن يظل اللفظ دالا على المعنى التابع لقصد المتكلم . فاللفظ في تصور الأصولي هو دليل الحكم على صحة الفكر أو خطئه ؛ إذ اللغة ترجمة لما يجري في الفكر ؛ من هنا أخذت اللغة عند الأصوليين منحى علميا ، أصبحت به وسيلة لاستنباط الحكم ، تتجه إلى الاصطلاح وتخاطب العقل .

والشافعي في وضعه للأصول المعتمدة في فهم النصوص وتأويلها اعتمد منطق اللغة العربية . وقد أورد السيوطي (٩١١ هـ) - قول حرملة بن يحيى : سمعت الشافعي يقول « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب ، وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس . . . ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان ، ولكل قوم لغة واصطلاح »[10] .

---

(٦) الإيمان : لابن تيمية ، ص ١١١ .
(٧) الحيوان : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ١/١٥٤ ، الطبعة الثانية - مصطفى الحلبي ، د . ت .
(٨) اقتضاء الصراط المستقيم : لابن تيمية ، ص ٢٠٧ .
(٩) الصاحبي : لأحمد بن فارس ، تحقيق أحمد صقر ، ص ٥٠ ، الطبعة الأولى - عيسى البابي الحلبي ، سنة ١٩٧٧ م .
(١٠) العلم بالثقافة العربية .. ضرورة عقلية : ص ٨٧ . وانظر صون الكلام عن فن المنطق والكلام : للسيوطي ، شرح وتعليق الدكتور سامي النشار ، ص ١٥ ، الطبعة الأولى - السعادة ، سنة ١٩٤٧ م .

« وهكذا يتضح أن المنهج فى استنباط الحكم من النص أسس على منطق العربية ، وابن خلدون وهو يؤرخ للعلوم فى الحضارة الإسلامية أطلق علوم اللسان العربى على علوم العربية ، وجعلها أركانا أربعة : اللغة والنحو والبيان والأدب . وقرر أن « معرفتها ضرورية على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهى بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم ، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة »[11] .

الحملة على اللغة حملة على الدين:

بدهاء شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الإسلام اللغة العربية بوابة خلفية ؛ للنيل من المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم ، واستخدموا صنوفا من المكائد للوصول إلى مآربهم الخسيسة ومراميهم الدنيئة ، وهى عديدة ومتنوعة !

ويعدد الأستاذ محمد قطب بعض الخطوات التى اتبعها أعداء الإسلام لضرب الدين عن طريق اللغة ، فيقول[12] : حينما تولى (المستر دنلوب) عينه كرومر مستشارا لوزارة المعارف ـ جاء دنلوب ليضرب الأزهر على الأسلوب البطىء الأكيد المفعول ؛ ففتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية ، ولا تعلم الدين إلا تعليما هامشيا . أما من ناحية اللغة العربية : لغة القرآن فقد خطط « دنلوب » لقتلها والقضاء عليها ! فقد كان الراتب الذى يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا « اثنى عشرة جنيها » إلا مدرس اللغة العربية وحده يتقاضى « أربعة جنيهات » ! وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك سواء فى داخل المدرسة أو فى المجتمع .

ففى المدرسة : لم يعد مدرس اللغة العربية هو المقدم بل أصبح فى ذيل القافلة ! يتقدمه المدرسون جميعا حتى ذوو المؤهلات المتوسطة ، بل يتقدمه ـ فى الراتب ـ فراش المدرسة ـ أحيانا ـ إذا كان ذا أقدمية ؟!! ومن ثم لم تعد له كلمة فى المدرسة ، فلا هو مستشار فى شئونها ولا هو يشارك فى شىء من إدارتها ! ولم يعد له حق عند التلاميذ أى احترام ولا أى حساب .

أما فى المجتمع : فهو أشد ضياعا منه فى المدرسة ؛ فالناس جميعا يعلمون وضعه المالى ويعلمون أنه فى ذيل القائمة ، وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه فى الراتب والاحترام !

وهكذا يتحدد وضع مدرس اللغة العربية فى المجتمع بقدر ما يتحدد راتبه ، ويصبح مادة دائمة للسخرية يتحدث الناس عن جهله وتخلفه وضيق فهمه وانحطاط مستواه الاجتماعى والفكرى ، وأشد ما يعاب عليه أنه لا يعلم اللغة الأجنبية ! وحين أصبح مدرس اللغة العربية فى هذا الوضع المهين الذى لا يبعث على الاحترام ؛ فإن وضعه يؤثر حتما على المادة نفسها ، وهذا هو الهدف المقصود !

---

(١١) المرجع السابق : ص ٨٧ . وراجع مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د . على عبدالواحد وافى ، ١٢٢٤/٣ ، ط ٣٠ ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ، سنة ١٩٧٧ م .

(١٢) واقعنا المعاصر : محمد قطب ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٣ .

وبالفعل انتقل هذا الوضع المهين المزدرى من المدرس إلى المادة ؛ وبذلك أصبحت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور ؛ فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة من نحو وصرف وبلاغة ونصوص وأدب . .

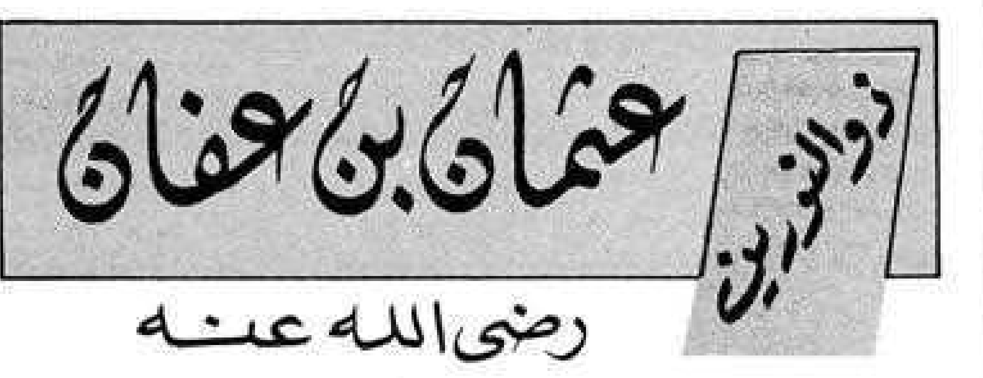
وهكذا صوبت السهام إلى اللغة العربية من كل جانب ، ولم تعد شيئاً يعتز به المسلم العربي ، كما كان يعتز به طيلة ثلاثة عشر قرنا من قبل ، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها وتمتين العيب فيها ، والانتقاد عليها ؛ لكي يصبح من المثقفين !! ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الوضع المزرى من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة . وكان هذا هو الهدف الأخير المطلوب من ذلك التخطيط الخبيث !

فالمكتوب باللغة العربية هو ذات الأمر كله ، وهو القرآن الكريم والمطلوب هو : صرف الأمة عن تراثها كله وعلى رأسه القرآن . وانصرف الناس بالفعل عن قرآنهم وتراثهم بالتدريج ؛ فلم يعد يشعرون أنه هو الزاد إنما الزاد هو المكتوب بلغة السادة الغالبين !

والواجب علينا أن نفيق قبل أن تحل بنا الكارثة ولات ساعة مندم ، ووقتها لا ينفع الندم .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لكل نبي دعوة مستجابة ، يدعو بها فيستجاب له ، فيؤتاها وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » رواه مسلم .

من قادة الخلفاء الراشدين :



للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

﴿ .. وشاورهم في الأمر ﴾ .

كان لهذه الآية الكريمة دور حاسم ومؤثر ، فى معركة سبيطلة وحسمها ، فكما رأينا أجاز قائد الجيش عبد الله بن سعد بن أبى سرح الرأى ، الذى أشار به عبد الله بن الزبير بتقسيم الجيش إلى فرقتين : فرقة تقاتل حتى الظهيرة ، فإذا ما انسحب الجمعان ، طلبا للراحة انقضت الفرقة الأخرى على جموع الروم ، لتمنعها من الانسحاب ، وتجبرها على مواصلة القتال ، دون راحة ، وأقر الصحابة - رضوان الله عليهم - هذا الرأى ، والذى يترتب عليه نسبة فضل هذا النصر - بعد الله تعالى - إلى عبد الله بن الزبير ، وكان بإمكان ابن سعد أن يرفض رأى ابن الزبير ، الذى يجعل من الأخير بطل المعركة الأول ، ولكنه لم يفعل ، مما يتأكد معه حسن اختيار الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - لقادته ، وأن هذا الاختيار لم يكن وليد المحاباة ، فابن سعد رغم كونه شقيق عثمان من الرضاعة ، فهذا الموقف من ابن سعد يؤكد أن عثمان عندما اختاره واليا على مصر ، لم يكن ذلك لكونه شقيقه من الرضاعة ، ولكن لما لمسه فيه من مقدرة على السياسة ، وحسن التدبير .

(١) (آل عمران : ١٥٩)

فلما كان الغد من يوم الشورى تولى عبد الله ابن الزبير تنفيذ خطة الحرب ، فسار بالجيش بعد أن ترك فرقة من شجعان المسلمين فى خيامهم ، وعندهم خيولهم ، وهم على أهبة الاستعداد للقتال ، فقاتل الروم قتالا شديدا ، ثم لم يتركهم ساعة الظهر ، وألح عليهم بالقتال إمعاناً فى إنهاكهم ، ثم انفصل الجمعان ، وعاد ابن الزبير ، وقد أيقن الروم أن القتال لن يُستأنف إلا بكرة الغد ، ولذا ألقوا سلاحهم واستراحوا فى خيامهم .

فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين ، وقصد الروم ، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم ، وحملوا حملة رجل واحد ، وكبروا ، فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون ، وقُتل (جرجير) على يد عبد الله بن الزبير ، وانهزم الروم ، وقتل منهم الكثير ، ووقعت ابنة (جرجير) سبية ، وسقطت إفريقية[1] .

ووقف أمير الجيش عبد الله بن سعد بن أبى سرح قبالة عبد الله بن الزبير يهنئه بهذا النصر الذى تحقق بحسن تدبير عبد الله بن الزبير وخاطبه قائلاً :

« ما أحد أحق بالبشارة منك ، فامض فبشر أمير المؤمنين عثمان بالمدينة بما أفاء الله على المسلمين »[2] .

وسار ابن الزبير إلى المدينة محملا بالغنائم ، وأخبر الخليفة بانتصار المسلمين وماغنموه من ذلك الفتح ، فسر بذلك ، وطلب منه أن يخطب الناس ، فقال : ياأمير المؤمنين : « إن أهيب لك منى لهم » فقام عثمان فى الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « ياأيها الناس : إن الله فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم بخبرها إن شاء الله » وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر فخطب الناس[3] .

ومضى ابن سعد يوجه السرايا تضرب فى أرجاء إفريقية ، فبلغت جنوبا أرض (قفصة) من بلاد (الجريد) ثم جازت إلى (مرماجنة)[4] وحصن (الجم) على طريق (سوسة)[5] .

وعقد الصلح بين المسلمين وأهل إفريقية وبطارقتها على أن يدفعوا جزية سنوية بلغت ثلاثمائة قنطار من الذهب ، فى حين تورد روايات أخرى أن هذه الجزية بلغت ألفى ألف وخمسمائة ألف دينار[6] . وكان من شروط الصلح أن ما أصابه المسلمون قبل الصلح فهو لهم ، أما ما أصابوه بعد الصلح فردوه .

عبد الله بن نافع بن عبد قيس
وعبد الله بن نافع بن الحصيْن

وبعد أن تم للمسلمين فتح إفريقية ، بعث الخليفة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ إلى

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٣ ـ ٤٣ ، ٤٤ .
(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ١٢/١ .
(٣) العقد الفريد ، ٣٧٥/٢ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٤٤/٣ .
(٥) البلاذرى ، فتوح البلدان صـ ٢٢٧ .
(٦) المصدر السابق صـ ٢٢٧ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٢/١ .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالعودة إلى مصر ، على أن يلي أمر إفريقية : عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريان ، وكتب لهما كتابا جاء فيه : « إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتتح القسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام »[7] .

عقبة بن نافع :

وعقب عودة عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى مصر ، وبعد أن استراح الجيش من حملة إفريقية ، وجه عبد الله بن سعد حملة بقيادة عقبة ابن نافع ، لفتح بلاد النوبة ، ودارت معركة عنيفة مُنِيَ منها جيش المسلمين بخسائر كبيرة نتيجة إجادة أهل النوبة الرمي بالنبال ، وسميت هذه الموقعة باسم « موقعة الحدق » إذ أصابت فيها سهام أهل النوبة أحداق المسلمين ، فقفلوا بالجراحات وذهاب الحدق من جودة الرمي ، وسُمي أهل النوبة : رماة الحدق ، وظل القتال ينشب بعد ذلك عدة مرات حتى انتهى الأمر إلى الصلح الذى جاء فيه[8] .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته :

عهد عقده على الكبير والصغير من أهل النوبة ، من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة .

إن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة ، جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر ، وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة .

إنكم معاشر النوبة ، آمنون بأمان الله وأمان

---

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٦٦/٧ .

مع ملاحظة أن المصادر لا تذكر شيئا عن مسألة ولاية عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين على إفريقية وإنما استنتجت ذلك من أمرين هما : كتاب الخليفة من جانب ، ومن جانب آخر لم تذكر المصادر أن ابن سعد استخلف أحدا على إفريقية ، بل إن ابن عبد الحكم في كتابه : « فتوح مصر والمغرب » يقول : « إن ابن سعد عاد إلى مصر ، ولم يول أحدا ، ولم يتخذ قيروانا ، وهذا لا يستقيم ، إذ لم تكن الفتح أصلا !!

فضلا عن أن كتاب الخليفة ، الذى أوردته عدة مصادر أخرى ، مثل : ابن الأثير في الكامل (٤٥/٣) صيغ في شكل نصيحة ، وليس أمرا ، والذى حدث أنهما لم يأخذا بنصيحة الخليفة على النحو الذى تؤكده الأحداث ، وهو أمر منطقى وطبيعى ، إذ كيف يفعلان والفتوحات لم تتجاوز إفريقية [تونس الحالية] والمفروض أن نقطة الانطلاق إلى الأندلس إنما تكون من منطقة المغرب الأقصى ، ثم عبر جبل طارق ، وقد يكون الخليفة عثمان بن عفان لا يعلم بهذه الأمور لأن من الطبيعى أنه ليس لديه فكرة عن جغرافية المنطقة ، لأنه لم يشاهدها ، هذا علما بأن نص ابن كثير يقول : « لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس ، فأنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام ، قال : فساروا فافتتحوها ، ولله الحمد والمنة .

والواضح من السياق : أن ابن كثير هنا يستنتج لأنه لم ينقل روايته عن أحد ، ولم ينسبها إلى أحد فيكون الصواب ـ مع التسليم بصحة خطاب عثمان بن عفان إليهما ـ أنه وجههما ولاة على إفريقية ، ونصحهما بالإعداد لغزو الأندلس ، وقد يكون هذا الإعداد باستكمال فتح بلاد المغرب .

(٨) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٥٣٠ ، ٥٣١ ـ دار النفائس بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ نقلا عن البلاذرى فتوح البلدان ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم ، ألا نحاربكم ، ولا ننصب لكم حربا ، ولا نغزوكم ، ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم ، أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم .

وإن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين ، حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ، ولا تمنعوا منه ، ولا تتعرضوا لمسلم قصده وحاوره ، إلى أن ينصرف عنه .

وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته .

وعليكم فى كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً تدفعونها إلى إمام المسلمين ، من أوسط رقيق بلادكم ، غير المعيب ، يكون فيها ذكران وإناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك إلى والى أسوان .

وليس على المسلمين دفع عدو عرض لكم ، ولا منعه من حد أرض علوة إلى أرض أسوان .

فإن أنتم آويتم عبدا لمسلم ، أو قتلتم مسلما أو معاهدا ، أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ، أو منعتم شيئا من الثلاثمائة رأس والستين رأسا ، فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ونحن وأنتم على سواء ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته ، وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح ، وذمة الحواريين ، وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم ، والله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك .

كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة إحدى وثلاثين .

(يتبع)

---

٩ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم . « رواه مسلم » .

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

يجيب عنها

لجنة الفتوى بالأزهر الشريف



السؤال مقدم من السيد/ ع . ح :

ماهى أنواع الإحرام وهل أستطيع أن أؤدى الحج والعمرة معا وكيف أقوم بهما ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد .

فنفيد بأن الحج واجب على كل مستطيع فى العمر مرة واحدة ، كما أن العمرة واجبة عند الشافعى وأحمد ، وسنة عند أبى حنيفة ومالك ـ الفقه على المذاهب الأربعة ـ وأعمال العمرة تؤدى داخل مكة ، فهى طواف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة . ثم تحلل منها بالحلق أو التقصير .

والذى يقصد بيت الله الحرام فى أشهر الحج ويريد أن يؤدى الحج والعمرة له أن يختار فى إحرامه إحدى الكيفيات التالية :

الأولى : أن ينوى أداء العمرة فقط بعد أن يلبس ملابس الإحرام ، وله أن يحرم بها قبل الميقات ، فإذا وصل مكة طاف سبعا بالبيت ، ثم سعى سبعا بين الصفا والمروة ، ثم حلق أو قصر . وبهذا تمت عمرته ، ويخلع ملابس الإحرام ويلبس ملابسه العادية ، ويتمتع بما كان محظورا عليه أثناء الإحرام مثل الطيب وقص الشعر والأظافر والاتصال الجنسى . وعليه فى مقابل ذلك أن يذبح شاة لقوله تعالى[1] :

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾

(١) سورة البقرة : ١٩٦ .

وعندما يحين الخروج إلى عرفات يحرم بالحج من المكان الذى هو فيه بعد أن يلبس ملابس الإحرام ، ثم يقف بعرفة ويفيض منها إلى المزدلفة بعد المغرب ، ويمكث بها مدة بعد منتصف الليل ، ثم يصبح يوم العيد فى منى ويرمى جمرة العقبة وهى الكبرى ، ثم يقص بعض شعره ، وهنا يجوز له أن يخلع ملابس الإحرام ويلبس الملابس العادية ، ويمكث فى منى ثلاثة أيام لرمى الجمار ، أو يذهب إلى مكة ليطوف طواف الإفاضة ، ويسعى بين الصفا والمروة يوم العيد ، ثم يعود إلى منى ليبيت فيها ويرمى الجمرات وهذه الكيفية وهى تقديم العمرة على الحج تسمى « بالتمتع » .

الثانية : ألا يجتاز الميقات بدون إحرام بالحج فقط ، وعند وصوله مكة يطوف طواف القدوم ـ وهو سنة ـ ويسعى بين الصفا والمروة إن أراد ، ويمكث ملتزما للإحرام حتى يقف بعرفة ويتمم أعمال الحج بالمبيت بمزدلفة ورمى الجمرات والمبيت بمنى والطواف والسعى إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم ثم التحلل بالحلق أو التقصير ، وهذه الكيفية من الإحرام تسمى « الإفراد » .

وبعد أن ينتهى من الحج يمكن أن يحرم بالعمرة من خارج حدود ، ويؤدى أعمالها المعروفة ، وليس عليه هدى .

الثالثة : أن ينوى الحج والعمرة معا فى إحرام واحد من الميقات . فإذا وصل مكة طاف طواف القدوم وسعى ووقف بعرفة وبات بالمزدلفة ورمى جمرة العقبة صباح يوم العيد ، ثم حلق ، ثم طاف طواف الإفاضة ، وسعى إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم ، ثم كمل أعمال الحج برمى الجمرات والمبيت بمنى ، وهذه الكيفية تسمى « القران » وفيها هدى كهدى التمتع ، لأنه طاف طوافا واحدا . سبعة أشواط وسعى سعيا واحدا ـ سبعة أشواط ـ عن الحج والعمرة معا . ففى مقابل راحته بعدم تكرار الطواف والسعى يلزمه الهدى .

والإنسان حر فى أن يختار أى كيفية من هذه الكيفيات ، حسب ظروفه وحالته الصحية أو المالية وغيرها ، والمهم أنه أدى النسكين فى رحلة واحدة وبرئت ذمته من أداء الواجب . ندعو الله تبارك وتعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يتقبل منا ، والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيدة/ ف ـ م ـ ط :

أثناء استعدادى للسفر للحج توفى زوجى ولن تنتهى العدة قبل تأدية الحج ، فهل أحج أم أعتد وتضيع على فرصة الحج هذا العام ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد .

فنفيد بأن التى توفى عنها زوجها يجب عليها أن تعتد ، فإن انتهت عدتها بوضع الحمل أو بأربعة أشهر وعشرة أيام كان لها السفر دون حرج ، أما إن تقرر سفرها قبل انتهاء العدة فقد تعلق بها واجبان ، واجب الحج وواجب العدة ، والآراء فى حل هذه المشكلة مختلفة ، فالأئمة الأربعة قالوا : لا تخرج من عدتها ولا تسافر فهى تعتبر غير مستطيعة ، ولا يجب الحج على غير المستطيع ، ويمكنها أن تحج فى عام آخر .

وأجاز داود الظاهرى سفرها فى العدة ، وذلك لحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ إنها خرجت بأختها أم كلثوم لما قتل زوجها طلحة ، خرجت بها إلى مكة لعمل عمرة ، وقال داود : المأمور به هو الاعتداد ، وليس المكث فى البيت ، وسار عليه بعض التابعين .

ويمكن الأخذ برأى عائشة هذا فى الحج الواجب لأول مرة ، وذلك لعدم تكرار الفرصة عند تعقد الأمور وتنظيم سفر الحجاج وتقييده ، أما الحج المندوب ، وهو ما كان فى غير المرة الأولى ، فلا تخرج مادامت فى العدة ، والله أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيد/ الحاج محمد السيد حجاج :

هل صحيح أن الحج فى السنة التى يصادف فيها يوم عرفة يوم الجمعة يكون أفضل من سبعين حجة ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

فنفيد بأنه لاشك فى أن يومى عرفة والجمعة عظيمان للأحاديث الواردة بذلك ، ولو اجتمع الوقوف بعرفة مع يوم الجمعة كان فضل اليوم مزدوجا .

إن فضل وقفة الجمعة تفضل غيرها من عدة وجوه فيما ذكره ابن القيم فى زاد المعاد وفيما نقله السيوطى عن القاضى بدر الدين ومنها :

● اجتماع اليومين اللذين هما أفضل الأيام فيكون العمل فيه أفضل .

● إنه اليوم الذى فيه ساعة محققة الإجابة ، وأكثر الأقوال أنها بعد العصر ، وأهل الموقف كلهم واقفون للدعاء والتضرع .

● موافقته ليوم وقفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

● فيه اجتماع الخلائق من أقطار الأرض للخطبة وصلاة الجمعة ، ويوافق اجتماع عرفة بعرفة .

● يوم الجمعة عيد ، وعرفة عيد لأهل الموقف ، وقد اتفق عيدان بذلك .

● إنه موافق ليوم إكمال الله لدينه .

● إنه موافق ليوم الجمع الأكبر يوم القيامة ، فهى تقوم يوم الجمعة كما فى الصحيح .

● إن الطاعة يوم الجمعة وليلتها أكثر من غيرها عند المسلمين كما اعتادوه ، فللوقفة فيه مزية على غيره .

جاء فى رسالة السيوطى أن فى الحديث الذى أخرجه رزين « أفضل الأيام يوم عرفة إذا وافق يوم الجمعة ، وهو أفضل من سبعين حجة فى غير يوم الجمعة » لم يبين السيوطى درجة هذا الحديث ، وقال ابن القيم : وأما ما استفاض على ألسنة العوام بأنها تعدل اثنتين وسبعين حجة فباطل لا أصل له عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ، والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيد/ ع . و . أ . . الغربية :

منّ الله علىّ بنعمة المال فأحج كل عام عملا بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من حج حجة فقد أدى فرضه ، ومن حج ثانية فقد

دابن ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار » فهل تكرار الحج واجب ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد .

فنفيد بأنه من المعلوم أن الحج فرض على المستطيع مرة واحدة فى العمر ، وذلك لحديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » وفى رواية لأحمد وأبى داود والنسائى والحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن السائل هو الأقرع ابن حابس ، وأن الرسول رد عليه بقوله : « الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » .

ونأخذ من هذا أن تكرار الحج ليس واجبا ، وإنما هو تطوع ، والتطوع فى كل شىء ينبغى أن يراعى فيه تقديم الأهم على المهم ، وقد تكون هناك حالات فى أشد الحاجة إلى المعونة ، لإنقاذ الحياة ، أو تخفيف الويلات ، وهنا يكون الإنفاق فيها أولى .

والشخص الذى يحب أن يتردد على بيت الله بالحج أو العمرة ورأى أن هناك أمرا هاما أقعده عن السفر للزيارة سيعطيه الله ثوابا على نيته ، وهناك مأثورات فى هذا المقام جاء فيها أن الله كتب ثواب الحج لمن صادف فى طريقه فقراء فدفع إليهم ما معه ورجع إلى بلده دون أن يحج أعطاه الله ثواب الحج ، وإذا لم يكن هناك نص فى هذه المسألة فإن التشريع بروحه وأهدافه لا يقر أن توجه أموال طائلة من مندوب من المندوبات فى الوقت الذى فيه واجبات تحتاج إلى هذه الأموال ، هذا والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيد/ م . و

توفى عن زوجة ، وأخت شقيقة ، وأبناء وبنات إخوة أشقاء ذكور ، وأبناء وبنات أخوات شقيقات فمن يرث ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

فنفيد بأن للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، والباقى للذكور فقط من أولاد الإخوة الأشقاء الذكور تعصيبا ، يقسم بينهم بالتساوى كأنهم ابناء أخ شقيق واحد ، ولا شىء للإناث من أولاد الإخوة الأشقاء الذكور ، كما أنه لا شىء لأبناء وبنات الأخوات الشقيقات لأنهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهـر

الشيخ محمد زكي إبراهيم

رائد العشيرة المحمدية ٢

للأستاذ الدكتور :
محمد رجب البيومى

كان الشيخ محمد زكى إبراهيم فى نشأته الشابة طالبا بقسم التخصص ، فمدرسا بالمدارس ، فمفتشا يسلك مسلك أبى الحسن الشاذلى فى حسن المظهر ، وكمال السمت ، فهو يسكن فى شقة فاخرة فى شارع سليمان باشا ، ويقابل فى المعهد الفرنسى أساتذة الاستشراق مناقشا محاورا ، وكان الظن به أن يستمر على هذا السمت الذى يتحدث بنعمة الله عليه متذكرا قول الله - عز وجل -

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (١)

ولكن الحرب العالمية الثانية قد طالعته بالمؤلم الشاق من أحوال الفقراء والمعوزين ، إذ صعب العيش ، وعزت الحياة على نحو كريم ، فرأى أن يتخلى عن مظاهر الترف الطبيعى الخالى من المغالاة .

(١) سورة الأعراف : ٣٢

وأن يترك أحياء الوجاهة ، ومنازل الأبهة ليكون مع الناس فى معاناتهم باذلا جهده الجاهد فى إسعادهم ، ومن ثم انتقل إلى مسجد أبيه بالجمالية ، وبدل حالا بحال ، لا لأنه لبس الخرقة ، وتزيا بزى الفقراء ، بل إنه صار أزهريا متواضعا ، عليه لباس التقوى ، وزينة العلم والدرس ، وقد عرف الناس شرقا وغربا زهده الخالص فخصه الأثرياء بآلاف الأموال التى انهالت بين كفيه . فكانت سبيله إلى بناء المساجد والمعاهد وتربية الأيتام ، ويذكر عارفوه أنه مات وقد أودع البريد والبنوك عشرات الدفاتر بأسماء عائلات فقيرة ، تجد حاجتها دون اضطرار إلى معونة أحد ، على أنه شغف بأداء العمرة فى شهر رمضان لأكثر من عشرين عاما مع رفقة مع صحابته الذين لا يقدرون على النفقة ، إذ يوسع عليهم من فضل الله ، ومن باب الكرامة التى تجلت للناس هذا العام أنه أصر على أن تكون عمرته هذا العام فى جمادى الأولى فقام بها ، وفى وجهه علائم السرور والغبطة ، فكأنه استشعر أن رمضان القادم لن يأتى عليه بين الأحياء ، فسعى إلى بيت الله مشوقا مبتهجا قبل أن يبلغ الكتاب أجله ، ولعله حين تخلى عن مظاهر الترف الأولى تذكر أسلافه الصالحين من أمثال إبراهيم بن أدهم وأبى بكر الشبلى ممن نشئوا نشأة العز والجاه ، ثم طالعتهم الدنيا بوجهها الحقيقى فانسحبوا من الحظوة إلى الخلوة ، وهى خلوة العلم والتقوى وليست خلوة الاعتزال والانقباض . وإذا كان أبوالحسن الشاذلى إمامه الروحى قد اشترك فى موقعة المنصورة محاربا ، إذ رحل إلى أرض الجهاد الصليبى مع فريق من كبار العلماء يتقدمهم سلطان الأئمة العز بن عبد السلام ومعه نفر من


الشيخ / محمد زكى إبراهيم

كبار الشيوخ ، فإن الشيخ محمد زكى إبراهيم قد رحل إلى الجبهة فى حرب رمضان مع صديقه الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود وفريق من فضلاء الأزهريين فقاموا بواجب التثبيت ، وقرأوا قصص الجهاد فى بدر وأحد وخيبر ، وبشرهم الشيخ عبد الحليم برؤيا صالحة تحققت عن قريب بالنصر المبين . فكان ذلك جهادا عمليا يوازى جهاد الدعوة فى مجالس الصلوات .

وشىء آخر ، نشير إليه فيما طرأ على الشيخ من تحول أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد كان همه قبل ذلك أن يقنع عشرات المثقفين بما يكتب من بحوث التصوف الإسلامى الصحيح ، ثم نظر فرأى الجهالة تضرب أطنابها متغلغلة لدى قوم يدعون التصوف وهم أبعد ما يكونون عن معناه ، واحتاج الأمر إلى إيقاظ مجلجل يقرع الأسماع ، ويوقظ العيون ، فاتجه إلى الدروس بدار العشيرة عقب الصلاة عشاء فكان درسه درس فيض ينهال دون إعداد سابق ، لأنه كان ينظر بنور الله إلى الحاضرين ، فإذا وجد الكثرة من العامة سلك بهم

سبيل اليسر فى الإيضاح والتبيين ، وإذا وجد الكثرة من الخاصة ارتقى معهم إلى أمور دقيقة من مسائل الفقه والاجتماع وعلم النفس تدرس فى ضوء المأثور من كتاب الله ، ولعل الشيخ من آحاد الصوفية الذين أجادوا دراسة ما استجد من علوم العصر ، لتكون بعض أسلحتهم فى التوجيه والإرشاد ، وقد شاركه فى ذلك صديقه الإمام الأكبر عبد الحليم محمود على فرق واضح فى الاتجاه ، لأن الشيخ عبد الحليم كان يلقى الدروس بالمساجد فى نطاق سهل ميسر يرعى فيه حق السامع المتواضع دون تزيد ، أما بحوث الفلسفة والنظر فقد ضمها كتبه العلمية وهى أيضا ذات اتجاهين خاص وعام ، أما الأستاذ محمد زكى إبراهيم فقد أهله استعداده المتمهل إلى أن يخرج وعظه بالواضح المميز من معارف هذا العصر ، فكان بذلك يجلب إليه نفرا كثيرا من أهل الترف الفكرى ، وفاضت له شهرة بين الدارسين فى ربوع شتى من بلاد الإسلام ، ثم إن قريحته الشعرية لم تخذله فى مجالس التوجيه تارة وفى خلوات الإلهام تارة أخرى ، فنظم كثيرا من رقائق الشعر الصوفى ، ومما يذكر أنه قبل ارتحاله أحس باللقاء القريب فنظم قصيدة عامرة زكى بها نفسه وقد تحدث عن شعوره الخالص دون افتعال ، وكيف يأتى الافتعال فى مثل هذا الظرف الدقيق فتعاظمه أن قال الناس عنه إنه إمام وإنه عالم ، وإنه ولى مع أن الله أعلم بالسرائر ، هذا الشعور الضارع اللهيف تجلى فى قول الأستاذ :

مريض قد أتى شعراً مريضا
فعذرا إننى منه استحيت
فما أدرى أهل هذا وداع
لشعرى أم على نفسى جنيت
فيا كم ذا تعاظمت افتراء
ويا كم ذا على الله اجترأت
وكم قالوا : ولى أو إمام
ويا عجبا بما قالوا ارتضيت
فمغفرة إلهى واعف عنى
ففى أحضان رحماك ارتميت
فها هو قد دنا منى رحيل
وحى اليوم بعد اليوم ميت
إذا فارقت إخوانى فإنى
أعايشهم كأنى ما قضيت

والمرثية ذات إيحاء دال ، وتحتاج إلى عالم صوفى يفهم أسرارها ، إذ لا يبلغ استشفافها أديب عجول ، لقد كان شغف زكى إبراهيم بدروس التربية فى نشأته التعليمية ذا أثر كبير فى نجاحه الصوفى ، لأنه فى دروس المسجد ، وفى كتب التوجيه لم يتخل عن قواعد التربية فى التوجيه والإرشاد ، فآثر الحوار عن طريق السؤال والجواب ليتضح المراد دون سبح مرهق فى الإجابات المعترضة ، لذلك كانت آراؤه الصوفية موضع إقناع حاسم لأنها تطرح الأغشية الكثيفة وتعمد إلى اللباب الخالص ، فيتضح الحق دون لجاج ، ولا يستطيع التركيز فى السؤال والجواب (وقد أعدهما معا) إلا لبق ذو بصر يمنع التطوح فى الاستطراد ، وهذه الأسئلة المعدة هى التى تدور على ألسنة الخصوم ويجعلونها ذريعة للنيل من التصوف ، وسأعرض أمثلة منها مع الإجابة عليها كنموذج لهذا الاتجاه التربوى الحميد .

س ١ : يقولون إن التصوف استقى نظرياته فى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود من مبادىء غريبة عن الإسلام فابتعد بذلك عن منهج القرآن ؟

جـ ١ : التصوف الإسلامى مصدره الكتاب والسنة قول واحد لا ثانى له ، فإذا اندست فيه أقوال خارجة عن هذين الأصلين فهى باطلة لا تمت إليه ؛ وليس التصوف وحده هو الذى اندست إليه الأباطيل فقد اندست الأحاديث الموضوعة فى السنة المطهرة ، واندست الإسرائيليات فى كتب التفسير ، واندست فلسفة الإغريق فى علم التوحيد ، وذلك كله لا يعنى أن هذه العلوم أصبحت باطلة بل خصصت لها أقلام تميز الصحيح من العليل ، وما نفعله فى محاربة هذه الأباطيل فى التصوف لا يخرج عما فعله أساتذة هذه العلوم ! إذ لا يصح إلا الصحيح .

س ٢ : استعمل الصوفية اصطلاحات ورموزا تعبر عن أذواقهم بما لا يفهمه العامة ؟ حتى عرفوا بأهل الإشارة فما جدوى ذلك والأمر يتطلب الوضوح ؟

جـ ٢ : لكل علم من العلوم مصطلحات خاصة يعرفها المتخصصون فيه ، ولا يدركها غيرهم ، فإذا استقل الصوفيون ببعض المصطلحات فهذا أمر طبيعى ، وفى بعض الأزمنة تعرضوا لاضطهاد لا مبرر له فآثروا الرمز طلبا للسلامة فماذا فى هذا .

س ٣ : لماذا نشأ الصراع بين الصوفية والفقهاء ؟ حتى أصر بعضهم على تكفير الصوفية كابن تيمية مثلا ؟

جـ ٣ : الصراع بين العلماء قديم ، حتى بين فقهاء المذهب الواحد فكيف إذا اختلف الاتجاه ، ولعل ضيق بعض الفقهاء بما لم يحيطوا به من تعاليم الصوفية كان السبب فى هذا الصراع ، ثم دست على الصوفية أقوال لم يقولوا بها ، فاتخذها الفقهاء وقودا لإثارة الضرام دون هوادة ، أما ابن تيمية رحمه الله فمظلوم مع الناس ، لأنه حمل على الفساد الذى يقترفه بعض أدعياء الصوفية ، ونحن معه فى محاربة الدجل والشعوذة والارتزاق الكاذب بادعاء الولاية ، وفى كتابه « الفتاوى الكبرى » ـ الجزء الحادى عشر ـ الصحيفة السابعة عشرة ـ وصف للصوفية الأبرار بأنهم من أجل الصديقين ، وأنهم أكمل رجال زمانهم ، وتلميذه ابن القيم ينحو منحاه ، وله صوفية شفافة ولكنهما معا يحاربان الدجل والادعاء ، وقد اعترف ابن تيمية فى مناظرته لابن عطاء الله السكندرى أنه لا يهاجم إلا المنحرف فحسب ، ونحن معه .

س ٤ : يقولون لم ترد كلمة الصوفية أو التصوف فى كتاب الله أو على لسان رسوله ـ ﷺ ـ فمن أين جئتم بها ؟

جـ ٤ : التصوف ليس دينا مستقلا عن الإسلام ، وإنما هو مذهب يدور فى فلك الإسلام ، فكما جاز أن تطلق عبارات (السلفية) والشافعية ، والمالكية والحنفية ، على مذاهب استحدثت فى الإسلام لتعبر عن بعض اتجاهاته دون أن تخرج عنه فى شىء ، فلماذا لا تطلق كلمة الصوفية على اتجاه روحى ينتمى للإسلام ، ولا يشذ عن تعاليمه بل يدعو إليها بقوة وإيمان ؟

س ٥ : يرى نفر من الناس أنه من الصعب الجمع بين الاتصال بالملأ الأعلى عن طريق الزهد ، مع السعى للمعيشة تطلبا لأبواب الرزق ، فماذا ترون ؟

جـ ٥ : الزهد الحقيقى عند الصوفية هو ما يكون فى القلب من الترفع والتسامى ، وقمع

الشهوات الباطلة فهو إذن علاج نفسى لشرور قد تدفع إليها النفس الأمارة بالسوء ، ولا يمنع بل يحتم أن يسعى الإنسان على رزقه ليأكل الحلال ويتجنب الحرام ، وكذلك فعل كبار الصحابة وأعلام الأولياء ، بل إن الأنبياء وهم أفضل الناس كانوا يحترفون فيما يعودعليهم بالرزق ! والمسألة حينئذ نفسية يحاول بها الصوفية الارتفاع عن النزوات لا عن الكسب المشروع .

هذا نمط من السلوك التوجيهى قام به الأستاذ فى دروسه وفى كتبه ، وهو نمط يتعمد الإقناع بالدليل الملموس ، ويستنكر الشطحات الهائمة ، والشعارات الزائفة ، وقد شن الشيخ حملات على المظاهر الكاذبة التى اتخذها الأدعياء سبيلا للحظوة ، وأقنعوا بها بعض العامة ، وتكرار هذه الحملات ضرورى لأن ما يقوم به المصلح من إرشاد ، قد يهدمه مدع بطريقة استهوائية ، حيث لا يجد أمامه غير العامة ، ولا أقول الجهلة لأنهم معذورون ، والتبعة على من يحرفون الكلم لحاجة فى نفس يعقوب ، وحين أنشأ الأستاذ (العشيرة المحمدية) بهذا الاسم ، كان يرضى شعورا قويا فى نفسه لأنه يعنى فيما يعنيه تأكيد انتسابه الأسرى لسلالة رسول الله ـ ﷺ ـ وارتباطه الوثيق بآل بيته الكريم ، وفى هذا المجال دافع الشيخ دفاعا حارا عن كل مايراه موجبا للنقد العنيف حينا من آراء تحاول التحرر المزعوم حين تهاجم رسول الله ـ ﷺ ـ واهمة أنها بذلك تدافع عن الإسلام ، حين تمضى له ولآل بيته الكريم هنات ما كان لها أن تهوف وتتضخم بهذا الوزن الثقيل وقد يستغرب القارىء ما أشير إليه ، ولكنه الواقع فعلا ، إذ أزعج الأستاذ أن يحاول قوم التحدث عن اجتهاد الرسول ـ ﷺ ـ فيصفوه بالخطأ الذى يناقض الصواب ، وهو فى رأى الأستاذ ليس خطأ ، ولكنه عدول عن الأولى فحسب ، وقد أصدر سنة ١٣٨٩ هـ كتابا تحت عنوان « دفاع عن النبى ـ ﷺ ـ » وكان يظن أن أحد المهتمين بسيرة رسول الله سيساعده على طبعه متى خلص من تأليفه ، ولكنه انتظر دون جدوى ، فلم يجد بدا من نشره فى عدد خاص من مجلة (المسلم) وهى مجلة العشيرة المحمدية ، حيث يحتل جميع صفحاتها ، وذلك بتاريخ ربيع الأول سنة ١٣٨٩ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٩ م ، وقد قال فى ص ٣٩ من العدد نفسه ما يعبر عن شجى فى نفسه يتضح من هذه الكلمات : « لقدكنا نتمنى أن نختم هذا الدفاع عن رسول الله ـ ﷺ ـ ببحث يستغرق ملزمة لولا أن المال لم يساعدنا ، ويؤسفنا أن نسجل ذلك بهذه الصراحة ، فبخل المسلمين مما تتقطع له النياط ، أو هكذا حظنا معهم ونستغفر الله ونتوب إليه » أما أهم ما دار حوله الدفاع فهو تورط بعض الكاتبين فى أحكام مستهجنة عن والد رسول الله ووالدته ، والقول بأنهما فى النار تمسكا بحديث موضوع ! مع أنهما من أهل الفترة ، وقد جاء القرآن صريحا بنجاة هؤلاء حيث يقول الله ـ عز وجل ـ ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[٢] فكيف نسقط النص الصريح استماعا لحديث موضوع لم يثبت أمام النقد الدقيق ! كذلك ما تورط فيه هؤلاء من الحكم على أبى طالب ، ونحن لا نجزم بشىء من اعتقاده فقد يكون ممن أسلم ، وتقديرنا لرسول

(٢) سورة الإسراء : ١٥ .

الله ـ ﷺ ـ يجعل من الصفاقة كل الصفاقة أن تتحدث عن حاميه ومؤيده وناصره بهذا السفه ، وقد أعجبني جدا ، مانقله الأستاذ ص ٤٢ من المجلة عن الإمام أبي بكر بن العربي حين سأله سائل عن رجل قال إن أبوي رسول الله في النار ، فأجاب بأنه ملعون ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[٣] ولا أذى أعظم ـ كما قال ابن العربي ـ من أن يقال إن أبويه في النار كذلك كان الأستاذ مصيبا حين استشهد ص ٤٣ بما جاء في المنهل من أن بنت أبي لهب عمه ، جاءت تشكو إليه أن بعض الناس ينادونها بابنة حمالة الحطب ، فقام وهو مغضب شديد الغضب فقال : « ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوى رحمي ألا ومن آذى نسبي وذوى رحمي فقد آذاني .

وأحب أن أنقل هنا رأى الأستاذ بحروفه فيما نسب إلى رسول الله من الخطأ فإنني لم أره من قبل لأحد من العلماء وهو دقيق دقيق قال ص ١٥ :

إن ما جاء في الكتاب والسنة مما يوهم الخطأ أو عدم العصمة ، فإنما هو صورة للخطأ المقصود ، وصورة للاجتهاد المتعمد حتى يأتي التشريع على أساس من واقع الناس ، وإنما اجتهاده ـ ﷺ ـ إنما يكون في المفاضلة بين صوابين ، فإذا اختار القرآن الأصوب فلأن علم الله أتم بما هو أهدى وليس معنى اختيار القرآن شيئا أن النبي قد أخطأ في اختيار الشيء المقابل له ، ولكن معناه أن المصلحة هنا وهناك موجودة بالفعل ، ولكنها شيئا اختاره الله أكمل وأشمل أ هـ » بهذه الروح المؤمنة الصادقة عالج الأستاذ موضوع الاجتهاد ، وقد يخالفه من لا يرى رأيه ، ولكنه ذو نظر هادف ، وتعليل شاف ، وإليه أميل .

وفي دائرة الحب النبوي أصدر الأستاذ كتابه (مراقد أهل البيت في القاهرة) ليثبت بالنصوص المترددة في كتب التاريخ وجود رأس الحسين ـ رضي الله عنه في مصر ، ودفن السيدة زينب بها ، وكذلك السيدات الطاهرات من آل البيت ـ صلوات الله عليهن ، وهي مسألة اقتنع الأستاذ بها ، وساق النصوص الدالة من كتب أثرية وتاريخية ذات وزن ثقيل ، والخلاف في ذلك لا يشق كما يشق في المسألة الأولى التي أشرنا إليها من قبل ، وقد تواضع المؤلف حين قال في مقدمة كتابه : (لا أدعي أني مؤرخ ، ولكني رجل أفهم التاريخ وأتذوقه ، وأقارنه وأميزه ، والتاريخ أشخاص وأزمان وأحداث ترتبط بأسباب ومسببات ومقدمات ونتائج ، فهو طاقة ذات حياة وقوة تتخلل العقل والعاطفة معا ، ومن هنا كان من غير الممكن انسلاخ الحاضر عن الماضي .

لقد عاش الشيخ مجاهدا بقلمه ، قدوة بسيرته ، وكان نموذجا حيا للعالم العامل ، والرباني المتأمل ، وقد أوذى من قوم يظنون أن آراءهم جميعا هي الصواب ، وأما آراء سواهم فهي الخطأ ، وكان الأحرى بهم أن يعلموا أن المجتهد له أجره أخطأ أم أصاب ، فهو زميل لهم ، وليس محاربا يناصبونه العداء ، رحمه الله وأكرم مثواه .

---

(٣) سورة الأحزاب : ٥٨ .

طرائف.. ومواقف

للأستاذ: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

تقدير العلماء للعلماء

عن عبد الله بن الإمام أحمد، قال: قلت لأبى: أى رجل كان الشافعى، فإنى أسمعك تكثر الدعاء له؟ فقال: يابنى، كان الشافعى ـ رحمه الله ـ كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟

زينة المرء

قال بعض الحكماء: من كثر أدبه، كثر شرفه، وإن كان وضيعا، وبعد صيته وإن كان خاملا، وساد وإن كان غريبا، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرا.

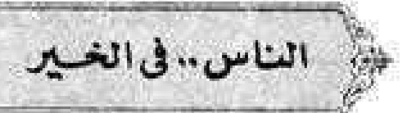
قال بعض الشعراء:

لكل شىء زينة فى الورى
وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بآدابه
فينا وإن كان وضيع النسب



نصيحة

قال لقمان لابنه: يابنى لا تدخل فى الدنيا دخولا يضر بآخرتك، ولا تتركها تركا تكون كلا على الناس.



الناس.. فى الخير

الناس فى الخير أربعة أقسام: منهم من يفعله ابتداء، ومنهم من يفعله اقتداء، ومنهم من يتركه

حرمانا ، ومنهم من يتركه استحسانا ، فمن فعله ابتداء فهو كريم ، ومن فعله اقتداء فهو حكيم ، ومن تركه حرمانا فهو شقى ، ومن تركه استحسانا فهو دنىء .

من علامات اللئيم

أن يكون حسن القول ، سيىء الفعل ، قريب الحسد ، حمولا للفحش ، مجازيا بالحقد ، متكلفا للجود ، صغير الخطر ، متوسعا فيما ليس له ، ضيقا فيما يملك .

التربية بالقدوة

كتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى واليه على البصرة :

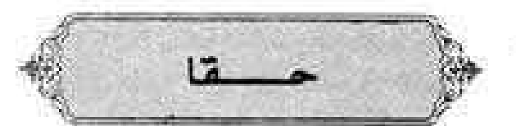
إن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته .

كرامة المرء

لا تتهافت على اللئيم فتتهم فى مروءتك ، ولا تركن إلى الغنى فتتهم فى عفتك ، ولا تصحب الجاهل فتتهم فى فطنتك .

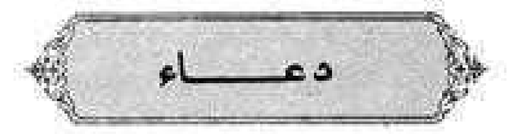
الناس يستفتونك وأنت تستفتينى

أراد نوح ابن مريم قاضى مرو أن يزوج ابنته ، فاستشار جارا له مجوسيا فقال : سبحان الله ، الناس يستفتونك وأنت تستفتينى . قال : لابد أن تشير علىّ ، قال : إن رئيسنا كسرى كان يختار المال . ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال . والعرب كانت تختار الحسب والنسب ورسولكم محمد ـ ﷺ ـ كان يختار الدين ، فانظر أنت بأيهم تقتدى .



حقا

الدنيا دول ، فما كان لك منها أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك .



دعاء

اللهم ارزقنا تلاوة كتابك على الوجه الذى يرضيك عنا ، واهدنا به سبل السلام ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور ، واجعله حجة لنا لا علينا يارب العالمين .

وللمقامات حديث

للأستاذ الدكتور :
محمد عبد المنعم خفاجى

- ١ -

ونعود إلى المقامات وحديثها الطويل ، بمناسبة ما كتبه العلامة الدكتور محمد رجب البيومى فى مجلة الأزهر ؛ عن المرحوم الدكتور العلامة على العمارى (١٩١٣ - ١٩٩٨) - رحمه الله - وأنه كان يرى أن المبدع الأول لفن المقامة فى الأدب العربى ؛ هو أبو المطهر محمد بن أحمد الأزدى ، ويؤيده فى هذا الرأى الدكتور رجب [مجلة الأزهر - عدد شعبان ١٤١٩ هـ ص ١٤٣٨ - ٣٩]

وفى المبدع الأول لفن المقامة فى الأدب العربى آراء كثيرة :

١ - فالدكتور زكى مبارك فى كتابه « النثر الفنى » (ص ٢٠٦ جـ ١ ، النثر الفنى - طبعة دار الكتب المصرية) ، يرى أن أبا بكر محمد بن دريد الأزدى (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) .

هو المنشىء الأول للمقامات ، كما ذكره الحصرى (- ٤٨٣ هـ) فى كتابه زهر الآداب [جـ ١ ص ٢٣٥] .

٢ - ويرى جورجى زيدان [- ١٩١٤ م] ، أن أبا الوليد أحمد بن فارس [- ٣٩٥ هـ] له التقدم فى وضع المقامات ، وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذانى [٢/٣٠٩ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان - ط دار الهلال سنة ١٩١٢] .

٣ - وفى رأى الدكتور العمارى والدكتور رجب ؛ أن المنشىء الأول للمقامات هو أبو المطهر الأزدى ، فهو المبدع الأول لفن المقامات ، وشخصية أبى القاسم البغدادى راوية الأزدى هى شخصية أبى الفتح الإسكندرى راوية بديع الزمان .

وقد أصدر آدم ميتز حكايات أبى القاسم البغدادى عام ١٩٠٢[1] ، ونشرها هى نفسها عبود الشالجى عام ١٩٨٠ فى بيروت بعنوان « الرسالة البغدادية » .

وللحقيقة نذكر أن أبا حيان التوحيدى [- ٤١٣ هـ] أثبت حكاية أبى القاسم البغدادى فى مؤلفاته ، كحديثه عن المغنيات البغداديات الموجود فى كتابه « الإمتاع والمؤانسة » وكقيامه عام ٣٦٠ هـ[2] بإحصاء المغنين والمغنيات فى جانبى بغداد ، وهو مذكور أيضاً فى « الإمتاع والمؤانسة » .

---

(١) فى هايدلبرج عن نسخة المتحف البريطانى .

(٢) تذكر تصحيفا : عام ٣٠٦ هـ وصحته ما ذكرناه .

ويذكر بروكلمان فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » (١٤٨ حـ ٣) أن أبا المطهر اسمه ابن المطهر وحرف إلى أبى المطهر ، وأنه هو محمد بن أحمد بن المطهر الأزدى المتوفى عام ٤٨٥ هـ ، وأنه ألف فى المائة الخامسة للهجرة حكاية أبى القاسم البغدادى التميمى ، فهو بعد بديع الزمان الهمذانى (المتوفى عام ٣٩٨ هـ) بزمن كبير .

٤ - وفى رأى بعض الباحثين أن فن المقامات يرجع إلى ما كتبه ابن قتيبة [٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م] فى المجلد الثانى من كتاب « عيون الأخبار » [ص ٣٣٣ - ٣٤٣ حـ ١] بعنوان « مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك » وهى عشر مقامات ص ٨٢ فن المقامات بين المشرق والمغرب للدكتور يوسف نور عوض .

٥ - ويرد آخرون فن المقامات إلى كتابات الجاحظ [ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م] فى كتابه البخلاء ، وفى رسالة « التربيع والتدوير » وفى كتابه « المحاسن والأضداد » - راجع ص ٢٠ من كتاب المقامة للدكتور شوقى ضيف ، وعلى هذا الرأى سار الدكتور شوقى ، ومع جواز ذلك فى المضمون فإن شكل المقامة الفنى يبقى جديدا كل الجدة عند البديع .

٦ - والبعض يرجع فن المقامة فى الأدب العربى إلى الأدب الفارسى ، وأن حميد الدين البلخى هو البادىء بابتكار هذا الفن ، وأن البديع احتذى حذوه .

والحقيقة أن الأدب الفارسى لم يوجد فيه فن المقامة قبل بديع الزمان الهمذانى ، وأن ما وجد منه فى آداب الفرس ، إنما كان بعد بديع الزمان بزمن طويل ، وأن أول مقامات كتبت بالفارسية هى للقاضى حميد الدين البلخى الذى بدأ بإنشائها عام ٥٥١ هـ ، وأنه توفى عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م ، كما يقول براون فى كتابه فى تاريخ الأدب الفارسى ، ويؤكد محمد تقى بهار فى كتابه « تاريخ تطور النثر الفارسى » أن لفظ مقامة من اختراع البديع[٣] .

وأن كل اختراع فى الأدب العربى كان له صدى فى الفارسية ، وأن حميد الدين قد قلد البديع والحريرى فى مقاماته ، ويذكر الأنورى إعجاب الفرس بمقامات حميد الدين[٤] .

٧ - ويذكر بعض المستشرقين أن أساطير التوراة عند اليهود وقصة لقمان قد أوحتا إلى البديع بفكرة المقامات ، بينما يذكر آخرون أن قصص جحا فى الآداب الفارسية والتركية والعربية كانت من ملهمات البديع لفن المقامات ، وهذا مما لا يؤيده أى دليل .

٨ - والحريرى [ت ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م] فى مقدمة مقاماته يرجع فضل ابتداء المقامات إلى بديع الزمان علامة همذان ، وهو الرأى الذى يكاد يجمع عليه الأدباء والنقاد ، وأقول : إنه ليس هناك إلا البديع نفسه [٣٥٨ - ٣٩٨ هـ / ٩٦٩ - ١٠٠٧ م] ، فهو أبو المقامة فى الأدب العربى وصاحب الفضل فى إنشائها ، ويؤيد الحريرى ذلك ، كما يؤيده الثعالبى فى كتابه « يتيمة الدهر » فى ترجمته لبديع الزمان ، ويقول مارون عبود فى كتابه « بديع الزمان » - ص ٢٤ : إن خطة المقامات من عمل البديع . فهو الذى ألبسها هذا الطراز وعبثا تحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند

(٣) لفظ مقامة ومقامات ورد فى اللغة العربية فى العصر الجاهلى ، وفى شعر زهير بن أبى سلمى .

(٤) راجع ص ٢١٢ من كتاب « بديع الزمان » .. للدكتور مصطفى الشكعة .

غير البديع ، وكذلك ذهب مازن المبارك فى كتابه « مجتمع الهمذانى من خلال مقاماته » ـ ص ١٦ .

ولقد جعل البديع لمقاماته بطلا ساسانياً هو أبو الفتح الإسكندرى ، هو الذى مثل كل أدوارها ، ونهض بجميع فصولها ، وقام بكل أحداثها .

وقد أثبتُّ فى كتابى « أبو دلف عبقرى من ينبع » أن أبا دلف هذا كان من أشهر الأدباء والشعراء والرحالة فى القرن الرابع الهجرى ، وأن ميلاده كان عام ٣٠٠ هـ ، ووفاته كانت عام ٣٩١ هـ ، وأنه طاف بجميع أنحاء آسيا : الصين والهند وآسيا الوسطى ، إلى العراق وإيران وخراسان والجزيرة العربية ، وأنه كان بمثابة الأستاذ والصديق لبديع الزمان ، يحضر البديع مجالسه عند الأمراء والملوك وعند الصاحب بن عباد الوزير [ت : ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م] ، ويستمع إلى قصصه فى رحلاته الطويلة العجيبة الغريبة ، وأن أبا دلف كان هو الملهم لبديع الزمان الشاب الذكى بابتكار فن المقامة فى الأدب العربى فى القرن الرابع الهجرى ؛ وهذا الفن هو الذى احتذاه الحريرى فيما بعد فى مقاماته المشهورة .

ولقد كان بديع الزمان وثيق الصلة بأبى دلف ، وكان واقفا على أخباره ، وراوية لشعره ، وفى كتاب « يتيمة الدهر » للثعالبى (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م) ما يدل على ذلك ـ راجع ص ٣٢٣ جـ ٣ اليتيمة .

ـ ٢ ـ

فأبو دلف كان شخصا عظيما فى حياة البديع يضعه موضع الأستاذية ، ويحلّه من نفسه منزلة رفيعة ويعجب بروحه الفكهة ، وثقافته الواسعة ، وبنوادره وطرائفه الغريبة .

وكان أبو دلف ينظر إلى بديع الزمان الشاب المتوقد ذكاء ونبوغا نظرة الأستاذ إلى تلميذه .

وأبو دلف اسمه مسعر بن مهلهل ، ولد فى ينبع عام ٣٠٠ هـ ، وفى حياته طاف بأرجاء آسيا . . وكان عالما وطبيبا ورحالة من طراز رفيع ، كما كان أديبا وشاعرا كبيرا ، إلى أنه كان نديما للملوك والأمراء والوزراء ، لهم منه ظرفه وأدبه ، وله منهم الحظوة والمكانة العالية ، وكان أبو دلف يقوم بسفارات كثيرة بين الملوك والأمراء ، فقد أرسله الملك السامانى نصر بن أحمد [٣٠١ ـ ٣٣١ هـ / ٩١٤ ـ ٩٤٣ م] ملك بخارى فى سفارة سياسية إلى الهند ، كما أرسله إلى ملك الصين فى سفارة أخرى .

ومن عجب أن تكون شخصية أبى دلف مسعر ابن مهلهل قد استولت على عقل البديع وفكره ، فتراه حين ابتدع فن المقامة كان لابد أن يجعل لها بطلا ، وأن يجعل لها راوية ، فكان بطلها عنده هو أبو الفتح الإسكندرى ، وكان راويتها هو الحارث ابن هشام .

وشخصية هذين الرجلين شخصية غريبة ، وكانت محل بحث طويل بين الباحثين من الأدباء :

١ ـ فالحريرى يرى أنهما شخصيتان خياليتان ، يقول فى مقدمة مقاماته : كلاهما مجهول لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف . ويؤكد ذلك المستشرق الفرنسى إيوار ، فيقول : وضع البديع شخصا خياليا ابتكره وسماه أبا الفتح ، وكذلك كان الحارث بن هشام .

٢ ـ وذهب بعض الباحثين إلى أن عيسى بن هشام كان شيخا للبديع ، ومنهم أبو شجاع شيرويه [ت ٥٠٩ هـ] مؤلف « تاريخ همذان » وينقل ذلك عنه ياقوت الحموى [ت ٦٢٦ هـ] فى

كتابه «معجم الأدباء» فى ترجمته للبديع .

وهذا هو رأى الدكتور الشكعة فى كتابه «بديع الزمان» ، فهاتان الشخصيتان عنده خياليتان ، يقول : «حاولنا أن نجد لبطل المقامات صدى تاريخيا فلم نعثر لها على أثر ، والغالب أنها من ابتكار خيال البديع نفسه [ص ٢٣٢ بديع الزمان] .

٣ ـ وهناك رأى جديد هو أن شخصيات مقامات البديع كانت لأشخاص وجدوا بالفعل ، ويذهب إلى ذلك بعض المستشرقين ، إلا أنهم لم يستطيعوا معرفة هؤلاء الأشخاص المجهولين .

٤ ـ ويذهب باحث عراقى إلى أن أبا الفتح الإسكندرى بطل المقامات هو البديع نفسه [رسالة دكتوراة عن مقامات الحريرى لطارق الموسح ـ بكلية اللغة بالقاهرة] .

٥ ـ ويذهب باحث آخر إلى أن أحد شعراء الكدية أو الساسانية فى الأدب العربى فى القرن الرابع هو أبو الفتح الإسكندرى ، وشعراء الكدية هم أبو الورد ، وابن سكرة [ت ٣٨٥ هـ] ، وابن الحجاج [ت ٣٩١ هـ] ، والأحنف العكبرى ، وأبو دلف [ت ٣٩١ هـ] وأبو حيان التوحيدى [ت ٤١٤ هـ] ؛ وأن أقربهم شبها بأبى الفتح هو الأحنف وأبو دلف [ص ٢٣٤ الأدب فى ظل بنى بويه للزهيرى ـ ط مصر ١٩٤٩] .

٦ ـ ويذهب كاتب هذه المقالة إلى أن البديع استمدّ من شخصية أبى دلف نموذجه الأدبى ، فجعل أبا دلف بطل مقاماته ولقبه بلقب اخترعه وهو أبو الفتح الإسكندرى ، هذا هو رأيى الذى كتبته فى كتابى «أبو دلف» المطبوع فى الرياض عام ١٩٧٠ ، وسار على هذا صاحب كتاب «النماذج الإنسانية» فيما كتبه ، وقد أكدت ذلك لرأى بدليل لا يمكن تجاهله ، وهو أن صاحب «يتيمة الدهر» ـ الثعالبى ـ ذكر أن بديع الزمان أنشده لأبى دلف هذا البيت :

أويحك هذا الزمان زور
فلا يغرنك الغرور

وهذا البيت نفسه ينسبه البديع فى مقاماته لأبى الفتح الإسكندرى ، فالنتيجة إذاً هى أن أبا دلف هو أبو الفتح الإسكندرى بإقرار البديع .

ـ ٣ ـ

وأخيراً أقول : إن شخصية أبى الفتح الإسكندرى فى مقامات بديع الزمان الهمذانى شخصية معروفة ، هو أبو دلف الخزرجى [٣٠٠ ـ ٣٩١ هـ] الأديب والشاعر والرحالة المعروف وصاحب الرسالتين الأولى والثانية .

وهما الرسالتان اللتان سجل أبو دلف فيهما رحلاته الجغرافية المشهورة التى عنى بها المستشرقون وتحدثوا عنه وعن رحلاته وعن رسالته طويلا مما فصلته فى كتابى «أبو دلف» ، وفى كتاب آخر لى صدر بعنوان «أبو الفتح الإسكندرى بطل مقامات بديع الزمان وشخصيته المجهولة» .

والحديث عن أبى دلف طويل . فلأقف عند هذا الحد ، والله ولى التوفيق .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة

يؤبن فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوى

عضـــو المجـــمع

عقدت بمبنى مجمع اللغة العربية فى يوم الأربعاء الثامن من ذى القعدة ١٤١٩هـ ، ٢٤ من فبراير ١٩٩٩م جلسة علنية رأسها الأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع ، لتأبين فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، حضرها السادة أعضاء المجمع ، وجمع غفير من علماء الأمة ومثقفيها ومحبى الشيخ .

وقد تحدث رئيس المجمع عن منهج الشيخ ومأثوراته ، ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور محمد نايل أحد عضو المجمع عن ذكرياته مع فضيلة الإمام الراحل .

كما ألقى عدد من الشعراء بعض القصائد الشعرية ، نذكر منهم : د. محمد حامد الحضيرى من ليبيا ، أ . د . سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية بالأزهر ، والدكتور عصام الغطفاط (صاحب القصيدة المنشورة بهذا العدد) .

كما ألقى فضيلة الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى ، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية كلمة الأسرة التالية :

أما قبل فباسم الله لكل قصد ، سبحانه له أجمل الثناء وأجل الحمد وخير الصلاة وأزكى السلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - رحمة الله ومسك الختام .

سيادة الأستاذ الدكتور شوقى ضيف - رئيس المجمع الموقر - السادة الأجلاء أعضاء المجمع أيها الحفل الكريم .

أما بعد . . . .

فمن قدر الله أن أنوب عن أسرتى آباء وإخوة وأبناء - أسرة المغفور له - بإذن الله - المرحوم بفضله ورحمته فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى -



الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع اللغوى ، وإلى اليمين فضيلة الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية والشاعر الليبى د . محمد حامد الحضيرى وإلى اليسار فضيلة الأستاذ الدكتور محمد نايل عضو المجمع ثم الأستاذ الدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية بالأزهر .

أنوب عنهم فى مناسبة اليوم ، ولست بهذا المقام أولهم ولا أولاهم ، وهكذا شأن اللسان : يعبر لا لأنه أشرف الأعضاء وأكرم الجوارح ، فهو إذ يقول إنما يترجم عن غيب : من عقل يفكر ، وقلب ينفعل ، وعواطف تمد ، فإذا كنت أنا اللسان فأسرى هى اللب وهى الجنان .

وإذا كان لكل مقتضى حاله ، ولكل مقام مقاله ، فإن حال اليوم أكرم الأحوال داعيا ، وأنبل المقامات مقتضى ، وهل هناك أكرم من شكر ذوى العلم حقلا أينع ثمره وآن أكله بحراسة صفوة عقول العرب والمسلمين والمثقفين الفاقهين أعضاء مجمع الخالدين . فمن أحق فرحا بالثمار منكم ياغارسى الأشجار ومن أولى بالبشر والحبور من ناثرى البذور ؟

وهذا الشكر والثناء أيها السادة عبادة أمرنا بها الله الذى يؤتى كل ذى فضل فضله لنمتع النفوس بآثار نعمة الله علينا وعلى الناس ، وجل القائل :

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١)

---

(١) الأنعام ٩٩



جانب من الحضور

وأسمى مالى هذا الموقف من معان ، وأجل ماله من ظواهر :

شعور بالنعمة وتقدير للجهود ـ وحفز للهمم إلى درك الأعلى ونوال الأكمل .

وهو عرفان بالجميل ، عرفه التفانى فى إبراز كل جليل نبيل .

وهو ثناء على الهمة ، ليتفانى الجميع فى إخلاص العمل لإسعاد الأمة .

وهو ثمن أدى لسالف المجهودات ، وعربون روحى لحاضر الإتقان ومستقبل الأمنيات .

وهو الأمنية التى يضعها المكرّمون بين يدى الأمة ، ليعرف أن ما يناله المكرّمون من فضل إنما هو لما قدموه من بذل ، وهم ـ بما حازوا من تقدير ـ أسوة تهيج هواة التقصير ، فتدفع المتمهل ليعجل ، والكسول ليعمل حتى نبلغ آمالنا الجسام فى نهضة العربية وبعث مجد الإسلام .

وإن كان من احتسبناه عند الله قد نال تكريم الأمة كلها شعوبا وملوكا ورؤساء وشيوخا وأمراء أفرادا وهيئات ، فإنه اليوم يصل إلى القمة التى لا تدانيها فى دنيانا قمة ، ولا مطمح لأعلى منها إلا أن تكون بفضل الله الجنة .

أيها السادة والسيدات ، أحيى عن الجميع وعن الشيخ المرحوم ـ بإذن الله ـ وأحبابه سيادة الأستاذ الدكتور شوقى ضيف وشيخنا الأستاذ الدكتور محمد نايل ، وكل من أسهم فى هذا اللقاء فكرة وإعدادا وتنفيذا ، أو حتى فرحا وترحيبا ، وأحييكم جميعا داعيا للأمة بالنصر والتمكين .

والله يرعاكم ويرعى لكم ويوفقكم فى كل ما تأتون وكل ما تدعون .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سامى محمد متولى الشعراوى
أمين عام مجمع البحوث الإسلامية
الأزهر الشريف

من الشعراء المعاصرين
شوقي علي هيكل

للأستاذ: أحمد مصطفى حافظ

منذ أيام قلائل، في ثالث أيام عيد الفطر الماضي، رحل عن عالمنا الشاعر الثائر: شوقي علي هيكل، الذي كان له حضوره الملحوظ في الساحة الأدبية القاهرية، وارتياده ومساهمته في العديد من الندوات الشعرية، وبصفة خاصة بندوة العقاد الشهرية، التي رأس مجلس إدارتها منذ أعوام، وهو يعد من أوفى تلاميذ العقاد، ونستطيع أن نتبين ذلك بجلاء ووضوح، من وقفته على قبر العقاد، وقوله:

فقدت به مثالا عبقريا   وبين العالمين فقدت ندّه
وقفت ـ وطيفه يبدو أمامي ـ   وقد هزت شغاف القلب رعده

ثم يناجي القبر بوجد مذيب، حين يقول:

ألا ياقبر.. حدّثنا طويلا   عن العقّاد.. كيف يقيم وحده؟
بعيدا.. عن ديار عاش فيها   وعن صحب له معهم موده
وعن فكر يطالعه كتابا   وعن قلم له.. قد كان.. عدّه

وهذه التساؤلات، يصح أن يخاطب بها شوقي هيكل بدوره، بعد أن اجتاز نهر الحياة، إلى الضفة الأخرى، التي يردد فيها هذه الضراعة للمولى ـ عز وجل ـ بقوله:

ارحم اللهم عبدا قاصدا في الخير قصدك
ضاقت الدنيا، فولّى يشهد الفرجة عندك
لا يرى في العون أو في الـ   عدل والرحمة بَنْدَك
صادق الإيمان لا يعبـ   ـد إلا أنت وحدك

★★★

وقد ولد شاعرنا في العشرين من يوليو سنة ١٩٤٢م بالقاهرة، واستمر في مرحلة التعليم حتى حصل على ليسانس دار العلوم سنة ١٩٦٤م، وعمل بالتدريس فترة طويلة، كما انتظم بسلك الضباط الاحتياطيين، واشترك في خوض غمار حروب: ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م، وحرب

الاستنزاف بكل من بورسعيد ، وبورتوفيق ، والسويس ، وفى جزيرة شدوان فى البحر الأحمر ، وحصل على نوط شدوان لبطولته وحسن بلائه ، كما شارك فى حرب العاشر من رمضان ، فهو إذن من الشعراء الفرسان ، وهو - إلى جانب ذلك عضو فى العديد من الجمعيات الأدبية ، ومنها : اتحاد الكتاب ، ونادى القصيد ، ورابطة الأدب الحديث ، وجمعية الأدب والفكر المعاصر ، كما عمل فترة سكرتيرا لتحرير مجلة عالم الفكر .

وقد بدأ تعلقه بالشعر ونظمه فى سنّ غضة ، جعلته ينظم وثباته الأولى فيه ، اعتبارا من الثانية عشرة من عمره ، وقد أذيع بعضها ، ونشر البعض الآخر ، ببعض المجلات الأدبية ، كالهلال والأزهر والشعر وغيرها ، ثم قام بجمع حصاد عمره فى مجال الشعر وأصدره فى دواوين شعرية تحمل أسماء : ١ - كبرياء ، ٢ - ظلال وعيون ، ٣ - رحلة إلى عينين ، ٤ - أنشودة فى وجه الريح ، هذا فضلا عن تحريره لبعض المقالات والدراسات الأدبية ، وإلقائه لمحاضرات أذيعت بمصر والجزائر أثناء عضويته للبعثة المصرية بالجزائر ، وكتب فى تاريخ ومقومات الأدب العربى ، وتحدث عن أطواره وفنونه ، وأصوله النحوية ، وفقهه اللغوى .

ومازال له تحت الطبع بعض الدواوين الشعرية .

نماذج من شعره :

استوقفتنا قصيدته : (هذه سينا) طويلا ، وَرُحْتُ أمعن النظر بين أبياتها . . وسرح بى الخيال بعيدا ، إذ تصورت الضابط المقدام الشاعر ، شوقى هيكل ، وهو فى خضم المعركة ودخانها ولظاها ، وخاصة فى حرب العاشر من رمضان ، وتوقعت أن يصور لنا تجربته الحية فى خوض غمار هذه الحرب الضروس ، مشاهدها ، وتطوراتها ، وبلائه فيها ، ومصارع الجرحى والقتلى من حوله واستبسال جنودنا الأبطال الذين أنزلوا الرعب فى قلوب الأعداء ، وهم يرددون صيحة الجهاد المدوية : (الله أكبر) . . (الله أكبر) . . ومفاجآتهم لجنود الأعداء المذعورين ، وهم يرون جنود مصر ، وهم خير أجناد الأرض فوق رءوسهم ، يحصدونهم حصدا ، ولكن . . خاب فألى ! فلم أظفر بعشر معشار ما توقعت من يراع وشاعرية شوقى هيكل (كما ذكرت له فى حينه) وشعرت بغصة أليمة ، لأنه يحتل هذه الفرصة النادرة - وياليتها أتيحت لى - لوصف دوران آلة الحرب بمشاهدها ووقائعها (من الداخل) وليس بالاقتصار على وصف انطباعاته عن آثارها وجوانبها الخارجية فحسب ، مهما كان نصيب هذا الوصف من الحماسة وحسن التصوير للمشاعر الذاتية ، اللذين تشهد له بهما ، كقوله :

لم تعد سيناء إلا بالفداء
فلنصنها بقلوب الأوفياء
ولنخضر أرضها : زرعا وماء
هذه الأرض رواها الشهداء
بدماء قد جرت . . بعد دماء
بذلوها . . من عروق الكبرياء

هذا كله شيء عظيم بلا شك ، ولكننا كنا ننتظر أن يتحفنا ويوافينا أيضا بملحمة كبرى عن العاشر من رمضان ، تعيد إلى الأذهان قدر المستطاع صورا من المعارك الضارية ، تماثل ملحمة (الإلياذة) لهوميروس : روعة وبسالة .. أو يجسد لنا صورا كتلك التى قرأنا مثلها كثيرا فى شعرنا العربى ، كقول شاعرنا القديم عن أحد الشهداء :

أرادوا ليخفوا القبر عن عدوه فطيب تراب القبر .. دل على القبر

وقد أبديت كافة ما تقدم لشاعرنا شوقى هيكل - رحمه الله - بصدق وإخلاص ، لأننى أعتقد أن طاقته الشعرية قادرة على إنجاز هذه الملحمة ، بعد استرجاعها بمخيلته ، ومعايشته لذكرياتها بريث وتدبر واستحضار .. فتحمس كثيرا للأمر ، ووعد بأن يبذل أقصى الجهد لتحقيق ما تمنيته عليه منذ سنوات .. وعسى أن يكون قد أنجز المطلوب ، فيما خلفه وراءه من مسودات العديد من القصائد التى لم تنشر بعد .

★★★

هذا ، وقد ألهمته الفترة التى عمل فيها بالجزائر - أرض المليون شهيد - أن يعيش تجربتها الرائعة ، وجهادها الشاق الطويل .

وقد وفق شوقى هيكل إلى تصوير مراحل كفاحها المرير ، الذى لم يشهده عن كثب ، ورغم ذلك ، يبدو وكأنه قد خاض غماره بالفعل ، حين يقول عن الاستعمار الفرنسى ، إنه قد :

هبت عليه كتائب التحرير تعـ صف كالدمار فمزقته شقاقا
فى سرعة كالريح خف رجالها وكأنهم ركبوا إليه براقا !

ويصف حال الشعب الجزائرى ، وهو :

يبنى ويعمل للحضارة ركنها ويحيل آثار الدجى إشراقا
ويقيم صرح ثقافة عربية لغة وفكرا ساميا خلاقا

★★★

ثم يضفى علينا الشاعر شوقى هيكل ، هالة من البهجة والحبور ، حينما يشدنا إليه ، ويحملنا معه - بأحاسيسنا ومشاعرنا الأبوية ، بقصيدتيه : (إلى وليدى) ، و (بنيتى) ، اللتين يبلغ فيهما حد الروعة فى دقة الوصف والتعبير الفياض بشعر البنوّة الذى أبدعه شعراء الإنسانية فى شتى عصورها ، خذ مثلا قول الشاعر الفرنسى الكبير عن إطلالة الطفولة - الذى ترجمناه شعرا من الفرنسية إلى العربية :

صفق الأهل فى اصطخاب شديد عند إطلالة الوليد الجديد
وتبدت أعنق الجباه .. عبوسا بتلاشى التقطيب والتجعيد
رؤية الطفل طافرا بسرور حققت يوم بهجة وسعود

إلى أن يقول :

أيها الطفل ، ياوديعا ، تبدّى أشقر الشعر ، كالأقاح النضيد
فى رواه ، وهالة من نضار وابتسام مشعشع فى الوجود

في خيالاته العذوية تسرى ملء صوت منغم الترديد
رحت تهفو بلثغة.. لحديث مستطاب.. ولم تزل في المهود

ويقول في ختام القصيدة :

يا إلهي.. ولا أرى الصيف صيفا دون روض منضد بورود
دون دوح[1] مشقشق في أصيل بالعصافير ملء رحب نجود
لا أرى الدار -قد خلت من صغار- لو بقصر- إلا.. كقفر البيد

وبعد ذلك لنستمع إلى قول هيكل يناجي وليده بتوق، قائلا :

وضعتك في مهادك ياوليدي وحبك قد توسد في جناني
ظللت إلى جوارك في خشوع وكل فرحة غمرت كياني
وأنت تطل بالنظرات سهوا كأنك -في ابتهاجي- قد تراني
وكل الأهل حولك في سرور يشار إلى منهم بالبنان

وكيف لا يشيرون إليه بالبنان، وقد أنجب الطفل الذي :

أرقصه على دقات قلبي وأقفز لبس يحملق مكاني
فقامت أمه تلقاه مني وقد خشيت عليه من افتتان
.. لقد حملته وابتعدت قليلا لترضعه.. برفق.. واحتضان

ويستطرد الشاعرفي فلذة أخرى من القصيدة، مصورا دلال الطفولة الفطرى مع أمه أثناء فترة الرضاعة، فيقول :

تعلمه الرضاعة وهي نشوى وقد فاضت بعينيها المسره
تلاطفه وتغريه فيأبي ويقبل مرة من بعد مره
فيرضع بعد منتشيا هنيئا ويرشف قطرة من بعد قطره
كعصفور تلقط بعض حب وينقر نقرة من بعد نقره
ويرفع رأسه فيلوح وجه ندى الثغر، ما أحلى ثغيره!

وهكذا استنفد الشاعر شوقي هيكل كل ضروب الوصف والتصوير، للطفل في المهد، مفصلا ما أجمله (هيجو) في شعر الطفولة، وذكرنا بما أبدعته الشاعرة الكبيرة نجاة شاور ربيع، في نجوى طفلتها، بقولها :

ياطفلتي أحببت كل طفولة وعشقت كل صغيرة مكحوله
وأراك في غدك القريب جميلة في روض الحياة خميله
وإذا نظرت إلى شباب باسم خلت الضفائر غنوة مجدوله

رحم الله شاعرنا شوقي هيكل رحمة واسعة، وألهم الأوفياء المنصفين، المبادرة على نشر مالم ينشر بعد من آثاره القلمية.

---

(1) استخدمنا لفظة (دوح) بدلا من القاص التي استخدمها (هيجو) لأنها الأدل على المضمون في السياق. ولأن : القيد قيد.. ولو أنه صيغ من ذهب.

خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب

لقد شرف الله البيت الحرام بأمرين ، الأول هو : وجوب حجه على المسلم المستطيع ، والثاني هو : وجوب التوجه إليه في الصلوات كلها ، فرضها ونفلها ، وأمر خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وجعله مثابة للناس وأمناً ، فهم يؤمونه من شتى البلاد والبقاع ويثوبون إليه المرة بعد المرة ، وكيف لا ، وقد غرس الله محبة بيته العتيق في نفوس عباده وقلوبهم ، فهم لايملون من قصده والرجوع إليه ، فمازال الناس يحجون إليه من لدن إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى ما شاء الله .

وخميلة الشعر ، تتوجه إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأجمل التهاني بمناسبة موسم الحج ، وبعيد الأضحى المبارك .

ونسأل الله سبحانه وتعالى ، أن يعيده على أمة الإسلام بالعزة والسلام ، وأن يعود المسجد الأقصى (ثالث الحرمين) إلى أحضان الأمة الإسلامية ، بعد طول غياب .

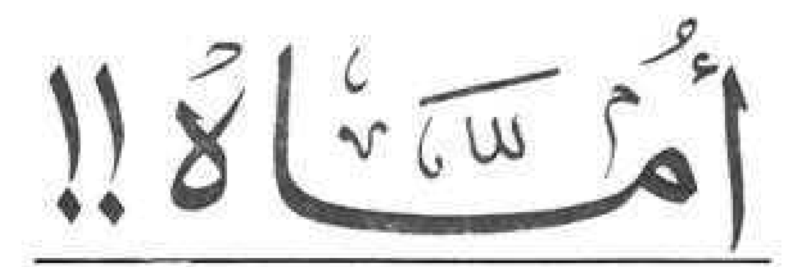
وتستهل هذا العدد بقصيدة معبرة بعنوان : « أماه » يقدم لنا فيها الشاعر / محمد إبراهيم العشماوى ، عصارة فؤاده ورحيق تجربته الأليمة بعد فقد أحب الناس إليه ... ألا وهى : أمه وبعدها نقدم قصيدة : « في موكب الحج » للشاعر الشرقاوى / محمد على جمعة الشايب الذى يعبر من خلال أبياته الرصينة المعبرة عن أحاسيسه الفياضة تجاه مناسك الحج ، واصفا لها بأسلوبه المتألق الجزل .

ولأول مرة يشارك الشاعر الكبير / إبراهيم خليل إبراهيم إخوته .. شعراء الأزهر بقصيدته (رسالة إلى السماء) التى تعبر عن مشاعره الإيمانية الصادقة ، تجاه الكعبة المباركة ، فمرحبا به .

وبعد ذلك نقدم قصيدة رقيقة للشاعر عزت سعد الدين بعنوان : (مناجاة) ، ويعتبر من خلال أبياتها عن صادق حسه الإيمانى العميق ، ونختتم جولتنا في خميلة الشعر ، هذا العدد بقصيدة بعنوان : (أول عيد) .

للشاعر د . عصام محمد القطقاط ، وفيها يشكو بثه لفراق إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ رحمه الله ـ

والله ولى التوفيق .



للأستاذ: محمد إبراهيم العشماوى

ذاقت من الآلام ماذاقت وأجهدها البلاء
وحوادث الأيام لا تدع الرجال ولا النساء
وسوابق الأقدار تفعل فى البرية ما تشاء
واليوم باتت فى الفراش هناك تشكو كل داء
هذى عقاقير الطبيب، ومنك يارب الشفاء

فلتستجب ربى الدعاء

أماه قد باتت من الخفقات أجنحتى مهيضه
أين احتفاؤك بالضيوف وأنت يا أمى مريضه؟
أين احتواؤك بالرضا؟ أين ابتسامتك العريضه؟
أين ابتهاجك بالفريضة إذ تؤدين الفريضه؟
فليترك الشعراء قول الشعر وليدعوا قريضه

فلربما نفع البكاء

وهناك تنصدع القلوب، وتهزم النفس القويه
وتهون ساعتها الخطوب، وتسقط الهمم الفتيه
أمى: ستنتفى الحروب، الغاريات الداخليه
أرجوك يا أمى: أتوب، فلم تعد منى بقيه
ودعتها وأنا أتوب، وهذه الأشواق حيه

والله يفعل ما يشاء

رسالة إلى السماء

للأستاذ: إبراهيم خليل إبراهيم

هفا القلب للكعبة النيره   وزمزم والصحبة المؤثره
إليك يا من برأت الحياة   ومن خلق المرء أو أقبره
فعلم فؤادى سر الوجود   وعظنى بالموت أن أذكره
فأطوى بحمدك بعد الطريق   وسبحانك أنت الذى يسره

•••

إلى (عرفات) هفا صاديا   وصحراؤه أنجبت واديا
فأهفت خلف الفؤاد الطليق   وخطوى يغالب أحاليا
فخذ بيدى لعلى أطير   وأغسل بالنور أدرانيا
تباركت يارب من راحم   لوجهك أسعى .. فكن هاديا

•••

أتوق .. وأنهل من عبرتى   رحيق اشتياقى إلى الكعبة
إذا تهت عنك فأنت الملاذ   ومن لى سوى الله فى الغربة
وإن غيبتنى خيوط الظلام   أفاقت بذكرك غيبوبتى
فبلل شرايين هذا الفؤاد   لك الأمر ماشئت فى مهجتى

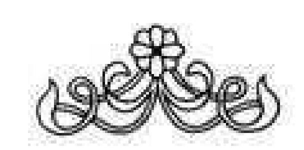
•••

فى موكب الحج

للأستاذ: محمد على جمعة الشايب

من بسمة النور فى أنفاس إيمان ∴ صفت القوافى تاجاً فوق أوزان
وشدن البيت من طهر عباءته ∴ والكعبة انتقبت فى قدس أردان
وهزن طيف «إبراهيم» مجتهداً ∴ ليرفع البيت ... يرسى خير بنيان
وابنه البر «إسماعيل» طلعته ∴ عزم النبيين ... لاواو، ولا وان
يعلى بناءً تسامى إن بنى حجراً ∴ بنى لدين الإله خير أركان
والأفق من نشوة صاب وتزحمه ∴ ملائك الله غنت رجع ألحان
يباركون حجيج الله تسبقهم ∴ من الإله تباشير برضوان
ما عادت الأرض أرضاً مثلما عهدت ∴ ولا الرمال بدت أشلاء كثبان
وإنما كل شىء كدت أسمعه ∴ يسبح الله فى شكرٍ وعرفان
فما الجبال ثياب الليل تخلعها ∴ لتلبس الصبح فى استحياء عريان
فى الليل صامتة ـ فى الصبح صامتة ∴ خرساء نطقاً ولكن صمت رهبان
فى موكب الحج ما عادت بصامته ∴ أحجارها نطقت فى خير تبيان

وهل تطيق اصطباراً وهى قد طربت ∴ من لحن تلبية يسرى بأكوان
أما رأت «عرفات» فوقه هبطت ∴ «بيض الحمائم» تشدو لحن إيمان
تشدو «بلبيك» والدمع العزيز همى ∴ يرجو من الله أن يحظى بغفران
نسوا الديار على حب وقد شغلوا ∴ عنها بحب عظيم التوب منان
تذكروا يوم جمع الحشر فانهمرت ∴ دموعهم تتداعى مثل طوفان
يرجون غسل ذنوب ماسعوا أبداً ∴ لها ولكن أتت من غير حسبان
إبليس جاء إليهم فى معيتها ∴ فزانها بأكاذيب وبهتان
أما لآدم فى الجنات بادره ∴ بوسوسات فأغراه بعصيان
فخر آدم من جناته أسفاً ∴ دموعه ندم فى وخز حرمان
إن الحجيج إذا ما أفرغوا غضباً ∴ حصى الجبال على رجم لشيطان
لم يبلغوا بعض مكنون العداء له ∴ وإن يك الرجم من أحجار نيران
يامن يظل حجيجاً ظل رحمته ∴ وهم به بين إنعام وشكران
جمعتهم حول بيت طائفين كما ∴ طافت بعرشك أملاك بإذعان
يارب وحد جميع المسلمين على ∴ نصر لدين وإعلاء لأوطان
وحدهمو ليرى الإسلام مرتفعاً ∴ راياته أشرقت من نور قرآن
فكم تربص بالإسلام شانئه ∴ بسمة فجرت من ناب ثعبان



مُنَاجَاة

للأستاذ: عزت سعد الدين

ربـاه إنى قـد لجـأت لبـابـك — مـتـذلـلاً أرنـو لـنـور رحـابـك
قـد حـملـت أمـارتى بـذنـوبـهـا — يـا سـوأتى ممـا حـملـت لـبـابـك
فـالعين تـبـحـر بـالـدمـوع سـخـيـنـة — قـد جـمـت بـحـراً عـلى أعـتـابـك
والقـلب يخـفـق بـالـدعـاء ضـراعـةً — مـتـوددا ربى لـنـيـل ثـوابـك

**

ربـاه عـفـوك إن نـظـرت لـمـذنـبٍ — قـد هـده عـلـم لـه بـعـقـابـك
فـلـطـالـمـا بـت الـلـيـالى سـاهـرا — قـد هـمنى ذكـرى لـيـوم حـسـابـك
ولكم دعـوتـك خـفـيـة أو جـهـرةً — مـتـشـوقـا ربى لحـسـن جـوابـك
ولـئـن عـصـيـتـك دون عـلـم إننى — لـك راجـع مـتـقـرب بـكـتـابـك
فـالخـيـر كـل الخـيـر مـنـكـم يـرتجى — والـذل كـل الـذل فى إغـضـابـك

**

مـولاى إنى قـد أتـيـتـك تـائـبـا — مـتـضرعـاً أهـفـو إلى تـرحـابـك
ولـئن عـطـفـت عـلى الـعـبـيـد بـنـظـرةٍ — ولـخـذتـه ربـاه مـن أحـبـابـك
وعـفـوت عـن زلاتـه ورحـمـتـه — فى يـوم عـطـفـك من سـعـير عـذابـك
فـلأنـت أكـرم من الـوذ بـجـاهـه — وعـطـاك أسـخى من عـطـاء سـحـابـك
فلتـسـقـنى من عـذب قـربـك سـيـدى — لأظـل دومـاً ظـامـئـاً لـشـرابـك
ولـقـد وقـفـت بـبـابـكـم مـسـتـعـطـفـاً — فـلـتـرفـعـن عـنى سـدول حـجـابـك

***

أول عيد

شوال ١٤١٩

شعر: دكتور عصام محمد القطقاط

إماماً أتينا مفعمين فهل تفضى
أم البوح من بعد العتاب فسترضى

لكهف هرعنا مدلجين فعمنا
بنورٍ وعطرٍ مشرقٍ دائم الومض

بكينا لعل الدمع يذهب حرها
فزاد الجوى ما كان بالصدر من رمض

نزلت بساحٍ فى الجنان ببرزخٍ
ترى مقعداً فى جنة الخلد . . . فى الروض

●●●

وتقرأ قرآناً ، وتلقى خواطراً
أتينك إلهاماً من الله ذى الفيض

تمسكت بالغراء فى كل موضع
ونافحت عن صحب ودينٍ بمنقض

شفيع لكم حب الإله وفضله
وطول سجودٍ منك فى النفل والفرض

جزاكم إلهى عن شبابٍ وشيبةٍ
أحبوكمو فى الله . . . والناشىء الغض

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

٢

التقوى في القرآن الكريم

لفضيلة الإمام
الشيخ محمود شلتوت

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وقد رأينا من المفسرين من يبين معنى التقوى الواردة في القرآن الكريم بحسب المقام الذى سيقت فيه ، فيفسرها في قوله تعالى مثلاً :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[1]

الواردة في أول سورة النساء . وقوله :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾[2]

بخشية الله والخوف منه . وفي قوله - تعالى - :

﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾[3]

وقوله :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[4]

يفسرها بالتوحيد . وفي قوله :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾[5]

يفسرها بالتوبة عن المعاصي . وفي قوله :

﴿ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾[6]

---

(١) سورة النساء : ١ .
(٢) سورة الحج : ١ .
(٣) سورة الفتح : ٢٦ .
(٤) سورة الحجرات : ٣ .
(٥) سورة الأعراف : ٩٦ .
(٦) سورة النحل : ٢ .

يفسرها بالطاعة . وفى قوله :
﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾(٧)

يفسرها بترك المعصية . وهكذا حتى ظن أن للتقوى معانى متعددة يختلف بعضها عن بعض ، وأنها من قبيل المشترك اللفظى الذى يتحد لفظه ويتعدد وضعه ومعناه . والواقع أن مسلك السلف فى الإرشاد ، ومسلك المفسرين فى التفسير ، لا يعدو أن يكون أساسه ، إما مجاراة الأحوال ، أو مجاراة السياق ، وليس من مقصودهم جميعا أن يحددوا بهذه العبارات الخاصة المعنى الكلى بكلمة « تقوى » الذى تدل عليه بوضعها وأصل اشتقاقها لأنهم إنما يرمون عن قوس الإرشاد إلى التحلية العملية ، والتناسب فى السياق ، وليس من هدفهم التعليم العلمى بعرض الجزئيات فى ثوبها الكلى العام ، ومع ذلك فإننا لو وضعنا هذه المعانى الجزئية التى تمليها الأحوال ، إلى رجال التصفية والتهذيب ، أو يمليها السياق إلى رجال التفسير ، لو وضعناها فى صعيد واحد ونسبنا بعضها إلى بعض ، لوجدناها متعانقة متلازمة . لا يستقل واحد منها عن صاحبه ، ولا يغنى أحدها عن الآخر ؛ فالتوحيد أصل ، وخشية الله أثره ، وآية الصدق فيه . والتوبة عن المعاصى من لوازم الخشية وتوابعها ، والمعصية يأباها الإيمان . وهذا هو سبيل تلاقى الجزئيات التى فسرت بها التقوى فى عبارات القوم وعبارات المفسرين ، ذلك أن التقوى فى أصل معناها جعل النفس فى وقاية ، ولا تجعل النفس فى وقاية إلا بالنسبة لما يخاف ، فالخوف أصلها ، وهى ثمرته ، والخوف يستدعى العلم بالمخوف ، والمخوف إما العذاب ، وإما المعذب ، ومن هنا كان الذى يعلم الله ، هو الذى يخشاه ، وكان الذى يخشاه هو الذى يتقيه ، فلا تقوى حيث لا خشية ، ولا خشية حيث لا علم ، ومن عرف الله وآمن بقدرته القاهرة وعلمه المحيط ، وسلطانه النافذ ، وشرعه الحكيم ، تمثل عظمته فى كل شىء وخاف سطوته فى كل شىء ، واتقاه فى كل شىء ، وإذن فالتقوى هى صيانة النفس عن كل ما يضر ويؤذى سواء أكان متصلا بالنفس أم بالنوع ، أو بالخلق كله ، وعن كل ما يحول بين الإنسان والغايات النبيلة التى بها كماله فى جسمه وروحه ، وفرده وجماعته ، وفى دنياه وأخراه ، وبعبارة أخرى هى تحصين النفس من كل ما يعرضها للنقص الإنسانى ، أو الدينى ، أو الاجتماعى .

ولعل أول مظهر من مظاهر التقوى ، أرشد الله إليه فيما افتتح به سورة البقرة ، وهو أن التقوى كانت سببا لاختصاص المتقين بهداية القرآن والانتفاع به ، ذلك أنهم حصنوا أنفسهم من الأسباب التى تفسد على الإنسان فطرته ، وتجعله لا يؤمن إلا بالحس المشاهد ، وتجعله مقطوع الصلة عن مصدر الخير الدائم الباقى ، كما تجعله فظا غليظ القلب ، متحجر الوجدان ، لا تهزه رحمة ، ولا تدفعه إلى المعونة عاطفة ، وتجعله ذا عصبية تحول بينه وبين الاعتراف بالحق والتمتع بالخير إذا لم يجر على لسانه وجرى على



(٧) سورة البقرة : ١٨٩ .

لسان غيره ، أو لم ينزل من سمائه ونزل من سماء غيره ، واقرأ في ذلك متدبرا قوله - تعالى - :

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ﴾(٨)

اقرأ هذا لتعلم أن من عصم فطرته من تسلط المادة المظلمة عليها ، ومن قسوة القلب على أخيه المحتاج ، ومن العصبية الفاسدة لما ورث ، هو المتقى عند الله ، وأن تقواه هذه هي التي ترفعه إلى مكانة الانتفاع بالكتاب ، والتغذية من أحكامه ، وإيحائه حتى يصل به إلى أقصى درجات الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة .

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٩)

وكما خلع الله على هؤلاء الذين حصنوا أنفسهم من تلك العلل ، عنوان المتقين ، تراه في آيات أخرى قد خلع عليهم عنوان العلم المطلق ، والإيمان الكامل وجعل القرآن لهم تذكرة ، كما جعله لهم هدى وشفاء .

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ ﴾(١٠)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝ ﴾(١١)

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾(١٢)

﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾(١٣)

وبينما تراه يخلع ذلك على المتقين الذين لم يدنسوا فطرهم بتلك العلل التي تبعد الناس عن الخير وإدراك الحق ، تراه يخلع غير ذلك على آخرين ، فسدت فطرهم بيئات الشر وموروثات الفساد وأوهام الضلال ، وعصبيات الجهل ، فلم يعرفوا الحق ولم يؤمنوا به ؛ بل عاندوا ولجوا في العناد وأخذوا يحاربون الله في السر والعلن ، تراه يخلع عليهم أن القرآن عليهم عمى وأنه لا يزيدهم إلا تبارا ، وأنهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾(١٤)

ويضع في مستوى هؤلاء طائفة أخرى فسد باطنها كما فسد باطنهم ، ولبسوا في ظاهرهم للمؤمنين ثوب الخداع والزور ، فقالوا كلمة التوحيد كما يقولون ، وصلوا كما يصلون ، واهتم القرآن بالحديث عنهم فعرّف عن خلالهم ، وصور كثيرا من نياتهم ، وضرب الأمثال في شرح حالهم وعاقبة أمرهم .

---

(٨) سورة البقرة : ٢ - ٤ .
(٩) سورة البقرة : ٥ .
(١٠) سورة سبأ : ٦ .
(١١) سورة الإسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .
(١٢) سورة فصلت : ٤٤ .
(١٣) سورة الحاقة : ٤٨ .
(١٤) سورة البقرة : ٦ .

هؤلاء هم الكافرون وهؤلاء هم المنافقون ، قد اشترى الفريقان الضلالة بالهدى ، ودنسوا نفوسهم فعمى الحق عليهم ولم يهتدوا بما أنزل الله لهم وبعث به الرسل إليهم وصاروا إلى مآل سيىء .

أما المتقون الذين حافظوا على ما منحوا من فطر سليمة ، ونعم ظاهرة وباطنة حتى انتفعوا بهداية الله ، ووضعوا كل نعمة فى موضعها ، وسلكوا بأنفسهم وبنى جنسهم سبيل الله الذى رسمه بسنته الكونية وأحكامه الشرعية ، أما هؤلاء فقد ظفروا بمكانة السمو الإنسانى ، وبدرجة الفلاح عند الله ، وأناروا بما يسر لهم من وسائل الخير العام سبيل الحق والهدى لخلق الله فعصموا الناس كما عصموا أنفسهم من علل العقيدة ، ومن علل الأخلاق ، ومن علل الأعمال ووجهوهم فى كل ذلك إلى لب الحياة وسر الوجود ، وكانت التقوى لهم نورا به يهتدون وبه يهدون ، وقوة بها ينتصرون ، ومعارج عليها يصعدون ، وذلك هو ما وعد الله به فى قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(١٥)

فنور التقوى هو ذلكم الفرقان الذى جعله الله ثمرتها ، وجعل فيه جزاء المتقين ، والفرقان ما يفرق به بين الشيئين أو الأشياء ، وفسره بعض السلف بنور البصيرة الذى يفرق بين الحق والباطل ، والحجة والشبهة . وفسره آخرون : بالنجاة من الشدائد ، أو النصر الذى يفرق بين ما يعز وما يذل ، وكلا التفسيرين قصد إلى البيان بالجزئيات ، كما هى سنتهم فى البيان والإرشاد ، والواقع أن الفرقان ، منه علمى ، وهو نور ، أو ملكة ، يفرق بها بين الحق والباطل ، والنور والظلمة ، والحجة والشبهة . ومنه عملى ، وهو ثمرة العلمى وهو يرجع إلى الفصل بين ما ينبغى فعله وما يجب تركه فى سبيل العزة والنجاة من الشدائد ، والحصول على الرغائب .

وانظر كم يتطلب الفرقان بنوعيه من دراسات وتفقه ، وتدريب على الفضائل ، وبحث عن السنن والأسرار .

وإذا حصلت على هذه الدراسات ، وشعرت من نفسك بهذا الفرقان ، فاعلم أنك قد منحت درجة المتقين :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١٦)

هذه هى التقوى فى القرآن الكريم ، وهذه ثمرتها فى الأفراد والجماعات ، ولو أن الناس عرفوها حق المعرفة ، وقاموا بواجبها وحقها لسكت الغضب عن العالم ، وانطفأت ثورة الشر التى ألهبت جوانحه وأقضت مضاجعه ، وكادت تقضى على حكمة الله فى خلق الإنسان .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(١٧)

---

(١٥) سورة الأنفال : ٢٩ .
(١٦) سورة النحل : ٣٢ .
(١٧) سورة آل عمران : ٨ .

أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى



تنقيح المناظر

للأستاذ الدكتور:
أحمد فؤاد باشا

كتاب «تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر» لكمال الدين أبى الحسن الفارسى يعتبر من الذخائر النفيسة فى التراث العلمى الإسلامى ؛ ذلك لأنه شرح وإيضاح وإضافة لكتاب «المناظر» الذى صنفه الحسن بن الهيثم واعتبره المؤرخون أساساً لعلم البصريات الحديث[1]

مؤلف «تنقيح المناظر»

هو كمال الدين أبو الحسن الفارسى الذى عاش فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجرى ، وعاصر قطب الدين محمود بن مسعود ابن مصلح الشيرازى المتوفى عام ٧١٠ هجرية (١٣١١ ميلادية) . ولم يصلنا من أخبار الفارسى غير القليل الذى أمكن استنباطه من كتابه ، فقد كان من تلاميذ قطب الدين الشيرازى ، وأدخل فى كتابه بحوث أستاذه فى تعليل ظاهرة قوس الألوان . والحق أن الفارسى لا يضيره فى شىء أنه لم يؤت سعة من الشهرة ونباهة الذكر ، وحسبه أن يعرف بكتابه هذا الذى حفظ مقالات ابن الهيثم فى المناظر والمرايا وزاد عليها مازاد من اللواحق المفيدة[2] .

ويحدثنا الفارسى فى مقدمة كتابه أنه شغف منذ

---

(١) كتاب «تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر» كمال الدين أبو الحسن الفارسى . الجزء الأول . تحقيق وتقديم مصطفى حجازى . مراجعة دكتور محمود مختار . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

(٢) المرجع السابق . ص ٧ .

شبابه بالعلوم العقلية . وصرف همته إلى طلبها ، وانتهى به المطاف إلى القطب الشيرازى الذى حصل على كتاب « المناظر » بخط ابن الهيثم ، وطلب منه اختصاره ، فاستجاب الفارسى وقام بما ندب له على الوجه الأكمل ، ووصف لنا كتابه « تنقيح المناظر » .

محتويات «تنقيح المناظر»

يسرد الفارسى فى مقدمة كتابه موضوعات كتاب « المناظر » لابن الهيثم ، ثم يذكر ما أضافه إليه من : خاتمة ، وذيل ، ولواحق ، فيقول : « إن ابن الهيثم ـ رحمه الله ـ قد جعل كتابه سبع مقالات :

الأولى : فى كيفية الإبصار فى الجملة .

الثانية : فى تفصيل المعانى التى يدركها البصر ، وعللها ، وكيفية إدراكها .

الثالثة : فى أغلاط البصر فيما يدركه على استقامة وعللها .

الرابعة : فى كيفية إدراك البصر بالانعكاس عن الأجسام الصقيلة .

الخامسة : فى مواضع الخيالات : وهى الصور التى ترى فى الأجسام الصقيلة .

السادسة : فى أغلاط البصر فيما يدركه بالانعكاس وعللها .

السابعة : فى كيفية إدراك البصر بالانعطاف من وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيف لشفيف الهواء .

وقد أضفنا إليها بعد تمامها : خاتمة وذيلا ولواحق .

أما الخاتمة : فتشتمل على مباحث الانعطاف إتماماً لما ذكر فى المقالة السابعة ، وأما الذيل . ففى أسباب القوس (أى قوس الألوان المعروف باسم قوس قزح) والهالة ، ويشتمل على تلخيص مقالة ابن الهيثم فيهما . وما يرد عليها ، وعلى تلخيص ما ذكر فى الشفاء (لابن سينا) فيهما مع ما يرد عليه ، ثم على فصول سبعة :

الأول : فى أمر الكرة المحرقة

الثانى : فى حالة رؤية المبصرات بتوسط الكرة المشفة واحدة ، وثنتين ، وأكثر .

الثالث : فى كيفية تولد الألوان .

الرابع : فى سبب التقازيح .

الخامس : فى كيفية حدوث القوس .

السادس : فى كيفية حدوث الهالة ذات التقازيح .

السابع : فى كيفية حدوث الهالة البيضاء .

وأما اللواحق : فتشتمل على تلخيص ثلاث مقالات له (أى لابن الهيثم) أيضا هى :

مقالة الإظلال .

ومقالة صورة الكسوف .

ومقالة الضوء . . . »

منهج الفارسى فى «تنقيح المناظر»:

أبقى الفارسى فى « التنقيح » على نفس عناوين المقالات والفصول التى جاءت فى « المناظر » لابن الهيثم ، ولكنه خالفه فى أسلوب الإيراد وطريقة العرض ، فرأى أن يقسم كل مقالة إلى فصول ، والفصل إلى عدة مباحث سماها « مقاصد » ، وبنى كل مقصد على أساس قانون سماه « مقدمة » ، أو

« حكيا » ، وأردف الكثير منها بمسائل أو تطبيقات سماها « لطائف » أو « اعتبارات » ، أو « تمثيلا » .

ودرج الفارسى على أن يورد عبارات ابن الهيثم مسبوقة بكلمة « قال » ويعقب عليها شارحاً أو معلقا ، موافقاً أو مخالفا ، فيقدم بذلك بكلمة « أقول » أو « قلنا » أو « نقول » . كذلك حرص على ذكر من نقل عنهم كأن يقول : « قال ابن قف المسيحى » ، أو يكنى عنهم بشهرتهم ، أو باسم المصدر الذى نقل عنه ، كأن يقول : « قال الشيخ » ، أو « قال الشيخ فى الشفاء » يعنى بذلك الشيخ الرئيس ابن سينا ، أو يقول : « قال صاحب المعالجات ، يعنى الطبرى ، أو « قال القرشى » يعنى ابن النفيس - وأحيانا يكتفى الفارسى بذكر الكتاب الذى نقل عنه لشهرته عن مؤلفه ، كأن يقول : « وفى القانون » أو « وفى الشفاء » أو « وفى الذخيرة » فالعالمون يعرفون أن القانون والشفاء لابن سينا ، وأن الذخيرة لثابت ابن قرة الحرانى . وإن دل هذا كله على شيء فإنما يدل على التزام الفارسى أمانة النقل عن غيره ، وحرصه على تمييز كلامه من كلامهم .

بل إن صاحب التنقيح كان مدركا وواعيا لما كتبه ابن الهيثم فى « المناظر » ومن ثم فإنه حرص على بيان سبب معالجته لقضايا علم البصريات بأسلوبه الخاص . فيقول : « ولما كان كلامه (يعنى ابن الهيثم) فى كل فصل ، وإن كان يتوجه نحو مقاصد متميزة مرسلا إرسال قصة لايتميز فيها أول من آخر ، رأيت أن أرقم كل مسألة بقصد تحريرها ، برقم عددها لتمييزها عما عداها ، فيصيرها - يعنى هذا التمييز - مباحث محدودة ، ومقاصد معدودة ، كما هو معهود من كتب التعليم ، ومالم يكن منها فترجمتها (أى جعلت لها عنوانا) بما يناسبها ، كتمثيل (ويعنى به التجربة العملية) ، وحاصل وتنبيه وغير ذلك ، وربما كان التنبيه تنبيها على مقصد أيضا ، والحاصل حاصل مقصد أو مقاصد . . » .

وقد استعان الفارسى بالرسوم والأشكال التوضيحية التى تعين على فهم ما يذكره من المسائل المختلفة ، فاشتمل كتابه على نحو عشرين ومائتين رسماً أو شكلا ، كما حرص على إيراد الكثير من الأمثلة والمسائل تطبيقا على ما يذكره من نظريات وقوانين .

مقابلات بين « المناظر » و« التنقيح » :

ربما يعتقد البعض أن كتاب « تنقيح المناظر » لكمال الدين الفارسى هو تكرار لكتاب « المناظر » لابن الهيثم ، أو أنه على الأقل يمكن أن يصلح بديلاً عنه لكن هذا الاعتقاد فيه تجاوز للحقيقة ، فالكتابان مختلفان من حيث المحتوى والأسلوب ، برغم اتفاقهما فى موضوع البحث . . والكثير من تعليقات الفارسى يعتبر إضافة واستكمالاً لكتاب المناظر ، بعد فترة امتدت إلى نحو ثلثمائة عام ، وهى فترة كفيلة بأن يتغير فيها الأسلوب والمضمون بما يتفق مع طبيعة التقدم العلمى ويستلزم الكثير من التنقيح .

وفيما يلى بعض الأمثلة المقتبسة من كتاب « تنقيح المناظر » لبيان استدراك الفارسى على ابن الهيثم أو نقده لبعض آراء من سبقه من العلماء :

١ - « وقد اعتقد قوم أن اللون لا حقيقة له ،

وأنه شيء يعرض بين البصر والضوء ، كما تعرض التقازيح .

أقول : هذه اللفظة مأخوذة من قوس قزح ، ومعناها الألوان المختلفة المتجاورة من : الزرقة ، والخضرة ، والصفرة ، والحمرة ، مثل ما يتراءى للبصر من التطويس (أى التزين) فى بعض الرياش والأوراق الخضر ، وغيرها عند إشراق ضوء قوى عليها » .

٢ ـ « قال (أى ابن الهيثم) : وليس الأمر على ما اعتقدوه ، فإن التقازيح إنما تكون بالانعكاس ، والانعكاس لايكون إلا من موضع مخصوص ، والتقازيح التى تظهر فى بعض أرياش الحيوانات إنما هى انعكاس الأضواء عن سطوح تلك الأرياش ، ولذلك تختلف صورها بحسب اختلاف الأضواء .

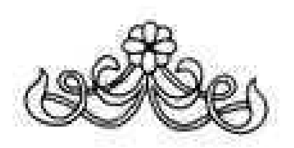
أقول : التقازيح كما قد تحدث بالانعكاس فإنها تحدث بالانعطاف (أى الانكسار) ، والانعطاف أشد تأثيرا فى حدوثها ، وظاهر كلامه (يقصد ابن الهيثم) يدل على أنها تتوقف على الانعكاس ، وتحقيق الأمر فيها قد تضمنه ذيل الكتاب » .

٣ ـ « قال (يقصد ابن الهيثم) : وهذه صورة العينين .

أقول : ولما انتهيت إلى هذا الموضع من الكتاب طمحت نفسى ، إلى إتمام مباحث تشريح العين ، إذ كان شربى منه نشحاً دون النهل ، ومقامى فيه سفحاً دون القلل ، فنظرت فى كتب أئمة الطب ، وجمعت ما وجدته فيها ، ورتبته ، وألحقته بهذا الفصل ، وكفيت بذلك مؤونة ما قاسيته من الطلب عمن اهتم بذلك اهتمامى ، فعسى أن تعينه هذه الجملة عن المفصلات .

وهكذا نجد أن الأسلوب الذى اتبعه كمال الدين الفارسى فى عرضه ونقده يعكس ما اتسم به علماء الحضارة الإسلامية من اهتمام بعلم البصريات وإصرار على تطويره ، وحرص على تقبل الآراء النقدية والمعالجات الموضوعية فى إطار من الاحترام والتقدير لآراء الآخرين بصرف النظر عن صوابها أو خطئها .

وقد كان لآراء ابن الهيثم والفارسى فى مجال البصريات آثار واضحة على من جاء بعدهما ، خاصة علماء الغرب أمثال بيكون الأيرلندى الذى اهتم بدراسة العدسات ومهد لفكرة تركيب المقراب (التلسكوب) وفيكو البولندى ، وبلابورتا الإيطالى ، وغيرهم .



من خزائن الشتاء

الدب القطبي

للأستاذ: مجدى عبد الحميد بشير

الدب القارى الصغير ، وهو طبعا بخلاف الدببة العادية ، يظل مختفيا عبر أيام شتاء القارة القطبية المتجمدة الطويل ، ثم ما يلبث أن يعود للحياة ، لدى حلول فصل الصيف بشمسه الدافئة ، ونسيمه الرطب العليل . وهو دب صغير ليس اسمه كرسمه قد تناهى فى صغر حجمه ، وحتى يكون الأمر أكثر وضوحا ، نتجه إلى القارة القطبية المتجمدة حيث الزمان ، أوائل أيام الصيف ، والشمس أخذت تلوح فى الأفق على استحياء ، لا يكاد يحس بها الفضاء ، فما بالك بحقول كساها الجليد ، فحرمت بهجة الاستمتاع بالدفء ، على مدى ثلاثة أشهر ، هى مدة الصيف هناك . وفى هذا الجو القاتم ، تأخذ جداول الجليد فى الذوبان شيئا فشيئا .

ووسط ذلكم السكون المروع يبدأ (اليسروع) وهو دودة فى طور الفراشة ، أطلق عليها العلماء اسم : « الدب ذو الوبر الغزير ، والملمس الرخو » حيث التفت تلك الدودة فى شرنقة جليدية لامعة وأخذت فى الحركة ، وشرعت فى التنفس ، وبدأت الحياة تدب فى أوصالها بعد أن مسها الدفء ، مسا خفيفا ، يشبه مس الأمير الرفيق لأميرته الحسناء ؛ كى تسعد به وتأنس . وبعد أن يزول الصقيع فى بطء ممض ، تأخذ تلك الحشرة التى لا يتجاوز حجمها حجم إصبع الإبهام فى اليد ، تأخذ فى التمدد والتمطى مطلقة لخيالها العنان يدفعها إلى ذلك سياط جوع ألهبت أحشاءها فنادت :

هل من مطعم ؟

وذلك الدب المخمل الملمس ، الناعم الجسم ، واسمه العلمي : Gynaephora Groenlandica) جينا يفورا جروين لانيكا) هذا الدب لم يتعلم إتقان فن البقاء على صورة متجمدة صلبة فحسب ، بل إنه احترف السيطرة والتحكم كيماويا فى عملية تذويب الجليد ، عبر متابعة بطيئة الحركات ، تكسبه مناعة الانزلاق ، إلى مستوى تجمد أعلى قد تكون نتيجته هلاكا محققا . وهذا بالطبع ليس إلا وصفا أوردته السيدة (أولجا كوكال) أستاذة علم الهوام والحشرات ، بجامعة فيكتوريا التى تقول : « إن الدب القطبى حشرة غير عادية ، متوقدة الذكاء » ثم تضيف : « إنها وجدت هذه الكائنات كروية الشكل ، كثيرة الزغب متعددة المواهب ، فأولعت بها ولم تتمالك نفسها من الإعجاب بحياتها من أول نظرة » . وتقول أيضا : « إننى كأستاذة علم أحياء ، سرعان ما بهرتنى الطرق والوسائل ، التى ابتكرتها هذه الكائنات ؛ لكى تحافظ على حياتها ، فى ظروف مناخية ، يستحيل العيش فيها ، يضاف إلى ذلك ما وهبها الخالق ـ عز وجل ـ من أرجل دقاق ، قرمزية الشكل ، تشبه مغزل التطريز ، مدببة معقوفة يَزْوَرُّ منها الناظر إليها » .

وتعود قصة أستاذة علم الأحياء مع هذه الحشرات إلى أيام كانت تقوم فيها بحملة ، تستكشف من خلالها أشكال الحياة القطبية ، فى أوائل الثمانينيات من هذا القرن ، عندما شاهدت أول ماشاهدت الدب القطبى ، الذى كان يعد الكائن الوحيد ، الذى تصدر عنه حركات ، فى مكان لا حراك فيه لكائن ، وسرعان ما ازداد شغفها ، وحبها للمعرفة ، فأخذت تتردد على ذلك المكان بشكل منتظم ، وذلك لمدة ستة أعوام متتالية ، قامت فى أثنائها بإحصاء مشاهداتها ، وعدها ، وظلت تطعم ما تحصل عليه من تلك الكائنات ، وتغذيه وتزنه ؛ لتعرف إن كان ينقص أو يزيد ، ثم تقوم بمهمة أدق ، هى : تشريح الحشرات ، وتقطيع أوصالها ؛ لتكشف للأوساط العلمية ألغاز هذا الكائن وأحاجيه .

وعندما تجمد السوائل فى خلايا الجسم عادة ، فإن قشور الكائنات الصلبة ، والتى تعد كالفرو بالنسبة للحيوان ، وأغشية خلاياه ، ودهاليزها المعقدة ، تجعل من الميسور على تلك السوائل ، التى بها بقاء ذلك الكائن أن تتسرب إلى الخارج . لكن وكما هو الحال مع الكائنات الأخرى القابلة للتجمد كبعض عناكب ، وخنافس القارة القطبية المتجمدة ، فإن كائنات الدب القطبى تقوم بتصنيع مادة كيماوية تسمى : (Glycerol جلايسيرول) وهى مادة يستخدمها الدب ، فى غسل كل خلية ، وضمان سلامة وحماية ، ووقاية كل

أعضائه الواهية ، من التأثر بدرجة حرارة الشتاء التى تصل إلى تسعين درجة تحت الصفر فى القارة القطبية المتجمدة . وأعضاء ذلك الكائن ، التى اكتسبت قدرة فائقة على عدم التجمد ، وعلى الرغم من هذا البرد ، ليست هى التى تمنع فعليا مسألة التجمد ، لكنها بدلا من ذلك تتحكم فى مسألة التجمد بطرق وأساليب تخفض ، وتقلل من تكوين البللورات فى جسم ذلك الكائن ، مما يحد من قدرة الجليد على إصابتها بالتجمد . ويتقدم نمو الدب القطبى ، ويتطور رويدا ، فبينما تعيش معظم أنواع الدود التى تكون فى طور الفراش مدة لا تزيد على أربعة أسابيع فقط ، قبل أن تتحول إلى سوس أو فراش ذى أجنحة ، فإن الدب القطبى غزير الوبر يبقى على الأقل أربعة عشر عاما فى طور (اليسروع) وهو الطور الذى يسبق طور البلوغ فى الحشرة ، وهو كما تقول (كوكال) : « أطول الكائنات الدقيقة المعروفة عمرا ، وبمقدوره تحمل تجمد الجليد سنويا ، ثم دورة ذوبانه ليس فقط لمرة واحدة ، لكن لثلاث عشرة مرة ، مترعها بذلك كل مراحل التطور التى لا تدوم سوى ثلاثة أشهر قصيرة هى موسم الصيف القطبى .

وواقع الأمر أن الجزء الفعال فى حياة الدب القطبى يستمر ثلاثة أسابيع فقط ، وفى أثناء تلك المدة القصيرة التى يعيش فيها الكائن حرا طليقا عمرا قصيرا قصر عمر الزهور ، فإن الكائن يغمر نفسه فى أشعة الشمس الدافئة مغتذيا آخذا فى تنسيق شعره الزلق . وككل خلية شمسية فإن الدب القطبى يقوم بإخراج طاقة يستخدمها كوقود يعجل بنضجه ويساعده على هضم غذائه . ثم وعلى حين غرة يختفى الكائن وقد دس جسمه النحيل بين نباتات محكمة التزاوج ، وسرعان ما يتوارى الدب القارى فى طبقات الجداول الجليدية ، فرارا بحياته من الطحالب التى أخذت تتناسل وتتوالد وتتكاثر بضراوة فى أثناء فترات سطوع الشمس . وما إن يحس الدب القطبى بالدفء حتى يعجل بالرحيل سريعا ، بسرعة (٢) بوصة فى الدقيقة الواحدة تقريبا .

وأما عن الإشارات البيئية ، التى تحفز الكائن على البدء فى إنتاج المادة الكيماوية المذكورة آنفا ، فهى حوافز غير واضحة على الرغم من أن الأبحاث العلمية الحديثة ، بينت أن الحافز الرئيسى هو : نقص الغذاء . وفيما يقبل من أيام الصيف فإن براعم وأوراق أشجار الصفصاف التى زانت القارة القطبية المتجمدة ، والتى تعد الغذاء المفضل للدب القطبى ، هذه النباتات سرعان ماتبدأ فى إفراز أنواع من السموم ، ليس باستطاعة الكائنات الدقيقة هضمها ، ولذا فإن هذه الكائنات بدلا من البحث عن بديل أكثر لذة وأحلى طعما ، فإن الدب القطبى ببساطة يتوقف عن الأكل ويبدأ فى تخزين الطاقة ، وما إن تأخذ درجة

الحرارة فى الانخفاض حتى يعاود الجليد احتضان الدب القطبى ، فيأخذ جسمه فى التجمد بطريقة منتظمة وأسلوب منسق يبدأ بأمعائه ، ثم دمه ، ثم كل شىء فيه ماعدا (السيتوبلازم) أو المادة الحية داخل كل خلية ، إذ يظل (السيتوبلازم) هو المادة الوحيدة التى لا يصيبها التجمد أبدا . وهذا التغير الوئيد يسمح للخلايا بالتكيف ماديا وأيضيا ، أى : أنه يسمح للكائن بتمثل الغذاء والانتفاع به ، كما يشجع الكائن على تكوين بللورات أصغر حجما وأقل قابلية للتدمير حين تعرضها للعوامل الخارجية ، ثم يأخذ الكائن فى الهجوع فى هدوء وسكينة تحت بطانية سميكة من الجليد ، ولا يبدى أى إشارة للتنفس ، ولا يصدر عنه حتى ولو نبضة قلب واحدة .

وما يهم الناس أن يفيدوا منه فى سلوكيات ذلك الكائن ، هو قدرته على البقاء فى حالة متجمدة ، وهو أمر تناوله الباحثون فى الطب فحصا وتمحيصا ؛ سعيا وراء أسرار تجلى لهم الكيفية ، التى يستطيعون بها الاحتفاظ بأعضاء الجسم البشرى فى حالة متجمدة ، ثم استردادها بأمان عند الحاجة إليها ، وهو أسلوب ظهرت فائدته العظمى فى عمليات نقل الأعضاء وزراعتها ، وقد سبق للأطباء بالفعل استعمال مادة (جلايسيرول) الكيماوية فى الاحتفاظ بخلايا الدم ، والحيوانات المنوية ، كما أن صناعة صيد الأسماك استعملت هذه الطريقة - أيضا - فى تخزين فقس السمك والمحار والقواقع فى أجواء باردة .

وبينما تستمر السيدة (كوكال) فى وضع تلك الكائنات فى ثلاجتها بهدف تحديد المعدلات التى تتجمد عندها الكائن ، وتلك التى تعود فيها الكائنات لحالتها الطبيعية بنجاح تام ، فإنها تقول : « إن هناك الكثير والكثير مما يمكن معرفته من تلك الحيوانات الصغيرة .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فهى نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً » .



على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ، ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

تصنيف/ محمود توفيق الحكيم
الناشر/ مكتبة مدبولى

● عزيزى القارىء : كم من أحداث وتواريخ عظيمة تذهب فى طى النسيان ، ومهما حاول المؤرخون أن يوثقوا أحداثهم فإن هذه الوثائق لابد أن يصيبها الخلل وعدم المصداقية ، ولكن معجزة الإسراء والمعراج حدث إسلامى وتاريخى فى حياة الأمة لم يؤرخ له البشر ، وإنما الذى وثق أحداثه وأرخ له هو الله عن طريق الوحى سواء فى القرآن الكريم أو السنة المطهرة .

إن عمق الدراسة للتاريخ . والصدق فى تفسير أحداث التاريخ هو الذى يجعلنا نحدد خطونا فى مسيرتنا بلا تردد ولا خوف ، ولا اضطراب إذ أن التردد والخوف والاضطراب يأتينا حينما تنقطع صلتنا بالماضى وحتى نصل الماضى بالحاضر ونربطها بالمستقبل يجب أن نحمى تراثنا وثقافاتنا دون تغير أو تبديل .

● واليوم عزيزى القارىء : نعيش مع حدث الإسراء والمعراج ، الذى سجل مشاهد كثيرة ، والموفقون يرون فيها سمو العقيدة ، وصفاء النفس ، والأخلاق الطيبة ، والارتباط بالمثل العليا .

● بدأ المؤلف رحلة الإسراء والمعراج بين التكذيب والتصديق تناول فيها موقف الملحدين والماديين ثم وقت الإسراء والمعراج ، وهل تكرر ؟

● ثم كيف حدث ، وتناول اختلاف الناس فى كيفية حدوثه ، ثم مقدمة لتفسير آية الإسراء .

● وشرح تفسير أول سورة النجم ، وارتباطها بما قبلها ، وتناول سياق قصة الإسراء والمعراج ، وأشار المؤلف إلى مشاهد الإسراء والمعراج وهى أربعة وخمسون مشهدا .

● منها المشهد الثامن ، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج ، فلا يستطيع ، فقال ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها ، فيريد أن يردها فلا يستطيع أن يردها .

● والمشهد الحادى عشر . ومر بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون فى أعراضهم(*) .

السراج الوهاج
فى
الإسراء والمعراج

تصنيف
محمود توفيق الحكيم

الناشر
مكتبة مدبولى

ثم شرح المؤلف فى آخر كتابه اختلاف العلماء فى رؤية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لربه تبارك وتعالى ـ ليلة المعراج .

● عزيزى القارىء : مطلوب منا نحن المسلمين فى كل البقاع والأصقاع ، فى كل زمان ومكان ، أن تكون الثقافة التاريخية الصحيحة هى أول اهتماماتنا ، فلو أننا درسنا التاريخ وفهمناه وحققناه وحفظناه لصححنا كثيرا من أغاليط التاريخ ، وتراث الأمم السابقة .

وبعد : فهذا كتاب من أهم الكتب التى يجب أن تضمها إلى مكتبتك الثقافية .

(*) أخرجه الإمام أحمد ، وأبو داود ، عن أنس رضى الله عنه .

التأصيل الإسلامى للدراسات النفسية

تأليف/ محمد عز الدين توفيق
الناشر/ دار السلام للطباعة والنشر

عزيزى القارىء : كتابنا هذا الشهر من الكتب ، التى تهتم بقضايا تتعلق بمسائل خلافية بين المشتغلين بالتأصيل الإسلامى ، وجمهور المشتغلين بعلم النفس ، وأن قيام أبحاث ودراسات نفسية ذات توجه إسلامى ليس موقفاً سلبياً من علم النفس ، ولكنه موقف إيجابى يدعم مشروعية هذا العلم ، فى البيئة الإسلامية ، ويوجهه الوجهة الملائمة لهذه البيئة .

● وقد جاءت هذه الدراسة عن رسالة دكتوراة للباحث ، الذى قسمها إلى ثلاثة أبواب كل واحد منها حاول أن يؤصل لجانب من ثلاثة جوانب ، لابد أن يشملها التأصيل الإسلامى لعلم النفس ، وللعلوم الاجتماعية بصفة عامة ، وهى التأصيل الشرعى والتأصيل العلمى والتأصيل التاريخى .

ولتعلم أن البحث فى العلاقات المحتملة بين الدراسات النفسية والدراسات الإسلامية ليس رجوعاً إلى الوراء ، ولا دعوة إلى تهميش الدراسات النفسية ، بل العكس من ذلك تتيح هذه الدراسة المقارنة التعرف على أهمية هذا الفرع من العلوم الاجتماعية .

● هذا الكتاب تناول فيه الباحث فى الباب الأول : الدفاع عن علم النفس ، بوصفه فرعاً من فروع المعرفة الإنسانية ، وبين الموقف الشرعى الإسلامى من وجود علم بهذا الاسم ، وأوجه الحاجة إليه .

● وتحدث عن الجذور التاريخية لواقع علم النفس فى البيئة الإسلامية . وأشار إلى واقع العلاقة بين الغرب والعالم الثالث فى مجال الدراسات النفسية ، ثم أشار إلى الكتب التى صدرت فى هذا الموضوع منها القرآن ، وعلم النفس ، والصحة النفسية ، والتصوف النفسى ، ونحو علم نفس إسلامى .

● أما فى الفصل الثانى فقد تحدث عن موقف القرآن والسنة من التأصيل الإسلامى للبحث النفسى .

● أما فى الفصل الثالث فتحدث عن موقف علم أصول الفقه ، والفصل الرابع تناول موقف الفكر الإسلامى . وعلم النفس يعتبر علما إسلاميا أى :

ينطبق عليه وصف العلم النافع أو العلم المشروع .

● أما الباب الثانى : فتناول فيه الباحث التأصيل العلمى للدراسات النفسية ، وهو يشير إلى أن الوجهة الإسلامية أوسع من الوجهة السائدة حالياً ، ولذلك فهى الوجهة القادرة على تغطية الظاهرة النفسية بأبعادها ومستوياتها المختلفة .

● وتضمن هذا الباب أربعة فصول :

أولها : مفهوم الإنسان بين النظرة الوضعية والنظرة الإسلامية .

وثانيها : مفهوم العلم بين النظرتين على أساس أن تحديد مفهوم الإنسان ، ومفهوم العلم له انعكاس مباشر على الاتجاه الذى تأخذه الدراسة النفسية .

أما فى الفصل الثالث : فيتناول أوجه الاتفاق والاختلاف بين المنظور الإسلامى والمنظور الغربى فى مجال البحث النفسى الأكاديمى بدءاً بخطوة إجراء التجارب ، وانتهاء بتكوين الوجهة أو الإطار العام .

أما الفصل الرابع : فأشار البحث إلى أوجه الاتفاق والاختلاف بين المنظور الإسلامى الغربى فى مجال الممارسة العلاجية .

● أما الباب الثالث فتناول فيه الباحث التأصيل التاريخى للدراسات النفسية ، وإسهام المسلمين فى هذه الدراسات فى بحوثهم الفلسفية والفقهية والطبية .

● وفيها فصلان : أولهما : عن المناهج والأساليب المقترحة لدراسة التراث النفسى الإسلامى ، وثانيها : عن بعض المشروعات الفرعية المرتبطة بالتأصيل الإسلامى للدراسات النفسية وكيفية إنجازها .

● عزيزى القارىء تناول الباحث هذه الموسوعة النفسية كما فى الثقافة الإسلامية وفى فروع علم النفس .

وهذه الدراسة تهدف إلى فتح الحوار بين المهتمين بهذا المشروع ، على اختلاف رؤيتهم له . مشروع التأصيل الإسلامى للدراسات النفسية .

غير أن العلماء والإخصائيين النفسيين المسلمين ينبغى أن يكونوا طرفاً واحداً فى هذا المشروع وألا يكونوا أطرافاً متعددة ، وتبقى رؤية كل واحد والاسم الذى يختاره مشكلات داخلية يتم حلها بالحوار العلمى والتواصل الأكاديمى .

● ومشروع التأصيل لعلم النفس ليس كتابا مؤلفاً ولكنه عمل أجيال .

● ونحن كمسلمين لا يمكن أن تطرح العلوم الاجتماعية والإنسانية نفسها بديلا للدين ولكنها يجب أن تكون مساندا له تتقاسم معه التعريف بالظاهرة الإنسانية ، فالجانب الذى لا يعرف من هذه الظاهرة عن طريق العقل البشرى والبحث التجريبى نأخذه من مصادر الوحى المنزل من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ .

● وأخيراً : فإن الكتاب يحوى بين طياته الكثير والكثير ، والعلم الغزير ، والثقافات النفسية والإسلامية فى أكثر من ستمائة صفحة من القطع الكبير .

● وأخيراً فهذا الكتاب جدير بأن تحويه المكتبة الإسلامية لما فيه من نفع كبير وعلم غزير .

◆

الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار

تأليف/ وحيد عبد السلام بالي
الناشر/ مكتبة التابعين للنشر

● عزيزي القارىء: لقد انتشرت هذه الكتب بشكل ملحوظ لمحاربة هؤلاء القلة المتداعية، وقد كشفت خبايا السحرة لاسيما الذين يزعمون منهم أنهم يعالجون بالقرآن.

● واليوم في كتابنا هذا يعرض المؤلف في إيجاز صريح، ورؤية صادقة، أكاذيب هؤلاء وعالج هذا بالرد عليهم، وعلى الكتب والرسائل الخاصة بهؤلاء وطرقهم في السحر بالنسبة للنساء، وقصد المؤلف أن يتعلم الشباب المسلم الطرق الشرعية لإبطال السحر، وعلاج المسحورين، وكذلك علاج العين والحسد والمشعوذين، الذين يهدمون عقائد الناس ويفسدون عباداتهم.

قسم المؤلف كتابه هذا إلى ثمانية فصول:

● في الفصل الأول شرح المؤلف السحر في اللغة، والاصطلاح حيث قال الليث: السحر عمل يُقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، بالإضافة إلى تعريفه في الاصطلاح.

ثم السحر في ضوء القرآن والسنة كالأدلة الواردة على وجود الجن والشياطين والسحر وأقوال العلماء في السحر. ثم تناول في الفصل الثالث أقسام السحر.

● أما في الفصل الرابع فقد أشار المؤلف إلى كيفية تحضير الساحر جنا؟ طريقة الإمام طريقة الذبح، طريقة السفلية، طريقة النجاسة، طريقة التنكيس والتنجيم والكف والأثر.

● أما في الفصل الخامس فقد عرض المؤلف



حُكم السحر في الشريعة الإسلامية وتعلم السحر وحُل السحر بالسحر والفرق بينه وبين المعجزة والكرامة ثم إبطال السحر كسحر المحبة والتفريق والتخييل والخمول والهواتف والمرضى والنزيف وتعطيل الزواج.

● ثم أشار في الفصل السابع إلى علاج المعقود عن زوجته، كتعريف الربط، وكيف يحدث وعلاج ربط المرأة، وعلاج بعض أنواع العقم.

● ثم تحدث عن تحصينات السحر بالقرآن الكريم والسنة المطهرة والمحافظة على العبادات وقيام الليل.

● أما في الفصل الثامن والأخير فتحدث عن علاج العين، والأدلة من القرآن، على تأثير العين.

● والفرق بين العين والحسد، وأقوال العلماء في حقيقة العين.

● وأخيراً: عزيزي القارىء أردت أن أبين لك الثقافة، التي يجب أن تعلمها عن السحر؛ لأن هذه عادة منتشرة في بلادنا مما يخالف عقيدتنا الإسلامية، ويحض على الفسق، والأكاذيب الباطلة، ومصاحبة الشيطان الرجيم.

معجم كلمات القرآن الكريم

إعداد : محمد عدنان سالم
ومحمد وهبي سليمان
الناشر : دار الفكر بسورية

معجم كلمات القرآن العظيم

محمد عدنان سالم   محمد وهبي سليمان

● عزيزي القارئ: هذه نوعية جديدة في عالم الكتب ، وهي البحث في علوم الفهرسة .

● وفي هذا العدد نتناول أعظم هذه الفهارست ، وهي فهرسة كلمات القرآن الكريم وسرعة البحث عن الآيات القرآنية ، ومامن شك أن هذا القرآن الكريم قد ملك على سلفنا الصالح مشاعرهم ، واستأثر بعنايتهم ، التي لم يحظ بمثلها كتاب من قبل ولا من بعد ، وأنهم درسوا كل ما يتعلق بهذا الكتاب العظيم ، وبذلوا في سبيل ذلك حياتهم ، ولن تنقضي حاجة المسلمين إلى تجديد وسائل الانتفاع بهذا القرآن العظيم ، وابتكار الأساليب ، التي تيسر لهم الوصول إلى كنوزه ، التي لا تنفد .

● وبعد أن صدرت عدة معاجم : منها معاني القرآن الكريم العظيم . . أو معجم تفسير كلمات القرآن ، وكان هذا المعجم تسهيلا لقارىء القرآن للوصول بسرعة ويسر إلى معنى كلمة التبست أو صعب فهمها عليه في كتاب الله .

● واليوم تقدم دار الفكر ، هذه الموسوعة في معجم كلمات القرآن الكريم ، وكانت هناك أعمال سابقة لهذا المعجم ، منها كلمات في القرآن توجها المستشرق « فلوجل » في كتابه « نجوم الفرقان في أطراف القرآن » .

● ومن هذه الأعمال كتاب « ترتيب زيبا » وكتاب « فتح الرحمن » .

● وكتاب المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته ، ومنها معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية .

● ومن خلال هذه المعاجم ، تبينّ لنا أنه يجمع بين هذه المعاجم الأسلوب الواحد ، حيث اتخذت جذور الكلمة أساسا في وضعها ، فأوردت الجذر ثم وضعت تحته ما يتفرع عنه من كلمات حسب طريقة كل واحد منها .

● وكان لابد لهذا المعجم أن يقدم جديدا من حيث طريقة تناوله لكلمات القرآن ، وكذا العنوان كان الاختيار أن يكون (معجم كلمات القرآن) بدلا من معجم ألفاظ القرآن ، لارتباط كلمة اللفظ بالمنطوق ، بينما الكلمة تشمل المنطوق والمكتوب معا ، وهي لذلك أدل على المقصود ، من المعجم .

● ومن حيث الأسلوب أورد الكلمة كما هي دون ردها إلى جذورها ، أو مصدرها ، ودون تجريدها إلا مما اتصل بها في أولها في ترتيب معجمي ، مما ييسر للقارىء والباحث الوصول إلى مطلوبه بيسر وسهولة .

● وقد اعتمد المعدان لهذا المعجم على كتابة الآيات بالرسم الإملائي المتعارف عليه ، حتى يكون المنهج واحدا معروفا سهلا ، ومنه جمع الكلمات القرآنية الواردة في القرآن الكريم ماعدا الضمائر المنفصلة والحروف التي تم استبعادها ، ثم تم ترتيبها على حسب حروف المعجم حسب أوائلها أيضاً ، تقدم الكلمة الأقل حروفا على الأكثر حروفا ، وهكذا في باقي المعجم تيسيرا على الباحثين في صفحات تتجاوز ألفا ومائتي صفحة من الورق المتوسط الأبيض .

● عزيزي القارىء إن الحاجة ماسة جدا إلى معاجم كلمات القرآن الكريم من أجل تخريج آيات القرآن وتوثيقها ، فكثيرا ما تجد مؤلفين كبارا ، وخطباء أفذاذا ، يخطئون في آيات من القرآن الكريم تبديلا أو تصحيفا أو تلفيقا لكل مثقف مسلم ، أو باحث أو فقيه أقدم له هذه الموسوعة المعجمية الحديثة المتطورة في تخريج اللفظ .



الإنسان والبيئة

تأليف : د . عبد الله الطرزى
د . أحمد الظاهر
الناشر/ دار الفرقان

● **عزيزى القارى:** الحديث عن البيئة مجاله فسيح لأنه أصبح يهم الكبير والصغير . . الإنسان والحيوان ، بل كل مخلوقات الحياة .

● ولقد أصبح هذا الموضوع المهم الشاغل لكل سياسات العالم .

● أما في وطننا العربي فتداعي العديد من الملوك والحكام والأمراء للعمل على المحافظة على ظروف البيئة الطبيعية وتحسينها ، كي تكون لنا ولأجيالنا من بعدنا .

● ويحتوى هذا الكتاب على جزءين :

● الجزء الأول : السكان والمفاهيم الأساسية للبيئة .

● ويحتوى هذا الجزء على ثمانية فصول :

● الفصل الأول : مدخل عن الإنسان واختلاف بيئته ، بسبب التلوث .

● ثم ركز الفصل الثاني على الموارد عموما من مواد وطاقة .

● أما الفصل الثالث فركز فيه المؤلفان حتى الفصل الخامس ، على المفاهيم الأساسية للبيئة .

● ركز الفصل الثالث على الأنظمة البيئية بشكل عام . والأغلفة الطبيعية أى الغلاف الصخرى

الإنسان والبيئة

الجزء الأول
الجزء الثانى

والمائى والغازى ، والغلاف الجوى الذى يعيش ضمن هذه الأغلفة بنوعيه النباتى والحيوانى ، ثم الأنواع الرئيسية للنظام الحيوى أى أنواع الحياة من متجين أو ذاتى التغذية ، وهى النباتات والمستهلك حسب مستوياتهم بين آكلات العشب وآكلات اللحم .

● وتحدث الفصل الرابع عن الأنواع الرئيسية للبيئات الحية على اليابس من غابات ومراع وصحارى والعوامل المؤثرة فيها من مناخ وتضاريس وتربة ، والاقتراب أو الابتعاد عن البحر والمواد الداخلة فى تركيب الغلاف الجوى .

● ثم الفصل الخامس الذى ركز فيه المؤلف على التبدلات ، التى تحدث لسكان المجتمعات فى الأنظمة البيئية مع الوقت .

● أما عن ديناميكية السكان والاختلافات بين شعوب الأرض فى هذا المجال وآثار ذلك على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كان هذا هو موضوع الفصل السادس .

● أما الفصل السابع فكان عن طرق تنظيم السكان من أجل تحسين عيشهم .

● وأخيراً تحدث المؤلفان عن واقع توزيع السكان على سطح الأرض .

● أما الكتاب الثانى : أى الجزء الثانى من الكتاب فكان عن الموارد الطبيعية والتلوث .

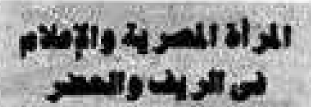
وقد جاءت فصوله استكمالا لفصول الجزء الأول ، ويتحدث عما يستخدمه سكان الأرض من موارد طبيعية ، حيوية وغير حيوية متجددة وغير متجددة من أجل معيشتهم واستمرارهم .

● وتحدثت الفصول الخمسة الأولى عن الموارد الطبيعية المتجددة : التربة . والمياه . والغابات ، والمراعى والنباتات والحيوانات البرية .

● فبينما تحدثت الثلاثة التالية ، أى الفصول السادسة والسابعة والثامنة عن الموارد الطبيعية المتجددة غير الحية المعادن والطاقة .

● وأخيراً كانت الفصول الأربعة والتى تناولت ما ينتج عن استغلال تلك الموارد بأنواعها من مخرجات تؤدى إلى التلوث وأخطاره . أى تلوث الهواء والماء ، وأثر استخدام المبيدات على الصحة العامة .

● عزيزى القارىء : بعد هذه الجولة فى عالم البيئة وماتحتويه وكيفية الحفاظ عليها والأضرار البشرية التى تعود على البيئة ، والمخاطر والمشاكل البيئية فهذا كتاب لاتطلق عليه كتابا علميا ، ولكنه ثقافة علمية وصحية ، فيجب الحرص على إضافته إلى مكتبتك .



المرأة المصرية والإعلام في الريف والحضر

تأليف/ د. عواطف عبد الرحمن
الناشر/ العربي للنشر والتوزيع

● **عزيزي القارىء** : مازال الكثيرون يكتبون عن المرأة وقضاياها في إطار التوجهات السياسية والأيديولوجية . لتحديث المجتمعات العربية ، فهي ليست قضية نظرية بل يلاحظ تميزها ، وخصوصيتها النوعية ، مقارنة بسائر القضايا المجتمعية الأخرى مثل قضايا الاستقلال السياسي أو التحرر الاقتصادي ، أو الذاتية الاقتصادية ، وتناولت هذه الأبحاث الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية التي تحدد مكانة المرأة وأدوارها في المجتمعات الغربية ، والتي تختلف جذريا عن المجتمعات العربية وعلى الأخص المجتمع المصري .

● والمرأة المصرية قد خضعت في مسيرتها التاريخية لمجموعة من الثوابت والمتغيرات حددت مكانتها الاجتماعية وهويتها الثقافية .

● وتناولت الباحثة الاتجاه التقليدي السلفي ، والاتجاه الاجتماعي المتحرر ، والاتجاه النسوي لتحرير المرأة ، والواقع النسائي الراهن في مصر في المجال التعليمي والنشاط الاقتصادي للمرأة المصرية ، ووضعية المرأة المصرية في إطار قانون الأحوال الشخصية والمرأة المصرية والإعلام ، ثم الإطار المنهجي للدراسة وطرحت فيها الباحثة إشكاليات منهجية خاصة بقضية المرأة .

● وخلصت الدراسة بعدة نتائج : منها معالجة وسائل الإعلام العربية لقضايا المرأة ذات الطابع



الاجتماعي تتسم بالسطحية والاهتمامات التقليدية وإهمال قضاياها الحقيقية .

● أما الفصل الأول : تم طرح الصحف المصرية اليومية وقضايا المرأة والتنمية في الريف المصري والصحف الأسبوعية والمجلات المصرية والنسائية المتخصصة حول قضايا المرأة ، ثم الإذاعة والتليفزيون ووسائل الإعلام .

● أيضاً تم طرح ومناقشة كل هذه القضايا من خلال هذا الكتاب من اقتراحات ومعوقات واهتمامات وتصريحات .

● وتم طرح بعض القرى كدراسة لوضع المرأة الريفية من تعليم وثقافة وعمل وحالة اجتماعية ومعيشية .

● ثم طرحت الباحثة نتائج التحليل المقارن بين الريف والحضر .

● وأخيراً عزيزي القارىء هذه مجموعة من الأبحاث ، قام بها متخصصون في هذا المجال لتحديد هوية المرأة الريفية وقضاياها العامة والخاصة ، من خلال دراسات وأبحاث وتحاليل لمجتمعاتها ، حتى يتم وضعها الاجتماعي المعاصر .

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة



من مآثر الأزهر فى نيويورك



يرسل الأزهر خيرة أبنائه إلى مشارق الأرض ومغاربها ، ليبلغوا رسالة ربهم إلى قوم لم يبلغهم بعد كتاب الله الخاتم وهدى رسوله الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - يحملون فى قلوبهم الطاهرة كل خير وحب ومودة تجاه شعوب العالم أجمع واضعين فى اعتبارهم قول الله - تبارك وتعالى - :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١)

ويشمر هؤلاء الرجال عن سواعد الجد ، وخلفهم رجالات الأزهر يمدونهم بكل ما يحتاجون من عون ، حتى يؤتى الزرع ثمره الطيب بإذن الله .

وبين الحين والآخر تأتينا صور هذه الثمار ، فبالأمس تابعنا صورة لنشاط الأزهر فى جنوب أفريقيا ، واليوم نعرض لبعض هذه الأنشطة فى أمريكا الشمالية ، من خلال « رسالة » المركز الثقافى الإسلامى فى « نيويورك » ، وهى مجلة أصدرها المركز الثقافى بالإنجليزية تقع فى ست وعشرين صفحة ، طبعت على ورق فاخر مقاس ٢١,٥×٢٨ سم .

ومن كلمة المحرر يتبين لنا أن هذه النشرة المسماة « الرسالة » تصدر سنويا عن المركز الثقافى الإسلامى بنيويورك ، وقد خصصت لتقديم بعض المعلومات الأساسية عن الدين الإسلامى

(١) الحجرات / ١٣ .

مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج ، بالإضافة إلى ما يهم المسلم غير العربي .

وقد تناولت هذه النشرة تاريخ إنشاء المركز في كلمة الأستاذ محمد أ . أبو الحسن رئيس مجلس الأمناء ، أشار فيها إلى أنه تم الاحتفال بافتتاح المركز في السادس عشر من مايو عام ١٩٨٧م وأقيمت فيه أول صلاة لعيد الفطر عام ١٩٨٨ .

وأن بناءه قد اكتمل في عام ١٩٩٠ بعد مجهودات مضنية وتبرعات سخية من الأفراد والحكومات العربية والإسلامية بلغت حوالى ١٧ مليون دولار ، ثم افتتح رسميا في ٢٥ من سبتمبر عام ١٩٩١م .

ثم تلت ذلك كلمة الأستاذ محمد يونس مسئول العلاقات العامة بالمركز ، وكانت بعنوان : المركز اليوم: تناول فيها أنشطة المركز وما يقدمه من خدمات للمسلمين ، ومايتظمه من حلقات نقاش تهدف إلى توثيق الصلات بين المسلمين وغير المسلمين .

ثم كلمة للدكتور حسني جابر الإمام الأسبق للمركز تناول فيها بعض المفاهيم الإسلامية مركزا على عدة نقاط هي :

ما الإسلام ؟ من المسلمون ؟ ماذا يعتقد المسلمون ؟ كيف يصبح الشخص مسلما ؟ . . . الخ .

أما مقال صاحب الفضيلة الإمام الأكبر أ.د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، فكان عن "الزكاة" بين فيه فضيلته أن الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة لقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢)

ثم بين أنها تكون واجبة إذا استكملت شروط النصاب والحول والملكية ، وأن الله ـ تعالى ـ قد جعلها حقا للفقراء والمحتاجين في أموال الأغنياء ، لقوله ـ تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(٣)

ثم شرح فضيلته مصارف الزكاة كما وضحتها الآية الكريمة :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٤)

وأوضح ما للزكاة من تطهير للنفس من الجشع والأنانية وتطهير للمال وتنميته في الدنيا ، ثم يجزيهم الله بما قدموا جنات وعيونا .

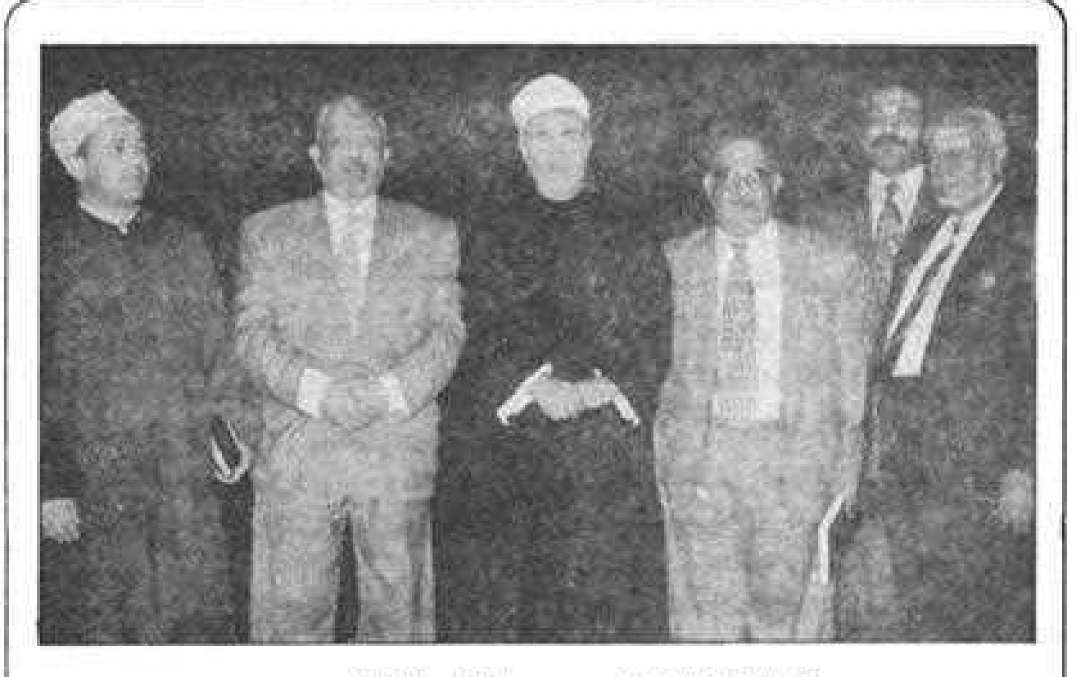
وينهى فضيلته المقال بذكر عقاب ما نعى الزكاة من خلال شرح قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(٥)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٦)

(٢) التوبة/ ١٠٣ .
(٣) المعارج/ ٢٤ ، ٢٥ .
(٤) التوبة/ ٦٠ .
(٥) التوبة/ ٣٤ ، ٣٥ .
(٦) آل عمران/ ١٨٠ .



فضيلة الإمام الأكبر أ.د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

وإلى يساره: فضيلة الأستاذ الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والدكتور العدوى

وإلى يمينه: فضيلة الأستاذ الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، والشيخ جميعة إمام المركز

كما ضمت المجلة بين دفتيها مقالاً لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر، تحت عنوان: «تقوية الرابطة الزوجية» أوضح فيه فضيلته أن تقوية الروابط الزوجية تقوية للأسرة والمجتمع، وقد ورد فيه قول فضيلته:

«إنه لمن المزعج والمحزن ما نسمعه هنا عن الأمة الإسلامية فى أمريكا، إن كثيراً من المسلمين يقعون فى نفس الشرك الذى أعده الشيطان لغير المؤمنين بدرجة تبعث على الأسى وتدق ناقوس الخطر، وذلك لتزايد معدل الطلاق والإساءة الجسدية للنساء والأطفال، وعدم قدرة شبابنا تحت العشرين على التمسك بالإسلام».

لقد عرض صاحب الفضيلة الأستاذ وكيل الأزهر هذه القضية بشكل مباشر ومركز وبين ما تنذر به من خطر، ولعل نشر مثل هذه الكتابات بالإنجليزية فى بلد مثل نيويورك يكون أبلغ رد على من يتهمون الإسلام بأنه يبيح إهانة الزوجة وضربها.



ويؤكد المقال على أن الأسرة هى أساس بناء المجتمع ، وأن العلاقة الزوجية هى المحور الذى تدور حوله العناصر الأخرى ، فإن كان هذا المحور يعمل بسلاسة وتناغم ، فإن باقى الأسرة ستسير بشكل متوازن ، وإذا وقع خلاف فإن الأسرة لن تؤدى وظيفتها على الوجه الأكمل .

ثم عرض فضيلته أهمية الزواج فى الإسلام فيقول :

والزواج فى الإسلام أمر جد خطير لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« من تزوج فقد أكمل نصف دينه فليتق الله فى النصف الآخر[7] » .

فينبغى على المرء أن يكون حريصا عند اختيار شريك حياته ، ويجب أن يعطى الأولوية لذات الدين .

فقد قال - صلى الله عليه وسلم - : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها ودينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك[8] » .

فليس أهم من العلم والدين لبناء أسرة قوية متينة ، وإن المعاملة الطيبة والعطوفة والوفاء بالواجبات هى الحد الأدنى المطلوب فى الزواج .

وفى القرآن الكريم أكثر من آية تحث الأزواج على حسن معاملة بعضهم البعض منها قوله - تعالى - :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[9]

وقوله - تعالى - :

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾[10] .

وأكد الرسول على ذلك حين قال :

« أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم ، وأيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

هكذا يقدم فضيلة الشيخ الجليل وكيل الأزهر الدليل تلو الدليل على أن ما يتشدق به الغرب ضد الإسلام إنما هو محض افتراء ، فيعقب على تلك النصوص قائلا :

« إن النصوص السابقة تعنى بوضوح أن أى إساءة غير مقبولة على الإطلاق فى الإسلام سواء كانت بدنية أو عاطفية أو نفسية ، ويختتم صاحب الفضيلة مقاله بنصائح هامة إلى الزوجين بقوله :

ينبغى أن يصبر كلا الزوجين على الآخر ، ويتقبل كل منهما ما يقع من أخطاء وهنات شريكه ، فإن أتى أحدهما بشىء يخالف الإسلام فواجب الآخر النصح له والإرشاد ، وإن اختلفا فى أمر ما فعليهما أن يناقشا الحلول الممكنة بطريقة مهذبة وعليهما الاهتداء بهدى الله وحكمه .

إن هدم الزيجات يعد أول خطوة يستخدمها الشيطان فى إضعاف المسلمين ، وقد أمدنا الإسلام بكثير من الأسلحة التى نواجه بها مكائد الشيطان ، وأهم هذه الأسلحة : الصلوات الخمس ، وقراءة القرآن ، وبخاصة سورة الإخلاص والمعوذتين ، وأم الكتاب ، وأن يكون ذلك نابعا من اعتقاد راسخ أن الله - سبحانه وتعالى - سيجعل له من كل ضيق مخرجا .

---

(٧) رواه البخارى .
(٨) رواه البخارى .
(٩) النساء/ ١٩ .
(١٠) النساء/ ٣٤ .



الشيخ جميعة أثناء إلقائه بعض الدروس بالمركز الإسلامي بنيويورك

أما كلمة فضيلة الشيخ محمد مصطفى جيعة إمام المركز الإسلامى فقد جاءت تحت عنوان : « الصيام » ، تناول فيها معنى الصيام ، ومغزاه ، وفوائده ، وعلى من يجب الصوم ، والسنن الواجب اتباعها فى أثناء شهر رمضان ، مبطلات الصوم ، ما لايفسد الصوم به ، ثم الأمور المكروهة فى أثناء الصيام .

كما ضمت الرسالة عددا من الموضوعات منها : علماء المسلمين قبل عصر النهضة الأوروبية (٧٠٠ ـ ١٥٠٠) بعد الميلاد ، تناول فيه الكاتب دور جابر بن حيان (أبو الكيمياء) .

وختمت المجلة بأخبار اجتماعات مجلس الأمناء ، ثم تهنئة من الشيخ محمد جيعة إمام المسجد إلى كل المجموعات التى أعلنت اعتناقها للإسلام من خلال المسجد ، وكذلك الأزواج الذين عقدوا قرانهم بالمسجد .

وبعد . . فقد كان هذا موجزا لما حوته المجلة « الرسالة » من موضوعات قيمة تناسب البيئة التى وجهت إليها ، ولنا فى النهاية كلمة شكر وتقدير لكل من أسهم فى إخراج هذا العدد القيم الرائع فى شكل جذاب وثوب أنيق ساعد فى إبراز ماحوته المجلة من درر نفيسة .

ودعواتنا لكل رجال الأزهر الساهرين لتبليغ كلمة الله بأن يحفظهم الله ويثبت على طريق الحق خطاهم . آمين .

دروس تربوية فى الحج

بمناسبة الحج أرسل القارىء : أحمد ناصر أحمد ناصر ، بيناء المراغة - يقول : الحج لغة هو : القصد ، وشرعا : هو قصد بيت الله الحرام لأداء أعمال مخصوصة فى وقت مخصوص .

والحج فريضة من فرائض الإسلام ، وقد فرضه الله - تعالى - مرة واحدة فى العمر تيسيرا على عباده .

وإذا تأملنا هذه العبادة ، وتلك الفريضة - التى تظلنا هذه الأيام - نجد أن لها فوائد تربوية عديدة منها :

★ أنه يربى فى المسلم إخلاص النية لله : فالنية أول الأحكام الواجبة فى هذه الفريضة ، والتى يجب أن تكون خالصة لوجه الله - تعالى - مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ (البينة : ٥)

★ ويربى فى المسلم الشعور بالأخوة والمساواة ، فالكل فى الحج سواسية ، لا فرق بين عربى وأعجمى ، أو بين حاكم ومحكوم ، فالكل هدفه إرضاء الله .

★ ويربى فى المسلم التعاون والتضامن ، وكذلك يربى فيه الطاعة .

والحج مؤتمر عالمى إيمانى حول الكعبة المشرفة يحوطه النقاء والصفاء والطهر ، وفيه تذكير للحجيج ليوم وقوفهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ووقوفهم على هذا الحال يربى فيهم التواضع والخضوع لرب العالمين فهنيئا لمن أطاع ربه ولبى نداء خالقه .

استخدام الأسلوب القصصى فى الدعوة

من رسالة القارىء : محمد عباس محمد عرابى ، عن استخدام القصة فى الدعوة نقدم قوله :

ومما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر فلا يملها السامع أو يكل منها .

وهذه الحقيقة الفطرية النفسية ينبغى أن يستفيد منها الدعاة فى مجال الدعوة .

من إبداعات القراء

تلاوة القرآن

منای كتاب الله فى كل أحوالى
وفيه ملاذى من همومى وأهوالى
هو النور فى ألفاظه وبيانه
وما ضده إلا ظلام ضلال
هو المتعة العظمى لأرواح من هدوا
ففيه انعتاق القلب من غير أغلال
وفيه مصابيح الصفات مضيئة
تراها جلالا فى عظائم أقوال

شعر : محمود الطاهر الصافى
عضو رابطة الأدب الإسلامى

والناظر إلى القصص القرآنى يجد أنه تربة خصبة تساعد الدعاة على النجاح فى مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبى من سيرة النبيين، وأخبار الماضين وسنة الله فى حياة المجتمعات، وأحوال الأمم، ولا تقول فى ذلك إلا حقا وصدقا.

لقد استخدم القرآن القصة استخداما واسعا فى تثبيت القيم الإيمانية وترسيخها وتعميقها فى نفوس المؤمنين.. يستوى فى ذلك قصص الأنبياء وقصص المؤمنين الذين ابتلوا فصبروا حتى جاءهم النصر، وقصص المكذبين وطغيانهم الممقوت الذى يمد الله لهم فيه فى فترة من الفترات ثم يدمرهم فى النهاية ويسحقهم.

إن القصة لها أثر كبير فى الدعوة وهى من أنجح الوسائل التى توصل الداعية إلى هدفه وتعينه على بلوغ غايته وتجذب قلوب المدعوين إليه، وتبين فى سهولة ويسر ما يحتوى عليه الدين من تشريعات إسلامية.

والقصة تبصر الداعية بالمدعوين وتبين حقائق طبائعهم وغرائزهم واتجاهاتهم مستدلة على ذلك بما سبق من البشر، ذلك أن تكرار الظاهرة الواحدة فى الأمم كلها على نمط واحد دليل على أن هذه الظاهرة سنة إلهية مسلم بها، وتركيز القرآن الكريم عليها فى قصصه يفيد أنها من الأحكام العامة والنواميس الطبيعية التى لا تختلف فى أى زمان أو أى مكان.

ردود سريعة

● القارىء: أسامة إبراهيم رضوان ـ دمنهور:

جميع الرسائل التى ترد إلينا تلقى العناية التامة، وبخصوص طلبك إعادة طبع بعض الكتيبات التى نشرتها المجلة كهدايا ـ سابقا ـ نفيدك بأن هذا الأمر غير وارد..

● القارئة: إيمان عادل إبراهيم العوضى ـ المنصورة:

نشكر لك اهتمامك بقراءة المجلة، وحرصك على اقتنائها، وكم كنا نود أن نحقق طلبك، ولكن حال دون ذلك نفاد العدد المطلوب..

● القارىء: علوانى علوانى عبد الحليم ـ أبويط ـ الواسطى ـ بنى يوسف:

وصلتنا رسالتك، ونأمل أن تتاح الفرصة لتلبية طلبك ـ مستقبلا ـ بإذن الله ـ تعالى ـ..

● القارىء: طاهر أبو المجد أحمد:

يتم بحث مقترحاتك التى وردت إلينا من خلال بطاقة الاستبيان ونحمل جاهدين على نشر كل ما يصلح نشره مما يرسله القراء الأعزاء..

● القارىء: وحيد عباس محمد عيسى ـ دمنهور ـ كفر سنطيس:

قصيدتكم التى بدأتها بقولك «مررت بالأقصى» تدل على نبتة طيبة تطلب منك رعايتها بمداومة القراءة فى عيون الشعر العربى، وعليك بالمثابرة، فهذا الطريق يحتاج منك إلى طول التدرب، ولك منا أصدق الأمنيات بالتوفيق.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ:
عمر البسطويسى

« لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ووفد أعضاء مركز البحوث الاجتماعية والجنائية فى الدورة التدريبية الخاصة بالدعاة »

التقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بإدارة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة وفد أعضاء مركز البحوث الاجتماعية والجنائية فى الدورة التدريبية الخاصة بالدعاة فى ٢٨ من شوال ١٤١٩ هـ ٢٢ فبراير سنة ١٩٩٩ ودار الحديث خلال اللقاء حول دور الداعية فى مشكلات المسكرات والمخدرات وأبعادها فى الظروف الراهنة ، حيث أوضح فضيلته أن شريعة الإسلام تمتاز بالوضوح والمكاشفة ، وأن عقيدتها وعباداتها ومعاملاتها ، وأحكامها وآدابها أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لسعادة البشر ، وليس لشقائهم ، لأنها تدعو الناس لإخلاص العبادة لله ـ عز وجل ـ ، والتحلى بمكارم الأخلاق .

وفيها يتعلق بإخلاص العبادة لله الواحد القهار نهى عل اتفاق ، وكذلك التحلى بمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والعدل ، وكل الصفات الحميدة لا خلاف عليها فى الشرائع السماوية كلها ، لأن الفضائل لا تتجزأ ، والعبادات التى فرضها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الناس ليست مقصورة على الأمة الإسلامية فقط بل على جميع الأديان السماوية ، والخلاف فى كيفية أدائها فقط ، ونحن نؤمن بأن الشريعة الإسلامية التى نزلت على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ هى الشريعة الخاتمة .

وقد اتفقت الشرائع السماوية على أن كل ما يؤدى إلى ضرر فى العقل أو المال أو العرض أو العقيدة حرمه الله ـ عز وجل ـ ويدخل فى هذا جميع المسكرات والمخدرات بأنواعها ومسمياتها ، وكل ما يتنافى مع الفضائل تحرمه شريعة الإسلام ، ولا شك أن المسكرات والمخدرات تتنافى مع الفضائل ، ذلك لأنها تؤذى العقل والجسم ، والإسلام حريص على منع الضرر الذى يلحق بالإنسان فلا ضرر ولا ضرار ،

ومطلوب تكاتف المجتمع : الفقهاء والعلماء والمفكرون كل في مجاله يتعاونون جميعا لمنع الضرر وبكل وسيلة من الوسائل الممكنة .

وقد ساق فضيلته الأدلة الشرعية والعقلية التي تدل على حرمة هذه المخدرات والمسكرات ثم أجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول هذا الموضوع .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

« فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل رئيس وزراء الترويج والوفد المرافق لسيادته »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيد / كيجل ماجنى بوندفيك رئيس وزراء الترويج والوفد المرافق لسيادته بمكتبه مساء يوم أول ذى القعدة ١٤١٩ الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٩٩ .

رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق في الأزهر الشريف ، وشرح تاريخ الأزهر منذ نشأته وحتى الآن ومراحل الدراسة المختلفة به من الحضانة حتى الجامعة ، وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الدراسة بالأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام تقوم على الاعتدال والوسطية ومن أجل ذلك يتربى أبناء الأزهر على حب الخير للجميع بعيدا عن التطرف والتعصب الأعمى والإرهاب ، لأن الدين الإسلامي هو دين السلام والأمان والاطمئنان .

ويدعو إلى المحبة وإلى التآلف والإخاء والمساواة والعدالة ، وينبذ العنف والقسوة واغتصاب حقوق الغير . كما أن الأزهر الشريف يقوم بتعليم أبناء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عن طريق المنح الدراسية التي يقدمها لأبناء المسلمين ، ومن خلال بعثاته من العلماء الذين يوفدهم الأزهر إلى دول العالم المختلفة لشرح المفاهيم الإسلامية الصحيحة .

وأكد شيخ الأزهر على أن كل من يعيش على أرض مصر يتمتع بجميع الحقوق لا فرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم ، وكل إنسان يؤدى شعائر دينه بحرية تامة ، فلا إكراه على العقائد ، لأن الإكراه على العقائد لا يولد مؤمنين صادقين بل يولد منافقين كذابين .

وقد نهى القرآن الكريم عن ذلك . لذا يقول الله تعالى :

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (١)

وأكد على أن الأديان السماوية جميعها أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لسعادة البشر وليس لشقائهم ، فكل الأديان تدعو إلى الحب والإخاء والسلام .

وقد أعرب الضيف عن شكره البالغ لشيخ الأزهر على هذا اللقاء حيث استفاد كثيرا من هذه المعلومات القيمة ، وأضاف أن الأزهر الشريف يمثل نوعا من القدرات التعليمية والتثقيفية

---

(١) البقرة ٢٥٦

السليمة للدين الإسلامى ، والأزهر الشريف رمز للثقافة والتقاليد الإسلامية لوقت طويل ، وأكد على أن مصر تمثل علاقة كبرى بين الإسلام والمسيحية ، وأنه سعيد بأن هناك فلسفة قائمة على الاعتدال والحوار ، لأن نجاح الحوار يحل كثيرا من المشاكل بين الأديان ، وأن حب الله هو القاعدة الأساسية ، وأشار إلى أنه يوجد فى النرويج أكثر من خمسين ألف مسلم يعيشون فى حرية ، وأنه يزور مسجد أوسلو ويجرى حوارات مع المسلمين .

وقد أبدى سعادته باللقاء قائلا : إنه سعيد بسماحة واعتدال الأزهر وأيضا بما سمعه من البابا شنودة أثناء لقائه به عما يربط مسلمى وأقباط مصر من حب وسلام منذ قرون وقال : إنه شعر بالسعادة والاطمئنان على مصر التى تهم الجميع كقاعدة للاستقرار والسلام وقد أهداه شيخ الأزهر كتبا باللغتين الإنجليزية والعربية تشرح تاريخ الأزهر منذ نشأته . حضر اللقاء الدكتور إسماعيل سلام وزير الصحة ، والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بين الأديان وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

• فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل وفد وكلاء النيابة الدارسين بالدورة التنشيطية التى ينظمها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وفد وكلاء النيابة الدارسين بالدورة التنشيطية العاشرة لأعضاء النيابة العامة التى ينظمها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية برياسة الدكتورة / سهير لطفى مديرة المركز القومى يوم ٢٦ من شوال ١٤١٩ الموافق ١٣ فبراير سنة ١٩٩٩ . رحب فضيلته بالسادة وكلاء النيابة بالأزهر الشريف مؤكدا على أن رجال القضاء هم الدرع الحصين الذى يدافع عن الأمة والمجتمع وأنهم الذين يقومون بتطبيق وتحقيق العدالة فى الأرض ، لأن العدل اسم من أسماء الله الحسنى ، وأوضح أن شريعة الإسلام تمتاز وتتميز بالوضوح والصراحة والمكاشفة ، وليس فيها ألغاز أو طلاسم ، كما أنها شريعة تحث على مكارم الأخلاق ومساعدة المظلوم والوقوف بجانبه حتى يأخذ حقه ، وقد شرعت العقوبات لحماية الناس من الغاصب والمعتدى والظالم ، كما شرعت لحفظ حقوق الناس فى حرياتهم وعقائدهم وممتلكاتهم فحماية أمن المجتمع شىء تقره شريعة الإسلام ، كما وجههم فضيلته إلى التمسك بالفضائل والتحلى بالصبر ونصحهم بكثرة الاطلاع والبحث المتأنى والتمسك بالحق والفضيلة حتى يصدر الحكم عادلا .

كما أجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول مسائل الخلع والردة وعمل المرأة بالقضاء . وفى نهاية اللقاء قدم الوفد شكره وتقديره لفضيلة شيخ الأزهر الشريف على هذا اللقاء الطيب المثمر المفيد .

حضر اللقاء الأستاذ الدكتور / أحمد وهدان المشرف على الدورة وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

«زيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لدولة الكويت الشقيقة»

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة رسمية لدولة الكويت الشقيقة فى الفترة من ١٦ - ١٩ /٢/١٩٩٩ لتوطيد العلاقات الثقافية والدينية بين الأزهر الشريف والشعب الكويتى تلبية للدعوة الموجهة من حكومة الكويت، وقد استقبل فضيلته سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت كما استقبله سمو الشيخ سعد العبد الله الصباح ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتى كما استقبل فضيلته رئيس البرلمان الكويتى السيد / أحمد السعدون وكبار المسئولين بالكويت وتم بحث الموضوعات المتعلقة بالتعاون فى مجال الدعوة الدينية وتثقيف الشباب إسلاميا، كما تم بحث عدم شرعية احتجاز الأسرى ودور الأزهر فى الدعوة لفك أسرهم.

وقام الشيخ عبد العزيز الدخيل نائب رئيس الوزراء الكويتى بزيارة شيخ الأزهر فى مقر إقامته حيث بحث معه العلاقات بين الأزهر الشريف والمؤسسات الدينية فى الكويت فى ميدان الدعوة الإسلامية.

كما كان فضيلته فى لقاء شبه متواصل خلال الزيارة بمعالى السيد / أحمد خالد الكليب وزير الأوقاف والعدل والشئون الدينية بدولة الكويت، وتم بحث ما تحتاجه الوزارة من أساتذة وعلماء وأئمة ووعاظ لدعم مساجد الكويت وجامعتها والمناهج الدراسية وما تحتاجه فى جميع المجالات الدينية والشرعية، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأن التعاون وثيق بين الأزهر الشريف وجامعته العريقة ووزارة الأوقاف المصرية والمؤسسات الإسلامية فى مصر ووزارة العدل والأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، تتمثل فى الاتفاقيات الموقعة فى هذا المجال، وقد ألقى فضيلته خطبة الجمعة فى حضور كبار المسئولين والمواطنين، وقد دعا فضيلته إلى تسليم الأسرى الكويتيين منذ حرب الخليج عام ٩١ وقال: إن الاحتفاظ بالأسرى يتعارض مع تعاليم الإسلام.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل سفير السنغال بالقاهرة والوفد المرافق لسيادته.

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد / ماما دوسو سفير السنغال بالقاهرة والوفد المرافق لسيادته يوم ١٣ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق أول مارس ١٩٩٩.

رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق فى الأزهر الشريف ودار الحديث خلال اللقاء حول التعاون بين الأزهر الشريف ودولة السنغال الشقيقة والدور البارز للأزهر الشريف فى العالم أجمع وقد أشاد السيد السفير بدور الأزهر فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم وخاصة دولة السنغال حيث توجد بعثة أزهرية من السادة علماء الأزهر يقومون بالتدريس فى معاهد السنغال وإلقاء الدروس فى المساجد والمحاضرات والندوات فى المناسبات المختلفة لشرح الإسلام وتوضيح تعاليمه السمحة، وكذلك فإن الأزهر يقدم منحا دراسية لأبناء السنغال للتعليم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، وقد تخرج من أبناء السنغال الآلاف

الذين حصلوا على أعلى الشهادات من الأزهر الشريف .

وأبلغ السيد السفير تحيات وشكر فخامة السيد الرئيس عبده ضيوف رئيس دولة السنغال إلى فضيلة شيخ الأزهر الشريف ووجه دعوة رسمية لفضيلته لزيارة دولة السنغال فى الوقت الذى يناسب فضيلته ، وقد قبل فضيلته الدعوة ووعد بتلبيتها فى القريب العاجل ، وحمل فضيلته السيد السفير تحياته وتقديره لرئيس وحكومة وشعب السنغال الشقيق . حضر اللقاء فضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

« فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل سفير دولة الكويت بالقاهرة »

استقبل فضيلة شيخ الأزهر معالى السيد / فيصل عبد الرازق سفير دولة الكويت بالقاهرة يوم ١٨ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٣/٦ بمكتبه بالأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة .

رحب فضيلته بالضيف ودار الحديث خلال اللقاء حول الزيارة المرتقبة التى سيقوم بها ولى عهد الكويت ورئيس الوزراء الكويتى الشيخ سعد العبد الله للقاهرة وللأزهر الشريف وذلك لدعم التعاون بين الأزهر الشريف ودولة الكويت الشقيقة ولمزيد من الروابط الثقافية والتعليمية والدينية . ومما هو جدير بالذكر أن دولة الكويت الشقيقة تقوم بإنشاء مشروعات خيرية بمصر ، ومن أهمها بناء المساجد والمعاهد الأزهرية فى كثير من محافظات مصر دعما وتأكيدا على تدعيم الروابط بين مصر والكويت من جانب وبين المؤسسات الدينية بمصر والكويت من جانب آخر .

حضر اللقاء السيد المستشار عبد الرحمن الهادى مدير مكتب المشروعات الخيرية الكويتية بالقاهرة وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

« فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل وفد رجال الكنيسة الألمانية »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة وفد رجال الكنيسة الألمانية الذى يزور القاهرة برئاسة الدكتور القس بيتر اشتاين بعد اشتراكهم فى مؤتمر الحوار الإسلامى المسيحى المصرى الذى عقد بمدينة الأقصر جنوب الوادى يوم ١٨ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٣/٦ .

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وفى الأزهر الشريف موضحا أن هذا اللقاء هو لقاء مودة ومحبة يعبر عن الإخاء الإنسانى وروح الأسرة الواحدة ، وأشار إلى أن الأديان السماوية التى أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ تدعو إلى المحبة والمودة والتعاون وتبادل المنافع التى أحلها الله سبحانه وتعالى ـ والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، والحوار الإسلامى المسيحى هو خير دليل على ذلك ، فاللقاءات التى تتم من أجل

التعارف ومن أجل التعاون لنشر السلام والرخاء والمحبة هى لقاءات نافعة ومثمرة . وقد أشاد السيد رئيس الوفد بالأزهر الشريف ودوره الهام فى الحوار بين الأديان لمزيد من التفاهم لنشر السلام والمحبة كما قدم شكره وتقديره لهذا اللقاء مشيرا إلى أهمية الحوار الفكرى بين أصحاب الديانات .

وقد استمع فضيلة الإمام الأكبر إلى أسئلة واستفسارات أعضاء الوفد وأجاب عنها موضحا أن الإسلام دين السلام والأمان والاطمئنان ، وأن منهج الإسلام هو الدعوة إلى الله - تعالى - بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنه دين الوسطية ينبذ العنف والقسوة حتى مع الحيوان . وأشار فضيلته إلى أن تعاون الأديان بالدعوة إلى الفضائل وإلى نبذ الرذائل أمر مطلوب ليعم السلام والأمان والرخاء وهو ما حثت عليه الشرائع السماوية .

حضر اللقاء القس المهندس / نبيل صموائيل أبادير مدير عام الهيئة القبطية الإنجيلية للمؤسسات الاجتماعية بالقاهرة والقس أندريا زكى والقس الدكتور ثروت مكارى كما حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

• فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل سفير الفلبين بالقاهرة •

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد / ماكابا تجكيت لانتود سفير الفلبين بالقاهرة يوم ١٥ من ذى القعدة ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/٣/٣م بمناسبة تعيينه سفيرا جديدا لبلاده بجمهورية مصر العربية .

رحب فضيلته بالضيف متمنيا له إقامة طيبة بمصر وبالتوفيق والسداد فى مهمته .

أبلغ سعادة السفير فضيلة شيخ الأزهر بتحيات وتقدير فخامة رئيس دولة الفلبين وأشاد بدور الأزهر الشريف فى نشر الثقافة والدعوة الإسلامية فى العالم وخاصة فى دولة الفلبين من خلال المنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لتعليم أبناء الفلبين المسلمين بالأزهر وجامعته حيث أوضح أن مكانة الأزهر فى قلوب المسلمين فى الفلبين مكانة عظيمة جدا ، وأيضا دور العلماء الذين يذهبون إلى الفلبين لتوضيح الإسلام وتعاليمه السمحة والبعثة الأزهرية الموجودة بالفلبين ودورها الفعال فى تعليم المسلمين أمور دينهم ، وقد حمله فضيلة شيخ الأزهر إبلاغ تحياته إلى رئيس وحكومة وشعب الفلبين وأشار إلى أن طلاب وطالبات الفلبين الذين يدرسون بالأزهر يلقون نفس الاهتمام والرعاية كأشقائهم المصريين وغيرهم من دول العالم المختلفة والأزهر . فى خدمة المسلمين فى كل مكان من أرض الله ، حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

• فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل القائم بأعمال سفارة جورجيا بالقاهرة •

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد / جورج أندرى القائم بأعمال سفارة جورجيا بالقاهرة فى ٧ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٢٣ م . رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف ، ودار الحديث خلال



اللقاء حول أحوال المسلمين بجورجيا ويقدر عددهم بحوالى (٢٠٠) مائتى ألف مسلم ومسلمة ، وتتدفق على جورجيا أعداد كبيرة من المسلمين اللاجئين بسبب حرب الشيشان ويلقون المعاونة والمساعدة من جمهورية جورجيا التى تتبع دول الكومنولث .

طلب الضيف تسكين سبعة من الطلاب الذين يدرسون بالأزهر الشريف بمدينة البعوث الإسلامية وقد وافق فضيلته فورا على تسكينهم بالمدينة مع زملائهم . كما طلب الضيف إمداد جورجيا بالدعاة والأئمة لتعليم المسلمين أمور دينهم وقد وافق فضيلته على طلبه .

وفى نهاية اللقاء شكر الضيف شيخ الأزهر على اللقاء وعلى إجابة مطالبه وعلى مساندة الأزهر الشريف للأقليات الإسلامية فى العالم وبخاصة فى دول الكومنولث .

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل سفير كرواتيا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه سعادة السفير الدكتور / دراجوستاموك سفير كرواتيا بالقاهرة بمناسبة تعيينه سفيرا جديدا لبلاده بجمهورية مصر العربية يوم ٨ ذو القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٢٤ م . رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف وتمنى له إقامة طيبة ودعا له بالتوفيق فى مهمته ، ودار الحديث حول التعريف بالأزهر الشريف ودوره البارز فى تعليم أبناء المسلمين القادمين من دول العالم المختلفة من خلال المنح الدراسية التى يقدمها وإرسال الدعاة إلى أنحاء كثيرة من العالم لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية .

شكر الضيف فضيلة الإمام لإتاحته له هذه الفرصة وهذه المعلومات القيمة وأشار أن لكرواتيا علاقة قديمة بالأزهر الشريف وأن كثيرا من العلماء الكرواتيين المسلمين لهم صلات وثيقة بالأزهر منذ مئات السنين ، وأنهم ساهموا بدور كبير فى نشر الإسلام بدولة يوغوسلافيا قبل انهيار الاتحاد اليوغوسلافى وتقسيم يوغوسلافيا إلى دول .

قدم الضيف هدية لشيخ الأزهر عبارة عن كتب للتعريف بكرواتيا والمسلمين هناك ، وقدم فضيلته للضيف هدية من الكتب للتعريف بالأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل القائم بأعمال سفارة أذربيجان بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه الدكتور / غالى على الله ورديبوف القائم بأعمال سفارة أذربيجان بالقاهرة .

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف فى الأزهر الشريف .

قدم الضيف شكره وتقديره لفضيلة الإمام الأكبر والأزهر الشريف على ما يقدمه من خدمات جليلة بمنطقة البلقان والجمهوريات الإسلامية من

نشر للثقافة الإسلامية من خلال بعثاته وعلمائه والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لأبناء المسلمين بهذه الدول للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة . وفى هذا العام تقدم ١٤ منحة إلى جانب الأعداد السابقة التى تدرس بالأزهر على نفقة الأزهر وطلب السيد السفير تسكينهم بمدينة البعوث الإسلامية وقد أمر فضيلته بتسكينهم فورا مع زملائهم .

حمل شيخ الأزهر تحياته وإبلاغها إلى حكومة وشعب أذربيجان المسلم معربا عن استعداد الأزهر لتقديم كل عون ومساعدة فى مجال نشر الدعوة والثقافة الإسلامية . حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر والمشرف العام على مدينة البعوث .

• فضيلة وكيل الأزهر الشريف يستقبل وفد أعضاء هيئة التدريس بجامعة نوفا بهولندا •

استقبل فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد أعضاء هيئة التدريس بجامعة نوفا بهولندا برئاسة الدكتور / رأفت بدوى مدير مركز الدراسات الحرة بجامعة نوفا الهولندية يوم ٥ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٢١ .

رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف ملقيا الضوء على دور الأزهر الشريف البارز فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم من خلال بعثاته وعلمائه إلى الخارج ، ومن خلال استقباله للوفود فى مصر ، مبينا سماحة الإسلام واحترامه للأديان جميعا متمثلا فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، بعيدا عن التعصب الأعمى والتطرف الممقوت ، ومحاربته للرذائل ودعوته للفضائل ونصرته للمظلوم ووقوفه بجانب الحق والعدل ، ودعوته للسلام وكلها تدعو إليها جميع الشرائع ، وأكد على احترام الأزهر للأديان وضرورة الحوار بينها فى ظل من السماحة والعدل .

وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم وكانت تدور حول نشأة الأزهر الشريف ونظام الدراسة به فى جميع مراحله من الحضانة حتى الجامعة ، واستقباله للطلاب من شتى أنحاء العالم ، وعن حقوق المرأة فى الإسلام ، وعن المذاهب الإسلامية .

وفى نهاية اللقاء أشاد الوفد بدور الأزهر وعلمائه وجامعته العريقة .

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يستقبل سفير جمهورية أوزباكستان بالقاهرة

استقبل فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير الدكتور صالح أنعاموف سفير جمهورية أوزباكستان بالقاهرة بمناسبة تعيينه سفيرا لبلاده بجمهورية مصر العربية يوم ١٩ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٣/٧ .

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف

وهنأه على منصبه الجديد متمنيا له إقامة طيبة بمصر داعيا له بالتوفيق والسداد فى مهمته ، معربا له أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تلبية أية مطالب للمسلمين فى دول العالم المختلفة ، وخاصة أوزباكستان لأن هذه رسالة الأزهر. وأوضح فضيلته أن لأوزباكستان ٣٥ طالبا يدرسون بالأزهر على منح دراسية ويتحمل الأزهر جميع نفقاتهم ويلقون نفس الاهتمام والرعاية كإخوانهم المصريين تماما .

وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء المسلمين فى بلاده ، وقد وعد فضيلة وكيل الأزهر بتلبية طلبه وأشار إلى أن الأزهر الشريف مستعد لتلبية أى عون أو مساعدة سواء من الكتب الدراسية أو الدينية أو إرسال علماء لتعليم المسلمين .

وقد سلم الضيف دعوة لزيارة فضيلة شيخ الأزهر الشريف لدولة أوزباكستان ووعد فضيلة وكيل الأزهر بعرض الدعوة على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لدراستها تمهيدا لتلبيتها وقدم فضيلته مصحفا شريفا هدية للضيف .

حضر اللقاء فضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

قرارات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ١٤١ بالموافقة على نقل السيد / عبد الحميد أحمد الجوهرى مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين إلى وظيفة مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية لصالح العمل والموافقة على ندب السيد / محمد شوقى محمود السبكى المفتش الإدارى الأول بالدرجة الأولى بالمجموعة النوعية لوظائف التنمية الإدارية للقيام بعمل مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين بمجمع البحوث الفنية لحين شغلها ممن تتوافر فيه شروطها طبقا لأحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية .

صدر فى ١٩٩٩/٣/٤ .

كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم ١٤٤ بتجديد عضوية كل من :

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق .

٢ ـ السيد الأستاذ الدكتور / إبراهيم جميل مصطفى بدران .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / إبراهيم الدسوقى عبد الحميد أعضاء بالمجلس الأعلى للأزهر ممثلين لمجمع البحوث الإسلامية لمدة عامين اعتبارا من ١٩٩٩/٢/٢٧ م .

صدر فى ٨ مارس سنة ١٩٩٩ م .

كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر بالموافقة على سفر السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى دولة قطر لرياسة لجان تحكيم مسابقة القرآن الكريم للسنة السادسة التى تنظمها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر خلال المدة من ٣/٥ إلى ٩٩/٣/١٦ دون أن يتحمل الأزهر أية نفقات مالية وهم :

١ ـ فضيلة الدكتور / أحمد عيسى حسن المعصراوى ـ مدرس بكلية التربية جامعة الأزهر وعضو لجنة المصحف الشريف بالأزهر .

٢ - فضيلة الشيخ / صالح أحمد محمد الشيمى - وكيل معهد القراءات بالأزهر الشريف بشبرا .

٣ - فضيلة الشيخ / سلامة كامل جمعة قناوى - شيخ معهد الكوم الأحمر الإعدادى بمنطقة الجيزة .

٤ - فضيلة الشيخ / محمد سلامة يوسف سليمان - مدرس بكلية القرآن الكريم والقراءات وعلومها بطنطا .

٥ - فضيلة الشيخ / حسن عبد النبى عبد الجواد عراقى - مفتش بإدارة شئون القرآن بمنطقة القاهرة الأزهرية .

٦ - فضيلة الشيخ / سيد على عبد المجيد - مدرس القراءات بالأزهر الشريف بمعهد شبرا .

٧ - فضيلة الشيخ / على سيد على شرف - مدرس العلوم الشرعية والقراءات بمعهد الخانكة الأزهرى الثانوى .

٨ - فضيلة الشيخ /سعيد عبد الرحمن عبد العزيز - مدرس بمعهد أشمون بنين / بمنطقة شبين الكوم الأزهرية .

٩ - فضيلة الشيخ / عبد الرحيم عبد الغنى البنا - مدرس القراءات بمعهد شبرا .

وقد صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن يسند إلى السادة الآتية أسماؤهم بعد ، القيام بأعمال الوظائف المبينة قرين اسم كل منهم بقطاع المعاهد الأزهرية وهم :

أولا : منطقة الشرقية الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
١	الشيخ / محمد طه عبد الرحمن فايد	شيخ معهد الزقازيق بدرجة مدير عام	القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الشرقية الأزهرية وذلك لحين شغلها بمن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م
٢	الشيخ / أمين عبد الله أحمد خطاب	مدير امتحانات منطقة الشرقية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وكيل أول منطقة الشرقية الأزهرية وذلك لحين شغلها بمن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المستندة إليه ندبا
٣	الشيخ / عبد الله المرسى السيد محمد	موجه أول ثانوى بمنطقة الشرقية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير إدارة الامتحانات بمنطقة الشرقية الأزهرية
٤	الشيخ / على عبد البصير على أحمد	رئيس قسم مكاتب شئون القرآن الكريم بمنطقة الشرقية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير شئون القرآن الكريم بمنطقة الشرقية الأزهرية

ثانيا : منطقة الغربية الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المستندة إليه ندبا
١	الشيخ / محمد على أحمد خليل	وكيل منطقة أزهرية بدرجة مدير عام وقائم بعمل مدير عام منطقة كفر الشيخ الأزهرية	القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الغربية الأزهرية وذلك لحين شغلها عمن تتوافر فيه شروطها وفقا للقانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م .

ثالثا : منطقة كفر الشيخ الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المستنده إليه ندبا
١	الشيخ / عبد الواحد محمد شمس الدين	قائم بعمل وكيل منطقة كفر الشيخ الأزهرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وظيفة مدير عام منطقة كفر الشيخ الأزهرية وذلك لحين شغلها عمن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
٢	الشيخ / عبد الله مصباح أحمد	مدير التعليم الثانوى بمنطقة كفر الشيخ بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وكيل أول منطقة كفر الشيخ الأزهرية وذلك لحين شغلها عن تتوافر فيه شروطها وفقاً للقانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١م
٣	الشيخ / عبد الكريم سالمان إبراهيم	مدير التعليم الاعدادى بمنطقة كفر الشيخ بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير التعليم الثانوى بمنطقة كفر الشيخ الأزهرية
٤	الشيخ / أبوطالب عبد القوى عطية	موجه عام بمنطقة كفر الشيخ بالدرجة الأولى	القيام بعمل مدير التعليم الإعدادى بمنطقة كفر الشيخ الأزهرية

رابعا : منطقة الاسكندرية الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
١	الشيخ / محمد صالح محمد بشناق	مدير التعليم الإعدادى بمنطقة الإسكندرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وكيل أول بمنطقة الإسكندرية الأزهرية وذلك لحين شغلها عن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون (٥) لسنة ١٩٩١ م
٢	الشيخ / إبراهيم السيد محمد غنيم	مدير التعليم النوعى بمنطقة الإسكندرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير التعليم الإعدادى بمنطقة الإسكندرية الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
٣	الشيخ / ربيع على سلطان يوسف	موجه أول ثانوى بمنطقة الإسكندرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير التعليم النوعى بمنطقة الإسكندرية الأزهرية
٤	الشيخ / عبد المنعم أحمد عليوة	موجه أول ثانوى أحد بمنطقة الإسكندرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير شئون القرآن الكريم بمنطقة الإسكندرية الأزهرية

خامسا : منطقة قنا الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
١	السيد / أمين موسى محمد الشروق	موجه عام اللغة الإنجليزية بمنطقة قنا الأزهرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وكيل ثقافى بمنطقة قنا الأزهرية وذلك لحين شغلها عن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م

(المادة الثانية) :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار . .

صدر فى : ٨ من ذى القعدة سنة ١٤١٩ هـ الموافق : ٢٤ من فبراير سنة ١٩٩٩ م

شيخ الأزهر

(دكتور / محمد سيد طنطاوى)



يحررها الدكتور :
حسن على محمد

من المحرر

عن الإسلامو فوبيا .. أتحدث

نتيجة لأخطاء بعض المسلمين . . . ، ونتيجة لاستغلال وسائل الإعلام الغربية لبعض هذه الأخطاء . . فى أفغانستان ، والجزائر ، والسودان حيث يزعمون أن الحرب بين الجنوب والشمال هى حرب بين الإسلام والمسيحية . . !!

أقول . .

نتيجة لكل هذا راحت وسائل الإعلام فى أوروبا وأمريكا تشن حملاتها ضد الإسلام والمسلمين دون هوادة ، ولقد وصل تيار التخويف من الإسلام إلى فرنسا حيث بدأت الدولة فى محاربة الحجاب والتضييق على المسلمين هناك ، ثم ظهر كتاب (حلفاء الصرب) .

حيث أعلنت مؤلفته أنها تؤيد الصرب ضد المسلمين الذين يستخدمون العنف فى مقاومتهم ولم يهتز لها جفن برغم المذابح الدامية التى يرتكبها وحوش الصرب ضد مسلمى البوسنة والهرسك !!

ولقد انعكس هذا على أوضاع المسلمين فى أوروبا بالسلب . . . ، فالمسلمون فى أوروبا أكثر من ٦٠ مليون مسلم إلا أنهم حتى الآن لا صوت لهم فى الساحة ولا تأثير لهم فى صنع القرار السياسى على عكس اليهود الذين استطاعوا رغم عددهم القليل أن يوجهوا السياسة الأوروبية لصالحهم ونتيجة لخوف أوروبا من الإسلام فإنهم يعاملون المسلمين كعدو مرتقب .



١٢٤ مليون جنيه مصرى لنشر الدعوة الإسلامية

القاهرة : خاص « للأزهر » :

خصصت الحكومة المصرية ١٢٤ مليون جنيه لنشر الدعوة الإسلامية فى داخل مصر وخارجها ، وقد تم تخصيص هذا المبلغ لتمويل الخطة الجديدة التى تستهدف الرعاية الشاملة للمساجد ، ونشر الوعى الدينى فى مصر ورفع مستوى العلماء والدعاة .

كما وافقت الحكومة على تخصيص مبالغ لنشر الدعوة فى آسيا الوسطى وتشغيل المراكز الإسلامية التى بنتها مصر فى قازقستان وتركمنستان ، كما تم تخصيص ٥,٥ مليون جنيه لتعليم القرآن الكريم ، وحوالى ٤٢ مليونا للخطباء وقوافل التوعية والدروس الدينية ، و٦ ملايين للمسابقات الدينية وحوالى ٥,٥ مليون جنيه لتعمير المساجد .

مصر تستضيف مجموعة الثمانى عام ٢٠٠١

تشارك مصر فى اجتماعات قمة مجموعة الثمانى للدول الإسلامية ، وقد ألقى السيد عمرو موسى وزير الخارجية بيانا أمام القمة نيابة عن السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

وقد بحثت القمة العلاقات الاقتصادية بين الدول الإسلامية الثمانى وهى : مصر - بنجلاديش - أندونيسيا - إيران - ماليزيا - نيجيريا - باكستان - تركيا .

كما تناولت القمة تعزيز العلاقات بين الدول الثمانى فى المجالات الزراعية والتجارية وتكنولوجيا المعلومات والصناعة .

لا دور لمصر فى خطف الزعيم الكردى أوجلان

نفى مصدر مصرى مسئول ما نشرته بعض وسائل الإعلام التركية أخيراً حول دور مصرى فى عملية القبض على الزعيم الكردى .

وأكد المصدر على سوء نية هذه الجهات وتشويه صورة الرئيس مبارك الذى تدخل لحل أزمة سوريا وتركيا .

كما أكد المصدر على أن سياسة مصر تقوم على عدم التدخل فى شئون الآخرين ، وأن العملية كلها شأن تركى .

السعودية

الدكتور هوفمان : تصحيح صورة الإسلام فى الغرب مهمتنا خلال القرن القادم

الرياض : أ. ش. أ

صرح المفكر الإسلامى الدكتور مراد هوفمان الألمانى الأصل أن القضية التى تواجه المسلمين خلال القرن القادم هى تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب ، وأن على أوروبا أن تعرف حقيقة الإسلام كدين سلام ، وليس كدين عنف وإرهاب .

وذكر الدكتور هوفمان أن في ألمانيا حوالي ٦ ملايين مسلم ، منهم مليونا تركي ، وأن على أرض ألمانيا حوالي ١٥٠٠ مسجد ، وحوالي ٢٥ مركزاً إسلاميا .

ونقلاً عن حديث لمجلة « الدعوة » تشير وكالة الأنباء الإسلامية إلى قول الدكتور مراد هوفمان بحاجة المسلمين إلى من يعلمهم اللغة العربية ، وأمور الدين .

وأكد الدكتور مراد هوفمان على جهل الشعوب الأوربية بحقائق الدين الإسلامي ، وأنهم ليست لديهم صورة واضحة عن الإسلام .

مكة المكرمة . وكالة الأنباء الإسلامية :

يجرى العمل حالياً في المسجد الحرام بمكة المكرمة لإنشاء جسر المسعى لنقل المصلين عند الدخول والخروج من وإلى المسجد الحرام دون تقاطع مع من يؤدون شعيرة السعى .

الجدير بالذكر أن هذا الجسر يتكلف ١٤ مليون ريال سعودي ، ويعد الجسر السابع من نوعه في المسعى ، حيث تم تنفيذ ستة جسور مماثلة خلال الأعوام الماضية .

تركيا

الإعلام عن الإسلام بـ « الإنترنت »

استانبول . وكالة الأنباء الإسلامية :.

تستعد إحدى الجمعيات الإسلامية التركية للانطلاق في مشروع كبير لخدمة الإسلام والقضايا الإسلامية عبر شبكة الإنترنت .

وقالت مصادر مطلعة : إن هذا المشروع سيتم بالتعاون مع مؤسسة الموسوعة الإسلامية في تركيا من أجل توزيع معلومات دقيقة عن الإسلام والمسلمين .

وقد قامت الجمعية صاحبة المشروع بتشكيل لجان عمل متخصصة للإشراف على سير العمل في شتى التخصصات من أجل تقديم المعلومات الدقيقة عن الإسلام .

●● باكستان تفتتح أول جامعة للنساء وتمنحها ... مليون روبية

إسلام أباد. وكالة الأنباء الإسلامية :

لأول مرة في تاريخ باكستان تم افتتاح أول جامعة خاصة بالنساء تسمى جامعة فاطمة جناح ، وقد قام السيد / نواز شريف رئيس الوزراء بافتتاح الجامعة في مدينة روالبندى في المقر القديم لرئاسة الجمهورية ، وتعتبر هذه الجامعة هي الثالثة في مدينة روالبندى ، وقد التحق بها حتى الآن حوالي ٤٠٠٠ طالبة .

بريطانيا

لأول مرة ، عضوان مسلمان في مجلس اللوردات ..!

لندن. وكالات الأنباء :

دخل اثنان من المسلمين كأعضاء في مجلس اللوردات البريطاني لأول مرة في تاريخ الحياة البرلمانية البريطانية .

◆

العضوان المسلمان هما : السيدة / بولا مانزيلا ، والسيد / نظير أحمد

أما السيدة بولا فهى أصلاً مسلمة من بنجلاديش تبلغ من العمر ٣٨ سنة ، والسيد / نظير أحمد من كشمير وعمره ٤١ سنة ، وهو مولود فى كشمير ، وجاء إلى بريطانيا للدراسة عام ١٩٧٥ ، وانتخب فى مجلس محلى للاشتراكيين ، ثم نائب رئيس مجلس الإسكان والبيئة فى مدينة روثير هام .

كولونيا

محمد هيثم :

الإسلام سينتصر فى القرن القادم بمشيئة الله ـ تعالى ـ

أعلن صمويل هونينجتون فى كتابه (صراع الحضارات) أن الفكر الإسلامى سينتصر فى يوم من الأيام ؛ لأنه دين يتجدد ، وقد أعلن المؤلف فى محاضرة له ألقاها بدعوة من الأمير أوتولف فون أعلن أن الاقتصاد الإسلامى أحد عوامل الاستقرار للاقتصاد الدولى ؛ لأنه وسط بين الملكية المطلقة ـ أى اقتصاد السوق الحرة ـ والاقتصاد الاشتراكى .

امريكا

الأمريكان يفضلون الحراس المسلمين

واشنطن. وكالات الأنباء :

كبار المشاهير من السياسيين والفنانين الأمريكان أصبحوا يفضلون تأمين حراستهم بواسطة المسلمين من حراس الأمن والتعامل مع الشركات الأمنية المملوكة للمسلمين وذلك لما وجدوه من أمانة وانضباط لدى المسلمين .

والمعروف أن الرئيس الأمريكى كارتر حراسه مسلمون ، وكذلك رئيس جنوب أفريقيا نيلسون مانديلا ، والملاكم العالمى محمد على كلاى .

ويرى الأمريكان أن الحارس المسلم يتميز بالأمانة والصدق والأخلاق الطيبة ، وهو ما يجعله آمنا على نفسه وماله فى حراسة المسلمين .

أسبانيا

الإسلام يعود بعد ٥٠٠ سنة من خروج المسلمين

مدريد. عن جريدة الموندو:

قالت جريدة الموندو فى صدر صفحاتها إن الإسلام قد بدأ يعود إلى أسبانيا بعد خروج المسلمين منها منذ ٥٠٠ سنة ، وأشارت المجلة إلى تضاعف عدد المسلمين الأسبان ، وأشارت جريدة (الموندو) إلى التقديرات الرسمية لأعداد المسلمين فى أسبانيا ، حيث يبلغ عدد المسلمين (٣٠٠) ألف مسلم ، كما تشير بعض التقارير إلى أنهم نصف مليون مسلم .

وأضافت الجريدة إلى أن مدينة غرناطة عادت لتصبح مركزاً للإشعاع الثقافى الإسلامى ، ويعيش فيها حوالى ٢٠٠٠ مسلم ، وقد ألمحت الجريدة إلى أن عودة المساجد إلى غرناطة تعيد ذكريات الماضى .

مقدونيا

٥٠٠ مسجد يعمل بها ١٢٠٠ إمام وخطيب وموظف

سكوبيا. وكالة الأنباء الإسلامية.

يشكل المسلمون فى جمهورية مقدونيا- التى أعلنت استقلالها عام ١٩٩٥ ، وأصبحت عضواً فى الأمم المتحدة- ٥٠٪ من السكان البالغ عددهم ٢,٥ مليون نسمة .

وقد تم إنشاء ٥٠٠ مسجد إضافة إلى ١٢ مسجداً تحت الإنشاء ، ويشرف الاتحاد الإسلامى هناك على هذه المساجد ، وعلى مدرسة ثانوية تضم ٢٨٠ طالبا .

ويهتم الاتحاد الإسلامى بمقدونيا بنشر الإسلام فى منطقة البلقان ، ويحاول الآن استصدار قانون يتم بموجبه إعادة أملاك وعقارات الاتحاد الإسلامى التى اغتصبها الشيوعيون سابقا .

الهند

معبد هندوسى على أنقاض مسجد البابرى بالهند

دلهى. وكالة الأنباء الإسلامية :

أكد جرى راج كشور الأمين العام للمجلس الهندوسى العالمى المسمى (وشو اهندو بريشاد) أنه سيتم بناء معبد (راما) خلال العامين القادمين فى مكان مسجد البابرى الذى هدمه المتطرفون الهندوس فى السادس من ديسمبر عام ١٩٩٦ فى مدينة أجودهيا بولاية (أتاربراديش) الهندية .

وقال المتطرف كشور : أن هدفه ليس بناء **المعبد الهندوسى فقط مكان المسجد ، وإنما يهدف** إلى تحويل الهند كلها إلى دولة هندوسية لا مكان فيها لأية ديانة ما عدا الهندوسية .

وقد أوضح هذا المتطرف أنه تم إيداع ٩٣ مليون روبية بالبنك تبرع بها الهندوس الهنود لإنشاء المعبد .

وقد ذكر الأمين العام المشارك للمجلس الهندوسى (جيت راتى) أن إنشاء المعبد سوف يتكلف ١٢٠٠ مليون روبية هندية .

تعليق :

أين ما تدعيه الحكومة الهندية من حرص على المسلمين كما يزعمون فى المحافل الدولية ؟

وأين أغنياء المسلمين فى العالم ..؟ إن مسجد البابرى من أقدم المساجد الأثرية فى القارة الهندية كلها ، وليس فى الهند فقط ..!!

تكذيب

دلهى. وكالة الأنباء الإسلامية : .

أعلنت جمعية علماء الهند أن ما نشرته صحيفة هندوسية فى دلهى بشأن ارتداد ٤٥ ألف مسلم من سكان قرية فى راجستان أمر عار تماما من الصحة وأنه لا صحة مطلقا لهذا الخبر .

وقد زار القرية وفد من تسعة أعضاء من الجمعية ، وتفقدوا أوضاع المسلمين فيها ، وقد أكد سكان القرية كذب هذا الادعاء الهندوسى .

إيـــران

تـرجـمـة معـانـى القـرآن الـكريـم إلى اللغة التركية

طهران :
يسعى مركز ترجمة القرآن الكريم التابع لمنظمة الأوقاف والشئون الخيرية فى إيران إلى إنجاز ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية ، وقد انتهى المركز من جمع ٢٥٠٠ نسخة مترجمة من معانى القرآن الكريم إلى ٧٩ لغة من اللغات الحية فى العالم .

وسوف يترجم المركز معانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية الأذرية بحروف الكريل ، وهى التى تتحدث بها دول آسيا الوسطى ، وبحروف لاتينية للأتراك فى أوروبا ، وبحروف عربية للإيرانيين الناطقين بالأذرية .

وقد استغرق إعداد هذه الترجمة ثلاث سنوات ، وقد شارك فى هذا العمل خبراء وأساتذة اللغة التركية الإيرانيون والأجانب .

تنزانيا

لأول مرة : إذاعة إسلامية على موجات F . M

دار السلام. خاص . للأزهر.
لأول مرة يقوم المجلس الأعلى للمنظمات الإسلامية بتنزانيا بإنشاء محطة إذاعية إسلامية تسمى (راديو خيرى دار السلام) ، وتقوم هذه المحطة بتقديم البرامج الإسلامية بعد أن منحتها الحكومة ترخيصاً للبث على موجات (F . M) ، وسوف تهتم هذه المحطة بتعليم المسلمين أمور دينهم ، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، الجدير بالذكر أن نسبة المسلمين هناك ٦٠٪ .

●●● ولأول مرة أيضاً،
أول ناد إسلامى فى أفريقيا كلها بدار السلام

افتتح رئيس جمهورية تنزانيا السابق / على حسن عويني أول ناد إسلامى فى تنزانيا وأفريقيا كلها .

ويهدف النادى إلى توحيد مواقف المسلمين من كل المذاهب ومناقشة القضايا الساخنة فى المجتمع التنزانى .

وقال السيد / عوينى رئيس الجمهورية السابق **بأن هذا النادى مكسب للمسلمين ؛ لأنه يجمعهم** لمناقشة شئونهم بدلاً من الجلوس فى المقاهى ونوادى الخمور السياحية .

الفلبين

منح دراسية لألف طالب فلبينى مسلم

مانيلا. وكالة الأنباء الإسلامية :
سوف يحصل ألف طالب مسلم فلبينى من الجنوب على منح دراسية فى برنامج للمنح الدراسية قرره الرئيس الفلبينى الجديد ، وأعلن أن هذا البرنامج سوف يستمر عشر سنوات بواقع (١٠٠)طالب سنويا ، ودعا رئيس الفلبين فى خطابه أمام البرلمان إلى إعطاء مسلمى الفلبين الاهتمام الذى يستحقونه لتعويضهم عن سنوات الإهمال التى عانوا منها .

الفهرس
السنوى العام

١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(المحرم ١٤١٩ هـ/ مايو ١٩٩٨ م)

القسم الفرنسى

القسم الانجليزى



(صفر ١٤١٩ هـ/ يونية ١٩٩٨ م)

(ربيع الأول ١٤١٩ هـ / يولية ١٩٩٨ م)

(ربيع الآخر ١٤١٩ هـ / أغسطس ١٩٩٨ م)



(جمادى الأولى ١٤١٩ هـ/ سبتمبر ١٩٩٨م)

(جمادى الأخرة ١٤١٩ هـ/ أكتوبر ١٩٩٨م)

(رجب ١٤١٩ هـ / نوفمبر ١٩٩٨ م)

(شعبان ١٤١٩ هـ / ديسمبر ١٩٩٨ م)

خميلة الشعر

إعداد : الأستاذ محمد عبدالوهاب

القسم الفرنساوى

القسم الانجليزى



(رمضان ١٤١٩ هـ / يناير ١٩٩٩ م)

الموضوع — الصفحة

(شوال ١٤١٩ هـ / فبراير ١٩٩٩ م)

(ذو القعدة ١٤١٩ هـ / مارس ١٩٩٩ م)

القسم الفرنسى

القسم الانجليزى

ذو الحجة ١٤١٩ هـ / أبريل ١٩٩٩ م

القسم الفرنساوى

القسم الانجليزى

عناوين ملاحق مجلة الأزهر لعام ١٤١٩هـ

١ ـ الهجرة مواقف ـ عبر ـ عظات (محرم)
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار

٢ ـ رحلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى إلى البحرين (صفر)
إعداد :
فضيلة الأستاذ الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر
فضيلة الأستاذ الشيخ/ عبد المعز عبد الحميد الجزار
فضيلة الأستاذ/ محمد شوقى السبكى

٣ ـ الرحمة المهداة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجزء الأول (ربيع الأول)
تأليف : فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى

٤ ـ الرحمة المهداة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجزء الثانى (ربيع الآخر)
تأليف : فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى

٥ ـ منهج الدعوة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية (جمادى الأولى)
تأليف : فضيلة الشيخ/ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

٦ ـ الشعراوى .. إمام الدعاة ومجدد هذا القرن (جمادى الآخرة)
إعداد :
فضيلة الأستاذ الشيخ/ عبد المعز عبد الحميد الجزار
الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة
الأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

٧ ـ المختار من كتاب مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ـ الجزء الأول (رجب)
للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن مفلح
اختيار وتعليق :
فضيلة الشيخ/ السيد عبد المقصود عسكر

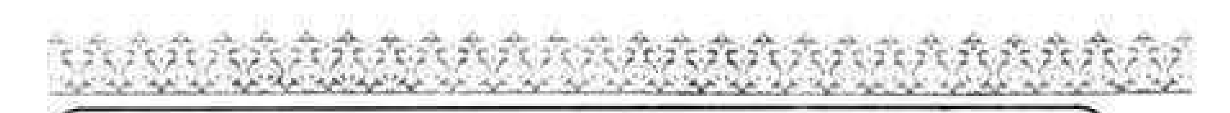
٨ ـ المختار من كتاب مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ـ الجزء الثانى (شعبان)
للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن مفلح
اختيار وتعليق :
فضيلة الشيخ/ السيد عبد المقصود عسكر

٩ ـ مع الصائمين فى شهر المغفرة والغفران (رمضان)
لفضيلة الشيخ/ عبد المعز عبد الحميد الجزار

١٠ ـ حول إعجاز القرآن (شوال)
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ على العمارى

١١ ـ دليل الحج والعمرة .. بالسؤال والجواب (ذو القعدة)
لفضيلة الشيخ/ أحمد بن محمد طلحون

١٢ ـ مع الإمام على ـ كرم الله وجهه (ذو الحجة)
لفضيلة الشيخ/ عبد المعز عبد الحميد الجزار



Le Prophète-b.s-a flagellé de 80 coups de fouet les gens de "Ifk"(les propagateurs du mensonge, calominateurs de Aïcha). Il étaient de nombre de 3 ce sont: Hassan Ibn Sabet-Mistak Ibn Açaça et Hamnah bent Gahch.

Le Prophète-b.s-dit un jour à ses compagnons:

"Evitez les 7 plus grands péchés"-Que sont-ils? répondirent les compagnons. Il dit:"L'association à Allah, la magie, l'homicide sans avoir aucun droit, l'usure, le gaspillage des biens de l'orphelin, fuire du champ de la bataille, l'accusation d'adultère contre les femmes mariées, chastes et croyantes." *Hadith rapporté par Al-Bokhary.*

Conditions d'application du "Hadd" ou sanction:

L'auteur du délit de Kazf doit être musulman, doué de raison et majeur.

Le dénigré doit jouir d'une réputation honorable, exempte de toute perversion.

La victime du Kazf doit revendiquer son droit à l'application du Hadd sur le diffamateur; il a la faculté de revendiquer ce droit ou de pardonner.

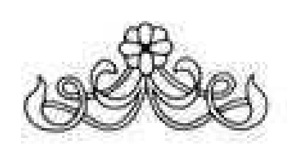
Le diffamateur n'est pas passible de la peine s'il produit quatre témoins attestant de la véracité de l'accusation.

En l'absence de l'une de ces conditions, le hadd n'est pas appliqué.

Remarque:

La peine de l'adultère si le fautif est marié est la mort. Il faut que le délit soit clairement établi soit par l'aveu même du fautif, ou confirmé par quatre témoins qui attestent avoir vu l'acte lui-même, c'est à dire les deux sexes introduits l'un dans l'autre tel que la baguette du"Khol"dans son étui, ou la corde dans le puits.

En réalité ce témoignage est difficile à fournir, vu l'impossibilité de tel constat. Il ne suffit pas de témoigner avoir vu une telle avec Untel, même dans un même lit. Celui qui le fait sera passible de la peine de Kazf qui est de 80 coups de fouet. Cette rigueur est voulue pour sauvegarder l'intégrité des foyers et mettre fin aux accusations diffamatoires.



sais que dire." "Ma mère, dis-je, réponds pour moi au Prophète-b.s- "Par Allah, dit-elle, je ne sais que répondre."

J'étais encore jeune dit Aïcha-A.s.e-je ne savais pas encore beaucoup de Coran, mais je répondis:

"Par Allah! je suis sûre que vous avez entendu et cru ce que disent les gens. Si je vous déclare que je suis innocente-et Allah le sait bien- vous ne me croyez pas. Mais si j'avoue autre chose- et Allah sait bien qu'il n'en fut rien- vous l'acceptez comme vrai. En l'occurence, je ne trouve d'exemple pour nous deux que la réponse du père de Joseph quand il dit:

[Je me résigne dignement à Allah. Il m'aidera à supporter vos assertions.]
(Surate 12"Yusseph" Joseph.V18.)

Ensuite je me suis recouchée, esperant qu'Allah déclare mon innocence. J'étais loin de penser que des versets coraniques seraient révélés à mon sujet, moi l'insignifiante. Tout ce que j'espérais, c'était que le Prophète-b.s-le vit en songe.

Par Allah, avant même que le Prophète-b.s-n'eût quitté sa place, ni aucune des personnes qui se trouvaient dans la chambre ne fût sortie que l'Envoyé d'Allah-b.s-reçut la révélation et fut couvert de sueur qui perlait sur son visage malgré que nous étions dans un jour d'hiver. La révélation terminée, le Prophète-b.s-souriant, dit:

"ÔAïcha! Allah vient d'affirmer ton innocence." Ce fut le premier mot qu'il prononça.

Alors ma mère me dit:"Lèves-toi et remercie le Prophète-b.s-" "Je ne me lève pas et je ne remercie qu'Allah seul", lui dis-je. Allah a révélé a mon sujet les versets de 11 à 20 de la Surate 24 La lumière.

Leçons tirées de la calomnie sur Aïcha.A-s-e

Sanction pour diffamation"Kazf."

Quel est le sens du mot Kazf?

Il s'agit de qualifier quelqu'un d'adultère ou de dire:"J'ai vu Untel en état d'adultère ou de sodomie."

Législation:

Cette médisance est un péché capital, Allah a qualifié son auteur de pervers, a réscusé son témoignage et a ordonné de le soumettre à la peine de kazf en disant:

[Ceux qui portent des accusations infamantes contre les femmes honnêtes sans pouvoir produire quatre témoins seront passibles de 80 coups de fouet. Leur témoignage ne sera plus jamais admis.Ce sont eux les pervers! A moins qu'ils ne reviennent ensuite sur leurs erreurs et s'amendent manifestement. Allah est Clément et Miséricordieux.] **Surate 24 "Al-Nour"La Lumière V4et5.**



La calomnie sur Aicha a.s.e.

Kissat–oul ifk (suite)

Par : Mme Hoda Hussein Chaarawy

A ce moment, Saad Ibn Mouaz(chef de la tribu des Aous à Médine) se leva et dit:"Envoyé d'Allah, je jure que si tu veux, je peux m'en charger. Si c'est quelqu'un de la tribu des Aous, je lui trancherai le cou, s'il est de la tribu de nos frères les Khaz-rag, nous exécuterons l'ordre que tu nous donnes."

A ce moment Saad Ibn Obada, chef des Khazrag, qui pourtant était un homme vertueux, mais que le parler de Saad jeta dans le chauvinisme, se leva et dit en s'adressant à Saad Ibn Mouaz:"Menteur! par Allah tu ne le tueras pas. Tu n'en auras pas le courage." Et voilà que Ossaïd Ibn Hodaïr-cousin de Ibn Mouaz-de se lever et de dire:"C'est toi le menteur! Par Allah nous le tuerons."

Les deux tribus faillirent en venir aux mains. Le Prophète-b.s- était encore en chaire. Il descendit et calma la bagarre. Quand le calme revînt, le Prophète-b.s-cessa de parler.

Je n'ai pas cessé de pleurer ce jour là, j'ai pleuré les deux nuits suivantes sans goûter le sommeil. Je sentais mes pleurs me fendre le coeur. Mon père et ma mère vinrent auprès de moi le matin. Je pleurais toujours. Une femme ançarite demanda à entrer. Elle s'assit pleurant avec moi. On était assis quand le Prophète-b.s-entra et prit place à côté de moi. Il ne l'a pas fait depuis ce bavardage de calomnie à mon sujet. Pendant un mois, il n'avait pas reçu de révélation me concernant. Il dit:"Aïcha, j'ai appris sur toi telle et telle chose, si tu es innocente, Allah va le montrer. Si par contre, tu as commis un péché, demande pardon à Allah et repens toi .Quand l'homme reconnaît sa faute et s'en repent, Allah la lui pardonne."

A ce moment mes larmes s'arrêtèrent de couler subitement et m'adressant à mon père, je lui dis:"Réponds au Prophète-b.s-à ma place." "Par Allah, dit-il, je ne

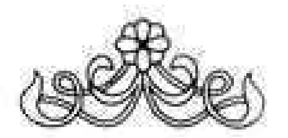


Le jour de la Fête du Sacrifice ('Id Adha) a été ainsi appelé à cause du rite de l'immolation accompli ce jour-là en commémoration du sacrifice accompli par le prophète Ibrahim et en signe de soumission des croyants aux prescriptions d'Allah.

Ces bêtes qui sont égorgées par ceux qui en possèdent les moyens, permettent de nourir les musulmans moins fortunés, créant par cela une atmosphère de fraternité et de compassion parmi les croyants.

Enfin depuis le jour de 'Arafat et jusqu'à l'après-midi du quatrième jour de la Fête, les musulmans ne cessent de proclamer la grandeur d'Allah (At-Takbir) et leur soumission (At-Talbiya) à la fin de chaque prière prescrite (As-Salat), affirmant ainsi leur volonté de défier tous les obstacles et de surmonter tous les difficultés en vue l'unité et de la grandeur de la nation islamique.

Rappelons ce Hadith du Prophète -b.s.- où il dit : *"Il n'y a point de jour où Allah exempte du Feu ses serviteurs que le jour de 'Arafat . Il se rapproche-Gloire à Lui- d'eux et les montre avec fierté à Ses Anges"* : Pendant qu'il était à 'Arafat, le Messager d'Allah -b.s.- implorait Allah d'accorder Son pardon et Sa miséricorde la nation des musulmans. Allah -Gloire à Lui- lui répondit: *"Voilà Je l'ai fait, sauf pour ceux qui se sont fait mutuellement du tort. Quant aux péchés qu'ils ont commis à Mon égard, Je les ai pardonnés"*. Ajoutons qu'il est préférable pour ceux qui sont restés dans leurs pays et n'ont point accompli le Pèlerinage de jeûner le Jour de 'Arafat en vue d'obtenir ue part des faveurs et des grâces qu'Allah accorde à Ses pèlerins.



Le Grand Pèlerinage et les jours bénis

par Dr. Rokeya Gabr

Les dix premiers jours du mois de Dhul Hiddja sont les j_ours déterminés mentionnés par Allah - le Très-Haut - dans le Coran: [***Invoquez le nom d'Allah durant les jours connus...***]. Allah nous ordonne d'invoquer fréquement Son nom en ce jours afin d'obtenir des biens et des grâces de Sa part ainsi que Sa miséricorde et le pardon de nos pêchés. Il faut donc tirer profit de ces jours en accomplissant tout ce qui est susceptible de nous rapprocher d'Allah.

Le jour de la Station de Arafat est, parmi ces jours, celui où Allah par Sa grâce et Sa miséricorde accorde Son pardon et la rémission des péchés. Ce jour-là, Satan, l'ennemi des humains, en voyant la miséricorde d'Allah envers Ses créatures, se maudira lui-même avec rage et désespoir.

En ce noble jour Allah rassemble tous les membres de la nation islamique, venus de tous les coins de la terre, pour proclamer à l'humanité toute entière qu'ils sont tous des frères, partageant une même foi, adorant Allah, le Dieu unique et disant: "*Labbaïk Allahuma, Labbaïk, la charika laka Labbaïk*" (Je viens à toi toi, ô Allah, je viens à Toi qui n'as point d'associé).

Ceci est une occasion où les musulmans se rappellent que d'où qu'ils viennent et quelle que soit leur nationalité ou leur couleur, ils doivent œuvrer sans trève dans le sens d'une coopération et d'une entr'aide entre les membres de cette même nation qu'ils veulent noble et florissante.

REVUE
AL AZHAR

Zu-l-Heja 1419 H. APR. 1999, Vol. 71 Part XII.

Section Francaise

«Those who swallow the property of the orphans unjustly, they swallow only fire into their bellies. And they will burn in blazing. fire».

(Al Nisa 9)

The divine commandments thus take us gradually to sound economic construction and an ideal social life with no cracks because of monopoly and greed. Allah stated that honesty should prevail in the life of Muslims Allah says «And give full measure and weight with equity— We impose not on any soul a duty except to the extent of its ability». (Surat Al Anam). The same idea is stressed in Surat Al Isra :

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا
بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (الإسراء - ٣٥)

And give full measure when you measure out, and weigh with a true balance. This is fair and better in the end».

(Al Isra 35)

It is also emphasised in the Sura of Al Mutafifin :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا
كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المطففين - ١ - ٦)

« Woe to the cheaters ! Who when they take the measure (of their dues). from men take it fully, And when they measure out to others or weigh out for them, they give less than wos due. Do they not think that they will be raised again, To a mighty day ? The day when men will stand before the Lord of the world.

Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) narrated that when the Prophet (Peace and Blessings Be upon Him) had come to Madina, the people there were the worst in weighing. They usually gave less that was due. Accordingly, Allah revealed «Woe to the cheaters». After that they improved and weighed out well.

on what is lawful. There should be no extravagance in dealing with the property of the orphan.

That property of a ward might have some value that would go away if kept until he attains maturity when he is able to look after his possessions. The guardian henceforth is not allowed to consume the property hurridly for fear of losing that value. Accordingly greater cautiousness should be taken when looking after the property of the orphan. So for example, if the guardian is a rich man himself, he should not consume the property of the orphan whether extravagantlyor hastily, and if the is poor he should consume it reasonably, When the guardian has to give the property back to his ward he should bring witnesses to clear his conscience. Allah says :

﴿ وَابْتَلُوا
الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا
فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (النساء - ٦)

« And test the orphans until they reach the age of marriage. Then if you find in them maturity of intelect, make over to them their property and consume it not extravagantly and hastily against their growing up. And whoever is rich let him abstain, and whoever is poor let him consume reasonably. And when you make over to them their property,call witnesses in their presence. And Allah is enough as a Reckoner».

(Al Nisa 6)

Allah stated that the punishment for those who devour the property of their wards unjustly is to be driven to hell and the most evil resort. Allah said :



(Money and property)

The divine commandments then lead us to consider money and property and how to make good use of them. They also focuss on sound social interaction. In the beginning, Allah mentions the property of an orphan because he is so weak. No one is allowed to come near it except in a good way as to help to preserve it. So, here is the words of the Qur'an are used to prevent anyone from even touching the property of an orphan until he reaches maturity. The exaggeration in «And approach not the property of the orphan except in the best manner until he attains his maturity» is meant to stress the prohibition..

Allah is warning the guardian who looks after an orphan and his property against ill use of his possessions. This could be done by substituting some of the valuable things an orphan possesses by some other worthless items belonging to the guardian. A guardian may also add the money or property of the orphan to his own which is considered a great sin.

In Surat Al Nisa (The Women) Allah says :

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء - ٢)

«And give to the orphans their property and substitute not worthless (things) for (their) good ones, and devour not their property (adding ohto your own property. This is surely a great sin.»

(Al Nisa 2)

In order to preserve the property of an orphan, Allah decreed that He should not be given over his belongings unless being tested to make sure that he can look after his possessions properly. It is prohibited for a guardian to spend the money of the orphan unwisely even if he spends it on the orphan himself. This money has to be spent only

Muslim who kills another or attacks the Muslims should be as well killed.

Surat Al Isra deals with this point and the divine law put by Islam even as regards the heir of someone who has been slain unjustly. He is not allowed to exceed the limits. Allah says :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (الإسراء - ٣٣)

«And kill not the soul which Allah has forbidden except for a just Cause. And whoever is slain unjustly, We have indeed given to his heir authority—but let him not exceed the limit in slaying. Surely he will be helped.

(Al Isra 33)

This commandment is delt with in details in the honourable Sunnah Narrated Abdullah (may Allah be Pleased with him). Allah's Messenger (Peace and blessings be upon Him) said «The blood of a Muslim who confesses that La ilaha illallah (none has the right to be worshipped but Allah) and that I am the Messenger of Allah, can not be shed except in three cases : (1) Life for life (in case of intentional murders) without rights, i e in Qisas—Law of Equality in punishment), (2)-a married person who Commits illegal sexual intercourse, and (3)- the one who turns renegade from Islam (apostate) and leaves the group of Muslims.

The previously mentioned commandments are clearly stated for those who are mindfull. They are as bright as the sun in the morning. So, they can easily be recognised by all human beings as they speak to the human intitution. In Surat Al An'am Allah says after mentioning the five commandments already dealt with» that you may understand».

This means that Allah decreed all these commandments that you may use your minds to understand them and recognize their value in religion. The commmandments mentioned concentrate on :

1 – Creed, (2&3) Family including both parents and children, (3) Honour, (4) The Soul.

food with you. I further asked «What next?» He said : To commit illegal sexual intercourse with the wife of your neighbour».

Protection of Honour

Then comes the commandment concerning honour. Allah says : and draw not nigh to indecencies, open or secret» So here Allah is warning against all sorts of indecencies whether committed openly in front of everybody or secretely. Allah uses the words «draw not nigh» to emphasise and exaggerate the warning. It is to show that coming near such indecencies will defintely lead to practising them.

In Surat Al Israa, Allah prohibits the commitment of adultry.

He Says :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأنعام - ١٥١)

«The dreadfulness of this sin is also shown clearly in the Sunnah The Prophet (Peace and Blessings be upon Him) explained that no sin (after Sherk) is greater than a man who puts a small life germ into a womb that is not lawful for him. He also explained thatMuslims remain safe and secure so long as no illegal children are born., otherwise Allah would make them suffer.

The Scholar Abu Al Soud said as explaining Surat Al An'am that indecencies are in themselves a great crime. He pointed out that children born after committing adultry are considered dead.

The Sacredness of the Soul

The commandment as regards the protection of the human soul then follows in the verse of Surat Al An'am. Allah says : and kill not the soul which Allah has made sacred except in the course of justice». Thus Allah is speaking of the human soul on which any attack is forbidden because it is guarded by Islam or a protection pledge from Allah. Allah says «except in the course of justice», this indicates that Allah only legislates when it is lawful to kill a human being (a soul).

It is considered lawful and just to kill someone who becomes a disbeliever) after being a Muslim. A married person who commits adultry has to be killed. Besides, a

Commandments of the Holy Qur'an Concerning the greatest Virtues

Rights of the Children

Part II

By : Hanan Abdou El Tahtawy

The verses mentioned at the very beginning deal with the rights of the children immediately after pointing out the commandment related to the parents. When Allah says «and slay not your children for (fear of) poverty», this means that one should not kill his own children because there is already existing poverty. Allah provides sustenance for parents and children as well.

In Surat Al An'am Allah mentioned the parents first. He says «We provide for you and for them». However, in Surat Al Isra Allah mentioned the children first. He says :

﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (الإسراء - ٣١)

(Al Isra - 31).

«We provide for them and for you»

Allah wants to show that he provides people with the means of living because poverty is expected due to the existing of children. In the Sunnah, killing children for fear of poverty is prohibited. It is considered as the most dreadful crime by the Prophet (Peace and blessings be upon Him).

Narrated Abdullah Ibn Masoud. «I asked o Allah's Messenger !

What sin is the greatest ? He said : To set up a rival unto Allah,though He (Allah) created you, I said «What next?» He said : To kill your son lest he should share your



AL-AZHAR MAGAZINE

Zu-l-Heja 1419 H.

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part XII.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

*" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."*

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr. TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

فهرس العدد

القسم الفرنساوى

القسم الانجليزى